

سلسلة الرسائل الجامعية  
(٥)

# القياد الكريمة

ومنزلة بين السلف ومخالفهم  
دراسة عقديّة

تأليف

محمد هاشم بن علي محمد طاهري

تقديم

أ. د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

المجلد الأول

دار التوحيد للنشر  
الرياض



أَصْلُ هَذَا الْكِتَابِ رِسَالَةٌ عِلْمِيَّةٌ تَقَدَّمَ بِهَا الْمُؤَلِّفُ لِنَيْلِ دَرَجَةِ الْعَالَمِيَّةِ  
بِالْمَجَسْتِيرِ (بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ)  
وَنُوقِشَتْ الرِّسَالَةُ فِي ٢٨ / ١ / ١٤٢٤ هـ وَأُجِيزَتْ مِنْ لَجْنَةِ الْمُنَاقَشَةِ  
بِتَقْدِيرٍ مُمْتَازٍ مَعَ مَرْتَبَةِ الشَّرَفِ الْأَوَّلِ







# الْقِيَّامُ الْكَبِيرُ

وَمَنْزِلَتُهُ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْمُخَالِفِينَ

دراسة عقائدية



دار التوحيد للنشر ، ١٤٢٥ هـ (ح)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الاقفاني ، محمد هشام الطاهري

القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفهم : دراسة عقدية . /

محمد هشام الطاهري الاقفاني - الرياض ؛ ١٤٢٥ هـ

٢ مج - ( سلسلة الرسائل الجامعية ؛ ٥ )

ردمك : ٥ - ٣ - ٩٤٩٤ - ٩٩٦٠ ( مجموعة )

٣ - ٤ - ٩٤٩٤ - ٩٩٦٠ ( ج ١ )

ب. السلسلة

أ. العنوان

١ - القرآن - مباحث عامة

١٤٢٥/٤٥٧١

ديوي ٢٢٩

رقم الإيداع : ١٤٢٥/٤٥٧١

ردمك : ٥ - ٣ - ٩٤٩٤ - ٩٩٦٠ ( مجموعة )

٣ - ٤ - ٩٤٩٤ - ٩٩٦٠ ( ج ١ )

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

الناشر

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣

هاتف وناسوخ - ٤٢٨٠٤٠٤ - ٩٦٦ ١

البريد الإلكتروني: E-mail: dar\_attawheed.pub.sa@naseej.com

الصف والإخراج دار التوحيد للنشر هاتف وناسوخ - ٤٢٨٠٤٠٤ - ٩٦٦ ١

## تقديم

أ.د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

**أما بعد:** فما لا شك فيه أن كل مسلم يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، يؤمن ويعتقد أن القرآن كلام الله، وهو المنزل على نبينا محمد ﷺ؛ وأنه آخر الكتب السماوية، وخاتمها، وأفضلها، وأشملها، وهو الحاكم عليها، وهو الهدى والشفاء، والنور والضياء، يستضاء به في ظلمات الجهالة وعماية الضلالة.

والقرآن مشتمل على الهداية التامة، وكل ما يحتاج إليه الخلق من أمور دينهم ودنياهم، من العلم بالله وأسماءه وصفاته وأفعاله، ومن العلم بالأحكام الشرعية والأحكام الجزئية، فبينت غاية البيان، لذا فهو منهج رباني، عظيم، محقق لسعادة

الإنسانية في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

هذا وجهود علماء السلف في العناية بالقرآن الكريم جهود عظيمة وكبيرة إذ كل من اشتغل بعلم من العلوم الشرعية فهو معتن بالقرآن الكريم.

ولا زال أهل العلم حديثاً يعتنون بالقرآن الكريم كما كان عليه السلف، ويردون تحريف المنحرفين، وأنتحال المبطلين، وتأويلات الجاهلين، من أهل الأهواء والضلال.

ومن المؤلفات المفيدة في هذا الموضوع رسالة أخي في الله فضيلة الشيخ محمد هشام بن لعل محمد طاهري، التي هي بعنوان (القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفهم)، فهي رسالة قيمة في بابها، متميزة في موضوعها، بين الباحث - وفقه الله - عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم، وما هم عليه من التعظيم والتبجيل، والعلم به، والدعوة إليه، وبين ما عليه المخالفون لأهل السنة من أهل الباطل ممن نهج نهجاً فاسداً، واعتقاداً باطلاً في كتاب الله، وما هم عليه من التحريف والتعطيل.

هذا والله أسأل أن يجزي المؤلف خير الجزاء، وأن يكتب له ثواب المنافحين عن كتاب الله، والذابين عن سنة رسول الله ﷺ وأهلها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه:

**أ.د. محمد بن عبد الرحمن الخميس**

أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

## المَقْدِمَةُ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله<sup>(١)</sup>، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم.

«أما بعد: فإن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»<sup>(٢)</sup>.

ثم أما بعد: فإن الله ﷻ خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، كما قال - عزَّ شأنه -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وعبادته سبحانه لا تكون إلاً وفق ما شرعه، ولهذا أرسل: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وليسئوا لهم طريق العباداة، ويحذروهم سبيل الغواية، كما قال رب العزة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فأوحى الله إلى أنبيائه ما أرادَه من عباده، من امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وأنزل كتبه، ثم ختم الله ﷻ بمحمد ﷺ الأنبياء فلا نبي بعده، كما قال عنه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فجعل آيته الكتاب الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]،

(١) وهذا جزء من خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يفتتح بها خطبه. انظر: خطبة الحاجة للشيخ الألباني ص ٣.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب/ تخفيف الصلاة والخطبة، ح (٨٦٧) عن جابر ؓ.

وجعله الله ناسخاً للكتب السابقة، حاوياً للأحكام اللاحقة إلى قيام الساعة، وتحذى الله بالقرآن العرب والعجم؛ فعجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، فكان آية خالدة، من تمسك به اهتدى، ومن عمل به نجا، ومن عالج به شفى، وهكذا كان دأب السلف ومن بهم اقتفى، فرفعهم الله في الدنيا والأخرى.

وكان اهتمام السلف بالقرآن الكريم فوق أي اهتمام، وعنايتهم به ويعلمونه فوق المرام، حتى كانوا به حاجين، ويدعونه داعين، وبأوامره مؤتمرين، وعن نواحيه منزجرين. ثم نشأ بعدهم خلوف أعرضوا عن الكتاب؛ فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله غير علم، ويتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهونه عليهم، وبما يظهرونه من التعظيم للقرآن، وهم في الحقيقة لا يقيمون له وزناً، ولا يقطعون به في مسألة، بل القطعي عندهم ما حكم به العقل مما سموه براهين وهي سراب، يتحير منها أولوا الأبواب، وهانت منزلته عندهم حتى عاملوه معاملة المرتاب؛ فهذا يدعي أنه صعب مغلق دونه الأبواب، وآخر يدعي فيه التحريف والجواب، وثالث يدعي فيه النقص والعتاب، ورابع يقول بنسخه بكتاب، وهكذا اختلفت فيه أقوال الأحزاب.

لكن جعل الله في كل زمان بقايا من أهل العلم، يُحيون بكتاب الله الموتى، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وقد تكفل الله بحفظه وهو العزيز الوهاب، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وهذا معتقد المسلم الحق، فيعرف للقرآن قدره، ويُنزله منزلته، ويعلم أن الله سبحانه أحسن حديثاً، وأصدق قِلاً، فلا ينبغي العدول عن كلامه، ولا التحريف في آياته.

ولا زال أهل العلم قديماً وحديثاً يُسيئون الحق في كتاب الله ﷻ، ويُبطلون ما يقوله أهل الزيغ والضلال، فمنهم من ضمن ذلك في مؤلف يذكر فيه أهمية القرآن الكريم - في أبواب الدين -، فيبين الأحكام المتعلقة به.



ومن كان له اليد الطولى، وقدم السبق في هذا المضمار: الجامعات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية بشتى أقسامها العلمية (العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، واللغة...) حيث عُيِّنَتْ رسائل عدة بالقرآن الكريم، كلٌّ من جانبٍ تخصُّصه، فهذا من ناحية اهتمام القرآن بالتوحيد، وآخر في كيفية تفسيره، وذلك في الأحكام الفقهية المتعلقة به... الخ.

ويسرَّ الله ﷻ أن أطلع على فهارس الرسائل الجامعية، ولم أجِدْ رسالةً علميةً عيَّنت ببيان مسائل العقيدة المتعلقة بالقرآن الكريم نفسه، وبيان منزلته، فاستخرتُ الله ﷻ، واستشرتُ أساتذتي، وشيوخِي الأفاضل في الكتابة في هذا الموضوع، فشرَحَ الله صدرِي، ثم ازدادَ شوقي لما رأيتُ من التشجيع من مشايخي الكرام - في هذا الميدان - في أطروحتي العلمية المقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)، وجعلت موضوع البحث بعنوان:

### (القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفهم)

#### أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. ترجع أهمية الموضوع إلى المباحث المتناولة فيه؛ فإنها في أصل ما يُبنى عليه الدين، وهو القرآن الكريم، الذي هو كلامُ الله ﷻ غير مخلوق، بل صفة من صفاته، وكيف ينبغي أن يُعامل معه، ويُعظَّم، ولا شك أن التهاون في هذا يؤدي إلى مثل ما وقع فيه المسلمون من نزاع وتفرُّقٍ يجب تركهما، ومعرفة كيفية التعامل معه وتعظيمه لا تحقِّق إلا بالرجوع إلى الأصل الأصيل، والحبل المتين، وهو الوحي المبين. وبما أن للقرآن منزلةً في قلب كل مسلم فالواجب إظهار ما عليه أهل الباطل من تفريط في كتاب الله ﷻ حتى يُهجروا ويتركوا، وتوضيح ما عليه السلف وأتباعهم من التعظيم والتبجيل حقاً وصدقاً حتى يُتَّبَعوا، ولذلك يكون عرضي الموضوع أشبه ما يكون بعرض ما عليه السلف، وما عليه الخلف، حتى يرى المنصف بالميزان، ويعرف الذهب من النحاس؛ فيعرف الحق

وَيَتَّبِعْهُ، وَيُغَضِّصِ الْبَاطِلَ وَيَحْتَنِبْهُ.

٢. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن مسألة القرآن وقع فيها بين السلف والخلف من الاضطراب ما لم يقع نظيره في العلو»<sup>(١)</sup>، وقال: «الناس كثر نزاعهم فيها، حتى قيل: مسألة الكلام حيرت عقول الأنام»<sup>(٢)</sup>، وقال ابن الوزير اليماني رحمه الله في بيان خلاف الفرق: «ومن ذلك خبط كثير من الناس في مسألة القرآن»<sup>(٣)</sup>، وبُحِثت مسألة العلو من جهات عدة، وأما مسائل القرآن الكريم فلم تبحث، فوقع هذا الكلام من هؤلاء الأعلام في نفسي، فجمعت المسائل العقدية المتعلقة بالقرآن فوجدتها جديرة بالبحث والكتابة، وعلى الله التكلان.

٣. إن بيان منزلة القرآن الكريم، والرد على أهل الأهواء من الجهاد في سبيل الله الذي ينبغي على المرء الاحتساب فيه، وصح في الحديث: [ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن]<sup>(٤)</sup>، وإنّي لأرجو بهذا أن أكون من المنافحين عن كتاب الله تعالى، والذابين عنه، على قلة البضاعة، والله المستعان.

٤. بيان ما عليه أهل الباطل من العقيدة الزائفة في كتاب الله تعالى من تحريف، وتعطيل، وتهوين، والرد عليهم من أقوال أهل العلم الراسخين، وبيان عوارهم، وإظهار شنيع أقوالهم.

٥. إنّي لم أجد مادة هذا الموضوع مجموعة في مؤلف مستقل، وهي جديرة بالعناية لما لمتعلقه من الشرف، ومعلوم أن شرف العلم بشرف معلومه، ولما فيها من أمور يترتب عليها أحكام من الإيمان والكفر، والتفسيق والتبديع؛ فإذا جمعت في مكان واحد كان أظهر للحق، وأجلى للباطل.

(١) التسعينية ١ / ٢٣٠، وانظر: المجموع ١٢ / ٦، ١١٥.

(٢) المجموع ١٢ / ١١٣.

(٣) إنبات الحق ص ١١٨.

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب/ كون النهي عن المنكر من الإيمان... (ح ٨٠) من رواية ابن مسعود رضي الله عنه.

٦. إن بيان ما عليه أهل السنة من الاتفاق في عقيدتهم في القرآن الكريم، وما عليه من الاختلاف الكبير أهل الأهواء والبدع يُظهر محاسن أهل السنة، ومساوئ أهل البدعة.
٧. إن هذا الموضوع يتطلب مني الرجوع إلى كتب كثيرة، وهذا سيزيد في تحصيلي العلمي إن شاء الله ﷻ.

### خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب، وخاتمة.

المقدمة، وتشمل ما يأتي:-

١. الافتتاحية.
٢. أهمية الموضوع.
٣. أسباب اختياره.
٤. خطة البحث.
٥. منهج البحث.

التمهيد: ويشتمل على مطالب:

المطلب الأول: تعريف (القرآن) لغة، واصطلاحاً، والفرق بينه وبين الحديث القدسي.

المطلب الثاني: المقصود بـ (المنزلة) لغة، واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعريف (السلف) لغة، واصطلاحاً.

المطلب الرابع: تعريف المخالفين لأهل السنة، وأقسامهم.

الباب الأول: حقيقة القرآن الكريم في نظر السلف، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: القرآن الكريم كلام الله ﷻ غير مخلوق، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إثبات أن القرآن كلام الله تعالى، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الدليل على أن القرآن كلام الله تعالى.

المطلب الثاني: القرآن الكريم من الله بدأ وإليه يعود.

المطلب الثالث: تكلم الله بالقرآن وتعلقه بالمشيئة، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعلق هذه الصفة بالذات.

المسألة الثانية: تعلق هذه الصفة بالمشيئة.

المسألة الثالثة: نفي التشبيه في الصفة.

المبحث الثاني: مسألة اللفظ بالقرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان اللفظ والمفوظ.

المطلب الثاني: موقف السلف من مسألة اللفظ.

الفصل الثاني: بيان أن القرآن الكريم منزل على محمد ﷺ وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجوب الإيمان بنزول القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ.

المبحث الثاني: نزول القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سماع جبريل عليه السلام القرآن.

المطلب الثاني: كيفية نزول القرآن.

المبحث الثالث: معنى إنزال الله القرآن عند السلف.

الفصل الثالث: بيان أن القرآن الكريم متعبد به، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى التعبد بالقرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في تعريف التعبد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الأدلة على كون القرآن متعبداً به.

المبحث الثاني: صور التعبد بالقرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعبد بقراءته، وتدبره.

المطلب الثاني: التعبد بالعمل به، والتحاكم إليه.

المطلب الثالث: التعبد بالتداوي به، ودفع الضر به.

الفصل الرابع: بيان أن القرآن الكريم هو الموجود في المصحف، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان المراد بالمصحف، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف المصحف لغة، واصطلاحاً.

المطلب الثاني: ذكر أسماء المصحف.

المطلب الثالث: الدليل على أن ما في المصحف هو القرآن.

المبحث الثاني: ما يخالف المصحف هل يقال عنه قرآن؟، وفيه مطالب:

المطلب الأول: بيان المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦].

المطلب الثاني: ما يروى من الأحرف هل يقال عنه قرآن؟

المطلب الثالث: حكم القراءة بما يخالف المصحف.

المطلب الرابع: الحلف بالمصحف.

المبحث الثالث: بيان منزلة الترجمة والتفسير من القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: هل الترجمة اللفظية من القرآن؟

المطلب الثاني: هل يقال إن التفسير من القرآن؟

المبحث الرابع: وجوب تعظيم المصحف، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الدليل على وجوب تعظيمه.

المطلب الثاني: حكم الدخول بالمصحف في الأماكن النجسة.

الفصل الخامس: بيان أن القرآن آية لنبينا محمد ﷺ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الآية، وكون القرآن معجزا، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف الآية لغة، واصطلاحا، واطلاقاتها القرآنية.

المطلب الثاني: الدليل على كون القرآن آية.

المطلب الثالث: الدليل على كون القرآن معجز.

المبحث الثاني: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، وفيه مطالب:

المطلب الأول: كون القرآن معجزا لفظا وتركيبا.

المطلب الثاني: كون القرآن معجزا بلاغة وبيانا.

المطلب الثالث: كون القرآن معجزا علما وتشريعا.

الباب الثاني: حقيقة القرآن الكريم في نظر المخالفين، والرد عليهم، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: اختلافهم في تعريف القرآن الكريم، وفيه مباحث:

المبحث الأول: القول بالفيض.

المبحث الثاني: القول بالحلول.

المبحث الثالث: القول بخلق القرآن.

المبحث الرابع: القول بأن القرآن عبارة، أو حكاية عن كلام الله.

المبحث الخامس: القول بأزلية القرآن.

المبحث السادس: القول بأن الله تكلم بعد أن لم يكن متكلمًا، ومن ذلك تكلمه بالقرآن.

المبحث السابع: القول بالتوقف في القرآن الكريم.

المبحث الثامن: ابتداء مسألة اللفظ بالقرآن.

الفصل الثاني: قول المخالفين في نزول القرآن على نبينا محمد ﷺ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في نزول القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نفیهم سماع جبريل القرآن من رب العزة.

المطلب الثاني: معنى نزول القرآن الكريم عند المخالفين، وشبههم.

المبحث الثاني: قول بعض الرافضة في نزول القرآن.

الفصل الثالث: قول المخالفين في التعبد بالقرآن الكريم، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعبد بمجرد القراءة.

المبحث الثاني: التعبد بالتبرك به.

الفصل الرابع: قول المخالفين في كون القرآن آية لنبينا محمد ﷺ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قول المعتزلة بأن العرب صُرفوا عن الإتيان بمثله.

المبحث الثاني: صور الإعجاز عند المخالفين.

الباب الثالث: منزلة القرآن الكريم عند السلف، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: بيان فضل القرآن الكريم، ووجوب تعظيمه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فضل القرآن الكريم، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الأدلة في بيان فضل القرآن.

- المطلب الثاني: مفاضلة القرآن بعضه على بعض.
- المطلب الثالث: حكم تفضيل غير القرآن على القرآن.
- المبحث الثاني: تعظيم القرآن الكريم، وفيه مطالب:
- المطلب الأول: الدليل على وجوب تعظيم القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: حكم الاستهزاء بالقرآن، والخط منه.
- المطلب الثالث: حكم التبرك بالقرآن.
- المطلب الرابع: خصائص القرآن.
- الفصل الثاني: طريقة السلف في فهم القرآن، والاحتجاج به، وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: طريقة أهل السنة في فهمه، وفيه مطالب:
- المطلب الأول: الاستغناء بالوحي.
- المطلب الثاني: تلازم القرآن والسنة.
- المطلب الثالث: حمل القرآن على الحقيقة.
- المطلب الرابع: حمل القرآن على الظاهر.
- المطلب الخامس: الاستعانة بفهم السلف الصالح في فهم القرآن.
- المبحث الثاني: حجية القرآن عند السلف، وفيه مطالب:
- المطلب الأول: الأدلة على حجية القرآن في العقائد.
- المطلب الثاني: كونه مصدر التشريع.
- المطلب الثالث: نسخ القرآن للكتب السابقة.
- المطلب الرابع: وجوب اعتقاد أن القرآن لا يُنسخ بعد انقطاع الوحي.
- الفصل الثالث: جهود السلف في حفظ القرآن، وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: عناية السلف بالقرآن، وفيه مطالب:
- المطلب الأول: حفظ القرآن في الصدور.
- المطلب الثاني: كتابة القرآن الكريم.

المطلب الثالث: اهتمام السلف بعلوم القرآن.

المطلب الرابع: اهتمام أهل السنة بالقرآن في العصر الحديث.

المبحث الثاني: نهى السلف عن المراء، والتكلف في القرآن الكريم.

الباب الرابع: منزلة القرآن الكريم عند المخالفين للسلف، وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: منزلته عند الفلاسفة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم وبيان أقسامهم.

المبحث الثاني: عدم تعظيمهم للقرآن.

المبحث الثالث: عدم رجوعهم إلى القرآن، والصدور عنه في العقائد، والرد عليهم.

الفصل الثاني: منزلة القرآن عند الصوفية (القائلين بأن للقرآن ظاهرا وباطنا)،

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمن سلك هذا المسلك.

المبحث الثاني: أقوالهم في الظاهر والباطن.

المبحث الثالث: استخفافهم بظاهر القرآن، والرد عليهم.

المبحث الرابع: عدم تعظيمهم للقرآن.

المبحث الخامس: عدم اعتمادهم على القرآن في باب العقائد.

الفصل الثالث: منزلة القرآن عند الرافضة، وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم.

المبحث الثاني: عقيدتهم في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: عدم تعظيمهم للقرآن الكريم.

المبحث الرابع: عدم اعتمادهم عليه في العقائد.

الفصل الرابع: منزلة القرآن عند الباطنية، وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم.

المبحث الثاني: اعتقادهم عدم انقطاع الوحي.



- المبحث الثالث: اعتقادهم في القرآن، وفيه مطالب:
- المطلب الأول: أنه منسوخ، ولا يعمل به.
- المطلب الثاني: أنه إلى العرب خاصة.
- المطلب الثالث: تحريفهم النصوص.
- المبحث الرابع: استهانتهم بالقرآن، وفيه مطالب:
- المطلب الأول: استخفافهم بالقرآن.
- المطلب الثاني: عدم الاعتماد عليه.
- المطلب الثالث: تفضيل غير القرآن على القرآن.
- المطلب الرابع: حفظهم لكتبهم المزعومة.
- الفصل الخامس: منزلة القرآن عند أهل الكلام، وفيه مباحث:
- المبحث الأول: التعريف بأهل الكلام.
- المبحث الثاني: عدم تعظيمهم للقرآن.
- المبحث الثالث: جعلهم القرآن فرعاً في باب العقائد، والرد عليهم.
- المبحث الرابع: بيان عدم حفظهم للقرآن.
- الفصل السادس: منزلة القرآن الكريم عند بعض المعاصرين (العقلانيين، ومنكري السنة "القرآنيين")، وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: العقلانيون، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: التعريف بالعقلانيين لغة، واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: منزلة القرآن الكريم عند العقلانيين.
- المبحث الثاني: منكرو السنة "القرآنيون"، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: التعريف بهم.
- المطلب الثاني: منزلة القرآن الكريم عند منكري السنة "القرآنيين".
- الخاتمة: وأذكر فيها أهم النتائج التي أتوصل إليها في البحث.

### منهجي في البحث:

بعد الجمع الأولي للمادة رأيت أن أسير في بحثي هذا على المنهج التالي:-

(١) أنقل الأقوال من مصادرها الأصلية - إن وجدت - ، فقول أهل السنة من كتب أهل السنة، وأقوال المخالفين من كتبهم.

(٢) أضع الكلام المنقول بنصه بين علامتي تنصيص، وإذا تصرف في النص أقول بتصرف، وإن نقلته بمعناه فأقول في الهامش: انظر.

(٣) كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وأذكر في الحاشية اسم السورة ورقم الآية.

(٤) إذا كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما اكتفيت بذلك، وقد أضيف مصدرا آخر للفائدة، وإن كان في غيرهما فأخرجه من مظانه - دون استقصاء - ثم أورد كلام أهل العلم - قديما وحديثا - في الحكم عليه.

(٥) أعزو الحديث بذكر الكتاب، فالباب، فالرقم، وذلك في الكتب التي التزمت ذلك، وإلا فحسب ما وقفت عليه من الجزء والصفحة.

(٦) أحيل الآثار إلى مصادرها من غير حكم عليها، إلا إذا ترتب على الأثر حكم مستقل فإني أذكر أقوال العلماء عليها حينئذ.

(٧) أقوم بشرح ما تقتضي الحاجة إلى شرحه من الألفاظ الغريبة.

(٨) أعرف بالفرق الواردة ذكرهم في صلب البحث في أول موضع الورود، إلا إذا كان لها مبحث مستقل في البحث، فإني أعرف بها هناك.

(٩) أترجم للأعلام - غير المشاهير - الوارد ذكرهم في صلب الموضوع.

(١٠) إذا قلت: "شيخ الإسلام" فالمراد به العلم الهمام / أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تیمیة، وإذا قلت "الحافظ" فالمراد به: المحدث النحریر / أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، وإذا قلت: "المجموع" فمرادي به مجموع الفتاوى لشيخ

الإسلام ابن تيمية - رحمهم الله -، وإذا قلت: السير؛ فمرادي به كتاب: سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي رحمته الله.

(١١) إذا ذكرت آية وتفسيرها فإنما أختصر على الوجه الشاهد من التفسير من دون استقصاء الأقوال في الآية، ولا بيان الراجح من المرجوح، إلا إذا كان متعلقا بالبحث أصالة لا تبعا.

(١٢) أذيل البحث بأهم الفهارس<sup>(١)</sup>، وهي كالتالي:-

أولا: فهرس المصادر والمراجع.

ثانيا: فهرس الموضوعات.

وختاما: فإني لا إخالني قد استوعبت جميع ما قيل، لكن حسبي أني بذلت جهدي، فيما تيسر لدي من الكتب، وحرصت على وضع خطة الموضوع علميا بما يُنَاسِبُ قدره، ويحيط بأهم وأغلب أجزائه، وأفراده، وبذلت ما في وسعي لإخراجه بأحلى زي، وبأجمل عبارات من غير عي، فإن أصبت فمن الله ﷻ وله الفضل والنعمة والمنة، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وبما أن العبد فيه زلل وخطأ فإني أتمنى من مشايخي أصحاب الفضيلة الأساتذة والدكاترة مراعاة ما يبدو لهم من نقص أو قصور، والمؤمل من كل ناظر: أن يدلني على خطئي، فالدين النصيحة، وإني لأستغفر الله من كل ما بدا من الأخطاء، وأسأل المولى ﷻ أن يغفر لي ما كان في الابتداء والانتهاء.

(١) في الأصل كان البحث متضمنا لسبعة فهارس، ولكن اختصارا للقراء أوردنا فهرسين منها فقط.

## كلمة شكر وتقدير:

أحمد الله ﷻ الذي حباني الصحة والفراغ، حتى استطعت إتمام هذه الرسالة فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

ثم من منطلق قول النبي ﷺ: [لا يشكر الله من لا يشكر الناس]<sup>(١)</sup>؛ فإني أتقدم بالشكر لهذه الجامعة المباركة - هدية المملكة العربية السعودية لأبناء العالم الإسلامي - على اهتمامها بالمنهج السلفي، وتربية الأجيال المسلمة على ذلك، وفتح أبوابها لأبناء المسلمين، لينهلوا منها المنهل العذب المورود.

وأشكر كلية الشريعة التي تخرجت منها لكونهم نعم الموجهين، ثم أشكر - على وجه الخصوص - كلية الدعوة وأصول الدين، وقسم العقيدة على وجه أخص، على ما يولونه من عناية واهتمام بأبنائهم، سائلاً المولى ﷻ أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم، وأن يجزيهم خير الجزاء.

وكما شكرت من له يد علي؛ فإني لا إخالني أستطيع أن أؤدي الواجب الذي علي في حق شيخي، وأستاذي، وموجهي فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ أحمد بن عطية الغامدي، تغمده الله ﷻ بعنايته ورعايته وحفظه، لما أحاطني به من رعايته، وتوجيهاته، طيلة أربع سنوات، وذلك منذ أن كان أستاذاً لنا في السنة المنهجية، وخلال إشرافه - وفقه الله - على هذه الرسالة التي هي نتاج علمي لإرشاداته الرشيدة، وتوجيهاته السديدة، علاوة على ما استفدت من كونه مؤدباً، وصابراً، وجاداً، وكنت إذ كسلت شجعني بفعاله، وإذ مللت أنبني بحسن تعليماته، وأقول:

(١) رواه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان، كتاب الزكاة، باب/ ذكر ما يجب على المرء من الشكر لأخيه...، ح(٣٣٩٨)، واللفظ له، والترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب/ ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح(٢٠٢٠)، كلاهما عن أبي هريرة ؓ، وقال الترمذي: «هذا حديث صحيح»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ١٥٨.

جزاه الله خير ما جازى شيخا عن طلبته، وبارك له في نفسه ووقته وذريته، وأثابه عني خير وأحسن الثواب في الحال والمآب، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته يوم نلقى الوهاب.

وأشكر شيخي الفاضلين المناقشين، الشيخ الدكتور/ شايح الأسمرى، الأستاذ بقسم التفسير في الجامعة الإسلامية، والشيخ الدكتور/ صالح العقيل، الأستاذ بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية، على ما بذلا من جهد وعناء في قراءة هذه الرسالة وملاحظاتها القيمة، حفظها الله ورعاها، وأشاع بهما محاسن الرسالة، وأصلح الله بهما معاطنها، وبارك في جهودهما.

كما أشكر كل من أولاني بنصحه وإرشاداته، وعلى رأسهم شيخي وأستاذي الدكتور/ صالح بن سعد السحيمي، وشيخي وأستاذي الدكتور/ إبراهيم بن عامر الرحيلي، وجميع أساتذتي ومشايخي، وأن يجزيهم عني خير الجزاء.

وأشكر أخي وشقيقي/ أبا عمر عتيق الله، على ما قام به من رعاية لوالدي وإخواني بعد وفاة والدي الذي كان له الأثر الكبير في تنشأتي وتوجيهي العلمي، فأسأل الله أن يغفر له، وأن يبارك في ذريته، وأن يرحم والدينا وجميع أموات المسلمين.

وأشكر جميع إخواني وعلى وجه الخصوص منهم: أخي شيبان بن شيبان الهاجري، ومحمود بن عبد الله الهزاع لما كان يولونني من اهتمام ورعاية، وتشجيع؛ فאלله أسأل أن يوفقهم لما يحبه ويرضاه.

وأكرر الشكر لأهلي وأولادي الذين ما فتئوا يولونني العناية، ويوفرون لي الجو المناسب للتأليف والدراسة، ويعينوني على الكتابة.

وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، المتكلم بالقرآن الكريم، الموصوف بالجلال والتعظيم أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، ومقربا إلى الرحمن

الرحيم، وأسأله ﷺ أن يعلمني ما ينفعني في الدنيا والعقبى، علماً نافعا، وأن يجعل عملي مباركا متقبلا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

محمد هشام طاهري

أبو صلاح الأفغاني

يوم ١/٤/١٤٢٤ هـ

# التمهيد





ويشتمل على مطالب:

**المطلب الأول: تعريف (القرآن) لغة واصطلاحاً؛ والفرق بينه وبين الحديث القدسي.**

إن معرفة الشيء أولاً قبل الكلام عليه معين على تصور المسألة، وهذا يدل على أهمية التعريفات، والتمهيدات، وحتى يكون القارئ على بينة من أمره؛ فإني أذكر المراد بعنوان البحث، وهو مشتمل على أربعة عناصر مهمة، وهي: القرآن، المنزلة، السلف، المخالفين.

**أولاً: معنى "القرآن" لغة:**

إن معرفة المعاني اللغوية مهمة جداً، إذ القرآن نزل بلغة العرب، وخاطبهم بما هم يعرفون به الأشياء، وما يتخاطبون به، ومن هنا فإن معرفة الشيء من حيث معناه اللغوي معين على معرفة ما يراد به اصطلاحاً بعد ذلك، - لأن المعاني الاصطلاحية: سواء كان اصطلاحاً شرعياً، أو اصطلاحاً عرفياً، أو اصطلاحاً علمياً - يراعى فيها المعنى اللغوي، وإلا فإنه لا يكون صحيحاً.

ومن هذا الباب فإني أعرف بالمعنى اللغوي لكلمة "القرآن" أولاً:

"القرآن" مصدر، واختلف فيه؛ فقليل:

١. "القرآن": اسم عَلَمٍ لكتاب الله تعالى، وهو غير مشتق، وهذا قول ضعيف<sup>(١)</sup>، وذلك لأن الأسماء الجوامد لا معاني لها، وهذا نقص في حق القرآن، ثم أيضاً: هو قياس على التوراة والإنجيل، والتوراة والإنجيل اسمان لهما معانٍ، وليستا جامدتين.

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٧٨/١١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/٢٠٠.



حَشِيَّةُ اللَّهِ ﴿[الحشر: ٢١] وغير ذلك من الآيات كثير، ويكون القرآن مصدرا من القرء بمعنى الجمع، قال ابن جرير رحمته الله: «وعلى قول قتادة: فإن الواجب أن يكون مصدرا، من قول القائل: قرأت الشيء إذا جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، فرأي قتادة أن تأويل "القرآن" التأليف»<sup>(١)</sup>، فالقرآن سمي (قرآنا)؛ لأنه يجمع السور؛ فيضمها إلى بعضها، وقيل: لكونه جامعا لثمرة الكتب المنزلة كلها، وقيل: لكونه جامعا للعلوم كلها<sup>(٢)</sup>.

ولا ريب أنه لا منافاة بين هذه المعاني؛ فإن القرآن مضمومة آياته بعضها إلى بعض، ومضمومة سوره بعضها إلى بعض، وفيه ثمرات الكتب المنزلة، وجمع العلوم المختلفة، وهو متلو بالألسنة<sup>(٣)</sup>.

و"القرآن" مصدر، والمصدر يطلق ويراد به الفعل، ويطلق ويراد به المفعول<sup>(٤)</sup>؛ فإن كان القرآن مصدرا من القراءة التي هي بمعنى التلاوة؛ فالمقصود أنه متلو مقروء، وإن كان القرآن مصدرا من القراءة، والقرء، وهو الجمع؛ فالمقصود أنه مجموع مضموم بعضه إلى بعض، وأنه لا اختلاف بينه.

وقيل: القرآن مصدر بمعنى اسم الفاعل: لأنه هو الجامع للسور والآيات<sup>(٥)</sup>. فيطلق القرآن على التلاوة التي هي فعل العبد، ف«القرآن قد يراد به المصدر، وقد يراد به الكلام المقروء»<sup>(٦)</sup>، وأكثر الآيات التي ورد فيها ذكر "القرآن" فالمراد به العَلَمِيَّة، التي هي بمعنى المقروء المتلو، وجاز أن يسمى "القرآن" بمعنى القراءة - مع أنه مقروء - كالمكتوب يسمى كتابا<sup>(٧)</sup>.

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ٦٧/١ - ٦٨.

(٢) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني ص ٤٠٠.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور ٧٨/١١.

(٤) وهذه من لغة العرب، معروف مكتوب، فيقولون للمشروب شراب، وتسميتهم للمعلوم علما، وهكذا.

انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/٢٠٠.

(٥) انظر: شرح أبو المنتهي على الفقه الأكبر ص ١٩.

(٦) المجموع ١٢/١٩٨.

(٧) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ٦٩/١.

وأما إطلاق القرآن والمقصود المصدر الذي هو الفعل نفسه، من القراءة والتلاوة والجمع؛ فهذا قد يطلق، وهو القليل في كتاب الله ﷻ، قال شيخ الإسلام ﷺ: «وغالب ما يذكر لفظ "القرآن" إنما يراد به نفس الكلام، لا يراد به التكلم بالكلام الذي هو مسمى المصدر»<sup>(١)</sup>، ومما يدل لهذا القليل قول الله ﷻ: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، والمقصود: القراءة هنا في صلاة الفجر خاصة<sup>(٢)</sup>، وقول النبي ﷺ: [زينوا القرآن بأصواتكم]<sup>(٣)</sup>؛ فالمقصود زينوا قراءة القرآن بأصواتكم؛ فأطلق القرآن والمقصود منه القراءة، وهو الفعل.

ولما كان القرآن مصدرا، قد يراد به الفعل، وهو القليل، وقد يراد به المفعول، وهو الكثير، اشتهر الاستعمال في هذا الكثير، واقرن به العرف الشرعي؛ فصار القرآن اسما لكلام الله، حتى إذا قيل: القرآن غير مخلوق، يراد به المقروء - الذي هو المفعول - لا القراءة.

وبهذا يعلم أن القرآن ليس من قبيل الأسماء المشتركة عند الإطلاق؛ فإنه - عند إطلاقه - لا يتبادر إلى الذهن إلا معنى واحد، ومعلوم واحد، ومسمى واحد، وهو كلام الله ﷻ المنزل على محمد ﷺ الموجود بين الدفتين، فهو المسمى "قرآنا"، لا غيره<sup>(٤)</sup>.

ثم كلمة "القرآن" هل هي مهموزة أم لا؟ فيها قولان لأهل العلم، وذلك أنه إن كان من القرء وهو الجمع؛ فإن القرء يكون مهموزا وغير مهموز، فتقول العرب: القرء، والقرء، وإن كان مأخوذا من القراءة فهو أيضا يكون مهموزا؛ فيصح على هذا أن يقال:

(١) المجموع ١٧/٣٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/١.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقاق، باب/ ذكر إباحة تحسين المرء صوته بالقرآن، ح (٧٤٦)، والحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن، ذكر فضائل سور وآي متفرقة، ح (٢٠٩٨) كلاهما عن البراء بن عازب ؓ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٧١).

(٤) وأما ما يذكره بعض أهل البدع من أن القرآن اسم مشترك بين المعنى النفسي، واللفظ المخلوق؛ فهذا من مبتدعاتهم، ومن تفرقاتهم الباطلة، وسيأتي الرد عليهم في الفصل الأول، من الباب الثاني، وأما أهل السنة فإنهم يرون أن القرآن كلام الله غير مخلوق، كيفما تصرف. انظر: الفصل الأول من الباب الأول.

قرآن بغير همز، وقرآن، بالهمز، وهو الأشهر، وهو الذي أصبح علما على كتاب الله ﷻ<sup>(١)</sup>.

ثانيا: معنى "القرآن" اصطلاحاً<sup>(٢)</sup>:

اختلف أقوال الناس في تعريف القرآن الكريم، وذلك لأسباب عدة، منها:-

١- لأنه اسم معروف، وعلم على كتاب الله ﷻ وتعريفه يزيده غموضاً، فيمتنع بعض الناس عن تعريف القرآن الكريم بحجة أنه من المعلومات، ولا تضبط المعلومات!!<sup>(٣)</sup>.

٢- بسبب الاختلافات العقدية؛ فإنهم يختلفون في تعريف كلام رب البرية، ومن ثم القرآن الكريم.

٣- أن كل واحد منهم يعرف القرآن بتعريف يرى أنه جامع مانع، وذلك بحسب الحد والرسم، ونحو ذلك.

٤- أن بعض الاختلافات في التعريفات يكون بسبب التنوع في العبارات، والتفنن في الدلالات، وذلك اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد، وإنما عرفه كل بحسب ما ظن أنه يؤدي المقصود الشرعي، فمنهم من عرف بالمثال، ومنهم من عرف بالإشارة، ومنهم من عرف بالحد<sup>(٤)</sup>، وأذكر بعض هذه التعاريف ثم أذكر التعريف

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص ٨٨٤، المفردات للراغب الأصبهاني ص ٤٠٠.

(٢) والاصطلاحات أنواع، فمنها المصطلحات الشرعية، كالصلاة والزكاة والصوم، والقرآن، ونحو ذلك، وهو المقصود هنا في قولي: اصطلاحاً، أي في عرف الشرع، وهناك اصطلاح لغوي كالشمس والقمر، وهناك اصطلاح عرفي كاللحم، والسفر، والعيش، وهناك اصطلاح علمي، وهو ما اصطلاح عليه العلماء في علومهم، وهكذا.

(٣) انظر: الإرشاد للجويني ص ١٠٨.

(٤) في القرآن الكريم تعريف بأشياء كثيرة غير معروفة، وغير مصطلح عليها في اللغة والعرف على هذا النحو، فهذه تعريفات شرعية، وهي لا تخلو إما أن تكون من المعارف بالإشارة، أو من المعارف بالمثال، فالقرآن الكريم فيه هذان النوعان من التعاريف، وهما من التعاريف السهلة والميسرة، التي تمكن الناس من معرفة المقصود بالتعريف، وأما التعريفات بالحدود فهي غالبية تكون عقلية بحتة، متصورة خيالا، وذلك بتصور الجمع والامتناع فهي مشكلة لأنها تحتاج في التعريف إلى توسط أمور

الذي يدل عليه الشرع، ويعرف بالمعرف.

فقليل في تعريفه ما يأتي:-

١- قيل حد الكتاب، وهو "القرآن": ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلاً متواتراً<sup>(١)</sup>. وهذا كما هو واضح فيه إهمال لمصدرية القرآن، هل هو كلام الله ﷻ أم لا؟، وكأنه أراد عدم ذكر ذلك في التعريف لكثرة اختلاف الناس فيه - والله تعالى أعلم -.

٢- القرآن: المكتوب في المصحف، الذي أوله الحمد لله، وآخره قل أعوذ برب الناس<sup>(٢)</sup>، وهذا مثل الأول لم يذكر كونه كلام الله ﷻ.

٣- قال ابن قدامة رحمه الله: «هو ما نقل إلينا بين دفتي المصحف، نقلاً متواتراً»<sup>(٣)</sup>. وابن قدامة رحمه الله مذهبه معروف في القرآن، وأنه كلام الله ﷻ، ولكنه لعله أغفل ذلك في التعريف لكونه معروفاً، والمعروف عرفاً كالمشروط شرطاً.

٤- قال ابن خلدون رحمه الله: «القرآن: كلام الله المنزل على نبيه، المكتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة»<sup>(٤)</sup>، وذكر التواتر بعد ذكر الدفتين هو من باب الاستطراد في التعريف، وإلا فإنه معلوم أن ما بين الدفتين متواتر؛ وكأنه احتراز بذلك عن القراءات غير المتواترة، ومعلوم أن القراءات إذا وافقت المصحف، وصحت

---

كثيرة لا بد من تصورها قبل هذه المفردات فهي طويلة الطريقة، قليلة الجدوى، وقد ذكر شيخ الإسلام كلاماً نحو هذا، يفيد أن القرآن فيه من التعاريف الأولان. انظر: الرد على المنطقيين ص ٧٢ وما بعدها.

(١) المستصفى للغزالي ص ٨١.

(٢) انظر: المطالع للبلعي ص ٣٩٩، وهذا من التعريفات بالإشارة إلى ما في المصحف، وهذا لا يعني أن الآية إذا وجدت في غير المصحف، أو السورة، أنها تخرج عن القرآنية، وإنما المقصود ثبوت القرآنية بوجودها في المصحف، وأما بعد الثبوت؛ فإنها حينها قرأت، ونظرت، سواء كانت آية أو سورة فهي من القرآن بلا ريب.

(٣) روضة الناظر ١/ ١٤٨.

(٤) المقدمة لابن خلدون ص ٧٨٢.

أسانيدها، ووافقت وجهها من العربية؛ فإنها تكون من القرآن ولو لم تكن متواترة<sup>(١)</sup>.

٥- قال القرطبي رحمه الله: «القرآن: اسم لكلام الله تعالى الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم معجزة له... محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، معلومة على الاضطراب سورة وآياته». ثم قال: «فلا يحتاج في تعريفه بحد، ولا في حصره بعد»<sup>(٢)</sup>.

وتعريفه جيد لولا الاستطراد فيه، وفيه أيضا إغفال لإنزال القرآن الكريم؛ فلا يكون جامعا.

٦- ذكر الشوكاني رحمه الله تعريفات عدة للقرآن؛ فقال: «والقرآن...: غلب في العرف العام: على المجموع من كلام الله صلى الله عليه وسلم المقروء بألسنة العباد»<sup>(٣)</sup>. ثم ذكر المؤاخذات عليه، ثم قال في تعريف الكتاب، بعد أن بين أن المراد به القرآن: «وأما حد الكتاب اصطلاحا: فهو الكلام المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلا متواترا...، وقيل: اللفظ العربي المنزل للتدبر والتذكر، المتواتر»<sup>(٤)</sup>، ثم عقبه بأنه غير جامع، وقال: «...والأولى أن يقال: هو كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتلو المتواتر»<sup>(٥)</sup>. وهذا أيضا غير مانع إذ يدخل فيه بعض الأحاديث القدسية المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم وهي من قبيل المتواتر.

٧- القرآن هو: اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المنتظم من الحروف المسموعة، المفتتح بالتحميد، المختوم بالاستعاذة، وعليه انعقد إجماع السلف، والخلف<sup>(٦)</sup>، وهذا تعريف ناقص إذ القرآن ليس لفظا منزلا فقط!!، بل هو لفظ ومعنى منزل.

وبعد ذكر بعض التعريفات، وذكر وجهة النظر عليها؛ فإني أورد ما يكون

(١) انظر: الفصل الرابع من الباب الأول.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٨/١، وانظر: ١٩٩/٢.

(٣) إرشاد الفحول ص ٦٣.

(٤) انظر لهذا التعريف، الفواكه الدواني ٥٦/١.

(٥) إرشاد الفحول ص ٦٣ - ٦٤.

(٦) الفواكه الدواني ٥٦/١.

مجموعاً من هذه التعاريف، ولا يخرج عنها، ويكون جامعاً، ومانعاً، - بإذن الله تعالى -،  
وأبين بعد ذلك وجه كونه كذلك.

فنخلص مما سبق أن القرآن هو: كلام الله المنزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل،  
الموجود بين الدفتين.

### شرح مفردات التعريف:

فبقيد (كلام الله) خرج كلام غيره وإن وجد في المصحف كالتعاشير، وأرقام  
الآيات، وأسماء السور، ونحو ذلك.

وخرج أيضاً كلام غير الله ﷻ لمحمد ﷺ.

ودلت الإضافة في التعريف "كلام الله" أن القرآن كلام الله، وما كان من الله  
فهو لا يكون مخلوقاً، إذ صفة الخالق غير مخلوقة، كما أن صفة المخلوق مخلوقة؛  
والإضافة هنا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف؛ فإذا علم هذا فلا داعي لوضع  
كلمة (غير مخلوق) في التعريف لأن كلام الله صفة من صفاته فلا يقال غير مخلوق في  
التعريف، ولكن يمكن أن يكون شرحاً بعد ما وقع فيه الاختلاف - كما سيأتي -، كما لا  
نقول في تعريف علم الله غير مخلوق؛ فكذلك في الكلام، وإنما نص عليه العلماء شرحاً،  
وبياناً، بعد ما وقعت الفتنة، ومحنة مسألة خلق القرآن.

وما « ذكره الله تعالى في القرآن من حكاية عن موسى، وغيره من الأنبياء ﷺ،  
وعن فرعون، وإبليس؛ فإن ذلك كله كلام الله تعالى إخباراً عنهم، وكلام الله تعالى غير  
مخلوق، وكلام موسى ﷺ وغيره من المخلوقين مخلوق »<sup>(١)</sup>.

وبقيد (المنزل) خرج كلام الله غير المنزل، مثل كلامه لجبريل، أو غيره من  
الملائكة؛ فإنه كلام الله، وغير مخلوق، ولكن لا يقال عنه قرآن.

وبقيد (المنزل على محمد ﷺ) خرج ما كان منزلاً على غيره من الأنبياء ممن

(١) شرح أبو المنتهي على الفقه الأكبر ص ٢٢.



قبله؛ فإنه وإن كان كلاماً لله ﷻ غير مخلوق، ومنزلاً، إلا أنه لم ينزل على محمد ﷺ فلا يكون قرآناً، وإنما يقال: كلام الله التوراة، وكلام الله الإنجيل...

وبقيد (بواسطة جبريل) يخرج كلام الله المنزل على محمد ﷺ بواسطة غير جبريل؛ ومعلوم أن الذي نزل بالقرآن على محمد ﷺ هو جبريل، كما هو معتقد أهل السنة والجماعة<sup>(١)</sup>.

وبقيد (الموجود بين الدفتين) خرج كلام الله المنزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل مما كان قرآناً، ثم نسخ، فلا يقال عنه الآن قرآن - إلا بقيد قرآن منسوخ -؛ لأنه نسخ تلاوة، أو تلاوة وحكما.

ويستغنى بذكر الدفتين عن ذكر المتواتر؛ لأن ما بين الدفتين متواتر إسناداً ومعنى، وبذكر الدفتين إشارة إلى الموجود في مصاحف المسلمين، المتداول بينهم، وهذا من التعاريف بالإشارة، وهي من أحسن التعاريف، إذ الإشارة معينة على إدراك الشيء، ومعرفته.

وبه يخرج ما كان من القراءات غير موافقة للرسم الموجود بين الدفتين، فإنه لا يكون قرآناً، وإنما تسمى قراءة شاذة.

وبه خرجت الأحاديث القدسية؛ فإنها - على الصحيح - من كلام الله ﷻ، ومنها ما نزل بواسطة جبريل، ولكنه غير موجود بين الدفتين.

قال العمراني<sup>(٢)</sup> رحمه الله: «القرآن عند أصحاب الحديث هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ، هو القرآن العربي السور والآيات، المتلو باللسان، والمسموع بالأذان، المعقول بالأذهان، المحفوظ في الصدور، المكتوب بالمصاحف

(١) انظر: ما يأتي في الفصل الثاني، من الباب الأول.

(٢) هو الشيخ يحيى بن أبي الخير العمراني، شيخ الشافعية في اليمن في زمانه، توفي سنة ٥٥٨هـ، وكان على السنة في الجملة، ومن كتبه القيمة التي رد فيها على أهل البدعة كتابه الإنتصار. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٣٣٦/٧ وما بعدها.

بالسطور، له أول وآخر وبعض، ومن قال بخلقه فهو كافر»<sup>(١)</sup>.

فالقرآن: اسم للقرآن العربي لفظاً ومعنى<sup>(٢)</sup>، ولا ريب أن هذا القرآن متعبد به، وإنما لم يذكر في التعريف لأن المقصود به هو التعريف وهو يحصل من غير هذا القيد، وهذه القيود وغيرها إنما هو من باب الاستطرادات، وهي غير محبوبة في التعريفات. وكذلك هذا القرآن وقع به التحدي، وهو آية لنبينا محمد ﷺ وإنما لم يذكر في التعريف لأنه ليس مقصوداً أساساً، وإنما هو خارج عن ماهية التعريف، فذكره - أيضاً - يكون استطراداً.

والدليل على تسمية كلام الله ﷻ المنزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل ﷺ "قرآناً"، القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة؛ فمن القرآن:

١ - قوله تبارك وتعالى: ﴿لَحْنُ نَقْصٍ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

٢ - قوله ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْقُصُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

٣ - والأحاديث أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، لكن من خلال هذا البحث ستمر عليك أحاديث كثيرة تفيدك تسمية كلام الله ﷻ بالقرآن<sup>(٣)</sup>.

٤ - وأما أقوال السلف؛ فهي غير معدودة، وشهرتها أغنت عن إيرادها<sup>(٤)</sup>.

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة الأشرار للعمري ٥٥٤ / ٢.

(٢) انظر: المجموع ١٢ / ١٢٣، وإنما قصد شيخ الإسلام ﷻ بهذا أن القرآن ليس اسماً على النظم وحده، ولا على المعنى وحده، وإنما هو اسم وعلم عليهما معاً؛ فإن القرآن ليست معاني مجردة، ولا ألفاظاً مجردة، بل هو مجموع منهما معاً، وهذا هو قول أهل السنة.

(٣) وانظر بعض هذه الأحاديث في الفصل الثالث من الباب الأول.

(٤) وسيأتي ذكر أن من أساء كلام الله ﷻ الموجود بين الدفتين القرآن، في الفصل الرابع من الباب الأول.

## ثالثاً: الفرق بين القرآن والأحاديث القدسية:

القرآن الكريم كلام الله ﷻ وكذلك الأحاديث القدسية، وحتى لا يكون هناك جمع بينهما فإني أذكر بعض الفروقات، وبها يحصل التبيان، فذكر الفروق أفضل مما يجلي به الأمور:-

- ١- القرآن متحدى به، والحديث القدسي ليس متحدى به.
- ٢- القرآن أنزل بواسطة جبريل ﷺ والأحاديث القدسية قد لا تكون بواسطة جبريل ﷺ<sup>(١)</sup>.
- ٣- الأحاديث القدسية يقال فيها: قال رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه، أو قال: قال الله ﷻ، وأما القرآن فلا يقال ذلك، وإنما يقال: قال الله ﷻ.
- ٤- القرآن منزل على رسول الله ﷺ، مكتوب في دفات المصاحف، متقول إلينا بالتواتر، وما دون التواتر لا يثبت به القرآن<sup>(٢)</sup>، وأما الأحاديث القدسية فلا يشترط فيها ذلك.
- ٥- القرآن: هو قول الله تعالى، وهو سور وآيات، وهو خارج عن أجناس النظم، وعن كلام البشر، بمعاني تصح، ولا تفسد<sup>(٣)</sup>، وأما الأحاديث القدسية فهي ليست متحدى بها، ولا هي في إعجازها مثل القرآن الكريم.
- ٦- أن «قول الأشاعرة والمعتزلة عن الحديث القدسي: لفظه لفظ النبي ﷺ ومعناه من الله<sup>(٤)</sup>»، هذا التعريف باطل، دعاهم إلى ذلك تعريفهم للقرآن، والصواب: أن الحديث القدسي لفظه ومعناه من الله ﷻ<sup>(٥)</sup>، ولكن لا يتأتى الجزم باللفظ وأنه لفظ الله تبارك وتعالى إلا إذا أمنت الرواية بالمعنى<sup>(٦)</sup>. وكل من خالف السلف من

(١) انظر: الدر النضيد في مجموعة ابن الحفيد ص ٦٠.

(٢) أصول السرخسي ص ٢٧٩.

(٣) الانتصار في الرد على القدسية الأشرار للعمري ١٠٣/١.

(٤) انظر: دستور العلماء للقاضي أحمد نكري ١٢/٢.

(٥) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٥١٢/٢.

(٦) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٥١٢/٢.

الجهمية والمعتزلة... « قالوا: إن الحديث القدسي لفظه من النبي ﷺ، ومعناه من الله ﷻ، وهذا قولهم أيضا في القرآن، وما قال بهذا أحد من السلف، بل الذي عليه السلف أن الحديث القدسي كلام الله ﷻ؛ فالنبي ﷺ قال: قال الله، وهذه حقيقة، لا صارف لها؛ فإذا يقال: إن الحديث القدسي كلام الله ﷻ حرفا ومعنى<sup>(١)</sup>.

قال البخاري رحمه الله: « باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا » ثم أورد تحت الحديث القدسي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ<sup>(٢)</sup>. وهذا يدل على أن البخاري رحمه الله يرى أن قول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه يعني أن القول قول ربنا ﷻ لا قول النبي ﷺ كما أنا نقول عن النبي ﷺ والقول قول رسولنا ﷺ لا قولنا - والله تعالى أعلم -.

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ / حماد بن محمد الأنصاري ٢ / ٥٤٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب / ٤، ص ١٧.

## المطلب الثاني: المقصود بـ(المنزلة) لغة، واصطلاحاً:

### أولاً: المقصود بـ(المنزلة) لغة:

إن المنزلة مأخوذة من المَنَزَلَ، وهو مسكن الرجل، ومكان نزوله، وكل إنسان ينزل في المنزل الذي يليق به، ويناسب حاله.

فالمنزلة مأخوذة من النزَلَ، ومنه: "التنزيل"، وهو «ترتيب الشيء، ووضع منزله»<sup>(١)</sup>، ومنه قول العرب: أنزلت فلاناً، أي: أضفته<sup>(٢)</sup>، وذلك إذا وضعت منزله اللاتقة به.

ومنه قول الفقهاء في مسائل الفرائض: يرثون بالتعصيب، أو بالتنزيل، أي: بإنزالهم منازل أصولهم التي بها يتوصلون بالميت<sup>(٣)</sup>.

ومنه (أنزله) و(نزلته)، و(استنزلته) بمعنى: (أنزلته) والمنزل: موضع النزول، والمنزلة مثله، وهي أيضاً المكانة.

و(نزلت) هذا مكان هذا، أي: أقمته مقامه<sup>(٤)</sup>.

و(المنزل): المنهل والدار، والمنزلة مثله، والمنزلة أيضاً المرتبة، وهي لا تجمع، واستنزل فلان، أي: حُطَّ عن مرتبته<sup>(٥)</sup>.

إذا فمعنى التنزيل لا يخرج عن:

١. ترتيب الشيء ووضع حسب ما يليق به.

٢. إقامة الضيف المكان اللائق به.

٣. المكانة، والدرجة.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ص ١٠٢٣، وانظر: مختار الصحاح ص ٦٥٥.

(٢) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني ص ٤٩١.

(٣) انظر: طلبة الطلبة ص ٣٠٧.

(٤) انظر: المصباح المنير للفيومي ص ٦٠٠.

(٥) انظر: مختار الصحاح ص ٦٥٥.

٤. إقامة الشيء مقامه.

٥. المنهل والدار.

وهذه معاني مترادفة، تدور بعضها على بعض، وهي من قبيل اختلاف التنوع في العبارة، لا التضاد في المعنى والمقصد والإشارة.

### ثانياً: المقصود بـ(المنزلة) اصطلاحاً:

المنزلة إذا كانت دائرة حول إقامة الشيء مقامه، وما يليق به؛ فمقصودي بالمنزلة اصطلاحاً هو: إقامة القرآن الكريم مكانته اللائقة به، وتنزيله الدرجة التي أنزلها الله ﷻ.

### المطلب الثالث: تعريف (السلف) لغة واصطلاحاً:

#### أولاً: معنى السلف لغة:

يقال في اللغة: سَلَفَ يَسْلِفُ سَلْفًا وَسَلُوفًا: أي تقدم، والسَّالِفُ: المتقدم، والسَّالِفُ: الجماعة المتقدمون<sup>(١)</sup>.

قال ابن الأثير رحمته الله في معنى السلف لغة: «سلف الإنسان: من تقدمه بالموت، من آبائه، وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح»<sup>(٢)</sup>.  
والنسبة إلى السلف سلفي، قال السمعاني: «السلفي: بفتح السين، واللام، وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذاهبهم على ما سمعت منهم»<sup>(٣)</sup>.

#### ثانياً: معنى السلف اصطلاحاً:

السلف ليس اسماً يطلق على أناس لكونهم كانوا في زمن معين فحسب، وإنما هو إطار ومنهج متبع، وطريق لفهم الشرع غير مبتدع؛ فمن كان يعيش في عصر الصحابة كبعض الخوارج والروافض؛ فإنهم ليسوا من السلف، وذلك لكونهم ليسوا على منهج السلف، وإن كانوا في عصر السلف، وكذلك من عاش بعد زمن السلف وكان على منهجهم فإنه لا يقال: عنه إنه ليس سلفياً، لأن الزمن ليس فارقاً مطلقاً، فمن جمع الوصفين: أعني الزمان وسبيل الصحابة فإنه من السلف، وإن كان على نهجهم ولكن تأخر عنهم زماناً؛ فإنه وإن لم يكن من السلف؛ فإنه سلفي، قال السفاريني رحمته الله: «المراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٤٣١/١٢ وما بعدها، لسان العرب لابن منظور ٣٣٠-٣٣٢،

القاموس المحيط ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٣٩٠.

(٣) الأنساب للسمعاني ٣/٢٧٣.

في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرض، مثل: الخوارج، والروافض...»<sup>(١)</sup>.

وأما تحديد السلف بوقت معين فقد اختلف فيه على أقوال عدة، منها:-

منهم من يرى أن السلف هم الصحابة<sup>(٢)</sup>، وهذا لا ريب فيه، ولكن لا يمنع من دخول غيرهم في معنى السلف، خصوصا بالنسبة إلى من بعدهم؛ فإن التابعين سلف لتبع التابعين، وهكذا.

وقيل السلف: هم الصحابة والتابعون<sup>(٣)</sup>، ف«السلف هم الصحابة، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والقرون المفضلة كان فيها القدرية والمعتزلة، والجهمية، وغيرهم من أهل البدع، ولكن لا يطلق عليهم سلف، إنما يطلق السلف على الصحابة، ومن تبعهم بإحسان»<sup>(٤)</sup>، فالقرون الثلاثة الأولى هي قرون علماء السلف، ثم أتى بعد القرن الثالث قرون علماء الخلف<sup>(٥)</sup>.

وقيل: السلف هم الصحابة والتابعون، وتابعوا التابعين<sup>(٦)</sup>، أي القرون الثلاثة المفضلة، التي ورد فيها الحديث المشهور: [خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...]<sup>(٧)</sup>، ويدل لهذا قول النبي ﷺ: [يأتي على الناس زمان؛ فيغزو فئام من الناس؛ فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان؛ فيغزو فئام من الناس؛ فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاري ٢٠/١.

(٢) انظر: حاشية العدوي ١٠٦/١.

(٣) انظر: إلجام العوام للغزالي ص ٥٣، ويفهم هذا من صنيع الزرقاني في مناهل العرفان ١٦/٢.

(٤) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٥١٨/٢.

(٥) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٦٩٨، ٦٩٣/٢.

(٦) وهذا رأي كثير من أهل العلم، كشيخ الإسلام، والشوكاني، والسفاري، وهو صنيع المصنفين من أهل الحديث والأثر فإنهم إذا ألفوا في السنن والاعتقاد يضمنون مؤلفاتهم أقوال الصحابة والتابعين وأتباع التابعين لهم بإحسان. انظر: الدرء ١٣٤/٧، التحف في مذاهب السلف ص ٧-٨، لوامع الأنوار ٢٥/١.

(٧) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب/ ١، ح (٣٦٥١)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب/ فضل الصحابة....، ح (٢٥٣٣)، كلاهما من رواية عبد الله ابن مسعود ؓ.



فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس؛ فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم<sup>(١)</sup>.

وربما يطلق لفظ السلف، ويراد به من تقدم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ولو لم يكن من أتباع التابعين<sup>(٢)</sup>، وهذا يدل عليه صنيع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإنه أحيانا يذكر أقوال السلف، ثم يقول: «وكذلك قال ابن الماجشون، وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف...»<sup>(٣)</sup>، ومعلوم أنهما متأخرون عن طبقة أتباع التابعين، وقال: «علامة من أراد الله به خيرا، سلوك هذا الطريق: كتاب الله، وسنن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء، مثل الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء»<sup>(٤)</sup>.

وأطلق لفظ السلف على القرون الثلاثة مع أن فيها أهل البدع، ذلك لأن الغالب فيها السنة، ولم تظهر البدع وتنفشوا بين الناس إلا بعد انقراض أتباع التابعين<sup>(٥)</sup>، فيكون على هذا الإطلاق الزمني أغلبيّا لا كليّا.

ومرادى بالسلف هم الصحابة والتابعون، وأتباع التابعين، ومن تبعهم من العلماء الراسخين - ولي في هذا سلف يقول الأجري رحمه الله مبينا ما يجب سلوكه على طالب

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب/١، ح(٣٦٤٩)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب/ فضل الصحابة...، ح(٢٥٣٢)، كلاهما من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر: فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب ص ٦٠ فإنه أيضا حدد السلف إلى الإمام أحمد، والشرعية للأجري ١/١٩٥، والقيد في أن السلف هم من تبع الصحابة بإحسان، بلفظ: "الإحسان" مهم جدًا، وذلك حتى يخرج الذين كانوا في العصور الأولى من أهل البدع، فهذا القيد يخرج كل صاحب بدعة من تسميته بالسلف، ويكون من الخلف، ولهذا فإن بعض المصنفين من أهل البدع يقولون: السلف: من كان قبل القرن الخامس، وذلك حتى يدخل فيه أئمة الأشاعرة!!، كما فعل البيجوري في شرحه على تحفة المريد ص ٩١.

(٣) الدرء ١/٢٠٧.

(٤) الشريعة للأجري ١/١٢٤.

(٥) انظر: المجموع ١٠/٣٥٦-٣٥٧.

العلم: «الزم سنن رسول الله ﷺ، وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان من أئمة المسلمين في كل عصر»<sup>(١)</sup>، وكانوا على الحق المبين، فقصدي بالسلف في هذه الرسالة، ونقل أقوال السلف، وعقائدهم هو ما ذكرت، وقد أنقل قول من وافق السلف وكان منتهجا نهجهم، آخذا بطريقتهم، ولو كان من الخلف زمنا.

وأما من كان خلفي المنهج؛ فإني قد أذكر قوله أحيانا إذا وافق الحق، وهذا لا يعني أنه من السلف، ولكن هذا يعني أنه في هذه المسألة وافق السلف، كما يوافق المبتدع السني في بعض المسائل، وقد أذكر قول بعض أصحاب المنهج السلفي مع المخالفين، ولكن هذا لا يعني أنه منهم، وإنما أعني بذلك أن قوله في هذه المسألة مجانب للصواب، وأنه خالف الحق في هذه المسألة وصار مع الخلف، فذكر الأقوال شيء، والحكم على المعين شيء آخر، ولهذا لا يستعجل القارئ لرسالتي فيظن أن كل من ذكر له قول في الاعتقاد السلفي في القرآن أنه سلفي، ولا يستعجل في الحكم إذا قرأ قول رجل في الاعتقاد الخلفي في القرآن فيظن أنه خلفي.

والاعتزاء إلى السلف مفخرة، والعمل بالسير على نهجهم نجاة، والإقتداء بهم فلاح، وهو الذي أمر الله ﷻ به، ورسوله ﷺ<sup>(٢)</sup>، و«لا ريب أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ، وآثار أصحابه هم أهل السنة؛ لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث، وإنما وقعت الحوادث، والبدع بعد رسول الله ﷺ، وأصحابه»<sup>(٣)</sup>.

وحيث إن المطلب لا يحتمل التطويل فقد اكتفيت بها يرشد ويكون كالل دليل، لمعرفة معنى السلف ولو بإيجاز يسير<sup>(٤)</sup>.

(١) الشريعة للأجري ١/ ١٩٥، وانظر منه: ١/ ١٩٩.

(٢) انظر: الفصل الثاني من الباب الأول، والموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية د. مفرح بن سليمان القوسي ص ١٦٠.

(٣) تلبس إبليس ص ٢٩.

(٤) انظر: المنهج السلفي: تعريفه، تاريخه... د. مفرح بن سليمان القوسي ص ٢٦ وما بعدها، والموقف المعاصر من المنهج السلفي له أيضا ص ١٨ وما بعدها.

### المطلب الرابع: تعريف (المخالضين) لأهل السنة، وأقسامهم.

عنت بالمخالضين: أهل البدع المعروفين ببدعهم، الغالين في مخالفتهم، فمرادي بالمخالضين: أهل البدع الكبرى الغلاة، أي كانوا<sup>(١)</sup>، خصوصا ممن بدعتهم في مسألة القرآن ظاهرة، وبين الأنام منتشرة، وإنما أذكر أصحاب المدارس البدعية، ولا أعني بذكر الأشخاص وأقوالهم، ولكن قد أذكر شخصا ممن يكون رمزا لتلكم النحلة، وأورد أقواله كشاهد على تلكم المدرسة البدعية.

وعموم أهل البدع لهم طريقان:-

١- طريقة أهل التخييل، وهم الذين يقولون: إن الأنبياء جاؤوا بما هو خيال، وليس في حقيقة ما دعوا إليه مثال، وهذا هو قول الفلاسفة، والباطنية، إذ كل فلسفي يفسر ما دل عليه اللفظ بما يهواه، لظنه أنها خاوية عن الحقائق، ومائلة بالألفاظ بلا معاني!!، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «وأهل التخييل هم: الفلاسفة، والباطنية، الذين يقولون: إنه خيل أشياء، لا حقيقة لها في الباطن، وخاصية النبوة عندهم التخييل»<sup>(٢)</sup>.

٢- طريقة أهل التجهيل، وهؤلاء يظنون أن الشرع جاء بما هو مخالف للعقل؛ ثم هذا المخالف للعقل، ماذا يعمل به؟!، فمنهم من يقول: إن أحدا لا يعرف مرامه؟، وإنما يعلم الله المراد بذلك، ومنهم من يقول: إن الرسول يعلم ذلك ولكننا نجهل المعنى، ونكله إلى الله، ومنهم من يقول: إن المعنى مجهول لبعض الناس، وإنما يظهر للراسخين؛ فيجب عليهم أن يؤولوه بما علموه من عقولهم!!، وقد يقولون: «إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك، وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمها إلا الله!!»<sup>(٣)</sup>.

(١) وهذه طريقة سار عليها بعض العلماء كابن الوزير البيهقي في كتابه إيثار الحق على الخلق، انظر منه ص ٨٤.

(٢) نقض المنطق ص ٥٦.

(٣) المجموع ٣٤/٥.

فأصحاب هذه الطريقة، أعني طريقة التجهيل ينقسمون إلى قسمين:-

أ. المجهلة المفوضة، وهم الذين يقولون: إن هذه الألفاظ الواردة لها معاني بينات، ولكننا لا نعلم المراد منها في الآيات!! فنفوض المعنى إلى الله ﷻ، وهذا حال كثير من الأشعرية، والماتريدية، وبعض من سار على دربهم، وظنوه طريقة السلف!!!، ومن المجهلة المفوضة بعض الفلاسفة الذين يقولون: إن هذه الحقائق لم يعلم النبي ﷺ معانيها!!!؛ فهؤلاء المفوضة إما أن ينسبوا الجهل في معاني آيات الشرع إلى أنفسهم، أو إلى السلف، أو إلى النبي ﷺ!!.

ب. المجهلة المؤولة، وهم الذين يقولون: إن هذه الآيات لها معاني، وهذه المعاني علمناها بعقولنا، فإذا يجب المصير إليها، والتأويل على مقتضى ذلك، ثم اختلفوا في هذا الذي يجب أن يؤول، ما هو؟؟، واختلفوا في المعنى المراد ما هو؟؟ إلى أقوال كثيرة متضاربة، وهؤلاء هم أهل الكلام بشتى فرقهم<sup>(١)</sup>، قال شيخ الإسلام ﷻ: «وطريقة التأويل: طريقة المتكلمين من الجهمية، والمعتزلة، وأتباعهم، يقولون: إن ما قاله، له تأويلات تخالف ما دل عليه اللفظ، وما يفهم منه، وهو - وإن كان لم يبين مراده، ولا بين الحق الذي يجب اعتقاده - فكان مقصوده: أن هذا يكون سببا للبحث بالعقل، حتى يعلم الناس الحق بعقولهم!!، ويجتهدوا في تأويل ألفاظه إلى ما يوافق قلوبهم، لينتابوا على ذلك!!!؛ فلم يكن قصده لهم البيان، والهداية، والإرشاد، والتعليم، بل قصده التعمية، والتلبيس!!، ولم يعرفهم الحق حتى ينالوا الحق بعقلهم، ويعرفوا حينئذ أن كلامه لم يقصد به البيان؛ فيجعلون حالهم في العلم مع عدمه خيرا من حالهم مع وجوده»<sup>(٢)</sup>؛ فهؤلاء يقولون: إنما كان السلف غير مهتمين بها، أو مشغولين عنها، ولهذا كانوا غير عالمين بمراميها، ولا منشغلين بمعانيها، وأما نحن فإننا احتجنا إلى ذلك بعد خوض الخاضعين، للبحث عن المعاني لم حاجة المبتدعين!!.

(١) انظر: الدرء ٩/١، وانظر: الصفدية ٢٧٦/١.

(٢) نقض المنطق ص ٥٦.

فهؤلاء الذين خالفوا السلف على وجه التفصيل أربعة أصناف:-

١- أهل التخييل المطلق.

٢- أهل التجهيل المطلق.

٣- أهل التأويل المطلق.

٤- أهل التفويض المطلق.

وكل من انتمى إلى الإسلام فإنه ينقسم إلى قسمين:-

١- أهل الاتباع والأثر، وهم المتبعون للقرآن والسنة على فهم سلف الأمة.

٢- أهل البدعة والشرر، وهم الذين يدعون اتباع القرآن والسنة على فهمهم، وقد يقتصرون على القرآن، والأهم عندهم عقولهم، وما عليه أئمتهم<sup>(١)</sup>.

وإنما عنيت بذكر كل فرقة على أنها نحلة، ولم أقصد إيراد الأشخاص وبيان أحوالهم، إلا من كان منهم إماما متبعا في تلكم النحلة؛ فقوله المعتبر، ولهذا أورد قوله على أنه قول للنحلة والفرقة، وكما ذكرت ليس مقصودي هو الحكم على الأعيان، وإنما قصدي البيان، لما عليه المخالفون لسنة محمد ﷺ.

وليس قصدي بالمخالفين هم أهل الكفر الظاهر، والشرك الجلي الذين لا ينتمون إلى الإسلام كاليهود والنصارى والمستشرقين ونحوهم.

فهؤلاء ليسوا مخالفين للسلف فحسب، بل هم مخالفون لأهل الإسلام أجمعين، وللشرع المبين، وأن أوان الشروع في المقصود، وبيان عقيدة السلف في القرآن الكريم، وهذا ما يتجلى - إن شاء الله - في الباب التالي.

(١) انظر: حجة الله البالغة للدهلوي ١/ ١٩-٢٠.



## البَابُ الْأَوَّلُ

# حَقِيقَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي نَظَرِ السَّلَفِ

وفيه خمسة فصول:

**الفصل الأول:** القرآن الكريم كلام الله ﷻ غير مخلوق،  
وفيه مبحثان.

**الفصل الثاني:** بيان أن القرآن الكريم منزل على محمد  
ﷺ، وفيه ثلاثة مباحث.

**الفصل الثالث:** بيان أن القرآن الكريم متعبد به، وفيه  
مبحثان.

**الفصل الرابع:** بيان أن القرآن الكريم هو الموجود في  
المصحف، وفيه أربعة مباحث.

**الفصل الخامس:** بيان أن القرآن آية لنبيينا محمد  
ﷺ، وفيه مبحثان.





## الفصل الأول

### القرآن الكريم كلام الله عز وجل غير مخلوق

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: إثبات أن القرآن كلام الله تعالى، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: الدليل على أن القرآن كلام الله تعالى.

المطلب الثاني: القرآن الكريم من الله بدأ وإليه يعود.

المطلب الثالث: تكليم الله بالقرآن وتعلقه بالمشيئة،

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعلق هذه الصفة بالذات.

المسألة الثانية: تعلق هذه الصفة بالمشيئة.

المسألة الثالثة: نفي التشبيه في الصفة.

**المبحث الثاني: مسألة اللفظ بالقرآن، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: بيان اللفظ والمفوض..

المطلب الثاني: موقف السلف من مسألة اللفظ.



### المبحث الأول: إثبات أن القرآن كلام الله تعالى

إن من المسلمات العقدية، والقواعد السلفية، وصف رب العالمين، وإله الأولين والآخرين، بما وصف به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله ﷺ فيما صح من سنته، «والمسلمون يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبتون له ما يستحقه من صفات الكمال، وينزهونه عن الأكفاء والأمثال، فلا يعطلون الصفات، ولا يمثلونها بصفات المخلوقات، فإن المعطل يعبد عدما، والممثل يعبد صنما، والله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»<sup>(١)</sup>.

وقال الله ﷻ: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [الروم: ٢٧] «أي الوصف الأعلى على ألسنة أهل السماوات والأرض، وهو كمال الثناء بأسمائه الحسنی»<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان الأمر كذلك، «فلا بدّ للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال، وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يصاد هذه الحال»<sup>(٣)</sup>، «وإجماع أهل الإسلام على مدحه تعالى بإثبات الأسماء الحسنی، لا بنفيها»<sup>(٤)</sup>.

و«المدح والثناء لا يكون إلا في الإثبات، فإنه - أي الإثبات - إنما يكون بصفات الكمال، والكمال إنما يكون في الأمور الوجودية... وإذا كان كذلك، فمن المعلوم أن

(١) مسألة الأحراف التي أنزلها الله على آدم، ضمن المجموع ١٢/ ٧٣.

(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليماني ص ١٨٠.

(٣) الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤، وانظر: تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١٠٠.

(٤) إيثار الحق على الخلق ص ١٨٠.

الكلام صفة كمال، كما أن العلم والقدرة والسمع والبصر صفة كمال، وأن المتكلم أكمل ممن لا يتكلم»<sup>(١)</sup>.

والله ﷻ إذا أُثبت له صفات الكمال، ونُفي عنه مماثلة غيره له، فهذا هو الكمال الذي يستحقه جل ثناؤه، ويجب إثباته «وهذا حقيقة التوحيد، وهو أن لا يشركه شيء من الأشياء فيما هو من خصائصه، وكل صفة من صفات الكمال فهو متصف بها على وجه لا يماثله فيه أحد، ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها إثبات ما وصف به نفسه من الصفات، ونفي مماثلته لشيء من المخلوقات»<sup>(٢)</sup>.

وربنا ﷻ موصوف بصفات الكمال، الدالة على الجمال والجلال، وبهذا عرّف نفسه إلى العباد، وأنه ليس له نظير ولا أنداد، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢] وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

ويكونه منفرداً بالأسماء الحسنى، والصفات العلى، ألزم عباده بعبادته وحده، فقال جل شأنه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وذم الأصنام والأوثان، والمعبودات الباطلة التي اتخذت من الإنس والجان، بأنها ليس لها من الأمر شيء، بل هي موصوفة بالعيب والشين، فكيف تعبد من دون الله الواحد القهار، أو تتخذ شفعاء من دون الملك الجبار، وتصرف لها أنواع من العبادات، وصور من القربات، لا تنبغي إلا للملك الوهاب، ذي الأمر والنهي والكمالات، الموصوف بأحسن الصفات.

قال تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَتَأْتٍ لِّمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، وقال: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ۖ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يُضَرُّونَ﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٣] فلا يُنْفَى عن الله تعالى صفات الكمال... فيجعل كالجملادات التي لا تتكلم، ولا تسمع، ولا تبصر، فلا تكلم عابديها، ولا تهديهم سبيلاً، ولا ترجع

(١) الصنفية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/٦٦.

(٢) الرسالة التدمرية ص ١٢٤.

إليهم قولاً، ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً<sup>(١)</sup>.

و «الكلام صفة كمال لا صفة نقص، وإنما يكون صفة كمال إذا قام به»<sup>(٢)</sup> ﷻ  
والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وجمهورها أن كلام الله قائم به، وكذلك سائر ما  
يوصف به من الحياة والقدرة وغير ذلك»<sup>(٣)</sup>.

والكلام من أوصاف الكمال، وضده نقص وإعلال، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ  
مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ  
سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨] وقال تعالى عن العجل أيضاً: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا  
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩].

قال ابن أبي العز<sup>(٤)</sup> رحمه الله: «فعلم أن نفي رجوع القول، ونفي التكليم  
نقص يُستدل به على عدم ألوهية العجل»<sup>(٥)</sup>، ولهذا عاب الله تعالى الجهادات المعبودة  
بأنها لا تتكلم<sup>(٦)</sup>.

وإذا علم أن الله تعالى موصوف بالكمال، فمن تلکم الصفات التي وصف الله  
بها نفسه، صفة الكلام، التي وردت بها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.  
و «لا خلاف بين جميع العقلاء، أن الله ﷻ متصف بجميع صفات الكمال،  
منزه عن جميع صفات النقص، لكنهم - مع اتفاقهم على ذلك - اختلفوا في الكمال

(١) انظر: المسألة المصرية في القرآن، ضمن المجموع ١٢/ ١٧٣.

(٢) الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٣٤١ وانظر: منهاج السنة له ٣/ ٣٦٠، الصفدية ١/ ٦٦.

(٣) الجواب الصحيح ٣/ ٢٧٨-٢٧٩.

(٤) هو: الإمام العلامة صدر الدين، أبو الحسن، علي بن علاء الدين علي بن شمس الدين محمد بن شرف  
الدين... بن أبي العز الدمشقي، ولد بدمشق سنة ٧٣١هـ ونشأ في أسرة علمية متأصلة في المذهب  
الحنفي، ونهل من العلم في الصغر، وولى مناصب عدة منها القضاء في دمشق، ومن مؤلفاته المشهورة؛  
شرح الطحاوية، والاتباع، والتنبيه على مشكلات الهداية، توفي رحمه الله عام ٧٩٢هـ. انظر: كشف الظنون  
ص ١١٤٣، وشذرات الذهب ٦/ ٣٢٦، ومقدمة شرح الطحاوية (مؤسسة الرسالة).

(٥) شرح الطحاوية ١/ ١٧٥.

(٦) الصفدية ١/ ٦٦.

والنقص»<sup>(١)</sup>. بحسب المناهج والأهواء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما السائرون على المنهج الأثري، فهو كما قال الإمام أبو عثمان الصابوني<sup>(٢)</sup>  
- رحمه الله وإيانا وجعل الجنة مثواه ومثوانا -: «إن أصحاب الحديث المتمسكين  
بالكتاب والسنة - حفظ الله أحياءهم، ورحم الله أمواتهم - يشهدون الله تعالى  
بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها  
وحيه وتنزيله، أو شهد له رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته  
العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان  
رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم  
بيده... ولا يحرفون الكلم عن مواضعه... وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من  
التحريف، والتكليف والتشبيه، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم، حتى سلكوا سُبُلَ  
التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه، واتبعوا قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ  
كَمِثْلُهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»<sup>(٣)</sup>.

وأما كلامه سبحانه وأدلة كونه متكلمًا، وأن القرآن كلام الله ﷻ؛ فيتبين خلال  
المطالب التالية.

(١) مختصر لوايع الأنوار لمحمد بن سلوم ص ٨٦.

(٢) هو الإمام شيخ الإسلام أُوحد عصره: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد، المعروف بأبي عثمان الصابوني،  
ولد سنة ٣٧٣هـ، نبغ في صغره، واشتهر بالزهد والعبادة كشأن السلف، قال فيه الذهبي: «الإمام  
العلامة، القدوة، الواعظ، المفسر المذكر، المحدث، شيخ الإسلام»، من مصنفاته المشهورة، عقيدة  
السلف أصحاب الحديث، توفي ﷺ سنة ٤٤٩هـ. انظر: الأنساب للسمعاني ٥٠٦/٣، السير للذهبي  
٤٠/١٨، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٧١/٤ وما بعدها.

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٢٦-٢٧.

المطلب الأول: الدليل على أن القرآن كلام الله تعالى، وفيه مسألتان:

### المسألة الأولى: في إثبات الكلام لله ﷻ:

الكلام في لغة العرب التي نزل بها القرآن: «يقع على الألفاظ المنظومة، وعلى المعاني التي تحتها مجموعة»<sup>(١)</sup>.

فاللفظ الذي لا يُفهم منه معنى يكون هذرا وعبثا، أو عجزا وعيّا، لأن الكلام هو: «ما دل على نطق مفهم»<sup>(٢)</sup>.

والنطق: لفظ اللسان، وغير المنطوق مما في النفس والخاطر، أو كان في النوم سائر، فهذا ليس كلاما مطلقا، بل يقال عنه: زورت في نفسي، أو قلت في النوم، هكذا مقيدا. والمُفهم: كونه معنى، «فالكلام في أصل اللغة: عبارة عن أصوات متتابعة، لمعنى مفهوم»<sup>(٣)</sup>.

وإذا تبين أن الكلام هو: اللفظ المفهم فالتكلم هو: من قامت به صفة الكلام، فيها صار متكلمًا، و«لا يمكن أحدا ممن يؤمن بالتوراة أو الإنجيل أو القرآن أن ينكر أن الله متكلم، وهذه الكتب مملوءة بذكر ذلك، وأهل الملل مطبقون على ذلك... والمقصود أنه متكلم حقيقة، بكلام يقوم به»<sup>(٤)</sup>.

وهذا ثابت نقلا، ومفهوم عقلا، وعليه الإجماع قطعاً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والذي أخبرت به الرسل، أنه متكلم بكلام قائم بنفسه وهذا هو الذي فهمه عنهم أصحابهم ثم تابعوهم بإحسان، بل علموا هذا من دين الرسل بالاضطرار، ولم

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٤١.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٩٠٦، وقد طبع هذا الكتاب باسم "معجم مقاييس اللغة" مع أن المصنف ومن ذكروا الكتاب لم يذكروا لفظة "معجم".

(٣) المصباح المنير للفيومي ص ٥٣٩.

(٤) شرح الأصبهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤١٣، وانظر: رسالة مسألة الأحرف التي أنزلها الله على آدم، ضمن المجموع ٤١/١٢، والفتح ٤٦٣/١٣.

يكن في صدر الأمة وسلفها من ينكر ذلك»<sup>(١)</sup>.

ومعقول في الخطاب، معلوم عند أولي الألباب، أنه لو قال قائل: «علم فلان وكلامه ومشيتته، لم يكن شيئاً بائناً عنه، والسبب في ذلك أن هذه الأمور صفات لما تقوم به، فإذا أضيفت إليه كان ذلك إضافة صفة لموصوف، إذ لو قامت بغيره، لكانت صفة لذلك الغير، لا له»<sup>(٢)</sup>، فإن الموصوف لا يوصف إلا بما قام به، لا يتصف بما هو بائن عنه، فلا يكون الموصوف حياً عالماً قادراً متكلماً رحيماً... بكلام ورحمة قامت بغيره<sup>(٣)</sup>.

فالرب تعالى إنما يتصف «بما يقوم به من الصفات، لا بما يخلقه في غيره من المخلوقات، فهو الحي العليم القدير السميع البصير الرحيم المتكلم بالقرآن، وغيره من الكلام»<sup>(٤)</sup>.

فيعتقد السلف الصالح بكل ما تدل عليه النصوص الصحيحة الصريحة من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، ومنها الدالة على أن الله موصوف بالكلام<sup>(٥)</sup>، وأنه ﷻ يتكلم بمشيئته واختياره<sup>(٦)</sup>.

ويعتقدون أن كلامه أحسن الكلام، ولا يُشبه كلامه كلام المخلوقين، كما لا يُشبه ذاته ذوات المخلوقين.

ويكلم سبحانه من شاء، من الملائكة الأنقياء، ورسله الأصفياء، وسائر عباده الأتقياء، وغيرهم، بواسطة إن شاء، أو بغيرها كما يشاء.

وكلامه يُسمع حقيقة، سمعه الملائكة الكرام، ورسله خير الأنام، ويسمعه عباده في الدار الآخرة بصوت نفسه، كما أنه كلم موسى وناداه بصوت نفسه، وصوته

(١) شرح الأصبهانية ص ٤١٨، وانظر: التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧٦/١.

(٢) شرح الأصبهانية ص ٤٣٤.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٣٤٠/٤.

(٤) رسالة مسألة الأحرف التي أنزلها الله على آدم، ضمن المجموع ٤١/١٢.

(٥) من هنا أذكر مجمل اعتقاد السلف في الكلام، وأما التفصيل فسيكون خلال مباحث هذا الباب.

(٦) وسيأتي تفصيل هذا في المطلب الثالث من هذا المبحث.



جل في علاه لا يُشبه أصوات المخلوقين، كما أن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين.

وكلامه تعالى لا نهاية له، كما أن أفعاله لا تنتهي لها.

وكلامه تعالى أمر ونهي وخبر، يتكلم ﷻ بما يشاء من اللغات، فالتوراة بالعبرانية، والإنجيل بالسريانية، والقرآن بالعربية<sup>(١)</sup>.

وأما كون الله ﷻ يتكلم، فكم عليها من دليل، لا يُعمى عنه إلا كل ذليل، ومن ذلك:

١- ما في القرآن الكريم من إخبار الله ﷻ عن نفسه بأنه متكلم، وأخبر عن نفسه المقدسة بأن له قولاً، وأكد ذلك بال تكرار، وبمختلف التصاريف للادكار، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقد ورد في القرآن الكريم وحده أكثر من ثلاثة وخمسين موضعاً التصريح بـ ﴿قَالَ اللَّهُ﴾، مما يدل على أن الله هو المتكلم سبحانه، وهو القائل سبحانه، وما ورد من ذلك في الأحاديث يصعب حصرها، ومنها قوله ﷺ: [هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك مؤمن بالكوكب]<sup>(٢)</sup>.

٢- ورد في القرآن الكريم ذكر حديثه ﷺ، مما يدل على أنه سبحانه متكلم جل في علاه، كما قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، وقوله: ﴿فَلْيَاتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤] وقوله: ﴿أَفَمِنْ هَذَا

(١) انظر لما سبق: المعتمد لأبي يعلى ص ٩٠، والاعتقاد للبيهقي ص ١٢٠، المجموع ١٧٦/٣، ٢٠٨، ٥٣٠/٦-٥٤٤ وقد ذكر شيخ الإسلام ﷻ عشرة أوجه مسددة، على أن الله تعالى يتكلم بصوت يسمع، فارجع إليها إن شئت في الموضع المشار إليه، وانظر: ١٧٣/١٢، التسعين ٥٧٧/٢، شرح الطحاوية ١/ ١٧٤، ١٨٦، ١٩٤، وقطف الثمر ص ٤٩-٥١، والعقيدة السلفية ص ٧٩ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الآذان، باب/ يستقبل الناس الإمام إذا سلم، ح (٨٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب/ بيان كفر من قال مطرنا بنوء كذا، ح (٧١)، كلاهما عن زيد بن خالد الجهني ﷺ.

الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿النجم: ٥٩﴾، وقوله: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ [القلم: ٤٤] ففي الأدلة السابقة «إثبات الحديث، والقول لله ﷻ، ففيهما إثبات الكلام له ﷻ»<sup>(١)</sup>.

٣- ورد في القرآن الكريم إضافة الـ(كَلِمَة) مفردة، والـ(كَلِمَات) مجموعة إلى الله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]<sup>(٢)</sup>، فوصف الأخبار بالصدق، والأحكام بالعدل، فهي أقوال، لأن القول هو الذي يصح أن يقال فيه: كاذب أو صادق<sup>(٣)</sup>، ثم ذكر صفة السمع والبصر بعد ذكر القول دليل اقتران على أنه من الصفات مثلها، وقال تعالى: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧]، فإضافة الكلمة والكلمات إلى نفسه، من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، فدل ذلك على إثبات صفة الكلام لله ﷻ<sup>(٤)</sup>.

٤- من الأدلة ورود اشتقاقات "الكلم" في القرآن، لبيان أن الله متكلم ذو بيان، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وفيه تشريف لموسى عليه الصلاة والسلام، إذ كلمه الله بلا واسطة، ولهذا يقال له الكليم، و"تكلما" مصدر مؤكد للتكلم، وأتى به تأكيداً ليدل أنه كلمه بغير رسول ولا ترجمان وهذا التأكيد يدل على أن الكلام حقيقي<sup>(٥)</sup>، «وأجمع السلف والخلف من أهل السنة وغيرهم على أن "كَلَّمَ" هنا من الكلام»<sup>(٦)</sup>، ويؤكداه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، و«سلف الأمة وأئمتها.. يقولون: إنه لم يزل سبحانه متكلماً إذا شاء، ويقولون: لم يزل فاعلاً لما يشاء»<sup>(٧)</sup>، وفي الحديث: [ما منكم

(١) شرح الواسطية لفوزان ص ٨٨، وانظر: شرح الأصبهانية ص ٤٣٢ - ٤٣٣، والمجموع ١٢ / ٤٣٤.

(٢) وقرئت "كلمة" و"كلمات" بالوجهين: بالإنفراد، وبالجمع، والمعنى واحد، لأن المفرد المضاف يعم، فهو كالجمع. انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين ١ / ٤٢٠.

(٣) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين ١ / ٤٢٠.

(٤) انظر: شرح الأصبهانية ص ٤٣٢.

(٥) الانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة الأشرار لبحي العمزاني ٢ / ٥٤٠، وشرح الواسطية لابن عثيمين ١ / ٤٢١.

(٦) الفتح ١٣ / ٤٨٧.

(٧) شرح الأصبهانية ص ١٦١.

من أحد إلا سيكلمه ربه، وليس بينه وبينه ترجمان<sup>(١)</sup>، وكلم ربنا سبحانه بعض رسله، كما في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، أي بلا واسطة، فسمعوا كلام الرب ﷻ بصوته، مثل آدم<sup>(٢)</sup>، وموسى، ومحمد<sup>(٣)</sup>، ومن كلامه ﷻ القرآن المبين، وهو الذي نسمعه بواسطة المبلغين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تَنَحَّرُفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٦]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥] أي: يريدون تبديل ما سمعوه من كلام الله فيهم، وقد ورد ذكر تكليم الله ﷻ في مواضع كثيرة في كتابه، بلغت أكثر من عشرة مواضع بصيغة "كلم"، و"يكلم" و"كلام"، وفي سنة رسول الله ﷺ شيء كثير منها: قوله ﷻ في حديث الشفاعة: [اتنوا موسى عبدا كلمه الله...]<sup>(٤)</sup>، وقوله ﷻ: [ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم؛ رجل على فضل ماء بطريق يمنع

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب/ كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ح(٧٥١٢)، وينحوه مسلم في كتاب الزكاة، باب/ الحث على الصدقة ولو بشق تمره...، ح(١٠١٦) كلاهما من رواية عدي بن حاتم.

(٢) وسأذكر ما يدل على ذلك في الدليل الخامس.

(٣) ومن الأدلة على ذلك، ما جاء في صحيح البخاري في حديث (الإسراء) وفيه: [ودنا الجبار رب العزة فتلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله...] كتاب التوحيد، باب/ ما جاء في قوله ﷻ ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، ح(٧٥١٧) وفي مناقب الأنصار: [فلما جاوزت ناداني مناد: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي...] باب/ ٤٢، ح(٣٨٨٧)، قال الحافظ ابن حجر: «هذا أقوى ما استدلل به على أن الله ﷻ كلم نبيه محمدا ﷺ ليلة الإسراء بغير واسطة» الفتح ٧/ ٢٥٧، وعند مسلم: [فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة...] كتاب الإيمان، باب/ الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات الخمس، ح(١٦٢) كلاهما عن أنس بن مالك.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة البقرة، باب/ قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ح(٤٤٧٦)، ونحوه مسلم في كتاب الإيمان، باب/ أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ح(١٩٣)، كلاهما عن أنس بن مالك.

منه ابن السبيل...<sup>(١)</sup> فتصافر الكتاب والسنة على الإخبار بأن الله ﷻ موصوف بالكلام.

٥- ومن الأدلة على إثبات الكلام لله سبحانه، ما ورد في القرآن والسنة من ذكر مناداته، ومناجاته، قال الله تعالى: ﴿وَتَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، وقوله: ﴿قَرَّبْنَاهُ﴾، أي أدنيه حتى كلمناه، ﴿نَجِيًّا﴾: أي مناجاة، والمناجاة ضد المناادة... فالمناادة: بصوت مرتفع، والمناجاة: بصوت غير مرتفع، والأول للبعد، والثاني للقرب، وكلاهما كلام<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ [الشعراء: ١٠] وقال: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]، ولفظ النداء ورد في أكثر من عشرة مواضع، مما يدل على أن الله سبحانه يتكلم، وأن كلامه بصوت حقيقي يسمع<sup>(٣)</sup>، وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: [يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار]<sup>(٤)</sup>، وفي حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: [يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان]<sup>(٥)</sup>، قال الإمام البخاري رحمته الله مقررًا إثبات الكلام لله ﷻ: «وفي هذا دليل أن صوت الله لا يُشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله يُسمع من بعد، كما يُسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب/اليمين بعد العصر، ح(٢٦٧٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب/ بيان غلط تحريم إسبال الإزار...، ح(١٠٦)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومضى حديث [ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه...] وستأتي أحاديث أخرى.

(٢) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٤٢٢، وللغوزان ص ٨٩.

(٣) انظر: منهاج السنة ٥/ ٤٢٣، المجموع ١٢/ ٤٠.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ...﴾، ح(٧٤٨٣)، ومسلم بلفظ: [يقول الله ﷻ: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يدك، قال: يقول: اخرج بعث النار...] في كتاب الإيمان، باب/ قوله: [يقول الله ﷻ: يا آدم...]. ح(٢٢٢).

(٥) أخرجه البخاري: معلقًا، كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ...﴾، والحديث أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٩٥)، ح(١٦١٣٨)، وغيرهما، قال الحافظ ابن حجر بعد ما ذكر طرقًا: «إسناده صالح» (الفتح ١/ ٢٠٩)، وقال الشيخ الألباني: «حديث صحيح» أي بطرقه، كما في ظلال الجنة في تخريج السنة له ص ٢٢٥، وقد أسهب رحمته الله في الرد على من ضعف الحديث تعصبا لمذهب أهل الكلام، واتباعا لمشرب أهل الملام.

الملائكة لم يصعقوا، وقال ﷺ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] <sup>(١)</sup>، فليس لصفة الله ند ولا مثل، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين <sup>(٢)</sup>.

٦- ومن الأدلة المتوافرة، والآيات المتكاثرة، الدالة على إثبات الكلام لله سبحانه، ما في القرآن من ذكر إنبائه وقصصه <sup>(٣)</sup>، ومنها: قوله تعالى: ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَحْبَارِكُمْ﴾ [التوبة: ٩٤]، وقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحریم: ٣]، وقوله: ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨]، وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، والإنباء: الإخبار، والمخير متكلم ولا ريب، إلا ممن كان به عيب، وقد ذكر الإنباء في أكثر من عشرين موضعاً في كتاب الله تعالى، وقال تعالى: ﴿حَنُّ نَقْصٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

وقوله: ﴿وَكُلًّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]؛ فَذِكْرُهُ تعالى أنه "قص" و"يقص" دليل على كونه سبحانه متكلم بكلام يُسمع فيفهم ويعقل.

٧- ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وهذا فيه تخصيص لبعض الرسل بالكلام بلا واسطة، وبعضهم بواسطة، ولو لم يكن ربنا متكلماً، لما صح التقسيم أصلاً، ففي الآية أن التكليم «ثلاثة أنواع: الوحي المجرد، والتكليم من وراء حجاب كما كلم موسى ﷺ، والتكليم بواسطة إرسال الرسول، كما كلم الرسل بإرسال الملائكة» <sup>(٤)</sup>، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله ؓ: [ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحاً] <sup>(٥)</sup> أي مواجهة ليس بينهما حجاب

(١) خلق أفعال العباد للإمام البخاري ص ١٤٩.

(٢) انظر: التسعينية ٢/ ٥٩١، الفتح ١٣/ ٤٦٥-٤٦٦.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص ٤٣٢.

(٤) المجموع ١٢/ ٢٧٩، ٣٠٠، وانظر: الفتح ١٣/ ٤٦٢.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب/ ومن سورة آل عمران، ح (٤٠٩٧)، وقال: «حديث حسن غريب»، وأخرجه ابن ماجة في سننه، المقدمة، باب/ فيها أنكرت الجهمية، ح (١٩٠)، وقال

الشيخ الألباني: (إسناده حسن) كما في ظلال الجنة ص ٢٦٧.

ولا رسول<sup>(١)</sup>، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله موجهًا لهذا الحديث: «ولكن هذا في عالم البرزخ»<sup>(٢)</sup>، ففي الآية إثبات الكلام للباري تعالى، وأنه «لا يكلم بشرًا إلا من وراء حجاب في دار الدنيا»<sup>(٣)</sup>، فهو سبحانه عليه لا يبلغ البشر حد مكالمته شفاها في الدنيا، و«حَكِيم» يدبر بالحكمة وجوه التكليم، ليظهر علمه في تفصيل المظاهر، ويكمل به عباده، ويهتدوا إليه ويعرفوه<sup>(٤)</sup>.

٨- وما يدل على كونه تعالى متكلمًا، ما ورد في محاجة إبراهيم عليه السلام لقومه، حين كسر أصنامهم، وكان من خبره ما ذكره الله عنه في قوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ٢١، فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ متفكرين فيما قاله إبراهيم لهم، فقال بعضهم لبعض: ﴿إِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾ فاعترفوا بالظلم في كونهم عبدوا من لا يتكلم، ﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ متمسكين بالشرك، فقالوا له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ فرد عليهم الخليل: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ٢٢ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٢٣، ﴿الأنبياء: ٦٣-٦٦﴾<sup>(٥)</sup>، والنطق: عبارة عن الكلام، فدل أن الكلام غير مستحيل من الله، إذ لو كان مستحيلًا منه الكلام، لكان دليل إبراهيم عليه السلام منقلبا عليه، ولكان للكفار أن يقولوا له: فإن إلهك الذي تدعوننا إليه لا يوصف بالكلام أيضا<sup>(٦)</sup>، فهذا إبراهيم عليه السلام بين أن من لا يتكلم، ولا يعلم، ليس بمستحق للعبادة، ولا يصح في العقل أن يعبد، وأن يطلق عليه أنه إله<sup>(٧)</sup>.

٩- ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ

(١) انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه ١/ ١٢٤، وتحفة الأحوذى ٨/ ٣٦٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٢.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ٧/ ٢٩٨.

(٤) انظر: تفسير القاسمي ٦/ ١٨١.

(٥) انظر: تفسير البغوي ٥/ ٣٢٥.

(٦) انظر: الانتصار للعمري ٢/ ٥٤٠.

(٧) انظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ٥١٣.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ [آل عمران: ٧٧]، قال العلامة ابن أبي العز رحمته الله: «فأهانهم بترك تكليمهم، والمراد: أنه لا يكلمهم تكليم تكريم... فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً... و- أفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه رحمته الله، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة، وأعلى نعيمها، وأفضلها، الذي ما طابت لأهلها إلا به» <sup>(١)</sup>.

١٠- إذا كان النقل يدل على إثبات الكلام لله رحمته الله، فإن العقل يدل عليه كذلك، إذ لا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصحيح، ومن الأدلة العقلية على إثبات الكلام لله رحمته الله:

أ- أن يقال: إما أن يكون الرب تعالى قادراً على الكلام أو غير قادر، والمتعين في العقل الأول قطعاً <sup>(٢)</sup>.

ب- يقال: إن للكلام ضدًا وهو الخرس، كما أن للعلم ضدًا وهو الجهل والشكوك، ومعلوم أن الله موصوف بالكمالات، منزّه عن النقائص والآفات، فهو عالم سبحانه، متكلم جل في علاه، ولو لم يثبت له الكلام لوصف بضده وهو الخرس، وهو عيب وبؤس، ينزه عنه المخلوق المتطلع للكمال، فالرب الموصوف بصفات الجلال، أولى بأن ينزه عنه وهو الكبير المتعال <sup>(٣)</sup>.

ت- ثبت بالحس والمشاهدة، والعقل والمدارسة إرسال الرسل من الله سبحانه، والرسول إنما هو مبلغ لكلام المرسل إلى المرسل إليه، فإذا قيل: إن الله لا يتكلم، لزم منه تكذيب الرسل، وإنكارهم في دعواهم أنهم مبلغون عن الله تعالى <sup>(٤)</sup>.

ث- علم أن إرسال الرسل فيه دلالة على أن الله يتكلم سبحانه، وأنه يُرسل

(١) شرح الطحاوية ١/ ١٧٨.

(٢) انظر: المجموع ٦/ ٢٩٤-٢٩٥.

(٣) انظر: المعتمد لأبي يعلى ص ٩٢، والانتصار للعمري ٢/ ٥٤٠ - ٥٤١، والتسعينية ٢/ ٦٨٦، والعين والأثر في عقائد أهل الأثر لعبد الباقي الحنبلي ص ٨٢.

(٤) الانتصار للعمري ٢/ ٥٤١، والتسعينية ٢/ ٦١٩.

بأمره ونهيه وإخباره عباده المرسلين، إلى الناس أجمعين.

ج- الفطرة السليمة، المعافاة من الأهواء الرذيلة، تدل على أن الله متكلم سبحانه، إذ كل من سمع كلام الله، يفهم منه أنه هو الذي تكلم بذلك، وقاله، وهذا يجده أصحاب الفطر الصحيحة، ويعرفه ذوو العقول المستقيمة، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك الطويل: [ولكن والله ما كنت أظن أن الله مُنَزَّل في شأني وحيا يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى] <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>. وفي رواية: [ولكن والله ما ظننت أن يُنزل في شأني وحيا، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري] <sup>(٣)</sup>.

وبكل ما تقدم يتبين لنا أن الله تعالى يتكلم متى شاء كيف شاء، بكلام يسمع، فالكلام من صفات الكمال التي يجب إثباتها له ﷻ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله مشيراً إلى مجموع ما تقدم من الأدلة السابقة: «واعلم أن الاستدلال على الكلام بمثل هذه السمعيات أكمل من الاستدلال على السمع والبصر بالسمعيات، لأن ما أخبر الله به عن نفسه من: قوله، وكلامه، ونبئه، وقصصه، وأمره ونهيه، وتكليمه، وندائه ومناجاته، وأمثال ذلك، أضعاف أضعاف ما أخبر به من كونه سميعاً بصيراً.

وأيضاً فإنه نوع الإخبار عن كل نوع من أنواع الكلام <sup>(٤)</sup>، وثنى ذلك، وكرره في مواضع، ولا يحصى ما في القرآن من ذلك إلا بكلفة <sup>(٥)</sup>.

ويكفي هذا القدر من الاستدلال، لمن أراد الادكارَ دون ملال، على إثبات الكلام على وجه الكمال، لله الكبير المتعال، وإذا ثبت أنه متكلم ﷻ فإني أبين أن القرآن الكريم من كلامه ﷻ في المسألة التالية.

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة النور باب / «أَوَّلًا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خُفَرًا»، ح (٤٧٥٠)، ومسلم، في كتاب التوبة، باب / في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ح (٢٧٧٠) كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: الانتصار للعمري ٥٤١/٢، والتسعينية ٦١٩/٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب / تعديل النساء بعضهن بعضاً، ح (٢٦٦١).

(٤) يقصد به الأمر والنهي والخبر، والقرآن كله إما أمر أو نهي أو خبر.

(٥) شرح الأصبهانية ص ٤٣٤.



المسألة الثانية: في إثبات أن القرآن كلام الله ﷻ، وأنه غير مخلوق:

ومجمل اعتقاد أهل السنة والأثر في القرآن الكريم أنه كلام رب البشر، والقرآن كلام الله سوره وآياته، وكلماته، وهو حرف ومعنى.

وأسمعه الله تعالى جبريل عليه السلام، وأسمعه جبريل محمداً ﷺ، وأسمعه محمد ﷺ أمته<sup>(١)</sup>.

والله ﷻ المتكلم بالقرآن حقيقة، وليس لجبريل، ولا لمحمد ﷺ إلا التبليغ والأداء، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، وهو الذي في المصاحف<sup>(٢)</sup>.

ويتلوه التالون بألسنتهم، ويقرؤه المقرئون بأصواتهم، ويسمعه السامعون بأذانهم، وينسخه النساخ والكتاب بالآتهم، وهو في صدور الحفاظ بحروفه ومعانيه.

تكلم الله به حقيقة، فهو كلامه حقيقة، ومنزل غير مخلوق، كيفما تصرف.

وأصوات العباد، وحرركاتهم بالقرآن، وورق المصحف وجلده، ومداد الكتابة، مخلوق مصنوع<sup>(٣)</sup>.

ويدل على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وأنه غير مخلوق: الكتاب، والسنة والإجماع، والاعتبار<sup>(٤)</sup>، وقد مضى شيء من ذلك في المسألة الأولى، ويوضح أكثر بما يأتي من الأدلة:

(١) سيأتي بحث هذه المسألة في الفصل الثاني من هذا الباب.

(٢) سيأتي بحث هذه المسألة في الفصل الرابع من هذا الباب.

(٣) انظر لما سبق: رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت لأبي نصر عبيد الله بن سعيد السجزي ص ١٠٥، الانتصار للعمري ٢/٥٩٨، ٤٥١، المعتمد لأبي يعلى ص ٨٧، الاعتقاد لليهقي ص ١١٤، تلييس إبليس لابن الجوزي ص ١٠٠، عقيدة السلف للصابوني ص ٣٠-٣١، التسعينية ٢/٥٤١، ٥٣٧، شرح الأصبهانية ص ٢٠٧-٢١١، الجواب الصحيح ٤/٣٢٦، ٤٠١، المجموع ٣/١٧٢، ٢٠٨، ٤٠١، ٢٩٢/١٢، ٥٦٦، شرح الطحاوية ١/١٧٢، ١٩٠، ١٩٩، قطف الثمر ص ٤٤-٤٥، ٥٢.

(٤) انظر: المعتمد لأبي يعلى ص ٨٧، الانتصار للعمري ٢/٥٩٨.

## أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

١- قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. استدل غير واحد من أئمة المسلمين بهذه الآية على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فإن النص دل على أنه لا يخلق شيئاً حتى يقول له "كن" فيكون، فلو كان "كن" مخلوقاً، للزم أن يخلقه بـ"كن" وهذا يستلزم التسلسل، وهو فاسد، وإذا ثبت فساد ذلك، ثبت فساد كون القرآن مخلوقاً<sup>(١)</sup>.

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] ففيه دلالة على أنه يسمع كلام الله من التالي المبلغ، وأن ما يقرأه المسلمون هو كلام الله، وإنما نقرأه بحركاتنا وأصواتنا، الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري<sup>(٢)</sup>، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو كلام الله حيث تلي، وحيث كتب، وهو قرآن واحد... وإن تنوعت الصور التي يتلى فيها ويكتب، من أصوات العباد ومدادهم، فإن الكلام كلام من قاله مبتدئاً، لا كلام من بلغه مؤدياً، فإذا سمعنا... [إنما الأعمال بالنيات]<sup>(٣)</sup> قلنا هذا كلام رسول الله ﷺ لفظه ومعناه، مع علمنا أن الصوت صوت المبلغ... ونحن إذا قلنا: هذا كلام الله لما نسمعه من القارئ، ونرى في المصحف، فالإشارة إلى الكلام من حيث هو هو<sup>(٤)</sup>، مع قطع النظر عما اقترن به البلاغ من صوت المبلغ، ومداد الكاتب<sup>(٥)</sup>، وبهذا يتبين أن

(١) انظر: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب لأبي الحسن الأشعري ص ١٢٦، السنة للخلال ٣٨/٦، الاعتقاد للبيهقي ص ٩٥، الصفدية ١٢١/٢، المجموع ١٢/٣٧٢، ٢٤٤، ٢٣٥، الفتح ١٣/٤٦٢.

(٢) انظر: السنة للخلال ٢٤/٦، الاعتقاد للبيهقي ص ٩٩، ١١٢، المجموع ١٢/٢٥٩، ٩٨، شرح الطحاوية ١/١٩٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب/ كيف كان بدء الوحي...، ح (١)، ومسلم نحوه، في كتاب الإمارة، باب/ قوله ﷺ [إنما الأعمال بالنية...، ح (١٩٠٧)] كلاهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) هذه العبارة كثيراً ما ترد على ألسنة المتكلمين، وخاطبهم شيخ الإسلام بما يفهمون، والمراد هنا: إثبات الشيء بقطع النظر عن علاقته وصفاته وإضافاته.

(٥) المجموع ١٢/٢٤١.

القرآن كلام الله حيث تصرف، وأنه غير مخلوق حيثما سمع وتلي وكتب.

٣- ومن تلکم الأدلة الباهرة، والحجج القاهرة، الدالة على الحق، وأن القرآن لا يمكن أن يكون من كلام الخلق، أنه لا يمكن للملك مقرب، ولا لنبي مرسل، أن يقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، إلا إذا بلغه عن الله، كما نقرأ نحن القرآن، والملك إذا أمره الله بالنداء، فإنه يبين العبارة، ويوضح بصراحة، أنه مبلغ لا معبر، كما في الحديث: [إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إني أحب فلانا فأحبه، ثم ينادي جبريل في السماء، إن الله يحب فلانا فأحبوه]<sup>(١)</sup> والملائكة قالت لذكرى عليها السلام: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيْحَتٍ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ﴾ [آل عمران: ٤٢] فالملائكة تبين أنها مبلغة عن الله، ولا يجوز لمخلوق أن يقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]؛ فدل هذا على أن القرآن كلام الله تعالى<sup>(٢)</sup>، قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمته الله: «من قال ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] مخلوق فقد كفر، ولا ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك»<sup>(٣)</sup>، وهل يجوز لأحد غير الله أن يقول: ﴿يَمُوسَىٰ﴾ [إِنِّي أَنَا رَبُّكَ] طه: ١١-١٢، أو يقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه: ١٤، فمن زعم هذا، فقد ادعى الربوبية، ولو كَوَّن الله شيئا وخلقه، وأمره أن يقول ذلك، لكان يقول ذلك المكوَّن المخلوق: يا موسى إن الله رب العالمين، وليس له أن يقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] فعلمنا بهذا أن القرآن كلام الله تعالى، وكلامه غير مخلوق<sup>(٤)</sup>.

٤- قد كفر الله عز وجل من نطق فتقول بأن القرآن قول البشر، ووعد الله بسقر،

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب/ ذكر الملائكة، ح (٣٢٠٩)، ومسلم، كتاب البر والصلة،

باب/ إذا أحب الله عبدا...، ح (٢٦٣٧)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: المعتمد لأبي يعلى ص ٩١، الاعتقاد للبيهقي ص ٩٧-٩٨، الانتصار للعمري ٢/ ٥٥٣، التسعينية

١/ ٢٧٦، الدرء ١/ ٢٥٨، منهاج السنة ٥/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٣) خلق أفعال العباد للبخاري ص ١٤، وانظر: شرح الأصبهانية ص ٤٢١.

(٤) انظر: المجموع ٦/ ١٥٣، ١٢/ ٥٠٩.

كما في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَيْنَ يَدَيْهِ شُهُودًا ۖ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۖ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۖ إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ۖ فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ نَظَرَ ۖ ثُمَّ عَبَسَ وَسَكَرَ ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۖ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [الدثر: ١١-٢٦]. ولا ريب أن الكافر العنيد، المتقول في القرآن المجيد، أراد أن البشر أحدثوه، أو أن الخلق أنشؤوه، فكذبه الله سبحانه، وبين عواره وبطلانه<sup>(١)</sup>، فلما توعد على ذلك، دل أن القرآن ليس من قول البشرية، ولا من قول أحد من البرية، بل هو كلام الله تعالى<sup>(٢)</sup>، ومن قال بعد هذا: «إن هذا القرآن قول البشر، كان قوله مضاهيا لقول الوحيد<sup>(٣)</sup>، الذي أصلاه الله سقر، ومن قال: إن شيئا منه قول البشر، فقد قال ببعض قوله<sup>(٤)</sup>».

٥- ومن الأدلة الجلية، على إثبات أن القرآن كلام رب البرية، وأنه ليس مخلوقا، قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففصل بين الخلق والأمر، فدل أن قوله غير خلقه، ولو كان أمره مخلوقا، لكان كأنه قال: ألا له الخلق والخلق، وهذا تكرار من الكلام وعي لا فائدة فيه، فينبغي أن يحمل على فائدة مجددة، وهي أن كلام الله تعالى غير خلقه، والكلام صفة من صفاته، وأن القرآن من أمره لا من خلقه<sup>(٥)</sup>.

٦- القرآن العربي، كلام ربنا العلي، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۖ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۖ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ۖ﴾

(١) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ٩٨، المجموع ٦/ ٥٤٢، شرح الطحاوية ١/ ١٧٢، ١٨٤.

(٢) انظر: المعتمد لأبي يعلى ص ٨٨.

(٣) وهو الوليد بن المغيرة، وكان من صناديد كفار مكة، ومات على الكفر. انظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١٢/ ٣٠٥.

(٤) الدرء ١/ ٢٥٨، وانظر: المجموع ١٢/ ٢٥٩.

(٥) انظر: السنة للخلال ٥/ ١٣٨، ٦/ ٣٦، المعتمد لأبي يعلى ص ٨٧، الاعتقاد للبيهقي ص ٩٧، التسعينية

٢/ ٥٧٤-٥٧٥، معارج القبول ١/ ٣٣٨.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٧﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيُّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٣]، فالقرآن الذي يدل منه آية مكان آية، نزله روح القدس جبريل عليه السلام من الله تعالى بالحق، وبعد ذلك قال هالك - كما أخبر الله عنه -: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ فقال جل شأنه: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيُّ﴾، فالذي ينسبون إليه هذا التعليم أعجمي ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ <sup>(١)</sup>، وهذا يدل على أن القرآن كلام الله تعالى، لا كلام أحد من البشر، تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى.

٧- أن ربنا الرحمن، تكلم بهذا القرآن، كما قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ [السجدة: ١٣]، وقال: ﴿نَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الأحقاف: ٢]، ومعلوم أن القرآن ليس عينا من الأعيان القائمة بنفسها، إنما هو صفة كالعلم، والقدرة، والرحمة، والغضب والإرادة، والرؤية، والسمع، ونحو ذلك، وهذا كله لا يقوم إلا بموصوف، فإذا أضيفت إلى الله تعالى فهي صفات له، فهو العالم، والقادر... وهو المتكلم، ومن زعم أن هذه الصفات أو شيئا منها قامت بغير الله، لكان ذلك الغير، هو العالم، وهو القادر... وهو المتكلم، والقرآن منزل من الله - كما صرحت بذلك الآيات السابقة - فدل ذلك على أنه كلامه، وصفة له، قائمة به <sup>(٢)</sup>، قال الإمام المبجل أحمد بن حنبل: «كلام الله ليس بمخلوق، ولا تجزأ أن تقول ليس بمخلوق، فإن كلام الله من الله تعالى، من الله، ومن ذات الله، وتكلم الله به، وليس من الله شيء مخلوق» <sup>(٣)</sup>، لأن الله بصفاته خالق، ومن سواه بصفاتهم مخلوقون.

(١) انظر: المجموع ١٢/٣٨، ١١٧، ٢٦٠-٢٦١.

(٢) انظر: المجموع ٦/٥٤٤، ١٢/٤٣٤، شرح الطحاوية ١/١٩٦.

(٣) السنة للخلال ٦/١٨ بتصرف يسير.

٨- وكل شيء مخلوق له قدر معلوم، وكلمات الله لا تنتهي لها، فدل ذلك على أنها غير مخلوقة، والقرآن من كلماته، فهو غير مخلوق، قال ابن أبي حاتم <sup>(١)</sup> حدثنا أبي <sup>(٢)</sup> سمعت بعض أهل العلم يقول: « قول الله ﷻ ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] وقوله: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِزَادًا لِّكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ ﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية، يدل على أن القرآن غير مخلوق، لأنه <sup>(٣)</sup> لو كان مخلوقا لكان له قدر، وكانت له - نهاية -، ولنفد كنفاد المخلوقين » <sup>(٤)</sup>.

٩- قال الله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ ۚ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ [الرحمن: ١-٣]، ففي الآية خص القرآن بالتعليم، لأنه كلامه وصفته، وكلامه وصفته لا يكونان مخلوقين، وخص الإنسان بالتخليق، لأنه خلقه ومصنوعه، ولو لا ذلك لما فرق بينهما <sup>(٥)</sup>.

١٠- أن رسول الله ﷺ صادق لا شاعر، ومبلغ لا كاهن <sup>(٦)</sup>، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۖ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۖ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٣]، وفي هذه الآيات إثبات أن القرآن منزل من الله وأنه هو المتكلم به، وأما الرسول فما هو إلا مبلغ، وهو الصادق الأمين، وقد ثبت صدقه في كل ما يُخبر به عن الله، فمما أخبر به عنه القرآن، فإنه قد عُلِمَ

(١) هو الإمام الحافظ الناقد أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، ولد سنة ٢٤٠هـ، كان بحرا في العلوم، ومعرفة الرجال، وهو صاحب المصنفات المشهورة ومنها: كتاب الجرح والتعديل، والتفسير الكبير، والرد على الجهمية، توفي سنة ٣٢٧هـ. انظر: السير ١٣/ ٢٦٣-٢٦٩، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٣٢٤-٣٢٨، طبقات الحفاظ ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) هو الإمام الحافظ شيخ المحدثين أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الرازي، ولد سنة ١٩٥هـ، طوف البلاد، وبرع في علوم الحديث، وهو من نقاد الجرح والتعديل، له نقولات طيبة، ومقالات نفيسة، في كتب السنة، في الرد على أهل البدعة. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٣/ ٣٤٩-٣٧٥، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٢٦٤-٢٦٥، السير ١٣/ ٢٤٧-٢٦٣.

(٣) الضمير يرجع إلى "الكلام" في المواضع الثلاثة.

(٤) الفتح ١٣/ ٤٥٤، وفيه: (عناية) ولعله خطأ مطبعي، وما أثبتته هو الصواب.

(٥) انظر: الحيدة ص ٦٥-٦٦، الاعتقاد للبيهقي ص ٩٦-٩٧، الفتح ١٣/ ٤٦٢.

(٦) انظر: جمع الوسائل في شرح الشئال لملا علي القاري ٢/ ٤٠.

بالاضطرار أنه مبلّغ القرآن عن الله، وأخبر أن القرآن كلام الله لا كلامه<sup>(١)</sup>.

١١- ومن السنة ما رواه جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف، فقال: [ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي]<sup>(٢)</sup> يعني القرآن الكريم، فهذا تصريح جلي، ونص قطعي، على أن القرآن كلام ربنا العلي<sup>(٣)</sup>، واحتج الأئمة المهديون، الذين سلكوا نهج الأنبياء والمرسلين، على أن القرآن غير مخلوق، بقول النبي ﷺ: [أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق]<sup>(٤)</sup>، قالوا: والمخلوق لا يستعاذ به، والنبي ﷺ لا يستعبد بمخلوق، ولا يقول عالم إنه يجوز أن يقال: أعوذ بالكعبة من شر ما خلق الله، ولا أن يقال: أعوذ بالوصف أو بالمرؤة، أو غيرها من المخلوقات، وإن كان لها حرمة عند رب البريات<sup>(٥)</sup>؛ فدل هذا على أنه إنما يستعاذ بالله ﷻ وبأسماؤه وصفاته، ومن صفاته كلماته ﷻ.

١٢- ومن الأدلة على كون القرآن كلام الله تعالى، وأنه غير مخلوق، الإجماع، وقد ذُكر الإجماع عن السلف العدول، الذين سلكوا منهج الرسول، ونذكرهم جملة لا بتفصيل، ومجموعاً دون تطويل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وهذا قول السلف قاطبة من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين: أن القرآن كلام الله ليس

(١) انظر: الانتصار للعمري ١/١٠٢، قواطع الأدلة ١/٣٣-٣٤، شرح الأصهبانية ص ٦٧٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب/ في القرآن، ح (٤٧٣)، والترمذي، كتاب ثواب القرآن، باب/ حرص النبي ﷺ على تبليغ القرآن، ح (٢٩٢٦)، وابن ماجه في المقدمة، باب/ فيها أنكرت الجهمية، ح (٢٠١) والإمام أحمد في المسند (٩٠/٣)، وغيرهم، وقال فيه الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب تواريخ المتقدمين...، باب/ ذكر أخبار سيد المرسلين...، ح (٤٢٢٠) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: المجموع ١٢/١٧٢، ٢٥٩، ٣٠١.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب/ في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، ح (٢٧٠٨)، من رواية خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها، و (٢٧٠٩) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٦٥-١٦٦، كتاب التوحيد لابن منده ٢/١٣٥، المعتمد لأبي يعلى ص ٨٧، الاعتقاد للبيهقي ص ١٠٨، التسعينية ٢/٤٦٢، الدرر ٢/٥٤٤، الرد على البكري ٢/٥٤٤، المجموع ١٢/٣١٣، السير ١٠/١٩، شرح الطحاوية ١/١٨٩.

بمخلوق»<sup>(١)</sup>، وقال أيضا: «وهذا مذهب الصحابة، والتابعين لهم بإحسان من أهل البيت وغيرهم، وهذا مذهب الأئمة المتبوعين، مثل: مالك بن أنس، والثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق<sup>(٢)</sup>... ومحمد بن خزيمة<sup>(٣)</sup>، ومحمد بن نصر المروزي<sup>(٤)</sup>، وأبي بكر بن المنذر<sup>(٥)</sup>، ومحمد بن جرير الطبري، وأصحابهم»<sup>(٦)</sup>، وقد عد العلماء المجتهدين، الذين يقتدى بهم في الدين، أبو القاسم اللالكائي<sup>(٧)</sup>،

(١) منهاج السنة ٢٤٦/١، وانظر: ٤١٦/٥، المعتمد لأبي يعلى ص ٢٦٢، الاعتقاد للبيهقي ص ١١٢، التسعينية ٦١٢/٢، شرح الأصبهانية ص ٧-٨، الصفدية ٨٦/٢، ٥٥، المجموع ٢٣٥/١٢، ٣٧٢، ٤٠٧، ٣٦١/٢٣، ٣٦١/١٧، الفتح ٤٧٠/١٣، العين والأثر ص ٨١.

(٢) هو الإمام الثقة، الحافظ المجتهد: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي المعروف بابن راهويه، ولد سنة ١٦١ هـ لقي الكبار، وأخذ العلم في الأمصار، واحتاج إليه أهل الديار، وكان رأسا في السنة، شديدا على أهل البدعة، مات سنة ٢٣٨ هـ. انظر: الجرح والتعديل ٢٠٩/٢-٢١٠، السير ٣٥٨/١١-٣٨٣، تقريب التهذيب ص ٣٩.

(٣) هو إمام الأئمة الحافظ الحجة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري، ولد سنة ٢٢٣، وعنى في صغره بالحديث والفقه، فحاز فيها سبق، وأخذ من خلق، وأخذ عنه كثيرون منهم الشيوخان في غير الصحيحين، وكان لا يهتم بأمور الدنيا ولا يفرق بين العشرة والعشرين، مع السخاء والجود، مهتما بالعلم والحفظ، حتى قيل: إنه يحفظ المسائل الفقهية من حديثه كما يحفظ القارئ السورة، ومن مؤلفاته السنية كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، توفي رحمته الله سنة ٣١١ هـ. انظر: الجرح والتعديل ١٩٦/٧، السير ٣٦٥-٣٨٢/١٤، طبقات الشافعية للسبكي ١٠٩-١١٩.

(٤) هو الإمام الحافظ: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، ولد ٢٠٢ هـ أخذ عن جماعة كثيرة، وتفقه في فنون عديدة، ومن أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام، ومن مصنفاته: كتاب تعظيم قدر الصلاة، والسنة، مات سنة ٢٩٧ هـ. انظر: السير ٣٣-٤٠/١٤، طبقات الشافعية للسبكي ٢٤٦-٢٥٥/٢، طبقات الحفاظ ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٥) هو الإمام الحافظ، العلامة: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تفقه بالمذهب الشافعي ومن عدادهم، ويدور مع الدليل حيث دار، وأصبح إماما مقتدى به، وهو صاحب التصانيف، ومن تصانيفه: الإجماع، والإشراف على مسائل الخلاف، توفي سنة ٣١٨ هـ. انظر: السير ١٤-٤٩٠/١٤، طبقات الشافعية للسبكي ١٠٢-١٠٨/٣، طبقات الحفاظ ص ٣٢٨.

(٦) منهاج السنة ١٠٦-١٠٧، وانظر: الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة ص ٤٠ مع شرح ملا على القاري، العقيدة الطحاوية ص ٤٠ بتحقيق الشيخ الألباني، شرح الأصبهانية ص ٥٠٧، المجموع ٣٦-٣٧/١٢، ٥٠٧-٥٠٦، ٥٥٤، ٥٨٢، شرح الطحاوية ١٨٥.

(٧) هو الحافظ الفقيه: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، حفظ الحديث، وتفقه على مذهب الشافعي، وله تصانيف منها: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، وكتاب في



وذكرهم وأحسابهم، فبلغوا (٥٥٠) نفْسًا بل أكثر، من التابعين وأتباع التابعين، والأئمة المرضيين - سوى الصحابة عليهم السلام وفيهم نحو مائة إمام مقتدى به، غير الألوف من المحدثين<sup>(١)</sup>، فالله تعالى تكلم بالقرآن، وكلم موسى تكليماً، وهذا اعتقاد المؤمنين المتبعين، للقرآن والحديث، وإجماع السلف الصالحين، من الصحابة والتابعين، فالنقول «بذلك متواترة مستفيضة، عن الصحابة، والتابعين لهم بإحسان»<sup>(٢)</sup> بل «وجهور المسلمين يقولون: إن القرآن العربي كلام الله، وقد تكلم الله بحرف وصوت»<sup>(٣)</sup>، فهذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله الذي أنزله على نبيه عليه السلام، كما ثبت بذلك النص والإجماع<sup>(٤)</sup>؛ فنعلم أن الذي نقرؤه هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره، وأن الذي بين اللوحين هو كلام الله حقيقة، كما هو إجماع المسلمين من السلف، ومتبعيهم من الخلف، قبل حدوث البدع، وانتشار الأهواء.

١٣- ومن الأدلة على ذلك، الآثار السلفية، الواردة عن الصحابة عليهم السلام، ومن تلکم الآثار، المشهورة في الأمصار:

أ - ما جاء في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لما قرأ على المشركين، قول الله تعالى: ﴿الْمَرْءُ غُلِبَتِ الرُّؤْمُ﴾ [الروم: ١ - ٢]، فقالوا: كلامك هذا أم كلام صاحبك؟ قال عليه السلام: [ليس بكلامي، ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله تعالى] <sup>(٥)</sup>.

السنن وغيرها، مات سنة ٤١٨ هـ. انظر: تاريخ بغداد ١٤/٧٠-٧١، السير ١٧/٤١٩-٤٢٠، طبقات الحفاظ ص ٤٢١.

(١) انظر: اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٢/٣٤٤ وقد عدها أحد الاخوة فبلغ بالتدقيق (٥٥٧) نفْسًا، والمجموع ١٢/٤١٩-٤٢٠، اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث د. محمد الخميس.

(٢) منهاج السنة ٢/٣٦٣، وانظر: خلق أفعال العباد ص ٦٨-٦٩، السنة للخلال ٦/١٠٧، شرح الأصبهانية ص ١٤٨، المجموع ٥/٩١، ١٢/٣٠، ١٦/٥١٦-٥١٧.

(٣) شرح حديث النزول ص ٤٣٤، وانظر: شرح الأصبهانية ص ٤١٣، المجموع ٦/١٨٣.

(٤) انظر: الانتصار للعمرائي ٢/٥٩٦، التسعينية ٢/١٢، ٥١٣، المجموع ٦/٥٤٣، ١٢/٥٠٤.

(٥) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ص ١٦٦-١٦٧، والبيهقي في الاعتقاد ص ١٠٧-١٠٨، ونحوه البخاري في خلق أفعال العباد معلقاً ص ٣١، وغيرهم، قال شيخنا: بدر البدر في تعليقه على خلق أفعال العباد: «وإسناده صحيح»، وانظر: المجموع ٦/٥٤٣، ١٢/٥٠٤.

ب- ما روي عن علي عليه السلام، أنه لما قيل له: [حكمت مخلوقاً؟ قال: لم أحكم مخلوقاً، وإنما حكمت القرآن]<sup>(١)</sup>؛ « فلم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة الذين يوالونه، ولا أحد من الخوارج »<sup>(٢)</sup> الذين يعادونه، ولا روي عن أحد منهم خلاف له في ذلك »<sup>(٣)</sup>.

ج- روى ابن أبي حاتم في كتابه "الرد على الجهمية" بسنده عن ابن عباس عليه السلام: [أنه سمع رجلاً يقول في جنازة: يا رب القرآن ارحمه؟ فقال: مَهْ؟ القرآن منه، القرآن كلام الله، وليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود]<sup>(٤)</sup>.

د- روى ابن أبي حاتم عن عمرو بن دينار<sup>(٥)</sup> قال: [سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق]<sup>(٦)</sup>؛ فهذه أدلة أثرية، تفيد أن القرآن من كلام رب البرية، هو المتكلم به، ومنه سمع، وهو المتصف به لا غيره<sup>(٧)</sup>.

(١) رواه البيهقي في الاعتقاد ص ١١٠، وفي الأسماء والصفات ص ٥٢٥، وقال: « وهذه الحكاية شائعة فيما بين أهل العلم، ولا أراها شاعت إلا عن أصل »، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١/ ٢٥٤-٢٥٥، وذكره ابن الجوزي في تلييس إبليس ص ١٠٠، واستشهد به شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ٢/ ٢٥١-٢٥٢، المجموع ١٢/ ٤١٨.

(٢) الخوارج فرقة ضالة، كان أول بزوغهم السعي لقتل عثمان عليه السلام، ثم الخروج على علي عليه السلام وقتله، وهم يظهرون العبادة، والولاء بشدة للدين، ويفهمون الشرع على فهمهم، ولهذا شذوا في كثير من الأحكام، ومن ذلك تكفيرهم للحكام المسلمين، ويرى الخوارج - كفرقة - أن مرتكب الكبيرة كافر حلال الدم، وهم فرق كثيرة، ومنهم الإباضية اليوم، وعلى فكرهم كثير من الأصاغر في هذا العصر. انظر: معجم ألفاظ العقيدة ص ١٦٩.

(٣) رسالة إلى أهل الثغر ص ١٢٦، وانظر: شرح أصول الاعتقاد لللالكائي ٢/ ٢٥٣.

(٤) أخرجه البيهقي في الاعتقاد ص ١١٠، وفي الأسماء والصفات ص ٥١٩، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/ ٢٥٦-٢٥٧، وانظر: تلييس إبليس ص ١٠٠، منهاج السنة ٢/ ٢٥٢-٢٥٣، المجموع ١٢/ ٤١٨، الفتح ١٣/ ٤٦٣، وسيأتي مزيد من الآثار في المطلب الثاني، تؤكد هذا المعنى.

(٥) هو الإمام الحافظ، الثقة الثبت: أبو محمد عمرو بن دينار المكي الأثرم، الجمحي مولا هم، روى عن عدد من الصحابة، ذو فقه ودراية، وعلم ورواية، مات سنة ١٢٦ هـ. انظر: السير ٥/ ٣٠٠-٣٠٧، تقريب التهذيب ص ٣٥٨، طبقات الحفاظ ص ٥٠. وقد ذكر اللالكائي أنه قد لقي تسعة من الصحابة، كما في شرح أصول الاعتقاد ٢/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٦) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١١، ومن طريقه البيهقي في الاعتقاد ص ١١١، والأسماء والصفات ص ٢٤٥، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/ ٢٦٠-٢٦١، وغيرهم، وانظر: منهاج السنة ٢/ ٢٥٣.

(٧) انظر: شرح الأصبهانية ص ١٣.

١٤- الأدلة من القياس وهو دليل العقل؛ وقد دل العقل على أن الله ﷻ متكلم بمختلف الأدلة، ومن ذلك:

أ - أن القرآن من علم الله، ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله، قيل للإمام أحمد: «ما تقول في القرآن؟»، قال: ما تقول في العلم؟؟ فسكت، فقال الإمام أحمد: القرآن من علم الله»<sup>(١)</sup>.

ب - القرآن كلام الله باتفاق المسلمين، فيما أن يكون كلامه النظم والمعنى، كما هو قول جمهور المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أو النظم دون المعنى، وهذا معلوم بطلانه بضرورة العقل، أو المعنى دون النظم؛ فإن كان كلامه هو المعنى فقط، والنظم العربي الذي يدل على المعاني ليس كلام الله، كان مخلوقا خلقه الله في غيره، فيكون النظم لذلك الغير، ومن المعلوم بالاضطرار من دين المسلمين، أن الكلام العربي الذي بلغه محمد ﷺ عن الله، أعلم أمته أنه كلام الله، لا كلام غيره، فإن كان النظم العربي مخلوقا، لم يكن كلام الله، فيكون ما تلقته الأمة عن نبيها باطلا؟ وهذا من أعظم حجج أهل السنة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق<sup>(٢)</sup>.

ج - أن صفات الله تعالى لا تكون مخلوقة، فكذلك القرآن وهو من كلامه ﷻ، قال أحمد بن الحسن الترمذي<sup>(٣)</sup>: «قلت لأحمد بن حنبل: إن الناس قد وقعوا في القرآن! فكيف أقول؟ فقال: أليس أنت مخلوقاً؟، قلت: نعم!، قال: فكلامك منك مخلوق؟، قلت: نعم، قال: أفليس القرآن من كلام الله؟ قلت: نعم!، قال: وكلام الله من الله؟ قلت: نعم! قال: فيكون من الله شيء مخلوق؟!»<sup>(٤)</sup>.

(١) المجموع ٦/ ١٥٧.

(٢) انظر: المجموع ٦/ ٥٣٤، وانظر: معارج القبول ١/ ٣٣٨.

(٣) هو الثقة الحافظ: أبو الحسن أحمد بن الحسن بن جُنَيْد الترمذي، تفقه على الإمام أحمد، وكان بصيرا بالعلل والرجال، حدث عنه جماعة، توفي بعد مائتين وأربعين هجرية. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٣٩-٤٠، السير ١٢/ ١٥٦-١٥٧، تقريب التهذيب ص ١٨.

(٤) المجموع ١٢/ ٤٣٣-٤٣٤.

د - ويدل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، أنه لو حلف إنسان لا أتكلم، فقرأ القرآن، لم يحنث، فلو كان الكلام كلامه لحنث، فلما لم يحنث دل على أن القرآن ليس كلامه، وأنه كلام الله تعالى<sup>(١)</sup>.

هـ - أنه لا بد من اعتقاد في القرآن، وأنه كلام الرحمن، وهذا من دين الإسلام، «لأن الدين لا بد فيه من أحد أمرين: إما أن يكون الله تعالى تكلم بالقرآن وبسائر كلامه، وإما أن يكون خلقه في غيره، لا يحتمل الأمر وجهًا ثالثًا؛ فإذا بطل أن يكون خلقه في غيره من الدين، تعين أن يكون القول الآخر من الدين، وهو أن الله هو المتكلم به، فمنه بدأ، ومنه حق القول، ومن لدنه نزل»<sup>(٢)</sup>.

١٥ - مما يدل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، إطلاق السلف لفظ التكفير، على من زعم ذلك، ومن ذلك:

أ - قال الثوري: «من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر»<sup>(٣)</sup>.

ب - ما رواه البخاري في خلق أفعال العباد أن: «عبد الله بن إدريس<sup>(٤)</sup> جاءه رجل فقال: يا أبا محمد! ما تقول في قوم يقولون: القرآن مخلوق؟ فقال: أمن اليهود؟»<sup>(٥)</sup> قال: لا، قال: فمن النصارى؟ قال: لا، قال: فمن المجوس؟<sup>(٦)</sup> قال: لا، قال: فممن؟ قال: من أهل التوحيد! قال: ليس هؤلاء من أهل التوحيد، هؤلاء زنادقة، من زعم أن القرآن مخلوق، فقد زعم أن الله مخلوق، يقول الله: ﴿بسم الله

(١) انظر: المعتمد لأبي يعلى ص ٨٨، وانظر: المجموع ١٠/ ١٧.

(٢) التسعينية ٢/ ٥١٨، وانظر: معارج القبول ١/ ٣٣٨.

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٤، وعبد الله بن أحمد نحوه في السنة ص ١١، وغيرهما.

(٤) هو الإمام الثقة، الفقيه العابد: أبو محمد عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي الكوفي، ولد سنة ١٢٠ هـ، كان من أئمة الدين، ومن القراء التالين، والمحدثين المشهورين، توفي سنة ١٩٢ هـ. انظر:

التاريخ لابن معين ٢/ ٢٩٥-٢٩٧، السير ٩/ ٤٢-٤٨، تقريب التهذيب ص ٢٣٨.

(٥) اليهود هم الذين يزعمون أنهم أتباع موسى ﷺ، وكانت في الأصل ديانة سماوية، ثم حرفت كما دل على ذلك القرآن، وسميت يهودية، قيل: نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، وقيل: غير ذلك. انظر: معجم ألفاظ العقيدة ص ٤٥٢.

(٦) وهم عباد النار، ويزعمون أن للكون إلهين: إله للخير ويمثله النور، وإله للشر ويمثله الظلمة، ومنهم الثنوية والمناوية. انظر: معجم ألفاظ العقيدة ص ٣٦٣.

الرحمن الرحيم» [النمل: ٣٠]، ف(الله) لا يكون مخلوقا، و(الرحمن) لا يكون مخلوقا، وهذا أصل الزنادقة، من قال هذا فعليه لعنة الله، لا تجالسوهم، ولا تناكحوهم»<sup>(١)</sup>.

ج - قال ابن المديني<sup>(٢)</sup>: «القرآن كلام الله، من قال: إنه مخلوق فهو كافر، لا يصلي خلفه»<sup>(٣)</sup>.

بل اتفاق السلف على أن هذه المقالة شنيعة بدعية، وأنها من مروجات أهل البدع الكفرية، وتكفيرهم بهذه المقالة عام، مع اتفاقهم على تكفير الجهمية<sup>(٤)</sup> الأولى خصوصا<sup>(٥)</sup>، وهم المراد بقول السلف أنهم زنادقة، وأما غيرهم من الفرق، وتنزيل هذا العموم على أحادهم، فلا يكون إلا بعد العلم والبيان، وإقامة الحجة والبرهان<sup>(٦)</sup>، ومن هنا نفهم إطلاقات السلف، في فتاواهم بتكفير القائلين بخلق القرآن، وأنها من حيث العموم، قال الإمام الشافعي: «لله أسماء وصفات لا يسع أحدا ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل»<sup>(٧)</sup>، وقال الإمام البخاري رحمه الله: «وكل من لم يعرف الله بكلامه أنه غير مخلوق، فإنه يُعلم ويُرد جهله إلى الكتاب والسنة، فمن أبى بعد العلم به كان معاندا»<sup>(٨)</sup>؛ فإطلاق السلف

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٣، وعبد الله بن أحمد نحوه في السنة ص ١٤.

(٢) هو الإمام الثبت، الثقة الحافظ: أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيع السعدي مولا هم المديني، ولد سنة ١٦١ هـ أعلم أهل عصره بالحديث وعلمه، قال النسائي: «كأن الله خلقه للحديث»، أجاب في محنة (مسألة خلق القرآن) مكرها، واعتذر بالخوف معللا، مات سنة ٢٣٤ هـ. انظر: طبقات الحنابلة ١/٢١٣-٢١٥، السير ١١/٤١-٦٠ تقريب التهذيب ص ٣٤٢.

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٨، وانظر بعض الآثار السلفية عن الأئمة في السنة للخلال ١٠/٦ وما بعدها، عقيدة السلف للصابوني ص ٣١، شرح الأصبهانية ص ٤٢١ وما بعدها، التسعينية ٢/٥٧٥، ٦٨٦.

(٤) الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي، وقد أخذ عن الجعد بن درهم، وهو رأس الجهمية، وناشر مذهبهم، وكل من نفى صفات الله ﷻ فهو جهمي، ومن أنكر علو الله ﷻ فهو جهمي بهذا الاعتبار، وأما الجهمية الخالص فهم الذين لا يثبتون لله ﷻ أسماء ولا صفات. انظر: أصول الدين للبغدادي ص ٣٣٣، معجم ألفاظ العقيدة ص ١٢٨.

(٥) انظر: الدرء ٥/٢٥٧، ٣٠٩، المجموع ١٢/٤٨٥، ٢٠/١٨٥.

(٦) انظر: خلق أفعال العباد ص ٧٠، السنة لابن أبي عاصم ص ٦٣١.

(٧) الفتح ١٣/٤٠٧.

(٨) خلق أفعال العباد ص ٧٠.

لفظ التكفير، على من قال بأن القرآن مخلوق، يدل على قوة اعتقادهم، وثبات رسوخهم في هذه العقيدة، وهي: أن القرآن كلام الله غير مخلوق<sup>(١)</sup>.

١٦- ومما يدل على ذلك، ثبات أهل السنة، ورسوخهم في مقابل هذه البدعة الشنيعة، وبذلهم أنفسهم، وأموالهم، وجاههم في بيان هذه العقيدة النقية السلفية، في كلام رب البرية، وأنه من صفاته العلية؛ فمنهم من قُتل، ومنهم من ضُرب بالسياط، وكبل بالحديد، وسلسل بالسلاسل، ومنهم من أُعفي من منصبه، ومُنِع من تدريسه وإفتاءه، ولم يزددهم ذلك إلا رسوخاً في هذه العقيدة، حصل كل هذا وزيادة، لما وقعت المحنة العظيمة، ذات الشرور المستطيرة، وهي معروفة مشتهرة، وفي كتب التاريخ والسير مستطيرة، وأنقل خلاصة ذلك بما حصل لإمام أهل السنة المجل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله ورضي عنه، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فلما امتحن الناس بذلك - بالقول بخلق القرآن - واشتهرت هذه المحنة، وثبت الله من ثبته من أئمة السنة، وكان الإمام الذي ثبته الله، وجعله إماماً للسنّة - حتى صار أهل العلم بعد ظهور المحنة يمتحنون الناس به، فمن وافقه كان سُنِّيًّا، وإلا كان بدعيًّا - هو الإمام أحمد بن حنبل، فثبت على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وكان المأمون<sup>(٢)</sup> لما صار إلى الثغر بطرسوس<sup>(٣)</sup>، كتب إلى نائبه بالعراق إسحاق بن إبراهيم<sup>(٤)</sup>، فدعي العلماء، والفقهاء، والقضاة، فامتنعوا عن الإجابة

(١) انظر: المجموع ١٢/٤٢٠، ٥٠٧.

(٢) هو أحد خلفاء بني العباس: أبو جعفر عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي العباسي، ولد سنة ١٧٠ هـ، بويع له بالخلافة بعد مقتل أخيه، وعُربت الكتب اليونانية بأمره، وكان فيه تشيع، دعا إلى القول بخلق القرآن، نَسأل الله لنا وله العفران، وامتحن الناس، وبالغ فيه سنة ٢١٨ هـ، حتى توفي في رجب من السنة نفسها. انظر: المعارف لابن قتيبة ص ٢١٧-٢٢٠، البدء والتاريخ لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي ٢/٢٩٦-٢٩٧، السير ١٠/٢٧٢-٢٩٠، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٦٨-٢٩٠.

(٣) بفتح الأوكَيْن، مدينة بثغور الشام بين إنطاكية وحلب وبلاد الروم. معجم البلدان ٤/٣١-٣٢، وهي الآن في أوروبا الشرقية، جنوب من (أضنة) التركية. أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص ٤٠.

(٤) هو الوالي الحازم: إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، ولي بغداد نحواً من ثلاثين سنة، قال الذهبي: «وعلى يده امتحَن العلماء، بأمر المأمون في - مسألة - خلق القرآن»، توفي سنة ٢٣٥ هـ. انظر: السير ١١/١٧١، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٢/٨٤.

والموافقة، فأعاد عليه الجواب، فكتب كتاباً ثانياً يقول فيه عن القاضيين، بشر بن الوليد<sup>(١)</sup>، وعبد الرحمن بن إسحاق<sup>(٢)</sup>، إن لم يجيبا فاضرب أعناقهما، ويقول عن الباقيين: إن لم يجيبوا فقيدهم فأرسلهم إليّ، فأجاب القاضيان، وذكر لأصحابهما: أنهما مكرهان، وأجاب أكثر الناس قبل أن يقيدهم لما رأوا الوعيد، ولم يجب ستة أنفس، فقيدهم فلما قيدوا أجاب الباقيون إلا اثنين، أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح النيسابوري<sup>(٣)</sup> فأرسلوهما مقيدين إليه فمات محمد بن نوح في الطريق، ومات المأمون قبل أن يصل أحمد إليه، وتولى أخوه أبو إسحاق<sup>(٤)</sup>، وتولى القضاء

(١) هو قاضي العراق: أبو الوليد بشر بن الوليد بن خالد الكندي الحنفي، تفقه على يد القاضي أبي يوسف، امتحن في مسألة خلق القرآن، فأجاب مكرها، ثم كان رأيه الوقف، فكان لا يقول: إنه مخلوق ولا غير مخلوق، مات سنة ٢٣٨هـ. انظر: تاريخ بغداد ٨٠/٧، السير ١٠/٦٧٣-٦٧٦، الجواهر المضية ٤٥٢/١ - ٤٥٤.

(٢) هو القاضي: عبد الرحمن بن إسحاق بن إبراهيم بن سلمة الضبي، تولى قضاء الرقة، ثم تولى قضاء الشرقية ببغداد، أيام المأمون إلى آخر أيام المعتصم، وذكره ابن كثير فيمن دعي في المحنة وطلب منه أن يجيب، وعزل عن القضاء سنة ٢٢٨هـ، توفي سنة ٢٣٢هـ. انظر: البداية والنهاية ١٠/٧١٥، والجواهر المضية ٣٧٥/٢ - ٣٧٦، وتاريخ بغداد ١٠/٢٦٠-٢٦١.

وذكر محقق كتاب "شرح حديث النزول": «أن ذكر الشيخ لعبد الرحمن بن إسحاق في هذه القصة وهم، والصواب أن الثاني هو: إبراهيم المهدي»، والذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - أن ما قاله شيخ الإسلام هو الصواب، خصوصا أنه ذكره في عدة مواضع من كتبه، كما في: (المجموع ٥/٥٥٤، الدرر ٥/١٨٢، ٧/٢٥٦)، ويظهر أنه كان في أول الأمر على ما كان عليه عامة العلماء من السنة، وفي أول المحنة التي أجراها المأمون على الفقهاء والقضاة والمحدثين، إلا إنه صار بعد إلى قول المعتزلة خصوصا أنه لم يكن صاحب حديث، وإنما كان صاحب فقه على المذهب الحنفي، (جماعاً للمال) كما قال الدارقطني، وناظر بعد الإمام أحمد بين يدي المعتصم، وأفتى بقتل أحمد بن نصر الخزاعي في زمن الواثق. انظر: تاريخ بغداد ٥/١٧٧، ٧/٣٦٤، ١٠/٢٦٠، والمجموع (وناظره الأئمة في هذه المسألة وصار متجهماً) ٦/١٥٧، الفتاوى الكبرى ٥/٧٧، الدرر ٣/٢٤.

(٣) هو المدافع عن السنة، والبالذ نفسه لها: محمد بن نوح بن ميمون العجلي، قال عنه الإمام أحمد: «ما رأيت أحداً - على حداثة سنه، وقلة علمه - أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، وإني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير» ووجه إلى المأمون بطرسوس، مكبلاً بالسلاسل، مات في الطريق، سنة ٢١٨هـ. انظر: تاريخ بغداد ٣/٣٢٣، البداية والنهاية ١٠/٧١٦ (ووقع فيه: الجنديسابوري، وهو آخر متأخر، كما ذكر المتأخر الذهبي في السير ١٤/٣٤)، شذرات الذهب ٢/٤٥.

(٤) هو أحد خلفاء بني العباس: المعتصم محمد بن هارون الرشيد بن المهدي العباسي، بويع بالخلافة بعهد من

أحمد بن أبي دؤاد<sup>(١)</sup>، وأقام أحمد ابن حنبل في الحبس من سنة ثمانى عشرة إلى سنة عشرين. ثم إنهم طلبوه وناظروه أياما متعددة، فدفع حججهم، وبين فسادها، وأنهم لم يأتوا على ما يقولونه بحجة، لا من كتاب، ولا من سنة، ولا من أثر، وأنه ليس لهم أن يتدعوا قولا، ويلزموا الناس بموافقتهم عليه، ويعاقبوا من خالفهم، وإنما يلزم الناس ما ألزمهم الله ورسوله، ويعاقب من عصى الله ورسوله، فإن الإيجاب والتحريم، والثواب والعقاب، والتكفير والتفسيق، هو إلى الله ورسوله، ليس لأحد في هذا حكم<sup>(٢)</sup>، وبهذا الثبات ظهرت السنة، ومحقت البدعة، والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، وبهذا القدر كفاية لمن اعتبر، وتذكير لمن تذكر، فالقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهذه العبارة الأخيرة هي موضوع المطلب الآتي.

أخيه المأمون، وذلك سنة ٢١٨هـ، وصار على طريقة سلفه في امتحان الناس في مسألة خلق القرآن، وبلي به الناس، وكان رجلا مقداما، يغزو بنفسه، مات سنة ٢٢٧هـ. انظر: المعارف لابن قتيبة ص ٢٢٠-٢٢١، البدء والتاريخ ٢/ ٢٩٨-٣٠٠، السير ١٠/ ٢٩٠، تاريخ الخلفاء ص ٢٩١-٢٩٦.

(١) هو القاضي الجهمي: أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري، المعروف بابن أبي دؤاد، صاحب جود ومكرمة، لولا ما كان منه في المحنة، فإنه أجمع ناراها، وزكم بها أنوف أهل السنة وحمل شنارها، وكان عدواً للدودا لأئمة أهل السنة، مفتيا بقتلهم في المحنة، أصيب بالفالج، ومات ولم يوجد له معالج، توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: الفهرست ص ٢٩٦ وفيه (جريد بدل حريز)، السير ١١/ ١٦٩-١٧١، ميزان الاعتدال ١/ ٩٧.

(٢) شرح حديث النزول ص ٤٣٠-٤٣٣، المجموع ٥/ ٥٥٣، وانظر: طبقات الحنابلة ١/ ١٨-١٩، المجموع ١٢/ ٣٥٥، ٥٠٧، ١١/ ٤٧٨، الدرء ٥/ ١٨٢، السير ١٠/ ٢٨٧-٢٨٨، ١١/ ٢٣٦-٢٦٥، البداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ٧١٤-٧١٧، ٧٨٠-٧٨٦، تاريخ الخلفاء ص ٢٧٠-٢٧٤.



## المطلب الثاني: القرآن الكريم من الله بدأ وإليه يعود.

إن من العقائد السلفية، لم تبع الآثار السنيّة، أن الله ﷻ متصف بالصفات العلية، وصفاته منه ﷻ، وأن القول في الصفات كالقول في الذات<sup>(١)</sup>.

وسبق أن من الصفات العلا، الثابتة لربنا الأعلى، صفة الكلام على ما يليق بجلاله، من غير مشابهة لأحد من خلقه، وأن من كلامه القرآن الكريم.

وللتأكيد على أن القرآن كلام الله سبحانه، هو المتكلم به لا غيره، سَطَّرت في كتب العقائد والنحل، والآثار والسنن: [أن القرآن من الله بدا وإليه يعود]، ونَقَلت هذه العبارة مأثورا، واشتهرت معقولا، ويتضح معناها جليا، في المسألتين الآتيتين:

## المسألة الأولى: قول السلف: [القرآن من الله بدا].

و(بَدَأَ) من (الْبَدَأُ) و(الْإِبْتِدَاءُ)، كما ورد عن العرب، أو من (الْبُدُو) وهو الظهور<sup>(٢)</sup>، وعلى هذين المعنيين كلام السلف يدور، وفي الاصطلاح أراد السلف بهذه العبارة معنيين:

المعنى الأول: أنهم أرادوا بقولهم: (القرآن منه) أي كلام الله، من الله، وأن الكلام صفة من صفاته، والصفة داخلة في مسمى اسمه.

وهذا كقولهم: علم الله منه، وقولهم: صفاته منه، وهذا التفسير يطابق قول الإمام أحمد وغيره من السلف حين قالوا: «ما وصف الله من نفسه، وسمى من نفسه، كالقدرة والحياة، والعلم، وغيرها، فإن هذه الصفات كلها من الله، أي: مما تدخل في مسمى اسمه»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: التدمرية ص ٤٣، المجموع ١٢/٥٧٥.

(٢) انظر: المفردات للراغب ص ٤٩، مقاييس اللغة ص ١٢٠، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ١/١٠٣، شرح الواسطية للشيخ محمد خليل هراس ص ٩١.

(٣) التسعينية ١/٣٦٣-٣٦٤، وانظر: المجموع ١٢/٤٦، ٢٧٤، ٣٣٠.

فالسلف يعتقدون: أن القرآن سمعه جبريل من الله حقيقة، كما سمع موسى ﷺ كلام الله منه حقيقة، فالقرآن منه حقيقة<sup>(١)</sup>.

قال عبد الله بن إدريس الأودي: «لما سُئِلَ عن قوم يقولون: القرآن مخلوق؟؟ فاستشنع ذلك، وقال: سبحان الله! شيء منه مخلوق؟ هؤلاء زنادقة؟؟»<sup>(٢)</sup>.

وذلك لأن القرآن كلام الله تعالى، وصفة من صفاته، والله بصفاته الخالق، وصفاته منه، وليس شيء من صفاته مخلوق.

وقال محمد بن خفيف<sup>(٣)</sup> - مبينا أن القرآن من كلام الله سبحانه، وأنه صفة من صفاته -: «وقولنا وقول أئمتنا: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإنه صفة الله، منه بدأ قولا، وإليه يعود حكما»<sup>(٤)</sup>.

وباب الصفات واحد - فالقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر<sup>(٥)</sup> - فعلمه وكلامه منه، وهو غير مخلوق، والقرآن من كلام الله تعالى.

قال وكيع بن الجراح<sup>(٦)</sup> رحمته الله: «القرآن كلام الله، وهو منه جل وتعالى». وقال: «القرآن من الله، منه خرج وإليه يعود»<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: الواسطية ص ١٣٦ بحاشية الفوزان.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في السنة ص ١٤.

(٣) الشيخ الفقيه القدوة، الزاهد الناسك: أبو عبد الله محمد بن خفيف بن إسفكشار الضبي الفارسي الشيرازي، تفقه على أبي العباس بن سريج، وأخذ عنه الباقلاني وغيره، وهو معدود من الزهاد، متمسك بالكتاب والسنة، جمع بين العلم والعمل، توفي سنة ٣٧١ هـ. انظر: السير ١٦/٣٤٧-٣٤٧، الأنساب للمسماني ٣/٤٩٢، طبقات الشافعية للسبكي ٣/١٤٩-١٦٣.

(٤) المجموع ٧٦/٥، وانظر: الواسطية ص ١٣٦ بحاشية الفوزان.

(٥) انظر: التدمرية ص ٣١.

(٦) هو الثقة الحافظ: أبو سفيان وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي، طلب العلم في الصغر، وبرز فيه وتبحر، ومن أقواله المعروفة، في أحاديث الصفات المشهورة: «نسلم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: كيف كذا؟ ولا لم كذا؟»، قال فيه الإمام أحمد: «ما رأيت أوعى للعلم منه، ولا رأيت معه كتابا قط، ولا رقعة»، مات سنة ١٩٧/٦ هـ. انظر: السير ٩/١٤٠-١٦٨، تقريب التهذيب ص ٥١١، طبقات الحفاظ ص ١٣٣.

(٧) رواه عبد الله بن أحمد في السنة ص ٣٢ رقم (١٤٩) و(١٥٠)، وروى نحوه الخلال في السنة ٦/٢٧، رقم (١٨٦٢).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «كلام الله من الله ﷻ، من الله، ومن ذات الله، وتكلم الله به، وليس من الله شيء مخلوق»<sup>(١)</sup>، فبين ﷻ أن القرآن من الله وأنه صفة من صفاته. فالقرآن كلام الله، وليس من الله شيء مخلوق، وهذا القول قاله غير واحد من السلف، بل على هذا إجماع السلف<sup>(٢)</sup>.

قال عمرو بن دينار المكي: [أدركت أصحاب النبي ﷺ، فمن دونهم - منذ سبعين سنة - يقولون: الله خالق، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود]<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «لقيت الرجال، والعلماء، والفقهاء، بمكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، والشام، والثغور»<sup>(٤)</sup>، وخراسان<sup>(٥)</sup>، فرأيتهم على السنة والجماعة، وسألت عنها الفقهاء، فكلُّ يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود»<sup>(٦)</sup>.

وقال إسحاق بن راهويه الحنظلي: «ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، فكيف يكون شيء خرج من الرب ﷻ مخلوقاً؟؟»<sup>(٧)</sup>. فتبين مما سبق أن الإضافة إلى الله ﷻ، في كون القرآن كلام الله، أو في كونه منه، إضافة صفة لموصوف.

- 
- (١) رواه الخلال في السنة ١٨/٦، رقم (١٨٤٥)، وانظر: ما سبق من أثر أحمد بن الحسن الترمذي.  
 (٢) انظر: الانتصار للعمراني ٥٤٧/٢، الدرر ١١٣/٢، المجموع ٣٧، ٥١٧/١٢، مختصر العلو للألباني ص ١٤٣.  
 (٣) رواه غير واحد عنه كما سبق، وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وهذا رواه غير واحد عن سفيان بن عيينة عن عمرو» كما في منهاج السنة ٢/٢٥٢، وقال أيضاً: «وهو مستفيض عنه» كما في المجموع ٤١٩/١٢.  
 (٤) الثغور هي الأرض التي تلي بلاد الكفر، وهي عدة ثغور في عدة نواحي؛ فمنها كانت الثغور التي تلي بلاد الإفرنجية، وغيرها، وإذا أطلقت الثغور؛ فهي إما ثغر طرسوس، أو ثغر الشام. انظر: الأنساب للسمعاني ٥٠٧/١، معجم البلدان لياقوت الحموي ٩٣/٢.  
 (٥) خراسان كلمة أعجمية ومعناها: موضع طلوع الشمس، وأهل العراق يسمون مشرقهم خراسان، وهي بلاد كبيرة، متضمنة لهرات ونيسابور، ومرو، وبلخ، وطالقان، ونسا، وسرخس، وبيهق، وهي الآن كلها ما بين الجنوب الغربي والشمال الغربي لأفغانستان، وتابع لها. انظر: الأنساب للسمعاني ٣٣٧/٢، معجم البلدان لياقوت الحموي ٤٠١/٢، أطلس العالم الإسلامي ص ٦٠.  
 (٦) رواه ابن الحنظلي في الرسالة الواضحة ٢/٢٥١، والضياء المقدسي في اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمن ص ٢١.  
 (٧) ذكره الذهبي في العلو، كما في مختصر العلو للألباني ص ١٩٤، رقم (٢٣٩).

والإضافة إلى الله تعالى نوعان:

١ - إضافة عين قائم بنفسه، فهذا من باب التشريف والتعظيم، كبيت الله، وناقة الله، وسيف الله، ونحو ذلك...

٢ - إضافة ما لا يقوم بنفسه، فهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، مثل علم الله، وكلام الله، وقدرة الله، ونحو ذلك...

وبهذا يفرق بين كلام الله سبحانه، وعلم الله، وبين بيت الله، وناقة الله، إذ لا يمكن للصفات أن تقوم إلا في محل، وتكون الصفة بحسب المحل المضاف إليه، فصفة الخالق إذا أضيفت إليه تليق بجلاله وكماله، وصفة المخلوق إذا أضيفت إليه فهي بحسبه<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا التقسيم ما كان مجروراً بـ(مِنْ) التي لا ابتداء الغاية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فإن كان المجرور بها عينا يقوم بنفسه لم يكن صفة لله، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقوله في المسيح: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وكذلك ما يقوم بالأعيان كقوله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وأما إذا كان المجرور بها صفة ولم يذكر لها محل، كان صفة لله، كقوله: ﴿وَلَنَكُنَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]»<sup>(٢)</sup>.

فبين رحمته الله الفرق بين ما كان منه مسخراً في السماوات والأرض، وهي أعيان قائمة، وروح الله عيسى عليه السلام وهو عين قائم بنفسه، فالإضافة إضافة امتنان وتشريف.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ كقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ أي من خلقه، ومن عنده، وليست (مِنْ) للتبعيض كما تقوله النصارى - عليهم لعائن الله المتتابعة - بل هي لا ابتداء الغاية، كما في الآية الأخرى»، ثم قال بعد ذكر الأقوال: «والأظهر الأول: وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة،

(١) انظر: الرسالة الواضحة ٢/٦٠٠، شرح الأصبهانية ص ٤٣٣، ٤٢٣، الصفدية ١/٦٧، المجموع

١٢/٦٦، شرح الواسطية للشيخ محمد خليل هراس ص ٩١.

(٢) المجموع ١٢/٥١٨-٥١٩.

وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشریف، كما أضيفت الناقة، والبيت إلى الله...»<sup>(١)</sup>.

ومن إضافة التشریف المجرورة بمن التي هي لا ابتداء الغاية، ما جاء في حق آدم ﷺ، حيث قال فيه الرب ﷻ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] فهذه كقوله في حق عيسى ﷺ ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ ف «هذه الروح هي التي يحيى بها الإنسان، ولا تُعَلَّمُ ماهيتها، وإنما أضافها إليه، تشريفا لآدم، وهذه إضافة مُلْك»<sup>(٢)</sup>.

وهذا يتبين أن القرآن منزل من الله، والقول من الله، وهذا ذكر للصفات، ولم يذكر لها محل، فهي صفات لله تعالى، وقد ذكر الله تعالى في غير موضع: أن القرآن منزل منه، فهو صفة من صفاته على التحقيق<sup>(٣)</sup>.

وفي قولهم [منه بدأ] لا ينبغي أن يفهم الانفصال، كما زعمه بعض أهل الضلال، إذ صفات الله قائمة به، ولا يلزم من سماع جبريل للقرآن أنه انفصل عن الله، كما أنا عِلْمًا بتعليم الله إيانا، كما قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، ولا يلزم أن انفصل علم الله عن الله بالتعليم، فكذلك القرآن من الله تعالى بدأ بالتعليم، كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١- ٢]، والقرآن من علم الله، والعلم لا يباين العالم بتعليمه لغيره، فكذلك كلام الله تعالى لا يباينه، ولهذا قال الإمام أحمد رحمته الله - لما قيل له بم كَفَرَتِ الْقَائِلِينَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ -: «قال: بآيات من كتاب الله ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠] و ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥] فالقرآن من علم الله، فمن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر»<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥٩٠، وانظر: فتح البيان لصديق حسن خان القنوجي ٤١٦/٢، تفسير القاسمي ٦١٠/٢.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٤٠٠.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٥١٩ - ٥٢٠، اعتقاد أهل الإيمان للقرشي ص ٣٣.

(٤) رواء اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/ ٢٩١، ونحوه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة ص ١٠، رقم (٣).

كما أن الرسول ﷺ علم الناس القرآن، ولم يفصل عنه، فالله ﷻ أولى بهذا الكمال - والله المثل الأعلى -، فلا يفصل القرآن بالتعليم بحيث لا يبقى مع المعلم منه شيء.

وأوضح مثال على أنه لا يلزم الانفصال بالتنزيل والتعليم هو: «أن رجلاً لو دخل بلدة لا ضوء فيها، ومعه سراج، فأسرج لهم من مصباحه، فهل ينقص من الأول شيء؟ وقد صار منه ألف مصباح؟! ثم لو قدر أنها انطفأت كلها، إلا الأول، لانفرد الأول بنوره على حالته أول قدومه من غير زيادة حدثت فيه»<sup>(١)</sup> ولا نقصان لحق به.

فالقرآن لا يعني أنه صفة باثثة عن الله، فكلام الله من الله، ليس بآئن عنه، ولا تباين الصفة الموصوف، ولم يرد السلف بهذه العبارة أنه فارق ذات الله تعالى، وحل في غيره.

قال محمد بن الهيصم<sup>(٢)</sup>: «إنه غير بائن من الله، فإن الجهمية وأتباعهم من المعتزلة<sup>(٣)</sup> قالوا: إن القرآن بائن من الله، وكذلك سائر كلامه، ولا يصح عندهم أن يوجد من الله كلام يقوم به في الحقيقة، وقال أهل الجماعة: بل القرآن غير بائن من الله، وإنما هو موجود منه، وقائم به»<sup>(٤)</sup>.

ولا نزاع بين السلف، أن كلام الله لا يفارق ذات الله، وأن الكلام لا يباينه، كما أن علمه لا يباينه فكذلك كلامه، بل وسائر صفاته.

(١) الرسالة الواضحة ٥٣٦/٢، وانظر: المجموع ٣٥٥/١٢.

(٢) شيخ الكرامية وعالمهم في وقته: أبو عبد الله محمد بن الهيصم الكرامي، ناظر ابن فورك بحضرة السلطان الغزنوي محمود ابن سبكتكين، ولم يذكر كتب التراجم عن ولادته ووفاته شيء إلا أنه كان في عصر متأخر عن ابن كرام حيث كان في زمن السلطان سبكتكين، ومن مؤلفاته: جمل الكلام في أصول الدين كما ذكر ذلك شيخ الإسلام. انظر: الوافي بالوفيات ١٧١/٥، المجموع ١٨٣/٦، الدرر ٦٣/٣، ١٥٩/٦، ٢٥٣/٦، بيان تلبس الجهمية ٣٣١/٢ وما بعدها وفيها بحث لطيف حول المناظرة المنقولة في إثبات العلو لله تعالى، وذكر صاحب الجواهر المضية ما يدل على أنه من علماء القرن الخامس الهجري ٥٥٦/٢.

(٣) المعتزلة فرقة ضالة تعتقد بنفي الصفات عن الله ﷻ، ورئيسهم واصل بن عطاء الغزال، ولهم أصول خمسة، عليها يجتمعون، وهم فرق شتى، يكفر بعضهم بعضاً، وكان سبب خروجهم عن السنة إبتداء القول بأن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، ثم تطور المذهب وصاروا فرقا، ومن أتباعهم اليوم كثير من العقلانيين والإباضية من الخوارج على اعتقادهم في مسألة القرآن الكريم. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٣٤، معجم ألفاظ العقيدة ص ٣٧٧.

(٤) شرح الأصبهانية ص ٢١١-٢١٢، وانظر: الدرر ٤٧/٢، المجموع ١٨٣/٦-١٨٤، ٥٢٩.

وسلف الأمة، بل وسائر العقلاء يقولون: إن كلام المتكلم قائم به، وكلام الله قائم به، وما كان بائنا عن الله فلا يكون كلامه، ولذا قال الأئمة: كلام الله من الله، ليس ببائن عنه. ويوضح أن القرآن كلام الله ليس ببائن عنه، هو أن المتكلم حينما يتكلم لا يكون كلامه منفصلاً عنه، بل ليس شيء من صفات الموصوفين مباينة لموصوفها، وليس شيء من صفات موصوف ينتقل إلى غيره، فكيف يتوهم عاقل أن كلام الله يباينه، وينتقل إلى غيره<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أحمد رحمته الله: «كلام الله من الله، ليس ببائن منه»<sup>(٢)</sup>.

وكون الكلام بدأ وخرج من الله، لا يلزم منه المفارقة، قال الله تعالى في حق المخلوق: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥] فأخبر تعالى أن كلامهم خرج منهم، ومع ذلك أضافه إليهم، فهم القائلون للكذب، «ومعلوم أن كلام المخلوق لا يباين محله»<sup>(٣)</sup>.

وإذا قرأ الناس القرآن، وكتبوه في المصاحف، وسمعوه، لم يخرج بذلك من كونه كلام الله سبحانه حقيقة، فإن الكلام يضاف إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً. قال الإمام أحمد رحمته الله: «القرآن كلام الله غير مخلوق، بكل جهة وعلى كل تصرف، وليس من الله شيء مخلوق»<sup>(٤)</sup>.

وأما نقل الكلام، وتأديته، فهذا مجرد بلاغ، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] فالمبلغُ كلامُ الله، والمبلغُ هو رسولُ الله، وفي الحديث: [نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه...]<sup>(٥)</sup>، فهنا المبلغُ

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص ١٢، ٩، الدرء ٢/ ١١٣، المجموع ٦/ ٥٢٩، ١٢/ ٢٩٧، ٣٥٥، ٥١٧-٥١٨، قطف الثمر ص ٤٦.

(٢) شرح الأصبهانية ص ٩، المجموع ١٢/ ٢٩٧.

(٣) المجموع ١٢/ ٣٩٠.

(٤) رواه اللخال في السنة ٦/ ١٩، رقم (١٨٤٧)، وابن بطّة في الإبانة ٢/ ٣٦، رقم (٢٢٧).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب/ فضل العلم، ح (٣٣٦٠)، والترمذي، كتاب العلم، باب/ الحث

كلام رسول الله ﷺ، وهو حديثه، والمبلغُ آحاد الأمة من المحدثين وغيرهم<sup>(١)</sup>.

المعنى الثاني: أنهم يريدون بقولهم: [كلام الله منه بدأ] أي خرج منه، وتكلم به، فهو الذي ابتداءً وتكلم بالقرآن، ومنه ظهر وسمع، ولم يخلقه في غيره، ولم يبدأ من بعض المخلوقات كما تقوله المبتدعة أهل التحريف والجهالات.

فالله هو المتكلم بالقرآن، ومنه سمع، فالكلام من المرسل، لا من أحد آخر من خلقه، « فلما كان الرسولُ رسولَ الله، كانت الرسالة كلامَ الله، والأمر والنهي (منه بدأ) دفعا للوسائط »<sup>(٢)</sup>.

فمقصود السلف في عبارة (منه بدأ) الرد على أهل البدع القائلين: إن الله خلق القرآن في غيره، وخرج من ذلك الغير، لا من الله<sup>(٣)</sup>.

والسلف وعلماء الأمة أرادوا بهذه العبارة الوجيزة، ذات المعاني العظيمة، أن القرآن من الله وصفا وابتداءً، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]، فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات، كما زعم أهل البدع والضلالات.

فالقرآن متلقى من الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦] فهو من الله تنزيلاً، وتلقياً، وابتداءً، وجبريل ومحمد ﷺ ما هما إلا مبلغان ومؤديان، وهما أمينان على وحي الرحمن جل في علاه<sup>(٤)</sup>.

على تبليغ السماع، ح (٢٦٥٨)، وقال: (حديث حسن)، وأخرج نحوه ابن ماجة، المقدمة، باب/ من بلغ علماً، ح (٢٣٠)، وغيرهم، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة، ١/ ٢/ ٧٦٠ - ٧٦١، رقم (٤٠٤).

(١) انظر: شرح الأصهبانية ص ٩، المجموع ١٢/ ٣٩٠، ٥١٨.

(٢) الرسالة الواضحة لابن الحنبلي ٢/ ٥٢٩.

(٣) سيأتي بيان عقائد أهل الضلال والطغيان، في كلام الله القرآن، في الباب الثاني - إن شاء الله تعالى -.

(٤) انظر لما سبق: التسعينية ١/ ٣٦٣ - ٣٦٤، الصفدية ١/ ٦٧، الدرر ٢/ ١١٣، المجموع ٣/ ١٧٦،



ومن الأدلة على أن القرآن من الله ابتداء، وتكلم الله به، ما يأتي:

أ- قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَلْفَبِينَ سَبْعِينَ مِائَةً أَلْفَ مِائَةٍ مَن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤] فبين الله سبحانه، أن أهل الكتاب يعلمون أن القرآن منزل من عند الله، وفيه «تقرير لكونه منزلاً من عند الله ببيان أن الذين وثق بهم المشركون من علماء أهل الكتاب عالمون بحقيقته ونزوله من عنده تعالى»<sup>(١)</sup>، وفي الآية دليل على بطلان الزاعمين: أن القرآن مخلوق في جسم من الأجسام، لأنه صرح بأنه منزل من الله تعالى، لا من مخلوق من المخلوقات<sup>(٢)</sup>.

ب - قوله تعالى: ﴿حَمِّمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الأحقاف: ١] وقوله: ﴿الْمَ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [أمر يقولون أفترله بل هو الحق من ربك] [السجدة: ١ - ٣] وقوله: ﴿حَمِّمْ تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [كتب فضلت آياته قرءاً أنا عربياً لقوم يعلمون] [بشيراً ونذيراً] [فصلت: ١ - ٤] وقوله: ﴿تَنْزِيلُ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠] وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق] [الزمر: ١ - ٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فقد بين في غير موضع أن الكتاب والقرآن العربي منزل من الله، وهذا معنى قول السلف: منه بدأ... فإن الذين قالوا: إنه مخلوق، قالوا: خلقه في غيره، فبدأ من ذلك المخلوق؛ فقال السلف: (منه بدأ) أي: هو المتكلم به، لم يخلقه في غيره»<sup>(٣)</sup>.

ج - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه] [تَنْزِيلُ مِنَ الْحَكِيمِ حَمِيدٌ] [فصلت: ٤١ - ٤٢] فالذكر القرآن العزيز و «أعزه الله لأنه كلامه، وحفظه من الباطل»<sup>(٤)</sup> فهذه الآيات وغيرها مبينات

(١) تفسير القاسمي ٣/ ٤١٠.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ١١٨ - ١٢٤، وسيأتي قول الخلقية في القرآن، في الباب الثاني.

(٣) المجموع ١٢/ ٤٠، وانظر منه ٦/ ٥٤٤، ١٢/ ٥٨٩.

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره ١١/ ١١٦ عن قتادة بن دعامة السدوسي.

أن القرآن العربي كلام الله، وتنزيله، فمنه ظهر وابتدأ، لا من أحد سواه.

د - قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَارًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴿[النحل: ١٠١ - ١٠٢]، فالقرآن العربي نزل به روح القدس - وهو جبريل عليه السلام - من الله تعالى، فليس القرآن كلام جبريل، ولا كلام غيره من البشر، وما جبريل إلا رسول يبلغ ما أرسل به، ولا هو كلام محمد ﷺ، بل هو كلام المرسل لهما وهو الله ﷻ (٢).

هـ - قال صديق الأمة أبو بكر عليه السلام لما بلغه بعض ما يدعيه مسيلمة الكذاب -: «ويحكم! أين يذهب بعقولكم؟ إن هذا كلام لم يخرج من "إل" أي: من رب» (٣).

و - قال خباب عليه السلام: «تقرب إلى الله بما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه مما خرج منه» (٤).

### المسألة الثانية: قول السلف: [وإليه يعود]:

مراد السلف بهذه العبارة دائر بين معنيين، كلاهما صحيح بغير مين:

المعنى الأول: أنه تأكيد لما سبق من كون القرآن منه، وصفة من صفاته، فقالوا: (وإليه يعود) أي: حكماً، فلا يوصف به أحد سوى الله ﷻ، فهو المتكلم بالقرآن، وهو الموصوف به (٥).

(١) انظر: العقيدة السلفية ص ١٩٤.

(٢) شرح الأصبهانية ص ١١، المجموع ٥١٧/١٢، وانظر: تاريخ الطبري ٣/ ٣٠٠، وغريب الحديث لأبي عبيد ٦٨/١ وقيل في معنى "إل" غير ذلك، والله تعالى أعلم.

(٣) هو الصحابي الجليل: أبو عبد الله خباب بن الأرت التميمي، أسلم قديماً، وعذب في الله شديداً، شهد بدراً، وما بعدها من الغزوات، نزل الكوفة، ومات بها سنة ٣٧هـ. انظر: معجم الصحابة للبغوي ٢/ ٢٧١ - ٢٧٤، أسد الغابة ١/ ٥٩١ - ٥٩٤، تقريب التهذيب ص ١٣٢.

(٤) شرح الأصبهانية ص ١٣، وروى نحوه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ص ٢٤، رقم (٩٤) وص ٢٦، رقم (١٠٨)، والبغوي في معجم الصحابة ٢/ ٢٧٣، وروى نحوه الترمذي كتاب فضائل القرآن، باب... ح (٣٠٩٠) عن أبي أمامة مرفوعاً، وقال: (غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وضعفه الألباني، كما في ضعيف سنن الترمذي، برقم (٥٥٥)، وانظر: السلسلة الضعيفة ح (١٩٥٧).

(٥) انظر: المجموع ٧٦/٥، شرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١/ ٤٣٠، شرح الواسطية للشيخ محمد خليل هراس ص ٩٢.

المعنى الثاني: أنه يُرفع، ويُسرى به في ليلة، فيصبح الناس، وليس في أيديهم قرآن، لا في الصدور، ولا في السطور، ولا يبقى منه آية تُذكر، فضلاً عن الأجزاء والسُور<sup>(١)</sup>.

ودل على هذا الكتاب والسنة والآثار:

فمن الكتاب:

١- قول الله تعالى: ﴿وَالِيَهُ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣]، فالأمور كلها ترجع إلى الله تعالى في المعاد، والأمور لفظ عام يشمل المأمور (المفعول)، والأمر نفسه، والقرآن من أمره، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] فهو يرجع إلى الله من غير شك ولا ريب، كما دل عليه عموم الآية.

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شَيْئًا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [٨] إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٦-٨٧] والوحي هنا القرآن، قال الزجاج<sup>(٢)</sup>: «لو شئنا لمحوناه من القلوب، والكتب، حتى لا يوجد له أثر ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي: لا تجد من يتوكل علينا في رد شيء منه...»<sup>(٣)</sup>، فهذه الآيات ظاهرة في تضمن عود القرآن، من المصاحف والصدور إلى الرحيم الرحمن.

٣- قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] قال قتادة: «كان تُنسخ الآية بالآية بعدها، ويقرأ نبي الله ﷺ الآية أو أكثر ثم تُنسى وتُرفع»<sup>(٤)</sup>، ففيها: أنهم يسمعون من النبي ﷺ آيات تتضمن أحكاماً، ثم يُنسخ ذلك،

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص ٩، المجموع ٥٢٩/٦.

(٢) هو نحوي زمانه: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السريّ الزجاج البغدادي، لزم المبرد وأخذ عنه، وعنه أبو علي الفارسي وجماعة، ومن مصنفاته: معاني القرآن، وكان حسن الاعتقاد، اختلف في سنة وفاته وجزم الذهبي بأنه توفي سنة ٣١١ هـ. انظر: تاريخ بغداد ٨٩/٦-٩٣، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١٧٠/١٤، السير ٣٦٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٥٨/٣-٢٥٩، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ٨٣/٥.

(٤) رواه عنه ابن جرير في التفسير ٥٢٢/١، وهو مرسل، وانظر في رفع المنسوخ: مصنف عبدالرزاق ٣/٣٦٣، الانتصار للعمري ٢/٦٠٠-٦٠١، تفسير البغوي ١/١٣٤.

فلا يجدونه مكتوباً، ولا في الصدور محفوظاً<sup>(١)</sup>، فالآية دلت على جواز رفع المنسوخ، وذلك - والله أعلم - لعدم الحاجة إليه، فكذلك رفع المحكم منه وغيره في آخر الزمان لعدم وجود من يعمل به، والله تعالى أعلم.

وأما الأدلة من السنة على رفع القرآن فمنها:

١ - ما رواه حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً: [يُدرَسُ الإسلام كما يدرس وَشْيُ الثوب، حتى لا يُدرَى ما صيام؟ ولا صلاة؟ ولا نكح؟ ولا صدقة؟ وليُسرَى على كتاب الله ﷻ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير، والعجوز، يقولون: أدر كنا أباءنا على هذه الكلمة، لا إله إلا الله، فنحن نقولها...]<sup>(٢)</sup>، ولعل هذا الرفع يدخل تحت عموم قوله ﷺ: [بين يدي الساعة أيام، يُرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل...]<sup>(٣)</sup> لأن القرآن أعظم العلم ووسائله.

٢ - ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو مرفوع حكماً: [لِيُتَزَعَنَّ هذا القرآن من بين أظهركم... يُسرَى عليه ليلة، فلا يبقى في قلب عبدٍ منه، ولا مصحفٍ منه شيء، ويصبح الناس فقراء كالبهائم، ثم قرأ عبد الله ﷺ ﴿وَلَيْنَ شَيْئًا لَتَذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]<sup>(٤)</sup>.

وأما الأدلة من الآثار فمنها:

١ - قول ابن عباس رضي الله عنه: [القرآن كلام الله، وليس بمربوب، منه خرج، وإليه يعود].

(١) انظر: الرسالة الواضحة ٢/ ٥٥٢.

(٢) رواه ابن ماجة، كتاب الفتن، باب/ ذهاب القرآن والعلم، ح(٤٠٤٩)، وقال البوصيري: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات»، وقوى الحافظ إسناده كما في الفتح ١٨/ ١٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب/ ظهور الفتن، ح(٧٠٦٢)، ومسلم، كتاب العلم، باب/ رفع العلم...، ح(٦٧٢٩) وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ في تعاهد القرآن، ح(٣٣٤١)، وعبد الرزاق في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب/ تعاهد القرآن ونسيانه، ح(٥٩٨٠)، وابن أبي شبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب/ في رفع القرآن...، ح(٣٠١٩٣)، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم(٨٧).

٢- قال عمرو بن دينار المكي: [أدركت أصحاب النبي ﷺ، فمن دونهم - منذ سبعين سنة - يقولون: الله خالق، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود]<sup>(١)</sup>. فهذا فيه حكاية الإجماع عن الصحابة ومن بعدهم على عود القرآن إلى الله تعالى.

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله مبينا سبب الرفع: « وهذا - والله أعلم - حينما يُعرض الناس إعراضا كلياً، لا يتلونه لفظاً، ولا عقيدة، ولا عملاً، فإنه يُرفع، لأن القرآن أشرف من أن يبقى بين يدي أناس هجره، وأعرضوا عنه، فلا يقدرونه قدره... »<sup>(٢)</sup>.

فقول السلف [وإليه يعود] أي: حكماً ورفعاً، وكلا المعنيين صحيح، دل عليه النص الصريح، والعقل الصحيح، والله تعالى أعلم<sup>(٣)</sup>.

تنبيه: وأما تأويل العود، بعود تلاوته، وقراءته - وإن فهمه بعضهم - فليس بصحيح، لأن السلف لم يريدوا هذا، بل أرادوا الرفع الذي هو في آخر الزمان، وأرادوا بالعود، عوده حكماً وحقيقة، فالقرآن كلام الله تعالى.

على أن عود التلاوة، والقراءة، التي هي كسب العبد حق، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، فأخبر الله سبحانه أن الكلم الطيب من العبد يصعد إليه، وأعظم الكلم الطيب القرآن الذي يتلوه العبد ويقرؤه<sup>(٤)</sup>.

وتكلم الله ﷻ بالقرآن، في الوقت والزمان الذي شاءه الرحمن ﷻ، وهذا ما سأبينه في المطلب الآتي.

(١) سبق تخريجه، وانظر بعض الآثار الأخرى في (اختصاص القرآن للضيء المقدسي).

(٢) شرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٤٢٩.

(٣) شرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١/ ٤٣٠.

(٤) انظر في تفسير الكلم الطيب والعمل الصالح: تفسير ابن جرير ١٠/ ٣٩٨، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٤٩.

## المطلب الثالث: تكليم الله بالقرآن وتعلقه بالمشيئة:

تبين فيما سبق أن الله ﷻ متكلم، ومن ذلك تكليمه بالقرآن، والطريقة السلفية في صفات رب البرية، هي: إثبات ما أثبتته الله ورسوله، ونفي ما نفاه الله ورسوله، لا نتجاوز القرآن والسنة، فالسلف يثبتون الصفات بلا تحريف، وأن لها معاني بلا تكيف<sup>(١)</sup>، ومن تلکم الصفات صفة الكلام.

وتنقسم الصفات باعتبار تعلقها بذات الله تعالى ومشيئته واختياره إلى قسمين:

١- صفات ذاتية: وهي التي لم يزل ولا يزال الرب ﷻ متصفا بها، كالعلم، والحياة، والقدرة، والإرادة.

٢- صفات فعلية: وهي التي لها تعلق بمشيئة الله ﷻ، كالإتيان والمجيء، والمحبة والرضا، والمغفرة والرحمة.

وتكون الصفة ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار، كالكلام فإنه باعتبار أصل الصفة صفة ذاتية، لأن الله ﷻ لم يزل ولا يزال متكلمًا.

وباعتبار آحاد الكلام فهو صفة فعلية، لأن الكلام متعلق بمشيئة الله ﷻ، يتكلم متى شاء مع من شاء<sup>(٢)</sup>.

والكلام من الأولين لكن بحسب الاعتبار، فباعتبار الأصل وهو النوع صفة ذات، وباعتبار الآحاد وهو العين صفة فعل، وهذا التفريق مهم لجميع ذوي الألباب «ومن اهتدى في هذا الباب إلى الفرق بين النوع والعين، تبين له فصل الخطأ من الصواب، في مسألة الأفعال، ومسألة الكلام والخطاب»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: التدمرية ص ٦ - ٧، معارج القبول ١/ ٤٤٧، وقد كتبت في هذا بحثا خاصا بعنوان: إثبات معاني الصفات مع نفي الكيفية والمثلية في الإثبات (مخطوط).

(٢) انظر: شرح لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين ص ٢٦، الصفات الإلهية للشيخ د/ محمد أمان الجامي ص ٢٦٢، شرح الواسطية للشيخ الفوزان ص ٩١.

(٣) الصفدية ١/ ٦٥، وانظر منه ١/ ١٣.

فالكلام من صفات الذات باعتبار النوع، ومن صفات الفعل باعتبار العين أو الأحاد، وهذا التقسيم هو الذي يخرج الإنسان، من إشكالات كثيرة في الأذهان، هدى بها أهل الضلال والطغيان<sup>(١)</sup>.

فالخلقية - الجهمية ومن وافقهم - يحتجون بما يدل على أن القرآن متعلق بمشيئة الله وقدرته، ويحتجون بما يدل على أن الكلام فعل متعلق بالمشيئة، والمنازعون لهم - كالأشاعرة<sup>(٢)</sup> ومن وافقهم - يحتجون بأن الكلام من صفات الذات، لا من صفات الفعل.

والحق هدى بين ضلالتين، ووسط بين غوايتين، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «ومدلول الأدلة الصحيحة من الجانبين صحيحة، ولا تناقض بينهما، ولا منافاة بين كونه صفة ذات، وصفة فعل، فإن الأقسام ثلاثة: أحدها: ما توصف به الذات، مع عدم تعلق القدرة والمشيئة به، كالحياة. والثاني: ما يكون مخلوقاً بائناً عن الله، فهذه هي المفعولات - المخلوقات...<sup>(٣)</sup>، والثالث: ما يقوم بالذات، وهو من الفعلية لتعلقه بالمشيئة والقدرة، والكلام... من هذا الضرب»<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: «فالفرق بين دوام النوع، وقدمه، ودوام الشيء المعين، وقدمه، يكشف الحجاب عن الصواب، في هذا الباب، الذي اضطرب فيه أولو الألباب»<sup>(٥)</sup>.

(١) سيأتي بيان معتقد أهل البدع، في الباب الثاني - إن شاء الله تعالى -.

(٢) الأشاعرة نسبة لأبي الحسن الأشعري، وهم أقرب الفرق البدعية إلى أهل السنة بالنسبة إلى غيرهم، وقدماءهم كانوا يثبتون الصفات الخيرية، وإنما كان نزاعهم في الصفات الاختيارية، وأما المتأخرون منهم فلا يثبتون الصفات إلا إذا ثبت بالعقل، = ولهذا أنكروا كثيراً من الصفات الواردة لله - تعالى -، ولم يثبتوا إلا الصفات السبع المشهورة، وهي: العلم، والكلام، والسمع، والبصر، والحياة، والقدرة، والإرادة، وحتى في إثباتهم شيء، وهم أظهروا مناصرة للغة، ولكنهم لا للمعتزلة كسروا، ولا للغة انتصروا. انظر: المجموع ١٢/١٣٥، الصفدية ص ٢٧٠، معجم ألفاظ العقيدة ص ٤٢.

(٣) وهذا لا تعلق له بالخالق إلا كما بين شيخ الإسلام أنه من حيث كونه مفعولاً لله، وهذا لا يعني أنه قسم من أقسام الصفات مطلقاً.

(٤) الصفدية ٢/٨٦-٨٩، وانظر: الدرء ٢/١١٣، المجموع ١٢/١٣٣.

(٥) الصفدية ٢/١٤٠.

فمنشأ اضطراب الناس في مسألة الكلام عدم التفريق، وعدم معرفة وجه الجمع بين صفة الذات، وصفة الفعل، وقد نشأ أقوام لم يفهموا أقوال السلف، وظنوها موافقة لما عليه الخلف، «فصاروا يحملون ما يسمعون من الكلام على عرفهم، فغلط كثير منهم في فهم كلام السلف، والأئمة، بل وفي فهم كلام الله ورسوله، والواجب على من أراد أن يعرف مراد المتكلم أن يرجع إلى لغته، وعادته التي يخاطب بها، لا يُفسر مراده بما اعتاده هو من الخطاب»<sup>(١)</sup>.

ومعلوم من سير السلف، أنهم من أشد الناس اتباعاً للأثر، ومن أبعد الناس عن الخوض في الباطل، فيجب فهم كلامهم وفقّ منهاجهم، وهو: اتباع الأثر، لا بالتأويل والنظر.

ومما يدل على أن الكلام صفة ذات باعتبار، وصفة فعل باعتبار، ما يفهم من كلام الإمام أحمد رحمته الله لما قال: «لم يزل الله متكلماً عالماً غفوراً»<sup>(٢)</sup>، وهذه العبارة تفهم على أصوله رحمته الله، وتفيد أن الصفات منها:

صفة ذاتية: ومثل لها بالعلم.

وصفة فعلية: ومثل لها بالمغفرة.

وذكر أيضاً التكلم وهو يشبه العلم من حيث هو وصف قائم به، لا يتعلق بالمخلوق، ويشبه المغفرة من حيث هو متعلق بالشيئة<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن تبين لنا تقسيم الصفات إلى ذاتية، وفعلية، أتكلم على تعلق صفة الكلام بذات الله تعالى في المسألة الآتية.

(١) الصفدية ٨٤/٢، وانظر: المجموع ١٠٥/١٢.

(٢) المجموع ١٥٩/٦.

(٣) انظر: المجموع ١٥٩/٦ - ١٦٠.



## المسألة الأولى: تعلق هذه الصفة بالذات:

الصفات المتعلقة بذات الله تعالى، قائمة به، أزلية بأزليته، وباقية ببقائه ﷻ، لم يزل متصفا بها، ولا يزال كذلك، وهذا معنى تعلق صفة الكلام بذات الله تعالى - لأنها باعتبار النوع من الصفات الذاتية - وأن الرب سبحانه لم يتجدد له هذه الصفة، بمعنى أنه لا يقال: إن الله لم يكن قادرا على الكلام ثم تكلم، وأنه لم يكن متصفا بالكلام ثم اتصف به؛ لأن الله ﷻ هو الخالق قبل أن يخلق، وهو الرازق قبل أن يرزق، فكذا هو متكلم سبحانه قبل أن يكون منه آحاد الكلام، ولا يكتسب صفة لم يكن متصفا بها أزلا، فهو سبحانه بصفاته الأول والآخر.

قال أبو جعفر الطحاوي ﷻ: «ما زال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يزد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليا، كذلك لا يزال عليها أبديا»<sup>(١)</sup>، قال العلامة ابن أبي العز الحنفي ﷻ: «أي أن الله ﷻ، لم يزل متصفا بصفات الكمال، صفات الذات، وصفات الفعل، ولا يجوز أن يُعتقد أن الله وُصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها»<sup>(٢)</sup>.

فالله ﷻ متكلم أزلا، ولا يزال متكلما أبدا، وذلك حسب مشيئته، قال الإمام أحمد ﷻ: «إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاما، ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علما، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة...»<sup>(٣)</sup>.

فبين الإمام ﷻ أن الله ﷻ متكلم، ويتكلم إذا شاء، ونفى أن يكون الكلام صفة له بعد أن لم يكن، وقاسه على العلم الذي هو من صفات الذات مطلقا، وهذا معنى تعلق صفة الكلام بالذات.

(١) الطحاوية ص ٩٦ مع شرح ابن أبي العز الحنفي.

(٢) شرح الطحاوية ٩٦/١.

(٣) المجموع ١٥٤/٦ - ١٥٥.

قال عبد العزيز الكناني<sup>(١)</sup> رحمه الله: «ثم ذكر جل ذكره كلامه، كما ذكر نفسه، ودل عليه مثل ما دل على نفسه، ليُعلم الخلق أنه من ذاته، وأنه صفة من صفاته»<sup>(٢)</sup>.

والتكلم عند السلف وأتباعهم - بل وجهور العقلاء - مَنْ قام به الكلام، ولا يعقل متكلم لم يقم به الكلام، فإذا قيل: كلام الله قائم بذاته أي: هو المتكلم به لا غيره.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والسلف والأئمة لما عرفوا حقيقة مذهبهم - أي الجهمية - عرفوا أن هذا كفر، وأن هذا في الحقيقة تعطيل للرسالة، وأنه يمتنع أن يكون متكلمًا بكلام لا يقوم به، بل بغيره، كما يمتنع أن يكون عالماً بعلم لا يقوم به، بل بغيره، وأن يكون قادراً بقدرته لا تقوم به، بل بغيره»<sup>(٣)</sup>.

فكلام الله قائم بذاته، وهذا وجه شبهه بالعلم، وإن كان آحاد الكلام متعلقا بمشيئته واختياره.

وهنا وصفان، لا بد من وَضْعِهما في الأذهان، حين القول في الكلام والقرآن، وهما:

١- الفعل الاختياري.

٢- قيامه بذات الباري.

ولا تنقطع حجج الخصوم، من أهل البدع والكلام المذموم، إلا باعتبار هذين الوصفين، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فهؤلاء - أي السلف - إذا قالوا: المتكلم من قام به الكلام، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، خصموا المعتزلة، وانقطعت حججهم عنهم، فإنهم - أي السلف - اعتبروا الوصفين جميعاً.

(١) هو الحجة المناظر: عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم الكناني المكي، كان يلقب بالغول، وكان ممن اختلف بالشافعي، وأخذ عن ابن عيينة وغيره، وقدم بغداد في خلافة المأمون لمناظرة بشر المريس الجهمي الضال، وقد أفحمه في المنقول والمعقول، وقصة مناظرته مشهورة، توفي سنة ٢٤٠هـ تقريباً. انظر: الفهرست لابن النديم ص ٣٢٠، طبقات الشافعية للسبكي ١٤٤/٢ - ١٤٥، تقريب التهذيب ص ٣٠٠.

(٢) كتاب الحيدة ص ٢١.

(٣) شرح الأصبهانية ص ٤٢٣، وانظر: ص ٥٤٦.

فمن جعل المتكلم من قام به الكلام، وإن لم يكن متكلماً بمشيئته وقدرته - كقول الأشاعرة ومن وافقهم -، أو جعله من فعله بمشيئته وقدرته، وإن لم يكن قائماً به - كقول المعتزلة ومن وافقهم - حذف أحد الوصفين<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتبين أنه لا يعقل كلام إلا وهو قائم في محل، وهو بحسب المحل القائم به، فإن قام بالخلق، وتكلم به المخلوق ابتداء فهو مخلوق كمحله الذي ظهر منه، وإن قام بذات الرب ﷻ، وتكلم به فهو كلامه، وليس شيء منه مخلوق، و « السلف وأئمة السنة يقولون: إنه صفة ذات، وصفة فعل، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، كلاماً قائماً بذاته، وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم - أي من حيث المعنى لا من حيث التكيف - فكل من وصف بالكلام كالملائكة، والبشر، والجن، وغيرهم، فكلامهم لا بد أن يقوم بأنفسهم، وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم<sup>(٢)</sup>، والله المثل الأعلى، فهو بكل كمال أولى.

ومن الأدلة على أن الله ﷻ موصوف بأنه متكلم أزلاً، ما يأتي<sup>(٣)</sup>:

١- أن الله ﷻ لو لم يكن متصفاً بالكلام أزلاً، لاتصف بضده، وهو الخرس، والخرس آفة يُنزّه الله ﷻ عنها؛ فهذه الحجة « تدل على مذهب السلف، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء، وكيف شاء، فيدل على أن نوع الكلام قديم<sup>(٤)</sup> ».

٢- إذا قُدِّرَ وجود حيٍّ لا يقدر على الكلام، ولا يتكلم بنفسه، كان ذلك دلالة على عجزه، وكان بمنزلة الزمّين والأخرس، كما لو قدر حي لا يسمع، ولا يبصر، ثم سمع وأبصر، فلا شك أنه كان قبل موصوفاً بالصمم والبكم، والله منزّه عن ذلك كله، فثبت أنه متصف بالكلام أزلاً، كاتصافه بالسمع والبصر أزلاً، وأنه يتكلم متى شاء سبحانه، لم يمنعه آفة ولا عيب.

(١) شرح الأصهبانية ص ٤٣٩.

(٢) المجموع ٦/٢١٦.

(٣) سبق ذكر كثير من الأدلة على أن الله ﷻ متكلم، في المطلب الأول من هذا البحث.

(٤) المجموع ٦/٢٩٢، وانظر منه: ١٢/٣٧٢.

٣- أن القدرة على الكلام صفة كمال، كما أن العلم، والقدرة، والحياة، صفة كمال، ومن المعلوم أن من قدر على الكلام، كان أكمل ممن لا يقدر عليه، ومن كان قادراً متكلماً أزلاً، فهو أكمل ممن تكلم بعد أن لم يكن قادراً أزلاً، والله ثبت له صفات الكمال على الدوام، فهو موصوف بها أزلاً وأبداً وهو ذو الجلال والإكرام، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «فمن المعلوم أن من يتكلم بقدرته ومشيتته، فهو أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته وقدرته، بل يكون الكلام المعين لازماً لذاته، ومن المعلوم أن من لم يزل متكلماً إذا شاء، فهو أكمل ممن كان لا يمكنه الكلام ثم صار يمكنه»<sup>(١)</sup>، فالله سبحانه لم يزل قادراً على الكلام، لم يزل متكلماً إذا شاء، ولم يزل موصوفاً بصفات الكمال، منعوتاً بنعوت الجلال.

٤- إذا قُدر أنه لم يكن قادراً على الكلام أزلاً، ولم يكن يستطيع الكلام ثم قُدر على الكلام، لزم أن يكون الرب سبحانه مفتقراً ناقصاً، حتى اكتمل بتلك الصفة التي لم يكن موصوفاً بها، والرب تعالى لا يفتقر إلى شيء، بل له الكمال المطلق، وهو الأحد الصمد، المستغني عن كل ما سواه، فهو - سبحانه - بصفاته وذاته أزلي، بل اتصافه بصفات الكمال من لوازم ذاته<sup>(٢)</sup>.

٥- مما يدل على كون الرب سبحانه موصوفاً بالكلام أزلاً، كونه متّصفاً بالكلام أبداً، قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، «والمقصود أن كلمات الله باقية، لا تنفذ أبداً، تامة لا تنقص أبداً، وذلك لأن كلامه صفته، وليس من صفاته شيء ينفد، ولذا أخبرنا تعالى أن جميع أشجار الأرض لو كانت أقلاماً، والبحار وأضعافها مداداً يكتب بها كلماته لنفدت كلها، وكلماته باقية لا تنفذ، وذلك لأن الأشجار والبحار مخلوقة، والمخلوقات من لازمها النفاذ والفناء، وكلمات الله صفته،

(١) الصفدية ٦٦/٢، وانظر: منهاج السنة ٣/٣٦٠، شرح الأصبهانية ص ٤٤٠، المجموع ٥٢/١٢، العين والأثر ص ٦٨.

(٢) انظر: المجموع ٢٩٤/٦-٢٩٥، ١٢/١٥٨.

وليس من صفاته شيء يفنى، بل هو الباقي بأسمائه و صفاته أزلا و أبدا»<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أُخْرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، وهذه الآية كالأية السابقة، دالة على ما دلت عليه، من بقاء كلمات الله، وعدم نفاذها، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «وقد قال غير واحد من العلماء: إن مثل هذا الكلام يُراد به الدلالة على أن كلام الله لا ينقضي، ولا ينفد، ولا نهاية له»<sup>(٢)</sup>.

٦- قول أئمة السنة واتفقهم على أن الله سبحانه، متصف بالكلام أزلا، وأنه يتكلم متى شاء، وأن كلامه قائم بذاته سبحانه، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «فإن السلف وأئمة السنة والحديث يقولون: يتكلم بمشيئته وقدرته، وكلامه ليس بمخلوق، بل كلامه صفة له قائمة بذاته، ومن ذكر أن ذلك قول أئمة السنة، أبو عبد الله بن منده<sup>(٣)</sup>، وأبو عبد الله بن حامد<sup>(٤)</sup>، وأبو بكر عبد العزيز<sup>(٥)</sup>، وأبو إسماعيل الأنصاري<sup>(٦)</sup>، وغيرهم،

(١) معارج القبول ١/ ٣٢٥.

(٢) منهاج السنة ٣/ ٣٦٠، وانظر: الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص ٣٢، والمجموع ١٢/ ٣٠٤.

(٣) هو الإمام الحافظ: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده الأصبهاني، طلب العلم في الصغر، وجد في طلب الأثر، قال عن نفسه: «طففت الشرق والغرب مرتين، فلم أقرب إلى كل مذهب، ولم أسمع من المتبعين حديثا واحدا»، له مؤلفات كثيرة منها: كتاب الإيثار، والرد على الجهمية، كتاب التوحيد، ومؤلفات أخرى، توفي رحمته الله سنة ٣٩٥هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ١٤٢ - ١٤٣، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨ - ٤٣، طبقات الحفاظ ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٤) هو شيخ الحنابلة ومفتيهم في زمانه: أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي الوراق، كان متمسكا بمرويات الإمام أحمد، وكان كثير الحج، يقات من عمل يده في نسخ الكتب، ومن أشهر تلامذته القاضي أبو يعلى الحنبلي، توفي مقتولا عند قفوله من الحج في الطريق سنة ٤٠٣هـ من مؤلفاته: "الجامع"، وشرح أصول الدين. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ١٤٥ - ١٥١، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٠٣ - ٢٠٤، شذرات الذهب ٣/ ١٦٦ - ١٦٧.

(٥) هو العلامة شيخ الحنابلة: أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزيد البغدادي، المعروف بغلام الخلال، ولد سنة ٢٨٥هـ، وسمع في صباه، وتفقه على أبي بكر الخلال، وكان صاحب سنة وعبادة، وجاه عند السلطان ومكانة، له مؤلفات منها: "المقنع" و"مختصر السنة"، توفي سنة ٣٦٣هـ. انظر: تاريخ بغداد ١٠/ ٤٥٩ - ٤٦٠، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ١٠٥ - ١١١، السير ١٦/ ١٤٣ - ١٤٥.

(٦) هو شيخ الإسلام الحافظ الإمام: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري

وكذلك ذكر أبو عمر بن عبد البر نظير هذا في الاستواء، وأئمة السنة كعبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وعثمان بن سعيد الدارمي<sup>(١)</sup>، ومن لا يحصى من الأئمة، وذكره حرب بن إسماعيل الكرماني<sup>(٢)</sup>، عن سعيد بن منصور<sup>(٣)</sup>، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم<sup>(٤)</sup> وسائر أهل السنة والحديث متفقون على أنه متكلم بمشيئته، وأنه لم يزل متكلمًا إذا شاء، وكيف شاء<sup>(٥)</sup>.

فالله تعالى أزالا موصوف بأنه متكلم، وكلامه قائم به، وأما أنه يتكلم متى شاء، إذا شاء، فهذا أبينه في المسألة الآتية.

### المسألة الثانية: تعلق هذه الصفة بالمشيئة.

مذهب السلف ومحققى الأئمة، أن الكلام من صفات الذات باعتبار كون الرب ﷻ متصفا به أزلا، وقادرا عليه أبدا، وأن كلامه قائمٌ به حقا، ووصفٌ له صدقا، وهو

الهَرَوِي، ولد سنة ٣٩٦ هـ، روى عن كثيرين، وعنه كذلك، كان سيفًا مسلولا على المتكلمين، لا يسكت عن المخالفين، ولو كان فيه قطع الوتين، ومن مؤلفاته المشهورة "ذم الكلام"، و"منازل السائرين" وفيه بعض الموافقات للصوفية، انتقدها ابن القيم بأدلة وروية في كتابه مدارج السالكين، توفي أبو إسماعيل رحمه الله سنة ٤٨١ هـ. انظر: دمية القصر ٨٨/٢، طبقات الحنابلة ٢١٢/٢ - ٢١٣، السير ١٨/٥٠٣ - ٥١٨.

(١) هو الحافظ الناقد: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمي الدارمي، طاف الأقاليم، ولقي خلقا كثيرا في بلاد العرب والعجم، كان لهجا بالسنة، بصيرا بالمناظرة، قوي الحجة والكتابة، ومن مؤلفاته المشهورة: "الرد على بشر المريسي" و"الرد على الجهمية" توفي سنة ٢٨٠ هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/٢٠٩، السير ١٣/٣١٩ - ٣٢٦، طبقات الحفاظ ص ٢٧٤.

(٢) هو العلامة الفقيه: أبو محمد حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني، طلب العلم من الأكابر، واختص بالإمام أحمد بن حنبل، ومسائل "حرب" من أنفس مرويات الحنابلة، توفي سنة ٢٨٠ هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/١٣٦ - ١٣٧، السير ١٣/٢٤٤ - ٢٤٥، طبقات الحفاظ ص ٢٧٤.

(٣) هو الحافظ الإمام: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني ثم المكي، سمع من خلق كثير، وروى عنه الخلق العفير، وكان من أئمة الحديث، صنف "السنن" مات في مكة سنة ٢٢٧ هـ. انظر: الجرح والتعديل ٤/٦٨، السير ١٠/٢٨٦ - ٥٩٠، تقريب التهذيب ص ١٨١.

(٤) هو الإمام ابن راهويه الحنظلي.

(٥) المجموع ٦/٢١٨.

صفة فعل باعتبار كون الرب ﷻ يتكلم متى شاء، إذا شاء، مع من شاء.

والسلف بينوا أن جنس الكلام ونوعه متصف به الرب أزلا، وأما آحاد كلامه ﷻ فهو متعلق بمشيئته، فالله لم يزل متكلمًا إذا شاء، فمن فهم قول السلف، وفرق هذا التفريق بين النوع والآحاد، زالت عنه الشبهات في هذه المسألة التي اضطرب فيها أهل الجهالات والانحرافات<sup>(١)</sup>.

وقول السلف وأهل الحديث في هذه المسألة - وفي الصفات الفعلية - قائم على

مقدمتين:

الأول: أن الرب ﷻ يتصف بالأمر الاختيارية، فهو متكلم متى شاء، من شاء، ويرحم متى شاء، من شاء، ويغفر متى شاء لمن شاء.

الثاني: أن كلامه وفعله لا نهاية له<sup>(٢)</sup>.

فالصواب الذي لا مرية فيه أن الله ﷻ، لم يزل متكلمًا إذا شاء، تكلم مع الملائكة والمرسلين في الدنيا، وسيتكلم معهم، ومع أوليائه الصالحين في الآخرة، فكلامه مع آدم ﷺ في وقت، وكلامه مع موسى ﷺ في وقت آخر، والتوراة من آحاد كلامه كما الإنجيل والقرآن، وهذه الكتب متعددة متنوعة.

ومن الأدلة على أن الله يتكلم متى شاء، مع من شاء:

١- قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١] فأخبر ﷻ أن أمره الملائكة بالسجود كان بعد خلق آدم ﷺ وتصويره، ولم يأمرهم قبل ذلك، وكذا يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] فأخبر أنه قال له: كن فيكون بعد أن خلقه وصوره، و(ثم) لا تكون إلا للشيء بعد الشيء، قال إمام المفسرين الطبري رحمه الله - بعد أن

(١) انظر: المجموع ٥٤/١٢، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/١٣٤.

(٢) انظر: منهاج السنة ٣/٣٥٩، شرح الأصبهانية ص ١٦١.

استدل بما يكفي ويشفي، على أن "ثم" للترتيب والتراخي<sup>(١)</sup>، ف«غير جائز أن يكون أمرُ الله الملائكة بالسجود لآدم كان، إلا بعد الخلق والتصوير... فإنه يقول جل ثناؤه: فلما صورنا آدم، وجعلناه خلقاً سوياً، ونفخنا فيه من روحنا، قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ابتلاء منا، واختباراً لهم بالأمر، ليُعلم الطائع منهم من العاصي، ﴿فَسَجَدُوا﴾ يقول: فسجد الملائكة إلا إبليس فإنه لم يكن من الساجدين لآدم حين أمره الله مع من أمر»<sup>(٢)</sup>، فمثل هذا الخبر كثير: في كون الرب ﷻ تكلم في وقت معين، ونادى في وقت معين، وأمر في وقت معين، لا في الأزل، قبل أن يكون هذا الترتيب لمثل هذه الأمور<sup>(٣)</sup>.

٢- قول الله ﷻ: ﴿فَدَلَّيْنَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]؛ فثبت بهذا النداء أنه ﷻ تكلم في وقت معين، وأنه كان بعد الأكل من الشجرة، ولم ينادهما قبل ذلك بهذا الخطاب<sup>(٤)</sup>.

٣- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُقَ إِلَيَّ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا هَئِلَتْ غَوًى جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْسُقُ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [الفصل: ٣٠- ٣١]، فنادى الرب ﷻ كلمه موسى ﷺ حينما أتاه، ولم يناده قبل ذلك، وأمره بإلقاء العصا بعد النداء، ثم لما ولى مدبراً، ناداه بعد متلطفاً، وهذا معلوم من السياق، يعرفه كل من تدبر في الآيات، ممن لم تتدنس فطرته وعقله بالشبهات، «وفي هذا أعلى دلالة وأبينها، وأوضحها، على ثبوت صفة الكلام لربنا ﷻ، وأنه يتكلم إذا شاء، بما يشاء، وكيف شاء، بكلام يُسمعه من يشاء، أسمعته موسى ﷺ كيف شاء، وعلى ما أراد»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر لمعرفة أنها للترتيب: المفردات للراغب الأصبهاني ص ٨٧، الفصل للزمخشري ص ٣٠٤، مغني

الليبي عن كتب الأعراب لابن هشام ١١٧/١-١١٨.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ٤٣٨/٥.

(٣) انظر: المجموع ٢٢٢/٦، ١٢/٥٨٨، ١٣/١٣٢.

(٤) انظر: المجموع ٢٢٣/٦، ١٢/٥٨٨.

(٥) معارج القبول ٣١٦/١، وانظر: المجموع ٢٢٣/٦، ١٢/٥٨٨، شرح الواسطية للفوزان ص ٨٨.



ولم يثبت عن أحد من السلف، القول بأزلية الصوت، والنداء لموسى ﷺ<sup>(١)</sup>، قال شيخ الإسلام ﷺ: «ونحن لا نقول: كلم موسى بكلام قديم، ولا بكلام مخلوق، بل هو سبحانه يتكلم إذا شاء، ويسكت إذا شاء، كما أنه ﷺ... يأتي في ظلل من الغمام... وأمثال ذلك في القرآن والحديث كثيرة، يبين الله ﷻ أنه إذا شاء فعل ما أخبر عنه من تكليمه، وأفعاله القائمة بنفسه، وما كان قائما بنفسه هو كلامه، لا كلام غيره... وليس من ذلك شيء مخلوقا»<sup>(٢)</sup>.

٤- قول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، ويفسر هذه الآية حديث أبي هريرة ؓ قال: [إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا: الحق، وهو العلي الكبير]<sup>(٣)</sup>، دلت الآية والحديث على أنه ﷺ تكلم في وقت معين، ومثله قوله ﷺ: [إن الله ﷻ إذا أحب عبدا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض]<sup>(٤)</sup>، ففي هذا دليل على أن الملائكة تسمع صوت الرب ﷻ، وأنه يكلمهم بما يريد، في أي وقت شاء سبحانه<sup>(٥)</sup>.

٥- ثبت في الكتاب والسنة أن الله تعالى يكلم الرسل والملائكة، وعباده يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّا كُنَّا نُنْذِرُ عِلْمَ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءَ بِإِكْرَمٍ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠] وقوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ الْمُرْسَلِينَ﴾

(١) انظر: الصفدية ٦٧/٢ - ٦٨، المجموع ٨٦/١٢، ٨٦/١٧.

(٢) المجموع ٥٢٩/١٢، وانظر: منهاج السنة ٣٦٢/٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ﴾...، ح (٧٤٨١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب/ كلام الرب تعالى مع جبريل...، ح (٧٤٨٥)، وسبق تخريج الحديث.

(٥) انظر: معارج القبول ٣١٦/١ - ٣١٧.

[القصص: ٦٥] وقوله: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] وقوله: ﴿أَحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

والآيات في كتاب الله ﷻ كثيرة، تدل على أنه ﷺ يتكلم في وقت معين، بكلام معين، فإن «القرآن فيه مئون من الآيات تدل على هذا الأصل، وأما الأحاديث فلا تحصى، وهذا قول أئمة السنة والسلف، وجهور العقلاء، ولهذا قال الإمام عبد الله بن المبارك، والإمام أحمد بن حنبل وغيرهما: لم يزل متكلمًا إذا شاء، وكيف شاء، وهذا قول عامة أهل السنة»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام البخاري رحمه الله: «باب كلام الرب تعالى مع جبريل، وندائه الملائكة»<sup>(٢)</sup> وقال: «باب كلام الرب تعالى مع الأنبياء وغيرهم يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>، وقال: «باب كلام الرب مع أهل الجنة»<sup>(٤)</sup>.

فهذا كله يدل على أن الرب ﷻ يتكلم بمشيئته في أي وقت شاء، فهو ﷻ:

لم يزل بصفات الفعل متصفا      وبالكلام بعيدا في تقربه  
سبحانه لم يزل ماشاء يفعله      في كل ما زَمَنَ ما من معقه  
نوع الكلام كذا نوع الفعال قدي      سم لا المعين منه في ترتبه<sup>(٥)</sup>

٦ - ما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حجة النبي ﷺ [فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] أبداً بما بدأ الله به؛ فبدأ بالصفا]<sup>(٦)</sup>، فأخبر النبي ﷺ أن الله بدأ بالصفا قبل المروة، مما يدل على أن الكلام كان

(١) المجموع ١٣/ ١٣٢، وانظر: المجموع ٦/ ٤٢٤.

(٢) كتاب التوحيد من صحيحه، باب (٣٣)، ص ١٥٧٠.

(٣) كتاب التوحيد من صحيحه، باب (٣٦)، ص ١٥٧٤.

(٤) كتاب التوحيد من صحيحه، باب (٣٨)، ص ١٥٧٨.

(٥) أبيات في الرد على السبكي ليوסף بن محمد السرمري، كما في مقدمة منهاج السنة ١/ ١١٧.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب/ حجة النبي ﷺ، ح (١٢١٨).

في وقت معين، وأن البدء في الذكر كان للصفة<sup>(١)</sup>.

ويوضح هذا قول الإمام أحمد وغيره من الأئمة: «لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، يتكلم بشيء بعد شيء»<sup>(٢)</sup>.

وبعد سرد هذه الأدلة<sup>(٣)</sup>، أورد بعض التنبيهات حتى يتجلى الأمر في هذه المسألة:

التنبيه الأول: أن السلف يقولون: إن الله تعالى يتكلم بمشيئته وقدرته، وكلامه أحسن الحديث، وليس بمخلوق، باتفاق السلف، ويسمى حديثًا، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ [الزمر: ٢٣] وقال: ﴿فَدَرَى وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ﴾ [الفلم: ٤٤] وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وهل كلام الله تعالى يسمى محدثًا؟ فيه قولان لأهل السنة، مشهوران في الكتب وعلى الألسنة، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «والنزاع في ذلك بين أهل السنة "لفظي" فإنهم متفقون على أنه ليس بمخلوق منفصل، ومتفقون على أن كلام الله قائم بذاته، ... أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته»<sup>(٤)</sup>.

وسبب النزاع هو: هل كل محدث مخلوق؟ أم لا يلزم ذلك؟

ومعلوم أن كل مخلوق «فهو محدثٌ وحادثٌ باتفاق أهل اللغة، وأهل الكلام، وأما أن كل حادثٌ ومحدثٌ فهو مخلوق؟ فهذا مما تنازع فيه أهل الكلام.

والنظرُ واللغةُ لا يوجبان أن يكون كل ما كان حادثًا يسمى مخلوقًا، لأن المخلوق هو الذي خلقه غيره، والخلق يجمع معنى الإبداع، ومعنى التقدير<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: المجموع ١٢/٥٨٩.

(٢) المجموع ١٢/٥٨٨.

(٣) مضى شيء من الأدلة في المطلب الأول من هذا البحث.

(٤) المجموع ٥/٥٣٢ - ٥٣٣.

(٥) انظر: مقاييس اللغة ص ٣٢٩، والمفردات للراغب ص ١٦٣ - ١٦٤، والمصباح المنير ص ١٨٠.

وأما لفظ "حادث" فلا يقتضي أنه "مفعول"، ولو قيل: "محدث" فمعنى الخلق أخص من معنى الحدوث<sup>(١)</sup>.

ولفظ "محدث" كلفظ "موجود"، فلفظ الموجود يطلق على ذات الباري ﷻ، من حيث الإخبار، لا يلزم أن يكون هناك موجد<sup>(٢)</sup>، فكذلك لفظ "محدث" يطلق على صفة الكلام، ولا يلزم أن يكون مفعولا مخلوقا، بل هو كلامه، وصفته ﷻ.

واللغة التي نزل بها القرآن، هو أن المحدث خلاف القديم<sup>(٣)</sup>، ويطلق المحدث على الشيء الجديد، ولو كان نسبيا، فالمتأخر محدث بالنسبة للمتقدم، أي جديد<sup>(٤)</sup>، «وكان القرآن ينزل شيئا فشيئا، فما تقدم نزوله فهو متقدم على ما تأخر نزوله، وما تأخر نزوله محدث بالنسبة إلى ذلك المتقدم، ولهذا قال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢٠] فدل أن الذكر منه محدث - أي جديد - ومنه ما ليس بمحدث<sup>(٥)</sup>.

فلما وصف الذكر بأنه محدث، دل على أن منه ما هو غير محدث، وليس المحدث في الآية المراد به المخلوق، كما يقوله المبتدعة، بل المراد الذي أنزل جديدا، فإن القرآن كان ينزل شيئا بعد شيء، فالمنزل أولا هو قديم بالنسبة إلى المنزل آخر<sup>(٦)</sup>.

فالكمي قديم بالنسبة إلى الآي المدني، وما نزل في حجة الوداع وبعدها جديد بالنسبة إلى ما قبلها، والقرآن حديث بالنسبة إلى الكتب التي قبله، كما قال حبر الأمة عبد الله بن عباس ؓ: [كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم، وعندكم كتاب الله، أقرب الكتب عهدا بالله، تقرأونه محضا لم يُشَب] وفي رواية [وكتابتكم الذي أنزل الله

(١) الصفية ١/ ٢٤٠، ٨٣/ ٢، ١٥٩.

(٢) لأنه يطلق والمراد به أنه ﷻ حق وثابت وله وجود حقيقي، انظر: الصفية ١/ ١٩٩، ٨٩/ ٢.

(٣) قال شيخ الإسلام ﷻ: «وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب، كما قال: ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ وقال: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾» المجموع ١٢/ ٥٢٢.

(٤) انظر: المفردات للراغب ص ١١٧.

(٥) الصفية ٢/ ٨٥، وانظر: المجموع ١٢/ ١٠٥.

(٦) انظر: المجموع ١٢/ ٥٢٢.

على نبيكم... أحدث الأخبار بالله، محضاً لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا<sup>(١)</sup>.

وقد بوب البخاري رحمه الله باباً قال فيه: «باب قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ يُحَدِّثُ﴾ [الأنبياء: ٢٠]»<sup>(٢)</sup>.

فهذا وما سبق يدل صراحة على وصف كلام الله تعالى بالحدث، على اصطلاح أهل اللغة، لا على اصطلاح أهل الإحداث والبدعة.

ومن تلکم الأدلة أيضاً، قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ يُحَدِّثُ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥] فكلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]، قال البخاري رحمه الله: «وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: [إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة]<sup>(٥)</sup>.

فمن أطلق لفظ "الحادث" أو "المحدث" على القرآن الكريم، وكلام الرحمن الرحيم، مع اعتقاده بأنه ليس بمخلوق، فهو متمسك بظاهر النصوص، وإن كان

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾...، ح(٧٥٢٢) و(٧٥٢٣).

(٢) كتاب التوحيد من صحيحه، باب(٤٢) ص ١٥٨٠، وكان البخاري رحمه الله أراد أن يبين أن الأفعال والكلام من باب واحد، فالله يفعل متى شاء، ويتكلم متى شاء، بما شاء، فذكر الآية التي تدل على الأفعال، والآية التي تدل على الأقوال، وأن أحادها حادث، وإن كان المفعول من حيث هو مخلوق، وأما كلام الله ﷻ؛ فإنه ليس بمخلوق، وإنما ذكرهما لبيان - والله تعالى أعلم - مرادفهما في كونها متعلقين بالمشيئة.

(٣) انظر: معالم التنزيل للبغوي ١٠٧/٦.

(٤) كتاب التوحيد من صحيحه، باب(٤٢) ص ١٥٨٠.

(٥) رواه البخاري معلقاً مجزوماً به، كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾...، ص ١٥٨٠، ورواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب/ رد السلام في الصلاة، ح(٩٢٤)، والنسائي، كتاب السهو، باب/ الكلام في الصلاة، ح(١٢٢٠)، وقال الشيخ الألباني: إسناده حسن، كما في تحقيق مشكاة المصابيح ٣١٣/١.

الأولى بعد اختلاط الاصطلاحات، والبعد عن معاني الدلالات، القول بالتفصيل، فبه تجتمع الأقاويل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والإطلاقات قد توهم خلاف المقصود، فيقال: إن أردت بقولك "محدث" أنه مخلوق، منفصل عن الله... فهذا باطل، لا نقوله.

وإن أردت بقولك "محدث" أنه كلام الله، تكلم به بمشيئته، بعد أن لم يتكلم به بعينه - وإن كان قد تكلم بغيره قبل ذلك - مع أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء، فإننا نقول بذلك، وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة، وهو قول السلف، وأهل الحديث»<sup>(١)</sup>.

فينبغي أن نحمل ما جاء عن بعض السلف في إنكار لفظة "الحادث" أو "المحدث" على إنكارهم لقول من قال: إنه تكلم بكلام "حادث" بعد أن لم يكن متكلمًا. فهذا الاعتبار، وقع عليهم الإنكار، أو باعتبار أن كلمة الحادث يريد بها ما يدل على أنه مخلوق.

التنبيه الثاني: أن قول بعض أهل الحديث عن آحاد الكلام - القرآن أو غيره - بأنه "قديم" لا ينبغي أن يفهم أن عين الكلام وآحاده قديم»<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإذا قيل: كلام الله "قديم" بمعنى أنه لم يصِرْ متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا، ولا كلامه مخلوق، ولا معنى واحد قائم بذاته، بل لم يزل متكلمًا إذا شاء، فهذا كلام صحيح»<sup>(٣)</sup>.

فدل هذا على أن كلام بعض أهل الحديث الذين أثار عنهم أن القرآن "قديم" مع كونه من آحاد كلام الله، يحمل على وجهين:

الأول: أنهم أرادوا بقولهم "قديم"، أن القرآن ليس بمخلوق، كما تقوله الجهمية.

الثاني: أنهم أرادوا بقولهم "قديم"، أنه موصوف بالكلام أزلا، وأن نوع الكلام

(١) المجموع ٦/١٦٠ - ١٦١.

(٢) ولم يقل أحد من السلف: إن القرآن "قديم" بمعنى أن الله تكلم به أزلا، وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام - رحمه الله - في المجموع ١٢/٥٤، وفي غيرها.

(٣) المجموع ١٢/٥٦٦ - ٥٦٧.

قديم، خلافا لمن زعم أن الرب ﷻ تكلم بعد أن لم يكن متكلماً<sup>(١)</sup>.

وأما أن القرآن "قديم" لازم لذات الله أزلا، وأنه تكلم به أزلا، فهذا لم يقل به أحد من السلف، ولم يروه عنهم أحد من الخلف، بل هو من محدثات "الكلاية"<sup>(٢)</sup>.

فالواجب حمل كلام السلف على منهاجهم، لا على منهاج الخلف، فهم إذا قالوا: «إن كلامه "قديم"، وأنه ليس بحادث، ولا محدث يريدون نوع الكلام، إذ لم يزل يتكلم إذا شاء، وإن كان الكلام العيني يتكلم به إذا شاء»<sup>(٣)</sup>.

التنبية الثالث: أن الله ﷻ متكلم أزلا، ويتكلم إذا شاء أبداً، وهذا يدل على وصفه ﷻ بالسكوت، لأن المتكلم بمشيئته وإن كان موصوفاً بالكلام، وأنه يتكلم متى شاء، فإنه لا يتكلم إذا شاء، ووصف الرب ﷻ بالسكوت عن أشياء، في وقت ما، وردت به السنة الغراء، ومن ذلك:

١- ما جاء في الحديث المرفوع: [ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن نسياً، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا تَنْتَهِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]<sup>(٤)</sup>.

٢- قوله ﷺ: [الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه]<sup>(٥)</sup>.

(١) كما يأتي قولهم في الباب الثاني، الفصل الأول.

(٢) انظر: شرح الأصبهانية ص ٣٢٤، والكلاية: فرقة ضالة تتبع عبد الله بن سعيد بن كلاب، وهم ينفون الصفات الخبرية عن الله ﷻ، وهم أصل مذهب الأشاعرة والماتريدية، وإن كان بعد ذلك تطور المذهبان. انظر: المجموع ١١٣/٢، معجم ألفاظ العقيدة ص ٣٣٧.

(٣) المجموع ١٦١/٦ - ١٦٢، وانظر: المجموع ٣٨/١٢، ٥٤، ١٧/٨٦.

(٤) أخرجه الحاكم ٤٠٦/٢ - ٤٠٧، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الضحايا، باب/ ما لم يذكر تحريمه، ١٠/١٢ كلاهما عن أبي الدرداء ؓ، وقال الشيخ الألباني: «حسن» كما في غاية المرام ص ١٩.

(٥) أخرج الترمذي، كتاب اللباس، باب/ ما جاء في لبس الفراء، ح (١٧٢٦)، وابن ماجه، كتاب الأطعمة،

٣- ما جاء مرفوعاً: [إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم محارم فلا تنتهكوها، وحد حدوداً فلا تضيعوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها]<sup>(١)</sup>.

٤- ما زال العلماء يقولون: هذا ما نطق به الشارع، وهذا ما سكت عنه، ويقول بعضهم: هذا ما دل عليه منطوق النص، وهذا من دلالة المسكوت<sup>(٢)</sup>.

ثبتت بالسنة أن الله يوصف بالسكوت: تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه، أو عن شيء معين منه<sup>(٣)</sup>.

لكن إثبات صفة السكوت لله ﷻ ينبغي أن يكون من غير توهم نقص، ولا تشبيه، ولا رد للنصوص، فهو سبحانه يتكلم متى شاء، مع من شاء.

وكما أنه ليس له مثل ولا شبيه في ذاته، فكذلك في سائر صفاته، ومن تلکم الصفات "الكلام" فهو ﷻ تكلم ويتكلم، من غير تشبيه، وهذا ما سألني في المسألة الآتية.

### المسألة الثالثة: نفي التشبيه في الصفة.

لما تبين أن الله ﷻ يتكلم متى شاء، إذا شاء؛ فإن ذلك لا يلزم منه النقص والعيب في كلام الله ﷻ. ولهذا فإن التشبيه في صفة الكلام لله ﷻ مُستَفْتٍ تماماً؛ فإن من العقائد السلفية، أن الذات العلية، ليس لها نِدٌّ ولا مشابهة في الكيفية، وكذلك الصفات العلا،

باب/ أكل الجبن والسمن، ح(٣٣٦٧) والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الضحايا، باب ما لم يذكر تحريمه... ١٢/١٠، كلهم عن سلمان الفارسي ؓ، ونحوه أبو داود عن ابن عباس ؓ موقوفاً، كتاب الأطعمة، باب ما لم يذكر تحريمه، ح(٣٨٠٠)، قال الألباني في حديث سلمان: «وخلاصة القول... إنه موقوف... إلا أن الحديث في المعنى كالذي قبله». انظر: غاية المرام ص ٢١.

(١) رواه البيهقي في سننه، كتاب الضحايا، باب ما لم يذكر تحريمه... ١٢/١٠، وقال النووي: «حديث حسن» كما في الأربعين النووية، وعقبه ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص ٢٠٠، وقال الألباني: «ضعيف» كما في غاية المرام ص ٢١، ولكن الحديث يشهد له الحديث الأول - والله تعالى أعلم -.

(٢) انظر: المجموع ١٧٩/٦، تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزي الكلبي الغرناطي ص ١٦٩.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص ٢٠٣، المجموع ١٧٩/٦، ١٢/٥٢٩.



ليست مشابهة لصفات أحد من الوري، كما قال ﷺ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١]، وقال: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ» [الإخلاص: ١-٢].

فالمفارقة بين صفات الخالق والمخلوق جلية كمفارقة ذات الخالق لذات المخلوق، «فالعلم بكيفية الصفة مستلزما للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تُعلم كيفية صفة لموصوف لم تُعلم كيفية»<sup>(١)</sup>.

والخوض في كفيات الصفات، وإعمال العقول فيها يكون من المحالات، وهو سبب للضلالات والانحرافات.

فالله ﷻ أعلمنا أنه يتكلم ولم يعلمنا كيف يتكلم، فالواجب التسليم والإذعان، وصفة الكلام كغيرها من الصفات وصفة بأوصاف تدنيها إلى الأفهام، وتقربها إلى عقول الأنام، ومنها: أن الرب ﷻ يتكلم بصوت وحرف، وأن كلامه يُسمع، وأن لكلامه أولا وآخر<sup>(٢)</sup>، وأنه يتكلم بمشيئته واختياره، وهذا كله ينبغي أن يفهم على وجهين:

الوجه الأول: أن الاشتراك العام في المعنى، لا يلزم منه التشبيه في الصفة، فالحياة مثلا من حيث التواطؤ اللفظي معلوم معناه، وأنه ضد الموت، وهذا هو القدر العام الذي يعرف بالتواطؤ في اللفظ، ثم إذا أضيفت فهي في كل موضع بحسبه، فمثلا حياة الخالق ليست كحياة المخلوقين، وحياة المخلوقين فيما بينهم مختلفة كل بحسبه، فحياة الملك ليست كحياة آحاد الرعية، وحياة الرجل ليست كحياة الحيوان، وهكذا كلما أضيف اللفظ اختص المعنى، وعُلِمَ الفارق<sup>(٣)</sup>.

وكذلك الكلام، فهو من حيث المعنى العام، أو التواطؤ اللفظي معلوم، وهو ضد الخرس، وإذا أضيفت اكتسبت خصائص المضاف إليه، ف«الاتفاق في أصل الحقيقة ليس بتشبيه، كما أن إدراك البصر، بأنه إدراك المبصرات، والسمع في أنه إدراك

(١) المجموع ١١٤/٥، وانظر: الرسالة الواضحة ٦٠٦/٢-٦٠٧.

(٢) وقد سبق ذكر الأدلة الدالة على هذا في المطلب الأول من هذا البحث.

(٣) انظر: المجموع ٦٦/١٢.

المسموعات، والعلم في أنه إدراك المعلومات ليس بتشبيه، كذلك هذا»<sup>(١)</sup>.

ومن الأدلة على نفي التشبيه على وجه التفصيل ما يأتي:

أ - لا يلزم من كون الرب ﷻ يتكلم بصوت التشبيه، ويدل له أن «التفاوت الذي بين صفات الخالق والمخلوق، أعظم من التفاوت بين أدنى المخلوقات وأعلاها، فإذا كان سمع التابعين لكلام النبي ﷺ من الصحابة، ليس كسمع الصحابة من النبي ﷺ، فسماع كلام الله من الله أبعد من مماثلة سماع شيء لشيء من المخلوقات»<sup>(٢)</sup>.

فكلام الله ﷻ إذا سُمع من الله كحال موسى ﷺ، ليس كحال من سمع بواسطة من خلقه، وهذا فرق بين الحالين، والكلام واحد، كذلك الكلام إذا سمع من الرسول ﷺ فالحال، ليس كما لو سمعنا أحاديثه بواسطة.

قال شيخ الإسلام ﷻ: «إذا كان هذا الفرق ثابتاً في كلام المخلوق مسموعاً، ومبلغاً عنه، فثبوته في كلام الله أولى وأحرى، فإنه ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا يمكن أن يكون تكلمه به، وسماعه مما يعرف له نظير، ولا مثال.

ولا يقاس ذلك بتكلم النبي ﷺ، وسماع الكلام منه، فإن النبي ﷺ بشر، يمكننا أن نعرف صفاته، والرب تعالى لا مثال له، وهو أبعد عن مماثلة المخلوقات، أعظم من بعد مماثلة المخلوقات أدناها»<sup>(٣)</sup>.

ب - أن الصوت الذي يتكلم الله به، لا يماثل صوت المخلوقين، وكلام الله شامل لنظمه ومعانيه، وذلك الكلام ليس ككلام المخلوقين، بدليل أنه يسمعه من قُرب كما يسمعه من بُعد<sup>(٤)</sup>.

ت - إذا كان المؤمن المصدق يوقن أن الأيدي تنطق، ولا نعرف كيف تنطق، فالله ﷻ أجل من ذلك، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ

(١) العين والأثر ص ٨٧.

(٢) المجموع ٥٣٩/١٢.

(٣) المجموع ٥٤٩/١٢، وانظر: دقائق التفسير ١٨٨/٢.

(٤) انظر: المجموع ٧٧/١٢، وانظر الدليل على ذلك في المطلب الأول.

أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ [يس: ٦٥].

والجبال الراسيات، الصم الشاخات، تسبح ولا نعرف كيف تسبح، قال تعالى:  
﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، فالله ﷻ أولى بأن لا نعلم كيف  
يتكلم، وهو سبحانه العلي الأعلى، ذو الصفات العلى.

قال الإمام أحمد رحمته الله: «أُتِرَها سَبَّحَتْ بجوف وفم ولسان وشفَتين؟...  
ولكن الله أنطقها كيف شاء، وكذلك الله تكلم كيف شاء، من غير أن نقول بجوف،

ولا فم، ولا شفَتين، ولا لسان» (١).

ث - قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْجُلُودُ هُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ  
كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١] فالجلود تشهد، وتنطق، ولا نعلم كيف تنطق، فالله أجل من  
ذلك، ومن هذا الباب تسبيح الحصا، والطعام، وسلام الحجر وتكليمه، كما ثبتت  
السنة بذلك (٢).

فالْمَوْمن يُصدق هذا، فليؤمن بكلام الله الذي أنطقها، وهو على كل شيء قدير،  
بأنه تكلم من غير أن يكون له نظير.

قال حنبل بن إسحاق (٣): قلت لأبي عبد الله - أي الإمام أحمد -: «آله ﷻ  
يكلم عبده يوم القيامة؟؟ قال: نعم، فمن يقضي بين الخلائق إلا الله ﷻ، يكلم عبده

(١) الرد على الزنادقة والجهمية ص ٤٥، وانظر: المجموع ١٥٤/٦.

(٢) وذلك مروي في عدة أحاديث منها:

١ - [تقاتلون اليهود، حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول: يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله] رواه

البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب/ قتال اليهود، ح (٢٩٢٥، ٢٩٢٦).

٢ - [إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن] مسلم، كتاب الفضائل،

باب/ فضل نسب النبي...، ح (٢٢٧٧).

٣ - [فحن الجذع فأنه، فمسح يده عليه...] رواه البخاري، كتاب المناقب، باب/ علامات النبوة في

الإسلام، ح (٣٥٨٣).

(٣) هو المحدث الثقة: أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني، ابن عم الإمام أحمد رحمته الله، سمع من

الإمام أحمد وغيره، وسمع المسند منه، وروى عنه روايات جيدة، توفي في واسط سنة ٢٧٣هـ. انظر:

طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٣٤/١ - ١٣٦، تاريخ بغداد ٨/٢٨٦ - ٢٨٧، السير ١٣/٥١ - ٥٣.

## حقيقة القرآن الكريم في نظر السلف

ويسأله، الله متكلم، لم يزل الله يأمر بما يشاء ويحكم، وليس له عدل ولا مثل، كيف شاء، وأنى شاء»<sup>(١)</sup>.

الوجه الثاني: عدم الخوض في الكيفية، مع إثبات المعنى دون مثلية، فالسلف يعتقدون أن الله سبحانه متكلم أزلا، ويتكلم إذا شاء، على الوجه اللائق بجلال الله سبحانه، وعلى ما يليق بكماله تعالى شأنه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وقد تكلم رب العرش بالكتب الـ منزلات كلاما لا شبه له  
ولم يزل فاعلا أو قائلا أزلا إذا يشاء وهذا الحق فارض به<sup>(٢)</sup>  
فاعتقاد الكمال المطلق لله ﷻ، يُخرج الإنسان من التشبيه، والتعطيل، والإعراض  
عن الخوض في كفيات الصفات سلامة للدين.

وفي الطحاوية: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، فمن أبصر  
هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله ليس بصفات كال بشر»<sup>(٣)</sup>.

قال شارحه ابن أبي العز الحنفي ﷻ: «يعني: أنه تعالى وإن وُصف بأنه  
متكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون بها متكلم، فإن الله ﴿لَيْسَ  
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»<sup>(٤)</sup>.

فالله ﷻ متكلم، يتكلم متى شاء، كيف شاء، مع من شاء، ولا نخوض في  
كلامه بما لم يثبت به النقل، ولم يدل عليه العقل، ولا تأتي بالمجملات من الألفاظ  
والأقوال، ولا نخوض في اللفظ وغيره - وسأبين في المبحث الآتي مسألة اللفظ في  
القرآن - والله تعالى أعلم.

(١) الدرء ٢/ ٣٧-٣٨.

(٢) أبيات لمحمد جمال الدين اليميني الشافعي في الرد على السبكي ١/ ١٠٩ من مقدمة منهاج السنة.

(٣) الطحاوية ١/ ٢٠٦ مع شرح ابن أبي العز الحنفي.

(٤) شرح الطحاوية ١/ ٢٠٦-٢٠٧.

## المبحث الثاني: مسألة اللفظ بالقرآن

### المطلب الأول: بيان اللفظ والملفوظ.

قبل الخوض في بيان مسألة اللفظ والملفوظ، أنه على أن المراد بهذه المسألة: لفظ القارئ بالقرآن، وقراءته له، وتلاوته له، هل يقال مخلوق أو لا يقال ذلك؟ وهذه مسألة كبيرة، شغلت حيزاً في مسألة القرآن، وكان لها صدى عند السلف وغيرهم، مما أدى إلى الشقاق والفرقة، ضاقت بسببها صدور أهل السنة، وفرح بها أهل الزيغ والبدعة.

قال أبو محمد بن قتيبة الدينوري رحمته الله<sup>(١)</sup>: «لم يختلف أهل الحديث في شيء من اعتقادهم إلا في مسألة "اللفظ"»<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الإسلام رحمته الله مبيناً أثر هذه المسألة على أهل السنة: «وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك ألفاظ مشتركة، وأهواء للنفوس، حصل بسبب ذلك نوع من الفرقة والفتنة»<sup>(٣)</sup>.

وهذه المسألة ظهرت - أول ما ظهرت - من الجهمية، وذلك لما أطفأ الله نارهم بالحق الدامغ، ولم يستطيعوا إظهار القول الزائغ، فحادوا في إظهار اعتقادهم إلى

(١) هو العلامة ذو الفنون: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، نزل ببغداد وصنف وجمع وبعث وصيته، ولي قضاء دينور، رماه المتشعرة بالتشبيه، وهو عنه نزيه، ومن مؤلفاته المشهورة: غريب القرآن، وغريب الحديث، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث، الرد على من يقول بخلق القرآن، والاختلاف في اللفظ، توفي سنة ٢٦٧هـ. انظر: الفهرست ص ١٢٣ - ١٢٤، تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ - ١٧١، السير ١٣/ ٢٩٦ - ٣٠٢.

(٢) المجموع ٧/ ٦٦٠، وانظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة ص ٥٧، ٢٠.

(٣) الدرء ١/ ٢٦٢.

الألفاظ المجملة، مع أنهم يريدون مذهبهم البدعي وهو: اعتقاد أن القرآن مخلوق كالبرية، فلبسوا على الناس بهذه الألفاظ المحدثه البدعية.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «لما ظهر القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق أطفأ الله نار الجهمية المعطلة صارت طائفة يقولون إن كلام الله الذي أنزله مخلوق ويعبرون عن ذلك باللفظ فصاروا يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، أو تلاوتنا، أو قراءتنا مخلوقة، وليس مقصودهم مجرد كلامهم وحركاتهم بل يُدخلون في كلامهم نفس كلام الله الذي نقرؤه»<sup>(١)</sup>.

وظهور هؤلاء المعروفين بـ "اللفظية"<sup>(٢)</sup> كان في عهد الإمام أحمد، لما أظهر الله السنة حتى صار لها ولأهلها شوكة، وخُذلت البدعة والمبتدعة، ويفهم هذا من القول السابق لشيخ الإسلام رحمته الله، وكذا يفهم مما قاله ابن جرير الطبري رحمته الله حيث قال: «فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا تابعي قضى، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل...»<sup>(٣)</sup>.

فكون الإمام أحمد أول ما عرف عنه من الأئمة الإنكار في هذه المسألة الحادثة، لكونها ظهرت في زمانه، وما يؤكد ذلك أن هذا القول اشتهر من معاصر له وهو الحسين الكرابيسي<sup>(٤)</sup>.

(١) المجموع ٦٥٥/٧، وانظر: الاختلاف في اللفظ ص ٢٠، الجواب الصحيح ٣٤٢/٤.

(٢) اللفظية مصطلح يطلق على من قال: إن لفظي بالقرآن مخلوق، وقد يطلق على من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، قال البخاري: قال أحمد بن حنبل: «اللفظي: الذي يقول القرآن بألفاظنا مخلوقة»، وقال الحافظ عن هذه المسألة إنها هي: «المشهوره بمسألة اللفظ، ويقال لأصحابها اللفظية». انظر: المجموع ٣٦٦/١٢، الفتح ٥٠٠/١٣، معجم ألفاظ العقيدة ص ٣٤٧.

(٣) صريح السنة للإمام أبي جعفر ابن جرير الطبري ص ٢٥-٢٦، وانظر: المجموع ٤٢٣/١٢ وقال - وهذا القول -: «مشهور... ومتواتر عنه»، وانظر: ما ذكره الأشعري في اتباع الإمام أحمد في الإبانة ص ١٤ - ١٥، وانظر: أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣٩٢/٢.

(٤) هو الفقيه: أبو علي الحسين بن علي بن يزيد البغدادي الكرابيسي، تفقه بالشافعي وأخذ عن يزيد بن هارون

قال قوام السنة الأصهباني رحمه الله<sup>(١)</sup>: «وأول من قال باللفظ، وقال ألفاظنا بالقرآن مخلوقة حسين الكرابيسي فبدّعه أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه علماء الأمصار»<sup>(٢)</sup>.

ثم تبع الكرابيسي على ذلك أقوام، «ونشأ بين أهل السنة والحديث نزاع في... القرآن - أي اللفظ بالقرآن - بسبب ألفاظ مجملة، ومعانٍ متشابهة»<sup>(٣)</sup>.

وخاض فيه أناس بحق، لتجلية الحق، وخاض فيه آخرون بباطل، وحملوا من أجل ذلك كلام الأئمة المحامل، وأصبح بينهم وبين أهل الحق حائل، وقد ينتسب بعضهم إلى الأئمة، ويتنحل مناهج علماء الأمة، وكان لزاماً توضيح هذه المسألة، كما وردت في كتب السنة، بجمع كلامهم، وتجلية أقوالهم، حتى لا يبقى لمخالف حجة، ولا لموافق شبهة، والكلام في هذا سيكون في ثلاث مسائل:

### المسألة الأولى: بيان الألفاظ المجملة في المسألة.

المسائل المجملة في باب العقائد تسبب الفرقة والاختلاف، لاحتياها معان عدة؛ منها ما هو صحيح، ومنها ما هو باطل، فإذا أثبتنا قوم فباعثار ما تحتمله من معنى صحيح، ومن نفاها فباعثار ما تحتمله من معنى باطل.

وكان ذكياً فطنا له مصنفات، ونشأ بينه وبين الإمام أحمد الخلاف لما قال باللفظ، حتى قال ابن عدي: «اعتبروا بالكرابيسي وبأبي ثور، فالحسين في علمه وحفظه لا يعشُرُهُ أبو ثور، فتكلم فيه أحمد في مسألة اللفظ فسقط، وأثنى على أبي ثور فارتفع للزومه السنة»، وإنها كان إنكار الإمام أحمد عليه لقوله بقول مجمل مبتدع دون تفصيل، يتدبر به إلى القول بخلق القرآن، ولذا لما فصل هو فهم مراده وأنه كان يقصد فعل نفسه وهو مخلوق حقاً، دون القرآن الذي هو كلام الله صدقاً، توفي الكرابيسي سنة ٢٥٩/٥٨ هـ. انظر: تاريخ بغداد ٨/٦٤-٦٧، السير ١٢/٧٩-٨٢، طبقات الشافعية للسبكي ١١٧/٢.

(١) هو قوام السنة الحافظ: أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن طاهر التيمي الأصهباني ولد سنة ٤٥٧ هـ، ترعرع في ربوع العلم، ونشأ على التعليم، صاحب رحلات كثيرة، ومصنفات جليلة ومنها: الحجة في بيان المحجة، وكتاب السنة، ودلائل النبوة، توفي سنة ٥٣٥ هـ. انظر: السير ٨/٢٠-٨٨، شذرات الذهب ٤/١٠٥-١٠٦، طبقات الحفاظ ٤٦٣.

(٢) الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصهباني ٣٧٠/١.

(٣) المجموع ٧/٦٥٨.

وأما ألفاظ القرآن والسنة ففيها الشفاء، والكفاية لمن به داء، ونحن متعبدون بالكتاب والسنة، لا بألفاظ أحد من أهل الملة، والواجب في كل لفظ مجمل محتمل لمعانٍ عدة، أن نتركه وأن نلتزم بألفاظ الشرع، ومن الألفاظ المجملة في باب "اللفظ بالقرآن" ما يأتي:

- ١- لفظي بالقرآن<sup>(١)</sup> ومنه: اللفظ، أو الألفاظ، أو لفظ القرآن.
- ٢- تلاوتي بالقرآن<sup>(٢)</sup> ومنه: التلاوة، أو التلاوات، أو تلاوة القرآن.
- ٣- قراءتي للقرآن<sup>(٣)</sup> ومثله: القراءة، أو القراءات، أو قراءة القرآن.
- ٤- كتابتي القرآن<sup>(٤)</sup> ومثله: الكتابة، أو الكتابات، أو كتابة القرآن.
- ٥- هذا عين كلام الله<sup>(٥)</sup>.
- ٦- هذا يحكي القرآن<sup>(٦)</sup>.
- ٧- القرآن حال في المصحف، أو حال في الصدور<sup>(٧)</sup>.
- ٨- القرآن من قدر الله.
- ٩- القرآن من أمر الله.
- ١٠- القرآن من شرع الله<sup>(٨)</sup>.

ووجه الإجمال في هذه العبارات، كونها مصادر تحتمل الفعل الذي هو فعل العبد، وتحتمل المفعول الذي وقع عليه الفعل، وهو المقروء، المتلو، الملفوظ، المكتوب.

(١) انظر: المجموع ١٢/٤٠٩.

(٢) انظر: المجموع ١٢/١٧٠، إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١١٩.

(٣) انظر: المجموع ١٢/٤١٠.

(٤) انظر: المجموع ١٢/٧٤.

(٥) انظر: المجموع ١٢/٢٨٦.

(٦) انظر: المجموع ١٢/٥٤٣، إيثار الحق على الخلق ص ١١٩.

(٧) انظر: المجموع ١٢/٢٩٣، وإنما كان هذا من المجمات؛ لأن لفظ الحلول في كل موضع بحسبه، فقد يفهم من هذا قول الحلولية من الصوفية الغلاة، ومن وافقهم، انظر: قولهم في أن القرآن حال في العباد، في الفصل الأول، من الباب الثاني.

(٨) ذكر هذه الثلاثة شيخ الإسلام رحمته الله في المجموع ٨/٤١٢.



وقدر الله فيه ما هو من أفعاله، وما هو من مفعولاته، وكذلك أمر الله، وشرع الله فيه ما هو من كلامه، وما هو من كلام نبيه، فكانت هذه الألفاظ الثلاثة أيضا من الألفاظ المجملات، فينبغي التنبه لها حتى لا نقع في الاحتمالات، ونبعد أنفسنا من المشتبهات<sup>(١)</sup>.

ومنشأ الضلال « من عدم الفرق في المشار إليه في هذا »<sup>(٢)</sup>، فعدم تعيين المشار إليه أوقع الإجمال، والالتباس، « والنفي والإثبات بدون التفصيل يوهم »<sup>(٣)</sup>، وإذا بين الفرق، وفُصل في العبارة، واستفصل عن المقالة، تبين المتفق والمفترق<sup>(٤)</sup>.

وأما بيان الفرق والتفصيل في هذه العبارات، والموقف الصحيح منها فأبينه في المسألة التالية.

### المسألة الثانية: هل اللفظ هو الملفوظ أو غيره؟

بينت في المسألة السابقة، أن الألفاظ المجملة سبب من أسباب النزاع في الأمة - خصوصا في المسائل العلمية -، وأما إذا كشف الغطاء، وأزيل الإلباس، وقع التوافق بين الناس.

ومن هذا الإلباس، ما وقع بين الأنام في مسألة اللفظ والملفوظ، أو القراءة والمقروء، أو التلاوة والمتلو، أو غيره.

وبيان المسألة من حيث اللغة، وعلى ضوء فهم السلف كما يأتي:

إن "اللفظ" « اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء، وغالب ذلك يكون من الفهم، تقول: لفظ بالكلام يلفظ لفظا، ولفظت الشيء من فمي »<sup>(٥)</sup>.

فاللفظ بمعنى الطرح هو خارج عن بحثنا إذ لم يكن النزاع فيه، ولم يكن

(١) انظر: المجموع ٤١١/٨ وما بعدها.

(٢) المجموع ٢٨٤/١٢.

(٣) المجموع ٥٤٩/١٢.

(٤) انظر: المجموع ٢٨٤/١٢.

(٥) مقاييس اللغة ص ٩٥٨، وانظر: الحجة في بيان المحجة ٢/٢٠٥.

القائلون يعنون ذلك، وإن كان بعض المنتسبين للسنة كره مسألة اللفظ، لكون القرآن لا يُلفظ، أي: لا يطرح ولا يُرمى منه شيء، لا حقيقة ولا معنى<sup>(١)</sup>.

وإنما موضع النزاع في "اللفظ" الذي هو الكلام، فاللفظ والقراءة، والتلاوة، ألفاظ تطلق على المصادر، والمصدر في اللغة العربية يطلق على الفعل وعلى المفعول.

فالمصدر "اللفظ" من لَفَظَ يَلْفِظُ لَفْظًا، يطلق على الفعل الذي هو فعل الالفاظ من صوت وحركة، وما يكون منه كسبا بجوارحه، ويطلق على المفعول الذي وقع عليه فعل الالفاظ والقارئ، والتالي، وهو الملفوظ، المقروء، المتلو<sup>(٢)</sup>.

ومثال هذا في "الكتاب" فهو مصدر يطلق على الفعل كما في قولنا: كتبت كتابا، فالمصدر هنا مؤكد للفعل وهو بمعناه، ويطلق على المفعول كقولنا: قرأت الكتاب، فالمصدر هنا بمعنى المفعول، أي قرأت الشيء المكتوب، وعلى هذا قياس اللفظ والقراءة والتلاوة.

فاستعمال المصدر وإرادة الفعل معلوم عند العرب، وكذلك استعمالهم المصدر وإرادة المفعول معلوم عندهم.

قال سيبويه<sup>(٣)</sup>: «وقد يجيء المصدر على المفعول.. كقولهم: الخلقُ إنما يريدون المخلوق، ويقولون للدرهم: ضرب الأمير، إنما يريدون مضروب الأمير»، وقال: «فجاء للفاعل كما جاء للمفعول، وربما وقع على الجميع»<sup>(٤)</sup>.

فيعمل «المصدر إعمال الفعل مفردا كقولك: عجبت من ضَرْبِ زيدٍ عمراً...»

(١) انظر: المجموع ٢٠٩/١٢ - ٢١٠.

(٢) انظر: خلق أفعال العباد للبخاري ص ١٧٣، المجموع ١٩٧/١٢.

(٣) هو إمام العربية: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البصري، المعروف بـ (سيبويه) طلب الحديث أولاً، ثم شغف بالعربية ثانياً، وبرع فيها، وساد أهل عصره، وله مؤلف كبير فيها لا يُأثله مؤلف.. وهو المشهور بالكتاب.. عاش نحو الأربعين سنة قيل مات سنة ١٨٠ هـ وقيل غير ذلك. انظر: الفهرست لابن النديم ص ٨١، تاريخ بغداد ١٢/١٩٥، السير ٨/٣٥١-٣٥٢.

(٤) الكتاب ٤/٤٣.

ومضافا إلى المفعول، كقولك: ضَرَبُ اللَّصِّ الْأَمِيرُ<sup>(١)</sup>، فإذا عمل عمله فهو بمعناه.  
ومثال ما جاء على المعنيين قوله تعالى: ﴿تَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦] فالخلق هنا "مصدر" والمراد به فعل الله ﷻ، وقوله: ﴿وَلَا مَرِيئَ لَهُمْ فَيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] فالخلق "مصدر" والمراد به المخلوق الذي هو مفعول الرب ﷻ<sup>(٢)</sup>.

وهذا يتضح « أن اللفظ يراد به مصدر: لَفَظٌ يَلْفِظُ لَفْظًا، ويراد باللفظ الملفوظ به، وهو نفس الحروف المنطوقة »<sup>(٣)</sup>.

فإطلاق المصدر وإرادة الفعل وارد، وإرادة المفعول وارد، فإذا قيل: اللفظ، أو لفظي، أو ألفاظنا، فقد يراد به نفس فعل العبد وصوته وحركته، وقد يراد به الملفوظ المقروء المتلو<sup>(٤)</sup>.

وله مثال آخر وهو "اسم القرآن"<sup>(٥)</sup>، فإنه قد يراد به القراءة نفسها كقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] قال الطبري في معنى الآية: « إن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار »<sup>(٦)</sup>.

وقد يراد بـ "القرآن" المقروء الذي هو كلام الله، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] والمراد المقروء الذي هو كلام الله تعالى.  
يوضحه قول الإمام البخاري رحمه الله: فـ « بعضهم يزيد على بعض في القراءة،

(١) المفصل في علم العربية ص ٢٢٣، وانظر: شرح ابن عقيل ٨٨/٢ - ٩٣، والمزهر في علوم اللغة للسيوطي ٢٤٦/٢.

(٢) انظر: خلق أفعال العباد ص ١٨٦.

(٣) المجموع ٥٦٧/١٢.

(٤) انظر: الاختلاف في اللفظ ص ٥٧، المجموع ٦٦٠/٧.

(٥) انظر: المجموع ١٩٨، ٥٦٢/١٢.

(٦) جامع البيان ١٢٧/٨، وانظر: الاختلاف في اللفظ ص ٥٧.

وبعضهم ينقص، وليس في القرآن زيادة ولا نقصان، فأما التلاوة فإنهم يتفاضلون في الكثرة والقلة.. وقد يقال: فلان حسن القراءة، ورديء القراءة، ولا يقال: حسن القرآن، ورديء القرآن، وإنما نسب إلى العباد القراءة لا القرآن، لأن القرآن كلام الرب، والقراءة فعل العبد<sup>(١)</sup>.

فهذا يتبين أن القرآن محتمل لفعل القراءة، وإن كان أظهر في المفعول المقروء، ولا شك أن القراءة غير المقروء من القرآن، فكذا لا يقال في الألفاظ المجملة في هذا الباب، أن المصدر يحتملها، وأن الفعل غير المفعول.

فلو قال قائل: لفظي بالقرآن مخلوق، دخل في هذا الإطلاق فعل اللفظ، الذي هو حركته وصوته، وهو مخلوق حقا، ودخل المفعول الذي هو كلام الله، وكلامه مسموع منطوق، وبحروف، وله معنى، وإدخاله في العبارة المطلقة باطل، إذا لا بد من التفصيل.

وكذلك لو قال قائل: لفظي بالقرآن غير مخلوق، دخل فيه فعل اللفظ الذي هو صوته وحركته، وهو باطل لأنه مخلوق قطعاً، فإن أفعال العباد كفاعليهم مخلوقة لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ودخل الملفوظ الذي هو كلام الله وهو حق، فإن كلام الله غير مخلوق حقا، حروفه ومعانيه<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «قوله "لفظي" مجمل يدخل فيه فعله... وصوته، فإذا قيل: لفظي، أو تلاوتي، أو قراءتي غير مخلوقة، أو هي المتلو، أشعر ذلك أن فعل العبد وصوته قديم، وأن ما قام به من المعنى والصوت هو عين ما قام بالله من المعنى والصوت. وإذا قال: "لفظي بالقرآن"، أو تلاوتي للقرآن، أو لفظ القرآن، أو تلاوته مخلوقة، أو التلاوة غير المتلو، أو القراءة غير المقروء أفهم ذلك أن حروف القرآن

(١) خلق أفعال العباد ص ١٦٦، وانظر: المجموع ٣٦/١٧ - ٣٧، الفتح ١٣/٥١٧.

(٢) سورة الصافات، الآية ٩٦، وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير الآية: «يحتمل أن تكون ما مصدرية، فيكون تقدير الكلام: خلقتكم وعملكم، ويحتمل أن تكون بمعنى الذي، تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه، وكلا القولين متلازم...». تفسير القرآن العظيم ٤/١٣.

(٣) انظر: المجموع ١٢/٣٠٦ - ٣٠٧.

ليست من كلام الله بحال، وأن نصف القرآن كلام الله، ونصفه كلام غيره»<sup>(١)</sup>.  
ولهذا كان السلف ينكرون هذا اللفظ المجمل، كما سيأتي، وأذكر هنا كل لفظة من الألفاظ المجملة في هذه المسألة، ووجه الصواب فيها على ما هو مقرر في عقائد السلف.  
أولاً: "اللفظ": وقد سبق بيان وجه الإجمال فيه، وأما الحق في هذه اللفظة أن يقال قولك: لفظي بالقرآن مخلوق إن كنت تقصد المعنى الحق وهو: أن أصوات العباد وحركاتهم مخلوقة دون كلام الخالق سبحانه، وأن كلام الله بصوت وحرف، فهذا يقبل منه هذا المعنى، ويُرد عليه اللفظ المجمل لاحتماله المعاني الباطلة<sup>(٢)</sup>.  
وكذلك يقال لمن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، إن عنيته به الملفوظ الذي هو كلام الله، دون صوت العبد وحركاته وأفعاله فهذا حق أيضاً ويقبل، ويُرد اللفظ المجمل لاحتماله المعاني التي هي باطلة.

ومثل هذا التفصيل في "اللفظ" يجري على "التلاوة" قال شيخ الإسلام رحمته الله:  
«من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق، أو تلاوتي... أردت به أن القرآن المتلو غير مخلوق، لا نفس حركاتي، قيل له: لفظك هذا بدعة، وفيه إجمال وإيهام، وإن كان مقصودك صحيحاً، كما يقال - لمن قال لفظي مخلوق -: أردت أن فعلي مخلوق، لفظك أيضاً بدعة، وفيه إجمال وإيهام وإن كان مقصودك صحيحاً»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: "القراءة": فقول القائل: قراءتي بالقرآن مخلوقة أو غير مخلوقة، من الألفاظ المجملة فإن «القراءة: قرآن وعمل، لا يتميز أحدهما عن الآخر، فمن قال: إنها قرآن فهو صادق، ومن حلف إنها عمل فهو بار، وأخطأ من أطلق: أن القراءة مخلوقة، وأخطأ من زعم أنها غير مخلوقة... فإن هذه المسألة خفيت على الطائفتين لغموضها، فإن إحدى الطائفتين - وهي القائلة بأن قراءتي مخلوقة - وجدت القراءة

(١) المجموع ١٢/٤٠٩، وانظر: المجموع ٦/٥٢٧.

(٢) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ١/٥٤٤.

(٣) الدرء ١/٢٦٥.

تسمى قرآنا، فنفت الخلق عنها، والأخرى - وهي القائلة بأن القراءة مخلوقة - وَجَدَتْ القراءة فعلا يثاب صاحبه عليه فأثبتت حدوثه»<sup>(١)</sup>.

فهذا يدل على أن القائل بهذه العبارة لو أراد فعل نفسه مع إقراره بأن كلام الله غير مخلوق، وأن كلام الله بحرف، فهذا حق ويقبل منه هذا المعنى دون اللفظ، وإن كان القائل مثبتاً<sup>(٢)</sup> قائلاً: قراءتي غير مخلوقة، وهو يريد المقروء الذي هو كلام الله مع إقراره بأن فعله وحركاته وصوته مخلوق لكان حقاً مقبولا، دون اللفظ فإنه يكون مردوداً، ولعسر هذا الفرق وصعوبته مال أقوام في هذه المسألة إلى زيادة في الإثبات، وآخرون إلى زيادة في النفي، والحق العدل والتوسط، فالمعول فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ، وإجماع المعبرين من علماء الأمة.

وأنبه - كما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله - على أن «إطلاق لفظ "القرآن" على نفس الكلام أكثر من إطلاقه على نفس التكلم، وكذلك لفظ "الكلام" و"القول" و"القصص"... يراد به نفس الكلام أكثر مما يراد بها فعل المتكلم»<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: "الكتابة": أو قولهم: كتابتي للقرآن مخلوقة، أو غير مخلوقة، من الألفاظ المجملة، وذلك أن الكتابة مصدر يطلق على الفعل، وقد يراد به المفعول، فلما احتمل هذين المعنيين، صار من المجملات.

والتفصيل هو أن يقال لمن أطلق هذه العبارة نفياً أو إثباتاً، هل تعني بقولك هذا، أن المداد والورق وحركة الكاتب مخلوقة، وأن المكتوب في المصاحف هو كلام الله، حروفه ومعانيه، وأنه غير مخلوق، فهذا حق يقبل.

وإن أردت بقولك هذا: أن المداد والورق، وفعل الكاتب غير مخلوق، أو أن

(١) المجموع ١٢/ ٤١٠ وقد نقله عن ابن قتيبة، وانظر: ما قاله ابن قتيبة في الاختلاف في اللفظ ص ٥٧-٥٨ مع اختلاف يسير.

(٢) اللفظية النافية هم: الذين يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، واللفظية المثبتة هم: الذين يقولون ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة. انظر: المجموع ١٢/ ٣٧٣، ٣٩٤، ٤٢١.

(٣) المجموع ١٧/ ٣٨-٣٩.

المكتوب هو المخلوق فهذا باطل مردود.

وكذا لو قال: إن فعل العبد من الكتابة مخلوق، وكذا المكتوب من القرآن مخلوق، فهذا أيضا باطل مردود.

وإجماع السلف قائم على أن المداد في المصحف مخلوق، وأن فعل العبد من الكتابة مخلوق، وأن الأوراق مخلوقة، وكذا إجماعهم قائم على أن المكتوب هو القرآن، وأن ما بين الدفتين هو كلام الله حروفه ومعانيه، وكلام الله غير مخلوق<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «المداد الذي في المصحف لم يكن أحد من السلف يتوقف في ذلك، بل كلهم متفقون أن أصوات العباد مخلوقة، والمداد كله مخلوق، وكلام الله الذي يكتب بالمداد غير مخلوق»<sup>(٢)</sup>.

فالمكتوب المقروء في مصاحف المسلمين هو كلام الله، قال الشيخ حافظ حكمي رحمته الله عن القرآن مفرقا بين فعل العبد، وكلام الرب:

يحفظ بالقلب وباللسان يُتلى كما يُسمع بالآذان  
كذا بالأبصار إليه يُنظر وبالأيدي خطه يُسطر  
وكل ذي مخلوقة حقيقة دون كلام باري الخليفة<sup>(٣)</sup>.

قال رحمته الله في شرحها: «"وكل ذي" المذكورات من القلب، وحافظته وذاكرته، واللسان وحركته، والآذان وأسماعها، والأبصار ونظرها، والأيدي وكتابتها، وأدوات الكتابة، من أوراق، وأقلام، ومداد، كلها "مخلوقة حقيقة" ليس في ذلك توقف، "دون" القرآن»<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام البخاري رحمته الله: «حركاتهم - أي العباد -، وأصواتهم، واكتسابهم،

(١) انظر: المجموع ١٢/٦٩-٧٤، ١٧٩، ٥٦٧-٥٦٨، ٣/١٧٠-١٧١، ١٩٧.

(٢) المجموع ١٢/٥٦٨، وانظر: ١٢/٥٨٦.

(٣) سلم الوصول ص ١٥.

(٤) معارج القبول ١/٣٧٣.

وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين، المثبت في المصحف، المسطور، المكتوب، الموعى في القلوب، فهو كلام الله<sup>(١)</sup>، وقال: «فأما المداد، والرق، ونحوه، فإنه خلق»<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: قولهم "هذا عين كلام الله": فإن الإشارة هنا تحمل إما أن تكون إلى المكتوب، أو المسموع، أو المقروء فهذا حق، وإما أن تكون إلى الورق والمداد والجلد، أو الصوت، وفعل العبد، فهذا باطل.

«إذا ميز الإنسان في المشار إليه بهذا وهذا تبين المتفق والمفترق»<sup>(٣)</sup>، قال الإمام أحمد رحمه الله: «يتوجه العبد لله تعالى بالقرآن بخمسة أوجه وهو - أي القرآن - فيها غير مخلوق، حفظ بالقلب، وتلاوة باللسان، وسمع بأذن، ونظرة ببصر، وخط بيد، فالقلب مخلوق، والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة، والمتلو غير مخلوق، والسمع مخلوق، والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق، والمنظور إليه غير مخلوق، والكتابة مخلوقة، والمكتوب غير مخلوق»<sup>(٤)</sup>.

وقولهم: هذا عين كلام الله، في مفهوم المسلمين الذين لم تُدنس فطرهم، لا إشكال فيها، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وكذلك قول القائل: هذا نفس كلام الله، وعين كلام الله، وهذا الذي في المصحف هو عين كلام الله، ونفس كلام الله، وأمثال هذه العبارات، هذه مفهومها عند الإطلاق في فطر المسلمين أنه كلامه لا كلام غيره، وأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، فإن من ينقل كلام غيره، ويكتبه في كتاب قد يزيد فيه وينقص، كما جرت عادة الناس... وذلك معنى قولهم هذا كلامه بعينه، وهذا نفس كلامه، لا يريدون أن هذا هو صوته، وحر كاته، وهذا لا يقوله عاقل، ولا يخطر ببال عاقل ابتداء، ولكن اتباع الظن، وما تهوى الأنفس يلجئ أصحابه إلى القرمطة في السمعيات، والسفسطة في العقليات، ولو ترك الناس على فطرتهم لكانت صحيحة سليمة»<sup>(٥)</sup>.

(١) خلق أفعال العباد ص ٤٢.

(٢) خلق أفعال العباد ص ٤٤، وانظر: الفتح ١٣ / ٥٣٢.

(٣) المجموع ١٢ / ٢٨٤.

(٤) المسائل والرسائل للإمام أحمد في العقيدة ١ / ٢٤٤، وانظر: معارج القبول ١ / ٣٧٣.

(٥) المجموع ١٢ / ٢٨٦ - ٢٨٧، وانظر ١٢ / ٢٠١، ودقائق التفسير ٢ / ٩٣ - ٩٤.



خامسا: عبارة "هذا يحكي القرآن": فهذا اللفظ مجمل من حيث كونه يحتمل أنه يريد بهذه العبارة أنه يأتي بكلام يحاكي به القرآن، وهذا كفر، ويحتمل أنه أراد أنه يتلوه وهذا حق، « فالقائل إذا قال للقارئ: هذا يحكي كلام الله، أو يحكي القرآن، فقد يفهم منه أنه يأتي بكلام يحاكي به كلام الله، وهذا كفر، وإن أراد أنه بَلَّغَهُ وتلاه، فالمعنى صحيح، لكن ينبغي تعبيره بما لا يدل على معنى باطل، فيقول: قرأه، وتلاه، وبلغه وأداه، ولهذا إذا قيل: يحكي القراءات السبع، ورواها، وينقلها لم ينكر ذلك، لأنه لا يفهم منه إلا تبليغها، لا أنه بمثلها »<sup>(١)</sup>.

ومن هذا قول الفقهاء: فلان حكى الإجماع، أي نقله، ورواه.  
وبعد ذكر بعض الألفاظ المجملة في هذا الباب، وبيان الصواب فيها من الباطل، لا بد من بيان سبب وقوع الاضطراب في مسألة اللفظ، وذكر بعض الفروق.

#### المسألة الثالثة: سبب النزاع في مسألة اللفظ، وذكر بعض الفروق فيها:

من أهم الأسباب التي كانت سببا إلى التنازع في هذا الباب، أمور منها:

١ - عدم التفريق بين فعل الرب وتكلمه بالقرآن وسائر كلامه، وبين فعل العبد وتكلمه بكلام الرب، قال شيخ الإسلام رحمته الله: « ومنشأ النزاع بين أهل الأرض، والاضطراب العظيم الذي لا يكاد ينضب في هذا الباب يعود إلى أصلين: مسألة: تكلم الله بالقرآن وسائر كلامه، ومسألة: تكلم العبد بكلام الله »<sup>(٢)</sup>.

والفرق بين فعل الرب وكلامه وصوته، وبين فعل العبد وتكلمه بكلام الرب وصوت العبد، معلوم إلا عند من ضعفت بصيرته، وانطمست فطرته.

وإن من عقائد أهل السنة: أن الرب بصفاته هو الخالق، وأنه تعالى يتكلم بصوت لا يشبه أصوات المخلوقين، وأن العبد بصفاته مخلوق، حركاته، وأفعاله، وأصواته، فجميع صفات العبد مخلوقة، ومن قال عن شيء من صفات العبد: أنها غير مخلوقة أو

(١) المجموع ١٢/٥٤٣، وانظر: ١٢/٢٨٣ - ٢٨٤.

(٢) المجموع ١٢/٣٩٥، وانظر: ١٢/٥٨٢.

أنها أزلية فهو مخطئ ضال<sup>(١)</sup>.

فالفرق بين الخالق والمخلوق، وبين صفات الخالق وصفات المخلوق واضح لكل ذي عقل سليم، فالله ﷻ « تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه، ونادى موسى بصوت نفسه، كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف، وصوت العبد ليس هو صوت الرب، ولا مثل صوته، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وقد نص أئمة الإسلام أحمد بن حنبل ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة من أن الله ينادي بصوت، وأن القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت، ليس شيء منه كلاما لغيره... وأن العباد يقرؤونه بأصوات أنفسهم، وأفعالهم، فالصوت المسموع من العبد صوت القاري، والكلام كلام الباري.

وكثير من الخائضين في هذه المسألة لا يميز بين صوت العبد، وصوت الرب، بل يجعل هذا هو هذا، فينيفهما جميعا، أو يثبتهما جميعا<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يتبين أن ما اقترن مع القرآن من أفعال العباد، سواء في التبليغ والأداء، أو القراءة والكتابة أنه مخلوق، وكلام الله حيث تصرف غير مخلوق<sup>(٣)</sup> « ومن قال بأن المداد الذي في المصاحف قديم أزلي، أخطأ وابتدع، وقال ما يخالف العقل والشرع<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام أحمد ﷺ: « نقول: القرآن كلام الله غير مخلوق حيث تصرف<sup>(٥)</sup>، أي إن تلي وكتب وقرئ فهو كلامه، وكلامه غير مخلوق، وأما صفات العباد وأفعالهم التي بها يقرؤون ويكتبون فهو مخلوق، ومن لم يهتد إلى هذا الفرق وقع في الحيرة<sup>(٦)</sup>.

٢ - عدم التفريق بين سماع الكلام من المتكلم بلا واسطة، وبين سماع الكلام من

(١) انظر: المجموع ١٢/٥٦٨، ١٢/٢٠١.

(٢) المجموع ١٢/٥٨٤-٥٨٥، وانظر: خلق أفعال العباد ص ٥٤، والمجموع ١٢/٢٨٧، ٥٤٨.

(٣) انظر: خلق أفعال العباد ص ٦٦-٦٧، المجموع ١٢/٤١٦.

(٤) المجموع ١٢/٥٨٣.

(٥) المجموع ١٢/٧٥.

(٦) انظر: المجموع ١٢/٧٥.

المبلغين: فمن العقائد السلفية أن كلام رب البرية، بحرف وصوت، يُسمعه الله من شاء من الملائكة، والنبين، وأن القرآن سمعه جبريل عليه السلام من الله، وأن محمدا عليه السلام سمعه من جبريل، بصوت جبريل، والصحابة سمعوا القرآن من محمد عليه السلام بصوته عليه السلام، وهكذا نحن نسمع القرآن من القراء، بأصواتهم وأفعالهم، وفي كل ذلك: الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري.

وظن أناس أنه إما أن يكون «كلام الله مسموعا منه، أو أنه ليس كلام الله، بل كلام المبلّغ عنه، وكلا القولين خطأ وقع في كلام طائفة من الناس»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «والخطأ في هذا الأصل في طرفين: ... من قال: كلامه لا يقوله غيره، أو لا يُسمع من غيره، ومن قال: كلامه إذا أبلغه غيره وأداه فحاله كحاله إذا سمعه منه وتلاه، بل كلامه يقوله: رسله وعباده، ويتكلمون به، ويتلونه، ويقرؤونه، فهو كلامه حيث تصرف، وحيث تلي، وحيث كتب، وكلامه ليس بمخلوق حيث تصرف، وهو مع هذا فليس حاله إذا قرأه العباد، وكتبوه كحاله إذا قرأه الله وسمعوه منه، ولا من يسمع القاري كمنزلة موسى بن عمران الذي سمع كلام رب العالمين منه»<sup>(٢)</sup>.

والفرق: أن أصل هذا هو العلم بالجامع، والفارق، بين سماع الكلام من المتكلم به، ومن المبلّغ له، فهو في الأول: مسموع منه مطلقا، صوتا وحرفا، من غير واسطة، وفي الثاني: مسموع مقيدا، الحرف والمعنى من المتكلم، والصوت من المبلّغ، وفي الموضعين هو كلام المتكلم به، ومثال هذا كما قال شيخ الإسلام رحمته الله: «إنك ترى الشمس، والقمر، والكواكب بطريق المباشرة، فلا تحتاج في ذلك إلى واسطة، وتارة تراها في ماء، أو مرآة، ونحو ذلك تراها بواسطة ذلك الجسم الشفاف، فهي - أي المشاهد من هذه الكواكب - المقصودة بالرؤية في الموضعين، لكن في إحدى الحالتين: رأيته نفسها بالمباشرة رؤية مطلقة، وفي الأخرى رأيته رؤية مقيدة بواسطة...، فإن قلت فهذا المسموع مثل كلام

(١) المجموع ١٢/٥٤٩، وانظر: ٤٠٨.

(٢) المجموع ١٢/٤١١، وانظر منه: ١٣٧/١٢.

المروي عنه... كان إطلاق هذا خطأ، كما أنك إذا قلت لما تراه في المرأة هذا مثل الشمس، أو هذا يحكي الشمس، كان إطلاق ذلك خطأ، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فقد بين عجز الخلائق عن الإتيان بمثله، مع أنهم قادرون على تبليغه وتلاوته، فعلم أن المسموع... كلامه بواسطة المبلِّغ، لا بطريق المباشرة»<sup>(١)</sup>.

ويوضح هذا الفرق أكثر قوله ﷺ: « فإذا قيل "لفظي" جعل نفس الوسائط غير مخلوقة، وهذا باطل، كما أن من رأى وجهها في مرآة فقال: أكرم الله هذا الوجه، وحياه، أو قبحه، كان دعاؤه على الوجه الموجود في الحقيقة الذي رأى بواسطة المرآة لا على الشعاع المنعكس فيها، وكذلك إذا رأى القمر في الماء فقال: قد أبدر، أو لم يبدر، فإنما مقصوده القمر الذي في السماء...، وكان بعضهم يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فرأى في منامه وضارب يضربه، وعليه فروة، فأوجعه بالضرب، فقال له: لا تضربني، فقال: أنا ما أضربك؟ وإنما أضرب الفروة! فقال: إنما يقع الضرب علي، فقال: هكذا إذا قلت: لفظي بالقرآن مخلوق، فالخلق إنما يقع على القرآن. يقول: كما أن المقصود بالضرب بدنك، واللباس واسطة، فهكذا المقصود بالتلاوة كلام الله، وصوتك واسطة...، ولهذا قال الأئمة: القرآن كلام الله غير مخلوق كيفما تصرف، بخلاف أفعال العباد وأصواتهم، فإنه من نفى عنها الخلق كان مبتدعا ضالا»<sup>(٢)</sup>.

فمنشأ الضلال في مسألة اللفظ كان بسبب عدم التفريق بين المسموع بلا واسطة، والمسموع بواسطة « وإذا رجع أحدهم إلى فطرته وجد الفرق بين أن يشير إلى الكلام المسموع - فيما لو سمعه من غيره - فيقال: هذا كلام زيد، وبين أن يقول: هذا صوت زيد، ويجد فطرته تصدق بالأول، وتكذب بالثاني، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال النبي ﷺ: [زينوا

(١) المجموع ١٢/٥٤٣-٥٤٤، وانظر: ١٢/١٧٢، الدرء ١/٢٥٨، العين والأثر ص ٩٨.

(٢) المجموع ١٢/٢٨٢-٢٨٣، وانظر: ١٢/٢٨٤، ٣٦٩، دقائق التفسير ٢/١٩١.

القرآن بأصواتكم]، وكل أحد يعلم بفطرته ما دل عليه الكتاب والسنة من أن الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري»<sup>(١)</sup>.

والتمييز بين السماعين جلي، كما لو أن أحدا سمع من محدث قول النبي ﷺ: [إنما الأعمال بالنيات]؛ فهذا الكلام لفظه ومعناه إنما هو كلام الرسول ﷺ، والمحدث قد بلغه بصوت نفسه، وفعل نفسه، كذلك القرآن: لفظه ومعناه كلام الله تعالى ليس للمخلوق فيه إلا التبليغ والأداء والتلاوة، والغلط يكمن من جعل البابين واحدا<sup>(٢)</sup>.

٣ - الغلو في إثبات أن القرآن كلام الله، في مقابلة الزيادة، والغلو في النفي: قال شيخ الإسلام رحمه الله: « هذا الغلو من جانب الإثبات - أي في الإثبات العام، وهو: أن اللفظ كلام الله غير مخلوق، أو التلاوة، أو... - يقابل التكذيب من جانب النفي، وكلاهما خارج عن السنة والجماعة »<sup>(٣)</sup>، وقال أيضا: « فلعسر الفرق والتمييز، يميل قوم إلى زيادة في الإثبات، وآخرون إلى زيادة في النفي، ولهذا كان مذهب الإمام أحمد والأئمة الكبار: النهي عن الإثبات العام، والنفي العام، بل الإمساك عنهما، وهو الأصلح للعموم، وهو جمل الاعتقاد، وأما التفصيل المحقق فهو لذي العلم من أهل الإيمان، كما أن الأول لعموم أهل الإيمان »<sup>(٤)</sup>.

والفرق: يتضح عند التفصيل في العبارات العامة، نفيا وإثباتا كما سبق، وأما من حيث الإجمال فيجب اعتقاد: أن القرآن من جميع الجهات مقروءا ومتلوا ومحفوظا ومسموعا ومكتوبا وملفوظا كلام الله حقيقة، وإن سمع بواسطة المبلغين، وكتب بمداد المخلوقين<sup>(٥)</sup>.

(١) المجموع ٤٠٨/١٢ - ٤٠٩، وانظر: ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٢) انظر: المجموع ٥٧٤، ٥٦٦، ٥٨٤، دقائق التفسير ١٩١/٢، الدرر ١٥٧/١، ٢٥٩، العين والأثر ص ٩٨.

(٣) المجموع ٤٠٤/٣.

(٤) المجموع ٤٣١/١٢.

(٥) انظر: المجموع ١٩٠/٥، وقد نقل نحو هذه العبارات عن أبي نعيم صاحب الحلية.

٤ - التنازع في مسمى الكلام في الأصل: والمقرر عند أهل السنة: أن الكلام اسم للفظ الدال على المعنى، والمعنى مدلول عليه باللفظ، فهو اسم عام للفظ والمعنى جميعاً، يتناولهما عند الإطلاق<sup>(١)</sup>.

والتفريق: بين اللفظ والمعنى كان سبباً في الاختلاف في مسألة اللفظ، والقرآن كلام الله، وهو حرف وله معنى، وقد سبق تقرير هذا<sup>(٢)</sup>.

وبعد بيان اللفظ والمفوض بهذا القدر، الذي - أظن - أن فيه الكفاية لمن تدبر، أبين موقف السلف من مسألة اللفظ إنكاراً وموافقة ومخالفة في المطلب الثاني.

(١) انظر: المجموع ١٢/٦٧.

(٢) كما في المطلب الأول، المسألة الأولى.

## المطلب الثاني: موقف السلف من مسألة اللفظ.

تذرعت الجهمية وأذناهم<sup>(١)</sup> بمسألة اللفظ ليتوصلوا إلى قولهم الباطل، وهو: أن القرآن مخلوق؟، ولما كانت هذه المسألة مجملة من حيث النفي المطلق أو الإثبات المطلق، أوقعت بعض المتسبين إلى السنة والحديث إلى الخوض فيها نفيًا أو إثباتًا<sup>(٢)</sup>.

ولأين موقف السلف جليًا، وأوضح الأمر كليًا، أين ما أجمعوا عليه؛ ليظهر أن ما عدا ذلك فهو إما خلاف لفظي، أو إنكار لسبب شرعي، فمن متعلقات مسألة اللفظ ما يأتي:

١ - القرآن الكريم: وقد أجمع السلف على أنه كلام الله تعالى غير مخلوق، وأن جبريل عليه السلام سمعه من الله بصوت الرب ﷻ، وبلغه إلى النبي ﷺ بصوت نفسه، وأن محمداً ﷺ بلغه أمته بصوت نفسه، وأن القرآن الكريم كلام الله تعالى حيثما تصرف، سواء قرئ، أو حفظ، أو كتب، أو سمع<sup>(٣)</sup>.

٢ - أفعال العباد: وقد أجمع السلف على أن أفعال العباد مخلوقة لله ﷻ، وأنها من مفعولاته ﷻ، ويدخل ضمن ذلك أصوات العباد، وحركات ألسنتهم، وعموم أفعالهم، ومنه خطهم، وكتابتهم، ولا يقول أحد منهم أن أفعال العباد أزلية، كما لا يقول ذلك أحد من المسلمين ذلك في المخلوقات<sup>(٤)</sup>، ولهذا قال السلف في القرآن المسموع: الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري<sup>(٥)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «ولم يقل أحد من السلف: إن هذا القرآن عبارة عن كلام الله...، ولا قال أحد منهم: إن لفظي بالقرآن قديم أو مخلوق، فضلاً عن أن

(١) من المعتزلة والكلابية والأشعرية والماتريدية.

(٢) انظر: المجموع ١٢/٣٠٦.

(٣) انظر المسألة الثانية من المبحث الأول، وانظر: المحنة لعبد الغني المقدسي ص ١١٣.

(٤) انظر: صريح السنة ص ٢١، المجموع ١٢/٢١١، ٢٣٨، ٤٣٢، ٥٧٢، ٣٦/١٧، الفتح ١٣/٥٠٠.

(٥) انظر: المجموع ٢٣/٣٦١.

يقول: إن صوتي به قديم أو غير مخلوق، بل كانوا يقولون بما دل عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يقرؤونه بأصواتهم، ويكتبونه بمدادهم، وما بين اللوحين كلام الله، وكلام الله غير مخلوق»<sup>(١)</sup>.

فإذا تبين إجماع السلف في المسألتين اللتين بُني عليهما مسألة اللفظ، تأكد للنظر أن الخلاف بين السلف إما أن يكون لفظياً، أو لسبب شرعي وهو: سد الباب على الجهمية<sup>(٢)</sup>. ويتبين موقف السلف في هذا الموضوع من خلال مسألتين:

### المسألة الأولى: الإنكار على من أطلق مسألة اللفظ.

إن كثيراً من السلف أنكروا مسألة اللفظ بالقرآن لكونها محدثة، لم تُعرف من قبل، فلم يقل بها صحابي يقتدى به، ولا إمام يتبع، سواء نفيًا أو إثباتًا، وأيضاً لكونها من الألفاظ المجملة المحتملة للحق والباطل، ولكونها ذريعة إلى القول بخلق القرآن، وستار احتمى به أهل الزيغ والطغيان، كل هذا كان سبباً في شدة إنكار السلف على اللفظية. وما ورد عن السلف من الشدة على اللفظية، يمكن أن يرتب بحسب سبب وقوع الإنكار على ثلاثة أوجه:

#### الوجه الأول: الإنكار لكون هذه المسألة محدثة:

- ١ - قال الإمام أحمد رحمته الله: «القرآن حيث تصرف غير مخلوق، وقال: ما سمعت أحداً تكلم في هذا بشيء، وأنكر على من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق»<sup>(٣)</sup>.
- ٢ - قال أبو ثور رحمته الله<sup>(٤)</sup> - لما سُئل عن ألفاظ القرآن - : «هذا مما يسعك جهله، والله لا يسألك رحمته الله عن هذا، فلا تتكلموا فيه فإن من زعم أن كلامه بالقرآن مخلوق

(١) المجموع ٣٠٢/١٢، وانظر: ١٧٠/٣٣.

(٢) انظر: الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٥٧.

(٣) شرح السنة للخلال ٩٩/٧ - ١٠٠ (٢١٦٠)، وانظر: المجموع ٤٢٤/١٢ - ٤٢٥.

(٤) هو الإمام الحافظ: أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي، سمع من ابن عيينة ووكيع، وصاحب الشافعي، واشتهر بالفقه والإفتاء، والسنة والذب عنها، توفي سنة ٢٤٠ هـ. انظر: الجرح والتعديل ٩٧/٢ - ٩٨، السير ٧٢/١٢ - ٧٦، تقريب التهذيب ص ٢٩.



فقد وافق اللفظيين»<sup>(١)</sup>.

٣- قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمته الله: «إن السلف الصالحين من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ، ولم يُجوههم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق، وذوي الحمق الذين أتوا بالمحدثات، وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات، وذميم المقالات، وخاضوا فيما لم يُخض فيه السلف من علماء الإسلام، فقال الإمام أحمد: هذا القول في نفسه بدعة، ومن حق المتدين أن يدعه، وكل بدعة مبتدعة، ولا يتفوه به، ولا بمثله من البدع المبتدعة، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتبعة: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه»<sup>(٢)</sup>.

٤- قال أبو الحسن الأشعري رحمته الله في المقالات: «ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام... في اللفظ من قال باللفظ... فهو مبتدع عندهم، ولا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال غير مخلوق»<sup>(٣)</sup>؛ فبين رحمته الله أن القول باللفظ مبتدع، ولا يثبت ولا ينفي لما فيه من الإجمال<sup>(٤)</sup>.

٥- قال أبو الحسن الكرجي رحمته الله<sup>(٥)</sup>: «ولما حدث الكلام في ذلك - أي اللفظ - أنكر أئمة السنة كأحمد بن حنبل وغيره أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق»<sup>(٦)</sup>.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٩٣ (٦٠٣).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٣٤-٣٥ (١٧).

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص ٢٩٢، وانظر: الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني ص ٧٣، الدرء ١/ ٢٦١.

(٤) انظر: الدرء ١/ ٢٦٥.

(٥) هو الإمام المتقن: أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن محمد الكرجي (بالجيم)، ولد سنة ٤٥٨ هـ، أفنى عمره في جمع العلم ونشره، وانتسب للشافعي ولم يقلده، وكان على السنة والأثر، متبعاً لمن غبر، زاجراً لأهل البدع والشر، وله مصنفات كثيرة منها: الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول، وله قصيدة بائية في السنة، على طريقة أهل السنة، توفي سنة ٥٣٢ هـ. انظر: الأنساب للسمعاني ٥/ ٤٧، طبقات الشافعية للسبكي ٦/ ١٣٧-١٤٧ وقد نسبته إلى التجسيم وما أنصف، وما ذاك من السبكي إلا تعصبا للأشعري، وردا للحق الجلي، وانظر: معجم المؤلفين ١٠/ ٢٥٨-٢٥٩، وقد وقع تصحيف في المجموع ٣/ ٢٦٥، ١٢/ ٣٠٦ حيث كتب (الكرخي) بالخاء، والصواب (الكرجي) بالجيم كما في الدرء ٢/ ٩٥، ٩٧، والمجموع ٤/ ١٧٥، ١٨٦، والمصادر السابقة.

(٦) المجموع ١٢/ ٣٠٦.

٦ - قال أبو عبد الله محمد بن خفيف رحمته الله: «والقول في اللفظ والمملوظ... بدعة»<sup>(١)</sup>.

٧ - قال قوام السنة الأصبهاني رحمته الله: «وأول من قال باللفظ، وقال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، حسين الكرابيسي فبدّعه أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه علماء الأمصار»<sup>(٢)</sup>.

فالإنكار عليه - مع شهرة الكرابيسي بالحديث - لكونه أحدث شيئاً لم يُعرف الخوض فيه عن السلف؛ فردّاً للبدعة، وطلباً للاستفصال، وسداً لباب الذرائع، كان من الأئمة هذا الإنكار.

#### الوجه الثاني: الإنكار لكون مسألة اللفظ فيها إجمال:

وقد سبق بيان وجه الإجمال، وأن التباسه شديد، فكره السلف الإطلاق فيها نفياً أو إجمالاً فـ «أهل العلم كرهوا التنقيب عن الأشياء الغامضة، وتجنبوا الخوض فيها والتنازع، إلا بما بينه الرسول ﷺ، ومن شدة اللبس في هذه المسألة، كثر نهي السلف عن الخوض فيها، واستغنوا باعتقاد: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يزدوا على ذلك، وهو أسلم الأقوال، والله المستعان»<sup>(٣)</sup>.

#### ومن نهي السلف عن الخوض فيها:

١ - قال الإمام أحمد رحمته الله: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع»<sup>(٤)</sup>، وهذا النهي عن النفي والإثبات، يؤكد أن النهي كان للإجمال، فالأول أطلق القول ودخل في هذا الإطلاق المقروء الذي هو كلام الله تعالى وهو غير مخلوق، لذا عدّ قائله من الجهمية، والثاني: مبتدع، لكونه أطلق القول فدخل

(١) المجموع ٧٨/٥.

(٢) الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٧٠.

(٣) العين والأثر ص ٩٨ - ٩٩.

(٤) صريح السنة ص ٢٦، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٩٢، المجموع ١٢/ ٧٤، ٦/ ٥٢٧،

الدرء ١/ ٢٦١، الجواب الصحيح ٤/ ٣٤٨.

فيه فعله وحركاته، وصوته وهو مخلوق.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «من قال: إن ألفاظنا، وتلاوتنا، وقراءتنا للقرآن مخلوقة، كان مقتضى كلامه أن الله لم يتكلم بالقرآن الذي أنزله، وأن القرآن المنزل ليس هو كلام الله... وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن القرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله تعالى، وإن كان مسموعاً من المبلِّغ عنه، فإن الكلام قد سمع من المتكلم به كما سمع موسى بلا واسطة، وهذا سماع مطلق...، وقد يسمعه من المبلِّغ عنه فيكون مقيداً... كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] كان معلوماً عند جميع من خوطب بالقرآن أنه يسمع سماعاً مقيداً من المبلِّغ ليس المراد به أنه يسمع من الله» <sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً في شرح عبارة الإمام أحمد رحمته الله: «اللفظ والتلاوة يراد به الملفوظ المتلو، وذلك هو كلام الله، فمن جعل أفعال العباد وأصواتهم غير مخلوقة، فهو مبتدع ضال» <sup>(٢)</sup>.

٢- قال عبد الرحمن بن أبي حاتم سئل أبو زرعة <sup>(٣)</sup> عن أفعال العباد؟ فقال: «مخلوقة، فقيل له: لفظنا بالقرآن من أفعالنا؟ قال: لا يقال هذا» <sup>(٤)</sup>؛ فهو رحمته الله منع ذلك لكون اللفظ يشمل فعل العبد الذي هو حركته وصوته، ويشمل المقروء الذي هو كلام الله تعالى، مع اتفاقه على أن أفعال العباد مخلوقة، وأن القرآن غير مخلوق.

(١) المجموع ٦/٦٥٦، وانظر: الجواب الصحيح ٤/٣٤٢.

(٢) المجموع ٦/٥٢٧، وانظر: المجموع ١٢/١٧٠.

(٣) هو الإمام الحافظ المحدث: أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ، طلب الحديث وهو حدث، وجمع الشيء العظيم منه وحدث، وأصبح من كبار علماء الجرح والتعديل، وعلى أقواله في هذا الفن التعويل، قال الذهلي: «لا يزال المسلمون بخير ما أبقي الله لهم مثل أبي زرعة، يُعَلِّمُ الناس، وما كان الله ليترك الأرض إلا وفيها مثل أبي زرعة، يعلم الناس ما جهلوه»، وهو صاحب أبي حاتم وزميله، وله كلمات سديدة في السنة، شديدة على أهل البدعة، توفي رحمته الله سنة ٢٦٤هـ. انظر: الجرح والتعديل ١/٣٢٨-٣٤٩، السير ١٣/٦٥-٨٥، تقريب التهذيب ص ٣١٣.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/٣٩٠.

٣- سبق قول أبي ثور رحمه الله حيث قال: «هذا مما يسعك جهله، والله لا يسألك رحمه الله عن هذا، فلا تتكلموا فيه فإن من زعم أن كلامه بالقرآن مخلوق فقد وافق اللفظيين، لأنه إذا سمع منك القرآن فزعمت أنه لفظك، فقد زعمت أن القرآن مخلوق»<sup>(١)</sup>.

**الوجه الثالث: الإنكار لكون مسألة اللفظ ذريعة إلى القول بخلق القرآن:**  
يكره تجريد الكلام عن واسطته التي بها يرى أو يقرأ أو يسمع لئلا يتذرع بذلك إلى القول بخلق القرآن، ومن الناس من تكلم بإثبات أو نفي، والذين في قلوبهم زيغ من أهل الأهواء لا يفهمون من كلام الله، وكلام رسوله، وكلام السابقين الأولين، والتابعين لهم بإحسان في باب صفات الله إلا ما في أذهانهم، ثم يريدون تحريف الكلم عن مواضعه، أو زادوا في الألفاظ وغيرها، بل يتدعون ألفاظاً حتى توافق مذهبهم، ومن ذلك مسألة اللفظ الذي تذرعوها به إلى القول بخلق القرآن، ولذا منع الأئمة الأثبات هذا اللفظ المبتدع الذي لم يرد في السمعيات<sup>(٢)</sup>.

١- قال الإمام أحمد رحمه الله - وقد سُئل عن اللفظية، ومن قال باللفظ -: «هذا يجانب، وهو قول مبتدع، وهذا كلام الجهمية، ليس القرآن بمخلوق»<sup>(٣)</sup>، وقال: «هم جهمية، وهم أشد ممن يقف، هذا قول جهم»<sup>(٤)</sup>، وقال: «كل من يقصد إلى القرآن بلفظ، أو غير ذلك، يريد به مخلوق، فهو جهمي»<sup>(٥)</sup>.

وقوله: (يريد به مخلوق) احتراز منه رحمه الله عن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وهو يريد فعل العبد القائم به الذي هو الحركة والصوت، لا كلام الله تعالى الملفوظ المكتوب، فمن قال هذا على هذا التفصيل فقلوه حق، لكن إطلاقه غير جائز<sup>(٦)</sup>.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣٩٣/٢.

(٢) انظر: المجموع ١٧٠/٣٣.

(٣) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة ص ٣٥ (١٦٩)، وانظر: السنة للخلال ٧٣/٧.

(٤) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة ص ٣٥ (١٧٠)، وانظر: السنة للخلال ٧٣/٧.

(٥) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة ص ٣٦ (١٧٣)، وانظر: السنة للخلال ٧٤/٧، ٨٢.

(٦) انظر: المجموع ١٢/٥٦٧-٥٦٨.

٢ - قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري رحمته الله <sup>(١)</sup>، وقد سئل عمن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؟ «قال: هذا كلام جهم، من كان يخاصم منهم فلا يجالس، ولا يكلم، والجهمي كافر» <sup>(٢)</sup>؛ فالجهمية تذرعو باللفظ ليصلوا إلى مقصودهم الخبيث، وهو القول بخلق القرآن، لذا اشتد نكير العلماء على اللفظية، وسأستوفي ذكر مذهب اللفظية المبتدعة في الباب الثاني، وأما هنا فأكتفي بما ذكرت، وفي الإشارة عبارة، وفي ذكر ما مضى كفاية، والله المستعان.

والخائضون في هذه المسألة حصل منهم خلط، حتى نسب كل منهم مذهبه إلى إمام من أئمة السلف، خصوصاً الإمام أحمد، والإمام البخاري، وإيضاحاً لبراءتهم أرى لزوماً علي بيان منهجهم في هذه المسألة، وهذا ما سأبينه في المسألة الثانية، ومن الله التوفيق.

### المسألة الثانية: الجمع بين أقوال الأئمة، وتوضيح مقاصدهم:

كل من أنكر الخوض في مسألة اللفظ من السلف الذين ظهر في عهدهم هذه المقالة إنما كان ذلك باعتبار، ولذلك اختلفت ألفاظهم قوة وشدة، مع اتفاق الجميع أنها بدعة محدثة، وأنها مطية للجهمية كما سبق أن أشرت إليها <sup>(٣)</sup>.

والبدع المحدثات ترد مطلقاً، وهكذا كان شأن السلف في هذه المسألة رحمهم الله، فكل من بالغ في الإنكار وشدّد، فلاجل كونها ذريعة إلى قول جهم والجعد، وكل من فرق وفصل فلاجل كونها من المجملات، ولابد فيها من التفصيل وذكر البينات، وكل من بيّن موقفه فلاجل كون البدعة إذا ظهرت، فلا بد فيها من قول جلي، وطريق سوي، ولا يسعهم السكوت - خصوصاً - بعد ظهور القول وفشوه بين الناس.

(١) هو الفقيه: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري، ولد سنة ٢١٨ هـ، ولزم الإمام أحمد وخدمه وتفقّه به، وكان من العلماء العاملين، له عن الإمام أحمد سؤالات، ومنها قال: «سمعت أبا عبد الله يُسأل عن الذي يشتم معاوية نصلي خلفه؟ قال: لا، ولا كرامة»، مات ببغداد سنة ٢٧٥ هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/١٠٢، السير ١٣/١٩-٢٠، رفع النقاب عن تراجم الأصحاب لإبراهيم ابن ضويان ص ٧٦.

(٢) مسائل ابن هانئ ٢/١٥٤.

(٣) انظر: المجموع ١٢/٢٥٧.

ويتضح هذا من وجهين:

**الأول:** أقوال الإمام أحمد في مسألة اللفظ، وأنه لا تضارب بينها:

ورد عن الإمام رحمه الله أقوال في رد مقالة اللفظ، لكونها محدثة، ولكونها مجملة، ولكونها ذريعة للجهمية، ومطية لهم، وعلى هذا يحمل كلام الإمام أحمد رحمه الله، قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله: «وأما ما حكاه محمد ابن جرير عن أحمد رحمه الله أن من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، فإنما أراد به أن السلف الصالحين من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ، ولم يُجْوهِم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق... فقال الإمام أحمد: هذا القول في نفسه بدعة، ومن حق المتدين أن يدعه، وكل بدعة مبتدعة، ولا يتفوه به، ولا بمثله من البدع المبتدعة، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتبعة: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه»<sup>(١)</sup>.

وأنكر الإمام رحمه الله الإطلاق في هذه المسألة نفياً وإثباتاً:

ومن ذلك ما قاله أبو بكر المروزي رحمه الله<sup>(٢)</sup> «قال لي أبو عبد الله: قد غيض قلبي على ابن شداد؟»<sup>(٣)</sup>، قلت: أي شيء حكى عنك؟، قال: حكى عني في اللفظ، فبلغ ابن شداد أن أبا عبد الله قد أنكر عليه، فجاءنا حمدويه بن شداد بالرقعة فيها مسائل، فأدخلتها على أبي عبد الله، فنظر فرأى فيها: إن لفظي بالقرآن غير مخلوق - مع مسائل فيها - فقال أبو عبد الله: فيها كلام ما تكلمت به، فقام من الدهليز فدخل، فأخرج المحبرة والقلم، وضرب أبو عبد الله على موضع: لفظي بالقرآن غير مخلوق، وقال: ما سمعت أحداً تكلم في هذا بشيء، وأنكر على من قال: لفظي

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٣٤-٣٥ (١٧).

(٢) هو الإمام الفقيه المحدث: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي، صاحب الإمام أحمد، وأجل أصحابه، وكان إماماً في السنة، شديد الإتياع - قال أبو بكر بن صدقة: «ما علمت أحداً أذب عن دين الله من المروزي» - زاهداً نقياً ورعاً، روى عن الإمام مسائل كثيرة، توفي سنة ٢٧٥ هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٥٧، ٦٢، تاريخ بغداد ٤/ ٤٢٣ - ٤٢٥، السير ١٣/ ١٧٦.

(٣) هو: حمدويه بن شداد، نقل عن الإمام أحمد أشياء، وهو من أصحابه. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ١٤٢.

بالقرآن غير مخلوق»<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك إنكاره ﷺ على أبي طالب<sup>(٢)</sup> كما رواه صالح بن أحمد<sup>(٣)</sup>، قال صالح: «تناهى إليّ أن أبا طالب يحكي عن أبي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فأخبرت أبي بذلك، فقال: من أخبرك؟ قلت: فلان، قال: ابعث إليّ أبا طالب، فجئت إليه، فجاء وجاء فوران<sup>(٤)</sup>، فقال له أبي: أنا قلت لك لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وغضب، وجعل يردد، فقال له: قرأت عليك: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٥)</sup>، فقلت لي: هذا ليس بمخلوق! قال له: لم حكيت عني أني قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وبلغني أنك وضعت ذلك في كتابك، وكتبت به إلى قوم؟ فإن كان في كتابك فاحمه أشد المحو، واكتب إلى القوم الذين كتبت إليهم أني لم أقل لك هذا، وغضب، وأقبل عليه، فقال: تحكي عني ما لم أقل لك؟ فجعل فوران يعتذر إليه، وانصرف من عنده، وهو مرعوب، فعاد أبو طالب فذكر أنه قد محا ذلك من كتابه، وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وهم على أبي عبد الله في الحكاية»<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه الخلال في السنة ٧/ ٩٩-١٠٠، وانظر: المجموع ١٢/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٢) هو: أبو طالب أحمد بن حميد المشكاني، مخصوص بصحبة أحمد، مكرما معظما عنده، وكان صالحا صابرا، وروى عنه مسائل، توفي سنة ٢٤٤هـ. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٤٠، تاريخ بغداد ٤/ ١٢٣، رفع النقاب ص ٦٤.

(٣) هو الحافظ الفقيه: أبو الفضل صالح بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد سنة ٢٠٣هـ، وهو أكبر إخوته، وتفقه على أبيه، وسمع الحديث منه، تولى القضاء بطرسوس ثم بأصبهان، وكان صالحا سخيا، مع كثرة عياله، روى عن أبيه الشيء الكثير، وتوفي بأصبهان سنة ٢٦٦هـ. انظر: الجرح والتعديل ٤/ ٣٩٤، طبقات الحنابلة ١/ ١٦٥-١٦٧، السير ١٢/ ٥٢٩-٥٣٠.

(٤) هو: أبو محمد عبد الله بن محمد بن المهاجر، الملقب بفوران (بالراء المهملة)، قال الدارقطني: «فوران نبيل جليل، كان أحمد يجله»، وكان يأنس به، ويقترض منه، له روايات قليلة عن الإمام أحمد، توفي سنة ٢٥٦هـ. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ١٨٧-١٨٨ وقد وقع في اللقب تصحيف حيث كتب (بالراء المعجمة) والصواب ما أثبتته كما في باقي المراجع، وهو كذلك في رواية الخلال في السنة، وانظر: تاريخ بغداد ١٠/ ٧٩، هداية الأريب الأعمد لمعرفة أصحاب الرواية عن أحمد للشيخ سليمان بن حمدان ص ١٥٨-١٥٩.

(٥) أي قرأ عليه سورة الإخلاص ١-٤.

(٦) رواه الخلال في السنة ٧/ ٩٥-٩٦، وانظر: المجموع ٧/ ٦٥٩، ٨/ ٤٠٧، ١٢/ ٤٢٣-٤٢٤، ١٦٨.

وفي رواية المروزي: «قال أبو عبد الله: القرآن كلام الله غير مخلوق كيف تصرف، فقليل لأبي طالب: اخرج وأخبر أن أبا عبد الله قد نهي أن يقال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فخرج أبو طالب فلقي جماعة من المحدثين، فأخبرهم أن أبا عبد الله نهاه أن يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق»<sup>(١)</sup>.

وقد سبق إنكار الإمام عليه السلام على النافي والمثبت لهذه اللفظة، كما في قوله: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع».

ولما كان الإمام عليه السلام قد ابتلي بالجهمية القائلين بخلق القرآن كان أكثر كلامه وإنكاره عليهم، لأنهم قالوا باللفظ لقصد باطل<sup>(٢)</sup> وإلا فإن النقول عنه جلية، في رد هذه المقولة البدعية، سواء كان نفيًا أو إثباتًا، كما قال الإمام البخاري عليه السلام: «فأما ما احتج به الفريقان - القائلون: بأن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، والقائلون: بأنها غير مخلوقة - من مذهب أحد، ويدعيه كل لنفسه، فليس بثابت كثير من أخبارهم، وربما لم يفهموا دقة مذهبه، بل المعروف عن أحد وأهل العلم: أن كلام الله غير مخلوق، وما سواه مخلوق، وأنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة، وتجنبوا أهل الكلام»<sup>(٣)</sup>.

ودقة كلام الإمام أحمد يوضحه شيخ الإسلام عليه السلام بقوله: «ولم يقل أحمد قط، من قال: إن صوتي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، وإنما قال: من قال: لفظي بالقرآن، والفرق بين لفظ الكلام، وصوت المبلغ له فرق واضح، فكل من بلغ كلام غيره بلفظ ذلك الرجل فإنما بلغ لفظ ذلك الغير، لا لفظ نفسه، وهو إنما بلغه بصوت نفسه لا بصوت ذلك الغير».

ونفس اللفظ والتلاوة، والقراءة والكتابة، ونحو ذلك، لما كان يُراد به المصدر الذي هو حركات العباد، وما يحدث عنها من أصواتهم، وشكل مدادهم، ويُراد به نفس الكلام الذي يقرؤه التالي، ويتلوه ويلفظ به، ويكتبه، منع أحمد وغيره من إطلاق

(١) رواه الخلال في السنة ٩٤/٧، وانظر: المجموع ٣٦١/١٢.

(٢) انظر: المجموع ٢٠٦/١٢.

(٣) خلق أفعال العباد ص ٧٠، وانظر: المجموع ٦٥٨-٦٥٩/٧، ٢٠٩/١٢.



النفي والإثبات، الذي يقتضي جعل صفات الله مخلوقة، أو جعل صفات العباد ومدادهم غير مخلوقة... ومن لم يهتد إلى هذا الفرق يحار»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضا: «وأما أصوات العباد، ومداد المصاحف، فلم يتوقف أحد من السلف في أن ذلك مخلوق، وقد نص أحمد وغيره على أن صوت القاري، صوت العبد...، وقال أحمد: من قال لفظي بالقرآن مخلوق - يريد به القرآن - فهو جهمي»<sup>(٢)</sup>.

فتبين مما سبق أن إنكار الإمام أحمد رحمته الله موجه إلى اللفظية المثبتة والنافية، لما في ذلك من الإجمال.

وانتساب الطائفتين: المثبتة والنافية على اختلاف أقوالهم فيه نظر، بينه الإمام البخاري رحمته الله، بأن كلتا الطائفتين لم تفهم قول الإمام أحمد.

وانتساب اللفظية النافية إليه أبعد، وذلك لكونه كان سدا منيعا على الجهمية اللفظية القائلين بأن: لفظي بالقرآن مخلوق، والروايات في ذلك عنه أكثر وأشهر وأسد.

وأما انتساب اللفظية المثبتة إليه فهو الذي كان بسببه بعض التنازع بين أصحابه، والحق الكف عن المسألة، أو القول بالتفصيل، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «والقول بأن: اللفظ غير مخلوق، نسب إلى محمد بن يحيى الذهلي»<sup>(٣)</sup> وأبي حاتم

(١) المجموع ١٢/٧٤-٧٥.

(٢) المجموع ١٢/٥٦٧-٥٦٨، وانظر: ١٢/٧٤، ١٧٩.

(٣) هو العلامة الحافظ الإمام: أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس الذهلي مولا لهم، إمام أهل الحديث بخراسان، كانت له جلالة عظيمة بنسبهاور كجلالة أحمد في بغداد، روى عن الأئمة، وروى عنه الأئمة، متمسك بها ورد، مُنكِرٌ على المحدثين بها لم يرد، قال أبو حاتم: «هو إمام أهل زمانه»، توفي سنة ٢٥٨ هـ، وأما ما نسب إلى الذهلي - فإنه لم يكن يقول ذلك: أعنى لفظي بالقرآن غير مخلوق، ولكنه كان يقول كالإمام أحمد كما نقل ذلك عنه الذهبي بإسناده: «القرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، وحيث تصرف، ولا نرى الكلام فيما أحدثوا فتكلموا في الأصوات، والأقلام، والخبر والورق، وما أحدثوا من التلوي والتلوي والمقري، فكل هذا عندنا بدعة، ومن زعم أن القرآن محدث، فهو عندنا جهمي، لا يُشكك فيه، ولا يُمتري»، وبهذا يتبين أنه منع القول باللفظ لكونه بدعة، ولم ير التفصيل، لكن النقلة زادوا عليه - والله أعلم - . انظر: الجرح والتعديل ٨/١٢٥، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/٣٨٨، طبقات الحنابلة ١/٣٠٢، السير ١٢/٢٧٣-٢٩٤.

الرازي<sup>(١)</sup>... وبعد موت أحمد، وقع بين بعض أصحابه وبعضهم، وبين طوائف من غيرهم بهذا السبب...، فلما ولي صالح بن أحمد قضاء الثغر، طلب منه أبو بكر المروزي: أن يظهر لأهل الثغر "مسألة أبي طالب"، - فإنه قد شهدا صالح وعبد الله<sup>(٢)</sup> ابنا أحمد، والمروزي، وفوران، وغيرهم - وصنف المروزي كتابا في الإنكار على من قال: إن لفظي بالقرآن غير مخلوق، وأرسل في ذلك إلى العلماء بمكة والمدينة، والكوفة والبصرة، وخراسان، وغيرهم، فوافقوه، ومع هذا فطوائف من المنتسبين إلى السنة، وإلى اتباع أحمد... يقولون: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، ويقولون: هذا قول أحمد... وليس الأمر كما قاله هؤلاء، فإن أعلم الناس بأحمد، وأخص الناس، وأصدق الناس في النقل عنه، هم الذين رَوَوْا ذلك عنه، ولكن أهل خراسان لم يكن لهم من العلم بأقوال أحمد ما لأهل العراق الذين هم أخص به<sup>(٣)</sup>، فالتوائف المنتسبة إلى الإمام أحمد في مسألة اللفظ، لم تفهم دقة كلام الإمام، ومرامه في ذلك، نفيا أو إثباتا، والمحققون من أهل العلم من المنتسبين إلى السنة، وإلى الإمام أحمد فهموا المراد من ذلك، فوقفوا عن هذه المسألة المبتدعة، ونهوا الناس عنها، أو الخوض فيها إلا بالتفصيل الذي يشفي ويكفي، ومن أبرز هؤلاء: صالح وعبد الله ابنا الإمام أحمد، والمروزي، وفوران، وابن شداد، وأبو طالب، والبخاري، وابن جرير... وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهم رحمهم الله، فإنهم جميعا وضحوا المراد من نهي الإمام أحمد نفيا أو إثباتا، وأنه للإجمال، وكونها ذريعة للجهمية، وأيضا لا

(١) سبقت ترجمته، وأما ما نسب إليه فإنه - والله تعالى أعلم - أيضا من قبيل ما نسب إلى الذهلي، فإنه قد ورد عنه تبداع اللفظة المثبتة، كما في شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣٨٩/٢، وهذا لا يدل على أنه يقول بأن لفظه بالقرآن غير مخلوق.

(٢) هو الحافظ الناقد: أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد سنة ٢١٣هـ، روى عن أبيه العلم، فروى المسند والزهد وفيهما علم جم، وشيوخ خلق لا يحصون، وروى عنه خلق لا يعدون، وله مصنفات منها: الرد على الجهمية، والسنة، مات سنة ٢٩٠هـ. انظر: الجرح والتعديل ٧/٥، تاريخ بغداد ٩/٣٧٥-٣٧٦، طبقات الحنابلة ١/١٧٤-١٨١.

(٣) المجموع ١٢/٢٠٧-٢٠٨.

يتبادر عند الإطلاق إلا الملفوظ « فإن المسلمين إذا قالوا: هذا القرآن كلام الله، لم يريدوا بذلك أن أصوات القارئ، وحركاتهم قائمة بذات الله، كما أنهم إذا قالوا: هذا الحديث حديث رسول الله ﷺ لم يريدوا بذلك أن حركات المحدث، وصوته قامت بذات رسول الله ﷺ »<sup>(١)</sup>.

فهذا الذي ثبت عن أبي عبد الله في اللفظ.. بدّع الذين يقولون باللفظ نفياً أو إثباتاً<sup>(٢)</sup>، وبهذا يتضح أن الإمام أحمد بريء ممن انتسب إليه في مسألة اللفظ، وأن قوله المنع من الإطلاق، وعدم الخوض في كلام الخلاق، إلا بما ورد في نصوص الكتاب والسنة.

### الثاني: الغلط على الإمام البخاري رحمه الله، والاعتذار للأئمة:

البخاري هو من هو في جلاله قدره، وعلو شأنه، ورفع منزلته، وله في قلوب المسلمين مكانة، وذلك لما اقترن اسمه بأحاديث رسول الله ﷺ كثيراً، واتفق العلماء على أن ما في صحيحه قد جاوز القنطرة، وكان الإمام متبعاً للأثر، ينهى عن البدع ويزجر، ووقع من بعض أقرانه له نوع حسد، فأشاعوا عنه أنه قال: لفظي بالقرآن مخلوق، قال محمد بن شاذل<sup>(٣)</sup>: « لما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري، دخلت على البخاري فقلت: يا أبا عبد الله أئش الحيلة لنا فيما بينك وبين محمد بن يحيى، كل من يختلف إليك يُطرد؟ فقال: كم يعترني محمد بن يحيى الحسد في العلم؟ والعلم رزق الله يعطيه من يشاء؛ فقلت: هذه المسألة التي تُحكى عنك؟ قال: يا بني هذه مسألة مشؤومة، رأيت أحمد بن حنبل وما ناله في هذه المسألة<sup>(٤)</sup>؟ وجعلت نفسي

(١) الدرء ١/ ٢٥٩، وانظر: المجموع ١٢/ ٢٨١-٢٨٢.

(٢) السنة للخلال ٧/ ١٠٤.

(٣) هو المحدث المقرئ: أبو العباس محمد بن شاذل بن علي الهاشمي مولا هم النيسابوري، حدث عن خلق كثر، وعنه كذلك، وكان يقرئ، وفقد بصره قبل موته بعشرين سنة، توفي سنة ٣١١ هـ. انظر: السير

١٤/ ٢٦٣-٢٦٤، شذرات الذهب ٢/ ٢٦٣.

(٤) لعله يقصد انتساب اللفظيين النافين إليه، ثم إنكار الإمام أحمد عليهم، كما حصل مع أبي طالب، وابن شداد.

أن لا أتكلم فيها»<sup>(١)</sup>.

فالإمام البخاري رحمته الله تكلم في هذه المسألة بالتفصيل وفرق بين القراءة وهي فعل العبد عنده فإنها مخلوقة، وبين المقروء وهو المتلو عنده، فالأول بإجماع أهل العلم مخلوقة، والثاني بإجماع أهل العلم كلام الله غير مخلوق، ثم الرواية المذكورة تبين لنا أن الإمام البخاري جعل على نفسه أنه لا يتكلم في مسألة اللفظ، لما فيه من الإجمال، وهذا الذي سبب الخلاف، فأصبح قوله أخيراً كقول الإمام أحمد رحمهم الله وهو السكوت عن هذه الألفاظ المبتدعة وردها، والوقوف بها ورد عن السلف.

وقول البخاري رحمته الله في الفرق بين اللفظ الذي يراد به الفعل، وبين الملفوظ الذي هو المتلو هو المتعين، خصوصاً عند اضطراب الناس، ووافقه على هذا التفريق أئمة فضلاء، وعلماء أجلاء، فالتفريق بين الفعل والمفعول واضح بين، ولكن التلفظ بها على وجه اللفظ والملفوظ هو الذي فيه الإجمال، وكان الأولى تركه، والتعبير عنه بما هو أدل وأبين أولى، وبما هو نص في الموضوع أجلى، بخلاف الألفاظ المجملة.

قال البخاري رحمته الله - بعد قول يحيى بن سعيد<sup>(٢)</sup> -: «ما زلت أسمع من أصحابنا، يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة، قال أبو عبد الله: حركاتهم وأصواتهم، واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين، المثبت في المصحف، المسطور المكتوب، الموعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بخلق»<sup>(٣)</sup>.

وهذه ألفاظ صريحة، وعنه ثابتة صحيحة، تدل على أن اعتقاده واعتقاد الإمام أحمد رحمهما الله في القرآن واحد، وأن الجميع يرون أن أفعال العباد مخلوقة، وأن كلام

(١) السير ١٢/٤٥٦، وانظر: المجموع ١٢/٣٦٤-٣٦٥.

(٢) هو الإمام الحافظ الكبير: أبو سعيد يحيى بن فروخ القطان التميمي مولاهم البصري، ولد سنة ١٢٠هـ، سمع من جمع من التابعين، وساد خلافه المقارنين، وكان يحفظ بلا إملال، مع نقد في العلل والرجال، روى عنه جمع، قال فيه أحمد: «ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد القطان»، توفي سنة ١٩٨هـ. انظر: التاريخ لابن معين ٢/٦٤٥-٦٤٨، المعارف لابن قتيبة ص ٢٨٧، السير ٩/١٧٥-١٨٨.

(٣) خلق أفعال العباد ص ٤٢.

رب العباد لا يكون مخلوقاً<sup>(١)</sup>.

وهناك معنى آخر من أجله أنكر الإمام البخاري على القائلين بعدم التفريق بين التلاوة والتلو، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «فصار طائفة منهم - أي: من أهل الحديث - يقولون: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، ومرادهم: أن القرآن المسموع غير مخلوق، وليس مرادهم صوت العبد، كما يذكر عن أبي حاتم الرازي، ومحمد بن داود المصيصي<sup>(٢)</sup>، وطوائف غير هؤلاء، وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك، أو يقف فيه، ففهم ذلك بعض الأئمة، فصار يقول: أفعال العباد أصواتهم مخلوقة، رداً لهؤلاء، كما فعل البخاري، ومحمد بن نصر المروزي، وغيرهما من أهل العلم والسنة<sup>(٣)</sup>؛ فـ «ظن بعضهم: أن البخاري خالف أحمد، وليس كذلك، بل من تدبر كلامه لم يجد فيه خلافاً معنوياً»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن قتيبة في مسألة اللفظ: «وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفة، ولا مما يوجب الوحشة، لأنهم مجمعون على أصل واحد، وهو: القرآن كلام الله غير مخلوق، في كل موضع، وبكل جهة، وعلى كل حال»<sup>(٥)</sup>.

وأما أن الإمام البخاري رحمته الله قال: إن لفظي بالقرآن مخلوق، وانتساب اللفظية النافية إليه فباطل، وذلك أنه لم يثبت عنه إلا التفريق بين فعل العبد المخلوق، وكلام الرب رحمته الله، ولم يقل يوماً: إن لفظي بالقرآن مخلوق، فقد «ثبت عنه بالإسناد المرضي أنه قال: من قال عني أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فقد كذب»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: المجموع ١٢ / ٣٦٩.

(٢) هو الثقة الفاضل: أبو جعفر محمد بن داود بن صبيح المصيصي، من خواص الإمام أحمد، وله عنه مسائل كثيرة، يوازي مسائل الأثرم. انظر: طبقات الحنابلة ١ / ٢٧٤-٢٧٥، تقريب التهذيب ص ٤١٣، رفع النقاب ص ١٠٨.

(٣) الدرء ١ / ٢٦٢، وانظر: الفتح ١٣ / ٥٠١.

(٤) الفتح ١٣ / ٥٠١، وانظر منه ١٢ / ٢٦٥.

(٥) الاختلاف في اللفظ ص ٥٧.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢ / ٣٩٦، تاريخ بغداد ٢ / ٣٢، وانظر: المجموع ١٢ / ٥٧٢.

## حَقِيقَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي نَظَرِ السَّلَفِ

وقال أيضاً: «من زعم من أهل نيسابور<sup>(١)</sup>، وقومس<sup>(٢)</sup>، والري<sup>(٣)</sup>، وهمذان<sup>(٤)</sup>، وحلوان<sup>(٥)</sup>، وبغداد، والكوفة، والمدينة، ومكة، والبصرة، أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقل هذه المقالة، إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة»<sup>(٦)</sup>.

وقال أيضاً: «إني أقول كما قال الله: ﴿وَالطُّورِ﴾<sup>(٧)</sup> وَكَتَبَ مَسْطُورٍ [الطور: ١-٢] أقول: في المصاحف قرآن، وفي صدور الرجال قرآن، فمن قال غير هذا يستتاب، فإن تاب وإلا فسيله سبيل الكفر»<sup>(٧)</sup>.

وبعد هذا ليس لمنتسب إليه في هذه المقالة حجة، ولا لقوله بينة، فالإمام البخاري رحمه الله إنما أراد التفريق بين فعل العبد المخلوق، وكلام الرب الخالق، ولم يرد نفي لفظ القرآن، أو أنه ليس له لفظ، أو... من هذه المعاني الباطلة التي ذهب إليها أهل الأهواء والبدع.

ويعتذر للأئمة لما جرى بينهم بسبب الوشاة، والنقلة غير الضابطين، وأنهم خاضوا البحر الخضم، وتكلموا في هذه المسألة بهذا الكم، بأنهم أرادوا الخير، وقصد السبيل، وبيان الدليل «فلما وقعت الحيرة، ونزلت هذه البلية، فزع الناس إلى علمائهم، وذوي رأيهم، فاختلفوا عليهم: فقال فريق منهم: القراءة فعل محض، وهي مخلوقة

(١) نيسابور هي: إحدى مدن خراسان سابقا، وفتح في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، وكانت مدينة للعلم وتخرج منها العلماء، وقد دمرها التتار. انظر: الأنساب للسمعاني ٥/ ٥٥٠، معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/ ٣٨٢.

(٢) قُومس: بلدة من البلاد الفارسية، ويقال لها: كومش، وهي على طريق خراسان إذا توجه إليها العراقي. انظر: الأنساب للسمعاني ٤/ ٥٩٥، معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/ ٤٧٠.

(٣) الرِّي: بلدة قرية من نيسابور، تخرج منها علماء، وخربت أيام التتار، وهي الآن عاصمة إيران، وتسمى "طهران". انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/ ١٣٢. أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص ٣٩.

(٤) هَمْدَان - بالتحريك و الذال -: بلدة فتحها المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أيام خلافة عمر رضي الله عنه وهي الآن في الشمال الغربي من إيران. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/ ٤٧٣. أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص ٣٩.

(٥) حُلُوان: هي بلدان عدة، فحلوان العراق، وحلوان أيضا قرية من أعمال مصر، والأول هو المراد هنا. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٣٣٤.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٩٦-٣٩٧.

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٩٥-٣٩٦، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٢.

كسائر أفعال العباد، والقرآن غيرها... فاتبعهم في ذلك فريق، وقالت فرقة: - القراءة - هي القرآن بعينه، ومن قال: إن القراءة مخلوقة فقد قال بخلق القرآن، واتبعهم قوم، وقالت فرقة: هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها، ولم يتكلفوها، ولا تعاطوها»<sup>(١)</sup>.

فهذا اعتذار لطيف للأئمة، وبيان سبب خلافهم في المسألة، واعتذر شيخ الإسلام رحمته الله للأئمة بقول لطيف، ومعنى عفيف، فقال: «فالذين قالوا: التلاوة هي المتلو، من أهل العلم والسنة قصدوا: أن التلاوة هي القول، والكلام المقترن بالحركة، وهي الكلام المتلو، وآخرون قالوا: بل التلاوة غير المتلو، والقراءة غير المقروء، والذين قالوا ذلك من أهل السنة والحديث أرادوا بذلك: أن أفعال العباد ليست هي كلام الله، ولا أصوات العباد هي صوت الله، وهذا الذي قصده البخاري، وهو مقصد صحيح»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضا في الاعتذار للبخاري ومخالفه: «وإذا حسن قصدهم، واجتهد هو وهم، أثابه الله وإياهم على حسن القصد، وإن كان قد وقع منه أو منهم بعض الغلط والخطأ فالله يغفر لهم كلهم»<sup>(٣)</sup>.

فإذا علمنا موضع النزاع تبين وجه الإنكار، وأن الخلاف لفظي خصوصاً مع اتفاقهم في الأصول، ومنها: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو القرآن الموجود في المصاحف، والمكتوب في السطور، المحفوظ في القلوب، وهذا قد سبق بيانه.

وأيضاً اتفقوا أن القرآن هو المنزل على محمد ﷺ، وهذا ما سألني في الفصل التالي.

(١) الاختلاف في اللفظ ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) الدرء ١/ ٢٦٤، وانظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٤٨.

(٣) المجموع ١٢/ ٢٠٨، وانظر: ٣٣٤/ ١٢.





## إِفْضَالُ الثَّانِي

بَيِّنَاتُ لُغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُنْزَلًا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجوب الإيمان بنزول القرآن الكريم على

نبيينا محمد ﷺ وفيه مطلبان.

المبحث الثاني: نزول القرآن، وفيه مطلبان.

المبحث الثالث: معنى إنزال الله القرآن عند السلف، وفيه

مطلبان.



## المبحث الأول

## وجوب الإيمان بنزول القرآن الكريم

## على نبينا محمد ﷺ

## المطلب الأول: وجوب الإيمان بنزول القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ.

القرآن الكريم كلام الله عز وجل منزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، والقرآن المنزل هو اللفظ والمعنى، ليس اللفظ دون المعنى، ولا المعنى دون اللفظ، وقد بلغه النبي ﷺ إلى أمته<sup>(١)</sup>.

وثبت بالنقل المتواتر المعلوم من الدين بالضرورة للموافق والمخالف أن محمدا ﷺ كان يبلغ هذا القرآن، ويقول: إنه كلام الله، وكان يفرق بين القرآن، وبين ما يتكلم به من السنة<sup>(٢)</sup>.

وبين ﷺ الدين البلاغ المبين فلم يكتف آية، ولم ينقص شيئا من الدين، بل بلغ الدين كله، ومن ذلكم القرآن الكريم الموجود بين الدفتين<sup>(٣)</sup>.

وهذا القرآن الذي أنزل عليه، وعلمه أمته، لم يُحصَّله هو بعلمه تعلمه، ولا بجهد بذله، بل لم يتعلم القراءة والكتابة أصلا، فقد كان ﷺ أميا، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

(١) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٣٦، دقائق التفسير ٢/ ١٩٣، والمراد أن لهذا القرآن المنزل معنى، فالقرآن ليس لفظا وحروفا لا معاني لها، ولا معاني من دون حروف، بل هو حرف ومعنى.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٣/ ١٨، ٢٠.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص ٢٠٧.

الرَّسُولَ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿[الأعراف: ١٥٧].

ولم يتعلم عليه ﷺ من أحد من الخلق شيئا من الوحي، لا من كتابي، ولا من عجمي، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النمل: ١٠٣].

ولم يكن ﷺ حاكيا للقرآن، ولا معبرا له، بل هو مبلغ له عن الله ﷻ<sup>(١)</sup>، ولم يقل أحد من السلف أن النبي ﷺ سمع القرآن من الله ﷻ مباشرة بدون واسطة، وإجماع السلف قائم على أنه ﷺ سمعه من جبريل ﷺ؛ قال أبو جعفر الطحاوي ﷺ: « وإن القرآن كلام الله... أنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا »<sup>(٢)</sup>، قال ابن أبي العز في شرحه لهذه العبارة وما بعدها: « وهذا الذي حكاه الطحاوي ﷺ، هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تُغَيَّرْ بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة »<sup>(٣)</sup>.

وقال الموفق ابن قدامة ﷺ: « فإن المسلمين أجمعوا على أن القرآن أنزل على محمد ﷺ... »<sup>(٤)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: « ومذهب سلف الأمة وأئمتها وخلفها: أن النبي ﷺ سمع القرآن من جبريل »<sup>(٥)</sup>.

فأنزل القرآن على نبينا محمد ﷺ هاديا وبشيرا، ونذيرا للورى، و هو آيته الكبرى، ومعجزته العظمى، شاهدة له بالصدق، ومؤيدة له بالحق، آية باقية ما بقي الليل والنهار.

(١) انظر: المجموع ١٢ / ٢٨٠.

(٢) العقيدة الطحاوية ص ٤٠، بشرح وتعليق الشيخ الألباني، وانظر: شرح العقيدة السفارينية لابن مانع ص ٧٦-٧٧.

(٣) شرح الطحاوية ١ / ١٧٢.

(٤) رسالة في القرآن وكلام الله لابن قدامة المقدسي ص ١٦١، ضمن مجلة البحوث الإسلامية العدد (٦١)، وانظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٣٠.

(٥) المجموع ٥ / ٢٣٣، وانظر: الفتح ١٣ / ٤٧١، وشرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١ / ٤٣٥.

وقد دلت الأدلة الكثيرة على وجوب الإيذان بكون القرآن منزلاً على محمد ﷺ، وهذه الأدلة هي التي أوردتها في مسألتين:

**المسألة الأولى:** الأدلة الدالة على وجوب الإيذان بما أنزل على

محمد ﷺ.

وهذه الأدلة كثيرة فمنها:

١- قول الله ﷻ: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]؛ فقوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ دليل على وجوب الإيذان بالمنزل على نبي هذه الأمة، قال أبو جعفر الطبري: «يقول أيضاً: صدقنا بالكتاب الذي أنزل الله إلى نبينا محمد ﷺ فأضاف الخطاب بالتنزيل إليهم، إذ كانوا متبعيه ومأمورين منهيين به»<sup>(١)</sup>؛ فقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ يعني القرآن<sup>(٢)</sup>، ومثل الآية السابقة قوله تعالى<sup>(٣)</sup>: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

٢- قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِيرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، والكتاب الذي نزل على رسوله محمد ﷺ هو القرآن<sup>(٤)</sup>.

٣- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ١/ ٦١٨.

(٢) معالم التنزيل ١/ ١٥٦.

(٣) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي ص ١٩.

(٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٢٢٤، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٢/ ١٢٤.

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ [البقرة: ١٧٧] وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]؛ فالمنزّل إلى النبي ﷺ من ربه هو القرآن المشتمل على الأحكام وفصل الخطاب، والقرآن داخل أيضا في عموم ﴿الْكِتَابِ﴾ و﴿كُتُبِهِ﴾ وهي الكتب المنزلة المشتملة على الشرائع التي تعبد الله بها عباده؛ فالواجب على كل امرئ الإيمان بالكتب إيمانا مجملا، وبالقرآن على وجه الخصوص، من حيث كونه كلام الله تعالى غير مخلوق، وأنه منزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل ﷺ، وأنه مهيمن على الكتب السابقة، وأنه هو الموجود في مصاحف المسلمين<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: [الإيمان؛ أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره]<sup>(٢)</sup>؛ فالإيمان بالكتب من أركان الإيمان الستة المشهورة، والإيمان بالقرآن من أركان الإيمان بالكتب الخمسة المعروفة، وهي: صحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن الكريم.

٤- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [٧٧] إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْيُنِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ [٧٨] فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ [٧٩] غافر: ٦٩-٧٢؛ فهذا فيه تهديد شديد، ووعد أكيد لمن كذب بالكتاب الذي هو القرآن، ولم يؤمن بما فيه من الآيات والفرقان<sup>(٣)</sup>.

هذه بعض الأدلة الدالة على وجوب الإيمان بالقرآن الكريم، وأن الله أنزله على محمد ﷺ وفي المسألة التالية مزيد بيان لجانب آخر من الأدلة.

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن القنوجي ١/ ٤٧٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/ ٣٥٢.

(٢) رواه البخاري بنحوه: كتاب التفسير، باب/ قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، ح (٤٧٧٧)، عن أبي هريرة ﷺ، ومسلم بلفظه: كتاب الإيمان، باب/ بيان الإيمان والإسلام والإحسان...، ح (٨)، عن عمر ﷺ.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ١/ ٧٧، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٦٢٦.

المسألة الثانية: ذكر الأدلة الدالة على كون القرآن منزلاً على

محمد ﷺ .

ومن ذلك:

١ - تلقى النبي ﷺ القرآن من الله عز وجل عن طريق الوحي، وهذا ما دل عليه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۖ ﴾ [الأنعام: ١٩] وقوله تعالى: ﴿ خُنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۖ ﴾ [يوسف: ٣] وقوله: ﴿ وَإِنَّا لَنُتْلِي الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۖ ﴾ [النمل: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ۖ ﴾ [الشورى: ٧] <sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ ﴾ [فصل] فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ ﴾ [طه: ١١٣-١١٤]، ولما كان آية النبي العظمى القرآن الموحى إليه، قال ﷺ: [ما من نبي من الأنبياء، إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة] <sup>(٢)</sup>؛ فأعظم المعجزات وأشرفها وأبينها القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد ﷺ، فالخوارق غالباً مغايرة للوحي المتلقى، لأن الخوارق شاهدة بصدق الوحي، والقرآن بنفسه الوحي وهو المعجز، فهو شاهد بعينه على نفسه لا يحتاج إلى شاهد يشهد عليه، فاتحد في القرآن الدليل والمدلول <sup>(٣)</sup>؛ فالله تبارك وتعالى أرسل رسوله بالهدى، وبالبراهين وأعظمها في القرآن الموحى، وهو من أعظم الوحي المنزل على نبينا محمد ﷺ خير الورى.

(١) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٢٧٢.

(٢) رواه البخاري؛ كتاب فضائل القرآن، باب/ كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ح (٤٩٨١)، ومسلم؛ كتاب الإيمان، باب/ وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، ح (١٥٢)، كلاهما عن أبي هريرة ؓ.

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون ص ١٦٥.

٢- كونه ﷻ أوتي الكتاب وهو هذا القرآن؛ قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، قال الحافظ ابن جرير رحمه الله: ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ يعني كتابا فيه بيان ما اختلفوا فيه بينهم من توحيد الله، وحرامه وحلاله، وشرائع دينه، وهو القرآن الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٢﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] فالذكر هو الكتاب المنزل وهو القرآن الكريم، وقال: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١] وقال: ﴿طس ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ١] فالكتاب هو القرآن، والقرآن هو الكتاب، اسمان لما أوحى إلى النبي ﷺ من كلام الرب ﷻ، كما قال تعالى: ﴿حَمَّ﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ١-٣] وقال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١] وقال: ﴿الَمْ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١-٢]، وهذا الكتاب الذي أوتيهِ ﷺ بين الله تبارك وتعالى أنه أنزله على نبيه محمد ﷺ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١-٢] وقال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] وقال تعالى: ﴿الَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ١-٢] وقال: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ



الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿الزمر: ١-٢﴾  
وقال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]  
وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٤١].

والآيات في كون الكتاب العزيز منزلاً من الله تعالى على محمد ﷺ كثيرة جداً<sup>(١)</sup>.

٣ - كونه ﷺ أوتي الآيات، وأعظمها القرآن<sup>(٢)</sup>؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [النور: ٤١]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الحج: ١٦] وقال: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [النور: ٤٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩]، وقال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِفِرُوا بَعْدَ انْغِرَاءِ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أُتِيعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥]؛ فهذا فيه أن البينات منزلة على محمد ﷺ ومنها القرآن<sup>(٣)</sup>.

٤ - التصريح بنزول القرآن على محمد ﷺ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْأَعْلَيْنِ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] وقال: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ يَدِيهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧] فالقرآن وحي من الله ﷻ نزل به جبريل ﷺ على محمد ﷺ، فتلاه عليه فوعاه محمد ﷺ<sup>(٤)</sup>، قال أبو يعلى ﷺ: «وكلام الله منزل على الحقيقة على قلب النبي ﷺ»<sup>(٥)</sup>، وقال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ

(١) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٢٧٢، الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة ص ٢٧٩.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٦/ ٥٣٩-٥٤٠.

(٤) انظر: جامع البيان للطبري ١/ ٤٨٠، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٦٤.

(٥) المعتمد في أصول الدين ص ٩٠، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٤/ ٢ رقم (٦١٣٧).

سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ [محمد: ٢] والمنزل على محمد ﷺ هو القرآن الكريم، والكتاب المبين، كما قال تعالى: ﴿أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١] والعبد هنا هو محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] وكما قال: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، وجاء التصريح بأن القرآن منزل إليه ﷺ في آيات كثيرة، منها؛ قوله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقال تعالى: ﴿لَكِنْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٢] وقال تعالى: ﴿يَتْلُوهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال: ﴿الْمَصِّ ﴿١﴾ كَتَبَ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ أَتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١-٣] ﴿١﴾.

٥ - أن الرسول ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب؛ ثم لبث عمراً في قومه حتى جاءه الوحي بالقرآن، فهذا دليل عظيم، وشاهد مهم أنه منزل عليه، وأنه من الله لا من نفسه، ولا من غيره من الخلق <sup>(٢)</sup> قال الله ﷻ: ﴿لَخُنْ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣] أي كنت من قبل الوحي من الغافلين عن ذلك، لا تعلمه ولا شيئاً منه <sup>(٣)</sup>، كما قال ﷻ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة ص ٢٧٦-٢٧٨، معارج القبول ٣٣٠-٣٣٢.

(٢) انظر: الصفدية ٩/١.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ١٤٧/٧، وبحر العلوم للسمرقندي ١٤٩/٢.

إِلَيْكَ ﴿[الفصل: ٨٥-٨٧] وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۚ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ  
الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا تَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾  
وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِمِيمِنِكَ ۚ إِذَا لَزَّازَتْ أَلْمُطْلُوبُ ﴿٨٦﴾ بَلْ هُوَ  
ءَايَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا تَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا  
لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٨٨﴾ أَوَلَمْ  
يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءِٓبَ فِي ذَٰلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ  
يُؤْمِنُونَ ﴿[العنكبوت: ٤٧-٥١] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكِلَهُ اللَّهُ إِلًا وَحِيًّا أَوْ مِنْ  
وَرَأَىٰ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا  
إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَن  
نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿[الشورى: ٥١-٥٢] وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ  
أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۚ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا ۚ فَاصْبِرْ ۚ إِنَّ الْعَقِيبَةَ  
لِلْمُتَّقِينَ ﴿[هود: ٤٩] قال الحافظ ابن كثير ﷺ في تفسير هذه الآية: «يعني أخبار  
الغيوب السالفة نوحيا إليك على وجهها كأنك شاهدتها... ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا﴾ أي لم  
يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها» (١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا يَتَّبِعُ ۚ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ  
لِقَاءَنَا أَتَأْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلُهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي ۚ  
إِنْ أُنْصِغُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٠﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ  
اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ۚ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا  
تَعْقِلُونَ ﴿[يونس: ١٥-١٦] ويوضح هذه الآيات قول أبي سفيان ؓ (٢) لما سأله

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٤٩/٢، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي ٣١٣/٤.

(٢) الصحابي الجليل وصاحب الرأي والشرف: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي، رأس قريش  
وقائدهم يوم أحد والخندق، أسلم قبل الفتح وحسن إسلامه، شهد الطائف وحنين واليرموك، وحديثه  
عن هرقل مشهور، ومن أبنائه يزيد ومعاوية ؓ، توفي أبو سفيان بالمدينة وله نحو من تسعين سنة

هرقل<sup>(١)</sup>: «هل كنتم تتهمونهم - أي محمدا ﷺ - بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان فقلت: لا! - وكان أبو سفيان إذ ذاك على الكفر، وزعيم المشركين - فقال له هرقل: فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله»<sup>(٢)</sup>. وقال جعفر بن أبي طالب ﷺ<sup>(٣)</sup> للنجاشي<sup>(٤)</sup> ملك الحبشة: [بعث الله فينا رسولا، نعرف صدقه ونسبه، وأمانته وعفافه]<sup>(٥)</sup>، وقد بعث وأنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين<sup>(٦)</sup>، لا يعرف شيئا مما أنزل عليه، ولا يكتب ولا يقرأ، ولا يدرُس ﷺ؛ فهذا دليل على أنه ﷺ لم يتقوله من عنده، ولا افتراه، وكونهم عاجزين عن معارضته أيضا دليل على أنه منزل، وأن الناس يعلمون صدقه ﷺ وأمانته منذ نشأ بينهم إلى حين بعثه الله ﷻ، لا ينتقدون عليه شيئا يغمصونه فيه، ولهذا قال: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

وصلى عليه عثمان ﷺ. انظر: معجم الصحابة للبغوي ٣/ ٣٥٢-٣٦١، السير ٢/ ١٠٥-١٠٧، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/ ١٧٨-١٨٠.

(١) ملك الروم القيصر: واسمه هرقل، ولقبه قيصر، خاف على مُلكه ونفسه فلم يُسلم، مع علمه بأن هذا الدين حق، وأن هذا الرسول حق. انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٦٠، الفتح ١/ ٤٤.  
(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدأ الوحي، باب/...، ح(٧)، ومسلم: كتاب الجهاد، باب/ كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، ح(١٧٧٣).

(٣) هو السيد الشهيد: أبو المساكين جعفر ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم رسول الله ﷺ، وأشبهه الناس به ﷺ خلقا وخلقا، هاجر الهجرتين إلى الحبشة، وهاجر منها إلى المدينة، فوافق المسلمين وهم قافلون من خير، ومكث في المدينة أشهرًا، ثم بعثه رسول الله ﷺ أميرا في غزوة مؤتة، فاستشهد سنة ٧هـ. انظر: معجم الصحابة للبغوي ١/ ٤٣٤-٤٣٦، السير ١/ ٢٠٦-٢١٧، الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٣٧-٢٣٨.

(٤) ملك الحبشة: أصحمة بن أبحر النجاشي، وأصحمة بالعربية معناه عطية، والنجاشي لقب لملك الحبشة، أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يهاجر فكان تابعيا، وكان ردها للمسلمين في ملكه، ولما توفي النجاشي صلى عليه رسول الله ﷺ، وأصحابه صلاة الغائب، قيل توفي سنة تسع وقيل قبل ذلك. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري ١/ ١١٩-١٢٠، الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ١٠٩، النهاية في غريب الحديث لابن الجزري ٥/ ٢٢.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٢٩١، ح(٢٢٨٦٥).

(٦) انظر: صحيح الإمام البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب/ مبعث النبي ﷺ، ح(٣٨٥١).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤١٠، وإظهار الحق لخليل الرحمن الهندي ٢/ ١٠٢.

٦ - من أظهر الأدلة على كون القرآن منزلاً على محمد ﷺ، شهادة الله بذلك:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] ثم قال بعدها: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٦]، قال الحافظ ابن كثير ﷺ في هذه الآيات: «إثبات نبوته ﷺ، والرد على من أنكر نبوته من المشركين، وأهل الكتاب، قال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي وإن كفر به من كفر... فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب، وهو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولهذا قال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان...، وقوله: ﴿وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ أي: تصدق ما جاءك وأوحي إليك، وأنزل عليك مع شهادة الله تعالى لك بذلك»<sup>(١)</sup>. فالله ﷻ وملائكته الكرام شهدوا بأن هذا الكتاب، وهو المنزل الذي يقرؤه المسلمون، ويكتبونه في مصاحفهم، أنزله الله على محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>.

٧ - ثبت بالنقل المتواتر، المعلوم بالضرورة للموافق والمخالف، أن محمداً ﷺ كان يقول: إن القرآن أنزل عليه، وإته كلام الله، ولم يدع ذلك أحد، فلم يقل أحد غيره: إن القرآن أنزل عليه، فهذا دليل على أنه منزل عليه ﷺ، لا على غيره<sup>(٣)</sup>. قال الموفق ابن قدامة ﷻ: «إن القرآن العظيم... المنزل على قلب سيد المرسلين، هو هذا الكتاب العزيز المبين، المكتوب في المصاحف... فمن اعتقد أنه هو القرآن فقد أصاب، وهدي إلى الصراط المستقيم، واعتقد معتقد المسلمين، ومن زعم أن هذا الكتاب غير القرآن... وأن القرآن لا ينزل، ولا يقرأ، ولا يسمع، ولا يتلى...، فهذا زنديق راد على رب العالمين، وعلى رسوله الصادق الأمين، مخالف لجميع المسلمين، ناكب عن الطريق

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٨٩/١، وانظر: الفتح ٤٧١/١٣.

(٢) انظر: رسالة في القرآن وكلام الله للموفق ص ١٥٤ - ١٥٥، ضمن مجلة البحوث العدد ٦١.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ١٨/٣، شرح الأصبهانية ص ٥٠٢، ٦٣٧.

المستقيم»<sup>(١)</sup>.

فالأدلة في هذا الباب كثيرة جداً، والقرآن كله من الفاتحة إلى الخاتمة شاهد بأنه كلام الله منزلاً على محمد ﷺ، هذا معتقد أهل السنة والجماعة يشهدون بما شهد به الله ﷻ من كون القرآن أنزل بعلمه ﷻ على نبيه محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>.

ويتبين كون القرآن منزلاً أكثر إذا عرفنا كيف كان يأتيه ﷻ الوحي بالقرآن، وهذا ما أبينه في المطلب الثاني.

(١) رسالة في القرآن وكلام الله للموفق ص ١٥٢-١٥٥.

(٢) انظر الآيات الدالة على نزول القرآن على محمد ﷺ في كتاب الحجة في بيان المحجة ص ٢٧١-٢٨٠ ومعارج القول ١/ ٣٢٩-٣٣٣.

## المطلب الثاني: كيف كان النبي ﷺ يتلقى الوحي بالقرآن.

أجمع علماء السلف ومتبعوهم من الخلف أن النبي ﷺ أخذ القرآن من جبريل عليه السلام عن طريق الوحي، وأنه ﷺ سمع القرآن بواسطته في اليقظة لا مناما، ولا إلهاما<sup>(١)</sup>.

كما أجمعوا أن محمدا ﷺ لم يتقوله من عنده نظما كقول الشعراء، أو نثرا كقول البلغاء، ولم يقله تحمينا كقول السفهاء، ولا ظنا كقول الكهان والبلهاء، وإنما تلقى القرآن لفظا ومعنى من الله ﷻ بواسطة جبريل عليه السلام، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ﴿٢﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٣﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٣]، فهذا فيه دليل أن القرآن ليس بقول شاعر، وليس بقول كاهن، بل هو كلام الله ﷻ، منزل منه ﷻ، ولهذا قال: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال بعدها: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿١﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٢﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٣﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٨] فهذا القرآن هو كلامه ﷻ، وأضيف إلى محمد ﷺ باعتبار البلاغ والأداء، ولم يكن لمحمد ﷺ، ولا لغيره أن يتقول هذا القرآن، ولا يستطيعونه،<sup>(٢)</sup> قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٣﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] وقال بعدها: ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢] وقال بعدها بآيات: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿١﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٦﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٦].

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٢٧١، وانظر: المطلب الأول من هذا المبحث.

(٢) انظر: المجموع ٢/ ١٣٧.

ونفى الله ﷻ عن نبيه ﷺ الجنون، وبين أنه إنما يتلقاه من جبريل ﷺ، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۚ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۚ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَلِيلٍ ۚ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۚ فَإِنْ تَذَهَبُونَ ۚ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٢-٢٧] «فأضاف الرسول البشري إلينا، وسلب عنه الجنون، وأثبت له ﷻ رؤية جبرائيل، ونفى عنه البخل والتهمة»<sup>(١)</sup> وأعاد القول في أن يكون القرآن قول أحد غير الله ﷻ، لا شيطان ولا غيره، بل هو ذكر من الله لعباده، كما هو نص الآيات السابقة.

وصفة الوحي إلى نبينا ﷺ توافق صفة الوحي إلى من تقدمه من النبيين<sup>(٢)</sup> كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] فالذي جاء به ﷻ من القرآن إنما هو عن طريق الوحي، كما كان يأتي الوحي الأنبياء السابقين<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسَلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١-٥٢] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله ﷻ وهو أنه ﷻ تارة يقذف في روع النبي شيئاً لا يترأى فيه أنه من الله ﷻ...، ﴿أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ كما كلم موسى ﷻ...، ﴿أَوْ يُرْسَلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ كما ينزل جبريل ﷻ، وغيره من الملائكة على الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -»<sup>(٤)</sup>.

فالوحي يكون بواسطة الرسول الملائكي إلى الرسول الإنسي، ونبينا ﷻ تلقى القرآن بواسطة الرسول الملكي، ولم يتلقاه مباشرة من الله ﷻ، وأن هذا الرسول الملكي هو جبريل ﷻ، ولم يأت الوحي بالقرآن عن طريق المنام ولا الإلهام، وإنما كان وحياً

(١) المجموع ٣٨٨/٤.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٣٦٦/٤، والفتح ١/١٥، ٢٦-٢٧.

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ١/١٦٤، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢/٢١٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٢١-١٢٢، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ٧/٢٩٧، فتح البيان في مقاصد

القرآن لصديق حسن ٨/٣٩٢، محاسن التأويل للقاسمي ٦/١٨١.



جليا من غير شك ولا إيهام<sup>(١)</sup>.

وإذا ثبت أن الرسول ﷺ إنما كان يتلقى الوحي بواسطة جبريل، فيحسن أن أذكر كيف كان يتلقاه من جبريل ﷺ، وأذكر صور تلقيه الوحي فأقول - وبالله أستعين -.

الصورة الأولى: أن يأتيه جبريل ﷺ بالوحي، وهو على صورته وخلقه التي خلقها الله ﷻ عليه؛ فيراه النبي ﷺ ويسمع منه<sup>(٢)</sup>.

ويدل لهذه الصورة قول عائشة ؓ لما سئلت عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿[النجم: ٨-٩] قالت: [ذاك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجل، وإنما أتى هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسد الأفق]<sup>(٣)</sup>. ويؤكد قولها قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمَبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، وقوله ﷻ في سياق الآية نفسها: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [٢] إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿١﴾ عِلْمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٢﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٣﴾ وَهُوَ بِالْأَفْئِ الْأَعْلَىٰ ﴿٤﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٥﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٦﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿٧﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿٨﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٠﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿[النجم: ٣-١٤] فمن سياق هذه الآيات يتبين أن المراد بالذي رآه النبي ﷺ هو جبريل ﷺ<sup>(٤)</sup> ويوضح هذا المراد ما رواه مسروق<sup>(٥)</sup> قال قلت: [يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني! ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمَبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً

(١) انظر: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٧/ ٤٦٢-٤٦٣.

(٢) انظر: زاد المعاد لابن القيم ١/ ٨٠، والفتح ١/ ٢٧، ٣٢.

(٣) رواه البخاري؛ كتاب بدأ الخلق، باب/ إذا قال أحدكم آمين والملائكة في الساء...، ح (٣٢٣٥)، ومسلم؛ كتاب الإيمان، باب/ معنى قول الله - عز وجل - ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، ح (٢٩٠ في الباب).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢٤٩، أضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٢٩٨، وفي الآيات تفسير آخر روي عن ابن عباس وغيره أنه ﷺ رأى ربه ﷻ، وانظر هذا في المراجع السابقة، وإنما أشرت إلى الصحيح والذي عليه الأئمة وهو أن المراد بهذه الآيات رؤيته لجبريل ﷺ.

(٥) الثقة الفقيه العابد: أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي، مخضرم، كان من الفرسان الشجعان، ومن رواة أحاديث خير الأنام، مات سنة (٦٢) وقيل (٦٣) من الهجرة. انظر: تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٢، السير ٤/ ٦٣-٦٩، تقريب التهذيب ص ٤٦٠.

أُخْرِى ﴿النجم: ١٣﴾؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: [إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء، ساداً عَظُمَ خَلْقُهُ ما بين السماء إلى الأرض]، ثم قالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١] <sup>(١)</sup>.

وقال أبو هريرة ؓ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] قال: [رأى جبريل] <sup>(٢)(٣)</sup>.

وقال الحافظ ابن كثير ؓ في قوله ﷺ: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ <sup>(٤)</sup> ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿إِنْ هَذِهِ الرَّوْيَةُ لجبريل لم تكن ليلة الإسراء، بل قبلها، ورسول الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل ؑ، وتدلّى إليه فاقترّب منه، وهو على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرّة المنتهى، يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة، بعد ما جاءه جبريل ؑ أول مرة، فأوحى إليه صدر سورة اقرأ، ثم فتر الوحي...، حتى تبدى له جبريل ؑ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق، فاقترّب منه، وأوحى إليه عن الله ﷻ ما أمره به <sup>(٥)</sup>.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري ؓ، وهو يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: [بينما أنا أمشي، إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء، جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت زملوني، فأنزل الله - تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥] فحمي الوحي، وتتابع] <sup>(٥)</sup>.

(١) رواه مسلم؛ كتاب الإيمان، باب/ معنى قول الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، ح (١٧٧)، وروى نحوه البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب/ إذا قال أحدكم آمين...، ح (٣٢٣٥)، كلاهما عن عائشة ؓ.

(٢) رواه مسلم؛ كتاب الإيمان، باب/ معنى قول الله - عز وجل - ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، ح (١٧٥).

(٤) وقال بعض الصحابة أن النبي ﷺ رأى ربه، وأن هذه الآية دليل على ذلك ومنهم ابن عباس ؓ، وثبت عنه ذلك.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢٤٨/٤.

(٥) رواه البخاري، كتاب بدأ الوحي ح (٤).

فملك الوحي جبريل ﷺ ظهر للرسول ﷺ في صورته الحقيقة الملكية مرتين، فأوحى إليه ما أمره الله ﷻ أن يوحى إلى نبيه، ولندرة هذه الصورة، حيث إنها لم تحصل إلا مرتين، فإنها لم تذكر في صور الوحي عند بعضهم<sup>(١)</sup>.

الصورة الثانية: أن يأتيه جبريل ﷺ بالوحي، بصورة خفية فلا يرى، ويظهر عليه ﷺ حالة شديدة، فيثقل جسمه، ويتغشاها العرق، ويظهر عليه أثر التغير، ويسمع عند مجيء الملك بالوحي صوتا شديدا كوقع الجرس إذا صلصل في أذن سامعه، وهذه أشد الحالات عليه ﷺ، فإذا انجلى عنه، وسري عنه وجد ما أوحى إليه حاضرا، ولكل ما سمع واعيا، وله حافظا وذاكرا<sup>(٢)</sup>.

والدليل على هذا:

أما الثقل والشدة فيدل له قوله ﷺ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [الزمل: ٥] ومعلوم أن القول هو القرآن، فالقرآن ثقل ثوابه، وثقل في تكاليفه، ووقت نزوله من عظمتها، وكل ذلك ثابت للقرآن الكريم<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤] وقوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقال زيد بن ثابت<sup>(٤)</sup> : ﴿فأنزل الله على رسوله ﷺ، وفخذه على فخذي، فثقلت عليّ حتى خفت أن تُرَضَّ فخذي، ثم سُرِّي عنه﴾<sup>(٥)</sup>، وقالت عائشة ﷺ: ﴿إن كان ليُوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته، فتضرب بجرائها﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: الفتح ٢٧/١.

(٢) انظر: زاد المعاد ١/ ٧٩-٨٠.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٣٥، أضواء البيان ٨/ ٣٧١.

(٤) هو الصحابي الفرضي: أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضحاك النجاري الأنصاري الخزرجي، شهد المشاهد بعد أحد وذلك لصغر سنه، وكان من كتاب الوحي، وأمره النبي ﷺ أن يتعلم لغة اليهود، فتعلمها في عشرين يوما، وهو الذي جمع المصحف في خلافة الصديق وعثمان بأمرهما، وكان من قراء الصحابة، توفي بالمدينة. انظر: معجم الصحابة للبغوي ٢/ ٤٦١-٤٧٥، أسد الغابة ٢/ ١٢٦-١٢٧، الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٥٦١-٥٦٢.

(٥) رواه البخاري؛ كتاب الجهاد والسير، باب/ قول الله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ...﴾، ح(٢٨٣٢).

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ١١٨، ح(٢٥٣٨٠)، والحاكم في مستدركه؛ كتاب التفسير، تفسير سورة

وربما سُمع مع هذه الشدة لرسول الله ﷺ غطيط كغطيط النائم، كما في حديث يعلى بن أمية<sup>(١)</sup> قال: [..فإذا رسول الله ﷺ محمر الوجه وهو يغط، ثم سري عنه...]<sup>(٢)</sup>.

وأما أنه ﷺ كان ينزل منه العرق: فيدل له قول عائشة ؓ: [إن كان لينزل على رسول الله ﷺ في الغداة الباردة، ثم تفيض جبهته عرقاً]<sup>(٣)</sup>. وقالت أيضا - في حديث الإفك - : [ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله ﷻ فيّ بأمر يُتلى... قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد، حتى أنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء<sup>(٤)</sup> عند الوحي، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجثمان من العرق في اليوم الشات، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فلما سُري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: [أبشري يا عائشة، أما الله فقد براك]، قالت: فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [النور: ١١-٢٠] عشر آيات<sup>(٥)</sup>.

المزمّل، ح (٣٨٦٥)، وقال الذهبي: (صحيح) كما في التلخيص بحاشية المستدرک ٥٤٩/٢، وكذا قال الألباني في تحقيقه على فقه السيرة ص ٩٥، والجران: باطن عنق الناقة. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/٢٦٣.

(١) هو: يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي، حليف قريش، ويقال: بن منية وهي أمه، صحابي مشهور، مات سنة بضع وأربعين، روى له أصحاب الكتب. انظر: الإصابة ٣/٦٦٨، التقريب ص ٥٣٨.

(٢) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب/ كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ح (١٥٣٦)، ومسلم: كتاب الحج، باب/ ما يباح للمحرم...، ح (١١٨٠)، قال البدر العيني: (قوله: وهو يغط، الواو فيه للحال، ويغط بفتح الباء، وكسر الغين المعجمة، بعدها طاء مهملة، أي: يَنْفُخُ، وهو من الغطيط، وهو صوت النَّفْس المتردد من النائم، ويقال: الغطيط؛ صوت به بحوحة، وهو كغطيط النائم، أي: شخير، وصوته الذي يردده في حلقه ومع نفسه، وسبب ذلك شدة الوحي، وثقله) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٧/٤٤-٤٥.

(٣) رواه البخاري؛ كتاب بدأ الوحي، باب/ ...، ح (٢) بنحوه، ومسلم بلفظه؛ في كتاب الفضائل، باب/ عرق النبي ﷺ في البرد، وحين يأتيه الوحي، ح (٢٣٣٣).

(٤) البرحاء: هو الحمى، وشدة الأذى. انظر: مختار الصحاح ص ٤٦.

(٥) رواه البخاري؛ كتاب الشهادات، باب/ تعديل النساء بعضهن بعضا، ح (٢٦٦١)، ومسلم؛ كتاب التوبة، باب/ في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ح (٢٧٧٠).

وكونه ﷺ يظهر عليه أثر التغير، يدل له ما رواه عبادة بن الصامت <sup>(١)</sup> قال: [كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي، كُرب لذلك، وترَبَّد وجهه]، وقال أيضا: [كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحيُ نكس رأسه، ونكس أصحابه رؤوسهم، فلما أُتِيَ عنه، رفع رأسه] <sup>(٢)</sup>.

فنزول القرآن على رسول الله ﷺ بهذه الصورة، كان ثقيلا عليه كما ذكر الله ﷻ في القرآن.

وأما كونه ﷺ يغفى إغفاءة كما رواه أنس <sup>(٣)</sup> قال: [بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليّ آتفا سورة، فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَاحْجَرْ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾] [الكوثر: ١-٣]... <sup>(٤)</sup>.

فالمراد بالإغفاءة الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي، وهي شبيهة بالنوم وليست كذلك، وبذا يفسر الإغفاءة أيضا، ويوضح هذا المراد قول عائشة <sup>(٥)</sup> السابق: [فلما سُري عنه] أي حالة الوحي، وأيضا قال أنس <sup>(٦)</sup>: [ثم رفع رأسه] ولم يقل: ثم استيقظ <sup>(٧)</sup>.

وهاتان الصورتان قطعاً ورد نزول القرآن الكريم بهما على النبي ﷺ، وما سواهما من الصور فغير صريح، بل ينبغي الجزم بأن القرآن نزل كله على هاتين الصورتين المذكورتين، وإن كانت الصورة الأولى لم تحصل إلا مرتين، إلا أن الصورة الثانية هي الكثيرة الغالبة، وهي الحالة التي يكون فيها جبريل على صورته الملكية، ويأتي النبي ﷺ بصورة خفية يسمع منه ويعي.

(١) هو الصحابي الجليل: أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء، شهد بدرًا وما بعدها، وكان طويل القامة، متين الديانة، من حفاظ الصحابة، توفي بالرملة <sup>(٨)</sup>. انظر: أسد الغابة ٥٦-٥٧، الإصافية في تمييز الصحابة ٢/٢٦٨-٢٦٩، تقريب التهذيب ص ٢٣٥.

(٢) رواه مسلم؛ كتاب الفضائل، باب/ عرق النبي ﷺ في البرد، وحين يأتيه الوحي، ح (٢٣٣٤)، (٢٣٣٥)، وأتلي: بمعنى أُخْلِجِي.

(٣) رواه مسلم؛ كتاب الصلاة، باب/ حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، ح (٤٠٠).

(٤) انظر: الإتيقان في علوم القرآن ١/ ٦٥-٦٦.

وهناك صور أخرى للوحي، لكن ليس فيها ذكر لنزول القرآن، إما لأنها جاءت في مورد الأحاديث القدسية، أو الأحاديث النبوية<sup>(١)</sup>، ومن هذه الصور - إضافة إلى الصورتين السابقتين - ما يأتي:

### ٣ - الرؤيا المنامية.

### ٤ - الإلهام.

### ٥ - التكليم بلا واسطة، كما حصل في ليلة الإسراء والمعراج<sup>(٢)</sup>.

وذكر السيوطي أن من كفيات الوحي تكليم الله لنبية إما في اليقظة، وإما في المنام، قال: «وليس في القرآن من هذا النوع شيء - فيما أعلم -»<sup>(٣)</sup> ثم ذكر ما قد يفهم منه تكليم الله بالقرآن إما يقظة أو مناما، وكل ما ذكره غير صريح في الدلالة، فالحق ما قاله من أنه لم ينزل القرآن مناما، وهو الصواب كما تقدم<sup>(٤)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله و: «القرآن إنما نزل بالوحي الذي يأتيه به الملك لا بالنام، ولا بالإلهام»<sup>(٥)</sup>.

٦ - النفث في الروح؛ كما في الحديث المشهور: [إن روح القدس - وفي رواية: جبريل - نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب]<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم لمحمد أبي شهبة ص ٦٠-٦١.

(٢) انظر: الفتح ٢٧/١، زاد المعاد ٨٠/١، وقال ابن القيم رحمته الله: «كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى ابن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن، وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء».

(٣) الإيتقان في علوم القرآن ١/١٢٩.

(٤) انظر: الإيتقان في علوم القرآن ١/٦٥-٦٦، المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم لمحمد أبي شهبة ص ٦٠.

(٥) الفتح ٨/٦٢٣.

(٦) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب البيوع، ح (٢١٣٦) بنحوه، والبغوي في شرح السنة بلفظه؛ كتاب الرقاق، باب/ التوكل على الله ﷻ، ح (٤١١٢)، وغيرهما، وقال الألباني: «صحيح جاء من طرق» كما في تحقيقه على فقه السيرة ص ٩٦، وانظر: بداية السؤل في تفضيل الرسول للعز بن عبد السلام، تحقيق

وهذه قد ترجع إلى الصورة الثانية أو السابعة، بأن يأتيه في إحدى الكيفيتين وينفث في روعه - والله تعالى أعلم -<sup>(١)</sup>.

٧ - أن يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقوله له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً<sup>(٢)</sup>. ويدل له حديث عمر رضي الله عنه المشهور، وفيه: [يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم]<sup>(٣)</sup>.

ويدل لهذه الصورة أيضاً حديث الحارث بن هشام رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: [أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم<sup>(٤)</sup> عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول]<sup>(٥)</sup>.

فرسول الله ﷺ تلقى القرآن وجبريل عليه السلام على حالته الملكية، ورسول الله ﷺ يجد منه ثقلاً شديداً، كما هو نص حديث الحارث بن هشام رضي الله عنه، ولا توجد رواية صريحة تفيد نزول جبريل بشيء من القرآن الكريم على غير الصورة الملكية، ولكن ظاهر حديث الحارث ابن هشام يدل على أنه قد يأتيه بالقرآن الكريم وجبريل على غير

=  
الألباني ص ٥٩، وروعي: أي نفسي، وخلدي. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٧٧.  
(١) انظر: الإتيان في علوم القرآن ١/ ١٢٩.

(٢) انظر: زاد المعاد ١/ ٧٩، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٨١.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب/ سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان...، ح (٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم، كتاب الإيمان، باب/ بيان الإيمان...، ح (١) عن عمر رضي الله عنه.

(٤) هو الصحابي الجليل: أبو عبد الرحمن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم القرشي، من مسلمة الفتح، ومن أشرف قريش، استشهد بالشام في خلافة عمر رضي الله عنه. انظر: معجم الصحابة للبغوي ٢/ ٤٧-٤٩، الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٩٣-٢٩٤، تقريب التهذيب ص ٨٨.

(٥) فيفصم: قال الحافظ: «يفتح أوله، وسكون الفاء، وكسر المهملة، أي: يقلع ويتجلى ما يغشائي، ويروى بضم أوله من الرباعي، وفي رواية لأبي ذر بضم أوله، وفتح الصاد على البناء للمجهول» الفتح ١/ ٢٨، إذا فيها ثلاث لغات: ١ - فيفصم. ٢ - فيفصم. ٣ - فيفصم.

(٦) رواه البخاري؛ كتاب بدأ الوحي، باب/ ...، ح (٢)، ومسلم؛ كتاب الفضائل، باب/ عرق النبي ﷺ في البرد...، ح (٢٣٣٣).

صورته الملكية، وقد ورد أنه جاء على صورة بشر بالوحي لكنه من قبيل الوحي بالسنة، لا الوحي المتلو المتعبد به الذي هو كلام الله ﷻ<sup>(١)</sup>.

ويؤكد أن نزول القرآن الكريم كان عن طريق جبريل ﷺ على النبي ﷺ قوله ﷻ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤] وقوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] فقلبه ﷻ منشغل بنزول القرآن عليه، فيشتد عليه لذلك، «وظاهر هذه الآية أن جبريل ألقى القرآن في قلب النبي ﷻ من غير سماع قراءة...، ولكنه بين في مواضع آخر أن معنى ذلك أن الملك يقرؤه عليه حتى يسمعه منه؛ فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه، وذلك هو معنى تنزيله على قلبه»<sup>(٢)</sup>؛ فجبريل رسول من رسل الله ملكي ينزل بالذكر وهو القرآن على قلب النبي ﷻ فيعيه ويحفظه، وفي الآيتين بيان محل الوحي الذي ينزل من الله ﷻ بواسطة جبريل ﷻ، وأنه على قلبه ﷻ<sup>(٣)</sup>، ومما يؤكد أن القرآن كان ينزل عليه وجبريل ليس على صورة رجل الشدة التي كان يلقاها حين نزول الوحي، كما في حديث يعلى بن أمية أنه قال لعمر ﷺ: [أرني النبي ﷻ حين يوحى إليه، قال: فبينما النبي ﷻ بالجمرة<sup>(٤)</sup> ومعه نفرٌ من أصحابه، جاءه رجل فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو مُتَضَمِّحٌ بطيب؟ فسكت النبي ﷻ ساعة، فجاءه الوحي. فأشار عمر إلى يعلى، فجاء يعلى وعلى رسول الله ﷻ ثوب قد أظلم به فأدخل رأسه فإذا رسول الله ﷻ محمر الوجه وهو يَغْطُ، ثم سُري عنه...]<sup>(٥)</sup>، ويؤكد هذا أنه ﷻ في حالة

(١) انظر: المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم لمحمد أبي شهبة ص ٦٠-٦٢، وقد رأي ﷻ أن القرآن لم ينزل به جبريل وهو على صورة بشر.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ١/ ٦٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ١٣٢.

(٤) الجمرة: بسكون العين المهملة، وتخفيف الراء (جُمُرَانَة)، وقد تكسر، وتشدد الراء (جِعْرَانَة)، وهي: موضع قريب من مكة، وهي في الحل، وميقات للحرم. انظر: معجم البلدان ٢/ ١٦٥-١٦٦، عمدة القاري ١٣٥٣٢-٥٣٣.

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: نزل القرآن بلسان... ح (٤٩٨٥)، وفي الحديث أن وحي السنة قد ينزل بالصورة الثانية، وإن كان الأغلب فيها نزول القرآن، قال ابن المنير: «لعله - أي البخاري - قصد



نزول جبريل ﷺ عليه بالقرآن كان يحرك لسانه كالمسترجع لما يلقي عليه، حتى لا ينفلت ما يلقي على قلبه منه، فأنزل الله ﷻ عليه قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (ن) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (م) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿[القيامة: ١٦-١٩].

ولم يختلف السلف أن المخاطب بذلك النبي ﷺ في شأن نزول الوحي <sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤] قال ابن عباس ؓ [كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان يحرك شفثيه إذا أنزل عليه، فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (ن) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ﴿قال: علينا أن نجمعه في صدرك، ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أن تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ يقول: إذا أنزل عليه، ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فاستمع، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ علينا أن نبينه بلسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله] <sup>(٢)</sup>.

فالشدة التي ذكرها ابن عباس ؓ كانت في الحالة التي يأتي فيها جبريل ﷺ على غير الصورة البشرية بل على صورة ملكية خفية <sup>(٣)</sup>.

فالنبي ﷺ كان يأتيه الملك بالوحي القرآني، ولم يكن معلمه بشرا، ولم يكن الذي جاءه خيالا، فإن آثار الوحي ظاهرة للناظر إليه ﷺ في حالة التلقي، من الإغفاء، والعرق، والثقل، ولم يكن الذي يأتيه من تنميق المقال كحال فلاسفة اليونان، وإنما كان يأتيه جبريل ﷺ بكلام الله الكبير المتعال <sup>(٤)</sup>.

التنبيه على أن الوحي بالقرآن والسنة كان على صفة واحدة، ولسان واحد. الفتح ٦٢٧/٨، أو لعل هذه الشدة حصلت له لكون الملك نزل بالقرآن بقوله تعالى: ﴿وَأَتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٦١/٣، ٤٦٣.

(١) انظر: الفتح ٥٤٨/٨.

(٢) رواه البخاري؛ كتاب بدأ الوحي، ح(٥)، وانظر: ح(٤٩٢٨، ٤٩٢٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب/ كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة، ح(٢٣٥٠)، وانظر: لمعنى حديث عائشة وابن عباس ؓ الفتح ٥٤٩/٨-٥٥١.

(٣) انظر: المجموع ٢٩٨-٢٩٩، المدخل للدراسة علوم القرآن الكريم ص ٦١.

(٤) انظر: فقه السيرة للغزالي ص ٩٦.

وكان نزول الوحي على النبي ﷺ على مدى ثلاث وعشرين سنة، ثلاث عشرة سنة منها في مكة، وعشر سنوات في المدينة النبوية، كما جاء عن ابن عباس ؓ أنه قال: [بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين]<sup>(١)</sup>. وقالت عائشة وابن عباس ؓ: [لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشر سنين]<sup>(٢)</sup>، ويمكن أن يجمع بين القولين: بأن من ذكر العشرين فقد ألغى الكسر، ولم يعتبر بالمدد التي هي: الرؤيا الصالحة، وانقطاع الوحي، فتكون عشرين سنة، ومن قال: ثلاث وعشرون، لم يلتفت إلى مدة انقطاع الوحي، واعتبر الرؤيا الصالحة أيضا - والله تعالى أعلم -<sup>(٣)</sup>.

فجبريل ؑ يأتي بالوحي المتلو الذي هو القرآن، والوحي غير المتلو، فتارة ينزل جبريل ؑ بالمعنى الذي فهمه من أمر الرب ﷻ ونهيه، كما يقول الملك لمن يثق به: قل لفلان؛ اجمع جندك للقتال، فإن قال الرسول: يقول الملك لا تترك الجند تتفرق، وحثهم على المقاتلة، فإنه لا ينسب إلى كذب، ولا إلى تقصير في أداء الرسالة.

وقسم آخر: قال الله لجبريل، فنزل جبريل بكلام الله من غير تغيير، كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين، ويقول: اقرأه على فلان، فهو لا يغير منه كلمة، ولا حرفا. فالقرآن هو من القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة<sup>(٤)</sup>، وبهذا يتبين أن القرآن الكريم نزل على محمد الصادق الأمين، بواسطة جبريل الروح الأمين، وهذا كله يؤكد نزول القرآن الكريم من الله رب العالمين، وإذا تيقن نزول القرآن الكريم على نبينا ﷺ، فحان أوان الشروع في بيان نزول القرآن الكريم وكيفية في المبحث الثاني.

(١) رواه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب/ هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ح(٣٩٠٢)، (٣٩٠٣)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب/ كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة، ح(٢٣٥١)، وانظر: زاد المعاد ١/ ٧٨، الفتح ١/ ٣٧، مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١/ ٥٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري؛ كتاب فضائل القرآن، باب/ كيف نزل الوحي، ح(٤٩٧٨، ٤٩٧٩).

(٣) انظر: الفتح ٨/ ٦٢٠.

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٢٧-١٢٨، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٦٤.

## المبحث الثاني: نزول القرآن

### المطلب الأول: سماع جبريل <sup>(١)</sup> ﷺ القرآن.

من المعتقدات السلفية، الثابتة بالكتاب وسنة خير البرية، أن القرآن الكريم كلام رب العالمين، نزل به جبريل ﷺ، على محمد ﷺ، وجبريل ﷺ سمع القرآن الذي هو كلام الله من الله ﷻ، وبلغه إلى رسول الله ﷺ.

وجبريل ﷺ هو الملك المختص بالوحي، وله صفات حميدة، وخلقة شديدة، مع أمانة عظيمة.

ومما ورد في صفاته:

١ - أنه ينزل بإذن الله ﷻ؛ كما قال ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] وقال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] قال ابن عباس ﷺ: [قال النبي ﷺ لجبريل: [ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟] فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ...﴾] <sup>(٢)</sup>.

٢ - أنه الروح القدس؛ والقدس: الطهر، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] والمعنى: أن الذي نزل عليك القرآن يا محمد من الله ﷻ هو الروح المطهر، فروح القدس هو جبريل ﷺ باتفاق العلماء <sup>(٣)</sup>، وفي البخاري: [يا حسان

(١) وجبريل ﷺ في اسمه لغات كثيرة، ومعناه عبد الله. انظر: زاد المسير لابن الجوزي ١١٨/١-١١٩ والإجماع في التفسير لمحمد بن عبد العزيز الخضير ص ١٧٩-١٨٢.

(٢) رواه البخاري؛ كتاب التفسير، تفسير سورة كهيعص، ح (٤٧٣١)، وانظر: محاسن التأويل ٨٧/٥.

(٣) صحيح البخاري ص ٩٨٥، المحرر الوجيز لابن عطية ٣/٤٢١، تفسير القرآن العظيم ٥٨٦/٢، وشرح الواسطية للفوزان ص ٩٤، والإجماع في التفسير للخضير ص ٣٣٦-٣٣٨.

أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيده بروح القدس] وفي رواية: [هاجهم وجبريل معك] <sup>(١)</sup>. وقال حسان <sup>(٢)</sup> :

وجبريل رسول الله فينا      وروح القدس ليس له كفاء <sup>(٣)</sup>

٣- أنه الروح الأمين: قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩١-١٩٣] والروح الأمين هو جبريل ﷺ بالإجماع <sup>(٤)</sup>، وفي قوله: (الأمين) دلالة على أنه مؤتمن على ما أرسل به، لا يزيد فيه، ولا ينقص، فإن الرسول الخائن قد يغير الرسالة <sup>(٥)</sup>.

وفي (نزل) قراءتان؛ الأولى: بالتخفيف، ورفع الروح ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ <sup>(٦)</sup>، والمعنى: جبريل الروح الأمين هو الذي نزل بالقرآن على محمد ﷺ.

والثانية: بالتشديد ونصب الروح ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ بمعنى: أن الله نزل بالقرآن الروح الأمين، وهو جبريل ﷺ، قال ابن جرير رحمه الله: «والصواب: أنها قراءتان.. فبأيتها قرأ القاري فمصيب، وذلك أن الروح الأمين إذا نزل على محمد ﷺ بالقرآن، لم ينزل به إلا بأمر الله إياه بالنزول، ولن يجهل أن ذلك

(١) رواهما البخاري؛ في كتاب الأدب، باب/ هجاء المشركين، ح(٦١٥٢، ٦١٥٣)، ومسلم؛ كتاب فضائل الصحابة، باب/ فضائل حسان ابن ثابت، ح(٢٤٨٥، ٢٤٨٦).

(٢) سيد الشعراء الصحابي الجليل: أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام النجاري الخزرجي الأنصاري، شاعر رسول الله ﷺ، المؤيد بروح القدس، كان يوضع له منبر في المسجد فينافح عن رسول الله ﷺ، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام، توفي سنة ٥٤هـ وقيل غير ذلك. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ١/ ٤٨٢-٤٨٤، السير ٢/ ٥١٢-٥٢٣، الإصابة ١/ ٣٢٦، وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/ ٣٣٥-٣٤٣ المطبوع بهامش الإصابة.

(٣) أخرجه مسلم؛ كتاب فضائل الصحابة، باب/ فضائل حسان، ح(٢٤٩٠)، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١١٨.

(٤) انظر: الإجماع في التفسير للخضيري ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٥) المجموع ١٢/ ١١٨، وانظر: ٣٨/ ١٢.

(٦) هذه قراءة: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وحفص عن عاصم، والقراءة الثانية: للباقيين. انظر: القراءات العشر المتواترة في هامش القرآن الكريم، إعداد/ محمد كريم راجح.

كذلك ذو إيمان بالله، وأن الله إذا أنزله به نزل»<sup>(١)</sup>.

٤ - أنه ذو القوة الشديدة: كما قال الله ﷻ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: ٥-٦] والقوى: جمع قوة، ويبينه قوله ﷻ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]، و(ذو مرة) ذو قوة، وهيئة حسنة، وجسم حسن، وهذه الأوصاف على الصحيح لجبريل ﷺ<sup>(٢)</sup> بل المعلم الشديد القوي بالإجماع هو جبريل ﷺ<sup>(٣)</sup>.

ومما يدل على قوته، وعظيم خلقته، قول ابن مسعود ؓ في قوله ﷻ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٩-١٠] قال عن النبي ﷺ: [أنه رأى جبريل له ستائة جناح]<sup>(٤)</sup>، وفي حديث جابر ؓ مرفوعاً: [فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض]<sup>(٥)</sup>.

ومما يدل على مَرَّتِهِ أن الله ﷻ أقدره على التشكل فيأتي بصورة رجل، كما في حديث عمر ؓ المشهور، وغيره<sup>(٦)</sup>.

٥ - أنه مكين مطاع: كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١] والمكين: المتمكن ذو القدر والمنزلة، ومطاع أي: تطيعه الملائكة في السماوات، وهذه الطاعة لمكانته، والمكانة لأمانته<sup>(٧)</sup>.

(١) جامع البيان ٩/ ٤٧٥، وانظر: معالم التنزيل للبغوي ٦/ ١٢٨.

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٧/ ٤٠٠، المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ١٩٦-١٩٧.

(٣) انظر: الإجماع في التفسير للخصيري ص ٣٩٩-٤٠٢.

(٤) رواه البخاري؛ كتاب بدء الخلق، باب/ إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء...، ح (٣٢٣٢).

(٥) رواه البخاري؛ كتاب بدء الوحي، باب/ ...، ح (٤)، ومسلم؛ كتاب الإيمان، باب/ بدء الوحي إلى رسول الله، ح (١٦١).

(٦) انظر: صحيح البخاري؛ كتاب الإيمان، باب/ سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان...، ح (٥٠)، وصحيح مسلم؛ كتاب الإيمان، باب/ بيان الإيمان والإسلام والإحسان...، ح (٨).

(٧) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٤٧٤، زاد المسير لابن الجوزي ٩/ ٤٣، تبصير الرحمن وتيسير المنان للمهايمي ٢/ ٣٩١.

وتفيد الآية: أن جبريل عليه السلام ينقل القول كما يسمعه لأنه رسول كريم كما قال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ فلا يغير من الرسالة شيئاً بإرادته لأنه كريم، ولا يتأتى منه التغيير من غير إرادة منه لأنه وصف بأنه ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ فلا يقع منه النقص في البلاغ، أما لو كان الرسول ضعيفاً فلربما وقع منه النقص لضعفه دون إرادة منه، فجبريل عليه السلام أمين على وحي الله تعالى ورسالته<sup>(١)</sup>؛ ولما كان جبرائيل هو الذي جاء بالرسالة، وهو صاحب الوحي، وهو غيب عن الناس، لم يروه بأبصارهم، ولم يسمعوا كلامه بأذانهم، وزعم زاعمون أن الذي يأتيه شيطان يعلمه ما يقول، أو أنه إنما يعلمه إياه بعض الإنس، أخبر الله العباد أن الرسول الذي جاء به، ونعته أحسن النعت، وبين حاله أحسن البيان...، ثم وصفه بالصفات التي تنفي كل عيب، من القوة والمكنة<sup>(٢)</sup>، والأمانة والقرب من الله سبحانه، فلما استقر حال الرسول الملكي، بين أنه من جهته، وأنه لا يجيء إلا بالخير<sup>(٣)</sup>.

وإذا كانت هذه هي أوصاف الرسول الملكي الذي يأتي بالقرآن، أنه قوي أمين، ومكين مطاع، قادر على أداء الأمانة، وبلاغ الرسالة، وسماح كلام الله تعالى وتبليغه، تيقنا أنه يقول كما سمع مبلغاً كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩] و«ليس القرآن كلام جبريل، ولا كلام محمد، بل هو كلام رب العالمين، وهذا متفق عليه بين الصحابة، والتابعين، وأئمة المسلمين»<sup>(٤)</sup>، و«لا يجوز إضافة هذا الكلام المسموع الذي هو القرآن إلى غير الله بوجه من الوجوه، إلا على سبيل التبليغ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٤٤٤، تبصير الرحمن للمهايمي ٢/ ٣٩٠-٣٩١، محاسن التأويل للقسامي ٧/ ٢٧٢، أضواء البيان للشنقيطي ٧/ ٤٦٢-٤٦٣.

(٢) الصواب: المكنة، ولكنها في المطبوع كما ذكرت.

(٣) المجموع ٤/ ٣٨٩.

(٤) المجموع ١٢/ ٥٥٤.

(٥) المجموع ١٢/ ٤١٦.

فإذا قرأه المبلغ سواء كان جبريل ﷺ، أو محمد ﷺ، أو غيرهما ممن يبلغون دين الله وكتابه، يبقى الكلام كلام الله، وتكون الإضافة باعتبار البلاغ، وإلا فإن التبليغ لا يخرج الكلام عن كونه كلام من قاله مبتدءاً أمراً وناهياً ومخبراً، وليس على الرسل إلا البلاغ المبين<sup>(١)</sup>.

وقد تلقى جبريل ﷺ الوحي من الله ﷻ بالقرآن، ولم يأخذ جبريل القرآن من غير الله تعالى، لا من اللوح المحفوظ، ولا من السفارة الكرام البررة، ولا من بيت العزة في السماء الدنيا، ويدل لهذا الأدلة الكثيرة، من الكتاب والسنة المستفيضة، وإجماع سلف الأمة.

### فمن الكتاب:

١ - قول الله ﷻ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] ففيه بيان لنزول جبريل بالقرآن من الله تعالى، وهذا مقتضى الآية، «وإذا كان روح القدس نزل به من الله، علم أنه سمعه منه، ولم يؤلفه هو، وهذا بيان من الله أن القرآن الذي هو باللسان العربي المبين، سمعه روح القدس من الله، ونزل به منه»<sup>(٢)</sup>.

٢ - قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤] فأخبر فيها - وفي غيرها من الآيات - أن القرآن نزل منه ﷻ، وأنه نزل به جبريل ﷺ منه، وجبريل الروح الأمين سمعه من الله، وبلغه إلى رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

٣ - قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤] وقال - في غير ما آية -: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].

(١) انظر: المجموع ١٢/٧١-٧٢.

(٢) المجموع ١٢/١٢٤، وانظر: المجموع ١٢/١١٨، ١٢٣، ٥١٩، ٥٥٤.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٢/١٨٢، المجموع ١٢/٥١٩، ٥٥٤.

﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الواقعة: ٨٠]؛ ففي هذه الآيات: إثبات أن القرآن منزل من الله، وهذا يلزم أن يكون جبريل عليه السلام أخذ منه القرآن، وفيها بطلان لقول من يقول: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، أو غيره، وبطلان قول من يقول: إنما ألهمه جبريل فعبر عن القرآن<sup>(١)</sup>؛ فـ «ليس بين جبريل وبين الله واسطة، ولا بين جبريل ومحمد عليه السلام واسطة»<sup>(٢)</sup>.

### والدليل من السنة:

١ - ما رواه عبد الله بن مسعود عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: [إذا تكلم الله تعالى بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجمر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك، حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فُزع عن قلوبهم، قال: فيقولون: يا جبريلُ ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، الحق]<sup>(٣)</sup>. فهذا فيه أن جبريل عليه السلام يسمع الوحي من الله ﷻ، ولهذا أورده الإمام أبو داود تحت باب: (في القرآن)<sup>(٤)</sup>، وابن خزيمة<sup>(٥)</sup> في باب: «من صفة تكلم الله ﷻ بالوحي»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ٣٠٣/١، المجموع ١٢/١٢٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٥٣٦.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٩٦٢.

(٣) روى البخاري معلقاً موقوفاً نحوه من قول ابن مسعود عليه السلام، كما في صحيحه؛ كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ...﴾ ص ١٥٦٩، وأبو داود في سننه؛ كتاب السنة، باب/ في القرآن، ح (٤٧٣٨)، وغيره، قال الألباني: «إسناد صحيح على شرط الشيخين» كما في السلسلة الصحيحة ٣/٢٣٨ ح (١٢٩٣) وقال: «والموقوف وإن كان أصح من المرفوع... فإنه لا يعمل المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي، كما هو ظاهر، لا سيما وله شاهد من حديث أبي هريرة عليه السلام مرفوعاً بنحوه»، وحديث أبي هريرة عليه السلام المشار إليه أخرجه البخاري؛ كتاب التفسير، تفسير سورة الحجر، ح (٤٧٠١).

(٤) انظر: سنن أبي داود ٥/٦٨-٧٠.

(٥) هو إمام الأئمة الحافظ الحجة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري، ولد سنة ٢٢٣، وعنى في صغره بالحديث والفقه، فحاز فيهما السبق، وأخذ من خلق، وأخذ عنه كثيرون منهم الشيخان في غير الصحيحين، وكان لا يهتم بأمر الدنيا ولا يفرق بين العشرة والعشرين، مع السخاء والوجود، مهتماً بالعلم والحفظ، حتى قيل: إنه يحفظ المسائل الفقهية من حديثه كما يحفظ القارئ السورة، ومن مؤلفاته السنية كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، توفي عليه السلام سنة ٣١١ هـ. انظر: الجرح والتعديل ٧/١٩٦، السير ١٤/٣٦٥-٣٨٢، طبقات الشافعية للسبكي ٣/١٠٩-١١٩.

(٦) انظر: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة ص ١٤٥.



فالملائكة وفيهم جبريل ﷺ يسمعون صوت الرب ﷻ بالوحي، قويا له صلصلة، فيصعقون من عظمتة، وشدته، فهذا فيه أن جبريل سمع الوحي من الله ﷻ<sup>(١)</sup>.

٢ - ما رواه أبو هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: [إن الله ﷻ إذا أحب عبدا نادى جبريل؛ إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض...]. ففي الحديث التنصيص على نداء الله ﷻ لجبريل، وأنه سمع كلام الرب ﷻ، ولهذا بوب له البخاري رحمه الله بعنوان: «باب: كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة»<sup>(٢)</sup>؛ لأنه إذا ثبت سماع جبريل لكلام الله ﷻ فإن القرآن من كلام الله تعالى، فإذا ثبت العام فإن الخاص داخل فيه.

٣ - قالت عائشة ؓ في قصة الإفك: [ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في براءتي وحيائتي، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يئلي، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يرثني الله بها، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ [النور: ١١-٢٠] العشر الآيات]<sup>(٣)</sup>.

فالأثر وقول عائشة ؓ يدل على سماع جبريل لكلام الله ﷻ، ونزوله به، ولهذا أورده الإمام البخاري تحت باب: «قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]»<sup>(٤)</sup>.

### والدليل من الإجماع:

١ - قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: «ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام

(١) انظر: تعليق الشيخ محمد خليل هراس على الحديث في حاشية كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٤٦.

(٢) صحيح البخاري؛ كتاب التوحيد، ص ١٥٧٠، وانظر: المختار في أصول السنة لأبي علي الحسن بن أحمد ابن البنا الحنبلي ص ١٠١.

(٣) رواه البخاري؛ كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾، ح (٧٥٠٠)، ومسلم بطوله؛ كتاب التوبة، باب/ في حديث الإفك...، ح (٢٧٧٠).

(٤) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب التوحيد، ص (١٥٧١-١٥٧٣).

- رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين ﷺ، وهو كلام الله تعالى»<sup>(١)</sup>.
- ٢ - قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله: «ويشهد أصحاب الحديث، ويعتقدون أن القرآن كلام الله، وكتابه، وخطابه، ووحيه، وتنزيله غير مخلوق، ومن قال: بخلقه، واعتقده، فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام الله، ووحيه هو الذي ينزل به جبريل على الرسول ﷺ»<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - قال قوام السنة الأصبهاني: «كلام الله تعالى مدرك مسموع بحاسة الأذن، فتارة يسمع من الله تعالى، وتارة يسمع من التالي، فالذي يسمعه من الله تعالى من يتولى خطابه بنفسه بلا واسطة، ولا ترجمان»<sup>(٣)</sup>. وقال بعدها بأبواب: «باب: في بيان أن القرآن وحي من الله ﷻ، جاء به جبريل ﷺ إلى رسول الله ﷺ»<sup>(٤)</sup>.
- ٤ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وجبريل سمعه - أي القرآن - من الله، وسمعه محمد ﷺ من جبريل»<sup>(٥)</sup>، وقال: «والنبي ﷺ سمعه من جبريل، وهو الذي نزل عليه به، وجبريل سمعه من الله تعالى، كما نص على ذلك أحمد وغيره من الأئمة...، ولم يقل أحد من السلف: إن النبي ﷺ سمعه من الله...»<sup>(٦)</sup>.
- ٥ - قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والمنقول عن السلف اتفاقهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، تلقاه جبريل عن الله، وبلغه جبريل إلى محمد ﷺ، وبلغه ﷺ إلى أمته»<sup>(٧)</sup>.
- ٦ - قال ابن مانع<sup>(٨)</sup> رحمه الله: «اعلم أن مذهب السلف الصالح في "القرآن" أنه

(١) العقيدة الطحاوية ص ٥٧-٦٠، بتعليق الشيخ الألباني.

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٣٠.

(٣) الحجة في بيان المحجة ١/ ٢٨٤.

(٤) الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٠٢.

(٥) المجموع ١٢/ ٥٥٤.

(٦) المجموع ١٢/ ٢٩٨.

(٧) الفتح ١٣/ ٤٧١.

(٨) هو العلامة الشيخ: محمد بن عبد العزيز بن محمد بن مانع الوهبي التميمي، ولد بعنيزة سنة ١٣٠٠هـ، ورحل لطلب العلم، حتى استقر في الأزهر، وأخذ عن الشيخ محمد الذهبي، وجمال الدين القاسمي،

كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به صدقا، وسمعه منه جبريل حقا، وبلغه محمداً وحياً<sup>(١)</sup>.

وهذا يتبين أنه من المتفق عليه بين السلف الصالح أن جبريل ﷺ تلقى القرآن من الله سماعاً، وأخذه بلفظه ومعناه.

وفي تلقي جبريل ﷺ الوحي من الله ﷻ دون واسطة إعظام للقرآن، وتكريم لشأنه، وشأن من أنزل عليه، وتنبيه إلى العناية به، وأهميته، فالله تعالى المرسل المتكلم بالقرآن، وجبريل ﷺ الرسول الملكي مرسل بالرسالة العظيمة وهي الوحي، لينزله على محمد ﷺ الرسول البشري المرسل بالفرقان.

وإذا تبين أن جبريل إنما تلقى القرآن سماعاً من الله ﷻ، ثم نزل به إلى النبي ﷺ، فيحسن الآن الشروع في بيان تنزلات القرآن الكريم، وهذا ما أوضحه في المطلب الثاني.

---

ومحمود شكري الألوسي وأكثر من ملازمته، وقرأ عليه كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم رجع إلى عنيزة، ثم دعي إلى البحرين لمكافحة التنصير وأقام بها أربع سنوات، ثم تولى القضاء في قطر والخطابة والتدريس مدة أربع وعشرين سنة، ثم دعاه الملك عبد العزيز للتدريس في الحرم المكي فدرس فيه، ثم عين مديراً للمعارف في مكة، وولي رئاسة هيئة التمييز، وكان خيراً حائناً على نشر الكتب السلفية، له مؤلفات كثيرة، منها: حاشية على دليل الطالب، القول السديد فيما يجب لله على العبيد، شرح على العقيدة السفارينية "الكواكب الدرية لشرح الدرة المرضية"، توفي في بيروت بعد أن سافر إليها للعلاج سنة ١٣٨٥هـ، ودفن بالدوحة. انظر: الأعلام للزركلي ٦/٢٠٩، المستدرك على معجم المؤلفين ص ٦٨٢، مقدمة شرح العقيدة السفارينية.

(١) شرح العقيدة السفارينية للشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ص ٧٦.

## المطلب الثاني: كيفية نزول القرآن.

من عقائد السلف أن جبريل عليه السلام سمع القرآن من الله ﷻ، ثم نزل بأمر الله ﷻ به على النبي ﷺ، وهذا النزول للقرآن الكريم متفق عليه، وقد تم هذا النزول نجوما مفرقا على مدى عقدين من الزمن فأكثر، ويُسمى هذا التنزل بـ "نزول القرآن منجما"، وهناك نزول آخر ورد عن السلف، ودل عليه ظاهر القرآن، وهو "نزوله جملة إلى السماء الدنيا".

ومعرفة تنزلات القرآن مهمة، فالإيمان بكونه منزلا باب للإيمان، وأشار إلى هذا أمير المؤمنين في الحديث البخاري عليه السلام حيث ابتدأ «صحيحه ببدء الوحي ونزوله، فأخبر عن صفة نزول العلم والإيمان على الرسول ﷺ أولا، ثم أتبعه بكتاب الإيمان الذي هو الإقرار بما جاء به، ثم بكتاب العلم الذي هو معرفة ما جاء به، فرتبه الترتيب الحقيقي»<sup>(١)</sup> فمعرفة نزول القرآن طريق الإيمان.

وليبيان تنزلات القرآن الكريم، أقسم هذا المطلب إلى مسألتين.

## المسألة الأولى: نزول القرآن الكريم جملة إلى السماء الدنيا.

أنزل الله ﷻ القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، في الليلة المباركة، ليلة القدر، في شهر رمضان، وكذلك إبتداء إنزاله إلى النبي ﷺ كان في شهر رمضان<sup>(٢)</sup>.

ومن الأدلة على هذا:

١ - الآيات الثلاث: وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقوله: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ففيها أن نزول القرآن كان في ليلة وصفت بأنها مباركة، وهي

(١) المجموع ٤/٢.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة لقوام السنة ١/ ٢٧٨، المجموع ١٦/ ٣٠٧.

ليلة القدر، وهذه الليلة في شهر رمضان<sup>(١)</sup>.

وهذا «نص في أن القرآن نزل في شهر رمضان...، ولا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ، ليلة القدر، جملة واحدة، فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا»<sup>(٢)</sup>.  
فظاهر هذه الآيات أن نزول القرآن كان جملة واحدة، وهذا نزول غير النزول على النبي ﷺ الذي هو منجم على سنين.

٢ - قال ﷺ: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»<sup>(٣)</sup>. وهذا - والله أعلم - نزول الملك بالقرآن من اللوح المحفوظ، إلى سماء الدنيا<sup>(٤)</sup>.

٣ - قال ابن عباس ؓ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] قال: «أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، وكان بموقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه إثر بعض»<sup>(٥)</sup>.

٤ - وعن ابن عباس ؓ قال: «أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئاً أوحاه - أو أن يحدث منه في الأرض شيئاً أحدثه»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: جامع البيان للطبري ٢/ ١٥٠-١٥١، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٤/ ٣٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ١٣٧، ٥٢٩، فتح البيان لصديق حسن ١٠/ ٤٠٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للطبري ٢/ ٩٩.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند، من حديث وائلة بن الأسقع، ٤/ ١٠٧، ح (١٧١٠٩)، والطبري في التفسير ٢/ ١٥٠، وقال الألباني: «هذا إسناد حسن رجاله ثقات» كما في السلسلة الصحيحة ٤/ ١٠٤، ح (١٥٧٥)، وروى نحوه الطبري في التفسير ٢/ ١٥٠، من حديث ابن عباس موقوفاً، وروى الحديث غيرهما. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢١٦، الدر المنثور ١/ ٤٥٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٢١٦.

(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة القدر، ح (١١٦٢٥)، ورواه الحاكم في مستدركه؛ كتاب التفسير، ح (٢٨٧٨)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي كما في التلخيص في حاشية المستدرک.

(٦) رواه النسائي في فضائل القرآن ص ٥٩، والحاكم في مستدركه؛ كتاب التفسير، سورة القدر، ح (٢٨٧٧)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي كما في التلخيص.

والآثار في هذا عن ابن عباس رضي الله عنه كثيرة، يعضد بعضها بعضاً، وهي وإن كانت موقوفة في جملتها فإن لها حكم الرفع إلى النبي ﷺ، لأن هذا مما لا مجال للرأي فيه، وهو خبر متعلق بالقرآن فلا يكون من الإسرائيليات، خصوصاً أنه يؤكد هذا القول بالتفصيل والتحديد، فيحمل هذا على السماع، وأن هذا التنزيل ثابت.

وهذا التنزيل لم ينكره - بحسب ما أعلم - أحد من السلف السابقين<sup>(١)</sup>، حتى

(١) وقد نسب بعض المصنفين إنكار هذا التنزيل إلى بعض السلف، وهم:

١ - الشعبي: عامر بن شراحيل أبو عمرو، ثقة مشهور، فقيه فاضل، مات بعد المائة، وله نحو من ثمانين سنة، روى له الجماعة. انظر: السير ٢٩٤/٤، تقريب التهذيب ص ٢٣٠.

٢ - محمد بن إسحاق بن يسار القرشي المدني، إمام المغازي، صدوق يدلّس، ورمي بالتشيع والقدر، مات سنة (١٥٠هـ)، وقيل بعدها، روى له أصحاب السنن، ومسلم في المتابعات، والبخاري تعليقا. انظر: السير ٣٣/٧، تقريب التهذيب ص ٤٠٣.

أما محمد بن إسحاق المدني فقد نسب الإنكار إليه الرازي في تفسيره (٨٥/٥) دون أن يذكر دليلاً، فلا يحتاج إلى رد، ويكفي أنه لم يذكر دليلاً على هذه النسبة.

وأما الشعبي: فقد نسب إليه الإنكار عامّة من ألف في علوم القرآن، خصوصاً من جاء بعد أبي شامة، وعدوا قوله قولاً ثالثاً في المسألة (انظر: النكت والعيون للهاوردي ٣/٣٧٠، المرشد الوجيز لأبي شامة ص ٢٠، البرهان للزركشي ١/٢٢٨، الإتقان للسيوطي ١/١١٨).

والجواب عن هذا من أوجه: ١ - أنه ثبت عن الشعبي بالسند الصحيح القول بإثبات النزول جملة إلى السماء الدنيا حيث قال: «بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا» كما رواه ابن جرير (الإمام المفسر) في تفسيره (١٥١/٢، ١٢/٦٥٢) قال: حدثنا ابن علية (ثقة حافظ) عن داود (ثقة متقن) عن الشعبي به. ٢ - أن ما روي عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أنه قال: «نزل أول القرآن في ليلة القدر» كما في تفسير الطبري (١٢/٦٥١) قال: ثنا عمرو بن عاصم الكلابي (صدوق) قال: ثنا المعتمر بن سليمان التيمي (ثقة) قال ثنا عمران أبو العوام: «صدوق يّم ائهم برأي الخوارج» قال: ثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي به. فهذا في إسناده نظر، ولا يقي على معارضة ما صح أولاً، ثم لو صح فليس فيه معارضة لما ثبت عنه أولاً، كما أن الطبري ذكره في تفسيره (١٢/٦٥١) بعد قوله: «أنزل هذا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا...» وينحو الذي قلنا... قال أهل التأويل، ومن ذلك: ثم سرده، ولم يذكر بين الأثرين تعارضاً، بل ذكرهما تحت قول واحد. ٣ - أن الرواية الثانية لو صحت عنه فهي تحمل على أنها تفسير للآية، وليست إنكاراً لنزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا، قال الحافظ - بعد أن ذكر نزول القرآن جملة إلى السماء الدنيا، ونزوله مفرداً على النبي ﷺ -: «وهذا كله مطابق لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾» ولقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾...، فأنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا، ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين - أي من رمضان - إلى الأرض أول ﴿أَفْرَأَ يَا سَمِرَ بْنَ الْكَذَّابِ الَّذِي خَلَقَ﴾»،

قال القرطبي: «ولا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جملة واحدة فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا...، وقول مقاتل<sup>(١)</sup> هذا خلاف ما نقل من الإجماع: أن القرآن أنزل جملة واحدة - والله أعلم -»<sup>(٢)</sup>.

### والحكمة في هذا النزول:

أ - تعظيم شأن القرآن، ففي هذا النزول «تفخيم لأمره، وأمر من أنزل عليه،

(الفتح ٨/ ٦٢١). ٤ - قول الماوردي وغيره أن: القول الثاني: ابتداء إنزاله في ليلة القدر، وأن هذا قول الشعبي، إن كانوا يقصدون أنه تفسير ثان للآيات فنعم، وإن كانوا يقصدون أنه ينكر النزول الأول فلا، قال أبو شامة في قول الشعبي إنه: «إشارة إلى ابتداء إنزال القرآن على النبي ﷺ...»، وهذا وإن كان الأمر فيه كذلك إلا أن تفسير الآية به بعيد، (المرشد الوجيز ص ٢٠). ٥ - أن ما رواه عبد بن حميد وأبو عبيد وابن أبي شيبة وابن الضريس عن داود بن أبي هند قال: «قلت لعامر الشعبي: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، فهل كان نزل عليه في سائر السنة إلا ما في رمضان، قال: بلى ولكن جبريل كان يعارض محمدا ما أنزل في السنة في رمضان، فيحكم الله ما يشاء، ويثبت ما يشاء، وينسخ ما ينسخ، وينسيه ما شاء» (الفتح ٨/ ٦٢١، الدر المنثور ١/ ٤٥٨)، فهذا لا يخالف النزول جملة، قال الحافظ: «والمعتمد أن جبريل كان يعارض النبي ﷺ في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة، كذا جزم به الشعبي، فيما أخرجه عنه أبو عبيد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح» (الفتح ٨/ ٦٢١)، ويوضحه ما ذكره أبو القاسم البغوي بسنده عن الشعبي أنه قال: «إن جبريل كان يعارض النبي ﷺ بما أنزل عليه في سائر السنة في شهر رمضان» (المرشد الوجيز ص ٢٢)، فهذا يؤكد أن تفسيره بهذه الصورة لآية النزول هو مما فهمه من عموم الآيات، لا أنه ينكر النزول جملة إلى السماء الدنيا، وإنما فهم من العروض أنها من الإنزال الذي يحكم الله في الآيات. ٦ - لهذا كله عَدَّ السخاوي الشعبي مع القائلين بنزوله جملة واحدة إلى السماء الدنيا ثم نزوله مفرقا، كما في جمال القراء له (١/ ٢٠)، وذلك لعدم التعارض بين هذه الآثار المروية عنه حيث إن لكل وجهة. ٧ - أن الشهرة في إثبات مثل هذا الأمر إلى الشعبي لا تكفي، بل لا بد من نص قطعي، خصوصا مع شدة حرص السلف لالتزامهم بظاهر النصوص، وحرصهم على الإتيان. ولذلك لا أذكر الأدلة التي استدل بها، ولا أضيع الوقت في ردها، خصوصا أنها لم تثبت عنه نصا، وإنما هو قيل عليه ظنا - والله تعالى أعلم -.

(١) هو المفسر المشهور: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي، اختلف العلماء فيه، فمنهم من كذبه وهجره، ومنهم من أحسن فيه الظن، ورمي بالتجسيم، قال البخاري: «مقاتل لاشيء البتة». انظر: السير ٧/ ٢٠١-٢٠٢، التقريب ص ٤٧٦، معجم المفسرين لعادل نويهض ٢/ ٦٨٢-٦٨٣.

وقول مقاتل الذي ذكره القرطبي هو: أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ كل عام في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، ثم نزل إلى السفرة من اللوح المحفوظ في عشرين شهرا، ونزل به جبريل في عشرين سنة. انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة ص ١٨، الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٩٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٩٩.

وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب، المنزل على خاتم الرسل لأشرف الأمم»<sup>(١)</sup>.

ب - أن الله ﷻ جمع للقرآن نزولين: جملة إلى السماء الدنيا، ومفرقا على نبيه المجتبى، فبهذا باين بينه وبين الكتب المنزلة السابقة، فشارك الكتب المنزلة في صفة وتميز عنها في الأخرى، وهذه ميزة للقرآن سواء قيل بنزول الكتب السابقة جملة أو مفرقة، إذ لم تجتمع الصفتان إلا للقرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

ج - أن في نزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا إعلامًا لأهل السموات ببعثة محمد ﷺ<sup>(٣)</sup>.

### المسألة الثانية: نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ منجما.

وهذا معروف ومشهور بين السلف والخلف<sup>(٤)</sup>، ودل عليه الكتاب والسنة، ومن هذه الأدلة:

١ - قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢] ومراد الكفار بهذا السؤال: أن ينزل القرآن على محمد ﷺ مرة واحدة، ودفعة كاملة، كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة، فبين الله ﷻ الحكمة من تنجيده، وتنزيله الآي بعد الآي، والشيء بعد الشيء، بحسب الوقائع والأحكام، وأنه كان تثبيتاً لفؤاده ﷺ<sup>(٥)</sup>.

٢ - قول الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾

(١) المرشد الوجيز ص ٢٤، وانظر: الإتيقان ١/ ١١٩.

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: المرشد الوجيز ص ٢٥، الإتيقان ١/ ١١٩-١٢٠، وهل كان هذا الإنزال قبل البعثة أم بعدها؟ ذكر فيه أبو شامة القولين، ويظهر أنه مال إلى الأول، وقال: «وإن كان قبلها ففائدته أظهر وأكثر...» كما أعلم الله ﷻ الملائكة قبل خلق آدم، وقال السيوطي: «والظاهر الثاني»، ولا يترتب على هذا كبير خلاف - والله أعلم -.

(٤) انظر: البرهان للزكريا ١/ ٢٢٨، الفتح ٨/ ٦٢٠-٦٢١، الإتيقان للسيوطي ١/ ١١٦.

(٥) انظر: جامع البيان للطبري ١/ ٣٨٦-٣٨٧، معالم التنزيل للبغوي ٦/ ٨٣، زاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٨٨.



[الإسراء: ١٠٦] ﴿وَهوَ فَرَقْنَاهُ﴾ <sup>(١)</sup> بالتخفيف: أحكمناه، وأما قراءة التشديد ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ <sup>(٢)</sup> فبمعنى: نزلناه شيئاً بعد شيء، آية بعد آية، ويؤكد هذه القراءة آخر الآية ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ أي فرقنا تنزيله، وأنزلناه شيئاً بعد شيء <sup>(٣)</sup>.

٣ - قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ <sup>(٤)</sup> وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ <sup>(٥)</sup> إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ <sup>(٦)</sup> فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ <sup>(٧)</sup> لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ <sup>(٨)</sup> تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ <sup>(٩)</sup> [الواقعة: ٧٥-٨٠] و﴿مَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ قيل فيها: نجوم السماء، وقيل: نجوم القرآن، وسميت نجوماً لنزولها متفرقة، ومواقعها: نزولها، حيث أنزل القرآن على رسول الله ﷺ نجوماً متفرقة <sup>(٤)</sup>.

٤ - قد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: [إن أول ما نزل صدر سورة "اقرأ"] <sup>(٥)</sup>، وعن جابر رضي الله عنه: [فأنزل الله ﷻ ﴿يَتْلُوهَا الْمَدِينَةُ﴾ إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾] [المدر: ١-٥] <sup>(٦)</sup> والآثار في ذلك كثيرة <sup>(٧)</sup>.

٥ - قول عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالوا: [لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشر سنين] <sup>(٨)</sup>. قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «ويؤخذ من هذا

(١) هذه قراءة عامة أهل الأمصار، انظر: جامع البيان للطبري ٨/ ١٦١.

(٢) هذه القراءة رُوي عن ابن عباس، كما في جامع البيان للطبري الموضع السابق، وليست من القراءات العشر المتواترة. انظر: القراءات العشر المتواترة لمحمد كريم راجع بحاشية القرآن الكريم ص ٢٩٣.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٨/ ١٦١-١٦٣، معالم التنزيل للبغوي ٥/ ١٣٥-١٣٦، المحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٤٩١.

(٤) انظر: جامع البيان للطبري ١١/ ٦٥٧، معالم التنزيل للبغوي ٣/ ١٨١، زاد المسير ٨/ ١٥١، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٩٩، الفتح ١٣/ ٤٧٢.

(٥) هو جزء من حديث طويل رواه البخاري؛ كتاب بدء الوحي، باب /...، ح (٣)، ومسلم؛ كتاب الإيمان، باب /بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ح (١٦٠).

(٦) هو جزء من حديث رواه البخاري؛ كتاب بدء الوحي، باب /...، ح (٤)، ومسلم؛ كتاب الإيمان، باب /بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ح (١٦١).

(٧) انظر: المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم لأبي شهية ص ٥٤.

(٨) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب /كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ح (٤٩٧٨، ٤٩٧٩).

الحديث... أنه - أي القرآن - نزل مفرقاً، ولم ينزل جملة واحدة<sup>(١)</sup>.

٦ - واقع نزول القرآن الكريم يدل على ذلك؛ فالسور المكية نزلت قبل المدنية، والمكية بعضها قبل بعض، وهكذا المدنية، فالآيات إنما كانت تنزل بإذن الله تعالى على حسب الوقائع والأحداث.

والحكمة في نزول القرآن منجماً مفرقاً هي:

أ - تثبيت فؤاد النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] والمعنى: أنزلناه مفرقاً تثبيتاً لقلبك، وهذه من أجل الحكم، وأعظمها<sup>(٢)</sup>.

ومن تثبيت قلبه ﷺ، تسليته وأصحابه بكثرة نزول الوحي، حتى لا يئأس، ويرتفع عنه الحزن والهم الذي يجده بسبب الكفار والمنافقين<sup>(٣)</sup>، ومنه تسليته ﷺ بذكر قصص الأنبياء السابقين، كما قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

ب - تيسير حفظه وفهمه على الرسول ﷺ وأصحابه، إذ أنهم كانوا أمة أمية، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ج - فضح قبائح المشركين والمنافقين، قال تعالى: ﴿تَحَذَّرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا

(١) الفتح ٨/ ٦٢٠، وظاهر الحديث يدل على أن النبي ﷺ مكث بكمة عشر سنين داعياً، والصحيح أنه مكث ثلاث عشرة سنة، وإنما ذكر الصحابيyan العقد مع إلغاء الكسر، وهذا أسلوب معروف عند العرب، وقبل غير ذلك، ولكن هذه أرجحها وأبينها. انظر: الفتح ٨/ ٦٢٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للطبري ٩/ ٣٨٦-٣٨٧، المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم لأبي شعبة ص ٦٥.

(٣) انظر: المرشد الوجيز ص ٢٨، الفتح ٨/ ٦٢٥.

تَحَذَّرُونَ ﴿التوبة: ٦٤﴾.

د - التحدي والإعجاز، فكان المشركون يسألون أسئلة للتعجيز ويأتينهم الجواب من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفقران: ٣٢-٣٣]، فالقرآن «لما نزل منجها مفرقا وتحداهم النبي ﷺ من أول الأمر فكانه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن، فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولى، فثبت بهذا الطريق أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة»<sup>(١)</sup>.

هـ - التدرج في التشريع، حيث كانوا على عادات وأمور، فكان من الرحمة بهم التدرج ليقبلوه، ويسهل عملهم به<sup>(٢)</sup>، قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] قالت عائشة ؓ: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنى أبدا. لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٦] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»<sup>(٣)</sup>.

وإذا ثبت أن القرآن أنزله الله ﷻ لحكم بالغة إلى السماء الدنيا جملة واحدة، وأنزلها على النبي ﷺ بواسطة جبريل على فترات لحكم باهرة، وفضائل جامعة، فالحق أنه لا تعارض بين النزولين، فكان الأول: لأهل السماء إعلاما وإيذانا ببدء شمس الرسالة المحمدية، والثاني: لأهل الأرض إنذارا وإعذارا، وتبشيرا وتيسيرا برسالة الإسلام العلية السنية.

(١) إظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندي ١٠٣/٢.

(٢) انظر: إظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندي ١٠٢/٢، ومناهل العرفان للزرقاني ٦١-٦٣.

(٣) رواه البخاري؛ كتاب فضائل القرآن، باب/ تأليف القرآن، ح (٤٩٩٣).

فإنزال القرآن إلى سماء الدنيا نزول خاص، وتنزيله إلى الأرض نزول آخر، والقرآن موجود في اللوح المحفوظ، قال ابن القيم رحمه الله: «والقرآن كتبه الله في اللوح المحفوظ، قبل خلق السماوات والأرض.. وأجمع الصحابة والتابعون، وجميع أهل السنة، والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة، فهو مكتوب في أم الكتاب»<sup>(١)</sup>، ولا تنافي بين هذا، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره من السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزله بعد ذلك منجماً مفرقاً بحسب الحوادث»، ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]... فإن كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ، وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك، وإذا كان قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر، فقد كتبه كله قبل أن ينزله... فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف - وهو حق - فإذا كان ما يخلقه بائناً عنه قد كتبه قبل أن يخلقه، فكيف يستبعد أن يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل أن يرسلهم»<sup>(٢)</sup>.

فإذا لا إشكال بين نزول القرآن جملة، وبين نزوله مفرقاً، ولا يترتب عليه محذور، كيف وهو مأثور، وإنما يحصل المحذور فيما إذا اعتقد معتنقاً بأن القرآن لم يسمعه جبريل من رب العزة ﷻ، وأنه أخذه من اللوح محفوظاً، أو ألهمه الله إلهاماً، وثبت نزول القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا، وهذا لا يدل على نفي سماع جبريل ﷺ للقرآن من رب العزة ﷻ، قال أبو حامد الإسفرائيني<sup>(٣)</sup>: «مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر،

(١) شفاء العليل ١/ ١٢٠.

(٢) المجموع ١٢/ ١٢٦-١٢٧، وانظر منه: ١٥/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) هو: أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفرائيني شيخ الشافعية ببغداد، توفي ٤٠٦ هـ. انظر

السير ١٧/ ١٩٣، شذرات الذهب ٣/ ١٧٨.

والقرآن حملة جبريل مسموعا من الله ﷻ، والنبي ﷺ سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ، وهو الذي نتلوه نحن بالستنا، وفيها بين الدفتين، وما في صدورنا، مسموعا، ومكتوبا، ومحفوظا»<sup>(١)</sup>.

ولا يقول أحد من السلف أن جبريل ﷺ أخذ القرآن من اللوح المحفوظ أو غيره، وذلك لأن هذا القول مبني على القول بخلق القرآن، وقد مضى أن السلف قاطبة مجمعون أن القرآن كلام الله تعالى حقيقة غير مخلوق.

والقول بأن جبريل ﷺ أخذ القرآن من اللوح أو غيره، قول الخلقية<sup>(٢)</sup>، قال شيخ الإسلام ﷻ: «فمن قال: إنه منزل من بعض المخلوقات كاللوح والهواء، فهو مفتر على الله، مكذب لكتاب الله، متبع لغير سبيل المؤمنين»<sup>(٣)</sup>.

وفساد قول من قال بأن جبريل أخذه من اللوح أو غيره بين، فهذه «المقالة مبنية على أصل فاسد، وهو القول بخلق القرآن، وهذه مقالة الجهمية، والمعتزلة ومن نحا نحوهم، وهذه المقالة الخاطئة حقيقتها إنكار أن يكون الله متكلما حقيقة»<sup>(٤)</sup>.

وبعد، فقد تبين أن جبريل ﷺ سمع القرآن من الله ﷻ ونزله به على محمد ﷺ، ولا ينافي هذا نزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ووجوده في بيت العزة، ومما يؤكد هذا المعنى، معرفة معنى الإنزال عند السلف، وهذا ما سأبينه في المبحث الآتي.

(١) انظر: المجموع ٣٠٦/١٢، حيث نقل هذا عن أبي الحسن الكرجي، وهو بسنده عن الإسفرائيني.

(٢) انظر: المجموع ١٢/١٢٠.

(٣) المجموع ٥٢٠/١٢.

(٤) الجواب الواضح المستقيم في كيفية إنزال القرآن الكريم، للشيخ محمد بن إبراهيم ص ٢.

### المبحث الثالث: معنى إنزال الله القرآن عند السلف

سبق إثبات أن القرآن كلام الله ﷻ منزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، وأن القرآن نزل جملة إلى السماء الدنيا، ونزل على محمد ﷺ منجما.

«ومسألة القرآن لها طرفان، أحدهما: تكلم الله به، وهو أعظم الطرفين. والثاني: تنزيله إلى خلقه، والكلام في هذا سهل بعد تحقيق الأول»<sup>(١)</sup> ومضى ما يدل على تحقيق الأول وإثباته، وكذلك كونه منزلا على محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام.

وإن العقيدة السلفية في النزول هي القول بالحقيقة دون المجاز، والعمل بظاهر النصوص دون التأويل، ولمعرفة معنى النزول قسمت هذا المبحث إلى مطلبين:

#### المطلب الأول: معنى النزول لغة:

لمعرفة معنى النزول لابد من إيراد المعنى اللغوي، حيث إن القرآن نزل بلغة العرب، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٥﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٦﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] وقال: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨] وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وأصل مادة (نزل) يدل على الهبوط من علو إلى سفلى، وكل ما ورد من المعاني روعي فيه هذا المعنى، «فالنون، والزاي، واللام: كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء

ووقوعه»<sup>(١)</sup>، قال الراغب<sup>(٢)</sup>: «فالنزول في الأصل هو انحطاط من علو»<sup>(٣)</sup>.

ومادة (نزل) وردت في اللغة بتصرفات كثيرة منها: نَزَلَ، وَأَنْزَلَ، وَتَنَزَّلَ، وَنَزَّلَ...<sup>(٤)</sup> وغير ذلك، ووردت في القرآن الكريم بتصرفات مختلفة، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١] وقال: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [النساء: ١١٦] وقال: ﴿وَمَا تَنْزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠].

فَنَزَلَ، وَنَزَّلَ، وَأَنْزَلَ، وَتَنَزَّلَ بمعنى، يدل كل على معنى النزول<sup>(٥)</sup>، ومن ذلك قولهم: «نزل عن دابته نزولا، ونزل المطر من السماء نزولا»<sup>(٦)</sup>.

و«الْمَنْزِلُ موضع النزول، والمنزلة مثله، وهي أيضا المكانة»<sup>(٧)</sup> والنُّزْل ما يُعَد للضيف من الزاد<sup>(٨)</sup>، ومنه قول الله تعالى عن أصحاب الجنة: ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا﴾ [السجدة: ١٩] وقال عن نزل أصحاب النار: ﴿فَنُزِّلُ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٣] والنَّازِلَة: الشدة، وجمعها نوازل<sup>(٩)</sup>.

(١) مقاييس اللغة ص ١٠٢٢.

(٢) هو اللغوي المشهور: أبو القاسم حسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، وله مؤلفات أدبية، ولغات لغوية منها: المفردات في غريب القرآن، وكتاب في التفسير لم يكمله، والذريعة إلى مكارم الشريعة، توفي سنة ٥٠٢ هـ. انظر: هدية العارفين ٥/ ٣١١، معجم المؤلفين لعمر كحالة ٤/ ٥٩، معجم المفسرين لعادل نويس ١/ ١٥٨-١٥٩.

(٣) المفردات للراغب ص ٤٩٠.

(٤) ولما كانت التصريفات لـ (النزول) مختلفة، فقد فرق بعضهم بين الإنزال والتنزيل، فقال: الأول للنزول دفعة واحدة، والثاني للنزول شيئا فشيئا، وقيل إنها قاعدة مطردة، وقيل: إنها قاعدة أغلبية. انظر: مقاييس اللغة ص ١٠٢٣، المفردات للراغب ص ٤٩١، تاج العروس للزبيدي ٨/ ١٣٣، تفسير الجلالين كلان ص ٤٦، هدي الفرقان في علوم القرآن د/ غازي عناية ١/ ٩٨-١٠٨.

(٥) انظر: تاج العروس للزبيدي ٨/ ١٣٣ مادة: (نزل).

(٦) مقاييس اللغة ص ١٠٢٢-١٠٢٣، مادة: (نزل). وانظر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ص ٣٦٧.

(٧) المصباح المنير ص ٦٠١ مادة: (نزل).

(٨) انظر: العين للخليل بن أحمد ص ٣٦٧، المفردات ص ٤٩١ مادة: (نزل).

(٩) انظر: المفردات ص ٤٩١.

ونزل يتعدى بالحرف، فيقال: نزلت منه، ويتعدى بالهمزة، فيقال: أنزلته، ويتعدى بالتضعيف، فيقال: نَزَلْتُهُ<sup>(١)</sup>.

وحيثما ورد لفظ النزول فإن فيه مراعاة للمعنى اللغوي الأصلي، وهو: الهبوط من علو إلى سفلى، وما يذكره بعض اللغويين مما قد يظن أنه ليس فيه ملحظ لمعنى الهبوط فهو قصور، والصواب هو ما ذكره شيخ الإسلام رحمته الله من أن كل ما استعمل فيه لفظ النزول فإن معنى الهبوط ملحوظ فيه، وذلك حيث قال: «والضيافة سميت نزلا لأن العادة أن الضيف يكون راكبا فينزل في مكان يؤتى إليه بضيافته فيه، فسميت نزلا لأجل نزوله، ونزل بيني فلان ضيف، ولهذا قال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩]<sup>(٢)</sup> لأنه كان راكبا في السفينة، وسميت المواضع التي ينزل بها المسافرون منازل؛ لأنهم يكونون ركابا فينزلون، والمشاة تبع للركبان، وتسمى المساكن منازل»<sup>(٣)</sup>.

فإذا عرف المعنى اللغوي لكلمة "النزول"، فيحسن الآن الشروع في معنى نزول القرآن الكريم عند السلف.

(١) انظر: المصباح المنير ص ٦٠٠.

(٢) قرأ شعبة عن عاصم: (مُنْزَلاً) بفتح الميم، وكسر الزاي، وقرأ الباقر: (مُنْزَلاً) بضم الميم، وفتح الزاي. انظر: المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر ص ٢٦٨، القراءات العشر المتواترة المطبوع بها مش القرآن الكريم إعداد/ محمد كريم راجح ص ٣٤٤.

(٣) المجموع ١٢/ ٢٥٣.



## المطلب الثاني: معنى إنزال القرآن عند السلف.

القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وتبين أن النزول في اللغة التي نزل بها القرآن معناه الهبوط من علو إلى سفلى، وهذا هو المعنى الذي أجمع عليه السلف، وهو القول بنزول القرآن الكريم حقيقة دون مجاز، والقول بظاهر ما دل عليه الشرع دون تأويل، وسبق ذكر الأدلة الدالة على نزول القرآن الكريم.

و«الصحابة والتابعون لهم بإحسان على أن القرآن والتوراة والإنجيل، وغير ذلك من كلام الله هو كلام الله الذي تكلم به، وأن الله أنزله»<sup>(١)</sup>، ومعلوم أن نزول التوراة والإنجيل كان حقيقة، فكذا إنزال القرآن الكريم، ولهذا قرن الله تعالى بين هذه الكتب وأنه أنزلها، قال تعالى: ﴿الْمَرْءُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ١-٤].

قال الراغب: «وإنزال الله تعالى نعمه ونقمه على الخلق: إعطاؤهم إياها، وذلك إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن، وإما بإنزال أسبابه»<sup>(٢)</sup>.

والآيات المصروفة بلفظ الإنزال والتنزيل كثيرة، وظاهرها دال على كون القرآن منزلاً من الله تعالى حقيقة.

ولفظ الإنزال في القرآن قد ورد مطلقاً ومقيداً، وكثير من الناس فسروا التنزيل في مواضع من القرآن بغير معناه المعروف<sup>(٣)</sup>، لاشتباه المعنى في تلك المواضع<sup>(٤)</sup>، والسلف فطنوا لهذا الفرق، وعلموا أن الإنزال في كل موضع بحسبه.

(١) الجواب الصحيح ٣٣٢/٤، وانظر: الغنية لأبي سعيد النيسابوري ص ١٠٧.

(٢) المفردات للراغب ص ٤٩٠، وانظر: تاج العروس ١٣٣/٨.

(٣) وسيأتي ذكر شيء من تفسيراتهم للنزول في الفصل الثاني من الباب الثاني.

(٤) انظر: المجموع ٢٤٦/١٢، ٢٥٣، ٢٥٤، محاسن التأويل للقاسمي ٣٩/٧.

ولفظ الإنزال ورد في القرآن على ثلاثة أنواع<sup>(١)</sup>:

النوع الأول: نزول مقيد بأنه من الله ﷻ؛ وهذا النوع مختص بنزول القرآن، فلم يرد إلا فيه<sup>(٢)</sup>، « ولم يخبر عن شيء أنه منزل من الله إلا كلامه بخلاف نزول الملائكة، والمطر، والحديد، وغير ذلك »<sup>(٣)</sup>.

وهذا النوع ذكره كثير، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢] وقال: ﴿ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الواقعة: ٨٠، والهاقة: ٤٣] وقال: ﴿ حَمْدٌ نَزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [فصلت: ١-٢] و« التنزيل بمعنى المُنْزَل، تسمية للمفعول باسم المصدر »<sup>(٤)</sup>.

وهذا التنصيص بأنه منزل من الله ﷻ دليل على أنه كلامه منزل منه، لا من مخلوق من المخلوقات، و« قد دل استقراء القرآن العظيم، على أن الله - جل وعلا - إذا ذكر تنزيله لكتابه، أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنى، المتضمنة صفاته العليا... ولا يخفى أن ذكره - جل وعلا - هذه الأسماء الحسنى العظيمة، بعد ذكره تنزيل هذا القرآن العظيم، يدل بياضاح على عظمة القرآن العظيم، وجلال شأنه، وأهمية نزوله - والعلم عند الله تعالى - »<sup>(٥)</sup>.

وكون القرآن من الله فيه بيان أنه كلام الله، وأن له منزلة عالية<sup>(٦)</sup>، قال تعالى: ﴿ حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ۝ ﴾ [الزخرف: ١-٤] فالقرآن عالي المنزلة، ونزوله كان من علو.

(١) انظر: المجموع ١٢/١١٨، ٢٤٧، ١٥/٢٢١.

(٢) انظر: المجموع ١٢/٢٤٧.

(٣) المجموع ١٢/٢٩٧.

(٤) المجموع ١٢/٢٤٨.

(٥) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٢٦/٧.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/١٢٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/٤٢.

وقد يَرُدُّ نزول القرآن مطلقاً، كقول الله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥] وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ آلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] فيحمل هذا المطلق على المقيد.

والسلف مطبقون على نزول القرآن من الله، والله تعالى في العلو، فيكون نزول جبريل بالقرآن من العلو إلى الدنيا<sup>(١)</sup>، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

النوع الثاني: نزول مقيد بأنه من السماء<sup>(٢)</sup>، والسماء اسم جنس لكل ما علا<sup>(٣)</sup>، وقد ورد نزول أشياء من السماء.

ومنه نزول المطر من السماء كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [البقرة: ٢٢]، ومعلوم أن المطر ينزل من السحاب وهو في السمو قال تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنْ آلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ آلْمُنْزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩]، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا﴾ [النبا: ١٤] والمزن والمعصرات: السحب<sup>(٤)</sup>.

وورد إنزال العذاب من السماء، وهو العلو، قال الله ﷻ: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]، والرجز العذاب<sup>(٥)</sup>.

وورد في إنزال الملائكة من السماء، ومكانهم العلو، قال ﷻ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥].

وكذا ورد النزول من العلو في ذكر "المائدة" قال - عز من قائل - ﴿إِذْ قَالَ

(١) انظر: المجموع ٢٦/٨ - ٢٧.

(٢) انظر: المجموع ١٢/١١٨.

(٣) انظر: مقاييس اللغة ص ٤٩٠، المجموع ١٢/٢٤٨، المصباح المنير ص ٢٩٠.

(٤) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني ص ٣٣٩، ٤٦٩.

(٥) انظر: جامع البيان للطبري ١/٣٤٦.

الْحَوَارِيُّونَ يَعْجِسُ ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ [المائدة: ١٠٢].

النوع الثالث: الإنزال المطلق؛ من غير قيد، وإنما فيه ذكر كونه منزلاً دون بيان الجهة المنزلة منه<sup>(١)</sup>.

ومن هذا الإطلاق إنزال الحديد، قال ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وورد النزول مطلقاً دون بيان مكان المنزل في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤].

ومن الإنزال المطلق، قوله ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦]. والإنزال المطلق يفسر بحسب السياق، أو بما يبينه في المواضع الأخرى، قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد أن ذكر اختلاف الناس في معنى النزول في هذه المواضع المطلقة: «ولا حاجة إلى إخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة، فإن الأنعام تنزل من بطون أمهاتها، ومن أصلاب آبائها تأتي بطون أمهاتها، ويقال للرجل: قد أنزل الماء، وإذا أنزل وجب عليه الغسل، مع أن الرجل غالب إنزاله وهو على جنب إما وقت الجماع، وإما بالاحتلام، فكيف بالأنعام التي غالب إنزالها مع قيامها على رجليها، وارتفاعها على ظهور الإناث.

ومما يبين هذا أنه لم يستعمل النزول فيما خلق من السفليات، فلم يقل: أنزل النبات، ولا أنزل المرعى، وإنما استعمل فيما يخلق في محل عال، وأنزله الله من ذلك المحل كالحديد والأنعام»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَنْبِئُ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ بَشَرِكُمْ

(١) المجموع ١٢/١١٨.

(٢) المجموع ١٢/٢٥٤.

وَرِيْشًا ﴿[الأعراف: ٢٦]﴾ بعد أن ذكر الخلاف في معنى نزولها: «والقرآن مقصوده جنس اللباس الذي يلبس على البدن وفي البيوت...، فامتن سبحانه عليهم بما ينتفعون به من الأنعام في اللباس والأثاث، وهذا - والله أعلم - معنى إنزاله، فإنه ينزله من ظهور الأنعام، وهو كسوة الأنعام من الأصواف والأوبار والأشعار، وينتفع به بنو آدم من اللباس والرياش، فقد أنزلها عليهم، وأكثر أهل الأرض كسوتهم من جلود الدواب فهي لدفع الحر والبرد، وأعظم من القطن والكتان...، فإذا كان اللباس والرياش ينزل من ظهور الأنعام، وكسوة الأنعام منزلة من الأصلاب والبطن...، فهو منزل من الجهتين، فإنه على ظهور الأنعام لا ينتفع به بنو آدم حتى ينزل»<sup>(١)</sup>.

ثم قال: «فقد تبين أنه ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف، وهذا هو اللائق بالقرآن فإنه نزل بلغة العرب، ولا تعرف العرب نزولا إلا بهذا المعنى، ولو أريد به غير هذا المعنى لكان خطابا بغير لغتها، ثم هو - أي التأويل والتفسير الخاطيء لمعنى النزول - استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان، وهذا لا يجوز بما ذكرنا، وبهذا يحصل مقصود القرآن - واللغة - الذي أخبر الله تعالى أنه بينه وجعله هدى للناس»<sup>(٢)</sup>.

و«كون القرآن عربيا أمر ظاهر، لا يحتاج إلى الإخبار...، والرب تعالى اختص بجعله عربيا فإنه هو الذي تكلم به وأنزله، فجعله قرآنا عربيا بفعل قام بنفسه، وهو تكلم به، واختاره لأن يتكلم به عربيا... وأنزله به»<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يتبين أن جبريل نزل بالقرآن حقيقة، أنزله جملة إلى سماء الدنيا، وأنزله على محمد ﷺ منجما، وهذان النزولان حقيقة على ظاهره، كما أن وجوده حقيقة.

(١) المجموع ١٢/ ٢٥٥-٢٥٧.

(٢) المجموع ١٢/ ٢٥٧.

(٣) المجموع ٨/ ٢٨-٢٩.

وأما وجودات القرآن الكريم فهي:

١ - وجود في اللوح المحفوظ؛ ولم يرد فيه لفظ النزول، فالأولى أن يعبر بلفظ الوجود والثبوت، إذ أن الله كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، ومن ذلك القرآن، فوجوده في اللوح ثابت<sup>(١)</sup>، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠]، الآيات، وقال: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]، ونزول القرآن إلى السماء الدنيا ثابت، ونزوله على محمد ﷺ حق، ولا تنافي بين كون القرآن موجوداً في اللوح المحفوظ، وكون جبريل سمعه من الله، وأنزل به على محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>.

٢ - وجوده في أيدي السفرة الكرام البررة: وهم الملائكة، قال تعالى عن القرآن: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [عس: ١٣-١٦].

٣ - وجوده في السماء الدنيا: في بيت العزة، وقد سبق بيان الأدلة على ذلك، وهذا سمي تنزيلاً بنص القرآن، كما سبق<sup>(٣)</sup>.

«ولا تنافي بين كونه موجوداً في اللوح المحفوظ وغيره...؛ فإن كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ، وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة، لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل، أو بعد ذلك، وإذا كان قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر، فقد كتبه كله قبل أن ينزله»<sup>(٤)</sup>.

٤ - وجوده في الدنيا بعد نزوله على محمد ﷺ، وهو معلوم مشاهد، ومقروء متلو، لا ينكره إلا مكابر، ولا يجحده إلا خاسر، فكم من حافظ قد حفظه، وكم من كاتب قد كتبه، وهو كلام الله المنزل على محمد ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: معالم التنزيل للبخاري ٢٠٥/٧، زاد المسير ٣٠٢/٧.

(٢) انظر: المجموع ١١٨/١٥.

(٣) انظر: المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٤) المجموع ١٢٦/١٢-١٢٧، وكون القرآن موجوداً في اللوح المحفوظ وفي السماء الدنيا، ومنزلاً على محمد ﷺ حقيقة، كما لو أن ملكاً - والله المثل الأعلى - أمر بشيء فكتب، ثم حفظ في السجلات، ثم أرسله مع رسول إلى شخص معني بالبلاغ فبلغ، فأني تناف في هذا؟

(٥) سبقت الإشارة إلى أنه كلام الله وإن قرأه القراء، وكتبه الكتاب في المبحث الأول، من الفصل الأول، وأما كونه

ومن الحكمة في تعدد وجود القرآن، « مرة في اللوح، وأخرى في بيت العزة، وثالثة على قلب النبي ﷺ، في ذلك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن، وزيادة للإيمان، وباعث على الثقة فيه، لأن الكلام إذا سُجِّلَ في سجلات متعددة، وصحت له وجودات كثيرة، كان ذلك أنفى للريب عنه، وأدعى إلى تسليم ثبوته، وأدنى إلى وفرة الإيقان به، مما لو سُجِّلَ في سجل واحد، أو كان له وجود واحد»<sup>(١)</sup>، -والله تعالى أعلم-.

وبهذا ظهر أن القرآن منزل حقيقة، وموجود حقيقة، ومن أعظم الأسباب لوجوده هو أن يتعبد به العباد، ويتقرب به إلى الله تعالى أهل البلاد، الحاضر منهم والباد، وهذا ما يكون الحديث عنه في الفصل الثالث.

---

موجوداً في مصاحف المسلمين فسيأتي بيانه في الفصل الرابع من هذا الباب -إن شاء الله تعالى-.

(١) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٤٨.





# الفصل الثالث

## بَيِّنَاتُ لُجَّةِ الْقُرْآنِ لِلرَّحْمَنِ الْمُتَعَبِّدِ

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى التعبّد بالقرآن الكريم، وفيه مطلبان.

المبحث الثاني: صور التعبّد بالقرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب.



## المبحث الأول: معنى التعبد بالقرآن الكريم

### المطلب الأول: في تعريف التعبد لغة واصطلاحاً:

التعبد في اللغة مصدر من: تَعَبَّدَ، يَتَعَبَّدُ، تَعَبُّدًا، وأصل (عَبَدَ) يدل على لينٍ وذُلٍّ، ولهذا قيل: بغير مُعَبَّدٍ، أي ذلول، ومنه: طريق مُعَبَّدٌ، أي مسلك مُدَلَّلٌ، ومنه العبد المملوك فإنه مُدَلَّلٌ لسيده<sup>(١)</sup>.

فالتَّعَبُّدُ: التذلل، والخضوع، والانقياد، قال الله تعالى مخبراً عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢] أي: جعلتهم عبيداً لك، مسخرين بأمرك، مدللين لأمرورك<sup>(٢)</sup>، ولهذا يقال تَعَبَّدَ الرجل إذا تنسك<sup>(٣)</sup>.

والعبودية: إظهار التذلل، والعبادة: الطاعة، والخضوع، والعبادة أبلغ من العبودية، لأنها غاية التذلل<sup>(٤)</sup>.

وَعَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً لا يقال إلا لمن يَعْبُدُ الله تعالى، و«العبدُ يراد به المُعَبَّدُ الذي عَبَدَهُ اللهُ، فَدَلَّ اللهُ ودبره وصرفه، وبهذا الاعتبار فالمخلوقون كلهم عباد الله: الأبرار منهم والفجار، والمؤمنون والكفار، وأهل الجنة وأهل النار... فهو سبحانه رب العالمين، وخالقهم ورازقهم، ومحييهم ومميتهم، ومقلب قلوبهم، ومصرف أمورهم، لا رب لهم غيره، ولا مالك لهم سواه، ولا خالق لهم إلا هو، سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه،

(١) انظر: المقاييس لابن فارس ص ٧٢٨-٧٢٩، المفردات للراغب ص ٣٢٣، القاموس المحيط ١/ ٤٣٢.

(٢) انظر: جامع البيان ٩/ ٤٣٨، محاسن التأويل للقاسمي ٥/ ٣٦٤.

(٣) انظر: القاموس المحيط ١/ ٤٣٢، المصباح المنير ص ٣٨٩، المعجم الوسيط ٢/ ٥٩٧.

(٤) انظر: المفردات ص ٣٢٢، القاموس المحيط ١/ ٤٣١، مجمع بحار الأنوار ٣/ ٥١٢، المعجم الوسيط ٢/ ٥٧٩.

وسواء علموا ذلك أو جهلوه، لكن أهل الإيذان منهم عرفوا ذلك، واعترفوا به<sup>(١)</sup>.  
والفارق بين العبادة العامة والخاصة: أن كل العباد داخلون تحت العبادة العامة  
بالقهر والغلبة، وأفعال الرب ﷻ، وأما العبادة الخاصة فهو الاعتراف بالألوهية لله  
تبارك وتعالى، وأنه وحده المستحق للعبادة<sup>(٢)</sup>.

وأما تعريف العبادة في الشرع: فقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية ﷻ بتعريف  
جامع ومانع، حيث قال: «العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من  
الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»<sup>(٣)</sup>.

فكل ما شرعه الله فهو محبوب لله ﷻ سواء كان أمراً أو ندباً، وكل ما نهى عنه  
فلأن الله تعالى يحب من عبده تركها فنهى عنها وكرهها، والدين الذي شرعه الله  
وأحبه هو الإسلام كله بأعماله الظاهرة والباطنة، وبالأقوال الظاهرة والباطنة.

والمسلم يكون في عبادة مدة حياته، إذا أخلص لله، واحتسب ما عند الله، قال  
تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠٨﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ  
وَبِدَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]<sup>(٤)</sup>.

وكل ما لم يشرعه الله - ولو تعبد به العباد - فإنه ليس من العبادة في شيء لأن الله  
لا يرضى من عباده البدع، والتشريع من عند أنفسهم، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ  
شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

قال الشيخ حافظ حكيم ﷻ ناظماً تعريف شيخ الإسلام:

ثم العبادة هي اسم جامع	لكل ما يرضى إليه السامع
وفي الحديث مخها الدعاء	خوف توكل كذا الرجاء

(١) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٧-٢٨، وانظر: المفردات للراغب ص ٣٢٢، ومعارج القبول ٥٣٩/٢.

(٢) انظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٨-٣١.

(٣) الفتاوى الكبرى ٣٦١/٢، العبودية له أيضاً ص ١٩.

(٤) انظر: جامع البيان لابن جرير ٤٢٠/٥، روح المعاني للألوسي ٣١٢/٤.

ورغبة ورهبة خشوع  
والاستعاذة والاستعانة  
والذبح والنذر وغير ذلك فافهم هديت أوضح المسالك<sup>(١)</sup>.

« فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار، واليتيم، والمسكين، وابن السبيل، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذُّكْرُ، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله »<sup>(٢)</sup>.

وكلمة الشهادة: لا إله إلا الله، تعني إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وأنه لا معبود بحق سواه ﷻ، والشطر الثاني منها: محمد رسول الله، تعني أن الله لا يُعبد إلا بما شرعه وبما بعث به محمد ﷺ، وهذه هي العبادة التي يحبها الله ويرضاها، لا العبادات البدعية والشركية.

ولا تكون العبادة مقبولة إلا إذا وجد فيها شرطان: إخلاص الدين لله تعالى، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، وليس للعبادة قوام إلا بهذين الأمرين:

١ - الإخلاص وهو: قصد وجه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

٢ - الصدق في العمل والمتابعة وهو: بذل العبد جهده في امتثال الأمر، وترك النهي، على وفق ما جاء عن النبي ﷺ، وإذا اجتمع في العبد النية الخالصة الصالحة،

(١) سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول ص ٢٤-٢٥.

(٢) العبودية ص ١٩، وانظر: مجموع رسائل الجامي ص ٩٠.

والعزيمة الصادقة، فقد أوجد الأمر الذي هو شرط في صدور العبادة وتحصيلها، وما عليه إلا بذل الجهد في تحصيل المتابعة إذ هو شرط في قبولها<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمته الله: «ثم اعلم أنها لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب، ومناط العبادة هي: غاية الحب مع غاية الذل<sup>(٢)</sup>. ولهذا قيل العبادة الحققة الكاملة: هي غاية الذل لله تعالى مع غاية المحبة له ﷻ<sup>(٣)</sup>.

«ومن خضع لإنسان مع بغضه له، لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن له عابداً، كما قد يحب ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله<sup>(٤)</sup>.

و«كمال العبد في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله، وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق، بل من أضلهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال المقرئ رحمته الله<sup>(٦)</sup>: «واعلم أن للعبادة أربع قواعد، وهي: التحقق بما يحبه

(١) انظر: معارج القبول ٢/ ٥٤٣-٥٤٦.

(٢) معارج القبول ٢/ ٥٤١.

(٣) انظر: العبودية ص ٢٤، مجموع رسائل الجامي ص ٩٠.

(٤) العبودية ص ٢٥.

(٥) العبودية ص ٥٧.

(٦) هو العلامة المؤرخ: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد ابن تميم المقرئ، بعلبكي الأصل، مصري المولد والوفاة، ولد سنة ٧٦٦هـ، نشأ صالحاً، وحفظ العلم شاباً، وكان عاملاً بالسنّة، مجانباً للبدعة، وكان مهتماً بالتأريخ، ومن مؤلفاته - وهي كثيرة -: البيان المفيد في الفرق بين التوحيد والتلحيد، وتجريد التوحيد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - في التاريخ -، وغيرها من

الله ورسوله ويرضاه، وقيام ذلك بالقلب، واللسان، والجوارح، فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب العبادة حقاً هم أصحابها»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على أهمية العبادة، وعظيم شأنها، أن الله ﷻ لم يخلق الخلق إلا من أجل أن يعبدوه وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فبين الله تعالى أنه خلق الخلق «لهذه الحكمة، وهي عبادته تعالى، بما أمر على لسان رسوله، إذ لا يتم صلاح، ولا تنال سعادة في الدارين، إلا بها»<sup>(٢)</sup>.

فالعبادة هي الغاية المحبوبة لله تعالى، والمرضية له، والتي خلق الخلق لأجلها<sup>(٣)</sup>، ومن أعظم ما يتعبد به الإنسان لربه، ويتقرب إليه، التبعّد بالقرآن الكريم، الذي هو كلام الرحمن الرحيم، ودل على ذلك الأدلة الكثيرة، وسأبينها في المطلب التالي.

---

المصنفات، توفي ﷺ سنة ٨٤٥ هـ. انظر: شذرات الذهب ٧/ ٢٥٤-٢٥٥، هدية العارفين ١/ ١٢٧، معجم المؤلفين ٢/ ١١-١٢.

(١) تجريد التوحيد المفيد ص ١١٧، وانظر: مدارج السالكين ١/ ١١٣.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ٣٤٩، وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٧/ ١٨١.

(٣) انظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٩.

## المطلب الثاني: الأدلة على كون القرآن متعبداً به.

مما لا شك فيه أن تشريع العبادة محض حق لله تعالى، كما أن صرفها محض حق لله تعالى، فكما لا يُسَرَّعُ غيره، فكذلك لا يُعَبَّدُ غيره، ومما شرع لعباده أن يتقربوا إليه تعالى بالقرآن الكريم، والقرآن الكريم تعبداً لله ﷻ باعتقاد أنه كلامه، واعتقاد ما فيه، والعمل بما يحويه، وتعبداً لله بألفاظ القرآن وتلاوته.

وقد امتن الله على عباده أن بعث إليهم رسولا يقرئ الناس القرآن، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: [إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء<sup>(١)</sup>، تقرأه نائما ويقظان]<sup>(٢)</sup>.

وهذا الكتاب المتلو تعبداً لله به، ومن الأدلة على ذلك:

١ - أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ إيانا بقراءته: قال الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ وقال: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] وقال ﷺ: [من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين]<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: [من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ بآلف آية كتب من المقنطرين]<sup>(٤)</sup>. والله ورسوله

(١) أي أنه محفوظ في الصدور، فلا يتأثر بمر الدهور، ولا يتغير بالعوامل على مر العصور.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة، باب/ الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ح(٢٨٦٥).

(٣) رواه الحاكم في المستدرک، كتاب فضائل القرآن، ح(٢٠٤١)، عن أبي هريرة ؓ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي كما في التلخيص في حاشية المستدرک، ورواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ عشر آيات، ح(٣٤٤٢) من رواية تميم الداري ؓ، وانظر: السلسلة الصحيحة ٢/ ٢٤٢.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب/ تحزيب القرآن، ح(١٣٩٨) وفيه: (من قام) بدل (قرأ)، وابن خزيمة في صحيحه ١/ ١٢٥، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٢٥٦٣) وغيرهم، وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤٢).



لا يأمران إلا بما فيه قرابة وعبادة، فدل هذا على أن قراءة القرآن عبادة عظيمة.

٢ - الأمر بتلاوته والعمل بما فيه: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ ۖ لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورُهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠] فتلاوة القرآن تجارة لا خسارة فيها، وأجرها كامل لا نقص فيه، بل يزيده ربنا، ففضل الله واسع، وهو شكور غفور بنا<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٧] وقال: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، «وتلاوة الكتاب: هي اتباعه، والعمل به، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] قال: يحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويؤمنون بمتشابهه، ويعملون بمحكمه»<sup>(٢)(٣)</sup>.

٣ - أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ إيانا بالاستماع إليه حال قراءته، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] قال أبو جعفر الطبري: «يقول تعالى ذكره للمؤمنين به، المصدقين بكتابه، الذين القرآن لهم هدى ورحمة: ﴿إِذَا قُرِئَ﴾ عليكم أيها المؤمنون ﴿الْقُرْآنُ﴾، ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ يقول: اصغوا له سمعكم، لتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه، ﴿وَأَنصِتُوا﴾ إليه، لتعقلوه، وتندبروه، ولا تلغوا فيه، فلا تعقلوه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، يقول: ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبده، واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه في آيه»<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١٠/ ٤١٠، زاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٤٨٦-٤٨٧.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١/ ٥٦٧.

(٣) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥٦.

(٤) جامع البيان ٦/ ١٦١، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي ٣/ ٦٨٦-٦٨٧.

حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا<sup>١</sup> فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿[الأحقاف: ٢٩].

٤ - الحث على تدبره: قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] والمراد بالقول هنا القرآن الذي أنزل إليهم<sup>(١)</sup>.

٥ - أنه من الذكر الذي يذكر الله ﷻ به، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧] فهو من الذكر الذي سهله الله، وهونه على العباد، وبين فيه الآيات، وما به يتعظ<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَ حَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] والمراد بالذكر هنا العموم، وقيل القرآن، لأنه آية بينة تسكن القلوب، وثبت اليقين، والمؤمنون يعلمون أنها أعظم آية تطمئن لها قلوبهم ببرد اليقين<sup>(٣)</sup>.

٦ - قراءته والاجتماع عليه سبب لنزول السكينة والرحمة: كما قال ﷺ: [ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده...]<sup>(٤)</sup>، قال البخاري رحمه الله في صحيحه: باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن<sup>(٥)</sup>.

٧ - أنه كلام الله، وأفضل ما يتقرب به إلى الله كلامه: قال خباب رضي الله عنه: [فإنك

(١) انظر: المجموع ١٦/٥-٦.

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير ١١/٥٥٥-٥٥٦، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٧/٢٣٢.

(٣) انظر: محاسن التأويل للقاسمي ٤/٤٤٨، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٤/١٠٨.

(٤) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن...، ح (٢٦٩٩).

(٥) كتاب فضائل القرآن ص ١٠٩١، وذكر تحته حديث أسيد بن حضير وفيه: [تلك الملائكة دنت لصوتك].

لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه مما خرج منه<sup>(١)</sup>، قال الحافظ ابن رجب<sup>(٢)</sup> رحمته الله: «ومن أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من النوافل: كثرة تلاوة القرآن، وسماحه بتفكير وتدبر وتفهم»<sup>(٣)</sup>.

وتدل المجالات الكثيرة على أن القرآن يتعبد به، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ص ٢٤، ح (٩٤)، والبيهقي في شعب الإيثار ١/ ١٨٩، وروى نحوه عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً الحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة، ح (٢٠٣٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وروى المرفوع أيضاً الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/...، ح (٣٠٧٩)، وقال الألباني عن الحديث المرفوع: ضعيف، كما في السلسلة الضعيفة ٤/ ٤٢٥.

(٢) هو الحافظ الكبير: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي، زين الدين أبو الفرج المحدث الفقيه، له مصنفات كثيرة، ومنها: فتح الباري شرح صحيح البخاري ولم يكمله، وله الذيل على طبقات الخنابلة، توفي سنة ٧٩٥هـ. انظر: معجم المؤلفين ٥/ ١١٨.

(٣) جامع العلوم والحكم ص ٣٦٤.

## المبحث الثاني: صور التعبد بالقرآن الكريم

المطلب الأول: التعبد بقراءته، وتدبره، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: التعبد بقراءة القرآن الكريم.

لا ريب أن المقصود الأعظم من نزول القرآن الكريم، هو التعبد بأحكامه للرحمن الرحيم، وإقامة حدوده، وكذلك إقامة حروفه، قال البغوي <sup>(١)</sup> رحمته عليه: «ثم إن الناس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن، وحفظ حدوده، فهم متعبدون بتلاوته، وحفظ حروفه» <sup>(٢)</sup>.

والأدلة على ذلك كثيرة:

١ - أن الله تعالى جعل قراءة الحرف منه بعشر حسنة، كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: [من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف] <sup>(٣)</sup>.

ومعلوم أن الحسنة بعشر أمثالها، وبيان فضل تلاوة القرآن لكون العشر

(١) البغوي هو: محي السنة الحافظ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي، صاحب التفسير المعروف، توفي ٥١٦ هـ. طبقات الشافعية للسبكي ٧/٧٥، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٥٦.

(٢) معالم التنزيل ١/٣٧، وانظر: جامع البيان لابن جرير ٥/٤٢٦-٤٢٧.

(٣) رواه الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب/ ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن، ح (٣٠٧٥)، وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه...، ويروى من غير هذا الوجه»، ورواه الدارمي في سننه موقوفاً، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح (٣٣٠٨)، وقال الألباني: «صحيح» كما في تعليقه على مشكاة المصابيح ١/٦٥٩، ح (٢١٣٧)، وانظر السلسلة الصحيحة له ٢/٢٦٣، ح (٦٦٠).

حسانات هنا ليست مخصوصة في أن يأتي بالكلمة محصورة بكما لها، بل تحصل بحرف منها<sup>(١)</sup>، ولعل التفضيل واقع من جهة كون قراءة الحرف منه بعشر حسانات في العشر المعلومة فتكون ببائة، والله تعالى أعلم<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: [يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها]<sup>(٣)</sup>.

٢ - الإخبار بنزول السكينة عند قراءة القرآن الكريم: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشطنين<sup>(٤)</sup>، فتغشته سحابة، فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفّر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: [تلك السكينة تنزل للقرآن]<sup>(٥)</sup>.

٣ - مثل قارئ القرآن كذي الرائحة العطرة، لأنه يزكو بالقراءة: قال النبي ﷺ: [مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، مثل الأترجة؛ ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة؛ لا ريح لها، وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن

(١) انظر: فتاوى ابن الصلاح ص ١٥٠.

(٢) ولحافظ كتاب الله تعالى آداب مهمة ينبغي عليه مراعاتها، ومن أهمها: ١ - الإخلاص لله تعالى. ٢ - الإكثار من قراءته. ٣ - الورع والتقوى. ٤ - الاهتمام بما حفظ وتعلم معناه. ٥ - العمل بما علم وحفظ. انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٥١-٦٣، جمال القراءة لعلم الدين السخاوي ١/ ١١٣-١٢٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٧-١٩، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٣) ص ١٨-٢٦.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب: كيف يستحب الترتيل في القراءة، ح (١٤٦٤)، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب: ...، ح (٢٩١٥)، وقال: (حسن صحيح)، ورواه ابن ماجة، كتاب الأدب، ح (٣٧٨٠)، ورواه الحاكم، كتاب فضائل القرآن، باب: أخبار فضائل القرآن جملة، ح (٢٠٣٠)، وقال الذهبي في تلخيصه: «صحيح»، وقال الشيخ الألباني: «إسناده حسن»، كما في تعليقه على مشكاة المصابيح، ح (٢١٣٤).

(٤) الشَّطْنُ: الحبل، وقيل هو الطويل منه، وإنما ربطه بحبلين لقوة الفرس وشدته. انظر: المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث لأبي موسى الأصفهاني ٢/ ١٩٩، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/ ٤٧٥.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ح (٤٨٣٩)، ومسلم واللفظ له، كتاب صلاة المسافرين، باب: نزول السكينة لقراءة القرآن، ح (٧٩٥).

كمثل الحنظلة؛ ليس لها ربح، وطعمها مر<sup>(١)</sup>.

٤- ترتيب الثواب للماهر، وللمتعتع فيه: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:  
[الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه  
شاق، له أجران]<sup>(٢)</sup>.

٥- غبطة أهل القرآن: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: [لا حسد  
إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل، وآناء النهار، ورجل آتاه الله  
مالا فهو يُنفقه آناء الليل، وآناء النهار]<sup>(٣)</sup>. فالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ يَغْبِطُ أَهْلَ الْقُرْآنِ، عَلَى قِيَامِهِمْ  
بِالْقُرْآنِ حَقًّا، وَتَوْفِيقَ اللَّهِ لَهُمْ فَضْلًا، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُمْ عَمَلًا.

والبصر نعمة ينبغي للإنسان استخدامها فيما يرضي الرب تعالى، ومن ذلك  
تلاوة القرآن في المصحف، والمحافظة على النعم التي وهبها الله ﷻ يكون باستعمال  
هذه النعم فيما يرضي الرب ﷻ<sup>(٤)</sup>.

٦- معلوم فضل الذكر، إلا أن قراءة القرآن أفضل منه: وحكى شيخ الإسلام  
ابن تيمية رحمته الله الإجماع، ونقله عن علماء الإسلام، على أن قراءة القرآن أفضل من  
مطلق الذكر<sup>(٥)</sup>، ولا ريب أن جنس التلاوة أفضل من جنس الأذكار، وجنس الأذكار  
أفضل من جنس الدعاء<sup>(٦)</sup>.

وأعظم ما يتعبد به في قراءة القرآن ما توقف الأمر الشرعي الواجب على

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل القرآن على سائر الكلام، ح (٥٠٢٠)، ومسلم واللفظ  
له، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضيلة حافظ القرآن، ح (٧٩٧)، كلاهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل الماهر في القرآن...، ح (٧٩٨)، وأخرجه البخاري،  
كتاب التفسير، تفسير سورة عبس، ح (٤٩٣٧) بلفظ: [مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة  
الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران].

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ اغتباط صاحب القرآن، ح (٥٠٢٥)، ومسلم، كتاب  
صلاة المسافرين، باب/ فضل من يقوم بالقرآن...، ح (٨١٥).

(٤) انظر: شرح الزرقاني على موطأ مالك ٤٦/٢.

(٥) انظر: المجموع ٥٧/٢٣.

(٦) انظر: الفتاوى الكبرى ١/ ٢٣٣، الإقناع للشربيني ١/ ١٠٥، فتاوى ابن الصلاح ص ١٥٠.

صحته، مثل القراءة في الصلاة<sup>(١)</sup>، لقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: [من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه]<sup>(٢)</sup>.

٧ - ومن إقامة حروف القرآن الاستماع إليه، فهو عبادة عظيمة، ومنافعه كثيرة: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿٦٦﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿٦٧﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

والمؤمنون الصادقون إذا سمعوا اللغو يعرضون عنه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، ويقبلون على السماع الشرعي الذي هو استماع القرآن، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢]، وقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، فقراءة القرآن والاستماع إليه كرامة أكرم الله بها الإنس، غير أن المؤمنين من الجن يقرؤونه كما يستمعون إليه<sup>(٣)</sup>.

وقال في صفات المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]، وقال أمراً المؤمنين: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>؛

(١) انظر: المجموع ٤٢٦/٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب/ التواضع، ح(٦٥٠٢).

(٣) انظر: فتاوى ابن الصلاح ص ٢٣٤.

(٤) وللقرآن آداب جليلة، منها: ١ - أن يكون حال قراءته على أكمل حال. ٢ - الاستياك وتطهير الفم. ٣ - الاستعاذة والبسملة في أول القراءة. ٤ - الترسل في القراءة وعدم الإسراع. ٥ - تحسين الصوت بالقرآن الكريم. ٦ - التدبر فيما يقرأ. ٧ - الوقوف على آيات الرغبة والرهبة سائلاً ومستعيذاً. ٦ - البكاء عند قراءة القرآن. ٧ - إذا نسي شيئاً أن يقول: (أنسييت، أو نسييت). ٨ - يقرأ ما دام قلبه مؤتلفاً بالقرآن.

فالاستماع للقرآن مستحب، والعمل به واجب<sup>(١)</sup>، وشرع الله ﷻ لعباده قراءة القرآن، والاستماع له، والاجتماع لسماعه، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ، والباقيون يستمعون<sup>(٢)</sup>.

ولاستماع كلام رب البرية، آثار سنية، ومنها: ١- غشيان الرحمة. ٢- نزول السكينة. ٣- حضور الملائكة. ٤- ذكر الله لهم في الملأ الأعلى. ٥- زيادة الإيمان.

وهذه الأمور تولد في المتبعين ثلاثة آثار، وكانت ظاهرة في الصحابة رضي الله عنهم وهي:

١- خشوع القلب. ٢- دمع العين. ٣- اقشعرار الجلد.

وهذه الثلاثة هي الموجودة في أصحاب رسول الله ﷺ، ومدحهم الله بذلك، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانٍ تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤]<sup>(٣)</sup>.

وعائشة رضي الله عنها، لما قيل لها: إن قوما إذا سمعوا القرآن يصعقون؟ قالت: [إن القرآن أكرم أن يُنَزَفَ عنه عقول الرجال، ولكنه كما قال: ﴿تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]]<sup>(٤)</sup>.

انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٦٣ وما بعدها، الجامع في أحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٢-٢٥، البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٥٣١ وما بعدها، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٤)، ص ٢٦-٣٤، أدب القارئ والقراءة للدكتور/ عبد العزيز الجربوع.

(١) انظر: المجموع ١٥/ ٣٩٠، مختصر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية للبعلي ص ٥٩١.

(٢) انظر: المجموع ٣/ ٢٥، ٤٢٦، ٥٨/ ١١، ٥٥٨، اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٦٣٣.

(٣) انظر: مقدمة الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص ٤٥.

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، باب/ القارئ يُصعق عند قراءة القرآن...، ح (٣١)، وانظر: جمال القراء



ووجد في التابعين آثار ثلاثة: ١- الاضطراب. ٢- الاختلاج<sup>(١)</sup>. ٣- الإغماء أو الموت. فأنكر بعض السلف ذلك، وجهور الأئمة والسلف لا ينكرون ذلك؛ لأن السبب إذا لم يكن محظورا - وهو قراءة القرآن - كان صاحبه فيما تولد عنه من الإغماء والاختلاج والاضطراب معذورا، لكن سبب هذه الآثار فيهم قوة الوارد على قلوبهم، وضعف قلوبهم عن حمله<sup>(٢)</sup>.

وهذا يدل على وسطية الصحابة وأنهم كانوا بين الخوف والرجاء، بخلاف من جاء بعدهم فغلب عليهم إما الخوف فتولد منه الإغماء أو الموت عند القراءة، أو غلب عليهم الرجاء فتولد عنه الاضطراب عند القراءة، بخلاف الصحابة فإنهم جمعوا الخوف والرجاء، فسلموا من الاضطراب والإغماء.

٨- ذم المعرضين عن سماع القرآن، لكونهم تركوا عبادة وقربة<sup>(٣)</sup>: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنَّا مُسْتَكْبِرِينَ كَانُوا يَسْمَعُوهَا كَأَن فِي أُذُنِهِمْ وَقَرَأَ فَبِشْرَةِ بَعْدَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧].

والناس منقسمون في سماع القرآن على أربعة أصناف<sup>(٤)</sup>:

الصنف الأول: معرض ممتنع عن سماعه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

الصنف الثاني: يسمع الصوت، ولا يفقه المعنى، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ

لعلم الدين السخاوي ١/ ١١١.

(١) المراد بالاضطراب: هو الفرح مع اضطراب الجسم وذلك عند سماع شيء عن المحبوب، والاختلاج هو دخول شيء من الخوف على القلب وظهور ذلك على البدن برعشة أو عدم توازن في الجسم - والله أعلم.. انظر: الكليات ص ٦٤، لسان العرب لابن منظور ٨/ ١٣٥.

(٢) انظر: المجموع ١١/ ٥٩٠-٥٩١، مختصر الفتاوى للبعلي ص ٥٩٢، الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص ٤٦-٤٧.

(٣) انظر: المجموع ١١/ ٥٥٩، ٥٨٨.

(٤) انظر: المجموع ١٦/ ٨-١٤.

يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءِيفَاءً  
 أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ [عند: ١٦]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا  
 كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠-٢١].

الصف الثالث: يسمع الصوت، ويفقه المعنى، ولا يقبله، قال الله تعالى: ﴿مَنْ  
 الَّذِينَ هَادُوا يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ  
 وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الَّذِينَ ءَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَأَنْظِرْنَا لَكُنَّ  
 خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ [النساء: ٤٦] وقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ  
 مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ خَلَّفُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

الصف الرابع: يسمع الصوت، ويفقه المعنى، ويقبله، ويعمل به، وهؤلاء هم  
 المؤمنون، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ  
 الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وأما أن يقرأ الإنسان القرآن ويهدي ثوابه إلى آخر: فهذا لم يُذكر في الكتاب  
 العظيم، ولا في هدي الرسول الكريم، والذي دل عليه الكتاب والسنة، أن القراءة  
 عبادة متعلقة بالعباد نفسه، ولا يتعداه إلى غيره، وكون ثواب قراءة القرآن المبين، لا  
 يصل إلى الآخرين، عليه دلائل منها:

١- أنه ﷺ أرشد الأمة إلى الدعاء للميت، والصلاة عليه، والاستغفار له،  
 والصدقة عنه، ولم يرشد إلى قراءة القرآن فدل ذلك على أنه ليس بمشروع، قال شيخ  
 الإسلام ابن تيمية رحمه الله ﷺ: «فإن ذلك - أي القراءة على القبر - لو كان مشروعاً  
 لسنه رسول الله ﷺ لأمته»<sup>(١)</sup>.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٤٢/٢، وهذا تأصيل من شيخ الإسلام رحمه الله ﷺ على أن ما لم يشرعه الله فلا يجوز  
 التعبد به، وهو له قول في وصول ثواب قراءة القرآن إلى الغير، إلا أن هذه القاعدة التي ذكرها هي قاعدة  
 جامعة مانعة، وسيأتي ذكر قوله ﷺ ص ٤٩٨.

٢ - قراءة القرآن أيسر شيء على العبد وجوداً، وأسهله عملاً، ويستطيعه أغلب الناس، ولم يرشد إليه أعلم الناس، فدل أنه ليس بسائع شرعاً.

٣ - أرشد النبي ﷺ أمته إلى كل خير يعلمه لهم، كما قال ﷺ: [أيها الناس إنه ليس من شيء يقربكم من الجنة، ويبعدكم من النار إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم من النار، ويبعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه]<sup>(١)</sup>. ولو كانت القراءة للغير من الخير المقرب إلى الله ﷻ، لأرشد إليه أفضل الخلق محمد رسول الله ﷺ.

٤ - بلغ النبي ﷺ الدين كاملاً، قال الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] قالت عائشة رضي الله عنها [من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب، والله يقول: ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾]<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة، وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبة يوم حجة الوداع، وقد كان هناك أصحابه...»<sup>(٣)</sup>.

وقال القرطبي رحمه الله: «فدلت الآية على رد قول من قال: إن النبي ﷺ كتم شيئاً من أمر الدين تقية، وعلى بطلانه، وهم الرافضة. ودلت على أنه ﷺ لم يُسر إلى أحد شيئاً من أمر الدين، لأن المعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك ظاهراً، ولولا هذا ما كان في قوله ﷺ: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ فائدة... وهذا تأديب للنبي ﷺ، وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتُموا شيئاً من أمر شريعته، وقد علم الله من أمر

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الزهد، باب/ ما ذكر عن نينا في الزهد، ح (٣٤٣٣٢)، والحاكم في مستدركه، كتاب البيوع، ح (٢١٣٦)، والبعوي في شرح السنة، كتاب الرقاق، باب/ التوكل على الله ﷻ، ح (٤١١٠، ٤١١١)، وقال المحقق - بعد أن ذكر من رواه -: «فيبقى الحديث ويصح».

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، ح (٤٦١٢)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب/ معنى قول الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، ح (١٧٧)، واللفظ للبخاري.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧٧/٢.

نبيه أنه لا يكتف شيثا من وحيه»<sup>(١)</sup>.

ولو كانت القراءة للغير من الدين لبلغه رسول الله ﷺ.

٥- أنه ﷺ حذر من البدع المحدثات، قال ﷺ: [من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد]<sup>(٢)</sup> وقال: [من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد]<sup>(٣)</sup>. وكان النبي ﷺ يقول في خطبته يوم الجمعة: [أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة- وكل ضلالة في النار-]<sup>(٤)</sup>.

ولم يثبت قراءة القرآن للغير فيما نقل لنا عن النبي ﷺ، ولم يعرف من حال أصحابه إهداء ثواب القراءة، فالحق في الاتباع، لا في الابتداع<sup>(٥)</sup>.

٦- ظاهر العموم المنفي في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ أَلَا تَرَوْا وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿ثُمَّ يُجْزَأُ الْجَزَاءُ الْآوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٦-٤١] فظاهر هذا العموم يدل على عدم وصول ثواب القراءة للغير.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: «أي كما لا يحمل عليه وزر غيره،

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٥٧، وانظر: فتح البيان لصديق حسن ٣/ ٦٣.

(٢) أخرجه البخاري معلقا مجزوما به، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب/ إذا اجتهد العامل...، وأخرجه مسلم، كتاب الأقضية، باب/ نقض الأحكام الباطلة، ورد الأمور المحدثات، ح (١٧١٨)، كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب/ إذا اصطلحوا على صلح جور فالأمر مردود، ح (٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب/ نقض الأحكام الباطلة، ورد الأمور المحدثات، ح (١٧١٨)، كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب/ تخفيف الصلاة والخطبة، ح (٨٦٧) عن جابر رضي الله عنه، والزيادة بين المعقوفين رواها النسائي في سننه، كتاب الجمعة، باب/ كيفية الخطبة، ح (١٤٠٣) من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواها في السنن الكبرى، كتاب صلاة العيدين، باب/ كيف الخطبة، ح (١٧٩٩) من رواية جابر رضي الله عنه، وقال الشيخ ابن باز عن إسناده النسائي في المجتبى: «إسناده صحيح» كما في فتاوى وتنبهات ص ٥١٥، وقال الألباني عن هذه الزيادة: «وسندها صحيح، ومن أنكرها فقد وهم» كما في تحقيقه لمشكاة المصابيح ١/ ٥١.

(٥) انظر: فتاوى وتنبهات للشيخ ابن باز رحمه الله ص ٥١٥، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب/ الشيخ أحمد الدويش ٩/ ٤٢-٤٤، الفتوى رقم (٢٢٣٢)، وانظر ٩/ ٣٨-٤١، الفتوى رقم (١٣٣٣).

كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمته الله، ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم، ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم يقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، وباب القربات يُقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما، ومنصوص من الشارع عليهما <sup>(١)</sup>.

وقال السيوطي: «استدل به على عدم دخول النيابة في العبادات عن الحي والميت، واستدل به الشافعي على أن ثواب القراءة لا يلحق الأموات» <sup>(٢)</sup>.

فدلت الآية أنه ليس للإنسان إلا ما عمله بنفسه، وسعى فيه بجهده، فإراه إن خيرا كاملا موافا، غير منقوص جزاء وفاقا.

ولا ريب أنه يدخل في هذا العموم السعي الذي كان متسببا فيه، كالصدقة الجارية التي تكون بعد موته، والولد الصالح من كسبه، والعلم الذي نشره وورثه، ويبقى النص عاما في عدم وصول ثواب الأعمال إلى الغير، إلا ما خصه الدليل <sup>(٣)</sup>.

٧ - أن السلف كانوا أحرص الناس على فعل الخير، وعلى إيصاله للغير، ومن ذلك جهدهم في بلاغ دين الله ﷻ للبشر، وإيصاله إلى أصقاع الأرض حتى انتشر، فكيف يتركون أمر خير ميسور؟؟ لو كان بينهم معتبرا من الأمر المبرور!! فما تركوه إلا لعدم مشروعيته عندهم <sup>(٤)</sup>، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «ولم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعا، أو صاموا تطوعا، أو حجوا تطوعا، أو قرؤوا القرآن يهدون ثواب ذلك

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٥٨/٤، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي ٣٧٨/٦، نيل الأوطار ١٤٢/٤-١٤٣.

(٢) الإكليل ص ٢٥١.

(٣) انظر: الفتاوى للعلامة ابن عبد السلام ٢٤/٢، فتح القدير للشوكاني ١٤٢/٥، شرح الزبيدي على الإحياء ٣٦٩/١٠، وستأتي الردود على أدلة المستدلين لوصول ثواب القراءة إلى الميت، في الفصل الثالث، من

الباب الثاني.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢٥٨/٤، محاسن التأويل للقاسمي ٣٧٨/٦.

إلى أموات المسلمين، فلا ينبغي العدول عن طريق السلف فإنه أفضل وأكمل»<sup>(١)</sup>.

وسئلت اللجنة الدائمة عن ثواب قراءة القرآن وهل يصل إلى الميت؟

فأجابت: «لم يثبت عن النبي ﷺ فيما نعلم، أنه قرأ القرآن ووهب ثوابه للأموات من أقربائه، أو من غيرهم، ولو كان ثوابه يصل إليهم لحرص عليه، وبينه لأمته لينفعوا به موتاهم، فإنه ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده، وسائر أصحابه على هديه في ذلك ﷺ، ولا نعلم أن أحدا منهم أهدي ثواب القرآن لغيره، والخير كل الخير في اتباع هديه ﷺ، وهدي خلفائه الراشدين، وسائر الصحابة ﷺ، والشر في اتباع البدع ومحدثات الأمور...، وعلى هذا لا تجوز قراءة القرآن للميت، ولا يصل إليه ثواب هذه القراءة، بل ذلك بدعة. أما أنواع القربات الأخرى فما دل دليل صحيح على وصول ثوابه إلى الميت وجب قبوله، كالصدقة عنه، والدعاء له، والحج عنه، وما لم يثبت فيه دليل فهو غير مشروع، حتى يقوم عليه الدليل.

وعلى هذا لا تجوز قراءة القرآن للميت ولا يصل إليه ثواب هذه القراءة في أصح قولي العلماء، بل ذلك بدعة، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»<sup>(٢)</sup>.

وقال ساحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن قراءة القرآن للأموات: «هذا العمل وأمثاله لا أصل له، ولم يحفظ فيه عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه ﷺ أنهم كانوا يقرؤون للموتى، بل قال النبي ﷺ: [من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد]...، أما الصدقة للموتى، والدعاء لهم فهو ينفعهم ويصل إليهم بإجماع المسلمين، وبالله التوفيق والله المستعان»<sup>(٣)</sup>.

(١) المجموع ٤/ ٤٤٨، ولشيخ الإسلام فتوى أخرى يرى فيها جواز إهداء ثواب القراءة، وأن إهداء الثواب للغير جائز، وهكذا تلميذه ابن القيم - رحمه الله -، والعبرة بالدليل، وأما ما استدلل به المجيزون فسيأتي في الفصل الثالث من الباب الثاني مع الجواب عنه - إن شاء الله تعالى -.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة، جمع وترتيب/ الشيخ أحمد الدويش ٩/ ٤٢-٤٤، الفتوى رقم (٢٢٣٢٢).

(٣) فتاوى وتبهيها ص ٥١٥، وانظر: السيف القاطع للنزاع في العقيدة والعبادات للشيخ محمد المرزوقي

وأما قراءة القرآن عند القبور، كما يفعله المتبعون لمحدثات الأمور، فلم يرد عن النبي ﷺ فيه شيء، ولا هو معروف عند السلف، بل هو من الأمور المحدثّة في الخلف، ولو كان خيراً لسبقونا إليه <sup>(١)</sup>.

وكذلك تعيين مكان معين غير ما عينه الشارع لقراءة القرآن ليس مشروعاً باتفاق العلماء، حتى لو نذر أن يقرأ في مسجد بعينه غير المساجد الثلاثة لم يتعين، وله أن يفعل ذلك في غيره <sup>(٢)</sup>.

والقرآن أنزل للأحياء ليعملوا به، ومن أعظم وسائل العمل به التدبر في معانيه، والغوص في مبانيه، وهذا ما أبينه في المسألة الآتية.

### المسألة الثانية: التعبد بتدبر القرآن الكريم.

وإذا كان المسلم يتعبد لله تعالى بقراءة القرآن الكريم، فإن تعبده يكون على أكمل وجه وأتمه لو كان هذا التعبد بتدبر وحضور قلب، وخشوع وخضوع، ولهذا أمر الله ﷻ أهل العقل بتدبره، وأهل السمع بالاستماع إليه، وأمر الله الخلق بالتفكير فيه والتذكر، والفهم والتبصر، والإبصار والإصغاء، والتأثر وجلا وبكاء <sup>(٣)</sup>.

ومن الأدلة على وجوب التدبر في القرآن الكريم:

١ - ذم الله تعالى الذين لا يتدبرون القرآن الكريم فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ ﴾ [النساء: ٨٢] قال الحسن البصري <sup>(٤)</sup> رحمه الله: « ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن

الفلاقي ص ١٣٨-١٣٩.

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٧٤٢-٧٤٤، وسيأتي تفصيل هذه المسألة في الفصل الثالث من الباب الثاني.

(٢) انظر: المجموع ٣١/ ٤١، مختصر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية للبعلي ص ٣٩٣.

(٣) انظر: المجموع ٢/ ٦.

(٤) هو الإمام الزاهد: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري الأنصاري مولاهم، واسم أبيه يسار، وسمع - وله يومئذ أربع عشرة سنة - عثمان بن عفان وهو يخطب على المنبر، وروى عن جمع من الصحابة، وكان يرسل كثيراً، مات سنة ١١٠ هـ. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ١١٤، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣ -

يعلم فيماذا نزلت، وماذا عني بها»<sup>(١)</sup>، وقال أيضا: «نزل القرآن ليتدبر، ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملا»<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] فالأفضل في وقت قراءة القرآن: جمع القلب، والهمة على تدبره، وتفهمه حتى كأن الله يخاطبك، ولا ينال معانيه ويفهمه كما ينبغي إلا القلوب الطاهرة، وإن القلوب النجسة مصروفة عنه، ممنوعة من فهمه، وينبغي على العبد أن يديم النظر في آيات القرآن، ويدعم التفكير، لعل الله أن يرزقه القبول<sup>(٣)</sup>.

٢ - ندب الله عباده إلى تفهمه وتدبره<sup>(٤)</sup>: قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] وقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَكِّرُوا بِآيَاتِهِ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] فالمؤمن دائم التفكير في معاني القرآن، والتدبر لألفاظه، والاستغناء بمعانيه وحكمه عن غيره من كلام الناس، وإذا سمع شيئا من كلام الناس عرضه على القرآن، فإن زكاه قبله، وإلا رده<sup>(٥)</sup>.

ولا يجعل همهم فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن، فيدخل على نفسه الوسوسة في إخراج الحروف، وتفخيمها، وغير ذلك، فإن هذا حائل للقلوب عن فهم مراد الرب من كلامه<sup>(٦)</sup>.

٣ - أمرنا الله تعالى بالتفكير في آياته؛ فقال ﷻ: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

= ٥٨٨، تقريب التهذيب ص ٩٩.

(١) أورده القرطبي في جامع ٢٦/١، وانظر: المجموع ١٥/١٠٨.

(٢) انظر: مدارج السالكين ١/٤٨٥.

(٣) انظر: لمعرفة أهمية التفكير في الآيات والتدبر: الرسالة التبوكية لابن القيم ص ٢٠٣ وما بعدها.

(٤) انظر: المجموع ٥/١٥٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢.

(٥) انظر: المجموع ١٦/٥٠.

(٦) انظر: المصدر السابق، وتبليس إبليس لابن الجوزي ص ١٢٣، إغاثة اللهفان ١/١٢٥-١٢٧.



وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿[النحل: ٤٤]﴾ فالتفكر في آيات الكتاب هو: أن يستحضر ما فيها من أحكام وأمور، وما يؤدي إلى الخير، وما يحذر من الشر، وأنتج ذلك عملاً بالأمورات، وتركا للمحظورات<sup>(١)</sup>.

وأنتفع ما في القراءة تدبر القرآن الكريم، فإن فيه «أسباب الخير، والشر جميعاً مفصلة، مبينة، ثم السنة، فإنها شقيقة القرآن، وهي الوحي الثاني، ومن صرف إليهما عنايته اكتفى بهما عن غيرهما، وهما يريانك الخير والشر وأسبابهما، حتى كأنك تعانين ذلك عياناً»<sup>(٢)</sup>.

٤ - أخبر أن القرآن مفصل ليُفقه فيه، وذم من لا يفقهه<sup>(٣)</sup>، قال تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢٨] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٦] وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧] والله تعالى ذكره، وتقدست أسماؤه، أحكم الحكماء، وأحلم الحكماء، فكان معلوماً أن بيانه أبين البيان، وأفضل الكلام، وأن قدر فضل بيانه - جل ذكره - على بيان جميع خلقه كفضله على جميع عباده.

وقد خاطبنا جل ذكره بما يفهمه المخاطب، وبلسان عربي مبين<sup>(٤)</sup>.

٥ - أمر الله عباده أن يتذكروا ما في القرآن: قال الله ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ ۝ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ [عبس: ١١-١٦]، وقال الله - عز من قائل -: ﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُنْثَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤] وقال: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣] وقال: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١].

(١) انظر: مفتاح دار السعادة ١/ ١٩٣، ١٨٧.

(٢) الجواب الكافي لابن القيم ص ١٩.

(٣) انظر: المجموع ٥/ ١٥٨.

(٤) انظر: جامع البيان لابن جرير ١/ ٢٩.

وقارئ القرآن قد ورد في فضائل قراءته أحاديث كثيرة جدا، ويتم لصاحب القرآن ما يطلبه من الأجر الموعود إذا فهم معانيه، فإن ذلك هو الثمرة من قراءته<sup>(١)</sup>.

٦ - أخبر أن القرآن مذكّر، ولا يكون كذلك إلا بالتدبر؛ قال ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥] وقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا﴾ [الإسراء:٤١] وقال: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:١] ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله ﷻ قراءة القرآن بالتدبر والتذكر<sup>(٢)</sup>.

وقال في صفات المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان:٧٣].

قال شيخ الإسلام ﷺ: «المطلوب من القرآن هو فهم معانيه، والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين»<sup>(٣)</sup>. وقال: «وكذلك إذا كان قد حفظ القرآن، أو بعضه، وهو لا يفهم معانيه، فتعلمه لما يفهم من معاني القرآن أفضل من تلاوة ما لا يفهم معانيه»<sup>(٤)</sup>.

٧ - أخبر الله سبحانه أنه يسره ليُتذكر: قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر:١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠] والقرآن يسير فهمه، سهل تعلمه وتدبره، والتفكير فيه، والسلف الصالح لما تدبروه وفهموه وعقلوه كانوا خير أمة أخرجت للناس، والسلف قد فهموا القرآن، وعلى متبعيهم أن يتبعوهم في هذا الفهم، ومن الأدلة على كون السلف فهموا القرآن:

أ - أن العادة توجب اعتناءهم بالمنزل لفظا ومعنى، كما أن كل أصحاب فن يهتمون بمعاني ما كتبوه، لا بمجرد ما سطروه.

ب - أن الله حضهم على تدبره، وهم أشد الناس امتثالاً للأوامر، واجتناباً

(١) فتح البيان لصديق حسن / ١ / ٢٠.

(٢) انظر: مدارج السالكين ١٧/٣.

(٣) المجموع ٥٥ / ٢٣.

(٤) المجموع ٥٦ / ٢٣.

لِلنَّوَهِي، بَلْ حَضَّ الْمَخَالِفِينَ لِلْقِرَآنِ بِتَدْبِيرِهِ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُمْكِنُهُمْ تَدْبِيرُهُ وَتَفْهَمُهُ، فَتَدْبِيرُهُ وَتَفْهَمُهُ مِنْ قَبْلِ مُتَبِعِيهِ أَيْسَرُ، وَأَبْيَنُ وَأَسْهَلُ.

ت - أَنْ اللَّهَ أَنْزَلَهُ عَرَبِيًّا، لِيَعْقِلَهُ النَّاسُ، وَالسَّلَفُ كَانُوا مِنَ الْعَرَبِ الْفَصَحَاءِ، وَلَا يَكُونُ تَعْقِلُهُ إِلَّا بِتَدْبِيرِهِ وَتَعَلُّمِهِ.

ث - أَنَّ اللَّهَ ذَمَّ مَنْ لَا يَفْهَمُ الْقِرَآنَ، فَلَوْ كَانَ السَّلَفُ لَا يَفْقَهُونَهُ لَكَانُوا مُخَاطَبِينَ بِالذَّمِّ.

ج - أَنَّ اللَّهَ ذَمَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ حَظُهُ مِنْ سَمَاعِ الْقِرَآنِ إِلَّا سَمَاعُ الصَّوْتِ، دُونَ فَهْمِ الْمَعْنَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَعَقَّ بِمَاءٍ لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة: ١٧١]، وَقَالَ ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٠-٢٢﴾، وَمَنْ قَالَ إِنَّ السَّلَفَ لَمْ يَفْهَمُوا الْقِرَآنَ، فَقَدْ جَعَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَسْمَعُ وَلَا يَعْقِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

ح - أَنَّ الصَّحَابَةَ فَسَرُوا مَا احتاجَ إِلَيْهِ التَّابِعُونَ مِنَ الْقِرَآنِ، وَالتَّابِعُونَ فَسَرُوهُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، فَكَيْفَ يَقَالُ: إِنَّهُ صَعِبَ لَا يَفْهَمُ، وَلَا يَفْسُرُ<sup>(١)</sup>.

٨ - أَوْعَدَ اللَّهُ الْمَعْرُضِينَ عَنْهُ بِالنَّارِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ قَالَنَارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧] وَهَذَا عَامٌ، وَشَبَّهَ الْمَعْرُضَ عَنْهُ بِالْحُمْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا هُمْ عَنْ التَّذْكِيرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ [المدثر: ٤٩-٥٠] فَيَكْفِي الْمَعْرُضَ عَنْهُ أَنَّهُ مِنْ حَمِيرِ النَّارِ، لِأَنَّهُ أَعْرَضَ عَنِ تَدْبِيرِ الْقِرَآنِ، وَالْمَعْرُضَ عَنْهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا شَاقًا لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهُ<sup>(٢)</sup>، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٥٦﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ ﴿٥٧﴾ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ [طه: ٩٩-١٠١].

قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ ﷺ مَبِينًا فَوَائِدَ التَّدْبِيرِ فِي الْقِرَآنِ الْكَرِيمِ: «وَأَمَّا التَّأَمُّلُ فِي

(١) انظر: هذه الوجوه في المجموع ٥/١٥٧-١٥٩، ١٣/٣٣٢-٣٣٣.

(٢) انظر: أضواء البيان للشيخ الأمين ٥/١.

القرآن: فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره، وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته، بلا فهم ولا تدبر...، فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاذه، وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع فيه الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها، وعلى طرقاتها وأسبابها، وغاياتها وثمراتها، ومآل أهلها، وتُثَلُّ في يده مفاتيح كنوز السعادة، والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشد بنيانه، وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسماء وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصحاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيئاتهم، ومراتب أهل السعادة، وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيها يجتمعون فيه، وافتراقهم فيها يفترقون فيه.

وبالجملة تُعرفُ الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه، وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة، والعذاب بعد الوصول إليه، فهذه ستة أمور ضروري للعبد معرفتها<sup>(١)</sup>.

ولما كان السلف من العلماء بمعاني القرآن الكريم، وكلامه المبين، كانوا به عاملين، وإليه متحاكمين، ويتبين هذا في المطلب التالي.

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٨٥-٤٨٦، وانظر: التبيان في إقسام القرآن له ص ١٤٣.

## المطلب الثاني: التعبد بالعمل به والتحاكم إليه، وفيه ثلاث مسائل:

### المسألة الأولى: التعبد بالعمل بالقرآن الكريم.

إن مما لا شك فيه، ولا ريب يعتريه، أن القرآن الكريم إنما أنزله الله ﷻ ليُعمل به العباد، ويتقربوا إليه بما شرع لهم فيه، وقد جاءت أدلة كثيرة تحث على العمل بالقرآن الكريم، ومن ذلك:

١ - أَمَرُ اللَّهِ تَعَالَى لَنَا بِتِلَاوَتِهِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١] وسواء كان المراد بالكتاب القرآن الكريم فيكون المخاطب هو أمة محمد ﷺ، أو كان المراد بالكتاب هو التوراة، فإن فيه بيان وجوب اتباع المنزل والعمل به، وبيان خسارة من رده ولم يعمل به. والتلاوة من الإتيان، والعمل به، تقول تلا الشيء إذا تبعه، وتلاوة الكتاب هي: اتباعه والعمل به<sup>(١)</sup>، كما قال ابن عباس ؓ: [يُحَلِّونَ حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ، وَلَا يَجْرِفُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ]<sup>(٢)</sup>.

وقال ؓ: [لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الله، وآناء النهار، فسمعه جارٌ له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل].

٢ - أَمَرُ اللَّهِ ﷻ بِاتِّبَاعِ الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ۖ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَنْحَسِرُنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ۖ﴾ ۚ أَوْ تَقُولَ

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير ١/٥٦٦-٥٦٩، العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥٦، الفتح ١٣/٥١٧.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، من سورة البقرة، ح (٣٠٥٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي كما في التلخيص المطبوع بهامش المستدرک ٢/٢٩٢، ورواه ابن جرير في تفسيره ١/٥٦٧، ح (١٨٨٥) ورواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة ١/٣٩٦، ح (٣٨٦).

## حقيقة القرآن الكريم في نظر السلف

لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿الزمر: ٥٥-٥٦﴾ وقال مبينا صفات عباده المتقين: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أَُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿الزمر: ١٧-١٨﴾ والمراد بالقول ما جاء به النبي ﷺ من الوحي<sup>(١)</sup>، والقرآن أحسن الحديث، «ولا ريب أن القرآن فيه الخبر، والأمر، والحسن، والأحسن، واتباع القول إنما هو بمقتضاه، ومقتضاه فيه حسن وأحسن»<sup>(٢)</sup>. وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله في قوله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قال: «أي: يفهمونه ويعملون بما فيه»<sup>(٣)</sup>.

وكان أبو عبد الرحمن السلمي<sup>(٤)</sup> رحمته الله: «إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه، ووضع يده على رأسه، وقال: يا هذا اتق الله، فما أعرف أحدا خيرا منك إن عملت بالذي علمت»<sup>(٥)</sup>.

٣- ذم الله ﷻ التالين للكتاب الذين لا يعملون به، قال رحمته الله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨] قال مجاهد<sup>(٦)</sup> رحمته الله: «إن الأميين الذين وصفهم الله تعالى أنهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله الله تعالى على

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٣٠/٦.

(٢) المجموع ٦/١٦٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/٤٨، وانظر: ٦٠/٤.

(٤) هو الإمام المقرئ: أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الكوفي، مشهور بكنته، ولد في حياة النبي ﷺ وتفقه على الصحابة الكبار، وتعلم على الأئمة الأخيار، حتى أصبح من قراء الأمصار، ثقة ثبت، توفي بعد السبعين. انظر: طبقات ابن سعد ٦/٢١٢-٢١٤، سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٧-٢٧٢، تقريب التهذيب ص ٢٤٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/٩-٩ وقد نقلها القرطبي عن كتاب أبي بكر الأنباري "الرد على من خالف مصحف عثمان".

(٦) هو إمام التفسير، والعالم النحرير: مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي، تعلم على يدي حبر الأمة ابن عباس، وتخرج عليه، توفي سنة بضع وأربعين ومائة، أخرج له أصحاب الكتب. انظر: التريب ص ٤٥٣.

موسى شيئا، ولكنهم يتخرون الكذب، يتخرون الأباطيل كذبا وزورا<sup>(١)</sup>.

وقال - عز من قائل - : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠١]. وكتاب الله قيل التوراة ونبذهم لها كان بكفرهم برسول الله محمد ﷺ المصدق لما معهم، وإذا قيل إن المراد بكتاب الله القرآن، فنبذهم له لكونهم لم يتلقوه بالقبول<sup>(٢)</sup>.

٤ - الوعد الحسن لمن اتبع في عمله هدى القرآن، والوعيد الشديد لمن خالفه: قال الله تعالى : ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿٣٨﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿٤٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦] قال ابن عباس ؓ : [من قرأ القرآن، واتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ قال: فضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة]<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس ؓ أنه سمع عمر ؓ الغد، حين بايع المسلمون أبا بكر ؓ واستوى على منبر رسول الله ﷺ تشهد قبل أبي بكر، فقال: [أما بعد فاختر الله لرسوله ﷺ الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم، فخذوا به تهتدوا، كما هدى الله به رسوله]<sup>(٤)</sup>. وفي لفظ: [فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورا

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير ٤١٩/١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١١٧.

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/١٢٠، ومحاسن التأويل للقاسمي ١/٣٣٧.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة طه، ح (٣٤٣٨)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي كما في التلخيص ٢/٤١٣، ولم يذكر قوله (فضمن الله...)، وإنما رواه ابن جرير في تفسيره ٨/٤٦٩، ح (٢٤٤٠٠)، وروي مرفوعا، لكنه لا يصح فيه (ضعف) كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٦٩، ونسبه للطبراني.

(٤) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ح (٧٢٦٩).

تهتدون به بما هدى الله به محمدا ﷺ<sup>(١)</sup>.

٥ - إطاعة ما جاء من الوحي والعمل به نجاة: قال رسول الله ﷺ: [إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما، فقال: إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدجلوا فانطلقوا على مهملهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني، فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني، وكذب بما جئت به من الحق]<sup>(٢)</sup>.

٦ - أن العمل به والتعبد بذلك هو دأب وعمل السلف الصالح، قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله: «حدثنا من كان يُقرؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يقرءون من رسول الله ﷺ عشر آيات، ولا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العمل والعلم، فإننا علمنا العلم والعمل»<sup>(٣)</sup>.

ومعلوم أنه يجب على كل مسلم تصديق النبي ﷺ فيما أخبر به عن الله تعالى مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه، كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والتابعون لهم، فإن هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة، وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل<sup>(٤)</sup>، «ولا ريب أن استماع كتاب الله، والإيمان به، وتحريم حرامه، وتحليل حلاله، والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، واجب على كل أحد»<sup>(٥)</sup>.

ولأجل العمل وحفظ ما في القرآن من الأحكام التعبدية ظل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب/ الاستخلاف، ح(٧٢١٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب/ الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ح(٧٢٨٣)، ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب/ شفقتة على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، ح(٢٢٨٣)، كلاهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وانظر معنى الحديث في الفتح ١١/ ٣٢٣-٣٢٤.

(٣) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب/ في تعليم القرآن كم آية، ح(٢٩٩٢٩)، وعبد الرزاق في مصنفه، ورواه ابن سعد في طبقاته ٦/ ٢١٢، وانظر: المجموع ٥/ ١٥٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣.

(٤) انظر: المجموع ٥/ ١٥٦.

(٥) المجموع ١٥/ ٣٩٠-٣٩١.



في تعلم البقرة ثمانين سنين<sup>(١)</sup>.

فمجرد حفظ الكتاب لا يوجب العمل، فالقرآن يقرؤه المنافق والمؤمن، والأُمِّي الذي لا يعلم الكتاب إلا أُمَانِي، قال الحسن البصري رحمته الله: «العلم علمان: علم في القلب، وعلم على اللسان، فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان حجة الله على عباده»<sup>(٢)</sup>.

#### ٧- معلوم اعتناء السلف بالعمل بالقرآن الكريم من وجوه:

أ. أن العادة المعروفة من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أُمته، تجعله معلماً لهم المعنى، ومزكياً لهم ليعملوا به وبمقتضاه، فبعثته تحقيق لدعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] فاستجاب الله لإبراهيم الخليل عليه السلام، وبعث محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك، وامتن الله به علينا، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]. ومعلوم حرص النبي صلى الله عليه وسلم في تعريف معاني القرآن لِتُمَثَّلَ، وأنه أعظم من رغبته صلى الله عليه وسلم في تعريفهم حروفه، فإن الحروف لا يحصل بها المقصود، بل اللفظ مراد به المعنى<sup>(٣)</sup>.

ب. أن السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم، كانوا حريصين على العمل بالقرآن الكريم، والجليلة البشرية في اهتمام كل قوم بكتابهم معلومة، فكيف بأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، لا شك أن اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم كان اعتناء

(١) روى خبر حفظ عبد الله بن عمر رضي الله عنه لسورة البقرة، الإمام مالك في موطنه بلاغا، كتاب القرآن، باب/ ما جاء في القرآن، ١/ ١٧٨، وانظر: المجموع ٥/ ١٥٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٣٠، وذكر ابن سعد في طبقاته ٤/ ١٢٢ عن عبد الله بن جعفر الرقي، قال: حدثنا أبو المليح، عن ميمون [أن ابن عمر تعلم سورة البقرة في أربع سنين]، وانظر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطي ١/ ١٦٢.

(٢) انظر: المجموع ١٨/ ٣٠٤، وقد روى الأثر عن الحسن جمع منهم: الدارمي في سننه، المقدمة، باب/ التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، ح(٣٦٤)، وروي عن الحسن مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يصح كما ذكره في العلل المتناهية ابن الجوزي ١/ ٨٢-٨٣، وذكره البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٩٤ بسنده من قول الفضيل بن عياض رضي الله عنه.

(٣) انظر: المجموع ٥/ ١٥٧.

باللفظ من حيث تلاوته وحفظه، واعتناء بالمعنى من حيث فهمه والعمل به<sup>(١)</sup>، قال أبو الدرداء<sup>(٢)</sup> ﷺ موصياً أهل الكوفة: [أقرئهم السلام، ومرهم فليعطوا القرآن بخزائهم]<sup>(٣)</sup>، فإنه يحمل على القصد والسهولة، ويجنبهم الجور والحزونة<sup>(٤)</sup>. وقال جندب بن عبد الله<sup>(٥)</sup> ﷺ: [وعليكم بالقرآن، فإنه هدى النهار، ونور الليل المظلم، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقه...]<sup>(٦)</sup>. وقال أبو موسى الأشعري<sup>(٧)</sup> ﷺ: [إن هذا القرآن كائن لكم ذكراً، وكائن لكم أجراً، وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن، ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة، ومن يتبعه القرآن، يَنْزُحُ<sup>(٨)</sup> في قفاه حتى يقذفه في نار جهنم]<sup>(٩)</sup>.

ت. أن الله تعالى ذم من لم يكن حظه من السماع إلا سماع الصوت، دون فهم المعنى، والعمل به<sup>(١٠)</sup>، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) هو: عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، مشهور بكنيته: أبو الدرداء، صحابي جليل شهد أحداً وما بعدها، وهو من عبّاد الصحابة وحكائهم، مات في خلافة عثمان ﷺ. انظر: الإصابة ٤٥/٣، التقريب ص ٣٧٠.

(٣) قال الإمام عبد الرزاق الصنعاني: «يعني بخزائهم: اجعلوا القرآن مثل الخزام في أنف أحدكم، فاتبعوه واعملوا به». المصنف ٣٦٨/٣، والخزام: حلقة يشد بها الزمام، ويكون في أنف الناقة. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٥/٢.

(٤) رواه أبو عبيد في كتابه فضائل القرآن، باب/ فضل الحظ على القرآن...، ح(٩)، ورواه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب/ تعليم القرآن وفضله، ح(٥٩٩٦).

(٥) هو: جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي، أبو عبد الله العلقي، صحابي مشهور، روى له أصحاب الكتب، مات بعد الستين. انظر: الإصابة ٢٤٨/١، التقريب ص ٨٢.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب/ في التمسك بالقرآن، ح(٣٠٠٠٩)، وأبو عبيد في فضائل القرآن، باب/ فضل الحظ على القرآن...، ح(١٩).

(٧) هو: عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري، صحابي مشهور، أوتي مزاراً من مزامير آل داود في القراءة، مات سنة خمسين، وقيل بعدها. انظر: الإصابة ٣٥٩/٢، التقريب ص ٢٦٠.

(٨) أي: يُدْفَعُ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/٢٩٨.

(٩) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب/ في التمسك بالقرآن، ح(٣٠٠١٤)، وأبو عبيد في فضائل القرآن، باب/ فضل اتباع القرآن، ح(١).

(١٠) انظر: المجموع ١٥٨/٥.

يَسْمَعْ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمْ بِكُمْ عَمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿البقرة: ١٧١﴾ وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا يَتَسَمَّى مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿الجمعة: ٥﴾، وقد حمل البخاري رحمه الله: قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿الواقعة: ٧٩﴾ على أنه العمل <sup>(١)</sup>، وأن المراد: لا يحمله بحقه إلا المؤمن لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾ الآية <sup>(٢)</sup>، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وحاصل هذا... أن معنى لا يمس القرآن، لا يجرد طعمه ونفعه إلا من آمن به، وأيقن بأنه من عند الله، فهو المطهر من الكفر، ولا يحمله بحقه إلا المطهر من الجهل والشك، لا الغافل عنه الذي لا يعمل به، فيكون كالخمار الذي يحمل ما لا يدرى به» <sup>(٣)</sup>، وقال أبو بكر الوراق رحمه الله <sup>(٤)</sup> في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿الواقعة: ٧٩﴾: «لا يُوفَّق للعمل به إلا السعداء» <sup>(٥)</sup>. وأختم هذه المسألة بطيب المسك من كلام النبي ﷺ، حيث بين حال المؤمنين وغيرهم مع القرآن، فقال: [المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة <sup>(٦)</sup> طعمها طيب، وريحها طيب] <sup>(٧)</sup>. قوله [ويعمل به]: هذه مفسرة للمراد، وأن التمثيل وقع بالذي يقرأ القرآن، ولا يخالف ما اشتمل عليه من أمر ونهي،

(١) وهذا على قول في الآية، قال الفراء رحمه الله: «والمشهور المعروف أنه المس، وهو اللمس، والكتاب: إما القرآن، أو اللوح المحفوظ». انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٩٩، المحرر الوجيز ٥/ ٢٥١-٢٥٢.

(٢) صحيح الإمام البخاري، كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ ص ١٥٣٨.

(٣) الفتح ١٣/ ٥١٨.

(٤) هو: أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي المستملي الوراق، توفي ٣٧٨ هـ. انظر: السير ١٦/ ٣٨٨، شذرات الذهب ٣/ ٩٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/ ١٤٦.

(٦) الأترجة: بضم الهمزة، والتاء الفوقانية الساكنة، والراء المهملة المضمومة، والجيم المعجمة المشددة المضمومة: ثمرة نبتة معروفة من الفصيلة البرتقالية، وهو ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره ذهبي اللون، ذكي الرائحة، يعرف بالشام باسم "تُرُنْج"، وله فوائد طبية طيبة، قال فيها بعض الحكماء: في العاجل ريحان، ومنظره مفرح، وقشره طيب الرائحة، ولحمه فاكهة، وحماضه أذم، وحبه ترياق، وفيه دهن. انظر: زاد المعاد (الطب النبوي) لابن القيم ٤/ ٢٨٤-٢٨٥، وقاموس الغذاء والتداوي بالنباتات ص ١٠-١١.

(٧) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ إثم من رآى بقراءة القرآن...، ح (٥٠٥٩).

لا مطلق التلاوة<sup>(١)</sup>، وبهذا يُعلم أن أعظم ما يتقرب به إلى الله ﷻ، التعبد بالوحي، وهذا من تعظيم القرآن<sup>(٢)</sup>، ومن أعظم الأعمال والطاعات المترتبة إلى رب البريات، التعبد بتعلم القرآن، وتعليمه، وهذا ما أوضحه في المسألة التالية.

### المسألة الثانية: التعبد بتعلم القرآن الكريم وتعليمه.

إن العمل بالقرآن الكريم عبادة عظيمة، ومن وسائل العمل بالقرآن الكريم - بل هو في ذاته عبادة - تعلم القرآن الكريم وتعليمه، قال النبي الكريم ﷺ: [خيركم من تعلم القرآن وعلمه]<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: [إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه]<sup>(٤)</sup>. فأشرف العلم القرآن الكريم، إذ شرف العلم بشرف معلومه، وتعليمه لغيره عمل، وتحصيل نفع متعدد، فيكون من تعلمه وعلمه لغيره أشرف ممن تعلم غير القرآن وعلمه، ولا شك أن تعلم القرآن وتعليمه قرينان يكمل أحدهما الآخر، وفي التعلم والتعليم جمع بين النفع القاصر، والنفع المتعدي، ولهذا كان أفضل، ويكون معلمه من جملة من عناه ﷻ بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]<sup>(٥)</sup>، وقال ﷺ: [أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو العقيق<sup>(٦)</sup>، فيأخذ ناقتين كَوْمًاوَيْنِ<sup>(٧)</sup> في غير إثم ولا قطع رحم؟ قالوا: كلنا يا رسول الله

(١) انظر: الفتح ٨/ ٦٨٤-٦٨٥.

(٢) تنبيه: وليس من تعظيمه جعله في أغلفة، وأربطة، وجعله محلاة بالذهب والفضة ولا القيام له إذا أدخل، فالقيام للمصحف على وجه التعبد «لا نعلم...» فيه - شيئاً مأثوراً عن السلف...، والأفضل للناس اتباع السلف في كل شيء». مختصر الفتاوى المصرية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية للبعلي ص ٢٦٥.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح (٥٠٢٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح (٥٠٢٨).

(٥) انظر: الفتح ٨/ ٦٩٤.

(٦) بَطْحَان: بضم المعجمة، وسكون الطاء المهملة، واد في المدينة، من جهة العوالي، وفي المدينة ثلاثة وديان: هي بطحان، وقناة، والعقيق، وهي: الواد المبارك في المدينة النبوية من جهته الجنوبية الغربية وتسير إلى الناحية الغربية ثم شمالاً. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ٥٢٩، ٤/ ١٥٦.

(٧) كَوْمَاوَيْن: ثنية (كوماء)، وهي الناقة الضخمة السنام، ويقال: بعير (أكوم). انظر: المصباح المنير للفيومي ص ٥٤٥.

نحب ذلك، قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: [الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران]<sup>(٢)</sup>، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: [عليكم بالقرآن فتعلموه، وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظا لمن عقل]<sup>(٣)</sup>، وما أسعد العامل بالقرآن، في يوم يشيب فيه الولدان، قال ﷺ: [يؤتى بالقرآن يوم القيامة، وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران... تحاجان عن صاحبهما]<sup>(٤)</sup>، وكم رفع الله ﷻ بهذا القرآن أقواما إذ حفظوه وعملوا به، كما جاء أن نافع بن عبد الحارث الخزاعي<sup>(٥)</sup>: لقي عمر بن الخطاب ﷺ بعسفان<sup>(٦)</sup>، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: [من استعملت على أهل الوادي - أي مكة -؟ فقال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷻ، وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: [إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين]<sup>(٧)</sup>. فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، ح(٨٠٣)، من حديث عقبة بن عامر ﷺ.

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة عبس، ح(٤٩٣٧)، ومسلم واللفظ له، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب/ فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه، ح(٧٩٨) من حديث عائشة ﷺ.

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، باب/ فضل تعلم القرآن، ح(١٢) واللفظ له، والدارمي في سننه، المقدمة، باب/ من لم يركب كتابة الحديث، ح(٤٧٦).

(٤) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ح(٨٠٥) عن النواس ابن سمعان ﷺ.

(٥) هو: نافع بن عبد الحارث ويقال نافع بن الحارث بن حباله الخزاعي من كبار الصحابة وفضلائهم، واستعمله عمر بن الخطاب ﷺ على مكة. انظر: الإصابة ٣/ ٥٤٥.

(٦) عُسْفَان: بضم أوله وسكون ثانيه، وآخره نون: اسم منطقة بين مكة والمدينة، وهي أقرب إلى مكة، ولا زالت تسمى إلى هذا العصر بعسفان. انظر: معجم البلدان للحموي ٤/ ١٣٧.

(٧) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه...، ح(٨١٧).

من مظاهره، وتعلم ذلك، وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٨١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]، قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «فدّم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله المنزل عليهم، وإقبالهم على الدنيا، وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله، فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهمه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦-١٧] ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحیی الأرض بعد موتها، كذلك يلين القلوب بالإيمان والهدى بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل أن يفعل بنا هذا إنه جواد كريم»<sup>(١)</sup>.

وقد قام السلف الصالح بتعلم القرآن الكريم، وتعليمه على أكمل وجه، ويدل لهذا ما يأتي:

أولاً: اعتناء النبي ﷺ بأمته، وتعليمهم إياهم ما يحتاجونه فيما يتعلق بالقرآن الكريم؛ فكان ﷺ يقرئ أمته القرآن ويعلمهم السور، كما في حديث عبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: [كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن]<sup>(٢)</sup>. ويسمع من أصحابه كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/١.

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب/ الأخذ باليدین، ح(٦٢٦٥)، من رواية ابن مسعود رضي الله عنه، ومسلم

قال: قال لي النبي ﷺ: [اقرأ على القرآن]. قلت: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: [نعم]<sup>(١)</sup>. وله ﷺ عرضة في كل رمضان مع جبريل الأمين يدارسه القرآن، كما في حديث أبي هريرة<sup>(٢)</sup> وعائشة<sup>(٣)</sup> ﷺ: [أن جبريل كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه...].

ثانيا: اعتناء السلف بألفاظ القرآن ومعانيه، دليل على تعلمهم وتعليمهم، ولقد وصلنا القرآن غضا طريا كما أنزل، وذلك لشدة عنايتهم بالقرآن الكريم، صدرا وسطرا، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: [لو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه]<sup>(٤)</sup>. فالتعاون على البر والتقوى مطلوب بين المؤمنين، ومن أجل ذلك تعلّم وتعلّم القرآن المين<sup>(٥)</sup>، ومن تعلم القرآن وعمل به، وجب أن يحكمه، وأن يتحاكم إليه، وهذا ما أذكره في المسألة الآتية.

### المسألة الثالثة: التعبد بالتحاكم إلى القرآن الكريم.

إذا كان المسلم يتقرب إلى الله تبارك وتعالى بتعلم القرآن الكريم وتعليمه، ويتقرب إلى الله تعالى بالعمل به، فهو يتقرب إلى الله ﷻ بإقامة أحكام القرآن الكريم وحدوده، بل هو من أعظم العمل بالقرآن الكريم، ويجب «أن يعلم جميع المسلمين

واللفظ له، كتاب الصلاة، باب/ التشهد في الصلاة، ح(٤٠٣)، من رواية ابن عباس ﷺ.

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ قول المقرئ للقارئ حسبك، ح(٥٠٥٠)، ورواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل استماع القرآن...، ح(٨٠٠).

(٢) حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، ح(٤٩٩٨).

(٣) وحديث عائشة ﷺ رواه البخاري معلقا، كتاب فضائل القرآن، باب/ كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ.

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ القراء من أصحاب رسول الله ﷺ، ح(٥٠٠٢)، ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل عبد الله بن مسعود ﷺ، ح(٢٤٦٣).

(٥) وهنا مسألة اختلف فيها الفقهاء وهي: مسألة الإجارة على تعليم القرآن الكريم، فقد أجازها الجمهور، ومنعها الحنفية، وينظر فيها المراجع الآتية: الفتوح ٤/ ٥٣٠، ٥٣٥، حاشية الدسوقي ٢/ ٣٠٩، الفواكه الدواني ٢/ ١١٤، فتاوى وتنبهات للشيخ ابن باز ص ٥١٦.

أفراداً وحكاماً أن كتاب الله إنما أنزل ليعمل به، ويُحَكَّم ويتحاكم إليه، فهو مصدرنا في التشريع، وإليه مرجعنا في الحكم، والعمل»<sup>(١)</sup>.

والمسلمون مأمورون أعظم الأمر باتباع أحكام القرآن، وإقامة شرائعه، وتنفيذ ما ورد فيه من الأوامر والنواهي، والله أرسل محمداً ﷺ هادياً وبشيراً ونذيراً، وحاكماً بين الناس بما أنزل عليه، ولقد قال له بعض أصحابه: [أشددك الله إلا قضيت بيننا بكتاب الله] وقال الآخر: [أقض بيننا بكتاب الله] فقال ﷺ: [والذي نفسي بيده لأقضي بينكما بكتاب الله]<sup>(٢)</sup>.

والقرآن والسنة مصدر الشريعة الإسلامية، ويجب التحاكم إليهما في القضية، العامة منها والشخصية<sup>(٣)</sup>.

والأدلة على وجوب العمل بما جاء في الوحي أكثر من أن تحصر، ومن هذه الأدلة:

١ - أمر الله ﷻ باتباع ما جاء فيه: قال الله ﷻ: ﴿الْمَصِّصَ﴾ كَتَبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿١٠١﴾ [الأعراف: ١-٣] فالكتاب المنزل هو القرآن الكريم، وأمرنا أن لا نتخرج منه، ولا من الحكم به، ومن خرج عما جاء به الرسول إلى غيره، فقد عدل عن حكم الله إلى حكم غيره فصار ولياً له<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «فيه الدعوة إلى اتباع القرآن، يرغب سبحانه عباده في كتابه، ويأمرهم بتدبره، والعمل به، والدعوة إليه، ووَصَفَهُ بالبركة لمن اتبعه،

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٣) من كلام سباحة المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ ص ٣٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب/ هل يأمر الإمام رجلاً فيضرب الخد غائباً عنه، ح (٦٨٥٩، ٦٨٦٠)،

ورواه مسلم، كتاب الحدود، باب/ من اعترف على نفسه، ح (١٦٩٧، ١٦٩٨) كلاهما من رواية أبي

هريرة وزيد بن خالد الجهني رحمهما الله.

(٣) انظر: أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٧.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٠٠.



وعمل به في الدنيا والآخرة، لأنه حبل الله المتين»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى في صفات المؤمنين المتبعين للنبي ﷺ: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧] فأوجب الله رحمته امتناناً منه سبحانه على المتقين المتصفين بهذه الصفات، وهم أمة محمد ﷺ، ومن صفاتهم أنهم متبعون للقرآن وهو النور المنزل<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ أمرا نبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۚ إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقال بعدها آيات: ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۚ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥١﴾﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ۚ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحَكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢-٥٧] وقال: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦] فأمر الله رسوله ﷺ والخطاب لمن اتبع طريقته ضمناً، أن يقتدوا بالوحي، وأن يعملوا به، فإن الوحي من الله الذي لا إله إلا هو، وهو الخبير بأحوال عباده، العالم بشئونهم<sup>(٣)</sup>.

وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الحج: ١٨-١٩] فأنزل على نبيه ﷺ «شريعة كاملة، لم تسم

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٩٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٥١، ٢٥٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٦٣.

إليها شريعة من الشرائع قبلها، ولن يأتي أحد من بعده بخير منها، ولا مثلها... شرع الله هذه الشريعة الكاملة للناس كافة، وفي كل زمان ومكان... ونسخت - هذه الشريعة - جميع الشرائع، ولم تكن خاصة بأمة دون أمة، ولا بعصر دون عصر»<sup>(١)</sup>.

٢ - أمر الله ﷺ أن نحكم بما جاء في المنزل: قال تعالى عن حال الرُّسل - عليهم الصلاة والسلام - : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥] وقال: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧] وهذه الآيات الثلاث، وإن نزلت في أهل الكتاب، فهي ليست خاصة بهم على التحقيق في الجواب، وأنها عامة لكل حاكم بغير ما أنزل الوهاب، اعتبارا بعموم اللفظ لا بالنظر إلى خصوص الأسباب، والله أعلم بالصواب<sup>(٢)</sup>.

(١) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين للشيخ أحمد محمد شاكر ص ٩.

(٢) انظر: محاسن التأويل للقاسمي ٣/ ١٣٨-١٣٩، والذي عليه جمهور الأمة، وعلماء هذه الملة، من السلف ومن اتبعهم بإحسان من الخلف، أن هذه الآيات وإن نزلت جميعها في الكفار، كما في صحيح الإمام مسلم [كتاب الحدود، باب / رجم اليهود...، ح (١٧٠٠)]، إلا أنها عامة في اللفظ، وهذا العموم ليس على إطلاقة في حق المقر بالشرع، المعترف بالمنزل، وأنه يكون حيث يشاء كفرا دون كفر، كما جاء ذلك مرويا عن ابن عباس ؓ ولا يعرف له مخالف من الصحابة، والتفصيل الذي عليه أهل السنة، هو سبيل الخلاص لما عليه الأمة، من الحروب والفتنة، بين الحكام والمحكومين، وهذا التفصيل هو: أن من حكم بغير ما أنزل الله جاحدا له، أو معتقدا عدم وجوبه، أو معتقدا عدم صلاحيته، أو معتقدا أنه كالقوانين الوضعية... فمعتقد هذا كافر كفرا أكبر يخرج عن ملة الإسلام، كائنا من كان من الأنام. ومن حكم بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده لوجوب الحكم به، إلا أنه هوى في نفسه، أو خوفا على جاهه، أو جورا لمال يطلبه، حكم بغير ما أنزل باريه، فإنه ظالم لنفسه، مرديا الهوى، وموردها الردى، ويكون فاسقا، وظالما، وكافرا كفرا أصغرا، وينصح ويرشد، ويعلم الرجوع والنوبة، والأوبة قبل فوات التوبة. وأما أن الحاكم بغير ما أنزل الله - من المسلمين - يكون كافرا مطلقا، ويخرج عن الإسلام أبدا، فهذا ما عليه الخوارج الأصاغر والأكابر، ومن وافقهم في هذا العصر من أهل المنابر، وعدم التفصيل في حد ذاته حكم بغير ما أنزل الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. انظر المصادر الآتية: جامع البيان لابن جرير ٤/ ٥٩٢-٥٩٧، معالم التنزيل للبيهقي ٣/ ٦١، زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٤٤-٤٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ١٢٤، الدر المنثور للسيوطي ٣/ ٨٧-٩٠، فتح القدير للشوكاني ٢/ ٥٣-٥٦، فتح المجيد بتحقيق الريان ص ٤٦١-٤٦٣، فتح البيان لصديق حسن ٢/ ٢٩-٣٣ وفيه كلام نفيس، محاسن التأويل للقاسمي

وقال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ وقال بعدها: ﴿ وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ وقال بعدها: أَفَحُكْمَ الْجَنَهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿ [المائدة: ٤٨-٥٠] فأمر الله محمدا ﷺ أن يحكم بين الناس عربهم وعجمهم أميهم وكتبايهم، بما أنزل الله لهذه الأمة، وأن لا ينصرف إلى الآراء التي اصطلحوا عليها، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله، وأن لا يترك الحق الذي أمره الله به، إلى أهواء الجهلة <sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥] وقال: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۚ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٤-١١٥] فرسول الله ﷺ لا يحكم بغير المنزل، فإن المنزل كله صدق فيما يقول ويخبر، وعدل فيما يحكم ويأمر، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل بلا امتراء <sup>(٢)</sup>.

٣- أخبر الله تعالى أن من اتبع هداه لا يضل، ولا يشقى، لا في دنياه، ولا في آخره: قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨] وقال: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [طه: ١٢٣]

٣/ ١٢٨-١٣١، تيسير الكريم الرحمن ٢/ ٢٩٦، أضواء البيان للشنقيطي ٢/ ٧٩-٨١، إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري لشيخنا عبيد بن عبد الله الجابري ٢/ ٤٢-٥٠، وانظر: فتاوى وتبسيهات للشيخ ابن باز ص ١١٩-١٣٢، مجموعة فتاوى ساحة الشيخ ابن باز ٣/ ٩٩٠-٩٩٢، مجلة الفرقان العدد (٩٤)، فتاوى اللجنة الدائمة رقم (٥٧٤١) رسالة د/ خالد العنبري "الحكم بغير ما أنزل الله".

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٦٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٦٧-١٦٨.

فمن أقبل على البينات والآيات، والرسول وما جاؤوا به من الشرعيات، لا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمور الآخرة، ولا حزن يعتريهم لما فاتهم من أمور الدنيا الفانية<sup>(١)</sup>.

قال علي عليه السلام: [إنها ستكون فتن - والمخرج منها - كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدي إلى الرشد فآمنّا به، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم]<sup>(٢)</sup>.

٤ - اتباع حكم القرآن طريق السلامة والأمان: قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] فطريق النجاة والسلامة، ومنهاج الاستقامة، في النور المهداة، ويكون به النجاة من المهالك، وبه أوضح الله لنا المسالك، وبامثال أوامره نحصل أحب الأمور، وباجتناب نواهيه يصرف الله عنا المحذور<sup>(٣)</sup>.

والكتاب هو الحاكم بين الناس شرعا ودينا، وينصر الله القائم به نصرا، ويعلي منزلته وقدره في الدنيا والآخرة، والسلطان إذا قام بأمر الله كان سعيدا مجاهدا في سبيل الله، فإن الله نصر الكتاب بأمر من عنده، وانتقم ممن خرج عن حكم الكتاب<sup>(٤)</sup>، قال ابن القيم رحمته الله:

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير ٢٨٤-٢٨٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨٢/١.

(٢) رواه الترمذي مرفوعا في سنته، أبواب فضائل القرآن، باب/ ما جاء في فضل القرآن، ح(٣٠٧) وقال: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال». وكذا قال المباركفوري في تحفة الأحوذى ٢٢١/٨، وقال الألباني في تعليقه على شرح الطحاوية ص ٦٨: «هذا حديث جميل المعنى، ولكن إسناده ضعيف... ولعل أصله موقوف على علي عليه السلام فأخطأ الحارث رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم».

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٤/٢.

(٤) انظر: المجموع ٣٧/٢٨.

« وما دعا إليه الرسول ﷺ هو حياة القلوب، ونجاة النفوس، ونور البصائر، وما يدعو إليه مخالفوه فهو موت القلوب، وهلاك النفوس، وعمى البصائر، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤] »<sup>(١)</sup>.

٥ - التهديد الشديد، والوعيد الأكيد، لمن اتبع غير القرآن المجيد: قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۖ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ وَلَٰيِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠]؛ فليست اليهود ولا النصارى براضية عنك يا محمد، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، وما بعثك الله به هو الهدى، هو الدين المستقيم الصحيح، الكامل الشامل<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلَٰيِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَٰيِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٥] فهذا تحذير من الله تعالى عن مخالفة الحق الذي يعلمه العالم إلى الهوى<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أُنزِلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَٰيِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٧] فكما أنزل الكتب السابقة على النبيين، أنزل القرآن المبين، على أشرف المرسلين، محكما معربا، فليس له، ولا لمتبعيه أن يتبعوا الآراء الفاسدة، والزبالات الكاسدة، بعد مجيء العلم الحق، وهذه الآية فيها وعيد لأهل العلم عن أن يتبعوا سبل أهل الضلالة، بعد ما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية، والمحجة الحمديدية<sup>(٤)</sup>، وكذلك الشرور متلازم للحكم بغير ما أنزل الله

(١) الكلام على مسألة السماع ص ١٠٠.

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير ١/ ٥٦٥-٥٦٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٦٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٩٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٥١٨.

كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: [وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله] <sup>(١)</sup>.

٦ - المتبع لحكم القرآن، متبع للحق المنزل من الرحمن، وبهذا الإتياع يكفر الله سيئات الإنسان، ويصلح شأنه ويكون بأمان، ومن لم يتبعه فهو متبع للباطل وللشيطان: قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾<sup>١</sup> وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ [محمد: ١-٣].

٧ - أخبر الله تعالى أن المعرضين عن اتباع أحكام القرآن، هم الكفار والمنافقون، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١] وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤] أي إذا دُعِيَ الكفار والمنافقون إلى دين الله، وشرعه وما أوجبه، وترك ما حرمه، قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق، والمسالك، والأوضاع المخالفة لشرع الله <sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُتَنَفِّقِينَ يُصُدُّونَ عَنْكَ

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب/العقوبات، ح(٤٠١٩)، ولفظه: [يا معشر المهاجرين! خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركونهن: ...، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا بما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم]، قال الشيخ الألباني: «صحيح» وقال: «أليس هذا من أعلام نبوته ﷺ الدالة على صدقه، وأنه وحي من ربه، بلى وربي». صحيح الترغيب والترهيب ١/٤٦٨، ح(٧٦٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/١٠٨.

صُدُودًا ﴿النساء: ٦١﴾ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «هذا إنكار من الله تعالى على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله، وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله، وسنة رسوله» ثم ذكر سبب النزول، وقال بعده: «والآية أعم من ذلك كله، فإنها دامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هنا» <sup>(١)</sup>.

وقال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿النور: ٤٧-٤٨﴾، وقال: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿النساء: ٦٥﴾ فأقسم تعالى بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، وما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهرا وباطنا <sup>(٣)</sup>.

فهذه الآيات الكثيرة آيات محكمة صريحة، مبينة، فيها عبرة، وعظة، لو تفكر متفكر، وتأمل متأمل، فالله وعد المذنبين به خيرا، وأوعد المخالفين له نكالا <sup>(٤)</sup>، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٥)</sup> قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿يونس: ٥٨-٥٩﴾ وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤].

والله أسأل أن يوفق ولاية أمر المسلمين، لتحكيم شرع الله المبين، وأن يجعلنا جميعا للحق مذعنين، وبه فرحين، وهذه الآيات فيها حث على الحكم بالمنزل، والتقرب إلى الله بذلك، ومن وسائل التقرب إلى الله تعالى بالقرآن الكريم، التقرب إليه بالاستشفاء به، وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥١٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٢٠.

(٣) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين للشيخ أحمد محمد شاكر ص ١٥.

### المطلب الثالث: التعبد بالتداوي به، ودفع الضر به.

التداوي المقصود به طلب الاستشفاء بالقرآن الكريم، وأما كيف يكون التداوي بالقرآن الكريم عبادة؟ وكم يدفع الله عن العبد به من الضر؟؛ فهذا الأمر يتضح بأوجه:

أ - أن التداوي بالقرآن الكريم مشتمل على القراءة، وقراءة القرآن في حد ذاته عبادة، وكونه قد نوى أمراً آخر زائداً على القراءة لا يفسد أجر القراءة، لكونه نوى أمراً مشروعاً<sup>(١)</sup>.

ب - أن الله أخبر أن القرآن شفاء فمن اتخذ علاجاً ودواءً، فقد امتثل الخبر، وصدق ما جاء في الأثر، والعبادة هو امتثال الأمر، واجتناب النهي.

ت - أن التداوي بالقرآن الكريم لا بد فيه من إيمان صادق، ويقين تام، مع تضرع وخشوع، وخضوع، وذلة، وسؤال الله تعالى أن يشفي المريض، فهذه كلها عبادات مستقلة فكيف إذا اجتمعن؟ لا شك ولا ريب أنها تكون حينئذ عبادة عظيمة، وقربة كبيرة إلى المولى ﷻ.

ث - أن التداوي بالقرآن الكريم من باب الدعاء، ومن باب سؤال الله ﷻ بما جاء في كتابه من الأدعية المشروعة، والأذكار المأثورة، فكان ذلك التداوي عبادة، فالتعبد بالتداوي بالقرآن لأن «الله أخبر عنه بأنه هدى وشفاء، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى...، من باب المندوب إليه، المرغب فيه»<sup>(٢)</sup>.

ج - ومما يدل على أن القرآن يتعبد بالتداوي به، قول الله ﷻ:

﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا

(١) ويشهد لهذا قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] فالحج عبادة لا يفسدها طلب الرزق وهو مباح.

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الوهاب ص ٢١٣.



حَسَارًا ﴿[الإسراء: ٨٢] و(من) هنا لبيان الجنس، فإن القرآن كله شفاء<sup>(١)</sup>، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤] فالحكم العام أن القرآن شفاء للأدواء.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] وكونه شفاء لما في الصدور لا يعني التخصيص فإن «ذكر بعض أفراد العام الموافق له في الحكم لا يقتضي التخصيص، عند الجمهور»<sup>(٢)</sup>؛ فلا شك ولا ريب أن العلاج بالقرآن الكريم، وبما ثبت عن النبي الكريم ﷺ هو علاج نافع، ودواء ناجع، والقرآن شفاء تام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة.

وليس كل أحد مؤهل للاستشفاء بالقرآن، لكن إذا أحسن العليل التداوي به، وعالج به مرضه، بصدق وإيمان<sup>(٣)</sup>، وقبول وإذعان، واعتقاد جازم من غير ريب ولا نكران، لم يقاومه الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء، الذي لو نزل على الأرض الصلب لقطعها، ولو نزل على الجبال الصم لصدها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِيَ بِهِ الْمَوْتُ ۚ بَلْ لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١] والمعنى: لو أن كتاباً سارت يانزاله الجبال، أو تصدعت به الأرض، أو خوطبت به الأموات فأحيوا بتلاوته، لكان هذا القرآن «لكونه غاية في الهداية، والتذكير، ونهاية في الإنذار، والتخويف، وعلى هذا التقدير فالقصد بيان عظم شأن القرآن»<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٣٥٢، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ٤، محاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٦١٧.

(٢) المدخل لابن بدران ص ١٢٠، وانظر: نيل الأوطار ١/ ٤٠٦.

(٣) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ١٣.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٤٥٠، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٥١٥.

وَذَكَرَ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿[العنكبوت: ٥١].

قال ابن القيم رحمه الله: «فمن لم يشفه القرآن، فلا شفاؤه الله، ومن لم يكفه فلا كفاؤه الله»<sup>(١)</sup>، ولا ريب أن القرآن طب القلوب، وشفاء الصدور، وأنه أرشد إلى ما يصلح الأبدان، وإلى أصول طبها وقواعده، ومن ذلك: حفظ الصحة، والحماية عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة المؤذية، ولو أحسن العبد التداوي بالقرآن لرأى لذلك تأثيرا عجيبا<sup>(٢)</sup>، و«الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو الطب الروحاني، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى، فلما عز هذا النوع فرع الناس إلى الطب الجسماني»<sup>(٣)</sup>.

ومما أرشد إليه القرآن الكريم دعاء الرب العظيم، الذي يشفي من الأسقام، ويحيب المضطرين من الأنام، وهذا أسلوب قرآني، ينبغي الاعتناء به على وجه جلي، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِي﴾ [الشعراء: ٨٠]<sup>(٤)</sup>، وما أكثر الأدعية النافعة في القرآن الكريم حتى كأن لكل شخص عليل ما يناسبه من الدعاء الناجع الكثير، ومن ذلك الدعاء بالذرية الصالحة، قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٥-٢٦]، ولمن يضيق صدره حرجا أن يقول: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ تَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨] وهكذا فما أعظم أن يدعو الإنسان بما علمه إياه الرحمن، فيجد حاجته في الآن،

(١) زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٣٥٢، وما سبق من الكلام فهو مقتبس من كلامه رحمه الله.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٣٦، محاسن التأويل للقاسمي ٢/ ٦١٧-٦١٩.

(٣) الفتح ١٠/ ٢٠٧ من كلام ابن التين رحمه الله.

(٤) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ٧-٨.

والاستجابة من غير توان، بإذن الله الواحد الديان.

قال العلامة ابن القيم رحمته الله: «والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه، ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذ نزل، وهو سلاح المؤمن...، وله مع البلاء ثلاث مقامات:

إحداها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثانية: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفا.

الثالثة: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه»<sup>(١)</sup>.

وليعلم أن التعبد بالتداوي بالقرآن الكريم أمر شرعه الله ﷻ، وشرعه رسوله ﷺ، ولكن التداوي بالقرآن الكريم له جهتان:

الأولى: جهة التعبد؛ فمجرد قراءة القرآن عبادة، فكيف إن كان بتدبر وخشوع ويقين، وهذا لا بد من ملاحظته حتى حال التداوي به، مع مراعاة صحة وسيلته وجوازه شرعا، فلا يجوز التداوي به بطرق لم يُشرع كتعليقه مثلا.

الثانية: جهة التداوي؛ وهذه من الأمور المباحة، المتعلقة بالمعاملات والعادات، كحال الأطباء، فيجوز له أن يقصد آيات معينة، ويقدر معين حسب ما يرى أنه يشفي ويكفي، خصوصا أن النبي ﷺ قال: [اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك]<sup>(٢)</sup>.

فدل هذا على جواز الرقية بالقرآن وغيره بشرط عدم الإتيان بالشرك، وكونه ليس بمحرم، وكون الوسيلة المستخدمة مباحة<sup>(٣)</sup>.

(١) الجواب الكافي ص ٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب/ لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، ح (٢٢٠٠).

(٣) انظر: شرح معاني الآثار للطحاوي ٣٢٩/٤، الفتح ٢٠٦/١٠، وقال ابن حجر (الفتح ٢٢٤/١٠) في بيان من كره الرقية الشرعية: «وأما الرقية فتمسك بهذا الحديث من كره الرقى والكي من بين سائر

فإذا ثبت أن القرآن يستشفى به، فإني أذكر بعض الطرق الشرعية للاستشفاء بالقرآن الكريم زيادة على ما مضى:

#### ١ - التعبد بالرقية بالقرآن الكريم:

الرُّقِيَّةُ: الرء والقاف والحرف المعتل، وجمعه (الرُّقَى)، يقال: (رَقَى) بالفتح في الماضي، (يَرُقِي) بالكسر في المستقبل، و(رَقِيت) بالكسر (أُرْقِيه)، إذا قرأت عليه، و(استرقى) طلب الرقية، وهي المعروفة بالقراءة على المريض والنفس عليه، ومن معانيها العَوْدَةُ يُتَعَوَّذُ بها، وتسمى العزائم<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن تعرّف الرقية الشرعية بأنها: قراءة شيء من القرآن أو الأدعية الصحيحة على المريض بقصد طلب الشفاء له<sup>(٢)</sup>.

#### ومما يدل على جواز الرقية بالقرآن:

١ - حديث عائشة رضي الله عنها: [أن رسول الله ﷺ دخل عليها، وامرأة تعالجها أو ترقها، فقال: عاجلها بكتاب الله]<sup>(٣)</sup>. قال العلامة الألباني رحمته الله: «في الحديث مشروعية الرقية بكتاب الله تعالى ونحوه مما ثبت عن النبي ﷺ من الرقى...، وأما غير ذلك من الرقى فلا تشريع، لاسيما ما كان منها مكتوبا بالحروف المقطعة، والرموز المغلقة، التي ليس لها معنى سليم ظاهر»<sup>(٤)</sup>.

الأدوية»، فانظر يا رعاك الله كيف جعل الرقية من باب الأدوية مما يدل على صحة ما ذكرت، وقال الإمام عبد العزيز ابن باز رحمته الله: «إن التداوي بالقرآن الكريم والسدر ونحوه، من الأدوية المباحة ليس من باب البدع، بل هو من باب التداوي...، وبهذا يعلم أن التداوي بالسدر، وبالقراءة في الماء... ليس فيه محذور من جهة الشرع، إذا كانت القراءة سليمة، وكان الدواء مباحا، والله ولي التوفيق». فتاوى وتنبيهات لابن باز ص ٢٥٦.

(١) انظر: مقاييس اللغة ص ٤١٦-٤١٧، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/ ٢٥٤، تيسير

العزیز الحمید ص ١٦٥، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٢.

(٢) انظر: الفتح ٤/ ٤٥٣، معجم ألفاظ العقيدة لعامر فالح ص ١٩٨.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان (٦٠٦٦)، وانظر: موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان

للهيثم ص ٣٤٣-٣٤٤ ح (١٤١٩)، وقال الألباني في الصحيحة ح (١٩٣١): «صحيح».

(٤) السلسلة الصحيحة ٤/ ٥٦٦.

ويحتمل أن يكون المعنى كما قال أبو حاتم: «أراد: عاجليها بما يبيحه كتاب الله، لأن القوم كانوا يرقون في الجاهلية بأشياء فيها شرك، فجرهم بهذه اللفظة عن الرقى إلا بما يبيحه كتاب الله دون ما يكون شركاً»<sup>(١)</sup>. وهذا أبين لأنه موافق لقوله ﷺ: [لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك].

٢ - حديث عائشة ؓ: [أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه - في المرض الذي مات فيه - بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيده نفسه لبركتها]<sup>(٢)</sup>.

٣ - حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه [أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك، إذ لدغ سيد أولئك. فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً؛ فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء، فجعل يقرأ بأمر القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ، فأثوا بالشاء، فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ، فسألوه، فضحك، وقال: وما أدراك أنها رقية؟ خذوها، واضربوا لي بسهم]<sup>(٣)</sup>.

ويستفاد من الحديث أن الرقية وإن كان فيها جهة تعبد وهي ثبوت وسيلة استعماله التي هي القراءة، إلا أن فيها جهة التداوي ألا ترى أنه اشترط الأجر في الرقية بالقرآن<sup>(٤)</sup>، ولا يجوز اشتراط الأجر بالقراءة المجردة، وإنما جاز أخذ الأجرة على القراءة للرقية، لكونها من أمور المعاملات، المتعلقة بأحوال الناس وعاداتهم، ولهذا قال الإمام البخاري رحمه الله: «باب: الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب»<sup>(٥)</sup>، وفي صحيح

(١) انظر: الإحسان ٧/ ٦٣٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب/ الرقى بالقرآن والمعوذات، ح (٥٧٣٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب/ الرقى بفاتحة الكتاب، ح (٥٧٣٦)، ومسلم، كتاب السلام، باب/ جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن، ح (٢٢٠١).

(٤) وفي أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن الكريم خلاف مشهور، فالجمهور على جوازه لكونه ورد به الأدلة الصحيحة الصريحة، ولكونه من باب التطبيب، وقال قوم، يجوز إذا لم يشترط، وقال الحنفية بعدم الجواز لكونه قراءة محضة وهي عبادة؟. انظر: الفتح ٤/ ٤٥٣، ١٠/ ٢٠٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الطب، ص ١٢٣١.

مسلم: «باب: جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار»<sup>(١)</sup>.

٤ - حديث جابر رضي الله عنه قال: [أنهى رسول الله ﷺ عن الرقي، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقي، قال: فعرضوها عليه، فقال: ما أرى بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل]<sup>(٢)</sup>.

وقد أجمع العلماء على أن الرقية جائزة بثلاثة شروط:

الأول: أن تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته، أو بكلام رسوله ﷺ.

الثاني: أن تكون باللسان العربي، أو بما يُعرف معناه من غيره.

الثالث: أن يُعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بقدرة الله تعالى، وأن الرقية سبب من الأسباب<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخ حافظ حكيم رحمته الله:

ثم الرقى من حمة أو عين فإن تكن من خالص الوحيين

فذاك من هدي النبي وشرعته وذاك لا اختلاف في سنته<sup>(٤)</sup>

قال رحمته الله في شرح هذه الآيات: «فإن تكن أي: الرقى، من خالص الوحيين، الكتاب والسنة...، من الوحي الخالص، بأن لا يدخل فيه غيره من شعوزة المشعوذين، ولا يكون بغير اللغة العربية، بل يتلو الآيات على وجهها، والأحاديث كما رويت، وعلى

(١) صحيح مسلم، كتاب السلام، ص ٩٠٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الطب، باب/ استحباب الرقية من العين...، ح (٢١٩٩).

(٣) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ١٩٠/٢، المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث لأبي موسى الأصفهاني ٧٩٢/١، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/٢٥٥، الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي ٢٧٤/١، فتح الباري ٢٠٦/١٠ - ٢٠٧، أحكام العزائم والرقى لعبد الرحمن بن سليمان الأهدل اليمني ص ٤٤-٤٥، تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ١٦٥-١٦٦، معارج القبول للشيخ حافظ حكيم ٢/٦٣٧.

(٤) سلم الوصول ص ٢٨-٢٩.

ما تُلقِيت عن النبي ﷺ بلا همز، ولا رمز،... فالرقى من الكتاب والسنة هو من هدي النبي ﷺ الذي كان عليه هو وأصحابه، والتابعون بإحسان،... و- هذا القدر من الرقية - لا اختلاف في سنتها، بين أهل العلم، إذ قد ثبت ذلك من فعل النبي ﷺ وقوله، وتقريره، فراقه جبريل عليه السلام، ورقى هو ﷺ أصحابه، وأمر بها، وأقر عليها<sup>(١)</sup>.

وأما كيفية الرقية الشرعية، فالذي يظهر - والله تعالى أعلم - أن الأمر فيها واسع مادام أنها من باب التطب، إذا ثبت أصل مشروعيتها وهو الرقية، وثبتت صحة وسيلة هذا التطب وهي قراءة شيء من القرآن الكريم.

وأذكر باختصار بعض الصور الواردة في الرقية الشرعية، ومنها:

أ- الرقية وحدها، بقراءة شيء من القرآن الكريم، أو ما ورد شرعاً، أو صح معنى<sup>(٢)</sup>.

ب- النفث<sup>(٣)</sup> مع الرقية، ويدل لهذه الصورة قول عائشة رضي الله عنها: [أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]<sup>(٤)</sup> ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات]<sup>(٥)</sup>.

ج- التفل<sup>(٦)</sup> مع الرقية؛ ويستدل لهذه الكيفية بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة اللدغ، وفيه: [فانطلق فجعل يتفل ويقرأ الحمد لله رب العالمين] وأقره الرسول ﷺ

(١) معارج القبول ٢/ ٦٣٠.

(٢) انظر: رقية النبي ﷺ في صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب/ دعاء العائد للمريض، ح (٥٦٧٥)، وباب/ رقية النبي ﷺ، ح (٥٧٤٢) وليس فيها أي شيء غير الرقية.

(٣) النفث: نفخ يسير مع نزر ريق، وهو دون التفل، وقيل: النفث ما كان فيه نفخ بلا ريق. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥/ ٨٨، المصباح المنير للفيومي ص ٦١٥.

(٤) المراد أنه ﷺ قرأ السور الثلاث كاملة وإنما هذا من باب تسمية السورة ببعض آياتها.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل المعوذات، ح (٥٠١٧).

(٦) التفل: نفخ مع ريق، وهو شبيه بالبزاق وأقل منه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير

١/ ١٩٢، والمصباح المنير ص ٧٦.

على هذا، وفي رواية لمسلم: [فجعل يقرأ أم القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ الرجل] <sup>(١)</sup>.

د - خلط بعض التراب مع الريق في الرقية <sup>(٢)</sup>، وهذا ورد في القروح والجروح ونحوه، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال: [بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، ليُشفَى به سقيمنا بإذن ربنا] <sup>(٣)</sup>.

هـ - الرقية مع مسح الجسد باليد: وذلك بأن يضع يده على محل الوجع، أو أن يمسح بيديه على جسده <sup>(٤)</sup>، كما جاء ذلك مصرحاً في حديث عائشة رضي الله عنها: [أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] <sup>(٥)</sup> ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات]. وعن عائشة رضي الله عنها: [أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى...] <sup>(٦)</sup>.

و - الرقية في الماء ثم شربه أو استعماله؛ بأن يقرأ في إناء به ماء، وينث فيه، ثم يغتسل به المريض، أو يصب عليه، أو يشربه، أو يمسح به، ويستدل لهذا بما جاء عن علي رضي الله عنه قال: [لدغت النبي ﷺ عقرب وهو يصلي، فلما فرغ، قال: [لعن الله العقرب، لا تدع مصلياً ولا غيره، ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب/ جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، ح (٢٢٠١).

(٢) وهو أن ينث على الإصبع شيء من الريق ثم يأخذ به شيء من التراب ويمسح به على الموضع. انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٤/ ١٨٣-١٨٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب/ رقية النبي ﷺ، ح (٥٧٤٥)، ومسلم واللفظ له، كتاب السلام، باب/ استحباب الرقية من العين...، ح (٢١٩٤).

(٤) انظر: الفتح ١٠/ ٢٠٧.

(٥) المراد أنه ﷺ قرأ السور الثلاث كاملة وإنما هذا من باب تسمية السورة ببعض آياتها.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب/ مسح الراقي الوجع بيده اليمنى، ح (٥٧٥٠)، ومسلم، كتاب السلام، باب/ استحباب رقية المريض، ح (٢١٩١).



النَّاسِ [١] (١) [٢].

وجاء عن النبي ﷺ [أنه دخل على ثابت بن قيس<sup>(٣)</sup> وهو مريض، فقال: اكشف البأس، رب الناس، عن ثابت بن قيس بن شماس] ثم أخذ ترابا من بطحان فجعله في قده، ثم نفث عليه بماء، وصبه عليه<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: «مبيننا كيفية تداويه بالقرآن الكريم: «لقد مرّ بي وقت في مكة سقمت فيه، ولا أجد طبيبا، ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرا عجيبا، أخذ شربة من ماء زمزم وأقرأ عليها مرارا، ثم أشربه فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفع به غاية الانتفاع، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي الماء، فكان كثير منهم يبرأ سريعا»<sup>(٥)</sup>.

وقال العلامة ابن باز رحمه الله: «التداوي بالقرآن الكريم والسدر ونحوه من

(١) المراد أنه ﷺ قرأ السور الثلاث كاملة وإنما هذا من باب تسمية السورة ببعض آياتها.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الصلاة، باب/ ما جاء في قتل الحية والعقرب في الصلاة، ح (١٢٤٦) بدون ذكر الماء والملح، من رواية عائشة رضي الله عنها، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، واللفظ له ٢٣/٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١١/٥: «رواه الطبراني وإسناده حسن»، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الطب، باب/ في رقية العقرب ما هي؟، ح (٢٣٥٣)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، ح (٥٤٨).

(٣) هو: ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار، قتل في غزوة اليمامة رحمه الله. انظر: الإصابة ١/ ١٩٥.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب/ ما جاء في الرقى، ح (٣٨٨٥)، ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة باب/ بأي اليدين يمسح المريض؟، ح (٦٠٣٧)، ورواه مرسلا، ح (١٠١٨) وقال محققه: «إسناده حسن»، وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان، كتاب الطب، باب/ ذكر الخبر المدحض قول، ح (٦٠٣٧)، وانظر: موارد الظمان للهيتمي، كتاب الطب، باب/ في الرقى، ح (١٤١٨)، وذكره الحافظ في الفتح وسكت عنه، وقال الشيخ ابن باز: «ثبت في سنن أبي داود» كما في فتاوى وتبيهاات لابن باز ص ٢١٥، واستشهد به الألباني في السلسلة الصحيحة، ح (١٥٢٦)، وضعف سنده في ضعيف أبي داود، ح (٣٨٨٥) ص ٣١٢، والحديث لو فرض ضعف سنده إلا أن له شواهد، فمن حيث الدعاء الذي في أوله فله شواهد كثيرة، ومن حيث النفث في الماء فالذي قبله يشهد له، ولم يبق إلا لفظة [قيس بن شماس] وهو ليس مقصودا لذاته، وأما موضع الاحتجاج من الحديث فثابت بشواهد - والله تعالى أعلم -.

(٥) زاد المعاد ٤/ ١٧٨، وانظر: مدارج السالكين ١/ ٦٩.

الأدوية المباحة ليس من باب البدع، بل هو من باب التداوي....، وبهذا يعلم أن التداوي بالسدر، وبالقراءة في الماء وصبه على المريض ليس فيه محذور من جهة الشرع، إذا كانت القراءة سليمة، والدواء مباحا، والله ولي التوفيق»<sup>(١)</sup>.

ز - كتابة بعض الآيات من القرآن بالمداد ثم محوها وشربها وغسل البدن بها: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: [إذا عسر على المرأة ولادتها فيكتب هاتين الآيتين والكلمات في صفحة، ثم تغسل فتسقى منها: بسم الله، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَتُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَتُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]]<sup>(٢)</sup>.

وسئل الإمام أحمد عن الرجل يكتب القرآن في شيء ثم يغسله ويشربه؟ قال: أرجو أن لا يكون به بأس<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ويجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيء من كتاب الله وذكره بالمداد المباح، ويغسل ويسقى، كما نص على ذلك أحمد وغيره...»<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن القيم رحمته الله: «ورخص جماعة من السلف في كتابة بعض القرآن، وشربه، وجعل ذلك من الشفاء الذي جعل الله فيه»<sup>(٥)</sup>.

(١) فتاوى وتنبهات لابن باز ص ٢٥٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الطب، باب/ الرخصة في القرآن يكتب لمن سقاه، ح (٢٣٥٠٨)، وأورده البغوي بصيغة التمريض في شرح السنة ١٢/١٦٦، وقد استشهد به الإمام أحمد وابن القيم وغيرهما كما في زاد المعاد ٤/٣٥٧، والحديث رجاله كلهم ثقات، إلا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى<sup>١</sup> فمتكلم فيه من قبل حفظه، وخصوصا في روايته عن عطاء، وهذه الرواية ليست عن عطاء بل هي نازلة الإسناد. انظر: شرح علل الترمذي لابن رجب ١/١٢٩-١٣٤، تقريب التهذيب ص ٤٢٧.

(٣) مسائل الإمام أحمد لأبي داود ص ٢٦٠.

(٤) المجموع ١٩/٦٤ وما بعدها، وانظر: ١٢/٥٩٩.

(٥) زاد المعاد ٤/٣٥٨-٣٥٩.

وغسالة الألواح التي يكتب فيها القرآن « كان من قبلنا من السلف منهم من يستشفي بغسالته »<sup>(١)</sup>. وما دامت الرقية من باب التطيب فلا محذور في هذه الصورة شرعا - والله تعالى أعلم - خصوصا بعد علمنا أن قراءته مشروعة للتطيب، وكتابته مشروعة مطلقا، وشرب الماء للاستشفاء مشروع، والاغتسال به مشروع، فلا دليل على المنع، والله أعلم بالصواب.

والرقية وإن كانت جائزة إلا أن طلبها خلاف الأولى، وخلاف الكمال<sup>(٢)</sup>، ويدل لهذا قول النبي ﷺ [سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب]، قالوا: من هم يا رسول الله! قال: [هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتون، وعلى ربهم يتوكلون]<sup>(٣)</sup>.

وليس النفي واقعا على الرقية نفسها لأن منها ما هو جائز - كما سبق بالشروط المذكورة -، ولكن النفي وقع على طلب الرقية، وأنه ليس من صفات الكمال من الرجال، والمتوكلين حقا على الرب المتعال<sup>(٤)</sup>.

وأما إذا كانت الرقية مشتملة على شركيات، أو طلاسم لا نعرف معانيها، أو اعتقاد أنها تنفع وتضر بذاتها، فهذا محرم، وقد تكون الطلاسم شركا ولا يدري الراقي، وكذلك لا يجوز الرقية بالقرآن وغيره من الطلاسم مجموعا، فهذا خلط للحق بالباطل، فيمنع منه، و« تلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزم »<sup>(٥)</sup> وغيره ممن يدعي تسخير الجن له، فيأتي بأمور مشبهة مركبة من حق وباطل، يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم، والتعوذ بمردتهم<sup>(٦)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣/١، وانظر: أحكام العزائم والرقى لعبد الرحمن الأهدل ص ٤٧.

(٢) انظر: الفتح ١٠/٢٢٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب/ من لم يرق، ح (٥٧٥٢) ومسلم، كتاب الإيمان، باب/ الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ح (٢١٨) عن ابن عباس ؓ.

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ١٠٨-١٠٩.

(٥) المعزم هو: الراقي.

(٦) الفتح ١٠/٢٠٧ من كلام ابن التين ؓ، وانظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد

ابن عبد الوهاب ص ١٠٨-١٠٩.

وعلى هذا يحمل ما جاء من النهي عن الرقى على وجه العموم، وأنه مخصوص منه الرقية الشرعية التي توفرت فيها الشروط المرعية.

ومن الأحاديث الدالة على النهي عن الرقية - أي إذا كانت غير شرعية - قوله ﷺ: [إن الرقى والتائم والتولة<sup>(١)</sup> شرك]<sup>(٢)</sup>.

وقال عوف بن مالك الأشجعي<sup>(٣)</sup> ﷺ: كنا نرقى في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك! فقال: [اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك]<sup>(٤)</sup>.

وهذا الحديث فيه التصريح بأن الأصل في الرقى الجواز، وأنه من قبيل الطب، فما كان منه نافعا، وليس فيه محذور شرعي فهو جائز - والله تعالى أعلم -، ولهذا لما ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام بعض الأحاديث التي تدل على النهي بالاستشفاء بالقرآن، قال: «وقد جاءت أحاديث بالاستشفاء بالقرآن، والتماس بركته هي أعلى من هذه الأحاديث»<sup>(٥)</sup>.

فالرقية بالقرآن الكريم من المنافع العظيمة، والعبادات الجليلة التي يمكن أن يقوم بها المرء، فيرقى نفسه، ويفيد غيره، ومن ذلك قراءة المعوذات، والفاطحة، وغير

(١) وفي رواية الحاكم زيادة: «وما التولية، قال: هو الذي يهيج الرجال» ٤/ ٤١٧ ح (٨٢٩٠) وفي ٤/ ٢١٧ ح (٧٥٠٤) قالوا: «وما التولية يا أبا عبد الرحمن؟ قال: التولية ما يهيج النساء» وهذا يؤكد أن التولية شيء يصنع لتحبيب الرجل إلى زوجته أو العكس. انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ١٦٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ح (٣٦١٥) / ١ / ٣٨١، وأبو داود في سننه، كتاب الطب، باب/ في تعليق التائم، ح (٣٨٨٣)، وابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب/ تعليق التائم، ح (٣٥٣٠)، والحاكم في مستدركه، كتاب الرقى والتائم، ح (٨٢٩٠) وقال: «حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، كما في التلخيص، وذكره الحافظ ابن حجر وذكر تصحيح الحاكم وسكت عليه، كما في الفتح ١٠/ ٢٠٦، وقال الشيخ الألباني في الحديث: «صحيح»، كما في صحيح سنن أبي داود ٢/ ٤٦٨، ح (٣٨٨٣)، وقال الشيخ ابن باز: «لا بأس بإسناده» كما في فتاوى وتنبهات ص ٢١٥.

(٣) هو: عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي ﷺ أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو محمد شهد الفتح، وكان معه راية أشجع، أخى النبي بينه وبين أبي الدرداء، توفي ٧٣ هـ. انظر: الإصابة ٣/ ٤٣.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب/ لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، ح (٢٢٠٠).

(٥) فضائل القرآن، ص ٢٣١.

ذلك، ولا يلزم قراءة شيء من هذا بعدد معين، وإنما هو بحسب الوسع، وبحسب ما علم به من النفع، والأصل قد ورد جوازه، وأما العدد فهو من باب التطبب فيدخل فيما يظنه الراقي أنه يكفي ويشفي، وقد أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالرقية عموماً، ولم يقيد بعدد معين جميع الرقي، ولا بسورة معينة، وما ورد من تعيين بعض السُور فإنما هو من قبيل بعض صور العام، ولا يعني ذلك التخصيص، - والله تعالى أعلم -.

٢ - وما أرشد إليه القرآن الكريم؛ مما يمكن أن يتعبد به وجعله وسيلة لدفع الضر من الوقوع، أو رفعه بعد الوقوع المحافظة على الأذكار:

ومن ذلك التحصن بأذكار الصباح والمساء، قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]، وقال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥] والبكرة والإبكار: الصباح، وأول النهار، والأصيل والعشي: من العصر إلى المغرب أي آخر النهار<sup>(١)</sup>، وقيل من الظهر إلى المغرب<sup>(٢)</sup>.

وورد عن النبي الكريم ﷺ أذكار بعد الصلوات، وحين النوم فعن عائشة رضي الله عنها: [أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيها، فقرأ فيها ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]<sup>(٣)</sup>، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات].

وقصة أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان معروفة، إذ قال له: [إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]<sup>(٤)</sup> حتى تختتمها، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ:

(١) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني ص ٦٧-٦٨، ٣٣٨، لسان العرب لابن منظور ١١/١٧، ٤/٧٨، ١٥/٦٠.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٢٤٢.

(٣) المراد أنه ﷺ قرأ السور الثلاث كاملة وإنما هذا من باب تسمية السورة ببعض آياتها.

(٤) المراد قراءتها إلى آخر الآية.

صدقك وهو كذوب»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ : [الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بها في ليلة كفتاه]<sup>(٢)</sup>.  
فالمحافظة على الأوراد، سبب للحفاظ من الشرور والحساد، «ولكن ههنا أمر ينبغي التفتن له، وهو أن الأذكار والآيات، أو الأدعية التي يستشفى بها، ويرقى بها، هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل، وقوة همة الفاعل، وتأثيره. فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأدوية الحسية»<sup>(٣)</sup>.

والله أسأل أن يدخلنا جنته، وأن يكرمنا برؤيته، وأن يحفظنا من الآثام، ومن سيء الأسقام، والحمد لله القدوس السلام.

٣- وما يستشفى به، ويتعبد به لله تعالى، وأرشد وهدى إليه القرآن الكريم:  
امتنال أوامره، واجتناب نواهيه؛ فإن في ذلك حفظاً عظيماً للصحة، وإبعاداً للبدن والروح من الدنس والنجس، وما أمر الله بشيء إلا وفيه صلاح العبد، ولا نهى عن شيء إلا وفي فعله فساد العبد<sup>(٤)</sup>؛ فحرم لحم الخنزير؛ لأنه رجس، وأحل الطيبات حفاظاً على البدن، وهكذا، وما سبب كثير من الأمراض في الناس اليوم إلا بسبب بعدهم عن امتثال الأوامر، واجتناب النواهي - والله تعالى أعلم -.

٤- التائم من القرآن الكريم: وأما التائم<sup>(٥)</sup> من القرآن فاختلف فيها العلماء،

(١) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به، كتاب بدء الخلق، باب / صفة إبليس وجنوده، ح (٣٢٧٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب / من لم ير بأساً أن يقول: ...، ح (٥٠٤٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين...، باب / فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة...، ح (٨٠٧).

(٣) الجواب الكافي لابن القيم ص ٥.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٤ / ٢.

(٥) التائم: جمع (تَيْمَة) وهي: خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين في زعمهم، وسميت (تائم) لكونهم يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء، وكل ما علق بقصد طلب الشفاء فهو تيمة. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١ / ١٩٨، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٢، المعجم الوسيط ١ / ٨٩، معجم ألفاظ العقيدة لعامر فالح ص ٩٨. ولم يختلف العلماء على أن التائم من غير

والذي يدل عليه الكتاب والسنة، وعمل سلف الأمة، أنه لا يجوز أن يستشفى بالتائم من القرآن، وذلك لما يلي:

١- أن كتابة التائم من القرآن لم يثبت عن النبي ﷺ، ولو كان هذا سائغا شرعا، ونافعا كونا، لأرشد إليه المصطفى ﷺ<sup>(١)</sup>، وهو الرؤوف بأمته، المشفق على مريضهم، المهتم بأحوالهم ﷺ.

٢- أنه لم يثبت عن الخلفاء الراشدين، الذين أمرنا بالإقتداء بهم في الدين، ولم يثبت بطريق صحيح عن أصحابه الغر الميامين، ولا عن التابعين<sup>(٢)</sup>، قال التابعي الجليل إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي<sup>(٣)</sup> رحمه الله: «كانوا يكرهون التائم كلها من القرآن وغير القرآن»<sup>(٤)</sup>.

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم<sup>(٥)</sup> رحمه الله: «وليس في كتاب الله تعالى، ولا سنة رسوله ﷺ ما يدل على إجازة شيء من القرآن، ولا ثبت عن أحد من الصحابة المقتدى بهم تجويزه، ولا فعله، مع توفر الدواعي إليه»<sup>(٦)</sup>.

القرآن شرك، وإننا خلافهم في المعلق من القرآن الكريم، هل هو جائز أم لا؟ انظر: شرح السنة للبغيوي ١٢/١٥٨، الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي ١/٢٧٤، كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ص ٢٣، وقرة عيون الموحددين للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٥٩، فتاوى وتنبهات للشيخ ابن باز ص ٢١٤.

(١) انظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٦.

(٢) وسأذكر بعض ما ورد عنهم ولم يصح، في الفصل الثالث، من الباب الثاني، حين يستدل المجيزون بها، وهناك أبين عدم ثبوتها.

(٣) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي، من كبار التابعين، أخذ عن تلاميذ ابن مسعود وغيره، أخرج له أصحاب الكتب، مات سنة ٩٦ هـ. انظر: التقريب ص ٣٥.

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، باب/ الاسترقاء بالقرآن...، ح (٦٠)، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الطب، باب/ في تعليق التائم والرقى، ح (٢٣٤٦٧).

(٥) هو: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني، أبو عبد الله، الفقيه السلفي، من أعيان علماء نجد، وله مؤلفات في نصرته التوحيد، مثل: حاشية على كتاب التوحيد، وجمع فتاوى شيخ الإسلام، توفي سنة ١٣٩٢ هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٣/٣٣٦.

(٦) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٦.

٣ - أن النهي عام يشمل القرآن وغير القرآن، قال ﷺ: [من تعلق شيئا وكل إليه]<sup>(١)</sup>. فلفظ الإخبار عام، ولم يخص هذا العموم فيبقى حكم التائم على العموم، لعدم ورود دليل التخصيص<sup>(٢)</sup>، وقيل لعبد الله بن عكيم<sup>(٣)</sup> وهو مريض، لو تعلق شيئا؟ فقال: أتعلق شيئا؟! وقد قال رسول الله ﷺ: [من تعلق شيئا وكل إليه]. وهذا عام. وقال ﷺ: [من تعلق تيممة فقد أشرك]<sup>(٤)</sup>. ف«الصحابة الذين رووا الحديث فهموا العموم»<sup>(٥)</sup>، وفهمهم أولى من فهمنا، قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ﷺ: «النهي عام، وأما تخصيصه بغير تائم القرآن، فتخصيص بغير مخصص»<sup>(٦)</sup>.

٤ - لا شك أن منع التائم من القرآن وغيره<sup>(٧)</sup>، فيه سد لباب الذرائع، وهو باب عظيم معمول به في الشرع، وقد حمى النبي ﷺ جناب التوحيد، فمنع من الألفاظ الموهمة والمؤدية إلى الشرك، فكيف يجوز ما يكون ذريعة إلى الشرك؟ ووسيلة إليه؟.

قال الشيخ حافظ ﷺ: «ولا شك أن منع ذلك أسد لذريعة الاعتقاد المحذور، لا سيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة، والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال، فلا أن يكره في وقتنا هذا، وقت الفتن والمحن أولى وأجدر بذلك... ومن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ

(١) أخرجه أحمد في المسند، ح (١٨٩٨٨) ٤/ ٣١٠، ورواه الترمذي في جامعه، كتاب الطب، باب/ ما جاء في كراهية التعليق، ح (٢١٥٢)، والحاكم في مستدركه، كتاب الطب، ح (٧٥٠٣)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، وسكت عنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على المشكاة ح (٤٥٥٦)، ٢/ ١٢٨٥، وصححه في صحيح الترمذي ١٦٩١/ ٢.

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ابن عبد الوهاب ص ١٦٨.

(٣) هو المخضرم: عبد الله بن عكيم بالتصغير، أبو معبد الجهني الكوفي، سمع كتاب النبي ﷺ إلى جهينة، مات في إمرة الحجاج. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٣٦٨، معجم الصحابة للبغوي ٤/ ١٦٧، أسد الغاية في معرفة الصحابة ٣/ ٢٣٥، تقريب التهذيب ص ٢٥٦.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، ح (١٧٥٥٨)، ٤/ ١٥٦، والحاكم في مستدركه، كتاب الطب، ح (٧٥١٣)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، وذكره الشيخ الألباني في الصحيحة، ح (٤٩٢).

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ابن عبد الوهاب ص ١٦٨.

(٦) انظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٥.

(٧) انظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٦.



آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك، ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من اطلع على كتبهم...»<sup>(١)</sup>.

٥- أنه لم يشرع أصل هذه الوسيلة وهي الكتابة للتعليق، ولا بد حين الاستشفاء بالقرآن الكريم، ورود وسيلته عن النبي الكريم ﷺ، ولم يثبت عنه شيء، فلا يثبت تعليقه، وأما قياسه على الرقية، فلا يصح، لأنه قياس في مقابل نص عام، ولا يصح القياس مع النص<sup>(٢)</sup>، وأيضا لا يصح القياس في العبادات<sup>(٣)</sup>.

٦- أن في تعليق التهامن من القرآن الكريم فيه نوع إهانة، إذ يدخل المعلق مع المعلق من القرآن الكريم، إلى أماكن ينبغي صون القرآن منها، وقد يحملوه وهو على غير طهارة، وهذا فيه نوع امتهان ينبغي أن يرفع عنه القرآن<sup>(٤)</sup>، قال ابن عون<sup>(٥)</sup>: «كان إبراهيم<sup>(٦)</sup> يكره المعاذة للصبيان، ويقول: إنهم يدخلون به الخلاء»<sup>(٧)</sup>، وقال القرطبي رحمه الله: «ومن حرمة ألا يكتب التعاويذ منه، ثم يدخل به في الخلاء...»<sup>(٨)</sup>.

٧- في تعليق التهامن نوع تعلق بها، وقد سبق بيان بعض الأحاديث الدالة على أن من علق شيئا وكل إليه، وما هذا النهي إلا لأنه ينافي التوكل والإخلاص<sup>(٩)</sup>.

(١) معارج القبول ٢/ ٦٣٨-٦٣٩.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ابن عبد الوهاب ص ١٦٨.

(٣) انظر: بداية المجتهد لابن رشد ١/ ٤١٣.

(٤) انظر: فتاوى ابن الصلاح ص ٢٥١، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٦، فتاوى وتنبهات للشيخ ابن باز ص ٢١٤.

(٥) هو: عبد الله بن عون بن أرتبان، أبو عون البصري، ثقة ثبت فاضل، من أقران أيوب في العلم والعمل والسنن، أخرج له أصحاب الكتب، مات سنة ١٥٠ هـ. انظر: التقريب ص ٢٥٩.

(٦) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، من كبار التابعين، وقد سبق ذكر ترجمته.

(٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الطب، باب/ في تعليق التهامن والرقى، ح (٢٣٤٧٦).

(٨) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٥، ثم قال: «إلا أن يكون في غلاف من آدم أو فضة أو غيره، فيكون كأنه في صدرك» وهذا لا يخفى أنه قياس مع الفارق إذ ما كان في القلب فهو غير مكتوب بل هو محفوظ يستذكر، والمعلق مكتوب، ثم المعلق يمكن تركه، وما في الحفظ لا يمكن تركه، - فالله أعلم - أنه لا يدخل به الخلاء سواء كان في شيء أو من غير شيء، إذ وجود القرآن في شيء لا يخرج عنه قرآنيته، مادام أنه ظاهر.

(٩) انظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٦.

وبهذا تبين أن القرآن يتعبد به عند السلف بوسائل مختلفة منها قراءته وتدبره،  
وتعليمه وتعلمه، والتحاكم إليه، والتداوي به، وهذا القرآن الذي يتعبد به هو الموجود  
في مصاحف المسلمين، وهذا ما سيكون الحديث عنه في الفصل الرابع.

## إِلْفَضُّكَ الْإِسْلَامَ

بَيْنَ رُؤُوسِ الْفُقَرَاءِ الَّذِي هُوَ الْمَوْجُودُ فِي الْمَصْحَفِ

وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول: بيان المراد بالمصحف، وفيه ثلاثة مطالب.**

**المبحث الثاني: ما يخالف المصحف هل يقال عنه قرآن؟**

**المبحث الثالث: بيان منزلة الترجمة والتفسير من القرآن.**

**المبحث الرابع: وجوب تعظيم المصحف.**



## المبحث الأول: بيان المراد بالمصحف

### المطلب الأول: تعريف المصحف لغة واصطلاحاً.

قد بينت فيما مضى أن القرآن يتعبد به، وبصور شتى، ومنها قراءته وتلاوته، والتدبر فيه، وهذا الذي يؤجر المسلم على قراءته وتلاوته هو الموجود في المصحف، ولذا ينبغي علينا أن نعرف المصحف لغة واصطلاحاً، وأبين هذا في مسألتين:

#### المسألة الأولى: معنى المصحف لغة:

(المُصْحَف) بضم الميم وهو الأشهر، وفتحها، وكسرهما لغة فيه<sup>(١)</sup>، و(المُصْحَف) بالضم مُفْعَلٌ من الصُّحْف؛ أي جُعِلَتْ فيه الصحف، فهو من أَصْحَفَ إذا جمعت فيه الصحف، والصُّحُفُ والصحائف جمع صحيفة، وهي الأوراق المكتوبة<sup>(٢)</sup>، قال الله تعالى: ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٩] وقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ [البينة: ٢-٣] فالقرآن صحف مطهرة لأن فيها كتباً قيمة، زيادة لتضمنها ما في الكتب السابقة<sup>(٣)</sup>.

فالمصحف: الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين، كأنه أُصْحِفَ، والفتح لغة لبني تميم، والضم لغة قيس، والكسر لغة حكي فيه<sup>(٤)</sup>، و(المَصْحَف) بالفتح:

(١) انظر: المطالع للبعلي ص ٢٦، المصباح المنير ص ٣٣٤، القاموس المحيط ٢١٧/٣، مجمع بحار الأنوار ٢٩٩/٣.

(٢) انظر: المفردات للراغب ص ٢٧٩، طلبه الطلبة لأبي حفص عمر النسفي ص ١٤١، والقاموس المحيط

٢١٧/٣، مختار الصحاح ص ٣٥٧.

(٣) انظر: المفردات للراغب ص ٢٧٩، المجموع المغني ٢٥٤/٢.

(٤) انظر: لسان العرب ٢٩١/٧، الأوائل للعسكري ص ١٠٣.

موضع الصُّحف، و(المصحف) بالكسر: آلة الصُّحف<sup>(١)</sup>.  
و(المصحف) جمع مصاحف<sup>(٢)</sup>، وسميت آيات القرآن المكتوب في مكان مجموع بالمصحف، لأنه مجموع من الصحف في مجلد<sup>(٣)</sup>.

وأصل مادة (صحف) الصاد، والحاء، والفاء أصل صحيح يدل على انبساط في الشيء، وسعة، ووجه تسمية المصحف مصحفاً، ذلك لكونه مبسوطاً مكتوباً فيها الآيات كلها، مجموعة في سورها، محفوظة في ثناياها.

والتصحيف: قراءة المصحف وروايته على غير ما هو عليه لاشتباه حروفه، وقيل: تغيير اللفظ حتى يتغير المعنى المراد من الوضع<sup>(٤)</sup>.

ووردت لفظة الصحف في التنزيل، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [طه: ١٣٣] أي الكتب السابقة<sup>(٥)</sup>. وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [ص: ١٨-١٩] وقال: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٦-٣٧] أي: التوراة، وصحف إبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام<sup>(٦)</sup>، وقال: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ [مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ] [عبس: ١٣-١٤] أي صحف آيات التنزيل وسوره<sup>(٧)</sup>.

فالقرآن مكتوب مبسوط في هذه الأوراق المجموعة في صحف، وصار المصحف علماً عليه، هذا من الناحية اللغوية، وبيان وجه الاشتقاق، وأما معنى المصحف اصطلاحاً فأورده في المسألة الثانية.

(١) انظر: المجموع المغيث للأصفهاني ٢/ ٢٥٤.

(٢) انظر: المفردات للراغب ص ٢٧٩، المعجم الوسيط ١/ ٥٠٨.

(٣) انظر: المعجم الوسيط ١/ ٥٠٨، رحلة المصحف الشريف ص ٤٣.

(٤) انظر: التعاريف للمناوي ١/ ١٧٩.

(٥) محاسن التأويل للقاسمي ٥/ ١٣٥.

(٦) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٨/ ٧٨.

(٧) انظر: الإتيقان للسيوطي ١/ ١٤٤، محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٢٦٠.

## المسألة الثانية: معنى المصحف اصطلاحاً:

لمعرفة المراد بالمصحف عند المسلمين إذا أطلقوه، أورد بعض ما ذكره أهل العلم وأوردوه، ثم استخلص التعريف مما قالوه.

قال القاضي عياض: «المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول الفاتحة إلى آخر الناس، كلام الله تعالى، ووحيه المنزل على محمد ﷺ»<sup>(١)</sup>، وقيل: «المصحف الإمام؛ هو هذا المصحف الذي بين يدي المسلمين...، وعليه الاتفاق»<sup>(٢)</sup>، وقيل: «المصحف: هو اسم للمكتوب من كلام الله بين الدفتين»<sup>(٣)</sup>، وقيل: «المصحف: اسم للورق المكتوب فيه القرآن، فلا خفاء أنه يتناول الأوراق بجميع جوانبها، حتى ما فيها من البياض»<sup>(٤)</sup>، وقيل: «المصحف: الكتاب»<sup>(٥)</sup>، وقيل: «المصحف: المصحف التي ضمت القرآن الكريم»<sup>(٦)</sup>.

وبعد سرد بعض ما ذكره العلماء من تعريفات للمصحف، أستطيع أن أقول: إن المصحف إذا أطلق في العرف، وعلى الخصوص عند السلف الصالحين، فمرادهم بهذا الاصطلاح: كتاب الله المنزل على محمد ﷺ الموجود بين الدفتين، المفتحة بسورة الفاتحة، والمختمة بسورة الناس.

ولعل هذا التعريف يكون جامعاً ومانعاً؛

فبقيد (كتاب الله المنزل) خرج كتاب اللوح المحفوظ، وغيرها من كتب الله التي لم تُنزل، وبقيد (المنزل على محمد ﷺ) خرج المنزل على غيره، وبقيد (الموجود

(١) كشاف القناع ١/ ٤٣٣.

(٢) قواطع الأدلة للسمعاني ١/ ٣٦-٣٧.

(٣) الذف الجنب من كل شيء، والجمع دُفوف، كِفْلَس وفُلُوس، وقد يؤنث بالهاء، ومنه دفتا المصحف: للوجهين من الجانبين.

(٤) حواشي الشرواني ١/ ١٤٦.

(٥) حواشي البجيرمي ١/ ٤٧.

(٦) انظر: مجمع بحار الأنوار ٣/ ٢٩٩.

(٧) معجم لغة الفقهاء ص ٤٠٢.

بين الدفتين) خرج ما نسخ من القرآن الكريم، وإن كان منزلاً عليه ﷺ، وبقيد (المنزل الموجود) خرج ما ليس منزلاً موجوداً، كالحبر، والورق نفسه، فهذا وإن كان موجوداً إلا أنه غير منزل، ولا يقصدونه حين إطلاقهم لفظة المصحف، والدفتان والأوراق وإن كان فيها القرآن إلا أنه ليس هو القرآن، وهذا معلوم للعيان، ومشاهد لكل ذي لب فهان، وبقيد (المفتحة بسورة الفاتحة والمختمة بسورة الناس) خرج المكتوب من القرآن الكريم أجزاءً، كجزء عم، والأربعاء، فهي وإن كانت تسمى مصحفاً فهي بقيد كقولهم: العشرة الأجزاء الأخيرة من المصحف، أو الجزء الأخير من المصحف، والله أعلم بالصواب.

ولا يطلق المصحف إلا على المجموع المكتوب من كلام الله تعالى في موضع واحد، وأما القرآن، فيطلق على السورة الواحدة منه، بل على الآية الواحدة<sup>(١)</sup>، ويقال في المكتوب من كلام الله في فضاء وغيرها قرآن، لأن اسم المصحف لا يتناولها<sup>(٢)</sup>، فلا يقال عنها مصحف.

والمصحف إذا لم يكن فيه الآية أو الآيتين لا يخرج عن كونه مصحفاً، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله فيمن اشترى مصحفاً فوجده ينقص الآية أو الآيتين: «ليس هذا عيباً، ولا يخلو المصحف من هذا»<sup>(٣)</sup>.

والمصحف لفظ معروف في زمن الأصحاب، وعلم مشهور على كلام الله الموجود في الكتاب؛ ففي قصة المرأة التي أتت ابن مسعود، أنها قالت: [لقد قرأت ما بين لوحين المصحف]<sup>(٤)</sup>، والمراد: ما يجعل المصحف فيه، وكانوا يكتبون المصحف في

(١) انظر: الإحكام للآمدي ١/٦٣.

(٢) انظر: كشاف القناع ١/١٣٥.

(٣) الفروع لابن مفلح ٤/٧٩، ومراد الإمام أحمد رحمه الله أنه ما من كاتب إلا ويطرأ عليه الخطأ والنسيان، فيسقط منه الآي من غير قصد منه، ويعرف ذلك القراء والحفاظ من أمة محمد ﷺ، ولا يعني ذلك أنه حرف، ولا يعني ذلك أن المكتوب خرج من كونه مصحفاً - والله أعلم -.

(٤) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب/ تحريم فعل الواصلة...، ح(٢١٢٥).



الرّق، ويجعلون له دفتين من خشب<sup>(١)</sup>.

وعن علي عليه السلام: [أنه كره أن يكتب القرآن في المصاحف الصغار]<sup>(٢)</sup> وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: [أنه كره التعشير في المصحف]<sup>(٣)</sup>.

وأما تصغير المصحف كقول بعضهم: (مُصَيِّف) فهذا كرهه بعض السلف<sup>(٤)</sup>، وعن مجاهد: [أنه كره أن يقول: مُصَيِّف]<sup>(٥)</sup>.

وقيل لا يحرم لأن التصغير إنما هو من حيث الإطلاق على الخط، والورق، لا من حيث كونه كلام الله تعالى<sup>(٦)</sup>.

ووجه تسمية المصحف مصحفاً لأن القرآن كله مكتوب فيه بإتقان، من غير زيادة ولا نقصان، وجمعت الصحائف إلى بعضها كجمع الأجزاء إلى بعضها، ولهذا كان الرجل إذا أتقن شيئاً في الحفظ سموه مصحفاً<sup>(٧)</sup>.

وهل المصحف هو المكتوب فقط؟ أم هو المكتوب والمداد والورق؟

الذي يظهر أن لفظ "المصحف" مجمل، وأنه ينبغي التفصيل في مثل هذا، لأنه قد يطلق المصحف ويراد به المكتوب فقط، وهو الأشهر عرفاً، والأكثر استعمالاً، وهو المراد إذا قيل إن القرآن في المصحف مطلقاً، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «الواجب أن يطلق ما أطلقه الكتاب والسنة، كقوله تعالى... ﴿وَالطُّورِ﴾ وَكُتِبَ

(١) انظر: الفتح ٣٨٦/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب/ من كره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير، ح (٨٥٥٢)، وانظر: ح (٨٥٥٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب/ التعشير في المصحف، ح (٨٥٣٦)، وانظر: ح (٨٥٥٨).

(٤) انظر: حاشية الشرواني ١/١٤٦.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب/ من كره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير، ح (٨٥٥٧).

(٦) انظر: حواشي الشرواني ١/١٤٦، ويمكن الجمع بأن يقال: إن ذلك مكروه، ولا يحرم إذا قصد الورق وحجمها، ويحرم اتفاقاً إذا قصد المكتوب لأنه كلام الله تعالى.

(٧) السير ٧/١٦٦.

مَسْطُورٍ ﴿١﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴿٢﴾ [الطور: ١-٣] وقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٣﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٤﴾ [البينة: ٢-٣]...، فمن قال: القرآن في المصاحف والصدور فقد صدق، ومن قال فيها حفظه وكتابته فقد صدق، ومن قال: القرآن مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور فقد صدق، ومن قال: إن المداد أو الورق، أو صفة العبد، أو فعله، أو حفظه وصوته قديم، أو غير مخلوق فهو مخطئ ضال، ومن قال: إن ما في المصحف ليس هو كلام الله...، فهو أيضا مخطئ ضال...، وأما القرآن فهو نفسه مكتوب في المصاحف»<sup>(١)</sup>، وفي المغني<sup>(٢)</sup> أنه لو حلف بالمصحف فهو يمين، لأن الحالف إنما قصد المكتوب فيه وهو القرآن<sup>(٣)</sup>.

وقد يطلق المصحف ويراد به الأوراق المجموعة التي كتب فيها القرآن الكريم، فالمثبت في المصحف ينعقد به يمينه لأنه انصرف إلى المكتوب، وإن حلف بالمصحف ففيه نظر لأنه يشمل المكتوب وغيره<sup>(٤)</sup>.

والمصحف اسم للقرآن الكريم المنزل على النبي الكريم ﷺ فناسب الآن أن أذكر أسماء المصحف.

(١) المجموع ١٢ / ٥٦٤ - ٥٦٥.

(٢) ١٣ / ٤٦١.

(٣) وانظر: مغني المحتاج ٤ / ٣٢٢.

(٤) انظر: روضة الطالبين ٨ / ١٤.

## المطلب الثاني: ذكر أسماء المصحف.

ذكرت ما يدل على تسمية المصحف وأنه إذا أطلق فالمراد به كلام الله ﷻ المنزل على محمد ﷺ الموجود بين الدفتين، المبتدأ بالفاتحة، والمختتم بسورة الناس<sup>(١)</sup>، وعلى هذا فإن أسماء المصحف، أو أسماء ما هو موجود في المصحف كثيرة، وأوصافه أكثر.

وكثرة الأسماء الحسنة، والصفات الحميدة تدل على شرف هذا الكتاب، وعظمته، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى<sup>(٢)</sup>، وأيضا أسماء كلام الله الموجود في المصحف ليست من قبيل الأسماء الجامدة، بل هي من الأسماء المشتقة الدالة على المعاني الجميلة والجليلة، إذ الاسم الذي يدل على معنى، أكمل من الاسم الجامد الدال على مسماه، وهذه الأسماء في دلالتها على ما في المصحف من كلام الله ﷻ مترادفة، وفي دلالتها على المعاني الجميلة والصفات الحميدة للقرآن متباينة<sup>(٣)</sup>، وهنا أورد أسماء المصحف مع الدليل، والله أسأل التوفيق والسداد<sup>(٤)</sup>.

(١) وقد يطلق المصحف على غير القرآن لكن هذا نادر، وهو وإن أطلق فالمراد به ما كتب في المصحف، ولا يلزم أن يكون كلام الله ﷻ، ومن ذلك قول أبي العالية عن كتاب دانيال: «أنا قرأت ذلك المصحف». انظر: الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ٢٨١/٥، البداية والنهاية ٢/١، ٤٢٢، ومن إطلاق المصحف على الكتب الباطلة ما ذكره القرطبي في الإعلام بها في دين النصارى من الفساد والأوهام ٢٠٠/١ «وكتبوا في هذا المصحف»، «ومن أفصح ما كتبوا في هذا المصحف» فسمى ما كتبه علماء أهل الكتاب بالمصحف لكونه مكتوبا في صحف، والله تعالى أعلم، ومن ذلك تسمية أبي معشر البلخي لكتابه في النجوم ونحوه بمصحف القمر، كما في الرد على المنطقيين ص ٢٨٧، ومن ذلك ما ألفه كمال جنبلاط أحد رؤوس الضلال من الدروز، وسمى تأليفه: "المصحف المنفرد بذاته"؟! انظر: الحركات الباطنية للخطيب ص ٣١٥.

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب للنووي ٣/٨، الثمر الداني شرح رسالة القيرواني ٨٧/١، أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٦ ضمن مجموعة المتون العلمية.

(٣) انظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠١-١٠٢، المجموع ٥/١٦٠، ٩/١٣.

(٤) وأكثر من توسع في هذا الباب بحسب إطلاعي هو الشيخ/ صالح بن إبراهيم البليهي في كتابه: الهدى والبيان في أساء القرآن، إلا أنه لا يشير إلى المراجع إلا نادرا، وسلك في الكتاب المسلك الوعظي، مع حسن جمع لهذه الأسماء، وليت طالب علم متخصص في العقيدة يقوم ببحث حول أساء القرآن وأوصافه ودلالاتها العقدية، فإنه نافع - والله تعالى أعلم -.

## حقيقة القرآن الكريم في نظر السلف

١. المصحف؛ وقد ذكرت الأدلة من الآيات التي تشير إلى ذلك، والأقوال المأثورة، على هذه التسمية المشهورة، في المطلب السابق<sup>(١)</sup>.

٢. القرآن<sup>(٢)</sup>؛ قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] وغيرها من الآيات الكثيرة الدالة على تسمية كلام الله الموجود في المصحف بالقرآن<sup>(٣)</sup>، وسمي القرآن قرآنا لكونه مجموعا

(١) وتسمية المصحف بمصحف عثمان ؓ فالمراد رسمه وجمعه، فهذه الإضافة لكونه جمعه في مصحف واحد، وعصم الله بجمعه الأمة من الاختلاف، وحفظ الله بأمره الأمة من الإلتلاف، فنسأل الله أن يميزه خير الجزاء، وأن يكرمه كما أكرم كتابه، ومن هذا الباب تسمية بعض المصاحف بالمواضع التي كتبت فيها أو بأسماء ناشرها، كقولهم: مصحف المدينة، أو مصحف الحرمين...، فمقصودهم المصحف الذي كتب في كذا... - والله تعالى أعلم -.

وما ذكره ابن الأثير في الكامل ٨/٣، وصاحب كتاب التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ص ٦٢، من أنه كان لأبي موسى مصحف يقال له: لباب القلوب، فلا أعلمه مسندا، وإنما ذكرنا هذا بدون إسناد، فهذا لا يثبت، ما دام لم يرد مسندا، وإن ثبت فهو محمول على أن هذه تسمية اجتهدية لا نصية، - والله أعلم -.

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير ٦٧/١، التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠١، المجموع ١/١٤، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ٢٣/١، وذكر بعضهم كما في مغني المحتاج ٣٢٢/٤ أنه يسمى "قرآن الله" ولا أعلم دليلا عليه من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله ﷺ، ولكن قد يراد بهذه اللفظة المقروء من كلام الله فيكون بهذا المعنى الإخبار عنه صحيحا، وأما التسمية فهو لله ولرسوله ﷺ وليس لأحد أن يسمي صفة من صفات الله بما يفهمه هو وإن كان المعنى صحيحا - والله أعلم -، وأما تسمية القرآن بـ "القرآن العثماني" كما ذكره المسمى "بطيب تيزني"، فهذا من ضلالات أهل الضلال، وتلبيسات أهل البدعة والانحلال، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله التوفيق في الأقوال والأعمال.

وأما تسمية الكتب السابقة قرآنا فهذا قد ورد، لكن ليس المراد منه هذا القرآن المقروء المنزل على محمد ﷺ، وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: [خفف على داود القرآن، فكان يأمر بدوابه ففسر، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه...]، رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب/ قول الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَيْبُورًا﴾، ح (٣٤١٧)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ: ﴿ولفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور قد يراد به الكتب المعينة، ويراد به الجنس فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره﴾. الجواب الصحيح ١٥٦/٥، وأما تسمية الخطبة والصلاة قرآنا فلا أعلم أحدا ذكره إلا النووي ؒ، كما في روضة الطالبين ١٤/٨.

(٣) قد وردت تسمية كلام الله ﷻ المنزل على محمد ﷺ بالقرآن في سبعين موضعا، في كتاب الله.

في مكان، السور بعضها إلى بعض، ومؤكدا بعضها بعضاً<sup>(١)</sup>. وهذا القرآن الموجود في المصحف<sup>(٢)</sup>، قد وصف بأوصاف جميلة، ونعوت حميدة، منها:

أ- أنه هاد إلى أقوم الطرق، بشير لمتبعيه، نذير لمخالفيه<sup>(٣)</sup>، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩] وقال: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فالقرآن يهدي ويبشر وينذر<sup>(٤)</sup>.

ب- أنه بينات واضحات، ودلائل قاطعات، وبراهين ساطعات، قال تعالى: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] قال شيخ الإسلام رحمته الله: «فالفرقان يحصل به التمييز بين المشتبهات، ومن لم يحصل له الفرقان كان في اشتباه وحيرة، والهدى التام لا يكون إلا مع الفرقان، فلهذا قال أولاً: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ثم قال: ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾... فالهدى مثل أن يؤمر بسلوك الطريق إلى الله، كما يؤمر قاصد الحج بسلوك طريق مكة مع دليل يوصله، والبيانات ما يدل ويبين أن ذلك هو الطريق»<sup>(٥)</sup>.

ت- أنه لا يفترى من دون الله، قال رحمته الله: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧] وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦] وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

(١) وهل هو مهموز أم لا، وهل هو مشتق أم لا، سبق الإشارة إليه في التمهيد ص ١٩، وانظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٨٣/٣ - ٨٥.

(٢) انظر: المجموع ٢٨٤/١٢.

(٣) انظر: النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢/٦٤١ - ٦٤٢، أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٧.

(٤) انظر: المجموع ٢/١٤.

(٥) النبوات ٢/٦٤٢.

ث- أنه في اللوح المحفوظ، وذلك في السماء العلى، قال ﷺ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

ج- أنه مبين، وواضح لكل ذي عينين، وجلي لكل ذي بصيرة من الثقلين، قال ﷺ: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١].

ح- أنه عظيم<sup>(١)</sup>، قال - عز من قائل -: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

خ- أنه حكيم، قال الله تعالى: ﴿يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ [يس، الآيات ١-٣].

د- أنه مجيد<sup>(٢)</sup>، قال ﷺ: ﴿قِيَ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ [ق، الآية ١] وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٣﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج، الآيتين ٢١-٢٢] فوصف القرآن بالمجادة وهي الرفعة والعلو<sup>(٣)</sup>.

ذ- أنه كريم<sup>(٤)</sup>، قال ﷺ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧] «أي أكرمه الله وعزه، ورفع قدره، على جميع الكتب، وكرمه عن أن يكون سحرا أو كهانة، أو كذبا، وقيل: إنه كريم لما فيه من كرم الأخلاق، ومعالي الأمور، وقيل لأنه يكرم حافظه، ويعظم قارؤه...»<sup>(٥)</sup>.

ر- أنه وقاية لمن عمل به من الشرور، ووقاية لقارئه من أهل الفسق والفجور، قال ﷺ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥].

ز- أنه شفاء للمؤمنين، قال الرب ﷺ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ

(١) انظر: أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٦.

(٢) انظر: أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٦.

(٣) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني ص ٤٦٦، لسان العرب لابن منظور ٣/ ٣٩٥.

(٤) انظر: أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٧.

(٥) فتح القدير للشوكاني ٥/ ١٩٩.

وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿[الإسراء: ٨٢].

س - أنه متحدى به <sup>(١)</sup>، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ش - أن فيه كل مثل يحتاج إليه الناس، بما في ذلك قصص الأولين للعظة والاستئناس، وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: ٨٩] وقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: ٥٤].

ص - أنه ميسر للذكر، قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] <sup>(٢)</sup>.

ض - أنه قرآن عربي <sup>(٣)</sup>، قال ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣] وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٨].

ط - أنه يقص <sup>(٤)</sup>؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

ظ - أنه لو فرض نزوله على الجبال لخشعت ولتصدعت، قال ﷺ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] <sup>(٥)</sup>.

(١) وهذا ما يأتي الحديث عنه في الفصل الخامس من هذا الباب.

(٢) وفي ثلاث مواضع أخرى من السورة نفسها.

(٣) انظر: المجموع ٢/١٤.

(٤) انظر: المجموع ٢/١٤.

(٥) وهذه الصفة ذكرها الشيخ ابن عثيمين ﷺ في أصول التفسير ص ٣١٧.

٣. الفرقان<sup>(١)</sup>؛ فهو مفرق بين الحق والباطل، بما احتواه من الدلائل، وبما فيه من الشرائع، وما ذكر فيه من خبر الأواخر والأوائل، قال الله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وقال: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣-٤] وقال: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] والفرقان يحصل به معرفة الفارق بين الحق والباطل<sup>(٢)</sup>، وقال ابن جرير رحمه الله: «وأما تأويل اسمه الذي هو "فرقان" فإن تفسير أهل التفسير جاء في ذلك بألفاظ مختلفة، هي في المعاني مؤتلفة»<sup>(٣)</sup>. ثم قال بعد أن ذكر ما ورد من الأقوال: «فقد تبين أن القرآن سمي "فرقانا" لفصله - بحججه، وأدلته، وحدود فرائضه، وسائر معاني حكمه - بين الحق والمبطل، وفرقانه بينهما بنصره المحق، وتحذيله المبطل، حكما وقضاء»<sup>(٤)</sup>.

٤. الكتاب<sup>(٥)</sup>؛ وهو إذا أطلق فالمراد به من كتب الله ما هو مكتوب في المصحف من كلام الله، وقد يقيد فيقال: كتاب الله، وهو الكتاب الذي أرسل الله به محمدا ﷺ، قال ﷻ: ﴿الَّذِي نَزَّلَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١-٢] «والكتاب القرآن، ومن قال: إن المراد بذلك الكتاب الإشارة إلى التوراة والإنجيل... فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزاع، وتكلف ما لا علم له به»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير ٦٧/١، المحرر الوجيز ٥٦/١، التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠١، المجموع ٧/١٣، ١/١٤، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ٢٦/١، البرهان للزركشي ٣٤٣/١، أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٧.

(٢) انظر: المجموع ٨/١٣.

(٣) جامع البيان لابن جرير ٦٩/١، ثم ذكر ما جاء عن المفسرين في بيان معنى الفرقان.

(٤) جامع البيان لابن جرير ٧٠/١.

(٥) انظر: المجموع ١/١٤، شفاء العليل لابن القيم ١٢١/١، البرهان للزركشي ٣٤٣/١، وقد ورد الكتاب اسما ووصفا لما في المصحف من كلام رب العالمين قرابة ثمانين مرة.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩/١.



« ولفظ الكتاب يتضمن من كونه مكتوباً مضموماً ما لا يتضمنه لفظ القرآن من كونه مقروءاً مظهراً باديّاً »<sup>(١)</sup>. وقال: ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [آل عمران: ١-٣] والكتاب (قال جماهير المفسرين: هو القرآن)<sup>(٢)</sup>. وقال: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠١] وقال: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، ووصف هذا الكتاب المنزل على محمد ﷺ الموجود بين دفتي المصحف بأوصاف تدل على عظمته، وسمو مكانته، ومن هذه الأوصاف:

أ- أنه هدى للمتقين، قال ﷺ: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١]، وهو كتاب يهدي به الله من اتبعه، قال ﷺ: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

ب- أنه كتاب الله<sup>(٣)</sup>، قال تعالى: ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٠١]، وقال: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٤].

ت- أنه يُتلى ويُعلَّم، قال الله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

ث- أنه يوعظ به، قال - عز من قائل - : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣١].

(١) المجموع ١٣/ ٣٤٣.

(٢) المجموع ٧/ ١٣.

(٣) انظر: المجموع ٢/ ١٩٢.

ج- أنه كتاب منزل من الله، قال تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [السجدة: ١].

ح- أنه منزل بالحق، قال ﷺ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ [البقرة: ١٧٦] وقال: ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ ﴾ [آل عمران: ٣] وقال: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ [النساء: ١٠٥].

خ- أنه منزل على الرسول محمد ﷺ، قال ﷺ: ﴿ يَتْلُوهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ [النساء: ١٣٦] وقال: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ٢].

د- أنه كتاب مبين، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥] وقال: ﴿ الرَّحْمَٰنُ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [يوسف: ١].

ذ- أنه كتاب مبارك<sup>(١)</sup>، قال ﷺ: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: ٩٢].

ر- أنه كتاب حكيم، ومحكم، قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ [يونس: ١] وقال: ﴿ الرَّحْمَٰنُ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ ءَايَاتِهِ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

ز- أنه كتاب عزيز، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

س- أنه كتاب قيم، قال ﷺ: ﴿ أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قِيمًا ﴾ [الكهف: ١-٢].

ش- أنه مصدق لما قبله من الكتب، قال الله ﷻ: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأنعام: ٩٢] وقال: ﴿ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ ﴾ [يونس: ٣٧].

(١) أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٧.

ص - أنه كتاب متشابه لا اختلاف فيه، قال ﷺ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

ض - أنه كتاب مفصل، قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤] وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُوهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢] وقال: ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ أَيْتُهُ﴾ [فصلت: ٣].

ط - أنه كتاب يخرج به من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [الله الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿[إبراهيم: ١-٢].

ظ - أنه كتاب ينطق بالحق<sup>(١)</sup>؛ قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[الجاثية: ٢٨-٢٩].

ع - أنه كتاب يفتي الأمة<sup>(٢)</sup>؛ قال ﷺ: ﴿وَسَتَفْتُونَا فِي النِّسَاءِ ط قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٧] «أي يفتيكم أيضا»<sup>(٣)</sup>.

غ - أنه كتاب فيه بيان كل ما يحتاج إليه البشرية لسعادة دينهم ودنياهم، قال ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

٥. الهدى<sup>(٤)</sup>؛ فالقرآن هدى في نفسه، وهاد لغيره، قال ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ

(١) انظر: المجموع ٢/١٤، وهذا على قول في تفسير الآية.

(٢) انظر: المجموع ٢/١٤.

(٣) انظر: المجموع ٢/١٤.

(٤) انظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠١، المجموع ١/١٤، جال القراء لعلم الدين السخاوي

٣٣/١، البرهان للزركشي ٣٤٣/١، الإتيان للسيوطي ١٤٣/١.

جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ [يونس: ٥٧] وقال: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿٥٨﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمًى﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤]. وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨] وقال: ﴿وَأَنَا لِمَا سَمِعْنَا أُهْدَى ۖ آمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١٣]، وهم إنما سمعوا القرآن.

٦. النور<sup>(١)</sup>؛ فالقرآن نور يستضاء به في الظلمات، ويعمل به في أصعب الظروف والملمات، وكيف لا يكون نورا وهو كلام رب الأرض والسماء؟ قال ﷺ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] وقال: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] فالنور المبين المنزل هو القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا ۖ نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

٧. الروح<sup>(٣)</sup> قال ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

٨. الشفاء<sup>(٤)</sup>، وكلام الله المنزل على محمد ﷺ الموجود بين دفتي المصحف شفاء للقلوب من أمراضها المعنوية والحسية، وشفاء للأبدان من أمراضها، قال تعالى:

(١) انظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠١، المجموع ١/١٤، ٧٣/١٥، جمال القراء لعلم الدين

السخاوي ١/٣٣، البرهان للزركشي ١/٣٤٣، الإتيان للسيوطي ١/١٤٣.

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير ٤/٣٧٧، المجموع ١٥/٨٠.

(٣) انظر: جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/٣٢، البرهان للزركشي ١/٣٤٥، الإتيان للسيوطي ١/١٤٤.

(٤) انظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠١، المجموع ١/١٤، جمال القراء لعلم الدين السخاوي

١/٣٣، البرهان للزركشي ١/٣٤٣، الإتيان للسيوطي ١/١٤٣، شرح كتاب التوحيد ص ٢١٢.

﴿يَتَأْتِيَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] وقال: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٩. البيان<sup>(١)</sup>؛ فكلام الله المحفوظ الموجود بين دفتي المصحف هو بيان من الله ﷻ لعباده بما يريد منهُم، وما ينهاهم عنه، وهو بينات في نفسه، قال ﷻ: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

١٠. البينات؛ أي الواضحات في نفسها الموضحات للحق، والدلائل الجليات للخلق، قال تعالى: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٩].

١١. الآيات؛ وكل سور القرآن مشتمل على آيات، وهذه الآيات علامات واضحات، وبيانات جليات، على أن المنزل الموجود في المصحف هو كلام رب البريات، ولا يستطيع أحد الإتيان بمثلها من الآيات، وأنها دلائل موضحات، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩] وقد تضاف إلى الله كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٥٢] وقال: ﴿وَأَذْكُرْ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤] وقال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ ءَايَةً وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧] فنبههم على أعظم الآيات وأدناها على صدق رسول الله ﷺ وهو الكتاب الذي يتضمن بيان كل شيء<sup>(٢)</sup>، فالقرآن آيات في نفسه، وآية للنبي ﷺ.

١٢. الموعظة<sup>(٣)</sup>؛ فينتفع بها المبتغين الحق، والغافلين من الخلق، قال ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَا

(١) انظر: المجموع ١/١٤، جمال القراءة لعلم الدين السخاوي ١/٣٣، البرهان ١/٣٤٣، الإقتان للسيوطي ١/١٤٥.

(٢) شفاء العليل لابن القيم ١/١١٩.

(٣) انظر: المجموع ١/١٤، جمال القراءة لعلم الدين السخاوي ١/٣٣، البرهان للزركشي ١/٣٤٤، الإقتان

النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿يونس: ٥٧﴾.

١٣. الرحمة<sup>(١)</sup>؛ فهو رحمة للمتبعين له، ورحمة للمقبلين عليه، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

١٤. البصائر<sup>(٢)</sup>؛ فهو مبصّر لغيره، وواضح في نفسه، قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمَىٰ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

١٥. البلاغ<sup>(٣)</sup>؛ قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَّغًا لِّقَوْمٍ عَبِيدٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٦].

١٦. التنزيل<sup>(٤)</sup>؛ قال ﷺ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢].

١٧. المنزل<sup>(٥)</sup> قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

١٨. الصراط المستقيم<sup>(٦)</sup>؛ قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

للسيوطي ١٤٣/١.

(١) انظر: المجموع ١/١٤، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/٣٣، البرهان للزركشي ١/٣٤٣، الإتيان للسيوطي ١/١٤٣.

(٢) انظر: المجموع ١/١٤، البرهان للزركشي ١/٣٤٥، الإتيان للسيوطي ١/١٤٤.

(٣) انظر: المجموع ١/١٤، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/٣٣، البرهان للزركشي ١/٣٤٦، الإتيان للسيوطي ١/١٤٦.

(٤) انظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠١، المجموع ١/١٤، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/٣٢، البرهان للزركشي ١/٣٤٥، الإتيان للسيوطي ١/١٤٤.

(٥) انظر: المجموع ١/١٤.

(٦) انظر: المجموع ٥/١٦٠، ١٤/١٣، البرهان للزركشي ١/٣٤٤، الإتيان للسيوطي ١/١٤٣.

الْمُسْتَقِيمَ ﴿[الفاتحة: ٧]﴾ إِنَّهُ الْقُرْآنُ <sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

١٩. الذِّكْرُ <sup>(٢)</sup>؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُكْرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠] «وهذا الاسم محتمل أن يكون المراد به، أنه ذكر من الله جل ذكره، ذكر به عبادته، ويحتمل أنه ذكرٌ وشرفٌ وفخرٌ لمن آمن به، وصدق بما فيه» <sup>(٣)</sup>، وقد يضاف الاسم فيقال: ذكر الرحمن، قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] «وذكر الرحمن هو الذكر الذي أنزله على نبيه ﷺ» <sup>(٤)</sup>، وقد يضاف فيسمى ذكر الرحمن، وذكر مبارك، وذو الذكر <sup>(٥)</sup>.

٢٠. الذكرى <sup>(٦)</sup>؛ قال الله تعالى: ﴿الْمَصَّ ﴿١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١-٢].

٢١. التذكرة <sup>(٧)</sup>؛ قال ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ [عبس: ١٢] وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨].

٢٢. البشرى <sup>(٨)</sup>؛ قال ﷻ: ﴿نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١/ ١٠٤، زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١٥.

(٢) انظر: جامع البيان ١/ ٦٧، المجموع ١/ ١٤، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤، الإتيان للسيوطي ١/ ١٤٣، مختصر التحرير ٢/ ١٨٣.

(٣) جامع البيان لابن جرير ١/ ٧٠، بتصرف يسير.

(٤) انظر: المجموع ١/ ٨٣.

(٥) انظر: التبيان في إقسام القرآن لابن القيم ص ٨٠.

(٦) انظر: المجموع ١/ ١٤.

(٧) انظر: المجموع ١/ ١٤، التبيان في إقسام القرآن ص ٨٠، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٥، الإتيان

للسيوطي ١/ ١٤٥.

(٨) انظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٤٦، الإتيان للسيوطي ١/ ١٤٥.

٢٣. البشير<sup>(١)</sup>، قال ﷺ: ﴿كَتَبَ فَصَلَّتْ آيَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: ٣-٤].

٢٤. المهيمن<sup>(٢)</sup>؛ قال الله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] قال ابن عباس ؓ: «المهيمن: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله»<sup>(٣)</sup>.

٢٥. المصدق<sup>(٤)</sup>؛ قال تعالى: ﴿نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران: ٣] والمصدق للكتب السابقة هو القرآن<sup>(٥)</sup>، وقال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يوسف: ١١١] وفي الحديث: [القرآن شافع مشفع، وما حل<sup>(٦)</sup> مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره؛ ساقه إلى النار]<sup>(٧)</sup>.

٢٦. التبيان<sup>(٨)</sup>؛ قال ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]

(١) انظر: جمال القراء لعلم الدين السخاوي ٣٣/١، الإتيان للسيوطي ١/١٤٥.

(٢) انظر: المجموع ١/١٤، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ٣٣/١، البرهان للزركشي ١/٣٤٤، الإتيان للسيوطي ١/١٤٣.

(٣) ذكره البخاري معلقا مجزوما به، كتاب فضائل القرآن، باب/ كيف نزل الوحي...، ص ١٠٨٤، وانظر: الفتح ٨/١١٩.

(٤) انظر: المجموع ١/١٤.

(٥) انظر: جامع البيان للطبري ٣/١٦٧.

(٦) ومعناه: أي خصم عادل، أو ساع مصدق، انظر: كشف الخفاء للعجلوني ٢/٩٥.

(٧) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان، كتاب العلم، باب/ ذكر البيان بأن القرآن من جعله إمامه بالعمل...، ح(١٢٤)، ورواه الحاكم في المستدرک من رواية معقل بن يسار ؓ، كتاب فضائل القرآن، باب/ ذكر فضائل السور وآي متفرقة، ح(٢٠٨٧)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي: «ورجال حديث جابر المرفوع ثقات» كما في مجمع الزوائد ١/١٧١، وقال العلامة الألباني: «صحيح» كما في صحيح الجامع الصغير، ح(٤٣١٩)، وانظر السلسلة الصحيحة، ح(٢٠١٩)، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ أنه من رواية أبي موسى الأشعري ؓ، ولم أجده، وذكر أن فيه: (شافعا مشفعا، وشاهدا مصدقا).

(٨) انظر: المجموع ١/١٤، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ٣٣/١.



والمعنى: «لم نفرط فيه من شيء، بل أخبرناكم بكل ما كان، وما هو كائن إجمالاً وتفصيلاً»<sup>(١)</sup>.

٢٧. الفصل<sup>(٢)</sup>؛ قال ﷺ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤] وقال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١].

٢٨. الفصل<sup>(٣)</sup> قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: ١٣].

٢٩. كلام الله<sup>(٤)</sup>؛ قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦].

٣٠. الكريم<sup>(٥)</sup>؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة الآية ٧٧].

٣١. المجيد<sup>(٦)</sup>؛ قال الله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١-٢].

٣٢. العزيز<sup>(٧)</sup>؛ قال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١].

٣٣. المبين<sup>(٨)</sup> قال تعالى: ﴿حَمَّ﴾ [٥] وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ [الدخان: ١-٢].

٣٤. العلي<sup>(٩)</sup>؛ قال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

٣٥. المبارك<sup>(١٠)</sup>؛ قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠٠]،

(١) شفاء العليل لابن القيم ١/١١٩، ١١٧.

(٢) انظر: المجموع ١/١٤.

(٣) انظر: البرهان للزركشي ١/٣٤٤.

(٤) انظر: المجموع ٢/١٩٢، ١٤/٢، البرهان للزركشي ١/٣٤٣، الإتيقان للسيوطي ١/١٤٣.

(٥) انظر: المجموع ١/١٤، التبيان في إقسام القرآن لابن القيم ص ١٤٠، البرهان للزركشي ١/٣٤٤.

(٦) انظر: المجموع ١/١٤، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/٣٣، البرهان للزركشي ١/٣٤٦.

(٧) انظر: المجموع ١/١٤، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/٣٣، البرهان للزركشي ١/٣٤٦، الإتيقان

للسيوطي ١/١٤٣.

(٨) انظر: الإتيقان للسيوطي ١/١٤٣.

(٩) انظر: المجموع ٢/١٤، البرهان للزركشي ١/٣٤٤، الإتيقان للسيوطي ١/١٤٣.

(١٠) انظر: المجموع ١/١٤، البرهان للزركشي ١/٣٤٤، الإتيقان للسيوطي ١/١٤٣.

وقال: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾ [ص: ٢٩].

٣٦. القيم<sup>(١)</sup>؛ فهو ذو قيمة، وهو قيم على غيره من الكتب، قال ﷺ: ﴿ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا ﴾ [الكهف: ١-٢] وقال: ﴿ رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۖ فِيهَا كُتِبَ قَيِّمَةٌ ﴾ [البينة: ٢-٣].

٣٧. جبل الله<sup>(٢)</sup>؛ قال ﷺ: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وفي الحديث: [ألا وإني تارك فيكم ثقلين: أحدهما كتاب الله ﷻ، هو جبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة]<sup>(٣)</sup>.

٣٨. المتشابه<sup>(٤)</sup>؛ حيث يشبه بعضه بعضا، ويؤكد بعضه بعضا، ولا اختلاف فيه، قال ﷺ: ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّثَانًى ﴾ [الزمر: ٢٣].

٣٩. المثاني<sup>(٥)</sup>؛ كما في الآية السابقة، وإنما سمي مثاني؛ لأنه يكرر فيه الأمثال، والخبر، والعبر<sup>(٦)</sup>، «وعلى هذا القرآن كله مثنان»<sup>(٧)</sup>.

٤٠. الحكيم<sup>(٨)</sup>؛ قال ﷺ: ﴿ أَلَمْ ۖ تَلِكْ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ [لقمان: ١-٢].

٤١. المحكم<sup>(٩)</sup>؛ قال ﷺ: ﴿ الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

٤٢. الحكمة<sup>(١٠)</sup>؛ قال ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۖ ﴾

(١) انظر: المجموع ٢/١٤، البرهان للزركشي ٣٤٤/١، الإتيان للسيوطي ١٤٤/١.

(٢) انظر: المجموع ١/١٤، البرهان للزركشي ٣٤٤/١، الإتيان للسيوطي ١٤٣/١.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل علي، ح (٢٤٠٨).

(٤) انظر: المجموع ١/١٤، البرهان للزركشي ٣٤٦/١، الإتيان للسيوطي ١٤٤/١.

(٥) انظر: المجموع ١/١٤، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ٣٣/١، الإتيان للسيوطي ١٤٤/١.

(٦) انظر: جامع البيان لابن جرير ٧١/١.

(٧) جامع البيان لابن جرير ٧١/١.

(٨) انظر: المجموع ١/١٤، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ٣٣/١، البرهان للزركشي ٣٤٤/١، الإتيان

للسيوطي ١٤٣/١.

(٩) المجموع ٢/١٤.

(١٠) انظر: المجموع ٢/١٤، البرهان للزركشي ٣٤٤/١، الإتيان للسيوطي ١٤٣/١.

حِكْمَةً بَلِغَةً ﴿[القمر: ٥].

٤٣. الحكم<sup>(١)</sup>؛ قال ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧].

٤٤. البرهان<sup>(٢)</sup>؛ قال ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] قيل: هو القرآن<sup>(٣)</sup>.

٤٥. العلم<sup>(٤)</sup>؛ قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١].

٤٦. الحق<sup>(٥)</sup>؛ قال ﷺ: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَّاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١].

٤٧. الوحي<sup>(٦)</sup>؛ قال ﷺ: ﴿وَلَيْن شِئْنَا لَنُدْهِنَنَّ بِالذِّبَى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥].

٤٨. النبأ العظيم<sup>(٧)</sup>؛ ولا ريب أن القرآن خبر عظيم، وعظيم حقاً، قال ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۝ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧] وقال: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ [النبا: ٢-١].

٤٩. النذير<sup>(٨)</sup> قال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصلت: ٣-٢] وقال: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

٥٠. أحسن الحديث<sup>(٩)</sup>، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ [الزمر: ٢٣].

(١) انظر: المجموع ٢/١٤.

(٢) انظر: المجموع ٢/١٤. وذكر أنه أحد القولين في تفسير الآية.

(٣) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٢/٣١٥.

(٤) انظر: المجموع ٢/١٤، البرهان للزركشي ١/٣٤٥.

(٥) انظر: المجموع ٢/١٤، البرهان للزركشي ١/٣٤٥.

(٦) انظر: المجموع ٢/١٤، البرهان للزركشي ١/٣٤٥، الإتيان للسيوطي ١/١٤٤.

(٧) انظر: لمجموع ٢/١٤، وذكر أنه على قول في الآية، البرهان للزركشي ١/٣٤٤، الإتيان للسيوطي ١/١٤٤.

(٨) انظر: المجموع ٢/١٤، وذكر أنه على قول في تفسير الآية.

(٩) انظر: المجموع ٢/١٤، البرهان للزركشي ١/٣٤٤، الإتيان للسيوطي ١/١٤٤.

٥١. أحسن القصص<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿حَنُّ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣].

٥٢. الشافع<sup>(٢)</sup>.

٥٣. المشفع<sup>(٣)</sup>، وجاء أن القرآن شافع في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: [الصيام والقرآن يشفعان يوم القيامة...] <sup>(٤)</sup>. وجاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً: [القرآن شافع مشفع].

٥٤. الشاهد<sup>(٥)</sup> قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧] قيل الشاهد: القرآن<sup>(٦)</sup>؛ فالقرآن يشهد على الناس بالموافقة أو المخالفة لأوامره.

٥٥. الحجة<sup>(٧)</sup>، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: [...] القرآن حجة لك أو عليك<sup>(٨)</sup>.

٥٦. القول<sup>(٩)</sup>، قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بِنَا أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥١-٥٣].

٥٧. العروة الوثقى<sup>(١٠)</sup> قال ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا

(١) انظر: المجموع ٢/١٤ وذكر أن هذا الاسم على قول.

(٢) انظر: المجموع ٢/١٤.

(٣) انظر: المجموع ٢/١٤.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، ح (٦٦٢٦)، وغيره، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال الطبراني رجال الصحيح»، كما في مجمع الزوائد ٣/١٨١، وقال العلامة الألباني: «ورواه أحمد والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وهو كما قال» كما في تعليقه على مشكاة المصابيح ١/٦١٢، ح (١٩٦٣).

(٥) انظر: المجموع ٧٢/١٥.

(٦) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٤/٨٦، ٨٨، محاسن التأويل للقاسمي ٤/٢٩٥.

(٧) انظر: المجموع ٢/١٤.

(٨) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب/ فضل الرضوء، ح (٢٢٣)، من رواية أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٩) انظر: البرهان للزركشي ١/٣٤٥، الإتيان للسيوطي ١/١٤٤.

(١٠) انظر: البرهان للزركشي ١/٣٤٥.

وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴿٢٢﴾ [لقمان: ٢١-٢٢].

٥٨. القصص<sup>(١)</sup>؛ قال الله تعالى: ﴿لَخَنَّ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾.

٥٩. الصدق<sup>(٢)</sup>، قال ﷺ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ؎ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ؎ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٢-٣٣].

٦٠. العدل<sup>(٣)</sup>، قال - عز من قائل -: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾.

هذه هي الأسماء التي ذكرها أهل العلم للقرآن الكريم، وينبغي في معرفة وسرد أسماء القرآن تتبع الآيات، والسنن المأثورات، دون الاجتهادات والقياسات<sup>(٤)</sup>،

(١) انظر: جلال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٢، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٦.

(٢) انظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٤٦، الإتيان للسيوطي ١/ ١٤٥.

(٣) انظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٤٦، الإتيان للسيوطي ١/ ١٤٥.

(٤) ومن التسميات التي لم تثبت للقرآن الكريم، تسميته بـ:

أ - تسميته بـ (السم)!!، وهذا ذكره ابن جرير الطبري رحمه الله مسندا عن قتادة ومجاهد وابن جريج، أنهم قالوا: (ألم) اسم من أسماء القرآن. قال ابن جرير رحمه الله: «الذين قالوا: إن (ألم) اسم من أسماء القرآن فلقولهم ذلك وجهان: أحدهما: أن يكونوا أرادوا أن (ألم) اسم للقرآن، كما الفرقان اسم له...، والآخر منهما: أن يكونوا أرادوا أنه اسم من أسماء السورة التي تعرف به، كما تعرف سائر الأشياء بأسمائها التي هي لها أمارات تعرف بها؛ فيفهم السامع من القائل يقول: قرأت اليوم (ألمص) و(ن)، أي السور التي قرأها من سور القرآن». جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١/ ١٢١-١٢٢، والذي يظهر - والله تعالى أعلم - أن تسمية القرآن بهذا لا يصح، وذلك من وجوه: أ - أن هذا لم يثبت مرفوعا عن النبي ﷺ. ب - أن هذا لم يثبت موقوفا على الصحابة أيضا. ج - أن هذا لا يدل عليه سياق الآية. د - أن الأسماء المعظمة لا تكون من الأسماء الجامدة التي لا تدل على معاني، بل تكون أسماء مع كونها تحمل في دلالاتها المعاني الجميلة، و(ألم) على القول باسميتها فهي جامدة. د - أن مقصودهم بالتسمية هنا الإشارة والدلالة على القرآن لا العلمية المطلقة.

ب - جونة المسك، وقد روي هذه اللفظة عن حبيب العجمي أبو محمد كما في شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٩/ ٢٥٧، وذكر محققه أنه منقطع لا يصح عن التابعي حبيب، والجونة التي يعد فيها الطيب ويحفظ، كما في النهاية لابن الأثير ١/ ٣١٩.

ج - تسميته بالزبر، وقد ذكر هذه التسمية السيوطي حيث قال في وصف الصديق ﷺ: «وهو الذي جمع

فتسمية القرآن أمر ليس لكل أحد، بل هو أمر ينبغي الوقوف فيه على الشرع، والاسم هو ما به يشار إلى الشيء؛ فيقال: هذا كتاب، وهذا هدى، بحيث تكون العلمية فيه متميزة، وهذا بخلاف الوصف؛ فإنه مما يوصف به الشيء، وقد لا يكون علما، وقد يكون اللفظ اسما ووصفا، وهذا هو الغالب في الأسماء المعظمة، كأسماء الله ﷻ وأسماء القرآن.

وهذه الأسماء الواردة للقرآن كل اسم يدل على معنى من صفاته، ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر، فأسماء كتابه: القرآن، والفرقان، والكتاب، والهدى، والبيان، والشفاء، والنور، ونحو ذلك، هي بهذه المنزلة<sup>(١)</sup>.

وهذه الأسماء التي ذكرتها هي لكلام الله ﷻ الموجود في المصحف، حين الإطلاق دون غيرها من كلام الله ﷻ، وأبين الآن الأدلة الدالة على أن ما في المصحف هو القرآن في المطلب التالي.

القرآن في صحف وأول الناس من سمي المصحف الزبرا، كما في تاريخ الخلفاء ص ٤٤٤، ومعنى الزبر: «من قولك: زبرت الكتاب أزره إذا أتقنت كتابته». كما في النهاية لابن الأثير ٢/٢٩٣، لكن مراد السيوطي - والله أعلم - أنه يريد بالزبر: المصحف، وإنما أتى بلفظ الزبر للبيت، وما يدل على هذا الترجيح أنه قال في تاريخه ص ٢٧ عن الصديق ﷺ (وأول من سمي المصحف مصحفا).

د - أما تسمية المصحف بالزبور ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] قيل: المراد بالزبور: القرآن، وقيل الكتب قبل التوراة، وقيل - وهو الذي رجحه ابن جرير - أنه اسم جنس يشمل كل كتاب.

هـ - تسميته بالإنجيل، وقد يحتجون بها جاء عن قتادة ﷺ أنه قال في صفة هذه الأمة، في الكتب السابقة، وأنه مكتوب فيها: [أنجيلهم في صدورهم] ذكره القرطبي في تفسيره ٦/٤، والحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٢٤٩، ولم يذكر من خرج، ولم أجده مرفوعا إلا عند الطبراني في المعجم الكبير ١٠/٨٩، من رواية ابن مسعود ﷺ، وهذا المراد به الجنس وهو الكتاب الذي أنزل إليهم، كما قال شيخ الإسلام ﷺ: «ولفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور قد يراد به الكتب المعينة، ويراد به الجنس فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره... والمراد به قرآنه، وهو الزبور، ليس المراد به القرآن الذي لم ينزل إلا على محمد ﷺ، وكذلك ما جاء في صفة أمة محمد ﷺ أنجيلهم في صدورهم فسمى الكتب التي يقرؤونها وهي القرآن أنجيل، وكذلك في التوراة إني سأقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوانهم أنزل عليه توراة مثل توراة موسى فسمى الكتاب الثاني توراة». الجواب الصحيح ٥/١٥٦، وقال السيوطي كما في الإنتقان ١/١٤٩ - بعد أن أورد أثر جابر وغيره: «ومع هذا لا يجوز الآن أن يطلق عليه ذلك»، أي لا يجوز تسمية القرآن توراة ولا إنجيلا.

### المطلب الثالث: الدليل على أن ما في المصحف هو القرآن.

والاستدلال لهذا يكاد يكون من باب تحصيل الحاصل، لأنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن ما في المصحف هو القرآن، وهذه ضرورة يجدها كل منصف ومتبع للحق.

وكتابة القرآن في مصحف واحد لم يكن قد تم في عهد النبي ﷺ، لأن القرآن كان ينزل شيئاً فشيئاً، وكانت الآية تنسخ بعد نزولها، فلاحتمال النسخ، أو زيادة النزول لم يكن جمع في مصحف واحد، وإنما كان مكتوباً في مختلف الوسائل المتاحة في ذاك العصر، ولما توفي النبي ﷺ وانقطع الوحي، قام الصحابة رضوا عنه بجمعها<sup>(١)</sup> في عهد الصديق رضوا عنه في مصحف، ثم نسخت في عهد عثمان رضوا عنه في مصحف واحد عدة نسخ وأرسلت إلى الأمصار، واشتهرت هذه المصاحف في الديار<sup>(٢)</sup>.

وقد دل الكتاب والآثار والإجماع والمعقول على أن ما في المصحف هو القرآن:

#### فمن القرآن:

١ - قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] «أي: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزداد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه»<sup>(٣)</sup>، وفيها: دلالة على حفظ القرآن من التغيير والتبديل، والزيادة والنقصان<sup>(٤)</sup>، وأن الموجود بين الدفتين هو المحفوظ بأمر الله - تعالى -، وعلى هذا كان إجماع الصحابة واتفاقهم، فالقرآن محفوظ «عن كل ما لا يليق به من تصحيف وتحريف وزيادة ونقصان، ونحو ذلك، فالقرآن العظيم المحفوظ من هذه الأشياء كلها لا يقدر واحد

(١) انظر: المجموع ٣١٨/٢١.

(٢) انظر: شرح السنة للبغوي ٥١٩/٤، وفتح البيان لصديق حسن ١٦٩/٥، وسياي الحديث عن كتابة القرآن الكريم، في الفصل الثالث من الباب الثالث.

(٣) جامع البيان ٤٩٣/٧.

(٤) انظر: المرشد الوجيز في علوم الكتاب العزيز ص ٦٨، الجامع لأحكام القرآن ٦٠/١، وانظر: الفصول في الأصول ٢١٦/٢.

من جميع الخلق من الإنس والجن أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفاً واحداً، أو كلمة واحدة، وهذا مختص بالكتاب العزيز بخلاف سائر الكتب المنزلة فإنه قد دخل على بعضها تلك الأشياء، ولما تولى الله حفظ هذا الكتاب بقي مصوناً إلى الأبد، محروساً من الزيادة والنقصان وغيرهما»<sup>(١)</sup>.

٢ - قول الله ﷻ: ﴿الرَّ كُتِبَ أَحْكَمَتْ أَيْنَهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] وفيها دلالة على بدعة وضلال وكفر من ادعى أن ما في المصحف ليس هو القرآن كله، لأن معنى أحكمت آياته: منع الخلق من القدرة على أن يزيدوا فيها أو ينقصوا منها، أو يعارضوا بمثلها<sup>(٢)</sup>.

٣ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] «وقد أعلم الله تعالى في القرآن بأنه مجموع في المصحف في قوله ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢]، وكان القرآن مكتوباً في الصحف، لكن كانت مفرقة، فجمعها أبو بكر في مكان واحد، ثم كانت بعده محفوظة إلى أن أمر عثمان ؓ بالنسخ منها فنسخ منها عدة مصاحف، وأرسل بها إلى الأمصار»<sup>(٣)</sup>. ففي الآية إشارة إلى أن جمع القرآن في المصحف على هذا النحو الموجود هو برعاية الله تعالى، وهو من حفظه له<sup>(٤)</sup>.

وأما الأدلة من الآثار فهي كثيرة منها:

١ - قول النبي ﷺ: [لا تسافروا بالقرآن فإني لا آمن أن يناله العدو]، وفي رواية: [أنه كان ينهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، مخافة أن يناله العدو]<sup>(٥)</sup>. قال النووي رحمه الله: «فيه النهي عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار للعلة المذكورة في الحديث»<sup>(٦)</sup>. وهذا يدل على أن ما في المصحف هو القرآن، من غير زيادة ولا نقصان.

(١) فتح البيان لصديق حسن ١٦٨/٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦٠/١، محاسن التأويل ٢٨٦/٤.

(٣) الفتح ٦٣٠/٨.

(٤) انظر: تكملة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم ٣٦٨/٨.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب/ النهي أن يسافر بالقرآن... ح (١٨٦٩) من رواية عبد الله بن عمر ؓ.

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٣/١٣.



٢- حديث: [لا يمس القرآن إلا طاهراً]<sup>(١)</sup> ففيه دليل على أن ما في المصحف هو القرآن<sup>(٢)</sup>، فإن الله يقول: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٣﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٤﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٥﴾﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩] فلما نهى رسول الله ﷺ عن مس القرآن إلا طاهراً تيقنا أن الموجود في المصحف هو القرآن الذي لا يمسّه إلا المطهرون.

٣- قال ابن عباس ؓ: [ما ترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين]<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر هذا الحديث الإمام البخاري رحمه الله تحت باب: «من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين»<sup>(٤)</sup>. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أي ما في المصحف،... وهذه الترجمة للرد على من زعم أن كثيراً من القرآن ذهب لذهاب حملته»<sup>(٥)</sup>، وفي رواية: «لم يدع إلا ما في هذا المصحف، أي: لم يدع من القرآن ما يتلى إلا ما هو داخل المصحف الموجود»<sup>(٦)</sup>.

٤- قال سمرة بن جندب ؓ: [عُرِضَ القرآن على رسول الله ﷺ عرضات، فيقولون: إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة]<sup>(٨)</sup>. ومعلوم أن الصحابة ؓ إنما أثبتوا ما كان في العرضة الأخيرة في هذا المصحف، وهذا دليل بين أن القرآن المحكم تلاوته موجود كله في المصحف الذي جمعه الصحابة ؓ.

(١) رواه مالك في الموطأ مسلاً، كتاب القرآن، باب/ الأمر بالوضوء لمن مس القرآن، ح(١)، وابن حبان في صحيحه، كتاب أخباره ؓ، باب/ كتب النبي ﷺ، ح(٦٥٢٥) موصولاً عن أبي بكر بن محمد بن حزم عن أبيه عن جده موصولاً، وانظر: موارد الظمان ١/ ٢٠٣، ح ٧٩٣، وإرواء الغليل للشيخ الألباني ١٥٨/ ١، ح(١٢٢) وقال: «صحيح» وذكر طرق الحديث، وأوفى البحث حقه.

(٢) انظر: المجموع للنووي ٢٠/ ٢٦٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين، ح(٥٠١٩).

(٤) انظر: صحيح البخاري ص ١٠٩٢.

(٥) الفتح ٨/ ٦٨٣.

(٦) الفتح ٨/ ٦٨٣.

(٧) هو الصحابي الجليل: سمرة بن جندب بن هلال بن جريج أبو سليمان، كان من حلفاء الأنصار، توفي قبل الستين. انظر الإصابة ٢/ ٧٩.

(٨) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، أحاديث نزول القرآن، ح(٢٩٠٤)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري بعضه، وبعض على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وقال الذهبي كما في التلخيص: «صحيح»، وقال الحافظ ابن حجر: «إسناده حسن» كما في الفتح ٨/ ٦٦١.

قال عبدة السلماني<sup>(١)</sup> رحمه الله: «إن الذي جمع عليه عثمان الناس يوافق العرضة الأخيرة»<sup>(٢)</sup>، وقال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله: «كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان، وزيد بن ثابت، والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرؤون قراءة العامة، وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه»<sup>(٣)</sup>.

٥ - قال عمر رضي الله عنه في فرضية رجم الشيخ والشيخة إذا زنيا: [لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي]<sup>(٤)</sup>. ففي قول عمر رضي الله عنه دلالة على ثبوت حكم الرجم وأنه إنما لم يثبتها آية لا هو ولا الصديق قبله، ولا الخليفان بعده لعلمهم أنها نسخت تلاوة، وترك عمر رضي الله عنه كتابتها في المصحف دليل على أنه قد رأى ذلك<sup>(٥)</sup>، والصحابة وافقوه عليه.

٦ - عن شداد<sup>(٦)</sup> قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: [ليتزعن هذا القرآن من بين أظهركم؟ قال، قلت: يا أبا عبد الرحمن! كيف يتزع وقد أثبتناه في صدورنا، وأثبتناه في مصاحفنا؟ قال: يسري عليه في ليلة فلا يبقى في قلب عبد منه، ولا مصحف منه شيء، ويصبح الناس فقراء كالبهائم، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَلَيْنَ شِقْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦]]<sup>(٧)</sup>.

وإذا ثبت أن الذي يُرفع هو هذا الموجود في المصاحف علمنا أنه هو الموحى المتلو، وهو المحفوظ في الصدور والسطور إلى هذا العصر، وحتى يشاء الله ﷻ رفعه.

(١) هو التابعي المخضرم: عبدة بن عمرو السلماني المرادي، أبو عمرو الكوفي، فقيه ثبت، أخرجه له أصحاب الكتب، توفي قبل السبعين. انظر: التقريب ص ٣٢٠.

(٢) انظر: الفتح ٦٦١ / ٨.

(٣) شرح السنة للبغوي ٥٢٥ / ٤.

(٤) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به، كتاب الأحكام، باب/ الشهادة تكون عند الحاكم...، ص ١٥٠٣، وأخرجه مالك في الموطأ موصولاً، كتاب الحدود، باب/ ما جاء في الرجم، ح (١٠).

(٥) انظر: مختصر التحرير ١٢٩ / ٢، والفصول في الأصول ٢٥٧ / ٢، ٢٥٩.

(٦) هو: شداد بن معقل الكوفي، صدوق، له ذكر في البخاري، تابعي كبير. انظر: التقريب ص ٢٠٦.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣ / ٣٦٢ ح (٥٩٨٠)، ورواه الدارمي في سننه، ح (٤٢٧، ٤٢٦).

٧ - قالت امرأة لابن مسعود رضي الله عنه لما ذكر لعن الواشيات والمستوشيات: [لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته؟ فقال: والله لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه...]<sup>(١)</sup>. أي أنها قرأت ما بين دفتي المصحف من أول القرآن وآخره على وجه الاستيعاب، وأرادت بهذا التأكيد أنها قرأت القرآن كله<sup>(٢)</sup>، وهذا يؤكد أن القرآن عندهم ما كان بين اللوحين، وهو المصحف.

#### وأما الدليل من الإجماع:

فقد ذكره غير واحد من أهل العلم الراسخين، الذين يستنار بأقوالهم في الدين، وأذكر بعضهم لا على سبيل الحصر، وإنما أفعل ذلك تنبيها باليسير على الكثير، وتنبيها بالبعض على الكل:

أجمع الصحابة على أن ما في هذا المصحف هو القرآن، وما عدا ذلك فهو إما منسوخ حكما وتلاوة، أو منسوخ تلاوة لا حكما، وقد حكى عنهم الإجماع أئمة جهابذة، وعلماء نقاد، واتفاقهم رضي الله عنهم كان «سببا لبقاء القرآن في الأمة رحمة من الله ﷻ على عباده، وتحقيقا لوعده في حفظه»<sup>(٣)</sup>.

وأما ما حكى من الخلاف اليسير فيما بينهم على مصحف عثمان رضي الله عنه فالظاهر أنه كان في أول الأمر، كما كان التردد منهم في كتابته في صحف أيام أبي بكر رضي الله عنه ثم استقر الإجماع بينهم وبعدهم على أن ما في المصحف هو القرآن المحفوظ، وهو القرآن المتلو، المحكم الباقي، وسيبقى إلى أن يشاء الله ثم يرفعه<sup>(٤)</sup>، وأما القراءات المروية التي تروى عنهم صحيحة، ولا توافق المصحف، فهذا «وقع من بعضهم قبل أن يبلغهم مصحف

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب/ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، ح(٤٨٨٦)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب/ تحريم فعل الواصلة...، ح(٢١٢٥)، وأبو داود، كتاب الترجل، باب/ في صلة الشعر، ح(٤١٦٩).

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق عظيم آبادي ١١/١٥١.

(٣) شرح السنة للبيهقي ٤/٥٢٣.

(٤) انظر: الفتح ٨/٦١٦.

عثمان المجمع عليه، المحذوف منه كل منسوخ، وأما بعد ظهور مصحف عثمان فلا يظن بأحد منهم أنه خالف فيه»<sup>(١)</sup>.

وأشرع الآن في ذكر بعض أقوال أهل العلم الذين نقلوا أن القرآن هو الموجود في مصاحف المسلمين، وحكوا الإجماع في هذه المسألة:

١. قال الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمته الله: «ما بين الدفتين كله قرآن»<sup>(٢)</sup>. وهذا يؤكد أن ما في المصحف هو القرآن.

٢. قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمته الله: «أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على هذا المصحف»<sup>(٣)</sup>. يعني المصحف الذي كتب في عهد عثمان رضي الله عنه، وأرسل إلى الأمصار، وأنه هو المشهور المجمع عليه بينهم.

٣. قال الإمام ابن عبد البر رحمته الله: «وأجمع العلماء على أن ما في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو الذي بأيدي المسلمين اليوم في أقطار الأرض حيث كانوا، هو القرآن المحفوظ الذي لا يجوز لأحد أن يتجاوزه...، وإنما حل مصحف عثمان هذا المحل لإجماع الصحابة، وسائر الأمة عليه، ولم يجمعوا على ما سواه»<sup>(٤)</sup>.

٤. قال ابن حزم رحمته الله: «واتفقوا أنه لا يكتب في المصحف متصلاً بالقرآن ما ليس من القرآن»<sup>(٥)</sup>. وهذا فيه بيان جلي أن ما في المصحف هو القرآن.

٥. قال البيهقي رحمته الله: «والأصل ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ، بعد ما عارضه به جبرائيل عليه السلام في تلك السنة مرتين، ثم اجتمعت الصحابة على إثباته بين الدفتين»<sup>(٦)</sup>.

(١) المجموع ٦/١٠٩، وانظر: التمهيد لابن عبد البر ٤/٢٧٩، المجموع ٢٠/٣٥، الفصول في الأصول ٢/٢٥٣.

(٢) انظر: المبسوط للرخسي ١/١٦، المجموع للنووي ٣/٢٨١.

(٣) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/٢٨١.

(٤) التمهيد لابن عبد البر ٤/٢٧٨-٢٧٩.

(٥) مراتب الإجماع لابن حزم ص ١٧٤.

(٦) السنن الكبرى للبيهقي ٢/٣٨٥.

٦. قال الإمام البغوي رحمه الله: «فجمع الله ﷻ الأمة بحسن اختيار الصحابة على مصحف واحد هو آخر العروضات من رسول الله ﷺ، كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمر بكتابه جمعاً بعد ما كان مفرقاً في الرقاع بمشورة الصحابة حين استحر القتل بقراء القرآن يوم اليمامة، فخافوا ذهاب كثير من القرآن بذهاب حملته، فأمر بجمعه في مصحف واحد، ليكون أصلاً للمسلمين، فيرجعون إليه، ويعتمدون عليه، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمع القوم عليه، وأمر بتحريق ما سواه، قطعاً لمواد الخلاف، فكان ما يخالف الخط المتفق عليه في حكم المنسوخ، والمرفوع، كسائر ما نسخ ورفع منه باتفاق الصحابة. والمكتوب بين اللوحين هو المحفوظ من الله ﷻ للعباد، وهو الإمام للأمة، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج من رسم الكتابة»<sup>(١)</sup>.

٧. قال الإمام السمعاني رحمه الله: «وكتاب الله هو المنقول إلينا بطريق التواتر، على وجه يوجب العلم المقطوع الذي لا يخامر شك ولا شبهة، وهو المثبت بين الدفتين»، وقال: «وقد دل اتفاق المسلمين على أن ما بين الدفتين كلام الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

٨. قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني رحمه الله: «إن جميع القرآن الذي أنزله الله تعالى، وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ويرفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان رضي الله عنه وأنه لم ينقص منه شيء، ولا زيد فيه، وأن بيان الرسول ﷺ كان بجميعه بياناً شائعاً ذائعاً، وواقعاً على طريقة واحدة، ووجه تقوم به الحجة، وينقطع به العذر، وأن الخلف نقله عن السلف على هذه السبيل... وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمته الله سبحانه، ورتبه عليه رسوله من أي السور، لم يقدم من

(١) شرح السنة للبغوي ٥١١/٤، وانظر: الفتح ٦٧٤/٨.

(٢) هو الإمام السني: منصور بن محمد بن عبد الجبار التيمي السمعاني المروزي، الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر، من مؤلفاته: تفسير القرآن، وقواطع الأدلة في أصول الفقه، توفي ٤٨٩ هـ. انظر السير ١١٤/١٩، شذرات الذهب ٣/٣٩٣.

(٣) قواطع الأدلة ١/٣٣، ٣٧.

(٤) هو رأس المتكلمين المشهور: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري، وهو من أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام، وله مؤلفات كثيرة، توفي سنة ٤٠٣ هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٤٢٦/١١.

ذلك مؤخر، ولا آخر مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب أي كل سورة، ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت نفس القرآن، وذات التلاوة»<sup>(١)</sup>.

٩. قال الأصولي السرخسي الحنفي<sup>(٢)</sup> رحمه الله: «اعلم بأن الكتاب هو القرآن المنزل على رسول الله ﷺ، المكتوب في دفات المصاحف...، وإنما اعتبرنا الإثبات في دفات المصاحف، لأن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوا القرآن في دفات المصاحف لتحقيق النقل المتواتر فيه، ولهذا أمروا بتجريد القرآن في المصاحف»<sup>(٣)</sup>.

١٠. قال الفقيه أبو يعلى رحمه الله: «ودعاء القنوت ليس من القرآن، خلافا لقوم في قولهم هو من القرآن، والدلالة عليه: أنه لو كان من القرآن لأثبتته الصحابة بين الدفتين، فلما لم يثبتوا ذلك دل على أنه ليس من القرآن بإجماع الصحابة»<sup>(٤)</sup>.

١١. قال العلامة النووي رحمه الله: «ونحن نعلم بالضرورة أن الصحابة الذين كتبوا المصاحف، نقلوا إلينا ما كتبه بين لوحى المصحف، كلام الله الذي أنزله إلى نبيه، لم يكتبوا فيه ما ليس من كلام الله»<sup>(٥)</sup>.

١٢. قال العلامة ابن قدامة رحمه الله: «فإنه - أي القرآن - بين دفتي المصحف بإجماع المسلمين»<sup>(٦)</sup>.

١٣. قال العلامة القرطبي رحمه الله: «والقرآن الذي جمعه عثمان بموافقة الصحابة رضي الله عنهم لو أنكر بعضه منكر كان كافرا، حكمه حكم المرتد، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه»<sup>(٧)</sup>، وقال في قراءة ما لم يثبت في المصحف: «إنه نُسخ، إذ لم يثبت

(١) المرشد الوجيز لأبي شامة ص ٤٥-٤٦.

(٢) هو: الفقيه الأصولي الحنفي: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة أبو بكر السرخسي، وكان من المجتهدين في المذهب الحنفي، وبرع فيه، ألف كتابه الكبير: المبسوط في الفقه وهو في السجن، توفي سنة

٤٣٨ هـ. انظر: الفوائد البهية ص ١٥٨.

(٣) المحرر في أصول الفقه للسرخسي ١/ ٢١٠.

(٤) المعتمد في أصول الدين ص ٢٥٨.

(٥) نصب الراية للزيلعي ١/ ٣٢٨-٣٢٩.

(٦) المجموع لشيخ الإسلام ابن تيمية ٩/ ٣٩٩.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٦٠.

نقله في المصحف، ولا تواتر»<sup>(١)</sup>.

١٤. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والقرآن الذي أنزله الله على رسوله ﷺ هو هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون، ويكتبونه في مصاحفهم... وهذا القرآن في المصاحف»<sup>(٢)</sup>، وقال: «والقرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ هو ما بين الدفتين»<sup>(٣)</sup>، وقال: «والقرآن الذي بين لוחي المصحف متواتر، فإن هذه المصاحف المكتوبة اتفق عليها الصحابة، ونقلوها قرآنا عن النبي ﷺ، وهي متواترة من عهد الصحابة رضي الله عنهم، نعلم علما ضروريا أنها ما غيرت»<sup>(٤)</sup>، وقال: «أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاطحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئا منه كفر، وما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين باطل ليس بصحيح عنه»<sup>(٥)</sup> قال ابن حزم في أول كتابه المجاز: هذا كذب على ابن مسعود موضوع»<sup>(٦)</sup>.

١٥. قال العلامة ابن القيم رحمته الله في معرض حديثه في إثبات القياس بما فعله الصحابة: «وكذلك اتفقهم على كتابة المصحف، وجمع القرآن فيه، وكذلك اتفقهم على جمع الناس على مصحف واحد»<sup>(٧)</sup> وقال: «وثبت القرآن وكونه في المصاحف أمر معلوم، ومشاهد أن نفس القرآن أثبت في المصاحف»<sup>(٨)</sup>.

١٦. قال العلامة بدر الدين بن بهادر الزركشي الشافعي رحمته الله: «وأجمعوا

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩٦/١٣.

(٢) المجموع ٤٠١/٣.

(٣) المجموع ٤٠٣/٣.

(٤) المجموع ٥٦٩/١٢، وانظر: ٥٦/١٢، ١٣٨، ٢٦٣، ٥٣٧، الرد على المنطقيين ص ٤٥٢، مختصر الفتاوى المصرية للبعلي ص ٥١.

(٥) سيأتي مزيد بيان لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه في الرد على الروافض في الباب الرابع.

(٦) المجموع ٣٥٠/٣، وانظر: الغرة المنيفة لأبي حفص عمر الغزنوي ص ٤٢.

(٧) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/١٦١.

(٨) دقائق التفسير ١٩٦/٢ بتصرف يسير.

(٩) هو الفقيه الأصولي المحدث: محمد بن بهادر بدر الدين الزركشي المصري الشافعي، أخذ عن الأسنوي وغيره، وصار مقدما في الفقه الشافعي، وله مشاركات في علوم شتى، له البحر المحيط في أصول الفقه،

على أن ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

١٧. قال العلامة الفقيه البعلبي<sup>(٢)</sup> رحمه الله: «والكتاب كتاب الله تعالى، وهو القرآن المكتوب في المصحف»<sup>(٣)</sup>.

١٨. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والحق أن الذي جمع في المصحف هو المتفق على إنزاله المقطوع به، المكتوب بأمر النبي ﷺ»<sup>(٤)</sup>، وقال: «وفيه اهتمام الصحابة وأهل القرون الأول بالقرآن، والمنع من الزيادة في المصحف، وكذا من النقص»<sup>(٥)</sup>. وفي هذا القدر من نقل الإجماع كفاية لمن اعتبر، وتذكير لمن اذكر، فكيف وقد عضد هذا الإجماع الكتاب والخبر، فدل على أن ما في المصحف هو القرآن المنزل على محمد ﷺ المتلو المتعبد به.

#### وأما دليل المعقول فمن وجوه:

الوجه الأول: أنه لما كان القرآن محفوظا بحفظ الله، فإن كل ما في المصحف هو القرآن المحفوظ، و«كل ما روي من القرآن، ولا نجده في مصحفنا فهو مما كان قرآنا ونسخ»<sup>(٦)</sup>.  
الوجه الثاني: أن المصحف منقول بالتواتر، محفوظ في الصدور، ولو عذمت المصاحف لم يكن للمسلمين بها حاجة، لكونهم يحفظون كتابهم، فالتواتر ثابت في نقل القرآن، فلا يرد عليه الغلط والخطأ مطلقا، فكل ما ليس في المصحف فهو ليس بقرآن متلو، فما «نقل آحادا فليس بقرآن، وذلك لأننا قاطعون بأن العادة تقضي بأن مثل هذا

والمنثور في القواعد الفقهية، توفي سنة ٧٩٤ هـ. انظر: معجم المؤلفين ١٢١/٩.

(١) المنثور في القواعد للزركشي ١٢٢/٣.

(٢) هو الفقيه العلامة: محمد بن علي البعلبي بدر الدين أبو عبد الله الحنبلي، وله جهود كثيرة في الاهتمام بعلوم شيخ الإسلام، ومن مؤلفاته: مختصر الفتاوى المصرية، توفي سنة ٧٧٧ هـ. انظر: رفع النقاب عن تراجم الأصحاب لابن ضويان ص ٣٢٩.

(٣) المطالع للبعلبي ص ٣٩٩.

(٤) الفتح ٦٤٦-٦٤٧.

(٥) الفتح ١٦١/١٢.

(٦) مختصر التحرير ١٠٠/١.



الكتاب الذي يكون هاديا للخلق... يمتنع أن لا يتواتر في تفاصيله، أي في أصله وأجزائه، ووضعه وترتيبه ومحلّه، إذ الدواعي تتوفر على نقله إلى أن يصير شائعا مستفيضا متواترا، فما لم يبلغ حد التواتر يقطع بأنه ليس من القرآن»<sup>(١)</sup>.

الوجه الثالث: أنه لا يعقل أن يكتب الصحابة المصحف، ويتركوا شيئا من القرآن، وقد كان قصدهم، ومرامهم جمع القرآن، ولما جمعوا ما جمعوا بين الدفتين علمنا أن ذلك لكونه قرآنا، ولو لم يكن شيء منه قرآنا لما كتبوه، لكون ذلك يحمل على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا<sup>(٢)</sup>.

الوجه الرابع: أن هذا المصحف المعروف موجود الآن منه ملايين النسخ، وليس بينها خلاف ولو في كلمة واحدة منه، فهذا دليل عقلي قطعي على حفظ الله ﷻ لكتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه هو الموجود بين الدفتين، منذ عهد الخلفاء الراشدين ﷺ وإلى زماننا هذا، بل وحتى قيام الساعة<sup>(٣)</sup>.

الوجه الخامس: أنه لا يصح أن يكون شيء من القرآن غير موجود في المصحف، «لأنه لو جاز أن يكون قرآنا غير ما في المصحف لجاز أن يكون لبعض ما في أيدينا من القرآن منسوخا بما ليس في أيدينا منه»<sup>(٤)</sup>.

الوجه السادس: وجود الآيات في رسم المصحف، ووجودها بين دفتها، وكتابتها في زمن الصحابة، ونقلها إلينا عبر القرون، هو أعظم دليل، وأبين حجة، في إثبات القرآنية للآيات المكتوبة في المصحف، وأن ما سواها ليست كذلك<sup>(٥)</sup>.

فإذا ثبت أن ما في المصحف هو القرآن، فهنا يرد مسائل:

(١) شرح مختصر ابن الحاجب للأصفهاني ١/ ٤٦١، وانظر: المجموع ١٢/ ١٠٠، ١٥/ ٢٥٥.

(٢) انظر: إعانة الطالبين ١/ ١٣٩.

(٣) انظر: السير ٢/ ٤٤١.

(٤) مختصر اختلاف العلماء ٢/ ٣١٦.

(٥) انظر: إرشاد الفحول ص ٦٤ بتصرف.

**المسألة الأولى:** هل البسملة آية من القرآن إذ كتبت في المصحف؟

اتفق العلماء الربانيون، والأئمة المرضيون على أن البسملة بعض آية في كتاب الله ﷻ في سورة النمل، واتفقوا على أنها ليست بآية في أول براءة، ولا تكتب في أولها، كما ثبت ذلك عن الصحابة المهديين، ومن بعدهم.

واختلفوا فيما سوى ذلك من المواطن، أعني هل هي آية من الفاتحة وغيرها من السور، أم أنها كتبت للتبرك، وكررت للتنبيه على الفصل بين السور.

قال النووي رحمه الله: «وأجمعت الأمة على أنه لا يكفر من أثبتها ولا من نفاها باختلاف العلماء فيها، بخلاف ما لو نفى حرفاً مجمعاً عليه، أو أثبت ما لم يقل به أحد، فإنه يكفر بالإجماع، وهذا في البسملة التي في أوائل السور غير براءة، وأما البسملة في أثناء سورة النمل ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [النمل: ٣٠] فقرآن بالإجماع، فمن جحد منها حرفاً كفر بالإجماع»، ثم ذكر حجج من نفى البسملة في غير سورة النمل، ورد عليها، ثم استدلل للقائلين بقرآنيتها، فقال: «واحتج أصحابنا بأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على إثباتها في المصحف جميعاً في أوائل السور، سوى براءة بخط المصحف، بخلاف الأعشار وتراجم السور، فإن العادة كتابتها بحمرة ونحوها، فلو لم تكن قرآناً لما استجازوا إثباتها بخط المصحف من غير تمييز، لأن ذلك يحمل على اعتقاد أنها قرآن، فيكونون مغررين بالمسلمين، حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآناً، فهذا مما لا يجوز اعتقاده في الصحابة رضي الله عنهم»، ثم بين أن الصحابة ما كتبوا في المصحف إلا القرآن، فقال: «ولأنهم قصدوا تجريد المصحف مما ليس بقرآن ولهذا لم يكتبوا التعوذ والتأمين مع أنه صح الأمر بهما»، ثم بين رحمه الله السبب في عدم تكفير من أنكر قرآنية البسملة في أوائل السور، فقال: «وأما قولهم لو كانت قرآناً لكفر جاحدها، فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن يقلب عليهم، فيقال: لو لم تكن قرآناً لكفر مثبتها.

الثاني: أن الكفر لا يكون بالظنيات، بل بالقطعيات، والبسملة ظنية<sup>(١)</sup>.

ومثل هذا وأبين منه ما سطره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، حيث قال: «والعمدة التي اعتمدها المصنفون في الجهر بها ووجوب قراءتها إنما هو كتابتها في المصحف بقلم القرآن، وأن الصحابة جردوا القرآن عما ليس منه، والذين نازعوهم دفعوا هذه الحجة بلا حق، كقولهم القرآن لا يثبت إلا بقاطع، ولو كان هذا قاطعا لكفر مخالفه... معتمدين على هذه الحجة، وأنه لا يجوز إثبات القرآن إلا بالتواتر، ولا تواتر هنا فيجب القطع بنفي كونها من القرآن.

والتحقيق أن هذه الحجة مقابلة بمثلها، فيقال لهم بل يقطع بكونها من القرآن حيث كتبت، كما قطعتم بنفي كونها ليست منه، ومثل هذا النقل المتواتر عن الصحابة بأن ما بين اللوحين قرآن، فإن التفريق بين آية وآية يرفع الثقة بكون القرآن المكتوب بين لوحين المصحف كلام الله، ونحن نعلم بالاضطرار أن الصحابة الذين كتبوا المصاحف نقلوا إلينا أن ما كتبه بين لوحين المصحف كلام الله الذي أنزله على نبيه، لم يكتبوا فيه ما ليس من كلام الله.

فإن قال المنازع: إن قطعتم بأن البسملة من القرآن حيث كتبت، فكفروا النافي! قيل له: وهذا يعارض حكمه إذا قطعتم بنفي كونها من القرآن، فكفروا منازعكم، وقد اتفقت الأمة على نفي التكفير في هذا الباب، مع دعوى كثير من الطائفتين القطع بمذهبه، وذلك لأنه ليس كل ما كان قطعيًا عند شخص يجب أن يكون قطعيًا عند غيره، وليس كل ما ادعت طائفة أنه قطعي عندها يجب أن يكون قطعيًا في نفس الأمر، بل قد يقع الغلط في دعوى المدعي القطع في غير محل القطع، كما يغلط في سماعه وفهمه ونقله، وغير ذلك من أحواله، كما قد يغلط الحس الظاهر في مواضع، وحينئذ فيقال: الأقوال في كونها من القرآن ثلاثة: طرفان ووسط؛

الطرف الأول قول من يقول: إنها ليست من القرآن إلا في سورة النمل...

(١) المجموع للنووي ٣/ ٣٣٤-٣٤٠، وانظر: مراتب الإجماع لابن حزم ص ١٧٤.

الطرف المقابل له قول من يقول: إنها من كل سورة آية، أو بعض آية...

القول الوسط: إنها من القرآن حيث كتبت، وأنها مع ذلك ليست من السور، بل كتبت آية في أول كل سورة، وكذلك تتلى آية مفردة في أول كل سورة، كما تلاها النبي ﷺ حين أنزلت عليه سورة: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] <sup>(١)</sup>... وهذا - قول سائر من حقق القول في هذه المسألة وتوسط فيها جمعا من مقتضى الأدلة، وكتابتها سطرا مفصولا عن السورة، ويؤيد ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه: [كان رسول الله ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ <sup>(٢)</sup> [٣] <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

وبهذا يتبين أن البسملة حيث كتبت في المصحف فليكونها قرآنا، أما هل هي من الفاتحة أم لا؟ وهل يجهر بها في الصلاة؟ فهذا أمر آخر <sup>(٥)</sup>، والله ﷻ أعلم.

#### المسألة الثانية: حكم ترتيب آيات المصحف.

اختلف العلماء في ترتيب السور في المصحف هل هو باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم، أم بتوقيف من النبي ﷺ؟ وهذه مسألة لا ينبغي عليها خلاف في مسألة عقدية، إلا أنهم اتفقوا على أن من أراد كتابة المصحف أنه يلزمه الترتيب الموجود في المصحف، الذي اتفق عليه الصحابة رضي الله عنهم، واتباع منهجهم متحتم، والسير على خطاهم مُتَأَكَّدٌ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وترتيب السور بالاجتهاد لا بالنص في

(١) وحديث إنزال سورة الكوثر أخرجه الإمام مسلم، كتاب الصلاة، باب/ حجة من قال: البسملة آية...، ح (٤٠٠) من رواية أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب/ من جهر بها، ح (٧٨٨)، وقال الألباني: «صحيح» كما في صحيح سنن أبي داود ١/ ٢٢٣، ح (٧٨٨).

(٣) المجموع ٢٢/ ٤٣٢-٤٣٥، وانظر: ٣/ ٢٨٣، ١٣/ ٣٩٩، ٢٢/ ٢٣٨ وما بعدها، و ٢٧٦ وما بعدها، والقواعد النورانية ص ١٦-١٨، وبدائع الصنائع للكاساني ١/ ٢٠٤، أحكام القرآن للجصاص ١٣/ ١، نصب الراية للزيلعي ١/ ٣٢٨، البحر الرائق ١/ ٣٣٠-٣٣١، الفتح ٨/ ٦٦٠، ٦٨٣، إرشاد الفحول للشوكاني ص ٦٤.

(٤) المجموع ٢٢/ ٤٣٢-٤٣٥.

(٥) انظر: المجموع للنووي ٣/ ٣٤١.

قول جمهور العلماء...، فيجوز قراءة هذه قبل هذه، وكذا في الكتابة، ولهذا تنوعت مصاحف الصحابة رضي الله عنهم في كتابتها.

لكن لما اتفقوا على المصحف في زمن عثمان رضي الله عنه صار هذا مما سنه الخلفاء الراشدون، وقد دل الحديث أن لهم سنة يجب اتباعها<sup>(١)</sup>.

والحديث المشار إليه هو قوله رضي الله عنه: [عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة]<sup>(٢)</sup>. فمهما يكن من أمر فإن الصحابة قد اتفقوا على هذا الترتيب في كتابة المصحف، ولا يجوز تغيير ما كتبوا بالتقديم والتأخير، لأن ذلك مخالف للإجماع.

وأما قراءة الآيات على الترتيب الموجود في السور في المصحف فهو أمر لازم، ليس لأحد أن يخالف في ترتيبها، لا قراءة، ولا كتابة، ومن فعل ذلك عامدا فقد خالف ما عليه الأمة، لأن ترتيب الآيات في مواضعها كتنزيل الآية نفسها فالإيمان بهما واجب، وعلى هذا اتفاق الأئمة، وهو اعتقاد الأمة.

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه قال لعثمان رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْاَحْوَالِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] قال: [قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي، لا أغير شيئا منه من مكانه]<sup>(٣)</sup>.

(١) الفروع لابن مفلح ٤٢١/١، وهذا يدل على أن كتابتها في زمن الصحابة كان سائغا على حسب ما رأوه من الترتيب، لكن بعد الإجماع على ترتيبه في هذا المصحف، صار اتباع ذلك هو السنة، وخلافه غير سائق، أعني كتابة المصحف على غير هذا الترتيب - والله أعلم -.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب/ في لزوم السنة، ح(٤٦٠٧)، وأخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب/ في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، ح(٢٦٧٨)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه غيرهما، وقال الألباني في إرواء الغليل ١٠٧/٨، ح(٢٤٥٥): «صحيح»، ثم أطال النفس في تخريج الحديث من مظانه الكثيرة.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، ح(٤٥٣٠).

قال أبو محمد ابن حزم رحمته الله: «ولا يضر كون الآية المنسوخة في ترتيب المصحف في الخط والتلاوة متقدمة في أول السورة، أو في سورة متقدمة في الترتيب، وتكون الناسخة لها في السورة، أو في سورة متأخرة في الترتيب، لأن القرآن لم ترتب آياته وسوره على حسب نزول ذلك، لكن كما شاء ذو الجلال والإكرام مُنَزَّلُهُ...، ومرتبته الذي لم يكلل ترتيبه إلى أحد دونه»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمته الله: «أن ترتيب آيات كل سورة على ما هي عليه الآن في المصحف توقيف من الله تعالى، وعلى ذلك نقلته الأمة عن نبيها ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو بكر الجصاص<sup>(٣)</sup> رحمته الله مبينا أن وضع الآيات في محالها أمر توقيفي: «وذلك أن سبيل العلم بمواضع الآي كهو بالآي نفسها... ألا ترى أنه غير جائز لأحد إزالة ترتيب أي القرآن، ولا نقل شيء منه عن مواضعه إلى غيره، فإن فاعل ذلك بمنزلة من رام إزالته ورفع»<sup>(٤)</sup>.

وسئل الإمام أحمد رحمته الله عن يقرأ، أو يكتب من آخر السورة إلى أولها؟ فكرها شديدا<sup>(٥)</sup>.

والسبب - والله تعالى أعلم - في المنع من القراءة على غير الترتيب الموجود في المصحف هو أن تقديم آية على أخرى قد يؤدي إلى تغيير المعنى، بل وقد يؤدي إلى الكفر<sup>(٦)</sup>. فإذا كان لا يجوز أن يقرأ أو يكتب المصحف على غير الترتيب الموجود في المصحف، فكيف بمن يقرأ الآية نفسها منكوسة؟ لا شك أن هذا أشد جرما، وأشنع ذنبا<sup>(٧)</sup>.

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٥٠٥/٢.

(٢) الفتح ٦٥٦/٨، وانظر: المجموع ٦٢/٦.

(٣) هو الفقيه الحنفي: أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، برع في الفقه، وغيره من العلوم، ومن مؤلفاته: أحكام القرآن، توفي سنة ٣٧٠ هـ. انظر: الفوائد البهية ص ٢٧.

(٤) أحكام القرآن للجصاص ١/١٠، وانظر: الفروع لابن مفلح ١/٤٢١.

(٥) الفروع لابن مفلح ١/٤٢١.

(٦) انظر: الفروع لابن مفلح ١/٤٢١-٤٢٢.

(٧) انظر: المصدر السابق.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «ترتيب الكلمات بحيث تكون كل كلمة في موضعها من الآية ثابت بالنص والإجماع، ولا نعلم مخالفا في وجوبه، وتحريم مخالفته؛ فلا يجوز أن يقرأ: الله الحمد رب العالمين، بدلا من: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]...، وترتيب الآيات بحيث تكون كل آية في موضعها من السورة، هذا ثابت بالنص والإجماع، وهو واجب على القول الراجح، وتحريم مخالفته، ولا يجوز أن يقرأ: مالك يوم الدين، الرحمن الرحيم، بدلا من: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣-٤]»<sup>(١)</sup>.

### المسألة الثالثة: التعشير والتخاميس في المصحف.

كل ما في المصحف بخط المصحف فهو من كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وأما ما كتب في المصحف من أسماء السور، والتعشير والتخاميس، وكتابة أرقام الآيات، فهذه قطعاً هي من وضع الكتاب والقراء، وهذا معلوم ضرورة<sup>(٢)</sup>. وكذلك ما يكتب في بعض المصاحف من تصديقات، ودعاء، ونحو ذلك فهذا قطعاً ليس من القرآن، وليس هو المشار إليه بقول المسلمين: (المصحف)<sup>(٣)</sup>. وبهذا اتضح أن ما في المصحف هو كلام الله تعالى، وأنهم حين يشيرون إلى المصحف فلا يعنون إلا القرآن، وأما ما يخالف المصحف من القراءات فهل هو قرآن؟ هذا ما أبينه في المبحث الآتي.

(١) أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣٢٦.

(٢) انظر: المجموع ١٣/١٠٥، مختصر التحرير ١٨٧/٢.

(٣) انظر: المجموع ١٢/٥٧٦ وما بعدها، و ٥٨٦ وما بعدها، ٢٢/٢٧٨.

## المبحث الثاني

## ما يخالف المصحف هل يقال عنه قرآن؟

**المطلب الأول:** بيان المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦].

إن من العقائد السلفية المعلومة عند الخاصة والعامة أن القرآن الكريم كلام الله منزل على محمد ﷺ، ولم ينزل القرآن على أحد قبله.

وهذه الآية قد وردت في سورة الشعراء في معرض ذكر القرآن ونزوله، والامتنان بذلك كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٩٦] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٨﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠٠﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٧].

ويتبين من السياق أن المراد من هذه الآيات أن القرآن الكريم تنزيل من الله ﷻ على محمد ﷺ نزل به جبريل على قلبه ﷺ، وأن القرآن نزل بلسان عربي واضح بين، وإن ذكر هذا القرآن وخبره لموجود في الكتب السابقة، وقد علمه علماء بني إسرائيل<sup>(١)</sup>.

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله: «وإنه لفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ: يعني في كتب الأولين، وخرج مخرج العموم، ومعناه الخصوص، وإنما هو: هذا القرآن لفِي بعض زُبُرِ الأولين، يعني أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير ٩/ ٤٧٥-٤٧٦، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٤٧، محاسن التأويل ٥/ ٣٨٥، أضواء البيان ٦/ ٢٥٤.

(٢) جامع البيان ٩/ ٤٧٦.



وقال ابن حزم رحمه الله في معرض رده على من جوز قراءة القرآن بغير العربية، مستدلين بهذه الآية: « لا حجة لهم في هذا، لأن القرآن المنزل علينا، على لسان - أي لغة - نبينا ﷺ، لم ينزل على الأولين، وإنما في زبر الأولين ذكره، والإقرار به فقط، ولو أنزل على غيره ﷺ لما كان آية له، ولا فضيلة له، وهذا لا يقوله مسلم »<sup>(١)</sup>.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « وإن ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه، كما أخذ عليهم الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيباً في ملئه بالبشارة بأحمد ﷺ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ » [الصف: ٦] والزبر ههنا هي الكتب »<sup>(٢)</sup>.

فالذي في زبر الأولين، وفي كتب الأقدمين، ليس هو نفس القرآن المنزل على نبي الأميين محمد ﷺ، فإن هذا القرآن لم ينزل على أحد قبله، ولكن في الكتب المتقدمة، ذكر القرآن وخبره، ويدل لهذا ما يأتي:

١. أن القرآن لو نزل على أحد قبله لبطل اختصاص محمد ﷺ به<sup>(٣)</sup>.
٢. أن كل نبي نزل عليه كتاب مثل صحف إبراهيم والتوراة والزبور والإنجيل قد نسخ بعضه، بالدين والكتاب الذي جاء بعده، والقرآن محكم لا يُنسخ بل يُنسخ ما سبقه من الكتب.
٣. أن أحداً من الأمم لم تقل بأن القرآن منزل على نبيها، بل كل أمة متمسكة بالكتاب المنزل على نبيها.
٤. أن محمداً ﷺ مذكور في الكتب السابقة ولم يقل أحد بأن المراد به نفسه ﷺ، إذ لم يكن قد خلق بعد ﷺ.

(١) المحلى لابن حزم ٣/ ٢٥٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٤٧.

(٣) انظر: المحلى لابن حزم ٣/ ٢٥٤.

٥. أن الله أخبر أن أفعال العباد في الزبر، وهذا لا يعني أن نفس الأفعال موجودة، وإنما المراد ذكرها وشأنها.

٦. أن الموجودات أنواع أربعة، وهي:

١. وجود عياني.

٢. وجود ذهني خيالي علمي.

٣. وجود لفظي لساني.

٤. وجود خطي بنائي رسمي، ووجود القرآن عندنا هو من الأنواع الأربعة؛ فهو موجود عياناً يقرأ ويسمع، ويتلى، ويذكر، ويستشهد به، وموجود ذهنيًا وعلميًا، فكل مسلم يعلم أن القرآن كلام الله، ويعرف شيئاً عنه، وموجود لفظاً ولساناً، فكم من حافظ يردده للحفظ، وكم من قارئ يردده للذكر، وموجود خطأ ورسماً، كما خطّه وكتبه ورسّمه الكتاب في المصاحف<sup>(١)</sup>.

وأما وجود القرآن في كتب الأولين فهو من النوع الثاني، أعني أن وجوده علمي فقط، وأن علماءهم علموا ذلك من غير شطط<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا الباب ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في سورة الملك: [فهي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة سورة "الملك" من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب]<sup>(٣)</sup>، أي نَوّه بذكرها، وبُين فضلها، وأنه سمي كذلك في التوراة بهذا الاسم، والله أعلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فتبوت القرآن في زبر الأولين هو مثل كون الرسول مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ولهذا قيد سبحانه هذا بلفظ "الزبر"...

(١) انظر: الجواب الصحيح ٣/ ٣٣٩-٣٤٠، مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٩٨.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٢٨٩، ٣٨٤-٣٨٥.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة الملك، ح (٣٨٣٩) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ورواه البيهقي في شعب الإيمان من طريقه ٢/ ٤٩٤ ح (٢٥٠٩)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح (١٤٧٥).

فالقرآن نفسه ليس عند بني إسرائيل ولكن ذكره، كما أن محمدا ﷺ نفسه ليس عندهم ولكن ذكره، فثبوت الرسول في كتبهم كثبوت القرآن في كتبهم، بخلاف ثبوت القرآن في اللوح المحفوظ، وفي المصاحف فإن نفس القرآن أثبت فيها، فمن جعل هذا مثل هذا كان ضلاله بينا»<sup>(١)</sup>.

وقال: «فإن القرآن لم ينزل على أحد قبل محمد ﷺ لا لفظه، ولا جميع معانيه، ولكن أنزل الله ذكره، والخبر عنه، كما أنزل ذكر محمد والخبر عنه، فذكر القرآن في زبر الأولين، كما أن ذكر محمد ﷺ في زبر الأولين، وهو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، فالله ورسوله معلوم بالقلوب، مذكور بالألسن، مكتوب في المصحف، كما أن القرآن معلوم لمن قبلنا، مذكور لهم مكتوب عندهم، وإنما ذاك ذكره، والخبر عنه، وأما نحن فإن نفس القرآن نزل إلينا، ونفس القرآن مكتوب في مصاحفنا، كما أن نفس القرآن في الكتاب المكنون»<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يتبين أن وجود القرآن كان وجودا علميا في كتب الأولين لا يسمى قرآنا، وأما وجوده عينيا فهو موجود في مصاحف المسلمين، وهو الموجود بين الدفتين، وهو القرآن الكريم.

وأما ما خالف المصحف من الأحرف المروية، والقراءات المسندة فهل يقال عنها قرآن؟ هذا ما أبينه في المطلب الثاني.

(١) المجموع ١٢/ ٢٩٠، وانظر: دقائق التفسير ١٩٥-١٩٦.

(٢) المجموع ١٢/ ٣٨٤، وانظر: ١٢/ ٥٦٥، ٢٤٠.

المطلب الثاني: ما يروى من الأحرف<sup>(١)</sup> هل يقال عنه قرآن؟

ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: [إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه]<sup>(٢)</sup> ففي هذا الحديث بيان أن الأحرف منزلة من الله ﷻ على نبيه ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنه في الصحيحين أيضا: [أقرأني جبريل ﷺ على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده فيزيديني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف]<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري: «بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا، لا يختلف في حلال، ولا حرام»<sup>(٥)</sup>.

(١) المراد بالأحرف في هذا العنوان الأحرف التي روي بها القرآن. والأحرف جمع حرف، ولها عدة معاني في اللغة وأقرب معانيها لما نحن بصدد: أن الأحرف جمع حرف، وهو: الوجه والطريق، قال ابن فارس: «الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حذ الشيء، والعدول، وتقدير الشيء، فأما الحذ: فحرف كل شيء حده...» فيقال هو على حرف كذا أي على طريقة كذا. انظر: مقاييس اللغة ص ٢٥٥، لسان العرب ٤١/٩، المصباح المنير ص ١٣١.

وأما الأحرف في اصطلاح أهل القراءة ففيه خلاف كبير، وأمره ليس باليسير، حتى توقف في تعريفه جم غفير، واختلف المعرفون فيه على أقوال، وكثر فيه المقال، حتى وصل بهم الحال، أنهم اختلفوا على نيف وثلاثين قولاً؟ ولعل أشهر هذه الأقوال في المراد بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم: ١ - أنها سبع لغات من لغات العرب ولهجاتهم. ٢ - أن المراد بها الأنواع التي يقع بها التغيرات والاختلاف بسبب الإعراب والبناء وحروف الكلمة ونحوها. ٣ - أن المراد بها سبعة أصناف من المعاني والأحكام! وهي: الحلال والحرام، والأمر والزجر، والمحكم والمتشابه، والأمثال. ٤ - أن حقيقة العدد غير مراد ولكن المراد التيسير أن يقرأ كل بحسب ما أمكنه من لغته دون تحديد. انظر لهذه المسألة: المرشد الوجيز في علوم الكتاب العزيز ص ٧٧ وما بعدها، شرح النووي ١٠٠/٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢/١ وما بعدها، الفتح ٨/٦٩٤، إرشاد الفحول للشوكاني ص ٦٣، مختصر التحرير ١٨٥/٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح (٤٩٩٢)، ومسلم، كتاب صلاة...، باب/ بيان أن القرآن على سبعة أحرف...، ح (٨١٨).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٦/١.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح (٤٩٩١)، ومسلم، كتاب صلاة...، باب/ بيان أن القرآن على سبعة أحرف...، ح (٨١٩).

(٥) ذكره مسلم عنه مسندا، وهو أحد رواة حديث الأحرف من طريق عمر وابن عباس رضي الله عنهما، انظر: صحيح الإمام مسلم ص ٣١٨.

وهذا فيه أن الأحرف إنما هي كما سمعه جبريل عليه السلام وقرأه على الرسول ﷺ وأنها في أمر واحد لا تختلف من حيث المعنى.

قال البغوي رحمته الله: « ليس معنى هذه الحروف أن يقرأ كل فريق بما شاء مما يوافق لغته من غير توقيف، بل كل هذه الحروف منصوصة، وكلها كلام الله ﷻ، نزل بها الروح الأمين، على النبي ﷺ » <sup>(١)</sup>.

وفي صحيح الإمام مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه [أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار <sup>(٢)</sup>] قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأبى حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا <sup>(٣)</sup>.

وهذا الحديث أيضا فيه التأكيد على أن الأحرف منزلة من الله ﷻ بدليل ذهاب جبريل وإتيانه، وأن الأمر ليس متروكا للقراء.

والأحاديث بمجموعها يدل على أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وهذا لا خلاف فيه بين سلف الأمة، وعلماء الأمة، قال شيخ الإسلام رحمته الله: « لا نزاع بين العلماء المعتبرين، أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي ﷺ أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة... ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى، وتضاده، بل قد يكون معناها متفقا أو

(١) المرشد الوجيز في علوم الكتاب العزيز ص ١٣٤.

(٢) أضاة: بفتح الهمزة، وضاد معجمة بعدها ألف، وآخره تاء تأنيث، هو مستنقع ماء كالغدير، وجمعه (أضيا) كعصاة وعصا، وهو موضع بالمدينة، ينسب إلى بني غفار؛ لأنهم نزلوا عنده. انظر: مئة المنعم للمباركفوري ١/ ٥١٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة...، باب/ بيان أن القرآن على سبعة أحرف...، ح (٨٢١).

متقارباً... وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر، لكن كلا المعنيين حق، وهذا اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض»<sup>(١)</sup>.

وبعد بيان جهة الاتفاق أبين قرآنية الأحرف من عدم قرآنيتهما وذلك في مسألتين:

### المسألة الأولى: ما يروى من الأحرف موافقا للمصحف.

لا ريب أن الأحرف التي توفرت فيها الشروط المرضية للقراءة الصحيحة أنها من القرآن<sup>(٢)</sup>، وهذه الشروط التي ذكرها أهل الفن هي:

١- أن تكون القراءة بها ثابتة من حيث الإسناد.

٢- أن تكون القراءة موافقة للرسم العثماني المجمع عليه من قبل الصحابة رضي الله عنهم<sup>(٣)</sup>.

(١) المجموع ١٣/٣٩٠-٣٩١، وانظر: ١٣/٤٠١

(٢) وهل المصحف الموجود مشتمل على الأحرف كلها؟ أم على بعضها؟ أم على حرف واحد منها؟ هذه الثلاثة الأقوال هي المشهورة، وعن العلماء المذكورة، وهذا يحتاج إلى بحث عميق، ونفسٍ دقيق، وصفحات كثيرة، ومباحث جريئة، فالله أسأل أن يهيئ لهذا الأمر طالب علم يقوم به، والأظهر في هذه الأقوال أن المصحف الذي أمر بكتابه عثمان رضي الله عنه مشتمل على الأحرف التي لم تنسخ في العرصة الأخيرة، وأن كل حرف مخالف لهذا المصحف فهو منسوخ ككل آية لم تذكر في المصحف فهي منسوخة؛ إما تلاوة وحكما، أو تلاوة فقط، ولمزيد بيان انظر: الإحكام لابن حزم ٤/٥٥٤ وما بعدها، المرشد الوجيز لأبي شامة (فإنه ألفه أساسا لبيان الأحرف)، الجامع لأحكام القرآن ١/٣٩، المجموع ١٣/٣٩٥، ٤١٠، الفتح ٨/٦٤٦-٦٤٧، مناهل العرفان للزرقاني ١/٣٩٩ وما بعدها، المدخل إلى علوم القرآن الكريم لمحمد أبي شعبة ص ١٩١-١٩٦، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ١/٦٦ وما بعدها، حديث الأحرف السبعة د/ عبد العزيز عبد الفتاح.

(٣) وينبغي التنبيه إلى أن بعض أهل العلم يذكر أن في المصحف الذي كتبه عثمان رضي الله عنه أخطاء إملائية، بحسب ما عرف من القواعد الخطية، وهذا بين البطلان، وذلك من وجوه منها: ١ - أن هذه المصاحف كتبت على مرأى ومسمع من الصحابة، ولو كان فيها خطأ لما سكتوا عنه. ٢ - أن الصحابة أجمعوا على هذا المصحف، فكيف يجمعون على خطأ؟ ٣ - أن هذه المصاحف أرسلت إلى أمصار مشهورة، وبالعلوم معروفة، ولم يوجد إنكار مع وجود الصحابة الكرام فيها، والعلماء الأجلاء بها، من الحفاظ والخطاطين، وغيرهم من أهل العلوم المثبتين. ٤ - أنهم علموا بأن هذه الخطوط إنما جيء بها هكذا لغرض احتمال القراءة، أو غير ذلك. ٥ - أن الكتاب كانوا يكتبون القرآن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كان ثمت خطأ في الكتابة لُنُبِّهوا على ذلك من الذي لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في المجموع (١٥/٢٥٢): «المصاحف التي نسخت كانت مصاحف متعددة،

٣- أن تكون القراءة موافقة لوجه من أوجه اللغة العربية.

قال الإمام ابن الجزري <sup>(١)</sup> رحمه الله:

فكل ما وافق وجه نحو      وكان للرسم احتمالاً يحوي  
وصح إسناداً هو القرآن      فهذه الثلاثة الأركان  
وحيثما يختل ركن أثبت      شدوده، لو أنه في السبعة <sup>(٢)</sup>  
وهكذا قال غيره من المختصين، ومن العلماء المتبحرين <sup>(٣)</sup>.

وبهذا نستطيع أن نقول: إن الحرف أو الوجه الموافق للرسم، الذي ثبت سنده، وصح وجهه، هو من القرآن، لأن الصحابة لم يثبتوا إلا ما هو قرآن، ولتأكيد هذا الكلام، وتنويره بمقالات أهل العلم أنقل بعض عباراتهم، وما فيه من دلالاتهم، على أن الأحرف المروية الصحيحة هي من القرآن.

١- أن المهاجرين والأنصار، وجملة أهل الإسلام، الموجودين في عصر الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه اتفقوا على جمع ما في المصحف بما صح وثبت أنه قرآن، فما وافق هذا المصحف من القراءات الصحيحة كان قرآناً <sup>(٤)</sup>.

وهذا معروف مشهور، وهذا مما يبين غلط من قال في بعض الألفاظ: إنه غلط من الكاتب، أو نقل ذلك عن عثمان رضي الله عنه، فإن هذا ممنوع لوجهه. ثم ذكر بعض الوجوه التي سبقت. انظر: الجواب الصحيح ٣/ ٤٢٣، المجموع ١٥/ ٢٥٣-٢٥٦، الفروع لابن مفلح ١/ ٣٧١، مناهل العرفان ١/ ٣٦٩، ٣٧٣-٣٧٧، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٣٠٧-٣١٧.

(١) هو شيخ القراء في زمانه: أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي الشيرازي الشافعي، المشهور بابن الجزري، ولد سنة ٧٥١ هـ، وتوفي ٨٣٣ هـ ومن مؤلفاته المشهورة: طيبة النشر. انظر: الأعلام للزركلي ٧/ ٤٥.

(٢) طيبة النشر ص ٣.

(٣) انظر: جامع البيان ٢/ ٣٢٨، المرشد الوجيز في علوم الكتاب العزيز ص ١٣٨-١٤٥، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٥٨ وما بعدها، المجموع ٨-٦٤٩، ١٥/ ٢٥٠، الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب ص ٥٧-٥٨، ١٠٠، منجد المقرئين ص ٢٢، الفتح ٨/ ٦٤٩، ٦٥٤، السيل الجرار ١/ ٢٣٩، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ١/ ١٣٩ وما بعدها.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٨-٣٩.

٢- قال ابن حزم رحمه الله: «واتفقوا... أن كل ما في القرآن حق، وأن من زاد فيه حرفاً من غير القراءات المروية المحفوظة، المنقولة نقل الكافة، أو نقص منه حرفاً، أو بدل منه حرفاً مكان حرف، وقد قامت عليه الحجة أنه من القرآن فتهاذى في ذلك عالماً بأنه بخلاف ما فعل، فإنه كافر»<sup>(١)</sup>.

٣- قال القاضي عياض رحمه الله عن المصحف: «فجميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفاً آخر، لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع، وأجمع عليه، أنه ليس بقرآن عامداً لكل هذا؛ فهو كافر»<sup>(٢)</sup>.

٤- قال أبو شامة المقدسي رحمه الله: «لا يقطع بالقراءة بأنها منزلة من عند الله إلا إذا اتفقت الطرق عن ذلك الإمام الذي قام بإمامة المصر بالقراءة، وأجمع أهل عصره، ومن بعدهم بإمامته في ذلك... بشرط أن لا يختل المعنى، ولا يتغير الإعراب»<sup>(٣)</sup>. وقال أيضاً: «ويحمل على اعتقاد ذلك ثبوت تلك القراءة بالنقل الصحيح عن رسول الله ﷺ ولا يلتزم فيه تواتر، بل تكفي الأحاد الصحيحة مع الاستفاضة، وموافقة خط المصحف، بمعنى: أنها لا تنافيه عند<sup>(٤)</sup> المنكرين لها نقلاً وتوجيهاً من حيث اللغة»<sup>(٥)</sup>.

٥- قال ابن عطية رحمه الله: «ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة،

(١) مراتب الإجماع لابن حزم ص ١٧٤، ولم يتعرض له شيخ الإسلام في نقد مراتب الإجماع لهذا بنقض مما يدل على صحة هذا النقل للإجماع.

(٢) كشاف القناع ١/ ٤٣٣.

(٣) هو المفسر المؤرخ الفقيه الشافعي: عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي المعروف بأبي شامة المقدسي، وله مؤلفات كثيرة، ومنها: المرشد الوجيز في علوم الكتاب العزيز، توفي سنة ٦٦٥ هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٦١/ ٥.

(٤) الفتح ٨/ ٦٥٥.

(٥) في المطبوع: (عدم) ولعل ما أثبتته هو الصواب.

(٦) المرشد الوجيز ص ١٧١.



وبها يصلى، لأنها ثبتت بالإجماع»<sup>(١)</sup>. فقلوه: وبها يصلى، دليل على أن ذلك قرآن.

٦- قال العلامة القرطبي رحمته الله: «وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة - يعني القراء المعروفين - مما روه، ورأوه من القراءات، وكتبوا في ذلك مصنفات، فاستمر الإجماع على الصواب، وحصل ما وعد الله من حفظ الكتاب، وعلى هذا الأئمة المتقدمون، والفضلاء المحققون»<sup>(٢)</sup>.

٧- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والقراءة المعروفة بين المسلمين، الموافقة للمصحف، تجوز القراءة بها بلا نزاع بين الأئمة، ولا فرق بين الأئمة بين قراءة أبي جعفر<sup>(٣)</sup> ويعقوب<sup>(٤)</sup>...، ولم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها أن القراءة مختصة بالقراء السبعة»<sup>(٥)</sup>. ويتضح من هذا أن القراءة الثابتة الصحيحة من القرآن، من غير نكران، وأيضا القراءة لا تختص بالقراء السبعة المشهورين<sup>(٦)</sup>، وقال أيضا: «ليس لأحد

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٥ / ١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٥ / ١.

(٣) هو المقرئ: يزيد بن القعقاع أبو جعفر المدني، ثقة، روى له أبو داود، توفي سنة ١٣٠ هـ. انظر: التقريب ص ٥٥٤.

(٤) هو المقرئ: يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي مولاهم، أبو محمد المقرئ النحوي، توفي سنة ٢٠٥ هـ. انظر: التقريب ص ٥٣٦.

(٥) المجموع ٥٦٩ / ١٢، وانظر منه: ٣٩٢ / ١٣.

(٦) والقراء السبعة هم:

١- نافع بن عبد الرحمن الليثي المدني قرأ على سبعين من التابعين، منهم أبو جعفر وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وقرأ الأعرج على ابن عباس وأبي هريرة وهما عن أبي رحمته الله، توفي في المدينة سنة ١٦٩ هـ.

٢- ابن كثير هو أبو معبد عبد الله بن كثير، وهو تابعي قرأ على عبد الله بن السائب المخزومي عن عمر وأبي ابن كعب رحمته الله، وتوفي سنة ١٢٠ هـ.

٣- أبو عمرو زيان بن العلا بن عمار، قرأ على جماعة منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع والحسن البصري، وهو على حطان وأبي العالية، وأبو العالية على عمر بن الخطاب وأبي رحمته الله، توفي سنة ١٥٤ هـ.

٤- ابن عامر هو عبد الله بن عامر البحصبي مقرئ دمشق وقاضيه، تابعي لقي واثلة بن الأسقع والنعيمان بن بشير، قيل إنه قرأ على عثمان رحمته الله، توفي بدمشق سنة ١١٨ هـ.

٥- عاصم هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود بن بهدلة مولى بني خزيمة، أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي عن عثمان وعلي وأبي وابن مسعود وزيد بن ثابت رحمته الله، توفي سنة ١٢٧ هـ.

أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه، بل القراءة سنة متبعة، وهم إذا اتفقوا على اتباع القرآن المكتوب في المصحف الإمامي، وقد قرأ بعضهم بالياء، وبعضهم بالتاء لم يكن واحدا منها خارجا عن المصحف... وقد بينا أن القراءتين كالآيتين، فزيادة القراءات كزيادة الآيات، لكن إذا كان الخط واحدا، واللفظ محتملا كان ذلك أخصر في الرسم»<sup>(١)</sup>.

٨- قال ابن الحفيد<sup>(٢)</sup> رحمه الله: «ذهب جماهير العلماء من الخلف والسلف، وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل متضمنة لها، لم يترك منها حرف»<sup>(٣)</sup>.

٩- قال الشوكاني رحمه الله: «والحاصل أن ما اشتمل عليه المصحف الشريف، واتفق عليه القراء المشهورون، فهو قرآن، وما اختلفوا فيه فإن احتمل رسم المصحف قراءة كل واحد من المختلفين مع مطابقتها للوجه الإعرابي، والمعنى العربي، فهي قرآن كلها»<sup>(٤)</sup>.  
وبهذه النقول الجلية، والأقوال المرضية، يتأكد الاعتقاد بأن القراءات في القرآن الكريم هي من المصحف، وأنها من كلام الله ﷻ، فكل حرف روي موافقا للرسم مع صحة السند، وصحة الوجه الإعرابي، فهو قرآن.

وأما إذا اختلف فيها شرط من هذه الشروط فهل يقال عنها قرآن أم لا؟ هذا ما أبينه في المسألة الثانية.

٦- حزة بن حبيب بن عمارة الزيات التميمي مولا هم، مقرئ الكوفة، قرأ على سليمان بن مهران الأعمش عن يحيى بن وثاب الأسدي عن علقمة بن قيس عن ابن مسعود رضي الله عنه، توفي سنة ١٥٦ هـ.

٧- الكسائي أبو الحسن علي بن حزة الكسائي النحوي، قرأ على حزة وقرأ على محمد بن أبي ليلى وعيسى بن عمر عن عاصم، توفي سنة ١٨٩ هـ. انظر في تراجم القراء السبعة المشهورين: المكر فيها تواتر من القراءات السبع وتحرر لأبي حفص عمر بن قاسم الأنصاري ص ١٨-٢٥.

(١) المجموع ٣٩٩/١٣-٤٠٠.

(٢) هو: سيف الدين يحيى بن محمد بن سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الهروي، المعروف بابن الحفيد الحنفي الهروي، مفسر، متكلم، توفي سنة ٨٨٧ هـ. انظر: معجم المؤلفين ١٣/٢٢٨.

(٣) الدر النضيد لمجموعة ابن الحفيد ص ٤٣.

(٤) إرشاد الفحول ص ٦٣.

### المسألة الثانية: ما يروى من الأحرف مخالفا للمصحف.

الأحرف المخالفة لشروط القراءة الصحيحة هي المعروفة عند القراء بالشواذ<sup>(١)</sup>، فكل قراءة لم تصح إسنادا، أو لم توافق رسم المصحف، أو خالفت أوجه الإعراب فلا تكون قراءة صحيحة<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فالصحيح - والله تعالى أعلم - أن ما ثبت من بعض الصحابة القراءة بها فلا يعدو أن يكون تفسيراً سمعه من النبي ﷺ أو رأياً في التفسير من نفسه<sup>(٣)</sup>، أو أنه ما علم بأن هذه القراءة نسخت، كما تنسخ بعض الآيات استقلالاً<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذه الاحتمالات يحمل ما ثبت عنهم ﷺ خصوصاً أنهم هم الذين أجمعوا أولاً على أن القرآن هو الموجود في المصحف، وهم الذين أخبرونا أن القراءة سنة متبعة<sup>(٥)</sup>، لا اجتهاد فيها، وتبعهم على ذلك التابعون ومن جاء بعدهم ثانياً.

فعلى هذا لا يقال لما لا يثبت صحيحاً موافقاً للرسم العثماني قرآناً، كما لا يقال للأحاديث المروية عن النبي ﷺ مما لم يثبت أنها من الأحاديث المرفوعة، وإن كان يقال عنها حديثاً فباعتبار أنها مروية فقط لا باعتبار واقع الأمر، وكذلك يقال للشواذ قراءات باعتبار الرواية لا باعتبار حقيقة الأمر، وثبوتها قرآناً، وتبييناً لهذا الأمر المهم، أنقل بعض أقوال أهل العلم:

١- قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: «ما يروى من الحروف التي تخالف المصحف الذي عليه الإجماع، من الحروف التي أسانيدُها الخاصةُ دون العامة فيها نقلوا فيه عن أبي ﷺ... لم ينقلها أهل العلم على أن الصلاة بها تحل، ولا على أنها

(١) والشاذ عندهم: كل قراءة لم تتوفر فيها الشروط الثلاثة السابقة التي ذكرها علماء القراءات. انظر: المرشد

الوجيز في علوم الكتاب العزيز ص ١٦٨ وما بعدها، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٨/١.

(٢) انظر: الإعلام والاهتمام بفتاوى شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر ٨/٢٩٢، الإحكام للأمدى ١/٢١٢، حاشية ابن عابدين ١/٤٨٥.

(٤) انظر: الإحكام لابن حزم ٤/٥٥٥، الجامع لأحكام القرآن ١/٦١.

(٥) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ٢/٣٨٥، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ١/٩٤ وما بعدها.

معارض بها مصحف عثمان، لأنها حروف لو جحدتها جاحد أنها من القرآن لم يكن كافراً، والقرآن الذي جمعه عثمان بموافقة الصحابة له لو أنكر بعضه منكر كان كافراً، حكمه حكم المرتد يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه»<sup>(١)</sup>.

٢- قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «وأما ما يروى من الأحرف فلا يقطع بشيء منه على الله تعالى أنه قرآن، ولكنه يكون من باب الخبر...، ويبين لك هذا أن من دفع شيئاً مما في مصحف عثمان كفر، ومن دفع ما جاء في هذه الآثار وشبهها من القراءات لم يكفر»<sup>(٢)</sup>. فانظر: كيف يتعلق حكم التكفير من عدمه فيمن أنكر قرآنية المعلوم الموافق للرسم، بخلاف من أنكر ما عدا ذلك.

٣- قال الحافظ البيهقي رحمه الله: «والأصل ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما عارضه به جبريل عليه السلام في تلك السنة مرتين، ثم اجتمعت الصحابة على إثباته بين الدفتين»<sup>(٣)</sup>.

٤- قال الجويني رحمه الله: «وكل زيادة لا تحويها الأم، ولا تشمل عليها الدفتان، فهي غير معدودة في القرآن»<sup>(٤)</sup>.

٥- قال الأمدي رحمه الله فيما يروى من الأحرف التي لم توافق رسم المصحف: «إن ذكر على أنه قرآن فهو خطأ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٠ / ١.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ٢٧٩ / ٤.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٣٨٥ / ٢.

(٤) هو المتكلم الأصولي الفقيه: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري الشافعي الأشعري، الملقب بإمام الحرمين، له تصانيف كثيرة، ومنها: الإرشاد إلى قواطع الأدلة وأصول الاعتقاد ألفه على طريقة المتكلمين، توفي سنة ٤٧٨ هـ. انظر: السير ٢٥٥ / ١١.

(٥) البرهان للجويني ص ٤٢٨.

(٦) هو الأصولي الأشعري: علي بن أبي علي بن محمد بن سالم سيف الدين الأمدي، شافعي المذهب، وكان من أذكاء العالم، ومن مؤلفاته: الأحكام السلطانية، توفي سنة ٦٣١ هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٣٠٦-٣٠٧.

(٧) الأحكام للأمدي ٢١٢ / ١.

٦- قال المازري<sup>(١)</sup> رحمه الله: بعد ذكر رواية فيها قراءة: «يجب أن يعتقد في هذا الخبر وما في معناه، أن ذلك كان قرآنا ثم نسخ، ولم يعلم من خالف النسخ، فبقي على النسخ. قال: ولعل هذا وقع من بعضهم قبل أن يبلغهم مصحف عثمان المجمع عليه، المحذوف منه كل منسوخ»<sup>(٢)</sup>. فهذا القول يبين أن ما خالف المصحف إذا صح فهو منسوخ تلاوته لترك الصحابة هذه القراءة، وهم لا يتركون شيئا من القرآن من عند أنفسهم.

٧- قال النووي رحمه الله: «ولا يقرأ بالشواذ في الصلاة»<sup>(٣)</sup>. وهذا يدل على أنها ليست من القرآن، ولو كانت هذه القراءة من القرآن لصحت الصلاة بها.

٨- نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله: بعد أن شرح قول عمر رضي الله عنه في رجم الشيخ والشيخة إذا زنيا، قول بعض الشراح، قال: «وفيه اهتمام الصحابة، وأهل القرون الأولى بالقرآن، والمنع من الزيادة في المصحف، وكذا منع النقص بطريق الأولى، لأن الزيادة إنما تمنع لئلا يضاف إلى القرآن ما ليس منه، فاطراح بعضه أشد، قال: وهذا يشعر بأن كل ما نقل عن السلف كأبي بن كعب وابن مسعود رضي الله عنه من زيادة ليست في الإمام إنما هي على سبيل التفسير، ونحوه. قال: ويحتمل أن يكون ذلك كان في أول الأمر، ثم استقر الإجماع على ما في الإمام، وبقيت تلك الروايات تُنقل لا على أنها ثبتت في المصحف»<sup>(٤)</sup>.

٩- قال الخراز<sup>(٥)</sup> رحمه الله:

وبعده جرّده الإمام	في مصحف ليقتدي الأنام
ولا يكون بعده اضطراب	وكان فيما قد رأى صواب

(١) هو الحافظ الفقيه المتكلم: محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي، ولد وتوفي في إفريقيا (تونس)، من مؤلفاته: المعلم بفوائد مسلم، توفي سنة ٥٣٦ هـ. انظر: الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣٧٤.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٠٩/٦.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٠٦/٤.

(٤) الفتح ١٦١/١٢.

(٥) هو المقرئ: محمد بن محمد بن إبراهيم الأموي الخراز، من أهل فاس، أصله أندلسي، من مصنفاته: الغوالي لحل بدء الأمالي، توفي سنة ٧١٨ هـ. انظر: معجم المؤلفين ١١/١٧٦.

وقصة اختلافهم شهيرة      كقصة اليمامة العسيرة  
 فينبغي لأجل ذا أن نفتفي      مرسوم ما أصله في المصحف  
 ونقتدي بفعله وما رأى      في جعله لمن يخط ملجأ<sup>(١)</sup>.

فكل قراءة لم تثبت لا يقال لها قرآن لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٧-١٩] ونحوه من الآيات مقتضية لبقاء رسم القرآن ونظمه بعد وفاة النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وهنا أحكام تتعلق بهذه المسألة فيما إذا قلنا إن هذه القراءة من القرآن الكريم أم لا، وهي:

أ- أنه يلزم الجميع اعتقاد أن ما ثبت من الأحرف أنه كلام الله الذي أنزله على رسوله، على نظامه وترتيبه، ولفظه ومعناه، وإذا نسخ ذلك ورفع ولم يكن في المصحف كذلك، فلا يلزمنا ذلك، إلا أن يقال بعد صحة السند: كان قرآنا فنسخ<sup>(٣)</sup>.

ب- أنه يتعلق بها حكم جواز الصلاة، وأن بقراءتها تصح الصلاة، وأما ما ليس في المصحف فلا تصح الصلاة بها على الأصح من أقوال العلماء بل تُفسدها.

ت- أنه يتقرب إلى الله تعالى بتلاوتها، ويطلب الثواب بقراءتها.

ث- أنه يلزمنا حفظها في المصاحف، وإثباتها في القرآن، ونقلها لفظا ومعنى<sup>(٤)</sup>.

وأما حكم القراءة بما يخالف المصحف، فهذا ما سأجليه في المطلب الآتي.

(١) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٧٩.

(٢) انظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢٦٥-٢٦٦.

(٣) وبهذا يتضح ارتباط هذا المطلب بالعقيدة.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٥٧٠، ١٣/ ٣٩٤-٣٩٥، الفصول في الأصول ٢/ ٢٦٠.

### المطلب الثالث: حكم القراءة بما يخالف المصحف<sup>(١)</sup>.

الأصل في ثبوت الأحرف صحة النقل، واحتمال رسم المصحف لها، وموافقة الحرف لوجه من أوجه اللغة العربية، فالأحرف المروية الأصل فيها أنها منزلة من الله ﷻ، وسمعت من رسول الله ﷺ وليس الأمر متروكا للاجتهادات، ولا مدخل لإثبات الأحرف بالقياسات.

والأدلة قد دلت على وجوب الاتباع في القراءة وترك الابتداع فيها، ومن هذه الأدلة ما يأتي:

١- قال الله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٩] فإذا كان أفصح الخلق ﷺ مأمورا باتباع القراءة، فكيف بغيره من الأمة؟ وهذا من الأدلة الواضحة على وجوب الاتباع في القراءة، وأن معرفة الأحرف والأوجه التي يقرأ بها القرآن سبيلها الاتباع.

٢- قوله ﷻ: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٥-١٠٦] فأنزل الله ﷻ القرآن الكريم، وفرقه على زمن النبوة، ليتمكن النبي ﷺ من قراءته على الناس على مهل فيتقنوه، ولينذر وليبشر به فيحفظوه.

٣- عن عمر ﷺ مرفوعا: [إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه].

(١) إذا كان ما تلي وقرئ بخلاف المصحف، أي من غير المتواترة، ولا توافق رسم المصحف، فيرتب على القراءة بها حكم عقدي وهو التبديع من عدمه، وحكم فقهي وهو صحة الصلاة من عدمها، وهذان الحكمان لا يوردان على من لم يعلم بالنسخ، وإنما هما في حق من يقن النسخ بعد اجتماع الصحابة ﷺ على المصحف الإمام.

٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبي رضي الله عنه: [إن الله ﻻ أمرني أن أقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ البينة: ١] قال: وسأني؟ قال: نعم. قال فبكي<sup>(١)</sup>. قال أبو عبيد رضي الله عنه: «المراد بالعرض على أبي رضي الله عنه ليتعلم أبي منه القراءة، ويثبت فيها، وليكون عرض القرآن سنة..»<sup>(٢)</sup>.

٥- قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: [القراءة سنة]<sup>(٣)</sup> قال البيهقي رحمته الله بعد هذا الأثر: «وإنما أراد - والله أعلم - أن اتباع من قبلنا في الحروف، وفي القراءات سنة متبعة، لا تجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة، وإن كان غير ذلك سائعا في اللغة، أو أظهر منها»<sup>(٤)</sup>.

فهذه أدلة توقفك على أن معرفة القراءة تكون بالاتباع، وطريقها السماع والتلقي، ولهذا ينبغي لقارئ القرآن أن يكون مجودا آي على حد قوله ﷺ: ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [المزمل: ٤]، ومن تمام الترتيل اتباع المصحف في القراءة، وأما قراءة ما يخالف المصحف ففيها مسألتان:

### المسألة الأولى: قراءة القرآن مُنْكَسًا.

أما قراءة القرآن بتقديم سورة على سورة فهذا فيه خلاف يسير، والصحيح جوازه دون تعسير، وذلك أنه جاء عن حذيفة رضي الله عنه قال: [صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها مترسلا...]<sup>(٥)</sup>. فهذا فيه عدم مراعاة الترتيب في قراءة السور، إلا أنه قد يقال إن

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب/ مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه، ح (٣٨٠٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار رضي الله عنهم، ح (٧٩٩).

(٢) الفتح ١٢٧/٧.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٢/ ٢٦٠، (٦٣)، والطبراني في الكبير ٥/ ١٣٣، ح (٤٨٥٥)، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٨٥، وانظر: مجمع الزوائد للهيتمي ٢/ ١١٥.

(٤) السنن الكبرى ٢/ ٣٨٥.

(٥) رواه مسلم، كتاب صلاة...، باب/ استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، ح (٧٧٢).



ذلك في القراءة دون الكتابة، وأيضا إنما كان ذلك قبل الترتيب المجمع عليه<sup>(١)</sup> في عهد الخلفاء الراشدين، والصحابة المرضيين، ونحن أمرنا باتباع سنتهم، قال ﷺ: [فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، وعضوا علیها بالنواجذ، وإیاکم ومحدثات الأمور].

وأمرنا باتباع سبيل الصحابة عموما، قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٤].

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: الأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف، فيقرأ الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران، ثم ما بعدها على الترتيب، وسواء قرأ في الصلاة أو في غيرها...، ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة»<sup>(٢)</sup>.

وأما كتابة القرآن فواجبة على هذا الترتيب الوارد عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، والذي أجمع عليه الأمة من بعدهم<sup>(٣)</sup>.

وأما ترتيب آيات السور وقراءتها على الترتيب الموجود في المصحف فهو أمر لازم، وحتم واجب، ولهذا حرم أهل العلم تنكيس الآيات، لأن «ترتيب آيات السور منزل منصوص عليه، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم، لأن ترتيب

(١) وهل ترتيب السور توقيفي أو اجتهادي، اختلف فيه أهل العلم، وأرجح الأقوال، وأعد لها: أن ترتيب السور منها ما هو توقيفي ومنها ما هو اجتهادي، وقد سبق وأن أشرت إلى هذه المسألة في ص ٣٢٨، وانظر: الإتيان للسيوطي ١/ ١٧٦-١٧٩، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٨٥-٢٩٧.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٩٩.

(٣) والدليل على ذلك ما يأتي في الفصل الثالث، من الباب الثالث من أن إتباع الرسم واجب، وأن مخالفة خطوطهم غير سائغ؛ فكيف بمخالفة ترتيبهم؟. وانظر: إعانة الطالبين ١/ ٦٨، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٣٠٧-٣١١، وقد طبعت ترجمة ألمانية للقرآن كتب فيها المصحف غير الترتيب المعروف، بل رتبته على حسب النزول والتأريخ!!، كما في: مناهل العرفان ٢/ ١١٧، وقد وقفت على جزء (عم) مطبوع، طبعه بعض الروافض، فإذا هو منكوس في الترتيب، فقدّموا سورة الناس أولا ثم الفلق، ثم الإخلاص، وهكذا!!!.

الآيات مأمور بها نصاً»<sup>(١)</sup>.

وهذا المنع لأنه لم يثبت ذلك عن النبي ﷺ، ولا عن صحبه الكرام، ويخالف الإعجاز القرآني في الألفاظ والتركيب<sup>(٢)</sup>.

وقد حكى الإجماع في منع قراءة الآيات منكسة غير واحد من أهل العلم، وذكرهم السيوطي، وقال: «الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك»<sup>(٣)</sup>.

بل صرح الفقهاء - رحمهم الله - بأن قراءة الآيات منكسة تبطل الصلاة<sup>(٤)</sup>، وكذلك ينبغي إذا أراد أن يقرأ القرآن كله، لا ينبغي له أن يكرر سورة بعينها لغير حاجة التعليم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قراءة سورة الإخلاص «ينبغي عليه أن يقرأها كما في المصحف مرة واحدة، هكذا قال العلماء، لئلا يزداد على ما في المصحف، وأما إذا قرأها وحدها، أو مع بعض القرآن فإنه إذا قرأها ثلاث مرات عدلت القرآن»<sup>(٥)</sup>؛ فينبغي لقارئ القرآن أن يتبع رسم المصحف في القراءة، ولا يخالف المرسوم في التلاوة، فيكون متبعا، لا مبتدعا، وأما كتابة المصحف بغير الأحرف العربية: فهي مندرجة تحت هذا الباب، وسيأتي لها مزيد تفصيل في هذا الكتاب<sup>(٦)</sup>.

**المسألة الثانية: قراءة ما ثبت من الأحرف عن بعض الصحابة مخالفًا للرسم.**

روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أحرف لا توجد في المصحف، وهذه الأحرف تخالف رسم المصحف، ولا يخلو الذي روي من أن يكون مما لا يثبت سنداً، أو مما

(١) المجموع ٣٩٦/١٣.

(٢) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن ص ١٠٠.

(٣) الإقتان ١/ ١٧٢، وانظر: ما بعدها من الصفحات.

(٤) انظر: الثمر الداني شرح رسالة القيرواني ١/ ١١٦، الإقتناع ١/ ١٠٥.

(٥) المجموع ٢١٣/ ١٧.

(٦) انظر: المطلب الأول، من الفصل الثالث، من الباب الثالث.

ثبت. فأما ما لم يثبت فليس الكلام فيه، لأنه قطعاً ليس من القرآن، ولا يجوز أن يقرأ بها، ولا أن يذكر إلا على سبيل القطع بعدم الثبوت.

وأما ما ثبت سنداً فهو أيضاً ينقسم إلى قسمين:

قسم نجزم أنه منسوخ وذلك أنه روي قبل كتابة مصحف عثمان رضي الله عنه ومع ذلك لم يكن في مصاحفهم، مثل ما ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه قال: [إن الله قد بعث محمداً صلوات الله عليه بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها، ووعيناها، وعقلناها، فرجم رسول الله صلوات الله عليه، ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان، أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف] <sup>(١)</sup>؛ فقلوه رضي الله عنه [قرأناها ووعيناها...] دليل على أنه كان وحياً متلوّاً من القرآن، وأكد ذلك بكون النبي صلوات الله عليه ومن معه من الصحابة عملوا بمقتضى هذا الحكم، وكونها نسخت تلاوتها ولا توجد في المصاحف، هذا فيه دليل على أنها منسوخة تلاوة، ولذلك لم تكتب في المصاحف، ومما يؤكد هذا المعنى قول أبي بن كعب رضي الله عنه: [إن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها قرأنا: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، نكالا من الله، والله عزيز حكيم] <sup>(٢)</sup>. فهذا يؤكد النسخ، وهكذا ورد عن غيره من الصحابة أنهم قرؤوها <sup>(٣)</sup>، فيدل أنها نسخت بعد تلاوتهم لها - والله أعلم - <sup>(٤)</sup>.

ويوضحه أكثر إنكار عمر رضي الله عنه على أبي بن كعب رضي الله عنه لما كان يقرأ بأحرف يراها عمر قد نسخت، كما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: [أبي أقرؤنا،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب/الاعتراف بالزنا، ح(٦٨٣٠)، ومسلم، كتاب الحدود، باب/ رجم الثيب في الزنا، ح(١٦٩١) واللفظ له.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الحدود، ح(٨٠٦٨) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، ورواه ابن حبان في صحيحه ٢٧٣/١٠، ح(٤٤٢٨).

(٣) انظر: سنن الدارمي ١٤٧/٢، مستدرك الحاكم ح(٨٠٧٠)، (٨٠٧١)، (٨٠٧٢).

(٤) انظر: الفتح ١٢/١٤٧-١٤٨.

وإننا لنندع من لحن أبيّ، وأبيّ يقول: أخذته من في رسول الله ﷺ فلا أتركه لشيء؟ وقد قال الله ﷻ: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّمَّهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ ﴾ [البقرة: ١٠٦] <sup>(١)</sup>، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: « قوله: وقد قال الله تعالى الخ، هو مقول عمر محتجا به على أبي بن كعب، ومشيرا إلى أنه ربما قرأ ما نسخت تلاوته، لكونه لم يبلغه النسخ » <sup>(٢)</sup>.

والمسوخ لا يجوز أن يقرأ على أنه قرآن متلو، وذلك لكونه منسوخا تلاوة، ولكونه غير موجود في مصاحف المسلمين، وكل ما لا يوجد موافقا للمصحف المجمع عليه فلا يجوز أن يقرأ بها <sup>(٣)</sup> إلا إذا أراد العلم مما هو سبيل أهل الاختصاص، قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله فيما روي عن الإمام مالك رحمه الله من إجازته للأحرف المخالفة للمصحف: « ذلك محمول عند أهل العلم اليوم على القراءة في غير الصلاة على وجه التعليم، والوقوف على ما روي في ذلك من علم الخاصة » <sup>(٤)</sup>.

وقسم ثبت كونه في بعض مصاحف الصحابة رضي الله عنهم وهذا لا يخلو من أمرين:

الأول: أن يكون نسخ ولم يعلم به ذلك الصحابي رضي الله عنه، والأمر إذا نسخ ولم يعلم به المكلف فإنه يعمل باعتقاده الأول حتى يرد عليه النسخ <sup>(٥)</sup>، وعلى هذا يحمل ما في مصاحف الصحابة مما يخالف المصحف المجمع عليه، وهو أنهم لم يعلموا بنسخ هذه الأوجه المروية إلا بعد اجتماع الصحابة على العرضة الأخيرة من القرآن الكريم، وأن ما عداها فهو مخالف للعرضة الأخيرة.

الثاني: أن ذلك كان تفسيرا من الصحابي رضي الله عنه، أو تفسيرا سمعه من النبي ﷺ، ولم ير ذلك الصحابي بأسا بكتابتها مع المصحف لعلمه بأن الناس يحفظون كلام الله

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، ح (٤٤٨١)، وفي كتاب فضائل القرآن، باب القراءة من أصحاب رسول الله ﷺ، ح (٥٠٠٥)، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الفتح ١٧/٨، وانظر منه: ٦٧١/٨.

(٣) وسيأتي ذكر أقوال أهل العلم في المنع من قراءة ما يخالف المصحف مطلقا، سواء كان من المنسوخ، أو من الأحرف التي تخالف رسم المصحف.

(٤) التمهيد لابن عبد البر ٢٩٩/٨، وانظر: ٢٩٢/٨.

(٥) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر ١٨٢/١ وما بعدها.

ولا يلتبس عليهم الأمر، وأن القرآن محفوظ في الصدور، ومعلوم للعامة والخاصة. وعلى كل فقرة ما خالف المصحف من الأحرف والأوجه المروية عن الصحابة عليهم السلام لا يجوز بعد إجماعهم على ما في المصحف الإمام، الذي يوافق العرضة الأخيرة، ويؤكد هذا التحريم كون التلاوة سنة متبعة، ولا تكون إلا بما كان عليه السلف متفقين، ولهذا حرقوا المصاحف التي كانت تخالف المصحف الأم وهو مصحف عثمان رضي الله عنه، ومن قرأ بحرف شاذ يخالف المصحف، وخالف في ذلك جمهور القراء المعروفين فهو غير مصيب، وهذا مذهب أهل العلم الذين هم القدوة، ومذهب الراسخين في علم القرآن قديماً وحديثاً وفيهم أسوة، وإليك تحرير هذا المنع أقوال أهل العلم - رحمهم الله -:

١- أن عثمان رضي الله عنه بمحض من الصحابة عليهم السلام قد حرق المصاحف الأخرى لما كان في بقائها نذير اختلاف، «أو كان فيها ما ليس من القرآن، أو ما نسخ منه، أو على غير نظمه، وقد سلم لذلك الصحابة كلهم» <sup>(١)</sup>.

٢- أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعوا في زمن عثمان رضي الله عنه على ما بين الدفتين، واطرحوا ما عداه، وكان ذلك عن اتفاق منهم، وهذا معلوم لجميع الأمة <sup>(٢)</sup>.

٣- نقل الحافظ ابن عبد البر رحمته الله أن الإمام مالكا رحمته الله قال: «من قرأ في صلاته بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه أو غيره من الصحابة مما يخالف المصحف لم يُصلِّ وراءه». قال أبو عمر: «وعلماء المسلمين مجمعون على ذلك إلا قوم شواذ» <sup>(٣)</sup>.

٤- ذكر ابن حزم رحمته الله أن عثمان رضي الله عنه إنما نسخ المصاحف، وأرسل بها إلى الأمصار، لتكون مرجعاً للقراء، ولم يغير شيئاً من القرآن، وأمر بما وراء ذلك مما كتب في المصاحف أن تحرق فأحرقت، وأما المصاحف التي كانت عند حفصة فأرجعت، ولم تحرق، وهذا يبينك أنها كانت مثلها، وليس فيها ما هو منسوخ، أو يخالف للقرآن فلم يحرقها <sup>(٤)</sup>.

(١) العواصم من القواصم ص ٧٠، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي ١٠ / ٢٩٠.

(٢) البرهان للجويني ص ٤٢٧-٤٢٨.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٨ / ٢٩٢، وانظر: ٤ / ٢٧٨-٢٧٩.

(٤) الإحكام في الأحكام ٤ / ٥٥٤.

٥- ذكر الخطيب رحمته الله جزءاً من كان يقرأ بالشواذ، حيث ذكر قصة ابن شنبوذ<sup>(١)</sup> فقال: « واشتھر ببغداد أمر رجل يعرف بابن شنبوذ يقرئ الناس، ويقرأ في المحراب بحروف يخالف فيها المصحف، مما يروى عن عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب رضي الله عنهما وغيرهما، مما كان يقرأ به قبل جمع المصحف الذي جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويتبع الشواذ، فيقرأ بها، ويجادل حتى عظم أمره وفشى، وأنكره الناس، فوجه السلطان فقبض عليه... وأحضر القضاة والفقهاء والقراء، وناظره الوزير بحضرتهم، فأقام على ما ذكر عنه، ونصره، واستنزله الوزير عن ذلك فأبى أن ينزل عنه، أو يرجع عما يقرأ به من هذه الشواذ المنكرة التي تزيد على المصحف، أو تخالفه، فأنكر ذلك جميع من حضر المجلس وأشاروا بعقوبته، ومعاملته مما يضطره إلى الرجوع<sup>(٢)</sup> ».

٦- ويذكر ابن الجوزي رحمته الله في غير موضع في تفسيره بعد ما يذكر القراءات والأحرف المخالفة للمصحف، يقول: وما يخالف المصحف فلا أرى القراءة بها<sup>(٣)</sup>.

٧- قال النووي رحمته الله: « وتجوز القراءات بالسبع، ولا تجوز بالشواذ<sup>(٤)</sup> ».

٨- سئل ابن الصلاح رحمته الله عن القراءة بالشواذ، فقال: « لا تجوز القراءة من ذلك إلا بما تواتر نقله، واستفاض، وتلقته الأمة بالقبول، كهذه السبع، فإن الشرط في ذلك اليقين، والقطع، على ما تقرر في الأصول، فما لم يوجد فيه ذلك فممنوع منه كراهة، وممنوع منه في الصلاة، وخارج الصلاة<sup>(٥)</sup> »، وأفتى رحمته الله بتعزيز من قرأ بالشواذ<sup>(٦)</sup>.

٩- قال الأمدى رحمته الله: « فلو قلنا إن ما نقله ابن مسعود رضي الله عنه قرآن لزم ارتكاب

(١) هو: محمد بن أحمد بن أيوب المقرئ المعروف بابن شنبوذ، وكان يقرأ بالشواذ، وضرب بسبب ذلك، توفي سنة ٣٢٨ هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٢٣١.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٢٨٠، وانظر: قصة تحريف المصحف المنسوب إلى ابن مسعود الذي أظهره الرافضة!!! في بغداد في البداية والنهاية ١١/ ٤١٢، وشذرات الذهب ٣/ ١٤٩-١٥٠.

(٣) انظر: زاد المسير ٨/ ٤٣٩، ٩/ ١٩٣.

(٤) المجموع للنووي ٢/ ١٨٨، وانظر: الإقناع للشربيني ١/ ١٠٥.

(٥) فتاوى ابن الصلاح ص ٢٣٠.

(٦) فتاوى ابن الصلاح ص ٢٣٢.

من عداه من الصحابة للحرام بالسكوت، ولو قلنا إنه ليس بقرآن، لم يلزم منه ذلك بالنسبة إلى الراوي، ولا بالنسبة إلى من عداه<sup>(١)</sup>.

١٠- قال ابن قدامة رحمته الله: «فأما ما يخرج من مصحف عثمان كقراءة ابن مسعود وغيرها، فلا ينبغي أن يقرأ بها في الصلاة، لأن القرآن ثبت بطريق التواتر، وهذه لم تثبت التواتر بها، فلا يثبت كونها قرآناً، فإن قرأ بشيء منها، مما صحت به الرواية، واتصل إسنادها، ففيه روايتان؛ إحداهما: لا تصح صلاته لذلك. والثانية: تصح لأن الصحابة كانوا يصلون بقراءتهم في عصر النبي ﷺ وبعده، وكانت صلاتهم صحيحة بغير شك<sup>(٢)</sup>. ولا يخفى أن صلاتهم صحيحة لعدم النسخ، في ذلك الوقت في عهده ﷺ أو لعدم علمهم بالنسخ، كما صلى أهل قباء إلى بيت المقدس وجاءهم الخبر بتغيير القبلة ولم يعيدوا صلاتهم.

١١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله بعد أن أورد قصة الإنكار على ابن شبنود قال: «فإنما كان ذلك في القراءات الشاذة الخارجة عن المصحف»<sup>(٣)</sup>.

١٢- قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «وما يذكر من قراءة ابن مسعود رحمته الله فالظاهر أنه رجع إلى قول عثمان رحمته الله وموافقيه، وقرأ بها عليه الجماعة»<sup>(٤)</sup>.

١٣- قال الحافظ ابن حجر رحمته الله، بعد أن أورد القراءات في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَكُتِلَ عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]، قال: «وأما اتفاق الناس على قراءتها بالسين

(١) الإحكام ١/ ٢١٤.

(٢) المغنى ١/ ٢٩٢، وانظر: المجموع ١٢/ ٥٧٠، الفروع لابن مفلح ١/ ٣٧١، كشف القناع ١/ ٣٤٥.

(٣) المجموع ١٣/ ٣٩٣، وشيخ الإسلام اختار صحة الصلاة بها، وهو رواية عن الإمام أحمد، ولكن ابن قدامة اختار المنع، وانظر: المغنى ١/ ٢٩٢، المجموع ١٣/ ٣٩٧. والراجع أن الصلاة مبنية على صحة قرآنية الآيات، ولا سبيل إلى ذلك إلا صحة السند، وموافقة الرسم، وموافقة وجه من أوجه اللغة، والشاذة تخالف إما من حيث السند، أو من حيث الرسم، أو من حيث اللغة، أو من جميع هذه الحثيات، أو من جهتين، أو من جهة واحدة؛ فلم تصح الصلاة بها.

(٤) البداية والنهاية ٩/ ١٥٥، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٩٥.

فلموافقة خط المصحف الذي وقع عليه الاتفاق على عدم الخروج عما يوافقه، وكانت قراءة أبي من الأحرف التي تركت القراءة بها»<sup>(١)</sup>.

١٤- ذكر الشوكاني عن النحاس أنه قال: «لا يقرأ بها خالف المصحف»<sup>(٢)</sup>.

١٥- قال ابن عابدين<sup>(٣)</sup> رحمته الله: «والذي تجوز به الصلاة بالاتفاق، هو المضبوط في مصاحف الأئمة التي بعث بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار...»<sup>(٤)</sup>. وقال: «والشرط في قرآنية الشيء - أي الآي - ثبوته في محله في المصحف»<sup>(٥)</sup>. فهذه أقوال أهل العلم الذين اتفقوا على النهي عن القراءات الشاذة المخالفة لمصحف عثمان رضي الله عنه للتلاوة، أو للصلاة<sup>(٦)</sup>، ونخلص من هذا: اتفاقهم على أن من قرأ بما يخالف المصحف بعد ما استقر الأمر أنه يعزr، وأن الصلاة لا تصح بها عند جمهور أهل العلم، - فضلا عن كونه قد أتى بما هو مبتدع في الدين - وكيف يتلو إنسان شيئا في ثبوته ونقله شك؟؟، ولو لم يكن ذلك الشك إلا لأن الصحابة رضي الله عنهم تركوا كتابتها لكان ذلك كافيا، والله أسأل أن يوفق المسلمين على المحافظة على كتابهم حفظا وتلاوة وعملا، وإذا تأكد لنا أن كل ما في المصحف فهو من كلام الله تعالى، فهل يجوز الحلف به أم لا؟ هذا ما أبينه في المطلب الآتي.

(١) الفتح ١٠/١١، وإنما قرأ بعضهم: «تستأذنوا» بالذال المعجمة بدلا عن السين المهملة، وهذه قراءة أبي رضي الله عنه المتروكة، وهما بمعنى واحد، فكلاهما بمعنى: طلب الإذن، إلا أن الاستئناس أدق منه.

(٢) فتح القدير ٣٦١/٤.

(٣) هو الفقيه الماتريدي الصوفي الحنفي: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي، ولد بدمشق، وله مصنفات كثيرة، منها: رد المحتار على الدر المختار المشهور "بحاشية ابن عابدين"، توفي سنة ١٢٥٢ هـ. انظر: معجم المؤلفين ٧٧/٩.

(٤) حاشية ابن عابدين ٤٨٦/١.

(٥) حاشية ابن عابدين ٤٩١/١ بتصرف.

(٦) انظر: الدر النضيد في مجموعة ابن الحفيد ص ٤٤.



### المطلب الرابع: الحلف بالمصحف.

وأبحث هذه المسألة من حيث إنَّ علماء أهل السنة والجماعة اعتقدوا أن ما في المصحف هو كلام الله ﷻ وصفة من صفات الله ﷻ، فعلى هذا ذكروا الحلف به.

ومعلوم أن الحلف من العبد لا يجوز أن يكون إلا بالله ﷻ أو بأسمائه، أو بصفة من صفاته، قال الإمام البخاري ﷺ: «باب: الحلف بعزة الله وصفاته وكلامه»<sup>(١)</sup> فصنيع الإمام البخاري ﷻ يدل على أن الحلف يكون بالله وبأسمائه وصفاته، ومنها كلامه ﷻ<sup>(٢)</sup>، ويدل له ما ذكره البخاري من قول النبي ﷺ: [لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه؛ فتقول: قَطُّ قَطُّ وعزتك...]<sup>(٣)</sup>، ففيه التصريح بالحلف بعزة الله ﷻ وهي صفة من صفات الله ﷻ، والفقهاء - رحمهم الله - متفقون على أن اليمين تنعقد بالله وذاته وصفاته العلية<sup>(٤)</sup>.

قال الحافظ ابن عبد البر ﷻ: «لا يجوز الحلف بغير الله ﷻ في شيء من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجمع عليه»<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام البغوي ﷻ: «اليمين إنما تنعقد بالله، أو باسم من أسماء الله، أو بصفة من صفات ذاته، واليمين به أن يقول: والذي لا إله غيره، والذي أعبد...، واليمين بأسمائه، كقوله: والله، والرحمن، والرحيم، والخالق، والبارئ، والرزاق، والرب، والسميع، والبصير...، واليمين بصفات الذات، كقوله: وعظمة الله، وجلال الله، وعزة الله، وقدرة الله، وكبرياء الله، وعلم الله، وكلام الله، فهذا كله يمين»<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح الإمام البخاري ص ١٤٠٠.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٤، الفتح ١١/٥٥٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب ١٢/١٢، ح (٦٦٦١) من رواية أنس بن مالك ؓ.

(٤) انظر: المغني ٩/٣٨٥، الفتح ١١/٥٤٠، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ٥/١٣٣.

(٥) التمهيد ١٤/٣٦٦، وانظر: صحيح ابن حبان ١٠/٢٠١، شرح الزرقاني ٣/٨٨، عون المعبود لشمس

الحق العظيم آبادي ٩/٥٥، سبل السلام للصنعاني ٤/١٠١.

(٦) شرح السنة ١٠/٤-٥، وانظر: الأم للشافعي ٧/١٠٥، السنن الكبرى للبيهقي ١٠/٤١، المغني

وأما الحلف بغير الله ﷻ فمنهي عنه في الشرع، وقد جاءت الأحاديث الدالة على ذلك، ومنها قوله ﷺ: [من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت]<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: [من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك]<sup>(٢)</sup>.

فبان بهذا أن الحلف بغير الله معصية، وقد يكون شركاً،<sup>(٣)</sup> قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فان اعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقد في الله حرم الحلف به، وكان بذلك الاعتقاد كافراً، وعليه يُنزَلُ الحديث المذكور، وأما إذا حلف بغير الله لاعتقاده تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر بذلك»<sup>(٤)</sup>، وما ورد في السنة مما فيه الحلف بغير الله ﷻ<sup>(٥)</sup>، فهو إما قبل النهي، أو أن اللفظ يحتمل، أو أنه لم يصح<sup>(٦)</sup>.

وأما ما ورد في القرآن الكريم من القسم بغير الله ﷻ فقد ورد فيه جوابان كلاهما صحيحان، ولعله من باب التفسير المترادف، وهما:

١- أن ذلك خاص بالله ﷻ، فله أن يحلف بها شاء، وبها يشاء، وليس لأحد من خلقه ذلك، وكون الله يقسم بذلك إنما هو لكونه سبحانه لا يسأل عما يفعل، ولأجل بيان عظمة المحلوف به، أو بيان شرفه، وعلو منزلته، أو لأهميته.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب/ لا تحلفوا بآبائكم، ح(٦٦٤٦)، ومسلم، كتاب الأيمان، باب/ النهي عن الحلف بغير الله تعالى، ح(١٦٤٦)، كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما. (٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب/ في كراهية الحلف بالآباء، ح(٣٢٥١)، والترمذي واللفظ له، كتاب الأيمان والنذور، باب/ ...، ح(١٥٧٤)، وقال: «حديث حسن»، وابن حبان في صحيحه، كتاب الأيمان، باب/ ذكر الزجر عن أن يحلف المرء بشيء سوى الله ﷻ، ح(٤٣٤٣)، والحاكم في مستدركه، كتاب الأيمان والنذور، ح(٧٨١٤)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وقال الذهبي: «صحيح»، والحديث من مسند ابن عمر رضي الله عنهما، وقال الشيخ الألباني: «صحيح». انظر: إرواء الغليل ١٨٩/٨.

(٣) انظر: المحلى لابن حزم ٣٠/٧، المغني لابن قدامة ١٣/٤٣٦.

(٤) الفتح ١١/٥٤٠.

(٥) وما ورد [أفلق وأبىه إن صدق] مسلم، ح(١١)، وأن الصحابة كان أحدهم [يحلف بأبيه] البخاري، ح(٦٦٤٦)، ونحو ذلك فيكون توجيهه على ما ذكرته - والله أعلم -.

(٦) انظر: الأم للشافعي ٧/١٠٦، السنن الكبرى للبيهقي ١٠/٢٩، شرح مشكل الآثار ٢/٢٨٩-٢٩٥، الفتح ١١/٥٤٤.

٢- أن فيه إضماراً وحذفاً، فمثلاً في قوله ﷺ: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] يكون التقدير: ورب الشمس، ونحوه<sup>(١)</sup>. فليس في التمسك بما ورد في القرآن حجة على الحلف بغير الله، بعد ثبوت السنة الصحيحة الصريحة<sup>(٢)</sup>.

فالحلف بغير الله ممنوع، لأنه قد يكون شركاً، أو وسيلة إلى الشرك، ومن كان حالفاً فليحلف بالله ﷻ الذي يجب أن يعظم وحده تعظيم إجلال، ورغبة ورهبة، وخوف ومحبة.

والسلف متفقون على أن ما في المصحف كله من الفاتحة إلى الناس هو من كلام الله ﷻ، وكلامه صفة من صفاته، فهم لم يختلفوا في كون القرآن صفة لله ﷻ، وإنما اختلفوا في الحلف بالمصحف الذي هو كلام الله ﷻ من حيث الجواز وعدمه، لكون ذلك لم يكن معروفاً في زمن النبي ﷺ فبناء على عدم ورود الحلف بالمصحف عن رسول الله ﷺ اختلف الفقهاء - رحمهم الله - في الحلف بالمصحف على قولين مشهورين:

القول الأول: المنع من الحلف بالمصحف<sup>(٣)</sup>. قالوا: لعدم

(١) انظر: شرح السنة للبغوي ٦/١٠، المغني لابن قدامة ٤٣٨/١٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٥، الفتاوى ٥٤٤، ٥٤٢/١١.

(٢) وكنت في الحرم في درس أحد الشيوخ الفضلاء، وكان يتكلم عن الحلف بغير الله، وأنه منهي عنه، فقال عالم من علماء الرافضة بجواري: إن من حلف بغير الله فقد اقتدى بالله، كما في القرآن. فقلت: وهل كل ما يجوز لله يجوز للعبد أن يفعله، فمن صفات الله في القرآن العظمة والكبرياء، فهل للعبد أن يتصف بهما، فلم يجر جواباً، وذكرت بعد ذلك ما ثبت في السنة، فسكت.

(٣) انظر: مصنف عبد الرزاق حيث نسب هذا القول إلى قتادة ٥٦٩/٨، وذكر غير واحد أن المروي عن قتادة جواز الحلف به، والقول بالمنع منسوب إلى الحنفية، كما في المغني وغيره، إلا أن الذي عليه المذهب الحنفي جواز الحلف بالمصحف إذا قصد كلام الله ﷻ، قال ابن عابدين نقلاً عن الفتاوى الهندية عن الحلف بالمصحف: «وبه نأخذ، ونأمر، ونعتقد»، وقال محمد بن مقاتل الرازي: «إنه - أي الحلف بالمصحف - يمين، وبه أخذ جمهور مشايخنا، فهذا مؤيد لكونه صفة تعترف الحلف بها كعزة الله، وجلاله». حاشية ابن عابدين ٧١٢-٧١٣، لكن أشد من أنكر الحلف بالمصحف هم المالكية، وذلك لعدم الورد - وإن كان المتأخرون منهم جوزوه - قال القرطبي: «وقال ابن العربي: هو بدعة، ما ذكرها أحد قط من الصحابة». الجامع لأحكام القرآن ٦/٢٢٨، ويأتي أنه ورد عن ابن مسعود الحلف بالقرآن، فالمصحف هو القرآن.

الورود<sup>(١)</sup>، ولأن في المصحف الورق والحبر، وهذه لا تجوز الحلف بها<sup>(٢)</sup>.

القول الثاني: جواز ذلك<sup>(٣)</sup>. واستدلوا بأدلة منها:

١- أنه ورد ذلك عن بعض الصحابة<sup>(٤)</sup>.

٢- ولأن اليمين جائز بصفات الله ﷻ، والقرآن الموجود بين الدفتين من كلامه ﷻ، فالحلف به وإن لم يرد نصاً فهو جائز لعموم الأدلة، كما لو حلف إنسان بصفة من صفات الله ﷻ، ولم يرد الحلف بهذه الصفة عن النبي ﷺ فلا يمنع منه، فكذلك الحلف بالمصحف.

٣- أن الحالف بالمصحف لا يريد بحلفه إلا كلام الله ﷻ المكتوب بين الدفتين، ولا يريد الورق والحبر، وإلا فإنها موجودة في كل كتاب فلم لم يُحلف بها، فاختصاص الحلف بالمصحف لكون المراد المكتوب الذي هو كلام الله ﷻ.

قال ابن قدامة رحمه الله: «وإن حلف بالمصحف انعقدت يمينه...، ولم يكره ذلك إمامنا وإسحاق، لأن الحالف بالمصحف إنما قصد الحلف بالمكتوب فيه، وهو القرآن، فإنه بين دفتي المصحف بإجماع المسلمين»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: المغني لابن قدامة ١٣/ ٤٦٠، الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٢٨.

(٢) انظر: الفتح ١١/ ٥٤٤.

(٣) انظر: المغني لابن قدامة ١٣/ ٤٦٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ١٧٥.

(٤) ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: [من كفر بحرف من القرآن فقد كفر به أجمع، ومن حلف بالقرآن فعليه بكل آية منه يمين] رواه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الأيمان والنذور، باب/ الحلف بالقرآن والحكم فيه، ٨/ ٤٧٢، والبيهقي في سننه، كتاب الأيمان، باب/ ما جاء في الحلف بصفات الله ١٠/ ٤٣، فهذا فيه الحلف بالقرآن، فإذا ورد الحلف به عن الصحابي ولا يُعلم له مخالف، وإذا ثبت هذا فإن المخالف يطالب بالفرق بين المكتوب منه في مصاحف المسلمين، والمقروء المحفوظ منه؟! وإلا فليجوز الحلف بالمصحف كما جاز الحلف بالقرآن. انظر: المغني لابن قدامة ١٣/ ٤٧٥، نيل الأوطار للشوكاني ٩/ ٢٢٦، وقال الشافعي رحمه الله: «وأخبرنا مطرف بن مازن بإسناد لا أعرفه: أن ابن الزبير أمر بأن يُحلف على المصحف. قال الشافعي: ورأيت مطرفاً بضعا يُحلف على المصحف» الأم ٧/ ٧١. وانظر: السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ١٧٨، وفيه زيادة: «وقد كان من حكام الآفاق من يستحلف على المصحف».

(٥) المغني لابن قدامة ١٣/ ٤٦١، كشف القناع ٦/ ٢٣١، منار السبيل ٢/ ٣٨٣.

وقال ابن مفلح<sup>(١)</sup> رحمته الله: « وإن حلف بكلام الله تعالى، أو بالمصحف، أو بالقرآن، فهي يمين... لأن القرآن كلام الله تعالى، وصفة من صفات ذاته<sup>(٢)</sup>، فتعتقد اليمين به، ولم يكره أحمد الحلف بالمصحف، لأن الحالف إنما قصد المكتوب فيه وهو القرآن، فإنه عبارة عما بين دفتي المصحف بالإجماع<sup>(٣)</sup> ».

وأما لو قال: بحق المصحف، فليس بحلف، لأن حق المصحف تعظيمه، والعمل به، وقراءته، وهذه أفعال متعلقة بالعبد، فلا يجوز الحلف بها - والله تعالى أعلم -<sup>(٤)</sup>، فالحلف بكلام الله ﷻ الذي في المصحف هو حلف بصفة من صفاته فلذا كان جائزا عند جمهور أهل العلم، ومن منع منهم، فإنما منع ذلك لعدم الوجود فقط، لا لشيء آخر<sup>(٥)</sup>، ولا يجوز أن يُحلف على غير القرآن سواء كان تفسيرا أو غير ذلك، وأن الأوان للشروع في بيان منزلة الترجمات والتفاسير من القرآن، وهذا ما أفعله في المبحث الآتي.

(١) هو الفقيه الأصولي: محمد بن مفلح بن محمد المقدسي الدمشقي الصالح، المعروف بابن مفلح، وله مؤلفات كثيرة، منها: الفروع، والمقنع في الفقه، توفي سنة ٧٦٣ هـ. انظر: رفع النقاب لابن ضويان ص ٣٢٤.

(٢) التفصيل في كون القرآن صفة ذاتية باعتبار، وصفة فعلية باعتبار هو الذي يشفي العليل، انظر ما سبق: ص ٧٢.

(٣) المبدع لابن مفلح ٩/٢٥٩، وانظر: روضة الطالبين للنووي ٨/١٤، الفروع لابن مفلح ٦/٣٠٣، فتاوى أركان الإسلام للشيخ ابن عثيمين ص ١٥٧.

(٤) انظر: المحلى لابن حزم ٨/٨٢، حاشية ابن عابدين ٣/٧١٣.

(٥) ويدعي أهل البدع أن ما في المصحف ليس هو كلام الله ﷻ فلذا منعوا الحلف به من هذا الباب، وسيأتي كلامهم في الباب الثاني ص ٣٤٥ // .

## المبحث الثالث

## بيان منزلة الترجمة والتفسير من القرآن

قبل الشروع في هذا أنبه على علاقة هذين المطليين بالمسائل العقدية، وهي: أن الترجمة والتفسير هل يصح أن يقال عنها قرآن أم لا؟ ولا شك أن هذه مسألة عقدية، يترتب عليها تبديع وتكفير.

## المطلب الأول: هل الترجمة اللفظية من القرآن الكريم؟

قبل البدء في الجواب على هذا السؤال، لا بد أن نعرف معنى الترجمة، وما المراد بالترجمة اللفظية، ثم يتبين حكمها من حيث نسبتها إلى القرآن الكريم أو عدمها، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

الترجمة في اللغة: تدل على أحد معاني أربعة، ويُعَيَّن المراد منها بالقرينة، وهي:

أولها: تبليغ الكلام لمن لم يبلغه، ومنه قول الشاعر:

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان<sup>(١)</sup> أي أنه بعد كبر السن احتاج إلى من يبلغه الكلام حتى يسمع.

ثانيها: تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، وذلك «إذا بينه ووضحه»<sup>(٢)</sup>، ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه: [نعم ترجمان القرآن ابن عباس]<sup>(٣)</sup>.

(١) مناهل العرفان ١١٩/٢.

(٢) المصباح المنير ص ٧٤.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب معرفة الصحابة، ح (٦٢٩١)، وقال: «حديث صحيح على شرط»

ثالثها: تفسير الكلام بلغة غير لغته، «ومنه قولهم: ترجم كلامه، إذا فسر به لسان آخر»<sup>(١)</sup>.

رابعها: «نقل الكلام من لغة إلى أخرى»<sup>(٢)</sup>، ومنه التَّرجُمان «بالضم والفتح، من يترجم الكلام»<sup>(٣)</sup>، أي بترتيبه ونسقه، دون النظر إلى معناه<sup>(٤)</sup>.

وبهذا يتضح أن للترجمة معان عدة<sup>(٥)</sup>، وتطلق الترجمة - في عرف المترجمين على وجه الخصوص - ويراد بها المعنيان الأخيران، فالترجمة إما أن تكون تفسيراً للكلام بلغة أخرى، والمقصود من هذه الترجمة مراعاة المعنى دون اللفظ، وإما أن تكون بنقل الكلام إلى لغة أخرى، وتكون مراعاة الألفاظ فيها هي المرادة.

وتفسير القرآن الكريم، وتوضيحه وبيانه أمر جائز بالاتفاق<sup>(٦)</sup> ما دام التفسير مبنيًا على المنهج الصحيح للتفسير<sup>(٧)</sup>، فإن كان هذا التوضيح والبيان بالعربية سميت تفسيراً للقرآن، وإن كان التوضيح والبيان بغير اللغة العربية فهذه هي ترجمة تفسير القرآن، ويسمى الترجمة المعنوية أو ترجمة معاني القرآن<sup>(٨)</sup>.

الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص، ورواه الطبراني مرفوعاً كما في مجمع الزوائد (٢٧٦/٩) وقال الهيثمي: «وفيه عبد الله بن خراش، وهو ضعيف».

(١) لسان العرب ٥/١٦٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/١٨٦.

(٣) انظر: مجمع بحار الأنوار للفتني الهندي ١/٢٦١.

(٤) وهذا المعنى لم يذكره ابن منظور في اللسان، انظر: ٥/١٦٢-١٦٣، وانظر: المصباح المنير ص ٧٤.

(٥) انظر هذه المعاني في: نقض المنطق ص ٩٧-٩٩، مناهل العرفان ٢/١٢٠ وما بعدها، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٣١٢ فما بعدها.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢٧، ٢١-٢٨.

(٧) والمنهج الصحيح في التفسير سيأتي ذكره، في المطلب الثاني من هذا البحث.

(٨) وهذا هو الواجب على المفسرين وجهات الطبع في بلاد المسلمين، أن يكتبوا فوق ما ترجم وإن كان معه قرآن بالرسم العثماني أن هذا ترجمة لمعاني القرآن الكريم، أو ترجمة لتفسير القرآن الكريم، وهذا أمر في غاية من الأهمية، ويتضح لك هذا بقراءة هذا المطلب. وانظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٣١٦، وكذلك يجب توافر شروط مهمة في المترجم والترجمة حتى تؤدي الغرض المطلوب على أكمل وجه، وأصح أسلوب، وأقرب مراد، وهي شروط معروفة، وفي مظانها معلومة. انظر: الرد على المنطقيين ص ٤٨، مناهل العرفان ٢/١٢٣، ١٤٤ وما بعدها.

وعلى هذا تنقسم الترجمة إلى قسمين: ترجمة لفظية، أو حرفية، وترجمة معنوية، أو تفسيرية<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن تعرف الترجمة الحرفية بأنها: نقل الكلام من لغة إلى أخرى، مع مراعاة الموافقة في النظم والترتيب، والمحافظة على جميع معاني الأصل المترجم. وأما الترجمة التفسيرية فهي: شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، دون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه، ودون الإحاطة بجميع معانيه المرادة منه.

وهذه الترجمة إنما هي عبارة عن تفسير القرآن الكريم بغير اللغة العربية، وهذه هي التي جوزها أهل العلم، ومن قال بالمنع فكلامه محمول على الترجمة اللفظية أو الحرفية<sup>(٢)</sup>.

والترجمة الحرفية للقرآن، إما أن تكون ترجمة بالمثل، وإما أن تكون ترجمة بغير المثل، أما الترجمة الحرفية بالمثل: فمعناها أن يترجم نظم القرآن بلغة أخرى تحاكيه

(١) والفرق بين الترجمتين اللفظية الحرفية والتفسيرية يتضح بهذا المثال: فلو أراد مترجم أن يترجم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] ترجمة حرفية لأنى بكلام يدل على النهي عن ربط اليد في العنق، وعن مدّها غاية المد، مثل هذا التعبير في اللغة المترجم إليها ربما كان لا يؤدي المعنى الذي قصده القرآن، بل قد يستنكر صاحب تلك اللغة هذا الوضع الذي ينهى عنه القرآن، ويقول في نفسه: إنه لا يوجد عاقل يفعل بنفسه هذا الفعل الذي نهى عنه القرآن؛ لأنه مثير للضحك على فاعله والسخرية منه، ولا يدور بخلد صاحب هذه اللغة، المعنى الذي أراداه القرآن، وقصده من وراء هذا التشبيه البليغ. أما إذا أراد أن يترجم هذه الجملة ترجمة تفسيرية، فإنه يأتي بالنهي عن التبذير والتقتير، مصوّرين بصورة شنيعة، ينفر منها الإنسان، حسبما يناسب أسلوب تلك اللغة المترجم إليها، ويناسب ألف من يتكلم بها، من هذا يتبين أن الغرض الذي أراداه الله من هذه الآية يكون مفهوماً بكل سهولة ووضوح في الترجمة التفسيرية، دون الترجمة الحرفية، وانظر: البحر المحيط ١/ ٤٤٨.

وجعل شيخ الإسلام رحمته الله الترجمة والتفسير على ثلاث طبقات: ١ - ترجمة مجرد اللفظ، ولا يعني أن الترجمة لفظية، ولكنها مترادفة من حيث الدلالة في اللغتين على معنى واحد، ولا يعني مساواتها للقرآن من كل الوجوه. ٢ - ترجمة المعنى وبيانه. ٣ - بيان صحة المعنى بالأدلة والأقيسة، ليتحقق ذلك المعنى المراد تفهيمه. انظر: نقض المنطق ص ٩٧-٩٨.

وأما الفروق بين التفسير والترجمة فهي جلية، وخشية الإطالة أحيل إلى موضع القضية، فانظر: مناهل العرفان ٢/ ١٢٤ وما بعدها.

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناخ القطان ص ٣١٦ - ٣١٨، مجلة البحوث العلمية العدد ١٢، بحث: أحمد عوض الله ص ٣٠٥.



حذوا بحذو، بحيث تحل مفردات الترجمة محل مفرداته، وأسلوبها محل أسلوبه، حتى تتحمل الترجمة ما تحمله نظم الأصل من المعاني المقيدة بكيفياتها البلاغية وأحكامها الشريعية، وهذا أمر غير ممكن بالنسبة لكتاب الله العزيز؛ وذلك لأن القرآن نزل لغرضين أساسيين:

أولهما: كونه آية دالة على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن ربه، وذلك بكونه معجزاً للبشر، لا يقدرّون على الإتيان بمثله ولو اجتمع الإنس والجن على ذلك، وهذا الغرض وهو كونه آية على صدق النبي ﷺ لا يمكن تأديته بالترجمة اتفاقاً؛ فإن القرآن - وإن كان الإعجاز في جملته لعدة معانٍ كالإخبار بالغيب، واستيفاء تشريع لا يعتريه خلل، وغير ذلك مما عدّ من وجوه إعجازه<sup>(١)</sup> - إنما يدور الإعجاز الساري في كل آية منه على ما فيه من خواص بلاغية جاءت لمقتضيات معينة، وهذه لا يمكن نقلها إلى اللغات الأخرى اتفاقاً، فإن اللغات الراقية وإن كان لها بلاغة، ولكن لكل لغة خواصها، إذاً لو ترجم القرآن ترجمة حرفية - وهذا محال - لضاعت خواص القرآن البلاغية، ولنزل من مرتبته المعجزة، إلى مرتبة تدخل تحت طوق البشر، ولفات هذا المقصد العظيم الذي نزل القرآن من أجله على محمد ﷺ، ولهذا فإنه لا يقدر أحد من المترجمين على أن ينقل القرآن إلى شيء من الألسنة كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزيبور وسائر كتب الله تعالى إلى العربية<sup>(٢)</sup>.

وثانيهما: هداية الناس لما فيه صلاحهم في دنياهم وأخراهم، وهذا الغرض وهو: كونه هداية للناس إلى ما فيه سعادتهم في الدارين، يكون باستنباط الأحكام والإرشادات منه، وهذا يرجع إلى المعاني الأصلية التي يشترك في تفاهمها وأدائها كل الناس، وتقوى عليها جميع اللغات، وهذا النوع من المعاني يمكن ترجمته واستفادة الأحكام منه، والبعض الآخر من الأحكام والإرشادات يستفاد من المعاني الثانوية،

(١) وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الخامس من هذا الباب.

(٢) انظر: البحر المحيط ١/ ٤٤٨.

الأحكام منه، والبعض الآخر من الأحكام والإرشادات يستفاد من المعاني الثانوية، ونجد هذا كثيرًا من استنباطات الأئمة المجتهدين؛ وهذه المعاني الثانوية لازمة للقرآن الكريم، والترجمة الحرفية إن أمكن فيها المحافظة على المعاني الأولية، فغير ممكن أن يحافظ فيها على المعاني الثانوية، وبهذا يضيع كثير من المعاني الثانوية المقصودة في القرآن. فكيف - بعد هذا - تكون الترجمة الحرفية صحيحة؟!<sup>(١)</sup>.

ومما تقدم يُعلم: أن الترجمة الحرفية للقرآن، لا يمكن أن تقوم مقام الأصل في تحصيل كل ما يقصد منه؛ لما يترتب عليه من ضياع الغرض الأول برمته، وفوات شطر من الغرض الثاني.

وأما الترجمة الحرفية بغير المثل: فمعناها أن يترجم نظم القرآن حذوا بحذو بقدر طاقة المترجم، وما فقه من لغته، وهذا أمر ممكن، وهو إن جاز في كلام البشر، لا يجوز بالنسبة لكتاب الله العزيز؛ لأن فيه من فاعله إهدارًا لنظم القرآن، وإخلالاً بمعناه، وانتهاكًا لحرمة، فضلاً عن كونه فعلاً لا تدعو إليه ضرورة.

وبهذا يتضح أن الترجمة اللفظية أو الترجمة الحرفية غير ممكنة أصلاً، ومنوعة شرعاً، وما قام به بعض المترجمين من ادعاء بأن هذه التراجم هي ترجمة لفظية أو حرفية فهو مجرد ادعاء باطل، وبينه وبين الحقيقة حائل، لأنه غير ممكن وهو مما يقال عنه: إنه محال بكل حال<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «بل يجب أن يعلم أصلاً عظيماً: ... أن القرآن له بهذا اللفظ والنظم العربي اختصاص لا يمكن أن يماثله في ذلك شيء أصلاً، أعني خاصة في اللفظ، وخاصة فيما دل عليه من المعنى، ولهذا لو فسر القرآن ولو ترجمه بالتفسير والترجمة قد يأتي بأصل المعنى أو يقربه، وأما الإتيان بلفظ يبين المعنى

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ٦٦/٢ وما بعدها.

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي ٦٤/٢، ٦٦، ٦٨، مناهل العرفان ١٢٢/٢، ١٥٥، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٣١٤.

القرآن المنزل، ولكن يجوز ترجمته كما يجوز تفسيره، وإن لم تجز قراءته بألفاظ التفسير وهي إليه أقرب من ألفاظ الترجمة بلغة أخرى»<sup>(١)</sup>.

والترجمة على أي حالة كانت، اللفظية منها فضلا عن التفسيرية لا يقال عنها قرآن، ولا يمكن أن يقارب كلام المنان، والدليل على ذلك - من النص والإجماع - ما يأتي:

١ - لأن الله ﷻ نفى عن القرآن أن يكون أعجميا، قال ﷻ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤] فالقرآن منزل عربيا، والعجمي ليس كذلك، فدل أن الترجمة ليست قرآنا<sup>(٢)</sup>، قال ابن العربي المالكي رحمه الله: «وهذا يبطل قول أبي حنيفة في قوله: إن ترجمة القرآن بإبدال اللغة العربية فيه بالفارسية جائز»<sup>(٣)</sup>، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا﴾ كذا، لنفي أن يكون للعجمة إليه طريق، فكيف يصرف إلى ما نهى الله عنه، فأخبر أنه لم ينزل به... وأوضحنا أن التبيان والإعجاز إنما يكون بلغة العرب، فلو قلب إلى غير هذا لما كان قرآنا، ولا بيانا، ولا اقتضى إعجازا»<sup>(٤)</sup>، وقال القرطبي رحمه الله في الآية: «دليل على أن القرآن عربي، وأنه أنزل بلغة العرب، وأنه ليس أعجميا، وأنه إذا نُقل عنها إلى غيرها لم يكن قرآنا»<sup>(٥)</sup>.

(١) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٥٦-٢٥٧.

(٢) انظر: حاشية ترشيح المستفيدين ١/ ٥٢، نقلا عن مناهل العرفان ٢/ ١٧٤.

(٣) أي في الصلاة، وهذا نقل عن أبي حنيفة، وسيأتي تفصيل حكم الصلاة بالترجمة القرآنية.

(٤) أحكام القرآن ٤/ ٨٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٤٠، وهذا الاستدلال واضح جلي، وهذه الآية - وما بعدها من الأدلة - تدل على بطلان ما ذكره الجصاص في كتابه أحكام القرآن ٣/ ٥٠٩ حيث قال: (وهذا يدل على أن نقله إلى لغة العجم لا يخرج ذلك من أن يكون قرآنا). وهذا قول ساقط، مبني على اعتقاد سابق، وهو: أن كلام الله ﷻ واحد إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بأي لغة أخرى كان مسمى بتلك اللغة، ولا يخرج التعبير بتلك اللغة عن كونه معنى واحدا، وإن اختلف اللفظ والمعنى؟! وهذا القول هو قول الكلاية والأشاعرة والماتريدية، وسيأتي بيانه والرد عليه في الفصل الأول من الباب الثاني. وبهذا تعلم أن ما ذكره الشيخ مناع القطان في كتابه مباحث في علوم القرآن ص ٣٢٠ بأن «الأحناف وإن جوزوا الصلاة بالأعجمية إلا أنهم متفقون على أنها ليست بقرآن» على إطلاقها غير صحيح، فهذا الجصاص

٢- أن هذا القرآن أنزل عربياً، كما قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨] ومعلوم أن الترجمة لا يصح أن توصف بأنها عربية<sup>(١)</sup>، ولا توصف بأنها سليمة لا اعوجاج فيها، لأن المترجم ربما أخطأ في أشياء كثيرة منها، أو نسي أو غفل، أو جهل، فكيف يقال أنها قرآن؟!.

٣- قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤] فإن اعتبر الترجمة اللفظية أو غيرها مثل القرآن فلقد أتى البشر بشيء مثله!! مع أن النفي منصب على سورة من مثله، فكيف بمثل القرآن كله؟ فلا بد أن يكون أشد نفياً، وأبعد استطاعة، وهذا يدل دلالة قوية، أن الترجمة إنما هي من كلام البشرية، تين وتوضح بغير العربية كلام الله ﷻ المنزل على خير البرية، محمد بن عبد الله ﷺ من غير مرية، ولا ريبة<sup>(٢)</sup>.

٤- ولأن القرآن اسم للفظ والمعنى جميعاً، «ولهذا إذا فسر المفسر، وترجمه المترجم لم يقل لتفسيره وترجمته: إنه قرآن»<sup>(٣)</sup>؛ لأنه «ليس القرآن عندنا بمجرد معناه فقط، بل بلفظه المخصوص، ومعناه، وأسلوبه الذي أعجز الأولين والآخرين، فعلى هذا المعنى: إن تُرْجِمَ بلسان آخر، أو عبر عن معناه بغير لفظه، وأسلوبه، خرج عن كونه قرآناً»<sup>(٤)</sup>، فالترجمة موضحة للمعنى فقط، وليس مثل اللفظ والمعنى قط، فالترجمة ليست مطابقة تماماً للفظ والمعنى، بل هي دالة على بعض ما دل عليه كلام الله ﷻ.

من أئمتهم، وقد عرفت قوله، وهو ممن يشار إليه بالبنان، ويذكر بمدح اللسان، ولكنه لعله يقصد المتقدمين من الأحناف فيكون كلامه مستقيماً، وقوله صواباً سليماً.

(١) انظر: البحر المحيط ١/٤٤٧.

(٢) انظر: البحر المحيط ١/٤٤٧، مناهل العرفان ٢/١٥٦-١٥٩.

(٣) المجموع ٦/٥٤٢، وانظر: ٦/٦٥، الجواب الصحيح ٤/٣٤١.

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٢٦، وانظر منه ص ٢٧٨.

٥ - أن القرآن معجز، والترجمة تخل بإعجازه، والإعجاز مختص بنظمه العربي، ومعناه الشرعي<sup>(١)</sup>.

٦ - أن عامة العلماء أجازوا الترجمة بغير العربية، ولم يقل أحد ممن يعتبر قوله: إن الترجمة هي قرآن بلغة كذا وكذا، وكون هذه الترجمة دالة على معاني القرآن، وأنها تأخذ بعض أحكام القرآن من حيث كونها معاني دالة عليه، لا يقتضي تناول اسم القرآن لهذه الترجمة، « كما أن "القيمة" إذا أخرجت من الزكاة عن الإبل، والبقر، والغنم لم تُسم إبلًا، ولا بقرا، ولا غنما، بل تسمى باسمها كائنة ما كانت.

٧ - وكذلك لفظ "التكبير" في الصلاة، إذا عدل عنه إلى لفظ التسبيح ونحوه وقيل: إن الصلاة تنعقد بذلك، كما يقوله أبو حنيفة رحمته الله لم يقل: إن ذلك لفظ تكبير، فكذلك إذا قدر أنا ترجمنا القرآن ترجمة جائزة لم يقل: إن الترجمة "قرآن"، ولم نسمها قرآنا<sup>(٢)</sup>. فترجمة القرآن إذاً ليست بقرآن أبداً.

٨ - أن علماء السلف ومن سار على دربهم من الخلف متفقون على أن ترجمة القرآن ليست بقرآن، وإنما هو من قبيل تفسير القرآن بلغة قوم غير العرب<sup>(٣)</sup>.

٩ - أن المسلمين يترجمون أحاديث رسول الله ﷺ ولا يقولون إن هذا حديث رسول الله ﷺ، وإنما يقولون هذا معنى حديث رسول الله ﷺ، وهذه ترجمة ما دل عليه حديث رسول الله ﷺ، وكذلك حينما يترجم المترجم كلام ملك أو وزير لا يقال إن هذا كلامه وإنما يقول هذا معنى كلامه، وهذا ما يدل عليه كلامه، وهذا بالنسبة إلى كلام البشر فكيف بكلام خالق البشر.

١٠ - أن العلماء - رحمهم الله - أجمعوا على منع رواية القرآن بالمعنى المراد للفظ المنزل، وذلك لأنه يخل بلفظه، واللفظ مراد كما المعنى مراد، وجوزوا رواية

(١) انظر: حواشي الشرواني ٤٤/٢ بتصرف، إعانة الطالبين ٦٨/١.

(٢) المجموع ٥٤٣/٦، وانظر: نقض المنطق ص ٩٨.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٥٥/٢، ٥٦، الفروع لابن مفلح ١، ٣٦٧، حاشية الدسوقي ١/١٢٥، موقف

العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين لمصطفى صبري ٣/٣٥١.

أحاديث رسول الله ﷺ بالمعنى لأنه ليس مراداً من حيث الإعجاز<sup>(١)</sup>، فيدل هذا على أن الترجمة هي من قبيل الرواية وإنما جازت لكونها نقلاً لبعض معنى القرآن إلى لغة أخرى، وأنها ليست من قبيل الرواية.

١١- أن العلماء المعبرين من لدن السلف الصالحين، والخلف المتبعين، يقولون: بمنع الجنب المحدث من مس المصحف، ولم يقل أحد منهم بتحريم مس الترجمة أيا كانت<sup>(٢)</sup>.

١٢- قال أهل العلم: إن الرجل لو حلف أنه لا يقرأ قرآناً فقرأ الترجمة أنه لا يحث، كما لو قرأ التفسير، فهذا يدل أن الترجمة ليست بقرآن، وإنما هي معنى ما دل عليه كلام الله ﷻ<sup>(٣)</sup>.

١٣- «أجمع العلماء على أنه لا تجوز قراءة القرآن بغير العربية خارج الصلاة، ويمنع فاعل ذلك أشد المنع، لأن قراءته بغيرها من قبيل التصرف في قراءة القرآن بما يخرجها عن إعجازه، بل بما يوجب الركاة»<sup>(٤)</sup>.

١٤- اتفق العلماء على أن القراءة في الصلاة بغير العربية تحرم مطلقاً، لكونه ليس قرآناً، إذ لا بد في التلاوة التعبدية للقرآن من اللفظ والمعنى، فيمنع منها، ولكن لو قرأ بغير العربية، فهل تصح صلاته، فيه قولان مشهوران، وعن أهل العلم معروفان<sup>(٥)</sup>.

القول الأول: أن الصلاة باطلة بكل حال، إذا قرأ الترجمة لكون ذلك من الكلام، ولم يأت بركن من أركان الصلاة، وهي قراءة القرآن، وعلى وجه الخصوص أم

(١) انظر: مناهل العرفان ١٦٤/٢ بتصرف.

(٢) انظر: الفروع لابن مفلح ٣٦٧/١، حاشية الدسوقي ١/١٢٥.

(٣) انظر: الفروع لابن مفلح ٣٦٧/١، حاشية الدسوقي ١/١٢٥.

(٤) مجلة الأزهر ٣٢/٣ وما بعدها، نقلاً عن مناهل العرفان ١٧٦/٤، ولقد روج لفكرة صحة القراءة بالأعجمية العقلانيون المعاصرون. انظر: موقف العقل ١/٤١-٤٢.

(٥) انظر: مجلة الأزهر ٣٢/٣ وما بعدها، نقلاً عن مناهل العرفان ١٧٦/٤.

القرآن "الفاحة"، ولكونه تكلم في الصلاة بما لا يشرع له، وهذا قول جمهور العلماء<sup>(١)</sup>.

القول الثاني: التفصيل في ذلك، إن قرأ وهو قادر على قراءة القرآن بطلت صلاته، وإلا فلا، وقالوا: إن قرأ من الآيات التي فيها الأذكار والأدعية لم تبطل وإلا بطلت، وقيل: لا تبطل بكل حال، وهذا القول نسب إلى أبي حنيفة، واضطرب فيه أقوال الحنفية<sup>(٢)</sup>.

١٥- أن القول بأن تسمية الترجمة ترجمة لفظية أو معنوية هو من قبيل الاختلاف في اللفاظ، ليس بصحيح لما تقدم من المعاني، وأيضا لو سلم له فإنه يؤدي إلى اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا، وهذه مفسدة عظيمة، فكيف يفتح هذا الباب الذي تأتي منه هذه المفسدة الكبرى، فقد ثبت بتقادم الأزمان، أنه يصبح الترجمة اللفظية قرآنا عند كثير من جهلة المسلمين، لما رأوا أنه مكتوب على الترجمة مثلا: القرآن الكريم باللغة الفارسية؟! أو القرآن الكريم باللغة الهندية؟! وإلى آخر ذلك، فإذا سيكون اعتقاد الجهال بعد عشرات السنين في هذا الكتاب؟؟ ألا يعتقدون بأن هذا قرآن باللغة الإنجليزية، وهذا قرآن بالفارسية؟ ولقد ثبت واقعا كما جاء في مجلة الأزهر: «أن أهالي جاوه<sup>(٣)</sup> المسلمين، يقرؤون الترجمة الإفرنجية، ويقرؤونها أولادهم، ويعتقدون أن ما يقرؤون هو القرآن الصحيح»!!<sup>(٤)</sup>.

وبعد سرد هذه الأدلة، لا يبقى أدنى شك في أن الترجمة وإن كانت لفظية - على

(١) انظر: المحلى لابن حزم ٢٥٤/٣ وقد فسق من قرأ القرآن في الصلاة بغير العربية ونسبه إلى التحريف، وانظر ٤١١/٨ من الكتاب نفسه، والجواب الصحيح ٥٥/٢، ٦٧/٢، المجموع ١٨٨/٢، الفروع لابن مفلح ٣٦٧/١، حاشية الدسوقي ١٢٥/١، مجلة الأزهر ٣٢/٣ وما بعدها، نقلا عن مناهل العرفان ١٧٦/٤.

(٢) انظر: أصول السرخسي ص ٢٨١، حاشية ابن عابدين ٤٨٥/١، وهذا القول نقل عن أبي حنيفة رحمته الله أنه رجع عنه، ومن لم يبلغه رجوعه قيده بالضرورة. انظر: البحر المحيط للزركشي ٤٤٨/١.

(٣) جاوة جزيرة في الجنوب الشرقي من قارة آسيا، وهي من أكبر الجزر التي تكونت منها إندونيسيا الحالية. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ٢٤٢/١.

(٤) مناهل العرفان ١٦١/٢، نقلا عن ملحق لمجلة الأزهر.

فرض صحتها - لا تكون قرآنا أبدا، وأختم البحث بنقل فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالملكة العربية السعودية هذا نصها: «س: ترجمة القرآن أو بعض آياته إلى لغة أجنبية أو أعجمية بقصد نشر الدعوة الإسلامية الحققة في بلاد غير المسلمين، هل في هذا العمل ما يخالف الشرع والدين؟».

ج: ترجمة القرآن أو بعض آياته والتعبير عن جميع المعاني المقصود إليها من ذلك غير ممكن، ترجمته أو بعضه ترجمة حرفية غير جائز لما فيها من إحالة المعاني وتحريفها.

أما ترجمة الإنسان ما فهمه من معنى آية أو أكثر وتعبيره عما فهمه من أحكامه وآدابه بلغة إنجليزية، أو فرنسية، أو فارسية، مثلاً لينشر ما فهمه من القرآن، ويدعو الناس إليه فهو جائز، كما يفسر الإنسان ما فهمه من القرآن، أو آيات منه باللغة العربية، وذلك بشرط أن يكون أهلاً لتفسير القرآن، وعنده قدرة على التعبير عما فهمه من الأحكام والآداب بدقة، فمن لم تكن لديه وسائل تعينه على فهم القرآن، أو لم يكن لديه اقتدار على التعبير عنه بلغة عربية أو غير عربية تعبيراً دقيقاً فلا يجوز له التعرض لذلك، خشية أن يحرف كلام الله عن مواضعه فينعكس عليه قصده، ويصير قصده المعروف منكراً، وإرادته الإحسان إساءة<sup>(١)</sup>.

وهذا نص فتوى أخرى متعلقة بهذا المبحث: «س: هل يمكن أن يترجم القرآن إلى اللغة الفرنسية مثلاً، ويقرؤه الكفار، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ في كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿١٥﴾ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]، ومكتوب على عنوان هذا الكتاب: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ [النساء: ١٢٦-١٢٧].

ج: لا يمكن ترجمة القرآن ترجمة مماثلة في دقة تعبيره وعلو أسلوبه وجمال سبكه وإحكام نظمه، وتقوم مقامه في إعجازه، وتحقيق جميع مقاصده من إفادة الأحكام والآداب، والإبانة عن العبر والمعاني الأصلية والثانوية، ونحو ذلك مما هو من خواصه

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٤/ ١٦٢-١٦٣، الفتوى رقم (٨٣٣).



ومزاياه المستمدة من كمال بلاغته وفصاحته، ومن حاول ذلك فمثله كمثل من يحاول أن يصعد إلى السماء بلا أجهزة ولا سلم، أو يحاول أن يطير في الجو بلا أجنحة ولا آلات.

ويمكن أن يعبر العالم عما فهمه من معاني القرآن حسب وسعه وطاقته بلغة أخرى ليبيّن لأهلها ما أدركه فكره من هداية القرآن، وما استنبطه من أحكامه، أو وقف عليه من عبره ومواعظه، لكن لا يعتبر شرحه لتلك الآيات بغير اللغة العربية قرآنًا، ولا ينزل منزلته من جميع النواحي، بل هو نظير تفسير القرآن باللغة العربية في تقريب المعاني، والمساعدة على الاعتبار، واستنباط الأحكام، ولا يسمّى ذلك التفسير قرآنًا، وعلى هذا يجوز للجُنب والكفار مس ترجمة معاني القرآن بغير اللغة العربية، كما يجوز مسّهم تفسيره باللغة العربية<sup>(١)</sup>.

وإذا تبين أن الترجمة ليست من القرآن الكريم لأنها بيان لمعاني القرآن الكريم بلغة غير العربية؛ فهل يقال عن التفسير إنه قرآن؟ هذا ما أبينه في المطلب التالي.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١٦٣/٤-١٦٤، الفتوى رقم (١٦٠١)، وانظر: ما بعدها من الفتاوى، وانظر: مجلة البحوث الإسلامية العدد ١٠، بحث: محمد النبهان ص ٣٢٧.

## المطلب الثاني: هل يقال إن التفسير من القرآن؟

التفسير لغة: تفعيل من الفَسَّرَ، وهو البيان، تقول: فَسَّرْتُ الشيءَ (بالتخفيف كضربت) أَفْسَرُهُ فَسْرًا، وَفَسَّرْتُهُ (بالتشديد كعلمته) أَفْسَرُهُ تَفْسِيرًا إذا بينته، فالتفسير البيان والتوضيح والإظهار والكشف، ومما جاء فيه التفسير بمعنى البيان والتوضيح قوله ﷺ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] أي أحسن بيانا وتوضيحا وظهورا<sup>(١)</sup>.

وأصل الفَسْر: نظر الطبيب إلى الماء ليعرف العلة. وقيل هو من فَسَّرْتُ الفرس إذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها<sup>(٢)</sup>.

وقيل هو مقلوب من سَفَرَ كَجَذَبَ وَجَبَذَ، تقول: سَفَرَ إذا كشف وجهه، ومنه أَسْفَرَ الصَّبْحُ إذا أضاء<sup>(٣)</sup>.

والتفسير يمكن أن يعرف بتعريف مختصر مفيد بأنه: علم يبحث عن معاني ألفاظ القرآن الكريم، ودلالاتها على مراد الله ﷻ<sup>(٤)</sup>.

وللتفسير طرق مشهورة، ومدارس معروفة، وأحسن الطرق وأوجبها في الإتياع، طريقة التفسير بالمأثور، وهو أن يفسر القرآن بالقرآن، والقرآن بما صح في السنة، والقرآن بما ثبت عن الصحابة والتابعين، والقرآن بما جاء في لغة العرب<sup>(٥)</sup>.

ومن أشهر ما كتب من التفاسير بهذه الطريقة: تفسير إمام المفسرين ابن جرير الطبري، وتفسير الإمام البغوي، وتفسير الحافظ ابن كثير، وتفسير الدر المنثور للسيوطي.

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٨٨/٦، المحرر الوجيز لابن عطية ٤/٢١٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٦٣/٢.

(٣) انظر: الفتح ٥/٨، البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٦٢-١٦٣، مناهل العرفان ٤/٢.

(٤) انظر: الفتح ٥/٨، البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٦٣-١٦٤، مناهل العرفان ٤/٢.

(٥) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/٣٦٩، مقدمة ابن خلدون ص ٧٨٥، تفسير ابن كثير ١/٣-٥، إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٤٦، مناهل العرفان ١٤/٢ وما بعدها.

وأما التفاسير الأخرى التي هي عن الجادة شطت، ولغير الأثر اتبعت، فهي كلها بعيدة عن الصواب، ومنها: التفسير الإشاري، والتفسير بالرأي<sup>(١)</sup>.

وأما التفسير الباطني الذي سلكه أهل الأهواء من الزنادقة، والمنافقين، فهو أشبه بالخرافات في الدين من أن يقال عنها تفسير للقرآن المبين.

ولا شك أن التفسير باب صعب مرتقاه، عسير مناله، ولهذا يجب التبحر في علوم الشريعة، قبل القيام بتفسير هذا الكتاب الذي فيه تفصيل كل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين، وأما التفسير بالرأي فمحرم، كما جاء ذلك عن الصحابة والتابعين، ومن صار على دربهم من العلماء الربانيين<sup>(٢)</sup>.

وعلى كل فإن التفسير بالمأثور - فضلا عن غيرها - لا يمكن أن يقال عنها قرآن، وقد سبق أن بينت في المطلب السابق أن الترجمة لا يصح أن تسمى قرآنا، ولا تكون أبدا فرقانا، ولا تأخذ حكم القرآن من جميع نواحيه.

والتفسير الذي هو تبين معاني كتاب الله ﷻ بلغته العربية، كذلك لا يصح أن يسمى قرآنا، وذلك للأدلة السابقة.

ويمكن أن أضيف بأن التفسير إنما صيغ للدلالة على معاني القرآن الكريم، ولم تُصغ من أجل محاكاة القرآن أو مماثلتها.

والتفاسير لا تغني عن القرآن الكريم بوجه من الوجوه، لا في الصلاة، ولا في التلاوة، ولا في الدلالة على المعاني العظيمة المرادة من كتاب الله ﷻ، ولهذا تجد بين التفاسير اختلافًا، بينما القرآن الكريم لا اختلاف بين جميع نسخه في المشرق كانت أو في المغرب، لأن القرآن محفوظ، والتفاسير معروضة لابتكارات البشر العلمية، وانتخاباتهم ومداركهم العقلية.

(١) والتفسير الإشاري، أو التفسير بالرأي إنما يكون مقبولا بشرطين، ذكرهما العلماء. انظر: ص ٩٣٨.

(٢) انظر: فتاوى ابن الصلاح ص ١٥٢، تفسير ابن كثير ٦/١-٧، الجامع لأحكام القرآن ١/٢٥ وما بعدها، الإقناع للشرييني ١/١٠٥، كشاف القناع ١/٤٣٣.

والسلف الصالح يعتقدون بأن كلام الله ﷻ القرآن لفظه ومعناه من الله ﷻ، ويعتقدون جازمين بأن التفسير ليست من القرآن المتلو، وإن كانت شارحة لمراذه ومبينة لمراميه، خلافا لمزاعم أهل البدع الحلولية القائلين بأن كل كلام في الوجود هو عين كلام الله ﷻ، وهذا قول ساقط، لا يقول به إلا كل لا قط<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷻ: «والتفسير ليس قرآنا متلوا، وكذلك الترجمة»<sup>(٢)</sup>، وقال أيضا: «اتفق المسلمون على جواز مس المحدث لكتب التفسير، واتفقوا على أنه لا تجوز الصلاة بتفسيره»<sup>(٣)</sup>.

وإذا تبين أن الترجمة والتفسير لا تتعلق بهما أحكام القرآن مطلقا، وعلى وجه الخصوص من حيث التعظيم والتوقير، فأين الآن ما يجب على المسلم من تعظيم المصحف في المبحث الآتي.

(١) وسبأني بيان عقيدة الحلولية في القرآن الكريم، والرد عليهم في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) الجواب الصحيح ٥٦/٢، حاشية الدسوقي ١/١٢٥.

(٣) المجموع ٥٤٢/٦ - ٥٤٣، وانظر: نقض المنطق ص ٩٨ وما بعدها.

## المبحث الرابع: وجوب تعظيم المصحف

### المطلب الأول: الدليل على وجوب تعظيمه.

تعظيم المصحف واجب بالاتفاق، وهو قول السلف بلا شقاق، وذلك لكون ما في المصحف هو كلام الله ﷺ<sup>(١)</sup> ودال على أوامره ونواهيه، ومحابّه ومراضيه<sup>(٢)</sup>، ولم يختلف السلف الكرام، وهم أهل الإكرام للمصحف الذي فيه كلام الله القدوس السلام، وإنما اختلفوا فيما هو من باب التعظيم، أو ليس منه<sup>(٣)</sup>.

وتعظيم المصحف يكون بما ورد في الشرع، لا بما يرد على العقل «لأن ما طريقه التقرب إذا لم يكن للقياس فيه مدخل لا يستحب فعله، وإن كان فيه تعظيم إلا بتوقيف»<sup>(٤)</sup>.

والنصوص القرآنية، والأحاديث النبوية تدل على وجوب تعظيم كلام الله ﷻ، وتعظيم المصحف الذي فيه كلام الله ﷻ، قال ﷺ: «ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعْبَرًا لِلَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» [الحج: ٣٢] «والشعائر جمع شعيرة، وهي كل شيء لله تعالى، فيه أمر، أشعر به وأعلم»<sup>(٥)</sup>، والمصحف فيه أوامر الله ﷻ، وفيه إعلام بما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه.

(١) انظر: مختصر الفتاوى ص ٢٦٥.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ٩٨/١، طبقات الشافعية ٢١٩/٨، ٢٣٣.

(٣) انظر: المجموع ٢٠/٢٨٨، الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي ص ١٩٨-١٩٩، ٢٩١، ضمن الجامع لألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) كشف القناع ١/١٣٧.

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية ٤/١٢١.

ومن صور التعظيم عدم تمكين الكافر من مسه، فإنه فاقد الطهارة كلها، متلبس بالنجاسة كلها، ولكنه يعطى بعض آيات الكتاب، لدعوته إلى الصواب، أو إذا رجي إسلامه، وذلك من غير تمكينه من المصحف واستلامه، أو يكون بإعطائه معاني القرآن الكريم وتفسيره وترجمته<sup>(١)</sup>.

ومن تعظيم المصحف منع قراءته على الجنب، لأن الواجب والكمال في التعظيم كمال الطهارة حال المس والقراءة، والجنب فاقد للطهارتين الكبرى والصغرى، ولقد ثبت عن علي عليه السلام أنه قال: [كان رسول الله ﷺ يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنباً]<sup>(٢)</sup> «وبه قال غير واحد من أهل العلم أصحاب النبي ﷺ والتابعين»<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي رحمه الله، في قوله ﷺ: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣] «وإذا كان لا يجوز له - أي الجنب - اللبث في المسجد فأحرى أن لا يجوز له مس المصحف، ولا القراءة فيه، إذ هو أعظم حرمة»<sup>(٤)</sup>.

وكذلك يحرم على الحائض والنفساء قراءة القرآن<sup>(٥)</sup>، لقول ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: [لا يقرأ الجنب، والحائض شيئاً من القرآن]<sup>(٦)</sup>، وبه قال أكثر أهل العلم من السلف والخلف «من أصحاب النبي ﷺ، والتابعين ومن بعدهم»<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: المذهب لأبي إسحاق الشيرازي ٢٥/١، وحاشية البجيرمي ٤٧/١.

(٢) رواه الترمذي، أبواب الطهارة، باب: ما جاء في الرجل يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنباً، ح (١٤٦)، وقال حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود، كتاب الطهارة، باب: في الجنب يقرأ القرآن، ح (٢٢٩)، ورواه النسائي، كتاب الطهارة، باب: حجب الجنب من قراءة القرآن، ح (٢٢٦)، وابن ماجه، كتاب الطهارة، باب: ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة، ح (٥٩٤).

(٣) جامع الترمذي ٤٥٥/١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٣٦/٥.

(٥) انظر: المبسوط ١٥٢/٣، البحر الرائق ٢١١/١، المذهب ٣٨/١.

(٦) رواه الترمذي، كتاب الطهارة، باب: ما جاء في الجنب والحائض أنها لا يقرأ القرآن، ح (١٣١)، وابن ماجه، كتاب الطهارة، باب: ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة، ح (٥٩٦) واللفظ له، وقال الشيخ الألباني (ضعيف) انظر: الإرواء ٢٠٦/١ ح (١٩٢).

(٧) جامع الترمذي ٤١٠/١، وفي جواز قراءة القرآن ومس المصحف للجنب والحائض خلاف يسير، حيث أن الظاهرية قالوا بجواز مسه، ولكن هذا القول لم يكن عليه السلف، كما هو مبين من كلام الترمذي رحمه الله.

وأما المحدث حدثاً أصغر فهو فاقد للطهارة الصغرى فيكون أيضاً ناقصاً لكمال الطهارة، واختلف العلماء في حكم مسه المصحف على قولين<sup>(١)</sup> مشهورين: الأول: يمنع من ذلك؛ ومن تعليلاتهم وأدلتهم أنهم قالوا: لأنه يخل بالتعظيم. الثاني: يباح له ذلك، لأن المؤمن لا ينجس، ولأن ذلك لا يخل بالتعظيم. وهذا يدل على اتفاقهم على وجوب تعظيم المصحف، وذلك لكونه كلام الله ﷻ، وخلافهم بعد ذلك في آحاد صور التعظيم أنها من التعظيم أولاً، لا يضر، لأنهم جميعاً متفقون على تعظيم المصحف، وتكريمه، وكون مسه بدون طهارة من التكريم أم لا، يعد هذا خلافاً فقهياً<sup>(٢)</sup>، لكن الراجح هو ما عليه جماهير السلف والخلف من وجوب كمال الطهارة لمس المصحف.

قال شيخ الإسلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٢﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٣﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠] «هذا مسوق لبيان شرف القرآن وعلوه وحفظه، وذلك بالأمر الذي قد ثبت واستقر أبلغ منه بما يحدث ويكون، نعم الوجه في هذا - والله أعلم - أن القرآن الذي في اللوح المحفوظ هو القرآن الذي في المصحف، كما أن الذي في هذا المصحف هو الذي في هذا المصحف بعينه، سواء كان المحل ورقاً أو أديماً أو حجراً أو خافاً، فإذا كان من حكم الكتاب الذي في السماء أن لا يمسه إلا المطهرون، وجب أن يكون الكتاب الذي في الأرض كذلك؛ لأن حرمة كحرمته - أو يكون الكتاب اسم جنس يعم كل ما فيه القرآن، سواء كان في

(١) انظر هذين القولين المشهورين بأدلتها في المراجع الآتية: أحكام القرآن للحصاص ٣/ ٥٥٥، المغني ١/ ٩٨، شرح العمدة ١/ ٣٨٢، ١٤١-٣٨٦، المجموع ٢٣/ ٥٧، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٩٨-٢٩٩، الإنصاف ١/ ٢٢٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/ ١٤٦-١٤٧، حاشية البجيرمي ١/ ٤٧، كشاف القناع ١/ ١٣٥، فتح القدير للشوكاني ٥/ ٢٠٣.

(٢) ومن أحسن ما كتب حول الأحكام الفقهية المتعلقة بالقرآن الكريم الأطروحة العلمية للدكتور: أحمد سالم ملح، وهو بعنوان: "فيض الرحمن في الأحكام الفقهية المتعلقة بالقرآن" مطبوع، وفيه بعض الأخطاء العقدية.

السما أو في الأرض»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «لم يختلف فقهاء الأمصار بالمدينة والعراق والشام أن المصحف لا يمسه إلا طاهر على وضوء وهو قول مالك والشافعي وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي ثور وأبي عبيد وهؤلاء أئمة الفقه والحديث في أعصارهم وروى ذلك عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وطاووس والحسن والشعبي والقاسم بن محمد وعطاء قال إسحاق بن راهويه: لا يقرأ أحد في المصحف إلا وهو متوضئ»<sup>(٢)</sup>.

وقال المباركفوري رحمه الله: «القول الراجح عندي قول أكثر الفقهاء وهو الذي يقتضيه تعظيم القرآن وإكرامه، والمتبادر من لفظ الطاهر في هذا الحديث هو المتوضئ، وهو الفرد الكامل للطاهر، والله تعالى أعلم»<sup>(٣)</sup>.

ويجب تعظيم ما في المصحف لأن هذه الآيات المعجزات حزمة<sup>(٤)</sup>، وقد اتفق المسلمون على أن من استخف بالمصحف مثل أن يلقيه في الحش أو يركضه برجله إهانة له أنه كافر مباح الدم<sup>(٥)</sup>، ولشدة اهتمام العلماء بتعظيم المصحف يمثلون بالاستهزاء به على الاستهزاء المكفر الذي يدل على أن من تعمده كان كافراً، وذلك بإلقاء المصحف بقاذورة، لأنه صريح في الاستخفاف بكلام الله تعالى<sup>(٦)</sup>.

ولو عظم المصحف بغلاف من حرير، أو كيس من حرير جاز ذلك؛ لأن هذا من تعظيمه، وإن كان الحرير محرماً لبسه إلا أن «وضع المصحف فيه إنما هو جعله لباساً للمصحف ووعاء له ليصان ويحفظ، وما شرع له الكسوة من شعائر الله جاز أن

(١) شرح العمدة ١/ ٣٨٤.

(٢) التمهيد ١٧/ ٣٩٧.

(٣) تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي ١/ ٤٥٦.

(٤) انظر: المجموع ١٥/ ١٠٢.

(٥) المجموع ٨/ ٤٢٥، وانظر: طبقات الشافعية ٨/ ٢٣٣ من قول العز ابن عبد السلام، وحاشية ابن عابدين

٧١٩/ ٣.

(٦) انظر: مغني المحتاج ٤/ ١٣٦، دليل الطالب ١/ ١٠٤.



يكسى الحرير كالكعبة، وأولى؛ ولأن لباس الحرير إنما يكره للآدميين لما فيه من العظمة والسرف، وهذا أمر مطلوب لكتاب الله وبيته، والفرق بين هذا وبين الزخرفة أن الكسوة فيها منفعة للبيت والمصحف، فإذا حصلت بأشرف الثياب كان ذلك تعظيماً لحرمات الله بخلاف الزخرفة فإنه لا منفعة فيها»<sup>(١)</sup>.

فكل ما هو من التعظيم شرعاً وعرفاً فينبغي الأخذ به مادام لا يخالف العرف الشرع، ومن ذلك تعظيمه بوضعه في الأماكن التي تصان، وحفظه عن الأماكن المهانة. ومن تعظيم المصحف ألا يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبداً عالياً لسائر الكتب علماً كان أو غيره.

ومن حرمة المصحف ألا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب، فإن هذا من الجفاء، ومن ذلك وضع أوراقه وصحائفه منشوراً على الأرض كالسفر ونحوها<sup>(٢)</sup>. ومن تعظيمه أن لا يتوسد، ولا يعتمد عليه ولا يرمى عند المناولة، وأن يكون له موضع يصان فيه؛ فلا يكون ممتهناً<sup>(٣)</sup>.

ومن تعظيم المصحف منع تصغير هذا الاسم المعظم وهو (المصحف) وذلك لأن تصغيره يوهم النقص، ومن أجاز من السلف التصغير فلكونه من حيث الخط، لا من حيث كونه كلام الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

ومن تعظيم المصحف كتابته بخط واضح يقرأ، وأما كتابته بخط لا يقرأ فهذا مظنة لإهانتة فيمنع منه، قال إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي: «كان يقال: عظموا القرآن، يعني كبروا المصاحف»<sup>(٥)</sup>، ولهذا كره السلف تصغير المصحف، خطأ وكتابة،

(١) شرح العمدة ٣٠٧/٤.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٨/١، الفروع ١٥٨/١، شرح تنوير الأبصار ١٧٧/١، كشف القناع ١٣٦/١.

(٣) انظر: السنن الكبرى ١٧١/٣ (٤٨٩٠)، الجامع للقرطبي ٢٤/١، المبدع ٨١/٣، الفروع ١٥٨/١، الفتح ٦٨٨/١ (٤٨٠)، كشف القناع ١٣٦/١، شرح تنوير الأبصار ١٧٧/١.

(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة ٢/٢٤٠، إعلام الموقعين ١٧٩/٣، حواشي الشيرازي ١٤٦/١.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب: من كره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير، برقم (٨٥٥٣)، وذكر آثاراً أخرى، وانظر: المصنف لعبد الرزاق ٣٢٣/٤، الجامع لأحكام القرآن ٢٤/١.

وقالوا: « ينبغي أن يكتبه بأحسن خط، وأبينه على أحسن ورقة، وأبيضه، بأفخم قلم، وأبرق سواد، ويفرج السطور، ويضخم الحروف »<sup>(١)</sup>.

ومن تعظيم المصحف أنه يعتبر مشاعا ليس لأحد أن يملكه على وجه المالية، ولهذا اختلف السلف في قطع يد السارق لو سرق مصحفا، فقال الشافعي وأبو ثور وأبو يوسف: تُقَطَّعُ اليد به، وقال أبو حنيفة وأحمد: لا تُقَطَّعُ به<sup>(٢)</sup>.

ولهذه العلة اختلفوا في بيع المصحف، وقالوا: إن تعظيمه واجب وفي بيعه نوع ابتدال له<sup>(٣)</sup>.

وكل ما يخالف التعظيم فإنه يحرم بالشرع، ونص عليه السلف - رحمهم الله -، ومن ذلك أنه يحرم تمزيق المصحف لأنه ازدراء به<sup>(٤)</sup>.

وأما القيام للمصحف إذا أدخل على قوم في مجلس فلم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة الكرام، قال شيخ الإسلام: « لا نعلم في القيام للمصحف شيئا مأثورا عن السلف »<sup>(٥)</sup>، وجوزه بعضهم وقالوا هو كجواز القيام للعالم، قالوا فالمصحف أولى بالقيام<sup>(٦)</sup>.

ومعلوم أن القيام للعالم مختلف فيه<sup>(٧)</sup> لعدم ورود نص صريح فيه، فلا يقاس المصحف على العالم لعدم وجود النص فيه صراحة، فكيف يثبت حكم بحكم مختلف فيه قياسا؟.

ثم القيام للعالم قد يكون من باب العادة، كما هو الحال عند الناس في القيام لكبارهم

(١) حاشية ابن عابدين ٦/٣٨٦، وانظر: مصنف ابن أبي شيبة ٢/٢٤٠، والمصنف لعبد الرزاق ٤/٣٢٣.

(٢) انظر الأقوال وأدلتها في: الجامع لأحكام القرآن ٦/١٧٠، المجموع ٣١/٢١٢، الكافي ٨/٢، المبدع ٤/١٢-١٣، كشاف القناع ٦/١٣٠.

(٣) انظر: الروض المربع ٢/٢٩.

(٤) انظر: إعانة الطالبين ١/٦٨.

(٥) مختصر الفتاوى ص ٢٥٦، المجموع ٢٣/٦٥.

(٦) انظر: الدر النضيد في مجموعة ابن الحفيد ص ٤٧، إعانة الطالبين ١/٦٩.

(٧) انظر: فتح الباري ١١/٥٢ وما بعدها، عون المعبود ١٤/٨٥ وما بعدها.

وعظماؤهم؟ وأما القيام للمصحف فلا يكون إلا عبادة ولا تثبت العبادة إلا بنص<sup>(١)</sup>.

وهل تحلية المصحف من التعظيم؟ قال أبو الحسن علي بن محمد الزاغوني<sup>(٢)</sup>:

«يحرم كتبه بذهب لأنه من زخرفة المصاحف ويؤمر بحكه...»<sup>(٣)</sup>.

وقال شيخ الإسلام: «هذه الزخارف الظاهرة - أي تحلية المصحف وزخرفة المساجد - التي لم تشرع، ويصحبها من الرياء والكبر والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها»<sup>(٤)</sup>.

وهو لم ينقل من فعل الصحابة، مع أنهم أشد الناس تعظيماً لكتاب الله ﷻ، وتوقيراً لكلامه، وتبجيلاً للمصحف، بل المنقول عنهم كراهية تحلية المصاحف<sup>(٥)</sup>.

وأما حرق المصحف لضرورة أو حاجة فجائر، لأن في حرقه حفظاً له عن الإهانة، وفي تركه مع عدم الحاجة إليه - لكونها كتبت خطأ أو محرفة - إهانة لها من حيث إنها قد تداس أو غير ذلك، ولذلك حرق عثمان ؓ المصاحف التي كانت عند الصحابة، وفيها ما هو منسوخ، وما هو تفسير، وجمعهم على المصحف الذي توفي رسول الله ﷺ وهو الباقي المحكم من القرآن وهذا ياجماع الصحابة.

قال علي ؓ: [يا معشر الناس اتقوا الله وإياكم والغلو في عثمان، وقولكم حرق المصاحف فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب محمد ﷺ]، وقال: «لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان»<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) انظر: كشف القناع ١/١٣٨، وكذلك نقله ابن الحفيد عن العز بن عبد السلام، كما في الدر النضيد ص ٤٨.
- (٢) هو العلامة شيخ الحنابلة: علي بن عبد الله بن نصر بن عبيد الله بن الزاغوني البغدادي، صاحب التصانيف، توفي سنة ٥٢٧ هـ. انظر: السير ١٩/٦٠٥.
- (٣) كشف القناع ١/١٣٧، وانظر: المهذب ١/١٥٨، فتاوى ابن الصلاح ص ٨٢٣، الجامع لأحكام القرآن ١/٢٤، والفروع ١/١٥٩، الكافي ١/٣١٠.
- (٤) الاقتضاء ١/٢٩٦، بتصرف.
- (٥) انظر: مصنف ابن أبي شيبة ٢/٢٦٢، سنن سعيد بن منصور ٢/٤٨٥ (١٦٤)، الفتح ٢/٥٣٤، التلخيص الخبير ٢/١٧٧، خلاصة البدر المنير لابن الملقن ١/٣٠٧.
- (٦) الجامع لأحكام القرآن ١/٤٠، وانظر: علل الدارقطني ٣/٢٢٩، الفتح ٨/٦٣٧، تحفة الأحوذى ٨/٤١١.

قال ابن بطال<sup>(١)</sup> رحمه الله: «وفي أمر عثمان بتحريق المصحف والمصاحف حين جمع القرآن، جواز تحريق الكتب التي فيها أسماء الله تعالى، وأن ذلك إكرام لها، وصيانة عن الوطء بالأقدام وطرحها في ضياع من الأرض»<sup>(٢)</sup>، وقال ابن الجوزي: «ذلك لتعظيمه وصيانيته»<sup>(٣)</sup>. ومن هذا يعلم أن حرق المصحف لغير حاجة شرعية، مخالف للتعظيم، بل يكون إهانة له<sup>(٤)</sup>، وإذا أمكن أن لا يبقى للكلام أثر بالمحو ونحوه فهو حسن<sup>(٥)</sup>، وأما دفنه إذا بلي فليس فيه شيء ثابت عن الصحابة والتابعين، ولكن جوزه بعض الحنفية وقالوا: إن ذلك من تعظيم كلام الله تعالى<sup>(٦)</sup>، ولكن الإحراق أو المحو أولى لأنه يتأكد به عدم الإهانة، وحتى لا تكون بالدفن عرضة للدوس بالأقدام<sup>(٧)</sup>.

وبهذا القدر كفاية لمن اعتبر، على أن السلف مهتمون بتعظيم المصحف كما قد مر، وأعظم تعظيم للمصحف قراءته، والعمل به<sup>(٨)</sup>، ومن تعظيمه صونه عن الأماكن النجسة، وهذا ما أبيته في المطلب الآتي.

(١) هو المحدث الفقيه المالكي: محمد بن بطال بن وهب بن عبد الأعلى التميمي، رحل من الأندلس إلى مكة وأخذ عن ابن الأعرابي وغيره، وكان كثير الرواية والدراية، توفي بلورقة في الأندلس سنة ٣٦٦ هـ. انظر: الديباج المذهب ص ٤١٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠، وانظر: الفروع ١/ ١٦٠، تحفة الأحوذى ٨/ ٤١١، فتاوى الدين الخالص ١/ ١٧٤.

(٣) كشف القناع ١/ ١٣٧.

(٤) انظر: حواشي الشيرازي ١/ ١٥٦.

(٥) انظر: الفتح ٨/ ٦٧٣.

(٦) انظر: حاشية ابن عابدين ٦/ ٤٢٢، شرح تنوير الأبصار ١/ ١٧٧.

(٧) انظر: تاريخ بغداد ٦/ ١١٤.

(٨) وقد سبق الكلام على هذه المسائل في المبحث الثاني من الفصل الثالث.

### المطلب الثاني: حكم الدخول بالمصحف في الأماكن النجسة.

الدخول بالمصحف إلى الأماكن القذرة والنجسة خلاف التعظيم الذي أمرنا الله به فيما يتعلق بحرماته، قال ﷺ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، ولا شك أن من أعظم حرمان الله ﷻ ما يتعلق بذاته وأسمائه وصفاته، وأحكامه وشرعه.

ولهذا فلا يدخل بالمصحف إلى الحشوش، والحمامات، وأماكن القذارة، ولا يجوز أن يدخل في أماكن اللهو واللعب فهذا فيه نوع توهين له، إلا إذا كان هناك ضرورة كخوفه من ضياعه<sup>(١)</sup>، فلا «يحمل في الخلاء ذكر الله تعالى... من قرآن، أو غيره... تعظيماً له...، وتحريم إدخال المصحف ونحوه، الخلاء من غير ضرورة إجلالاً له، وتكريماً»<sup>(٢)</sup>.

«ويحرم كتب شيء من القرآن والحديث... بمتنجس»<sup>(٣)</sup>.

وأما إن كان على موضع من بدنه نجاسة، فإنه لا يجوز له مس المصحف بهذا الموضع، حتى لا يلامس النجاسة المصحف<sup>(٤)</sup>.

والقاء المصحف في القاذورات لا يكون من مؤمن، بل يكون فاعل ذلك كافراً بهذا الفعل إجماعاً، إذا كان متعمداً<sup>(٥)</sup>.

ومن الأماكن التي هي مظنة النجاسة بلاد الكفار، إذ هم لا يتطهرون، وهم كما قال ﷻ عنهم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [الحج: ٢٨] فلهذا لا

(١) انظر: المنهج القويم للهيتمي ص ٦٤، إعانة الطالبين ١/ ١٠٩، التاج والإكليل ٦/ ٢٦٩، كشف القناع ١/ ٥٩، سبل السلام ١/ ٧٣، نيل الأوطار ١/ ٩٠.

(٢) مغني المحتاج ١/ ٤٠.

(٣) حاشية البجيرمي ١/ ٤٩.

(٤) انظر: حلية العلماء ١/ ١٥٨، الكافي ١/ ٤٨.

(٥) انظر: طبقات الشافعية ١/ ١٢٨.

يمكنون من المصحف، « ويحرم بيع المصحف لكافر، ولا يصح، لما فيه من الإهانة »<sup>(١)</sup>، ويخشى أن يمتنوه، وأن يسيئوا استخدامه.

ولهذا لا يجوز السفر بالقرآن إلى أرض العدو، مخافة أن تناله أيديهم، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما: « إن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو »<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمته الله: « أجمع الفقهاء أن لا يسافر بالمصحف في السرايا، والعسكر الصغير المخوف عليه، واختلف في الكبير المأمون عليه... واستدل به - أي بالحديث السابق - على منع بيع المصحف من الكافر، لوجود المعنى المذكور فيه، وهو التمكن من الاستهانة به، ولا خلاف في تحريم ذلك »<sup>(٣)</sup>؛ فدل هذا على أن السفر بالمصحف إلى أرض العدو محرم إذا خشي على المصحف<sup>(٤)</sup>، ومن ذلك الأماكن التي فيها الغلبة للكفار، والبلاد بلاد كفر وشرك، فإن حمل المصحف إلى مثل هذه البلدان والدخول إليها مظنة لأن يقع بأيدي المشركين، وهذا منهي عنه، ويشد إذا كانوا أهل حرب، فإنهم أشد بغضا للمسلمين، ولكتابهم؛ فيهيئون كتاب الله ﷻ<sup>(٥)</sup>.

ولأن حمل المصحف إلى بلاد الكفار قضية مهمة، - خصوصاً في العصر الحاضر من أجل الدعوة، وتسهيل مهمة الداعية - أنقل هذه الفتوى من فتاوى اللجنة الدائمة، وهذا مفادها: « هل يجوز حمل المصحف إلى بلاد الكفر؟ ».

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد: حمل المسلم المصحف - القرآن الكريم - إلى بلاد الكفر من المسائل التي اختلف الفقهاء في حكمها: فقال جماعة منهم بجواز حمله إلى بلادهم، وقال آخرون بمنع ذلك، لنهي النبي ﷺ

(١) إغاثة الطالبين ٤/ ٢٨٢، وانظر: المهذب ١/ ٢٦٧، وحاشية ابن عابدين ١/ ١٧٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب/ كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو، ح (٢٢٩٠)، ومسلم: كتاب الجهاد، باب: النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم، ح (١٨٦٩)، وزاد مسلم: [مخافة أن تناله العدو].

(٣) الفتح ٦/ ١٥٦.

(٤) انظر: المبسوط ١٠/ ٢٩، البحر الرائق ٥/ ٨٣، المغني ١/ ٢٠٤، ١٣/ ٢٥١.

(٥) انظر: المغني ١/ ٩٩، فتاوى الدين الخالص ٢/ ١٠١-١٠٢.

عن السفر به إلى بلادهم خشية أن يمتنوه، أو يحرفوه، أو يشبهوا على المسلمين فيه...، وقال آخرون يجوز حمله إلى بلادهم للبلاغ وإقامة الحجة عليهم، وللتحفيظ والتفهم لأحكامه عند الحاجة إذا كان للمسلمين قوة، أو سلطان، أو ما يقوم مقامهما من العهود والمواثيق، ونحو ذلك مما يكفل حفظه ويرجى معه التمكن من الانتفاع به في البلاغ والحفظ والدراسة، ويؤيد ذلك ما ورد في آخر حديث النهي عن السفر به إلى بلادهم من التعليل، وهذا الأخير هو الأرجح، لحصول المصلحة مع انتفاء المفسدة التي خشيتها النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتبين أن امتهان المصحف بأي وجه محرم، وأن تعظيم المصحف واجب، ومن تعظيمه اعتقاد أنه آية من آيات نبينا محمد ﷺ ومعجزة من معجزاته، وهذا ما سأجليه في الفصل الآتي.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٤/ ٤٢-٤٣، بتصرف يسير.





## الْفَضْلُ الْخَامِسُ

بَيِّنَاتُ أَنَّ الْقُرْآنَ آيَةُ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: تعريف الآية، وكون القرآن معجزاً، وفيه ثلاثة**

مطالب.

**المبحث الثاني: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة**

مطالب.



## المبحث الأول: تعريف الآية، وكون القرآن معجزاً

المطلب الأول: تعريف الآية لغة واصطلاحاً، وإطلاقاتها القرآنية.

أولاً: تعريف الآية لغة.

الآية لغة معناها العلامة، تقول هذه آية مأياة، أي: علامة معلّمة<sup>(١)</sup>، ومنه قوله ﷺ: ﴿وَأَيُّ آيَةٍ هُمْ إِلَّا رُضُ الْأَمِيَّةِ أَحْيَيْنَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣] أي علامة معلّمة لهم تدل على ألوهية الرب عز وجل، وأنه المعبود بحق، وأن البعث كائن لا محالة<sup>(٢)</sup>.

وتطلق الآية ويراد بها الجماعة من الناس كما قال الشاعر:

خرجنا من النّقبين لا حيّ مثلنا      بآياتنا نرّجي المطيّ المطافلاً<sup>(٣)</sup>

وقيل منه آي القرآن «لأنها جماعة حروف، والجمع: آي»<sup>(٤)</sup>، ويجمع على (آيائ) و (آيات)<sup>(٥)</sup>، وجمع الجمع (آياء)<sup>(٦)</sup>، وقيل: «سميت الآية من القرآن آية لأنها علامة لاتقطاع كلام من كلام»<sup>(٧)</sup>، وقيل الآية من القرآن علامة مفضية إلى غيرها كأعلام الطريق تهدي السبيل<sup>(٨)</sup>، وقيل: «سميت آية لأنها عجب، يعجز البشر عن

(١) انظر: مقاييس اللغة ص ١٠٢-١٠٣، ومفردات القرآن ص ٤١، مختار الصحاح ص ٣٧، لسان العرب ٢٨٢/١، القاموس المحيط ٣٢٢/٤، تفسير القرآن العظيم ٧/١.

(٢) انظر: فتح البيان ٨/٢٠.

(٣) انظر: مقاييس اللغة ص ١٠٣، لسان العرب ٢٨٢/١، والأبيات من نظم برج بن مسهر.

(٤) انظر: مقاييس اللغة ص ١٠٣، مختار الصحاح ص ٣٧، لسان العرب ٢٨٢/١، تفسير القرآن العظيم ٧/١.

(٥) انظر: مختار الصحاح ص ٣٧، القاموس المحيط ٣٢٢/٤.

(٦) انظر: لسان العرب ٢٨١/١، ٢٨٣، القاموس المحيط ٣٢٢/٤.

(٧) لسان العرب ٢٨٢/١.

(٨) انظر: لسان العرب ٢٨٢/١.

التكلم بمثلها»<sup>(١)</sup>.

والظاهر - والله تعالى أعلم - أن الآية في القرآن تجمع هذه المعاني كلها، ولا تضاد بينها، فإن الآية في القرآن إما أن تكون علامة على التوحيد، أو البعث، أو النبوة، أو الأحكام، وهي هادية إلى الإيمان بهذه الأمور، وهي في نفسها مجموعة حروف وكلمات تامة المعنى، عجيبة المبنى، فهي آية بمعنى الكلمة، تامة جامعة.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «فإن الآية هي العلامة، وهي ما تستلزم بنفسها لما هي آية عليه، من غير توسط... كالشعاع فإنه آية للشمس، والدخان للنار...، فيعلم من ثبوت الآية ثبوت لازمها»<sup>(٢)</sup>، «والآية مثل العلامة والدلالة»<sup>(٣)</sup>.

فكلامه رحمته الله يبين أن الآية وهي العلامة تدل بنفسها لما هي سيقت له، ونصبت من أجله، فالقرآن آية للنبي رحمته الله، بمعنى أنه عجب، وآية له بمعنى أنه في نفسه تام لا يحتاج إلى آية أخرى، وآية لكونه دالاً على التوحيد والمعاد والنبوات، وآية لكونه هادياً للبشر، وهو آية للنبي رحمته الله.

#### ثانياً: تعريف الآية اصطلاحاً.

وليس المراد من التعريف آيات القرآن التي منها السور، بل المراد بالآية آيات الأنبياء، والسلف الصالح - رحمهم الله تعالى - كانوا يعرفون آيات النبي رحمته الله ومنها القرآن، بهذا الاسم وهو الآية، ولفظ الآيات كثير في القرآن<sup>(٤)</sup>، وجاء المتأخرون باصطلاح المعجزة بدلا عن ذلك، مع أن الاصطلاح الذي دل عليه الكتاب والسنة وأقوال السلف أدل على المعنى، وأوضح في المبنى، فكان بالاتباع أولى؛ لأنه «ليس في الكتاب والسنة تعليق هذا الحكم بهذا الوصف، بل ولا ذكر خرق العادة، ولا لفظ

(١) تفسير القرآن العظيم ٨/١.

(٢) المجموع ٧٤/٢.

(٣) المجموع ١٧٩/٢.

(٤) انظر: الجواب الصحيح ٥/٤١٤، ٤١٩.

المعجز، وإنما فيه آيات وبراهين»<sup>(١)</sup>، ولهذا اخترت اسم الآية بدلا عن المعجزة، والمعجزة أعم من الآية لأنها تشمل كل خارق.

قال شيخ الاسلام ﷺ: «اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها: الآيات»<sup>(٢)</sup>، وإن كان في العرف الغالب إذا قيل آية فالتبادر هو آيات سور القرآن، والآية ليست مختصة بالقرآن دون غيره<sup>(٣)</sup>.

وكلام أهل العلم في تعريف الآية دائر حول هذه المعاني:

الآيات؛ هي الأدلة المستلزمة للصدق<sup>(٤)</sup>، وقيل: «حدها أن تدل على المطلوب»<sup>(٥)</sup>، وقيل الآية هي: الحجة<sup>(٦)</sup>، وقيل الآية هي: المعجزة، بل المعجزة أخص منها، وقالوا في تعريف المعجزة، هي: الأمر الخارق للعادة، داعية إلى الخير والسعادة، مقرونة بدعوى النبوة<sup>(٧)</sup>.

والذي يظهر أن التعريف الجامع والمانع هو أن يقال:

الآية هي العلامة المستلزمة للصدق، الخارجة عن قدرة المكلفين، وهذا التعريف جامع لأنه يجمع جميع أنواع الآيات، سواء كانت دالة على التوحيد، أو التي تدل على صدق النبي، أو التي تدل على حكم الله ﷻ، وأيضا هو مانع: لأن الخوارق التي يظهرها الشياطين والكهنة والسحرة والمشعوذون ليست من الآيات في شيء، لأنها من الأمور التي يمكن لأحاد المكلفين من الإنس والجن أن يفعلوها، بخلاف الآيات الأفاقية

(١) النبوات ص ٥٩.

(٢) المجموع ٣١١/١١.

(٣) انظر: الفصول في الأصول ٢/٢٥٧.

(٤) انظر: مفردات القرآن للراغب الأصبهاني ص ٤١، النبوات ص ٥٨، ١٨٦، ٣١٥.

(٥) النبوات ص ٣٠٩.

(٦) انظر: المجموع ١٧/١٢.

(٧) التعريفات للجرجاني: ص ٢١٩.

والأرضية، والآيات المتلوة، فإن البشر لا يقدرّون على الإتيان بمثلها، فالإعلام بالغيوب، والإتيان بالشرائع التي تُصلح أحوال البشر، وإحياء الموتى، وشق القمر، وقلب العصا حية، كل ذلك مستلزِم للصدق الذي من أجله جيء بها، ولا يقدر عليها البشر، «فآية النبي لا بد أن تكون خارقة للعادة، بمعنى أنها ليست معتادة للآدميين»<sup>(١)</sup>.

والآية إما أن تكون من جنس العلم كالقرآن، أو القوة كفلق البحر، أو الغنى النافي للافتقار، و«صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى...، وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده، فإنه الغني الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين»<sup>(٢)</sup>.

فكل ما كان من هذه الأمور خارجاً عن وسع الإنسان فهي آية، وقد أمر النبي ﷺ أن يتبرأ من هذه الثلاثة، كما قال ﷺ: «قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ» [الأنعام: ٥٠] فهو ﷺ لا يعلم الغيب، ولا يقدر على خزائن الله، ولا هو ملك غني عن الأكل والمال<sup>(٣)</sup>.

وأمر الآيات إلى الله ﷻ، وهو الذي ينزل الآيات متى شاء، ويربها متى شاء ﷻ. والآيات المعجزات، التي هي الحجج الباهرات، تارة تعلم بالأخبار المتواترات، وإن لم نشاهدها بالأعين الباصرات، ولم نشاهد آثارها المَعْلَمَات، كعصا موسى ﷺ وناقته صالح ﷺ، وتارة تشاهد بالعيان كالقرآن، وتارة تشاهد بآثارها الدالة عليها، كإهلاك الله لعاد وثمود وإبقاء آثارهما<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: إطلاقاتها القرآنية؛ سبق أن عرفت الآية تعريفاً جامعاً عاماً شمل أنواعاً من الآيات، فلزم أن أبين أنواع الآيات الواردة في المنزل من البيّنات:

(١) النبوت ص ٣٠، وانظر: النبوت ص ٤٧٢.

(٢) المجموع ٣١٢/١١.

(٣) انظر: المجموع ٣١٣/١١.

(٤) انظر: النبوت ص ١٨٧.

إن لفظ الآية أطلق في القرآن الكريم على الآيات المتلوة التي هي كلام الله ﷻ، وهو غير مخلوق، كما سبق<sup>(١)</sup>، وأطلقت على الآيات المخلوقة<sup>(٢)</sup>، ومن الأمثلة على إطلاقها على الآيات المتلوة قوله ﷻ: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] فالمراد بالآية هنا الآيات المتلوة التي هي من كلام الله ﷻ، وقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﷻ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِن فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١] فبين الله ﷻ أن أعظم الآيات هو هذا القرآن المتلو، الذي هو كلام الرحمن، رحم به الخلق؛ فبين لهم ما فيه صلاحهم، وما فيه سبب لإيمانهم، وحصولهم على رحمة ربهم.

ومثال إطلاقها على الآيات المخلوقة، قوله ﷻ: ﴿وَأَنْظِرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقوله ﷻ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وهذه خارجة عن قدرة المكلفين، وهي آيات بينات للمبصرين، شاهدة على صدق ما دعا إليه الأنبياء والمرسلون، وهي مخلوقة لله رب العالمين.

وتطلق الآية في القرآن الكريم على أنها آية الله تعالى، وتارة آية للرسل، وتارة آية للشرع، فتكون إطلاقها على ثلاثة أضرب بحسب دلالتها وما سيقنت من أجله:

١ - ما يدل على وحدانية الله ﷻ، فهي آية الله تارة، وكل حادث فهو من آيات الله الدالة عليه، ودلالاتها على الله دلالة تامة وكاملة<sup>(٣)</sup>، فالله ﷻ جعل هذه الآيات «تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، والله قد أخبر في كتابه أنه يجعل في هذه المصنوعات آيات»<sup>(٤)</sup>، كما قال ﷻ: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﷻ، إن في

(١) انظر: الفصل الأول من الباب الأول.

(٢) انظر: المجموع ٢/ ٢١٥، والنبوات ص ٤٤٧.

(٣) انظر: النبوات ص ١٥٨، ٢٧٨، ٣٢١.

(٤) المجموع ٢/ ١٧٩.

خَلَقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَنَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿البقرة: ١٦٣-١٦٤﴾  
 فآيات الله تدل على نفسه، وصفاته سبحانه وتعالى، كما نطق بذلك كتابه<sup>(١)</sup>.

٢ - ما سيق من أجل الدلالة على صدق النبي، ف «آيات الأنبياء كما قد عرف هي مستلزمة لثبوت النبوة»<sup>(٢)</sup>، وما يدل على النبوة فهو آية وبرهان عليها<sup>(٣)</sup>، ومن الأمثلة على هذا قوله ﷺ مخبرا عن عيسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام -: «وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُنْجِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا» [آل عمران: ٤٩-٥٠].

٣ - ما سيق للدلالة على أمر الله وشرعه، وبيان أحكامه ودينه، والقرآن أغلبيه لبيان هذا الأمر، وهو أبين من أن يضرب له الأمثلة.

ويطلق في القرآن اسم الآية على المتلوة منها والمشاهدة<sup>(٤)</sup>، وهذه باعتبار معرفتها

ترد على نوعين:

الأول: الآيات المتلوة؛ وهي الكتب الإلهية التي أنزلت على الرسل، حيث فيها الشرائع المحكمة، والهدايات المتقنة، ومن أجلها القرآن الكريم، قال ﷺ: «وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ» [البقرة: ٩٩]، وقال ﷺ: «تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ

(١) انظر: المجموع ١٨٠/٢.

(٢) النبوات ص ٤٠٤، وانظر منه: ص ٣٨١.

(٣) انظر: النبوات ص ٣٠.

(٤) انظر: المجموع ١٩٠/١٤.



تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْأُمْرُسَلِينَ ﴿البقرة: ٢٥٢﴾ فَأَيَاتِ الْقُرْآنِ مِنَ الْآيَاتِ الْمُتْلَوَةِ  
التي حفظها الله ﷻ آية بينة، وحجة قاطعة متلوة.

الثاني: الآيات المشاهدة، وهي ما سوى المتلوة، وهي كثيرة في القرآن، قال الله ﷻ:  
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ  
مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتِمْ وَالْوَنُكْرَ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاتِّبَاعُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ  
السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ وَمِنْ  
آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٦﴾  
[الروم: ٢٠-٢٥] فهذه كلها آيات مشاهدة لكل ذي بصر وبصيرة.

وقد توصف الآيات في القرآن بأنها كبرى، وآيات أخرى أصغر منها:

فلله تعالى آية كبيرة، وصغيرة<sup>(١)</sup>، قال ﷻ عن نبيه محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ  
ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]، وقال عن نبيه موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام  
-: ﴿لِنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ [طه: ٢٣] وقال: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٢٠] وقال:  
﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨].

وتطلق الآية مضافة إلى الله، وتارة غير مضافة؛ فمن المضاف إلى الله ﷻ ما ورد  
في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا﴾ [البقرة: ٢٣١] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ  
اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤].

ومما جاء غير مضاف ما ورد في قوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ  
الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨].

وأما إطلاق الآية على المعاني المختلفة في القرآن فهذا كثير، وإن كان جلها، ومدارها على معنى الآية اللغوي، وهو العلامة، فما أطلق لفظ الآية عليه: والمراد بها العلامة، قوله ﷺ: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ يَبَيِّنُ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧] أي: «بمعنى: فيه علامات بينات»<sup>(١)</sup>.

وأطلقت الآية على الآية من السورة: فسور القرآن مكونة من آيات؛ لأنها مجموعة أحرف وكلمات، تامة المباني، مرتبطة المعاني، وإذا أطلقت الآية فالتبادر إلى الذهن في عرف الاستعمال الآيات من السور<sup>(٢)</sup>، ومما ورد إطلاق الآي على آيات سور القرآن الكريم، ما جاء في قوله ﷺ: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] وفي قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١]، فالمراد بالآية في الموضعين ما نزل من القرآن مما فيه أمر ونهي، ثم نسخت، فبين الله وجه الحكمة من النسخ فيها<sup>(٣)</sup>.

وأطلق لفظ الآية على الحق، وعلى البينات، وعلى السلطان، وعلى البرهان، وعلى الفرقان، وعلى الحجة، وعلى الشاهد<sup>(٤)</sup>، وتطلق لفظ الآية على الأمر العجب<sup>(٥)</sup>، وعلى العبرة، وعلى الأمانة<sup>(٦)</sup>، وهذه كلها ترجع في بعض معانيها إلى العلامة، ولا شك أن من أعظم ما أنزل من أجله القرآن كونه حجة، وبينه، وبرهانا، وسلطانا لنبينا محمد ﷺ، وأشرع الآن في بيان ذلك.

(١) جامع البيان ٣/ ٣٥٧.

(٢) انظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢٥٧.

(٣) انظر: معالم التنزيل ١/ ١٣٣.

(٤) انظر: موقف العقل والعلم والعالم ١/ ٤٩.

(٥) انظر: النبوات ص ٢٩٠.

(٦) انظر: لسان العرب ١/ ٢٨٢.

## المطلب الثاني: الدليل على كون القرآن آية.

من عقيدة السلف أن القرآن الكريم آية لنبينا محمد ﷺ، ودليل على نبوته، بل هو أعظم الآيات الدالة على صدق نبوته ﷺ، فالقرآن آية الرسول ﷺ، وبرهانه على صدقه، ونبوته<sup>(١)</sup>، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١- قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمُ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩] فهذه الآيات المنزلة هي المتلوة من القرآن، وهي آيات للنبي ﷺ، «والقرآن مما يعلم الناس عربهم وعجمهم أنه لم يوجد له نظير، مع حرص العرب وغير العرب على معارضته، فلفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيه آية، ووعدته ووعيدته آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية، وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية، كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم»<sup>(٢)</sup>.

٢- أَوْضَحَ اللهُ ﷻ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمَتْلُوَّةُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢] وقال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجنات: ٦] وقال: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨] وهذه الآيات من القرآن، «والقرآن نفسه هو قول الله، وفيه شهادة الله، بما أخبر به الرسول، وإنزاله على محمد، وإتيان محمد به هو آية، وبرهان، وذلك من فعل الله، إذ كان البشر لا يقدرُونَ على مثله، لا يقدر عليه أحد من الأنبياء، ولا الأولياء، ولا السحرة، ولا غيرهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: أصول السرخسي ص ٢٨٢، المستصفى للغزالي ص ١١٥، المجموع ١٧/٤٥.

(٢) النبوات ص ١٨٨-١٨٩.

(٣) الجواب الصحيح ٤/٤٠٨.

٣ - أخبر الله ﷻ أن من لم يؤمن بهذه الآيات المتلوة فهو مُكذَّبٌ بأعظم آية للرحمن، دالة على صدق نبيه محمد ﷺ وهو القرآن، كما قال: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿١﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٤-٥] وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُخْبِدُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٤] لما ثبت أن القرآن آية دالة على صدق نبوة محمد ﷺ ما كان من الكفار إلا الإعراض بالدعاوى الباطلة وقولهم: إن هذا إلا أساطير الأولين، مع أن هذا القرآن مختص بالنبي ﷺ، لا يمكن لأحد أن يأتي به غيره، وكان ذلك برهاناً بيناً على أن الله أنزله، وأنه نزل بعلم الله <sup>(١)</sup>.

٤ - لما أورد الكفار المعاندون للنبي ﷺ الآيات، وطلبوها بصريح العبارات، اتاهم الجواب بهذه الآيات البينات، مبينة أن القرآن من أعظم الدلائل الواضحات، الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجْتِيبَتْهَا قُلٌّ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، وقال الله ﷻ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنَ مَقَابٍ ﴿٣﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ أَلْمُوتَىٰ ۚ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۚ أَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٢٧-٣١]

فَالْقُرْآنُ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَاشْتِمَالُهُ عَلَى ذَلِكَ بَيْنَ مَنْ تَأَمَّلَهُ، «فَإِنْ مَدْلُولُ الْآيَاتِ سِوَاءُ سَمِيَتْ مَعْجَزَاتٍ، أَوْ غَيْرَهَا، هُوَ الْخَبَرُ الصَّادِقُ بِنُبُوَّةِ النَّبِيِّ، وَمَدْلُولُهَا إِخْبَارُ اللَّهِ، وَشَهَادَتُهُ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، فَقَوْلُ اللَّهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، وَقَوْلُ كُلِّ مُؤْمِنٍ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، كُلُّ ذَلِكَ خَبَرٌ عَنْ رِسَالَتِهِ، وَهَذَا هُوَ مَدْلُولُ الْآيَاتِ، وَقَدْ يَكُونُ مَدْلُولُ الْآيَاتِ، نَفْسُ النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ مَخْبَرُ هَذَا الْخَبَرِ، وَيَكُونُ الدَّلِيلُ مِثْلُ خَبَرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ، وَهَذَا مِنْ جِنْسِ الْأَوَّلِ، فَمَا دَلَّ عَلَى نَفْسِ النُّبُوَّةِ دَلٌّ عَلَى صَدَقِ الْمَخْبَرِ بِهَا، وَمَا دَلَّ عَلَى صَدَقِ الْمَخْبَرِ بِهَا دَلٌّ عَلَيْهَا، وَأَمَّا نَفْسُ إِخْبَارِ الرَّبِّ بِالنُّبُوَّةِ وَإِعْلَامِهِ بِهَا، وَشَهَادَتُهُ بِهَا قَوْلًا وَعَمَلًا، فَهُوَ إِخْبَارٌ مِنْهُ بِهَا، وَهُوَ الصَّادِقُ فِي خَبَرِهِ، فَإِخْبَارُهُ هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ لَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ، وَلَا يَخْبُرُ إِلَّا بِالصَّدَقِ»<sup>(١)</sup>.

٥ - بَيْنَ اللَّهِ ﷻ، أَنَّ الْقُرْآنَ آيَةٌ يَشْهَدُ بِذَلِكَ الْعُلَمَاءُ، الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ خَبَرَ اللَّهِ، «فَبَيْنَ أَنَّ الْقُرْآنَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَةِ، الدَّالَّةُ عَلَى صَدَقِ مَنْ جَاءَ بِهِ، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ هُوَ الدَّعْوَةُ، وَالْحُجَّةُ، وَهُوَ الدَّلِيلُ، وَالْمَدْلُولُ عَلَيْهِ، وَالْحُكْمُ، وَهُوَ الدَّعْوَى، وَهُوَ الْبَيِّنَةُ عَلَى الدَّعْوَى، وَهُوَ الشَّاهِدُ وَالْمَشْهُودُ بِهِ»<sup>(٢)</sup>، قَالَ ﷺ: «وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُنَا مِنْهُمْ إِسْرَءِيلُ ﴿٢﴾﴾ [الشعراء: ١٩٦-١٩٧] وَإِذَا لَمْ يَتَعِظْ النَّاسُ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِي أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَا يَتَعِظُونَ بِشَيْءٍ غَيْرِهِ، وَلَوْ جَاءَهُمْ مَا جَاءَ، قَالَ ﷺ: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ» [الروم: ٥٨] فَالْقُرْآنُ آيَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ؛ آيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى اللَّهِ، وَآيَاتٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَآيَاتٌ تَدُلُّ عَلَى مَا أَرَادَ اللَّهُ، فَهِيَ آيَاتٌ مِنْ وَجْهِ مُتَعَدِّدَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

٦ - نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ «عَلَى أَعْظَمِ الْآيَاتِ، وَأَدْلَاهَا عَلَى صَدَقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ

(١) النبوات ص ٣٤٥.

(٢) المجموع ١٤/ ١٩٠.

(٣) انظر: النبوات ص ٢٦٤، ٢٨٨.

الكتاب الذي يتضمن بيان كل شيء، ولم يفرط فيه من شيء<sup>(١)</sup>، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧] وقال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١] قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «يقول تعالى مخبرا عن المشركين في تعتهم وطلبهم آيات يعنون - أنها - ترشدهم إلى أن محمدا رسول الله، كما أتى صالح عليه السلام بناقته، قال الله تعالى: قل يا محمد ﴿إِنَّمَا الْآيَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي إنما أمر ذلك إلى الله فإنه لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى سؤالكم لأن هذا سهل عليه، يسير لديه، ولكنه يعلم منكم أنكم إنما قصدتم التعت والامتحان، فلا يجيبكم إلى ذلك...، ثم قال تعالى - مبينا كثرة جهلهم، وسخافة عقولهم، حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد رسول الله عليه السلام فيما جاءهم، وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الذي هو أعظم من كل معجزة، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته، بل عن معارضة عشر سور من مثله، بل عن معارضة سورة منه - فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أو لم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك الكتاب العظيم، الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبا ما بعدهم، وحكم ما بينهم، وأنت رجل أُمي لا تقرأ ولا تكتب، ولم تخالط أحدا من أهل الكتاب، فجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولى، ببيان الصواب مما اختلفوا فيه، وبالحق الواضح البين الجلي، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُنَا مِنْ إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٦-١٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ٣٧]». <sup>(٢)</sup>

٧ - أن الله أقام الحجة بهذا القرآن، فدل على أنه آية كافية للإنذار، كما قال عليه السلام:

(١) شفاء العليل ١/ ١١٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤١٨، وانظر: زاد المسير ٦/ ٢٧٩.

﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فالحجة قائمة بهذه الآية العظيمة، التي أنزلت على النبي ﷺ، سواء علمها الناس، أم تجاهلوهها، فمن «يقول من الكفار: إن معجزات الأنبياء غير معلومة له، وهذا لكونهم لم يعلموا السبب الموجب للعلم بذلك، والحجة قائمة عليهم، تواتر عندهم، أم لا» <sup>(١)</sup>.

٨ - وثبت كون القرآن آية لمحمد ﷺ من جهة أنه لا يقدر أحد على الإتيان بهذا القرآن إلا الله، وكونه آية متحدى به <sup>(٢)</sup>.

٩ - يظهر كون القرآن آية وبرهاناً لمحمد ﷺ، وأنه من خصائصه ﷺ، حيث أنزلت عليه <sup>(٣)</sup>، لكون الموافق والمخالف يعلم، بل و«علمت الخاصة، والعامة من عامة الأمم، علماً متواتراً أنه هو الذي أتى بهذا القرآن، وتواترت بذلك الأخبار، أعظم من تواترها بخبر كل أحد من الأنبياء، والملوك، والفلاسفة، وغيرهم» <sup>(٤)</sup>.

١٠ - أنه ﷺ لم يكن يعلم قبل الوحي شيئاً، ثم جاء بهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، دل ذلك على أنه آية له على نبوته، وهو أُمِّي لا يقرأ، ولا يكتب، ولم يتعلم من أحد <sup>(٥)</sup>، قال ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا هَدَىٰ بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣]، وقال: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَةُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ١-٣].

(١) المجموع ٩/ ١٠٤.

(٢) انظر: المجموع ١٥/ ١٠٧، الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٢.

(٣) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٣٠٢، المجموع ١٥/ ١٠٦.

(٤) الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٢.

(٥) انظر: هداية الحيارى ص ٦٠، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤١٧.

١١ - أن النبي ﷺ أخبر بأن القرآن آيته، كما قال ﷺ: [ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة]، وهو يقصد القرآن<sup>(١)</sup>.

١٢ - أنه ﷺ أشار إلى أن الابتلاء والامتحان واقع بنزول الوحي عليه، وهذا يدل على أن ذلك آية وحجة على الخلق، قال ﷺ مخبرا عن ربه: [إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان]. «أي: لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل...، لأنه محفوظ في الصدور، ميسر على الألسنة، مهيمن على القلوب، معجز لفظا ومعنى، ولهذا جاء في الكتب المتقدمة في صفة هذه الأمة أناجيلهم في صدورهم»<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يعلم أن القرآن آية لنبينا محمد ﷺ، مختص به دون غيره، وهو آية وحجة، وهاد، ودليل، ومُتحدَّى به الخلائق أن يأتوا بمثله، وهو معجز في نفسه، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

(١) انظر: الفتح ٨/ ٦٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤١٧.



## المطلب الثالث: الدليل على كون القرآن معجز.

القرآن الكريم آية ظاهرة، وحجة دامغة، وعبرة واضحة لكل من أراد الوصول إلى صدق دعوى النبي ﷺ، وصدق ما دعا إليه، وكان كل نبي يبعث إلى قوم يكون معه آية تدل على نبوته، وتختص آيته بأعلى ما وصل إليه المرسل إليهم من العلوم والتطور، والنبوغ فيه والظهور، فلما كان قوم عيسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - قد بلغوا في الطب مبلغا كبيرا، وقطع الناس في هذا الفن شأنا كبيرا، كانت آيته ومعجزته من جنس طبهم بما يخرق عاداتهم، ويعجز عن إتيان مثله علماؤهم وعامتهم، وكان قوم نبينا محمد ﷺ وهم العرب، قد بلغوا في الفصاحة مجدها، وفي تنسيق الكلام شأوه، كانت آية محمد ﷺ من جنس هذه الفصاحة والبلاغة بما أعجز بلغاءهم، وأبلس عقلاءهم، وأخرس خاصتهم وعامتهم، ولكي أبين أن القرآن معجز سأورد أولا معنى المعجز، ثم أبين أدلة إعجاز القرآن الكريم.

## أولا: معنى المعجز.

المعجز اسم فاعل من أعجز الشيء يعجزه: إذا أعياه، وضعف عنه، وأعجزه الشيء: إذا فاته، وأعجزت زيدا: وجدته عاجزا، عن طلبه وإدراكه، ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٣١] أي لا تعجزون الله تعالى إذا أراد عذابكم وبعثكم، والمراد أنهم لا يعجزون ربهم في شيء<sup>(١)</sup>.

وعجزته تعجيزا: جعلته عاجزا، ويقال عاجز فلانا: إذا ذهب فلم يوصل إليه، ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ [سبا: ٣٨]<sup>(٢)</sup> والمعنى: طائفتهم يعجزوننا فلا نصل إليهم؛ لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون<sup>(٣)</sup>.

والمعجز (بالكسر على النادر، والفتح على القياس) مصدر، والمعجزة (بفتح

(١) انظر: أضواء البيان ٦/ ١٦٩.

(٢) انظر: مقاييس اللغة ص ٧٣٩، المصباح المنير ص ٣٩٣، لسان العرب ٩/ ٥٨.

(٣) المفردات للراغب ص ٣٢٦.

الجيم، وكسرهما، وبالهاء، وحذفها) مفعلة من العجز، فالمعجز والمعجزة مأخوذ من العجز؛ وهو الضعف والتأخر عن الشيء<sup>(١)</sup>.

قال ابن فارس<sup>(٢)</sup> رحمه الله: «العين، والجيم، والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما: على الضَّعف، والآخر: على مؤخَّر الشيء»<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا فالمعجز هو: الذي أعيا غيره، وأضعفه عن مجاراته، بحيث أصبح عاجزا ضعيفا لا يجاري.

والإعجاز في الكلام معناه: أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق<sup>(٤)</sup>، فإعجاز القرآن: ارتقاؤه إلى أن يخرج عن طوق البشر، ويعجزهم عن معارضته<sup>(٥)</sup>، والمقصود من الإعجاز بيان وحدانية الله، وأنه الرب المستحق للعبادة، وبيان صدق المرسل، وبيان ما يجب للمرسل.

### ثانيا: بيان الأدلة التي تدل على أن القرآن معجز.

قد دل أمور عدة على أن القرآن آية معجزة، وحجة ساطعة، من وجوه متعددة، وهي:

١- أن الله تحدى الخلق أن يأتوا بمثله: حيث دعا الله المعارضين لدعوة النبي ﷺ والمخالفين له والشاكين في نبوته، واستحثهم على أن يعارضوه، فعجزوا جميعا عن ذلك جملة وتفصيلا، فلما لم يستطع أحد نقضه، ومعارضته، ولن يستطيع، تيقنا أن القرآن معجز، وأن نبوة نبينا محمد ﷺ حق<sup>(٦)</sup> وقد كان هذا التحدي على مراحل عدة<sup>(٧)</sup>، وهي:

(١) المفردات للراغب ص ٣٢٥، لسان العرب ٥٨/٩.

(٢) هو اللغوي النحوي: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين الرازي، لغوي مشهور، له مصنفات في اللغة، ومن أهمها: مقاييس اللغة، توفي سنة ٣٩٥ هـ. انظر: السير ١٧/١٠٣، ومقدمة الشيخ عبد السلام هارون على مقاييس اللغة ص ١١.

(٣) مقاييس اللغة ص ٧٣٨.

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني ص ٣١.

(٥) انظر: الكليات ص ١٤٩.

(٦) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٢١-٢٢، إعجاز القرآن للباقلاني ص ٤٢، الفرق بين الفرق ص ٢٥١ الأصبهانية ص ٤٧١، تفسير القرآن العظيم ١/٦٠-٦٢، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٢٣.

(٧) انظر: أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين ص ١١٦، جمع عبد الكريم المقرن.

أ- تحدّيه إياهم بالإتيان بمثل القرآن: لما نزل القرآن الكريم، على النبي ﷺ ادعى الكفار أن هذا أساطير الأولين، وأنه مفترى على الله، وليس هذا القرآن من عند الله، فتحداهم رب العالمين أن يأتوا بمثله إن كان هذا بقدرتهم، فقال ﷺ: ﴿قُلْ لِّإِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ<sup>١</sup> بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صدّيقين ﴿[الطور: ٣٣-٣٤] وقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كُفْرٍ لَّ أَكْثَرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِّمَّآ أُتِيَ بِهِمَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيِرَ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٨-٥٠] وكانت الدواعي على معارضته تامة من العرب وغيرهم، ولم يستطيعوا، فتبين عجز الخلائق عن الإتيان بمثله، وهذا تعجيز لجميع الخلق<sup>(١)</sup>.

ب- تحدّيه إياهم بأن يأتوا بعشر سور مثله: لما ادعوا أن القرآن من افتراء محمد ﷺ، وهم من العرب البلغاء، والشعراء الفصحاء، وعجزوا عن التحدي الأول، فطلبهم أن يأتوا بعشر سور مثله، حيث قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ<sup>٢</sup> قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَّادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ فإلّا لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو<sup>٣</sup> فهل أنتم مسلمون ﴿[هود: ١٣-١٤] فتحداهم بالإتيان بعشر سور مثله مفتريات، هم ومن معهم، فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور مثله، وظهر عجزهم، كان في مضمون تحدّيه أنه لا يقدر أحد على الإتيان بمثله من دون الله<sup>(٢)</sup>، وعلم القاضي والداني أن القرآن ليس من عند محمد ﷺ، وإنما هو منزل

(١) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٨، الانتصار للعمري ١/ ١٠٤، المجموع ١٢/ ٥٤٢، ١٧/ ٤٥

النوات ص ٣٤٩، الجواب الصحيح ٥/ ٤١٠.

(٢) انظر: المجموع ١٥/ ١٠٦، الإعلام والاهتمام بفتاوى شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري ص ٣٢٦.

من الله ﷻ، «ولا يقدر محمد ﷺ نفسه من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنى تدبر»<sup>(١)</sup>، فعلم أنه من عند الله ﷻ.

ت- تحديه إياهم بأن يأتوا بسورة من مثله: لما عجز الكفار عن الإتيان بعشر سور من مثل القرآن، وعلموا أنه لا يمكن محاكاته، ولا مجاراته، وبطلت دعواهم في أن القرآن من عند محمد ﷺ قالوا: القرآن مفترى محمد، وقالوا معلمه بشر، فقال ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧-٣٨] وهذا كان في مكة، فأخبر أن هذا القرآن ما كان ليُفترى من دون الله، وهذه الصيغة تدل على امتناع المنفي... لأن الخلق عاجزون عن الإتيان بمثله...، فهذا تعجيز لجميع الخلق»<sup>(٣)</sup> ثم لما هاجر إلى المدينة، وسمع أهل الكتاب القرآن، وكابروا عن الإتيان، تحدى الله ﷻ الخلائق كافة، مشركهم وكتابيههم ومُنافقيهم، فجعل التحدي باقيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا التحدي عام في كل زمان ومكان، ولكل شاك وحيران، قال ﷺ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup> فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤] وقوله: فأتوا، الفاء جواب الشرط، وهو أمر معناه التعجيز<sup>(٥)</sup>، والمراد: ائتوا بسورة من مثل القرآن حقا وصدقا، لا باطل فيه، ولا كذب، مثله في البيان والفصاحة، وعلو الشأن، بلسان عربي مبين<sup>(٦)</sup>.

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٤٣١.

(٢) المجموع ١٣/ ٢٨٢.

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ٦٤.

(٤) انظر: جامع البيان ١/ ٢٠١، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٠، الفتح ٨/ ٦٢٢-٦٢٣، محاسن التأويل ١/ ٢٦٢.

ولم تقع المعارضة من أحد من الكفرة لا في أيام النبوة، ولا بعدها، لا من العرب ولا من غيرهم<sup>(١)</sup>، مع قوة عداوة الكفار له، وشدة حرصهم على عدم ظهوره، وقوتهم في البلاغة والفصاحة<sup>(٢)</sup>، ولن يطيق الإنس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله أبدا<sup>(٣)</sup>، لأن آيات الرسل لا يقدر عليها لا جن ولا إنس، بل هي خارقة لعادة كل من أرسل النبي إليه، فكيف وآية محمد ﷺ هي كلام رب العالمين، الذي لا نظير لكلامه، كما لا نظير لذاته، ولا يمكن أحدا أن يعارضها بمثلها<sup>(٤)</sup>.

(١) فإن قيل: لا يُسلم أن القرآن لم يعارض! بل عورض، ولم يُنقل، أو نُقل فأخفي فالجواب عليه من وجوه: الأول: أنه يقال له ولجميع المرتابين في القرآن هذا لا يستقيم، لأنه يمكن أن يقلب بأن معجزات الأنبياء السابقين كموسى وعيسى أيضا عورضت، ولم ينقل، فلما كان هذا باطلا في إيراده على معجزتها فكذلك هو باطل في إيراده على معجزة نبينا ﷺ. الثاني: أنه لو عورض لما آمن به مخالفوه. الثالث: أنهم لو كانوا يستطيعون معارضته لعارضوه؛ لأن ذلك أسير من الاقتتال الذي وقع منهم للمسلمين. الرابع: أنه لم يقع، ونقول ولن يقع، وإن كنت في شك فأت بسورة من مثله نظما ومعنى. (انظر: الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٢٥١ وما بعدها). الخامس: أن هذا لو وقع لنقل، كما نقل ما وقع من المعارضات، وباءت هذه المحاولات بالفشل الذريع، والعجز السريع، حيث أظهروا أنهم خواء، وعن مجارة القرآن في عاء، قال الحافظ ابن كثير ﷺ في تفسيره ٦٢/١: «وقد روي عن عمرو بن العاص ﷺ أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يُسلم، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة! فقال: وما هي؟ فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٣﴾ ففكر ساعة، ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل عليّ مثلها، فقال: وما هو؟ فقال: يا وبر! يا وبر! - دويبة صغيرة -، إنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حقر فقر. ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟! فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أنني لأعلم أنك تكذب»، وانظر: الجواب الصحيح ٤٣٢/٥، ومن هؤلاء المحاولين المكذبين ابن الراوندي، وأبو العلاء المعري كما في تلييس إبليس ص ١٢١-١٢٢، وكذلك الطبيب الكندي حاول أن يؤلف آية كآيات القرآن، كما ذكر ذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٣/٦.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٤٢٧/١، الأصبهانية ص ٦٢٥، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٢٤، فتح البيان ٨٧/١.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٤٢٦/١، تفسير القرآن العظيم ٦٠/١، فتح القدير للشوكاني ٦٥/١.

(٤) انظر: جامع البيان ٢٠٢/١، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٣٠١-٣٠٢، الانتصار للعمري ١٠٢/١، المحرر الوجيز ١٠٦/١، النبوات ص ٢١٥، الجواب الصحيح ٤٢٨/٥-٤٣٥، تفسير القرآن العظيم ٦١/١، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٢٨، نظم الدرر ١٥٩/١-١٧٠، فتح البيان ٨٧/١-٨٨.

قال أبو جعفر ابن جرير الطبري رحمته الله في تفسير الآية السابقة: « وهذا من الله ﷻ احتجاج لنبية محمد ﷺ على مشركي قومه من العرب، ومنافقيهم، وكفار أهل الكتاب وضلالهم... إياهم يخاطب بهذه الآيات، وضرباءهم، قال الله - جل ثناؤه -: وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين في شك، - وهو الريب - مما نزلنا على عبدنا محمد ﷺ من النور، والبرهان، وآيات الفرقان أنه من عندي، وأني الذي أنزلته إليه، فلم تؤمنوا به، ولم تصدقوه فيما يقول، فأتوا بحجة تدفع حجته، لأنكم تعلمون أن حجة كل ذي نبوة على صدقه في دعواه النبوة أن يأتي برهان يعجز عن أن يأتي بمثله جميع الخلق، ومن حجة محمد ﷺ على صدقه، وبرهانه على نبوته، وأن ما جاء به من عندي عجز جميعكم، وجميع من تستعينون به من أعوانكم، وأنصاركم عن أن تأتوا بسورة من مثله، وإذا عجزتم عن ذلك، - وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والدراية - فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز، كما كان برهان من سلف من رسلي وأنبيائي على صدقه وحجته على نبوته من الآيات ما يعجز عن الإتيان بمثله جميع خلقي، فيقرر حينئذ عندكم أن محمدا لم يتقوله، ولم يخلقه؛ لأن ذلك لو كان منه اختلافا وتقولاً لم تعجزوا وجميع خلقي عن الإتيان بمثله؛ لأن محمدا ﷺ لم يعد أن يكون بشرا مثلكم، وفي مثل حالكم في الجسم، وبسطة الخلق، وذراية اللسان، فيمكن أن يظن به اقتدار على ما عجزتم عنه، أو يتوهم منكم عجز عما اقتدر عليه <sup>(١)</sup> .

والسلف يعتقدون أن القرآن نفسه معجز، ولو لم يظهر فيه التحدي، وذلك لكونه دالا على الله، وعلى نبوة محمد ﷺ وعلى الشرع المحكم المنيع <sup>(٢)</sup> .

٢ - إخباره بالغيوب: وما يدل على أن القرآن معجز أنه يخبر بالغيوب الذي لا يُطَّلَع عليه <sup>(٣)</sup> ، « والخوارق ثلاثة أنواع: منها ما هو من جنس الغناء عن الحاجات البشرية، ومنها ما هو من جنس العلم الخارج عن قوى البشر، ومنها ما هو من جنس

(١) جامع البيان ١/ ٢٠٠-٢٠١، وانظر منه ١/ ٢٠٣، وانظر: أصول السرخسي ص ٢٧٨.

(٢) انظر: النبوات ص ٢٠٠، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٢.

(٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٣٠٢.

المقدورات الخارجة عن قدرة البشر»<sup>(١)</sup>.

والقرآن قد بلغ في العلم ما هو خارج عن قدرات البشر، وقواهم، حيث فيه الغيوب الماضية، بأحسن أسلوب، وأدق عبارة، وأصح سيرة، والغيوب الحاضرة في زمن نزول الوحي، كأنها فلق الصبح، والغيوب المستقبلية الشيء الكثير الذي وقع بعد وفاة النبي ﷺ، أو بعد قرون، يدل على أنه لا يمكن أن يكون من وضع البشر، وأن القرآن - لا ريب - معجزة خالدة.

ومن الغيوب الماضية التي أخبر الله ﷻ عنها، ما ذكره عن قصة مريم، ثم قال ﷻ بعدها: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَمَهْمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤] وقال ﷻ بعد أن حكى قصة نوح - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩] وقال ﷻ لما أخبر بقصة موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْقِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [١٢٠] وَلَكِنَّا أَشْنَانَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [١٢١] وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٤-٤٦] فأكد أن هذا الإخبار الذي جاءه في قصة موسى بالتفصيل الذي لم يُعهد، إنما هو من قبيل الغيب، إذ لم يكن شاهداً، ولا حاضراً، ولم يكن دارساً، ولا متعلماً.

ومن الغيوب التي أخبر عنها القرآن، ووقعت في زمن النبوة، وفي حياة النبي ﷺ، ما جاء في إخبار الله ﷻ من غلبة الروم على الفرس، قال الله ﷻ: ﴿الْعَرَبُ غَلِبَتِ الرُّومَ﴾ [١] فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [٢] فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ [٣] لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ

قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦١﴾ بَنَصَّرَ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٢﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا تُخْلَفُ ۚ وَعَدُهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦٣﴾ [الروم: ١-٦٦]

وذلك أنه وقعت معركة بين الفرس والروم، فغلبت الفرس الروم، وقال المشركون من أهل مكة للمسلمين: إن الفرس غلبوا أهل الكتاب، وسنغلبكم إذا وقع بيننا وبينكم القتال، فأخبر الله ﷻ أن الروم ستغلب الفرس في سنوات، وأن المسلمين سينصرون في سنوات، وقد حصل الأمران: فانتصر الروم على الفرس في بضع سنوات، ثم هاجر المسلمون إلى المدينة وحصل بينهم وبين المشركين قتال فانتصر المسلمون في بدر، فتحقق وعد الله الذي لا يُخْلَفُ للمصدقين من المؤمنين<sup>(١)</sup>.

ومن الغيوب المستقبلية التي وقعت بعد وفاة النبي ﷺ - وهي كثيرة - إخباره بأن أمر محمد ﷺ سيظهر، مع أنهم كانوا في مكة، وهم خائفون على أنفسهم، وقد ظهر دين الله في الأرض، كما قال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨] وقد أظهر الله دينه على جميع الأديان، في مدة يسيرة، فكسرت الأكاسرة، وقُصِّرَ قيصر، وأصبحت دولة الإسلام ورايتها في أرجاء المعمورة شرقاً وغرباً<sup>(٢)</sup>.

٣- تطابق أخباره<sup>(٣)</sup>: وما يدل على كون القرآن معجزاً، تطابق أخباره مع الواقع، سواء الماضي منها، أو المستقبلية، وهذا التطابق موجود في الأحكام بلا نكران، مسوق في سائر آيات القرآن، قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فأمر الله بتدبر آيات القرآن، لما فيه من التوافق في الأخبار، والتناسق في الأحكام، وأمرهم بتفهم معانيه المحكمة، وألفاظه البليغة، وأخبر أنه لا اضطراب فيه ولا اختلاف، ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم

(١) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ٣٥١.

(٢) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ٣٥٣.

(٣) انظر: الصفدية ١/ ٢١٩.



حميد، فهو حق من حق، فلما سلم من ذلك علم أنه من عند الله<sup>(١)</sup>.

٤ - حفظ الله له: ومما يدل على أن القرآن معجز، بقاؤه مئين من السنين، «مع كثرة الأمة، وتفرقها في مشارق الأرض ومغاربها، والكتاب بعد هذا محفوظ، وكذلك الشريعة محفوظة، فهذا أمر خارق»<sup>(٢)</sup> خارج عن مقدور النبي ﷺ، وعن مقدور البشر، فدل على أنه معجز من رب البشر، وأنه آية لمن اعتبر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] قال القرطبي<sup>(٣)</sup> رحمه الله: «أخبرنا الله تعالى في هذه الآية أنه أنزله، وأنه تولى حفظه، وهذا كتاب الله محفوظ بحفظه، لا يقدر أحد على تغيير كلمة واحدة من لفظه، على كثرة من سعى في تغييره»<sup>(٤)</sup>.

فحفظ الله الكتاب، على مضي قرون متطاولة، ولا يمكن أحد تغيير القرآن، مع كونه محفوظاً في الصدور، منقولاً بالتواتر في السطور، واتفاق علماء الإسلام عليه، دليل على كونه معجزة من الله، والسلف كانوا يختلفون في بعض الأحكام، وينكر بعضهم على بعض، «فعلم بذلك أن ما كان مشهوراً في الأمة عن النبي ﷺ ولم ينكره أحد من علمائها كانت الأمة متفقة على نقله، كنقلهم للقرآن، والشرائع الظاهرة»<sup>(٥)</sup>.

٥ - كونه خارجاً عن قدرات الثقلين: إن كل منصف يقرأ القرآن الكريم يدرك أنه خارج عن قدرات المخلوقين النفسانية، والطبيعية، فلا يستطيعون الإتيان بمثله، ومن ادعى أن ذلك يمكن فهذه دعوى عارية عن الدليل، إذ مرت القرون الماضية،

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٥٢٩/١، وانظر: رسالة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

(٢) الصلفية ٢٢٣/١، وانظر: إعجاز القرآن للباقلافي ص ٣٩ - ٤٠، الجواب الصحيح ١٥/٣، منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز للشنقيطي ص ٢٧٧ (١٠/٢٧٧ مع التفسير).

(٣) هو المفسر المحدث: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فروح الأنصاري الأندلسي أبو عبد الله القرطبي، رحل إلى المشرق، وسكن مصر، وتوفي في أسبوط، متبحراً في العلوم، ومن مصنفاته: الجامع لأحكام القرآن، توفي سنة ٦٧١ هـ. انظر: الديباج المذهب ص ٤٠٦، معجم المفسرين لعادل نويس ٤٧٩/٢.

(٤) الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٤٠، وانظر منه: ص ١٨٩، ١٩٣ - ١٩٤، الجواب الصحيح ٣٩/٣، ١٤/٣، ٢١، ٢٧، ٤٢٣، النبوات ص ٣٥٦.

(٥) الجواب الصحيح ٦/٣٥٧، وانظر منه: ٥/٤٣٢، ٤٢٧، الفتح ٨/٦٢٤.

وغبرت الأمم السالفة، ولم يمكن ذلك، وهو لن يكون حتى في المستقبل، ومن كان في شك فليدع عصابته البلغاء، المتكلمين بلغة القرآن، ليعارضوا سورة من مثله - ولو أقصر سورة - <sup>(١)</sup>، وما دتم عاجزين عن ذلك، تحقق القطع بأنه ليس بمقدور المخلوقين، لا محمد ﷺ، ولا غيره، وتحقيق على القطع أنه ليس يقدر عليه أحد من الإنس والجان، وعلم أنه كلام الملك الديان <sup>(٢)</sup>.

٦- أن الذي يبلغه للناس أُمي لا يقرأ، ولا يكتب، ولم يتعلم: وهذا يؤكد أن القرآن معجزة من الله لمحمد ﷺ، وآية من آياته الدالة على ألوهيته، وصدق دعوى نبيه ﷺ في نبوته، قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ قُلْ يَتَّبِعْهَا النَّاسُ لِيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ جَمِيعًا ۚ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٥٧-١٥٨].

فهو ﷺ أُمي لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك جاءهم بهذه الأوامر المصلحة، والأخبار السارة، والآيات المحكمة، فهذا دليل على أنه معجزة من الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَّا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

(١) والصحيح من عقيدة السلف أن التحدي وقع في آخر الأمر بأقصر سورة، ولو كسورة العصر، أو الكوثر، وأن القرآن كله معجز، سواء في ذلك السور القصار، أو الطوال، وأن التحدي معلق بأي سورة منه، من حيث اللفظ والتركيب، ومن حيث المعنى البديع العجيب. انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٢.

(٢) الإعلام بها في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٢١٩، وانظر: الصفدية ١/ ٢٣٦.

٧- أنه معجز بوجوه إعجاز أكثر من أن يحصيتها عدد، أو يحيط بها أحد: وهذه الوجوه كل واحدة منها على حدة تدل على أن القرآن معجز للبشر، فكيف إذا اجتمعت هذه الوجوه.

وعد بعضهم هذه الوجوه، وكل واحد ذكر ما ظهر له منها، وإلا فهي متنوعة متعددة، وكون بعض العلماء يذكر أربعة أوجه، أو خمسة، أو ستة، أو عشرة لا يعني ذلك حصرها فيها، وأذكر بعضها على سبيل الاختصار:

فمنها: حسن تأليفه، والتتام كلمه مع الإيجاز والبلاغة، ومنها: صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظماً ونثراً، حتى حارت فيه عقولهم، ومنها: ما اشتمل عليه من الأخبار الغيبية، ومنها: الشرع المحكم الذي جاء به، ومنها: أن قارئه لا يمل من ترداده، ولا يمج من سماعه، ومنها: جمعه لعلوم ومعارف شتى، فلا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي فوائده <sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وكون القرآن أنه معجزة، ليس هو من جهة فصاحته، وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم على معارضته فقط، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة: من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى، وأسمائه وصفاته، وملائكته، وغير ذلك، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي، وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية... وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له» <sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: الجواب الصحيح ١/ ٣٧١، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٢٩، ٣٤٧،

الفتح ٨/ ٦٢٣-٦٢٤، محاسن التأويل ١/ ١٧٤-١٧٥، أبجد العلوم ٢/ ١٠.

(٢) الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٨-٤٢٩، وانظر منه: ٥/ ٤١١، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٠.

فإعجاز القرآن ليس مختصاً بنوع من العلوم، أو فن من الفنون، والإعجاز « لا يختص به شيء من القرآن دون شيء، ولا سورة دون سورة، ولا نمط منه دون آخر، بل ماهيته المعجزة له...، لأنه كيفما تصور الإعجاز به فماهيته هي الدالة على ذلك، فإلى أي نحو منه ملّت ذلك ذلك على صدق رسول الله ﷺ »<sup>(١)</sup>؛ فإعجاز القرآن في عظمة القرآن، وكونه كلام الرحمن، فعظمته مكتسبة من الموصوف به وهو الله ﷻ، فكل يوم يزداد فيه العلماء بصيرة، ويجتمع عليه طلاب الحق ليستهدوا منه طريقاً، وما زال العلم يكتشف من حقائق القرآن كل جديد، وصدق الله إذ يقول: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۖ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٣-٥٤].

ومما يظهر فيه جلياً إعجاز القرآن، إعجازه في نظمه، وبلاغته، وعلمه وتشريعه، فالقرآن معجز بنفسه، ولو لم يظهر فيه صورة التحدي<sup>(٢)</sup>، وسيأتي تفصيل هذه الأوجه الثلاثة في المبحث الآتي.

(١) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٦-٣٧٧.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٥١، الأصبهانية ص ٥٢٣، ٦٢٥، العين والأثر ص ٦٧، ٦٥.

## المبحث الثاني: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم

### المطلب الأول: كون القرآن معجزاً لفظاً وتركيباً<sup>(١)</sup>.

وكون القرآن الكريم معجزاً لفظاً أي من حيث اختياره للألفاظ ذات الدلالة على المعاني التي تجذب القلوب، وتشدي الأسماع، وتطرب النفس، فهو باهر في ألفاظه وأسلوبه<sup>(٢)</sup>.

ومما يبين إعجاز القرآن في ألفاظه أن المفسرين لا يستطيعون أن يعبروا عن ألفاظه بلفظ مرادف يؤدي جميع معانيه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وقل أن يعبر عن لفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أساليب إعجاز القرآن، فإذا قال القائل - في قوله تعالى -: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩]، إن المور: هو الحركة، كان قريباً إذ المور حركة خفيفة سريعة»<sup>(٣)</sup>.

ولتعرف إعجاز لفظه، انظر إلى إيجاز لفظه، وتشبيهه الشيء بالشيء، وما فيه من: «استعارة المعاني البديعة، وتلاؤم الحروف والكلمات، والفواصل والمقاطع في الآيات، وتجانس الصيغ والألفاظ، وتعريف القصص والأحوال، وتضمن الحكم والأسرار، والمبالغة في الأمر والنهي، وحسن بيان المقاصد والأغراض، وتمهيد المصالح والأسباب...، أما إيجاز اللفظ مع تمام المعنى؛ فهو أبلغ أقسام الإيجاز، ولهذا

(١) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٩ وما بعدها، دلائل الإعجاز للرجاني ص ٤٠ وما بعدها، أصول

السرخسي ص ٢٨١، الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٨، الأصبهانية ص ٦٢٤-٦٢٥، الفروع ١/ ٣٦٧.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٩٠، مناهل العرفان ٢/ ٣٢٥.

(٣) المجموع ١٣/ ٣٤١.

قيل: الإعجاز في الإيجاز نهاية إعجاز، وهذا المعنى موجود في القرآن<sup>(١)</sup>، إما على سبيل الحذف، نحو: ﴿وَسَلِّ الْقُرْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أو على سبيل الاختصار، نحو: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِي آلَاءِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]<sup>(٢)</sup>.

ولقد «مايز القرآن كلام النبي، وكلام العرب: فصاحته الرائقة، وبلاغته الموفقة، وجزالته الفاتقة، حتى تسمع الكلمة الواحدة منه تجمع معاني كثيرة، مع عذوبة إيرادها، وجزالة مساقها، وصحة معانيها، مثل قوله ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وهذه الآية بما تضمنت من الأحكام، وتفسير الحلال والحرام، والإعراض عن أهل الجهل والاجترام، والأمر بالتزام أخلاق الكرام، تدل دلالة قاطعة على أنها كلام العزيز العلام، مع ما هي عليه من اللفظ الجزل الرصين، الذي يروع قلوب العارفين، ويثلج قلوب القارئین والسامعين»<sup>(٣)</sup>.

ومن إعجازه في اللفظ أنه ليس فيه كلمة لا معنى له، فضلا عن التراكيب، وأما الأحرف المقطعة فـ «ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها»<sup>(٤)</sup>، ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن، وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي، والتبكي، كما كررت قصص كثيرة، وكرر التحدي بالصریح في أماكن، وجاء منها على حرف واحد: ك (ص، ن، ق)، وحرفين: مثل (حم)، وثلاثة:

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ٦٩/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز ٦٩/١.

(٣) الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣٠، وانظر: مقدمة ابن خلدون ص ١٠٩٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣٨/١، نقله ابن كثير عن الرازي، وقال الرازي: وهو قول لمحققين من أهل العلم، وحكاه القرطبي عن الفراء، وقطرب، وقرره الزمخشري المعتزلي في كشافه، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية، والمزي، وهو ترجيح الحفاظ ابن كثير رحمه الله. انظر: الموضع السابق من تفسيره، ثم لا يطلب لهذه الأحرف معاني، لأن الأحرف لا معاني لها في لغة العرب؛ فالبحث عن معانيها عبث.

مثل (الم)، وأربعة: مثل (الم، المص)، وخمسة: مثل (كهيعص، جمعسق)، لأن أساليب كلام العرب على هذا، من كلماتهم ما هو على حرف، وعلى حرفين، وعلى ثلاثة، وعلى أربعة، وعلى خمسة لا أكثر من ذلك، «ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه، وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة، كما قال تعالى: ﴿الْم ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١-٢]، ﴿الْم ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ١-٣]، ﴿الْمَص ﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١-٢]، ﴿الر ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿طس ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [القصص: ١-٢]، ﴿حم ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ١-٢]، ﴿حم ﴿ عَسَىٰ أَن يَكُونَ لَكَ يَوْحًى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الشورى: ١-٣]، وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم»<sup>(١)</sup>.

فهذه الأحرف التي منها القرآن الكريم، بلسان عربي مبين، «فيها إشارة إلى بعد الإعجاز؛ لأن القرآن المنزل مؤلف منها، والبشر فيها - أي في هذه الأحرف الهجائية - سواء، والتفاوت موجود في دلالتها بعد التأليف»<sup>(٢)</sup>.

هذه بعض الحكم من إيراد هذه الأحرف في أوائل السور، «ولا شك أن هذه الحروف لم ينزلها ﷺ عبثاً، ولا سدى، ومن قال من الجهلة: إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية!! فقد أخطأ خطأ كبيراً، فتعين أن لها معنى في نفس الأمر، فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا، وقلنا آمناً به كل من عند

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٨/١.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٨٥١.

ربنا، ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين، وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه، وإلا فالوقوف حتى يتبين<sup>(١)</sup>.

ومن الإعجاز في لفظه: الأمثال الموجودة في القرآن منها أجناس، وهي محيطة ببلاغة ألفاظها، وبراعة النظم فيها<sup>(٢)</sup>.

وأما كون القرآن معجزاً تركيباً أي من حيثية ما فيه من السياق والسباق، واللواحق والأواخر، وكون المعنى في ألفاظ معدودة، ولها معانٍ غير معدودة، وقد يقول البعض: إنه معجز من جهة النظم، والتأليف، ومن ذلك أن كل آية لها معنى تام، وإن كان لها ارتباط بما بعدها، وبما قبلها، بتناسق عجيب، وترتيب بديع، وكأن السورة كلها آية واحدة<sup>(٣)</sup>.

ومن دلائل إعجازه في الأسلوب والتركيب أنه مخالف لجميع ما اعتاده العرب من خطاباتهم، فهم كانوا يكتبون شعراً، ونثراً، وخطابة، ورسالة، والكلام المسجوع، وكل نوع منها عندهم على نمط خاص، فجاء القرآن بأسلوب باهر لم يعهدوه، وبطريقة عالية لم يعرفوها، فلا هو بالشعر، ولا هو بالنثر، ولا هو خطابي، ولا هو شبيه رسائلهم، ولا هو مسجوع، بل فيه كل هذا وبتراكيب فريد، وأسلوب جديد، فبهزمهم ذلك، وقهرهم عن تحديه<sup>(٤)</sup>.

وأما تناسب القرآن فشيء عجب، والإعجاز فيه لا يحسب، إذ كل آية لها مناسبة لما بعدها، وبما قبلها، وكذلك تناسب السور، ولم ينكر أحد من أهل العلم تناسب الآيات، وإنما الذي وقع فيه النزاع هو التناسب في السور - بناء على اختلافهم

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٧، وانظر: المستصفى للغزالي ص ٨٥، إرشاد الفحول ص ٦٥.

(٢) انظر: المجموع ١٤/ ٦٤، ١٧/ ٤٥.

(٣) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ٣٥٠، أصول السرخسي ص ٢٨١، الفتح ٢/ ٣٠١، محاسن التأويل ١/ ١٧٤، ٣٨/ ٧، فتح البيان ٩/ ٣١٠، أضواء البيان ٤/ ٤.

(٤) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ٣٥٠، الجواب الصحيح ٥/ ٤٣٣، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣٣-٣٣٤، معترك الأقران ١/ ٢٣، محاسن التأويل ١/ ١٧٤.



في ترتيبها هل هو توقيفي أم لا؟، والصواب أن التناسب بينها: يُبين حسن تركيب آيات القرآن، وترتيب سورته، إلا أن المبالغة فيه، والتكلف، والتعسف مذموم لعدم وروده عن السلف الصالح<sup>(١)</sup>، وما ظهر تناسبه، ولم يكن فيه مخالفة لما عليه السلف الصالح فهو مقبول، ولو لم يكن غير منقول، قال ابن العربي المالكي الفقيه<sup>(٢)</sup> رحمته الله: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني، منظمة المباني، علم عظيم»<sup>(٣)</sup>.

فمن تأمل لطائف نظم الآيات والسور، وبدائع ترتيبها، علم أن القرآن معجز بأسلوبه وتركيبه<sup>(٤)</sup>، ويكشف الإعجاز في اللفظ والتركيب أمران: الأول: «نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولا، وأسهل ذوقا، فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط، ورهبة مع انبساط، لا تحصل عند سماع غيره»<sup>(٥)</sup>، فانظر إلى قصة الخضر مع موسى، وكيف سبق «مع اللفظ الوجيز الفصيح، والكلام الجزل الصحيح، الذي لا يملئه سامع، ولا يطمع في معارضته طامع»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٣٤ وما بعدها، وفتح القدير ١/ ٩٠، وقد أنكر علم التناسب بحجة عدم الوجود، ومعلوم أن ما فهم من القرآن بالتدبر، ولم يكن مخالفا لما فهمه السلف فهو مما يفتح الله على الإنسان في كتاب الله ﷻ، فلا ينكر، والله تعالى أعلم، وقد أثبت التناسب جمع من المفسرين بل جلهم، وانظر إلى الذين ألفوا في علم التناسب ليظهر لك حقيقة ما قلته.

(٢) هو المفسر الفقيه المالكي الأشعري: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي، المعروف بابن العربي (معرفا بأل)، ولد بالأندلس ورحل منها لطلب العلم، ورجع إلى الأندلس، وتوفي فيها، من مؤلفاته المشهورة: أحكام القرآن، قانون التأويل في التفسير سار فيه على طريقة المتكلمين، توفي سنة ٥٤٣هـ. انظر: السير ٢٠/ ١٩٧.

(٣) ذكره البقاعي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/ ٧، وانظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني ص ٩٤ وما بعدها.

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٨٠، نظم الدرر ١/ ٩، ونقل مثل هذا عن الزركشي كما في ص ٨ من المجلد نفسه، وانظر: تبصير الرحمن وتيسير المنان للمياهي ٣/ ١.

(٥) نظم الدرر ١/ ١١، وانظر: مقدمة أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ص ١٥.

(٦) الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٤٤.

وكل آيات القرآن أمثلة في ذلك، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] فلما سمع هذا النظم البديع، والتركيب العجيب، قال: الوليد بن المغيرة، - وهو من ألد أعداء الاسلام مخاطبا قومه الكفار -: «والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلو عليه، وإنه ليحطم ما تحته»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷻ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا فُوتَ وَأُخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١]، فمثل هذه الآيات التي هي الغاية في الجزالة، والبالغة في الحسن من حيث التركيب، وأداء المعنى، بأفضل تعبير، وأخصر تنظيم وترتيب، هو من خصائص كلام الله ﷻ، وهو كثير في القرآن، بل كل القرآن مبني على حسن التركيب، والترتيب<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأْتِي الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩] وكانت العرب تقول: القتل أنفى للقتل، وبين هذا الكلام وبين قوله ﷻ: القصاص حياة، تفاوت في البلاغة والإيجاز، فإن الآية تضمنت معنى كلام العرب وزيادة: الإبانة عن الفداء لذكر القصاص، والإبانة عن الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة، وبعده عن التكلف، وسلامته من تكرار اللفظ، وأوجز في العبارة، فإن الآية عشرة أحرف، والمقولة أربعة عشر حرفا<sup>(٣)</sup>.

ومن عجائب تركيبه ما ذكره القرطبي رحمه الله في قوله ﷻ: إخبارا عن عيسى أنه قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] قال:

(١) رواه البيهقي مرسلا في الاعتقاد ص ٣٥٧-٣٥٨، وانظر: جامع البيان ١٢/ ٣٠٩ حيث أورده موصولا.

(٢) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ٣٤٩-٣٥٠، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣١.

(٣) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ٣٤٩.

« ولم يقل: فإنك أنت الغفور الرحيم على ما تقتضيه القصة من التسليم لأمره، والتفويض لحكمه، ولو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم؛ لأوهم الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه، وذلك مستحيل، فالتقدير: إن تبقيهم على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فإنهم عبادك، وإن تهديهم إلى توحيدك وطاعتك فتغفر لهم فإنك أنت العزيز الذي لا يمتنع عليك ما تريده، الحكيم فيما تفعله، تفضل من تشاء، وتهدي من تشاء، وقد قرأ جماعة فإنك أنت الغفور الرحيم وليست من المصحف...، وطعن على القرآن من قال إن قوله: إنك أنت العزيز الحكيم ليس بمشاكل، لقوله وإن تغفر لهم؛ لأن الذي يشاكل المغفرة فإنك أنت الغفور الرحيم. والجواب: أنه لا يحتمل إلا ما أنزله الله، ومتى نقل إلى الذي نقله إليه ضعف معناه، فإنه ينفرد الغفور الرحيم بالشرط الثاني - وهو إن تغفر لهم -، فلا يكون له بالشرط الأول - وهو إن تعذبهم - تعلق، وهو على ما أنزله الله ﷻ، واجتمع على قراءته المسلمون، ومقرون بالشرطين كليهما أولهما وآخرهما إذ تلخيصه: إن تعذبهم فإنك أنت عزيز حكيم، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، في الأمرين كليهما من التعذيب والغفران، فكان العزيز الحكيم أليق بهذا المكان لعمومه؛ فإنه يجمع الشرطين، ولم يصلح الغفور الرحيم إذ لم يحتمل من العموم ما احتمله العزيز الحكيم، وما شهد بتعظيم الله تعالى، وعدله، والثناء عليه في الآية كلها، والشرطين المذكورين أولى، وأثبت معنى في الآية مما يصلح لبعض الكلام دون بعض»<sup>(١)</sup>.

فإذا ثبت أن القرآن الكريم في حسن ألفاظه وجميل تراكيبه معجز، دلنا ذلك على أن الآية الواحدة آية، وفي بعضها كذلك، وإن كان التحدي واقعا في سورة منه<sup>(٢)</sup>، ومعتقد السلف هو أن الإعجاز واقع في القرآن الكريم من حيث المعنى واللفظ فالكل من عند الله ﷻ كما سبق<sup>(٣)</sup>، والتحدي وقع بألفاظ القرآن ومعناه<sup>(٤)</sup>، والقرآن كله

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٤٤، بتصرف يسير.

(٢) انظر: الفروع لابن مفلح ١/ ٣٦٧، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٥٣.

(٣) انظر: الفصل الأول من الباب الأول.

(٤) انظر: الفروع لابن مفلح ١/ ٣٦٧.

مفيد، وليس فيه حشو بلا فائدة، أو فضلة يستغنى عنها، فهو كله دليل على الإعجاز، إذ لا حشو فيه، ولا خلل<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على بلاغة القرآن في التركيب أنه ثلاثون جزءاً ومع ذلك ليس فيه شيء من التراكيب المستهجنة، أو التراكيب الأعجمية، قال القرطبي رحمته الله: «أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية»<sup>(٢)</sup>، ومما يدل على إعجاز القرآن في تركيبه: الالتئام بين الآيات حينما يتحدث عن الموضوع، وهو ما يسمى بالوحدة الموضوعية، فالقرآن عند ما يتحدث عن موضوع ما يبهز الأبصار، ويخطف القلوب، ويشد الأذان<sup>(٣)</sup>، قال الخطابي<sup>(٤)</sup> رحمته الله: «قلت في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك: صنيعة بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً، ولا منشوراً، إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتشرح له الصدور»<sup>(٥)</sup>، ومن الدلائل على هذا قراءة المسلمين كل يوم سورة الفاتحة كرات ومرات ومع ذلك هي من ألد ما تكون على النفوس، وأعذب ما تكون على الألسن.

والسلف منعوا من القراءة المنكسة للقرآن الكريم، وما ذلك - والله تعالى أعلم - إلا لأنه يذهب بعض أنواع الإعجاز، ويزيل حكمة الترتيب<sup>(٦)</sup>، ولكون اللفظ والتركيب

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١/١٢٧، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ص ١٨، الموافقات للشاطبي ٣/٣٧٦، أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ص ٦٥، والكتاب المذكور، عنوانه ليس كذلك، بل ذكر السيوطي نفسه في مقدمته ص ٦٧ أنه سباه "تناسق الدرر في تناسب السور"، وكذلك ذكره محققه المذكور ص ٦٣، ٥٩، ولكنه مع ذلك أثر تغيير اسم الكتاب، بحجة عدم صلاحية هذا العصر!!!.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٨/٨، وانظر: الإحكام للآمدي ١/٧٩، ٢١٩، ٢٢٠، المستصفى ص ٨٤-٨٥، إرشاد الفحول ص ٦٦.

(٣) انظر: مقدمة الدكتور/ عبد القادر عطا، لمقدمة أسرار القرآن للسيوطي ص ١٧.

(٤) هو المحدث العلامة: حمد بن محمد الخطابي البستي، أبو سليمان، له مؤلفات كثيرة، منها: معالم السنن وهو شرح على سنن أبي داود، توفي سنة ٣٨٨هـ. انظر: السير ١٧/٢٣.

(٥) إعجاز القرآن للخطابي ص ٧٠.

(٦) انظر: المجموع ٢/١٨٩.

معجزاً منع السلف من كتابة القرآن الكريم بغير العربية، لأن ذلك صارف للإعجاز، فلو كتب بغير العربية لأوهم الركافة، ولأخل بالنظم، وأدى إلى تشويش الفهم<sup>(١)</sup>.

وأما إنكار الإعجاز في اللفظ، فهذا قول غير مأثور، وعن السلف غير مسطور، بل من قال به فقله « في نفسه مستسمح، مستهجر بالتأمل في نظم القرآن، وجزأته وفصاحته، وعرضه على كل نظم عرف من أساليب كلام العرب، وكل كلام فصيح عرف من كلامهم، ثم امتيازه عن الكل بروائه، وبهائه، وطلاوته، وحلاوته، وإعرافه، وابتنائه، إعجاز ظاهر لكل ذي لب من الناس »<sup>(٢)</sup>.

وأما تكرار اللفظ بعينه عقيب الأول فليس في القرآن منه شيء، « وإنما في سورة الرحمن خطابه بذلك بعد كل آية، لم يذكر متواليًا، وهذا النمط أرفع من الأول، وكذلك قصص القرآن ليس فيها تكرار<sup>(٣)</sup>، كما ظنه بعضهم، ﴿ قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١]، ليس فيها لفظ تكرار، إلا قوله: ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون: ٣، ٥]، وهو مع الفصل بينهما بجملة. وقد شبهوا ما في سورة الرحمن، بقول القائل - لمن أحسن إليه، وتابع عليه بالأيدي، وهو ينكرها، ويكفرها -: ألم تك فقيراً فأغنيتك؟، أفنتكر هذا!!، ألم تك عرياناً فكسوتك؟، أفنتكر هذا!!، ألم تك خاملاً فعرفتك؟، ونحو ذلك. وكذلك ما يقوله بعضهم: إنه قد يعطف الشيء لمجرد تغاير اللفظ فليس في القرآن من هذا شيء، ولا يُذكر فيه لفظ زائد إلا لمعنى زائد، وإن كان في ضمن ذلك التوكيد، وما يجيء من زيادة اللفظ، فالمعنى أزيد من المعنى بدونه، فزيادة اللفظ لزيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والضم أقوى<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٩، إعانة الطالبين ١/٦٨، وسيأتي في الفصل الثالث من الباب الثالث بيان كتابة القرآن.

(٢) قواطع الأدلة ص ٢٩، وانظر: المحرر الوجيز ١/٥٢-٥٣.

(٣) انظر: نظم الدرر ١/١٤، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٢٣-٣٢٤، إظهار الحق ٢/١٠٤، محاسن التأويل ١/١٥٨، ١٦٤-١٦٥.

(٤) المجموع ١٦/٥٣٦-٥٣٧، بتصرف يسير.

وأرجو بهذا أن يكون قد ظهر شيء من وجه الإعجاز في اللفظ والتركيب، وأن يكون ظهر بهذا المزايا الظاهرة، والبدائع الراقية، في فصاحة ألفاظ القرآن الكريم، وعلو تركيبه، وهذا قد يدخل في البلاغة من حيث إنه أحد أقسام علوم البلاغة، إذ هي مبنية على ثلاثة أنواع من العلوم، وهي: علم المعاني<sup>(١)</sup>، وهو الذي ذكرته في اللفظ والتركيب، والثاني: علم البيان<sup>(٢)</sup>، والثالث: علم البديع<sup>(٣)</sup>، وهذان العلمان يظهر إعجاز القرآن فيهما بجلاء، وأجلي ذلك في المطلب الآتي.

(١) علم المعاني هو أحد العلوم البلاغية في العربية، ويقولون في تعريفه أنه: علم يعرف به أحوال اللفظ العربي المطابق للحال. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص ١.

(٢) وهو نوع من أنواع علوم البلاغة، ويعرف بأنه: علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص ٩.

(٣) انظر: تلخيص المفتاح للقزويني ص ٦١٨-٦١٩، ضمن مجموع أمهات المتون، ومائة المعاني والبيان لابن الشحنة الحلبي ص ٦٠٩، ضمن المجموع المذكور، وخلاصة تلخيص المفتاح ص ١ (مخطوط)، لكاتب هذه السطور، ستره الله بالستور، ويعرف البديع بأنه: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص ١١.

### المطلب الثاني: كون القرآن معجزاً بلاغة وبياناً.

إن من علوم البلاغة: ما يعرف بعلم البيان، وهو: إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، في وضوح الدلالة عليه، وهو ثلاثة أنواع<sup>(١)</sup>، وهي: الكناية<sup>(٢)</sup>، والاستعارة<sup>(٣)</sup>، والتشبيه<sup>(٤)</sup>، ومن علوم البلاغة، علم البديع: الذي يعرف به وجوه تحسين الكلام من حيث المطابقة (الطباق)<sup>(٥)</sup>، والمجانسة (الجناس)<sup>(٦)</sup>، وهذان العلمان في القرآن الكريم منهما ما يشبع العلماء، ويتعب الجهلاء، ولا يحصى إلا بعناء. ومن ذلك بلاغة القرآن في البيان، فالقرآن معجز «من جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى»<sup>(٧)</sup>.

ومن الأمثلة في علو بيانه، وإعجازه في فصاحته وتبيانه: أن الأصمعي<sup>(٨)</sup> سمع جارية من العرب، فتعجب من فصاحتها، فقالت: وهل بعد قول الله تعالى فصاحة، حيث قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِ إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَعَلُوهُ مِنْ أَلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٩]، فإنه جمع في آية واحدة

- (١) وقد يقسم تقسيماً آخر، لأن هذا من قبيل الاصطلاح، انظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني ص ١٠٦.
- (٢) المقصود بهذا المصطلح: لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادته معه. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص ١١.
- (٣) المقصود بالاستعارة هو: استعمال لفظ معنى غير الظاهر لمشابهة بينهما. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص ١٠.
- (٤) المقصود بالتشبيه هو: الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، نحو: زيد أسد. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص ٩.
- (٥) المراد بالمطابقة هو: دلالة اللفظ على تمام ما وضع له؛ فهذه هي: الدلالة الوضعية، وتختص بالمطابقة. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص ٩.
- (٦) انظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني ص ٧٦ وما بعدها، والمصادر السابقة، والمجانسة هي: التشابه في اللفظ، وهو أنواع. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص ١٤.
- (٧) الجواب الصحيح ٤٢٨/٥، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١/٥٥.
- (٨) هو إمام العربية السني، حجة الأدب: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمعي أبو سعيد الأصمعي البصري اللغوي، أحد الأعلام، الشاعر المعروف بين الأنام، توفي سنة ٢١٦ هـ، وقيل غير ذلك. انظر: السير ١٠/١٧٥، التقريب ص ٣٠٥.

بين: أمريين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين<sup>(١)</sup>.

وكذلك قوله ﷺ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] سمعها أعرابي فسجد، فقيل له: لم سجدت؟!، فقال: سجدت لفصاحته<sup>(٢)</sup>.

ولما نزلت قوله ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال أبو جهل - وهو من أشد الأعداء على محمد خير الأنبياء -: إن رب محمد لفصيح.

وقال القرطبي رحمه الله: «ولا يظن جاهل أنا نستدل على فصاحته بكلام هؤلاء الأعراب، كلا، لو كان ذلك لكانت الحجة أضعف من السراب، بل نعلم: أنه معجز بفصاحته، علم ضرورة تحصل لنا عند سماعه، وقراءته، والبلغاء إذا وقفوا عليه، وسمعوه، لذلك العلم مضطرون، بحيث لا يرتابون، ولا يشكون، كيف والعربي الفصيح إذا سمع قوله تعالى...، ﴿وَقِيلَ يَتَازَرُ أَتْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضُ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿فَكَلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٠] ومثل هذا كثير قضى من هذه البلاغة، والجزالة، ومتانة هذه المعاني العجب، وعلم أن مثل هذا لا يقدر عليه أحد من العجم ولا من العرب»<sup>(٣)</sup>.

وهذا رسول الله ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم، وكلامه مغاير عن القرآن، يعرف ذلك كل فهما، ولو لم يكن حافظا لكلام الرحمن، فانظر إلى أحاديثه ﷺ في وصف الجنان واسمع إلى هذه الآية الموجزة في البيان، حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن

(١) انظر: الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣١، الجامع لأحكام القرآن ٥٥/١.

(٢) انظر: الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣١.

(٣) انظر: الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن



فُرَّةٌ أَعْيُنَ ﴿السجدة: ١٧﴾ «فهذا أعدل وزنا، وأحسن تركيبا، وأعذب لفظا، وأقل حروفا، على أنه لا يعتبر إلا في مقدار سورة أو أطول آية، لأن الكلام كلما طال اتسع فيه مجال التصرف، وضاق المقال على القاصر المتكلف، وبهذا قامت الحجة» <sup>(١)</sup>.

وقال أنيس الغفاري <sup>(٢)</sup>، في بيان إعجاز القرآن <sup>(٣)</sup>، - لما ذهب إلى مكة وسمع القرآن من النبي ﷺ بأمر من أخيه أبي ذر <sup>(٤)</sup>، <sup>(٥)</sup> : «قال: لقيت رجلا بمكة على دينك، يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، - وكان أنيس أحد الشعراء -، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقرأء الشعر، فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون» <sup>(٥)</sup>.

ومن البيان الذي في القرآن الكنايات الجميلة، كما قال الشاطبي <sup>(٦)</sup> :  
«ومنها تحسين العبارة بالكناية، ونحوها، في المواطن التي يحتاج فيها إلى ذكر ما يستحيا من ذكره، في عادتنا، كقوله ﷺ: ﴿أَوَلَمْ نَسْئَلِ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣] حتى إذا وضح السبيل في مقطع الحق، وحضر وقت التصريح بما ينبغي التصريح فيه، فلا بد منه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي - أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥٦/١.

(٢) هو الصحابي الجليل: أنيس بن جنادة بن سفيان الغفاري، أخو أبو ذر ﷺ، وأكبر منه، ذهب إلى مكة ليستخير أمر النبي ﷺ، فلما رجع أسلم مع أخيه أبي ذر. انظر: الإصابة ٧٦/١.

(٣) انظر: الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣٥.

(٤) هو الصحابي المجاهد العابد: جندب بن جنادة الغفاري، أسلم قديما، ثم قدم على النبي ﷺ ومعه قومه، وهم مسلمون، وله روايات كثيرة في الكتب، توفي في خلافة عثمان ﷺ. انظر: التقريب ص ٥٦٢.

(٥) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر ﷺ، ح (٢٤٧٣) من رواية أبي ذر ﷺ، وهو حديث طويل فيه قصة إسلام أبي ذر ﷺ.

(٦) هو الأصولي المتقن، والفقهاء المتقن: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشاطبي، رغب في السنة، ودعا إليها، ونابذ عنها، من مؤلفاته النافعة: الموافقات والاعتصام، توفي سنة

٧٩٠هـ. انظر: معجم المؤلفين ١١٨/١.

لَا يَسْتَحْيَ مِنَ الْحَقِّ ﴿[الأحزاب: ٥٣]﴾<sup>(١)</sup>.

ومن الكنايات الجميلة قوله ﷺ: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاغْتَرِلُوا الْبَسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ يسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴿[البقرة: ٢٢٢]﴾ فكنى عن موضع إتيان الحاجة بالمحيض، وعن كيفية الإتيان بموضع الحرث، مع إباحة أي كيفية في ذلك، دون إخلال أو تفسخ.

ومن البيان الذي في القرآن: الاستعارات البليغة، ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧].

ومن البيان الذي في القرآن التشبيه الفصيح<sup>(٢)</sup>: و تشبيه الشيء بالشيء، نحو: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]، ونحو قوله: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُبٌّ يُجْعَلُونَ أَصْبَعُهُمْ فِيْءِ أَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]<sup>(٣)</sup>.

والكناية، والاستعارة، والتشبيه إذا كانت مع حسن بديع كان أبلغ في التبديع، ولهذا تجد أن هذا البيان في القرآن يكون في غاية البديع.

ومن البلاغة في البديع، وهو كثير<sup>(٤)</sup>: ما جاء في قوله ﷺ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهذا من الطباق، ونحو: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [المتحنة: ١٠]، وهذا من الطباق العكسي.

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ١/ ٣٧٧-٣٧٨.

(٢) انظر: التكت في إعجاز القرآن للرماني ص ٨٠ وما بعدها، دلائل الإعجاز للجرجاني ص ٥٤، الجواب الصحيح ٤٢٨/٥.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز ١/ ٦٩.

(٤) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٥١، وما بعدها.

وقوله ﷻ: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]، وهذا لف ونشر<sup>(١)</sup>.

ومن الجناس اللفظي قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

فجميع أنواع علم البيان والبديع للقرآن الكريم منها الحظ الكامل، والسبق الشامل، فلا تكاد نجد آية تخلو من البلاغة إما من حيث علم المعاني، أو من حيث علم البيان، أو من حيث علم البديع، بل وتجد في كثير من آياتها أنواعا مختلفة من البلاغة؛ والبلاغة هي: «بلوغ غاية المطلوب، أو غاية الممكن، من المعاني بأتم ما يكون من البيان، فيجمع صاحبها بين تكميل المعاني المقصودة، وبين تبينها بأحسن وجه»<sup>(٢)</sup>، وهذا كله موجود في القرآن، لا ينكره إلا من طمست بصيرته فأصبح كالعميان، ولا حول ولا قوة إلا بالله الرحيم الرحمن.

وتبلغ هذه البلاغة كنهها إذا كان المضمون عالي المقاصد، شريف المطالب، وهذا يتبين ببيان إعجاز القرآن الكريم علما وتشريعا.

(١) المقصود بمصطلح اللف والنشر في البلاغة هو: ذكر متعدد على التفصيل، أو الإجمال، ثم ما لكل واحد

من غير تعيين لكونه معلوما. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص ١٢.

(٢) منهاج السنة ٨/ ٥٤، وانظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٤، ٢٦، النكت في إعجاز القرآن للرماني

## المطلب الثالث: كون القرآن معجزا علما وتشريعيا.

أما علوم القرآن فلا حصر لها، ولا عد يمكن أن يحاط بها، وذلك لأنه كلام الحكيم العليم، الذي يعلم ما يكون وما كان، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ومن أشهر علومه: وأبين دلائله على الإعجاز، إخباره بالغيبيات<sup>(١)</sup>، ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧] فأخبر عن دخولهم المسجد الحرام حال كونهم آمنين، ومؤدين عمرتهم محلقين أو مقصرين، ونفى عنهم الخوف أثناء ذلك تأكيدا على أن الأمن ليس بسبب قوتهم فحسب، بل بدفع الله عدوهم، وقهره إياهم<sup>(٢)</sup>.

ومن الغيوب المستقبلية التي أخبر عنها، قال ﷺ: ﴿سُنُرِيهْمَ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٣-٥٤]<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك ما تضمنه من الأخبار عن الغيوب الماضية، والقرون السالفة، والشرائع الغابرة، وقد سئل النبي ﷺ عن أمور عدة، وجاء الجواب عنها في القرآن بيان على حدة، مثل سؤالهم عن الروح، وعن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف، وعن عيسى ابن مريم...<sup>(٤)</sup>.

قال القرطبي رحمه الله: «وفي كتاب الله من هذا القبيل ما يحتاج استقصاؤه إلى

(١) الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٨١، وما بعدها.

(٢) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٢، النكت في إعجاز القرآن للرماني ص ١١٠ وما بعدها، الجواب

الصحيح ٦/ ٥١-٥٢، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣٧.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ١/ ٤٣، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٤٠.

(٤) انظر: الانتصار للعمري ١/ ١٠٢، الصفدية ١/ ١٤٢، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦١، الإعلام بما في دين

اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٤٣، مقدمة الجواب الصحيح ١/ ٤٣-٤٦،

تكثير وتطويل، وحسبك ما تضمنه من كشف أسرار المنافقين، وفضيحة اليهود والضالين، فلقد يقضي الناظر فيها من ذلك العجب العجاب، ويتحقق أنه من عند الله من غير شك ولا ارتياب»<sup>(١)</sup>.

وأما المعجزات العلمية الطبية منها وغيرها: مما تحدث عنه القرآن الكريم لا قصدا بل لسياقة غرض آخر، واكتشف أمر ذلك في العصر الحديث فأمر في غاية الإلتقان، والوصف والإمعان، فتوصيف الجنين وهو في بطن أمه، لم يكن بالدقة التي تكلم عنها القرآن معروفا فيما غبر من الأزمان، وهو الآن مع التقدم لم يزد شيئا على ما في القرآن<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة الكلام: إن القرآن الكريم فيه علم الأولين والآخرين، وعلم كل ما يسعد الإنسان في الدنيا والدين<sup>(٣)</sup>.

وأما إعجازه في التشريع: فيظهر بالنظر لما جاء به من التوحيد والأحكام، وكيف أن فيه مصالح الأنام، وما يحصل من التهذيب في الأرواح والشفاء من الأسقام، وإذا أكرث «النظر في القرآن والأخبار، يحصل لك العلم الضروري، بكونه ﷺ على أعلى درجات النبوة، واعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات، وتأثيرها في تصفية القلوب...، يحصل لك علم ضروري، لا تتماهى فيه»<sup>(٤)</sup>.

ففي تشريعاته أنواع من القواعد الأصلية، والفوائد الفرعية، والمحاسن الأدبية، التي تنزل عليها الوقائع البشرية، وما يحتاجون فيها من الأحكام العملية، فالدين

(١) الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٤٢، وانظر: الجواب الصحيح ٧١/٥ - ٧٢.  
(٢) ألفت في ذلك رسائل كثيرة، ولكن ينبغي التنبيه إلى عدم إخضاع القرآن الكريم للتجارب والنظريات، والنظر فيه مجردا عن ذلك كله، فما ظهر بيانه، وتأكد شأنه وإعلانه، يبين تبعاً، ولا يكون ذلك قصداً، انظر منها مثلاً: القرآن معجزة المعجزات لأحمد ديدات، القرآن وإعجازه العلمي لمحمد إسماعيل، القرآن يتحدى لأحمد عز الدين، الإعجاز العلمي، مجلة الحكمة العدد ١٩.

(٣) انظر: الموافقات ٣/٣٦٩ - ٣٧٠.

(٤) شرح الأصبهانية ص ٥٢٣، نقلاً عن الغزالي، وانظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٧، ٧٠، الجواب الصحيح ٤٤/٦، تفسير القرآن العظيم ٦١/١.

منضبط بقواعد عامة، وأصول جامعة مانعة شاملة، والله الحمد والمنة، ولم يفرط في الكتاب من شيء<sup>(١)</sup>.

فالقرآن كله صدق وعدل، صدق في الأخبار، وعدل في الأحكام، فكله حق وهدي، ليس فيه مجازفة ولا هوى، ولا كذب ولا افتراء، كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم، من الأكاذيب، والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها، ولا يستعذب كلامهم إلا بشوائبها<sup>(٢)</sup>.

وكون القرآن معجزا علما وتشريعا فهذا الوجه يظهر لكل أحد: العرب، والعجم، بخلاف الإعجاز البلاغي؛ فإنه لا يظهر إلا للعربي الفصيح، المتمرس لعلم العربية على الوجه الصحيح<sup>(٣)</sup>.

« فثبت من الأمور المذكورة أن القرآن معجز وكلام الله، وكيف لا، وحسن الكلام يكون لأجل ثلاثة أشياء: أن تكون ألفاظه فصيحة، وأن يكون نظمه مرغوبا، وأن يكون مضمونه حسنا، وهذه الأمور الثلاثة متحققة في القرآن، بلا ريب<sup>(٤)</sup> ».

وهذا كله على وفق ما ثبت عن السلف، والمتبعين لهم من الخلف، أما قول المخالفين للسلف الصالح في القرآن الكريم فأورده في الباب التالي، وهو الذي سيكون الحديث عنه إن شاء الله، والحقيقة أن ذلك الاختلاف الواقع من الخلف في القرآن الكريم لا يعني نفي الإعجاز، بل فيه عين الإعجاز إذا أخبر أن الناس لا يزالون مختلفين، فكذاك وقع الأمر في أمر الدين، ولتتين عقائد المخالفين للسنّة في القرآن الكريم في الباب التالي.

(١) انظر: قواطع الأدلة ص ٢٩، الجواب الصحيح ٤٣٤/٥، الموافقات للشاطبي ٣/٣٧٧، ٣٧٩، أبجد العلوم ٢/١٠، مجلة البحوث العلمية العدد ٩، ص ١١، وما بعدها.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٦١/١.

(٣) انظر: أصول السرخسي ص ٢٨١، معترك الأقران ١/١٤-١٧.

(٤) إظهار الحق ٢/١٠٠-١٠١.

# البَابُ الثَّانِي

## حَقِيقَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي نَظَرِ الْمُخَالِفِينَ

### وَالرَّادِّ عَلَيْهِمْ

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: اختلافهم في تعريف القرآن الكريم.

الفصل الثاني: قول المخالفين في نزول القرآن على نبيينا

محمد ﷺ.

الفصل الثالث: قول المخالفين في التعبد بالقرآن الكريم.

الفصل الرابع: قول المخالفين في كون القرآن آية لنبيينا

محمد ﷺ.





## الفَصْلُ الْأَوَّلُ

### أَخْتَلَفْنَا فِي تَعْرِيفِ الْقَوْلِ لِلرَّعْمِ

وفيه مباحث:

المبحث الأول: القول الفيض.

المبحث الثاني: القول بالحلول.

المبحث الثالث: القول بخلق القرآن.

المبحث الرابع: القول بأن القرآن عبارة، أو حكاية عن كلام الله.

المبحث الخامس: القول بأزلية القرآن.

المبحث السادس: القول بأن الله تكلم بعد أن لم يكن متكلمًا،

ومن ذلك القرآن.

المبحث السابع: القول بالتوقف في القرآن.

المبحث الثامن: ابتداء مسألة اللفظ بالقرآن.



قبل الخوض في مباحث هذا الفصل، وذكر ما فيها من الأقوال، أبين خمسة أمور:

### الأمر الأول: اضطراب المخالفين للسلف في القرآن الكريم.

وهنا أبين أن النزاع الذي وقع في كلام الله ﷻ هو نزاع كبير، حتى قيل إن علم العقيدة سمي بعلم الكلام لأن صفة الكلام أول مسألة وقع فيها النزاع<sup>(١)</sup>، وإن كان هذا الاسم من قبل المخالفين، لا من السلف المتبعين، إلا أنه يدل على عظم الخلاف الذي وقع في كلام الله رب العالمين، وهذا النزاع أساسه اختلافهم في القرآن الكريم، ما هو؟ وما هو حقيقته، وهل هو كلام الله؟ أم لا؟.

واضطراب أهل البدع ظاهر في مسألة الكلام، وقد نشأ هذا الاضطراب بسبب اختلافهم في القرآن الكريم، فعندهم أن كلام الله ﷻ إما أن يكون قائماً به، ثم إن كان قائماً به هل هو صفة ذاتية تكلم الله به ألا أم لا؟، وهل تكلم بمشيئته واختياره أم لا؟، أم تكلم بعد أن لم يكن قادراً؟ أو إن كلامه يكون مخلوقاً بائناً عنه، أو لا يكون هذا، ولا هذا، بل هو فيض في النفس<sup>(٢)</sup>، وهل هو بحرف وصوت أم لا؟ فهذا الاضطراب الكثير يذكره كثير من المصنفين دون أن يشير إلى عقيدة السلف الصالح في القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>، قال شيخ الإسلام ﷻ في مسألة كلام الله ﷻ: «والناس فيها مضطربون، وقد بلغوا فيها إلى تسعة أقوال، وعامة الكتب المصنفة في الكلام وأصول الدين لم يذكر أصحابها إلا بعض هذه الأقوال، إذ لم يعرفوا غير ما ذكره... وأكثرهم لا يعرفون قول السلف»<sup>(٤)</sup>.

(١) والصحيح أن علم الكلام ليس هو علم العقيدة وعلم أصول الدين قطعاً، وسيأتي تعريفه في الفصل الخامس من الباب الرابع.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٣/ ٣١١، لباب العقول ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٣) سبق أن بينت عقيدة السلف الصالح في القرآن الكريم بالتفصيل، انظر الباب الأول، الفصل الأول.

(٤) منهاج السنة النبوية ٢/ ٣٥٨-٣٥٩، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٢.

## الأمر الثاني: عدد الأقوال المختلفة في القرآن الكريم.

من شدة اضطراب الناس، لم يضبط كثير من المصنفين عدد الأقوال في هذه المسألة المختلفة فيها عند الخلف، ولشدة غموض الاختلاف ووجوه تداخل الأقوال، لا يصور فيها فصل المقال، فيقع الإخلال، فمنهم من يذكر قولين، ومنهم من يذكر ثلاثة، ومنهم من يذكر أربعة، ومنهم من يذكر خمسة، ومنهم من يذكر سبعة أقوال<sup>(١)</sup>.

## الأمر الثالث: طريقة عد هذه الأقوال.

إنَّ أوسع ما وجدنا في ذكر المذاهب في مسألة الكلام مَنْ ذكر فيها تسعة أقوال<sup>(٢)</sup>، على وجه التفصيل والبسط في المقال، وهي باختصار<sup>(٣)</sup>:

١- كلام الله ليس بآئن عن الله، ولا قائم بذات الله، وهو فيض على النفوس، وهو المشهور عن الفلاسفة<sup>(٤)</sup>.

٢- كلام الله بآئن عن الله، وليس قائم بذات الله، ويتكلم بمشيئته، وهو مخلوق بحروفه وأصواته، وهو المعروف عن الجهمية والمعتزلة<sup>(٥)</sup>.

٣- كلام الله ليس بآئن عن الله، بل هو قائم بذات الله، وأنه معنى (كلام) واحد، وهو الكلام النفسي، ويختلف بحسب متعلقاته إن أمراً فأمراً، وإن نهياً فنهياً...، وكلامه ليس بحرف ولا صوت، ولا يتكلم متى شاء، بل هو متكلم أزلاً فقط، وهو الذي يدندن حوله الكلائية والأشاعرة، والماتريدية<sup>(٦)</sup> بشطط<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٥٩، الصفدية ٢/ ٤٠-٤١.

(٢) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٥٨، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٢.

(٣) لأن ذكر هذه الأقوال والرد عليها ستأتي في مباحثها في هذا الفصل.

(٤) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٥٩، المجموع ١٢/ ١٦٣، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٣.

(٥) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٥٩-٣٦٠، المجموع ١٢/ ١٦٣، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٣، إيثار الحق ص ١١٩.

(٦) هم أتباع أبي منصور الماتريدي، وهم كالأشاعرة يثبتون لله ﷻ الصفات العقلية التي هي: العلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والحياة والكلام، ويزيدون صفة التكوين، وأما الصفات الخبرية؛ فلأنهم ينفونها، وهم في كثير من أبواب الأساء والصفات - خصوصاً المتأخرون منهم - قريبين من الجهمية.

انظر: معجم ألفاظ العقيدة ص ٣٥٣، ورسالة الشيخ شمس الأفغاني في الماتريدية.

(٧) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٦٠، المجموع ١٢/ ١٦٥، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٣.

٤- كلام الله ليس بآئنا عن الله، بل هو قائم بذات الله، وإنه بحروف وأصوات أزلية، ولا يتكلم متى شاء، وهذا قول طائفة من أهل الكلام، ويذكر عن السالمية<sup>(١)</sup>.

٥- كلام الله ليس بآئنا عن الله، بل هو قائم بذات الله، وإنه بحروف وأصوات، لكنه تكلم بعد أن لم يكن متكلماً، وكلامه حادث في ذاته، وهو المنقول عن الكرامية<sup>(٢)</sup>، والهشامية<sup>(٣)</sup>.

٦- كلام الله يرجع إلى ما يحدث من علمه وإرادته القائم بذاته، ثم منهم من يقول: لم يزل ذاك حادثاً في ذاته، كقول أبي البركات صاحب المعبر<sup>(٤)</sup>، ومنهم من لا يقول بذلك، كالرازي<sup>(٥)</sup>.

٧- كلام الله يتضمن معنى قائماً بذاته، وهو ما خلقه في غيره، ثم منهم من يقول: المعنى كلام نفسي، وهذا قول ابن رشد<sup>(٦)</sup>،

(١) انظر: منهاج السنة ٢/ ١٦٠، المجموع ١٢/ ١٦٦، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٣.

(٢) هم أتباع محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وقد اشتهروا بالتشبيه في صفات الله ﷻ. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٠٨، معجم ألفاظ العقيدة ص ٣٣٣.

(٣) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٦١، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٣، والهشامية: فرقة من غلاة الشيعة أصحاب الهشامين: هشام بن الحكم الرافضي، وهشام بن سالم الجواليقي، ومقاتلها في التشبيه مشهورة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٨٤.

(٤) هو الطبيب الفيلسوف: هبة الله بن علي بن ملكا البغدادي، أبو البركات البلدي، كان يهودياً ثم أسلم أواخر عمره، وكان يخدم الملوك بطبه، ومن مؤلفاته: المعبر في الحكمة، ورسالة في العقل، توفي سنة ٥٤٧هـ. انظر: السير ٢٠/ ٤١٩، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢/ ١٧٣١.

(٥) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٦٢، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٣. والرازي هو المتكلم إمام الأشعرية: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن القرشي التيمي أبو عبد الله الرازي الشافعي، مشهور بابن خطيب الري، ولقب بسلطان المتكلمين!!، كان متصلاً بالملوك وله منهم عطايا، وله باع في العلوم الفلسفية والمنطقية، ودخل الخلوات الصوفية، لكنه قليل البضاعة في السنة النبوية، له مصنفات مشهورة، وبشر المنطق مملوءة، ومنها: المباحث المشرقية، والمطالب العالية وغيرها، وفي وصيته ما يدل على أنه رجع إلى طريقة الكتاب والسنة وترك ما عليه أهل الكلام. انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٣٤٠، لسان الميزان ٤/ ٤٩٨، مقدمة محقق المباحث المشرقية.

(٦) هو الفيلسوف الطبيب: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، أبو الوليد الحفيد، وهو فقيه مالكي، ولد بقرطبة ونشأ بها، وولي قضاءها، وكان من مناصري الفلاسفة، وله مؤلفات كثيرة، منها: بداية المجتهد، وتهافت التهافت، ومناهج الأدلة، توفي سنة ٥٩٥هـ. انظر: السير ١٩/ ٥٠١.

والماتريدي<sup>(١)</sup>، ومنهم من يقول: المعنى فيض، كقول المتفلسفة، وهذا قول الباطنية متشيعهم وصوفيهم، ويقولون: إن القديم حل في المحدث<sup>(٢)</sup>.

٨- كلام الله مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن اتبعه من الأشعرية<sup>(٣)</sup>، وهو قول لابن عربي الطائفي الحلوي<sup>(٤)</sup>.

٩- كلام الله ليس بآثنا عن الله، بل هو قائم بذات الله، وهو حروف متعاقبة، وأصوات مسموعة، يتكلم متى شاء، وكيف شاء، إذا شاء، وأن نوع الكلام أزلي، وآحاده متكلم به ربنا متى شاء، مع من شاء، وهذا هو قول السلف قاطبة<sup>(٥)</sup>.

فهذا محصل أقوال الفرق في كلام الله ﷻ على التفصيل<sup>(٦)</sup>.

ويمكن أن تكون الأقوال سبعة<sup>(٧)</sup>: وذلك باعتبار أن القول (السادس والثامن) يرجعان إلى القول (الثالث).

(١) هو المتكلم الكبير: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي السمرقندي، سلك طريقة التأويل في صفات الرب الجليل، وله مصنفات مشهورة، منها: تأويلات القرآن، وتأويلات أهل السنة!!، توفي سنة ٣٣٣هـ. انظر: الفوائد البهية ص ١٩٥، هدية العارفين ٣٦/٢.

(٢) انظر: منهاج السنة ٣٦٢/٢، المجموع ١٦٧/١٢، شرح العقيدة الطحاوية ١/١٧٤، إثثار الحق على الخلق ص ١١٩، وانظر: قول ابن رشد في منا هج الأدلة له ص ٧٣.

(٣) انظر: منهاج السنة ٣٦٣/٢، المجموع ١٦٧/١٢، شرح العقيدة الطحاوية ١/١٧٤.

(٤) انظر: كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٥ (العموم). وابن عربي هو الحلوي الصوفي الأكبر: محمد بن علي بن أحمد أبو بكر الطائفي الأندلسي المعروف بابن عربي (نكرة)، يلقب بالشيخ الأكبر!!، وهو متكلم فلسفي صوفي، كثره أئمة الإسلام، لأقواله الشنيعة، وكتابات السيئة، التي ملئها حلولاً وتحادداً، رحل إلى مصر، وسكنها، ثم كُفر وهرب إلى الشام، واستقر بها، وله رسائل كثيرة، منها: فصوص الحكم!!، الفتوحات المكية!!، وغيرها، توفي بالشام سنة ٦٣٨هـ. انظر: السير ٤٨/٢٣، ميزان الاعتدال ٣/٦٥٩.

(٥) انظر: الفصل الأول، من الباب الأول، وانظر: منهاج السنة ٣٦٢/٢، شرح العقيدة الطحاوية ١/١٧٤.

(٦) ولم يذكر من ذكر الأقوال حتى على وجه التفصيل: الواقعة، واللفظية، وإن عُد القولان كانت الأقوال: أحد عشر، ولكن لعلهم لم يعدوها، لكون قول كلٍّ منهما تابعا وناتجا عن تلك الآراء - والله أعلم - وسيأتي الرد عليها تفصيلا.

(٧) انظر: المجموع ١٦٢/١٢، مختصر الصواعق المرسلة ٢/٢٨٦ وما بعدها، ومعارج القبول ١/٤٨١.

ويمكن أن تكون ستة أقوال<sup>(١)</sup> باعتبارين:

١- أن الأقوال (الخمس الأول) مع قول أهل السنة (التاسع) هو قول الطوائف الكبار، وما عداها من الأقوال فأقوال لآحاد من الناس.

٢- أن يقال: إن القول (السادس والثامن) يرجعان إلى القول (الثالث): وهو أن الكلام القائم بالذات ليس مخلوقا، وأما القرآن الموجود فهو مخلوق، وهذا مؤدى القولين، وأن القول (السابع) يرجع أيضا إلى القول (الثالث)، وهو القول بالكلام النفسي، فعلى هذا يكون أيضا ستة أقوال<sup>(٢)</sup>.

ويمكن أن تكون ثلاثة أقوال، باعتبار النظر إلى المتكلم من حيث لزوم كون لكلام قائما به أم لا، وباعتبار شهرتها<sup>(٣)</sup>، وهي:

١- أنه قائم به، وليس بمخلوق.

٢- أنه ليس قائما به، بل بائن عنه مخلوق.

٣- أنه لا هذا ولا هذا.

ويمكن أن تكون ثلاثة أقوال باعتبار النظر إلى المتكلم من حيث تكلمه بمشيئته واختياره أم لا:

١- أنه يتكلم بكلام أزي قائم به لا بمشيئته.

٢- أنه يتكلم بمشيئته واختياره.

٣- أنه لا هذا، ولا هذا.

ويمكن أن تكون ثلاثة أقوال باعتبار الكلام، ما هو:

١- أنه اسم للفظ والمعنى جميعا.

(١) انظر: المجموع ٤٢/١٢.

(٢) وإنما ذكرت هذا الجمع حتى يتبين وجه الاختلاف في العدد، لأن من أسباب الاختلاف فيه: الجهل، أو الغفلة، أو ذكر الأقوال متداخلة، وهذا الأخير هو الذي صار عليه شيخ الإسلام، حيث يذكر في بعض المواضع تسعة أقوال على التفصيل، وفي بعضها سبعة، وفي بعضها ستة، فلا يظن ظان أن هذا عنده من الاضطراب.

(٣) انظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات لشيخنا أ.د/ أحمد بن عطية الغامدي ص ١٩٧.

- ٢- أنه اسم للفظ فقط بشرط دلالة على المعنى.
- ٣- أنه اسم للمعنى دون اللفظ الموضوع له<sup>(١)</sup>.
- ويمكن أن تكون الأقوال ثلاثة، باعتبار المتكلم من هو:
  - ١- أنه من فعل الكلام، وقدر عليه، ولو في غيره.
  - ٢- أن المتكلم من قام به الكلام.
  - ٣- أن المتكلم من قام به الكلام وكان قادراً<sup>(٢)</sup>.
 ويمكن أن تعد الأقوال بالنسبة إلى مرجعها إلى قولين، من حيث الجملة:

- ١- أن كلام الله ليس بمخلوق (بهذا الاعتبار إجمالاً).
- ٢- أن كلام الله مخلوق (بهذا الاعتبار إجمالاً)، وكل من الأقوال التسعة سيدخل من حيث الإجمال تحت هذين القولين، لكن الإجمال في موضع التفصيل يورد الاشتباه، ولذا كان الأفضل والأليق في نسبة الأقوال وردّها هو التفصيل، والله تعالى وحده الهادي إلى سواء السبيل.

#### الأمر الرابع: سبب ضلال الفرق ومنشأ نزاعهم.

هناك عدة أسباب، لاختلاف أصحاب المقالات في هذا الباب، أعني في اختلافهم في كلام الوهاب، وهي:

- ١- من أسباب ضلالهم، ومنشأ نزاعهم ما أحدثوه من طريقة بدعية في الاستدلال على وجود الله وربوبيته، ومعرفته، وهو ما يسمى بطريقة الحدوث والإمكان<sup>(٣)</sup>، وذلك أن مسألة حدوث العالم، وإثبات الصانع، استدلت الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من طوائف أهل الكلام<sup>(٤)</sup> على ذلك بأن ما لا تخلو عن الحوادث فهو حادث، والكلام إذا كان حادثاً فهو مخلوق، كما هو قول الجهمية والمعتزلة، ومن وافقهم، وأما من خالفهم

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٢٢.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٢٢.

(٣) انظر: الصفدية ١/ ٦٦.

(٤) إشارة إلى الكلائية والأشعرية والماتريدية ونحوهم.



من أهل الكلام، اضطروا - لأنهم وافقوهم في أصل القول بالحدوث والإمكان - أن يقولوا: إن الكلام ليس بحادث، بل هو أزلي، ولم يهتدوا إلى الفرق في المسألة، وهو القول بأزلية الكلام من حيث كونه متكلمًا، وأن آحاده في وقت معين، فنشأ النزاع والافتراق<sup>(١)</sup>، فهذه « الطريقة هي التي ولدت بين المسلمين اختلافهم في القرآن، وكلام الله ﷻ، حتى صار كثير من الناس - أو أكثرهم - في ذلك إما حائرا، وإما مخطئا مبتدعا، وكفر بعضهم بعضا بسبب ذلك »<sup>(٢)</sup>.

٢- من أسباب ضلالهم كلامهم في الدين بناء على القواعد المنطقية، والفلسفة اليونانية والهندية، مما أورثهم شبهة كثيرة، ضلوا بسببها عن قواعد الشرع، والتزموا قواعدهم البدعية، قال شيخ الإسلام ﷺ: « فإن قيل ما منشأ هذا النزاع، والاشتباه، والافتراق، والاختلاف؟ قيل: منشأه هو الكلام المذموم الذي ذمه السلف، وعابوه، وهو الكلام المشتبه المشتمل على حق وباطل: فيه ما يوافق العقل والسمع، وفيه ما يخالف العقل والسمع، فيأخذ هؤلاء جانب النفي المشتمل على نفي الحق والباطل، وهؤلاء جانب الإثبات المشتمل على إثبات حق وباطل »<sup>(٣)</sup>.

٣- من أسباب ضلالهم تقصيرهم في معرفة الحق: « أو قصورهم عن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، وما كان عليه السلف، ومعرفة المعقول الصريح...، وهؤلاء المتنازعون أجمعوا على أصل فاسد، ثم تفرقوا، فأجمعوا على أن جعلوا عين صفة الرب الخالق، هي عين صفة المخلوق، ثم قال هؤلاء: وصفة المخلوق مخلوقة، فصفة الرب مخلوقة؟ فقال هؤلاء: صفة الرب قديمة، فصفة المخلوق قديمة، ثم احتاج كل منهما إلى اضطراد أصله، فخرجوا إلى أقوال ظاهرة الفساد: خرج النفاة إلى أن الله لم يتكلم بالقرآن...، وأنه لم يناد موسى ﷺ بنفسه بنداء يسمعه منه موسى ﷺ...، وخرج هؤلاء إلى أن ما يقوم بالعباد، ويتصفون به يكون قديما أزليا »<sup>(٤)</sup>، وأحيانا تجد

(١) انظر: المجموع ١٢/ ١٤٠، ٥٩٢، ٢١٣، النبوات ٢٣٠، الصفدية ١٢٨/ ١-١٢٩.

(٢) الصفدية ٢/ ٤٠.

(٣) المجموع ١٢/ ١٤٠، وانظر: الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص ١٧٥.

(٤) المجموع ١٢/ ٨٢-٨٣، وانظر: منهاج السنة ٥/ ٤٣٢-٤٣٣، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٨-٩.

المتنازعين طائفتين، ومع « كل واحدة من الطائفتين جزء من الحق، وجزء من الباطل »<sup>(١)</sup>، ولو صُفِّيت الأقوال من الأخطاء، وصُفِّي ما فيه من الحق، لظهر الحق في كل مسألة على صورة جلية، وطريقة مرضية<sup>(٢)</sup>.

٤ - من أسباب ضلالهم استعمالهم للألفاظ المجملة: « وأئمة السنة كأحمد بن حنبل، وغيره، كانوا إذا ذكَّرت لهم أهل البدع الألفاظ المجملة: كلفظ الجسم، والجوهر، والحيز<sup>(٣)</sup>، ونحوها، لم يوافقوهم، لا على إطلاق الإثبات، ولا على إطلاق النفي، وأهل البدع بالعكس ابتدعوا ألفاظا ومعاني، إما في النفي، وإما في الإثبات، وجعلوها هي الأصل المعقول المحكم!! الذي يجب اعتقاده، والبناء عليه! ثم نظروا في الكتاب والسنة فما أمكنهم أن يتأولوه على قولهم تأولوه، وإلا قالوا هذا من الألفاظ المتشابهة المشكلة التي لا ندري ما أريد بها!! فجعلوا بدعهم أصلا محكما، وما جاء به الرسول ﷺ فرعا، ومشكلا: إذا لم يوافق»<sup>(٤)</sup>.

#### الأمر الخامس: وصف المخالفين في هذا الباب.

إن أهل البدع في كتاب الله من المحرفين الغالين، والمتحليين المبطلين، ومن المؤولين الجاهلين، عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مخالفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين<sup>(٥)</sup>، الذين حق عليهم قول رب العالمين، ويصدق

(١) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٤، وانظر: شرح الأصبهانية ص ٣٣٦.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٤ / ٣٣٥-٣٣٧.

(٣) هذه ألفاظ محدثة، أحدثها الجهمية، ولهم فيها اصطلاح خاص، فالجسم عندهم: جوهر قابل للأبعاد الثلاثة، وقيل: هو المركب المؤلف من الجوهر (التعريفات للجرجاني ص ٧٦)، والجوهر: الماهية، وهي منحصر في خمسة: هيولى، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل (التعريفات ص ٧٩)، والحيز هو: الفراغ المتوهم الذي يشغله شيء كالجسم (التعريفات ص ٩٤).

(٤) المجموع ١٧ / ٣٠٦، وانظر منه: ١٢ / ٢١٣.

(٥) انظر: الرد على الجهمية ص ٦، المجموع ٤ / ٢١٧-٢١٨، النبوات ص ٢١٧.

عليهم عموم آيات القرآن المبين، قال ﷺ: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ [الحجر: ٩٠-٩١] قيل المقتسمون: هم الذين تفرقوا في كتبهم، إذ آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، قال ابن جرير رحمه الله: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله ﷻ، أمر نبيه ﷺ أن يُعلم قومه الذين عضَّهوا<sup>(١)</sup> القرآن ففرقوه، أنه نذير لهم من سخط الله تعالى، وعقوبته، أن يحل بهم على كفرهم برهم، وتكذيبهم نبیهم، ما حل على المقتسمين من قبلهم، ومنهم»<sup>(٢)</sup>، ثم ذكر أن المراد بالمقتسمين إما: اليهود، وإما النصراني، وإما المشركون، ثم رجح العموم، وأنها فيهم وفي من اتصف بحالهم، فقال: «فإذا لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عنى به أحد الفرق الثلاث<sup>(٣)</sup> دون الآخرين، ولا في خبر عن الرسول ﷺ، ولا في فطرة عقل، وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت، وجب أن يكون مقتضيا بأن كل من اقتسم كتاب الله بتكذيب بعض، وتصديق بعض»<sup>(٤)</sup>. كان من المقتسمين.

وبعد هذه المقدمات، أذكر المقالات، مع إيراد شبههم، والرد عليها - وبالله تعالى التوفيق -.

(١) أي: جعلوه قطعاً مجزأً، وهو من (العِصَّة) والأصل (عِصْوَة) والجمع (عِصْوَن). انظر: المصباح المنير للفيومي ص ٤١٥.

(٢) جامع البيان ٥٤٥/٧.

(٣) في النسخ المطبوعة من التفسير: (أحد الفرق الثلاثة)، والتصويب من عندي، ويمكن أن يكون ما في المطبوع صحيحاً بتعسف، وهو أن يقال إن في الكلام تقديماً وتأخيراً، ولفظه: أحد الثلاثة الفرق.

(٤) جامع البيان ٥٤٥/٧، وانظر: تفسير القرآن العظيم ٥٥٨/٢، الفتح ٢٣٢/٨، إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري ٣٩٢-٣٩٣.

## المبحث الأول: القول بالفيض

قبل الكلام عن القائلين بالفيض أبين أمورا، وهي:

### أولا: معنى الفيض لغة.

الفيض (بالمعجمات) مأخوذ من فاض الماء، تقول: فاض الماء فيضا، وفيوضة، وفيوضا، وفياضا، وفيوضوة؛ إذا زاد، وسال منصبا، وجرى من مكانه إلى آخر.

وفاضت عنه فيضا: إذا سالت، قال عليه السلام: ﴿ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ [المائدة: ٨٣].

ومنه: أفاض القوم من عرفة، كقوله عليه السلام: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٩٩]، وأرض ذات فيوض: إذا كان فيها ماء يفيض<sup>(١)</sup>. فهذا يفيد من حيث اللغة أن الفيض يكون بلا إرادة.

### ثانيا: الفيض عند القائلين به واصطلاحهم فيه.

الفيض عند القائلين به هو: « عبارة عن التجليات الأسائية الموجبة لظهور ما يقتضيه استعدادات تلك الأعيان في الخارج »<sup>(٢)</sup>، ومعنى التجليات الأسائية: الاستعدادات العيانية والروحانية، فهو يعني استعداد في البدن، واستعداد في الخارج. « والفيض: إنما يستعمل في إلقاء الله تعالى، وأما ما يلقيه الشيطان؛ فإنه يسمى بالوسوسة...، والفيض الإلهي ينقسم إلى الفيض الأقدس!!، والفيض المقدس!!

(١) انظر: مقاييس اللغة ص ٨٢٤، المفردات للراغب ص ٣٩٠، المصباح المنير ص ٤٨٥، لسان العرب ١٠/٣٦٦ وما بعدها.

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني ص ١٦٩.

وبالأول تحصل الأعيان، واستعداداتها الأصلية في العلم، وبالثاني: تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها»!!!<sup>(١)</sup>.

ف «كلام الله اسم لما يفيض على قلب النبي من العقل الفعال، أو غيره»<sup>(٢)</sup>، وهذا الفيض يكون من «النفس الكلية وهو اللوح المحفوظ»<sup>(٣)</sup> فلا يكون حينئذ لكلام الله ﷻ «صوت معهود، ولا حرف من الحروف المعلومة، ولكن كلام كل جنس مما يشاكله، وعلى حسب ما يليق بشأنه، ويعطيه استعداد القبول الروحانية الإلهية السارية في كل وجود»<sup>(٤)</sup>، وهذا الذي يسمونه بالفيض قد يعبرون عنه بما يسمونه النور الذي يقذف في القلب، والفيض الذي يدرك بالمجاهدة، كما يقول الغزالي<sup>(٥)</sup> في طوره الفلسفي الصوفي وهو يتحدث عن أهمية المجاهدة الصوفية وكيفيةها، فمن «لازم التقوى، ونهى النفس عن الهوى، واشتغل بالرياضة، والمجاهدة، انفتحت له أبواب من الهداية، تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي، يقذف في قلبه، بسبب المجاهدة»<sup>(٦)</sup>، ويقول: «والإقبال بالكلية على الله تعالى، وملازمة الفكر الصافي، عن شوائب المجادلات، وهي رحمة من الله ﷻ تفيض على من يتعرض لنفحاتها، بقدر الرزق، وبحسب التعرض، وبحسب قبول المحل، وطهارة

(٥) الكليات لأبي البقاء الكفوي الفيلسوف المتكلم الماتريدي ص ٦٩١-٦٩٢.

(٢) المجموع ٣٥٢/١٢، وانظر: ٥٥٦/١٢.

(٣) كتاب اصطلاح الصوفية لابن عربي الوجودي ص ١١ (الورقاء)، وانظر: المدينة الفاضلة للغزالي ص ٢٤ وما بعدها، حيث يقرر نفس هذه الفكرة الفيوضية التي هي عن العلم في عمية، وقريب من هذا قول الغزالي الذي يصرح بأن النائم يدرك من الغيوب ما سيكون، إما صريحا، أو على صورة مثال، وأن هذا النوم هو نموذج من خاصية النبوة!!، انظر: المنقذ من الضلال ص ١٤٦، وهذا هو عين رأي ابن سينا حيث يرى الفيض وأنه يمكن ويكتسب. انظر: مقدمة محمد السلياني لقانون التأويل ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) أيام الشأن لابن عربي الطائفي ص ٤.

(٥) هو المتكلم الأصولي الصوفي: محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي، دخل في جميع العلوم، وله باع فيها، ولم يقر له على مذهب قرار، وصنف في التصوف وعلم الكلام، ومن تصانيفه المشهورة: تهافت الفلاسفة، والإحياء، توفي سنة ٥٠٥ هـ. انظر: السير ٣٢٢/١٩.

(٦) إحياء علوم الدين للغزالي ١/١٥٢.

القلب، وذلك البحر الذي لا يدرك غوره، ولا يبلغ ساحله»<sup>(١)</sup>.  
ويقول ابن عربي الطائي مبينا كيفية تلقي النبي الوحي: «لكن معارج الأنبياء  
بالنور الأصلي، ومعارج الأولياء بما يفيض من النور الأصلي»<sup>(٢)</sup>.  
كما يقول إن تعلم القرآن يمكن أن يكون من غير معلم إذا صَفَّت النفس<sup>(٣)</sup>.  
وهو يعني أنه يمكن تلقيه عن طريق الفيض.

### ثالثا: سبب القول بالفيض.

القول بالفيض نظرية قديمة عند الفلاسفة المتألهة، ومن رام الجمع بين الشريعة  
والفلسفة من المتسبين إلى الإسلام فإنهم قالوا بهذه النظرية تبعا لأشياخهم، ويمكن  
إرجاع سبب القول بالفيض في مسألة الكلام عند فلاسفة المسلمين إلى أمرين:

الأول: أنهم يرون أن الله ﷻ الذي يسمونه بالعقل الأول، أو الفلك الأول، لم  
يصدر عنه شيء، وإنما فاض عنه الفلك الثاني كفيض العلة عن المعلول، كما يخرج  
الشعاع من الشمس، من غير إرادة، ولا مشيئة، وهكذا حتى العقل الذي يسمونه العقل  
الفعال - الذي عندهم هو المدبر للكون - ويصدر عنه أفعال هي: الخلق والتدبير من غير  
إرادة منه، فكَذلك العلوم تفيض منه، ومن العلوم الكلام، سواء كانت عند الأنبياء، أو  
الأدكياء، أو الأصفياء، وذلك باستعداد المحل، دون إرادة من العقل الفعال<sup>(٤)</sup>.

فهم يرون أن الأفعال تصدر عن العقل الفعال من غير إرادة منه، فكَذلك الكلام  
يفيض منه من غير إرادة واختيار منه، بل يقولون: إن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد<sup>(٥)</sup>.

الثاني: أنه لما كان لهذه الفلسفة مكانة في قلوبهم، وهي تخالف الشرع بقواعدها

(١) إحياء علوم الدين ١/١٥٩، وقال شيخ الإسلام - نقلا عن الغزالي -: «إن الواحد من أهل الرياضة قد

يسمع كلام الله، كما سمعه موسى بن عمران». انظر: المجموع ٦/٥٤٠.

(٢) رسالة الأنوار لابن عربي الطائي ص ١٥، وانظر: الكتب: لابن عربي الطائي ص ٤٣.

(٣) انظر: الإسفار عن نتائج الأسفار لابن عربي الطائي ص ١٦.

(٤) انظر: شرح القصيدة التوتية ١/١٤٦.

(٥) انظر: المجموع ١٢/٤٢، موسوعة الفلسفة ٢/١٠٥.

وآراءها، فراموا وتظاهروا بمصانعة الشرع، والجمع بينهما ولو بطريق مبتدع، فجاءوا بشيء جديد، و« غرضهم هو التوفيق بين الفلسفة والدين؛ لأن كلا منهما حق في زعمهم!!، والحق لا يتناقض، ولكنهم في حقيقة أمرهم كانوا زنادقة ملحدين، ولهذا تراهم يجعلون مبادئ الفلسفة هي الأصل، ويحاولون أن يجروا الدين إليها، ويخضعوه لقواعدها»<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: القائلون بالفيض.

إن الفلاسفة « ليس لله تعالى - عندهم - كلامٌ أنزله إلى الأرض بواسطة الملك؛ فإنه تعالى ما قال شيئاً، ولا يقول، ولا يجوز عليه الكلام عندهم.

ومن تقرب منهم إلى الإسلام يقول: الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية، فتصوّر النبي تلك المعاني، وتشكلت في نفسه، بحيث يتوهمها أصواتاً... ولا حقيقة لشيء من ذلك»<sup>(٢)</sup>.

فالقول بالفيض هو المشهور عن الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، كالفارابي<sup>(٣)</sup>، ورئيسهم وحامل رأيهم ابن سينا<sup>(٤)</sup>، وغيرهم<sup>(٥)</sup>، يقول ابن سينا في رسالته العرشية: « فوصفه بكونه متكلماً لا يرجع إلى ترديد العبارات، ولا إلى أحاديث النفس، والفكرة المتخيلة المختلفة التي العبارات دلائل عليها، بل فيضان العلوم منه على لوح قلب النبي ﷺ بواسطة القلم النقاش، الذي يعبر عنه بالعقل الفعال، والملك المقرب!!»<sup>(٦)</sup>.

(١) شرح القصيدة النونية للشيخ محمد خليل هراس ١/ ١٤٦.

(٢) كيد الشيطان لابن الجوزي ص ٨١.

(٣) هو معلم الفلسفة الثاني: محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي، وكان له علم بالطب والموسيقى، أوتي ذكاء، وسافر البلدان، ونشر الفلسفة بين أهل القرآن، من مؤلفاته: المدينة الفاضلة، المدخل إلى صناعة الموسيقى، وغيرها، توفي سنة ٣٣٩هـ. انظر: السير ١٥/ ٤١٦.

(٤) هو الشيخ الرئيس في المنطق والفلسفة على التخصيص: الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا أبو علي البلخي، مشارك في أنواع من العلوم، كان باطنياً فلسفياً، تصانيفه كثيرة، منها: القانون في الطب، تقاسيم الحكمة، توفي سنة ٤٢٨هـ. انظر: السير ١٧/ ٥٣١.

(٥) انظر: المجموع ٤/ ٩٩.

(٦) نقلاً عن شرح القصيدة النونية للشيخ محمد خليل هراس ١/ ١٤٦-١٤٧.

فابن سينا، والفيلسوف الفارابي من قبله، والطوسي الرافضي<sup>(١)</sup> من بعده، وابن سبعين<sup>(٢)</sup>، «قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات و تصديقات بحسب ما قبلته منه»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله:

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعا      المسلمين بإفك ذي بهتان  
فراه فيضا فاض من عقل هو الـ      فعال علة هذه الأكوان  
حتى تلقاه زكي فاضل      حسن التخيل جيد التبيان  
فأتى به للعالمين خطابة      ومواعظا عريت عن البرهان<sup>(٤)</sup>

فابن سينا يرى أن الوحي فيض فاض من العقل الفعال على النفوس، وأن هذا الفيض من غير إرادة منه، فإذا أصبحت النفس صافية كالمرآة تنعكس المعاني من العقل الفعال عليها، وتنطبع فيها، ثم إن نفس النبي تتلقى المعاني المجردة، وتجسمها وتنظمها في حروف وألفاظ بديعة، كالخطابة والمواعظ، ليست هي براهين عقلية!!<sup>(٥)</sup>.

وابن سينا كغيره من الفلاسفة يرى أن الله تعالى لا يصدر عنه فعل باختيار منه،

(١) هو الفيلسوف الرافضي: محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، مشارك في أنواع العلوم، وساعد التتار في دخول بغداد، وكان ممدودا من هولاء بالمال، له قواعد العقائد، حواش على كليات قانون ابن سينا، هلك سنة ٦٧٢هـ. انظر: معجم المؤلفين ١١/٢٠٧.

(٢) انظر: منهاج السنة ٨/٥٥، المجموع ١٢/٣٥٣. وابن سبعين هو الصوفي الفلسفي: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الإشبيلي، أبو محمد المشهور بابن سبعين، مشارك في فنون عدة، وانتحل التصوف مع الفلسفة، من تصانيفه الكثيرة: أسرار الحكمة المشرقية، توفي سنة ٦٦٩هـ. انظر: معجم المؤلفين ٥/٩٠.

(٣) معارج القبول ١/٤٨٢، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/٢٠٦، الجواب الصحيح ٥/٣٤٤، ٣/٣١١، منهاج السنة ٢/٣٥٩، ٣٦٢، ٤١٥، الرد على المنطقيين ص ١٤٠-١٤١، ٢٧٧، ٣٣٥، ٢٨٢، شرح الأصبهانية ص ٤١٣، المجموع ٦/٥٤٠، ٧/٦٦١ وما بعدها، ١٢/١٤-٢٩، ٣٥٢، ١٥/٢٢٢، ٣٩٩، لباب العقول ص ٢٥٧.

(٤) النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ١/١٤٥ مع شرح الشيخ محمد خليل هراس.

(٥) انظر: كتابه الشفاء، ص ٣٨٠، وما بعدها، وشرح القصيدة النونية ١/١٤٦، معارج القبول ١/٤٨٨.



وإنما صدر عنه الأفلاك وغيرها بالفيض، فحتى فعله فيض، كما أن قوله عندهم فيض، فيقول ابن سينا: «فلتعلم أن جميع ما سواه هو فعله، وأنه صدر عنه لذاته»<sup>(١)</sup>.

فإذا قالوا: إن الكلام فعل مع قولهم بالفيض، فيعون أنه كما كان منه فعل بدون اختيار، وهو وجود هذه الأفلاك، فكذلك يكون منه وحي يستفاد بصفاء النفس، ويدرك بدون إرادة منه.

وقد قرن ابن القيم رحمته الله ابن رشد بابن سينا<sup>(٢)</sup>، وذلك أنه يدافع عن مقولات الفلاسفة، وينافح عن مقالاتهم الزائفة، ويقول بقولهم حذو القذة بالقذة، لكن بأسلوب متلبس بزي الشرع، وبمسميات لا يتنبه لها.

قال ابن رشد: «وقد يكون من كلام الله ما يلقيه الله إلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، بواسطة البراهين، وبهذه الحجة صح أن القرآن كلام الله»<sup>(٣)</sup>، فابن رشد يرى أن ما عرفه العلماء من العلوم، هو من الفيض الذي توصلوا إليه بواسطة صفاء النفس، ونقاء الذهن، وبهذا الاعتبار صح أن القرآن كلام الله أي باعتبار أنه فيض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم.

فالأمر عندهم لا يعني إثبات فعل الله تعالى، باختياره ومشئته، وكذلك كلامه تعالى إذ شبهوا الكلام بما يعتقدونه هم في الفعل، قال ابن رشد: «الكلام ليس شيئاً أكثر من أن يفعل المتكلم فعلاً يدل به المخاطب على العلم الذي في نفسه، وذلك فعل من جملة أفعال الفاعل...، ولهذا الفعل شرط آخر في الشاهد، وهو أن يكون بواسطة، وهو اللفظ، وإذا كان هذا هكذا، وجب أن يكون هذا الفعل من الله تعالى في نفس من اصطفى من عباده بواسطة ما، إلا أنه ليس يجب أن يكون لفظاً ولا بد مخلوقاً له، بل قد يكون بواسطة ملك، وقد يكون وحيًا بغير واسطة لفظ يخلقه، بل يفعل فعلاً في السامع ينكشف له به ذلك المعنى، وقد يكون بواسطة لفظ يخلقه الله في سمع المختص

(١) الرسالة العرشية له ص ١٣، نقلا عن كتاب ابن تيمية السلفي للشيخ محمد خليل هراس ص ١٥٤.

(٢) الصواعق المرسلة ٣/ ١٠٩٦.

(٣) الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٣، وانظر: مجموع رسائل الجامي ص ٢٦١.

بكلامه سبحانه»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على أن ابن رشد يرى الفيض الفلسفي في كلام الله ﷻ، قوله في تعريف الوحي، حيث يقول: «الوحي هو: وقوع ذلك المعنى في نفس الموحى إليه بغير واسطة لفظ يخلقه، بل بانكشاف ذلك المعنى له بفعل يفعله في نفس المخاطب»<sup>(٢)</sup>.

بل ويصرح بأن كلام الله ﷻ المسموع هو فيض عندهم، ليس بحرف، ولا صوت، بل هو انطباع في النفس، يقول ابن رشد مبينا كيفية الوحي: «بل بانكشاف ذلك المعنى له بفعل يفعله في نفس المخاطب، كما قال ﷺ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِيهِ مَا أَوْحَىٰ» [النجم: ٩-١٠]، ومن وراء حجاب: هو الكلام الذي يكون بواسطة ألفاظ يخلقها في نفس الذي اصطفاها بكلامه»<sup>(٣)</sup>. وصرح بأن الوحي من عند الله هو: «كلامه ألقاه على لسان نبيه»<sup>(٤)</sup>، فيكون النبي هو المرتب للحروف، والنظم بحسب خلقته هو، فتكون هذه الأحرف مخلوقة!!.

هذه أقوال الفلاسفة البحتة، وقد تأثر بهم من درس في مدارسهم، ونهج مناهجهم، ولو كان له مذهب آخر، فقد صار على درب الفلاسفة في القول بالفيض الصوفية الغلاة.

يقول ابن عربي الطائفي مبينا وقت الفيض، وأنه يكون بعد أن يتحقق بأن الوجود واحد<sup>(٥)</sup>: «وهذا هو الاستعداد العزيز المطلوب، الذي لم يقدر عليه أكثر

(١) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٢، فابن رشد يرى أن الكلام الذي فاض ليس بمخلوق، وأما اللفظ الدال عليه فهو مخلوق، وهذا هو عين كلام الأشعرية كما سيأتي وهو بأسلوب آخر، مع أنه يردُّ عليهم، ولكن لعل ذلك الرد لكونهم فضحوا ما قال به الفلاسفة من أن ما أتى به الأنبياء محض تخييل!! والذي يقول عنه ابن رشد وأضرابه أنه أصلح للعامة!!!، وابن رشد يختلف عن الفلاسفة الصوفية من حيث إنه وإن كان يرى الفيض إلا أنه يصرح بأن ألفاظ كلام الله مخلوقة، وأن ألفاظ القرآن مخلوقة!!، وإن كان معناه غير مخلوق!!، وأما أولئك فلا يصرون.

(٢) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٢-٧٣.

(٣) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٢-٧٣.

(٤) مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٢٣.

(٥) وابن عربي الطائفي هو من القائلين بوحدة الوجود، وقد يكون له كلام يخالف الانحدادية، والحلولية، ويردُّ

العقلاء، حتى أنكره بعضهم، أعني أنكر أن يكون له نتيجة، وأقر بها بعضهم، وسماها: الفيض، والروح، لكن عجزوا عن التوصل إليها لغلبة الفكر<sup>(١)</sup>. إذا عند هؤلاء أصحاب الفلسفة الصوفية من أصحاب وحدة الوجود: «النبوة والرسالة فيض إلهي، واصطفاء رباني»<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: هذا الذي فاض على النفس الزكية هل هو مخلوق أم لا؟ فإن الفلاسفة بحسب مدارسهم يختلفون في الجواب، ويفترقون كالمعتاد، على حسب أصولهم، ولم أقف على تصريح لهم في هذا، إلا أن منهم من يُخَرِّجُ قوله أنه سيقول: لا مخلوق، ولا ليس بمخلوق، لقولهم بنفي النقيضين، ومنهم من يقول: بأن ما فاض كلام نفسي غير مخلوق، وما دل عليه من الأحرف فهو مخلوق<sup>(٣)</sup>، ومنهم من يقول بالحلول<sup>(٤)</sup>.

ولهذا يقول ابن رشد مصرحاً بمؤدى القول بالفيض: «تبين لك أن القرآن الذي هو كلام الله قديم، وأن اللفظ الدال عليه مخلوق له سبحانه، لا لبشر»<sup>(٥)</sup>.

والقول بالفيض هو مذهب جمهور فلاسفة الصوفية كالغزالي، وهو رأي فلاسفة المتكلمة كالرازي، ومن القائلين به طائفة من الملاحدة الباطنية: متشيعهم ومتصوفهم<sup>(٦)</sup>.

---

عليهم، فيظن من لا يتروى أنه لا يقول بهذه المذاهب الهدامة، وهو إنما ينكر على تيك الطائفتين، لمخالفتها له في معتقد الوحدة، وهو غارق في وحدة الوجود حتى العظم.

(١) التراجم لابن عربي الطائي ص ١، وانظر: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣١٢، والرازي يرى في المباحث المشرقية هذا الرأي، وهو أن النفس يمكن أن تكون مستعدة للفيض إذا صفت عن الأكدار!!!، انظر: المباحث المشرقية ٢/ ٤٣٣-٤٣٤.

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حبنكة ٤٢/٢.

(٣) وهذا ما صرح به ابن رشد، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢١٠، ٢١٤.

(٤) وهذا ما صرح به فلاسفة المتصوفة، كما ستراه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٥) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٣.

(٦) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٦٢، وهؤلاء يقولون بالفيض في بعض كتبهم.

## خامسا: شبههم والرد عليها.

ولهم شبه في القول بالفيض في كلام الله ﷻ، وأن القرآن فيضٌ على محمد ﷺ، وأذكر هذه الشبه سواء كانت من فلاسفة الصوفية<sup>(١)</sup>، أم من الفلاسفة أنفسهم، ومن هذه الشبه:

الشبهة الأولى: قالوا بالفيض دون إثبات صفة قائمة بذات الرب ﷻ، أو صفة منفصلة عنه، لكونهم يرون في الصفات سلب النقيضين، فيقولون: أحكام الصفات لا سبيل للتعرض لها، لا نفيا، ولا إثباتا، فهم ينفون عنه قيام صفاته بذاته، وينفون عنه عدم ذلك!!<sup>(٢)</sup> ويقولون: «التوحيد: إثبات الواحد من غير مشاركة في وصف، ولا نعت، ومنهم من قال: التوحيد: إثبات عين بلا وصف، ولا نعت»<sup>(٣)</sup>. ويقولون عن الصفات: «لا موجودة، ولا معدومة!!، ولا محدثة، ولا قديمة!!، ولكنها في القديم قديمة!!، وفي المحدث محدثة تعقل، ولا توجد بذاتها!!»<sup>(٤)</sup>.

ويقول فيلسوفهم: «إن العقول تعرف الله من حيث كونه موجودا، ومن حيث السلب لا من حيث الإثبات»<sup>(٥)</sup>.

وهذا عين ما قرره ابن سينا، من أن الله: «هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق»<sup>(٦)</sup>، وليس له عندهم صفة ثبوتية تقوم به، ولا يفعل شيئا باختياره البتة،... ولا له كلام يقوم به»<sup>(٧)</sup>.

## والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

١ - أن لهم كلاما مناقضا لهذا المعتقد من حيث إثباتهم للأسماء وبعض

(١) وأما ما يتعلق بشبههم في القول بالحلول في مسألة الكلام، فأذكرها مع الرد عليها في المبحث التالي.

(٢) انظر: الجلالة لابن عربي الطائفي ص ١١.

(٣) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي الطائفي ص ٤.

(٤) الأزل لابن عربي الطائفي ص ٩.

(٥) رسالة ابن عربي الطائفي للرازي ص ٢.

(٦) ذكره ابن الجوزي كما في كيد الشيطان ص ٨٠.

(٧) كيد الشيطان لابن الجوزي ص ٨٠.

الصفات، كما يقول ابن عربي الطائي في "رسالة لا يعول عليها": «المعرفة بالله معرفة من الأسماء الإلهية، لا يعول عليها»<sup>(١)</sup>، ويقول: «تنزيه الحق مطلقا عن صفات الخلق لا يعول عليه، فإنه يؤدي إلى نفي ما أثبتته، ورفع»<sup>(٢)</sup>. فمرة ينفون، ومرة يثبتون، ومرة لا، ولا!!!، فهؤلاء القوم من أشد الناس تناقضا<sup>(٣)</sup>، ويكفيهم ضلالا، تقلباتهم في معتقداتهم، وعدم ثباتهم في أقوالهم، أما أهل السنة من السلف والخلف فهم ثابتون على ما ورد من الكتاب، ومعتقدون بما جاء في السنة من الصواب.

٢- كذلك قولهم: بأن الله هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق هذا في حد ذاته وصف، وهم لا يثبتون الصفات، فكفاهم بهذا تناقضا.

٣- كونهم لم يثبتوا الصفات، ولا نفوها: يلزم منه العدم، إذ سلب النقيضين عدم، والعدم نفي محض، ليس فيه مدح، وأنقل الكلام الذي قرره الفيلسوف الصوفي ابن عربي الطائي فهو يصلح ردا عليه، وعلى أمثاله، إذ يقول: «ويلزمكم شناعة، وهو: أنكم نعمتم الباري بالعدم، والعدم لا ينعت به، وهو محال على الله»<sup>(٤)</sup>.

٤- أن نفي النقيضين عدم محض، وخيال مقدر في الذهن، ولا حقيقة له في الخارج، وهذا قول الملاحدة، المنكرين للرب ﷻ<sup>(٥)</sup>.

٥- أن قيام الصفة في العبد المخلوق يعني أنها صفته، سواء اكتسبها بفيض، أو منام، فهذا يعني أن الله لم يتكلم، وليس القرآن كلام الله، وهذا يكفيهم ضلالا، ويتبين ضلالهم أكثر إذا علمنا أنهم يعلمون أن نفي الصفة عن محل، وإثباتها في محل آخر، يعني قيام تلك الصفة في المحل القائم به، إذ المعاني إنما تجب أحكامها بمن قامت به<sup>(٦)</sup>. ومع هذا الذي قرروه فإنهم ينعنون الباري بنفي النقيضين، وينفي قيام صفة الكلام به

(١) ص ٣.

(٢) لا يعول عليه لابن عربي الطائي ص ٤.

(٣) انظر: درة تعارض العقل والنقل ١٠/٢١٥، المجموع ١١/٦٠٦.

(٤) الأزل لابن عربي الطائي ص ٣.

(٥) انظر: كيد الشيطان ص ٨٠.

(٦) الأزل لابن عربي الطائي ص ٤.

إلا على وجه لا اختيار له فيه، كما يفيض الماء في الوادي من غير اختيار منه.

٦- أن قيام صفة الكلام بالباري من غير مشيئة منه، فيه تشبيه له بال مخلوقات التي لا إرادة لها<sup>(١)</sup>، وتشبيه لصفته بالصفات التي تكون من غير إرادة، وهذا نقص وعيب، يجب نفيه عن الله ﷻ بلا ريب، فمثلاً: الوجه يدل على الخجل إذا كان محمراً، وعلى الوجل والخوف إذا كان مصفراً، وذلك يكون من دون اختيار، فتشبيه صفة الكلام بأنه من غير اختيار كهذا تشبيه سيء، ومعلوم أن الله ﷻ إنما يكون منه الكلام اختياراً، ويسمعه من يشاء اختياراً، ويمنعه ممن يشاء اختياراً، فلا وجه إذاً للفيض في كلام الله ﷻ<sup>(٢)</sup>، ثم إن أساطين الفلاسفة «متفقون على إثبات الصفات، والأفعال الاختيارية له تعالى»<sup>(٣)</sup>، وإنما القول بنفي إرادته في أفعاله وأقواله، ونفي صفاته وأسماءه ناشئ من قول أرسطو ومن تبعه<sup>(٤)</sup>.

٧- أن إثبات صفة الكلام لله ﷻ، والقول بأنه فيض، يشبه كلام القدرية، المثبتين لله ﷻ القدرة، وينفون عنه الاختيار في قدرة العبد، ويقولون: لا مشيئة نافذة لله ﷻ في أفعال العباد<sup>(٥)</sup>.

الشبهة الثانية: من شبهاتهم في القول بالفيض: أنه لا يلزم من المتكلم أن يكون له كلام بصوت وحرف، كما يقول رئيسهم ابن عربي: «ليس الناطق من كلمك بصوته وحرفه!!، وإنما الناطق من كان في قوته أن يوصل إليك ما عنده من المعاني، ولا تقل على هذا: إن الوجود بهذا الاعتبار ناطق! هذا فهمك، لا نطقه، والذي قلناه نطقه!!!»<sup>(٦)</sup>.

والجواب:

١- أنه يلزم من هذا أن الأخرس إذا استطاع أن يوصل المعلومة إلى المتكلمين

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص ٢٤١.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠ / ٢٠١.

(٣) كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام ص ٧٧.

(٤) انظر: كيد الشيطان لابن الجوزي ص ٧٦-٧٨.

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠ / ٢٠١.

(٦) التراجم لابن عربي الطائفي ص ٢٩.

بإشارة ونحوها: أنه متكلم!!، وإن تكلم عنه فلان وعلان!!.

٢- أن الكلام من غير صوت وحرف، هو الكلام النفسي، فكيف يفيض حينئذ، وهو نفسي لا يدرك، ولا يعرف؟؟.

٣- أين في الكتاب والسنة ما يدل على أن الله يتكلم بلا صوت ولا حرف؟؟، وأن هذا نطقه؟؟، بل الكتاب والسنة، والشرائع كلها تدل على أن الله متكلم بصوت وحرف<sup>(١)</sup>.

٤- أن الذي يفيض على النفوس كل واحد يدرك أنه من جنس الخيال، الذي يكون في البال، أو في المنام مع الانشغال بالحال، وأما القرآن فهو كلام الله فوق البيان، الذي لا يشبه كلام العقلاء من ذوي الأسنان، فكيف يشبه بالهذيان، الذي يكون من جنس كلام الكهان.

٥- أن مما يدل على بطلان قولهم بالفيض: اختلافهم في تحديد المكان الذي يفيض منه هذا الكلام لو كان كذلك!!، فتارة يقولون: هو يفيض من العقل الفعال، وتارة يقولون: هو فيض من الأفلاك، ثم يختلفون في تحديد هذا الفلك، هل هو العاشر، أم هو...!! وقولهم بإثبات العقول العشرة أساسا باطل وضلال، لم يعرفه إلا الفلاسفة أهل الإلحاد والانحلال<sup>(٢)</sup>.

٦- أن الكلام الذي جاء في القرآن، لا يشبهه كلام إنس ولا جان، فكيف يكون هذيانا من الخيال؟؟، أم كيف يكون إدراكا من غير مقال.

الشبهة الثالثة: من شبهاتهم: ما يذكره ابن عربي الطائفي الوجودي حيث يقول: «فأما كونه لا يزال ينزل على قلوب العباد، لما قام الدليل على استحالة إقامة العرض زمانين<sup>(٣)</sup>، وقام الدليل على استحالة انتقاله من محل إلى محل، وأن حفظ زيد لا ينتقل إلى

(١) ذكرت الأدلة على أن الله يتكلم بصوت وحرف، في الفصل الأول من الباب الأول.

(٢) انظر: الصفدية ١/٩، ٢/٢٥٢، المجموع ١٢/٤٢.

(٣) ويقولون في تعريف العرض: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى محل يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى

عمرو، فعند ما تسمع الأذن الملقن يلقي الآية عليها: أنزلها الله على قلبه فوعاها، فإن كان الملقن في شغل عاد الملقن فعاد الإنزال، فالقرآن لا يزال منزلاً أبداً، فلو قال إنسان: أنزل الله على القرآن لم يكن كاذباً، فإن القرآن لا يزال يسافر إلى قلوب الحافظين له<sup>(١)</sup>.

والجواب:

١ - يكفي هذا القول عارا وشناراً، أنه يؤدي إلى أن كل واحد من أحاد الأمة سيزعم أن القرآن أنزل عليه، وأنه رسول يوحى إليه!!.

٢ - أن انتقال العرض في ذات من محل إلى محل ليس بصواب، على ما ذكر هو في الجواب، ولكن نزول القرآن على نبينا ﷺ ليس هو انتقال عرض من مكان إلى مكان، بل هو كالعلم يتعلم، ويكتب، فالعلم لا يزال يكون عند فلان ثم يعلم آخر، ولا ينتقل علمه بحيث يصبح جاهلاً، فالكلام لا ينتقل من محل إلى محل، إلا من حيث وسيلة الأداء، فتارة مكتوب، وتارة مسموع، وتارة مقروء، والكلام هو الكلام، لم يتغير بتغير الوسائل فدل على أنه لا ينتقل، ولا يكون ملازماً للنزول، وكيف يكون ينزل - ولا يزال ينزل - وقد نزل على النبي ﷺ، وإنما العباد يتعلمون ما نزل، ويقرؤون ما نزل، وليس في ذلك أي استحالة.

٣ - إذا كان القرآن لا يزال ينزل عند قراءة كل قارئ فأبي اختصاص لمحمد ﷺ في نزوله عليه؟؟.

٤ - أن هذا القول يلزم منه أن من أخطأ في التلاوة يكون المنزل نزل خطأ!! وهذا معلوم بطلانه، فدل فساد اللازم على فساد الملزوم.

الشبهة الرابعة: ومن شبههم: أنهم شبهوا صفة الكلام بالعلم تماماً، كما هو واضح من كلام الفيلسفي المتكلم ابن رشد<sup>(٢)</sup>.

=  
محل يقوم به، والزمان: هو الوقت، ويعنون بقولهم: يستحيل وجود العرض في زمانين، أي: يستحيل أن يوجد كلام: (وهو عرض) في زمانين، زمن التكلم وزمن آخر. انظر: التعريفات للجرجاني ص ١١٤، ١٤٨.

(١) الإسفار عن نتائج الأسفار لابن عربي الطائفي ص ١٦.

(٢) انظر: فصل المقال له ص ٤٢.



## والجواب:

١- أن تشبيه الكلام بالعلم من كل وجه يعني أنه هو، ويلزم منه نفي الكلام، وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

٢- يلزم من هذا أن كل من علمه الله شيئاً أن يكون قد كلمه الله ﷻ، وهذا معلوم البطلان، وينكره كل ذي لب فهان<sup>(١)</sup>.

٣- أن القرآن ليس هو علم الله ﷻ بدليل أن من علم القرآن، وحفظه، فإنه لا يكون عالماً بكل علم الله ﷻ، بل القرآن من علم الله، والكلام من العلم، ويكون بعلم<sup>(٢)</sup>.  
الشبهة الخامسة: أن الإحياء عندهم هو الفيض، وهذا يعني أنه لا فرق بينهما!!<sup>(٣)</sup>.

## والجواب:

١- أن الإحياء إذا كان هو الكلام، يلزم منه أن الله ﷻ يكون كلم النحلة، لأنه قال: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]، وهذا لم يقل به أحد من السلف، ولا من الخلف.

٢- أن الإحياء قد يكون بمعنى الأمر بالتزام ما أوحى ونُزل، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنِ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] فالإحياء قد يكون بمعنى الإعلام بأي طريق كان، وليس مقصوراً على الكلام، ولا الكلام من جنسه<sup>(٤)</sup>.

٣- أن كلام الله ﷻ إذا كان هو إحياء علمياً، فما هو وجه تخصيص موسى بالتكليم، وقد وردت نصوص من الكتاب والسنة تدل على أن الله ﷻ، أوحى إلى أنبيائه، لا بوحى مجرد هو إعلام، ولكن بوحى يكون بواسطة أو بلا واسطة فيه كلام،

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٠١.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢١٥.

(٣) وهذا الذي ذنن حوله ابن رشد، انظر كلامه حول هذه المسألة في مناهج الأدلة ص ٧٢-٧٣، ١٢٣.

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٠٣.

هو أمر ونهي<sup>(١)</sup>، ومن تلکم الأدلة، قوله ﷺ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٤]، وقال: ﴿تِلْكَ الْأَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَفْرَأَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنُنِي فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [طه: ٢٥] قال ينموسى إني أصطفيتك على الناس برسلتي وبكلمتي فخذ ما آتيتك وكن من الشكرين [الأعراف: ١٤٣-١٤٤] فهذه الآيات صريحة في أن الله يصطفي من يشاء فيكلمه، ومنهم كلمه موسى، وأما إذا كان المراد هو حدوث الأصوات في نفس المكلم فهذا يحصل لأحد الناس فيسمعون في أنفسهم هتافات، ونداءات فيكونوا مشاركين إذا مع كلم الله موسى في الإجابة، فضلا عن الأنبياء<sup>(٢)</sup>.

٤- أن قوله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأِذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١] «يقضي أن التكليم من وراء حجاب نوع غير الوحي، وأن المكلم بذلك محجوب أن يرى الله، لأن التكليم المسموع قد يكون من وراء حجاب، كموسى إذ سمع كلام الله، أو يكون كلاما بدون حجاب، كما جاء في الحديث: [ليقفن أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجاب، ولا ترجمان يترجم له]<sup>(٣)</sup> فلو كان الكلام المسموع هو شيئا قائما بالمستمع، لا وجود له في الخارج، لكان من جنس الوحي الذي لا يحسن أن يقال معه: من وراء حجاب، فإن

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢١١.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢١٢.

(٣) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب: الصدقة قبل الرد، ح(١٤١٣)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة...، ح(١٠١٦)، كلاهما عن عدي بن حاتم ؓ، واللفظ للبخاري.

صاحب هذا لم يسمع شيئاً منفصلاً عنه يمكن مشاهدة المتكلم به تارة، وحجب المستمع عنه أخرى<sup>(١)</sup>.

٥- أنهم لم يقيموا دليلاً معقولاً، ولا منقولاً على هذه الدعوى، إلا مجرد أقوال مبنية مسبقاً، على نتائج لمقدمات فاسدة<sup>(٢)</sup>.

٦- أن من اطلع على أقوالهم في مسائل الاعتقاد يعرف بعدهم عن الدين وأنهم ليسوا أهلاً للاعتماد، فالفلاسفة يقولون: بأن الرسول يأخذ من الخيال!!، وأن اللوح والقلم وجبريل صور في نفس النبي!!، وأن الله لا يعلم الجزئيات!!، وأن المعاد ليس على حقيقته، بل هو خيال!!، فمن اطلع على هذه العقائد التي صرحوا بها في كتبهم، يتقن بأن القوم لا علم لهم بالشرعيات، وأنهم فيه من أهل الترهات<sup>(٣)</sup>.

٧- من الأدلة على بطلان قولهم: ما يلزم على قولهم من اللوازم الفاسدة، لأن من نفى أن يكون هناك كلام حقيقي من الله ﷻ لرسله، لزم منه نفي النبوة، ونفي نزول الملك بالوحي!!<sup>(٤)</sup>.

٨- مما يدل على شناعة أقوالهم وبعدهم عن هدي القرآن، أنهم يقولون: بأن القرآن جاء بالتخييل!!، وليس كل ما فيه حقيقة، بل ويقولون: إن هذا التخييل لمصلحة الجمهور عامة الناس!!، وأما الخواص فحقهم التأويل!!<sup>(٥)</sup>.

٩- مما يدل على بطلان قولهم هذا، أنهم جعلوا من أنفسهم عدلاء كالأنبياء، يمكنهم الإدراك من اللوح المحفوظ، ويسمونها النفس الفلكية، والاطلاع على

(١) درء تعارض العقل والنقل ١٠/٢١٣.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/٢١٦.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/١٠، ٢٠٦، الجواب الصحيح ٥/٣٤٤، ٣/٣١١، منهاج السنة ٢/٣٥٩، ٣٦٢، ٤١٥، الرد على المنطقيين ص ٢٧٧، شرح الأصبهانية ص ٤١٣، المجموع ٦/٥٤٠، ٧/٦٦١ وما بعدها، ١٠/٢٣٢، ١٢/١٤-٢٩، ١٥/٢٢٢، ٣٩٩، لباب العقول ص ٢٥٧.

(٤) انظر: منهاج السنة ٢/٤١٥-٤٣٥، الرد على المنطقيين ص ٤٤٤، ٤٨٦، الصفدية ٢/٢٢٧.

(٥) انظر: منهاج السنة ٥/٤٣٣، الرد على المنطقيين ص ٢٧٧-٢٧٨، ٤٧١، المجموع ٢/٤٩، ١٢/٣٠.

الغيب!!، عن طريق العقل الفياض!!<sup>(١)</sup>.

فبعد هذا يتبين بجلاء أن من ادعى أنه يُفاض عليه، أو أن موسى سمع شيئاً في نفسه، أنه ما أعطاه الاختصاص الذي أعطاه الله إياه، وهذا ليس هو بالتكليم الحقيقي الذي خص به موسى، بل ليس هو التكليم الحقيقي عند أحد من الأمم، ولا يعقل أحد في التكليم هذا، وإنما هذا من جنس المنامات، وغايته أن يكون من جنس الإيحاء، والإنسان قد يرى في منامه أن الله خاطبه بكلام كثير يسمعه، فإن كان هذا كلاماً حقيقياً لله، فما أكثر الكلام الحقيقي لله!!، وما أكثر تكليمه بكلام حقيقي لآحاد الناس!!<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وكما أن إخباره عن أمور الغيب يدل على نبوته، فإنه يدل على أن النبوة إنباء من الله، ليس ذلك كما يقوله بعض المتفلسفة، كابن سينا، وأمثاله: إنه فيض فاض عليه من النفس الفلكية، أو العقل الفعال، ويقولون: إن النفس أو العقل، هو اللوح المحفوظ، وأن من اتصلت نفسه به علم ما علمته الأنبياء!!!، ويقولون: النبوة مكتسبة؛ لأن هذه صفتها، ويقولون: إن سبب علمه بالغيب هو اتصال نفسه بالنفس الفلكية، وزعموا: أنها اللوح المحفوظ، وأن تحريكها للفلك هو سبب حدوث الحوادث في الأرض!!»<sup>(٣)</sup>. فهذا خلاصة قول هؤلاء أصحاب الفيوض!!، وهو أن المالك القادر لهذا الوجود، عندهم ليس من أهل الكلام والجود<sup>(٤)</sup>.

والقول بالفيض يلزم منه أن كل ما يخطر بالفكر، ويتكلم به الإنسان بلسان الذكر أن يكون كلاماً لله تعالى، وهذا الذي التزمه الصوفية الغلاة، والقائلون بالحلول في كلام الله، وأبينه في المبحث الآتي.

(١) انظر: الرد على المنطقيين ص ٤٧٤-٤٧٥، الصفدية ١/٢٤٩-٢٥٠.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/٢١٣.

(٣) الجواب الصحيح ٥/٣٤٤.

(٤) انظر: الصفدية ٢/٦١، المجموع ١٢/٢٩.

## المبحث الثاني: القول بالحلول في القرآن

ولتجلية هذه المسألة أذكر أمورا على سبيل التوضيح والتبيين، وهي:

### أولا: معنى الحلول.

الحلول في اللغة مصدر من (حَلَّ)، ومعناه في الأصل: فتح الشيء، قال ابن فارس رحمه الله: «الحاء، واللام له فروع كثيرة، ومسائل، وأصلها كلها عندي: فتح الشيء، لا يُشَدُّ عنه، يقال: حللت العقدة أحلها حلا»<sup>(١)</sup>.

فحل بمعنى: فتحت عقده بعد ما كان مشدودا، ومسائله كثيرة، ومن هذا الباب: حل فلان في كذا أي نزل؛ «لأن المسافر يُشَدُّ ويعقد»<sup>(٢)</sup>، فينزل في محلة كذا وكذا.

فمن معاني الحلول في اللغة النزول، وإذا كان كذلك؛ فإن القرآن على هذا المعنى يصح أن يقال عنه: إنه حل في الأرض؛ لأنه نزل من رب العزة جل وعلا، وحل في مصاحف المسلمين؛ لأنه بكتابتها صار نازلا فيها، وحل في القلوب، إذا حفظ.

وليس في اللغة أن الحلول معناه أن يصير الشئان شيئا واحدا، وإنما تأتي حل بمعنى نزل، وبمعنى البدلية أي: حل فلان مكان فلان حلولا، إذا نزل عنده أو مكانه<sup>(٣)</sup>.

وحل الشيء في كذا إذا نزل فيه، فإن في لا تفيد الظرفية مطلقا، بل تكون في كل موضع بحسبه، فحرف "في" التي يسميها النحاة ظرفا، يستعمل في كل موضع بحسب المعنى المناسب لذلك الموضع<sup>(٤)</sup>.

(١) مقاييس اللغة ص ٢٤٦، وانظر: المفردات للراغب ص ١٣٥، لسان العرب ٣/ ٣٠٠.

(٢) مقاييس اللغة ص ٢٤٦، وانظر: المفردات للراغب ص ١٣٥، لسان العرب ٣/ ٢٩٥.

(٣) انظر: المصباح المنير ص ١٤٧، لسان العرب ٣/ ٢٩٥.

(٤) انظر: الانتصار للعمري ٢/ ٥٩٤-٥٩٥، الجواب الصحيح ٤/ ٣٣٠، المجموع ١٢/ ٣٩٠.

ومعنى قول القائلين بالحلول في القرآن هو: أن الذي نسمعه هو صوت الخالق!!!، فصار صوت الخالق عند هؤلاء مكان صوت العبد، أو أن الصوتين: صوت الرب، وصوت العبد صاروا واحداً<sup>(١)</sup>.

ومن قال بهذا القول فإنه يسمى اتحادياً، وهو مذهب الحلولية، وأهل الوحدة<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: سبب القول بالحلول في مسألة القرآن الكريم.

لما نشأت الجهمية والمعتزلة القائلون بأن القرآن مخلوق، وكان من أسباب نشأتهم ظنهم أن المؤدي لهذا الكلام وهو العبد مخلوق فيكون المؤدى مخلوقاً، فنظروا إلى الوسائط دون النظر إلى المقول والمتكلم به، ونشأ أقوام يردون عليهم بحق وباطل وقالوا: إن من قرأ القرآن فإن الصوت المسموع منه يكون هو صوت الرب، وذلك لأنهم نظروا إلى أن الكلام كلام الله، فظنوا أنه مادام كلام الله فيكون الصوت صوته، ولو أداه الوسائط، فأغفل الوسائط التي بها نسمع كلام الله، فكان سبب ضلال الفرقتين ضلالهم في عدم الفرق بين الكلام إذا سمع من المتكلم مباشرة، وإذا سمع بواسطة.

وكان هناك أقوام آخرون نشأ عندهم القول بالحلول، بناء على آراء فلسفية، وكشوفات صوفية، فهؤلاء أصل منشأ ضلالهم: القول بالحلول، أو القول بوحدة الوجود، أو القول بالاتحاد.

### ثالثاً: أقوال المتقولين بأن القرآن يحل في المخلوقين.

والقائلون بالحلول يمكن أن يقسموا إلى صنفين، مع ذكر أقوالهم:

القسم الأول: من قال بحلول صوت الرب في العبد، لاعتقاد أن الرب حل في العبد!!، أو اتحد به!!، أو لاعتقاد وحدة الوجود!!.

وهو قول الصوفية الحلولية، وأهل وحدة الوجود، والاتحادية، كابن سبعين،

(١) انظر: المجموع ٧٩/١٢

(٢) انظر: المجموع ٥٩٤/١٢

والفارابي، وابن عربي الطائفي، والقنوي، ومن هنا نحوهم<sup>(١)</sup>.

قال ابن عربي: « ومنهم من قال: من سمعه سمع كل شيء...، ومنهم من قال: من سمعه في شيء، ولم يسمعه في شيء، فما سمعه<sup>(٢)</sup>، فما ثم متكلم إلا هو!!!<sup>(٣)</sup> وقال: « ومنهم من قال: إنه سمعه يقرأ الكتب المنزلة، و الصحف، وكل كلام ظهر من العالم بلسان واحد، ومنهم من قال: سمعت الأذان عبارات محمد ﷺ، وسمع السمع كلام الحق ﷻ، ومنهم من قال: العبارات والدلالات للتوصل والكلام وراء ذلك، والسمع يتبع الكلام، فالسمع وراء ذلك كله<sup>(٤)</sup>، وقال: « لا لسان يتميز، بل الألسنة كلها لسانه!!، فخطابه كله إليه منه!!<sup>(٥)</sup> وسموا هذا توحيداً، فقالوا في تعريفه: « التوحيد: أنا، والمتكلم: الحق<sup>(٦)</sup>، ويقول: « يجب على الإنسان استعمال الذكر المنسوب إلى الحق، وهو القرآن، وانظر: بأي لسان تتلوه فإن السكينة تنزل بالقرآن بحسب الألسنة<sup>(٧)</sup>.

ويرون أن الارتباط بين الرب وبين العبد لم يزل ولا يزال، فكل ما ظهر من المحدث فهو من المحدث، وعلى هذا فكلامه إذا ظهر فإنما هو قديم ظهر على لسان المحدث، يقول ابن عربي: «إنما هو ارتباط محدث بقديم، أو ممكن بواجب، أو واجب وجود بغير واجب الوجود بذاته ليس إلا<sup>(٨)</sup>.

ويقول شاعرهم وفيلسوفهم ابن عربي الطائفي:

أنا القرآن والسبع المثاني      وروح الروح لا روح الأواني  
فؤادي عند معلوم مقيم      أشاهده وعندكم لساني<sup>(٩)</sup>

(١) انظر: منهاج السنة ٨/ ٥٥.

(٢) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٣.

(٣) انظر: الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٣.

(٤) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٣.

(٥) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٤.

(٦) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٤.

(٧) التراجم لابن عربي ص ٢٥.

(٨) الأزل لابن عربي ص ٧.

(٩) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص ٤.

ويقول:

وكذا الحياة وقدرتي      والذات ذاتك أدعي  
والقول قولك والإرا      دة مثله قَطَّلَع<sup>(١)</sup>

ولأنهم يرون: أن كل كلام في الوجود كلامه، ولا يرون أن ثم متكلماً مخصوصاً، ولا ثم مخصوص بالكلام، بل عندهم يمكن لكل أحد أن يكون متكلماً ومُكَلِّماً، قال ابن عربي: «ثم قال لي يا عبدي<sup>(٢)</sup>: لا تحد حد الكلام؛ فإنني المكلم والمكلم، ومني الكلام، فلا يحمل الكلام سواي<sup>(٣)</sup>».

وعندهم أن كل عارف يمكن أن يكون مخاطباً بالواد المقدس، كما يقول شاعرهم:

خلعت نعلي بواد العلى      وجئت بالباء لميعاد...  
وقلت بالعلم لهم مُفَصِّحاً      أخطب الحاضر والباد<sup>(٤)</sup>

ولهذا صرح بعض غلاتهم بصحة الصلاة لو قرأ فيه شيء من أبيات الشعر، بناء على قوهم الفاسد، بأن كل كلام في الوجود كلامه<sup>(٥)</sup>.

(١) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص ٦٨.

(٢) وهذا صريح منه بأنه يرى الوحي، وأنه يوحى إليه!!.

(٣) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص ٥٣.

(٤) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي الطائي ص ١٠-١١، وانظر منه: ص ٣٦، حيث يقول:

واعكف بشاطئ واد القدس مرتقبا      واخلع نعليك تحظى بالمناجاة!!!

فالقوم بعد أن ادعوا الاتحاد والحلول مع الرب!!! - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - يريدون أن يثبتوا أنهم هم المرسلون، وهم المرسلين!!!، حتى تجتمع عندهم المتناقضات، وتظهر عندهم الكفريات، ولا يبقى في شك من أمرهم من لا يعرف الخبايا من مثل هذه المقالات، والحمد لله على الإسلام والسنة ونسأل الله الثبات.

(٥) ونظام الخبر: أن الملا جامي لما قدم قونية على أحفاد الجلال الرومي، تقدم أحد المريدين وصلى: فقال في الركعة الأولى أبياتا من المتنوي معناها: أتدري ما فعلت بفؤادي الجريح، أتدري؟ أرئيتي محياك، فعدتُ أعبد النار، وقرأ في الثانية وهو يجهر بها كذلك: أيا هامة إن كنت قد أزمعت رجلا من سطح قصر تلك الحورية، فخذني إليها ما أكتبه بدماء القلب هذا، فسأل أحدهم الجامي: أصحت الصلاة؟؟ فقال: إن كان المأموم مثلي والإمام مثل الجلبي حسام، فقد صحت، وانتهى الأمر. عبد الباقي كوليينارلي: المولوية بعد مولانا ص ٢١٨، نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧٢-٣٧٣.



وربما يصرحون: بأن القرآن قديم في القديم، ومحدث في المحدثين، كما يقول ابن عربي في بيان الصفات: «ولكنها في القديم قديمة، وفي المحدث محدثة، تعقل ولا توجد بذاتها»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان ليس ثم مكلم ومكلم، إذا ليس ثم موحى، ولا ثم وحي، ولا موحى إليه، ولهذا صرح ابن عربي بأن القرآن من نظم العبد، وهو الرب بزعمه!! فيقول: «عبدى أعطتك القوافي زمامها، ورفعت لك المعاني معالمها، فجريت سابقاً في حضرة الناظم، والناثر!!! فقالوا: ما هذا رسول بل هو شاعر!!، عبدى: كشفت لك عن النور المبين، وأطلعتهم على علم اليقين، فقالوا: إن هذا إلا زبر الأولين!!»<sup>(٢)</sup>.

ويقولون: «عبدى: بلغ عني، وقولي الحق، وخاطب بلسان أهل الجمع والفرق، فأنا المتكلم، وأنت اللافظ، وأنت المبلغ، وأنا الحافظ»<sup>(٣)</sup>.

وهم يرون الحلول؛ لأنهم لا يرون إثبات ذات الله ﷻ منفرداً عن الخلق، بل يقولون: بالحلول ووحدة الوجود، يقول ابن عربي: «وكم قلت:

الرب عبد والعبد حق      يا ليت شعري من المكلف  
إن قلت عبد فذاك نفي      أو قلت رب، فما يكلف»<sup>(٤)</sup>.

وأصحاب هذا القول يرون أن أفعالهم، ومنها كلامهم، أفعال الله حقيقة - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - وأن كلامهم كذلك، فكيف بما يتلونه من القرآن!!، يقول ابن عربي: «وكم قلت:

أنا مجبور، ولا فعل لي      فالذي أفعله باضطراري  
والذي أسند فعلي له      ليس في أفعاله بالخيار

(١) الأزل لابن عربي ص ٩.

(٢) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص ٧٣.

(٣) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص ٧٦.

(٤) الجلالة لابن عربي الطائي ص ١٢.

أنا إن قلت: أنا، قال: لا وهو إن قال: أنا، لم يغار»<sup>(١)</sup>.

وإن كان هذا الحلول لا يعولون عليه بحجة أنهم عارفون بالله، ويأخذون عن الله، ويسمعون عن الله، القديم من القديم!!، يقول ابن عربي: «السماح من الحق في الأشياء لا يعول عليه العارف!!»<sup>(٢)</sup>، فالقوم لا يرون السماح المقيد، بل يريدون السماح المطلق!!، وهو الذي كان من الله ﷻ لكليمه موسى، ولخليله ولنبيه محمد ﷺ في ليلة الإسراء.

وابن عربي يبين أن القرآن يحل في المحدثين، وهذا يعني أنه قائم بهم، وأن الصفات تنتقل من الرب الأول الخالق، إلى العبد المخلوق!!، فيقول: «نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم نزل منها على قلب محمد ﷺ نجوما، وهذا سفر لا يزال أبدا، ما دام متلوا بالألسنة سرا وعلانية، وليلة القدر الباقية على الحقيقة في حق العبد هي نفسه إذا صفت وزكت»<sup>(٣)</sup>.

ويقول مبينا لماذا كان معجزا، لأنه يسمع من الله!!!، فيقول: «معجزته القرآن، والجمعية إعجاز على أمر واحد لما هو الإنسان عليه من الحقائق المختلفة كالقرآن بالآيات المختلفة بما هو كلام الله مطلقا!!، وبما هو كلام الله، وحكاية الله فمن كونه كلام الله مطلقا هو معجز»<sup>(٤)</sup>.

وهم زعموا أن المتكلم بالقرآن والتالي للقرآن هو العبد لكونهم اعتقدوا الحلول<sup>(٥)</sup>. واطرد الصوفية الغلاة من الحلولية، وأهل وحدة الوجود، قاعدتهم في أن المسموع هو كلام الله، فادعوا أن كل مسموع من الكلام هو كلام الله!! حتى قال ابن عربي الطائي الفيلسوف الصوفي: «الله قد أبان لنا أن هوية الحق سمع العبد!!، وبصره!! وجميع قواه!!، والعبد ما هو إلا بقواه، فما هو إلا بالحق، فظاهره صورة

(١) الجلالة لابن عربي ص ١٢، وانظر: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣١٢.

(٢) لا يعول عليه لابن عربي ص ٢.

(٣) الإسفار عن نتائج الأسفار لابن عربي ص ١٥.

(٤) نقش الفصوص لابن عربي ص ١٢.

(٥) انظر: الدر النضيد لابن الحفيد ص ١٨٣.

خلقية محدودة، وباطنه هوية الحق غير محدودة للصورة...

ألا كل قول في الوجود كلامه      سواء علينا نشره ونظامه  
يعم به أسمع كل مكون      فمنه إليه بدؤه وختامه  
ولا سامع غير الذي كان قائلاً      فمندرج في الجهر منه اكتتامه  
فتستره ألفاظنا بحروفها      فما فيه من ضوء فذاك ظلامه<sup>(١)</sup>.

فخلاصة قول هؤلاء: أن القرآن أو التوراة، أو الإنجيل حل في القراء، أو اتحد بهم، وأن كلام الخالق حل في المخلوق، واتحد به، وصار المحدث هو المتكلم بكلام الخالق!!<sup>(٢)</sup>.

القسم الثاني: من قال بحلول صوت الرب في العبد، وإغفال الوسائط، وهم لا يعتقدون الحلول والاتحاد، وإنما كان ذلك لازم قولهم، أو من إغفال ما ترتب على عدم التفريق بين التلاوة والمتلو، وهم من المخالفين للسلف - ولا ريب -، وكانوا يقولون: إن التلاوة هي المتلو، وأن نفس ما تكلم الله به من الحروف والأصوات هي الأصوات المسموعة من القراء!!، حتى يجعل الصوت المسموع من العبد هو صوت الرب<sup>(٣)</sup>.

وهذا نُسب إلى بعض أهل الحديث<sup>(٤)</sup>، ولكن لا يعرف أحد منهم يقول بمثل هذا القول، ولا يُشبه هذا القول قول أهل الحديث، المتمسكين بالآثار، لكن ربما ينقل بعضهم هذا من لوازم بعض النقولات عنهم في الأخبار، فيخطئ عليهم.

وهو قول لبعض السالمية، فإن منهم من يقول: «إن الله تعالى يقرأ على لسان كل قارئ، وأنهم إذا سمعوا القرآن من قارئ فإنما يسمعون من الله!!!»<sup>(٥)</sup>، وهم وإن كانوا مختلفين فيما بينهم، فمنهم من يقول: إن صوت الرب قديم هو المسموع، ومنهم من يقول: إن الصوت القديم لا يُسمع، ومنهم من يقول: الصوت صوتان؛ صوت

(١) الفتوحات المكية ٤/ ١٤٠.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٧٤.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ١٥٣، ٣٧٤.

(٤) شرح الأصبهانية ص ٣٣٥.

(٥) انظر: المعتمد للقراء ص ٢٢١.

قديم، وصوت محدث!!!<sup>(١)</sup>.

وهو لازم قول المعتزلة<sup>(٢)</sup>، وقد التزمه بعضهم كالعلاف، فإنه قال: «إن كلام الله يحل بال مخلوق...، واتبع على ذلك النظام»<sup>(٣)</sup>.

وسبب نشوء القول بأن القرآن حين تلاوته يحل بالمخلوقين بين هؤلاء، هو عدم التفريق بين المسموع من كلام الله ﷻ منه مباشرة، وبين المسموع من كلام الله ﷻ بواسطة الملك، أو الرسول، أو القارئ<sup>(٤)</sup>.

ويوجد في هؤلاء المخالفين للسلف قليل من أتباع الأئمة المشهورين، وإن لم يكن قولهم الحلول، إلا أن هذا لازم قولهم، وإن لم يلتزموه، وهم قلة من أتباع المالكية والشافعية، والحنابلة<sup>(٥)</sup>، وهؤلاء ليسوا يريدون ما ذهب إليه الصوفية الغلاة من الحلولية والاتحادية، وإنما لأنهم ظنوا أنه لا فرق بين التلاوة والتلو، واعتقدوا أن المسموع من القراء، كالمسموع الذي سمعه جبريل، وسمعه موسى من الرب بلا واسطة، فلم يفرقوا بين المسموعين، فوقعوا في الخلف بغير مين.

وهؤلاء يسمون بالاقترانية، لقولهم إن صوت الرب مقترن بصوت العبد<sup>(٦)</sup>.

#### رابعاً: شبهاتهم، والرد عليها.

أما قول من قال: بالحلول لمذهبه الفاسد، وهو اعتقاد الوحدة، أو حلول الرب في العبد!!، أو الاتحاد، فإن هؤلاء ليس عندهم إلا أصل باطل: وهو عدم الفرق بين الخالق والمخلوق!!، وهذه الشبهة أصلاً: أعني شبهة الحلول والاتحاد لا يلتبس إلا على من أسلم عقله لغيره، واتبع هواه بغير هدى من الله، وإلا فإن الشرائع كلها قائمة

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص ٣٣٦، الصفدية ١/ ١٥٣.

(٢) انظر: شرح الأصبهانية ص ٤٢٥، وهم لم يلتزموا بهذا اللازم، لكن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

(٣) المعتمد لأبي يعلى الفراء، ص ٢٧٦.

(٤) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٣٧، المجموع ١٢/ ١٤٩، ١٧٤، ١٧/ ٨٤.

(٥) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٧٧.

(٦) انظر: المجموع ١٢/ ٥٩٤.

على الفرق بين الخالق والمخلوق، وبيان حق الخالق المالك، وما يجب من العبد تجاه ماله وخالقه، فهذه شبهة واهية، وحكايتها تغني عن الرد عليها لشناعتها<sup>(١)</sup>، ولذلك سأورد شبهات القائلين بالحلل من غير أهل وحدة الوجود في مسألة الكلام - وإن كانوا يشتركون في بعض الشبهات - وسأختصر على أهم الشبهات<sup>(٢)</sup>، وهي التي فهمتها من كلامهم السابق، وهي:

الشبهة الأولى: أن الله هو المنطق للمخلوقين بما شاء فهو المتكلم!!، وهذا يعني أن المتكلم هو القادر على أن يخلق الكلام!!<sup>(٣)</sup>.

والجواب من وجوه:

١ - إن المتكلم حقيقة من كان قادرا على الكلام، وكان الكلام قائما به؛ لأن الله إذا خلق حركة أو فعلا، وقدرة في محل، كان ذلك المحل هو الموصوف بتلك الصفات، فذاك هو المتحرك، وهو القادر، وإن كان الله خالقا له ولأعراضه وصفاته، وهذا القول يلزم منه أن كل كلام في الوجود هو كلام الله ﷻ، وقد التزمته الطائفة الصوفية الغلاة، فحينئذ القرآن وغير القرآن سواء!!، ولا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(٤)</sup>.

٢ - أن على هذا الكلام يكون حتى ما أنطقه الله ﷻ من الجمادات كلام الله!! فضلا عن كلام الإنسان!!، لأن الله هو المنطق لها، كما هو المنطق للإنسان، كما قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١﴾ يَوْمَ يَدْعِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤-٢٥] وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوَّي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبأ: ١٠]، فهو منطق كل شيء، وخالقه، وخالق نطقه، وليس النزاع ههنا، فإن جميع طوائف المسلمين تقرر بأن الله منطق كل شيء، وإنما

(١) وأما شبهاتهم في حلول الرب في العبد فهي كثيرة، ولكنها لا تغني ولا تسمن من جوع.

(٢) وإنما لم أرد الإطالة لأن القائلين بالحلل من غير أهل الوحدة ليس لهم جماعة ظاهرة، إلا أن يكونوا أفرادا.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص ٤٢٧، ٤٢٦.

(٤) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٧٢.

النزاع في تسمية الله ﷻ متكلماً لكونه خلق الكلام في كل شيء<sup>(١)</sup>.

٣- يلزم على هذا أن المنطق للشيء إذا كان يسمى متكلماً لكونه أنطقه، فإن الذي خلق الأفعال في العباد، يمكن أن يسمى بها!! - والعياذ بالله - لأنه هو الخالق لهذه الأشياء في عبادته، فيمكن عند هؤلاء الأقوام أن يسمى مصلياً!!، وصائماً!!، وعابداً!! بل ويمكن أن يوصف بالأفعال القبيحة التي تقوم بالعباد؛ بزعم أن الله هو خالقها، وقد التزم الصوفية الغلاة بهذا كما هو ظاهر في كلامهم<sup>(٢)</sup>.

٤- أنه يلزمهم على هذا الكلام أن كل ضمير في القرآن يعود على العبد عائد على الرب، فيلزم حينئذ أن فرعون لما قال: أنا رب العالمين، أن المتكلم بذلك هو الله!!!، فلم يأت فرعون بما ينكر عليه إذا!!؟<sup>(٣)</sup>، وهذا وحده يكفي قائله شناعة وعارا، وفضيحة وبوارا وخسرانا، وقباحة وكفرانا.

٥- أنه لا فرق بين قولنا: نطق الشيء أي بنفسه، وأنطق الشيء أي غيره!!، وهذا معلوم بطلانه من حيث اللغة والعرف، فنطق زيد ليس كأنطق زيدا، ومن تكلم من نفسه، ليس كمن أُلزم بالكلام، فبطل هذا الجمع منهم من غير ملام، وظهرت شناعة فهمهم للغة والعرف في الكلام<sup>(٤)</sup>.

٦- أن الرسل حينما قالوا: إن الله أوحى إلينا، أو كلمنا، أو أمرنا، أن يكونوا هم الموحين، وهم المتكلمين، وهم الأمرين!!!، وهم قالوا: إن الله نادى، وناجى، وقال، ولم يقولوا بأننا نحن الذين ننادي، ونقول، وناجى<sup>(٥)</sup>.

٧- أنه يلزمهم أن من أخطأ من القراء، أن يكون الله هو المخطئ في القراءة!!

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص ٤٢٦، منهاج السنة ٢/ ٣٧٢ وحتى القدرية المخالفين في خلق أفعال العباد، إنها نزاعهم مع طوائف المسلمين في أفعال الأحياء المختارين، وليس نزاعهم فيما يفعله ويخلقه الله في الجمادات، وما لا إحساس لها.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٤٦٢.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص ٤٢٧، منهاج السنة ٢/ ٣٧٢-٣٧٣.

(٤) انظر: شرح الأصبهانية ص ٤٢٧، الرد على البكري ١/ ٣٤٣.

(٥) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٧٣.

- والعياذ بالله -، ويلزم منه أن الله يغلط، وأنه يلحن<sup>(١)</sup>.

٨- أن هذا الاعتقاد وهو حلول صوت الرب في العبد، هو عين اعتقاد النصارى الذين اعتقدوا أن كلمة الله (كن) حلت في عيسى، فبهذا حل فيه الرب - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا -، وقد بين الأئمة - رحمهم الله - أن اعتقاد النصارى بالحلول باطل، فكيف يقتدي بهم من ينتسب إلى الإسلام<sup>(٢)</sup>.

الشبهة الثانية: أن القرآن حل في المصحف، فكذلك حين قراءته يكون حالا في العبد!!<sup>(٣)</sup>، وهذه الجواب عنها من وجوه:

١- أن قولكم حل القرآن في المصحف، ليس المراد منه أنه قائم في المصحف، فإن الناس ما زالوا يقولون: الشمس والقمر في الماء، أو في المرأة، ووجه فلان في المرأة، وكلام فلان في القرطاس، فهذا له معنى يفهمه العقلاء من الناس، يعلمون: أن المراد ظهرت الشمس والقمر في الماء، والوجه في المرأة، والكلام في المصحف، فالكلام يكون مكتوبا فيه، ومقروءا فيه، ومنظورا فيه، كما يقول عامة العقلاء: نظرت في كلام فلان، وقرأته، وتدبرته، وفهمته، ونحو ذلك، فهذا كقولهم رأيت وجه فلان في المرأة، والمقصود التفريق بين المسموع من الكلام مباشرة من المتكلم، والمسموع بواسطة قارئ، أو مكتوب في كتاب، فكل العقلاء يعلمون: أن الشمس لم تحل في الماء، ولا القمر، ولا الوجه في المرأة، وأن نفس ما تقوم به المعاني والأصوات لم تقم بالقرطاس، بل المرأة واسطة في رؤية الوجه، كما الورق واسطة في معرفة الكلام، فالمقصود أن النظر بأشرف ما في القرطاس من المداد المكتوب، والمقصود بالرؤية هو الكلام المكتوب، وليس المداد، والورق، فكما أن الوجه إذا رُئِيَ في المرأة، لا يقال: إن نفس وجه زيد حل في المرأة، وإنما رُئِيَ فيه، وكذلك الكلام نفسه ليس هو المداد المكتوب به، بل الكلام شيء وما به ظهر شيء آخر، ولهذا فرق الله بين المداد والكلام كما في قوله ﷻ:

(١) انظر: المعتمد للقراء ص ٢٢١.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٤/٦٦-٦٧.

(٣) انظر: الانتصار للعمري ٢/٥٩٣، الجواب الصحيح ٢/٣٣٢، المجموع ١٢/١٥٣.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] فدل هذا على أن قول المسلمين: إن كلام الله ﷻ في المصحف، أنهم يعنون: أنه كلام الله حقيقة، لفظاً ومعنى، ولا يعني ذلك أن الكلام انتقل من ذات الرب ﷻ وحل في المصحف، كما فهمه هؤلاء الحلولية<sup>(١)</sup>.

٢- «إن الكلام له معنى في التكلم يعبر عنه بلفظه، واللفظ يكتب في القرطاس، فالمكتوب في القرطاس هو اللفظ المطابق للمعنى، لا يكتب المعنى بدون كتابة اللفظ الذي كتب بالخط، ليعرف ما كتب»<sup>(٢)</sup>، ولا يقال: إن المكتوب هو اللفظ لا معنى له، وإلا لما كنا نفهم شيئاً من المكتوب، فهذا دليل على أن المقصود بوجود كلام الله ﷻ في المصاحف، هو إثبات أن اللفظ المكتوب هو كلام الله ﷻ المطابق للمعنى الذي أراده الله ﷻ، وأوحاه إلى عبده لفظاً ومعنى، يقال: لا ريب أن كلام المتكلم قائم به - وقد بينت هذا فيما سبق - «ويقال مع ذلك، إنه مكتوب في القرطاس، ويقال: هذا هو كلام فلان بعينه، وهذا هو ذلك، ونحو ذلك من العبارات التي تبين أن هذا المكتوب في القرطاس، هو هذا الكلام الذي تكلم به المتكلم بعينه، لم يزد فيه، ولم ينقص، لم يكتب كلام غيره، ولا يريدون بذلك أن نفس الخط نفس الصوت، أو نفس المعنى، فإن هذا لا يقوله عاقل»<sup>(٣)</sup>.

٣- أن من اعتقد أن القرآن يحل فيه لكونه قرأه، أو أن صوت الرب يكون صوته حين قراءته!!!، فهذا يلزمه أن يقول: إنه هو الرسول حين يقرأ الأحاديث النبوية، وأن الصوت الذي بلغ به الكلام أن يكون صوت النبي!!، وهذا معلوم الفساد، لا يقول به من عنده أدنى عقل، وإن قال ذلك بليد من الناس، أو ادعاه مدعٍ لأنكر عليه العامة والخاصة، ولقالوا: إن النبي ﷺ لا يحل في بدن غيره، وإنما أنت ذكرت وأوردت

(١) انظر: الانتصار للعمراي ٢/ ٥٩٤-٥٩٥، الجواب الصحيح ٤/ ٣٣٠-٣٣١.

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٣٣١.

(٣) الجواب الصحيح ٤/ ٣٣٢، المجموع ٢٠/ ١٨٤ وما بعدها من الصفحات.



حديث رسول الله ﷺ بصوتك وحركاتك<sup>(١)</sup>، فكيف بصوت الرب ﷻ وذاته.

٤- أن الناس متفقون على صحة إطلاق القول بأن كلام زيد في هذا الكتاب، والذي سمعناه هو كلام زيد، ولا يستجيز عاقل منهم إطلاق القول بأن زيدا نفسه في هذا المتكلم بكلامه، أو في هذا الورق<sup>(٢)</sup>.

٥- أن الآيات الدالة على أن القرآن في الصدور، أو في السطور مثل قوله ﷻ: ﴿وَكُتِبَ مُسْطُورًا﴾ في رَقٍّ مَّنْشُورٍ [الطور: ٢-٣] وقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ في كِتَابٍ مَّكْنُونٍ [الواقعة: ٧٧-٧٨] وقوله ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، ونحوها من الآيات، والأحاديث ينبغي أن تفهم على هذا، وهو: أن المراد أن فيه اللفظ الدال المطابق للمعنى، وليس المراد الخبر والورق، وصوت العبد المؤدى به الكلام، فإن هذه كلها مخلوقة، وكلام الله غير مخلوق، ثم إن هذه كلها لو لم تكن لما كان لكلام الله فناء، فلو أحرقت جميع المصاحف، وذهب جميع الناس، لكان كلام الله محفوظا بحفظ الله في الأرض وفي السماء، وكون القرآن في الصدور، أو في السطور لا يعني عند عاقل أن الله في الصدور أو في السطور، ولهذا لما قيل للإمام أحمد رحمه الله أن ههنا رجل يقول: بأن من قال: القرآن في الصدور، فقد قال بقول النصارى!!!، اشتد ذلك على الإمام أحمد رحمه الله وأنكره، وعد ذلك جهمية رابعة<sup>(٣)</sup>، وقال ابن قتيبة رحمه الله مبينا ما به يفرق الأئمة بين المسموع والأداء، والمكتوب وما به كتب، فيقول: «والقرآن لا يقوم بنفسه وحده، كما يقوم المأكول بنفسه وحده، وإنما يقوم بواحدة من أربع: كتابة، أو قراءة، أو حفظ، أو استماع، فهو بالعمل في الكتابة قائم، والعمل خط وهو مخلوق، والمكتوب قرآن وهو غير مخلوق، وهو بالعمل

(١) انظر: المجموع ٢٩١/١٢، الفتاوى الكبرى ١٥٠/٥.

(٢) انظر: المجموع ٢٩٢/١٢.

(٣) المجموع ٢٩٢/١٢، والجهميات في مسألة كلام رب البريات، أربعة اشتهرت في عهد الإمام أحمد أسكنه الله الجنات، وهي: ١- الجهمية الخلقية. ٢- الجهمية اللفظية. ٣- الجهمية الواقعة. ٤- الجهمية الحلولية. انظر: المجموع ٣٨٨/١٢.

في القراءة قائم، والعمل تحريك اللسان واللهوات بالقرآن وهو مخلوق، والمقروء قرآن وهو غير مخلوق، وهو بالاستماع قائم في السمع، والاستماع عمل وهو مخلوق<sup>(١)</sup>، والمسموع قرآن غير مخلوق، ومثل هذا وإن كان لا مثل للقرآن، إلا أنه تقريبا منا لما ذكرناه إلى فهمك، مثل لون الإنسان: لا يقوم إلا بجسمه، ولا نقدر أن نقر اللون في وهمك حتى يكون متميزا - إلا بهذا الجسم -...، كذلك القرآن يقوم بتلك الخلال الأربع التي ذكرناها، ولا يستطيع أحد أن يتوهمه منفردا عنها<sup>(٢)</sup>، وبهذا يتبين أن وجود القرآن في المصاحف والصدور لا يعني الحلول، وكذلك في حالة الاستماع لا يعني أن المستمع يسمعه من الله مباشرة بلا واسطة، فليس هناك حلول<sup>(٣)</sup>.

٦- يلزم من قولكم أن القرآن حل في المصحف بمعنى أنه انتقل كلام الله القائم به إلى أن أصبح قائما بالمصحف، فهذا يلزم منه أن القرآن إذا احترق أن يكون كلام الله قد احترق!!<sup>(٤)</sup>، وهذا لا يقول به عاقل، وإنما المعروف عند المسلمين أن المصاحف التي فيها كلام الله قد تحترق، وكلام الله باق، والحفاظ قد يهلكون، وكلام الله باق.

٧- أن الإشارة إلى ما في القرآن له جهتان ينبغي التنبيه لهما: الأولى: كلام الله المكتوب فيه. الثانية: المداد، والخط، والورق الذي كتب فيه كلام الله ﷻ، فالجهة الأولى: كلام الله وهو غير مخلوق، والجهة الثانية: أفعال المخلوقين فهي مخلوقة، ولهذا لو كتب القرآن في مصحفين، بخطين مختلفين، يقال في كل منهما: إنه قرآن كريم، وإنه كتاب مجيد، وهذا كلام الله، وهذا كلام الله، والمشار إليه واحد، ولو كان في مصحفين، وهو كلام الله، ويقال: هذا خطه حسن، وهذا بخط النسخ، ولونه أحمر، والآخر خطه جيد، وكتب بالرقعة، ولونه أسود، فالمشار إليهما مختلف، ووقعت الإشارة هنا إلى ما هو مخلوق فاختلف، فإذا لم نميز بين المشار إليه في الحالتين، فإنه يوقع في عدم الفرق

(١) في المطبوع: وهو غير مخلوق!!، وهذا خطأ قطعاً يتبين من السياق والمعنى.

(٢) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة ص ٦٣.

(٣) انظر: المجموع ١٢ / ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١ / ٤٠ - ٤١.

بين المختلفين، والجمع بين المتفرقين<sup>(١)</sup>.

الشبهة الثالثة: قالوا: إن الله يتكلم بصوت، والقرآن كلام الله، فيكون المتكلم بالقرآن صوته صوت الله!!<sup>(٢)</sup>.

والجواب عن هذه الشبهة:

١- أن شخصا لو روى شعرا لأحد الشعراء لا يصح أن يقال: إن الشعر الذي أصبح وصفا لقائله أنه شعر الراوي له، فإذا كانت صفات المتكلمين من العباد لا تنتقل بعضها إلى بعض بالقراءة، أو الكتابة فكيف يقال: إن صفة الرب الخالق وهي صوته انتقلت إلى صفة العبد المخلوق فأصبح صوته صوته، لمجرد كونه تاليا وقارئا لكلام الله ﷻ<sup>(٣)</sup>.

٢- أن أصوات العباد مختلفة فأى صوت يكون هو صوت الله؟!، ثم هذا تكييف لصوت الله، والله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

٣- أن الله تعالى تكلم بالقرآن، وبغيره من كلامه كتكليمه لموسى بن عمران بصوت، كما هو عقيدة أهل الحق من السلف، والمتبعين لهم من الخلف، وأن موسى سمع كلام الله ﷻ بصوت الرب، وأن جبريل سمع صوت الرب ﷻ، ونحن نتلو القرآن بأصواتنا، ولا يعني ذلك أن القرآن كلامنا، كما لا يعني أن المسموع صوت الله ﷻ، إلا لما كان هناك فرق بين الكلیم موسى، وبين غيره<sup>(٤)</sup>.

٤- أن صوت الرب ﷻ لا يشبه أصوات المخلوقين، «وليس ذلك كأصوات العباد، لا صوت القارئ، ولا غيره، وأن الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾» [الشورى: ١١]، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا تشبه حياة الخالق، وعلمه، وقدرته علم المخلوق،

(١) انظر: الانتصار للعمري ٢/ ٥٩٤-٥٩٥، المجموع ١٢/ ٥٥، ٢٨٤.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٢٦٤، ٣٢٣.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٢٦٤، ٢٨٨.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٧٦.

وقدرته، وحياته، فكَذَلِكَ لا يشبه كلامه كلام المخلوقين، ولا صوته أصوات المخلوقين<sup>(١)</sup>.

٥- أن من قرأ الفاتحة من القرآن أو غيرها من السور، معلوم لدى الجميع - عدا هذه الفرقة الحلولية - أنه قرأ كلام الله ﷻ، والمسلمون يقولون: إن الكلام كلام الباري، والصوت صوت القارئ، فمن ضل وافترى أنه سمع صوت الله، فقد خالف صريح المعقول، وصحيح المنقول<sup>(٢)</sup>.

٦- أن المسلمين مازالوا يقولون للقارئ إذا قرأ: فلان حسن الصوت، وفلان ليس كذلك، فدل على أن الصوت صوت العبد، وإن كان الكلام كلام الرب، بدليل أنهم يقولون: الصوت حسن، ولا يقولون: القرآن حسن، لأن القرآن كلام الله فهو حسن أبداً، وإنما اختلاف الأحكام باختلاف القراء<sup>(٣)</sup>.

٧- يقال لهؤلاء الحلولية ومن وافقهم: هب أن القارئ لم تخلق نفسه، ولا وجدت لا أفعاله، ولا أصواته، فمن أين يلزم أن يكون الكلام نفسه الذي كان موجوداً قبله يُعدم بعده!!!، ويحدث بحدوثه!!، فإشارته إن كان إلى الكلام الذي تلاه القارئ فهو كلام الله، وإن كانت إشارته بالخلق إلى ما يختص به هذا القارئ من أفعاله وأصواته، فالقرآن غني عن هذا القارئ، وموجود قبله، فلا يلزم من عدم هذا عدمه، وهذا معلوم بديهية<sup>(٤)</sup>.

وهناك بعض المتسبين إلى السنة لم يفرقوا بين التلاوة والمتلو، وإن كان يلزم من قولهم أن المسموع من المخلوقات هو صوت الرب، وأن القراءة هي المقروء، إلا أنهم لم يريدوا المذهب الحلولي الذي ذهب إليه المخالفون للسلف في هذه المسألة، والذين جعلوا التلاوة هي المتلو من المتسبين للإمام أحمد رحمته الله، ويظنون أنهم متابعون له، إذ إنه نهى عن اللفظية، فظنوا أن الإمام رحمته الله يقصد بأنه لا فرق بين الفعل الذي يقوم به العبد، وصوته،

(١) انظر: المجموع ١٢/٢٤٤.

(٢) انظر: المجموع ١٢/١٧٢، ٢٦٣.

(٣) انظر: المجموع ١٢/٢٨٤.

(٤) انظر: درء التعارض ١/٢٥٨-٢٥٩، المجموع ١٢/٢٨٥.

وبين الكلام الذي أداه العبد وسمع منه مبلغاً، وتالياً، ويدل ذلك أنهم أخطؤوا على الإمام ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله حيث قال: «كان المنصوص عن الإمام أحمد وأئمة السنة والحديث أنه لا يقال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، ولا غير مخلوقة، ولا أن التلاوة هي المتلو مطلقاً، ولا غير المتلو مطلقاً؛ فإن اسم القول، والكلام قد يتناول هذا وهذا»<sup>(١)</sup> وقال: «هذا الذي يحكيه كثير من الناس عن الإمام أحمد وأصحابه أن صوت القارئ ومداد المصاحف قديم أزلي كذب مفترى، لم يقل ذلك أحمد، ولا أحد من علماء المسلمين... وكلام أحمد، وكلام أئمة زمانه في أن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع، قلت: فكيف بمن يقول لفظي قديم؟؟ فكيف بمن يقول صوتي غير مخلوق؟؟ فكيف بمن يقول صوتي قديم؟؟»<sup>(٢)</sup>.

وهؤلاء المخطئون من أتباع الأئمة أنكروا لفظ الحلول في القرآن الكريم، وقالوا - مع قولهم بأن التلاوة هي المتلو -: إنما نقول ظهر القديم في المحدث، لا حل فيه، وهذا يستلزم الحلول وإن لم يلتزموه، ولكن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم<sup>(٣)</sup>.

وسبب الوقوع في الخطأ من بعض أتباع الأئمة في مسألة القرآن - مع حرصهم على السنة - يعود إلى سببين:

١ - أنهم فهموا من بعض تحريجات أقوال الإمام ما ظنّوه أنه مراده، فوقعوا في البدعة، كمن فهم من نهى الإمام أحمد عن قول: اللفظ بالقرآن غير مخلوق، أنه يقصد - والعياذ بالله - أن صوت العبد قديم، فهذا لم يقله أحد من الأئمة، المشهورين بالسنة، فضلاً عن سلف الأئمة.

٢ - أن من هؤلاء من اتبع بعض أتباع الإمام حيث أخطأ، فصار الخطأ متبعاً،

(١) المجموع ١٢/٣٧٤-٣٧٥.

(٢) العقود الدرية في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٣٧-٢٣٨، وانظر: المجموع ١٢/٢٤٢، وفي مسألة "الكيلانية" جواب طويل حول من ادعى أن أصوات العباد بالقرآن غير مخلوقة!!، ونسب ذلك إلى

الإمام أحمد، انظر: المجموع ١٢/٣٢٣.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٢/١٧٤-١٧٥.

كمن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، مما روي عن أبي طالب المشكاني - وإن كان هو رجع عن ذلك - ثم صار قوم على قوله<sup>(١)</sup> فهذا يدل أن تعلقهم بالأئمة باطل، وأن الأئمة بريئون من هذه الأقوال المبتدعة، كيف لا وهم أئمة السنة، الشانؤون للبدعة.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «كره أحمد بن حنبل الكلام في لفظ حلول القرآن في القلوب...، ومما يوضح هذا أن الشيء له وجود: في نفسه هو، وله وجود في المعلوم والأذهان، ووجود في اللفظ واللسان، ووجود في الخط والبنان - وقد يسمى -: وجود عيني، وعلمي، ولفظي، ورسمي، وذلك كالشمس مثلاً: فلها تحقق في نفسها، وهي الشمس التي في السماء، ثم يتصور بالقلب الشمس، ثم ينطق اللسان بلفظ الشمس، ويكتب بالقلم الشمس، والمقصود بالكتابة مطابقة اللفظ، وباللفظ مطابقة العلم، وبالعلم مطابقة المعلوم، فإذا رأى الإنسان في كتاب خط الشمس، أو سمع قائلًا يذكر قال: هذه الشمس قد جعلها الله سراجاً وهاجاً، وهذه الشمس تطلع من المشرق، وتغرب في المغرب، فهو يشير إلى ما سمعه من اللفظ، ورآه من الخط، وليس مراده نفس اللفظ، والخط؛ فإن ذلك ليس هو الشمس التي تطلع وتغرب، وإنما مراده ما يقصد بالخط، واللفظ، ويراد بها وهو: المدلول المطابق لها»<sup>(٢)</sup>.

ومما يدل على فساد قول الحلولية في مسألة القرآن: اضطرابهم في هذه المسألة، فتارة قالوا: المسموع هو صوت القارئ من الله، ومنهم من قال: حل صوت الرب في العبد!!، ومنهم من يقول: ظهر صوت الرب في العبد!!، ومنهم من يقول المسموع كلام الله مطلقاً، ولا يتكلم في الصوت المسموع بنفي أو إثبات، ومنهم من قال: الصوت المسموع غير مخلوق!!، ومنهم من قال: المسموع حين التلاوة صوتان: صوت العبد وهو مخلوق، وصوت الرب وهو غير مخلوق!!<sup>(٣)</sup>، وهذا التناقض ملازم لكل

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص ٣٣٧، المجموع ٧/ ٦٦١، ٢٠/ ١٨٤.

(٢) الجواب الصحيح ٣/ ٣٣٩-٣٤٠.

(٣) انظر: الصفدية ٢/ ٥٩، المجموع ٧/ ٦٥٦-٦٥٧، ١٢/ ١٥٢، ٥٩٧.

من خالف السنة والكتاب، فإنه يكون مجانباً للصواب، ويحصل في قوله مثل هذا الاضطراب، ثبتنا الله على الرشاد، وهدانا لما فيه خير الدنيا والمعاد.

ويكفي القائلين بالحلول ضللاً وخسراناً، أنهم خالفوا جماهير المسلمين، وليس على قولهم أحد من السلف، بل ولا أناس معروفون بالعلم من الخلف، فـ «من قال نفس أصوات العباد، أو مدادهم، أو شيئاً من ذلك قديم، فقد خالف أيضاً قول السلف، وكان فساد قوله ظاهراً لكل أحد، وكان مبتدعاً قولاً لم يقله أحد من أئمة المسلمين، ولا قالته طائفة كبيرة من طوائف المسلمين، بل الأئمة الأربعة، وجهور أصحابهم بريئون من ذلك»<sup>(١)</sup>.

ولهذا كان قولهم كفراً صريحاً، فإن من اعتقد أن فعله هو محض فعل الله، وأن الرب هو المصلي وهو القارئ والتالي فإن هذا كفر بواح، ولهذا أنكر من أدرك من الأئمة هذا القول، كما جاء عن غير واحد منهم، فهذا إمام المسلمين في زمانه، حماد بن زيد سئل عمن قال: كلام الناس ليس بمخلوق!! فقال: هذا كلام أهل الكفر، وهكذا نقل عن غيره<sup>(٢)</sup>، فصوت العبد مثل كلامه.

وإذا تبين هذا فأختم الكلام بدرة من درر أقوال شيخ الإسلام رحمته الله، حيث قال: «فالواجب على المسلم أن يلزم سنة رسول الله ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وما تنازعت فيه الأمة وتفرقت فيه إن أمكنه أن يفصل النزاع بالعلم والعدل وإلا استمسك بالجملة الثابتة بالنص والإجماع، وأعرض عن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً؛ فإن مواضع التفرق والاختلاف عامتها تصدر عن إتباع الظن، وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى...

والواجب أمر العامة بالجملة الثابتة بالنص والإجماع، ومنعهم من الخوض في

(١) المجموع ١٢/٥٤-٥٥.

(٢) انظر: المجموع ١٢/٣٢٦.

التفصيل الذي يوقع بينهم الفرقة والاختلاف؛ فإنّ الفرقة والاختلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله.

والتفصيل المختصر أن نقول: من اعتقد أن المداد الذي في المصحف، وأصوات العباد قديمة أزلية، فهو ضال مخطئ، مخالف للكتاب، والسنة، وإجماع السابقين الأولين، وسائر علماء الإسلام، ولم يقل أحد قط من علماء المسلمين: إن ذلك قديم، لا من أصحاب الإمام أحمد، ولا من غيرهم، ومن نقل قدم ذلك عن أحد من علماء أصحاب الإمام أحمد، ونحوهم؛ فهو مخطئ في هذا النقل أو متعمد للكذب»<sup>(١)</sup>.

فإذا كان القول بالحلول في مسألة القرآن الكريم باطلا، وذلك لكونهم نظروا إلى الكلام دون الأداة، والوسائط، فإن هناك أقواما نظروا إلى الوسائط دون الكلام فقالوا: بخلق القرآن، وهذا ما أجليه في المبحث الآتي.



### المبحث الثالث: القول بخلق القرآن

القول بخلق القرآن هو أشهر المسائل العلمية في باب الصفات، وباب ما يتعلق بالقرآن الكريم من المسائل العقدية، ولتجليتها أذكر أموراً، وهي:

#### أولاً: معنى هذا القول.

معنى قول الجهمية والمعتزلة بأن القرآن الكريم مخلوق، يعني أن الله ﷻ لم يتكلم به، بل هو خلقٌ من المخلوقات قائم بنفسه!!<sup>(١)</sup>، أو مخلوق خلقه الله في غيره<sup>(٢)</sup>، وهو حروف منظومة<sup>(٣)</sup>.

#### ثانياً: سبب نشوء هذا القول.

ذكرت في مقدمة هذا الفصل أربعة أسباب من أجلها نشأ الخلاف الكبير بين أهل الملة في مسألة القرآن الكريم، إلا أن هناك أسباباً أخرى لكل نحلة، بسببها ظهرت في الملة هذه الأقوال المختلفة.

ومن أسباب القول بخلق القرآن أنهم استعملوا لفظة "غير" في الصفات، فقالوا: وما كان غير الله فهو مخلوق<sup>(٤)</sup>، ومعلوم أن السلف يعتقدون بأن صفات الله ﷻ داخلة في أسمائه الظاهرة، والمضمرة، فإذا قلت: عبدت الله، وإياه عبدت، فهذا الاسم لا يخرج عنه شيء من صفاته من علمه ورحمته وكلامه، وسائر صفاته، فعلم بهذا أن

(١) انظر: مقالات الإسلاميين ص ١٩٣.

(٢) انظر: الصفدية ٦٧/٢، درء تعارض العقل والنقل ٤٩/٢، المجموع ٦٦٢/٧، الفتح ٤٦٣/١٣.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص ٥٢٨-٥٢٩، ونهاية الأقدام ص ٣٨٨.

(٤) انظر: الصفدية ١/١٠٧، ١٠٨.

صفاته ﷺ ليست خارجة عن مسمى اسمه، والرب المعبود هو المتصف بصفات الكمال، المتسحق للإجلال والجلال.

وأما استعمال ألفاظ لم ترد في الشرع، فهو الذي يوقع في الإشكال، ويورد هذا المقال، فلفظ "غير" مشترك تدخل تارة فيه صفة الشيء، وتارة لا تدخل، ولما كان مجملاً، كان تركه أولى، واتباع النص أجدى<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأحمد بن حنبل في محنته المشهورة، قالوا له: ما تقول في القرآن، و كلام الله، أهو الله؟ أم غير الله؟ عارضهم بالعلم، وقال لهم: ما تقولون في علم الله، أهو الله؟ أم غير الله؟»<sup>(٢)</sup>.

وأجاب أيضاً بأن «الرسول لم تنطق بواحد من الأمرين، فلا حجة لهم في كلام الله ورسوله، فإن الله لم يقل لكلامه: هو أنا، ولا قال: إنه غيري!، حتى يقول القائل: إذا كان قد جعل كلامه غيره وسواه، فقد أخبر أنه خالق لكل ما سواه!.

فإن كان الاحتجاج بالسمع، فلا حجة - لهم - فيه، وإن كان الاحتجاج بالعقل، فالمرجع في ذلك إلى المعاني لا إلى العبارات، فإن أراد المريد بقوله: هل كلامه، وعلمه غيره؟ أنه مبين له، فليس هو غيراً له بهذا الاعتبار، وإن أراد بذلك أن نفس الكلام، والعلم ليس هو العالم المتكلم، فهو غير له بهذا الاعتبار، وإذا كان اللفظ مجملاً لم يجوز إطلاقه على الوجه الذي يفهم المعنى الفاسد»<sup>(٣)</sup>.

فالقائلون بأن القرآن مخلوق ليس معهم حجة، وكان سبب إظهارهم لهذا القول هو استعمالهم لقواعدهم الكلامية، وإعراضهم عن الألفاظ الشرعية، وخلط الحق بالباطل<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: المجموع ٨/ ٤١٤، ١٢/ ٣٣٠.

(٢) وهذا النص المنقول عن الإمام أحمد قال عنه محقق الجواب الصحيح: إنه لم يجده بلفظه عن أحمد، وقال: وهو في الرد على الجهمية بلفظ آخر مختلف ص ٣٠، قلت: وهو في محنة الإمام أحمد للمحافظ تقي الدين المقدسي ص ٨٧، بلفظ قريب منه.

(٣) الجواب الصحيح ٥/ ١٨-١٩، وانظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٣٠.

(٤) انظر: المجموع ٨/ ٢٨، الغنية في أصول الدين ص ١٥.

ومن أسباب ظهور هذا القول: أنهم لما ظنوا أن إثبات الصفات يلزم منه تعدد القدماء، نفوا الصفات، ومن جملة ذلك صفة الكلام، ومنه القرآن الكريم. ومن أسباب نشوء هذا القول عند هؤلاء وأمثالهم، أنهم لما سمعوا القرآن من المخلوقين، ولم يفرقوا بين المسموع من الله مباشرة، وبين المسموع بواسطة العباد، ظنوا أنه مخلوق، لأنه يسمع من مخلوق!!<sup>(١)</sup>.

ومن سبب انتشار هذا القول الذي بسببه امتحن الأئمة، فلأن ثلاثة من سلاطين بني العباس كانوا مناصرين لهذا القول بالسنان، والبيان، يقيمون المناظرات، ويهددون بالقتل والجلد الأئمة السادات، الذين خالفوهم في قولهم المخترع، فكانت قوة السلطان سببا في انتشار هذا القول المبتدع، وقديما قيل: الناس على دين ملوكهم، ولم يكن يؤتَى قاض، ولا صاحب أمر ونهي إلا إذا كان قائلا بخلق القرآن!!، فاجتمع على الناس قوة السلطان، ورغبتهم في الدنيا<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: القائلون بخلق القرآن.

والقول بخلق القرآن الكريم هو قول الجهمية والمعتزلة القائلين بأن كلام الله بائن عنه، وأن القرآن مؤلف من هذه الأحرف، مخلوق، ثم بعد ذلك منهم من قال: خلقه الله في اللوح المحفوظ، ومنهم من قال: خلقه في جبريل، ومنهم من قال: خلقه في النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>، والكلام عندهم هو: القدرة على التكلم، ويعنون به القدرة على خلق الكلام<sup>(٤)</sup>.

ومنهم من قال: إن القرآن ذات قائمة بنفسها، وليس معنى من المعاني، ويعبرون عنه بأنه جسم<sup>(٥)</sup> وهم وإن اختلفوا في حقيقة الكلام، إلا أنهم جميعا قالوا:

(١) انظر: شرح الأصبهانية ١/ ٦٢-٦٣، المجموع ١٢/ ٢٠٠، ٢٨٣.

(٢) انظر: المجموع ١١/ ٤٧٨-٤٧٩.

(٣) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٥، الدر النضيد لمجموعة ابن الحفيد ص ١٥٥.

(٤) انظر: لباب العقول ص ٢٥٦، مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٣، وهو يرى أيضا وإن كان من المتفلسفة

أن الكلام هو القدرة على التكلم وهو خلقه، المدخل لابن بدران ص ٥٤.

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين ص ١٩٣، الجواب الصحيح ٤/ ٣٢٧، الفتح ١٣/ ٤٦٣، ويفهم هذا من

استدلالهم بأن القرآن يأتي يوم القيامة يحتاج عن صاحبه!!.

بأنه مخلوق<sup>(١)</sup>، وربما قالوا: إن الله متكلم مجازاً، وربما حكوا الإجماع على أن الله متكلم وهم يعنون ذلك، وحقيقة قولهم: أن الله ليس بمتكلم، وربما قالوا: إن القرآن غير مختلق، وهم يعنون: أنه ليس مفترى مكذوب، ولا ريب أن هذا حق باتفاق المسلمين، وليس النزاع فيه، وإنما النزاع في كلام الله ﷻ هل هو مخلوق أم لا، والأول هو المشهور عن الجهمية<sup>(٢)</sup>.

وهو قول الجهمية وفاقاً، والمعتزلة قاطبة، وإن اختلفوا فيما بينهم من حيث إثبات خلق القرآن<sup>(٣)</sup>، خصوصاً بعد عمرو بن عبيد<sup>(٤)</sup>، فإن عمرو لم يكن من الجهمية، وإنما كان متكلماً في القدر، وحدث في المعتزلة نفي الصفات بعده، «ولهذا قال أحمد: فاتبعه - أي اتبع جهما - قوم من أصحاب عمرو بن عبيد وغيره»<sup>(٥)</sup>.

وإنما اشتهرت هذه المقولة الشنيعة عن الجهمية، وعن أفراسخهم المعتزلة، لكونهم أظهروها، ودعوا الناس إليها، وكان أول من أظهر هذه المقولة هو الجعد بن درهم<sup>(٦)</sup> والجهم بن صفوان<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٨، المحيط بالتكليف ص ٣٣١، العلم الشامخ ص ١٢٨.

(٢) انظر: المجموع ٢٩/١٢، شرح الطحاوية ١/١٨٦.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين ص ١٩١، تلبس إبليس ص ٣٤-٣٥، الفرق بين الفرق ص ٤٥-٤٦، تبين كذب المفترى ص ١٥٠.

(٤) هو كبير المعتزلة وإمامهم: عمرو بن عبيد أبو عثمان البصري، وكان زاهداً، وتركت روايته لشناعة بدعته، اتهم بعض الصحابة، وكان يتكلم على معاوية ؓ، ومن مؤلفاته: (الرد على القدرية: يريد السنة)، توفي بعد الأربعين ومائة، انظر: السير ٦/١٠٥.

(٥) شرح الأصبهانية ص ٤٢٩، المجموع ١٢/٣١١.

(٦) هو مؤسس التجهم: الجعد بن درهم، مؤدب مروان الحمار، وهو شيخ الجهم بن صفوان، وأول من ابتدع بأن الله: لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، قتله الأمير خالد بن عبد الله القسري لكفره. انظر: السير ٥/٤٣٣.

(٧) انظر: شرح الأصبهانية ص ٤١٩، منهاج السنة ٢/٢٥١، درء التعارض ٢/٤٨، والجهم هو رأس الجهمية الضلال: جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي، الكاتب، كان صاحب ذكاء وجدال، وأنكر الأسماء والصفات كشيوخه الجعد بن درهم، وبث القول بخلق القرآن، وادعى أن الله في كل مكان بذاته!، ولهذا الكفريات قيل: إن سلم بن أحوز قتله. انظر: السير ٦/٢٦.

وإن كان هناك فرق بين مقولة الجهمية والمعتزلة، وذلك من حيث اللفظ، وإلا فإن المعنى واحد: فالجهمية قالوا: إنه متكلم مجازاً، والمعتزلة قالوا: إنه متكلم حقيقة، لأن المتكلم من فعل الكلام وخلقه!، فالمؤدى عند الفريقين واحد، وهو أن القرآن الكريم مخلوق!!!<sup>(١)</sup>.

وهذه المقولة - أعني مقولة خلق القرآن - هي أول مقولة ابتدعتها مع نفي الصفات الجهمية، وتبعهم على ذلك المعتزلة الغوية<sup>(٢)</sup>.

ونافح عنها كبارهم، وأئمتهم، أحبارهم ورهبانهم، فبشر بن غياث المريسي<sup>(٣)</sup> جرد القول بخلق القرآن، ودافع عن مقولته مناظراً أهل السنة والإحسان، وكذلك مثله أحمد المبتدع ابن أبي دؤاد، الذي سعى بهذه المقالة بين الحاضر والباد، ولم يرض منهم السكوت حتى أجبرهم على القول به بالأوتاد<sup>(٤)</sup>.

ونسب القول بخلق القرآن إلى الخوارج الأولين، كما ذكره أبو الحسن الأشعري في مقالاته<sup>(٥)</sup> حيث قال: «والخوارج جميعاً يقولون بخلق القرآن»، وليس للخوارج الأولين كتاب يمكن الرجوع إليه.

ومن فرقهم الظاهرة الباقية - هداها الله للصواب - فرقة الإباضية، وهي تقول بخلق القرآن، ولم يزل هناك بقية منهم يفترى هذه الفرية حتى هذا الزمان!!<sup>(٦)</sup>.

والقول بخلق القرآن هو قول بعض المرجئة<sup>(٧)</sup>، وبعض الروافض الأولين، وهو

(١) انظر: منهاج السنة ١/ ٣١٢، المجموع ١٢/ ٣٠٩، الرد على البكري ١/ ٣٤٢.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٤١٧.

(٣) هو المعتزلي المتكلم: بشر بن غياث بن أبي كريمة البغدادي المريسي، أخذ عن أبي يوسف، ثم شط عنه في الاعتقاد، وتكلم عليه أبو يوسف لخوضه في الكلام، وهو رأس التجهيم في مسألة خلق القرآن، ومن مؤلفاته: التوحيد، توفي سنة ٢١٨ هـ. انظر: السير ١٠/ ١٩٩.

(٤) انظر: معجم البلدان ٥/ ١٣٨.

(٥) ص ١٢٤، ١٥٣، وانظر الفتوح ١٣/ ٤٦٣.

(٦) وهم الموجودون الآن في عمان، وفي بعض جبال الجزائر.

(٧) انظر: مقالات الإسلاميين ص ١٥٣.

قول الروافض المتأخرين أجمعين، فإنهم جمعوا بين الرافض والاعتزال البدعيتين<sup>(١)</sup>.  
ومن القائلين به ابن عربي الطائفي: لأنه يعتقد بأن الله لم يتكلم مع موسى<sup>(٢)</sup>،  
وأن موسى سمع كلام الله من الشجرة، وهذا يعني أن القرآن مخلوق، لأن نفي سماع  
موسى لكلام الله بأي حجة، يلزم منه القول بخلق القرآن، ولهذا ينقل قول عارفهم!!:  
ألم تروا لكليم الله كيف بدا له الخطاب من الأشجار في القبس<sup>(٣)</sup>  
ويزعم أن كلامه لا يُسمع إلا ممن كان له سمع بلا آلة<sup>(٤)</sup>.  
فهم ينفون السماع بالأذن، ويثبتون لأنفسهم سماعا ومشاهدة!! يقول ابن عربي  
الطائفي: «المشاهدة والكلام معا لا يكون إلا في حضرة التمثيل، فلا يعول عليه أكابر  
الرجال»<sup>(٥)</sup>.

ومن القائلين بأن القرآن مخلوق لله ﷻ - والعياذ بالله - الفيلسوف ابن رشد،  
حيث قال: «القرآن الذي هو كلام الله قديم، وأن اللفظ الدال عليه مخلوق له سبحانه،  
لا لبشر، وبهذا باين لفظ القرآن الألفاظ التي ينطق بها في غير القرآن، أعني هذه  
الألفاظ - التي نتكلم بها - هي فعل لنا بإذن الله، وألفاظ القرآن هي خلق الله...، وأما  
الحروف التي في المصحف فإنها هي من صنعنا بإذن الله»<sup>(٦)</sup>، فهذا الكلام الذي ذكره  
هو مركب من قول المعتزلة القائلين بأن القرآن مخلوق لله، ومن قول الأشاعرة المثبتين  
لكلام قديم قائم بذات الله، لكن هذا تدليس بين القولين، وتلييس بين الرأيين،  
خصوصا أنه يرى الفيض، فيكون قوله مجموعة من الأقوال الثلاثة: أن كلام الله  
فيض، وأنه قائم به غير مخلوق، وأنه بائن عنه مخلوق!!؟.

(١) انظر: مقالات الإسلاميين ص ٤٠، ١٠٩، منهاج السنة ٢ / ٣٦٩، المجموع ٢ / ٢٥٦، ٣٦٨.

(٢) انظر: كتاب اصطلاح الصوفية لابن عربي الطائفي ص ٩ (المحاذرة).

(٣) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي الطائفي ص ٦٨.

(٤) انظر: الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي الطائفي ص ٣.

(٥) لا يعول عليه لابن عربي الطائفي ص ٣.

(٦) منهاج الأدلة لابن رشد ص ٧٣.

ومن القائلين به الرازي: فإنه وإن كان من الأشاعرة إلا أنه أكد أن الخلاف بينهم وبين المعتزلة ليس في المعنى، وإنما هو في اللفظ، فيقول: «زعمت المعتزلة أن معناه - معنى: كونه متكلماً - كونه تعالى، موجداً لأصوات دالة على معانٍ مخصوصة في أجسام مخصوصة.

واعلم أنا لا ننازعهم في المعنى؛ لأننا نعتقد أن جميع الحوادث واقعة بقدرة الله تعالى، ونسلم أن خلق الأصوات في الأجسام الجهادية والحيوانية جائز، وإذا ثبت ذلك فقد ساعدتهم على المعنى، وبقي ههنا النزاع: إطلاق اسم المتكلم هل يقع في اللغة لهذا المعنى أم لا، وهذا البحث لغوي، لا حظ للنقل البتة فيه، والمتكلمون من الفريقين قد طولوا فيه، ولا فائدة فيه... فالحاصل أن الذي ذهبوا إليه فنحن من القائلين به إلا أننا أثبتنا أمراً آخر<sup>(١)</sup> ويقصد بالأمر الآخر هو الكلام النفسي القديم، ويقول: «واعلم أن الجمهور منا يعتقدون أن المعتزلة يوافقوننا في كونه تعالى متكلماً، ويخالفوننا في قدم الكلام، فأما نحن قد بينا أن الذي يقول به المعتزلة فنحن نقول به: من حيث المعنى<sup>(٢)</sup>».

وقد مال الرازي إلى قول المعتزلة بنفي الكلام القديم (غير مخلوق)، وإثبات الكلام الحادث (المخلوق)، كما يفهم من إيراده لشبه المعتزلة<sup>(٣)</sup>.

فتأمل ما في كلامه من الاعتزال، تعرف حقيقة أنه لا فرق في النتيجة بين قول الأشاعرة وهؤلاء المعتزلة في المآل، ولكنهم لا يصرحون بمثل هذه الأقوال، لشناعتها بين الناس، وإلا فإن الأشاعرة والماتريدية يقولون: بأن القرآن العربي مخلوق، ولكن لا

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥٠.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٥، وهو الكلام نفسه الذي قاله الجويني: «هذه العبارات كلام الله، أنها خلقه، ونحن لا ننكر أنها خلقت الله، ولكن نمتنع من تسمية خالق الكلام متكلماً به، فقد أطبقنا على المعنى، وتنازعنا بعد الاتفاق في تسميته»!!! انظر: الإرشاد للجويني ص ١١٧، فليس ثمة نزاع بين الأشاعرة والمعتزلة في القرآن الكريم، وإنما النزاع بينهم هل ثبت الكلام النفسي لله ﷻ، أم لا؟ انظر: الفواكه الدواني ١/ ٥٦.

(٣) انظر: الأربعين للرازي ص ١٨٣-١٨٤.

يصرّحون بهذا للعوام، وإنما يأتون بطرق ملتوية، وألفاظ محتملة - كما سيأتي -<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء جميعاً أعني القائلين بأن القرآن مخلوق، يسمون بالخلقية<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: شبهاتهم في القول بخلق القرآن، والرد عليها.

لهم شبهات عقلية، أنتجت هذه الآراء المخالفة للنصوص الشرعية، ثم لما رأوا أن هذا شنيع تمسكوا ببعض النصوص التي ظنوها توافق شبهاتهم، واستدلوا بها، فالأصل عند هؤلاء: الأدلة العقلية، ثم النظر في النصوص الشرعية، والتعلق بالمشابهات دون النصوص المحكمات، ولذلك سأورد أولاً: شبهاتهم العقلية، ثم شبهاتهم النقلية.

#### أولاً: الشبهات العقلية لقولهم بأن القرآن مخلوق.

الشبهة الأولى: قالوا: إن القرآن متعلق بمشيئة الله ﷻ، وما كان متعلقاً بمشيئة الله ﷻ، كان مخلوقاً، ولا يمكن أن يكون كلام الله أزلياً؛ لأنه قال في وقت معين: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١]، فلو كان متكلماً أزلاً لوجب أن يقول ذلك أبداً، إذا كان الكلام لازماً لذاته<sup>(٣)</sup>.

#### الجواب عن هذا:

١ - أن قولكم بنفي الكلام الأزلي لكون ذلك يلزم منه أن يكون الله متكلماً بما تكلم به أزلاً، وأن ذلك يلزم منه الدوام أزلاً وأبداً، يصح الاعتراض به على الأشاعرة القائلين بأزلية الكلام مطلقاً<sup>(٤)</sup>، أما أهل السنة فإنهم قالوا: بأن الله متكلم أزلاً، وأن أحاد كلامه يكون متى شاءه الله ﷻ، ووافقتهم على هذا، لكن لما نظرتم إلى جهة كونه متكلماً بمشيئته أنكروا أن يكون متكلماً، قائماً به الكلام، وهذا باطل لا يستقيم، لأنه لا

(١) انظر: المبحث الآتي.

(٢) انظر: المجموع ١٢ / ٥٩٤.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة ص ٥٥٤، الأربعين للرازي ص ١٨٣.

(٤) انظر: المجموع ٦ / ١٨٤.



يلزم ممن يتكلم في وقت دون وقت أن يكون كلامه مخلوقا، فهذه الشبهة لا تلزم أهل السنة والله الحمد<sup>(١)</sup>.

٢- أن أهل السنة يقولون: إن الله ﷻ متكلم بصفة ذاتية هي قائمة به ﷻ، وأنه تبارك وتعالى يتكلم بمشيئته فالكلام باعتبار اتصاف الرب ﷻ به يكون صفة ذات، وباعتبار كونه يتكلم بمشيئته يكون صفة فعل، وعلى هذا فلا يستقيم اعتراضهم على أهل السنة بخلق القرآن<sup>(٢)</sup>.

٣- أن قولكم بنفي صفة الكلام عن الله ﷻ بهذه الحجة غير مستقيم لأنكم تنفون حتى الصفات الذاتية فكيف تحتجون بنفي الصفات الاختيارية لأنها ليست ذاتية، فإن المعتزلة لا تثبت لله ﷻ لا صفة ذاتية، ولا صفة فعلية اختيارية.

الشبهة الثانية: قالوا: الكلام لا يكون إلا من جوف، وفم، وشفتين، ولسان<sup>(٣)</sup>.

ويجاب عن هذه الشبهة من أوجه:

١- أن هذا الكلام منكم يدل على أنكم شبهتم الله ﷻ بالمخلوقين، فتصورتم أن الكلام منه لا يكون إلا إذا كان فم وجوف وهواء!!، ونسيتم أو تناسيتم أن الله ﷻ ليس كمثله شيء في صفاته، كما لا مثل له في ذاته.

٢- ثم إن الكلام وجد ممن ليس له لسان ولا شفتين، ولا فم في المحسوس، قال الله ﷻ للسماوات والأرض: ﴿أَتَتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨] «أتراها أنها يسبحن بجوف وفم، ولسان، وشفتين؟؟، ولكن الله أنطقها كيف شاء، وكذلك الله تكلم كيف شاء، من غير أن نقول: جوف ولا فم، ولا شفتين، ولا لسان»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٨٦-١٨٧.

(٢) انظر: الصفدية ٢/ ٨٨-٨٩، المجموع ٨/ ٢٩.

(٣) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٤٤، ٢٦، المجموع ٦/ ١٥٤.

(٤) الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٤٤، المجموع ٦/ ١٥٤.

٣- ثبت في القرآن الكريم<sup>(١)</sup> أن الله ﷻ ينطق أعضاء الإنسان يوم القيامة، ومعلوم أنها لا جوف لها، ولا لسان، ولا شفتان، ولا فم، قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصرهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصركم ولا جلودكم وليكن ظننكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ١٩-٢٣] فهذه الآيات جليات، في أن هناك كلام من غير جوف ولا هَوَات، وأن من ظن أنه لا يكون هناك كلام إلا بما له جوف ولسان، فهو مكذب للقرآن، ويكاد أن يكون داخلا تحت عموم الآية؛ لأنه ظن أن الله لا يتكلم إلا مشبها بآله، كما ظن المشركون أن أعضاءهم لا يقدر الله على أن ينطقها، فكان جزاؤهم ما ذكر الله، فكيف بالذي يظن أن المنطق للأشياء لا يتكلم؟؟<sup>(٢)</sup>.

الشبهة الثالثة: قالوا: إن القرآن بائن من الله، وما كان بائنا فهو مخلوق<sup>(٣)</sup>.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

- ١- أن كلام المخلوق لا يكون مباينا عنه، فكيف يكون كلام الخالق مباينا عنه.
- ٢- قولكم بأن الكلام مباين عن الله يدل على أنكم ترون الكلام ذاتا قائمة بنفسها - وقد التزم به بعض فرق المعتزلة - ويلزم من هذا أن يكون جميع صفات المعاني بائنا عن الله!!، فعلى هذا يلزم أن يكون علم الله بائنا عنه!، وقدرته كذلك!، وهذا معلوم البطلان، إذ علم الله قائم به، وقدرته قائمة به لا بغيره، فكذلك كلامه قائم به، لا بائنا عنه،

(١) وثبت في السنة النبوية كذلك أن النبي ﷺ كان يعرف في مكة حجرا يسلم عليه، وثبت أن الحصى سبح في يده، وأن جذع النخلة حنت له، وكل هذه لو لم يكن الإيمان بالغيب، لما فهم بالعقل المجرد، ولما أدرك، وهذه لا تخالف العقل، حتى يقال بردها، بزعم مخالفتها للعقل، وإنما هو شيء حارث فيه العقول، ولم تحلها العقول، وهذه من دلائل المعجزات. انظر: أعلام النبوة للهاوردي ص ١٣٧، وما بعدها.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٧٩.

(٣) انظر: المجموع ٦/ ١٨٤.

وما كان قائما بغيره فهذه صفة تكون للقائم به، وأما أن الصفات ذوات، فهذا معلوم البطلان، عقلا ونقلا، إذ لا تجد علما قائما بنفسه، ولا قدرة قائمة بنفسها<sup>(١)</sup>.

٣- أن عقيدة أهل السنة أن الكلام: «غير بائن من الله، وإنما هو موجود منه، وقائم به»<sup>(٢)</sup>، وأن كلام المخلوق إذا وجد في كتاب، أو قرأه آخر لا يكون بهذا بائنا عنه، فكيف يكون كلام الخالق بائنا عنه لمجرد أنكم رأيتم كلامه في الكتاب، أو سمعتموه من القراء؟؟<sup>(٣)</sup>.

٤- معلوم أن المتكلم من قام به الكلام، والله أخبر أنه هو المتكلم، وأن القرآن قوله، فإذا كان قائما بغيره، فلا يكون قوله، ولا كلامه، وإنما يكون مخلوقه، كما أن كلامنا مخلوق له، ولا يقال: إنه كلام الله، فكذلك لا يقال: فيما يخلقه من الكلام في غيره، إنه كلام الله<sup>(٤)</sup>.

٥- لا يعرف في لغة ولا عقل أن المتكلم من فعل الكلام ولو كان بائنا عنه، ويلزم من نفيكم لأن يكون الله متكلمنا نفي وجود الله ﷻ، إذ «نفي الصفة نفي للموصوف، كما أن نفي الفعل نفي الفاعل، وفي نفي الكلام نفي للمتكلم»<sup>(٥)</sup>.

٦- أنه ﷻ حي، والحي يصح اتصافه بالكلام، فلو لم يكن متكلمنا، لكان موصوفا بضده، وهو نقص، وهو محال على الله ﷻ<sup>(٦)</sup>.

٧- إجماع السلف على أنه تعالى متكلم، وأن كلامه قائم به<sup>(٧)</sup>، «ولا قال أحد منهم: إن القرآن، أو التوراة، أو الإنجيل لازمة لذاته أزلا وأبدا، وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا قالوا: إن نفس ندائه لموسى، أو نفس الكلمة المعينة قديمة

(١) انظر: المجموع ١٢/٥٢٧-٥٢٨.

(٢) المجموع ٦/١٨٤، نقلا عن ابن خفيف الشافعي ﷺ.

(٣) انظر: المجموع ١٢/٥٥٠.

(٤) انظر: الدر النضيد لابن الحفيد ص ١٥٥، المجموع ١٢/٥٥٠-٥٦٠، ٥٦١.

(٥) الفرق بين الفرق للبيهقي ص ٢٥٧، وانظر: منهاج السنة ٢/٣٧٣، شرح الطحاوية ١/١٨٨.

(٦) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥٠.

(٧) انظر: ما سبق من ذكر أقوال السلف، ونقل عباراتهم، في الفصل الأول، من الباب الثاني.

أزلية، بل قالوا: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، فكلامه قديم، بمعنى: أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء، وكلمات الله لا نهاية لها»<sup>(١)</sup>.

٨- يلزم من قولكم: إن المتكلم من فعل الكلام ولو قام بغيره، أن يكون كل كلام في الوجود كلامه، وهذا باطل<sup>(٢)</sup>.

الشبهة الرابعة: قالوا: إن إضافة الكلام إلى الله ﷻ إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله، وعبد الله!!!، وينسب إليه الكلام لأنه خالق له.

ويجاب عن هذا:

١- أن المضاف إلى الله ﷻ نوعان: إضافة معان، وإضافة أعيان، فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة كبيت الله، وعبد الله، وناقة الله، بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرة الله، وعزته، وجلاله، وعظمته، وكلامه، وحياته، فإن هذا كله من صفاته، فإضافتها من إضافة الصفة إلى الموصوف، ليس إلا<sup>(٣)</sup>.

إذا قلتم بأن المضاف إلى الله تعالى لا يكون إلا من إضافة التشريف، لزم من ذلك أن حياة الله، وعلم الله، وذات الله، كل هذه مضافات هي من قبيل التشريف ليس إلا!!!، وهذا معلوم بطلانه، ومعلوم ما يترتب عليه من إلحاد، وتعطيل لصفات الله ﷻ بل وتعطيل لذاته ﷻ.

٢- لو كان كل ما خلقه الله ﷻ من الأفعال تصح إضافته إليه، فإنه يكون على قولكم صائها، وقائها، ومصلها؟؟ وهذا يؤدي إلى الحلول، وهذا معلوم بطلانه، فدل على أن الإضافة في مسألة الكلام ليست لمجرد الخلق، بل لكونه متكلمًا به<sup>(٤)</sup>.

(١) المجموع ٣٨/١٢.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٨٠، وسبق بيان بطلان القول بأن كل كلام هو كلامه، في البحث الثاني من هذا الفصل.

(٣) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٧٤-١٧٥، وانظر: الفصل الأول، من الباب الأول.

(٤) انظر: شرح الأصبهانية ص ١٤، منهاج السنة ١/ ٤٥٦، الرد على البكري ١/ ٣٤١.

الشبهة الخامسة: قالوا: إن "قال" بمعنى فعل، والقول يكون بمعنى الفعل، تقول العرب: قالت السماء فأمطرت، وقال الجدار هكذا إذا مال<sup>(١)</sup>.

ورد هذه الشبهة بما يأتي:

١- ذكر لأبي عبيد القاسم بن سلام<sup>(٢)</sup> رحمته الله هذا، فقال: « هذه أغلوطة؛ لأنك إذا قلت: قالت السماء، ثم تسكت، لم يدر ما معنى قالت؟ حتى تقول: فأمطرت، وكذلك إذا قلت: أراد الجدار، ثم لم تبين ما معنى أراد، لم يدر ما معناه؟، وإذا قلت: قال الله، اكتفيت بقوله: قال، فـ"قال" مكتف لا يحتاج إلى شيء يستدل به على قال، كما احتجت إذا قال الجدار فمال، وإلا لم يكن لـ"قال الجدار" معنى، ومن قال هذا فليس شيء من الكفر إلا هو دونه، ومن قال هذا: فقد قال على الله ما لم يقله اليهود، والنصارى، ومذهبه التعطيل للخالق<sup>(٣)</sup> ».

٢- أن هذا التشبيه كما ذكره الإمام أبو عبيد: كُفِّرَ لم يقله الأوائل، إذ شبهتم الله، وعطلتموه عن أوصاف الكمال، وقتلتم إنه قال، كما قال الجدار، من الجمادات!!، أو قال، كما قالت السماء، وهي لا تسمع ولا تبصر!!، فشبهم ربكم بالجمادات، وهذا تشبيه في حد ذاته وكفر برب البريات.

٣- قال ابن قتيبة رحمته الله: « أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر، ولا تُوكَد بال تكرار؛ فتقول: أراد الحائط أن يسقط، ولا تقول أراد الحائط أن يسقط إرادة شديدة...، والله تعالى يقول: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]؛ فوكد بالمصدر معنى الكلام، ونفى عنه المجاز، وقال: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ ».

(١) انظر: الغنية في أصول الدين ص ١٠٤-١٠٥، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٠٦، ونسبه إلى قوم، الفتح ١٣/ ٤٦٢، وذكر أن أبا عبيدة نقل هذه الشبهة عن بشر المريسي.

(٢) هو إمام اللغة والسنة: القاسم بن سلام (بالتشديد) بن عبد الله، أبو عبيد، له مصنفات رائقة، وتدقيقات فائقة، في علوم متفرقة، ومنها: الأموال، وفضائل القرآن، وغريب الحديث، وغيرها، توفي سنة ٢٢٤ هـ. انظر: السير ١٠/ ٤٩٠.

(٣) خلق أفعال العباد ص ٢٢-٢٣، وانظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٠٩، الصواعق المرسلة ١٤٠٦/ ٤، الفتح ١٣/ ٤٦٢.

فَيَكُونُ ﴿النحل: ٤٠﴾؛ فوكد القول بالتكرار، ووكد المعنى بإنها <sup>(١)</sup>.

٤ - أن القرآن إذا كان مخلوقا لله ﷻ، فكلامنا أيضا مخلوق لله ﷻ، فما الفرق حينئذ بين كلامنا المخلوق، وكلامه المخلوق، إذ تساوي في صفة الخلق؟؟.

ثانيا: أهم الشبهات النقلية للقائلين بخلق القرآن، والرد عليها:

استدلوا ببعض النصوص التي ظنوا أنها توافق مذهبهم الفاسد، فقالوا إن القرآن الكريم، والأحاديث، فيهما ما يدل على أن القرآن مخلوق، ومن أهم ما ذكروه:

أولا: استدلوهم بعموم الآيات التي تدل على أن الله هو الخالق، وأنه خالق كل شيء <sup>(٢)</sup>، وهذه الآيات هي: قوله ﷻ: ﴿وَحَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿وَحَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٢] قالوا: عموم هذه الآيات تدل على حدوث القرآن، وأنه تعالى خلقه، ولا دلالة تخرجه عن هذا العموم، فيجب دخوله فيه <sup>(٣)</sup>.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

١ - أن تمسككم بهذه الآيات التي تدل على أن الله خالق كل شيء لا يصح لكم، ولا يستقيم على مذهبكم، لأنكم لا تقولون بعمومها، أو لستم أخرجتم أفعال العباد من هذا العموم؟؟ وقتلتم بأنها ليست مخلوقة لله ﷻ، ثم عمدتم إلى صفات ربكم ﷻ وأدخلتموها تحت هذا العموم، أو ليست صفاته من كمال ذاته؟ فكما أن ذاته لا تدخل تحت هذا العموم فكذلك صفاته، ومنها القرآن الذي هو كلامه <sup>(٤)</sup>.

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١١١.

(٢) كتاب حجج القرآن ص ٦٦، شفاء العليل ١/ ١٥٥،

(٣) انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد ٧/ ٩٤.

(٤) انظر: الصفدية ٢/ ٧٢، شرح الطحاوية ١/ ١٧٨-١٧٩.

٢- هذه الآية عامة، ونوافقكم على هذا، ويلزمنا وإياكم العمل بعمومه، وأما أنتم فلم تقولوا بعمومه لما نفيتم أن يكون الله خالق أفعال العباد، وأما نفينا دخول القرآن تحت هذا العموم لا يعني ذلك التخصيص، لأنه أصلاً ليس فرداً من أفرادها حتى يشملها، بخلاف أفعال العباد، قال ابن القيم رحمه الله: «فليس هاهنا تخصيص البتة، بل الله سبحانه بذاته وصفاته الخالق، وكل ما عداه مخلوق، وذلك عموم لا تخصيص فيه بوجه، إذ ليس إلا الخالق والمخلوق، والله وحده الخالق، وما سواه كله مخلوق»<sup>(١)</sup>.

٣- أن "كل" هنا تفيد العموم بحسبه، فليس "كل" في كل موضع تفيد العموم المطلق، وإنما هي تفيد العموم النسبي، فقوله تعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فهي دمرت كل شيء إلا ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى، فلم تهدم مبانيهم، فهذه المباني لم تدخل تحت هذا العموم، فدل على أن المراد بالعموم هو العموم النسبي الذي دل عليه السياق، وهو أن هذه الريح لم تترك شيئاً مما فيه الروح من المخالفين<sup>(٢)</sup>.

٤- أن المراد بالشيء ليس هو القرآن في تلكم العمومات، ولا يدخل تحتها القرآن الكريم، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: «إن الله في القرآن لم يسم كلامه شيئاً، إنما سمى شيئاً الذي كان يقوله، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ [النحل: ٤٠] فالشيء ليس هو قوله، إنما الشيء الذي كان يقوله - «أي أن الشيء هو الذي تكلم الله عنه، لا هو نفس القول» -...، فكذلك إذا قال: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، لا يعني نفسه، ولا علمه، ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة، ففي هذا دلالة، وبيان لمن عقل عن الله، فرحم الله من فكر، ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسنة، ولم يقل على الله إلا الحق»<sup>(٣)</sup>.

(١) شفاء العليل ١/ ١٥٥.

(٢) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٣٣-٣٤، محنة الإمام أحمد للمقدسي ص ٨٩، شرح الطحاوية ١/ ١٨١.

(٣) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٣٣-٣٤.

٥ - أن إدخالكم للقرآن في عموم: (كل شيء) يلزم منه أن علم الله شيء، وأن قدرته شيء، وأن حياته شيء...!!!، فتكون هذه الصفات كلها داخلة تحت هذا العموم!!، وهذا صريح الكفر، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا<sup>(١)</sup>.

ثانيا: قالوا: إن القرآن الكريم جاء فيه ما يدل على أنه مجعول، وما كان مجعولا فهو مخلوق، لأن الجعل والفعل سواء، واستدلوا بالآيات التي فهموا منها ذلك<sup>(٢)</sup>، وهي قوله ﷺ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت: ٤٤] وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

والجواب عن هذه الشبهة من أوجه:

- ١ - أن "جَعَلَ" تكون بمعنى "خلق" إذا كانت متعدية إلى مفعول واحد، كقوله ﷺ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢] وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] أما إذا تعدت إلى مفعولين فلا تكون بمعنى "خلق" كما في الآيات التي تمسكتم بها، فلا حجة لكم فيها<sup>(٣)</sup>، وإنما هي في تلكم الآيات التي أوردتموها بمعنى صيره، وصرفه إلى اللغة العربية، وسماه به، فهو سبحانه تكلم بالقرآن بالعربية، وهو إن شاء تكلم بالعربية، وإن شاء جعل كلامه غير عربي<sup>(٤)</sup>.
- ٢ - ثم إذا أبيت ذلك، وقلتم بأن جعل بمعنى خلق أبدا، فهل تقولون بأن الله مجعول؟؟، لأنه ورد في القرآن الكريم، أنه سبحانه وتعالى قال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١] أتقولون: إن العباد خلقوا الله على أنفسهم كفيلا؟؟، أم تقولون: صيرنا الله وسميناه كفيلا؟؟، وأيضا: قوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ

(١) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٧٩

(٢) انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد ٧/ ٩٤، الكشاف للزخشري ٣/ ٤٧٧، حجج القرآن ص ٦٦، المعتمد لأبي يعلى القراء ص ١٩٤.

(٣) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٢٨، المجموع ٨/ ٢٩، شرح الطحاوية ١/ ١٨٢.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٥٢٢، الفتح ١٣/ ٤٦٣.



عِصِينَ ﴿[الحجر: ٩١] أفتقولون فيها: إن الكفار خلقوا القرآن أيضا، كما قلتُم بأن الله خلق القرآن؟؟<sup>(١)</sup> أم ستقولون: إن المراد أنهم صيروا القرآن عصين؟<sup>(٢)</sup>.

ثالثا: قالوا: إن القرآن الكريم جاء فيه ما يدل على أنه محدث، والمحدث مخلوق، فدل هذا على أن القرآن الكريم مخلوق<sup>(٣)</sup> كما في قوله ﷺ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، وقوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥٠]، وقوله: ﴿الرَّ كُتِبَ أُحْكِمَتْ آيَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، «وما صادفه فعل بعد فعل يكون محدثا»<sup>(٤)</sup>.

والجواب عن هذا من عدة نواح:

١- أن هذه الآيات تدل على أن آحاد كلام الله ﷻ جديدة من حيث النزول الزماني، وأن بعض كلام الله قبل بعض، وهذا يؤكد صحة معتقد أهل السنة والجماعة أن القرآن الكريم كلام الله ﷻ، تكلم الله به، وسمعه جبريل، ثم نزل به إلى محمد ﷺ، ولم ينزل مرة واحدة، فالكلام بعضه أجد من بعض من حيث الترتيب والنزول.

٢- أن قولكم: إن كل محدث فهو مخلوق، شيء اصطلاحتم عليه من القواعد المنطقية، والأصول الفلسفية، وأما معتقد أهل السنة والجماعة فمأخوذ من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمحدث في الآية ليس هو المخلوق، ولكنه الذي أنزل جديدا<sup>(٥)</sup>، والمحدث في لغة العرب يطلق على الجديد لا على المخلوق مطلقا، ولما كان الرسول ﷺ لا يعلمه ثم علمه، كان بالنسبة له جديدا، وكذلك بالنسبة إلى الصحابة، وكذلك بالنسبة لنا، فكم نسمع من آية هي جديدة على أسماعنا، وحديثه، ولكنها من

(١) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٢٧.

(٢) انظر: محنة الإمام أحمد ص ٨٤.

(٣) انظر: حجج القرآن ص ٦٦.

(٤) حجج القرآن ص ٦٦، وانظر: متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المعتزلي ٢/ ٤٩٦، ٥٤٥، والتفسير

الكبير ٢٢/ ١٤٠.

(٥) انظر: المجموع ١٢/ ٥٢٢.

كلام الله ﷻ، وموجودة قبل أن توجد، ولم يغير سماعنا لها جديدا شيئا من وصفه كلام الله، وإنما تجدد عندنا السماع<sup>(١)</sup>، قال القرطبي رحمه الله: «أي ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث، يريد في النزول، وتلاوة جبريل على النبي ﷺ، فإنه كان ينزل سورة بعد سورة، وآية بعد آية، كما كان ينزله الله تعالى عليه في وقت دون وقت، لا أن القرآن مخلوق»<sup>(٢)</sup>، فهذا يؤكد اعتقاد السلف: أن الله يتكلم متى شاء، إذا شاء، وكيف شاء، وأنه تكلم بالقرآن، فكلام الله حادث الأحاد، لا النوع.

٣- أن قولكم أنه تكلم بصوت وحرف، وهذا محدث، والمحدث من صفات المخلوقين فيه تليس، إذ المحدث في لغة القرآن هو الجديد، والقديم في لغة القرآن هو ما تقدم على غيره، فإن أردتم أن القرآن محدث من حيث كونه بعد التوراة والإنجيل فهذا حق، وإن كنتم تريدون أنه محدث بمعنى مخلوق، فهذا باطل نرده، وإن قلتم: لا بد أن يكون قديما، قلنا: هو قديم بمعنى ليس بمخلوق، وأهل السنة لا يقولون إن الله «كلم موسى بكلام قديم، ولا بكلام مخلوق، بل هو سبحانه يتكلم إذا شاء، ويسكت إذا شاء، كما أنه ﷻ خلق السماوات، والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش، وأنه سبحانه استوى إلى السماء وهي دخان، وأنه سبحانه يأتي في ظلل من الغمام والملائكة، كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]... وأمثال ذلك في القرآن والحديث كثير، يبين الله سبحانه إذا شاء فعل ما أخبر عنه من تكليمه، وأفعاله القائمة بنفسه»<sup>(٤)</sup>.

رابعا: قالوا: إن القرآن صرح بأن موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام -

(١) انظر: منهاج السنة النبوية ١٩٨/٢، محاسن التأويل ١٤٠/٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧٨/١١.

(٣) ومثله قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وهذا أصرح في الدلالة على أن الله يقول "كن" فيكون الشيء.

(٤) المجموع ٥٢٩/١٢.

سمع كلام الله من الشجرة<sup>(١)</sup>، حيث قال: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَكَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْنَرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَىٰ إِلَيَّ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

والجواب عن هذا ما يأتي:

١- أن الاستدلال بهذه الآية على أن كلام الله مخلوق من الادعاءات العربية، التي لا تلتبس إلا على من عري عن العلوم السنية الشرعية، فإن أول الآية دلّ على أنه نودي من بعد، فسمع موسى النداء من بعد من حافة الوادي، وكان هذا النداء في البقعة المباركة من الشجرة، أي من عند الشجرة، كما تقول سمعت كلام زيد من البيت، يكون من البيت أو من الشجرة لابتداء الغاية، لا أن البيت أو الشجرة هي المتكلمة<sup>(٢)</sup>.

٢- أن آخر الآية تبين أن المتكلم هو الله ﷻ، لأن موسى سمع الله يقول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] فلو كان الكلام مخلوقا في الشجرة لكانت هي القائلة لموسى إني أنا ربك!!، وهذا باطل وما أدى إلى الباطل فهو باطل<sup>(٣)</sup>.

٣- لو كان الكلام مخلوقا في الشجرة لما كان قول فرعون كفرا لما قال: أنا ربكم الأعلى؛ لأن هذا مخلوق من مخلوق، وذلك مخلوق من الشجرة المخلوقة، ولا فرق، وهذا يؤدي ويلزم منه عدم تكفير فرعون، ولهذا أنكر الأئمة هذا القول أشد الإنكار لعلمهم بهذه اللوازم الفاسدة.

٤- أن النداء والكلام الذي سمعه موسى لو كان من الشجرة مخلوقا لكان من يسمع الوحي من الملائكة أفضل منه، ولما كان لموسى أي مزية على الأنبياء الآخرين، بل لكان غيره أفضل منه في التكليم!!.

٥- أنه ثبت في القرآن الكريم من عدة أوجه أن الله كلم موسى بكلام سمعه من الله، وهذه الآيات كلها تدل على أن الكلام ليس مخلوقا، وأن القرآن

(١) انظر: متشابه القرآن ٢/ ٥٤٥، التفسير الكبير للرازي ٢٤/ ٢٤٤.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٨٢-١٨٣.

(٣) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٨٣.

الكريم كلام الله <sup>(١)</sup> قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقد: «أجمع النحويون على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازاً، فإذا قال: تكليماً، وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة التي تعقل... فهو - أي المصدر - لرفع المجاز عن النسبة؛ لأنه قد نسب الكلام فيها إلى الله، فهو المتكلم حقيقة» <sup>(٢)</sup>.

خامساً: تمسكوا بقول الله ﷻ في حق عيسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - حيث قال: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] قالوا: وعيسى مخلوق، فكلامه مخلوق <sup>(٣)</sup>.

### والجواب من وجهين:

١ - أن المراد في هذه الآية بكلمته، كلمة: "كن" حيث ألقاها إلى مريم فكان عيسى، وليس عيسى هو "كن"، حتى يقال: إن الكلمة مخلوقة لأنها هي عيسى، وإن عيسى كان "بكن"، ف"كن" من الله قول، وليس "كن" من الله مخلوقاً <sup>(٤)</sup>، قال قتادة ﷺ: «ليس الكلمة صار عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى» <sup>(٥)</sup>، وقال الحافظ ابن كثير ﷺ في تفسير هذه الآية: «إنما هو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه، قال له: كن، فكان، ورسول من رسله، كلمته ألقاها إلى مريم، أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام»

(١) وقد سقت الآيات التي تدل على أن الله متكلم حقيقة في الفصل الأول من الباب الأول.

(٢) الفتوح ١٣/٤٧٨، وانظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١١١.

(٣) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٣٩-٤٠، تبين كذب المفتري ص ٣٥٣، الجواب الصحيح ٦٧/٤، شرح الأصبهانية ٤٣٠، المجموع ٤/٢١٩، الروح ١٩٦.

(٤) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٤٠، شرح الأصبهانية ص ٤٣٠، الجواب الصحيح ٦٧/٤، المجموع ٨/٤١٨، الروح لابن القيم ص ١٩٦.

(٥) الجواب الصحيح ١٦/٢، وروى نحوه ابن جرير الطبري في تفسيره ٤/٣٧٤، وانظر: تفسير ابن كثير ١/٥٩٠.

(٦) هو الحافظ المحدث المؤرخ المفسر الكبير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير الدمشقي الشافعي، أبو الفداء عماد الدين، درس على الأئمة الفطاحل، كابن تيمية وابن القيم والذهبي، وبرع في علوم جمة، من مؤلفاته المشهورة: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، توفي سنة ٧٧٤هـ. انظر: الدرر الكامنة ١/٣٧٣، معجم المؤلفين ٢/٢٨٣.

إلى مريم، فنخ فيها من روحه بإذن ربه ﷻ»<sup>(١)</sup>.

٢- قلت إن عيسى هو كن، وهو مخلوق، ومعلوم أن عيسى ولد وجرى عليه ما يجري على آدميين من كونه مولودا، وصبيًا، وغلما، ويأكل ويشرب، وفي آخر الزمان يموت، فيلزمكم أن تقولوا: مثل ذلك في القرآن، وأنه ولد، وأنه يموت!!<sup>(٢)</sup>.

سادسا: قالوا: إن القرآن متعلق بقدر الله ﷻ، وما كان مقدورا فهو مخلوق<sup>(٣)</sup>، قال الله ﷻ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

#### رد الشبهة من أوجه:

١- إن أردتم أن كلام الله ﷻ مقدر بمعنى أن الله قدرها، فهذا حق، فإن كلام الله ﷻ مقدر، كما أن كل شيء مقدر، من الشرع وغيره، سواء كان متعلقا بالله ﷻ، أو متعلقا بالمخلوقين، فالقرآن نزل بقدر معين تكلم الله ﷻ به، وكذلك كان التوراة بقدر معين...

٢- أن التقدير يرد وقد يراد به المفعول، والآية هنا سقت لبيان المأمور به المقدور، وهذا مخلوق، ولم تسق لبيان المصدر الذي يأتي بمعنى الفعل.

٣- أن المراد بالأمر في الآية المأمور به لا نفس كلام الله ﷻ الذي هو من صفاته، فإن مصدر "الأمر" يرد وقد يراد به الفعل، ويرد وقد يراد به المفعول<sup>(٤)</sup>.

٤- أما إن كان مرادكم أن كلام الله له قدر معين، كما أن الخلق له قدر معين، فهذا ليس بصحيح، قال الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله: «حدثنا أبي قال سمعت بعض أهل العلم يقول: قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [الزمر: ٤٩]، وقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، يدل على أن القرآن غير مخلوق؛ لأنه لو كان مخلوقا، لكان له

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٩٠.

(٢) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٤٠، المجموع ٨/ ٤١٧-٤١٨، الروح ص ١٩٦.

(٣) انظر: المجموع ٨/ ٤١٢.

(٤) انظر: المجموع ٨/ ٤١٢.

قدر، وكانت له - نهاية -<sup>(١)</sup>، ولنقد كنفاد المخلوقين<sup>(٢)</sup>.

سابعاً: قالوا: جاء في الحديث أن البقرة وآل عمران غماتان، كما في قوله ﷺ: « اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غماتان، أو كأنهما غيايتان<sup>(٣)</sup>، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة<sup>(٤)</sup> »، ونحوها من الأحاديث، يدل على أن القرآن يجيء، ويأتي، ويكون غمامة!! وما كان كذلك فإنه لا يكون إلا مخلوقاً؛ ولا يوصف بالمجيء والإتيان، إلا المخلوق!!<sup>(٥)</sup>.

وجواب هذه الشبهة من وجوه:

- ١ - أن ما ذكر من أن سورة البقرة وآل عمران تأتيان غماتين، ونحوها من الأحاديث، فهذا ضرب مثل، وإلا « فإن الكلام لا يكون غمامة، ولا يُشَبَّه بها<sup>(٦)</sup> »، وهذا من سعة لغة العرب إطلاق اسم الشيء والمراد ما ترتب عليه.
- ٢ - أن المراد بهذا هو ثواب القراءة، كما جاء تفسير هذا عن الأئمة، كإمام أهل السنة والجماعة، وغيره<sup>(٧)</sup>، قال: أبو عبيد القاسم بن سلام - والسيف يومئذ يقطر من دماء أهل السنة في المحنة - المراد: ثوابها<sup>(٨)</sup>.
- ٣ - قال الإمام ابن حبان البستي<sup>(٩)</sup> رحمه الله بعد ذكر حديث شفاعة القرآن

(١) وفي الفتح: (وكانت له عناية)، ولا يستقيم المعنى إلا بما أثبتته.

(٢) الفتح ٤٥٤/١٣.

(٣) الغاية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه، كالسحابة وغيرها. النهاية في غريب الحديث ٤٠٣/٣.

(٤) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين... باب/ فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ح (٨٠٤) عن أبي أمامة الباهلي.

(٥) انظر: أساس التقديس للرازي ص ٨١، المجموع ٢٠٦/٥، شرح حديث النزول ص ٢٠٧.

(٦) أقاويل الثقات للكرمي ص ٢١٧.

(٧) انظر: المجموع ٤٠٩/٨، شرح الطحاوية ٩٤/١.

(٨) فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٢٦.

(٩) هو العالم الحافظ: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البستي، له مؤلفات في السنة

لأهله: « هذا خبر يوهم لفظه من جهل صناعة العلم أن القرآن مجعول مربوب، وليس كذلك؛ لكن لفظه مما نقول في كتبنا: إن العرب في لغتها تطلق اسم الشيء على سببه، كما تطلق اسم السبب على الشيء؛ فلما كان العمل بالقرآن قاد صاحبه إلى الجنة أطلق اسم ذلك الشيء الذي هو العمل بالقرآن على سببه الذي هو القرآن، لا أن القرآن يكون مخلوقاً»<sup>(١)</sup>.

٤- أن الجزاء يكون على فعل الإنسان، والمكلف حينما يقرأ القرآن فإن القراءة فعل له، لا أن القرآن من أفعاله، فالذي يجازى به هو فعله نفسه، ولا يجازى بفعل غيره، وصفة غيره، ولهذا قال الإمام أحمد رحمته الله: « إن القرآن لا يجيء، - وإنما يكون المعنى - أنه قد جاء: « من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فله كذا، وكذا، ألا ترون من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لا يجيئه، بل يجيء ثوابه، لأننا نقرأ القرآن، فنقول لا يجيء، ولا يتغير من حال إلى حال»<sup>(٢)</sup>، فبين الإمام رحمته الله أن الذي يجيء هو المخلوق من عمل العبد، وهو القراءة، لا المقروء نفسه، بدليل: أن من قرأ سورة كذا فله كذا، لا أن من قرأ السورة فهي له كذا، فالسورة نفسها لا تكون له، وإنما يكون له ثوابها<sup>(٣)</sup>، ولو كان المقصود السورة نفسها، لما كان للحث على القراءة من معنى، وأنت ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على قراءتها، لا على الحصول على السورة نفسها فقال: [اقرأوا القرآن... اقرأوا الزهراوين... اقرأوا سورة البقرة] ثم في آخر الحديث بيان لهذا حيث قال: إن أخذها بركة، أي أخذها بقراءتها والعمل بها، وكل هذه أفعال للعبد، وقال: تركها حسرة، لأن من لم يقرأها سيجد يوم القيامة أن من قرأها كانت قراءته له شفيعاً، فيتحسر على ترك القراءة - والله أعلم -.

مشهورة، ومشاركات في العلوم مشكورة، ومن مصنفاته: كتابه في السنن المشهور بصحيح ابن حبان، وتاريخ الثقات، توفي سنة ٣٥٤هـ. انظر: السير ٩٢/١٦.

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١/١٦٧، عند ح (١٢٤).

(٢) المجموع ٨/٤١٠.

(٣) انظر: المجموع ٨/٤١٠، ١٢/٧٩.

٥- أن قولكم: إن من وصف بالمجيء والإتيان لا يكون إلا مخلوقا باطل، بدليل أن الله ﷻ أخبر عن نفسه أنه يجيء ويأتي، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] وقال: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ومعلوم أن هذه الأوصاف التي جاءت في حق الله ﷻ لا تدل على كون الله ﷻ مخلوقا بالاتفاق، فدل ذلك أن الوصف بالمجيء والإتيان لا يلزم منه أن يكون مخلوقا<sup>(١)</sup>، وهذا لو قيل بأن المراد بالشفاعة شفاعة السورة نفسها.

٦- قلت محرفين في الآيات التي تدل على مجيء الرب ﷻ بأن المراد: جاء أمره، فلم لا يكون المراد في وصف القرآن بأنه يجيء أن يكون المراد: يجيء ثواب قراءته؟؟ والقراءة مخلوقة<sup>(٢)</sup>.

ومما يبين فساد قول المعتزلة في القرآن الكريم ما يلزمهم من اللوازم الفاسدة، من قولهم: إن القرآن مخلوق، والشناعات التي تترتب على قولهم هي:

١- تضليل السلف، إذ كانت هذه المسألة من الدين ولم يبينها لنا الرسول الكريم ﷺ، ولا الصحابة ذوو العلم والتعظيم للقرآن الكريم؟؟، فيقال لهؤلاء المعتزلة: هل هذا شيء علمه رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده، أم لم يعلموه؟؟ فإن قلت بالثاني ضللتهم، وإن قلت بالأول، قيل لكم: وهل دعوا الناس إليه، وعلموه الناس أم لا؟؟ فإن قلت بالثاني تبين أن هذا ليس من الدين، وإن قلت أنه لم يدعوا الناس إليه تبين ضلالكم في اتهام النبي ﷺ بكتمان الدين، وعدم بلاغه البلاغ المبين، وكان فيه اتهام للسلف الصالحين!!<sup>(٣)</sup>

٢- قال ابن بدران<sup>(٤)</sup> رحمه الله: «وأما الجهمية فقد أجمع من أدرنا من أهل

(١) انظر: المجموع ٨/ ٤٠٨.

(٢) انظر: المجموع ٨/ ٤٠٩.

(٣) انظر: محنة الإمام أحمد للمقدسي ص ١٦٨-١٦٩.

(٤) هو الفقيه الأصولي السني: عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم الدومي الدمشقي المعروف بابن بدران، له مؤلفات في العلوم المختلفة، من مؤلفاته: المدخل، وجنة المناظر شرح روضة الناظر، توفي في دمشق سنة ١٣٤٦ هـ. انظر: معجم المؤلفين ٥/ ٢٨٤.



العلم أنهم قالوا إن الجهمية افترقت ثلاث فرق: فقالت طائفة منهم: القرآن كلام الله، وهو مخلوق، وقالت طائفة: القرآن كلام الله، وسكتت، وهي الواقفة الملعونة، وقالت طائفة منهم: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، فهؤلاء كلهم جهمية كفار، يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا، وأجمع من أدركنا من أهل العلم على أن من هذه مقالاته إن لم يتب، لم يناكح ولا يجوز قضاؤه ولا تؤكل ذبيحته»<sup>(١)</sup>.

٣- أن في قولهم تشبيها لكلام الخالق بكلام المخلوق من حيث كون الكل مخلوقاً!! «فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق، ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات، لا يتكلم حتى خلق التكلم، وكذلك بنو آدم، كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلاماً، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه»<sup>(٢)</sup>.

٤- أن الأئمة أخبروا بأن من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، من حيث العموم، وأمروا بقتلهم وهجرهم، وتضليلهم، فهذا يدل على شناعة هذا القول، وخطورته في الدين<sup>(٣)</sup>.

٥- يلزمكم على قولكم بأن كلام الله مخلوق له، أن يكون كلام المخلوقين كلاماً له، وذلك لأنه مخلوق له - كما هو معتقد أهل السنة - فلا يكون حينئذ فرق بين كلام الرب، وكلام العبد!<sup>(٤)</sup>.

٦- أن إنكاركم كلام الله ﷻ حقيقة، وأنه متكلم أزلاً، كما أنه متكلم إذا شاء، يلزم منه وصف الرب الكامل ﷻ بالنقص، إذ وصفتموه بأنه لا يستطيع أن يتكلم، لا

(١) المدخل لابن بدران ص ٥٤.

(٢) الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٤٦، وانظر: الصفدية ٢/ ٨٩.

(٣) انظر: خلق أفعال العباد ص ١٢١، وما بعدها حيث نقل الإمام البخاري ﷺ الاتفاق على كفر من قال: القرآن مخلوق، وانظر: تبين كذب المفتري ص ١٥٩، المعتمد لأبي يعلى الفراء ص ٢٦٧، شرح الأصبهانية ص ٤٣٠ وما بعدها، المجموع ١٢/ ٥٢٤، الفتح ١٣/ ٤٧٨، المدخل لابن بدران ص ٥٤.

(٤) انظر: شرح الأصبهانية ص ٥٤٦، منهاج السنة ٢/ ٣٧٢، المجموع ١٧/ ٨٤.

أزلا، ولا أبدا!!<sup>(١)(٢)</sup>.

وبعد أن ذكرت أهم شبهات القوم مع الجواب عنها، وبعضاً مما يدل على فساد مذهبهم، فإني قد تركت بعض شبهاتهم التي يشتركون فيها مع أفرأخهم الأشاعرة والماتريديّة، وسأبينها في المبحث الآتي.

(١) انظر: المجموع ٦/ ١٥٤-١٥٥.

(٢) تنبيه: ربما يقرأ المسلم في بعض الكتب، أو يسمع من بعض الخطباء والوعاظ - قاصدين هذا المعنى أو غير قاصدين - أنهم يقولون: قالت الآية!!، وصور القرآن، وصوت القرآن، ونحو ذلك: وهذه ليست بجيدة لأنها تشعر بقول المعتزلة لأن هذا الفعل لم تأت نسبته إلى القرآن الكريم، وإنما ينبغي حين النسبة والإضافة الاقتصار على ما ورد، وقريب من هذا قول بعضهم: رسم الله في كتابه!!، ونحو ذلك من العبارات، التي لم تأت في الآيات البينات، والأحاديث الثابتات، وهذا يشبه قول القائلين: بخلق القرآن، ولكنه تلميح لا تصريح، فينبغي التنبيه - والله الهادي إلى سواء السبيل -.

## المبحث الرابع

## القول بأن القرآن حكاية أو عبارة عن كلام الله

إن القول بأن القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله ﷻ هو من الأقوال المشهورة على ألسنة المخالفين للسلف، وليتبين هذا المبحث ويتجلى أبين أموراً، وهي:

## أولاً: معنى هذا القول.

الحكاية مأخوذة من قولك: «حكيت الشيء أحكيه حكاية، إذا أتيت بمثله على الصفة التي أتى بها غيرك، فأنت كالناقل، ومنه أتيت صنعته إذا أتيت بمثلها»<sup>(١)</sup>، فالحكاية مأخوذة من إحكام الشيء بعقد أو تقرير، والثاني هو المراد هنا، والحكاية بالتقرير: أن تفعل مثل ما فعل الأول<sup>(٢)</sup>.

وكان ابن كلاب<sup>(٣)</sup> وأصحابه يقولون: بأن القرآن حكاية عن كلام الله ﷻ<sup>(٤)</sup>، ثم جاء الأشعري ومن بعده فقالوا: بأن القرآن عبارة عن كلام الله ﷻ النفسي، وليس حكاية عنه<sup>(٥)</sup>؛ لأن الحكاية لا بد أن يكون فيها محكي في الأول، فعدلوا عن هذه اللفظة إلى لفظة العبارة، لأنها لا تحتاج إلى محكي في الأصل<sup>(٦)</sup>.

(١) المصباح المنير ص ١٤٥.

(٢) انظر: مقاييس اللغة ص ٢٧٧.

(٣) هو رأس الكلاية ومؤسسها: عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري، صاحب تصانيف في الرد على المعتزلة، وقيل له: كلاب، لكونه يجر الخصم إلى قوله بفصاحته! وأصحابه هم الكلاية (وهو أقرب المتكلمين إلى السنة)، توفي في حدود ٢٤٠هـ. انظر: السير ١١/ ١٧٤.

(٤) انظر: التسعينية ٢/ ٤٣٨.

(٥) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٧٥.

(٦) انظر: التسعينية ٢/ ٤٣٨، المجموع ١٢/ ٥٤٣.

وأما العبارة فمأخوذة من (عَبَّرَ) يُعَبِّرُ، تعبيراً، وتقول: «عَبَّرَ عن فلان، تكلمت عنه، واللسان يعبر عما في الضمير: أي يُبَيِّن»<sup>(١)</sup>، وقد يكون مأخوذاً من التعبير، أعني تعبير الرؤيا<sup>(٢)</sup>، وذلك لأنه شيء في الخيال كالشيء في النفس، ثم يترجم عنه، ويبين عنه بالتعبير الذي يكون من المعبر، وهذا لصيق بقولهم: إن كلام الله ﷻ نفسي، يعبر عنه غيره كالأول.

فهذا القول يعني أن القرآن الكريم الموجود بين دفتي المصحف، المسموع من القراء، المتلو بالألسن، ليس هو كلام الله ﷻ، بل هو عبارة عنه، أو حكاية عنه، أي شيء يدل عليه، لا أنه هو نفسه كلام الله ﷻ الذي هو صفة من صفاته!!.

فأصحاب هذا القول يشبّهون الله ﷻ في الظاهر كلاماً، ويقولون: إنه صفة من صفات ذاته، ويعنون به «المعنى القائم بالذات، وهو غير مخلوق، وكتابه هو: المنظوم المؤلف العربي، وهو مخلوق!!»<sup>(٣)</sup>.

ويصرحون بهذا القول، فيقولون في شرح قولهم "القرآن كلام الله" أي: «أن القرآن كلام الله الخ هذا مستفاد مما تقدم من أن صفات الله تعالى قديمة، وإننا ذكره لإفادة أن القرآن يطلق على كلام الله الذي ليس بمخلوق، كما يطلق على اللفظ الدال عليه، وإلا لم يحتج إلى قوله ليس بمخلوق إذ يصير حشواً.. قوله كلام الله بدل، أو عطف ببيان بذاته، احتراز من كلام الله بمعنى الحروف والأصوات فإنها ليست قائمة بذاته»<sup>(٤)</sup>.

ويقولون: أن القرآن الكريم الموجود بين دفتي المصحف دالّ على كلام الله، وليس هو كلام الله، فعندهم لا يعرف الله كلاماً، وإنها يعرف الدال عليه، والذي يدل عليه يسمى: «العبارة، والكتابة، والإشارة، والدال يسمى قرآناً، وتوراة، وزبوراً باعتبار النازل عليه....» وهذا الموجود في المصاحف، هو - كلام الله عبارة عن المعنى

(١) المصباح المنير ص ٣٩٠.

(٢) المفردات للراغب ص ٣٢٣.

(٣) المجموع ١٢/١٢٥.

(٤) حاشية العدوي ١/ ٨٠-٨١، وانظر منه ص ٦٥، والفواكه الدواني ١/ ٥٦.

النفسى، القائم بذاته المنزه عن الأصوات، والحروف، والتقدم، والتأخر»<sup>(١)</sup>.

وقد يقولون: إن كلام الله مسموع وهم يعنون أنه يفهم من دون حروف وأصوات، أو يعنون الدال على الكلام النفسى، لا أن الكلام النفسى يُسمع، فيقولون: القرآن الكريم كلام الله ويُسمع، ويعنون به ما ذكرت، يقول الجويني: «كلام الله تعالى مسموع في إطلاق المسلمين... والذي يجب القطع به، أن المسموع المدرك في وقتنا الأصوات، فإذا سمي كلام الله تعالى مسموعاً، فالمعنى به كونه مفهوماً معلوماً عن أصوات مدركة ومسموعة... ولو كان السامع لقراءة القارئ مدركاً لنفس كلام الله تعالى، لما كان موسى صلوات الله عليه مخصصاً بالتكليم»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الكلام يؤكد أن الأشاعرة لم يفرقوا بين كلام الله ﷻ المسموع منه مباشرة، وهو الذي اختص به موسى، - إذ سمع كلام الله بصوته، ومن غير واسطة - وبين كلام الله ﷻ المسموع بواسطة جبريل، أو محمد ﷺ أو القراء من الصحابة وغيرهم، إذ سمع النبي ﷺ من جبريل كلام الله بواسطة، وبصوت جبريل، فالكلام كلام الله لما سمع موسى ولما سمع محمد ﷺ، إلا أن الوسيلة والأداة مختلفتان، فمن سوى بينهما فقد جمع بين المفترقين، وهو الذي أدى إلى قول ليس عليه أثارة من الوحيين.

فتبين أنهم يقولون: بأن الله يوصف بأنه متكلم لكن بكلام نفسى، لا يعلم إلا بما يدل عليه، وأن هذا الكلام النفسى كلام أزلي، لا يكون بمشيئته وقدرته، وأن القرآن عبارة عن كلام الله ﷻ، ومقصودهم أن هذا المتلو ليس هو كلام الله ﷻ بل هو عبارة عنه<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: سبب ظهور هذا القول.

من أسباب ظهور هذا القول أن الكلابية ونحوهم وافقوا المعتزلة في دليل الحدوث، وقالوا: الذي يدل على وجود الله هو صحة حدوث الأجسام، وأن ما لا

(١) الفواكه الدواني ١/ ٥٤-٥٥.

(٢) الإرشاد للجويني ص ١٣٠.

(٣) انظر: إحياء الغزالي ١/ ١٧٥.

يخلو من حادث فهو حادث، فلما وافقوهم على هذا الأصل، ونشأ الخصام في مسألة القرآن الكريم، وخاصمت الكلاية والأشاعرة المعتزلة، فقالت المعتزلة: يلزم من إثبات الكلام القديم، أن هذه الأحرف من القرآن قديمة، وأن الصوت المسموع قديم، فقالت الأشاعرة: لا يلزم منه ذلك، لأننا ثبتت كلاماً قديماً، وأن الله لا يتكلم بكلام يُسمع!!، ولا يكون حروفاً!!، ولا يكون بصوت!!، وإنما كلامه نفسي، وهو واحد إن عبر عنه بالعبرانية كان تورا، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً!!!، وما يكون في الأرض من كلام الله، أو في السماء للملائكة من خطاب الله، فإنما هو عبارة، أو حكاية عن كلام الله، ولهذا قالوا: إن القرآن هو عبارة عن كلام الله ﷻ، أو حكاية عنه<sup>(١)</sup>.

وذلك لأنهم قالوا بأن الكلام النفسي قديم بناء على: «ما ثبت عندهم أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم، وقد وافقوا المعتزلة على أن الحوادث لا تقوم بالقديم، لزم من هذين الأصلين: أن يكون الكلام قديماً»<sup>(٢)</sup>، فالقرآن الكريم قديم عندهم على معنى أنه قائم بذات الله تعالى، لا ينفك عنه، وأن القرآن الذي في المصحف عبارة عن القديم، ويطلقون عليه لفظ القرآن تجوزاً، يقول صاحب الجوهرية:

ونزه القرآن: أي كلامه عن الحدوث، واحذر انتقامه<sup>(٣)</sup>

فإذا قالوا: إن القرآن الكريم قديم يعنون به الكلام النفسي، كما هو واضح من البيت المذكور، فعندهم أن ما بين دفتي المصحف محدث مخلوق؛ لأنه ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عن كلام الله؛ لأن المحدث في اصطلاح القوم هو المخلوق، وأما القديم فهو الكلام النفسي، وهو المراد عند إضافة الكلام إلى الله ﷻ عند أصحاب هذا القول.

(١) انظر: منهاج الأدلة لابن رشد ص ٧٤، منهاج السنة ٣/ ٣٥٤، ٥/ ٤١٧، الفواكه الدواني ١/ ٥٥.

(٢) منهاج السنة ٣/ ٣٥٦.

(٣) جوهرية التوحيد ص ١٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

وما جاء في كلامهم أن القرآن الكريم ليس بمخلوق،<sup>(١)</sup> يعنون به الكلام النفسي، لا القرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ، فتنبه.

ومن أسباب قولهم هذا اعتقادهم أن كلام الله الحقيقي لا يكون إلا نفسياً، وأنه لا يكون منه كلام هو صوت وحرف، وقالوا: إن الكلام لا يتعلق بالمشيئة، وإنما كلامه قديم أزلي.

يقول أبو حامد الغزالي الأشعري في حقيقة الكلام ومعناه: «هو القائم بذات الله تعالى، وهو صفة قديمة من صفاته»<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: القائلون بهذا القول.

وهذا القول أول من أظهره، وقال به هو عبد الله بن سعيد بن كلاب<sup>(٣)</sup>، ذكر الحافظ ابن حجر<sup>(٤)</sup> ﷺ أن الكلاية يقولون: «الكلام صفة واحدة، قديمة العين، لازمة لذات الله كالحياة، وأنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وتكليمه لمن كلمه، إنما هو خلق إدراك له يسمع به الكلام، ونداؤه لموسى لم يزل، لكنه أسمع ذلك النداء، حين ناجاه، ويحكي عن أبي منصور الماتريدي من الحنفية نحوه، لكن قال: خلق صوتاً، حين ناداه فأسمعه كلامه... وأخذ بقول ابن كلاب القلانسي والأشعري، وأتباعهما، وقالوا: إذا كان الكلام قديماً لعينه لازماً لذات الرب، وثبت أنه ليس بمخلوق، فالحروف ليست قديمة؛ لأنها متعاقبة، وما كان مسبوقاً بغيره، لم يكن قديماً، والكلام

(١) كما في بدأ الأمالي للفرغاني ص ٢٠، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، حيث يقول الناظم: «وما القرآن مخلوقاً تعالى كلام الرب عن جنس المقال». فمراده نفي الخلق عن الكلام النفسي لا عن القرآن الكريم!!.

(٢) المستقصى ص ٨٠، وانظر: الجواب الصحيح ٣٤٠/٤.

(٣) انظر: منهاج السنة ٣/٣٥٣، ٣٦٩.

(٤) هو الحافظ المشهور، والمؤرخ الناقد: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكنانى العسقلاني الشافعي، أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر، نشأ وتربى في مصر، ودرس فيها، ودرس، وله مؤلفات مزبورة، وفوق المائة معدودة، ومنها: فتح الباري وهو أعظم شرح للبخاري، والتهديب، وغير ذلك، توفي سنة ٨٥٢هـ. انظر: معجم المؤلفين ١/٢٠.

القديم معنى قائم بالذات، لا يتعدد!!، ولا يتجزأ، بل هو معنى واحد، إن عبر عنه بالعربية فهو قرآن، أو بالعبرانية فهو تورا<sup>(١)</sup>.

فالذهب بدؤه ابن كلاب، ووافقه عليه صاحبه الحارث المحاسبي<sup>(٢)</sup>، ثم تبعه على ذلك أبو الحسن الأشعري، وأبو منصور الماتريدي، وأتباع الأشعري وهم المسمون بالأشعرية، وأتباع الماتريدي وهم المسمون بالماتريدية على هذا المذهب في مسألة الكلام، وهو: أن كلام الله ﷻ قائم بذاته، وأن كلامه لا يُسمع، وأنه ليس للرب صوت مسموع، ولا لكلامه حروف، وما يكون من الأصوات، ومن الأحرف فهي مخلوقة تدل على الكلام النفسي القديم الواحد، وأن الرب ﷻ لا يستطيع أن يتكلم باختياره ومشيئته، في وقت دون وقت<sup>(٣)</sup>.

والجويني بعد أن حاور المعتزلة في رده الكلام الذي يكون بحرف وصوت برد غير مقنع، حار في تعريف الكلام، ثم قال: «الكلام هو القول القائم بالنفس، وإن رما تفصيلا، فهو القول القائم بالنفس، الذي تدل عليه العبارات، وما يصطلح عليه من الإشارات»<sup>(٤)</sup>.

فجعل الجويني الكلام هو المعنى القائم بالنفس، وجعل الأحرف، والمكتوب في مصاحف المسلمين دالا على ذلك الكلام القائم بالنفس!!، لا هو الكلام نفسه!! ونسب القول بالحكاية إلى المعتزلة أبو الحسن الأشعري ﷻ حيث قال: «وأجمعت المعتزلة على أن قراءة القرآن غير المقروء، واختلفوا هل القراءة حكاية للقرآن أم لا؟، فمنهم من قال: هي حكاية»<sup>(٥)</sup>.

(١) الفتح ٤٦٣/١٣.

(٢) هو الصوفي المتكلم: الحارث بن أسد المحاسبي البصري أبو عبد الله، له رواية في الحديث، توفي ببغداد، وكان الإمام أحمد ﷻ يحذر منه، وله مؤلفات منها: التفكير والاعتبار، توفي سنة ٢٤٣ هـ. انظر: السير ١١٠/١٢.

(٣) انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني ص ١٠٥-١٠٦، المجموع ٥٦/١٧.

(٤) الإرشاد ص ١٠٨.

(٥) مقالات الإسلاميين ١/ ٢٢٥، وإذا صح ما نسبته الأشعري عن المعتزلة، فلعل هذا قول بعضهم، وتأكد



ونسبه شيخ الإسلام رحمته الله إلى الجهمية، فقال إنهم: « يقولون: إن الله لا يتكلم، وليس له كلام، وإنما خلق شيئاً فعبّر عنه »<sup>(١)</sup>.

رابعاً: شبهاتهم التي استدلو بها؛ والرد عليها.

أولاً: شبهاتهم العقلية التي استدلو بها، وهي كثيرة، لكن أذكر أهمها، وهي:

أ- قولهم: إن كلام الله نفسي، وأنه لا يتكلم بحروف وصوت، فهذا ما نقله محقق الأشعرية، ورافع لوائهم الرازي، فيقول: « أما أصحابنا فقد اتفقوا على أن الله تعالى ليس بمتكلم بالكلام الذي هو الحروف والأصوات، بل زعموا، أنه متكلم بكلام النفس »<sup>(٢)</sup>، ويزعمون أن هذا الكلام النفسي ليس له علاقة بمشيئة الله تعالى، واختياره وقدرته<sup>(٣)</sup>.

ويقولون دل على ذلك اللغة، كما تقوله العرب: « كان في نفسي كلام، وزورت في نفسي قولاً »<sup>(٤)</sup>، ويدل على ذلك الثر والشعر، يقول الرازي: « الكلام في اللغة قد يطلق على الكلام النفسي في الجملة »<sup>(٥)</sup>، واستدلوا بقول الشاعر النصراني الأخطل<sup>(٦)</sup>، حيث قال:

لي ذلك بعد ما وقفت على كلام شيخ الإسلام حيث نسب هذا القول إلى طائفة من المعتزلة. انظر: المجموع ١٢/ ٥٤٢، وبهذا يبين أن الأشاعرة والماتريدية - حسب نقل إمامهم - على مذهب المعتزلة، فإن لم يكونوا صراحة على مذهبهم، فإنهم على مذهبهم في المال. انظر: المعتمد للقراء ص ٨٩.

(١) المجموع ١٢/ ١٧٧، ومعلوم أن هناك فرقاً بين قول الجهمية وهؤلاء؛ فإن هؤلاء يقولون بكلام قائم به وهو النفسي، والمعبر عنه الخلق، وأما الجهمية فلا يقولون بكلام قائم به، وإنما يقولون: بأن هناك من يعبر عنه، سواء قالوا: المعبر عنه مخلوق، أو يخلق الكلام معبراً.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥٠، وانظر: الإرشاد للجويني ص ١٢٤، العقائد النسفية ص ٢٩، ورسالة في التوحيد للبيجوري ص ٤٢، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، أم البراهين للسنوسي ص ٤، والخريدة البهية في العقائد التوحيدية للدردير ص ٢٥، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) الإرشاد ص ١١١.

(٥) الدر النضيد لابن الحفيد التفتازاني ص ١٥٦.

(٦) هو الشاعر النصراني: غياث بن غوث الأخطل بن الصلت التغلبي أبو مالك، وكان شاعراً مادحاً للأمرء خصوصاً الأمويين، وكان بينه وبين جرير والفرزدق تهاج، وله ديوان شعر، توفي سنة ٩٠ هـ. انظر: معجم المؤلفين ٨/ ٤٢.

إن الكلام لفي الفؤاد، وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً<sup>(١)</sup>  
والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

١ - أن هذا البيت لم يثبت بهذا اللفظ، والثابت إنما هو بلفظ: «إن البيان لفي الفؤاد»، ولم يقل الكلام، وبتقدير صحته لماذا لا تقولون: إنه مجاز، وأن ما ثبت في الكتاب والسنة المراد بهما الحقيقة!!؟<sup>(٢)</sup>.

٢ - أن هذا البيت من شاعر نصراني لا يحتج به على مخالفة القرآن والسنة، خصوصاً بعد علمنا أن عقيدة النصارى في الكلام باطلة، أم تقولون: يجب اطراح كلامه تعالى ورسوله، وسائر الخلق تصحيحاً لكلامه، وحمل كلامهم على المجاز، صيانة لكلامه عن المجاز!!<sup>(٣)</sup>.

٣ - أن هذا البيت يلزم منه أنه لا يكون كلام إلا إذا كان هناك لسان دال عليه، وهل تثبتون لله ﷻ لساناً حتى يكون دالاً على ما في نفسه، أم تأخذون بأول البيت، وتتركون آخره!! أو نطرحه كلياً؟؟؟، ثم كيف تقولون: إنه لا يكون كلام إلا بلسان، وقد سمع النبي ﷺ تسليم الحجر عليه، وتسييح الحصى في يده، وتحذير الذراع المسمومة له<sup>(٤)</sup>.

٤ - أن اسم الكلام موضوع في اللغة لهذه الألفاظ المركبة من الأحرف، الدالة على المعاني، وأما قولكم إن الكلام في اللغة هو الكلام النفسي فلم تسبقوا إليه، ويكون في هذا تحريف للغة، بل لا يكون في اللغة الكلام كلاماً إلا إذا كان مفيداً، واختلفوا في الإشارة<sup>(٥)</sup>، ولهذا قلتم: قد يكون، ولم تجزموا بذلك لعلمكم بخلافه، ثم إن أهل العرف - وهم أعلم منكم - يسمون الناطق متكلماً، ومن عده ساكتاً، أو أخرس<sup>(٦)</sup>.

(١) الإرشاد للجويني ص ١١١، الغنية ص ١٠٢، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥٢.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٩٩، العين والأثر ص ٧٧، بل من أهل العلم من أنكر وروده في ديوانه مطلقاً. انظر: العين والأثر ص ٨٥.

(٣) انظر: شرح الطحاوية ١/ ٢٠٠، العين والأثر ص ٨٤.

(٤) العين والأثر ص ٨٦.

(٥) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥٢.

(٦) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٩٨، العين والأثر ص ٨٢.

٥- أن هذا البيت معارض بنصوص القرآن والسنة.

٦- أنه مخالف لإجماع السلف<sup>(١)</sup>، ولم يقل بالكلام النفسي إلا الأشاعرة وشيوخهم من الكلاية، وإخوانهم من الماتريدية، قال الرازي: «أما المعنى الذي يقول به أصحابنا، فهو غير مجمع عليه، بل لم يقل به أحد إلا أصحابنا»<sup>(٢)</sup>، فشهد شاهد من أهلها، ثم الإجماع قائم على أن القرآن الكريم إذا أطلق فالمراد به اللفظ المنزل على نبينا محمد ﷺ المحتوي على المعاني، فالقرآن لفظ ومعنى، فـ «ليس القرآن عندنا بمجرد معناه فقط، بل بلفظه المخصوص، ومعناه، وأسلوبه الذي أعجز الأولين والآخرين»<sup>(٣)</sup>.

٧- أن قولكم: إن العرب تقول: زورت في نفسي كلاما، فهذا حق، لأن الإنسان يزور في نفسه كلاما، لكن العرب لم تطلق هذه العبارة، بل جاءت العبارة مقيدة هكذا: «زورت في نفسي كلاما»، والخلاف في الكلام عند الإطلاق ما هو؟ وليس الكلام عند التقيد، وإلا فإن الكلام قد يقيد بأشياء أخرى، غير النفس، فلا حجة لكم في هذا، فالكلام ليس هو ما في النفس، لكن ما في النفس إذا زور يكون من قبيل حديث النفس، وإذا نطق به علمنا أنه كلام، وإلا فهو حديث النفس، وقد أجمع الفقهاء -رحمهم الله- على: «أن من تكلم في صلاته عامدا، وهو لا يريد إصلاح شيء من أمرها، أن صلاته فاسدة»<sup>(٤)</sup>، وأجمعوا على أن الكلام النفسي، وهي: «الفكرة في أمور الدنيا لا تفسد الصلاة»<sup>(٥)</sup>، فدل على أن الكلام النفسي إذا لم يسمع لا يكون كلاما عرفا وشرعا<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: الفصل الثاني، من الباب الأول، وقد ذكر ابن القيم أن شيخ الإسلام ﷺ رد الكلام النفسي من سبعين وجها، وهو كذلك كما في كتابه التسعينية، وغيرها. انظر: العين والأثر ص ٧٧.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥٢.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٢٦، وهذا كلام حق من القرطبي مع أنه من الأشاعرة، لكنه هنا وافق القول الحق، قول السلف، فرحه الله وغفر لنا وله.

(٤) الإجماع لابن المنذر ص ٨، وقال الخطابي: «فلو كان حديث النفس بمعنى الكلام، لكانت صلاته تبطل». انظر: شرح سنن أبي داود ٢/ ٤٥٧ بحاشية السندي.

(٥) مراتب الإجماع لابن حزم ص ٢٩، ووافقه على ذلك شيخ الإسلام ﷺ، وقال: واختلفوا فيما إذا كانت هي الأغلب. انظر: نقد مراتب الإجماع لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٩.

(٦) انظر: شرح الطحاوية ١/ ٢٠٠-٢٠١، وانظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات لشيخنا أ.د/ أحمد بن عطية الغامدي ص ٢٠١ وما بعدها.

٨- أن كبير المتكلمين، وإمام الأشعرين صرح بأن القول بالكلام النفسي لا يصح، حيث يقول الرازي: «إن قول من قال: إنه تعالى متكلم بكلام يقوم بذاته، وبمشيئته، واختياره، هو أصح الأقوال، نقلاً وعقلاً»<sup>(١)</sup>، فهذا يدل على فساد قولكم بالكلام النفسي الذي لا يتعلق بالمشيئة، وإنما يكون وارد النفس دون إرادة محكمة لها، أو قدرة في دفعها، أو رفعها!!، وقد أورد الحافظ ابن حجر رحمته الله في شرحه لتبويب البخاري: «باب: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] قول ابن بطال حيث قال: أراد بهذه الترجمة، وأحاديثها، ما أراد في الأبواب قبلها أن كلام الله تعالى صفة قائمة به، وأنه لم يزل متكلماً، ولا يزال». ثم قال الحافظ: «والذي يظهر أن غرضه أن كلام الله لا يختص بالقرآن؛ فإنه ليس نوعاً واحداً...، وأنه وإن كان غير مخلوق، وهو صفة قائمة به؛ فإنه يلقيه على من يشاء من عباده، بحسب حاجتهم في الأحكام الشرعية، وغيرها من مصالحهم، وأحاديث الباب كالمصرحة بهذا المراد»<sup>(٢)</sup> فهذا كلام صريح منه رحمته الله أن كلام الله سبحانه أزلي النوع، وأن آحاده تكون إذا شاءه الله سبحانه، وقد دل على ذلك السمع، حيث وردت آيات كثيرة تدل على أن الله سبحانه يتكلم متى شاء، مع من شاء، «فالله تعالى أخبر أنه لما أتى موسى الشجرة ناداه، فناده في ذلك الوقت، لم يناده في الأزل، وكذلك قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١] وقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] إلى مواضع كثيرة من القرآن تبين أنه تكلم بالكلام المذكور في ذلك الوقت»<sup>(٣)</sup>.

(١) الفتح ١٣ / ٤٦٣.

(٢) الفتح ١٣ / ٤٧٥.

(٣) منهاج السنة ٥ / ٤١٨ - ٤١٩.

٩- أن قولكم بالكلام النفسي يعني أن النبي ﷺ تحدى الناس بما هو مثل كلام رب العالمين، ولم يتحداهم بكلام الله، وهذا في حد ذاته غلط، إذ كيف يتصور أن يكون لكلام الله مثل، وهو سبحانه ينفي المثلية، كما قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤]، فدل على أن ما تحداهم به الرسول ﷺ هو كلام الله حقيقة، لا مثله<sup>(١)</sup>، ثم كيف يكون التحدي بالكلام النفسي؟؟ وهو على زعمكم لا يُسمع، ولا يعرف؟، فدل ذلك على أن التحدي إنما تم بهذا الموجود بين الدفتين، وهو لا مثل له، لأنه كلام الله الذي لا مثل له، قال ابن أبي العز الحنفي: «فإن قالوا: إنما أشار إلى حكاية ما في نفسه، وعبارته، وهو المتلو، المكتوب، المسموع، فأما أن يشير إلى ذاته فلا، فهذا صريح القول بأن القرآن مخلوق، بل هم في ذلك أكفر من المعتزلة؛ فإن حكاية الشيء: مثله، وشبهه، وهذا تصريح بأن صفات الله تعالى محكية، ولو كانت هذه التلاوة حكاية، لكان الناس قد أتوا بمثل كلام الله، فأين عجزهم؟؟، ويكون التالي - في زعمهم - قد حكى بصوت وحرف، ما ليس بصوت وحرف!!»<sup>(٢)</sup>.

١٠- إذ قلتم بالكلام النفسي، وصرحتم بأن القرآن عبارة عن كلام الله ﷻ فيرد سؤال، وهو أن نسألهم أن القرآن عبارة من؟، من الذي عبر عما في نفس الله ﷻ؟؟، ومن الذي اطلع على ما في نفس الله ﷻ؟؟، وفي جواب هذا اختلفتم، فمنكم من يقول: هو فهم خلقه الله في فكر من أراد له أن يعرف الكلام النفسي؟؟ ومنكم من يقول: وجد العبارة جبريل في اللوح المحفوظ، ويرد سؤال: من المعبر عنه في اللوح المحفوظ؟ أهو القلم؟ أم هو اللوح نفسه؟ ومنكم من يقول: إن المعبر هو جبريل!!<sup>(٣)</sup> ومنكم من يقول: إن المعبر هو محمد ﷺ!!، ثم إن القرآن عبارة عن كلام الله ﷻ عندكم، فهل

(١) الغنية ص ١٠٧، العين والأثر ص ١٠٢.

(٢) شرح الطحاوية ١/ ٢٠٣.

(٣) انظر: منهاج السنة ٥/ ٤١٧، شرح الأصبهانية ص ٣٣٧، أقاويل الثقات ص ٢٢٣.

هو عبارة عن كله؟ فهذا ممتنع، أم عن بعضه، فهذا ممتنع أيضاً!!<sup>(١)</sup>.

١١ - أنه إذا كان جبريل علم ما نفس الله ﷻ بدون خطاب، وإنما ألهم إلهاما، ثم نزل بما ألهم إلى محمد ﷺ يلزم منه أن يكون الذي ألهم مباشرة من الله ﷻ أفضل من محمد ﷺ، لأن من ألهمه الله مباشرة كقوله ﷻ: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص: ٧] يلزم أن تكون أم موسى أفضل لأنها ألهمت مباشرة، وأما الأنبياء فعلى هذا القول ألهموا بواسطة!!، ولهذا كان من نتائج هذا القول الفاسد أن ادعى أقوام أنهم أفضل من الأنبياء لأنهم يأخذون عن الله مباشرة!!<sup>(٢)</sup>.

١٢ - أنكم أثبتتم الكلام بـ(الكتاب، والسنة، والإجماع)<sup>(٣)</sup>، وقلتم: إن الكلام ثبت بالسمع، كما قال صاحب الجوهرة:

حياته، كذا الكلام السمع ثم البصر، بذى أتاها السمع<sup>(٤)</sup>

وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على أن الله يتكلم بصوت وحرف، فلم التفريق بين المتماثلات ثبوتا ودلالة، فكما أنه ورد في السمع أنه متكلم، كذلك ورد أنه متكلم بصوت وحرف، ثم إن السلف على أن القرآن الموجود بين الدفتين ليس بمخلوق، والمعتزلة على أنه مخلوق، ثم «شأبدع الأشعري قولاً ثالثاً، وقضى بحدوث الحروف، وهو خرق الإجماع»<sup>(٥)</sup>، فبهذا أنشأتم قولاً ثالثاً مخالفين للسلف، والخلف، خارقين للإجماع، فقلتم: إن هناك قرأتين: قديما وهو ما في نفس الرب!!، وحادثا وهو الموجود بين الدفتين!!<sup>(٦)</sup>، وهذا جمع بين النقيضين، وعلى اصطلاحكم: جمع بين القديم والمحدث!!.

(١) انظر: منهاج السنة ٤١٩/٥، شرح الأصبهانية ص ٣٣٨، المجموع ١٢/٣٦٧، العين والأثر ص ٨٠.

(٢) انظر: المجموع ١٢/١٢٨.

(٣) أم البراهين للسبسي ص ٦، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) جوهرة التوحيد ص ١٢، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٥) انظر: نهاية الأقدام ص ٣١٣، نقله ردا من المعتزلة على الأشعرية، وهو رد سديد، والجواب عنه عليهم شديد.

تنبيه: الذي أظهر القول بحدوث الحروف هو ابن كلاب وتبعه على ذلك الأشعري، وأشاعه بين الناس.

(٦) انظر: منهاج السنة ٤٢٠/٥.

١٣- أنكم أثبتتم الكلام لكون ضده وهو الخرس من النقائص، وهي مستحيلة على الله ﷻ، ولا تليق به<sup>(١)</sup>، فكذلك وصف الله ﷻ بالكلام النفسي، وأن الذي يعبر عنه هو آخر، إما القلم، أو جبريل، أو غيرهما، هذا فيه وصف للرب ﷻ بالنقص، وهو مستحيل على الله ﷻ<sup>(٢)</sup>؛ لأن الذي يتكلم بكلام في نفسه؛ لأنه: (طفل، أو أخرس، أو خائف) معلوم أنه ناقص، والذي يعبر عنه آخر (كبير، أو ناطق، أو أمين) ضرورة يكون أكمل منه، ومعلوم أن من كان له كلام في نفسه، واستطاع أن يعبر عنه أبلغ ممن لا يستطيع، ولهذا كان من الاعتراضات الوجيهة للمعتزلة على الأشاعرة لما قالت الأشاعرة للمعتزلة: إن نفيكم للكلام نقص وآفة، قالت المعتزلة: «لم قلت إن ضده نقص وآفة، بل الذي نعهده نقصا، وآفة في العرف هو: العجز عن التلفظ بالحروف»<sup>(٣)</sup>، فهذا مبتدع يرد على قول مبتدع، وكلا القولين منهم ضلالة.

١٤- دل الكتاب من أوجه كثيرة على أن الله تكلم بصوت وحرف، قال أبو الفضائل الرازي<sup>(٤)</sup> في كتابه حجج القرآن: «حجج القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو مشتمل على فصول: الفصل الأول: في حجج من قال بأن كلام الله عز وجل صوت وحرف، وذلك في عشر آيات»<sup>(٥)</sup> ثم سرد الآيات الواردة في القرآن الكريم التي تدل على أن الله تكلم بصوت وحرف، ومنها: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢] وقال: ﴿وَنَسَدْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] والنداء من بعد، والمناجاة من قرب،

(١) العقائد النسفية ص ٢٩، وأم البراهين للسنوسي ص ٦، ورسالة في التوحيد للبيجوري ص ٤٢، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٢) انظر: العين والأثر ص ٦٨.

(٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥١، وانظر: منهاج السنة ٣/ ٣٦٠، شرح الطحاوية ١/ ١٩٨.

(٤) هو العالم الأديب المتكلم: أحمد بن محمد بن المختار الرازي، أبو الفضائل الخنفي، صاحب التصانيف، ومنها: حجج القرآن لجميع الملل والأديان، توفي سنة ٦٣١ هـ. انظر: معجم المؤلفين ١/ ١٥٨.

(٥) ص ٦٤.

والنداء في اللغة ليس إلا الصوت<sup>(١)</sup>، وأما نفي الكلام بصوت وحرف، فيلزم منه نفي أن يكون الله متكلماً، ومنادياً، ومناجياً<sup>(٢)</sup>.

١٥ - ما هو المراد بقولكم: إن الكلام في النفس؟ أتقولون: إن المراد به هو ما يدور في الفكر، كما يقول الجويني: «وذهب أهل الحق إلى إثبات الكلام القائم بالنفس، وهو الفكر الذي يدور في الخلد»<sup>(٣)</sup> فإن كنتم فررتم من إنكار الصوت والحرف مخافة التشبيه، فقد وقعتم في تشبيه الخالق في كلامه بما يدور في خلد الإنسان وفكره!!، مما يريد أن يتكلم به، فإن كان الإنسان سوياً، تكلم بما في نفسه بحرف وصوت، وإن كان به آفة احتاج أن يُرشد إلى ما في نفسه بإشارة، أو رمز، أو كتابة، دون أن يُسمع منه مراده، وهذا تشبيه منكم الربِّ الكامل بالعبد الضعيف المحتاج الذي يحتاج إلى من يعبر عنه!!!<sup>(٤)</sup>، وإن أنكرتم الصوت والحرف بحجة أن ذلك لا يكون إلا حادثاً، فهذا صحيح لأن الصوت المعهود من المخلوقين، وإخراج الأحرف منهم لا يكون إلا مخلوقاً، لكن كذلك ما يدور في خلدكم ونفوسهم لا يكون إلا حادثاً في المشاهد!!، فكيف أثبتتم الكلام النفسي الذي يرد عليه ما يرد على الحرف والصوت<sup>(٥)</sup>، فوجب أن يعتصم المسلم بما ثبت عقلاً ونقلاً من أن ما يكون صفة للخالق لا يكون مخلوقاً حادثاً سواء كان كلاماً، أو غير ذلك، وما يكون من المخلوق لا يكون إلا مخلوقاً حادثاً، سواء كان كلاماً أو أفعالا.

١٦ - أن الجويني بعد صولات وجولات مع مخالفيه من المعتزلة تأكد له بأنه لا يمكنه رد قولهم إلا بإثبات كلام هو حرف وصوت، فدل هذا على أن الحق هو ما ذهب إليه السلف من أن الكلام هو المعنى واللفظ، قال الجويني: «فإن قال المخالف - وهو

(١) حجج القرآن ص ٦٤، منهاج السنة ٥/ ٤٢٣.

(٢) انظر: منهاج السنة ٣/ ٣٥٥.

(٣) الإرشاد ص ١٠٩.

(٤) انظر: العين والأثر ص ٨٦.

(٥) انظر: الحجة في بيان المحجة لقوام السنة ١/ ٣٦٢.



يقصد المعتزلة -: الألفاظ المفيدة يسميها العقلاء كلاماً على الإطلاق، ويقولون: سمعنا كلاماً، ومرامهم ما أدركوه من العبارات. قلنا: الطريقة المرضية عندنا أن العبارات تسمى كلاماً على الحقيقة، والكلام القائم بالنفس كلام، وفي الجمع بينهما ما يدرأ شغب المخالفين<sup>(١)</sup>، ومثل هذا قول الرازي: «اعلم أن لفظة "الكلام" عند المحققين - منا - تقال: بالاشتراك على المعنى القائم بالنفس، وعلى الأصوات المتقطعة المسموعة»<sup>(٢)</sup>، والحق ما ذهب إليه أهل الحق من السلف، ومتبعيهم من الخلف، أن الكلام هو اللفظ والمعنى، ليس اللفظ دون المعنى، ولا المعنى دون اللفظ، إذ لو كان اللفظ هو الكلام دون المعنى للزم أن من أخطأ في لفظ القرآن فقرأه بصورة غير ما أنزل، أن يكون قرأ قرآنًا؛ لأنه قرأ اللفظ المنزل لكنه لم يقرأه كما أنزل، ولو كان الكلام هو المعنى دون اللفظ، للزم أن يكون تفسير كلام الله ﷻ قرآنًا وكلاماً لله ﷻ!!!.

١٧ - أن المعتزلة لما قالوا: بأن الله حي عالم قادر لنفسه أنكرتم عليهم ذلك<sup>(٣)</sup>، ثم أخذتم بقولهم فقلتم في الكلام إنه قائم بنفسه - وهذا حق، وزدتم عليه - إنه كلام نفسي لا يسمع، وليس بحروف، وهذا منكم تناقض، إذ أثبتتم الكلام ثم قلتم نفسي، كقولهم: إنه عالم، ثم قالوا عالم لنفسه، فالقولان سواء بسواء!!.

١٨ - أن أصحابكم مختلفون فيما بينهم في إثبات المراد بالكلام، يقول الأشعري أبو حامد الغزالي: «إن قوما جعلوا الكلام حقيقة في المعنى، مجازاً في العبارة، وقوما عكسوا، وقوما قالوا: بالاشتراك، ونقل الثلاثة عن الأشعري»<sup>(٤)</sup>، فهذا خلاف في

(١) الإرشاد للجويني ص ١١١، وانظر: المستصفى للغزالي ص ٨٠؛ فإنه زعم أن الكلام اسم مشترك يطلق على اللفظ تارة، وعلى المعنى تارة أخرى، وهذا يبين اضطراب القوم، وإلا فإن الحق هو: أن الكلام يتضمن اللفظ والمعنى معاً.

(٢) المحصول في أصول الفقه ١/ ١٧٧.

(٣) انظر: الإرشاد للجويني ص ١١٦.

(٤) شرح الكوكب المنير ١١/ ٢، وانظر: المستصفى للغزالي ص ٨٠، شرح المواقف للجرجاني ٨/ ١١٣، وقال: «فالشَّيْخُ الأشعري لما قال: الكلام هو المعنى النفسي، فهم الأصحاب منه أن مراده مدلول اللفظ وحده، وهو القديم عنده... وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة، كعدم

إثبات المراد بالكلام بين أصحاب المذهب الواحد، مما يدل على اضطرابهم<sup>(١)</sup>.

ب- قالوا: «إن كلامه تعالى، يستحيل أن يكون من جنس الحرف والصوت، فبالضرورة يكون أمراً آخر»<sup>(٢)</sup>، وأنه إذا كان بحرف وصوت يكون مألوفاً، أي كلام البشر!!، فدل ذلك على أنه ليس بحرف ولا صوت!!، يقول راجزهم:

ثم الكلام ليس بالحروف وليس بالترتيب كالمألف<sup>(٣)</sup>  
وقالوا: الأصوات والحروف حادثة لا تقوم بالقديم<sup>(٤)</sup>.

فالرد عليهم من أوجه:

١- أن هذه الاستحالة مركبة من القواعد المنطقية، والأصول الفلسفية، ومخالفة للنصوص الشرعية، فلا معول عليها، ثم «إن غنيتم استحالتة بالإضافة إلى الشاهد، فسماع كلام بدون توسط صوت وحرف كذلك أيضاً، وإن غنيتم استحالتة مطلقاً، فلا نسلم إذ الباري ﷻ على خلاف المشاهدة والمعقول في ذاته وصفاته، وقد وردت النصوص بما قلناه، فوجب القول به»<sup>(٥)</sup>.

٢- أنه يلزم من هذا أنه ﷻ لا يوصف بالحياة لأنه يستحيل أن يوصف بجنس الحياة، ويستحيل أن يوصف بجنس القدرة، ويستحيل أن يوصف بجنس العلم!!!، وهذا معلوم بطلانه عندنا وعندكم، فلم يبق إلا التسليم بأنه سبحانه متصف بالحياة

إكفار من أنكر كلامية ما بين دفتي المصحف، مع أنه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعالى حقيقة، وكعدم المعارضة والتحدي بكلام الله تعالى الحقيقي، وكعدم كون المقروء المحفوظ كلامه حقيقة...  
(١) هذه بعض الردود في إبطال القول بالكلام النفسي، وقد بسط الكلام في هذه المسألة شيخ الإسلام في كتابه: التسعينية، حيث ردها من تسعين وجهاً.

(٢) الدر النفيد لابن الحفيد التفتازاني ص ١٥٦، وانظر: تبين كذب المفتري لابن عساكر، فإنه ذكر أن موسى سمع كلام الله ﷻ بغير صوت، ولا حرف!!، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١١٢.

(٣) الخريدة البهية في العقائد التوحيدية للدردير ص ٢٥، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، قطف الثمر ص ٥١، الفواكه الدواني ١/ ٥٧.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٥٢٦، الفتح ١٣/ ٤٦٣ ونسبه إلى الكلاية والأشعرية، الفواكه الدواني ١/ ٥٥.

(٥) العين والأثر ص ٧٨ ونسبه إلى الطوفي.

اللائقة به، وأن قدرته كذلك، وعلمه كذلك، وأن كلامه بلا تشبيه، وإن كان بحرف وصوت، فإنه لا يلزم من إثبات جنس الشيء التماثل فيه، فإثبات الكلام كإثبات العلم، كإثبات القدرة، ولا يلزم من إثبات الكلام بصوت أن يكون كأصوات العباد، ولا كنظم ألفاظهم بالألسنة واللهوات، ثم كيف يكون كلام الله ككلام البشر، وهو معجز البشر، فلا يستطيعون الإتيان بمثله أبداً، لأنه كلام الله حقاً وصدقاً.

٣- «يلزم منه أن الله لم يُسمع أحداً من ملائكته، ورسله كلامه، بل أهمهم إياه، وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين؛ لأنها التي عندنا أنها ذات مخارج، ولا يخفى ما فيه، إذ الصوت قد يكون من غير مخارج...، وصفات الخالق لا تقاس على صفة المخلوق، وإذا... وجب الإيذان به»<sup>(١)</sup>.

٤- أن الكلام يمكن أن يكون ممن لا مخارج معتادة له كالآدميين، كما نظقت السماوات والأرض، مستجابة لله ﷻ، وكما نطق الحجر مسلماً على رسول الله ﷺ، وسبح الحصى في يد بعض الصحابة<sup>(٢)</sup>.

٥- أن القول بحدوث صوت الرب ﷻ ولفظ كلامه، شيء اصطلاحتم عليه، وإلا فإن صفات الخالق ليست مخلوقة، وصفات المحدث المخلوق مخلوقة، فالصفة تتبع الموصوف، فكلامنا بألفاظنا وأصواتنا مخلوقة، لأننا مخلوقون، فوجب أن يكون كلام الله ﷻ بصوته وحروفه ليس مخلوقاً؛ لأنه ليس بمخلوق<sup>(٣)</sup>.

٦- أن القول بأن كلام الله ليس بحرف يلزم منه أن القرآن الموجود في مصاحف المسلمين ليس كلام الله ﷻ، ولهذا قاله بعض أهل البدع: «ليس لله في الأرض كلام!!، وهل المصحف إلا ورق، وعفص، وزاج؟؟»<sup>(٤)</sup>، ومعلوم أن هذا

(١) الفتح ١٣/٤٦٦ بتصرف، ثم الحافظ ﷻ، مال بعد إثباته للصوت، إلى التفويض والتأويل!!، وانظر الرد عليه في التنبيه على المخالفات العقدية في الفتح ص ١٣٩.

(٢) وقد مر هذا في البحث السابق من هذا الفصل، وانظر: قطف الثمر ص ٥١، الفتح ١٣/٤٦٩.

(٣) انظر: الفتح ١٣/٤٦٣.

(٤) نقله قوام السنة في الحجة في بيان المحجة ١/٤٠٠-٤٠١.

تليس إذ أن هذه الأمور المشار إليها هي موجودة في غير المصحف، ولا يعني شيئاً بالنسبة للمسلمين، وإنما الذي يهم أمر المسلمين، ويجدون في قلوبهم تعظيماً له هو الكلام الموجود في المصحف<sup>(١)</sup>، فقولهم: «ليس في المصحف إلا ورق وعفص وزاج؟»، فهو كقول القائل: هل الآدمي إلا لحم ودم؟؟ هيهات إن معنى الآدمي هو: الروح، فمن نظر إلى اللحم والدم، وقف مع الحس<sup>(٢)</sup> وألغى إدراك الروح الموجود في الآدمي، وكذلك من ظن أن المراد بالمصحف هو الورق، وتناسى الكلام الموجود فيه، وهو كلام الله ﷻ، قال المزني صاحب الإمام الشافعي - رحمهما الله -: «و القرآن غير مخلوق، - دل على ذلك - الكتاب وسنة رسول الله ﷺ، وإجماع أمته»<sup>(٣)</sup>، وما زال الفقهاء يجيزون الحلف بالمصحف، بقولون: لأن فيه كلام الله ﷻ<sup>(٤)</sup>، ويمنعون غير الطاهر من مسه، ويقولون: لأن فيه القرآن، وهو كلام الله ﷻ<sup>(٥)</sup>.

ت- هل الكلام النفسي يُسمع؟ اختلف في ذلك أقوال الأشاعرة والماتريدية<sup>(٦)</sup>، فالماتريدية على أنه لا يسمع، وإنما الذي يسمع هو الصوت المخلوق، وأما الأشاعرة فإنهم أيضاً على أنه لا يُسمع، وإنما يُفهم إما بإلهام، أو بإدراك، أو بإطلاع على اللوح المحفوظ!!، قال الرازي مبيناً أن القرآن الذي هو عبارة عن الكلام الأزلي أنه مسموع الآن، وأما الكلام القديم فقال عنه: «هل يصح أن يكون مسموعاً؟ هذا مما لم يقم عندي عليه دليل؟!» ثم قال متحيراً: «بل السمع لم يتعلق بالأصوات فجاز أن تكون علة صحة المسموعية هي: الصوتية فقط، وحيث لا يكون ذلك الكلام مسموعاً»<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٤٠٠-٤٠١.

(٢) أفاويل الثقات ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) تبين كذب المفترى ص ٣٥١.

(٤) مغني المحتاج ٤/ ٣٢٢، البحر الرائق ٤/ ٣١١، حاشية ابن عابدين ٣/ ٧١٣.

(٥) انظر ما تقدم في الفصل الرابع من الباب الأول.

(٦) انظر: اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث ص ٢٥٨.

(٧) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٨، وانظر: المجموع ٦/ ٥٣٩، حيث ذكر فيه أن القول

بأن الكلام النفسي يُسمع هو قول طائفة منهم، بناء على قولهم: إن السمع يتعلق بكل موجود، أي إن كل ما كان موجوداً فهو يُمكن أن يُسمع، ولو لم يكن صوتاً وحرفاً. انظر: شرح الأصبهانية ص ٣٣٧.

وإثباتهم أن موسى سمع كلام الله ﷻ يقصدون به أن الله ﷻ: «خلق له فيها، أي يدرك به ما دل عليه كلامه القديم»<sup>(١)</sup>، أي: فيها في قلبه، وسمعا في أذنيه!!، سمع به كلاما ليس بحرف ولا صوت!!<sup>(٢)</sup>.

والجواب عن هذه الشبهة بما يأتي:

١- أن هذا مترتب على إثبات الكلام النفسي، ولا دليل عليه، فيقال: أثبت العرش ثم انقش، فلما لم يثبت الكلام أنه نفسي فقط، دل على أن كلام الله ﷻ يسمع، وأنه بصوت وحرف بلا شطط.

٢- أن من الردود عليه ما ذكره شارح المحصل<sup>(٣)</sup> من أن «الحق الرجوع في أمثال هذه المسائل إلى السمع، والتوقف فيما لم يرد سمعا»<sup>(٤)</sup> وقد ورد في السمع أن جبريل ﷺ يسمع كلام الله ﷻ، وأن موسى سمع كلام الله ﷻ، وأن محمدا ﷺ سمع كلام الرب ﷻ لما عرج به في ليلة الإسراء، فكيف يقال بعد هذا إن كلام الله لا يُسمع؟؟، يقول صاحب متن الشيبانية في العقيدة<sup>(٥)</sup> مثبتا السماع:

وخصص موسى ربنا بكلامه على الطور ناداه وأسمعه النداء

٣- أنكم أثبتتم نزول القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ بواسطة جبريل ﷺ، وأن الله ﷻ هو المنزل للقرآن<sup>(٦)</sup>، فكيف يكون كلاما نفسيا ثم ينزل؟، إلا أن تؤبوا إلى عقيدة السلف، وتثبتوا سماع جبريل ﷺ من رب العزة، ثم نزوله إلى محمد ﷺ، قال قوام السنة الأصهباني: «قال أصحاب الحديث والسنة: إن القرآن المكتوب الموجود في

(١) حاشية العدوي ١/ ٧٩.

(٢) الفواكه الدواني ١/ ٥٥.

(٣) وهو الطوسي الرافضي، نصير البدعة في كتابه: تلخيص المحصل، وهو شرح وتعليق، مطبوع بهامش كتاب المحصل، ولا غرو أن يشرح المبتدع الرافضي كتاب رجل أشعري، مادام المشرب واحدا، وهو علم المنطق الذي ذمه السلف.

(٤) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٨، حاشية (٢).

(٥) ص ٣٧، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٦) انظر: متن الشيبانية ص ٣٥-٣٦، مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

المصاحف، والمحفوظ الموجود في القلب، هو حقيقة كلام الله ﷻ، بخلاف ما زعم قوم: أنه عبارة عن حقيقة الكلام القائم بذات الله ﷻ ودلالة عليه، والذي هو في المصحف محدث، وحروف مخلوقة، ومذهب علماء السنة وفقهائهم: أنه الذي تكلم الله به، وسمعه جبريل من الله، وأدى جبريل إلى النبي ﷺ، وتحدى به النبي ﷺ، وجعله الله ﷻ، دلالة على صدق نبوته ومعجزته، وأدى النبي ﷺ إلى الصحابة رضي الله عنهم حسب ما سمعه من جبريل ﷺ، ونقله السلف إلى الخلف قرنا بعد قرن<sup>(١)</sup>.

٤- إذا كان الكلام النفسي لا يسمع، فكيف يُستدل به على أن زيدا متكلم، وقائم به الكلام، إذ أن الأشاعرة يثبتون صفة الكلام بدليل أنهم يسمون المتكلم متكلماً قائماً به الكلام، لكون الكلام يسمع منه، يقول الجويني: «إن من سمع كلاماً صادراً من متكلم استيقن كونه متكلماً، من غير أن يخطر بباله كونه فاعلاً لكلامه، أو مضطراً إليه»<sup>(٢)</sup> فاستشهد بهذا الدليل على أن المتكلم هو من يُسمع منه الكلام لا من يفعل الكلام، فإذا كان الرب ﷻ لم يُسمع منه الكلام فلا يكون متكلماً على قولكم هذا.

٥- أن في نفي الصوت، وإثبات الكلام النفسي، نفياً لسماع موسى صوت الرب ﷻ، واختصاصه بكونه كليماً لله، وفي ذلك نفي لكون جبريل سمع كلام الرب ﷻ، وفي ذلك نفي في كون محمد ﷺ سمع كلام الله ﷻ، وهذا كله يدل على بطلان الكلام النفسي الذي لا يُسمع.

٦- أنكم قلتم بأن موسى سمع كلام الله حقيقة، لا أن الله خلق كلاماً فسمعه موسى، فإذا كان سماعه حقيقة، فليكن على حقيقته حقاً، وهو أنه سمع صوت الرب حقيقة بلا كيف، وقلتم في تكليم موسى رداً على من أنكروا الكلام الحقيقي: وأكده بالمصدر في الآية الشريفة للإشارة إلى أن التكليم على جهة الحقيقة؛ لأنه لا يؤكد بالمصدر إلا الحقيقة، لا المجاز<sup>(٣)</sup> فإذا قلتم بأنه لم يسمع كلام الرب، وإنما سمع ما دل

(١) الحجة في بيان المحجة ١/ ٤٠٠.

(٢) الإرشاد ص ١١٢.

(٣) انظر: الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٣٨.

عليه، فهذا نوع مجاز!!، وإذا قلت سمع صوتا مخلوقا، ولفظا حادثا، فهذا نوع مجاز!!، وقد نفت الآية المجاز باتفاقنا وإياكم.

٧- إن قلت: إن موسى فهم الكلام النفسي من دون سماع<sup>(١)</sup>، فإنه يرد عليكم: قولكم إن الكلام النفسي واحد، فإذا كان موسى فهم الكلام النفسي وهو واحد، يلزم أن يكون علم جميع علم الله ﷻ وكلامه!!، حتى المنزل على محمد ﷺ، بل وحتى ما يكون إلى الأبد!!<sup>(٢)</sup>. قال الحافظ أبو نصر السجزي<sup>(٣)</sup> - حاكيا مناظرة جرت بينه وبين بعض الأشعرية -: «فقلت لمخاطبي الأشعري: قد علمنا جميعا أن حقيقة السماع لكلام الله منه على أصلكم محال، وليس ههنا من تنقيه، وتخشي تشنيعه، وإنما مذهبك أن الله يفهم من شاء كلامه بلطفه منه، حتى يصير عالما متيقنا بأن الذي فهمه كلام الله، والذي أريد أن ألزمك وارد على الفهم وروده على السماع، فدع التمويه، ودع المصانعة، ما تقول في موسى ﷺ حيث كلمه الله؟ أفهم كلام الله مطلقا، أم مقيدا؟ فتلكا قليلا، ثم قال: ما تريد بهذا؟ فقلت: دع إرادتي، وأجب بما عندك. فأبى!!، وقال: ما تريد بهذا؟، فقلت: أريد أنك إن قلت: إنه ﷺ فهم كلام الله مطلقا، اقتضى أن لا يكون لله كلام من الأزل إلى الأبد، إلا وقد فهمه موسى، وهذا يؤول إلى الكفر؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولو جاز ذلك لصار من فهم كلام الله عالما بالغيب، وبما في نفس الله تعالى وقد نفى الله تعالى ذلك، بما أخبر به عن عيسى ﷺ أنه يقول: ﴿تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وإذا لم يجر إطلاقه، وألجئت إلى أن تقول: أفهمه الله ما شاء من كلامه، دخلت في التبعض الذي هربت منه!!، وكفرت من قال به، ويكون مخالفك أسعد منك؛ لأنه قال بما اقتضاه النص الوارد من قبل الله ﷻ، ومن قبل رسول الله ﷺ، وأنت

(١) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي ص ١١١.

(٢) انظر: منهاج السنة ٤١٩/٥، المجموع ١٧/١٥٤، شرح الطحاوية ١/١٩٨، العين والأثر ص ٨٢.

(٣) هو الحافظ الكبير، شيخ السنة: عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي، أبو نصر الوائلي، صنف وخرج، وكان قيبا بالأصول والفروع، ومن مصنفاته: الإبانة، ورسالة في الحرف والصوت، توفي سنة ٤٦٩ هـ.

انظر: السير ١٧/٦٥٤.

أبيت أن تقبل ذلك، وادعيت أن الواجب المصير إلى حكم العقل في هذا الباب، وقد ردك العقل إلى موافقة النص خاسئاً. فقال: هذا يحتاج إلى تأمل!!، وقطع الكلام»<sup>(١)</sup>.

ث- قالوا: إن كلام الله واحد، أي الكلام النفسي، يقول الرازي: «مسألة: هذه الصفة القديمة المسماة بالكلام عند أصحابنا واحدة، خلافاً لبعض أصحابنا، فإنهم أثبتوا خمس كلمات: الأمر، والنهي، والخبر، والاستخبار، والنداء»، وجمهور الأشاعرة ومن وافقهم «زعموا أن كلام الله تعالى، كان أمراً، ونهياً في الأزل»<sup>(٢)</sup>.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه متعددة:

١- أنكم مختلفون فيما بينكم في كون الكلام واحداً، أم لا، فمنكم من يقول: خمس كلمات، ومنكم من يقول: ثلاث كلمات: هي الخبر والأمر، والنهي<sup>(٣)</sup>، وبعضهم: يقول: إنه خبر، وأمر؛ لأن النهي أمر بالكف، فهو يدخل في الأمر، وبعضهم يقول: إنه خبر فقط، لأن الأمر والنهي إخبار عن ترتب الثواب، والعقاب على الفعل والترك<sup>(٤)</sup>، فهذا يدل على تناقض هذا الأمر، فهذا وحده كاف في رده.

٢- أن قولكم بوحدة الكلام، وأنه لا يتبعض، ولا يتجزأ، ولا يتعدد باطل؛ فهذه أسماء الله ﷻ معدودة، وهي قديمة، و«قد نص الشافعي على أن أسماء الله ﷻ غير مخلوقة، وقال أحمد: من قال: إن أسماء الله مخلوقة، فقد كفر»<sup>(٥)</sup> وأسماء الله تعالى في كتابه معدودة، إلا إذا قلتم: إنها دالة على أسماء الله، وليست هي أسماء الله!!، فكلامه ﷻ إذا كان معدوداً مختلفاً لا يلزم من ذلك أن يكون مخلوقاً، كما أن أسماء متعددة، ولا

(١) نقلاً عن درء التعارض للإمام شيخ الإسلام ابن تيمية ﷻ ٩٠-٩٢.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٧، وانظر: الفرق بين الفرق ص ٢٥٧، الإرشاد للجويني ص ١١٩، ١٣١، نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٢٩١، ٣٠٦، الغنية ص ١٠٦-١٠٧، المستصفى للغزالي ص ٨٠، الفواكه الدواني ١/٥٤، الجواب الصحيح ٤/٣٤٠، ونقله ابن بدران عن محمد بن يوسف السنوسي الأشعري، كما في المدخل ص ٥٠.

(٣) وهو قول عبد الله بن سعيد بن كلاب، ولكنه قال: ما كان في الأزل أمراً، ولا نهياً، ولا خبراً، ثم صار فيما لا يزال كذلك، انظر: الإرشاد للجويني ص ١١٩.

(٤) انظر: هذه الأقوال في: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٥) العين والأثر ص ٩٠.



يلزم من ذلك أنها مخلوقة.

٣- أن الإمام الشافعي أثبت أن هذا القرآن الموجود بين الدفتين هو كلام الله، وهو ليس بمخلوق<sup>(١)</sup>، ومعلوم أن هذا الموجود بين الدفتين ليس كلاما واحدا.

٤- قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، وكن حرفان، ولا يخلو الأمر من أحد وجهين: إما أن يراد بقوله: كن، التكوين، وأنه ليس هناك قول، كما هو تأويل الماتريدية، أو يكون المراد بـ (كن) ظاهره، وأن الله إذا أراد شيئا وقضاه يقول له: كن فيكون، وكلمة (كن) حرفان فدل على بطلان الكلام الواحد، وبطلان الكلام النفسي، لأنه قال: كن فكان<sup>(٢)</sup>.

٥- أنكم قضيتم بأن الكلام في الصفات إنما يكون من باب الشرع، كما يقول الجويني: «والقضاء بإثبات الصفات ليس من مدارك العقول، بل هو مسند إلى قضية الشرع، وموجب بالسمع»<sup>(٣)</sup> فهلا قلتم بأن الله ﷻ متكلم أزلا، ويتكلم إذا شاء، كما ورد بذلك السمع؛ لأن إثباتكم للكلام الواحد لا دليل عليه من الشرع، ولا موجب له من السمع.

٦- أن العباد كلهم يعلمون أن ما في التوراة والإنجيل والقرآن ليس هو معنى لكلام واحد، فلو ترجمت التوراة والإنجيل لم يكن معناهما هو معنى القرآن قطعاً<sup>(٤)</sup>، فكيف يكون كلام الله معنى واحداً، يختلف بحسب المتعلقات؟؟، ثم إذا كان يختلف بحسب المتعلقات، فهل هذه المتعلقات هي متعلقة بالمكلفين، فيكون المغير لكلام الله هم المكلفون!!، ويكون كلام الله الواحد عرضة لأن يغيره المتعلقات التي قامت بالمكلفين!!!.

٧- أن القرآن نفسه وهو بالعربية ليست معانيه واحدة، بل ولا سورة منه، بل ولا آية، فهذه آية تدل على ما لا تدل عليه الآية الأخرى، فليس معنى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ

(١) المذهب لأبي إسحاق الشيرازي ٢/ ٣٢٢.

(٢) انظر: العين والأثر ص ٨٠.

(٣) الإرشاد ص ١٣١.

(٤) انظر: الدرء ١/ ٢٦٧، منهاج السنة ٥/ ٤١٨، التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري ص ١٥٣.

أَحَدُ ﴿[الإخلاص: ١]﴾ هو معنى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أُمِّي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]<sup>(١)</sup> فكيف بالسور، بل كيف بالقرآن كله؟؟.

٨- أنه يلزم من هذا القول أن هذا القرآن كان في الأصل معنى واحدا، ثم المعبر من المخلوقين جعله متعددا بحسب المتعلقات، سواء كان ذلك في اللوح، أو جبريل، أو محمد ﷺ، وكل هذا معلوم بطلانه، إذ مهما بلغ المخلوقون فإنهم لا يستطيعون أن يعبروا عن الله ﷻ كما ينبغي، ألا ترى المفسرين الذين يفسرون القرآن كيف يختلفون في تفسيرهم لآية واحدة، وهم يعبرون عن تفسير كلام الله ﷻ.

٩- قلت: إن الكلام النفسي غير معلوم التصور، فكيف يعبر عنه؟؟؟ يقول الرازي: «فأما الكلام الذي يغير هذه الحروف، والأصوات، ويغير ماهية الأمر، والنهي، والخبر، فغير معلوم التصور، فكون القول بشوته لله تعالى في الأزل محض الجهالة»<sup>(٢)</sup>، وهذا تناقض بين منكم.

١٠- ويلزم من قولكم بأن الأمر والنهي كان أزليا، أن يكون المعدوم من الخلق الذين لم يخلقوا بعد مكلفين، وهذا محال، فكيف يكلف المعدوم؟؟، أم كيف يوجه إليه الكلام، والخطاب، فقولكم بأنه متكلم أزلا بالأمر والنهي وهو واحد يلزم منه العبث على الله ﷻ وهو محال عليه، يقول الرازي رادا على أصحابه: «ثم منهم من يقول: المعدوم مأمور، على تقدير الوجود، وهذا في غاية البعد، لأن الجهاد: إذا لم يجز أن يكون مأمورا، فالمعدوم- هو الذي هو نفْي محض- كيف يعقل أن يكون مأمورا؟؟»<sup>(٣)</sup>.

١١- أن الكلام النفسي الذي أثبتموه لا دليل عندكم على أنه واحد، فأنتم أثبتتم الكلام النفسي بكلام الشاعر النصراني، وهل الكلام النفسي يكون واحدا في النفس؟؟، أم أنه متعدد؟ لا ريب أن المعهود هو الثاني، ومعلوم أن الكلام النفسي

(١) انظر: الدرء ١/ ٢٦٧، منهاج السنة ٥/ ٤١٨، شرح الطحاوية ١/ ١٩٨.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٦.

(٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٦.

مختلف من حيث ترداده في النفس، فبطل دعواكم أنه كلام واحد، لو صح أنه كلام نفسي، وما يكون في النفس فإنه يقتضي: «ترديد الخواطر، وتقليب الأفكار، والابتداء من مبدأ، والانتهاء إلى منتهى، وذلك كله محال»<sup>(١)</sup> بزعمكم لأنه مخالف للكلام الواحد، فبطلت دعوى في أن الكلام النفسي واحد.

١٢- قد اعترف حذاق الأشعرية على أن الكلام النفسي الواحد صعب تعريفه، وفي معرفته مشقة، فكيف يكون ذلك اعتقاداً للناس أجمعين، ويكون ديناً يداً به لرب العالمين، يقول إمام الأشعرية أبو حامد الغزالي: «وهو مع وحدته، متضمن لجميع معاني الكلام...!! وفهم ذلك غامض!!»<sup>(٢)</sup>.

١٣- اضطراب أصحاب هذا القول شيء عجيب، وعده أمر عصيب، ويكفي دلالة على فساد المذهب أن يكون أربابه متحيرين في المذهب<sup>(٣)</sup>.

١٤- أنكم حكيتم الإجماع - وهو حق - على أن الموجود في مصاحف المسلمين هو كلام الله ﷻ، وأنكرتم على من خرق هذا الإجماع، فكيف تقولون بعد ذلك بأن كلام الله واحد، وليس بسور، ولا آيات؟؟، ذكر الجويني هذا في الإرشاد<sup>(٤)</sup> فقال: «وما يستروحون إليه أن قالوا: قد أجمع المسلمون قبل ظهور هذا الخلاف على أن القرآن كلام الله سبحانه، واتفقوا على أنه سور، وآيات، وحروف منتظمة، وكلمات، وهي مسموعة على التحقيق، ولها مفتتح، ومختتم، وهي معجزة رسول الله ﷺ، والآية على صدقه، ويستحيل أن يكون القديم - أي الكلام النفسي - معجزاً...، ولو جاز تقدير كلام قديم قائم بالنفس أزلي معجزاً، لجاز تقدير العلم القديم عند مثبته معجزاً!! ثم ذكر أن هذا لا يقول به حتى المعتزلة أنفسهم الحاكون لهذا الإجماع، ثم

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام لعبد الكريم الشهرستاني ص ٢٧٣، وهذا المنقول بين المعكوفتين، إنها هو من اعتراضات الفلاسفة على المتكلمين في إثباتهم الكلام النفسي!!.

(٢) المستقصى ص ٨٠.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص ١٧٦.

(٤) ص ١٢٠-١٢١.

قال: «واستشعر الجبائي<sup>(١)</sup> ذلك، وأيقن أنه لو قال بهذا المذهب خرق إجماع الأمة»<sup>(٢)</sup>، ولا شك أن المعتزلة خرقت إجماع الأمة في ذلك، ولكن أن يكون هذا الخرق من المنتسبين إلى السنة!!!، فهذا أشنع وأفطع.

ج- قالوا: في معرض ردهم على الحلولية ومن سباهم بالحشوية: ولا يجوز أن يقال إن هذه الأحرف من القرآن الموجود في المصاحف هي كلام الله ﷻ الخالق، وإنما هذه تدل على كلام الله القديم، بدليل: أن المصاحف قد تحرق، وتذاب، ولا يجوز أن يكون كلام الله القديم مذابا محرقا، وإلا صح وصف شيء من صفات الله ﷻ بالفناء<sup>(٣)</sup>.

والجواب من وجوه:

١- أن الرد على الحلولية القائلين بقدم المداد، وقدم صوت العبد، وقدم الورق صحيح، ولكن حشر أهل السنة باسم الحشوية معهم قبيح.

٢- أن أهل السنة لما قالوا: إن المكتوب هو كلام الله ﷻ حقيقة، لم يعنوا بذلك المداد والورق، فإن هذه آلات يظهر بها الكلام، كما أن المرأة آلة تظهر فيها الصورة، فإذا انكسرت الصورة فلا يقال: إن فلان المرئي فيه انكسر، فكذلك كلام الله ﷻ موجود في المصاحف، ولو أحرقت تلكم المصاحف، وهلك الحفاظ، لا يقال: إن كلام الله أحرق، وهلك!! وإنما يقال: الورق الذي فيه كلام الله، أو فلان الحافظ قد هلك، ومات، والفرق بين الشيء وما فيه ظهر واضح لمن تدبر بحسن نظر، وأراد الوصول إلى القول المعبر.

٣- أن الله ﷻ في أكثر من آية صرح بأن هذا المسموع المنزل هو كلامه، فالواجب التصديق بخبر العزيز الوهاب، والإذعان للفظ الكتاب، وعدم التأويل ليوافق المذهب المعتاد، وقد دل الكتاب في أكثر من موضع على أن هذا المسموع هو كلام الله ﷻ،

(١) هو المعتزلي البصري: عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد أبو هاشم الجبائي، من أساطين الكلام، وله مصنفات في نصره الاعتزال، توفي سنة ٣٢١ هـ. انظر: السير ٦٣/١٥.

(٢) الإرشاد للجويني ص ١٢١ بتصرف.

(٣) انظر: الفتح ٦٣٨/٨، الجامع لأحكام القرآن ١/٤٠-٤١، طبقات الشافعية ٨/٢٢٥ نقلا عن العز ابن عبد السلام.

قال أبو الفضائل أحمد الرازي: «الفصل الثاني في حجج القائلين بأن المسموع عين كلام الله تعالى لا العبارة عن الكلام»<sup>(١)</sup>، ثم ذكر الآيات، وهذه الآيات كثيرة، وأذكر منها: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تُحَرَّفُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، ومعلوم أنهم يسمعون كلام الله من المبلغ، وكون المبلغ صوته حادثاً، وأداؤه مخلوقاً، لا يلزم منه أن يكون المؤدى مخلوقاً، وقال ﷺ: «وَأَنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجَرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ» [التوبة: ٦].

ح- لو كان الموجود في المصحف هو كلام الله ﷻ، لكان يلزم أن الشكل الذي أضيف إلى القرآن، والتنقيط من كلام الله ﷻ، فيكون العباد بهذا أضافوا شيئاً إلى كلام الله ﷻ!!!<sup>(٢)</sup>.

والجواب عن هذا من وجوه:

١- أن الكلام في النقط والحروف لم يثبت فيه شيء عن السلف، على وجه الأفراد لا نفيًا ولا إثباتاً، «فإن من قال: إن المداد الذي تنقط به الحروف، ويشكل به قديم؛ فهو ضال جاهل، ومن قال: إن إعراب حروف القرآن ليس من القرآن؛ فهو ضال مبتدع»<sup>(٣)</sup>.

٢- أن المسلم حينما يقول: هذا القرآن كلام الله: يدخل في ذلك حروفه بإعرابها، كما دخلت معانيه، ويقال ما بين اللوحين من سورة الفاتحة إلى سورة الناس كلام الله ﷻ<sup>(٤)</sup>.

٣- أن القرآن الكريم كان يقرأ منزلاً معرباً، معروف لديهم الباء والتاء والياء، والمرفوع والمنصوب والمجرور، فمن أخطأ في شيء من ذلك على خلاف الذي ورد، فلا شك أن هذا خطأ وليس هو المنزل سواء كان هذا اللحن أو الخطأ من الكتاب، أو

(١) كتاب حجج القرآن ص ٦٥.

(٢) وهذه البدعة أعني القول في النقط والشكل حدثت في القرن السادس، كما ذكره شيخ الإسلام ﷺ في

المجموع ٤٠٤/٣.

(٣) المجموع ٤٠٤/٣.

(٤) المصدر السابق.

القراء، ومن أصاب ذلك فقد قرأ القرآن كما أنزل، وهو كلام الله ﷻ، ومن كتبه على الصواب سواء نقطه أو لم ينقطه، سواء أعربه أم لم يعربه، فهو كلام الله ﷻ؛ فإن العباد لم يدخلوا في كلام الله، إلا ما له صورة في الخط، لا من حيث هو كلام الله ﷻ المنزل.

٤- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن كان المصحف منقوطا مشكولا، أُطلق على ما بين اللوحين جميعه أنه كلام الله، وإن كان غير منقوط، ولا مشكول: كالمصاحف القديمة التي كتبها الصحابة؛ كان أيضا ما بين اللوحين هو كلام الله - وذلك لأن الاعتبار هو بالمنزل، وقد أنزل مقروءا، معربا، معروفا لديهم الفروقات بين الكلمات -؛ فلا يجوز أن تلقى الفتنة بين المسلمين بأمر محدث، ونزاع لفظي لا حقيقة له، ولا يجوز أن يحدث في الدين ما ليس منه»<sup>(١)</sup>.

٥- أن من اعترف بأن القرآن منزل معروف لدى المسلمين من السلف هكذا كما هو في مصاحف المسلمين غير ملحن، ولا مهمل من حيث النطق، بل معروف لديهم الفرق بين الكلمات ولو لم تنقط، فإن التقط لم يزد فيه شيئا، وكذلك الإعراب؛ لأنه هكذا أنزل.

ثانيا: شبهاتهم النقلية؛ قد تمسك القائلون بالكلام النفسي، وأن القرآن حكاية عن كلام الله ﷻ بأدلة نقلية، منها:

أ- احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قالوا: فأثبت قول النفس!<sup>(٢)</sup>، وقريب من هذا احتجاجهم بقول عمر رضي الله عنه: [وكنيت زورت في نفسي مقالة] وفي رواية: [هيات في نفسي كلاما]<sup>(٣)</sup>، وهذا يعني: أن المتكلم هو من استقر في نفسه كلام، فإنه ساء كلاما قبل أن ينطق به!!<sup>(٤)</sup>.

والجواب عن هذا من عدة أوجه:

١- أن هذه الآية لو سقتموها كاملة لتيين أنها تشهد عليكم لا لكم، فإن الآية

(١) المصدر السابق.

(٢) الغنية لأبي سعيد النيسابوري ص ١٠٢.

(٣) روى نحوه البخاري، كتاب الحدود، باب/ رجم الحبل في الزنى، ح (٦٨٣٠)، ولفظه: «وكنيت زورت مقالة أعجبتني».

(٤) الغنية ص ١٠٢.

وردت هكذا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَ عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِمِ وَالْعَدُوِّ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «أي يفعلون هذا، ويقولون ما يجرفون من الكلام، وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن...»<sup>(١)</sup>، فالآية سقت في بيان سوء مناجاة هؤلاء، والمناجاة لا تكون إلا بين اثنين فأكثر، فبعضهم يسمع كلام بعض، فأين الكلام النفسي؟؟، ثم المراد بهذا أنهم يظهرون الإسلام عند رسول الله ﷺ، ثم إذا رجعوا إلى بعضهم قال بعضهم لبعض: هل يعذبنا الله بهذا!! فليس في الآية إشارة للكلام النفسي، لا من قريب ولا من بعيد، ثم هم قالوا كلاما، ولهذا رتب الله على كلامهم هذا وفعلهم هذا عذاب جهنم، وإلا لو كان كلاما نفسيا فحسب لما أخذوا عليه، كما هو معلوم من الشريعة السمحاء.

٢- قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣] فالله ﷻ أمر محمدا ﷺ أن يعرض عن المنافقين، وأن يعظهم في أنفسهم، أفقولون: إنه يعظهم بكلام في نفس الرسول ﷺ، لا يسمعه الناس؟، أم ستقولون: إن المراد قل لهم مباشرة، لا بواسطة مبلغيين!.

٣- أن الله ﷻ أخبر أن نبيه زكريا لا يكلم الناس ثلاثة أيام بلياليها، وأنه يشير إليهم بما يريد، ومعلوم أن الإشارة إلى ما يريده الإنسان تكون بعد ما دار في النفس من طلب أو خبر، ولم يعده ربنا ﷻ كلاما، وهذا دليل صريح في أن ما في النفس لا يكون كلاما، ولو كان مصاحبا ذلك بالإشارة، قال ﷻ عن نبيه زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ ﴿١٠﴾ مريم: ١٠. <sup>(٢)</sup>

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٢٣.

(٢) انظر: العين والأثر ص ٨١.

٤- أن الآية فيها قرينة - لو سلمنا جدلاً أنها تدلّ على الكلام النفسي - فإن القرينة هي التي دلت على ذلك، والقرينة هي، يقولون: في أنفسهم، فجاء القول مقيداً بالنفس، فكانت هذه قرينة على أن المراد ما في النفس، ولو لم يقيد لما فهم إلا صريح القول، الذي هو العبارة نفسها، لا ما في النفس<sup>(١)</sup>.

٥- ومثل هذا يقال: في قول عمر رضي الله عنه، فإنه لما زور في نفسه كلاماً، لم نكن نعلم بذلك حتى أخبرنا، فدل أن الكلام لا يمكن أن يعرف إلا بعد التكلم الذي يكون بصوت وحرف.

ب- وتمسكت المعتزلة والأشعرية بالقول أن القرآن الكريم ليس كلام الله تعالى حقيقة بآيتين في كتاب الله تعالى قال أبو الفضائل الرازي: «حجة من قال بأن القرآن ليس بكلام الله عز وجل»<sup>(٢)</sup> ثم أورد الآيات من سورة الحاقة، وسورة التكويد، وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ ١ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ٢ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٣ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ٤ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ٥ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ٦ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ٧ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٨ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٩ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ١٠ [الحاقة: ٣٨-٤٧]، قال العز بن عبد السلام<sup>(٣)</sup> في آية الحاقة: «وقول الرسول، صفة للرسول، ووصف الحادث حادث، يدل على الكلام القديم، فمن زعم أن قول الرسول قديم، فقد رد قول رب العالمين»<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ ١ الْجَوَارِ الْكُنُفِ ٢ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ٣ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ٤ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٥ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٦ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٧ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ٨ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ٩ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضِيقٍ ١٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ١١ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ١٢ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

(١) انظر: العين والأثر ص ٧٧.

(٢) كتاب حجج القرآن ص ٦٧.

(٣) هو الفقيه الأصولي: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي، أبو محمد، ولد بدمشق وتفقّه على ابن عسّاك، ثم سكن مصر، وبرع في المذهب الشافعي، وأفتى ودرس، توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ٢٠٩، معجم المؤلفين ٥/ ٢٤٩.

(٤) طبقات الشافعية ٨/ ٢٢٤.



لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ١٥-٢٧] قال العز ابن عبد السلام -ردا على من يثبت لله كلاما هو حرف وصوت، وأن القرآن في المصحف كلام الله :- « فالقرآن مركب من حرف وصوت، ثم يزعم أنه في المصحف، وليس في المصحف إلا حرف مجرد لا صوت معه »<sup>(١)</sup>.

والجواب من وجوه:

١- أن الآيتين بينت أن الرسولين إنما هما مبلغان لكلام الله ﷻ، وأن المبلغ كلام الله لفظا ومعنى، لأنه لو كان اللفظ لفظهما لكان عندنا لفظان، فأبي اللفظين عبارة عن كلام الله، فإنه مرة نسب إلى الرسول الملكي، ومرة إلى الرسول البشري!!، فعلم من هذا أن النسبة ليست نسبة إضافة كلام إلى متكلم، وإنما هو نسبة كلام إلى مبلغ، ولهذا لم يقل في الآيتين: إنه قول ملك، ولا قول نبي، وإنما ذكر الوصف، وهو الرسالة، وأن الرسولين في هذا التبليغ أمينان، سواء كان الرسول الملكي، أو الرسول البشري، فهما يؤديان رسالتهم على أكمل وجه من غير زيادة أو نقصان<sup>(٢)</sup>.

٢- أن هذا فيه خلط بين المسموع من الله بلا واسطة، والمسموع من كلام الله بواسطة، فالأول: يكون مسموعا لفظا ومعنى وصوتا من الله، والثاني: يكون لفظه ومعناه من الله، ومن أداه يكون الصوت صوته، والحركات حركاته، وهذا الفرق جلي لمن تدبر<sup>(٣)</sup>

٣- أن هذا صريح بأن محمدا ﷺ لم يكن ليفتري على الله غير ما أنزل عليه، وأن القرآن ليس كأقوال الشعراء الذين ينشئون الشعر من أنفسهم، ولا كأقوال الكهان المخرصين، بل هو رسول رب العالمين، يبلغ ما أنزل إليه، فما يقوله: هو كلام الله، مبلغا عن الله، لا يتقول من عنده، فمن زعم أن هذا قول الرسول، فقد رد قول رب العالمين؛ لأنه أخبر أنه لا يتقوله أحد، والمعبر متقول عليه، والحاكي كذلك<sup>(٤)</sup>.

٤- أنه لو كان هذا كلام محمد ﷺ لما كان هناك فرق بين القرآن والحديث، إذ

(١) طبقات الشافعية ٨/ ٢٢٤، وانظر: نص الباقلاني في أن القرآن إنما هو لفظ جبريل في كتابه الإنصاف ص ٩٧.

(٢) انظر: الدرء ١/ ٢٥٨، المجموع ٦/ ٥٢٤، ١٢/ ٣٧٨.

(٣) الدرء ١/ ٢٥٩.

(٤) انظر: الدرء ١/ ٢٥٨.

الأحاديث أيضا معناه من الله، ولفظه من محمد ﷺ، فما الفرق حيثئذ بين الكلامين؟!.

٥ - أن هذا القرآن لو كان تعبير محمد ﷺ، لما كان منزلا من الله ﷻ.

٦ - أن هذا لو كان مرادا من الآية لكان قول الكفار صحيحا لما قالوا: إن هذا إلا قول البشر!!، فإنهم ما أشاروا إلا إلى اللفظ المنزل، ولا يعرفون الكلام النفسي، حتى يقول عنه إنه كلام بشر، وقد أوعدهم الله بسقر، فدل على أن هذا المنزل ليس كلام البشر، ولا تعبير أحد من المخلوقين<sup>(١)</sup>.

٧ - أن آيات التكوين فيها بيان وصف جبريل ﷺ، وأنه يؤدي الرسالة على أكمل وجه لكونه كريما، وليس ببخيل كما زعمته اليهود ومن وافقهم، ووصف بأن له منزلة عند الله ممكّن، وهذا يؤكده سماعه كلام الله، واختصاصه بالوحي، ففي الآيتين بيان أن القرآن من عند الله، فليس الذي يأتي محمدا ﷺ إلا جبريل، وليس محمد ﷺ إلا رسول رب العالمين، يؤيدان عن الله رسالته<sup>(٢)</sup>.

٨ - أن هذا المفهوم معارض بصريح القرآن الكريم، كما قال ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦] ومعلوم أن المراد ما يُسمع - لا الصوت نفسه، والحركات التي أدي بها الكلام - فعلم أن المسموع هو كلام الله ﷻ بواسطة المبلغ، فليس المسموع كلاما لغيره، بل هو كلامه تعالى<sup>(٣)</sup>.

٩ - أن هذا يلزم منه أن من أدى حديث رسول الله ﷺ أن يكون الكلام كلامه، لا كلام النبي ﷺ، وهذا معلوم البطلان، فلو سمع إنسان قول شاعر متقدم، ثم نسبته إلى نفسه، لكونه أداه، لكان ذلك كذبا عند من عرف أن هذا ليس قوله، فكيف بكلام النبي ﷺ!! بل كيف بكلام الله ﷻ الذي لا يمكن لأحد لا ملكا ولا نبيا أن يأتي بمثله،

(١) انظر: المصدر السابق، وشرح الطحاوية ص ١٣٦، ١٥١.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: الدرء ١/ ٢٥٨، شرح الطحاوية ص ١٤٣.

فكيف يقال: إن المبلغين عنه يصيرون الكلام كلامهم لكونهم بلغوا!!<sup>(١)</sup>.

١٠ - إذا كان أحد الرسولين هو المعبر عن كلام الله ﷻ، أفصح أن يقول - ولو معبرا عن الملك القهار -: ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤]، فقولكم هذا كقول المعتزلة: إن الذي قال ذلك لموسى هي الشجرة!!، ثم معلوم أن الرسول إذا أراد أن يخبر بما أَرَادَهُ اللهُ فإنه يقول: إن الله أمرني بكذا، وأمرني أن أبلغكم بكذا، ويقول لكم كذا، وفي الحديث القدسي: « إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل: إني أحب فلانا فأحبه، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله يحب فلانا فأحبه »، فتبين بهذا الفرق بين نداء جبريل، ونداء الله ﷻ، وأن لكل نداء مختصا به، وأن الرسول لا يعبر عن الله، وإنما الله ﷻ يتكلم بنفسه، وبصوت يُسمع<sup>(٢)</sup>.

ومما يدل على فساد قول الكلابية والأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم، تلکم اللوازم السيئة التي تستلزم هذا القول، ومنها:

١. أنهم فرقوا بين كتاب الله وكلام الله، وهذه بدعة ما عرف عن أحد من المسلمين الأوائل، وإنما هو من مخترعات الكلابية، واتبعتهم في ذلك الأشعرية والماتريدية<sup>(٣)</sup>، والمعلوم أن الإجماع قائم أن ما في كتاب الله ﷻ هو كلام الله ﷻ<sup>(٤)</sup>.

٢. ومما ترتب على هذه البدعة أنهم قالوا إن: « احترام الكتاب لأجل المكتوب، كاحترام البيت لأجل صاحب البيت »<sup>(٥)</sup> ومعلوم أن البيت وصف قائم بنفسه مضاف إلى الله، وأما كلام الله الموجود بين الدفتين فهو وصف لا يقوم بنفسه، بل هو صفة لله ﷻ، فوجب تعظيم المصحف لكون ما فيه صفة الله، فهو معظم بنفسه، وأما تعظيم البيت فلتعظيم صاحب البيت، فافترقا.

(١) انظر: الدرء ١/ ٢٥٧.

(٢) انظر: منهاج السنة ٥/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ١٢٥.

(٤) انظر: الفصل الرابع من الباب الأول.

(٥) نهاية الإقدام ص ٣١٣.

٣. يلزم من القول بأن القرآن عبارة عن كلام الله ﷻ أن يكون جبريل نزل بالعبرة، ولم ينزل بكلام الله ﷻ!!، وهذا خلاف الأمانة.

٤. أن قولهم: إن الكلام هو ما كان في النفس دون الألفاظ، وأن هذه العبارات تدل على معاني كلام الله ﷻ، يلزم منه أن يكون التفسير أيضا عبارة عن كلام الله ﷻ لأنه الألفاظ تدل على ما في نفس الباري ﷻ، إذ لا فرق حينئذ بين اللفظ المنزل، واللفظ المعبر المفسر في الدلالة على الكلام النفسي!.

٥. أن مؤدى قول الأشاعرة هو عين قول المعتزلة بالنسبة إلى القرآن الكريم، وهو: أنه مخلوق<sup>(١)</sup> - والعياذ بالله -، فقالوا: «ويسمى كل من الصفة القديمة، والألفاظ الشريفة: قرآنا، وكلام الله، إلا أن هذه الألفاظ الشريفة مخلوقة!!»<sup>(٢)</sup>، وقال الألوسي<sup>(٣)</sup>: «استدل بالآية<sup>(٤)</sup> على أن القرآن مخلوق، وأطالوا الكلام في ذلك، وأجيب بأنه إن دل على المخلوقية!! فلا يدل على أكثر من مخلوقية الكلام اللفظي!!، ولا نزاع فيها!!»<sup>(٥)</sup> هذا مع أنهم يشننون بقولهم: نحن مدافعون عن السنة، ومنافحون بدع المعتزلة!!، ومخالفون لهم في مسألة الكلام!!، نعم من لم يفهم قولهم ظن أنهم مخالفون للمعتزلة، ولكن هذه المخالفة إنما هي من وجه واحد، وهو أن المعتزلة تثبت كلاما لله هو فعل له مخلوق، والأشاعرة لا تقول: بأن الكلام فعل له مخلوق، بل يقولون: إنه كلام نفسي!!، والمخلوقون هم الذين يجعلون له العبارات، ويعبرون عن كلام رب الأرض والسموات!.

٦. أن أهل البدع جميعا يظهرون بدعتهم لكونهم لا يعرفون شناعتها، أو

(١) انظر: الإرشاد للجويني ص ١١٧، شرح الطحاوية ١/ ٢٠٢، شرح جوهرة التوحيد للقاني ص ٩٤.

(٢) كفاية العوام ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) هو المفسر الفقيه: محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، أبو الثناء شهاب الدين، ولد ونشأ في بغداد، وله مصنفات كثيرة، وفيها إشارات للصوفية غير يسيرة، منها: روح المعاني، توفي سنة ١٢٧٠ هـ. انظر: معجم المؤلفين ١٢/ ١٧٥.

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

(٥) روح المعاني ١٣/ ٦٤.

يعرفون فيكبرون، أما الأشاعرة والماتريدية ومن تبعهما، فإنهم لا يظهرون عقيدتهم في القرآن الكريم خوفاً من الفضيحة، وفرقا من العامة<sup>(١)</sup> فهذا يؤكد قول من قال: إن الأشاعرة والماتريدية لا تثبت لله كلاماً في مصاحف المسلمين، ولا يشتون في الأرض كلاماً لله رب العالمين<sup>(٢)</sup>، يتحاكم إليه البشر أجمعون، إلا ما هو دليل على الكلام القديم الذي في النفس ولا يُدرى ما هو؟!، وهم وإن كانوا يصرحون بأن القرآن كلام الله، لكن في هذا أحد ثلاثة أمور: إما أنهم يقصدون به الكلام النفسي، أو أنهم يطلقون هذه العبارة مجازاً، أو يقولون ذلك في طور القرب من السنة، والتأثر بالآثار المروية عن الأخيار، وقد يظن البعض أن الأشعرية تثبت كلاماً لله رب العالمين، وأنهم يشتون قرآناً في مصاحف المسلمين، لما يقرأ أقوال بعضهم، وهم يصرحون: بأن القرآن مكتوب في مصاحف المسلمين على الحقيقة!!، يقول القشيري في رسالته الموسومة بشكاية أهل السنة - رادا قول من زعم أن الأشاعرة لا تثبت كلاماً لله ﷻ في مصاحف المسلمين - فقال: «إن الأشعري، وكل مسلم غير مبتدع يقول: إن القرآن كلام الله، وهو على الحقيقة مكتوب في المصاحف، لا على المجاز، ومن قال: إن القرآن ليس في المصاحف على هذا الإطلاق فهو مخطئ، بل القرآن مكتوب في المصحف على الحقيقة، والقرآن كلام الله، وهو قديم غير مخلوق،... وكون الكلام مكتوباً على الحقيقة في الكتاب لا يقتضي حلوله فيه<sup>(٣)</sup>، ولا انفصاله عن ذات المتكلم....، والنبي ﷺ على الحقيقة مكتوب في التوراة والإنجيل، وكذلك القرآن على الحقيقة مكتوب في مصاحف المسلمين»<sup>(٤)</sup>، والذي استقر عليه قول الأشعري أن القرآن كلام الله غير مخلوق، مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروء باللسنة<sup>(٥)</sup>.

(١) الفواكه الدواني ١/ ٥٧.

(٢) السير ٢١/ ٣٧٦، شرح الطحاوية ١/ ١٩٨.

(٣) قدم في البحث الثاني من هذا الفصل الحديث عن مسألة الحلول في القرآن الكريم.

(٤) طبقات الشافعية ٣/ ٤١٧-٤١٨.

(٥) انظر: مشكل الحديث لابن فورك ص ١٠٣، وأصول الدين للبغدادى ص ١٠٨، تبين كذب المقري لابن عساكر ص ١١٥، ٣٠٢، طبقات الشافعية ٨/ ٢٣٣، العين والأثر ص ٩٩.

فهذا الذي يذكرونه لا ينفي قولهم بخلق القرآن الموجود في مصاحف المسلمين، ولا ينفي هذا قول من قال: إنهم لا يثبتون في الأرض مصحفاً، ولا كلاماً لله رب العالمين، وذلك لأسباب:

الأول: أنهم فرقوا بين الكلام النفسي، والكلام الموجود بين الدفتين، ولا ندري ما مرادهم بأن القرآن حقيقة في المصحف، وهم مفرقون في القرآن!! خصوصاً أن بعضهم يزعم أن الكلام اسم مشترك على المعنى القديم، واللفظ المخلوق!!.

الثاني: أنهم يقولون: إن القرآن مكتوب على الحقيقة في المصاحف كما أن محمداً مكتوب على الحقيقة في التوراة والإنجيل، ومعلوم أن محمداً ﷺ ليس نفسه موجوداً في الإنجيل، ولا في التوراة، وإنما ذكره، فهم يريدون بهذا أن كلام الله ليس موجوداً حقيقة في المصاحف، وإنما حكايته، أو ما يدل عليه من العبارة!!.

الثالث: أنهم صرحوا بأن هذا القرآن الموجود إنما هو مخلوق في اللوح، أو من لفظ جبريل<sup>(١)</sup>، أو محمد ﷺ، فكيف يقولون: بعد ذلك إنه ليس بمخلوق!! ولهذا ينبغي التنبيه لأقوال الأشاعرة، والتيقظ لها، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «أما الغلط في تصوير مذهبهم، فكان الواجب أن يقولوا: إن القرآن في المصحف مثل ما يقال أن العلم والمعاني في الورق، فكما يقال: العلم في هذا الكتاب، يقال: الكلام في هذا الكتاب؛ لأن الكلام عندهم هو المعنى القائم بالذات، فيصور له المثل بالعلم القائم بالذات، لا بالذات نفسها، وأما الغلط في الشريعة، فيقال لهم: إن القرآن في المصاحف مثلما أن اسم الله في المصاحف؛ فإن القرآن كلام، فهو محفوظ بالقلوب، كما يحفظ الكلام بالقلوب، وهو مذكور بالألسنة كما يذكر الكلام بالألسنة، وهو مكتوب في المصاحف والأوراق، كما أن الكلام يكتب في المصاحف والأوراق، والكلام الذي هو اللفظ: يطابق المعنى ويدل عليه، والمعنى يطابق الحقائق الموجودة. فمن قال: إن القرآن محفوظ كما أن الله معلوم، وهو متلو كما أن الله مذكور، ومكتوب كما أن

(١) وقد صرح غير واحد من أهل العلم على أن من قال: القرآن حكاية جبريل، فإنه يكفر. انظر: الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي ص ٢٥٠، ضمن الجامع لألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

الرسول مكتوب، فقد أخطأ القياس والتمثيل بدرجتين؛ فإنه جعل الموجودات القائمة بأنفسها بمنزلة وجود العبارة الدالة على المعنى المطابق لها، والمسلمون يعلمون الفرق بين قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَفَرَّقَ أَنْ كَرَّمَ ۖ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨]، وبين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، فإن القرآن لم ينزل على أحد قبل محمد ﷺ لا لفظه، ولا جميع معانيه، ولكن أنزل الله ذكره، والخبر عنه، كما أنزل ذكر محمد ﷺ، والخبر عنه، فذكر القرآن في زبر الأولين كما أن ذكر محمد في زبر الأولين، وهو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، فالله ورسوله معلوم في القلوب، مذكور بالألسن، مكتوب في المصحف، كما أن القرآن معلوم لمن قبلنا، مذكور لهم، مكتوب عندهم، وإنما ذاك ذكره، والخبر عنه، وأما نحن: فنفس القرآن أنزل إلينا، ونفس القرآن مكتوب في مصاحفنا، كما أن نفس القرآن في الكتاب المكنون، وفي الصحف المطهرة... فإن الأعمال في الزبر كالرسول والقرآن في زبر الأولين، وأما الكتاب المسطور في الرق المنشور، فهو كما يكتب الكلام نفسه في الصحيفة، فأين هذا من هذا؟؟<sup>(١)</sup>.

٧. من اللوازم الفاسدة، أنهم زعموا: أن كلام الله لا يتفاضل، مع أن الأحاديث مصرحة بالتفضيل، ولكنهم يتلوّنون فيها فيقولون: «إن ألفاظ القرآن محدثة، ومدلولاتها فيها التفضيل!!!»<sup>(٢)</sup>.

٨. أنهم زعموا أن القرآن لا يرفع في آخر الزمان<sup>(٣)</sup>، مع أن النصوص مصرحة بذلك<sup>(٤)</sup>، وقولهم بناء على أن القرآن عندهم هو معنى واحد في ذات الله قديم، ورأوا استحالة الانتقال عليه، وأنه لم ينزل إلى الأرض إلا ما هو عبارة عنه، فماذا يرفع؟؟ ثم الرفع انتقال، وهو محال على الكلام!!<sup>(٥)</sup>.

(١) المجموع ١٢/٣٨٣-٣٨٥، وانظر منه: ص ٣٦٨، ٥٦٥.

(٢) الفواكه الدواني ١/٥٨، وسيأتي مزيد بيان في تفاضل آيات القرآن وسورها بعضها على بعض، في الفصل الأول، من الباب الثالث.

(٣) انظر: الانتصار للعمري ٢/٦٠٠.

(٤) انظر: الفصل الثاني من الباب الأول.

(٥) انظر: الإرشاد للجويني ص ١٣٠.

وهذا أرجو أن أكون قد بينت هذه العقيدة المنحرفة في القرآن الكريم، والتي نشأت بسبب الجدال بالباطل، مع المعتزلة، ومن أتباع هؤلاء من يقول: إن القرآن الكريم تكلم الله به أزلاً، وأنه قديم أزلي بحروفه!!، وأبين مذهب هؤلاء في المبحث الآتي.



### المبحث الخامس: القول بأزلية القرآن

أولاً: معنى هذا القول.

هذا القول يعني أن الله ﷻ تكلم بالقرآن أزلاً، والأزل: هو الوقت الذي لا أول له<sup>(١)</sup>، ويعني أن الله ﷻ لم يتكلم بالقرآن في وقت، وإنما تكلم به أزلاً، كما أن علمه كائن أزلاً، فكذلك كلامه كائن أزلاً، ومن ذلك القرآن الكريم، وأن الباء، والسين، والميم في: (بسم) موجودة مقترنة ببعض معاً أزلاً وأبدأً، ولا تزال لم يسبق منها شيء شيئاً!!<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني: أنه لا يتكلم بحسب ما يكون من الأوقات، ولا تتعاقب حروف كلامه، ولا يكون متكلماً إلا أزلاً، ولا يتكلم بمشيئته، ف «القرآن قديم، مع كونه عبارة عن اللفظ القائم بذاته، بلا ترتيب»<sup>(٣)</sup> عند هؤلاء القوم.

وعندهم تكلم الله أزلاً: فقال لموسى اخلع نعليك على أنها ستكون، فلما بلغ الوقت تكلم بأنها كائنة، ولما كان اليوم قالها على أنها كانت<sup>(٤)</sup>.

وقالوا: «إذا كتب كلام الله تعالى بجسم من الأجسام، وانتظمت تلك الأجسام رسوماً، ورقوماً، وأسطراً وكلاماً، فهي بأعيانها كلام الله تعالى القديم!!، وقد كان إذ ذاك جسماً حادثاً، ثم انقلب قديماً»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: التعريفات للجرجاني ص ١٧.

(٢) انظر: المجموع ١٢/٥٨٩، ١٧/١٦٥.

(٣) نقله الجويني عن ساهم بالحشوية أهل الظاهر!!، وهذا هو قول السالمية، على الصواب، والله الهادي الوهاب، وانظر: الدر النضيد لابن الحفيد ص ١٥٦، وقد نقله عن سياه: المحقق عضد الملة والدين، وهو يعني به الإيجي صاحب المواقف. وانظر: المجموع ٩/٢٨٤.

(٤) الأزل لابن عربي ص ٦.

(٥) الإرشاد للجويني ص ١٢٦.

فأصحاب هذا القول: يقولون - كما نقل عنهم - بأن الكلام هو المعنى المقترن للحروف والأصوات، وأنها لازمة للذات، أي أنه لم يتكلم بقدرته، ومشيتته واختياره<sup>(١)</sup>.

### ثانيا: سبب ظهور هذا القول.

نشأ هذا القول لما قامت محنة الجهمية في مسألة القرآن الكريم، وقالوا: إنا إذا قلنا إنه تكلم بكلام هو قائم به، وأنه بصوت وحرف، يلزم منه أن يكون ذات الله ﷻ، محلا للحوادث، فكل من وافق على هذا الأصل المبتدع وهو الاستدلال على الله بمسألة حلول الحوادث، فإنه يلزم إذا أقر بالمقدمتين، هذه النتيجة التي ذكرها الجهمية، فمن أجل ذلك منعت المعتزلة المقدمة الأولى، حتى لا تلتزم بالنتيجة، وقالت: إن الكلام حرف وصوت، ولا يلزم أن يقوم بالتكلم، وقالت الأشاعرة والماتريدية ونحوهم بمنع المقدمة الثانية، وقالوا: إن المتكلم من قام به الكلام، ولكن لا يلزم المتكلم أن يكون كلامه بحرف وصوت وبمشيتته، وإنما يكون كلامه واحدا نفسيا، وقالت السالية ونحوهم بالمقدمتين، وزادت بأن الصوت والحرف كالكلام نفسه لأن الكلام بدون صوت وحرف لا يتصور، فيكون أزليا أيضا!!<sup>(٢)</sup>.

يقول شيخ الإسلام ﷺ: «ثم إن طائفة أخرى لما عرفت فساد قول ابن كلاب في مسألة الكلام، ووافقتة على أصله في أن الله لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته، وكان من قولها: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يكن عندها إلا قديم لا يتعلق بمشيئة الله وقدرته، أو مخلوق منفصل عنه، لزمها أن تقول: إن الله يتكلم بصوت، أو بأصوات قديمة أزلية، لا تتعلق بمشيئته وقدرته، وأنه لم يزل، ولا يزال متصفا بها،

(١) انظر: الصفدية ١٣٨/٢، المجموع ٥٩٤/١٢.

(٢) انظر: شرح الأصبهانية ص ٣٢٣، المجموع ٥٢٦/١٢ وما بعدها، ٣٧٨/١٦، وأهل السنة - كما سبق وأن بينت في الباب الأول - يقولون: بأن كلام الله قائم به، وأن كلامه يكون بصوت وحرف، وأن ذلك لا يلزم منه الحدوث بمعنى أنه مخلوق، كما زعمت الفرق، فالسلف قالوا بالمقدمتين، ومنعوا النتيجة، وهو الحق، لأن هذه النتيجة مركبة على المحسوس، وهو أن من قام به الحركة والحدوث يكون مخلوقا، نعم ذلك لأنه مخلوق، وأما إن كان المجيء والإتيان والنزول من الخالق فلا يكون مخلوقا. انظر: الصفدية ١٣/١.

بتلك الأصوات القديمة الأزلية اللازمة لذاته!!»<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: القائلون بهذا القول.

هذا القول يذكر عن أبي الحسن ابن سالم شيخ أبي طالب المكي<sup>(٢)</sup>، وهو قول كثير من السالمية<sup>(٣)</sup> أتباع ابن سالم، فيقولون: إن كلام الله أزلي، والأصوات أزلية، مقترنة بالكلام أزلاً<sup>(٤)</sup>، وهم قالوا: ذلك لما رأوا أن الأشعرية ومن وافقهم يقولون بالكلام الأزلي، وينفون أن يتكلم بمشيئته، فرأوا أن هذا يلزم منه نفي أن يكون القرآن كلام الله ﷻ، خصوصاً أنهم قالوا: إنه لا يتكلم بصوت وحرف، وأن هذا الموجود هو عبارة عن كلام الله ﷻ، فلهذا قال هؤلاء: إنه متكلم أزلاً بصوت وحرف، وأن ذلك قديم<sup>(٥)</sup>.

ووافقهم على هذا القول بعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد، وغيرهم<sup>(٦)</sup>، فإنهم قالوا: القرآن قديم، وهو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لنفس الله تعالى أزلاً وأبداً!!<sup>(٧)</sup>.

وفهم هذا من قول القاضي أبي يعلى الفراء، حيث قال: إنه لم يزل متكلماً، وليس مكلماً، ولا مخاطب، ولا أمر، ولا ناه، ثم نفى أن يكون كلام الله بمشيئته واختياره، وما جاء عن الإمام أحمد مخالفاً لهذا، تأوله على غير وجهه<sup>(٨)</sup>.

(١) المجموع ٥٢٤/٦، وانظر: الصفدية ٥٧/٢.

(٢) هو الصوفي الواعظ المتكلم: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، من تصانيفه الصوفية: قوت القلوب، توفي ببغداد سنة ٣٦٨هـ. انظر: معجم المؤلفين ٢٧/١١.

(٣) وبعضهم ينسبهم إلى الخنابلة نظراً لأن متكلم السالمية ومنظرهم أبو الحسن ابن الزاغوني حنبلي: (٥٢٧هـ) انظر: ترجمته في السير ٦٠٥/١٩، وأصحاب هذا القول: يلقبون بالاقترانية، لقولهم باقتران الأحرف للكلام في القدم، وأنه لم يسبق بعضه بعضاً. انظر: التنبيه على المخالفات العقدية في الفتح ص ١٤٦.

(٤) الفتح ٥٠٢/١٣، وانظر: المجموع ٥٢٧/١٢.

(٥) انظر: منهاج السنة ٤١٩/٥.

(٦) انظر: الصفدية ٥٨/٢، شرح الأصبهانية ص ٣٣١، المجموع ٥٢٤/٦، ١٦٦/١٢.

(٧) انظر: المجموع ٣٢٠/١٢.

(٨) انظر: شرح الأصبهانية ص ٣٣٥، المجموع ١٥٨/٦، ١٦٦/١٢.

وهذا هو طريقة أصحاب القاضي<sup>(١)</sup>: كابن عقيل<sup>(٢)</sup>، وابن الزاغوني، وأبي عبد الله ابن عبد الوهاب<sup>(٣)</sup>، وهو المحكي عن أبي علي الثقفي<sup>(٤)</sup>؛ فإنه قال: «من أنكر أنه لم يزل، فقد اعتقد أن كلام الله محدث»<sup>(٥)</sup>، وهذا قول أبي الوليد الباجي<sup>(٦)</sup>، ومحكي عن أبي المعالي الجويني<sup>(٧)</sup>.

وهذا القول يتفق مع قول الكلائية، ومن تبعهم في أن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته، بل كلامه قائم بذاته، بدون قدرته، ومشيئته، مثل حياته، وهم يقولون: الكلام صفة ذات، لا صفة فعل<sup>(٨)</sup>.

ولهذا كان القول بأن الله تكلم بالقرآن أزلا، هو قول الأشعرية المثبتين لكلام الله عَلَّمَ الأزلي، النافين لكلامه الذي يكون بمشيئته واختياره، وصرح بهذا بعضهم<sup>(٩)</sup>، وإنما خلافهم مع هؤلاء في هذا القرآن الموجود هل هو أزلي أم لا؟؟ فقالت السالمية: القرآن كلام الله أزلي، والأشعرية قالوا: القرآن ليس بأزلي بل هو محدث؛ وهو عبارة عن كلام الله الأزلي.

(١) انظر: المجموع ٦/١٥٩، ٥٥/١٧، ومنهم ابنه أبو الحسين محمد كما في كتابه "الاعتقاد" ص ٢٤-٢٥.  
(٢) هو الفقيه المتكلم الواعظ: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادى أبو الوفاء الحنبلي، ولد ونشأ في بغداد، ومن مصنفاته الجامعة: كتاب الفنون، الانتصار لأهل الحديث، توفي سنة ٥١٣هـ. انظر: السير ١٩/٤٤٣.  
(٣) هو الفقيه الأصولي: محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحارثي أبو عبد الله شمس الدين، تفقه على مجد الدين ابن تيمية، والعز بن عبد السلام، وتولي القضاء مدة، توفي سنة ٦٧٥هـ. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٤/٢٣٣.

(٤) هو المحدث الفقيه: محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب الثقفي النيسابوري، وتلمذ على إمام الأئمة ابن خزيمة، وكان يجادل على طريقة أهل الكلام، ونهاه ابن خزيمة، توفي سنة ٣٢٨هـ. انظر: السير ١٥/٢٨٠.

(٥) المجموع ٦/١٦٩، وانظر: الدرء ٢/٧٨.

(٦) هو الفقيه المتكلم: سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي أبو الوليد الباجي، رحل إلى المشرق، ثم رجع بعد رحلة طويلة، وله مصنفات كثيرة، منها: التسديد إلى معرفة التوحيد، توفي بالمرية في الأندلس، سنة ٤٧٤هـ، وقيل غير ذلك. انظر: معجم المؤلفين ٤/٢٦١.

(٧) انظر: المجموع ١٧/٥٥.

(٨) انظر: المجموع ٦/٢١٩، ١٢/١٣٣.

(٩) انظر: تبين كذب المفتري ص ٣٠٢، والغنية لأبي سعيد النيسابوري ص ٩٨.

وهؤلاء الذين يقولون: إن الله تكلم بهذا أزلا، وأن كلامه بحرف وصوت، وأنه لا يتكلم بمشيئته، يسمون أيضا: بالاقترانية<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: شبهاتهم والرد عليها.

أ- قالوا: إننا إذا أثبتنا لله كلاماً متعلقاً بالمشيئة، فهذا يلزم منه أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته، وقدرته، إذا فكلام الله ﷻ أزلي<sup>(٢)</sup>، واحتجوا ببعض ما ورد عن السلف: إن الله لم يزل متكلماً<sup>(٣)</sup>.

#### الرد على هذه الشبهة:

١- أن ما ذكره من أن القرآن قديم أزلي هذا يرجع المسألة إلى العلم: فالله يعلم ما سيكون، وإذا وقعت علمها واقعة كما في الأول، ثم لما انقضى علم أنها انقضت على وفق ما علم، أما الكلام فهو ليس من صفات الذات المحضة، بل هو قديم العين من حيث تعلقه بالذات وأنه تعالى متكلم وقادر على ذلك أزلا، ومتعلق بمشيئته واختياره من حيث إنه يتكلم متى شاء، فالكلام كالعلم من حيث تعلقه بالذات، وكصفات الأفعال من حيث تعلقه بالمشيئة.

٢- قول السلف: إنه لم يزل متكلماً؛ لا يعني موافقتكم، فإنهم عنوا بهذا أنه متكلم أزلا، كما أنه متكلم متى شاء، وكونه متكلماً أزلا، يعني: أنه متصف بالكلام لأن ضده الخرس والله منزّه عنه أزلا وأبداً، كالعلم اتصف الله به أزلا وأبداً، لأن ضده الجهل، وهو محال على الله ﷻ، ويعني كونه متكلماً أزلا: كقولنا إنه خالق أزلا، فإذا أثبت لنفسه أنه خالق، والمراد أنه خالق إذا أراد، وإن لم يكن خالقاً في كل حال، فكذلك هو متكلم أي متصف به إذا أراد، وإن لم يكن متكلماً بكل حال<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الصفدية ٥٧/٢.

(٢) انظر: المجموع ٥٢٤/٦.

(٣) انظر: المجموع ١٥٩/٦.

(٤) انظر: المجموع ١٥٨/٦، ١٦٠، ١٢/٥٢٩.

٣- أن هذا القول مبتدع، وقول « أنه لم يزل متكلمًا يتكلم إذا شاء، هذا هو الذي يقوله من يقوله من أهل الحديث، وأصحاب هذا القول: قد يقولون: إن كلامه قديم، وأنه ليس بحادث، ولا محدث؛ فيريدون نوع الكلام، إذ لم يزل يتكلم إذا شاء، وإن كان الكلام العيني يتكلم به إذا شاء»<sup>(١)</sup> فقولهم: إنه قديم، يعنون بذلك أنه ليس بمخلوق، فإن السلف ثابت عنهم أنهم يصفون الله ﷻ بأنه يتكلم متى شاء، فعلم من هذا مخالفتكم للسلف، ولم يقل هذا أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم، وإن كان هذا قول بعض أتباعهم المتأخرين<sup>(٢)</sup>، وهذا إمام الأئمة ابن خزيمة يقول ﷺ: « الذي أقول به: إن القرآن كلام الله، ووحيه، وتنزيله غير مخلوق. ومن قال: إن القرآن أو شيئًا منه، وعن وحيه، وتنزيله مخلوق، أو يقول: إن الله لا يتكلم بعد ما كان تكلم به في الأزل، أو يقول: إن أفعال الله مخلوقة، أو يقول: إن القرآن محدث، أو يقول: إن شيئًا من صفات الله، صفات الذات، أو اسمًا من أسماء الله مخلوق، فهو عندي جهمي يستتاب؛ فإن تاب، وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابيل؛ هذا مذهبي، ومذهب من رأيت من أهل الأثر في الشرق والغرب من أهل العلم»<sup>(٣)</sup>.

٤- هذا القول فيه مخالفة للمعقول والمنقول؛ « وإلا فكيف تكون السين المعينة المسبوقة بالباء المعينة قديمة أزلية، وتكون الحروف المتعاقبة قديمة، والصوت الذي كان في هذا الوقت قديمًا؟»<sup>(٤)</sup>.

٥- ثم إن النصوص دالة على أنه ينادي في وقت معين، والنداء لا يكون إلا صوتًا، فكيف يقال: إنه لم يزل مناديا من الأزل إلى الأبد!!، فهذا فيه مخالفة صريحة

(١) المجموع ٦/ ١٦٢.

(٢) انظر: منهاج السنة ٥/ ٤٢٠، وذكر شيخ الإسلام أن الشهرستاني ذكر في نهاية الإقدام: أن هذا قول السلف والحنابلة، وليس هذا هو قول السلف، ولا قول أحد بن حنبل، ولا أصحابه القدماء، ولا جمهورهم. انظر: نهاية الإقدام ص ٣١٣.

(٣) الدرء ٢/ ٧٩، المجموع ٦/ ١٧٠.

(٤) منهاج السنة ٥/ ٤٢٠، المجموع ٩/ ٢٨٤، ١٢/ ١٣٢.

للنصوص<sup>(١)</sup>، قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦] وقال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢] وقال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] والمعنى: «واذكر إذ قال ربك للملائكة، والمؤقت بظرف معين لا يكون قديماً أزلياً»<sup>(٢)</sup>.

٦- ومن الردود عليهم ما ذكره بعض المخالفين للسلف، - وأهل البدع يرد بعضهم على بعض، فيؤخذ الحق منهم، ويرد باطلهم، - فيقول: «وأما الذين يقولون: إن الله تعالى تكلم في الأزل بكذا، فإنه يلزم القائلين به شناعات، ولا يحصل بها علم إلا بجهلهم، وإنما ينبغي أن يقال في مثل هذا: إن كلام الله صفة له قديمة لا تكيف، فإن الكيفية في هذا الفن من العلم محال...، فإذا ثبت أن الله موصوف بالكلام، وأن الكلام غير محدث، فلا يحتاج ذلك إلى أزل، ولا إلى غير أزل، فنقول: لما خلق الله موسى، وكان من أمره ما كان، وأبصر النار، وقصده: ناداه الحق في ذلك الوقت»<sup>(٣)</sup>.

٧- وبالجمل فكون الرب لم يزل متكلماً - إذا شاء - هو الحق، كما هو قول أهل الحديث، وهذا القول مبني على مقدمتين: الأولى: أن الله ﷻ تقوم به الأمور الاختيارية. الثانية: أن كلام الله لا نهاية له، ومن خالف في إحدى المقدمتين لزم قوله الفساد<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: المجموع ٦/ ٢٢٤، ١٢/ ٥٨٨.

(٢) الصفدية ٢/ ٥٨.

(٣) الأزل لابن عربي ص ٤-٥، وفي بعض كلامه حتى في هذا الموضع شطط، وانحرافات وغلط، وإنما نقلت ما يفيد الغرض، وأعرضت عما فيه غرض، وكلامه لو جمع في مسألة القرآن لكان من أشد الناس تناقضاً، ومن أكثرهم تحولاً، وأسرعهم تقلباً، فلا مذهب له، ولا ثبات، فالיום مع الفلاسفة، وغدا مع المعتزلة، وحقيقته مع الحلولية وهو مذهبه الصريح، ومنهجه القبيح، وهكذا حال المتدعة فإنهم يتحولون كل يوم، ولهذا كان الغزالي من أكثر الناس تردداً بين الفرق. انظر: مقدمة أحمد شمس الدين لتهافت التهافت ص ١٤.

(٤) انظر: منهاج السنة ٣/ ٣٥٩.

٨- وأيضا وصفه بأنه تكلم مع موسى أزلا!!، ومع جبريل أزلا!!، وتكلم بالقرآن أزلا محال!!، إذ وصفه بذلك له أول، والأزل عبارة عن نفي الأولية، فالجمع بينهما محال<sup>(١)</sup>.

٩- لا يجوز أن يخبر الله ﷻ أزلا أنه أرسل نوحا، فيقول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١] فلو أخبر أزلا أنه أرسل نوحا، وهو لم يخلق بعد، لكان خلفا، إذ أنه لم يرسله بعد، وهو على الله وفي كلام الله محال، فدل على أنه ما تكلم بهذا الكلام إلا بعد إرسال نوح - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام -<sup>(٢)</sup>.

١٠- قوله ﷻ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فهذه الآية تفيد أن الله كلم موسى وقت مجيئه الذي وقته له، وحينئذ قال موسى: رب أريني أنظر إليك، ونفى الله إمكان الرؤية في الدنيا لما سألته ذلك، وكل هذا وقت في ميقات معين حدده رب العالمين، وليس ذلك أزلا، وإلا لزم منه أن الميقات لا معنى له، وأن موسى سأل أن يرى ربه أزلا، وأن الله قال له أزلا لن تراني!!، وأن الله لا يرى أزلا!!، وأن الله تجل للجبل أزلا!!، وأن موسى خر أزلا!!، وأنه أفاق أزلا!!، وأنه قال: تبث إليك أزلا!!، وهذه المفاسد كلها لو تصورها عاقل، لما تفوه بأن الله تكلم أزلا، ولم يتكلم حين جاء موسى للميقات!!.

١١- ثم إن القرآن الكريم كيف يقال عنه أن الله تكلم به أزلا؟ وفيه الآيات الكثيرة التي تدل على أن الله كلم هذا في وقت، وهذا في وقت، وأن هذه الآية قبل هذه، وأن هذه السورة قبل هذه!!.

(١) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٢٨.

(٢) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٢٩، الصفدية ٥٧/٢.



١٢- أن قولكم إن الله تكلم بالقرآن أزلا فيه أنه لا يتكلم بشيء مرتين، وهذه مكابرة، قال ابن خزيمة رحمته الله في رده على أمثال هؤلاء: «زعم بعض جهلة هؤلاء الذين نبغوا في سنيننا هذه<sup>(١)</sup>: أن الله لا يكرر الكلام، فلا هم يفهمون كتاب الله؛ إن الله قد أخبر في نص الكتاب في مواضع أنه خلق آدم، وأنه أمر الملائكة بالسجود له، فكرر هذا الذِّكْر في غير موضع، وكرر ذكر كلامه لموسى مرة بعد أخرى، وكرر ذكر عيسى ابن مريم في مواضع، وحمد نفسه في مواضع... ولم أتوهم أن مسلما يتوهم أن الله لا يتكلم بشيء مرتين!!»<sup>(٢)</sup>.

١٣- القول بأن الله تكلم أزلا، وأنه لا يتكلم متى شاء، يعني مخالفة صريح الكتاب والسنة؛ فإنه قد ثبت في غير ما آية أن الله تعالى: «يكلم أهل النار بالتوبيخ والعقاب...، ويخلو الجبار بكل أحد من خلقه فيكلمه؛ ليس بينه وبين أحد منهم ترجمان... فمن زعم أن الله لم يتكلم إلا مرة، ولم يتكلم إلا ما تكلم به، ثم انقضى كلامه كفر بالله، بل لم يزل الله متكلمًا، ولا يزال متكلمًا، لا مثل لكلامه؛ لأنه صفة من صفات ذاته؛ نفى الله المثل عن كلامه، كما نفى المثل عن نفسه.. ولم يزل متكلمًا، ولا يزال يتكلم؛ فهو الموصوف بالصفات العلى»<sup>(٣)</sup>.

١٤- وأما قولكم: إن القول بأنه يتكلم متى شاء يلزم منه القول بحدوثه فعنه أجوبة، الأول: أن هذا اللازم ليس بصحيح، فلا يسمى كلام الله تعالى، وكتابه محدثًا، وإن سمي حديثًا. الثاني: أن القرآن يسمى حديثًا، والحديث معناه الكلام كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]. الثالث: أنا لو سلمنا لكم<sup>(٤)</sup> أنه يسمى محدثًا كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢].

(١) لعله يشير إلى قول أبي علي الثقفى من تلامذته القائلين بالكلام الأزلي.

(٢) المجموع ١٧١/٦.

(٣) المجموع ١٧٣/٦-١٧٤، وانظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحد ص ٤٤.

(٤) وتسمية القرآن بأنه محدث منعه الأئمة؛ لأنه ذريعة إلى القول بخلقه، فينتبه لهذا، وقد اشدت نكير الإمام أحد على داود الظاهري لما قال: إن القرآن محدث، وهو يريد أن الله تكلم به في وقت معين. انظر: المجموع ١٦٠/٦-١٦١.

فإنه لا يسمى مخلوقاً، وليس بمخلوق، وتسميتكم المحدث بأنه مخلوق، هو اصطلاح اصطلاحتم عليه، والآية ليس المراد بها اصطلاحكم، وإنما المراد أنه شيء جديد، وليس كل جديد محدث إلا على اصطلاحكم. الثالث: إن أردت بقولك: إنه محدث أنه مخلوق، فقد علمت مذهب السلف في ذلك، وهم من أشد المنافحين عن القرآن، وإن أردت بقولك: محدث، أن الله تكلم به بمشيئته وقدرته، بعد أن لم يكن متكلماً بالقرآن، وبغيره بعينه - وإن كان قد تكلم بغير ذلك قبله، مع أنه متكلم إذا شاء - فإن هذا هو قول السلف، وإذا فهم المقصود، فإن النزاع في العبارة غير مجد إلا أن تكون العبارة شرعية<sup>(١)</sup>.

ب-احتجوا: بأدلة المعتزلة على أن الكلام يكون بحرف وصوت، وبأدلة الكلامية ومن وافقهم على أن الكلام لا يكون إلا قائماً بالموصوف، ثم قالوا: وكل ذلك لا يكون إلا قديماً<sup>(٢)</sup>.

والجواب عنه من وجهين:

الأول: أن احتجاجكم بأن الكلام لا يكون إلا بصوت وحرف صحيح، واحتجاجكم بأنه لا يكون صفة لموصوف إلا إذا كان قائماً به صحيح، ويبقى النتيجة التي ذكرتموها، وهي أن ذلك كله قديم، أزلي فهذا هو محل النزاع، ومعلوم أن الباء قبل السين، والسين قبل الميم، والقديم لا يسبق بغيره على قولكم، ثم الصوت يستحيل اقتران أوله بآخره، ووجوده كله في وقت واحد، وإنما يوجد متعاقباً<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أن وصفكم الرب الكامل بأنه متكلم أزلاً، وليس بمتكلم أبداً وأن كلامه لا يكون بمشيئته وقدرته وصف له بالنقص، وهو محال على الله ﷻ، إذ المتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته وقدرته، فمن تكلم اضطراباً، أو مكرهاً، أو من غير إرادة منه كالنائم، فهذه كلها أوصاف نقص يلحق المتكلم بالكلام، ولا

(١) انظر: المجموع ٦/ ١٦٠-١٦١.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٣٢٠.

(٣) انظر: الصفدية ٢/ ٥٨، شرح الأصهبانية ص ٣٣٦، المجموع ١٢/ ٣٢٠.

يكون الكمال إلا ممن تكلم بمشيئته واختياره وقدرته<sup>(١)</sup>.

قالوا: الكلام له وجود وماهية، وله ترتيب في وجوده، وترتيب ماهية الباء للسين بالزمان هي في وجوده، لا في ماهيته؛ فإن السين مقارنة للباء في الماهية!! فليس هناك تقدم في الزمان؛ إنما هو تقدم في الوجود، كتقدم بعض الحروف المكتوبة على بعض، فالكاتب قد يكتب آخر المصحف قبل أوله، ومع هذا إذا كتبه كان أوله متقدماً على آخره في المرتبة، لا في الوجود<sup>(٢)</sup>.

والجواب عن هذا من وجهين:

الأول: أن جمهور العقلاء يعلمون فساد هذا بالاضطرار؛ فإن الصوت لا يتصور بقاءه، ودعوى وجود ماهية غير الموجود في الخارج دعوى فاسدة؛ لأن الوجود الذهني ليس وجوداً للماهية على الحقيقة، وإنما هو وجود علمي ذهني، وأما وجود الأحرف في الخارج فوجود حقيقي عياني، والكلام في الأحرف الموجودة في العيان، لا الموجودة في الأذهان.

الثاني: أن الترتيب الذي في المصحف - حيث ركبتم الدليل عليه - هو ترتيب للحروف المدادية، والمداد أجسام، وإنما الكلام في الأحرف التي تكون عياناً من حيث هي بقطع النظر عن وسائلها؛ فإنها لا توجد - من حيث هي - إلا مرتبة، يعلم أن هذا قبل هذا وجوداً وزماناً<sup>(٣)</sup>.

ومما يدل على فساد قول القائلين بأن الله تكلم بالقرآن أزلاً، ما يأتي:

١ - يلزمهم على قولهم بأن الله تكلم بالقرآن أزلاً أن يكون هذا القرآن الموجود بين الدفتين لم يسمعه جبريل؛ لأن جبريل ﷺ لم يكن أزلاً!!، وقال السلف: «إنما

(١) انظر: المجموع ١٨ / ٢٣٧.

(٢) انظر: المجموع ١٢ / ٣٢٠.

(٣) انظر: المجموع ١٢ / ٣٢١.

تكلم بالقرآن حيث خاطب به جبريل، وكذلك سائر الكتب»<sup>(١)</sup>.

٢- إذ قالوا ذلك: فالقرآن يكون على قولهم هو عبارة عن الكلام الأزلي، فيرجع هذا إلى قول الكلابية وأتباعهم، أو يقولوا: بأن المسموع هو كلام الله الأزلي حرفاً وصوتاً، فيرجعون إلى قول الحلولية والاقترانية، وقد سبق الرد عليهم. وهؤلاء يقابلهم أقوام ذهبوا إلى أن الله لم يتكلم أزلاً، وإنما تكلم بعد أن لم يكن قادراً على الكلام، وأبين قول هؤلاء في المبحث الآتي.

(١) شرح الأصبهانية ص ٢١١، نقلاً عن كتاب محمد بن الهيصم "جمل الكلام".

## المبحث السادس

القول بأن الله تكلم بعد أن لم يكن متكلماً،

ومن ذلك تكلمه بالقرآن

أولاً: معنى هذا القول.

المراد بهذا القول: أن الله لم يزل معطلا لا يتكلم، ولا يفعل شيئا، ثم حدث منه الكلام<sup>(١)</sup> فأصحاب هذا القول: يرون أن الله في الأزل لم يكن متكلماً، إلا بمعنى القدرة على الكلام، وأنه يصير موصوفاً بما يحدث بقدرته، وبمشيئته بعد أن لم يكن كذلك<sup>(٢)</sup>. وهؤلاء لا يعنون من كلمة "الحادث" أن القرآن مخلوق، وإنما يعنون: أن الله تكلم به بعد أن لم يكن متكلماً، فهم يسمونه حادثاً، ولا يسمونه محدثاً<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: سبب نشأة هذا القول.

لما حدث القول بأن القرآن حكاية عن كلام الله ﷻ، وأن هذه الأحرف ليست من كلام الله، وهذا معلوم شناعته، ونشأت السالمية الذين قالوا: إن هذه الأحرف أيضاً هي من كلام الله ﷻ وهذه الأحرف أيضاً أزلية، وأن الله لا يتكلم بمشيئته واختياره، وهذا أيضاً معلوم شناعته إذ الحروف متعاقبة، ولا يكون المتعاقب أزلياً، فنشأ قول ثالث: وهو أن الله موصوف بأنه تكلم بعد أن لم يكن متكلماً، فتكلم بهذا القرآن بعد أن لم يكن متكلماً، ونفوا أن يكون الله متكلماً أزلاً<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الصفدية ١/١٣، ١٧/١٦٥.

(٢) انظر: المجموع ٦/٥٢٤، ١٢/٥٩٣.

(٣) انظر: منهاج السنة ٢/١٠٨.

(٤) انظر: المجموع ٩/٢٨٤-٢٨٥، ١٢/٥٢.

وقالوا: إن المتكلم من قام به الكلام، وأن الكلام لا يكون إلا بصوت وحرف، وأن من الكمال أن يكون المتكلم متكلماً بمشيئته وقدرته، لا أن يكون المتكلم من تكلم أزلاً، وأما أن ذلك يلزم منه حلول الحوادث في الرب ﷻ، فليس في الأدلة ما ينفي حلول الحوادث في ذات الرب ﷻ<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء قالوا: بأنه تكلم بعد أن لم يكن متكلماً، كقولهم فعل بعد أن لم يكن فاعلاً، وذلك لئلا يلزمهم القول بحوادث لا أول لها<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: القائلون بهذا القول.

هذا القول هو المشهور عن الكرامية<sup>(٣)</sup>، وطائفة كثيرة: من المرجئة، والشيعة، وغيرهم: يقولون: بأن الله تكلم بكلام حادث، بعد أن لم يكن متكلماً، وهذا الكلام الحادث ليس بمخلوق<sup>(٤)</sup>، ونقل عنهم أنهم يفرقون بين قول الله، وكلام الله؛ فيقولون: «الكلام قديم، والقول حادث غير محدث، والقرآن قول الله، وليس بكلام الله، والكلام عندهم القدرة على التكلم»<sup>(٥)</sup> فيكون هذا قولاً آخر لهم في المسألة.

والكرامية أثبتوا أن الله ﷻ يتكلم بكلام قائم بنفسه غير مخلوق، وأن كلامه بمشيئته وقدرته، لكنه تكلم بعد أن لم يكن متكلماً، وأن الحوادث تحل به<sup>(٦)</sup>، وهم يقولون: بأن كلام الله ﷻ لا نهاية له في المستقبل<sup>(٧)</sup>.

والقول بأن الله تكلم بكلام حادث - ولا يعنون به المخلوق - نسب إلى أبي

(١) انظر: الصفدية ٢/ ١٣٨، ٦٠.

(٢) الصفدية ٢/ ٦٠.

(٣) وهم ينتسبون إلى محمد بن كرام السجستاني، وفي الفقه إلى أبي حنيفة، ورموا بالتشبيه. انظر: المجموع ١٢/ ٥٣٠، ١٧/ ٥٥.

(٤) انظر: الإرشاد للجويني ص ١٠٦، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٥، الصفدية ١٣٨/ ٢، شرح الأصبهانية ص ٣٣١، المجموع ٦/ ٥٢٤، ١٢/ ١٧٢، ٥٣٠.

(٥) الغنية لأبي سعيد النيسابوري ص ٩٩، وانظر: المجموع ١٢/ ١٧٧، منهاج السنة ٢/ ٢٤٨.

(٦) انظر: منهاج السنة ٣/ ٣٥٨، المجموع ٦/ ١٦١، ٢١٩.

(٧) انظر: منهاج السنة ٣/ ٣٦٠.

معاذ التومني، وزهير الباي، وداود الأصبهاني<sup>(١)</sup>، وقد يسمى أصحاب هذا القول بالحدوثية<sup>(٢)</sup>، نسبة إلى قولهم بأن الله تكلم بكلام حادث بعد أن لم يكن متكلماً به.

رابعاً: شبهات أصحاب هذا القول، والرد عليها.

أ- يفهم مما نقل عنهم سابقاً أنهم يقولون: إن الله تكلم بكلام قائم به، والكلام لا يكون إلا بصوت وحرف، ويستحيل أن يكون هناك كلام ولا مُكَلِّم؛ فدل ذلك على أنه تكلم بعد أن لم يكن متكلماً، وأن هذا الكلام متعلق بمشيئته وقدرته<sup>(٣)</sup>.

والجواب عن هذا ما يأتي:

١- إن قولكم أنه تكلم بكلام قائم به حق، وكونه تكلم بصوت وحرف حق أيضاً، وأما أنه تكلم بعد أن لم يكن متكلماً فهذا هو وجه البدعة في قولكم، إذ كيف يتصور للرب الكامل أن يكون معطلا عن الكلام حتى يكون متكلماً بسبب خارج عنه، وهم المخلوقون.

٢- أما قولكم: كيف يتصور وجود كلام ولا مُكَلِّم، فهذا نشأ بسبب اعتقادكم تعطيل الرب عن الفعل، وأنه لم يكن فاعلاً، ولا خالقاً، فكيف يتصور أن يكون متكلماً، ثم صار فاعلاً، وخالقاً، ومتكلماً!!، ومعلوم أن الحق هو ما ذهب إليه السلف من أن الله ﷻ لم يزل فاعلاً متكلماً خالقاً، كما لا يزال فاعلاً خالقاً متكلماً.

٣- أن الكلام صفة كمال لا صفة نقص، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يكون قادراً على الكلام بمشيئته وقدرته، ووصف الكمال لله ﷻ واجب، فوجب أن يكون متكلماً أزلاً بمشيئته، كما أنه متكلم أبداً بمشيئته<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: منهاج السنة ٣/ ٣٦٩، الصفدية ٢/ ٦٠، المجموع ١٢/ ١٧٧، ونسب إلى البخاري، وقد بينت في الفصل الأول من الباب الثاني، أن ذلك لا يصح عنه، والمذكورون هم الفقهاء الذين نسب إليهم شيخ الإسلام هذا القول؛ فإنه تارة يقول: طوائف من المتسبين إلى السنة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد، وتارة يقول: طائفة من الفقهاء، وهم - والله أعلم - طائفة واحدة وهم المذكورون.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٥٩٤.

(٣) انظر: الصفدية ٢/ ٦٠، ١٣٨، المجموع ١٢/ ٥٢، المجموع ٩/ ٢٨٤-٢٨٥.

(٤) انظر: المجموع ٩/ ٢٨٥، ١٨/ ٢٣٧.

٤- قلت: إن الكلام متعلق بالمشيئة، ومعلوم أن الله ﷻ لم يزل موصوفا بالإرادة، فكذلك يلزم أن يكون موصوفا بالكلام.

٥- إذا قلت: إنه تكلم بعد أن كان الكلام ممتعا عليه، فيلزمكم أن تبينوا ما هو السبب الموجب الذي جعله يتكلم؟؟، إن كان السبب الموجب قدرته وإمكان الكلام منه؛ فإنه لم يزل متصفا بالقدرة وإمكان الكلام؛ فبطلت دعواكم في أنه لم يكن متكلمًا، وإن قلت: إنه لم يزل غير قادر، ثم صار قادرا على أن يتكلم بمشيئته من غير حدوث شيء، فهذا مخالف لصريح العقل، وسلبٌ لصفة الكمال من مستحقها، وهذا فيه تشبيه للخالق بالمخلوق الذي لم يكن قادرا على الكلام ثم قدر على الكلام بعد زمن!!!<sup>(١)</sup>.

ب- قالوا: كان الله قادرا على الكلام أزلا، ولم يكن متكلمًا أزلا، لامتناع حوادث لا أول لها، وإنما يتكلم بمشيئته وقدرته أبداً، للقطع بوجود حوادث لا منتهى لها<sup>(٢)</sup>.

والجواب عنها من أوجه:

١- أن كونه ﷻ يتكلم بمشيئته وقدرته حق عندنا وعندكم، ومعلوم أن الله ﷻ موصوف بالمشيئة والقدرة أزلا، كما أنه موصوف بهما أبداً، ولا يلزم من ذلك حلول الحوادث في ذات الرب ﷻ، فكذلك كلامه، وهذا الحق الذي يجب الرضا به:

وقد تكلم رب العرش بالكتب الـ منزلات كلاما لا شبيه به

ولم يزل فاعلا، أو قائلا أزلا إذا يشاء، وهذا الحق فارض به

إذ هي صفات لموصوف تقوم به قديمة مثله من غير ما شُبّه<sup>(٣)</sup>

٢- أن قولكم هذا يعني: عدم الاهتداء «إلى الفرق بين ما يستلزم الأولية والحدوث، وهو الفعل المعين، والمفعول المعين، وبين ما لا يستلزم ذلك، وهو نوع الفعل والكلام، بل هذا يكون دائما، وإن كان كل من آحاده حادثا، كما يكون دائما في

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص ٢٥٧، المجموع ٩/ ٢٨٥.

(٢) انظر: الصفدية ٦٨/ ٢، المجموع ١٢/ ٥٢.

(٣) من أبيات لمحمد جمال الدين اليمني الشافعي، كما في مقدمة منهاج السنة ١/ ١٠٩.



المستقبل، وإن كان كل من أحاده فانياً<sup>(١)</sup>، فهذا القول منكم يدل على عدم الفرق بين الكلام المعين وجنس الكلام<sup>(٢)</sup>.

٣- التزمتم بأن الرب يتكلم بمشيئته وقدرته، فيلزمكم - مع قولكم: إن الكلام متعلق بهما - أن تثبتوا الكلام الأزلي الذي لا مفتتح لوجوده، وإلا لزمكم التناقض، من حيث إثبات القدرة دون الكلام، مع أنه مقترن به<sup>(٣)</sup>.

٤- أن القول بأن ذلك يلزم منه حوادث لا أول لها، ليس بصواب، وذلك أن الرب ليس موصوفاً بالحوادث، وأما إن أردتم بأن ذلك يلزم منه حوادث لا أول لها من حيث إيجاد المخلوقين، فهذا قال به طوائف، ولا يلزم من كون الرب ﷻ متكلماً أزلاً إثبات حوادث لا أول لها أزلاً.

٥- أن هذا الكلام لو كان محدثاً، لكان إما أن يحدث في ذات الله تعالى، فيكون محلاً للحوادث، وهو محال. أو لا يحدث فيه؛ وهو محال؛ لأن كونه تعالى متكلماً صفة من صفاته، وصفة الشيء يستحيل أن تقوم بغيره، فتبين بأن الله متكلم أزلاً<sup>(٤)</sup>، ويتكلم متى شاء، من دون أن يلزم على ذلك مسألة حلول الحوادث<sup>(٥)</sup>.

(١) المجموع ١٢/٥٩٣.

(٢) وهذه آيات ليوسف بن محمد السرمري في الرد على السبكي، في مقدمة منهاج السنة ١/١١٧، يصلح رداً على هؤلاء وأمثالهم، حيث يقول فيها:

إن قلت كان ولا علم لديه ولا	كلام، لا قدرة أصلاً كفرت به
أو قلت أحدثها بعد استحالتها	في حقه سُئِلَ نقص ما احتججت به
وكيف يوجدُها بعد استحالتها	منه، أي قدر ميت رفع منكبه
أو قلت فعل اختيار منه ممتنع	ضاهيت قول امرئ مُعَوٍّ بأنضبه
ولم يزل بصفات الفعل متصفاً	وبالكلام بعيداً في تقريبه
سبحانه لم يزل، ما شاء يفعله	في كل ما رَمَنَ، ما من معقبه
نوع الكلام كذا نوع الفعال قدي	م لا المعين منه في ترتبه.

(٣) انظر: المجموع ١٢/٥٩٢، ١٨/٢٣٤.

(٤) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٥) انظر: الصفدية ١/١٣.

٦- أن قولكم بأنه تكلم بعد أن لم يكن قادرا على الكلام؛ بحجة امتناع حوادث لا أول لها، لا يصح؛ لأن السلف لم يقل أحد منهم أن الله لم يكن متكلمًا أزلًا، ثم تجدد له هذا الوصف، ولم ينكر أحد منهم دوام فعل الله ﷻ أزلًا، كما أنهم متفقون على دوام فعل الله ﷻ أبداً<sup>(١)</sup>، قال الإمام أحمد ﷺ: «ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم، حتى خلق التكلم، وكذلك بنو آدم، كانوا لا يتكلمون: حتى خلق الله لهم كلاما، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه، وتعالى الله عن هذه الصفة، بل نقول: إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، ولا نقول: إنه كان لا يتكلم حتى خلق الكلام»<sup>(٢)</sup> وقول الإمام أحمد وإن كان رداً على الجهمية الخالص، إلا أنه يصلح في الرد على هؤلاء الكرامية في وصف الرب بعدم الكلام في الأزل.

ت- قالوا: إن الأمر بلا مأمور عبث، وأنه لا يخبر في القدم أنه أرسل نوحا، وكلم موسى لأن ذلك كذب، ولأن الأمة مجمعة على أن كلام الله ناسخ ومنسوخ، وسور وآيات، وذلك مما يدل على عدم كونه قديماً<sup>(٣)</sup>.

والجواب عنه بما يأتي:

١- الأول أن هذا لا يدل على أن الله ﷻ لم يكن متكلمًا أزلًا، بل يدل على أن آحاد كلامه كانت في وقت شاءه ﷻ، دون وقت، وأما هذه الشبه فهي ترد على الأشاعرة القائلين بالكلام الأزلي النفسي، وعلى السالمية القائلين بالكلام الأزلي، ولا يرد على أهل السنة القائلين بأن الله ﷻ يتكلم متى شاء، مع كونه متكلمًا أزلًا، كما أنه متكلم أبداً.

٢- أن إثبات كونه تعالى لم يكن متكلمًا أزلًا، يلزم منه أنه ﷻ كان عاجزا، ثم صار قادرا على الكلام، ومعلوم بطلان هذا الكلام، إذ العجز من صفات المخلوقين، لا من صفات رب العالمين<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الصفدية ٦٨/٢.

(٢) الأصبهانية ص ٢٠٢.

(٣) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٥.

(٤) انظر: المجموع ١٢/١٨٤، شرح قصيدة ابن القيم ١/٢٦٣.

٣- أن نفي كونه ﷻ متكلما أزلا يعني تعطيل صفة الكلام، وهذا لا دليل عليه، لا من كتاب ولا من سنة، ولا من عقل.

٤- الكلام كالعلم من حيث كون الرب ﷻ متصفا به أزلا وأبداً، وهو كالرزق والرحمة من صفات الله من حيث كونه ﷻ يرزق ويرحم متى شاء، فوجب إثباته أزلا وأبداً متى شاء<sup>(١)</sup>.

٥- أنه يلزم من قول الكرامية بحدوث الكلام، بعد أن لم يكن متكلما، أنه محل للحوادث، وأنه ﷻ يعتريه ما يعترى المخلوقين من حيث كونه لا يوصف بشيء ثم يوصف به بعد مدة وزمن، كالرجل يولد لا يتكلم ثم يتكلم!!!، وهذا وحده كاف في بطلان هذه العقيدة الفاسدة التي تؤدي إلى التعطيل والتشبيه.

ومن اللوازم الفاسدة لقول الكرامية:

١- وصفهم الرب ﷻ بأنه لم يكن متكلما أزلا!!!<sup>(٢)</sup>.

٢- أنهم يقولون: إن القرآن حادث، وهم وإن كانوا لا يريدون أنه مخلوق، إلا أن هذه اللفظة من الألفاظ المجملة التي لا ينبغي استعمالها في مسألة القرآن، إلا بقيد أو بيان. فمسألة الكلام إن لم يكن المسلم فيها معتصماً بالوحيين، متبعاً للسلف الصالح في فهمهم، فإنه يضل، وأقل أحواله أن يكون شاكا مرتابا، متوقفا في هذه المسألة، والواقفة إحدى الفرق في مسألة الكلام، وأبين حالهم في المبحث التالي.

(١) انظر: المجموع ٦/١٦٠.

(٢) انظر: المجموع ١٢/١٧٧.

### المبحث السابع: القول بالتوقف في القرآن

أولاً: معنى هذا القول.

المراد: بالتوقف في مسألة القرآن الكريم، هو أن أصحاب هذا القول، يقفون في وسط الطريق، كقطاع الطرق، الذين يميلون على هؤلاء وهؤلاء، فلا هم مع أهل السنة في قولهم: إن القرآن الكريم كلام الله ﷻ غير مخلوق، وأن الله تكلم به بمشيئته واختياره، ولا هم مع أهل البدع في قولهم: إنه مخلوق، أو في قولهم: إن الله تكلم به أزلاً، أو تكلم به بدون اختياره وقدرته، فوقفوا في مسألة القرآن، ولم يهتدوا إلى جواب صحيح، وظنوا أن السلامة في التوقف عن القولين، وعدم الخوض مع الطائفتين!!، فساووا بين الحق والباطل!!.

قال الدارمي رحمه الله: «ثم إن ناساً ممن كتبوا العلم، وادعوا معرفته، وقفوا في القرآن، فقالوا: لا نقول: مخلوق، ولا غير مخلوق»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «من قال: إن كلامه مخلوق، أو قال: إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، فهؤلاء في الحقيقة لم يثبتوا أنه يتكلم، ولا أثبتوا له كلاماً؛ ولهذا يقولون: ما لا يعقل، هذا يقول: إنه معنى واحد قائم بالذات!!، وهذا يقول: حروف أو أحرف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته!!، وهذا يقول: مخلوق بائن عنه!!.

ولهذا لما ظهر لطائفة من أتباعهم ما في قولهم من الفساد، ولم يعرفوا عين<sup>(٢)</sup> هذه الأقوال الثلاثة، حاروا وتوقفوا، وقالوا: نحن نقر بما عليه عموم المسلمين من أن

(١) الرد على الجهمية ص ١٠٢.

(٢) هكذا في المجموع، ولعل الصواب (غير)، كما هو نص في السياق بعدها في ١٣/ ١٧١.

القرآن كلام الله، وأما كونه مخلوقا، أو بحرف وصوت، أو معنى قائما بالذات، فلا نقول شيئا من هذا»<sup>(١)</sup>.

### ثانيا: سبب نشأة هذا القول.

لما نشأت الجهمية المنكرون لكلام الله ﷻ اختلف الناس، فمنهم من قال: القرآن مخلوق!!، ومنهم من قال: كلام الله قديم، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة!!، ومنهم من قال: بل نتوقف، ولا نقول: إنه مخلوق، أو ليس بمخلوق!!<sup>(٢)</sup>.

فكان سبب نشأة هؤلاء تحيرهم في مذاهب المعتزلة، والكلابية، والسالمية، «وكل طائفة تبين فساد قول الأخرى، وفي كل قول من الفساد ما يوجب الامتناع من قبوله، ولم يعلموا قولا غير هذه، فرضوا بالجهل البسيط، وكان أحب إليهم من الجهل المركب، وكان من أسباب ذلك أنهم وافقوا هؤلاء على أصل قولهم ودينهم، وهو الاستدلال على حدوث الأجسام، وحدث العالم بطريقة أهل الكلام المبتدع»<sup>(٣)</sup>.

### ثالثا: القائلون بهذا القول.

والتوقف في القرآن الكريم قول طائفة من الجهمية - خصوصا إذا ظهرت السنة - وقُمِعَت البدعة، فإنهم يستترون خلف التوقف في إخفاء قولهم بخلق القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>، وكان الأئمة كأحمد وغيره يقولون: «افترقت الجهمية على "ثلاث فرق": فرقة قالت: القرآن مخلوق، وفرقة تقف، ولا تقول مخلوق، ولا غير مخلوق، وفرقة تقول: أَلْفَاظُنَا بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقَةٌ»<sup>(٥)</sup>.

والواقفة صنف من أتباع كل من المعتزلة، والكلابية، والأشاعرة، والماتريدية،

(١) المجموع ١٣ / ١٧٠.

(٢) انظر: الدرء ١ / ٢٦٠.

(٣) المجموع ١٣ / ١٧١.

(٤) انظر: المجموع ١٢ / ٣٥٨.

(٥) المجموع ١٢ / ٢٠٦، ٣٥٩، المدخل لابن بدران ص ٥٤.

والسالمية، والكرامية، ونحوهم، فتجد: «شيوخ العلم والدين، بمصر والشام قد صنفوا في أصول الدين ما صنفوه، ولما تكلموا في "مسألة القرآن"، وهل هو مخلوق؟ أو قديم؟ أو هو الحرف والأصوات؟ أو معنى قائم بالذات؟ نهوا عن هذه الأقوال، وقالوا: الواجب أن يقال ما قاله المسلمون كلهم: أن القرآن كلام الله، ويمسك عن هذه الأقوال، وهؤلاء توقفوا عن حيرة وشك»<sup>(١)</sup>.

ومسألة التوقف من فروع التجهم، وجالت مسألة التوقف حتى في نفوس بعض من كان معروفا بالسنة والحديث<sup>(٢)</sup>.

وهؤلاء يسمون بالواقفة وبالواقفية<sup>(٣)</sup>.

فالواقفة ليست صنفا واحدا، وإنما هم أصناف ثلاثة:

الأول: الجهمية من أهل الكلام المتسترين بهذا القول.

الصنف الثاني: قوم ليس لهم دراية تامة بعلوم السلف، فيخطئون.

الصنف الثالث: ناس ليس لهم علم، فيتوقفون في المسألة، قال الإمام أحمد رحمته الله

في بيان حالهم:

«من كان يخاصم، ويُعرف بالكلام<sup>(٤)</sup>؛ فهو جهمي، ومن لم يُعرف بالكلام؛ يجانب حتى يرجع، ومن لم يكن له علم؛ يسأل ويتعلم»<sup>(٥)</sup>.

ويمكن أن يكونوا صنفين، باعتبار العلم والجهل، قال الشيخ حافظ حكمي رحمته الله:

«وقضى السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - على الطائفة الواقفة، وهم القائلون: لا نقول

(١) المجموع ١٣/ ١٧٠-١٧١، وانظر تلبس إبليس ص ٣٥، شرح الأصبهانية ص ٤١٦.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٣٥٨، ولعل شيخ الإسلام رحمته الله وقف على معينين من بعض أهل السنة والحديث ممن قال بالوقف في مسألة القرآن الكريم، وقد ذكر الخلال في السنة ١٣٠/ ٥ وما بعدها، والالكتائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٣٥٧ وما بعدها: أقوال بعض المنتسبين إلى الحديث القائلين بالوقف، وقد ذكر ابن النديم في الفهرست ص ٣٤٨، أن ابن الثلجي من فقهاء الحنفية المتقدمين كان يرى الوقف في القرآن.

(٣) انظر: تلبس إبليس ص ٣٥، الواقفة اسم فاعل لبيان حالهم، والواقفية: نسبة إلى قولهم، وهو التوقف.

(٤) أي بعلم الكلام المنطقي.

(٥) السنة للخلال ١٣٠/ ٥.

القرآن مخلوق، ولا غير مخلوق، بأن كان منهم يُحسن الكلام فهو جهمي، ومن لم يحسن الكلام منهم، بل علم أنه كان جاهلا جهلا بسيطا؛ فهو تُقام عليه الحجة بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن أنه كلام الله تعالى، وإلا فهو شر من الجهمية»<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: شبهتهم والرد عليها.

أ- قالوا: نحن نقر بما عليه عموم المسلمين، من أن القرآن كلام الله، وما زاد على ذلك، فلا نتكلم فيه لا نفياً ولا إيجاباً<sup>(٢)</sup>.

والجواب عن هذا من عدة أوجه:

١- أن قولكم بأنكم تعتقدون ما عليه عموم المسلمين، فهذا الذي نقول يجب المصير إليه، وقد كان السلف من الصحابة والتابعين حتى نشوء هذه الخلافات، كلهم يقولون بأن القرآن كلام الله، وصفة من صفاته، ومعلوم أن الصفة تتبع الموصوف، من حيث كونها واجبة، أو ممكنة، فلماذا عدلتم قولهم بقول الجعد بن درهم، فهو أول من قال: بخلق القرآن!!<sup>(٣)</sup>، ثم تبعه الجهم بن صفوان، وكلاهما قتلا بيد أهل السنة نكالا، فكيف يكونون متبعين!!، أو مساوين لمن سلف!!.

٢- أن غاية ما عندكم هو عدم العلم، وهذا لا يلزم منه التوقف - خصوصاً في باب العقائد - بل يجب فيه المصير إلى النصوص العظيمة المصرحة بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهب أنه ليس لديك نص صريح، أما يكفيك سيرة السلف، الذين بذلوا مهجهم في إثبات هذه العقيدة، فالمصير إلى قول العلماء الراسخين في العلم، من الصحابة والتابعين متعين، كيف والوقوف في هذه المسألة تعني الشك في الدين، نسأل الله العصمة من رب العالمين<sup>(٤)</sup>.

(١) معارج القبول ١/ ٣٦٣، وانظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٤٢٤، اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث ص ٩٤، ٢٥٩.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ١٧٠-١٧١.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٤٢٠.

(٤) انظر: الشريعة للأجري ١/ ٢٣٢.

٣- أن « الهدي في هذه الأصول، ومعرفة الحق فيها، هو معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، وهو الموافق لصريح المعقول، أنفع وأعظم من كثير مما يتكلمون فيه من العلم، لا سيما والقلوب تطلب معرفة الحق، في هذه بالفطرة »<sup>(١)</sup>، فكان الواجب طلب الهدي النبوي، دون النظر إلى القواعد المنطقية، والأصول الجدلية، فحينها يدرك الحق من أقرب طرقه.

٤- أن الأئمة ذموا الواقفة، فدل تضليلهم إياهم على شناعة توقفهم في مسألة ظهرت فيها الأدلة، وامتنح فيها أهل السنة، وأظهر الله الحق بعد المحنة، ثم ذم الواقفية مأثور عن الأئمة، قال الإمام أحمد رحمته الله لما سئل عن الواقفة: « هم شر من الجهمية، استتروا بالتوقف »<sup>(٢)</sup> وقال: « هم أشد على الناس تزينا من الجهمية، هم يشككون الناس، وذلك أن الجهمية قد بان أمرهم، هؤلاء إذا قالوا: إنا لا نتكلم، استمالوا العامة؛ إنما هذا يصير إلى قول الجهمية »<sup>(٣)</sup> وهذا الإنكار منقول عن عدد من الأئمة، مثل ابن الماجشون<sup>(٤)</sup>، ووكيع بن الجراح، وأبي ثور، وإسحاق بن راهويه، وعثمان بن أبي شيبة<sup>(٥)</sup> ومن لا يحصى عددهم إلا الله<sup>(٦)</sup>.

٥- قال الإمام أحمد رحمته الله في رده على الواقفة: « كلام سوء، هو ذا موضع السوء وقوفه، كيف لا يعلم إما حلال وإما حرام؟؟، وإما هكذا وإما هكذا؟، قد نزه الله وَجَلَّ القرآن عن أن يكون مخلوقاً؛ وإنما يرجعون هؤلاء إلى أن يقول إنه مخلوق؛ فاستحسنوا

(١) المجموع ١٣/ ١٧٠.

(٢) السنة للخلال ٥/ ١٢٩، وما بعدها من النقول.

(٣) السنة للخلال ٥/ ١٣٥.

(٤) هو الفقيه المحدث: عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون (بكر الجيم) مفتي أهل المدينة، وكان رفيق الشافعي، مات سنة ٢١٣ هـ. انظر: التقريب ص ٣٠٤.

(٥) هو الإمام الحافظ المفسر: عثمان بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي مولا هم أبو الحسن الكوفي، صاحب تصانيف، وأخوه الحافظ أبو بكر، ثقة مأمون، أخرج له خلق، توفي سنة ٢٣٩ هـ. انظر: السير ١١/ ١٥١.

(٦) انظر: السنة للخلال ٥/ ١٤٠ وما بعدها، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٢/ ٣٥٧ وما بعدها، وشرح الأصبهانية ص ٤١٦، بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٢٨، المجموع ١٢/ ٤٢٠-٤٢١.



لأنفسهم، فأظهروا الوقف، القرآن كلام الله غير مخلوق بكل جهة، وعلى كل تصرف<sup>(١)</sup>.  
٦- أن الوقف لا يجوز إذا تعين الرد، وظهرت البدعة، وانتشرت بين الناس المقولة، قال ابن قتيبة رحمه الله: «ولم أر في هذه الفرق أقل عذرا، ممن أمر بالسكوت، والتجاهل بعد هذه الفتنة، وإنما يجوز أن يؤمر بهذا قبل تفاقم الأمر، ووقوع الشحناء، وليس في غرائز الناس احتمال الإمساك عن أمر في الدين قد انتشر هذا الانتشار، وظهر هذا الظهور، ولو أمسك عقلاؤهم، ما أمسك جهلاؤهم، ولو أمسكت الألسنة، ما أمسكت القلوب...، والشك لا يداوى بالوقوف، والبدعة لا تدفع إلا بالسنة، وإنما يقوى الباطل أن تبصره، وتمسك عنه<sup>(٢)</sup>».

ومما يدل على فساد قول الواقفة اللوازيم الفاسدة المترتبة على قولهم، ومنها:

- ١- أنهم لا يعرفون هل لله تعالى كلام في مصاحف المسلمين حقيقة؛ وذلك لأنهم في حيرة من أمرهم.
- ٢- أن من قال من أئمة الصحابة والتابعين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، يكونون قد أخطؤوا!!!، وأن الواقفة أصابت الحق بتوقفها!!، وهذا تجهيل للسلف!!.
- ٣- أنهم لا يعتبرون لفهم السلف اعتبارا في النصوص، إذ فهم السلف من نصوص الكتاب والسنة أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهؤلاء لم يعيروهم أي اهتمام!!.
- ٤- أن الواقفة إذا وقفوا في مسألة القرآن؛ فلا يكون بينهم وبين الجهمية الخلقية نزاع، قال أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الجواز: «إذا كنا نقول: القرآن كلام الله، لا نقول مخلوقا، ولا غير مخلوق؛ فليس بيننا وبين هؤلاء الجهمية خلاف - فذكر قوله لأحمد - فقال: جرى الله أبا يعقوب خيرا<sup>(٣)</sup>».
- ٥- يلزم الواقفة أنهم لا يعلمون: إن كان الله يتكلم أو لا يتكلم، قال داود

(١) السنة للخلال ٥/١٣٤.

(٢) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٦٠-٦١، بشيء من التصرف.

(٣) السنة للخلال ٥/١٣٦.

ابن رُشيد<sup>(١)</sup>: «من زعم أن القرآن كلام الله، ولا يقول مخلوق، ولا غير مخلوق؛ فهذا يزعم أن الله لم يتكلم، ولا يتكلم!!»<sup>(٢)</sup>.

٦- يلزمهم أن يقولوا: بأن أسماء الله ﷻ لا مخلوقة، ولا غير مخلوقة!!؛ وذلك لأن أسماء الله ﷻ في القرآن؛ فإن كانوا شاكين في القرآن، فإن الشك لازم لهم في أسماء الله، وإن قالوا: إن أسماء الله غير مخلوقة، لزمهم أن يقولوا بأن القرآن غير مخلوق<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يظهر أن التوقف في مسألة القرآن الكريم بعد فشو البدع والأقوال الشنيعة لا يحسن، وأن ذلك مذموم، مهما كان الدافع إليه، ومن أسباب التوقف في مسألة القرآن الكريم أن الواقعة رأوا أن القارئ يقرأ القرآن، والكاتب يكتبه، فازدادوا حيرة، إذ لم يعرفوا الفرق بين القراءة والمقروء، واللفظ والملفوظ، والكتابة والمكتوب، وهذه هي المشهورة بمسألة اللفظ، وأبينه في المبحث التالي.

(١) هو الثقة الفاضل: داود بن رشيد (بالصغير) الهاشمي مولا هم، الخوارزمي، نزيل بغداد، روى له

أصحاب الكتب إلا الترمذي، مات سنة ٢٣٩هـ. انظر: التقريب ص ١٣٨.

(٢) السنة للخلال ١٣٧/٥، وانظر الحجة في بيان المحجة ١/ ٤٢٤.

(٣) انظر: السنة للخلال ١٣٨/٥ - ١٣٩.

### المبحث الثامن: ابتداء مسألة اللفظ في القرآن

أولاً: معنى هذا القول.

ضل في مسألة اللفظ فرقان: فرقة تسمى باللفظية النافية، وهي التي تقول: إن ألفاظنا بالقرآن ليست قديمة، وأن القراءة ليست قديمة بل هي مخلوقة، وإن كان القرآن غير مخلوق.

ومنهم من تذرع بهذا إلى أن القرآن مخلوق مطلقاً. فقول هؤلاء هو: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، لكن اللفظ بالقرآن مخلوق<sup>(١)</sup>، وهذا حقيقته خطوة إلى الجهمية، إذ يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، والقرآن بلفظي مخلوق!!.

وفرقة تسمى باللفظية المثبتة، وهي التي تقول: إن ألفاظنا بالقرآن قديمة غير مخلوقة، وأن القراءة غير مخلوقة، وما دام أن القرآن كلام الله، وهو غير مخلوق، فكذلك قراءتنا غير مخلوقة!!، وهؤلاء نظروا إلى أن القرآن غير مخلوق، فتلاوتنا لا تكون مخلوقة.

ثانياً: سبب ظهور هذا القول.

ومن أسباب ظهور اللفظية، أن الأمر لما اختلط على بعض الناس، ظن أن القول باللفظ هو الصواب، فابتدع هذا متبعاً فيها الجهمية، وكانت تقول: «كلام الله الذي لم ينزله غير مخلوق!!، وأما القرآن الذي أنزله على رسوله، وتلاه جبريل، ومحمد ﷺ، والمؤمنون فهو مخلوق، وهؤلاء هم اللفظية»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: تلييس إبليس ص ٣٥، المدخل لابن بدران ص ٥٤.

(٢) المجموع ١٢/٣٥٩، انظر: الجواب الصحيح ٤/٣٤٢.

وبإزاء هؤلاء بالغ أقوام في إثبات أن القرآن كلام الله حتى قالوا: إن ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة<sup>(١)</sup>.

ثم صار هذا التفرق موروثاً في أتباع الطائفتين، اللفظية النافية القائلة بأن الألفاظ ليست قديمة، واللفظية المثبتة القائلة بأن ألفاظنا قديمة<sup>(٢)</sup>.

وكلتا الفرقتين ضللتا بسبب عدم التفريق بين اللفظ والملفوظ، والقراءة والمقروء، والكتابة والمكتوب، والتلاوة والمتلو، فمن نظر إلى فعل العبد وكسبه: من تلفظ وحركات، وصوت ونسمات، وكتابة وقراءات، ظن أن هذا يعني أن الملفوظ، المتلو، المقروء، المكتوب مخلوق، ومن نظر إلى الملفوظ، المقروء، المكتوب، المتلو ظن أن هذا يعني أن اللفظ والتلاوة والقراءة والكتابة غير مخلوقة، فالضلال نشأ بسبب عدم التفريق بين فعل العبد وكلام الرب، بين ما يكون واسطة في الكلام، وبين الكلام نفسه، وما كان السبب فيه العبد من حسن تلاوة، أو جمال خط، فهذا معلوم أنه فعل العبد، والعبد وفعله مخلوق، وما لم يكن للعبد فيه من تصرف، فلا يختلف فيه سواء كان مسموعاً أو مكتوباً، أو مقروءاً فهذا كلام الله، ولا يختلف باختلاف القراءة والكتاب، وما كان من صفة الخالق فإنه لا يكون مخلوقاً كيف تصرف.

فأصل سبب النزاع في هذه المسألة هل الكلام هو اللفظ والمعنى، أم المعنى دون اللفظ، وأيضاً عدم التمييز بين صوت العبد، وصوت الرب؛ بل يجعل هذا عين هذا؛ فينفيهما جميعاً، أو يثبتهما جميعاً؛ فإذا نفى الحرف والصوت، نفى أن يكون القرآن العربي كلام الله ﷻ، وأن يكون منادياً لعباده بصوته، ونفى أن يكون القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله، وإن أثبت الصوت والحرف، ولم يتنبه إلى أن الكلام قد يكون بصوت المبلغ ظن أن الصوت المسموع هو صوت الرب، فنشأ هذا الخلاف العظيم<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: المجموع ٨/٤٢٣، ١٢/٣٩٤-٣٩٥.

(٢) الدرء ١/٢٦٦ وما بعدها.

(٣) انظر: الدرء ١/٢٥٩، المجموع ١٢/٥٨٥.

## ثالثاً: القائلون بهذا القول.

أول من ابتدع مسألة اللفظ بالقرآن وأنه مخلوق، هو حسين الكرابيسي، وبدعه الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله <sup>(١)</sup>.

وقال به آخرون من الجهمية مستترين خوفاً من الفضيحة، ودفعوا للشناعة عن نفوسهم القبيحة.

وعلى رأس القائلين بأن ألفاظ القرآن الكريم مخلوقة الأشعرية <sup>(٢)</sup>؛ لأنهم قالوا: إن الكلام النفسي قديم، وأما ما يدل عليه من العبارات فهي مخلوقة، فالقرآن الذي هو عند المسلمين، وفي مصاحفهم وبألفاظهم وبأصواتهم مخلوق!! <sup>(٣)</sup>، فهم قد يسمون القرآن الكريم كلام الله - لكن على ضوء ما سبق - يقول الباقلاني الأشعري: «الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس، دون غيره، وإنما الغير دليل على الكلام، لا أنه نفس الكلام الحقيقي!!» <sup>(٤)</sup>.

ومن يرى أن التلاوة غير مخلوقة أبو يعلى الفراء <sup>(٥)</sup>، ومن تبعه، وقال في مسألة اللفظ بعض المنتسبين إلى السنة <sup>(٦)</sup>، ممن لهم فضل ودين وعلم <sup>(٧)</sup>، فوقعوا في بعض المحاذير، لكن هؤلاء إنما قالوا: التلاوة غير مخلوقة، رداً على المستترين من اللفظية الجهمية، وصونا للقرآن، وغلقاً لباب يدخل منه المبتدعة، ولم يقصدوا بأن صوت

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٧٠، الفتوح ١٣ / .

(٢) انظر: المجموع ١٢ / ٣٦٤.

(٣) ونقل هذا عنهم قوام السنة في الحجة في بيان المحجة ١/ ٣١٧، وانظر: الدرر ١/ ٢٦٨.

(٤) الإنصاف ص ١٠٧.

(٥) انظر: المعتمد في أصول الدين ص ٨٨، ١٩٢، ٢٦٧. وأبو يعلى الفراء هو القاضي: محمد بن الحسين بن محمد ابن خلف بن أحمد الفراء، فقيه حنبلي، ذو فنون، متبحر في العلوم، مؤلفاته كثيرة، منها: المعتمد في أصول الدين، الرد على الأشعرية، والرد على الباطنية، وغيرها، توفي سنة ٤٥٨ هـ. انظر: طبقات الحنابلة ٢/ ١٦٧.

(٦) وقد مضى تفصيل قولهم في الفصل الأول من الباب الأول.

(٧) انظر: المجموع ١٢ / ٣٣٣.

العبد غير مخلوق، أو أن فعله غير مخلوق<sup>(١)</sup>.

ونقل "مسألة اللفظ" عن بعض الأشاعرة بصورة أخرى، حيث قالوا: الذي يُسمع شيئان: «أحدهما: قراءة القارئ، وهي محدثة عندهم، والثاني: كلام الله القديم»<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: شبهاتهم والرد عليها.

أ- ومن شبه اللفظية الخلقية النافية؛ أنهم قالوا: إن أفعالنا وأصواتنا مخلوقة، ونحن نقرأ القرآن بحركاتنا وأصواتنا، فهذا القرآن الموجود المقروء مخلوق، وليس بقديم<sup>(٣)</sup>.

والجواب عن هذه من أوجه:

١- أن إنكار الأئمة على اللفظية معلوم، وهذا وحده دليل على أن هذا قول باطل، ودفعه أولى من دفع الصائل، قال الإمام الآجري<sup>(٤)</sup> رحمته الله: «احذروا رحمكم الله تعالى هؤلاء الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، هذا عند أحمد بن حنبل، ومن كان على طريقتهم منكر عظيم، وقائل هذا مبتدع، يُجتنب، ولا يكلم، ولا يجالس، ويحذر منه الناس»<sup>(٥)</sup>.

٢- أن اللفظ مصدر، والمصدر إذا أطلق يراد به المقروء المتلو، ويراد به القراءة والتلاوة الذي هو فعل العبد، فالأول: كلام الله، وكلامه ليس بمخلوق، والثاني: فعل العبد وصوته، وهو مخلوق وما كان مضافاً إليه فهو مخلوق، ولا يضاف إلى العبد في

(١) ومن نسب إلى اللفظية المثبتة أبو حاتم الرازي ومحمد بن داود المصيصي، ولقد ألف ابن أبي حاتم كتابه الرد على الجهمية، وذكر على وجه الخصوص اللفظية النافية، وبين أنهم جهمية، وذلك لأن القائلين بأن لفظي مخلوق: ممن عاصرهم وسمع كلامهم يريدون هذا، لا أن الإمام ومن نحا نحوه كان يقول: بأن فعل العبد قديم، ولم يقصد الإمام أبو حاتم، ولا غيره من الأئمة أن أفعال العباد غير مخلوقة. انظر: الدرء ١/ ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة ١/ ٢٨٥.

(٣) انظر: الدرء ١/ ٢٦٠.

(٤) هو المحدث الإمام، شيخ الحرم الشريف: محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، له تأليف نافعة، والسنة فيها ظاهرة، ومنها: كتاب الشريعة، توفي سنة ٣٦٠ هـ. انظر: السير ١٦/ ١٣٣.

(٥) انظر: الشريعة للآجري ١/ ٢٣٥، الحجة في بيان المحجة لقوام السنة ١/ ٣٧٠ وما بعدها فإنه ذكر خلقاً كثيرين ممن بدعوا اللفظية، وانظر: الدرء ١/ ٢٦٠ وما بعدها، المجموع ١٢/ ٢٠٦، ٣٥٩، وانظر: ما سبق في الفصل الأول من الباب الأول.

حالة القراءة إلا الصوت والأداء، ولا يضاف إليه الكلام، فلا يقال: إذا قرأ القرآن، إن هذا كلامه، وإنما يقال: فلان حسن الصوت، حسن الأداء، والفرق بين القراءة والمقروء معلوم بديهية، فالخلط بينهما يورث الانحراف، فمن فصل من الأئمة الذين قالوا بأن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة يجب أن يفهم على أنهم أرادوا فعل العبد وصوته، لا القرآن الذي هو كلام الله ﷻ، وهو المتلو، المسموع، المقروء، والإشارة من المسلمين يكون إلى المسموع من كلام الله، أو المكتوب من كلام الله، فليست الإشارة إلا إلى ما هو من حيث إنه كلام، لا إلى ما امتاز به كل قارئ عن قارئ، وكل كاتب عن كاتب من حيث المهارة في القراءة، أو الكتابة، فهذا كله متحد من حيث كونه كلام الله، والاختلاف إنما هو من حيث جهة أصوات القراء، فالمشار إليه باعتبار الحقيقة المتحدة، لا باعتبار ما اختلف فيه أحوال المخلوقين<sup>(١)</sup>.

٣- أن من قال: إن ألفاظنا بالقرآن أو تلاوتنا وقراءتنا مخلوقة مطلقا من دون أن يبين التفصيل بين القراءة والمقروء، قد قال بمؤدى قول الجهمية؛ فإن «مقتضى كلامه أن الله لم يتكلم بالقرآن الذي أنزله، وأن القرآن المنزل ليس هو كلام الله، وأن يكون جبريل نزل بمخلوق، وليس هو كلام الله، والمسلمون يقرؤون كلاما مخلوقا ليس هو كلام الله، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن القرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله تعالى، وإن كان مسموعا من المبلغ عنه؛ فإن الكلام قد سمع من المتكلم به، كما سمع موسى بلا واسطة، وهذا سماع مطلق كما يرى الشيء رؤية مطلقة، وقد يسمعه من المبلغ عنه؛ فيكون قد سمعه سماعا مقيدا، كما يرى الشيء في الماء والمرآة رؤية مقيدة لا مطلقة، أو كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا آمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦] كان معلوما عند جميع من خوطب بالقرآن أنه يسمع سماعا مقيدا من المبلغ ليس المراد به أنه يسمع من الله<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: الدرء ١/٢٦٣، المجموع ١٢/٢٠١، ٥٤٠، ١٧/٣٤-٣٥.

(٢) المجموع ٧/٦٥٦، وانظر: الحجة في بيان المحجة ١/٢٨٤، والمجموع ١٢/٥٤١.

٤- أن السبب في عدم التفريق بين فعل العبد وصوته، وبين كلام الرب هو الذي أوقع هؤلاء في هذه البدعة النكراء؛ « فإنه إذا قيل سمعت كلام زيد، أو قيل هذا كلام زيد؛ فإن هذا يقال: على كلامه الذي تكلم به بلفظه ومعناه، سواء كان مسموعاً منه أو من المبلغ عنه، مع العلم بالفرق بين الحالين، وأنه إذا سمع منه سمع بصوته، وإذا سمع من غيره سمع بصوت ذلك المبلغ، لا بصوت المتكلم، وإن كان اللفظ لفظ المتكلم<sup>(١)</sup>، والمبتدعة لما لم يفرقوا بين أداء المبلغين وما يبلغون أصبحوا يخلطون، ويقولون (هذا القرآن المنزل المسموع هو تلاوة القرآن، وقراءته، وتلاوة القرآن مخلوقة، وقراءة القرآن مخلوقة، ويقولون: تلاوتنا للقرآن مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة، ويدخلون في ذلك نفس الكلام المسموع، ويقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق، ويدخلون في ذلك القرآن الملفوظ، المتلو المسموع<sup>(٢)</sup> ».

٥- ظنوا أن القرآن لفظ مشترك بين كلام الله ﷻ، وبين فعل العبد من القراءة فاطردوا القاعدة من أن ما كان من العبد يكون حادثاً مخلوقاً، فالمسموع مخلوق!!<sup>(٣)</sup> ومعلوم أن: القراءة غير المقروء، والقراءة حادثة، والمقروء قديم غير مخلوق، كما أنا إذا ذكرنا الله ﷻ كان الذكر الذي هو فعل العبد حادثاً، والمذكور المتلو قديماً غير مخلوق<sup>(٤)</sup>.

٦- أن القول بأن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، يلزم منه أن يكون هناك قرآنان، قرآن مخلوق وهو هذا الذي يقرؤه المسلمون!!، وقرآن غير مخلوق!!، وهذا واضح البطلان؛ فإن القرآن الموجود في مصاحف المسلمين هو الموجود في السماء الدنيا، وهو الموجود في اللوح المحفوظ، وهو الذي تكلم الله ﷻ به، وسمعه جبريل عليه السلام، وأنزل به - لا بآخر - على محمد ﷺ.

(١) المجموع ٦٥٧/٧، وانظر: الدرء ٢٥٩/١.

(٢) الدرء ٢٦٠/١.

(٣) انظر: طبقات الشافعية ٢٢٦/٨، نقلاً عن العز بن عبد السلام.

(٤) طبقات الشافعية ٢٢٦/٨ من كلام العز بن عبد السلام، بتصرف، وفي بعض كلامه شيء من الباطل، وقد أوردته مع الرد عليه في البحث الرابع من هذا الفصل.



٧- الأدلة قد تواترت في أن هذا الموجود هو القرآن الكريم، كلام الله ﷻ، حيثما تصرف، ولم يأت دليل واحد يبين أو يشير إلى أن المسموع مخلوق، ومن هذه الأدلة<sup>(١)</sup>: قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧] والذي يسره هو الذي نتلوه ونقرؤه في مصاحف المسلمين، وقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] والمسموع المنصت له هو القرآن المتلو، وقال مخبرا عن الوحيد: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ [المدثر: ٢٤-٢٥] فتوعده الله بالنار لأنه قال عن المسموع من النبي ﷺ من كلام رب العالمين، إنه قول البشر<sup>(٢)</sup>، وليس قول خالق البشر، ولو كان المتلو غير القرآن، وغير كلام الرحمن، لما توعدهم الله بالنيران، وقال ﷻ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ خَلَّافُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] فأثبت أنهم إنما يسمعون كلام الله، ثم يحرفونه<sup>(٣)</sup> وأما الأحاديث في ذلك فكثيرة منها: حديث أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: [تعاهدوا القرآن، فهو أشد تفصيا من صدور الرجال، من النعم من عقلها]<sup>(٤)</sup> فأثبت في صدور الرجال قرآنا، وهو كلام رب العالمين، محفوظ في صدورهم، وقال ﷺ: [إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب]<sup>(٥)</sup>.

٨- أن الكلام يكون لمن قاله مبتدئا، ولا يكون كلام من بلغه مؤديا، فمن سمع حديث رسول الله ﷺ من عالم أو محدث؛ وهو عالم بالحديث؛ فإنه لا يشك بأن المسموع هو كلام النبي ﷺ، وإن بلغه هذا المبلغ، وإن قال المبلغ هذا كلامي، لكذبه الناس<sup>(٦)</sup>، فكيف تقولون: القرآن بألفاظنا مخلوقة، ثم لا تريدون أن يكذبكم الناس!!

(١) وقد ساق الآيات الكثيرة الإمام الحجة قوام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٥٨ وما بعدها.

(٢) انظر: الدرء ١/ ٢٥٨.

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٥٨.

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، الباب ٦٦/ ح (٥٠٣٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، الباب ٦، ح (٢٢٩).

(٥) رواه الترمذي؛ كتاب فضائل القرآن، ح (٢٩١٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٦) انظر: الدرء ١/ ٢٥٧، ١٢/ ٥٨٤.

ب- وأما شبه اللفظية غير الخلقية فإن بعضهم قالوا بإزاء أولئك: إن القرآن غير مخلوق، فحركاتنا وأصواتنا حين القراءة غير مخلوقة!!، وبعضهم توقف فيه <sup>(١)</sup>.  
والجواب عن هذا من عدة أوجه <sup>(٢)</sup>.

١- أن اختلاف أصحاب هذا القول في المسموع من الصوت هو وحده دليل على بطلانهم في قولهم، فمنهم من يقول: «إن صوت الرب حل في العبد، ومنهم من يقول: ظهر فيه، ولم يحل فيه، ومنهم من يقول: لا أقول ظهر، ولا حل، ومنهم من يقول: الصوت المسموع غير مخلوق، أو قديم، ومنهم من يقول: يُسمع منه صوتان: مخلوق، وغير مخلوق، ومن القائلين بأنه مسموع من الله من يقول: بأنه يسمع المعنى القديم القائم بذات الرب مع سماع الصوت المحدث!!» <sup>(٣)</sup>.

٢- أن هذا القول مبتدع لم يقل به أحد من علماء الإسلام، بل أجمع المسلمون على أن العبد وفعله مخلوقان، فكيف يكون صوته صوت الرب، أو أدائه وفعله أداء للرب ﷻ، فهذه الأقوال «كلها مبتدعة مخترعة، لم يقل السلف شيئاً منها؛ وكلها باطلة شرعاً وعقلاً، ولكن أجباً أصحابها إليها اشتراك في الألفاظ؛ واشتباه في المعاني» <sup>(٤)</sup>، والإمام أحمد وهو من أشد الناس نكراً - في الحق - على اللفظية النافية، أنكر على اللفظية المثبتة، فدل على أن هذا ليس عليه أحد من السلف، بهذا الاعتبار، وقد ألف أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري كتابه خلق أفعال العباد، للرد على اللفظية المثبتة، التي تقول: بأن أصوات العباد وألفاظهم بالقرآن قديمة غير مخلوقة، وكذلك الإمام ابن قتيبة الدينوري ألف كتاب الاختلاف في اللفظ في بيان الرد على اللفظية النافية، والمثبتة <sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: الدرء ١/ ٢٦٢.

(٢) وقد مضى بالتفصيل الرد على من قال: إن الأصوات المسموعة هي صوت الرب!!، في هذا الفصل.

(٣) المجموع ٧/ ٦٥٧.

(٤) المجموع ٧/ ٦٥٧، وانظر: المجموع ٦/ ٥٢٦، ٨/ ٤١٥.

(٥) انظر: الدرء ١/ ٢٦١، المجموع ١٢/ ٣٢٤-٣٢٥، العيون والأثر ص ٩٦-٩٨.

٣- أصوات القراء، ونغماتهم، هي أكسابهم، والقراءة هي التي تستطاب من قارئ، وتستبشع من آخر، وهي الملحونة، والقويمة المستقيمة، ولا يخطر لمن لازم الإنصاف أن الأصوات التي يبع لها حلقه، وتنتفخ على مستقر العادة منها أوداجه، ويقع على حسب الإيثار والاختيار، محرفا، وقويا، وجهوريا، وخفيا، نفس كلام الله تعالى، وأما المقروء فهو كلام الله ﷻ، ولا يكون كلام القارئ، ولا يقوم به، بل هو كلام الله ﷻ الذي أنزله<sup>(١)</sup>.

٤- أن من بلغ حديثا عن رسول الله ﷺ ثم قال هذا الحديث حديث رسول الله ﷺ وبصوته، ما قبل منه أحد لعلمهم بأن الصوت المؤدى به الكلام هو صوته نفسه، لا صوت المتكلم المبتدئ للكلام، فكيف يقال: إن المسموع من القراء إنما يكون مسموعا بصوت الرب ﷻ، سبحانه هذا بهتان عظيم<sup>(٢)</sup>.

٥- أن من جعل صفة المخلوق المحدث كصفة الخالق البارئ فقد ضاهى النصارى<sup>(٣)</sup>.

ت- وقالت اللفظية المثبتة: إن الله أخبر أن المسموع هو كلام الله ﷻ، ونحن إنما نسمع القرآن من أصوات العباد، فدل على أن المسموع كله بالصوت والفعل إنما هو من الرب ﷻ!!!<sup>(٤)</sup>.

والجواب عن هذا بما يأتي:

١- أن المسموع هو كلام الله ﷻ، ولا شك في هذا، ولكن الصوت صوت العبد، وأنت إذا أدت كلام غيرك ونقلته، لا تقول: إن الصوت صوته، فلم قلت: إذا بلغت كلام الله يكون المسموع والصوت كلام الله!!!.

(١) انظر: الإرشاد للجويني ص ١٢٧-١٢٨، المجموع ١٢/١٦٩.

(٢) انظر: المجموع ١٢/٢٦٣.

(٣) انظر: المجموع ١٢/٣٣٢.

(٤) انظر: المجموع ١٢/٢٦٣-٢٦٤.

٢- أن الله ﷻ فرق في كتابه بين سماع بدون واسطة، وسماع بواسطة، فأخبر أن موسى سمع كلامه بلا واسطة، ولا ريب أنه سمع صوت الرب حين ناداه، وحين نجاه، وأما الناس فلم يسمعوا كلام الله من الله، وإنما سمعوه من المبلغين، فافترقا.

٣- أن الله ﷻ لما ذكر مراتب الوحي، ذكرها على أنها على مراتب، للدلالة على أن المسموع منه ليس كالسموع من المبلغ الرسول، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِّئٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١]، ففرق بين تكليمه من وراء حجاب - كما كلم موسى - وبين تكليمه بإرساله رسولاً يوحى بإذنه، الأول بلا واسطة، والثاني بواسطة<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على فساد قول اللفظية النافية أمور، وهي في نفسها تدل على بطلان هذا المذهب، ومنها:

١- أن هذا القرآن الموجود ليس هو كلام الله ﷻ، وهذا هو عين قول الجهمية والمعتزلة؛ فإن النزاع معهم في القرآن المنزل أولاً، ولهذا كان إنكار الأئمة على اللفظية النافية أشد؛ لأن قولهم يؤدي لا محالة إلى التعطيل والنفي<sup>(٢)</sup>.

٢- يلزمهم أن هناك قرآناً لا نعلمه غير مخلوق، وهذا يعني الرجوع إلى قول الكلائية ومن تبعهم من أن الكلام النفسي هو كلام الله القديم، وأما المنزل فهو مخلوق محدث؟!.

٣- أن قولهم هذا يعني أن الكلام متعلق بالمعنى دون اللفظ، ومعلوم أن الكلام في الكتاب والسنة، وكلام السلف والأئمة، بل والأئم: عربهم وعجمهم، لا يطلق إلا على اللفظ والمعنى<sup>(٣)</sup>، فليس اللفظ وحده هو الكلام، ولهذا عد الهذيان هذياناً، ولم يُعدَّ كلاماً، وليس المعنى دون اللفظ كلام، وإلا عدت التفاسير قرآناً؛ لأنها معاني كلام الله ﷻ.

(١) انظر: المجموع ١٢/٥٤٢.

(٢) انظر: المجموع ١٢/٤٣٢.

(٣) انظر: المجموع ١٢/٤٥٦-٤٥٧.

٤- أما اللفظية المثبتة؛ فيلزمهم أن يكون صوت العبد وفعله غير مخلوقين، وهذا معلوم البطلان، ويؤدي إلى قدم المخلوقين.

٥- أن القراءة المسموعة من القراء بواسطة، كالمسموعة من الله بلا واسطة!!.

٦- أنه لا فرق حيثئذ بين موسى كليم الله الذي سمع كلام الله بلا واسطة، وبين العباد الذين يسمعون كلام الله من القراء؛ إذا كان كل واحد يسمعه بصوت الرب ﷻ.

وبهذا نعلم أن عقيدة أهل السنة والجماعة وسط في كل شيء، ومن ذلك توسطهم في "مسألة القرآن"، وأنهم وسط في مسألة اللفظ، فهم لا يقولون بكلام الفرقتين السابقتين، وإنما تطلب التفصيل، ثم تبين المراد بأحسن سبيل، ويصبرون على النهج القويم، فهم يقولون: إذا كان اللفظ المراد به فعل العبد؛ فهو مخلوق، وفعله مخلوق، وإذا كان المراد باللفظ كلام الرب، فهو غير مخلوق، وكلامه لا يكون مخلوقاً، وبهذا التفصيل يتضح للسالك السبيل، والحمد لله رب العالمين<sup>(١)</sup>.

وأما الفرقتان في مسألة اللفظ فقد علم الناس بالضرورة من دين الإسلام ضلأهما، وبالعقل فسادهما؛ فإنه إذا رجع إلى عقله علم أن كلام زيد يُسمع منه مباشرة بصوت نفسه، ويُسمع بواسطة، بصوت المبلغ عنه، ولهذا قال أهل العلم الراسخون في كلام الله ﷻ المسموع بواسطة المبلغين: الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري<sup>(٢)</sup>.

ولما اختلف المخالفون في حقيقة القرآن الكريم، وهل هو كلام الله حقيقة، أم أنه مخلوق، وهل هو بمشيئته واختياره، أم لا، كما سبق، اختلفوا كذلك في معنى نزول القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في الفصل الآتي.

(١) انظر: الدرء ١/ ٢٦٤-٢٦٥، شرح الواسطية للفوزان ص ١٢٤.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٤٠٨-٤٠٩.



## الفصل الثاني

# قول الخلفاء في نزول القرآن على نبينا محمد ﷺ

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: في نزول القرآن، وفيه مطلبان.**

**المبحث الثاني: قول بعض الرافضة في نزول القرآن الكريم.**





## المبحث الأول: في نزول القرآن

## المطلب الأول: نفيهم سماع جبريل القرآن من رب العزة.

سبق أن بينت عقيدة السلف في سماع جبريل القرآن الكريم من رب العزة ﷺ مع ذكر الأدلة مستوفاة<sup>(١)</sup>، وأما المخالفون للسلف فهم على أصنافهم: سواء كانوا فلاسفة بحتة، أو فلاسفة متصوفة، أو متكلمين؛ فإنهم لا يشبتون لجبريل ﷺ سماعاً من الله ﷻ، وذلك بناء على عقائدهم الفاسدة في كون الرب ﷻ لا يتكلم، بكلام قائم به، متعلق بمشيئته واختياره، وقدرته، وسأسوق أقوال المخالفين، وإن في ذكرها غنى عن الرد عليها، إلا أنني أحاول الرد عليها حتى لا تبقى شبهة بعد الإيراد، والله أسأل العون والإمداد.

أما الصوفية الحلولية المتفلسفة، والمتفلسفة غير الحلولية، فقولهم في الإنزال من أشنع الأقوال، وإليك فضائح أصحاب الأحوال، والمدعين الحكمة في المقال، قال ابن عربي الطائي: «ولما كان الواو رفيعاً علياً لهذا جعلناه البعل، وكان الهو بعلاً!!، ولما كان الهي رفيعاً من حيث الأثر، سفلياً من أجل الكسر أعطيناه الياء، وجعلناه الأهل، فصار الهاء بمنزلة الرسالة، وصار الهو بمنزلة جبريل ﷺ المرسل إليه!!، فظهرت الأحكام، والشرائع<sup>(٢)</sup>، والمقامات، والأسرار من هذا الالتحام المبارك السعيد!!!»<sup>(٣)</sup>، وهذا يعني أن الشرائع كانت بسبب التلاحم بين الهاء والهو والهي، ويعنون بهذا الله، والملك، والمرسل البشري!!! وليس هناك وحي حقيقي!!!.

(١) انظر: الفصل الثاني من الباب الأول.

(٢) وهذا ينبئك أن القوم لا يفرقون بين الأديان، ولا يفرقون بين الشرك والتوحيد، إلا ما عرفوه من مشائخهم أو فئاتهم وكشوفاتهم بزعهم.

(٣) الياء لابن عربي ص ١١.

ويؤكد هذا الفهم قوله: معلّم العلم من جاء الكلام له من الإله بلا غَيْرٍ ولا غَيْرٍ<sup>(١)</sup>. بل إن بعض الصوفية الغلاة يزعم أنه أفضل من محمد ﷺ إذ جاءه الوحي من العرش، وأما نحن فنأخذ من الله مباشرة!!!، يقول ابن عربي: «وإذا قال لك: استرح، فالخطاب من فوق العرش، فخذ عن الخالق، وعن الترجمان، وإذا قيل لك: بلغ ولا تعمل، فالخطاب من العرش لا من فوقه ولا من تحته»<sup>(٢)</sup>.

ويزعم بعضهم أن هذا الخطاب يمكن أن يحصل بالاستعداد الروحي الوجودي، إذا صفا من كدر التوحيد - الذي هو إثبات إله حق، ومألوه بحق - كما يقوله ابن عربي: «لكن عجزوا عن التوصل إليها لغلبة الفكر»<sup>(٣)</sup>.

ولهذا يصرحون بأنه يمكنهم معرفة آيات القرآن الكريم من غير تعلم، ويعنون بذلك أنه من طريق الفيض، كما يقول ابن عربي: «ثم إنه ينزل عليك نجوما منك بكشف غطاءك، وقد رأيت ذلك من نفسي في بدء أمري...، وسمعت ذلك عن جماعة من أهل طريقنا: أنهم يحفظون القرآن، وآيات منه من غير تعليم معلّم بالتعلم المعتاد، ولكن يجده في قلبه، ينطق بلغته العربية المكتوبة في المصاحف، وإن كان أعجميا، رويانا عن أبي يزيد البسطامي... أنه ما مات حتى استظهر القرآن من غير تلقين ملقّن معتاد!!»<sup>(٤)</sup>.

وهكذا يقول ابن رشد عن الفلاسفة المشائين، أساتذته في هذا الفن المهين، وهو يرفع عنهم شناعة ما قالوه من عدم علم الله بالجزئيات، نافيا ذلك بالتأويلات، ومقرا في نفس الوقت بأن بعض الغيوب يمكن أن تدرك عن طريق الفيض، ولو كان مناميا:

(١) الكتب: لابن عربي ص ٤٣.

(٢) الشاهد لابن عربي ص ٥، وانظر: التراجم لابن عربي ص ٢، وأكد شيخ الإسلام ﷺ أنهم يقولون: بأنهم أفضل من كليم الله موسى؛ لأنه سمع محجوبا، وهم يسمعون بلا حجاب!! انظر: المجموع ٣٩٩/١٢.

(٣) التراجم لابن عربي ص ١.

(٤) الإسفار عن نتائج الأسفار لابن عربي الطائفي ص ١٦، وانظر للرد عليه ما كتبه سميّه في الاسم ابن العربي (المعرف) المالكي المعافري، حيث بين أن القلب مخلوق ولا يعلم شيئا، وإنما يكون التعلم بالعلم، ويكون هذا التعلم بحسب سنن الله الكونية، واتباع الموروثات الشرعية، لا بحسب الآراء الفلسفية، والكشوفات الصوفية. انظر: العواصم من القواصم ص ٤١-٤٢.

« وهم يرون أن الرؤيا الصادقة تتضمن الإنذارات بالجزئيات الحادثة في الزمان المستقبل، وأن ذلك العلم المنذر يحصل للإنسان في النوم من قبل العلم الأزلي المدبر للكل، والمستولي عليه »<sup>(١)</sup> وعلى هذا فالوحي فيض منامي!!، ولكن إذا صح الخيال، وقد يكون في غير المنام عندهم إذا صفا النفس من الأكدار!!، ويقول مادحا أساتذته الفلاسفة: « وهم يرون أنه - أي العلم - سبب الإنذارات في المنامات، والوحي!! وغير ذلك من أنواع الإلهامات »<sup>(٢)</sup>.

وهذا يتضمن في طياته أمرين:

الأول: أن الوحي هو العلم، وهذا صريح في نفي كلام الله ﷻ.

والثاني: أن الوحي يحصل كالمنامات، ومعلوم أن المنامات أمورها خيالية، فكذلك الوحي أمر خيالي، كما هو حال الفلاسفة الذين يرون أن الشرع أمره خيالي للجمهور.

ويصرح الفيلسوف ابن رشد: أن الكلام الذي يكون من الله عن طريق الملك هو مخلوق، فيقول: « بل قد يكون بواسطة ملك، وقد يكون وحيا أي بغير واسطة لفظ يخلق... »<sup>(٣)</sup>.

ويذكر الغزالي أن: « صاحب الرياضة قد يسمع كلام الله كما سمعه موسى ابن عمران عليه السلام »<sup>(٤)</sup>.

بل إن الغزالي، وابن سينا من الفلاسفة، وأمثالهما يرون: أن ما يحصل في القلوب من العلم للأنبياء، وغيرهم؛ فإنها هو من العقل الفعال!!!<sup>(٥)</sup>، إذاً لا ملائكة، ولا وحي<sup>(٦)</sup>، وإنما هو تخيلات، وتصورات، وكل ذلك من الأفلاك التي هي جمادات!!!.

(١) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال ص ٢٢.

(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال ص ٤٢، وانظر: الرد على المنطقيين ص ٤٧٥.

(٣) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٢.

(٤) الرد على المنطقيين ص ٥١١، نقلا عن كتابيه: مشكاة الأنوار، وكيماء السعادة، انظر: المجموع ٣٩٨/١٠.

(٥) انظر: المجموع ٣٩٨/١٠.

(٦) انظر: الصفدية ٢٠١/١.

وعلى هذا يكون الملك - إن أثبتوه - عند هؤلاء الفلاسفة لم يسمع القرآن من رب العزة، وإنما هو سمع كلاما مخلوقا لله فأنزله، أو أنه انطبع في نفسه الكلام الموحى فأنزله!!!، أو أن الملك أخذ من اللوح المحفوظ، وقد يسمونه النفس الناطقة!!!، أو النفس الفلكية!!! كما يقول أبو حامد الغزالي<sup>(١)</sup>.

وبعد نقل هذا الكلام يتجلى لك أن القوم لا يرون اختصاص النزول بالأنبياء، ويرون أنه عام لكل الأصفياء!!!، ولهذا يقولون: بأن هذا من النبي تخيل!!!<sup>(٢)</sup> وهو للجمهور من المسلمين تسير!!!، ولمن حجب عن التوحيد - الذي هو الحلول والوحدة - تمثيل!!!.

ويزعم بعض الفلاسفة منهم أنه لا ملائكة<sup>(٣)</sup>، وأن المراد بذكرهم النفوس، فكيف يكون هناك وحي، وهذا يدل على نفهم لسامع جبريل القرآن من رب العزة ﷻ، وهذا يكفيهم عارا، لأن «نزول الوحي مما يتوقف على وجود الملك، وإلا فالنبوة والوحي أمر خيالي!! من تجسم العقل الفعال، والتكلم معه بحسب الخيال، كما زعموا»<sup>(٤)</sup> ويقولون: «ملائكة الله اسم لما يتشكل في نفسه - أي في نفس الرسول البشري - من الصور النورانية، وقد يقولون: إن جبريل هو "العقل الفعال"!!!، أو هو ما يتمثل في نفسه من الصور الخيالية كما يراه النائم»<sup>(٥)</sup>.

وهذا معلوم بطلانه، ظاهر ضلاله، إذ الأديان السماوية كلها على أن الأنبياء يوحى إليهم، وأن من الرسل - ملائكة وإنسا - من سمع كلام الرب منه ﷻ، فنفية نفي للشرع المتين، وإبطاله إبطال للدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

(١) انظر: الرد على المنطقيين ص ٤٧٤.

(٢) انظر: الصفدية ١/ ٢٠٠.

(٣) انظر: الرد على المنطقيين ص ٤٨٦.

(٤) الدر النضيد لابن الحفيد التفتازاني ص ٣٤٧.

(٥) المجموع ١٢/ ٣٥٢، وانظر: الصفدية ١/ ٢٠١.

والرد على دعواهم أنه لا ملائكة، وأن جبريل لم يسمع من أوجه:

١- أن هذا يعني أنه ليس في الخارج إله يوحى، ولا ملك يأتي بالوحي، وإنما كل ذلك في نظر هؤلاء الفلاسفة تخيل يتخيله الرسول في عقله، كما يخيل إلى النائم!!!، وزعموا أنهم يجمعون بين النبوة والفلسفة!!<sup>(١)</sup>، وهذا صريح في نفي كلام الله ﷻ، ونفي نزول كلامه، مع كثرة الآيات المصرة، والأحاديث المتواترة، والمسألة مستفيضة عند السلف، ومن تبعهم من الخلف<sup>(٢)</sup>.

٢- أن العقل الفعال، لا حقيقة له إلا في خيال الفلاسفة، ومن زعم منهم أنه جبريل فإن هذه التسمية باطلة، ثم لو صحت التسمية؛ فهل جبريل ﷺ هو الذي يكون منه الوحي<sup>(٣)</sup>، وإن قيل إن العقل الفعال هو اللوح المحفوظ، فهل اللوح المحفوظ هو المتصرف في نفوس الأنبياء، وهو الموحي إليهم!!<sup>(٤)</sup>.

٣- أن العقل الفعال الذي تدعونه، أو المتخيلات في النفوس، لا يمكنه أن يتمثل بصورة دحية الكلبي<sup>(٥)</sup>، أو في صورة أعرابي، ولا في صورة ضيوف إبراهيم ولوط -عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام- وأيضا أخبر النبي ﷺ أنه رأى جبريل على صورته التي خلقه الله ﷻ عليها مرتين<sup>(٦)</sup>، وما في النفوس خيالات لا ترى رؤية بصرية<sup>(٧)</sup>.

٤- أن على قولكم: إذا صفت الأكدار، يمكن إدراك خبر العزيز الغفار،

(١) انظر: المجموع ٣٥٣/١٢، وقد ذكر من هؤلاء الفلاسفة والمتصوفة الفارابي وابن سينا، وعلى هذا الرأي القرامطة الباطنية، وغيرهم، وابن سبعين، وأمثاله، بل إن ابن رشد لم يؤلف كتابه "فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال" إلا ليثبت أن لا فرق بين النبوة والفلسفة!!!.

(٢) انظر: المجموع ١٤/١٢.

(٣) انظر: المجموع ٣٩٨/١٠.

(٤) انظر: المجموع ٤٠٢/١٠.

(٥) ودحية هو الصحابي الجليل: دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي، كان جميلا حسن الهيئة، وكان جبريل يأتي على صورته، نزل بالشام، مات في خلافة معاوية ؓ. انظر: الإصابة ٤٧٣/١.

(٦) سبق ذكر ذلك في الفصل الثاني، من الباب الأول.

(٧) انظر: الصفدية ٢٠١/١.

فتكون النبوة مكتسبة!!<sup>(١)</sup>، وهذا معلوم من الدين بالضرورة بطلانه، إذ النبوة اصطفاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَىٰ آلِ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران: ٣٣] وقال ﷺ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فدللت هذه الآيات على أن النبوة اصطفاء، وعلى هذا أجمع السلف، وأثمتها وكثير من النظار<sup>(٢)</sup>.

٥- أن القول بأنه ليس هناك إلا النفوس المتخيلة، أو الأفلاك التي فاضت بعضها عن بعض حتى العقل العاشر، ثم فاض هذا الكون كله من العقل العاشر، أو ما يسمى بالعقل الفعال، يعني إنكار الرسالات، وجحد النبوات، والوقوع في عقيدة الفلاسفة الدهرية<sup>(٣)</sup>، يقول ابن حزم ردا على من قال: إن الملائكة بمنزلة الهواء والرياح!!: «وهذا كذب، وقُحَّة، وجنون؛ لأن الملائكة بنص القرآن، والسنن، وإجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الأديان المختلفة - لهم حقيقة -»<sup>(٤)</sup>. فكيف بمن يقول: إنهم الأفلاك، أو النفوس المتخيلة!!!.

٦- إذا لم تثبتوا ملكا يأتي بالوحي، إلا قوى النفس، كان قولكم هذا شرا من قول اليهود والنصارى المثبتين للوحي من السماء، وأنه بواسطة الملائكة الأصفياء، لكن هذا لا يستغرب ممن يدعي النظر العقلي المبني على الأقيسة الفاسدة، والكشف الخيالي المبني على الخيالات، والشطحات المهلكة<sup>(٥)</sup>.

٧- ثم إن قول الفلاسفة بالفيض في مسألة القرآن، يلزم منه أنه لم ينزل وحي،

(١) انظر: الرد على المنطقيين ص ٤٨٣.

(٢) انظر: منهاج السنة ٢/ ٤١٦.

(٣) انظر: كيد الشيطان لابن الجوزي ص ٨٠-٨١، الصفدية ١/ ٢٠١.

(٤) الفصل في الملل والنحل ٥/ ٢٥.

(٥) انظر: منهاج السنة ٢/ ٤١٦، الرد على المنطقيين ص ٤٨٢، الصفدية ١/ ٢٠١، المجموع ١٢/ ١٤.

وإنما حدث شيء في عقل النبي، ففاض عقل النبي بهذا الكلام الذي يسميه الجمهور بالوحي!!!، والله ﷻ يخبر أنه أنزل القرآن، وهؤلاء يقولون: لم ينزل شيء!!، قال ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤] فصريح معنى الآية «فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي ﷺ من العقل الفعال، أو غيره، كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصائبة»<sup>(١)</sup>.

٨- قال شيخ الإسلام ﷺ: «إن ما يفسرون به الملائكة، والوحي، مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ أنه مناقض لما جاء به، فعلم أن ما يثبتونه من النبوة لا حقيقة له؛ وأن ادعاءهم أن علم الأنبياء إنما يحصل بالقياس المنطقي، وإما باتصال نفسه بالنفس الفلكية من أبطل الكلام...، وأن ما ذكروه من الطرق إنما يفيد علوما قليلة خسيصة، لا كثيرة ولا شريفة، وهذه مرتبة القوم؛ فإنهم من أخس الناس علما وعملا»<sup>(٢)</sup>.

وأما المتكلمون من المخالفين للسلف: الذين أنكروا الصوت والحرف - كالكلابية ومن وافقهم - يلزم من قولهم نفي سماع جبريل لكلام رب العزة ﷻ، فإن نفي الحرف والصوت: «يلزم منه أن الله لم يسمع أحدا من ملائكته ورسله كلامه، بل أهمهم إياه»<sup>(٣)</sup>.

فالأشعرية والكلابية والسلمية، الذين يقولون: إن تكليم الله لعباده ليس إلا مجرد خلق إدراك للمتكلم، ليس هو أمرا منفصلا عن المستمع، أو الكلام ما كان في النفس، يلزم من قولهم أن جبريل لم يسمع كلام الرب ﷻ، وأن الله لم يتكلم مع موسى، ولا مع غيره<sup>(٤)</sup>.

قال شيخ الإسلام ﷺ: «من قال: إن كلامه مخلوق، أو قال: إنه لا يتكلم

(١) المجموع ١٢/١٢٠.

(٢) الرد على المنطقيين ص ٥٠٠.

(٣) الفتح ١٣/٤٦٣، وانظر: المجموع ١٢/١٢٠.

(٤) انظر: المجموع ١٢/١٦٦.

بمشيئته وقدرته، فهؤلاء في الحقيقة لم يثبتوا أنه يتكلم، ولا أثبتوا له كلاماً<sup>(١)</sup>.

وقال أبو نصر السجزي مخاطباً أشعرياً: «قد علمنا جميعاً أن حقيقة السماع لكلام الله منه على أصلكم محال، وليس ههنا مَنْ تتقيه، وتخشى تشنيعه، وإنما مذهبك أن الله يُفهم من شاء كلامه بلطفه منه، حتى يصير عالماً متيقناً بأن الذي فهمه كلام الله<sup>(٢)</sup>» وأما أن يكون هناك سماع لكلام الله حقيقة؛ فلا يمكن إثباته على قول الأشاعرة ومن وافقهم.

وزعم ابن خلدون<sup>(٣)</sup> من متكلمي الأشاعرة المائلين إلى الفلسفة أن الرسل ينسلخون من بشريتهم فيصيرون في صورة ملكية، ويسمعون كلامهم، ثم يعودون إلى حالتهم البشرية، وأن هذا هو الوحي!!!، فقال: «وفوق العالم البشري عالم روحاني، شهدت لنا به الآثار...، وهو عالم الملائكة، فوجب من ذلك كله أن يكون للنفس الإنسانية استعداد للانسلاخ من البشرية إلى الملكية، لتصير بالفعل من جنس الملائكة!!، وقتاً من الأوقات!! وفي لحظة من اللحظات!!، ثم تراجع بشريتها، وقد تلقت في عالم الملكية ما كلفت بتبليغه إلى أبناء جنسها من البشر، وهذا هو معنى الوحي، وخطاب الملائكة، والأنبياء كلهم مفطورون عليه!!<sup>(٤)</sup>.

وهذا صريح في نفي إتيان جبريل له، وأنه إنما يدرك ذلك بما يحصل له اضطراباً، وجبلة، لا بما ينزله الله بواسطة الملك، وهو الرسول جبريل ﷺ إلى الرسول محمد ﷺ، وهذا القول قريب من أقوال الفلاسفة المتمسكين.

وقد اختلف أهل الكلام في الذي سمعه جبريل من رب العزة ما هو، وهل

(١) المجموع ١٣ / ١٧٠.

(٢) الدرء ٢ / ٩٠.

(٣) هو المتكلم الأشعري المؤرخ: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الحضرمي الأشيلي المالكي المعروف بابن خلدون، أديب اجتماعي معروف، سافر إلى بلدان كثيرة، وأرخ عنها، وعرف طباعها، وكتب كثيراً، ومن ذلك: تاريخه المشهور، توفي سنة ٨٠٨ هـ. انظر: معجم المؤلفين ٥ / ١٨٨.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٨٤٦.



سمع شيئاً أم لا؟: «اختلف في كيفية وصوله إلى جبريل، ومنه له ﷺ في الأرض، فقال ابن العربي - الفقيه -: إن جبريل عليه السلام فهم الكلام من العلو وأداه!! إلى رسول الله ﷺ في الأرض، وقيل: إن جبريل نقل ذلك من اللوح المحفوظ، فنزل به على النبي ﷺ، وقيل: الملائكة المكرمون تلقنوه من رب العالمين في ليلة واحدة، ولقنته لجبريل في عشرين ليلة، ولقنه جبريل إلى النبي ﷺ في عشرين سنة على قدر الحاجة إليه بما سبق في علم الله، وهي النجوم التي أقسم الله بها، وهذا كله بناء على أنه نزل بلفظه، وأما على أنه نزل بالمعنى: فقول إن جبريل عبر عنه للنبي ﷺ باللفظ الخاص<sup>(١)</sup>، وقيل: ألقى جبريل المعنى على قلب النبي ﷺ، والنبي ﷺ عبر عنه!!.

فتلخص أن النازل فيه خلاف، على قولين؛ قيل: اللفظ، وقيل: المعنى، وعلى الثاني: اختلف في المعبر، هل جبريل، أو النبي عليهما الصلاة والسلام<sup>(٢)</sup> وهذا يعني أنه على كلتا الحالتين لم يسمع جبريل كلام الرب الجليل!!!.

فانظر - حفظك الله - بعين الإنصاف، إذا كان قول أقرب الناس إلى أهل السنة من المخالفين للسلف هم الأشاعرة ومن تبعهم، وقولهم هو نفي سماع جبريل القرآن من رب العزة ﷻ، فكيف بغيرهم من المخالفين؟؟، وكيف بغيرهم من أهل البدع؟؟. والآيات والسنة قد استفاض فيهما أن جبريل سمعه من الله ﷻ<sup>(٣)</sup>.

ومن شبههم: «أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر... جملة واحدة، فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا، ثم كان جبريل ﷺ ينزل به نجماً، نجماً<sup>(٤)</sup> وهذا يدل على أنه لم يسمع من رب العزة كلاماً!!!، وإنما أخذه من اللوح المحفوظ<sup>(٥)</sup>،

(١) وقد صرح غير واحد من الأشاعرة بأن القرآن الكريم لفظ جبريل. انظر: الإحكام للأمدي ١/ ٢١١.

(٢) الفواكه الدواني ١/ ٥٧، وانظر: المجموع ١٢/ ١٢٠.

(٣) انظر: الأدلة على سماع جبريل القرآن من رب العالمين في الفصل الثاني، من الباب الأول.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٩٩.

(٥) انظر: الفتح ١٣/ ٤٥٠، والمرشد الوجيز ص ٢٦؛ فإنه صرح بأن جبريل كان ينزل بالآية بعد الآية من السماء الدنيا.

وقالوا: إنما نجمته الملائكة عليه في عشرين ليلة!!<sup>(١)</sup>.

والجواب عن هذا من عدة أوجه:

- ١- أن القرآن الكريم أنزله الله ﷻ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ذلك كان إيذاناً ببدء الوحي إلى الأرض، ولا يدل على نفي سماع جبريل ﷺ الكلام من رب العزة.
- ٢- أن ما جاء من الآثار أن جبريل نزل بالوحي من السماء الدنيا، أو من الملائكة، فهذا لا يثبت<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: الفتح ٨/ ٦٢٠-٦٢١، ومحاضرة الأوائل ص ١٥٣.

(٢) إن الذي ورد إنها هو نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، كما سبق (انظر: ص ١٤٩) وكون جبريل ﷺ نزل بعد ذلك منجماً لا يخالف سماعه القرآن من رب العزة، ويؤكد هذا الفهم أمران:

الأول: أنه ثبت عن ابن عباس ؓ أنه قال: [أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئاً أوحاه، أو أن يحدث منه في الأرض شيئاً أحدثه] (رواه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير ح ٢٨٧٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، فهذا فيه تصريح بأن الله إذا أراد أن يوحى منه شيئاً أوحاه، لا أن جبريل ينزل به من دون إحياء الله ﷻ له، ويؤكد هذا رواية ابن جبر عن ابن عباس ؓ قال: [أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، إلى السماء الدنيا، وكان بموقع النجوم، وكان الله ينزله على رسول الله ﷺ بعضه في إثر بعض] (رواه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، ح ٢٨٧٨، وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي).

الأمر الثاني: أن الروايات التي فيها التصريح بنزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى النبي ﷺ، أو من السماء الدنيا إلى النبي ﷺ لا تثبت، وأنا أورد ما جاء مما فيه تصريح بأن جبريل نزل بالوحي من السماء الدنيا، لا من العلي الأعلى، مع ذكر أقوال أهل العلم عليه:

أ- قال الحافظ ابن حجر ؓ بعد أن أورد بعض الروايات، مثل: أن جبريل كان ينزل بالوحي من اللوح المحفوظ كما ذكره الحلبي في منهاجه، وكذا عنه ابن شامة في المرشد الوجيز ص ١٩، قال الحافظ: «وهذا أورده ابن الأنباري من طرق ضعيفة، ومنقطعة أيضاً، وما تقدم من أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك مفزاً هو الصحيح المعتمد». الفتح ٨/ ٦٢٠، فقد ضعف الحافظ الروايات التي تدل على أن جبريل نزل بالوحي من اللوح المحفوظ، وبين أنها لا تصح.

ب- حكى الماوردي والواحدي في تفسير ليلة القدر، أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة... فهذا فيه تصريح بأن جبريل لم ينزل بالوحي من رب العزة، قال فيه الحافظ ﷺ: «وهذا أيضاً غريب» الفتح ٨/ ٦٢١.

ت- قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٦٢/ ١: «وروي عن ابن مسعود ؓ أنه قال: قلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال لي النبي ﷺ: [يا ابن أم عبد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرني جبريل عن اللوح المحفوظ عن القلم]. فهذا سند القوم في نفهم لسماح جبريل القرآن من الله ﷻ،

٣- أن المنزل جملة واحدة نجم على حسب الحوادث والسنين صواب، لكن ليس فيه نفي سماع جبريل الكلام من رب العزة ﷻ.

٤- وأما ما روي عن ابن عباس ؓ: [أنزل القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى الكتبة في ساء الدنيا، ثم نزل به جبريل ؑ نجوما].

فالجواب عنه من أوجه: الأول: أنه ليس فيه نفي سماع جبريل الكلام من رب العزة ﷻ، وإنما فيه، أنه نزل بالقرآن منجما. الثاني: أنه لا يعارض بما ثبت صحيحا مرفوعا أن جبريل سمع كلام الرب ﷻ، كما في حديث «ماذا قال ربكم؟ فيقول: قال الحق»<sup>(١)</sup>. الثالث: أن الإجماع منعقد من السلف على سماع جبريل القرآن من رب العزة ﷻ، والإجماع لا ينسخ، ولا يقدم عليه فهم<sup>(٢)</sup>.

٥- أن اختلافكم فيما سمعه جبريل عن الله ﷻ، وعمن أخذ جبريل ﷻ، فيه دليل على بطلان قولكم، إذ الحق لا يتعدد، فالحق واحد، وهو ما عليه السلف - رحمهم الله - من أن جبريل سمع القرآن الكريم من الرحمن الرحيم، لم يأخذه من اللوح المحفوظ إلى النبي ﷺ، ولا من الحفظة<sup>(٣)</sup>.

فقوله روي وحدها كاف في رد هذا المتن، ثم لم أجد هذا المروي في شيء من كتب الحديث بهذا المتن واللفظ، ويدل على أن هذا لا يصح ما جاء في مسند الإمام أحمد (ح ١١٤٩٣) - بسند صحيح - عن أبي سعيد الخدري ؓ: [أن النبي ﷺ إذا قام من الليل، فاستفتح صلاته وكبر، قال: سبحانك اللهم... ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه، ونفثه]، فهذا معارض للأول. وأيضا القرطبي نفسه ذكر حديث أبي سعيد الخدري فلعله لم ينتبه إلى المعارضة بين الأثرين.

ث- قال الزهري: «آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا، وآية الدين» (رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٢٤)، وهذا مرسل، ولا حجة فيه؛ فإن المرسل من أقسام الضعيف الذي لا يحتج به، والزهري من صغار التابعين، قال السيوطي: «مرسل صحيح»، وهو كما قال، ولكنه صحيح إلى ابن شهاب، وليس يصح عن الأصحاب، فضلا عن النبي ﷺ، وعلى فرض ثبوته؛ فالمراد أنه آخر ما سمع من كلام الله ﷻ المستوي على العرش؛ ففيه سماع جبريل من الله ﷻ، وأنه نزل بعد ما سمع من الله ﷻ.

(١) انظر: الفتح ١٣/٤٦٧، فإنه جمع الروايات التي تدل على سماع جبريل كلام الله ﷻ.

(٢) انظر: هذه الإجماعات في الفصل الثاني من الباب الأول.

(٣) انظر: مناهل العرفان ١/٤٩.

٥- أن نفي سماع جبريل القرآن من رب العزة ﷻ يعني أن اليهود يكونون أفضل من هذه الأمة إذ ثبت أن الله ﷻ كتب التوراة بيده، ثم أنزلها مكتوبة، فيكون لهم شرف ذلك، وهذه الأمة أقل شأنًا منهم إذ كتبهم أخذ جبريل من اللوح المحفوظ!!<sup>(١)</sup>، قال شيخ الإسلام ﷻ بعد ذكره لهذا: «فيكون بنو إسرائيل قد قرؤوا الألواح التي كتبها الله، وأما المسلمون فأخذوه عن محمد ﷺ، ومحمد ﷺ أخذ جبريل وجبريل عن اللوح، فيكون بنو إسرائيل بمنزلة جبريل، وتكون منزلة بني إسرائيل أرفع من منزلة محمد ﷺ على قول هؤلاء الجهمية، والله ﷻ جعل من فضائل أمة محمد ﷺ أنه أنزل عليهم كتابًا لا يغسله الماء، وأنه أنزل عليهم تلاوة لا كتابة... ثم إن كان جبريل لم يسمعه من الله، وإنما وجد مكتوبًا كانت العبارة عبارة جبريل، وكان القرآن كلام جبريل ترجم به عن الله، كما يترجم عن الأخرس الذي كتب كلامًا، ولم يقدر أن يتكلم به، وهذا خلاف دين المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

وهؤلاء النافون لسماع جبريل القرآن من رب العزة ﷻ، ليس عندهم شيء ينزل به جبريل من الله ﷻ إلى محمد ﷺ، وهذا يتضح في المطلب التالي.

(١) انظر: الإعلام والاهتمام بفتاوى شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٢) المجموع ١٢/ ٥٢٠-٥٢١.

## المطلب الثاني: معنى نزول القرآن عند المخالفين، وشبههم.

السلف الصالح كلهم متفقون على ما دلت عليه الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار السلفية، من أن القرآن الكريم نزل من رب البرية، وأن «الإنزال: النقل من الأعلى إلى الأسفل؛ فنزول الكتب الإلهية إلى الرسل - عليهم الصلاة والسلام- بأن يتلقاها جبريل من جنابه ﷺ فينزل بها إلى الرسل ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وأما أهل البدع الذين لا يثبتون لله ﷻ علوا يلزمهم نفي نزول القرآن، خصوصاً أنه قد جاء في أكثر من آية أنه من عند الله، فإذا ثبت أنه نزل من عنده، فهذا نص أنه نزل من علو، ولهذا فالمعتقدون عدم علو الله ﷻ على خلقه، قولهم في نزول القرآن هو النفي، ثم يحرفون ما جاء من الآيات والأحاديث الدالة على النزول لتوافق أهواءهم، ويحرفون الكلم عن مواضعه.

وأما الفلاسفة فإنه يلزمهم نفي نزول القرآن؛ لأنه ليس ثم إلا عقول مدبرة تفيض من وإلى، وأن من فاض عليه فلصفاء نفسه ليس إلا؛ فكيف يكون هناك إنزال، وهذا لازم يدل على فساد القول بالفيض في كل حال، ولا ريب أنهم ينكرون النزول حيث يقولون عن جبريل ﷺ: «فقد يكون عقل شديد الاستعداد حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال - الذي هو عند هم الرب - إلى كثير من تحريج، وتعليم!!، حتى كأنه يعرف كل شيء من نفسه...، وهي القوة القدسية التي تناسب روح القدس؛ فيفيض عليها منه جميع المعقولات... فالدرجة العليا النبوة؛ فربما يفيض عليها وعلى المتخيلة من روح القدس معقول تحاكيه المتخيلة بأمثلة محسوسة!!، أو كلمات مسموعة؛ فيعبر عن الصورة بملك في صورة رجل، وعن الكلام بوحي في صورة عبارة»<sup>(٢)</sup>، فإذا ليس ثم نبي يرى ملكاً حقيقياً ينزل عليه بالوحي!!، وهذا وحده كاف في بطلان قول الفلاسفة في الأديان.

(١) محاسن التأويل للقاسمي ٢٤٠/١.

(٢) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٤٧٦-٤٧٧، وانظر منه: ص ٤٨٥.

وابن رشد القرطبي - وهو من الفلاسفة، لكنه يذكر الشناعات الواردة على نفي العلو لله ﷻ على قولهم وقول المتكلمين - فيقول: « فترجع الشريعة متشابهة - أي إذا نفينا العلو لله ﷻ -، وذلك أن بَعَثَ الأنبياء انبى على أن الوحي نازل إليهم من السماء، وعلى ذلك انبتت شريعتنا هذه، على أن الكتاب العزيز نزل من السماء، كما قال ﷺ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ [الجاثية: ٣]، وانبى نزول الوحي من السماء على أن الله في السماء، وكذلك كون الملائكة تنزل من السماء، وتصعد إليها<sup>(١)</sup>، بل « الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ، حتى قرب من سدره المنتهى<sup>(٢)</sup> » فشهد شاهد من أهلهم أن الشريعة لا تصح إلا بإثبات نزول الوحي، من السماء، وأن « كلام الله تعالى منزل على الأنبياء، وقد دل على ذلك أي كثيرة من كتاب الله تعالى<sup>(٣)</sup> ».

فإذا كانت الشرائع كلها، والكتب كلها، نصوصها دالة على نزول الوحي من السماء، وهذه النصوص معلومة للقاصي والداني، فهي تنص على أن كلام الله نزل من السماء من عند الله، وهؤلاء ينفون علو الله، فكيف يكون نزول الوحي من السماء من عند الله؟؟؟.

يقول متكلم آخر - مبينا أن الأفضل إبقاء العامة على الظاهر!! -: « ثم إن هؤلاء القوم - يعني المتكلمين - عادوا إلى القرآن، الذي هو المعجز الأكبر، وقد قصد الشرع تقرير وجوده، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ [الجاثية: ٣]<sup>(٤)</sup> وقال: ﴿ وَإِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ رَّبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ [الشعراء: ١٩٢-١٩٣]...، وأثبتته في القلوب...، وفي المصاحف...، وقال قوم من هؤلاء: هو مخلوق!!، فأسقطوا حرمة من النفوس، وقالوا: لم ينزل،

(١) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٨١-٨٢.

(٢) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٨٥، وانظر: الدرء ١٠/ ٢٦٤.

(٣) الإرشاد للجويني ص ١٣٠.

(٤) وقد ورد لفظ النزول في آيات كثيرة، وانظر: الأدلة على نزول القرآن في الفصل الثاني، من الباب الأول.

ولا يتصور نزوله، وكيف نفصل الصفة عن الموصوف، وليس في المصحف إلا خبر وورق، فعادوا إلى ما بعث الشارع في إثباته بالمحو»<sup>(١)</sup>.

وأما الصوفية فمنهم من يتفوه في الإنزال بكلام لولا النقل العلمي ما استسغت نقله، وإن مجرد حكايته تدل على شناعته، وذكره في حد ذاته يثبتك عن سخافته، وسخافة عقول هؤلاء الصوفية الغلاة القائلين به، المبتدعين في الدين بالهوى، المتبعين للردى، فهذا أحد الصوفية يخاطب مريديه، مبينا كيف نزل القرآن!!، فيقول:

وزفت عروس القرب ليلة قدرنا وفي ذكر الذكر استلذ المجامع

وإنزاله القرآن قد حملت به فروج قلوب بالعلوم تدافع!!<sup>(٢)</sup>

بل إن هؤلاء الصوفية لا يرون أن الإنزال مخصوص بالقرآن بعد نبي آخر الزمان، ويصرحون بأن كتبهم أنزلها الرحمن!!، يقول القنوني عن كتابه المثنوي: «بأيدي سفرة، كرام بررة، يمنعون بأن لا يمسه إلا المطهرون!!، تنزيل من رب العالمين!!، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!!»<sup>(٣)</sup>.

وهؤلاء الصوفية شطحاتهم جلية، وفضائحهم ظاهرة غير خفية، خصوصا أهل وحدة الوجود، والحلول، والاتحاد أصحاب المذاهب الردية.

فأهل الكلام لا يختلف قوهم في الإنزال عن أصحاب الحال إلا في المؤدى؛ فالجميع لا يشبتون الإنزال، وسبق أن بينت أن المعتزلة يرون أن الذي نزل به جبريل إنما هو كلام مخلوق، إما في نفسه، أو في الهواء...<sup>(٤)</sup>.

والأشعرية من أهل الكلام ينصون على أن الذي نزل من السماء إنما هو لفظ جبريل، لا كلام الله رب العالمين نفسه، يقول الباقلاني: «والنازل على الحقيقة المنتقل

(١) أقاويل الثقات ص ٢١٩-٢٢٠.

(٢) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق!! ١/ ٢١٥، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٦٦.

(٣) مقدمة المثنوي، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٣-٣٦٤.

(٤) انظر: الفصل الأول من هذا الباب.

من قطر إلى قطر قول جبريل !!»<sup>(١)</sup>.

فالمتكلمون من أهل الإسلام، يؤولون الإنزال الوارد في القرآن الكريم لسببين:

الأول: لكونهم نفوا العلو للعلي الأعلى، وأنه لا يصح بأن يشار إليه أنه في السماء!!<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أنهم قالوا: إن الكلام معنى، ولا يصح أن يوصف المعنى بأنه ينزل!!،

يقول الجويني: «ثم ليس المعنى من الإنزال حط شيء من علو إلى سفلى!!، فإن الإنزال بمعنى الانتقال يتخصص بالأجسام والأجرام!!».

ومن اعتقد كلام الله تعالى، وقيامه بنفس الباري ﷻ، واستحالة مزايته للموصوف به - وهو الحق - فلا يستريب في استحالة الانتقال عليه!!، ومن اعتقد حدث الكلام، وصار إلى أنه عرض من الأعراض، فلا يسوغ على معتقده أيضا تقدير الانتقال، إذ العرض لا يزول ولا ينتقل.

فالمعني بالإنزال: أن جبريل ﷺ أدرك كلام الله تعالى، وهو في مقامه فوق سبع سموات، ثم نزل إلى الأرض، فأفهم الرسول ﷺ ما فهمه عند سدره المستهى!!، من غير نقل لكلام الله ﷻ!!!<sup>(٣)</sup>.

فالمخالفون للسلف، المخالفون لكتاب الله ﷻ لم يقولوا مع توافر النصوص بأن القرآن الكريم قد نزل من السماء، ولم يتصوروه<sup>(٤)</sup>.

والجواب عن هذا من وجوه:

١. المعروف أن المعاني والصفات والأعراض لا تأتي، وإنما قالت العرب: جاء الحر، وجاء البرد، ومعلوم أن هذه المعاني تأتي مع الهواء الذي يحمل الحر والبرد، وهو

(١) الإنصاف ص ٩٧.

(٢) انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٥٢/٩، المجموع ٢٦/٨.

(٣) الإرشاد للجويني ص ١٣٠، المعتمد للفراء ص ٢٧٦، وقد أنكر النزول الحقيقي للقرآن الزرقاني في مناهل العرفان، اتباعا لأشاعرة الزمان، وتقليدا لأصول كلام أهل اليونان، انظر: مناهل العرفان ١٩١/١ - ١٩٤.

(٤) انظر: أقاويل الثقات ص ٢١٠.



عين قائمة بنفسها، ف « العرض الذي يحدث بلا تحول من حامل، مثل لون الفاكهة؛ فإنه لا يقال في هذا: جاءت الحمرة، والصفرة، والخضرة، بل يقال: أحمر وأصفر وأخضر، وإذا كان كذلك؛ فإنزاله تعالى العدل، والسكينة، والنعاس، والأمانة - وهذه صفات تقوم بالعباد - إنما تكون إذا أفضى بها إليهم؛ فالأعيان القائمة توصف بالنزول، كما توصف الملائكة بالنزول بالوحي والقرآن؛ فإذا نزل بها الملائكة؛ قيل: إنها نزلت» <sup>(١)</sup> فالقرآن معنى من المعاني فإذا سمعه جبريل ووعاه نزل به من رب العالمين، إلى سيد المرسلين، وجبريل ذات مخلوقة، قائم بنفسه، ينزل ويصعد.

٢. أن إنكار النزول يعني الرد على الله ﷻ، والآيات التي تدل على أن القرآن الكريم نزل من عند القدوس السلام أكثر من مائة وخمسين آية بالعد والإحصاء، وبصيغ مختلفة، مما يدل على أن الله ﷻ أنزله، وأن جبريل نزل به على محمد ﷺ من عند الله <sup>(٢)</sup>.

٣. إن قلتم: القرآن لا ينزل، فبأي شيء كان ينزل جبريل ﷺ، أكان ينزل بقوله، أم برأيه؟؟، وهذا لا يقول به إلا من طرح الوحي، واتبع الطرق الكلامية، وإلا فإن نزول جبريل بالوحي أمر معلوم من الدين بالضرورة <sup>(٣)</sup>.

٤. أن نزول القرآن الكريم لا يلزم منه تحول صفة الله ﷻ ومفارقة كلامه ذاته، كما أن الله يُعَلِّمُ أنبياءه ورسله، وعلمه باق صفة من صفات ذاته، فكذلك كلامه، بل إن الواحد من أهل العلم يعلم آلاف من الناس، وعلمه لا يزول، بل يبقى صفة من صفاته، والناس يقولون: هذا من علم فلان، ويأخذون كلامه وهو صفة من صفاته، ويقولون: هذا كلام فلان، فقولكم بأن التحول على العرض غير معقول، فيه لبس إذ ما مرادكم بالتحول، إن كان القصد أنه يزول عن ذات المتكلم إلى السامع فهذا حق، ولا يكون تحول للكلام بهذا المعنى، إذ الكلام هو للمتكلم وإن سمعه السامع وقرأه القارئ، وإن قصدتم بالتحول أنه لا يكون في الأرض كلام الله ﷻ، ولم ينزل جبريل ﷺ

(١) المجموع ١٢/ ٢٥١.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٢٧١-٢٨٠.

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٠٠-٣٠٤.

بالقرآن فهذا باطل، ونحن نقرأ أحاديث النبي ﷺ، ولم يتحول كلامه حتى يصبح عرضاً لنا؛ فكيف بكلام رب العالمين؟؟<sup>(١)</sup>.

٥. أن أهل الكتاب، بل وحتى المشركين، كانوا مقرين بنزول الوحي من السماء، كما قال ﷺ: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [النساء: ١٥٣] وقال ابن عباس ؓ: [بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ؛ فقال لأخيه: اعلم لي علم هذا الرجل، الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء]، وقال ﷺ: [ألا تأمنوني؟! وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً]<sup>(٢)</sup>.

٦. قال صاحب متن الشيبانية رداً على من أنكر التنزيل بحجة الكلام النفسي:

ونعتقد القرآن تنزيل ربنا	به جاء جبريل النبي (محمد)
وأنزله وحياً إليه وأنه	هدى الله، يا طوبى لمن به اهتدى
كلام قديم منزل غير محدث	بأمر ونهي، والدليل تأكيد
كلام إله العالمين حقيقة	فمن شك في هذا فقد ضل واعتدى
ومنه بدا قولاً قديماً، وأنه	يعود إلى الرحمن حقاً كما بدا...
فمن شك في تنزيله فهو كافر	ومن زاد فيه فقد طغى وتمردا <sup>(٣)</sup>

ومن شبه أهل الكلام أنهم قالوا: إن النزول بمعنى: الخلق، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، أو يقولون: خلقه في مكان عال ثم أنزله من ذاك المكان!!.

والجواب عن هذا من وجوه:

١- أن النزول بمعنى الخلق لا يعرف في اللغة<sup>(٤)</sup>، وإنما هذا تفسير من يرى خلق

(١) انظر: ما سبق، في الفصل الأول من هذا الباب.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب/ ٦١، ح (٤٣٥١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب/ ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري ؓ.

(٣) نظم الشيبانية في العقيدة ص ٣٥-٣٦، مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) فهذا ابن منظور: وهو من هو في جمعة للمعاني الواردة لكلمة واحدة لم يذكر أن معنى النزول هو الخلق، مع

القرآن الكريم، فيفسر آياته على معتقده!!، ولو كان النزول بمعنى الخلق، لكان مخلوقاً في محل، وما كان مخلوقاً في محل، يكون صفة لذاك المحل النازل منه، ولا يكون صفة لله ﷻ<sup>(١)</sup>.

٢- أن قولكم بخلق القرآن باطل، وما بني على باطل فهو باطل.

٣- أن النزول على حقيقته، وهو يكون من علو إلى سفلى، وقولكم إنه خلقه في مكان عال ثم أنزله من ذلك المكان، يدل على القول بخلق القرآن، وهو فاسد، وإنما هو كلام الله ﷻ سمعه جبريل من رب العزة في السماء العلى، ثم نزل به إلى محمد ﷺ، وهذا هو النزول الذي يفهمه المسلمون، ولا يفهمون من نزول القرآن الكريم إلا هذا، وهذا ما عليه السلف، واتباعهم واجب على الخلف.

٤- النزول جاء في القرآن على ثلاثة أنواع<sup>(٢)</sup>؛ الأول: نزول مقيد بأنه منه، وهذا لم يرد إلا في القرآن الكريم. والثاني: نزول مقيد بأنه من السماء - والسماء اسم جنس بمعنى العلو - كنزول المطر. الثالث: نزول مطلق، وهذا وارد في مواضع، كإنزال الحديد، والسكينة، والميزان، فالحديد أنزلها الله من المعادن الموجودة في الجبال، والسكينة أنزلها الله في قلوب المؤمنين، والميزان العدل، وقد أنزل الله كتبه ليحكم بين الناس بالعدل<sup>(٣)</sup>.

ومن شبههم: أنهم قالوا: نزوله بمعنى الإعلام به، وإفهامه للملك، أو نزول الملك بها فهمه!!، وهذا قول الكلابية ومن وافقهم<sup>(٤)</sup>.

والجواب عن هذا من أوجه:

١- أن النزول بمعنى الإعلام لا يعرف في اللغة، ولكن هذا تفسير من لا يثبت

أنه يجمع كل ما قيل في معنى الكلمة عن العرب. انظر: مادة: (نزل) ١٤/١١١-١١٣، وانظر: المفردات للراغب ص ٤٩٠-٤٩٢.

(١) انظر: المجموع ٢٦/٨.

(٢) انظر: المجموع ٢٤٦/١٢-٢٥٠.

(٣) انظر: المجموع ٢٦/٨، ١٢/٢٥٤.

(٤) انظر: الغنية لأبي سعيد النيسابورى ص ١٠٨.

لله ﷻ كلاماً إلا الكلام النفسي الذي لا يُسمع، وإذا لم يثبت في اللغة النزول بمعنى الإفهام، علمنا أن القوم يصنعون لمذهبهم لغة<sup>(١)</sup>، قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد أن ذكر أقسام النزول: «فقد تبين أنه ليس في القرآن، ولا في السنة، لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف، وهذا هو اللائق بالقرآن؛ فإنه نزل بلغة العرب، ولا تعرف العرب نزولاً إلا بهذا المعنى، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطاباً بغير لغتها، ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان، وهذا لا يجوز»<sup>(٢)</sup>.

٢- أن هذا التحريف مبني على قولكم الفاسد بالكلام النفسي الذي لا يُسمع فقلتم: إن النزول هو الإفهام!!، وقد سبق أن تبين فساد القول بالكلام النفسي<sup>(٣)</sup>.

٣- أن الملك إذا كان نزل بما فهمه؛ فهذا يعني أن القرآن لفظه، وهذا ما لا يوافقكم عليه مسلم يعقل عن الله ﷻ مراده، وعن الرسول ﷺ مرامه، لأن ما فهمه لا يكون كلاماً لله ﷻ، فإنك لو تكلمت كلاماً، ونقل آخر كلامك لا بلفظك، وإنما بما فهمه، قيل له: رويت بالمعنى، ولو فهم خطأ لقلت له: ليس هذا كلامي، هذا فهمك، فدل هذا أن هناك فرقاً بين من ينقل الكلام بلفظه ومعناه، وبين من ينقل الكلام بمعناه.

قالوا: النزول ليس من علو إلى سفلى؛ لأن المراد بالنزول: «كما يقال: نزلت رسالة الملك من القصر، لا يراد به حط شيء من القصر»<sup>(٤)</sup>، والنزول يراد به الحلول، كما تقول: نزل الأمير المدينة، والمعنيان كلاهما لا يصح إطلاقهما على القرآن الكريم، لما يلزم من هذين المعنيين من المكانية والجسمية!!!<sup>(٥)</sup>.

والجواب عن هذا ما يأتي:

١- أن قولكم بأن الإنزال معناه الحط ليس بصواب، وإنما المراد من الإنزال هو

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص ١٠٢٢-١٠٢٣، المفردات للراغب ص ٤٩٠-٤٩٢، لسان العرب ١٤/١١١-١١٣، فإن هؤلاء فطاحلة اللغة ولم يذكر واحد منهم أن من معاني النزول: الإفهام.

(٢) المجموع ١٢/٢٥٧.

(٣) انظر: الفصل الأول، من هذا الباب.

(٤) الغنية لأبي سعيد النيسابوري ص ١٠٨.

(٥) انظر: مناهل العرفان ١/٤٣.

المعنى المعروف عند العرب، وهو ما يكون من علو إلى سفلى<sup>(١)</sup>.

٢- أن ما ذكرتموه من المثال، لا يعرف عن العرب، وإنما هو من وضعكم، ثم من المعلوم أن الرسول إذا جاء من القصر؛ فإنه يقول: جئت برسالة، ولا يقول: نزلت برسالة؛ لأن النزول لا يكون إلا من علو، ولو صح المثال: فإن القصر يكون عاليا عن بيوت المخاطبين من الشعوب، فيصح نزول الرسول بالكلام حينئذ.

٣- أن في هذا تشبيها لله ﷻ بالملك، - وإن لم تقصدوا التشبيه، وإنما قصدتم التقريب -، والله ﷻ ليس له نظير، بل هو العلي الأعلى، فكل من خاطبه الله؛ فإنما يخاطب من علو لا من سفلى.

٤- أن النزول ورد في القرآن الكريم مؤكدا بالمصدر الذي يفيد وقوع الفعل حقيقة لا مجازا<sup>(٢)</sup> كما في قوله ﷻ: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

٥- أن نزول القرآن وهبوطه من السماوات العلى بواسطة جبريل ﷺ إلى محمد ﷺ هو المعروف في لغة الشرع، وفي العرف، بل وفي اعتقاد المسلمين، وأما ما ادعيتم من أن ذلك يلزم منه الجسمية فهذا ادعاء لا دليل عليه، وإن أعددنا ينقل كلام الآخر، ولا يلزم أن يكون الكلام المنقول جسما وذاتا بنفسه، ثم إن الكلام عرض وليس ذاتا، والأعراض تقوم بذواتها، لا بنفسها، فكلام الله ﷻ قائم به، وسمعه جبريل ونقله إلى محمد ﷺ، ولا يلزم من ذلك مفارقة صفة الرب ﷻ عن ذاته<sup>(٣)</sup>.

٦- قال الحافظ ابن حجر ﷺ: «الكلام الثاني - أي كون نزول القرآن ليس كنزول الأجسام - متفق عليه بين أهل السنة سلفا وخلفا، وأما الأول - أي كونه لا يراد به الإنزال المعروف، وإنما هو الإفهام - فهو على طريقة أهل التأويل، والمنقول عن

(١) انظر: المصباح المنير ص ٦٠٠.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن ص ١١١.

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٢١٣ وما بعدها.

السلف اتفاهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، تلقاه جبريل عن الله، وبلغه جبريل إلى محمد ﷺ، وبلغه إلى أمته<sup>(١)</sup>.

وهذا يتبين ضلال قول المخالفين في نزول القرآن الكريم، وأضل من هذا قول من زعم أن جبريل أخطأ في إنزال القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في البحث التالي.

### المبحث الثاني: قول بعض الرافضة في نزول القرآن

العقيدة السلفية الراسخة هي أن القرآن الكريم كلام الرحمن الرحيم، أنزله الله ﷻ على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد ﷺ بواسطة جبريل الأمين، وقد دلت الأدلة المتواترة على هذا<sup>(١)</sup>.

وهناك فرقة من الروافض، وهي المشهورة بالغرابية تقول: بأن القرآن كان حقاً خاصاً لعلي!! ﷺ، وأنه كان شبيهاً بالنبي ﷺ فلما نزل جبريل بالوحي، أخطأ فأعطى الوحي للنبي ﷺ.

وإنما سموها "غرابية" لا نسبةً إلى رجلٍ منهم، بل لقولهم: إن علياً كان أشبه بالنبي ﷺ من الغراب بالغراب!!، فغلط جبريل حين بعث إلى علي فنزل بالوحي إلى محمد!!!<sup>(٢)</sup>.

ولهذا فإن الروافض يغيضون جبريل ﷺ، كقول اليهود: هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون: غلط جبريل بالوحي على محمد ﷺ<sup>(٣)</sup>، ويسمون هؤلاء بالذمامية، لكونهم يذمون جبريل ﷺ<sup>(٤)</sup>، بل ويقولون لأتباعهم: العنوا صاحب الريش، يعنون جبريل ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: الأدلة على أن جبريل نزل بالقرآن على محمد ﷺ، في الفصل الثاني من الباب الأول، وانظر: الأدلة على اختصاص نبينا محمد ﷺ بالقرآن، في الفصل الخامس من الباب الأول.

(٢) انظر: المعارف لابن قتيبة ص ٣٤٠، التبصير في الدين ص ١٢٨، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٩.

(٣) انظر: منهاج السنة ١/ ٣٢، ٢٧.

(٤) انظر: تليس إبليس ص ١٠٩.

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ص ١٩٠-١٩١، التعريفات للجرجاني ص ١٦٢، وشرح المواقف ٨/ ٤١٩.

ثم منهم من ادعى أن علياً كان يُعَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ القرآن!!!<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن الجوزي<sup>(٢)</sup> أن الغرابية تدعي شركة علي ﷺ في النبوة<sup>(٣)</sup>، وهذا إن صح فإنه لا تعارض بين هذا وبين كونهم قالوا: إن القرآن كان حقاً له؛ لأن الروافض قوم بهت، يكتمون مذاهبهم فربما قالوا اليوم شيئاً، وغداً آخر، وأيضاً: لما علموا بأن فضيحة قولهم واضحة عدلوا إلى القول بالشركة - والله تعالى أعلم -.

قال البغدادي<sup>(٤)</sup> رحمه الله: «وَكُفِّرْ هَذِهِ الْفِرْقَةُ أَكْفَرُ مِنْ كُفْرِ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالُوا الرَّسُولُ اللَّهُ ﷻ: مَنْ يَأْتِيكَ بِالْوَحْيِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ: جَبْرِيلُ، فَقَالُوا: إِنَّا لَا نَحْبُ جَبْرِيلَ!!؛ لَأَنَّهُ يَنْزِلُ بِالْعَذَابِ، وَقَالُوا: لَوْ أَتَاكَ بِالْوَحْيِ مِيكَائِيلُ الَّذِي لَا يَنْزِلُ إِلَّا بِالرَّحْمَةِ لَأَمْنًا بِكَ، فَالْيَهُودَ - مَعَ كُفْرِهِمْ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ عداوتهم لجبريل ﷺ لا يلعنون جبريلَ، وإنما يزعمون: أَنَّهُ مِنْ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ دُونَ الرَّحْمَةِ، وَالْغَرَابِيَةِ مِنَ الرَّافِضَةِ يَلْعَنُونَ جَبْرِيلَ وَمُحَمَّدًا - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وفي هذا تحقيق اسم الكافر لبغض بعض الملائكة، ولا يجوز إدخال من ساءهم الله كافرين في جملة فرق الإسلام»<sup>(٥)</sup>.

ومن جملة المخالفين الباطنية الزاعمون بأن القرآن الكريم «قد أوحى حقيقة إلى سلمان الفارسي»<sup>(٦)</sup>، وأنه كلامه!!، وأن محمداً ﷺ أخذه، وتلقاه عنه!!<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: المجموع ١٢ / ٤٥٥.

(٢) هو المفسر المحدث: عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي، ولد ونشأ في بغداد، وله مؤلفات في شتى الفنون، ومنها: زاد المسير، وتبليس إبليس، توفي سنة ٥٩٧ هـ. انظر: معجم المؤلفين ٥ / ١٥٧.

(٣) انظر: تبليس إبليس ص ١٠٩.

(٤) هو المتكلم الأشعري: عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي الشافعي، أبو منصور البغدادي، أصولي وأديب، وفقه أريب، ولد ونشأ ببغداد، وسكن ودرس بنيسابور، من مؤلفاته: نهاية الأقدام، وأصول الدين، توفي سنة ٤٢٩ هـ. انظر: السير ١٧ / ٥٧٢.

(٥) الفرق بين الفرق ص ١٩١، وانظر: التبصير في الدين ص ١٢٨.

(٦) هو الصحابي الجليل: سلمان الفارسي رحمه الله، ويلقب بسلمان الخير، أبو عبد الله، سافر لطلب الدين الحق، فأوصله الله إلى صحة خير الخلق، أول مشاهده الخندق، مات سنة ٣٤ هـ. انظر: التقريب ص ١٦٨.

(٧) الحركات الإسلامية للخطيب ص ٣٠٣.



فقول هؤلاء يلزم منه مفاسد شرعية مع كونه في نفسه كفرا، وهذه المفاسد هي:

١- أن الملائكة يخطئون، مع أن الله ﷻ قد أخبر بأن الملائكة معصومة بعصمة الله لهم.

٢- أن جبريل الأمين يكون خائنا!!، وهذا تكذيب للقرآن المبين، وتكذيب لرب العالمين.

٣- أن فيه اتهاماً لرب العالمين، إذ كيف رأى جبريل يخطئ - على فرض أنه يخطئ - ثم لا يبين له الخطأ.

٤- أن فيه اتهاماً للنبي ﷺ إذ كيف يأخذ ما ليس حقه، وفيه اتهام لعلي ﷺ إذ كيف يسكت على هذا؟؟، وعلى كل حال فاللوازم الفاسدة لهذا القول كثيرة، والقائلون بهذا أكفر من اليهود الذين أقروا بنبوّة محمد ﷺ ولم يكذبوه، ولكن قالوا: هو إلى العرب خاصة!!.

قال أبو محمد ابن حزم ﷺ: «قد نص الله عز وجل على أن الملائكة متعبدون، قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، ... وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [١] لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [٢] يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨]، ... وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٣] تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩-٥٠]، ... قال أبو محمد: فنص الله تعالى على أنهم مأمورون...، مكرمون موعودون بإيصال الكرامة أبداً، مصروفون في كتاب الأعمال، وقبض الأرواح، وأداء الرسالة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ...، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [٤] ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [٥] مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١]، ... فأخبر ﷻ أن جبريل ﷺ مطاع في السماوات، وأمين هنالك، فصح أن هنالك أوامر وتدابير، وأمانات وطاعة ومراتب، ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون...، فنص تعالى على

أنهم كلهم لا يسأمون من العبادة، ولا يفترون من التسبيح والطاعة، لا ساعة، ولا وقتاً، ولا يستحسرون من ذلك، وهذا خبر عن التأيد لا يستحيل أبداً، ووجب أنهم متنعمون بذلك، مكرمون به، مفضلون بتلك الحال، وبالتأذاهم بذلك، ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون، قد حقت لهم ولاية ربهم ﷺ أبداً، إلى الأبد بلا نهاية، فقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨] فكفر تعالى من عادى أحداً منهم، فإن قال قائل: كيف لا يعصون، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَقَدْ لَكَ جَذْبٌ جَهَنَّمُ كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩] قلنا: نعم هم متوعدون على المعاصي،... وقد علم عز وجل أن... الملائكة لا يقول أحد منهم أبداً إني إله من دون الله...، وقد أعاد الله عز وجل الملائكة من مثل هذه الصفة بما ذكرنا آنفاً، أنهم لا يعصون الله، ويفعلون ما يؤمرون، وبإخباره تعالى أنهم لا يسأمون، ولا يفترون، ولا يستحسرون عن طاعته ﷺ، فوجب يقينا أنه ليس في الملائكة البتة عاصٍ، لا بعمد، ولا بخطأ، ولا بنسيان،... والملائكة رسل الله عز وجل بنص القرآن، والرسول معصومون<sup>(١)</sup>.

وهذا يعلم ضلال وكفر هذه الطائفة الرافضية، وفساد قولها في الرسالة النبوية، وهذيانها في حق جبريل ذي الصفات الملكية، المعصومة عن الخطأ والزلل في تبليغ الرسالات السماوية.

ولما اختلف أهل البدع والأهواء في حقيقة القرآن الكريم، وفي نزوله من رب العالمين، اختلف بعد ذلك تعبدهم به الله ﷻ، وهذا ما أبينه في الفصل الآتي - إن شاء الله ﷻ -.

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٣/ ٢٥٩-٢٦١ بتصرف.

## الفصل الثالث

### قولُ الحنَّالِ فيَّجُ في التَّعبُّ بالقُرْآنِ الكَرِيمِ

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعبُّ بمجرد القراءة.

المبحث الثاني: التعبُّ بالتبرُّك به.



## المبحث الأول: التعبد بمجرد القراءة

بينت فيما سبق<sup>(١)</sup> أن السلف الصالحين، كانوا يتعبدون لله رب العالمين، بكلامه المنزل المبين، وبصور مختلفة كما أمرهم الرحمن الرحيم، كيف لا وهو كلام الله ﷻ، ومن صور تعبدهم بالقرآن الكريم: التعبد بقراءته، وملاحظة ما يرافق القراءة من الأحوال الموافقة للشريعة نصاً، أو في العمومات معنى، إذ كانوا يرون أن قراءة القرآن عبادة فكانوا يأتون به على الوجه المشروع<sup>(٢)</sup>.

وأما المخالفون للسلف الذين اختلفت أقوالهم في القرآن الكريم، وتباينت آراؤهم في حقيقته، وتشتت مذاهبهم في معرفته، فإنهم لم يتلذذوا بالعبادة به كما أمرهم رب العالمين، ولكن بحثوا عن أمور أخرى أرادوا بها التقرب إلى رب العالمين، وذلك لما وقع بينهم وبين القرآن من حجب، فهم وإن قرؤوا فقراءتهم مجردة عن موافقة الشرع، وليست قراءتهم للاستفادة من معانيه، أو التحاكم إلى مبانيه.

بل حال أهل البدع المخالفين للسلف كحال: «من يحلي المصحف، ولا يقرأ فيه، أو يقرأ فيه، ولا يتبعه، وبمنزلة من يزخرف المسجد، ولا يصلي فيه، أو يصلي فيه قليلاً، أو بمنزلة من يتخذ المسابيح، والسجادات المزخرفة، وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع، ويصحبها من الرياء، والكبر، والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) انظر: المجموع ١٠/٣٩١.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٢٩٦، بتصرف يسير.

فمن غلب عليه حال، فهو يكون موصوفاً به، وأهل الأهواء غلبت عليهم بدعهم، فأبعدتهم عن كتاب الله ﷻ، تعلموا وتعلّموا، وتعبداً وتحكّماً، فالعبرة في حال الإنسان بالغالب من حاله، ولهذا قال الإمام البخاري رحمه الله: «باب: ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصدّه عن ذكر الله، والعلم، والقرآن»<sup>(١)</sup>، فكيف إذا كان الغالب على الإنسان البدعة والهوى.

وأول أولئك الذين لهم قراءة للقرآن مشهودة، وتلاوة لآياته مسموعة، وإقامة لمبانيه وحروفه معلومة، هم الخوارج المخالفون للسلف الذين حذر منهم النبي ﷺ مع كثرة قراءتهم، وتلاوتهم؛ إذ كانت التلاوة تلاوة للحروف، ولم تكن تلاوة عمل بالمعاني، قال النبي ﷺ في حق الخوارج: [إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية]<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: [إن من ضئضىء<sup>(٣)</sup> هذا قوما يقرءون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد]<sup>(٤)</sup>، وفي رواية: [قوم يتلون كتاب الله، رطباً لا يجاوز حناجرهم...]<sup>(٥)</sup>، فهذا خبر النبي ﷺ فيهم أنهم يقرءون القرآن، ويتلونّه، ولكن هذه التلاوة لا تجاوز حناجرهم؛ فلا يعقلون معانيها، ولا يتدبرون مراميها، ولذلك تراهم يقتلون أهل الإسلام، ويشيرون القلاقل في أهل الإيمان باسم الإسلام، ويتركون

(١) انظر: صحيح البخاري مع الفتح ٥٦٤/١٠.

(٢) روى أصله البخاري، كتاب فرض الخمس، باب/ ومن الدليل على أن الخمس...، ح(٣١٣٨)، ومسلم واللفظ له، كتاب الزكاة، باب/ ذكر الخوارج وصفاتهم، ح(١٠٦٣) عن جابر بن عبد الله.

(٣) الضئضىء: الأصل، يقال: ضئضىء صدق، وحكى بعضهم: ضئضىء على وزن قنديل، والمعنى: أنه يخرج من نسله وعقبه، وروي (ضئضىء) بالصاد المهملة، وهو بمعناه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٦٩/٣.

(٤) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب/ ٦، ح(٣٣٤٤)، ومسلم واللفظ له، كتاب الزكاة، باب/ ذكر الخوارج وصفاتهم، ح(١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري.

(٥) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب/ بعث علي وخاله، ح(٤٣٥١)، ومسلم واللفظ له، كتاب الزكاة، باب/ ذكر الخوارج وصفاتهم، ح(١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري.

أهل الشرك والأوثان، وقد أخبر النبي ﷺ أن هذا سبب الخوارج حتى قيام الساعة، لا يفقهون في دين الله، وإن تلوا كتاب الله ﷻ، قال ﷺ: [سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم...]<sup>(١)</sup>، بل أخبر النبي ﷺ أن قراءتنا ليست بشيء عند قراءتهم، لكثرة تلاوتهم، وشدة أخذهم على أنفسهم في تلاوة الحروف، والغفلة عن معرفة المعاني، قال ﷺ: [يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليست قراءتكم عند قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم عند صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن، يحسبون أنه لهم، وهو عليهم...]<sup>(٢)</sup>، فالخوارج مخالفون للسلف حتى في قراءتهم لكتاب الله ﷻ إذ يقرؤون القرآن مجردا عن التدبر والخشية والعمل.

قال الترمذي رحمه الله: «وقد روي في غير هذا الحديث عن النبي ﷺ حيث وصف هؤلاء القوم الذين يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية؛ إنما هم الخوارج، والحرورية<sup>(٣)</sup>، وغيرهم من الخوارج»<sup>(٤)</sup>.

ومما يؤكد عدم عمل الخوارج بالقرآن، وأن اهتمامهم بحروفه دون العمل به، ما ذكره أهل السير والتاريخ، من قصة عبد الله بن خباب بن الارت<sup>(٥)</sup> حيث ورد أن الخوارج لقوا مسلما نصرانيا؛ فأعفوا النصراني، وقالوا: احفظوا وصية نبيكم فيه!!، وقتلوا المسلم!!، ثم لقوا عبد الله بن خباب بن الارت رحمه الله، ومعه المصحف؛ فقالوا: إن هذا المصحف يأمرنا بقتلك!!، فوعظهم، وذكرهم، وحدثهم عن أبيه عن

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب/ كان النبي ﷺ تنام عيناه ولا تنام قلبه، ح(٣٦١١)، ومسلم واللفظ له، كتاب الزكاة، باب/ ذكر الخوارج وصفاتهم، ح(١٠٦٦) عن علي رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب/ ذكر الخوارج وصفاتهم، ح(١٠٦٤) عن علي رضي الله عنه.

(٣) الحرورية نسبة إلى حروراء، وإليها كان انحياز الخوارج زمن علي رضي الله عنه، ونسبوا إلى ذلك المحل، ويكفرون بالكبيرة، ويتبرؤون من عثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١١٥، معجم ألفاظ العقيدة ص ١٣٩.

(٤) انظر: جامع الترمذي ٤/ ٤٨١.

(٥) هو التابعي الكبير: عبد الله بن خباب بن الارت، حليف بني زهرة، يقال: إن له رؤية، قتله الحرورية سنة ٣٨هـ. انظر: التقريب ص ٣٤٤.

رسول الله ﷺ، فلم يقبلوا... ثم ذبحوه، وقتلوا زوجته وبقروا بطنها وهي حامل<sup>(١)</sup>.  
وطائفة - تنتسب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup> - من  
الرافضة الباطنية، - وهم غير الزيدية المعروفين - يذكر أن عندهم مصحفاً مذهباً على  
ظهره أبيات شعر رثي بها زيد، وهم يعبدون ذلك المصحف!!، وزيد عندهم ملك  
العرب، وعليّ بن أبي طالب ﷺ عندهم إله العرب!!<sup>(٣)</sup>.

وتجد من المخالفين للسلف طائفة من الصوفية يطربون لسماع الأنشيد التي  
وضعها لهم أسلافهم، وأما القرآن الكريم فإنهم يجدون استقلالاً عند سماعه وقراءته  
« لما اعتاضوا عنه بضده ونده، وإن ارتاحوا إلى سماعه، فللقدر المشترك الذي يكون  
بينه وبين سماعهم من الأصوات المطربة والألحان، ولهذا يرتاحون لذلك الشعر  
الكفري، والفسوقي، والزنائي، والمقصود: أن هذا السماع الشيطاني من أكبر الأسباب  
المضادة لأصول أولياء الله المقربين الثلاثة: الإخلاص، والمتابعة، والجهاد<sup>(٤)</sup> ».

وذكر الذهبي<sup>(٥)</sup> في ترجمة أحد مشايخ الصوفية، أنه سمع أبياتاً فبكى،  
ثم قال للمنشد: « يا أخي لا تلم أهل الري أن يسموني زنديقاً؟! أنا من بكرة أقرأ في  
المصحف ما خرجت من عيني دمعة، ووقع مني إذ غنيت ما رأيت<sup>(٦)</sup> ».

(١) انظر: شذرات الذهب ٥١/١.

(٢) هو الهاشمي القرشي: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين، كان ببغداد ثم توجه إلى  
الشام، وسكن المدينة، وخرج منها لقتال الأمويين بالكوفة سنة ١٢٠ هـ، وبايعه أهلها، وأرادوا منه أن  
يتبرأ من الشيخين فامتنع لأنها وزيراً جده، فرفضوه، فسموا رافضة، ثم لما وقع القتال فر عنه شيعته من  
أهل الكوفة، فقتل ﷺ، وإليه ينتسب الزيدية. انظر: السير ٣٨٩/٥.

(٣) انظر: معجم البلدان ٤٤٢/٣.

(٤) الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص ٢٩٢، وانظر: البحث والاستقراء في بدع القراء لمحمد موسى  
نصر ص ٣٤، وما بعدها.

(٥) هو الحافظ المحدث، والمؤرخ الناقد: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي أبو عبد الله  
شمس الدين الذهبي الشافعي، ولد بدمشق ونشأ بها، وكان من خواص شيخ الإسلام، ألف التأليف  
النافعة للأنام، في جميع الفنون ومنها تواريخ الأيام، وذاع صيته بين الأنام، من مؤلفاته: تاريخ الإسلام،  
وسير أعلام النبلاء، وميزان الاعتدال، وغيرها، توفي سنة ٧٤٨ هـ. انظر: الدرر الكامنة ٣/٣٣٧.

(٦) السير ٢٤٩/١٤.



بل إن منهم من قد يزعم أن سماع الأناشيد الصوفية، وترداد الأوراد البدعية، أفضل من سماع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية!!!، فيقول بعض المخالفين: «إنه أفضل لبعض الناس، أو للخاصة، من سماع القرآن من عدة وجوه!! حتى يجعلونه قوتا للقلوب، وغذاء للأرواح، وحاديا للنفوس، يحدوها إلى السير إلى الله، ويحثها على الإقبال عليه، ولهذا يوجد من اعتاده، واغتذى به، لا يحن إلى القرآن، ولا يفرح به، ولا يجد في سماع الآيات، كما يجد في سماع الأبيات، بل إذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية، وألسن لاغية، وإذا سمعوا المكاء والتصديّة<sup>(١)</sup>، خشعت الأصوات، وسكنت الحركات، وأصغت القلوب، وتعاطت المشروب!!»<sup>(٢)</sup>.

ولما نشأ مثل هذا في الخلف أن قدموا أبياتهم، وأقوالهم، وأورادهم على سماع القرآن الكريم، أنكر الأئمة عليهم أشد النكير، قال الشافعي رحمته الله: «خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة، يسمونه "التغبير"، يصدون به الناس عن القرآن»<sup>(٣)</sup>، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله عقب قول الشافعي رحمته الله: «وهذا من كمال معرفة الشافعي وعلمه بالدين؛ فإن القلب إذا تعود سماع القصائد، والأبيات، والتذّ بها؛ حصل له نفور عن سماع القرآن، والآيات؛ فيستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن»<sup>(٤)</sup>.

فما ذكره الشافعي، كلام إمام خبير بأصول الإسلام؛ إذ أن هذا السماع المحدث لهذه الألحان الصوفية، لم يرغب فيه الشرع، بل لم يحدثه إلا من هو متهم بالزندقة في دينه كابن الراوندي، والفارابي، وابن سينا، وأمثالهم<sup>(٥)</sup>.

بل إن هؤلاء المخالفين أهل البدع إذا: «قصّد أحدهم القبر الذي يعظمه، يبكي

(١) المكاء: الصغير، وهو ما يخرج من مكاء الطائر، والتصديّة: كل صوت يجري مجرى الصدى. انظر: معاني القرآن للراغب ص ٢٨٢، ٤٧٣.

(٢) المجموع ١١/ ٥٦٨.

(٣) المجموع ١١/ ٥٦٩.

(٤) المجموع ١١/ ٥٣٢، وانظر: ٢٩٧/ ١١.

(٥) انظر: المجموع ١١/ ٥٧٠.

عنده، ويخضع، ويتضرع، ويدعو، ويحصل له من الرقة، والتواضع، والعبودية، وحضور القلب ما لا يحصل له مثله في الصلوات الخمس، والجمعة، وقيام الليل، وقراءة القرآن؛ فهل هذا الأمر إلا حال المشركين المبتدعين، لا الموحدين المخلصين المتبعين لكتاب الله تعالى، ورسوله.

ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم الأبيات يحصل له من الخضوع، والخشوع، والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله تعالى، فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين، ولا يخشع عند سماع المخلصين المتقين، بل إذا سمعوا آيات الله تعالى اشتغلوا عنها، وكرهوها، واستهزؤوا بها، وبمن يقرؤها، مما يحصل لهم به أعظم نصيب من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

وإذا سمعوا القرآن، سمعوه بقلوب لاهية، وألسنة لاغية، كأنهم صم وعمي، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم، وسكنت ألسنتهم، وسكنت حركاتهم، حتى لا يشرب العطشان منهم ماء»<sup>(١)</sup>.

ومنهم طوائف لهم مخاريق جنية شيطانية، تحصل لهم عند سماعهم لأناشيدهم الصوفية، ووجد تغيبهم عن حالتهم الإنسانية، ويدخل أحدهم النار، ويصعد في الهواء، ولا يحصل له أدنى خشوع عند الصلاة، ولا عند الذكر، و«لا عند قراءة القرآن؛ لأن هذه عبادات شرعية إيمانية، إسلامية، نبوية محمدية، تطرد الشياطين، وتلك عبادات بدعية شركية، شيطانية فلسفية، تجلب الشياطين»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأناشيد الصوفية، ذات الأصوات الندية، والألحان الشذية، تصد الناس عن القرآن، وتصدهم عن الرحمن، قديماً وحديثاً، يقول الشيخ الألباني رحمه الله: «إن بعض الشباب المسلم بدأ يتغنى ببعض الأناشيد، السليمة المعنى، قاصداً بذلك معارضة غناء الصوفية، بمثل قصائد البوصيري وغيره، وسجل ذلك في شريط، فلم

(١) الرد على البكري ٢/ ٥٧٥-٦٧٦.

(٢) المجموع ١١/ ٥٧٥.

يلبث إلا قليلا حتى قرن معه الضرب على الدف، ثم استعملوه في أول الأمر في حفلات الأعراس، على أساس أن (الدف) جائز فيها<sup>(١)</sup>، ثم شاع الشريط، واستنسخت منه نسخ، وانتشر استعماله في كثير من البيوت، وصار ذلك سلوهم وهجّيراهم، وما ذلك إلا من غلبة الهوى، والجهل بمكائد الشيطان، فصرفهم عن الاهتمام بالقرآن، وسماعه فضلا عن دراسته، وصار عندهم مهجورا<sup>(٢)</sup>.

ومما ينبغي التنبيه له، أن الأناشيد الصوفية التي كانت تسمى بمجالس الذكر!! - وهي مجالس الرقص - قد حذر منها العلماء الفضلاء، وبينوا بدعتها ومضارها في دين الله، فبدؤوا يسمون أناشيدهم بغير اسمها، ويسمون بها أناشيد إسلامية!!، وهل كان في الشرع أناشيد يتقرب بها إلى الله ﷻ، نعم من الدين الذب عن الإسلام بالشعر الذي ليس فيه الخنا، والشعر الذي ليس فيه صوت الدفوف والغناء، والشعر الذي ليس فيه أصوات تشبه أصوات المغنين.

أما هذه الأناشيد الموجودة اليوم في أسواق المسلمين مما رتب ترتيبا ملحنا: صوتا، وأداء، وتطريبا، فهذه تصد عن القرآن، فكم تجد شابا - مستقيما - يحفظ الأناشيد والأناشيد و...، ولا يحفظ إلا القليل من القرآن!!!<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله:

تلى الكتاب فأطرقوا لا خيفة      لكنه إطراق ساه لاهي  
وأُتي الغناء فكالذباب تراقصوا      والله ما رقصوا لأجل الله  
دف ومزمار ونعمة شاهد      فمتى رأيت عبادة بملاهي  
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا      تقييده بأوامر ونواهي<sup>(٤)</sup>.

(١) يعني للنساء خاصة.

(٢) القول المفيد في حكم الأناشيد لعصام المري ص ٢٨.

(٣) انظر: القول المفيد في حكم الأناشيد ص ٣١.

(٤) الكلام على مسألة السماع ص ٥٨، طبعة مكتبة السنة، تحقيق: ربيع خلف، والعجب من المحقق إذ غير

وأما استماع القرآن أو قراءته على ضرب الدف، ونحوه فكفر<sup>(١)</sup>؛ فكيف بمن يسجل ذلك من الخلف على أشرطة ويغنيه غناء؟!.

وتجد من المخالفين للسلف طائفة من أهل الكلام يطربون لعلومهم الكلامية، وفنونهم الجدلية، ولا يرفعون رأساً بكلام رب البرية، وإن استشهدوا ببعض آياته فذلك لكونها وافقت قواعدهم، أو لئلي أعناقها لتوافق مذاهبهم.

ويعتقدون بتكافؤ الأدلة - مع أن القرآن الكريم، فيه الشفاء من كل عي، والدواء لكل داء -، وأقوام منهم «يجهلون في قراءة القرآن، وحفظ حروفه، والإكثار من ختمه، ثم اعتقاده فيه، ما قد بيناه<sup>(٢)</sup> : اجتهدا روغان كالخوارج<sup>(٣)</sup>».

ف «كثير من الناس اتخذوا هواجس الأفكار، وسوانح الخواطر والآراء علماً!!، ووضعوا فيها الكتب، وأنفقوا فيها الأنفاس، فضيعوا فيها الزمان، وملؤوا بها الصحف مدادا، والقلوب سوادا، حتى صرح كثير من الناس منهم: أنه ليس في القرآن والسنة علم، وأن أدلتها لفظية لا تفيد يقيناً!!!، ولا علماً!!، وصرخ الشيطان بهذه الكلمة فيهم، وأذن بها بين أظهرهم، حتى أسمعها دانيهم لقاصيهم، فانسخت بها القلوب من العلم والإيمان، كانسلاخ الحية من قشرها، والثوب عن لابس<sup>(٤)</sup>»، فهذا حال هؤلاء المتكلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

اسم الكتاب: قطعه باسم: كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء، وقد يسوغ له هذا؛ لأنه أضاف إليه بعض الفتاوى، ولكن ما كان ينبغي أن يكتب على غلاف الكتاب: تأليف ابن قيم الجوزية، خصوصاً: أنه أثبت اسم الكتاب في المقدمة، وأن اسمه: الكلام على مسألة السماع.

(١) انظر: ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص ٢٧، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس، الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي ص ٢٢٣، ضمن الجامع لألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس، رسالة في ألفاظ الكفر لتاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد الحنفي، ص ٤٤٣، ضمن الجامع لألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد الخميس.

(٢) انظر: الفصل الأول، من هذا الباب.

(٣) بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٤٠٣.

(٤) الفوائد ص ١٤٤.

والشرك والبدع تتسرب إلى المسلمين إذا هجروا القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وتمسكوا بعبادات الآباء والأجداد، وتقاليدهم<sup>(١)</sup>.

وقد وقع المخالفون للسلف في أنواع هجر القرآن الكريم، وهي<sup>(٢)</sup>:

الأول: هجروا سماعه، فتراهم لا يسمعون إن انتسبوا إلى الدين إلا إلى الأناشيد الصوفية، والترانيم الصوتية، والحدا الذي هو شبيه بالتغبير، الصاد عن ذكر الله، ومنهم من لا يسمع إلا الأغاني، والموسيقى!!.

الثاني: هجروا العمل به، وتنفيذ أوامره، والانتها عن نواهيه.

الثالث: هجروا تحكيمه، والمحكمة إليه؛ فهم يتحاكمون إلى البراهين العقلية!!، دون الدلائل الثقلية! لأنها عندهم لا تفيد ألفاظها اليقين!!، ولا يحصل بها العلم!!، فبعضهم لا يحكمه في العقائد، وبعضهم لا يحكمه في الشرائع، وإنما يتحاكم إلى القوانين الوضعية، والتقاليد والعادات الموروثة البشرية، وزبالات الأفكار الإنسانية.

الرابع: هجروا تدبره، وفهمه، ومعرفة مراد الله ﷻ المتكلم به.

الخامس: هجر الاستشفاء، والتداوي به، ومنهم من قد يستشفي به، لكن على طريقة بدعية، كتعليق التائم المخلوطة بالألفاظ الشركية، أو كتابتها بشيء من النجاسات!!.

وكل هذا داخل تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] فهذه الآية في سورة الفرقان فارقة بين السلف الصالحين، وتمسكهم بالقرآن، وبين المخالفين الهاجرين للقرآن، ومن كان فيه خصلة من الهجر، كان على قدر ذلك محروما.

وذكر ابن القيم رحمه الله مبينا حال المخالفين للسلف بطوائفهم المختلفة، وما

(١) انظر: رسالة التوحيد للعلامة إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ص ٦٢.

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم ص ١١٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣١٧، سبعون فتوى في احترام القرآن لعلي أبي لوز ص ١٦.

يجدونه من الحرج تجاه القرآن الكريم فيقول: « فإنه تارة يكون حرجاً من إنزاله، وكونه حقاً من عند الله، وتارة يكون من جهة المتكلم به...، وتارة يكون من جهة كفايته، وعدمها، وأنه لا يكفي العباد، بل هم محتاجون معه إلى المعقولات!!، والأقيسة، أو الآراء، أو السياسات!!، وتارة يكون من جهة دلالته، وما أريد به حقائقه المفهومة منه عند الخطاب، أو أريد به تأويلها، وإخراجها عن حقائقها إلى تأويلات مستكرهة مشتركة، وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق وإن كانت مرادة، فهي ثابتة في نفس الأمر، أو أوهم أنها مرادة لضرب من المصلحة!!.

فكل هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن، وهم يعلمون ذلك من نفوسهم، ويجدونه في صدورهم، ولا تجد مبتدعاً في دينه قط إلا وفي قلبه حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته»<sup>(١)</sup>.

وما يؤكد هذا الحرج الذي يجده بعض أهل البدع من القرآن الكريم، ما يجده بعضهم من الحرج من قراءة سورة "المسد"، ويزعم أن النبي ﷺ، يحزن ويعتم من قراءتها!!<sup>(٢)</sup> وكل طائفة من المخالفين تجد حرجاً من الأدلة والآيات التي تخالف مذهبها، وتنقض مضاجعها<sup>(٣)</sup>.

فإذا كانت العقيدة البدعية راسخة في قلوب أهلها، فكيف يستجيبون للقرآن الكريم بالعمل، أو باتخاذ حجة، أو بالتداوي به، أو بالتدبر فيه، وهم يعتقدون أنه تخيل أو تجهيل!!، كما هو عقيدة الفلاسفة من المخالفين للسلف<sup>(٤)</sup>.

(١) الفوائد ص ١١٢-١١٣.

(٢) انظر: السنن والمبتدعات للشقيري ص ٢١٤.

(٣) قال الشيخ ابن باز رحمه الله في إجابة على سائلة تقول: إن أختها نهتها عن قراءة سورة المسد، بحجة أن ذلك يؤذي النبي ﷺ، فقال الشيخ: « لا حرج في قراءة سورة تبت كغيرها من السور؛ فهي من جملة سور القرآن الكريم، وفيها بيان حال أبي لب، وما حكم الله عليه من الخسران، ودخول جهنم، هو وزوجته، لكفرهما بالله، وإيذائها رسول الله ﷺ، والله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿ فَأَقْرَأُوا مَا تيسر منهُ ﴾ [الزمل: ٢٠]...، والخلاصة أن الصواب معك أيتها السائلة، أما أختك فقد غلطت، وعليها التوبة إلى الله سبحانه، من قولها، وإنكارها؛ لأنها قالت قولاً باطلاً، وقالت على الله بغير علم» (فتاوى وتنبيهات ص ٥١٤).

(٤) انظر: الدرء ١٦/٥-١٧.

ويكون في المخالفين للسلف من يحفظ القرآن، ولكن حفظه إنما هو حفظ للحروف، دون تفقه في المعاني والأحكام<sup>(١)</sup>.

وقد يكون من المخالفين للسلف من يخشع للقرآن، ويخضع، بل ويميل إليه في الاتباع، ولو خالفت ما قعده من الابتداء، وذلك لما فيه من خصال الخير، وميل إلى السنة، أو في حال قربه إلى السنة، دون حال قربه إلى البدعة.

والمخالفون للسلف لهم قراءات للقرآن الكريم، ولكنها لا توافق ما شرعه رب العالمين، ولا ما جاء به محمد ﷺ خاتم النبيين، وأذكر بعض الصور التي بها يتقربون في قراءاتهم بالقرآن الكريم، دون موافقة للشرع الكريم، وهذه الصور كثيرة غير متناهية، لكون باب البدعة الحسنة مفتوحة عند القوم!!<sup>(٢)</sup>، ولكن أذكر بعض ما يدل على استيعاضهم عن الطرق الشرعية، ويدل على قراءتهم البدعية، ومنها:

١- قراءة السور منكسة، أو الآيات منكسة، وهذا «متفق على منعه، وذمه؛ لأنه يذهب بعض الإعجاز، ويزيل حكمة الترتيب»<sup>(٣)</sup>، «ومن الناس من يتعاطى هذا - أي تنكيس الآيات - في القرآن والشعر، ليدلل لسانه بذلك!!، ويقدر على الحفظ، وهذا حظره الله، ومنعه في القرآن؛ لأنه إفساد لسوره، ومخالفة لما قصد بها»<sup>(٤)</sup>، واستثنى السلف القراءة من السور القصار للصغار<sup>(٥)</sup>، ولو كانت على غير الترتيب المشهور في الأمصار، رغبة التحفيظ والتكرار، لا التعبد بالتنكيس كما يفعله الفجار<sup>(٦)</sup>.

٢- قراءة القرآن بصورة جماعية، كما يقرؤون الأناشيد الصوفية، والعجب أن بعضهم يستحبها<sup>(٧)</sup>، مع أنها لم ترد عن سيد البشرية، ولا عن الصحابة خير البرية،

(١) انظر: الحوادث والبدع للطوطوشي ص ٩٦-١٠١.

(٢) وتقسيم المبتدعات إلى بدعة حسنة وسيئة، في حد ذاتها بدعة، بل البدع في الدين كلها سيئة، ويجب إنكارها بقوة وحجة. انظر: المجموع ١/ ١٦٢، مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ٢٣٤.

(٣) المجموع للنووي ٢/ ١٨٩، التبيان للنووي ص ١٠٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٤.

(٥) انظر: التبيان للنووي ص ١٠٠.

(٦) انظر: الحوادث والبدع للطوطوشي ص ١٥٥.

(٧) انظر: المجموع ٢/ ١٨٩.

وإنما هي من البدع الغوية، ولو كان خيراً لسبقنا إليها السلف الصالح، فهم إلى كل خير سابقون، وعن كل شر مبتعدون، وقد: «أنكر عبد الرحمن بن عَرْزَب (١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه القراءة الجماعية، وقال: ما رأيت، ولا سمعت، وقد أدركتُ أصحاب رسول الله ﷺ (٢)، «يعني ما رأيت أحداً فعلها» (٣)، وقيل للإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أرأيت القوم يجتمعون؟ فيقرؤون جميعاً سورة واحدة، حتى يختموها؟ فأنكر ذلك وعابه، وقال: ليس هكذا كان يصنع الناس، إنما كان يقرأ الرجل على الآخر يعرضه» (٤)، وسئل الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عن قوم يجتمعون فيُدعون، ويقرؤون القرآن، ويذكرون الله، فما ترى فيهم؟! فقال: يقرأ في المصحف، ويذكر الله في نفسه، ويطلب حديث رسول الله ﷺ، قال له السائل: فأخ لي يعمل هذا، فأنهاه، قال: نعم، قلت: فإن لم يقبل، قال: بلى إن شاء الله؛ فإن هذا محدث، الاجتماع والذي تصف» (٥)، وقد يستدلون (٦) بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله تعالى، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»، فالجواب عن هذا من وجوه؛ الأول: أن الحديث فيه النص على التلاوة، ولا يمكن التلاوة مع خلط الأصوات، واختلاف النغمات. الثاني: أن المراد بالاجتماع أن يجتمع على شيخ، أو على قارئ، والاستماع إليه، هذا سنة، وهذا هو المراد (٧)، ويؤكد هذا المراد الوجه الثالث: أنه قد جاء تفسير هذا الاجتماع والمراد به؛ فلا ينبغي أن نقدم أفهامنا على تفسير النص للنص، [خرج النبي ﷺ على

(١) هو: عبد الرحمن بن عرزب (بتقديم المهمل على المعجمة)، الأشعري قبيلة، تابعي، أخرج له ابن ماجه. انظر: التقريب ص ٢٨٨.

(٢) ذكره النووي عن ابن أبي داود، ولم أجده في كتابه المصاحف، انظر: التبيان ص ١٠٣.

(٣) التبيان للنووي ص ١٠٣، ثم أوّلها!!

(٤) التبيان للنووي ص ١٠٤، ثم ادعى النووي أن هذا القول مخالف لعمل السلف!! مع أن الإمام مالكا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحكي أن ذلك لم يرد عن السلف.

(٥) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢٣٩/١.

(٦) كما استدلل به النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في التبيان على القراءة الجماعية!!، ص ١٠٢.

(٧) انظر: المجموع ٥٨/١١.



حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى، ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا، قال: الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة<sup>(١)</sup>. فهذا النص يؤكد أن القارئ والمتكلم كان واحدا منهم، لا أنهم كانوا يقرؤون بصورة جماعية، وبصوت جماعي، ويعضد هذا فهم السلف الصالح، فكان عمر رضي الله عنه يقول لأبي موسى رضي الله عنه: [يا أبا موسى! ذكرنا ربنا، فيقرأ، وهم يستمعون]<sup>(٢)</sup>. الرابع: أن المراد بذكر الله تعالى أعم مما فهمه المخالفون للسلف؛ فإن ذكر الله يدخل فيه العلم، وحلقات العلم، ولو جعل هذا الحديث في فضل حلق العلم لكان أولى<sup>(٣)</sup>، والتلاوة مطلقة يراد بها ما يتلى من الآيات لتبين معانيها، ولتفسير مراميها، وتطلق على ما يكون من تعلم التلاوة بعد الاستماع من القارئ، لا ما يكون من القراءة الجماعية<sup>(٤)</sup>.

٣- قراءتهم القرآن بالإدارة، وهي أن يقرأ واحد شيئا من القرآن، ثم يكمل الآخر، وهكذا، فهذا ذكره النووي رحمته الله، وقال: «لا بأس به»<sup>(٥)</sup>، ولم يثبت فيه عن السلف شيء، وكرهه طوائف من أهل العلم<sup>(٦)</sup>، أي إذا كان على سبيل ختم القرآن، أما إذا كان ذلك من المعلم كأن يقرأ الطالب الأول شيئا، ثم يبدأ الثاني وهكذا، فالأظهر أنه لا بأس به.

٤- من القراءات البدعية ما تكون في الأماكن المستقذرة شرعا وعرفا،

(١) رواه مسلم؛ كتاب الذكر والدعاء، ح (٢٧٠١)، عن معاوية رضي الله عنه.

(٢) روى الأثر الإمام عبد الرزاق في مصنفه ٤٨٦/٢ ح (٤١٧٩)، والدارمي في سننه ٣٤٧/٢ ح (٣٤٩٣)، وانظر: المجموع ٤٢٦/٣، ٥٨/١١.

(٣) وبهذا تعلم أن تبويب النووي له بباب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن هو الصواب، لا ما فهمه هو في التبيان من القراءة الجماعية؛ فإن هذه لا تعرف عن السلف، بل هي مشهورة في الخلف.

(٤) انظر: الحوادث والبدع للشقيري ص ١٥٢، البحث والاستقراء في بدع القراء لمحمد موسى نصر ص ٣٨.

(٥) التبيان ص ١٠٤، وانظر: المجموع له ١٨٩/٢.

(٦) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص ٣٩٣، الحوادث والبدع للطرطوشي ص ٩٥، ١٦١، الاعتصام للشاطبي ٢/٢٧، ٣١.

كالقراءة في الحمامات والخلاء، ونحوه<sup>(١)</sup>، فإن ذا لا يليق بكتاب الله، وكلامه، ونحو هذا ما يفعله بعض الخلف من قراءة للقرآن بالأسواق، والطرق؛ فإن هذه للتأكل بالقرآن<sup>(٢)</sup>، وفيه ابتذال القرآن، ولا يصغي إليه أحد، فلا يجوز<sup>(٣)</sup>، و«كثير من أقوال وأفعال يخرج مخرج الطاعات عند العامة، وهي مأثم عند العلماء، مثل القراءة في الأسواق»<sup>(٤)</sup>، وقال القرطبي رحمته الله: «ولا يقرأ في الأسواق، ولا في مواطن اللغو واللغو، ومجمع السفهاء»<sup>(٥)</sup>، والتأكل بالقرآن في أي مكان لا يجوز، قال رحمته الله: [اقرأوا القرآن، واعملوا به، ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به]<sup>(٦)</sup>. فكيف إذا ضُمنَّ إلى ذلك أن كان في مكان غير سائغ فيه القراءة شرعاً؟؟.

٥- «ومن البدع المنكرة في القراءة، ما يفعله جهلة المصلين بالناس في التراويح من قراءة سورة الأنعام، في الركعة الأخيرة في الليلة السابعة، معتقدين أنها مستحبة!!، فيَجْمَعُونَ أموراً منكراً: منها اعتقادها مستحبة. ومنها: إيهام العوام ذلك. ومنها: تطويل الركعة الثانية على الأولى، وإنما السنة تطويل الأولى على الثانية. ومنها: التطويل على المأمومين»<sup>(٧)</sup>.

٦- من البدع قراءة آية فيها سجدة في صبح يوم الجمعة غير سجدة التنزيل، قاصداً ذلك، والسنة قراءة "تنزيل السجدة" في الأولى، و"هل أتى" في

(١) انظر: التبيان للنووي ص ١١٤، شرح العمدة ١/ ٤٠٧.

(٢) انظر: كشف القناع ١/ ٤٣٣، الفواكه الدواني ٢/ ٣٣٦، البحث والاستقراء في بدع القراء لمحمد موسى نصر ص ١١.

(٣) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٠٥-١٠٩، مختصر الفتاوى المصرية ص ٢١١، معارج القبول ٢/ ٦٢٩، السنن والابتدعات للشقيري ص ٢١٥، بدع القراء ل بكر أبي زيد ص ٢٥، بدع المقابر والجنازات لعلي الطهطاوي ص ٢٨٠-٢٨٢.

(٤) كشف القناع ١/ ٤٣٣ نقلاً عن حنبل.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٤.

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده، ح (١٥٦١٤)، وغيره، عن عبد الرحمن بن شبل رحمته الله، وقال الألباني: «صحيح»، كما في صحيح الجامع (١١٧٩).

(٧) التبيان للنووي ص ١١٥، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٣/ ١٢١.

الثانية<sup>(١)</sup>، وقريب من هذا ما يفعله بعضهم من قراءة السجدة من سورة السجدة صبيحة الجمعة، ولا يختم السورة!!.

٧- قراءة قارئ القرآن يوم الجمعة قبل خروج الخطيب والناس يستمعون إليه؛ أو قراءة سورة الكهف على المصلين وهم ينتظرون الخطيب<sup>(٢)</sup>؛ فإن هذه بدعة شنيعة، لا يجوز العمل بها؛ وإن تواتر الناس عليها<sup>(٣)</sup>.

٨- قراءة الفاتحة عند عقد الزواج، أو بعد الانتهاء منه، أو حين إظهار القبول والإيجاب، فهذه كلها بدعة منكرة، يجب الابتعاد عنها؛ خصوصاً أن القرب سبيلها الاتباع لا الابتداع<sup>(٤)</sup>.

٩- ومن ذلك أنهم يستأجرون من يقرأ لموتاهم القرآن، ويهدون ثواب تلك القراءة لموتاهم<sup>(٥)</sup>، فهذا: «ليس بمشروع، ولا استحبه أحد من العلماء»<sup>(٦)</sup>، بل إن القاعدة هي: أنه لا يجوز الاستئجار على الطاعات<sup>(٧)(٨)</sup>.

(١) انظر: التبيان للنووي ص ١١٥.

(٢) انظر: معيد النعم وميد النعم للسبكي ص ١١٠.

(٣) انظر: الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص ١٧٧، السنن والمبتدعات للشقيري ص ١٧، ٤٩، بدع القراء ل بكر أبي زيد ص ٢٠، من فتاوى الأئمة الأعلام حول القرآن جمع عبد الكريم الدرويش ص ١٧٨-١٨١.

(٤) انظر: السنن والمبتدعات للشقيري ص ٢١٧.

(٥) ووضع المخالفون للسلف في ذلك أحاديث، وأوردوا ما لا يصح، انظر: المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٦) المجموع ٢٤ / ٣٠٠، وانظر: حاشية ابن عابدين ١١ / ٤.

(٧) انظر: حاشية ابن عابدين ١٨ / ٤.

(٨) وأما قراءة القرآن للأموات، وإهداء ثوابها لهم، فهذا محل نزاع بين أهل العلم، ولتحرير محل النزاع أقول: إن العلماء - رحمهم الله - اتفقوا على أن قراءة القرآن للميت على وجه الإجارة لا تصح، ولا يصل ثوابها إليه، وأنه لا يشرع قراءة شيء من القرآن على القبور، وأجمعوا على أنه لو قرئ القرآن ثم دُعي للموتى أن ذلك الدعاء يصل إليهم؛ لأنه من باب الدعاء، واختلفوا في وصول ثواب القراءة نفسها إذا كانت تطوعاً من غير مقابل، على قولين مشهورين:

القول الأول: أنه لا يصل إلى الميت ثواب القراءة، وهذا عليه الأكثرون، وهو المذهب عند المالكية والشافعية، وقول عند الحنفية، وعليه أكثر أصحاب مالك والشافعي - رحمهم الله - وقول لشيخ

الإسلام ابن تيمية، واستدلوا بما يأتي:

وأما قراءة القرآن للأموات، وإهداء ثوابها لهم، فهذا محل نزاع بين أهل العلم، ولتحرير محل النزاع أقول: إن العلماء - رحمهم الله - اتفقوا على أن قراءة القرآن للميت على وجه الإجارة لا تصح، ولا يصل ثوابها إليه، وأنه لا يشرع قراءة شيء من القرآن على القبور، وأجمعوا على أنه لو قرئ القرآن ثم دُعي للموتى أن ذلك الدعاء يصل إليهم؛ لأنه من باب الدعاء، واختلفوا في وصول ثواب القراءة نفسها إذا كانت تطوعاً من غير مقابل، على قولين مشهورين:

القول الأول: أنه لا يصل إلى الميت ثواب القراءة، وهذا عليه الأكثرون، وهو المذهب عند المالكية والشافعية، وقول عند الحنفية، وعليه أكثر أصحاب مالك والشافعي - رحمهم الله - وقول لشيخ الإسلام ابن تيمية، واستدلوا بما يأتي:

١- أن القراءة للأموات وإهداء ثوابها لهم، لم تثبت لا في آية ولا في حديث صحيح، ولا أثر عن صحابي بسند معتبر، وسبيل القرب التوقيف لا القياس والاجتهاد، والسلف «لم يكن لهم أوقاف على من يقرأ، ويهدي إلى الموتى، ولا كانوا يعرفون ذلك البتة...» (الروح لابن القيم ص ١٩٢)، قال الدردير من المالكية: «وكره قراءة شيء من القرآن عند الموت، وبعده، وعلى القبور؛ لأنه ليس من عمل السلف؛ وإنما كان من شأنهم الدعاء بالمغفرة، والرحمة، والاعتاظ» (الشرح الصغير ١/ ١٨)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: «ولم يكن من عادة السلف؛ إذا صلوا تطوعاً، أو صاموا تطوعاً، أو حجوا تطوعاً، أو قرؤوا القرآن يهدون ثواب ذلك إلى موتى المسلمين؛ فلا ينبغي العدول عن طريق السلف».

٢- أن القراءة عمل بدني، لو صح وصول ثوابها إليه لصحت الصلاة عن الغير.

٣- أنه دل عموم القرآن على أن الإنسان ينتفع بعمل نفسه، لا بعمل غيره، كما في قوله ﷻ: «وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» [النجم: ٣٩]، وهذا العموم لا يختص إلا فيما ورد به نص، وكذلك قوله ﷻ: «فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَجْزُورُ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» [يس: ٥٤].

٤- أن النبي ﷺ لما بين في أكثر من حديث الذي يصل إلى الميت لم يذكر قراءة القرآن.

٥- أن قراءة القرآن أسهل على النفس من الصدقة فلو كانت مشروعة لأرشد إليه ﷺ، خصوصاً أن كثيراً من أهل الميت لا يملك المال، ويستطيع أن يقرأ لميته، فلما لم يرشد إلى ذلك دل أنه غير مشروع.

٦- أرشد النبي ﷺ إلى الصلاة على الجنازة، والدعاء له، ولم يأت لا في حديث صحيح ولا ضعيف قراءة القرآن للميت، لا على قبره، ولا في غير ذلك.

٧- أن هذا لو كان مشروعاً لنقل كما نقل سائر الشريعة.

٨- أنه ﷺ أرشد إلى الدعاء للميت ولم يرشد إلى إهداء ثواب القراءة له، فدل ذلك على افتراقها.

٩- أن الإهداء إنما يكون لشيء يملكه الإنسان كالصدقة في المال، أما ثواب القراءة فلا يملكه الإنسان، بل ولا يدرى هل قبلت منه القراءة، أم لا؟، وهذا أمر غيبي فكيف يهديه؟.

١٠- أن إهداء الثواب فيه جواز الإيثار في القرب، ومعلوم أن السلف كرهوا الإيثار في القرب.

١١- أن هذا لو جاز لجاز إهداء ثواب الطاعات للأحياء، وهذه مفسدة كبيرة، فإن أرباب الجاه والأموال إذا فهموا ذلك، واستشعروه، وكلوا من يفعل ذلك عنهم، فتصير الطاعات معاوضات، وذلك يفضي إلى إسقاط العبادات.

القول الثاني: أن ثواب القراءة يصل إلى الميت مادام بالمجان، وهذا قد استجبه بعض أصحاب أحمد وأبي حنيفة، وهو قول لشيخ الإسلام ابن تيمية، وانتصر له ابن القيم في الروح، واستدل هؤلاء بما يأتي:

١- أن الثواب ملك له، وله أن يهدي كما يهدي ماله!! والجواب عن هذا: أن المال ملك حقيقي ثابت، وأما الثواب فهو ملك مأمول غير ثابت تملكه له، فلا يسوى بينهما.

٢- قالوا: ثبتت النيابة في عبادات غير مالية كالصوم، ولم يأت دليل على منع إهداء ثواب القراءة، فدل ذلك على جواز إهداءه كالصوم. والجواب عن هذا: أن الصوم جاء في الفرض، والتزاع في النفل معلوم بين السلف، ثم القياس في العبادات لا يصح، وأيضا إن الأصل في العبادات المنع حتى يأتي دليل على فعلها ومشروعيتها.

٣- قالوا: قد ثبت وصول ثواب الصوم والحج والدعاء والاستغفار، ولا خاصية تمنع من وصول ثواب القراءة!! والجواب: أن الخاصية هي: عدم الورد، وتسوية ما ورد بها فهم من النص لا يليق؛ لأن الأول شرع، والثاني مفهوم من الشرع قد يكون صوابا وقد يكون خطأ، ومعلوم أن الشرع لا يصح فيه القياس في العبادات، والأصل في العبادات وما يتقرب بها إلى الله ﷻ التوقيف، وهذا هو الفارق.

٤- لم يثبت عن واحد من السلف أنهم قالوا: اللهم ثواب هذا الصوم لفلان؛ لأنهم كانوا يكتمون أعمالهم، فكذلك القراءة لم تثبت عنهم لهذه العلة. والجواب: أن هذا غير سائغ إذ الصوم ثبت في السنة فلا حاجة إلى ثبوته عن السلف - لو قلنا بجواز وصول ثواب الصوم مطلقا - وأما القراءة فلم تثبت في السنة؛ فلذلك قلنا: هل قال بقولكم أحد من السلف؟؟ فقلتم: لا، فدل ذلك على أنه لم يصح، وأما أنهم كانوا يكتمون فهذا يستقيم لو جاءنا عن علماء السلف ما يدل عليه، ولو في باب التعليم، أما إنه لم يثبت ذلك لا تعليمًا، ولا نقلا للحال، فكيف يقال: إنه لم ينقل، وأيضا: إذا قيل بأنه لم ينقل لأنه خفي، لصحت دعوى كل مدع أن هذا فعله السلف ولم ينقل!! وأيضا: نُقل الدعاء والاستغفار، والحج والصدقة، فلم لم ينقل ثواب القراءة، أظهرون بعضا ويخفون بعضا؟؟

٥- قالوا: لم يُرد النبي ﷺ بإعلامهم أن الصوم والصدقة والحج تصل إلى الميت الاقتصار والحصر، وإنما أجاب على أسئلتهم الواقعة؛ فخرج منه ذلك مخرج الجواب. والجواب: أن هذا من أضعف ما يحتجون به، إذ النبي ﷺ سئل عن ماء البحر، فأجابهم وزاد لعلمه بحاجتهم إلى ذلك، فكيف يعلمهم بما يصح عن الأموات مما فيه مشاق على النفس كالصدقة، ولا يعلمهم ما هو يسير على الإنسان؟؟، وميسر لكل إنسان كالقراءة؟؟، ثم أيضا جاء الحصر في بعض ألفاظ الأحاديث، فدعوى العموم يحتاج إلى دليل.

وبهذا يتبين - للمنتصف - أن إهداء ثواب قراءة القرآن للأموات لا يصح، لا عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة رض، ولا عن السلف؛ والخير كل الخير في اتباع من سلف، ولا يعتر الإنسان بالقائلين، وعليه الاهتمام بالمنقول والتثبت في الناقلين. انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص ٣٩٣، الإقتضاء ٢/٧٤١ - ٧٤٤، المجموع ٢/١٤٣، ٢٤/٣٠٠، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٦٦، ٣١/٤١، الروح لابن القيم ص ١٥٩ -

١٠- القراءة الملحنة التي تطرب النفوس، وتخرجها عن التأمل في المعنى، والاستماع للصوت الظاهر في المبنى، الذي يقارب أصوات النغمات، ويكون كأصوات المغنين والمغنيات، فهذا هو التلحين، وهو الذي كرهه السلف - رحمهم الله -<sup>(١)</sup>، قال ابن قتيبة رحمته الله: «وكان القراء... يدخلون في القراءة من ألحان الغناء، والحداء، والرهبانية: فمنهم من كان يدس الشيء من ذلك دسا رقيقا، ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلكه»<sup>(٢)</sup>، ومن علامات التلحين أنه يلهي القلب عن التأمل في معاني الآيات، ويتمايل الجسم مع النغمات، حتى إن بعض المستمعين للقراءات الملحنة لتأثيره النشوة، فيدعو للشيخ بالزيادة، ويقول: زادك الله يا شيخ!! مع أنه كان يقرأ آية فيها ذكر العذاب، وذلك لعدم التأمل في الآيات<sup>(٣)</sup>، فلمخالفون للسلف - حتى في حالة استماعهم للقرآن الكريم - يفعلون أفعالا بعيدة عن السنة، مبتدعة في الشريعة، ومن ذلك قول بعضهم - والقارئ يقرأ - الله!! الله!! ونحو ذلك من الألفاظ التي تنبئ عن اهتمامهم بالأصوات، لا المعاني الدالة عليها الآيات<sup>(٤)</sup>، والواجب إعمال الجهد في تأدية كلام الله تعالى كما أنزل من غير تمطيط، ولا عجرفة، بل بلفظ بين

١٩٣، رد مجلة المنار على ابن القيم ضمن فتح البيان لصديق حسن خان ٨/ ٥٤-٨٠، فتاوى الدين الخالص للشيخ أمين الله البشاورى ١/ ١٣٣، ٢/ ١٤٣، من فتاوى الأئمة الأعلام حول القرآن جمع عبد الكريم الدرويش ص ٧٥-٧٨، فتوى الشيخ / محمود شلتوت، ص ٩٤-٩٥ فتوى العلامة / محمد خليل هراس، ضياء النور للشيخ محمد طاهر ص ٤٦.

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون ص ٧٦٢، وما روي أن الشافعي لم يكرهه؛ فإننا مراده رحمته الله، ما كان فيه حسن الصوت، دون التطريب الذي يكون بحسب الدرجات الموسيقية، والأوتار الصوتية. انظر: تلبيس إبليس ص ١٢٤، والقول المفيد في حكم الأناشيد ص ٣٥.

(٢) المعارف لابن قتيبة ص ٢٩٦، وانظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٢٤، وقد أخبرني أحد كبار القراء، أنه تعلم الدرجات الموسيقية حتى يستطيع أن يقرأ القرآن كما يريد!!، على حسب النغمات!!، وكان يتدرب على الأنغام الموسيقية حتى تمرسها، ثم أصبح يقرأ على القراءات المختلفة، فمرة يقلد هذا، ومرة يقلد هذا، بصوت وطرب!!.

(٣) انظر: اللمع في النهي عن البدع للتركيباني ١/ ٦٣-٦٦، الحوادث والبدع للطبرطوشي ص ٨٣-٨٩، البدع والنهي عنها لابن وضاح ص ٨٦، المدخل لابن الحاج ١/ ٧٨-٧٩، زاد المعاد لابن القيم ١/ ٤٨٢-٤٩٣.

(٤) انظر: السنن والمبتدعات للشقيري ص ٢٢٠، بدع القراء لبكر أبي زيد ص ٢٢.

واضح مرتل<sup>(١)</sup>.

١١ - ويدخل في القراءة الملحنة القراءة باللحون الأعجمية، فإنها بدعة غوية، وعن السنة قصية<sup>(٢)</sup>، وأما قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري عليه السلام: [لقد أوتيت زمماراً من زمامر آل داود]<sup>(٣)</sup>، فليس « المراد به التردد والتلحين؛ إنما معناه حسن الصوت، وأداء القراءة، والإبانة في مخارج الحروف، والنطق بها »<sup>(٤)</sup>.

١٢ - ومن قراءات المخالفين للسلف، ابتداء ما يصاحبهم حال القراءة من غشيان، وإغماء، وشهق ونحو ذلك؛ فإن الصحابة عليهم السلام كانوا من أتقى الناس، وكانوا من أصفى الناس لسماع القرآن، ولم يؤثر عنهم ذلك<sup>(٥)</sup>، قال الآجري رحمته الله في حديث العرياض بن سارية: [وعظنا رسول الله موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب...] قال: « ولم يقل صرخنا، ولا ضربنا صدورنا، كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان »<sup>(٦)</sup>، وقيل لأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه: [كيف

(١) انظر: معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص ١١٠.

(٢) انظر: المدخل لابن الحاج ٥٤/١، إغائة اللهفان لابن القيم ١٦٠-١٦٢، الإبداع في مضار الابتداء للشيخ على محفوظ ص ٧٣، بدع القراء لبكر أبي زيد ص ١٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب / حسن الصوت بالقرآن، ح (٥٠٤٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين....، ح (٧٩٣).

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٧٦٣.

(٥) وقد ذكر شيخ الإسلام رحمته الله أن الشهق والإغماء قد يكون بسبب تغليب جانب الخوف، ونسيان جانب الرجاء، والصحابة جمعوا بينهما فلم تحصل لهم مثل هذه الأمور، وهذا الجمع من شيخ الإسلام مسدد، من حيث بيان السبب، ولكن يرد عليه ما ورد أولاً من أنه لم يكن ذلك عند السلف، ولو كان بسبب تغليب الخوف؛ فإن ذلك يدل على نقص في المتابعة، وعدم الكمال في الجمع بين النصوص، من وعد ووعد، وهذه مخالفة لمنهج السلف الصالح، وذكر ابن القيم رحمته الله أنواع الشهق، ثم قال: « ويكل حال: فسبب الشهقة، قوة الوارد، وضعف المحل عن الاحتمال » (الفوائد ص ٢٦٧) ومهما يكن من شيء، فإن ذلك مخالف لهدى السلف الصالح الذين جمعوا بين الرغبة والرغبة، في سماعهم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

(٦) نقله ابن الجوزي في تليس إبليس ص ٢٨٨.

(٧) هي الصحابية الجليلة ذات النطاقين: أسماء بنت أبي بكر الصديق، وزوج الزبير بن العوام، أسلمت قديماً في مكة، وعاشت مئة سنة، روى لها أصحاب الكتب، توفيت سنة ثلاث أو أربع وسبعين. انظر: التقريب ص ٦٦١.

كان أصحاب رسول الله ﷺ عند قراءة القرآن؟! قالت: كانوا كما ذكرهم الله ﷻ، تدمع عيونهم، وتقشعر جلودهم. فقلت لها: إن ههنا رجالا إذا قرئ على أحدهم القرآن غُشي عليه!!، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!!<sup>(١)</sup>، و [مر ابن عمر ﷺ برجل ساقط من العراق، فقال: ما شأنه؟، فقالوا: إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا!!، فقال: والله إنا لنخشى الله ﷻ وما نسقط]<sup>(٢)</sup>، وقيل لعائشة ﷺ: [إن قوما إذا سمعوا القرآن صُعِقُوا، فقالت: إن القرآن أكرم أن يُنزف عنه عقول الرجال، ولكنه كما قال الله ﷻ: ﴿تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]<sup>(٣)</sup>، و «سُئِلَ أنس بن مالك ﷺ: عن القوم يقرأ عليهم القرآن، فيصعقون، فقال: ذلك فعل الخوارج»<sup>(٤)</sup>، و «سُئِلَ محمد بن سيرين ﷺ: عن الرجل يقرأ عنده القرآن فيصعق، فقال: ميعاد ما بيننا وبينه أن يجلس على حائط، ثم يُقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن وقع فهو كما قال!»<sup>(٥)</sup>، وما ثبت أن السلف الصالح ﷺ كان أحدهم يغشى عليه عند قراءة القرآن، فهذا إما أنه مكذوب عليه، أو ضعيف لا يصح<sup>(٦)</sup>، ثم لو صح عن بعض التابعين فليس فيه حجة، وإنما الحجة في كتاب الله ﷻ، وقد وصف المؤمنين بأنهم إذا سمعوا القرآن توجل قلوبهم، ويزدادون إيمانا، وتقشعر جلودهم، وتذرف عيونهم، ولم يذكر فيه الصعق، والإغماء، والغشيان، وكذلك سنة نبينا ﷺ والصحابة ﷺ، قال ابن الجوزي ﷺ: «وما كان في الصحابة من يجري له مثل هذا، ولا

(١) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨٨.

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١١١، وانظر: تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨٨.

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١١٢.

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١١٢.

(٥) هو التابعي الجليل: محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر ابن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابد كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، واشتهر بتفسير الرؤى، روى له أصحاب الكتب، توفي سنة ١١٠ هـ. انظر: التقريب ص ٤١٨.

(٦) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١١٢.

(٧) انظر: تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨٦.



التابعين»<sup>(١)</sup>، قال شيخ الإسلام: «ولا صعق لا هو، ولا أصحابه عند سماع القرآن، بل كانوا توجل قلوبهم، وتقشعر جلودهم، وتدمع عيونهم»<sup>(٢)</sup>.

١٣- ومن قراءاتهم التي يزعمون أنهم يتقربون بها إلى الله ﷻ، ما يفعلونه فيها يسمونه بـ"قراءة الترقيص"!!، حيث يقرؤون بالأنغام والتمطيط، ويرفعون أصواتهم بالقراءة في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول - احتفالاً واحتفاءً بالمولد!! -، وهذا كله في بيوت الله ﷻ، ومعلوم أن هذا لم يعهد عن السلف<sup>(٣)</sup>؛ وإنما انتشر في الخلف الذين لم يفهموا مقصود نزول القرآن الكريم، إن اعترفوا بنزوله، وأيقنوا أنه كلام الله ﷻ.

١٤- تعيين مكان معين للقراءة، لم يعينه الشارع، فهذا لا يشرع باتفاق العلماء<sup>(٤)</sup>، كمن يقرأ القرآن عند القبور، فهذا كرهه أبو حنيفة، ومالك، والإمام أحمد، وطوائف من السلف<sup>(٥)</sup>، ف«القراءة عند القبور مكروهة - أي كراهة تحريرية - عند أبي حنيفة، ومالك، وأحمد في رواية؛ لأنه محدث، لم ترد به السنة»<sup>(٦)</sup>، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] والمراد بالقلب: القلب الحي الذي يعقل عن الله<sup>(٧)</sup> كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا [يس: ٣٦-٣٧] أو عند افتتاح الأمور والدور، وما يكون من المناسبات والحبور، أو في المآتم وحين يحصل الشرور، فعزلوا القرآن الكريم عن حياة الناس إلا في مثل هذه المحافل: فرح، أو حزن، وفي كلتا الحالتين الناس عن معانيه منشغلون، إما

(١) تليس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨٦، وانظر: الشرح والإبانة لابن بطة ص ٣٦٣، بدع القراء لبكر أبي زيد ص ٢٣.

(٢) الجواب الصحيح ٦/ ٣٧٠.

(٣) انظر: الإبداع في مضار الابتداع ص ٢٧٢.

(٤) انظر: المجموع ٣١/ ٤١.

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ٢/ ٧٤١، المجموع ٣١/ ٤١-٤٢، الفتاوى الكبرى ١/ ٢٠٧، شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور لمرعي الحنبلي ص ٧٥.

(٦) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص ١١٠.

(٧) الفوائد لابن القيم ص ٧.

بسروهم، وإما بحزنهم، حتى أصبح ظنَّ بعض الساسة القرآن لا يعمل به - حتى من حيث القراءة - إلا في المناسبات، وأما التحاكم إليه، والاعتقاد بما فيه، والعمل بما يقتضيه، فقليل من يتنبه له منهم<sup>(١)</sup>.

١٥- تعلم القرآن والقراءات للمناسبات، وابتغاء الفانيات، مع أن من تعلم علماً مما يتبغى به وجه الله، ثم لم يخلص فيه، كان متوعداً أشد الوعيد؛ لأن هذا مخالف لنصوص الوحيين، ومجانِب لعمل الصحابة والتابعين، قال النبي ﷺ: [من تعلم علماً مما يتبغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف<sup>(٢)</sup> الجنة يوم القيامة]<sup>(٣)</sup>، فيجب «على حامل القرآن، وطالب العلم، أن يتقي الله في نفسه، ويخلص العمل لله؛ فإن كان تقدم له شيء مما يكره، فليبادر التوبة والإنابة، وليتدي الإخلاص في الطلب وعمله»<sup>(٤)</sup>، وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: [كيف أنتم إذا لبستم فتنة، يربو فيها الصغير، ويهرم الكبير، وتتخذ سنة مبتدعة يجري عليها الناس؛ فإذا غير منها شيء، قيل: قد غيرت السنة!!، قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟، قال: إذا كثر قراؤكم، وقل فقهاؤكم، وكثر أمراؤكم، وقل أماناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين]<sup>(٥)</sup>، قال القرطبي رحمه الله مبيناً التلحين والتمطيط الذي هو حرام: «إنما هو بترديد الأصوات، وكثرة الترجيعات؛ فإن زاد الأمر على ذلك، حتى لا يفهم معناه؛ فذلك حرام باتفاق، كما يفعل القراء بالديار المصرية، الذين يقرؤون أمام الملوك، والجناز، ويأخذون على ذلك الأجور، والجوائز، ضل سعيهم، وخاب عملهم؛ فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله، ويهونون على أنفسهم الاجترار على الله بأن يزيدوا في تنزيله، ما ليس فيه جهلاً بدينهم، ومروفاً عن سنة نبيهم، ورفضاً لسير الصالحين فيه من سلفهم،

(١) انظر: مجموعة رسائل الجامي ص ١١٥.

(٢) العرف: قال أبو داود: يعني ريجها. انظر: سنن أبي داود ٤/٤٨.

(٣) رواه أبو داود، كتاب العلم، باب/ في طلب العلم لغير الله، ح (٣٦٦٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الألباني: إسناده صحيح، كما في تعليقه على المشكاة، ح (٢٢٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/١٧.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٤٥٢، ح (٣٧١٥٦)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/١٧.

ونزوعا إلى ما زين لهم الشيطان من أعمالهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؛ فهم في غيهم يترددون، وبكتاب الله يتلاعبون؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون<sup>(١)</sup>.

١٦- وبعض هؤلاء يصدون الناس عن تفهم القرآن الكريم، ويقول: إن فهم القرآن صعب!! - مع أن الله يسره -، وفهمه لا يكون إلا للمجتهدين، وأما نحن فنقرأ كتب الفقه، وكتب الرقائق، والزهد والتصوف!!<sup>(٢)</sup>، والله ﷻ أخبر أنه جعله قرآنا عربيا، فبين أنه أنزله عربيا؛ لأن يعقلوا، والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه، قال ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، وذم الله من لم يفهم القرآن في أكثر من آية، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ ﷻ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦]، وقال: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، وذم من لم يكن حظه من القرآن إلا استماع الصوت دون فهم المعنى<sup>(٣)</sup>، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ ﷻ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(٤)</sup>.

١٧- القراءة بالقراءات الشاذة، والإقراء بها، فإن هذا مخالف لما أجمع عليه الصحابة من الاجتماع على مصحف عثمان ﷺ، ولأن القراءة لا تثبت إلا بالسند الصحيح، الموافق للرسم الصريح، ووجه من اللغة العربية ولو غير فصيح، وما كان على خلاف هذا فلا تجوز القراءة بها، ولا الإقراء بها<sup>(٥)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٥.

(٢) وهذا سمعته عن غير واحد من لا يلقون لاتباع السلف بالا، ونقله إلى غير واحد من الثقات، أناس معممون ينهون الناس عن الجلوس إلى دروس التفسير!!، ويقولون: نخاف عليك أن تكفر من دون أن تشعر!!.

(٣) انظر: المجموع ٨/ ١٥٨، الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص ٤٤.

(٤) سورة محمد، الآية ٢٣-٢٤.

(٥) انظر: تليس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، بيان زغل العلم والطلب للذهبي ص ٤-٥، بدع القراء للشيخ بكر أبي زيد ص ١٧.

١٨ - وقد تجد بعض أهل البدع يعظمون المصحف، ولكن بماذا يعظمونه؟؟  
بتحليلته بالذهب، ونحوها، مع أن هذا لم يكن معهودا عن السلف عليه السلام، فإذا كان  
التذهيب على وجه القربة فلا شك في بدعيته <sup>(١)</sup>.

وبهذا يظهر للمنصف أن المخالفين للسلف لم يكن حظهم في التبعد بالقرآن  
الكريم إلا القراءة، بل القراءة التي لا توافق السنة، ومن تعبداتهم بالقرآن الكريم  
التبرك به على وجه غير مشروع، وهذا ما يتبين لك في المبحث التالي.

(١) انظر: الحوادث والبدع للطوطوشي ص ١٥٥، الإبداع لعلي محفوظ ص ٧٢.

## المبحث الثاني: التعبد بالتبرك به

التبرك بالقرآن الكريم يكون بإظهار أوامره، وبيان آثاره على الإنسان قولاً وفعلاً، وذلك بالعمل بما فيه، والتحاكم إلى قضاياه، والاعتقاد بما فيه، ويكون التبرك بالقرآن من حيث الاستشفاء به، وهذا ما كان عليه السلف - رحمهم الله -<sup>(١)</sup>.

وأما الخلف فإنهم يتعبدون إلى الله ﷻ بالتبرك به ظاهراً، كأن يتمسح به أحدُهم، أو يضع المصحف أو شيئاً من القرآن على صدره رجاء البركة، أو على رأسه رجاء الخير، وهذا كله لم يؤثر عن السلف الصالحين، فضلاً عن النبي الكريم ﷺ.

والمخالفون إذا قرؤوا أو درسوا القرآن فإنما هي مدارس للبركة، قال ابن القيم رحمه الله: «ولقد أخبرني بعض أصحابنا عن بعض أتباع تلاميذ هؤلاء أنه رآه يشتغل في بعض كتبهم، ولم يحفظ القرآن، فقال له: لو حفظت القرآن أولاً كان أولى، فقال: وهل في القرآن علم!!، قال ابن القيم: وقال لي بعض أئمة هؤلاء: إنما نسمع الحديث لأجل البركة لا لنستفيد منه العلم!!»<sup>(٢)</sup>.

فغالب المخالفين للسلف من مسلمة اليوم «قد اكتفوا من القرآن بألفاظ يرددونها، وأنغام يلحنونها، في المآتم، والمقابر، والدور، وبمصاحف يحملونها، أو يودعونها تركة في البيوت، ونسوا أن بركة القرآن العظمى؛ إنما هي في تدبره، وتفهمه، وفي الجلوس إليه، والاستفادة من هديه، وآدابه، ثم في الوقوف عند أوامره، ومراضيه،

(١) انظر: الفصل الثالث، من الباب الأول.

(٢) الفوائد ص ١٤٤، ولقد أخبرني والدي رحمه الله أنه حضر دورة للحديث في كابل ورأى أنّ هؤلاء إذا مرّوا على الأحاديث التي تخالف معتقدهم أو مذهبهم قالوا: هذه للبركة!!.

والبعد عن مساخطه، ونواهيه»<sup>(١)</sup>.

وصور تبرك المخالفين بالقرآن الكريم كثيرة، والبدع فيها غير محصورة، ومنها:

١- جعلهم القرآن الكريم، كلام رب العالمين، بدلا عن الكلام، مع أن هذا نهى عنه السلف، قال إبراهيم النخعي رحمه الله: «كانوا يكرهون أن يتلوا الآية عند شيء يعرض من أمر الدنيا»<sup>(٢)</sup>، قال أبو عبيد رحمه الله: «وهذا كالرجل يريد لقاء صاحبه، أو يهيم بالحاجة فتأتيه من غير طلب، فيقول كالمأزح: جئت على قدر يا موسى! وهذا من الاستخفاف بالقرآن، ومنه قول ابن شهاب رحمه الله: «لا تُناظر بكتاب الله، ولا بسنة رسول الله ﷺ»، قال أبو عبيد: لا تجعل لهما نظيرا من القول، ولا الفعل»<sup>(٣)</sup>، فالسلف منعوا الاستشهاد بالقرآن على غير المراد الذي من أجله أنزل، وإيراده اقتباسا أو أساسا على الوجه الذي نزل هو المقصود<sup>(٤)</sup>، قال ابن عقيل رحمه الله: «كان أبو إسحاق الخراز<sup>(٥)</sup> صالحا، وهو أول من لقنني كتاب الله، وكان من عاداته الإمساك عن الكلام، في شهر رمضان؛ فكان يخاطب بأي القرآن، فيما يعرض إليه من الحوائج، فيقول في إذنه: ادخلوا عليهم الباب، ويقول لابنه في عشية الصوم: من بقلها وقثائها، أمرا له أن يشتري البقل، فقلت له: هذا الذي تعتقده عبادة هو معصية، فصعب عليه؛ فقلت: إن هذا القرآن العزيز أنزل في بيان أحكام شرعية؛ فلا يستعمل في أغراض دنيوية، وما هذا إلا بمثابة صر السدر<sup>(٦)</sup>، والأشنان في ورق المصحف، أو توسدك له، فهجرني ولم يصغ إلى الحجة!!!»، قال ابن الجوزي قبله: «ومن تلييس إبليس على قوم من الزهاد

(١) مناهل العرفان ٢/ ١٠-١١.

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٥٨، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/ ١٥، وانظر: التبيان للنووي ص ١١٨.

(٣) هو الحافظ الفقيه: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر، متفق على جلالته، وإتقانه، روى له أصحاب الكتب، مات سنة ١٢٥ هـ. انظر: التقريب ص ٤٤٠.

(٤) فضائل القرآن ص ٥٩.

(٥) انظر: كشف القناع ١/ ٤٣٤، سبعون فتوى في احترام القرآن لعلي أبي لوز ص ٨١ وما بعدها.

(٦) لم أعرفه.

(٧) المعنى: ربط أوراق السدر في المصحف، وفي الأصل (صك) ولم أجده في مادة (ص، ر، ك)، فلعله تصحيف من الصرة، وهو الربط - والله تعالى أعلم -.

الذي دخل عليهم فيه من قلة العلم، أنهم يعملون، بواقعاتهم، ولا يلتفتون إلى قول الفقيه»<sup>(١)</sup>، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وليس لأحد استعمال القرآن لغير ما أنزله الله له»<sup>(٢)</sup>، وبذلك فسر العلماء الحديث المأثور<sup>(٣)</sup> [لا يناظر بكتاب الله] أي: لا يجعل له نظير يذكر معه، كقول القائل لمن قدم لحاجة "لقد جئت على قدر يا موسى"، وقوله عند الخصومة "متى هذا الوعد"... ثم إن خرجه مخرج الاستخفاف بالقرآن والاستهزاء به كفر صاحبه، وأما إن تلا الآية عند الحكم الذي أنزلت له، أو ما يناسبه من الأحكام فحسن...»<sup>(٤)</sup>، قال في البحر الرائق في بيان ما يكفر به الرجل: «وبالمزاح بالقرآن، كقوله: التفت الساق بالساق، أو ملأ قدحا، وجاء به، وقال: كأسا دهاقا، أو قال عند الكيل أو الوزن: وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون»<sup>(٥)</sup>، وقال في الفروع: «ولا يجوز أن يجعل القرآن بدلا من الكلام، ذكره ابن عقيل، وتبعه صاحب المغني، والمحرم؛ لأنه استعمال له في غير ما هو له، كتوسد المصحف، أو الوزن به...، وذكر شيخنا<sup>(٦)</sup>: إن قرأ عند الحكم الذي أنزل له، أو ما يناسبه، ونحوه فحسن...، كقوله إذا هم وحزن: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله»<sup>(٧)</sup>، فهذا تفصيل بديع، وهو التفريق بين سياق الآية لما أنزل، وذكرها لذلك، فهذا يسمى استشهدادا، واستئناسا، وبين ذكر الآية من دون مناسبة قريبة ظاهرة، فهذا جعل للقرآن بدلا عن الكلام، ويفرق بينهما في النية أيضا.

٢- ومما يتعبد به المخالفون للسلف، وزعموا أنه من باب التبرك، كتابة شيء من القرآن الكريم على الحيطان والثيراب<sup>(٨)</sup>، وهو لم يرد عن

(١) تلبس إبليس ص ١٧٦-١٧٧، وانظر: الفتاوى الكبرى ١/ ٢٠٨، المجموع ٢٣/ ٦٦.

(٢) وبهذا يعلم أن استعمال القرآن فيما أنزل له هو المقصود، كأن ترى مسلما مسرفا على نفسه، فتقول له: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله»، وهكذا، فهذا استعمال للقرآن فيما أنزل له.

(٣) هو مأثور من قول ابن شهاب، كما سبق ص ٥٠٠.

(٤) مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٧٨.

(٥) ١٣١/ ٥.

(٦) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٧) انظر: الفروع لابن مفلح ٣/ ١٤٤.

(٨) انظر: السير ٩/ ١٨٤.

السلف<sup>(١)</sup>، ومعلوم أن « من انتفع بالقرآن فيما أنزل من أجله؛ فهو على بينة من ربه، وهدى وبصيرة، ومن كتبه على الجدران، أو على خرق تعلق عليها، ونحو ذلك زينة، أو حرزا، وصيانة للسكان، والأثاث، وسائر المتاع، فقد انحرف بكتاب الله، أو بآية، أو بسورة منه عن جادة الهدى، وحاد عن الطريق السوي، والصراط المستقيم، وابتدع في الدين، ما لم يأذن به الله، ولا رسوله ﷺ قولا، أو عملا، ولا عمل به الخلفاء الراشدون، وسائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ولا أئمة الهدى في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بأنها خير القرون، ومع ذلك فقد عرض آيات القرآن، أو سوره للإهانة...، وجدير بالمسلم أن يعرى القرآن وآياته، والمحافظة على حرمة، ولا يعرضه لما قد يكون فيه امتهان له<sup>(٢)</sup>، وبعضهم قد يكتبه بشيء نجس زعما منه أنه أبلغ في التداوي!!، فيكتبه بدم الخيض، أو غيره!!!، ومعلوم أنه « لا تجوز كتابة القرآن بشيء نجس<sup>(٣)</sup>، ومن هذا كتابة القرآن على القبور، أو على الأرضحة؛ فإن هذه بدعة منكرة<sup>(٤)</sup> ».

٣- ومن التبرك غير المشروع ما يفعله بعض المخالفين من كتابة القرآن في الحروز ومعها شيء من الطلاسم، والحسابات، والمبتدعات<sup>(٥)</sup>، والتعاويذ، وتعليقه على الصبيان، والنساء، بل والدواب، وهذا كله زعم منهم أنه من باب التداوي<sup>(٦)</sup>، بل

(١) انظر: التبيان للنووي ص ١٥٨، ١٧٣، مختصر الفتاوى المصرية ص ٣١٨، الإتيان للسيوطي ١٧٠/٢، كشف القناع ١٣٧/١.

(٢) من فتاوى اللجنة الدائمة، فتوى رقم: (٢٠٧٨) موقعة من كل من: عبد الله بن قعود، عبد الله بن غديان، عبدالرزاق عفيفي، عبد العزيز بن باز: (رئيسا). وانظر: سبعون فتوى في احترام القرآن لعلي أبي لوز ص ٤٤.

(٣) التبيان للنووي ص ١٧٣، وانظر: كشف القناع ١٣٧/١، بل نقل عن ابن عقيل أن من كتب المصحف بشيء نجس وجب قتله.

(٤) انظر: اللمع لابن التركماني ٢١٥/١.

(٥) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي ٢٧٤/١، بل ومنهم من يزعم أن تحلية الحروز بالذهب جائزة؛ لأنها من القرآن، فهل هذا سبيل تعظيم شعائر الرحمن!! انظر: مواهب الجليل شرح مختصر خليل ١٢٦/١، وقد بين الشيخ ابن باز رحمه الله أن المعلقين للتائم إنما يريدون البركة والنفع؛ ولهذا يعلقون التائم. انظر: فتاوى وتنبهات ص ٢٥٣.

(٦) انظر: التبيان للنووي ص ١٥٩.



أرادوا التبرك غير المشروع، كما قال القرطبي: «لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله تعالى على أعناق المرضى على وجه التبرك بها!!»<sup>(١)</sup>، ومن هذا ما يفعله بعض الخلف في زماننا من وضعهم المصاحف في السيارات، دفعا لعين الحاقدين والحاقدات!! فهذا نوع تبرك به غير مشروع، وهو عمل لم يثبت عن السلف، وليس عليه دليل من الشرع<sup>(٢)</sup>، فوضع الآيات على الدواب فيه نوع إهانة، ثم الحروز والتائم

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٧/١٠، وقد نقلها عن الإمام مالك رحمه الله، ولم أجده عنه، والممنوع من التائم والحروز ما كان منها مخلوطا مع غير القرآن مما فيه تليس أو تدليس، وأما إذا كان من القرآن، فهذا فيه خلاف، والأظهر منعه، وقد ثبت عن إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي أنه قال: «كانوا يكرهون التائم كلها من القرآن وغيره» (فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٣١)، وقوله: يكرهون، قيل يرجع إلى أهل العراق تلامذة ابن مسعود، والذي يظهر أنه عام عن السلف رحمهم الله إذ لم يثبت عنهم خلاف ذلك، وتأكد لي هذا العموم لما وقفت على كلام الإمام الشوكاني رحمه الله حيث يقول: «وقد ورد ما يدل على عدم جواز تعليق التائم، فلا يقوم بقول عبد الله بن عمرو حجة»، وذلك لأنه لم يثبت هذا القول عن ابن عمرو رحمه الله وأكد عموم خبر النخعي العلامة الشيخ الألباني رحمه الله، وأما حديث ابن عمرو فروي مرفوعا، وفيه: [أعوذ بكلمات الله التامة، من غضبه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون، وكان عبد الله ابن عمرو: يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل، كتبه فعلقه عليه] (رواه أبو داود، ح ٣٨٩٣) والترمذي ح (٣٥١٩)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ٧٦٥ المرفوع دون الموقوف)، قال الشيخ الألباني: «لم يصح إسناده إلى ابن عمرو؛ لأن فيه محمد بن إسحاق وهو مدلس، وقد عنعنه؛ فلا يجوز الاحتجاج به على جواز تعليق التائم من القرآن؛ لعدم ثبوت ذلك عن ابن عمرو»، ثم بين الشيخ أن المرفوع منه له شاهد عند ابن السني، والموقوف ليس له شاهد، ولعل النسائي تعمد حذفه لنكارتة، وفي قول الترمذي: حسن غريب، إشارة منه إلى ضعف إسناده. (انظر: الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الشيخ الألباني ص ٨٤-٨٥). وانظر: فتاوى الدين الخالص ٦١/١، قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «القول الثاني: أنها لا تجوز، وهذا هو المعروف عن عبد الله بن مسعود، وحذيفة رضي الله عنه، وجماعة من السلف، والخلف، قالوا: لا يجوز تعليقها، ولو كانت من القرآن، سدا للذريعة، وحسما لمادة الشرك، وعملا بالعموم؛ لأن الأحاديث المانعة من التائم أحاديث عامة، لم تستثن شيئا، والواجب: الأخذ بالعموم؛ فلا يجوز شيء من التائم أصلا؛ لأن ذلك يفضي إلى تعليق غيرها، والتباس الأمر، فوجب المنع، وهذا هو الصواب لظهور دليله؛ فلو أجزنا التيممة من القرآن، ومن الدعوات الطيبة، لافتتح الباب، وصار كل واحد يعلق ما شاء؛ فإذا أنكر عليه، قال: هذا من القرآن!!، أو هذه من الدعوات الطيبة، فينتح الباب، ويتسع الخرق، وتلبس التائم كلها، وهناك علة ثالثة وهي: أنها قد يدخل بها الخلاء، ومواضع القدر، ومعلوم أن كلام الله ينزه عن ذلك، ولا يليق أن يدخل بها الخلاء» (فتاوى وتنبيهات، ص ٢١٤، وانظر: ص ٢٧٣).

(٢) وقد أفتى الشيخ محمد ابن عثيمين رحمه الله: «أن وضع المصحف في السيارة، لدفع العين لا يجوز»، وانظر: السنن والمبتدعات للشقيري ص ٢١٥، ٣٣١.

من القرآن يخلط بالشرك!!، فيجعل القرآن تليسا، والمقصود الشرك تأسيسا، بل ربما كان فيها نوع استعانة بالجن<sup>(١)</sup>، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وعامة ما يقوله أهل العزائم فيه شرك، وقد يقرؤون مع ذلك شيئا من القرآن، ويظهرونه، ويكتمون ما يقولونه من الشرك، وفي الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله ما يغني عن الشرك وأهله»<sup>(٢)</sup>. وقريب من هذا التبرك غير المشروع، ما يفعله بعض أهل البدع من كتابة القرآن على الأثواب، ولبس ذلك لإخراج الجن<sup>(٣)</sup>، أو يكون ذلك تبركا، ولعل هذا كان معروفا ولهذا ذكره في كشف القناع، فقال: «وهل يجوز مس ثوب رقم بالقرآن!!»<sup>(٤)</sup>، وهذا يدل أن هناك ثيابا كانت ترقم وتكتب فيها القرآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤- ومن ذلك قراءتهم - تبركا - القرآن على الميت!!<sup>(٥)</sup> فهذا تركه النبي ﷺ، وتركه الصحابة، مع قيام المقتضي للفعل، والشفقة للميت، وعدم المانع منه؛ فيقتضي أن ترك القراءة هو السنة، وفعله بدعة، وكيف يعقل أن يترك الرسول ﷺ وأصحابه شيئا نافعا لأمته يعود عليها بالرحمة، ويتركه الرسول ﷺ طول حياته، ولا يقرؤه على

(١) انظر: معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص ١١٧، التهامي في ميزان العقيدة د. علي نفع العلياني.

(٢) المجموع ٦١/١٩.

(٣) وقد سئل شيخنا العلامة عبد المحسن العباد - حفظه الله - عن هذا فقال: «هذا امتهان للقرآن، كيف يستر به العورة؟!، وهذا يعد من التهام».

(٤) كشف القناع ١/ ١٢٥.

(٥) انظر: التبيان للنووي ص ١٦٨، الدار الآخرة لدستغيب الرافضي ص ٢٣٢، وقد ذكروا في ذلك أحاديث موضوعة وضعيفة لا تصح، بل ووضع بعضهم في ذلك أحاديث باطلة، مثل ما يروى عن علي رضي الله عنه مرفوعا: [من مر على المقابر، وقرأ قل هو الله أحد، إحدى عشرة مرة، ثم وهب أجرها للأموات، أعطي من الأجر بعدد الأموات!!] (ذكره ابن عابدين في حاشيته ١٢/٤) بل وزعم ابن عابدين بعد ذكر بعض الأدلة العامة، ومثل هذه الأحاديث الموضوعة والضعيفة: أن النفع بعمل الغير بلغ مبلغ التواتر، قلت: إن كان يقصد الدعاء، والصدقة، فنعم، وأما إن كان يقصد قراءة القرآن، فلا؛ فإن الخلاف فيه مشهور، وعن العلماء مزبور، والصحيح منعه، والصواب عدم ثبوته، ومثل هذا ما ذكره الخلال عن مجالد عن الشعبي [أن الأنصار كانوا يقرؤون عند الميت القرآن] فهذا مرسل لأن الشعبي لم يدرك الصحابة رضي الله عنهم، ثم إن مجالدا ضعيف، ومثل هذه القصص كثيرة يذكرونها، ولا تصح، كما ذكرها ابن القيم في كتاب الروح. انظر: ص ١٧، وما بعدها، وانظر: حاشية ابن عابدين ٨٠/٣.

ميت ولو مرة واحدة؟؟؟ وزعموا أن في ذلك دليلاً<sup>(١)</sup>، وهو ما جاء مرفوعاً: [اقرأوا "يس" على موتاكم]<sup>(٢)</sup>، والجواب عن هذا من عدة أوجه: الأول: أنه ضعيف لا يصح؛ فإن الأئمة لم يقبلوا الحديث لضعف سنده<sup>(٣)</sup>. الثاني: أنه لو صح فإنه يحمل على ما فهمه السلف، قال ابن حبان رحمته الله: «أراد به من حضرته المنية، لا أن الميت يقرأ عليه»<sup>(٤)</sup>. الثالث: أن هذا - لو صح - فإنه مثل: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله"، وهو بالاتفاق حالة الاحتضار، لا بعده. الرابع: أن هذه القراءة - لو صحت فهي - للتخفيف على المحتضر، حتى يستبشر بالجنة، ويسهل عليه الفراق، وليخفف عنه بها، ولهذا قيل: إذا قرئت "يس" عند الميت خفف عنه بها<sup>(٥)</sup>. وأما ما ورد من قراءة سورة البقرة على الميت، فهذا لم يثبت قطعاً<sup>(٦)</sup>، فالتقرب إلى الله تعالى يكون بما شرع، لا بالبدعة والأمر المخترع، ولهذا عد العلماء المتبعون قراءة القرآن عند المقبور<sup>(٧)</sup>، وقراءة "يس" عند القبور من المبتدعات<sup>(٨)</sup>، وكذلك قراءة فاتحة الكتاب عند رأس الميت رجاء البركة، وقراءة الفاتحة وخاتمة البقرة عند رجلي الميت، يفعلونه ولا دليل عليه من آية أو حديث<sup>(٩)</sup>، ومن ذلك الختمة التي يسمونها ختم القرآن لروح الميت؛ فإن هذه

(١) وقد زعم ذلك المالكي في كتابه: خصائص القرآن ص ٨٢.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الجنائز، باب/ القراءة عند الميت، ح (٣١٢١)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، باب ما يقرأ عند الميت، ح (١٠٧٤)، وفي السنن الكبرى، باب/ ما يقرأ على الميت، ح (١٠٨٦٤) وغيرهما.

(٣) قال النووي: «إسناده ضعيف». انظر: التبيان ص ١٦٩، وقال الحافظ ابن حجر: «حديث غريب، وقد أعله ابن القطان بالاضطراب، وبالوقف، وقال الدارقطني: حديث ضعيف الإسناد، مجهول المتن، ولا يصح في الباب حديث». انظر: تلخيص الحبير ٢/ ١٠٤.

(٤) صحيح ابن حبان ٣/ ٥، التلخيص الحبير لابن حجر ٢/ ١٠٤، وانظر: حاشية ابن عابدين ٣/ ٨٠.

(٥) انظر: التلخيص الحبير ٢/ ١٠٤.

(٦) انظر: التبيان ص ١٦٩.

(٧) انظر: المدخل لابن الحاج ٣/ ٢٦٣، شرح الإحياء للزيدي ٢/ ٢٨٥، الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ص ٤٤، والعجب مما ذكره الذهبي في السير ١٨/ ٥٤٧، في ترجمة القشيري: أن الناس لزموا قبره مدة حتى قيل ختم على قبره عشرة آلاف ختمة!!!.

(٨) انظر: أحكام الجنائز للألباني ص ٢٥٩.

(٩) انظر: أحكام الجنائز للألباني ص ٢٥٤، وذكر الشيخ رحمته الله أن ما جاء عن ابن عمر أنه أمر بذلك، كما في

القراءة لم تثبت عن السلف عليه السلام <sup>(١)</sup>.

٥- أن المخالفين للسلف تركوا السنة الواردة في دعاء المقابر، وابتدعوا من عندهم أورادا وأذكارا، وقراءات للقرآن عند الزيارة، غير ما شرعه النبي المختار عليه السلام، وهذا يدل على بعدهم عن السنة، وتشوفهم للبدعة، فيقولون مثلاً عند زيارة شهداء أحد: «يقول: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، ويقرأ آية الكرسي، والإخلاص إحدى عشرة مرة!!، وسورة يس إن تيسر ويهدي ثواب ذلك لجميع شهداء أحد، ومن بجوارهم من المؤمنين»!!! <sup>(٢)</sup>.

٦- ومن ذلك تبركهم بتقبيل المصحف تعبدًا <sup>(٣)</sup>، وجوّزوا ذلك ظناً منهم أنه من التعظيم <sup>(٤)</sup>، وبعضهم يضعه على جبهته كمن يسجد على شيء، ومعلوم أن تعظيم شعائر الله يكون بما شرعه الله، واستدلّاهم بما روي عن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه: «أنه كان يضع المصحف على وجهه، ويقول كتاب ربي، كتاب ربي» <sup>(٥)</sup>. فهذا عنه أجوبة: الأول: أن هذا لم يثبت عن عكرمة فإن الحسن البصري أرسله عنه، فهو منقطع <sup>(٦)</sup>. الثاني: أنه - لو صح - ليس فيه ما يدل على التقبيل، وإنما كان يضعه على وجهه معظماً لكونه كلام الله تعالى. الثالث: أن المصحف كان معروفاً في عهد السلف، ولم يؤثر عنهم ذلك، وهم من أشد المعظمين لكلام الله تعالى، فدل ذلك على عدم مشروعيته، على وجه

= سنن البيهقي ضعيف لا يثبت عن ابن عمر رضي الله عنه، وانظر: زاد المعاد ١/ ٥٢٧، اللمع للتركاني ١/ ٢١٦.

(١) انظر: السنن والمنتدعات للشقيري ص ٣١٩، بدع القراء لمحمد موسى ص ١٣-١٤.

(٢) نور الإيضاح ورواح الأرواح ص ١٥٨.

(٣) انظر: ما كتبه حول هذه المسألة في كتابي إتحاف أهل القبلة بأحكام القبلة ص ٧٢، وما بعدها.

(٤) انظر: طبقات الشافعية للسبكي ١٠/ ٢٦٩، وقال: هو ثابت بالقياس!!، وهل العبادة تثبت بالقياس؟؟، وانظر: الفتح ٣/ ٥٥٥.

(٥) رواه الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب/ في تعاهد القرآن، ح (٣٣٥٠)، والحاكم في مستدركه ٣/ ٢٧٣.

(٦) كما قال الذهبي في تلخيصه، انظر: مستدرك الحاكم ٣/ ٢٧٣، وكذلك ما روي عن ابن أبي مليكة عن عكرمة فهو مرسل أيضاً؛ فإن ابن أبي مليكة لم يرى عكرمة، ولهذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٨٥) بعد أن ذكر هذا الأثر: «رواه الطبراني مرسلًا، ورجاله رجال الصحيح».

القريب<sup>(١)</sup> وقريب من هذا وضعهم المصحف على القبر<sup>(٢)</sup>، فإن هذا من البدع المنكرة، وليس هذا سبيل التبرك<sup>(٣)</sup>، أو وضع المصحف عند رأس المحتضر تبركا<sup>(٤)</sup>، قال الشيخ ابن باز رحمته الله معلقا على ما في الفتح: «الأحكام التي تنسب إلى الدين، لا بد من ثبوتها في نصوص الدين، وكل ما لم يكن في زمن التشريع، وفي نصوص التشريع؛ فهو مردود على من يزعمه، وتقدم قول الإمام الشافعي: ولكننا تتبع السنة فعلا وتركنا<sup>(٥)</sup>».

٧- إحصار القراء عند العزاء، ويقرؤون القرآن رجاء البركة للميت، وانتفاعه به، والقارئ همه المال، والمستمعون في شغل عن القرآن، ويرفعون الأصوات مع الخلان، ويخلطون ذلك بالغوغاء وشرب الدخان<sup>(٦)</sup>.

٨- ومن تبركاتهم البدعية بالآيات القرآنية، أو المصحف، أخذهم الفأل من المصحف، أو من الآيات، وذلك بفتح القرآن<sup>(٧)</sup>، ثم ينظر على ماذا يقع عينه، فيتفاءل

(١) انظر: الفواكه الدواني ١/ ٣٦٥، إتحاف أهل القبلة بأحكام القبلة، لكتاب هذه الأسطر ص ٧٢، من فتاوى الأئمة الأعلام حول القرآن جمع عبد الكريم الدرويش ص ٢٠٠.

(٢) انظر: تبين كذب المفتري لابن عساكر ص ٢٢٢، تاريخ بغداد ٥/ ٣٨٢ فإنها حكيا وضع المصحف على قبر القاضي أبي بكر الباقلاني الأشعري!!.

(٣) انظر: المجموع ٢٢/ ٣٠١، ٣٠٢، ٣١٧، الفتاوى الكبرى ١/ ٢٠٨، أحكام الجنائز للألباني ص ٢٦٢، بدع القراء لمحمد موسى ص ١٥-١٦.

(٤) انظر: بدع الجنائز للألباني ص ٢٤٣، بدع المقابر والجنائز لعلي الطهطاوي ص ١٤٤، البحث والاستقراء في بدع القراء لمحمد موسى نصر ص ١٥.

(٥) انظر: حاشية الفتح ٣/ ٥٥٥، الطبعة السلفية.

(٦) انظر: المدخل لابن الحاج ٣/ ٢٤٩، حاشية الشنواني على مختصر ابن أبي جرة ص ٢١١، الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ص ٢٣١، بدع المقابر والجنائز لعلي الطهطاوي ص ١٥١.

(٧) انظر: كشف الظنون ٢/ ١٢١٦، وذكر الخلاف في أخذ الفأل من المصحف، ثم قال: وقد روي عن الصحابة رضي الله عنهم، ولم أقف على ذلك، وتأكد لي عدم ثبوته من قول شيخ الإسلام وسبأني، ومن قول صديق حسن خان في أبجد العلوم ٢/ ٣٩٤، حيث قال: «والمعتمد عدم التفاؤل من كتاب الله، ولم يرو عن السلف، بطريق يعتمد عليها في هذا الباب، ولم يقل به أحد من أهل العلم بالحديث؛ وإذا كان فتح الفأل من التنزيل ممنوعا، فكيف بغيره من كتب الأنبياء والأولياء والمشايخ، وقد تسرب بهذا نوع من الشرك إلى عقائد المسلمين، أعاذنا الله منه»، وهذه بعض المواضع التي يبين كيف يتفاءل القوم بآيات القرآن، وكيف يفتحونه؟! فقد ذكر الحافظ ابن كثير الفأل في ترجمة العفيف التلمساني، فقال: «وقد ذكر والده أنه حين

بذلك، أو يتشاهم!!، ومعلوم أن القرآن الكريم ما أنزل لهذا، ولكن أهل البدع يتدعون في الدين ما يشتهون!!<sup>(١)</sup>، حتى إن أحدهم يريد أن يعرف مسألة عقدية، ليعرف حال فلان هل هو على السنة، أم لا؟ فيتبرك بالقرآن بأخذ الفأل منه!!، بدل أن ينظر إلى دلائله، ووضع عقيدة الرجل في ميزان الشرع، فهذا رجل يقول: إنه ذهب إلى قبر القاضي أبي بكر الباقلاني الأشعري فرأى مصحفا على القبر!! « وذلك بعد موته بشهر، فرفعت مصحفا، كان موضوعا على قبره، وقلت: اللهم بين لي في هذا المصحف حال القاضي أبي بكر!!، وما الذي آل إليه أمره!!!، ثم فتحت المصحف، فوجدت مكتوبا فيه: ﴿ قَالَ يَقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّنَ رَبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَتْلُو مَكْشُوهًا وَنُتِرَ لَهَا كَرِهُونَ ﴾ [هود: ٢٨] »<sup>(٢)</sup>، فعلى هذا الفأل البدعي يكون المخالفون للباقلاني من أهل الحديث والأثر كابن خزيمة وأبي إسحاق الشيرازي، ونحوهم هم المخاطبون بالآيات!!، أي أنهم ليسوا مسلمين!!، قال شيخ الإسلام رحمته الله: « وأما استفتاح الفأل في المصحف؛ فلم ينقل عن السلف فيه شيء....، وقد حرم الله الاستقسام بها - أي الأزلام - كالضرب بالحصا، والشعير، واللوح والخشب، والورق المكتوب عليه حروف أبجد، وآيات شعر، ونحو ذلك: منهى عنه؛ لأنها من أسباب الاستقسام بالأزلام »<sup>(٣)</sup>، وحكي عن ابن العربي المعافري المالكي


ولد له فتح المصحف يتفاهل!!!، فإذا قوله: الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق، فساه إسماعيل، ثم ولد له آخر، فساه إسحاق، وهذا من الاتفاق الحسن!!! (البداية والنهاية ١٣/ ٣٧٥، وانظر منه ١٣/ ٢٦٧)، وانظر: شذرات الذهب ٤/ ٣، التحفة اللطيفة ٢/ ٣٥٧، تاريخ بغداد ٨/ ٩٢، الكامل لابن الأثير ٤/ ٤٨٦، طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ٤/ ٥، أبجد العلوم ٢/ ٣٤٩.

(١) انظر: المدخل لابن الحاج ١/ ٢٧٨، وقد ذكر القرطبي أن أخذ الفأل من الكتب هو من الطيرة ٦/ ٢٨٥، الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص ٧٤، البحث والاستقراء في بدع القراء لمحمد موسى نصر ص ١٩.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٣٨٢، تبين كذب المفتري لابن عساكر ص ٢٢٢.

(٣) المجموع ٢٣/ ٦٦-٦٧، وانظر: مختصر الفتاوى المصرية ص ٢٦٦، وكذلك قال صاحب الفواكه الدواني ٢/ ٣٤٢: أن الفأل بالمصحف، نوع استقسام بالأزلام، ولأنه قد يخرج ما لا يريد فيتشاهم بالقرآن، انظر: حاشية العدوي ٢/ ٦٤٥.

تحريمه، وهكذا عن غيره<sup>(١)</sup>، وفي تصرفهم هذا « رجم بالغيب، وقد يصيبون، وقد يخطؤون، وهذا هو الشأن في الاستخارة، والكشف، ومن يبحث عن الفأل في المصحف، وبالعكس من ذلك: فإنه لا خطأ في الوحي »<sup>(٢)</sup>.

٩- تعليق الآيات القرآنية في البيوت، واتخاذها زينة، أو تبركا، أو كتابتها على الستور، أو اتخاذها رسوما فنية، فهذا كله لم يثبت عن السلف الصالح <sup>(٣)</sup>.

فالتبرك بالقرآن لا يكون بما يستحسنه العقل، ولا بما يقوله بعض الناس من دون دليل من النقل، وفي حقيقة الأمر هذا كله يدل على مخالفة الخلف للسلف، وهو في حد ذاته مخالفة للقرآن الكريم، الذي أمر باتباع السلف<sup>(٤)</sup>.

ومن مخالفات الخلف للسلف، مخالفتهم في إعجاز القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في الفصل الآتي.

(١) انظر: كشف القناع ١/١٣٧.

(٢) رسالة التوحيد للعلامة إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ص ٣٤، وكان غزوان بن غزوان الرقاشي التابعي الجليل يكثر القراءة من المصحف، وكانت له أم كبيرة جاهلية، فقالت له ذات يوم: يا غزوان أما تجد فيه بعيرا لنا ضل في الجاهلية، قال: فما كرهها، ولا انتهرها، قال: يا أمه، أجد، والله، فيه وعدا حسنا (الطبقات لابن سعد ٧/٢١٧) فهذا إذا صح، يدل على أن الفأل بالكتب كان معروفا في الجاهلية، وليس هو من سنن المسلمين النقية.

(٣) انظر: كشف القناع ١/١٣٧، ومنكرات البيوت لرائد ابن أبي علفة ص ٧١.

(٤) انظر: الفصل الثاني من الباب الثالث.





## الفصل الثالث

# قول الخلفاء في كونه القرآن آية لبنينا محمد ﷺ

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قول المعتزلة: بأن العرب صرفوا عن الإتيان

بمثله.

المبحث الثاني: صور الإعجاز عند المخالفين.



## المبحث الأول

## قول المعتزلة بأن العرب صرفوا عن الإتيان بمثله

ذكرت أن العقيدة السلفية في القرآن الكريم كلام رب البرية، أنه معجز للبشرية أن يأتوا بمثله على السوية، أو بعشر سور من مثله بليغة قوية، أو بسورة من مثله في إعجازه بصوره المختلفة الجليلة، وذلك لكون القرآن كلام الله ﷻ لا كلام أحد من البشرية.

وأما المعتزلة الغوية، التي اعتقدت خلق القرآن في كلام رب البرية؛ فإنها لا تعتقد الإعجاز، إلا على صورة المجاز، وهو أن القرآن ليس معجزاً في نفسه - وكيف يكون معجزاً في نفسه، وهم اعتقدوا أنه مخلوق كالمخلوقات!! -، وإنما إعجازه في كون الله ﷻ صرف البشر عن الإتيان بمثل القرآن من السور، وإلا فهم قادرون على الإتيان بمثله دون غرر!!.

وقولهم هذا يسمى بـ "الصرفة"، وهي: أن الله صرف الخلق عن الإتيان بمثله، مع قدرتهم على ذلك!!، وإنما لم تتوجه همهم إلى الإتيان، وإلا فهم قادرون على ذلك<sup>(١)</sup>. وبعض المعتزلة تقول: «تأليف القرآن، ونظمه معجز محال وقوعه منهم، كاستحالة إحياء الموتى منهم»<sup>(٢)</sup>.

ومن نقل القول بالصرفة، وأنه دليل على إعجاز القرآن، وأن ما سوى ذلك من الأدلة الدالة على الإعجاز فلا يدل على صدق النبي، إذ هو بمقدور البشر، ابن رشد،

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني ٥٣/١.

(٢) مقالات الإسلاميين ص ٢٢٥، الفرق بين الفرق ص ١٧٣.

فيقول: «وكان القرآن من جنس الأفعال المعتادة عنده إذ هو كلام، وإن كان يفضل جميع الكلام المصنوع؟ قال: إنما صار معجزا بالصرف، أعني بمنع الناس أن يأتوا بمثله، لا بكونه في الطور العالي من الفصاحة...، وقوم رأوا أنه معجز بنفسه لا بالصرف»<sup>(١)</sup> ثم رجح بعد أن معجزة الرسل في كونهم يأتون بالشرائع المستقيمة والأحكام السديدة، مما فيه سعادة البشر، ويدل لذلك أخبارهم الغيبية، وأفعالهم الحسنة السنية<sup>(٢)</sup>.

بل بالغ بعض المعتزلة كالنظام فأنكر أن يكون القرآن معجزا في عجب نظمه!!، بل ذلك للصرفة، وإنما معجزته في إخباره عن الغيوب!!<sup>(٣)</sup>.

والقرآن لا ريب في كونه معجزا، سواء على المعتقد الصحيح - الذي عليه السلف -، أو سلمنا بقول المعتزلة؛ فإن المقصود حصل، وهو إعجاز الخلق؛ حتى بالصرفة، وهذا جواب لكل منكر للإعجاز في القرآن؛ فإنه لم يأت أحد من فصحاء العرب، ولا من بلغاء الشرق والغرب بمثل القرآن، ولا يأتون بمثله ولو اجتمع له الإنس والجان، و«من أضعف الأقوال، قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي، مع تمام الموجب لها، أو بسلب القدرة التامة المعتادة، في مثله، سلبا عاما...، وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته، مع قيام المقتضي التام؛ فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل وهو: أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله؛ فامتناعهم جميعهم عن هذه المعارضة، مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة من أبلغ الآيات الخارقة للعادات»<sup>(٤)</sup>.

قال السمعاني رحمته الله: «ولا نقول كما قال بعض المبتدعة: إن نفس القرآن ليس

(١) مناهج الأدلة لابن رشد ص ١١٩.

(٢) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٢١-١٢٢.

(٣) مقالات الإسلاميين ص ٢٢٥، وذكر أبو يعلى الفراء في المعتمد ص ٢٧٦، أن النظام لا يرى حتى الإعجاز في إخباره بالغيب!!.

(٤) الجواب الصحيح ٤٢٨/٥.

بمعجز، وإن فصاحة بعض الفحول من شعراء الجاهلية لا تكون دون فصاحته، وإنما الإعجاز في القرآن: هو أن الله ﷻ منع الخلق عن الإتيان بمثله، مع قدرتهم عليه. وهذا قول باطل، وزعم كاذب»<sup>(١)</sup>.

فنحن نقول: لمن أنكر إعجاز القرآن: «إن كان هذا القرآن معجزا بنفسه، لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، ولا في قواهم معارضته؛ فقد حصل المدعى، وهو المطلوب، وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله، ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلا على أنه من عند الله؛ لصرفه إياهم عن معارضته، مع قدراتهم على ذلك، وهذه الطريقة؛ وإن لم تكن مرضية؛ لأن القرآن في نفسه معجز، لا يستطيع البشر معارضته، إلا أنها تصلح على سبيل التنزل، والمجادلة والمنافحة عن الحق»<sup>(٢)</sup>.

فقول المعتزلة أيضا يثبت به إعجاز القرآن الكريم، على وجه التسليم والتنزل للخصم، وأما الرد على القول بالصرقة، فبما يأتي:

١ - أن القول بالصرقة يعني أنه في حقيقة الأمر، لا فرق بين كلام الله، وكلام البشر!!! والحال أن الفرق بينهما ظاهر، سواء كلام البشر قبل المعارضة، أو بعد المعارضة، سواء ما كتبه البشر قبل المعارضة، أو بعد المعارضة، بل الفرق بين كلام الله، وكلام الرسول ﷺ، ظاهر لكل من له أدنى تدبر لللسنة<sup>(٣)</sup>؛ فكيف يقال: إنه يمكن الإتيان بمثل القرآن لقدرة البشر على ذلك، ولكن منعوا عنه!!، إذا أين كلامهم الذي يقارب القرآن - فضلا أن يماثله - قبل التحدي؟؟، وللعرب أشعار، وخطب، ونثر، وكذلك للعجم.

٢ - أن الناس من قريش ومن سواهم، ومن بعدهم يجدون الدواعي على المعارضة، ولكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة، لا لأنهم منعوا من الكلام،

(١) قواطع الأدلة ١/ ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٢، وانظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣٢٨.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٥/ ٤٣٠.

كما يمنع الرجل السوي<sup>(١)</sup>، ولم يقولوا: يا محمد!! نريد أن نعارض ما جئت به، ولكننا نمنع، ولا نستطيع بسحرك أن نتكلم؛ فهلا تركتنا لتحدى ما جئت به من الكلام!!؟، فدل هذا على أنهم تركوا المعارضة للعجز عن تحديه، لا للعجز عن القيام به.

٣- أن القول بالصرقة على مذهب المعتزلة مستحيل: إذ كيف يصرف العباد، ويعجزون عن المعارضة، وعن الكلام، أو عن كتابته، وهذه مفعولات للعبد غير مخلوقة لله ﷻ بزعمهم!!!، فأفعال العباد لا تدخل في مقدورات الرب عندهم!!، فإذا كانت لا تدخل في مقدورات الرب؛ فكيف منعهم من المعارضة، والله تعالى بزعمكم لا يقدر أن يخلق أفعال العباد!!!، وهذه وحدها تدلك على ضلال أهل البدع؛ فإن كلامهم ينقض بعضه بعضاً؛ فيلزمهم: إما أن يقولوا بالصرقة، ويتركوا قولهم بأن الله لا يقدر على خلق أفعال العباد، وأن الخالق لها هم العباد أنفسهم، دون إرادة الله!!!، أو يقولوا بهذا ويتركوا قولهم بالصرقة.

٤- أن القول بالصرقة يعني: أن المعجزات السابقة للأنبياء كانت أفضل من معجزة محمد ﷺ إذ خلق الله الناقة لصالح، والحية من العصا لموسى - عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام -، والقوم لم يقدرُوا عن الإتيان بمثل ذلك لا لكونهم صرفوا اتفاقاً، وإنما لعجزهم عن ذلك؛ فيكون على هذا قول المعتزلة أن معجزة نبينا محمد ﷺ دون معجزة الأنبياء السابقين<sup>(٢)</sup>، وقد قال ﷺ: [ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي ما على مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه إلي؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة].

٥- أن الإعجاز متعلق بسورة من القرآن، ولو كان الإعجاز متعلقاً بالصرقة لما كان في ذكر التحدي بالسورة من فائدة<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الجواب الصحيح ٥/ ٤٣٠.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ٥٣.

(٣) انظر: فتح البيان ١/ ٨٧.

٦- « أن المتأمل في نظم القرآن، وجزالته، وفصاحته، وعرضه على كل نظم عُرف من أساليب كلام العرب، وكل كلام فصيح عرف من كلامهم، ثم امتيازه عن الكل بروائه، وبهائه، وطلاوته، وحلاوته، وإغداقه، وإيقاعه، وإعجازه ظاهر لكل ذي لب من الناس لولا خذلان يلحق بعض القوم، ونسأل الله العصمة بمنه »<sup>(١)</sup>.

وهكذا كل فرقة ضلت وغوت في اعتقادها في كلام الله؛ فإنها تفضل فيما يترتب على ذلك من المسائل، وأبين في المبحث الآتي أقوال المخالفين للسلف في إعجاز القرآن الكريم، من غير القائلين بالصرفة.

(١) قواطع الأدلة ١/ ٣٥-٣٦.

### المبحث الثاني: صور الإعجاز عند المخالفين.

سبق أن بينت صور إعجاز القرآن الكريم عند السلف، وأنه بلفظه، ومعناه، وبتشريعه، وبيانه، وإخباره، وعلومه<sup>(١)</sup>.

وأما المخالفون للسلف؛ فكل ملة منهم له رأي في إعجاز القرآن الكريم، وذلك ناشئ عن خلافهم في حقيقة القرآن الكريم.

فيرى الصوفية المتفلسفة، أنه يمكنهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن!!، بل قالوا: إن النبي يأخذ من اللوح ونحن نأخذ عن الله مباشرة!!، قال: «عمرو بن عثمان<sup>(٢)</sup> كنت أماشيته - أي: الحلاج<sup>(٣)</sup> - يوما فقرأت شيئاً من القرآن؛ فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا!!!!»<sup>(٤)</sup>.

ومتفلسفة المسلمين يظنون أن القرآن ليس معجزاً بنفسه، ولا معجزاً لكونه كلام الله، بل لكون نفس النبي ﷺ قد صفت فجاء بسبب تصفية قلبه، وتصرف نفس النبي!!!، هذا الكلام الذي عجزت النفوس عن الإتيان بمثله!!!، وهذا القول بناء

(١) انظر: الفصل الخامس، من الباب الأول.

(٢) هو الزاهد: عمرو بن عثمان ابن كرب بن غصص، أبو عبد الله المكي، صاحب الخراز، وروى عن يونس بن عبد الأعلى، وكان من أئمة الفقه، ولي قضاء جدة، وكان ينكر على الحلاج ويذمه، توفي بعد الثلاث مئة. انظر: السير ٥٧/١٤.

(٣) هو الصوفي الكبير، صاحب المخاريق الشريفة: الحسين بن منصور بن محمي، أبو عبد الله الحلاج الفارسي، وجده محمي كان مجوسياً، صاحب الحسين التستري الصوفي، والجنيدي، وأكثر الترحال والأسفار والمجاهدة على الطريقة الصوفية، تبرأ منه الصوفية الذين عرفوا قوله في الحلول، وكان يميل إلى التشيع مع إظهار التصوف بلون معقول، قتل أيام المقتدر لزندقته، وذلك سنة ٣٠٩ هـ. انظر: السير ٣١٣/١٤.

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٩٨.



على أنه لا وحي ولا موحى؛ وإنما ذلك تخيلات في نفس النبي!!!<sup>(١)</sup>.

وذلك لأن الفلاسفة: «هم الذين قالوا: إن معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قوى نفسانية»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن سينا: «الذي يقع له هذا - إشارة إلى الوحي والإلهام - في جبلة النفس، ثم يكون خيرا رشيدا، مزكيا لنفسه، فهو ذو معجزة من الأنبياء، أو كرامة من الأولياء، وتزيده تزكيته لنفسه، في هذا المعنى زيادة على مقتضى جبلة؛ فيبلغ المبلغ الأقصى، والذي يقع له هذا ثم يكون شريرا، ويستعمله في الشر، فهو الساحر الخبيث»<sup>(٣)</sup>.

فلم يفرق بين المعجزة الدالة على صدق الأنبياء، وخوارق السحرة إلا بالنظر إلى دعاواهم!!!<sup>(٤)</sup>.

وقد وافق الرازي هؤلاء في بعض كتبه، يقول الرازي: «وخواص النبي كما ذكرنا ثلاث: أحدها: في قوته العاقلة...، وثانيها: في قوته المتخيلة...، وثالثها: أن تكون نفسه متصرفة في مادة هذا العالم!!! فيقلب العصا ثعبانا!!!، والماء دما يبرئ الأكهم والأبرص، إلى غير ذلك من المعجزات!!!»<sup>(٥)</sup>.

فالفلاسفة من المخالفين الذين قالوا بأن الملائكة لا حقيقة لهم<sup>(٦)</sup>، ومعلوم أن نزول الوحي، وإعجاز القرآن متوقفان على إثبات الملائكة عموما، وإثبات نزول جبريل خصوصا، وهم ينفون ذلك، فأين يكون كلام الله المعجز المتحدى به عندهم، ثم لو فرضنا أن هذا المتفلسف متم إلى أهل الإسلام المثبت للملائكة والوحي؛ فإن

(١) انظر: الصفدية ١/١٦٨.

(٢) الصفدية ١/١٢٨، وقد ذكر شيخ الإسلام ﷺ وجوها كثيرة في الرد على من زعم بأن المعجزات إنها هي من قبيل القوى النفسانية. انظر: الصفدية ١/١٨١ وما بعدها.

(٣) الإشارات لابن سينا ٤/٨٩٨-٨٩٩.

(٤) انظر: الرد عليه في الصفدية ١/١٧٩ وما بعدها.

(٥) انظر: المباحث المشرقية للرازي ٢/٥٥٦.

(٦) انظر: الدر النضيد لابن الحفيد ص ٣٤٧.

الوحي عنده هو: الفيض، الذي يكون بسبب نقاء وصفاء نفس النبي ليس إلا؛ فتفيض عليه المعارف الماضية والمستقبلية!!، ويكون الكلام كلامه؛ فكيف يكون حيثئذ معجزا!!، ولهذا قالوا: إنه معجز من حيث المعنى الذي جاء به النبي من التشريعات الحسنة، والمؤثرات الحميدة على النفس!!<sup>(١)</sup>.

ولهذا جعل الفيلسوف ابن سينا معجزات الأنبياء من قبيل خواص الأجسام التي تؤثر بقوة تخصه، فالمعجزات عنده من قبيل المؤثرات بسبب العناصر الموجودة فيها، لا أنها فيها خاصية الإعجاز، فيقولون: المعجزة مثل: جذب الحديد للمغناطيس!!<sup>(٢)</sup>.

وهذا فيلسوف فلاسفة المسلمين ابن رشد، يقول بأن معجزة الرسول ﷺ ليست في كونه جاء بهذا الكلام؛ فإن هذا لا منزلة فيه!!، فهو يرجح أن معجزة الأنبياء في كونهم يأتون بالشرائع المستقيمة، والأحكام السديدة، مما فيه سعادة البشر، ويدل لذلك أخبارهم الغريبة، وأفعالهم الحسنة السنية<sup>(٣)</sup>.

قلت: ولا يخفى أن هذا القول فيه حق وباطل، والحق أن ما ذكره دال على الإعجاز وصدق النبي، ولكن أن يكون هذا هو الشيء الوحيد الذي يدل على صدق النبي ﷺ، دون القرآن، وغيرها من المعجزات، فلا، وهذا القول من ابن رشد: يؤكد أنه مثل الفلاسفة لا يرى إلا أن ما جاء به الأنبياء هو التخيل، كما صرح هو في غير موضع بهذا، فإذا كان تخيلا؛ فيعني ذلك أنه لا حقيقة لهذه المعجزات في نفسها؛ وإنما هي من قبيل النيرنجيات<sup>(٤)</sup>؛ ولذلك قال: بأن ما جاؤوا به فيه صلاح البشر، وهو يعني أن التخيل فيه صلاح الجمهور!!، لا أن ما جاؤوا به معجزات في نفسها.

(١) انظر: النبوات ص ٢٦٠، ٢٧٤،

(٢) انظر: الصفدية ١/ ١٦٥.

(٣) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٢١-١٢٢، الفيلسوف المفترى عليه ص ١٤١.

(٤) نيرنجيات جمع نيرنج وهو: الدهاء والمكر، وأخذ كالشحر وليس به. انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٩٦٧.

ولهذا الفلاسفة «ظنوا أن هذه الخوارق من قوى النفس، قالوا: والفرق بين النبي والساحر، أن النبي يأمر بالخير، والساحر يأمر بالشر»<sup>(١)</sup>.

وأما المعتزلة فيرون القرآن الكريم معجزة لكون الله ﷻ صرف العباد عن الإتيان بمثله، وإلا فإن الخلق قادرون على الإتيان بمثله!! حتى زعم النظام: «أن نظم القرآن، وحسن تأليف كلماته، ليس بمعجزة للنبي ﷺ، ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة، وإنما وجه الدلالة منه على صدقه، ما فيه من الأخبار عن الغيوب؛ فأما نظم القرآن، وحسن تأليف آياته؛ فإن العباد قادرون على مثله، وعلى ما هو أحسن منه في النظم، والتأليف، وفي هذا عناد منه لقول الله ﷻ: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]»<sup>(٢)</sup>.

وكان راهب المعتزلة<sup>(٣)</sup> يقول أيضا: «بإبطال إعجاز القرآن من جهة الفصاحة والبلاغة»<sup>(٤)</sup>.

وأما الرافضة فإنهم وإن قالوا: إن القرآن معجز؛ فهذا ينقض قولهم: بزيادته ونقصانه؛ لأن من علامات إعجازه، صدقه في إخباره، وقد أخبر الله فيه أنه قد حفظه، وأما إن قالوا: بزيادته ونقصانه!!، فهذا تكذيب لإعجازه، ورد على آياته.

وكذلك القائلون بالكلام النفسي: يلزمهم أن القرآن ليس بمتحدى به، لأن الكلام النفسي لا يتحدى به<sup>(٥)</sup>، ولهذا صرح بعضهم بـ «أن الإعجاز مختص بنظمه

(١) النبوات ص ٣٣٩.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٠٣، ٢٦٦.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٥١. عيسى بن صبيح المعروف بأبى موسى (المردار) وكان يقال له (راهب) المعتزلة وهذا اللقب لائق به إن كان المراد به مأخوذا من رهبانية النصارى ولقبه بالمردار لائق به أيضا لأنه بالفارسية معناه العذرة، وهو في الجملة كما قيل، وقل ما أبصرت عينك من رجل إلا ومعناه إن فكرت في لقبه.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١، وانظر: الفرق بين الفرق ص ١٢٢، وانظر: المبحث الأول في هذا الفصل، قول المعتزلة بالصرقة.

(٥) انظر: الدر النضيد لابن الحفيد ص ١٥٦.

العربي دون معناه»<sup>(١)</sup>!!!.

بل إن أبا المعالي الجويني صرح بهذا فقال: «ثم اعلّموا أن المعجزة لها أوصاف، تتعين الإحاطة بها، منها: أن تكون فعلا لله؛ فلا يجوز أن تكون المعجزة صفة قديمة!!؛ إذ لا اختصاص للصفة القديمة ببعض المتحدين دون بعض، ولو كانت الصفة القديمة معجزة، لكان وجود الباري تعالى معجزا»<sup>(٢)</sup>.

وهذا كلام يدل على أن العقيدة السيئة تؤدي إلى القول السيئ، وإلا فإن الله ﷻ لم يقل للعباد حين تحداهم بكلامه أن يأتوا بكلام ليس بمخلوق، وإنما وقع التحدي من حيث النظم والترتيب، والتركيب، والمعاني، والبديع، لا مماثلة الكلام نفسه من حيث هو. ثم القول بأن المعجزة لا بد وأن تكون فعلا لله ﷻ دليل صريح في أنهم لا يرون الكلام النفسي، الذي أثبتوه في الخيال معجزا، وإنما المعجز عندهم النظم العربي - الذي ألفه عندهم جبريل، أو محمد عليهما السلام - دون المعنى!!.

وأیضا هذا يُنبئ عن قرب الأشاعرة للمعتزلة بطرق ملتوية؛ لأنه إذا كانت المعجزة لا بد أن تكون فعلا لله ﷻ، فهذا يعني أن الله صرف العباد - وهذا فعل لله - عن الإتيان بمثل لفظ ونظم القرآن، لا أنه في نفسه معجز!!!.

ومن بعض هؤلاء من يناقض القول السابق، فيزعم أن التحدي إنما هو في المعنى، لا في المبنى، بناء على قولهم بالكلام النفسي، الذي قالوا: هو المعنى، وأما الألفاظ الدالة عليه فلا يكون عندهم من معجزا!!!<sup>(٣)</sup>، قالوا: «فمن يقول: الإعجاز لا يتحقق إلا بالنظم؛ فهو لا يجد بدا من أن يقول بأن المعجز محدث!!، وهذا مما لا يجوز القول به»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: حواشي الشرواني ٤٤ / ٢.

(٢) الإرشاد للجويني ص ٢٦١، ٢٩٢.

(٣) انظر: أصول السرخسي ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(٤) أصول السرخسي ص ٢٨٢، وهذا القول هو الذي رجحه، وإن كان ذكر قول أهل السنة من أن القرآن

ولما كان خلافهم شديدا في المعجزات وحقيقتها، كان من كبارهم كالغزالي والرازي، من اعترف بأن المعجزات قد لا توصل إلى معرفة النبي !!؛ يقول الغزالي: « فإن وقع لك الشك في شخص معين أنه نبي أم لا؟ فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله، إما بالمشاهدة، أو بالتواتر، والتسامع.. فأكثر النظر في القرآن والأخبار يحصل لك العلم الضروري بكونه ﷺ على أعلى درجات النبوة، واعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات، وتأثيرها في تصفية القلوب...؛ فمن هذا القبيل اطلب اليقين بالنبوة، لا من قلب العصا ثعبانا، وشق القمر؛ فإن ذلك إذا نظرت إليه وحده؛ ولم تنظم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن حد الحصر، ربما ظننت أنه سحر، وأنه تخيل، وأنه من الله تعالى إضلال»<sup>(١)</sup>.

فقلوه: قريب من قول ابن رشد، وهو الاستدلال على النبوة بالأخلاق الحسنة، والتشريعات الصحيحة الطيبة، فهذا قد يرجع إلى ما ذكرته عن ابن رشد، وقد يرجع إلى مقصد حسن، وهو فتح طريق آخر للاستدلال على النبوة، ولكن يجب التأكيد على أن القرآن وجوه إعجازه أكثر من أن تعد، وأشمل من أن تحصر في هذا.

ولكن تأكدي أن هذا يرجع إلى قول الفلاسفة - على طريقة ابن رشد - لما وقفت على كلام شيخ الإسلام ﷺ، حيث قال: « ولكن النبوة التي علمها أبو حامد، هي النبوة التي تثبتها الفلاسفة، وهي من جنس المنامات، ولهذا استدل على جوازها بمبدأ الطب والهندسة، ونحو ذلك!! ».

وأمر النبوة أعظم من هذا بكثير، وتلك النبوة موجودة لخلق من الناس، ولهذا لا يوجد للنبوة عندهم ما تستحقه من التصديق والاحترام، ولا يعتمدون عليها في استفادة شيء من العلم الخبري، وهي الإنباء بالغيب، وهي خاصة النبوة.

= معجز لفظا ومعنى، ثم ذكر لما رجحه دليلا آخر، وهو: كيف يكون معجزا بلفظه، والعجم لا تفهمه؟ ومعلوم أن هذا لا يلزم؛ لأن أصحاب الفن من البلاغة إذا عجزوا فغيرهم أعجز، فعجزهم عجز لهم، كما هو معلوم، وإلا لصح أن يقال: إن عصا موسى ليس بحجة لأنه لم يعلم العوام مخالفته للسحر، وإنما الذي علم ذلك هم أهل الاختصاص، وهذا معلوم البطلان.

(١) انظر: المنقذ من الضلال ص ١٤٥ - ٥٠، وقرر مثل هذا الرازي في كتابه معالم أصول الدين ص ٩٣ - ٩٥.

والرازي كلامه في النبوة متردد بين نبوة الفلاسفة، ونبوة أصحابه هؤلاء<sup>(١)</sup>.

فالأخلاق الحسنة والدعاوى الطيبة وحدها لا تدل على النبوة، فكم من رجل في الدنيا كان على خلق مع الناس، وكان صاحب دعوة وله شأو، ولم يكن نبيا.

وكذلك أهل الكلام يقعون في خطأ آخر في باب المعجزات، وهو حصرهم معرفة النبي بالمعجزات، وهذا خطأ، إذ النبوة أمر يعرف بالمعجزات، والتشريعات، والنظر إلى أحوال النبي من حسن الأخلاق والمعاملات<sup>(٢)</sup>.

وبعض المخالفين للسلف من المتقدمين والمعاصرين قصرُوا معجزات نبينا محمد ﷺ في القرآن فحسب، ومعلوم أن هناك معجزات أخرى له ﷺ، فلا يجوز إنكارها<sup>(٣)</sup>.

وما يدل على خطأ المتكلمين في باب المعجزات: أنهم لم يفرقوا بينه وبين الخوارق الشيطانية إلا بكون النبوة معها الدعوى، وتلك خالية عن دعوى النبوة!!!<sup>(٤)</sup>، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وجنس السحر والكهانة متى اقترن به دعوى النبوة كان دليلا على النبوة عندهم، لكن قالوا: الساحر والكاهن لو ادّعى النبوة لكان يمتنع من ذلك، أو يعارضان بمثله، وأما الصالح فلا يدعي؛ فكان أصلهم: أن ما يأتي به النبي والساحر والكاهن، والولي من جنس واحد!!! لا يتميز بعضه عن بعض بوصف!!، لكن خاصة النبي اقتران الدعوى، والاستدلال، والتحدي بالمثل بما يأتي به، فلم يجعلوا لآيات الأنبياء خاصة تتميز بها عن السحر، والكهانة، وعمّا يكون لأحاد المؤمنين، ولم يجعلوا للنبي مزية على عموم النبي، ولا على السحرة، والكهان، من جهة الآيات التي يدل الله بها العباد على صدقه، وهذا افتراء عظيم على الأنبياء وآياتهم، وتسوية بين أفضل الخلق، بل تسوية بين ما يدل على النبوة، وما يدل على نقيضها!!!»<sup>(٥)</sup>.

(١) النبوات ص ٣٨٤.

(٢) انظر: الإرشاد للجويني ص ٢٧٣، ٢٧٨، شرح الأصبهانية ص ٤٧١، ٥٧٣، ٥٩١، ٦٠٩.

(٣) انظر: الإرشاد ص ٢٩٦، النبوات ص ٢٣٤، موقف العقل والعلم والعالم ١/ ٢٧، ٤٤/ ٤.

(٤) انظر: الإرشاد للجويني ص ٢٦٩-٢٧١، النبوات ص ١٩٨، ٢٣٥، ٢٤٠.

(٥) النبوات ص ٢٣٧-٢٣٨، وانظر منه: ص ٣٣٩.

وعلى هذا القول - أعني القول بأن الخارق للعادة مطلقا يدل على النبوة إذا كان معها دعوى النبوة - ف « المعجزة هي: مجموع دعوى الرسالة مع التحدي، فلا حاجة إلى كونه خارقا، ويجب إذا تحدى بالمثل أن يقول: فليأت بمثل القرآن من يدعي النبوة؛ فإن هذا هو المعجز عندهم، وإلا فالقرآن مجردا ليس بمعجز؛ فلا يطلب مثل القرآن إلا ممن يدعي النبوة »<sup>(١)</sup>.

فالقرآن معجز عند هؤلاء المتكلمين من الأشاعرة ومن وافقهم لكونه كان مصحوبا بالتحدي، لا في نفسه، وإنما لمجرد الدعوى المصحوبة معه، ثم يؤدي هذا إلى قول المعتزلة بالصرفة، حيث إن قول هؤلاء: أن من ادعى النبوة ومعه خارق للعادة، كأن يكون بليغا، ويريد أن يأتي بمثل القرآن؛ فإن الله يمنعه، وينسيه البلاغة، وهذا هو الصرفة؛ لأنهم قالوا في التفريق بين خوارق السحرة، وخوارق الأنبياء؛ أن الفارق هو الدعوى، فالساحر لا يدعي النبوة، ولو ادعى فإن الله سيسلبه السحر!!!<sup>(٢)</sup>.

فعلى قول الأشعرية والماتريدية لا يستقيم دعوى الإعجاز؛ لأن الله عندهم يجوز له أن يصدق الكاذب، ويكذب الصادق، « فيجوزون أن يأمر الله بكل شيء، وأن ينهى عن كل شيء؛ فلا يبقى فرق بين النبي الصادق، والمتنبي الكاذب »<sup>(٣)</sup>.

ويستدل بعضهم على كون القرآن معجزة بكونه حجة، كما يقول الباقلاني مستدلا على إعجاز القرآن الكريم بكونه هداية للناس: « فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة، ولا تكون حجة إن لم تكن معجزة!! »، ويقول بعد آية استجارة المشرك: « فلو لا أن سماعه إياه حجة عليه لم يوقف أمره على سماعه، ولا يكون حجة إلا وهو معجزة »<sup>(٤)</sup>.

(١) النبوات ص ٧٣، وانظر منه ص ٢٠٠.

(٢) انظر: النبوات ص ٧٣.

(٣) النبوات ص ٢٤٠، وانظر: منه ص ٣٢٠.

(٤) إعجاز القرآن ص ٢٨.

ورحم الله القاضي إذ لو عكس القضية لكان أثبت، فهذه الأحاديث النبوية حجة، ومعلوم أنها مع حجيتها ليست معجزة، ولا متحدى بها، وكذلك إجماع الصحابة حجة، بل كل إجماع صحيح حجة، وليس بمعجزة، فالصحيح أن يقال: كل معجزة حجة على الخلق، ولا عكس - والله تعالى أعلم -.

بل وربما عدّ المخالفون للسلف معجزات اخترعوها، أو ذكروها في غير بابها، أنها أشمل من معجزة القرآن!!!، يقول مصطفى صبري - شيخ الإسلام في الدولة العثمانية - عن صديقه الكوثري الجهمي البغض: «إن صديقي الشيخ زاهد أبقاه الله للإسلام!!، وعلمائه، غواص منقطع النظر في البحرين المحيطين اللذين هما: علم الحديث، والفقه، والذين امتاز بهما الإسلام على جميع الأديان، وعلماءه على علمائها في ضبط وتحقيق الحقائق الدينية؛ فأصبحا: أي العلماء وعلماءهما أكبر معجزات محمد ﷺ!!، وأدومها بعد معجزة القرآن!!، وأشمل منها، نظرا إلى أن إعجاز القرآن يخص فهمه بالعرب!!، وفهم معجزة علمي الفقه والحديث يعم كل ذي عقل وإنصاف»<sup>(١)</sup>.

فيا للعجب!! القرآن الذي يقرؤه الصيني، والتركي، والرومي، والحبشي، لا يكون معجزة عند هؤلاء هؤلاء!!، مع أنهم يقرؤونها كأنه منزل بلغتهم، يسر على ألسنتهم، ولا يقرأ أحدهم شيئا من كتب الفقه والحديث، فكيف تكون أشمل من القرآن!!.

ثم الفقه الذي كان من استنباطات الفقهاء، كان في أحيان وفي مختلف البلدان سببا للقتل والقتال بين المسلمين، بسبب التعصب للمذاهب والعلماء، وأما القرآن الكريم؛ فهو جامع للناس، وكيف لا، وهو جبل الله المتين، وكتابه المبين.

ولا يتبين هذا إلا بمعرفة منزلته الحقة، عند أهل الحق من السلف الصالحين، ومتبعيهم من الخلف العاملين، وهذا الأمر هو الذي سيكون حديثي عنه في الباب الآتي.

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ٣/ ٣٩٣، وهو في هذا الموضع أثنى على الكوثري، وجعله من المعجزات، مع أنه يطن في علماء السلف، والمتبعين لهم من الخلف، فسمى الطائفة السلفية بالمبتدعة، وزعم أن مؤسسها ابن تيمية.



سلسلة الرسائل الجامعية  
(٥)

# القرآن الكريم

ومنزله بين السلف ومخالفهم  
دراسة عقديّة

تأليف

محمد هسّام بن لعل محطّاهريّ

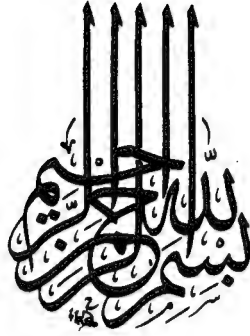
تقديم

أ. د. محمد بن عبد الرحمن الخنيس

أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

المجلد الثاني

دار التوحيد للنشر  
الرياض



## البَابُ الثَّالِثُ

### مَنْزِلَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ السَّلَفِ

وفيه ثلاثة فصول:

**الفصل الأول: بيان فضل القرآن الكريم، ووجوب تعظيمه.**

**الفصل الثاني: طريقة السلف في فهم القرآن، والاحتجاج به.**

**الفصل الثالث: جهود السلف في حفظ القرآن.**

الْفَضِيلُ الْأَوَّلُ

فِي بَيِّنَاتِ فَضْلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ  
وَجُودِ تَعَظِيمِهِ

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فضل القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تعظيم القرآن الكريم.

## المبحث الأول: فضل القرآن الكريم

إن العقيدة السلفية نابعة من الكتاب والسنة النبوية، ولما كان المعتقد نابعا من القرآن الكريم وما جاء في سنة النبي الكريم ﷺ عرف أصحابها عظمة كلام الله ﷻ على كلام من سواه، كيف وفضل القول يكون بفضل قائله، كما أن فضل الصفة يتبين بفضل الموصوف به<sup>(١)</sup>؛ فيعتقد السلف الصالحين، بأن فضل القرآن عظيم، وأن كلام الله ﷻ لا يئائله كلام، ولهذا قدموه قولا وعملا، واحتجاجا وتعبدًا، وتبين هذه الفضائل من خلال المطالب التالية.

### المطلب الأول: الأدلة في بيان فضل القرآن.

الأدلة في بيان فضل القرآن الكريم كثيرة متوافرة، سواء من نصوص القرآن الكريم نفسه، أو من نصوص السنة المطهرة<sup>(٢)</sup>، وأذكر بعض الأدلة لبيان فضل القرآن الكريم، ومنها:

١- قال ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨] فالتوراة، والإنجيل، والقرآن جميعها كلام الله، والقرآن

(١) انظر: المجموع ٢٠٩/١٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/١.

أفضل الثلاثة، فلذلك كان له الهيمنة على الكتب السابقة، وإليه المرجع في الأحكام اللاحقة، والشرعة والمنهاج لا بد أن يكون منه مأخوذاً، والرأي والمرجع إليه أبداً.

٢- قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، فأخبر أنه أحسن الحديث، فدل على أنه أحسن من سائر الأحاديث المنزلة من عند الله، وغير المنزلة<sup>(١)</sup>.

٣- قال الله ﷻ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفِيلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، فكل ما أوحاه الله ﷻ هو من أحسن القصص، وليس هذا خاصاً بسورة يوسف؛ لأنه قال: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾؛ فإذا كانت القصص القرآنية أفضل القصص، دل على أنه أفضل من غيره، بكل حال، وهذا هو اعتقاد السلف<sup>(٢)</sup>.

٤- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] قيل المراد بالسبع المثاني الفاتحة، وسواء أريد به الفاتحة أم غيرها، فإن القرآن وصف بأنه عظيم وذلك يدل على فضله العظيم، إذ وصف بهذا الاختصاص، على عكس ما لم يوصف بذلك<sup>(٣)</sup>.

٥- وما يدل على فضله، ويُذكر بشأنه، كونه كتاب هداية، وآياته مشاعل نور، قوله ﷻ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا<sup>٤</sup> مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ<sup>٥</sup> مَنِ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا<sup>٦</sup> وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ

(١) المجموع ١١/١٧.

(٢) انظر: المجموع ٣٩/١٧.

(٣) انظر: المجموع ١١/١٧.

مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

٦- قوله ﷺ: [خير الحديث كتاب الله]. وهذا واضح في التفضيل.

٧- قال ﷺ: [إن مثل ما بعثني الله به ﷺ من الهدى، والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء؛ فأنبتت الكلاً، والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء؛ فنفع الله بها الناس، فشربوا منها، وسقوا، ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنها هي قيعان: لا تمسك ماء، ولا تنبت كلاً؛ فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به] <sup>(١)</sup>، فشبّه النبي ﷺ الوحي الذي جاء به بالماء الذي به حياة الأبدان، وما جاء به من الوحي فيه حياة القلوب في الدنيا والآخرة <sup>(٢)</sup>، وهذا يدل على فضل عظيم، إذ كان به حياة الإنسان، حياة تنجيه من النيران، وتقيه الخسران، وتولج الجنان.

٨- جاء مرفوعاً: [فضل كلام الله على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه] <sup>(٣)</sup>، وقد بوب به البخاري رحمه الله حيث قال: «باب: فضل القرآن على سائر الكلام» <sup>(٤)</sup>.

٩- يدل على فضل القرآن الكريم أن الاغتياب متعلق به، فلا يغبط إلا صاحب القرآن العامل به، أو صاحب المال المنفق في سبيل الله، وبهذا يصدق من قال: نعم القرآن لتاليه، والمال لباذليه، وقد بوب البخاري رحمه الله في كتاب فضائل القرآن، بباب

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب/ فضل من علم وعلم، ح (٧٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب/ بيان مثل ما بُعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، ح (١٢٨٢)، كلاهما عن أبي موسى رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: نقض المنطق ص ٣٦.

(٣) رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن غريب»، ورواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل كلام الله على سائر الكلام، ح (٣٣٥٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال الحافظ عن إسناد الترمذي: «ورجاله ثقات، إلا عطية العوفي ففيه ضعف»، ثم ذكر شواهده ومتابعاته، ثم ذكر أن الثابت هو الموقوف. انظر: الفتح ٨/ ٦٨٤.

(٤) انظر: صحيح الإمام البخاري ص ١٠٩٢، كتاب فضائل القرآن، باب/ ١٧.

في اغتباط صاحب القرآن<sup>(١)</sup>، ليبين أن هذا من فضائل القرآن إذ كان فيه الاغتباط، وأورد تحته حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: [لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالا؛ فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل]<sup>(٢)</sup>.

١٠- وما يدل على فضل القرآن الكريم أن السلف فضلوه على الذكر المطلق<sup>(٣)</sup>، وجاء في الأثر: [من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي، أعطيته أفضل مما أعطي السائلين]<sup>(٤)</sup>، ولهذا قالوا: «ما تقرب العباد إلى الله بأفضل مما خرج منه»<sup>(٥)</sup>؛ فالقرآن أفضل الأذكار، وأعظمها<sup>(٦)</sup>.

١١- وما ينبغي أن يذكر في فضائل القرآن، أن من تعلمه، أو علمه فهو خير الناس، كما قال سيد الناس - عليه الصلاة والسلام -: [خيركم من تعلم القرآن، وعلمه].

١٢- أن النبي ﷺ أخبر أن من فضائل القرآن كونه يرفع العالم العامل به، قال ﷺ: [إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين].

١٣- وما يدل على فضله، كثرة فضائله، وعظيم شأله، وحيد صفاته، ومجيد أسماؤه<sup>(٧)</sup>، قال علي رضي الله عنه: [كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في

(١) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ ٢٠، ص ١٠٩٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ اغتباط صاحب القرآن، ح (٥٠٢٦)، وروى نحوه مسلم،

كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل من يقوم بالقرآن...، ح (٨١٦).

(٣) انظر: مختصر الفتاوى ص ٩٦.

(٤) هو صدر حديث: [وفضل كلام الله على سائر الكلام].

(٥) شرح العمدة ١/ ٣٨٨، وقد سبق تخريج الأثر بلفظ [فإنك لن تقترب إلى الله].

(٦) انظر: الفواكه الدواني ٢/ ٣٣٦.

(٧) وقد ذكرت أسماء وأوصاف المصحف القرآن الكريم، وكثرة الأسماء تدل على كثرة الفضائل، فانظر إليه

إن شئت، الفصل الرابع من الباب الأول.



غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيع به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشيع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم<sup>(١)</sup>.

١٤- أن السلف كانوا يحرصون على البدء بتعلم القرآن الكريم، لما رأوا من فضله العظيم، وعرفوا قدره العظيم، فكانوا يأمرون بحفظه، ويوصون بتلاوته، ويحثون على مذاكرته، قال شيخ الإسلام رحمته الله في إجابة لسؤال عن أيهما أفضل حفظ القرآن أو طلب العلم: « طلب حفظ القرآن: فهو مقدم على كثير مما تسميه الناس علماً - وهو إما باطل، أو قليل النفع -، وهو أيضاً مقدم في التعلم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع؛ فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات، أن يبدأ بحفظ القرآن؛ فإنه أصل علوم الدين، بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدع من الأعاجم، وغيرهم، حيث يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم، من الكلام، أو الجدال، والخلاف، أو الفروع النادرة...، ويترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كله<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً: « وكلام الله لا يقاس به كلام الخلق؛ فإن فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه<sup>(٣)</sup> ».

١٥- أن العلماء الفضلاء، المتبعين لسنة سيد الأنبياء، كلهم إذا صنفوا في الآثار، لا يفوتهم التنويه بباب مختار، يذكرون فيه فضائل القرآن بما ورد من الأخبار، فيبوبون بذكر فضائله، وينوهون بما ورد في بيان مآثره<sup>(٤)</sup>، بل ألف فيه النبلاء مؤلفات،

(١) رواه الترمذي؛ كتاب فضائل القرآن، باب/ ما جاء في فضل القرآن، ح(٣٠٧٠)، والدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣٣١)، والبيهقي في شرح السنة ح(١١٨١) كلهم روه مرفوعاً، وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله: « وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح ». انظر: فضائل القرآن ص ١٥.

(٢) المجموع ٥٤/٢٣.

(٣) المجموع ٥٥/٢٣.

(٤) انظر مثلاً: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، من ص ١٠٨٤-١٠٩٩، ومسلم، كتاب الذكر

وانتشر في هذا الباب مصنفات، وهي كثيرة في القديم والحديث<sup>(١)</sup>.  
والقرآن عند أهل السنة له فضل كما تبين، وهو في نفسه بعضه أفضل من  
بعض، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

والدعوات، باب/ فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ص ١٠٨٢.  
(١) انظر: مثلاً كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، وفضائل القرآن لابن الغرس، وفضائل  
القرآن للفريابي، وفضائل القرآن لابن كثير - رحمهم الله -.

### المطلب الثاني: مفاضلة القرآن بعضه على بعض.

ومما يدل على فضل القرآن الكريم، ما فيه من السور والآيات التي لها فضائل ومزايا، فهذا يدل على فضله أيضا.

وأما مفاضلة القرآن الكريم بعضه على بعض، من حيث أن قراءة هذه السورة أعظم من هذه كما ورد في الشرع، أعني التفضيل في القراءة لا في المقروء، وفي عمل العبد، لا في كلام الرب، مما لا نزاع فيه بين السلف والخلف<sup>(١)</sup>، وإنما وقع النزاع بين السلف والخلف في كلام الله تعالى - من حيث كونه كلاما، من غير نظر إلى القراءة والتلاوة - هل يتفاضل أم لا؟...

فالسلف ما زالوا يعتقدون بأن كلام الله ﷻ يتفاضل بعضه على بعض، وهذا هو اعتقاد من استسلم للوحيين، ونطق بما في الكتاب والسنة الثابتة بغير مين؛ فإن القرآن والسنة يدلان على تفاضل كلام الله ﷻ القرآن<sup>(٢)</sup>.

والتفضيل لأحكام توجه المعاني في نفسها، لا من حيث أنه كلام؛ فإن الكل كلام الله ﷻ، وإن قيل: إن التفاضل لا لمعنى، فهذا يوجب ترجيحاً بلا مرجح للمتمائلين، وهذا خلاف ما علم في دين الله ﷻ، بل هو خلاف الشرع والعقل<sup>(٣)</sup>.

وهذا يؤكد أن التفضيل كان لمعنى مقترن بالكلام نفسه، لا لأمر خارج عنه، وأسرد بعض الأدلة الدالة على أن القرآن الكريم بعضه أفضل من بعض، وإن كان كله ذو فضل؛ فإن الفضل مراتب، كما أن الحسن مراتب، وسرد هذه الأدلة هو من باب تحصيل الحاصل لأن الدلالات في ذلك ظاهرة مشهورة<sup>(٤)</sup>، ومن هذه الأدلة:

(١) انظر: المجموع ١٧/٥٢، ٦٠.

(٢) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص ٩٩، الجامع لأحكام القرآن ١/٧٨.

(٣) انظر: المجموع ١٧/١٢.

(٤) انظر: المجموع ١٧/٥٧.

١- قول الله ﷻ: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّمَّهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦] <sup>(١)</sup> « فأخبر أنه يأتي بخير منها، أو مثلها، وهذا بيان من الله لكون تلك الآية قد يأتي بمثلها تارة، أو خير منها أخرى، فدل ذلك على أن الآيات تتماثل تارة وتتفاضل أخرى <sup>(٢)</sup> ».

٢- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] فالله ﷻ قابل سورة الفاتحة بجميع القرآن مما يدل على فضلها، « وهذه حقيقة لا يدانيها غيرها فيها...، ولأنها تسمى أم القرآن، وأم الشيء أصله، ومادته <sup>(٣)</sup> ».

٣- قال ﷻ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣] فسماه أحسن القصص، ومعلوم أن هذا يدل على التفضيل.

٤- قال تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٥] وقال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ١٧-١٨] فدل على أن فيما أنزل الله ﷻ منه ما هو حسن، ومنه ما هو أحسن <sup>(٤)</sup>، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « فقد أمر المؤمنين باتباع أحسن ما أنزل إليهم من ربهم، وأمر بني إسرائيل أن يأخذوا بأحسن التوراة... ولا ريب أن القرآن فيه الخير، والأمر بالحسن

(١) وقد ذكر القرطبي رحمه الله في تفسيره أن الإمام مالكا رحمه الله كره تفضيل بعض القرآن على بعض، وذلك لما رواه يحيى بن يحيى الليثي أن مالكا كره ترداد سورة بعينها. وهذا - والله أعلم - لو ثبت عنه فإنه لا يدل على أنه لا يرى تفضيل بعض القرآن على بعض، وإنما كان وجه كراهته أن التكرار من غير مستند شرعي لا يجوز، بل يكون بدعة إضافية إلى القراءة، وهذا النهي منه حسن، ثم كيف يثبت عنه أنه لا يرى تفاضل آيات القرآن الكريم، وهو من أشد الناس اتباعا لسنة النبي الكريم ﷺ.

(٢) المجموع ١٧/١٠.

(٣) المجموع ١٧/١٥ وهو من كلام أبي يعلى رحمه الله.

(٤) انظر: المجموع ١٧/١٢-١٣.

والأحسن، واتباع القول إنما هو العمل بمقتضاه، ومقتضاه فيه حسن وأحسن، ليس كله أحسن، وإن كان القرآن في نفسه أحسن الحديث، ففرق بين حسن الكلام بالنسبة إلى غيره من الكلام، وبين حسنه بالنسبة إلى مقتضاه المأمور، والمخير عنه،... والقرآن تضمن خبراً وأمرًا، فالخبر عن الأبرار والمقربين، وعن الكفار والفجار، فلا ريب أن اتباع الصنفين - أي الأبرار والمقربين - حسن، واتباع المقربين أحسن، والأمر يتضمن الأمر بالواجبات والمستحبات، ولا ريب أن الاقتصار على فعل الواجبات حسن، وفعل المستحبات معها أحسن، ومن اتبع الأحسن فقد اقتدى بالمقربين»<sup>(١)</sup>.

٥- قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٣٧] فيها تفضيل كلمات الله ﷻ إذ منها ما هي حسنة، ومنها ما هي حسنى، والكل حسن، فالكلمات التي تدل على فضله أحسن من الكلمات التي تدل على عدله.

٦- قال النبي ﷺ عن سورة الإخلاص: [والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن]<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: [أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟] فقال: الله الواحد الصمد، ثلث القرآن<sup>(٣)</sup> قال الإمام الدارقطني رحمه الله: «لم يصح في فضل سورة أكثر مما صح في فضلها»<sup>(٤)</sup>، وقد أخبر النبي ﷺ أن القرآن ثلاثة أجزاء، فقال: [إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء؛ فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن]<sup>(٥)</sup>، قال القرطبي رحمه الله عن سورة الإخلاص: «تعديل ثلث القرآن، إذ القرآن: توحيد، وأحكام، ووعد، وقل

(١) المجموع ٦/١٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل قل هو الله أحد، ح (٥٠١٣) من رواية أبي سعيد الخدري رحمه الله.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل: قل هو الله أحد، ح (٥٠١٥) عن أبي سعيد الخدري رحمه الله، وروى نحوه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل قراءة قل هو الله أحد، ح (٨١١)، عن أبي الدرداء رحمه الله.

(٤) انظر: المجموع ٦/١٧.

(٥) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل قل هو الله أحد، ح (٨١١) من رواية أبي الدرداء رحمه الله.

هو الله أحد: فيها التوحيد كله... وكذلك آية الكرسي - إنما كانت أعظم آية لأنها توحيد كلها...، والفاحة تضمنت: التوحيد، والعبادة، والوعظ، والتذكير<sup>(١)</sup>.

٧- أنه ﷺ قال عن آية الكرسي: [إنها أعظم آية في كتاب الله ﷻ]<sup>(٢)</sup>، وسبب كونها أعظم آية لما فيها من إثبات الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وتنزيه الله عما لا يليق به وهو العلي الأعلى<sup>(٣)</sup>، فهذه الآية جمعت أصول الأسماء والصفات من الإلهية، والحياة، والوحدانية، والعلم، والمملك، والقدرة، والإرادة...<sup>(٤)</sup>.

٨- وقوله ﷺ لأبي بن كعب: [لأعلمنك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في القرآن مثلها - وذكر - أنها فاتحة الكتاب]<sup>(٥)</sup>، وفي رواية: [ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن]<sup>(٦)</sup>، فأخبر الصادق المصدوق ﷺ أنه لم ينزل مثلها، فدل ذلك على أنها لا مثل لها، ومن ادعى أن لها مثلاً، فقد رد على رسول الله ﷺ<sup>(٧)</sup>، ورد الإجماع، لأنه بالإجماع فاتحة الكتاب أفضل سور القرآن<sup>(٨)</sup>، فدل ذلك على تفاضله، قال أبو المظفر السمعاني الشافعي رحمه الله: «القرآن امتاز عن غيره بالإعجاز، وأقل ما يحصل به الإعجاز سورة، وهذه السورة - أي فاتحة الكتاب - أشرف السور؛ لأنها السبع المثاني؛ ولأنها تصلح عوضاً عن جميع السور، ولا تصلح جميع السور عوضاً عنها؛ ولأنها تشتمل على ما لا تشتمل سورة ما على قدرها من

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٧٩.

(٢) روى نحوه مسلم، كتاب صلاة المسافرين...، باب/ فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، ح(٨١٠)، من رواية أبي بن كعب.

(٣) انظر: شرح الواسطية للفرزاني ص ٢٥.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ٥١.

(٥) رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب/ ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، ح(٣٠٣٦)، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة، ح(٢٠٨٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٦) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل فاتحة الكتاب، ح(٥٠٠٦)، من رواية أبي سعيد بن المولى.

(٧) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص ٩٩.

(٨) انظر: المجموع ١٧/ ١٨.

الآيات، وذلك من الثناء والتحميد للرب، والاستعانة، والاستعاذة، والدعاء من العبد»<sup>(١)</sup>، وقال الفقيه ابن العربي: «قوله: ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في القرآن، مثلها، وسكت عن سائر الكتب، كالصحف المنزلة، والزبور، وغيرها؛ لأن هذه المذكور أفضلها، وإذا كان الشيء أفضل الأفضل، صار أفضل الكل، كقولك: زيد أفضل العلماء، فهو أفضل الناس»<sup>(٢)</sup>، ف «تفضيل القرآن على غيره من كلام الله: التوراة، والإنجيل، وسائر الكتب، السلفُ كلهم كانوا مقرين بذلك، ليس فيهم من يقول: الجميع كلام الله، فلا يفضل القرآن على غيره»<sup>(٣)</sup>.

٩- أخبر النبي ﷺ أن المعوذتين: [لم يُر مثلهن قط]<sup>(٤)</sup>، وهذا يدل على فضلها على غيرها.

١٠- أن ما تكلم الله ﷻ به عن نفسه من بيان جلاله وجماله، أعظم من القرآن الذي تكلم الله به في وصف خلقه، فمن حيث القائل: الكل كلامه، وإنما حصل الشرف «من جهة نسبته إلى القائل، المتكلم به، ومن جهة نسبته إلى المقول، المتكلم فيه؛ فإذا كانت النسبتان إلى الله كان الكلام أشرف»<sup>(٥)</sup>، فالآيات التي تدل على وحدانية الله ﷻ «وصفاته، ليس موجودا في - سورة المسد - وما كان مثلها، والتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة، وكثرتها، لا من حيث الصفة، وهذا هو الحق»<sup>(٦)</sup>.

١١- أن أسماء الله ﷻ وصفاته متفاوتة من حيث دلالتها على المعاني الجميلة، والمرادات الفضيلة، فكذلك كلامه ﷻ<sup>(٧)</sup> فمحبته الله ﷻ للخليين

(١) الاصطلاح ٢٠٨/١-٢٠٩، المجموع ١٧/١٣-١٤.

(٢) ذكره القرطبي في جامعه ٧٨/١، وانظر: المجموع ٩/١٧.

(٣) المجموع ١٨/١٧ بتصرف يسير، وانظر: ٤٦/١٧، ٥٢، ٢٠٩.

(٤) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل قراءة المعوذتين، ح (٨١٤)، من رواية عقبة بن عامر الجهني.

(٥) مختصر الفتاوى ص ٩٩.

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٨/١.

(٧) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص ٩٩، المجموع ١٧/٩٠، ٢١١، شفاء العليل ٦٣/٢.

إبراهيم ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - أفضل من محبته لغيرهما من الأنبياء، حتى إنهم خصوا بالخلعة، ومحبة الله للمؤمنين ليست كخلته للخليين<sup>(١)</sup>.

١٢ - معلوم فطرة أن الخبر المتضمن لِحمد الله، والثناء عليه بأسائه الحسنی، ليس كالخبر المتضمن للذم الذي يكون لإبليس وفرعون، وإن كان المتكلم بهما واحدا<sup>(٢)</sup>.

١٣ - معلوم عقلا أن من تكلم من الناس - وكلامه بالنسبة إلى كونه قاتلا سواء - بكلام، أو قال شعرا، هو متعلق بالشرفاء: كالأنبياء، والصالحين من الأولياء، ليس بكلامه المتعلق بالملوك والرؤساء، فيكون للكلام فضل إذا كان متعلقا بشيء شريف<sup>(٣)</sup>، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «المخلوق يتكلم بكلام هو كله كلامه، لكن كلامه الذي يذكر به ربه أعظم من كلامه الذي يذكر به بعض المخلوقات، والجميع كلامه، فاشترك الكلامين بالنسبة إلى المتكلم، لا يمنع تفاضلهما بالنسبة إلى المتكلم فيه»<sup>(٤)</sup>.

١٤ - أن العلماء ذكروا كما في ثابت الأخبار، فضل بعض السور على البعض بحسب ما ورد عن النبي المختار ﷺ، وهذا يدل على أن بعضه أفضل من بعض كالأذكار، ولهذا بين كل من ذكر فضائل القرآن فضائل سور معينة بأعيانها، كما فعل ذلك البخاري رحمته الله وغيره<sup>(٥)</sup>.

١٥ - أن القول المأثور عن السلف منعقد على تفاضل القرآن بعضه على بعض، وهو الذي قال به أئمة الفقهاء<sup>(٦)</sup>.

١٦ - أن ما ذكره بعضهم من عدم تفاضل القرآن بعضه على بعض، ليس بصحيح<sup>(٧)</sup>، وهذا النفي مبني على قول المخالفين للسلف بالكلام النفسي ونحوه؛ فإنه

(١) انظر: المجموع ١٧ / ٦٠.

(٢) انظر: المجموع ٥٨، ٦١.

(٣) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص ٩٩.

(٤) المجموع ١٧ / ٥٨.

(٥) انظر: كتاب فضائل القرآن من صحيح البخاري، وانظر: المجموع ١٧ / ٦.

(٦) انظر: المجموع ١٧ / ١٣.

(٧) انظر: المجموع ١٧ / ١٥٥، الفواكه الدواني ١ / ٥٧، وقد نقل أن منهم من قال: إن التفاضل لو صح فإنه



لا يتفاضل لأنه شيء واحد<sup>(١)</sup>، وهو كونه ما في النفس!!، ولأن معنى "سورة الإخلاص" هو معنى "سورة تبت" عندهم!!، ولأنه قديم والقديم لا يتفاضل عندهم!!<sup>(٢)</sup>، ثم أيضا ظنوا أن التفاضل يعني إنقاص قدر المتكلم به<sup>(٣)</sup>، فمن منع التفاضل في آيات القرآن له مأخذان: «أحدهما: أن صفات الرب لا يكون بعضها أفضل من بعض، وقد يعبرون عن ذلك بأن القديم لا يتفاضل، والثاني: أنه واحد، والواحد لا يتصور فيه تفاضل ولا تماثل»<sup>(٤)</sup> وليس الأمر كذلك عند السلف؛ لأن التفاضل ليس من جهة الكلام من حيث إنه كلام، ولهذا قال الموافقون للسلف: «فإن توحيد الله الذي في "سورة الإخلاص" ... أفضل من "تبت" المتضمنة ذم أبي لهب، وذم زوجته؛ إن شئت في كون المدح أفضل من القدح، وإن شئت في الإعجاز،... وليس من حيث كون المتكلم واحدا، لا يكون التفاضل لمعنى يعود إلى الكلام ثانيا، كما أن المرسل واحد - وهو الله ﷻ - لذي النون، وإبراهيم، وإبراهيم أفضل من ذي النون»<sup>(٥)</sup> - عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام - فنسبة الكلام إلى المتكلم به واحد، وهو الله ﷻ فتساويا فيه، ونسبة الكلام إلى المتكلم فيه مختلفة، فتفاضلا فيه<sup>(٦)</sup> ولا يقال: إن التفضيل إنما هو من جهة الثواب<sup>(٧)</sup>؛ لأن هذا يقتضي ترجيح أمر بلا مرجح إذ الكلام كلام الله، فإذا كان لا يتفاضل في نفسه، فلا يتفاضل في أجره، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن أعاد التفاضل إلى مجرد كثرة الثواب، أو قلته من غير أن يكون

راجع إلى الأجر!!، ومعلوم أن النزاع ليس فيه.

(١) وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن الأشعري لم يقل بالتفاضل، ومذهبه يأباه، لأنه يرى أن الكلام شيء واحد، والواحد لا يتصور فيه التفاضل. وانظر: الكلام مفصلا في المجموع ١٧/ ١٥٦ وما بعدها.

(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٥٢، ٧٠ شفاء العليل ٢/ ٦٣.

(٣) انظر: المجموع ١٧/ ٧٢، الفتح ٨/ ٨.

(٤) المجموع ١٧/ ١٦٢ - ١٦٣.

(٥) المجموع ١٧/ ٤٩، نقلا من كلام ابن عقيل رحمه الله.

(٦) انظر: المجموع ١٧/ ٥٧.

(٧) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٥١٩، الفتح ٨/ ٨، حواشي الشرواني ٤/ ٦٤، الفواكه الدواني ١/ ٥٧.

الكلام في نفسه أفضل، كان بمنزلة من جعل عملين مساويين، وثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر، مع أن العاملين في أنفسهما لم يختص أحدهما بمزية»<sup>(١)</sup>.

١٧- ثم شرع الله ﷻ متفاوت، مع أن الأمر الناهي فيه واحد وهو الله ﷻ، فليس الأمر بالمأمورات العظيمة كالإيمان بالله ورسوله.. كالأمر بأخذ الزينة عند المساجد، والإنفاق على المرضعة، ونحو ذلك، كما أن النهي عن المنهيات العظيمة ليس كالنهي عما هو دونها فالزنا أشد من النظر والكل محرم، والكل الأمر الناهي فيه هو الله ﷻ<sup>(٢)</sup>.

١٨- قال أبو حامد الغزالي: «اعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات، وبين سورة الإخلاص، وسورة تبت، وترتاع من اعتقاد الفرق في نفسك الخوارة المستغرقة في التقليد، فقلد صاحب الشرع - صلوات الله وسلامه عليه - فهو الذي أنزل عليه القرآن،... وقد دلت الأخبار على شرف بعضه على بعض»<sup>(٣)</sup>.

١٩- أن الفرق بين معاني كلام الله ﷻ معلوم شرعا وعقلا، فكل واحد ممن يعرف العربية يجد الفرق بين معنى سورة الإخلاص وسورة تبت، وبين معنى آية الكرسي وآية المداينة، فكيف يقال بعد هذا: إن معناهما واحد؟!، ولهذا لا يتفاضل!!، والفارق في المعنى معلوم، فالتفاضل في معاني الكلام معلوم أيضا<sup>(٤)</sup>.

٢٠- القول بأن التفاضل في آيات القرآن بعضه على بعض يعني أن المفضل أنقص من الفاضل؟!، والقرآن من صفات الله ﷻ وصفات الله لا نقص فيها بوجه من الوجوه<sup>(٥)</sup>، فجوابه: أن صفات الله ﷻ لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فهذا صحيح، والتفضيل لا يلزم منه نقص المفضل، لأن الكل كمال، إلا أن الفاضل كمال فوق كمال، كما أن بعض الأسماء والصفات إذا جمعت إلى بعض صار هناك كمال فوق

(١) المجموع ١٧/ ٢١٠.

(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٥٨-٥٩، ٦١، ٢٠٩-٢١٠.

(٣) جواهر القرآن للغزالي ص ٦٢-٦٣، المجموع ١٧/ ٥٠.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ٧١.

(٥) انظر: جامع البيان للطبري ١/ ٥٢٧، المجموع ١٧/ ٧٨.

كمال، ف « الحُسْنُ في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال »<sup>(١)</sup>، فكذاك الآيات التي فيها كلام عن الله ﷻ وأسمائه وصفاته، فهو كلام شريف فيه معنى متعلق بشريف وهو الله ﷻ؛ فلهذا كانت أفضل من غيرها، وكلامه شريف في نفسه، ولما كان معناه غير متعلق بالله ﷻ فكان حسنا، وليس أحسن، ثم لم ينقل عن أحد من السلف إنكار التفاضل في القرآن وما حكى من الإجماع على ذلك فهو بحسب ما يعتقده الحاكلي، أو يظنه<sup>(٢)</sup>.

٢١- أن من نفى المفاضلة فليس معه آية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله، ولا قول صحابي، ولا أثر عن تابعي، وإنما هو قول من درس على أهل الكلام، وشيع عنهم في المقال، وفرح بما حيك له من المقال، فظن أنه جاء بما هو حقيقة الحال في مسألة التفاضل<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يظهر جليا لكل منصف، مريد للحق غير متعسف، فضل القرآن الكريم، وأنه يتفاضل بعضه على بعض<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان القرآن يتفاضل بعضه على بعض؛ فإن ذلك لا يلزم منه تفاضل غيره من كلام الله ﷻ عليه، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

(١) انظر: القواعد المثلث ص ٧.

(٢) انظر: المجموع ١٧ / ٧٣-٧٦.

(٣) انظر: المجموع ١٧ / ٨٠.

(٤) انظر: مباحث المفاضلة في العقيدة للدكتور محمد أبو سيف ص ١٠٠ وما بعدها.

## المطلب الثالث: حكم تفضيل غير القرآن على القرآن.

من المتفق عليه بين السلف، ومتبعيهم من الخلف، أن القرآن الكريم أفضل كتب الله ﷻ أجمعين، كما أن محمدا رسول الله ﷺ أفضل رسل الله أجمعين، وأن القرآن الكريم أفضل من التوراة، والإنجيل، وغيرها من الكتب، بل حتى القائلين بعدم التفاضل من المنتسبين إلى الإسلام فإنهم يرون فضل القرآن الكريم على غيره من الكتب من جهة عظيم فضله، وكثرة ثوابه<sup>(١)</sup>، ولهذا كانت الوصية بكتاب الله ﷻ عظيمة، وجاء بهذا الآثار الكثيرة<sup>(٢)</sup>، وأما من فضل غير القرآن على القرآن فلا يخلو حاله من أمرين:

إما أن يكون كافرا ظاهرا ككفار اليهود والنصارى، فهؤلاء يدعون إلى دين الله ﷻ ثم يبين لهم فضل القرآن الكريم على الكتب السابقة.

وإما أن يكون منتسبا إلى الإسلام؛ فإن كان جاهلا فيعلم، وإن كان عالما فينبه، أو كان زنديقا فيكشف حاله، ويبين عواره، ولا يُسمع لمقاله، ولهذا كان من المتفق عليه عند السلف أنه لا يجوز أن يساوى بالقرآن غيره من الكتب الإلهية، فضلا عن زبالات أفكار الإنسانية.

وتفضيل كتاب أو منهج غير منهج القرآن إنما هو من سيما الباطنية، الذين يظهرون الدين، ويخفون الزندقة بين المسلمين، خصوصا إذا قويت شوكة أهل السنة، وضعفت شوكة أهل البدعة.

ومن الأدلة على أنه لا يجوز أن يقدم على القرآن شيء، وأن يفضل عليه شيء من الكتب ما يأتي:

١ - قول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ لَا رَجَاءَ لَهُمْ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا

(١) انظر: حواشي الشرواني ٦٤/٤.

(٢) انظر: أصول الإيمان للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ص ٥٧، باب/ الوصية بكتاب الله ﷻ.

أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤١﴾ [البقرة: ٤٠-٤١] فأشار الله ﷻ إلى عظمة القرآن بتعظيمه، والإشارة إليه بـ(ذلك) مما يدل على علو المنزلة، ورفعة الدرجة، ثم حصر الهدى فيه، وبين أن المتقين هم المتبعون لما فيه، المؤمنون به وبما أنزل من قبل مما يدل على أن الإيمان بما أنزل من قبل فحسب لا يكفي لمن أراد الهداية والفلاح.

٢- قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١] وقد بوب به البخاري ﷺ للدلالة على الاستغناء به عن غيره (١).

٣- قوله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ اتِّكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨]، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) في معنى كون القرآن مهيمنا على الكتب السابقة: [المهيمن: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله]، قال ابن جرير (رضي الله عنه) في تفسير الآية السابقة: «يقول: أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، مصدقا للكتب قبله، وشهيدا عليها أنها حق من عند الله، أمينا عليها، حافظا لها» (٢) فما شهد له القرآن مما في الكتب السابقة فهو حق، وما خالف القرآن فهو باطل، فهذا يدل على أن المعدل لما في أيدي الناس من الكتب هو القرآن (٣)، فكيف يفضل عليه غيره وهو المعدل لغيره؟؟، فمن آمن بما في القرآن شرعة ومنهاجا فلا يجوز له أن يفضل غيره عليه، ولا أن يقدم غيره بين يديه، والسلف: «كلهم متفقون على أن القرآن هو

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب / ١٩، ص ١٠٩٣.

(٢) جامع البيان ٤/ ٦٠٦.

(٣) انظر: جامع البيان ٤/ ٦٠٦، وانظر: المسيحية النصرانية دراسة وتحليل الشيخ ساجد مير ص ٢٢٣.

المهيمن، المؤمن، الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة <sup>(١)</sup>.

٤ - قوله ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ <sup>(٢)</sup> يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ۚ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ١-٢]؛ فإذا كان الله ﷻ قد نهى عن التقدم بين يديه، وعن التقدم بين يدي رسوله؛ فإن هذا عام يدل على منع تقدم قول على قوله، أو تفضيل قول على قوله، أو قول رسوله؛ وهذا ظاهر لمن تأمل في نفي التفاضل بين القرآن وغيره، قال سفيان الثوري: «لا تقدموا بين يدي الله ورسوله بقول ولا فعل» <sup>(٣)</sup>.

٥ - قوله ﷺ: ﴿وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنِ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۚ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]، فأمر الله ﷻ بنيه محمدا ﷺ، والأمة مخاطبة تبع له أن يحكموا كتابه المنزل على محمد ﷺ، وأن لا يتركوا شيئا منه، مفتتين بها عند الكفار، قال ابن جرير رحمه الله: «وأخبر أنه أنزل إليه الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب، وأمره بالعمل بما فيه، والحكم بما أنزل إليه فيه، دون ما في سائر الكتب غيره» <sup>(٣)</sup>. فإذا كان لا يجوز العمل بكتاب غير كتاب الله - جل وعز -، والحكم بغيره، فكذلك لا يجوز تفضيل غيره عليه.

٦ - قوله ﷺ: ﴿أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] فالقرآن فيه حكم الله ﷻ، ولا يجوز أن يقدم عليه شيء لا في الأحكام، ولا في غيرها، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «ينكر تعالى على من خرج عن

(١) المجموع ٤٣/١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٠٥/١.

(٣) جامع البيان ٤/٦١٠، تفسير القرآن العظيم ٦٦/٢.

حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه، من الآراء والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات، والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم "جنكيز خان" الذي وضع لهم "الياسق" وهو عبارة عن: كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية، والنصرانية، والملة الإسلامية، وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره، وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك؛ فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله، ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل، ولا في كثير<sup>(١)</sup> فالخافض ابن كثير رحمته الله بين أن من قدم حكم غير الله على حكم الكتاب والسنة؛ فإنه كافر، وهذا يدل على وجوب تفضيل القرآن على كل ما سواه من الكتب حكما وفضلا واعتقادا ومنزلة ورفعة.

٧- قوله ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قِيمًا﴾ [الكهف: ١-٢] نفى عن القرآن العوج، ووصفه بأنه قيم، ومعنى "القيم" القائم على غيره، «وهو الذي بلغ الغاية القصوى في الإحكام والإتقان، وانتفاء الخطأ، والتعارض، والتناقض، وإيهام الضلال...، وإنما جمع بين نفي العوج، وإثبات القويمية له، وأحدهما يغني عن الآخر تأكيداً لذلك، ومبالغة فيه، فكيف يقوم مقامه سواه، أو يُساوَى كتاب بكتاب الله تعالى؟؟»<sup>(٢)</sup> فالقرآن غير معوج ولا يحتاج إلى ما يقومه<sup>(٣)</sup>.

٨- قوله ﷺ: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ۖ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كُتُبٌ مَقَامًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٤-٣٥] ففي الآية «بيان أنه لا يجوز أن

(١) تفسير القرآن العظيم ٦٧/٢.

(٢) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير البيهقي ص ١١.

(٣) انظر: سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح (٣٣١٥).

يعارض كتاب الله بغير كتاب الله، لا بفعل أحد، ولا أمره، لا دولة، ولا سياسة؛ فإنه حال الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم»<sup>(١)</sup>.

٩- قول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۖ فَوَرَّكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩١-٩٢] والذين جعلوا القرآن متفرقا مقسما هم الذين آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، فآمنوا بما رأوا فيه مصلحة لهم، وتركوا ما ظنوه خلاف مصلحتهم، ومن هذا الباب من فضل عليه غيره إما حكما أو فضلا ومنزلة؛ فهو لاء جميعا سيُسألون<sup>(٢)</sup>، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «من آمن بما وصف الله به كلامه، فأقر بأنه جميعه كلام الله، وأقر به كله، فلم يكفر بحرف منه، وعلم أن كلام الله أفضل من كل كلام، وأن خير الكلام كلام الله، وأنه لا أحسن من الله حديثا، ولا أصدق منه قила... فهو أبعد عن جعله عِضِينَ ممن لم يؤمن بما فضل الله به بعضه على بعض»<sup>(٣)</sup>.

١٠- أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا ينهون عن اتباع كتاب غير القرآن، وذلك لنهي النبي ﷺ إياهم عن اتباع غير القرآن، فكيف بمن يفضل غير القرآن على القرآن!، وقد رأى النبي ﷺ في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة، فتغير وجهه، وقال: [لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني]<sup>(٤)</sup>، «وعمر انتفع بهذا حتى أنه لما فتحت الإسكندرية، وجد فيها كتباً كثيرة من كتب الروم، فكتبوا فيها إلى عمر، فأمر بها أن تحرق، وقال: حسبنا كتاب الله»<sup>(٥)</sup>.

١١- أن النبي ﷺ وصى بكتاب الله ﷻ، سئل عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: [أوصى النبي ﷺ؟ فقال: لا، فقل: كيف كُتِبَ على الناس الوصية، أمروا بها ولم

(١) المجموع ٧٨/١٩-٧٩.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ١٧٦/٣-١٧٧.

(٣) المجموع ١٧/٨١.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ٣/٣٨٧، ح (١٥٢٢٨) عن جابر رضي الله عنه، ورواه ابن أبي عاصم في السنة،

ح (٥٠)، وقال الألباني: حديث حسن. كما في ظلال الجنة في تخريج السنة ص ٢٧.

(٥) المجموع ١٧/٤١.



يوصي؟ قال: أوصى بكتاب الله<sup>(١)</sup>.

١٢ - اجتمع في هذا القرآن أوصاف وسمات جعلته يغني عن غيره، وغيره لا يغني عنه، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: [إن هذا القرآن مأدبة الله؛ فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعجب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد]<sup>(٢)</sup>، وقال كعب رضي الله عنه: [عليكم بالقرآن؛ فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عهدا، وقال في التوراة: يا محمد، إني منزل عليك توراة حديثه<sup>(٣)</sup>، تفتح فيها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا]<sup>(٤)</sup>، وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: [إن هذا القرآن كائن لكم أجرا، وكائن لكم ذكرا، كائن بكم نورا، وكائن عليكم وزرا، اتبعوا هذا القرآن، ولا يتبعنكم القرآن؛ فإنه من يتبع القرآن يهبط به في رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن يَرْحُ - يدفع - في قفاه، فيقذفه في جهنم]<sup>(٥)</sup>، ومضى قول علي رضي الله عنه أن كتاب الله فيه المخرج من الفتن، وأحكام المحن، ودواء الإحن.

١٣ - أن كتاب الله محفوظ، فلا ينبغي تقديم شيء عليه، وهو محفوظ من الغلط، مصون من الشطط، وكاف في الدلالة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۖ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

١٤ - أن السلف - رحمهم الله - لا يرون أن هناك شيئا من النصوص يعادل نصوص الكتاب والسنة، فضلا عن أن توازيه، وتفاضله، ولهذا نصوا أن من ظن أن

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ الوصاة بكتاب الله تعالى، ح (٥٠٢٢).

(٢) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح (٣٣١٥).

(٣) وهذا في التوراة أي بلسانهم؛ فليل للقرآن توراة، وإلا فإن هذا لا يعني أن من أساء القرآن التوراة، وقد مضى ذكر هذا في الفصل الرابع من الباب الأول.

(٤) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح (٣٣٢٧).

(٥) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح (٣٣٢٨).

هناك نصوصا تعادل نصوص الكتاب ولو من حيث الاحتجاج فإنه يخشى عليه من الكفر، ومن جعل نص أحد من الناس « كنصوص الشارع في وجوب العمل بها؛ فهذا كفر باتفاق المسلمين »<sup>(١)</sup>.

فكل من كان بالقرآن مؤمنا، ولآياته مفضلا، ولأحكامه تابعا، كان قد عرف فضل القرآن الكريم، علما وعملا وأدبا، وهذا من تعظيم القرآن الكريم، وتعظيمه واجب على المسلمين، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) المجموع ٤٨/٣١ بتصرف.

### المبحث الثاني: تعظيم القرآن الكريم

أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن الكريم، وأن من جحد حرفاً مجمعا عليه، أو زاد حرفاً، لم يقرأ به أحد أنه بذلك كافر<sup>(١)</sup>، كما أن من لم يؤمن به، أو جحد شيئاً منه - وعداً أو وعيداً - أو كذب شيئاً منه كفر<sup>(٢)</sup>، وهذا معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وأن من كان حاله كذلك فإنه لم يوقر القرآن الكريم، ويتبين وجه تعظيم القرآن الكريم عند السلف من خلال المطالب التالية:

#### المطلب الأول: الدليل على وجوب تعظيم القرآن الكريم.

إن تعظيم القرآن الكريم واجب بلا نزاع بين السلف، بل إن «تعظيمه عبادة، والاستخفاف به كفر»<sup>(٣)</sup>، بل إن تعظيم القرآن من شعب الإيمان<sup>(٤)</sup>، والسلف إنما يعظمون القرآن بما ورد، لا بما يرد، ومن الأدلة على تعظيم السلف للقرآن الكريم ما يأتي:

١ - قوله ﷺ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]،

ولا ريب أن تعظيم القرآن واجب وأن التهاون فيه أو الاستهزاء به محرم، ومن ابتعد عن المحرمات وفعل الواجبات فقد عظم حرمة الله ﷻ<sup>(٥)</sup>، وقول الله ﷻ:

(١) انظر: البيان ص ١٥١.

(٢) انظر: ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص ٢٧، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٣) البحر الرائق ٢/ ٣٤، وانظر: ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص ٢٩، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) انظر: شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٣١٩-٣٢٣.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢١٨.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] فحرمات الله وشعائره «معالم الله ودينه، ندب الله إليها، وأمر بالقيام بها»<sup>(١)</sup> فالحرّمات والشعائر عام<sup>(٢)</sup> - والله أعلم - يشمل ما كان مضافاً إلى الله ﷻ من باب التشريف، ويشمل ما كان مضافاً إلى الله ﷻ من باب إضافة الصفة للموصوف، والقرآن من الثاني، فوجب تعظيمه، وتوقيره.

٢- قال الله ﷻ: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِلِلْهِ وَاِئْتِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَافِقَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبُ طَافِقَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا جَرِيمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] وهذه الآيات إنما نزلت في المنافقين الذين ذكروا رسول الله ﷺ وأصحابه القراء على وجه التنقص؛ فجعل الله ذلك منهم كفراً، وأن ذلك كفر بالله وآياته ورسوله<sup>(٣)</sup>؛ فهذا دليل على وجوب تعظيم القراء فكيف بالقرآن نفسه، لا ريب أن له أشد الحرمة، وأن علينا وجوباً تعظيمه.

٣- دل قول النبي ﷺ: [لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو]، على وجوب تعظيم القرآن، إذ المنع إنما كان خوفاً عليه من الإهانة<sup>(٤)</sup>، ومن هذا الباب منع الفقهاء بيع المصحف للكافر؛ فإن الكافر نجس، وأيضاً يخشى منه أن يهين القرآن، فلا يجوز أن يعطى شيئاً من القرآن الكريم<sup>(٥)</sup>، وقد يعرضون للمصاحف بالاستخفاف مغايطة للمسلمين، ولهذا منعنا من السفر به إلى أرض العدو<sup>(٦)</sup>.

٤- مما يدل على وجوب تعظيم القرآن الكريم في قلوب السلف الصالحين، أن

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٢/ ٣٩٤.

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٥/ ٤٧٤-٤٧٥.

(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣/ ٤٦٤ وما بعدها، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٦٥-٣٦٦.

(٤) انظر: حاشية الدسوقي ٢/ ١٨٧.

(٥) انظر: مغني المحتاج ٢/ ٨، دليل الطالب ١/ ١٠٤.

(٦) انظر: البحر الرائق ٥/ ٨٣.

من خصالهم حبة القرآن والسنة، وتقديمهما على غيرهما<sup>(١)</sup>، سواء في الاعتقاد، أو العمل، أو الاستدلال.

٥- مما يدل على تعظيم السلف للقرآن الكريم أنهم لا يرون شيئاً من النصوص يعادل نصوص الوحيين، ومن جعل نصوص أحد «كنصوص الشارع في وجوب العمل بها؛ فهذا كفر باتفاق المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

٦- نص العلماء - رحمهم الله - على وجوب أخذ ما وقع من بعض الآيات، بل ما فيه ذكر لله ﷻ مطلقاً، وعدم تركه عرضة للإهانة، وقالوا: إن من تركه عرضة للإهانة فإنه يخشى عليه الكفر<sup>(٣)</sup>.

٧- مما يستدل به على تعظيم السلف للقرآن الكريم أنهم كانوا يتوقفون في تفسيرهم على ما ورد، ولا يتجرؤون على القول فيه بالرأي المجرد<sup>(٤)</sup>، قال القرطبي رحمه الله: «كان الأئمة من السلف الماضين يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن، فبعض يُقدّر أن الذي يفسره لا يوافق مراد الله ﷻ، فيحجم عن القول، وبعض يشفق من أن يجعل في التفسير - أي التفسير بالرأي - إماماً يبنى على مذهبه، ويقتفى طريقه»<sup>(٥)</sup>، وأما التفسير بالمأثور، وما يفهم من معاني النصوص بالتفكر في المزبور؛ فهو الذي كان عليه السلف - رحمهم الله -<sup>(٦)</sup>.

٨- أن الأمة متفقة على صدق ما في القرآن من الأخبار، وعدل ما فيها من الأحكام، ولا شك في ذلك عند ذوي الأفهام، ومن خالف ذلك من الأنام؛ فإنه غير معظم للقرآن<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: نقض المنطق ص ٨١.

(٢) المجموع ٤٨/٣١.

(٣) انظر: حاشية الدسوقي ٣٠١/٤.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٧/١، كشف القناع ٤٣٣-٤٣٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٧/١.

(٦) انظر: المرجع السابق.

(٧) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم ص ١٧٤.

٩- أن اتفاق العلماء - خلافا للظاهرية - على المنع من مس المصحف لمن لم يكن على طهارة كاملة كالجنب والحائض والنفساء، سواء بمباشرة القرآن الكريم، أو جزء منه، بل منعوا - من كان عليه حدثا أكبر - من قراءة آية منه، وذلك تعظيما لآيات الله ﷻ المتلوة، والآية في ذلك وما دونها سواء، إذ الكل معظم يجب توقيره، وتعظيمه<sup>(١)</sup>.

١٠- أن العلماء نصوا على منع قراءته في الأماكن القذرة تعظيما وتنزيها للقرآن عنها<sup>(٢)</sup>.

١١- نص السلف أن القرآن حيث كتب يجب تعظيمه، وتوقيره، ولو كتب على ما يصاغ من الذهب - وإن كان ذلك بدعة - لأن الاعتبار إنما هو للمكتوب، وينبغي تغيير هذه المصوغات، والمكتوبات، أو رفعها عن مكان الإهانة والقذارة إذا كان فيها شيء من القرآن الكريم، أو ذكر الله ﷻ<sup>(٣)</sup>.

١٢- أن السلف منعوا قراءة القرآن الكريم منكسا، وذلك تعظيما لشأن القرآن، وأن ذلك يخالف ما نزل من أجله القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>.

١٣- أنهم منعوا من كتابة القرآن الكريم مع الشعر ولو كان أمامه، وذلك لأن هذه مظنة الإهانة، وحق القرآن التعظيم، وفي الشعر الكذب والهجو والقرآن يعظم عن مثل هذا<sup>(٥)</sup>.

ولا يخالف تعظيم القرآن الكريم أن تُسمع شيئا منه للكافر، لأن في إسماعه القرآن إقامة للحجة عليه، وبيان الحق له، قال ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُغْهُ مَائِمَةً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]، وإنما الذي

(١) انظر: تحفة الفقهاء للسمرقندي ٣٢/١، بدائع الصنائع للكاساني ٣٣/١، حاشية الدسوقي ١٠٨/١، مغني المحتاج ٤٠/١، دليل الطالب ١٤/١.

(٢) انظر: الفواكه الدواني ٣٣٦/٢.

(٣) انظر: المجموع ٦٠٠/١٢.

(٤) انظر: ما سبق في الفصل الخامس من الباب الأول.

(٥) انظر: الفروع لابن مفلح ٣٦٢/١.

يمنع منه تعظيماً للقرآن الكريم هو مس المصحف، وخوفاً من أن يهينه الكافر فلا يدفع إليه شيء منه إلا إذا رجي إسلامه<sup>(١)</sup>.

وفي ذكر بعض الأدلة على وجوب تعظيم القرآن الكريم كفاية لمن اتعظ، وتنويه بتعظيم القرآن الكريم، ومما هو من التعظيم: التأدب بأداب تلاوته<sup>(٢)</sup>، والتمثل بأوامره، واجتناب نواهيه، والاتعاظ بعظاته، وتحسين الصوت بقراءته، وترك المماراة فيه<sup>(٣)</sup>، وعدم تفسيره بالظن والهوى<sup>(٤)</sup>، وعدم أخذه إلى أرض العدو<sup>(٥)</sup>، وتعظيم حامله، والعاملين بما فيه<sup>(٦)</sup>، ومن تعظيم المصحف أن لا يحمل فوقه متاع ونحوه<sup>(٧)</sup>، قال البيهقي رحمه الله بعد حديث النهي عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو: «فإذا كان منها أن يعرضه على من يستهينه، وينتهك حرمة، كان نهي عن أن يزدري به، ويستهينه بنفسه أولى؛ ولأن الله تعالى وصف القرآن بأنه في كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون؛ فإذا كان فوق السماوات مكتوباً محفوظاً، وليس هناك إلا الملائكة المطهرون؛ فلأن يكون فيما بيننا مكتوباً محفوظاً، والناس مختلفون، والأماكن مختلفة، والأحوال شتى أشبه»<sup>(٨)</sup>.

ومن تمام تعظيمه البعد عما يكون دليلاً على إهائته، أو الاستهزاء به، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢/٤٥٨، التبيان للنووي ص ١٥٨.

(٢) انظر: شعب الإيمان ٢/٣٥٩، ٣٧٨، ٣٨٠، ٤٠٣، ٤٢٣.

(٣) انظر: شعب الإيمان ٢/٣٨٦، ٤١٦.

(٤) انظر: شعب الإيمان ٢/٤٢٢.

(٥) انظر: شعب الإيمان ٢/٤٢٦.

(٦) انظر: الترغيب والترهيب ٢/٣٥٢.

(٧) انظر: شعب الإيمان ٢/٥٤٣.

(٨) شعب الإيمان ٢/٥٤٤.

## المطلب الثاني: حكم الاستهزاء بالقرآن، والحث منه.

القرآن الكريم كلام رب العالمين، وصفة من صفاته، فيجب تعظيمه، والآية من القرآن يجب تعظيمها، بل لو كتب في شيء وجب تعظيمه برفعه عن مكان المهانة، وعدم امتنائه، ولهذا تحرم كتابتها فيما يكون مبتذلاً<sup>(١)</sup>، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابة القرآن على لباس الحرب والدنانير ونحوهما: «كتابة القرآن عليها: فيشبه كتابة القرآن على الدرهم، والدينار، ولكن يمتاز هذا بأنها تعاد إلى النار بعد الكتابة، وهذا كله مكروه، فإنه يفضي إلى ابتذال القرآن، وامتنائه، ووقوعه في المواضع التي ينزه القرآن عنه، فإن الحياصة<sup>(٢)</sup>، والدرهم، والدينار، ونحو ذلك، هو في معرض الابتذال، والامتنان، وإن كان من العلماء من رخص في حمل الدراهم المكتوب عليها القرآن، فذلك للحاجة، ولم يرخص في كتابة القرآن عليها - والله أعلم -»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «باب: من هزل بشيء فيه ذكر الله، أو القرآن، أو الرسول»<sup>(٤)</sup>، قال الشيخ سليمان رحمه الله في شرحه لهذا الباب: «أي أنه يكفر بذلك لاستخفافه بجناب الربوبية، والرسالة، وذلك مناف للتوحيد، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو بدينه كفر - ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء - إجماعاً».

(١) انظر: حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص ٩٨.

(٢) لعل المقصود أن يجعل الذهب مرصوفاً على الثياب، على نحو حزام وغيره، يتزين بها. انظر: المعجم الوسيط ٢٠٧/١ مادة (حوص).

(٣) المجموع ٦٦/٢٥.

(٤) كتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد ص ٦١٧.

(٥) هو الإمام الفقيه: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب التميمي، ولد بالدرعية، وكان بارعاً في التفسير والحديث والفقه، أخذه إبراهيم باشا بعد دخوله الدرعية وقتله بوابل من الرصاص حقداً على الدعوة، ومن مصنفاته العظيمة: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، قتل سنة ١٢٣٣ هـ. انظر: الأعلام ١٢٩/٣.



والدليل على أن من استهزأ بالقرآن أو بشيء منه يكفر، الكتاب والسنة والإجماع، ومن هذه الأدلة:

١. قول الله ﷻ: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِ وَاٰیَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] فتين بهذا أن الاستهزاء بآيات الله كفر، يكفر به صاحبه بعد إيمانه<sup>(١)</sup>.

٢. ورد أن رجلاً قال: [ما لقرائنا هؤلاء: أرغبنا بطونا، وأكذبنا ألسنة، وأجبنا عند اللقاء!!]؛ فأخبر النبي ﷺ بمقالته؛ فجاء معتذراً، وهو ماسك بزام ناقة رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ ما يزيد على أن يذكر له هذه الآية: ﴿أَبِإِلَهِ وَاٰیَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]<sup>(٢)</sup>.

٣. قال العلماء: من جحد حرفاً فأكثر من القرآن، أو زاده، أو غيره، أو قال: ليس بمعجز، أو جحد سورة أو آية من القرآن، فلا اختلاف في أنه كافر<sup>(٣)</sup>، فكيف بمن يستهزئ؟.

٤. نص العلماء - رحمهم الله -: أن الشخص «يكفر إذا أنكر آية من القرآن، أو سخر بآية منه، إلا المعوذتين، ففي إنكارهما اختلاف، والصحيح كفره،... وبقراءة القرآن على الدف، أو القضب،... وبالمزاح بالقرآن،... وبنظمه بالفارسية...، وببراءته من القرآن»<sup>(٤)</sup>.

٥. عَدَّ أهل العلم إهانة المصحف من الكفر، فقالوا: «والفعل المكفر ما تعمده صاحبه استهزاء صريحاً بالدين، أو جحوداً له كالقاء مصحف...؛ لأنه صريح

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٦١٩.

(٢) أورد نحوه الطبري في تفسيره ٤٠٩/٦.

(٣) انظر: البيان والتحصيل لأبي الوليد ابن رشد القرطبي ٣٩٤/١٦، الشرح الصغير ٤/٤٣٥، القوانين الفقهية لابن جزي ٣٧٠، الإعلام بقواطع الإسلام ص ٢٣، رسالة في ألفاظ الكفر لتاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد الحنفي، ص ٤٤٣، ضمن الجامع لألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ١٣١/٥، وانظر: ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص ٢٩، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

- في الاستخفاف بكلام الله تعالى، والاستخفاف بالكلام استخفاف بالمتكلم»<sup>(١)</sup>.
٦. عدوا من الاستهزاء: من قرأ آية من القرآن عامدا على غير وجهها، وهو يعلم أنها ليست كذلك في المصحف، وغيّرَها وبدلها بهواه؛ فإنه كافر، وهذا من الاستهزاء بكتاب الله ﷻ<sup>(٢)</sup>، ويشبه هذا فيما لو ساق آية في غير ما أنزل من أجله، على سبيل الاستهزاء فإنه يكفر<sup>(٣)</sup>.
٧. من الاستهزاء بالقرآن أن يدعى أنه غير معجز، فمن قال ذلك مستهزئا فإنه يكفر<sup>(٤)</sup>، وما يخشى أن يكون من الاستهزاء بالقرآن - وإن كان يرجع ذلك إلى النية - أن يكتب مع الشعر ونحوه، مما فيه كذب وهجاء، وزور وبغي<sup>(٥)</sup>.
٨. كذلك من الاستهزاء بالقرآن: الاستهزاء بأحكامه وأخباره، أو الطعن فيما أحله وحرمه، وهذا كفر بإجماع علماء الإسلام<sup>(٦)</sup>.
٩. أن من الاستهزاء بالقرآن مخالفة نصوصه عن قصد واعتقاد؛ فإنها كفر، قال ابن أبي العز رحمته الله: «فمخالفة النص إذا كانت عن قصد فهي كفر، وإن كانت عن اجتهداء فهي من الخطأ المغفور»<sup>(٧)</sup>.
- وبهذا يظهر أن السلف - رحمهم الله - من المعظمين للقرآن، والذايين عنه، ومنعوا أي نوع مما يشعر إهانته، أو السخرية بالقرآن الكريم وجعلوا ذلك من المحرمات العظيمة.
- ومن تعظيم القرآن الكريم، التبرك به على الوجه المشروع، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

(١) مغني المحتاج للشربيني ١٣٦/٤.

(٢) انظر: الأحكام في أصول الأحكام ١٤٨/٢.

(٣) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٧٨.

(٤) انظر: مغني المحتاج للشربيني ١٣٦/٤.

(٥) انظر: الفروع لابن مفلح ٣٦٢/١.

(٦) مجلة البحوث العلمية، ٣٢/٣٣٨ مقالة بعنوان حكم من يسخر بالقرآن وأهله للشيخ ابن باز رحمته الله.

(٧) الإتياع له ص ٢٩.

### المطلب الثالث: حكم التبرك<sup>(١)</sup> بالقرآن.

كان السلف يطلبون البركة من القرآن الكريم، بما ثبت عن النبي الكريم ﷺ<sup>(٢)</sup>، ولا ريب أن القرآن الكريم مبارك، وأن فيه البركة، فأثار البركة ظاهرة فيه لمن تأمل<sup>(٣)</sup>.  
وقد جاءت الأدلة المتوافرة من الكتابة والسنة على أن القرآن الكريم مبارك، ومن هذه الأدلة:

١- قول الله ﷻ: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] فكونه مبارك دليل على أنه كثير المنافع الدنيوية والدينية<sup>(٤)</sup>، وما يدل على أن القرآن مبارك آيات أخرى كثيرة، ومنها: قوله ﷻ: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقول الله ﷻ: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، فهذه الآيات تدل على أن القرآن مبارك، وفيها الإشارة إلى نوع البركة فيها من حيث كونه (مصدقًا)، وكونه (كافيًا في الإنذار)، وتظهر بركته على (متبعيه) ولا ينكر هذا إلا المعاندون.

٢- الأحاديث التي تدل على فضائل القرآن الكريم مجموعة، وتبين فضائل

(١) التبرك، والبركة، حقيقتها: الثبوت واللزوم، والاستقرار، وبرك البعير: إذا استقر على الأرض، والبركة: النماء والزيادة، ويقال: باركه الله، وبارك فيه، وبارك عليه، وبارك له، والمبارك: الذي قد باركه الله ﷻ؛ فكتابه مبارك، قال تعالى: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠] وإنما سمي مباركاً - وهو حقيق بذلك - لكثرة خيره، ومنافعه، ووجوه البركة فيه. انظر: جلاء الأفهام لابن القيم ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) وقد ذكرت في الفصل الثالث من الباب الثاني تبرك المخالفين للسلف بالقرآن الكريم، وأنه على حسب ما يتدعون من عند أنفسهم.

(٣) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه د/ ناصر الجديع ص ٢١٥ وما بعدها؛ فإنه قد ذكر بعض هذه الأنواع من التبركات المشروعة، وقد استفدت من كتابه - أثابه الله -.

(٤) انظر: جلاء الأفهام ص ١٦٦، روح المعاني للألوسي ١٢/ ١٨١، أضواء البيان للشنقيطي ٧/ ٢١.

بعض السور والآيات؛ فهذه تدل على بركته<sup>(١)</sup>، وكذلك ما ورد من فضل قراءة القرآن والعمل به.

٣- كون القرآن كلام الله ﷻ فلا ريب أنه يكون مباركا؛ لأن المتكلم به هو الله ﷻ الذي يبارك على من يشاء وما يشاء، وكلام الله ﷻ لا يكون إلا حقا، ولا يكون إلا صدقا، وكلامه ﷻ يهدي إلى الحق، ويوصل إلى كل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، وهل هناك أعظم بركة من كتاب يوصل من اتبعه إلى الجنة؟؟، وكونه تبياناً لكل شيء، وفيه الشفاء من كل عيٍّ، والحياة السعيدة لكل من عمل به من إنسي أو جني<sup>(٢)</sup>.

٤- ثبت عن بعض السلف أنهم كانوا يكتبون القرآن ثم يمحونه بالماء، ونحوه من الطاهرات، وهذا يقتضي أن لذلك بركة<sup>(٣)</sup>.

فهذه بعض الأدلة التي تدل على بركة القرآن الكريم، ويكون التبرك بالقرآن الكريم بما ورد شرعا، لا بما يُورد ذهنًا، ومن جملة البركات التي يمكن للمسلم أن يلتمسها في القرآن الكريم ما يأتي:

١- يتبرك بالقرآن الكريم في المسائل العلمية والعملية؛ فيطلب في آياتها، ومعانيها المسائل العلمية والعملية المختلفة، ومن جملة ذلك بركته في كونه يرفع الخلاف، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] والرد إلى الله رد إلى كتابه، والرد إلى الرسول رد إلى سنته بعد وفاته<sup>(٤)</sup>، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «قال مجاهد وغير واحد من السلف - فردوه - أي إلى كتاب الله، وسنة رسوله، وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من

(١) انظر: هذه الفضائل في كتاب أبي عبيد (فضائل القرآن)، وكتاب (فضائل القرآن لابن كثير) وكتاب (موسوعة فضائل وسور القرآن للطهراني)، وانظر: الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) انظر: عقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر الجزائري ص ٢٠٤ وما بعدها.

(٣) انظر: المجموع ١٢ / ٥٩٩، الإتيان للسيوطي ١٤٤ / ٤.

(٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ١١٧ / ٢.

أصول الدين، وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة...؛ فما حكم به الكتاب والسنة، وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال»<sup>(١)</sup>.

٢- أنه يهدي إلى الحق، وإلى الهدى، وإلى الجنة<sup>(٢)</sup>.

٣- أنه يبارك من يعمل به، ويحد بحدوده، وينتهي عن نواهيهِ؛ فيكون مباركا، نقيبا، تقيا، من درك الشرك والإلحاد، والشبهات والشهوات.

٤- أن من بركة القرآن كونه حرزا لمن قرأه من شياطين الإنس والجن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، وثبت أن: من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ حتى يصبح<sup>(٣)</sup>.

٥- أنه يزيد من قرأه وتلاه وحفظه درجة ورفعة<sup>(٤)</sup>، وهذه من بركات القرآن، ولا تحصل إلا بالعمل والقراءة، ومن جملة ذلك أن من تلاه وقرأه فإن ذلك يكون شافعا له يوم القيامة، قال ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شافعا لأصحابه».

٦- من بركات القرآن الكريم، أنه شفاء من الأمراض المعنوية والحسية، شفاء من الشهوات والشبهات والمهلكات، وشفاء من الأمراض؛ فطلب الاستشفاء به من طلب بركة القرآن الكريم<sup>(٥)</sup>.

٧- من التبرك بالقرآن الكريم جعله دستور الحياة، حتى تكمل الحياة، وتسعد المجتمعات، وأما جعله دستورا من دون عمل، أو كتابة شيء منه تبركا على الجدران ونحو ذلك؛ فهذا لم يثبت، ولا يجدي<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥١٨.

(٢) انظر: ما سبق ذكره في أوصاف القرآن الكريم وأسائه في الفصل الرابع من الباب الأول مما يدل على أنه هاد.

(٣) روى نحوه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل سورة البقرة، ح (٥٠١٠)، عن أبي هريرة ؓ.

(٤) انظر: التبرك المشروع والتبرك الممنوع د. علي العلياني ص ٣١، وانظر: الفصل الثالث من الباب الأول.

(٥) انظر: الفصل الثالث من الباب الأول.

(٦) انظر: الفصل الثالث من الباب الثاني.

٨- ومن بركته أنه إذا قرئ في بيت سورة البقرة؛ فإن الشياطين تطرد من ذلك البيت.

٩- ومن بركته أنه إذا قرئ تنزلت الرحمت، وارتفعت الدرجات، وأحس القارئ بزيادة الإيمان، وأن الملائكة تحف القارئ<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتضح أن من عظمة القرآن الكريم أنه مبارك، وأن من تبعه يكون مباركا، وأن من عمله به يكون مباركا، ومن تمام تعظيمه معرفة خصائصه، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) انظر: ما يدل على هذه المعاني، الأحاديث التي مرت حول هذا المعنى في الفصل الثالث، من الباب الأول.

### المطلب الرابع: خصائص <sup>(١)</sup> القرآن.

يعتقد السلف أن للقرآن الكريم خصائص ومميزات ليست لأي كتاب على وجه الأرض، ولأجل هذه الخصائص الكثيرة، أفردتها في التصنيف علماء <sup>(٢)</sup>، ولكني أذكر من الخصائص ما له متعلق بالعقيدة، من حيث بيان منزلته، وما يتعلق به من حكم عقدي، ومن هذه الخصائص:

- ١- من خصائصه أنه كتاب محكم مفصل، قال تعالى: ﴿حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۖ كَتَبْتُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ١-٣].
- ٢- من خصائص القرآن أنه متحدى به، فلا يستطيع مخلوق أن يأتي بمثله، وهذه من خصائص القرآن <sup>(٣)</sup>، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].
- ٣- من خصائص القرآن منع روايته بالمعنى، وهو أمر متفق عليه بين العلماء <sup>(٤)</sup>.
- ٤- من خصائصه أنه يُرفع في آخر الزمان، دون ما سواه من الكتب المنزلة من الرحمن، فهو الكتاب الذي أنزله الله ﷻ، ويرفعه قرب قيام الساعة <sup>(٥)</sup>.
- ٥- من خصائص القرآن أنه يتعبد لله ﷻ بألفاظه تلاوة، ويستحق تاليه

(١) هذا العنوان مقصدي فيه: ما تميز به هذا الكتاب عن غيره، مما يعتقده السلف، وقد يعبر عنه بعنوان: خواص القرآن، وهناك مؤلفات باسم خواص القرآن لبعض المخرفين، وكأنهم يعتقدون أن القرآن طلاس لمزاعمهم الباطلة، وشعوذاتهم الزائفة، لكني أذكر ما يصح أنه من خصائص القرآن. وانظر: خصائص القرآن للرومي ص ١٣ في معنى "خصائص القرآن".

(٢) انظر: الإتيان للسيوطي ٤/ ١٣٧، حيث ذكر أن الغزالي أفرد هذا الموضوع بالتصنيف، ولم أقف عليه، وكذلك للباقي فيه تصنيف، ولم أقف عليه، ومن كتب فيه من المعاصرين المالكي بعنوان: (خصائص القرآن)، لكنه ملاء ببعض الخرافات، وللدكتور فهد الرومي (خصائص القرآن) وهو كتاب قيم.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٣٩٣، ١٥/ ١٠٦.

(٤) انظر: الفواكه الدواني ١/ ٥٠.

(٥) ينظر: ما سبق في الفصل الأول، من الباب الأول.

الثواب على القراءة<sup>(١)</sup>.

٦- أنه محفوظ عن الزيادة والنقصان، وعن التبديل والتغيير، وهذه خاصية لا توجد في كتاب سواه، وأبى الله العصمة إلا لكتابه.

٧- من خصائصه أنه الكتاب الذي يحفظ عن ظهر قلب، ويسر وسهولة - مع كثرة آياته وسوره - بخلاف الكتب السابقة المنزلة<sup>(٢)</sup>.

٨- من خصائصه أنه هو الدليل، وهو المدلول، فهو الذي يُنبى عن حكم الله ﷻ وشرعه، وهو الذي أمرنا بالإيمان به<sup>(٣)</sup>.

٩- من خصائصه أنه لا يقرأ في الصلاة إلا هو، فلا يقرأ في حال القيام إلا القرآن على وجه الخصوص، ولا يصلى بلا قرآن، إلا من تعذر عليه من الإنس والجان، من غير تفريط منه في هذا الشأن<sup>(٤)</sup>.

١٠- من خصائصه ما ذكر له من الفضائل، حيث لا يدانيه في ذلك الذكر أو المسائل، وهذا يدل على فضله، إذ شرف الشيء وما به يختص بكثرة أوصافه التي لا يشاركه فيها شيء<sup>(٥)</sup>.

١١- من خصائصه ما فضل به آحاد سوره، وبعض آياته، وما ذكر لبعض السور والآيات من المميزات.

١٢- أنه لا يقوم غير القرآن مقامه، ويقوم هو مقام غيره، فيقوم هو مقام الذكر المطلق<sup>(٦)</sup>، والذكر المطلق لا يقوم مقامه، ويقوم هو مقام طلب العلوم الأخرى، ولا يقوم طلب علم غيره مقامه.

(١) انظر: ما سبق في الفصل الثالث، من الباب الأول، وانظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢٦٠.

(٢) انظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢٦٠.

(٣) انظر: النبوات ص ٩٠.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ١١.

(٥) انظر: كتاب فضائل القرآن، وتلاوته، وخصائص تلاوته، وحملته، لأبي الفضل أحمد بن الحسن الرازي ص ٢٤.

(٦) انظر: المجموع ١٧/ ١١-١٢.



- ١٣- من خصائصه العظيمة أن فيه الغنية عما سواه من الكتب السابقة المنزلة<sup>(١)</sup>.
- ١٤- من خصائص القرآن الكريم أنه كالماء يروي الإنسان، إذا استقى منه بصدق وإخلاص، ولذا شبهه النبي ﷺ بالماء، كما في قوله ﷺ: [مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً...]<sup>(٢)</sup> فقد خص الله ﷻ بعض الملائكة بإنزال الأمطار، وخص بعضهم بإنزال ما فيه حياة الأخيار، بهذا الوحي المدرار<sup>(٣)</sup>.
- ١٥- خص بأنه لا يجوز مسه من غير طهارة كاملة، كما ثبت ذلك<sup>(٤)</sup> عن الصحابة - مثل سعد، وسلمان، وابن عمر - وجهاهير السلف، والخلف، الفقهاء الأربعة وغيرهم، ومضت به سنة رسول الله ﷺ في كتابه الذي كتبه لعمر بن حزم<sup>(٥)</sup> الذي لا ريب في أنه كتبه له، ودل على ذلك كتاب الله<sup>(٦)</sup>.
- ١٦- خص القرآن بأنه لا يقرأ في حال الركوع والسجود، لأن العبد في حالة ذل لله ﷻ، فلم يناسب أن يقرأ فيه شيئاً من ذلك على وجه الذكر، وإنها يكثر فيهما ما يكون من التعظيم لله ﷻ ودعائه.
- ١٧- من خصائصه: ما اختص به أسلوبه<sup>(٧)</sup>، فأسلوب القرآن أسلوب رفيع في المخاطبة، والناس على اختلاف طبقاتهم وثقافتهم وأعمالهم يحسون به ويلتذون بقراءته، وما يذكر من بلاغة القرآن، وعلو لغته، فذلك بعض من علومه، وشيء من خصائصه، وما سطره العلماء بين مقل ومكثر، فإنها هو قليل من كثير، وقطرة من بحر، ومن أهم خواصه:

(١) انظر: المجموع ١٧/٤٦.

(٢) سبق تخريج الحديث وأوله: "إن مثل ما بعثني الله..." ص ٥٢٩.

(٣) انظر: نقض المنطق ص ٣٦.

(٤) انظر: الفصل الرابع من الباب الأول.

(٥) هو الصحابي الجليل: عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري ﷺ شهد الخندق وما بعدها، وكان عامل النبي ﷺ على نجران، مات بعد الخمسين. انظر: التقريب ص ٣٥٧.

(٦) المجموع ١٧/١٢.

(٧) انظر: كتاب فضائل القرآن، وتلاوته، وخصائص تلاوته، وحملته، لأبي الفضل أحمد بن الحسن الرازي ص ١٠.

أ- جماله اللغوي بياناً، واتساق ألفاظه حركة وسكوناً، حيث يسترعي الأسماع، ويستهوِي النفوس<sup>(١)</sup>.

ب- إرضاءه العامة والخاصة؛ فالعلماء يحسون بجلاله، وجماله، والعوام يحسون بحلاوته، وطراوته<sup>(٢)</sup>.

ت- إرضاءه العقل والعاطفة؛ فهو يخاطب العقل ويحسس الوجدان، وتدرِك مرامه العقول، وتتحمس خطابه النفوس<sup>(٣)</sup>، كل ذلك بترابط أجزائه، وقوة سبكه وسرده<sup>(٤)</sup>.

١٨ - من خصائصه أنه شفاء<sup>(٥)</sup>، وهذا يدل على أنه كتاب هداية وشفاء، وجاء: [عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن]<sup>(٦)</sup>، وهذا ليس لكتاب موجود على وجه الأرض إلا القرآن، قال ابن القيم - رحمه الله -: «إذا ثبت أن لبعض الكلام خواصاً ومنافع، فما الظن بكلام رب العالمين»<sup>(٧)</sup>.

فهذه بعض الخصائص التي تنبئك خصوصية القرآن، وتوقفك على خصائصه بين الكتب؛ فعرض عليها، وتمسك بحبلها.

وهذه أبيات فيها بيان لما اشتمل عليه القرآن من بعض الخصائص، حيث قال

(١) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٣٣١-٣٣٥.

(٢) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٣٣٥-٣٣٦.

(٣) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٣٣٦-٣٣٧.

(٤) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٣٣٨-٣٤٠.

(٥) انظر: الإتيقان للسيوطي ٤/ ١٣٧ وما بعدها.

(٦) رواه ابن ماجة، كتاب الطب، باب/ العسل، ح(٣٤٥٢)، ورواه الحاكم في مستدركه، كتاب الطب، ح(٧٤٣٥)، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، ووافقه الذهبي، وضعفه الشيخ الألباني، كما في السلسلة الضعيفة، ح(١٥١٤)، ورجح كونه موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه.

(٧) انظر: الإتيقان ٤/ ١٤٤.

الشاعر:

هذا هو القرآن نبراس الهدى      دستورك الأسمى المنير المشرق  
آياته نبع العلوم جميعها      من قال: لا؛ فهو الغبي الأخرق  
علم الطبيعة، والحياة، وحكمة      الإيجاد من تبيانته تتدفق  
وسياسة الدنيا بأقوم شرعة      بين الورى بسواه لا تتحرك  
فيه القضاء لحل كل قضية      عن حلها أهل السياسة أخفقوا  
عودوا إلى القرآن عودة باحث      ترك الهوى، والعقل حر مطلق  
وخذوا دساتير الحياة جميعها      من آيه، وعلى الخليفة أشفقوا  
فهو الدواء لكل أدواء الورى      وهو الطبيب، لكل سقم، صدّقوا  
فالغرب لما سار، سار بنوره      وعلا، وقبل الغرب سار المشرق  
يا قوم أحمد مجدكم قرآنكم      فهو الكتاب العالمي الأصدق<sup>(١)</sup>  
فخصائص هذا الكتاب بينة، والعقول قد تدرك شيئاً منها ولا تستحضره، وإنما  
هي مفرقة فجمعت، ومن خصائصه فهمه على ما فهمه السلف، وهذا ما أبينه في  
الفصل التالي.

(١) التربية في كتاب الله، لمحمود عبد الوهاب، ص ٥٣-٥٤ نقلاً عن كتاب خصائص القرآن للرومي



## الفَصْلُ الثَّانِي

# طَرِيقَةُ السَّلَفِ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ وَلِلَّهِ حُجَّتُ الْبَرِّ

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: طريقة أهل السنة في فهم القرآن، وفيه خمسة مطالب.

المبحث الثاني: حجية القرآن عند السلف، وفيه أربعة مطالب.



## المبحث الأول: طريقة أهل السنة في فهمه

### المطلب الأول: الاستغناء بالوحي.

يعتقد السلف أن كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، فيهما الغنية، وفيهما العظة والعبرة، والكفاية والغنيمة، وبيان لكل معلوم<sup>(١)</sup>، والأمم قبلنا كانت تسوسهم الأنبياء، وأما أمة محمد ﷺ فأغناهم الله برسولهم وكتابتهم عن كل ما سواه، والعلماء الربانيون يقومون في الأمة مقام الأنبياء في التبليغ، وإن العالم منهم، والمحدث إنما يؤخذ منه ما وافق الكتاب والسنة، ولا يقبل منهم شيء حتى يعرضه عليهما<sup>(٢)</sup>.

والوحي هداية لجميع البشر، من تمسك به بقي من كل زلل وشرر، ومن تركه من جبار انكسر، يقول صاحب متن الشيبانية فيما عنه اشتهر<sup>(٣)</sup>:

فلا مذهب التشبيه نرضاه مذهبا ولا مقصد التعطيل نرضاه مقصدا

ولكن بالقرآن نهدي ونهتدي وقد فاز بالقرآن عبد قد اهتدى

فالقرآن فيه جميع علم الكتب السابقة، وفيه تفصيل كل شيء، وهو آية صدق

النبي ﷺ، فمن لم يرض به؛ فإنه لم يكتف بدليل صدق النبي ﷺ، وكفى به خسرانا<sup>(٤)</sup>، فكل ما جاء به محمد ﷺ حق، والقرآن حق وهو منبع أحكام الشريعة<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: قانون التأويل لابن العربي ص ٥٠٤.

(٢) انظر: المجموع ٤٦/١٧.

(٣) ص ٣٦، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) انظر: إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ص ١١٨، ١٢٦، ١٤٠.

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ص ١١.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه من مثابه، وناسخه من منسوخه؛ إذا عرفتم ذلك استغنيتُم»<sup>(١)</sup>، أي عما سواه.

وقد اتفق السلف على انقطاع الوحي من السماء، وكمال الشريعة السمحاء، وأن الدين قد استقر، وأن النصوص قد سبرت، واتفقوا على أنه لا يحل ترك ما جاء في الكتاب والسنة<sup>(٢)</sup>.

ولهذا كان السلف مستغنين بالوحي عن الطرق الكلامية، والآراء الفلسفية، والمنامات الصوفية، والأذواق الفكرية، والقوانين البشرية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده؛ فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعية، والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى، ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم... فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به، ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق، ووجد ومكاشفة، ولا قال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل!!! ولا فيهم من يقول: إن له ذوقاً، أو وجداً، أو مخاطبة، أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث»<sup>(٣)</sup>.

فجيل الصحابة لا ينهلون إلا من الوحي، وكانت الحضارات تحيط بهم، الحضارة اليونانية، والمجوسية، وكانت اليهودية والنصرانية تعيشان بينهم في المدينة واليمن، ومع ذلك منهج التلقي عند هذا الجيل كان مقصوراً على الوحي، مستغنين عما في أيدي القوم بما أغناهم الله من الوحي.

والاستغناء بالوحي واجب شرعاً، وذلك لأنه متضمن العلوم الشرعية قطعاً،

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/١.

(٢) انظر: مراتب الإجماع ص ١٧٤، وانظر: حجة الله البالغة للدهلوي ١٧/١.

(٣) المجموع ٢٨/١٣-٢٩.



وفيه يقول الله ﷻ: ﴿لَنَكُنَّ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦] قال الزجاج: «أنزله وفيه علمه»<sup>(١)</sup> وقال غيره: أنزله من علمه، وهذا المعنى مأثور عن السلف، كما قال عطاء بن السائب<sup>(٢)</sup>: «أقرأني أبو عبد الرحمن<sup>(٣)</sup> القرآن، وكان إذا أقرأ أحدنا القرآن، قال: قد أخذت علم الله، فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل»<sup>(٤)</sup> فالقرآن متضمن لعلم الله ابتداء، فإنها أنزل بعلمه، وليس هو كلام بلا علم، فالقرآن فيه الغنية عما سواه، لكونه متضمنا لعلم الله خبرا وأمرا.

«ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر وكتاب آخر: فضلا عن أن تحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه غيره، سواء كان من علم المحدثين والملمهين، أو من علم أرباب النظر والقياس، الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتاب منزل من السماء»<sup>(٥)</sup>. وكان عنوان القرآن ودعواه: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وقوله: ﴿وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فالقرآن فيه غنية عما سواه، في البلاغ، والإنذار، وغير ذلك.

والأدلة أكثر من أن تذكر في الدلالة على أن في الوحي غنية عما سواه، وأسرد شيئا من هذه الأدلة:

١- أن الدين قد كمل، وكمال بقاء نصوصه محفوظة، وكفايتها وشمولها وعمومها، قال الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] والأمة تشهد بهذا، وأن النبي ﷺ، بلغ البلاغ المبين، وأكمل الله

(١) المجموع ١٦ / ٤٦٤.

(٢) هو من أتباع التابعين: عطاء بن السائب أبو محمد الثقفي الكوفي، صدوق في الحديث، روى له البخاري مقرونا، وأصحاب السنن، مات سنة ١٣٦ هـ. انظر: التقريب ص ٣٣١.

(٣) هو أبو عبد الرحمن السلمي.

(٤) المجموع ١٦ / ٤٦٤، وذكر الحافظ ابن كثير أنه رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، انظر: تفسير القرآن العظيم ١ / ٥٩٠.

(٥) المجموع ١٧ / ٤٥، وانظر: الصفدية ١ / ٢٥٧.

به الدين، وإنما كمل بما بلغه، فالدين لم يعرف إلا بتبليغه<sup>(١)</sup>، وهذا يدل عليه ويؤكدده قول النبي ﷺ: [تركتم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك]<sup>(٢)</sup>، ويؤكد كمال الدين قول حذيفة ؓ: [قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة، إلا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابه هؤلاء...]<sup>(٣)</sup>، فالنبي ﷺ أخبر بكل شيء مما يحتاج إليه في الدين، بل وبغيره من الأمور، فكيف لا يستغنى بالوحي؟؟<sup>(٤)</sup>.

٢- قول الله ﷻ: ﴿وَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]؛ فالقرآن يهدي إلى التوحيد، والإسلام، وإلى ما فيه الرشاد، في الدنيا والمعاد، فكيف لا يكون فيه غنى عما سواه<sup>(٥)</sup>، فالقرآن عند المؤمنين الصادقين من أهل العلم الراسخين فيه الحق كله، «منحصر فيه، وما خالفه وناقضه؛ فإنه باطل...، ويرون أيضا أنه في أوامره ونواهيه: ﴿يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ وذلك لأنهم جزموا بصدق ما أخبر به، من وجوه كثيرة: من جهة علمهم، بصدق ما أخبر به، ومن جهة موافقته للأمر الواقعة، والكتب السابقة، ومن جهة ما يشاهدون من أخبارها، التي تقع عيانا، ومن جهة ما يشاهدون من الآيات العظيمة الدالة عليها في الآفاق، وفي أنفسهم، ومن جهة موافقتها لما دلت عليه أسماؤه تعالى، وأوصافه، ويرون في الأوامر والنواهي، أنها تهدي إلى الصراط المستقيم، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى عموم الخلق، ونحو ذلك، وينهى عن كل صفة قبيحة، تدنس النفس، وتحبط الأجر، وتوجب الإثم والوزر: من الشرك، والزنا، والربا،

(١) انظر: المجموع ٥/ ١٥٦.

(٢) رواه ابن ماجة، كتاب السنة، باب/ اتباع سنة الخلفاء الراشدين، ح(٤٣)، رواه ابن أبي عاصم في السنة، ح(٤٨، ٤٩) من رواية العرباض بن سارية ؓ وأورده شيخ الإسلام في المجموع ٥/ ١٥٦، وسكت عنه، وقال الشيخ الألباني في كتابه: ظلال الجنة ص ٢٧: (حديث صحيح).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب/ إخبار النبي ﷺ فيها يكون إلى قيام الساعة، ح(٢٨٩١).

(٤) انظر: الصفدية ١/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٥) انظر: جامع البيان ١٠/ ٣٤٦، فتح البيان ٧/ ٤٢٩.

والظلم في الدماء، والأموال، والأعراض...»<sup>(١)</sup>.

٣- قول الله ﷻ: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥] أي: بالحقيقة أنزلناه كتابا من لدنا، «متلبسا بالحق الذي هو ثبات نظام العالم على أكمل الوجوه، وهو: ما اشتمل عليه من العقائد، والأحكام، ومحاسن الأخلاق...»<sup>(٢)</sup>.

٤- بين الله ﷻ أن الوحي فيه الهداية القويمة، فقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]. «فذكر الله - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة: أن هذا القرآن العظيم - الذي هو أعظم الكتب المساوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهدا برب العالمين جل وعلا - يهدي للتي هي أقوم، أي الطريقة التي هي أسد، وأعدل، وأصوب... وهذه الآية الكريمة أجمل الله - جلا وعلا - فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق، وأعد لها، وأصوبها... فمن ذلك توحيد الله - جل وعلا...»<sup>(٣)</sup>.

٥- بين الله ﷻ أنه نزل الكتاب تبينا لكل شيء، فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، والكتاب المراد به القرآن - على قول -، والمعنى: ما فرطنا فيه من شيء يحتاجون إلى ذكره، وبيانه<sup>(٤)</sup>.

٦- قال الله ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤] فالكتاب هو القرآن المعجز، ومفصلا: أي مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل، والحلال والحرام، ف«في الآية تنبيه على أن القرآن الكريم كاف في

(١) تيسير الكريم الرحمن ٦/ ٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) محاسن التأويل ٤/ ٦٣٦.

(٣) أضواء البيان ٣/ ٣٠٤.

(٤) انظر: شفاء العليل ١/ ١١٨.

أمر الدين، مغنٍ عن غيره، ببيانه، وتفصيله»<sup>(١)</sup>.

٧- قال ﷺ: ﴿أَوْلَمَ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١] فالقرآن أحسن الكلام، ولهذا نهوا عن اتباع ما سواه<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ومثل هذه الآيات التي فيها الإشارة إلى عظيم ما أنزل الله من البينات، «الواردة بصيغة الاستفهام، المتضمن معنى الإنكار، فيها مبالغة واضحة عند علماء البلاغة في وضوح كفايته، ودلالته على وجوب الإيمان، وعظم النفع في تدبره، بحيث لا يئائله في هذه الأشياء غيره، ولا يقاربه»<sup>(٣)</sup>، فمحمد ﷺ شريعته كافية لأمته، لا تحتاج إلى شيء آخر معه<sup>(٤)</sup>.

٨- نهي النبي ﷺ عن سوى الوحي يدل على أن فيه الغنية، قال جابر ﷺ: [إن عمر بن الخطاب ﷺ أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب، قال: فغضب، وقال: أَمْتَهُوْكَون<sup>(٥)</sup> فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية]<sup>(٦)</sup>، وفي بعض الروايات: أن النبي ﷺ رأى بيد عمر بن الخطاب ﷺ شيئاً من التوراة، فقال: [لو كان موسى حياً، ثم اتبعتموه، وتركتموني لضللتم]، وفي رواية: [فتغير وجه النبي ﷺ لما عرض عليه عمر ذلك، فقال له بعض الأنصار: يا ابن الخطاب! ألا ترى إلى وجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر ﷺ: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً]<sup>(٧)</sup>، ففي هذا الحديث: التحذير من كتب أهل الكتاب مع أنها لا

(١) محاسن التأويل ٣/ ٤١٠.

(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٤١.

(٣) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير البيهقي ص ١٠.

(٤) انظر: الصفدية ١/ ٢٥٧.

(٥) قال أبو عبيد في قوله: [أمتهوكون] يقول: «أمتحرون أنتم في الإسلام؟ لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى؛ فمعناه: أنه كره أخذ العلم من أهل الكتاب». غريب الحديث ١/ ١٣٠، وأصل الكلمة مأخوذة من التهوك، وهو التحير. مختار الصحاح ص ٧٠٢.

(٦) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، ح (٥٠)، وقال الألباني في تحريجه له: (حديث حسن).

(٧) انظر: هذه الروايات في مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٣١٢، ومسند الإمام أحمد ٣/ ٣٨٨، وانظر: تحسين الشيخ الألباني لسند هذه الروايات في حاشية المشكاة ١/ ٦٣.

تخلو من حق<sup>(١)</sup>، والإنكار من النبي ﷺ على من التمس غير الوحي المنزل، ويشمل من التمس الهدى في غيره من باب أولى، وفيه موعظة وتذكير لمن لم يكتف بالوحي، مع أن في الوحي غنية وكفاية في الشرع، إذ الدين كامل به.

٩- أن الصحابة رضي الله عنهم فهموا وجوب الاستغناء بالوحي، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه [أتي برجل من عبد القيس، مسكنه بالسوس<sup>(٢)</sup>، فقال له عمر: أنت فلان ابن فلان العبدى؟ قال: نعم! قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم!، فضربه بقناة<sup>(٣)</sup> معه، فقال له: ما ذنبى؟ قال فقرأ عليه: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢﴾ [يوسف: ١-٣]، فقرأها عليه ثلاث مرات، وضربه ثلاث ضربات، ثم قال له عمر: أنت الذي انتسخت كتاب دانيال؟ قال: نعم! قال: اذهب فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ولا تقرأه، ولا تقرئه أحدا من الناس<sup>(٤)</sup>، فقرأ عليه عمر هذه الآية «ليبين له أن القرآن أحسن القصص، فلا يحتاج معه إلى غيره»<sup>(٥)</sup>، وكذلك فعل ابن مسعود رضي الله عنه لما أوتي له بكتاب من الكتب محاه، وذكر القرآن وفضله<sup>(٦)</sup>، مما يدل على الاستغناء بالوحي عما سواه.

١٠- قوله ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ

(١) انظر: إجماع العلماء على المنع والتحذير من أهل الأهواء ص ٦٥.

(٢) السوس: بضم أوله، وسكون ثانيه، وسين مهملة أخرى، على وزن: الصوف، والسوس اسم لمدن كثيرة، وإذا أطلقت فالمراد بها السوس المعروفة التي فتحت أيام عمر رضي الله عنه، ولم أعرف موقعها الحالي. انظر: معجم البلدان ٣/٣١٩.

(٣) (القناة) الرمح، والجمع قنن، كحصاة وحصي. انظر: المصباح المنير للفيومي ص ٥١٧.

(٤) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٤٦٨، وذكر أنه رواه أبو يعلى الموصلي ولم أجده في سنته المطبوع، ومن طريقه رواه الضياء في المختارة ١/٢١٦، وانظر: الفتح ١٣/٥٣٥.

(٥) المجموع ١٧/٤٢

(٦) المجموع ١٧/٤٢، ولم أجده عند غيره.

أَلْحَقِ ﴿[المائدة: ٤٨] فالقرآن مهيمن على الكتب السابقة بمعنى: أنه مؤتمن على الكتب السابقة، أمين عليها، وشهيد لها بالحق، حاكم عليها، قال ابن كثير رحمه الله: «وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى؛ فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين، وشاهد، وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب، وخاتمها، وأشملها، وأعظمها، وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهداً، وأميناً، وحاكماً عليها كلها»<sup>(١)</sup>.

١١- قوله ﷻ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّ بِهَ الْمَوْتُ﴾ [الرعد: ٣١] فكيف لا يستغنى بالقرآن، وهذا وصفه، «عظيم قدره، ونفعه، وبركته، ونوره، وهدايته، وسره، وخاصيته التي لا يحيط بمعرفتها على التفصيل والتحقيق إلا الله ﷻ، بحيث يؤثر في الجبال الراسيات، والصخور القاسيات، فكيف لا يؤثر في قلب المتدبر له، المتعلم منه، المعول في جميع المهمات عليه، الراجع في اقتباس نور الهدى إليه، وأي كتاب يوجد في العالم موصوف بمثل هذا الوصف، والواصف له الملك الرب الجليل، علام الغيوب، الذي يستحيل عليه الخطأ والتعظيم لما لا يستحق التعظيم، والغلو القبيح في الكلام بغير الحق، فكيف يترك ما في هذا الذكر المبين من البراهين، ويعتمد على تأليف المخلوقين، وأساليب الجدليين؟؟»<sup>(٢)</sup>.

١٢- قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢] فالقرآن مفصل فيه العلم كله مما يحتاج إليه البشر في تعبدهم لله رب العالمين، فانظر إلى قوله ﴿فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ «وما دل عليه من مطابقة ما اشتمل عليه القرآن من الإيجاز في موضعه، والاكتفاء بالجملة في موضعه لما تقرر في علم الله

(١) تفسير القرآن العظيم ٦٥/٢، وانظر: نقض المنطق لشيخ الإسلام ص ٢٤.

(٢) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لأبي عبد الله محمد بن المرتضى المشهور بابن الوزير ص ٩-١٠.

عليه القرآن من الإيجاز في موضعه، والاكتفاء بالجملة في موضعه لما تقرر في علم الله تعالى بالغيوب من مصالح المؤمنين، الذين خصهم بأنه هدى لهم ورحمة، فأى كتاب فصل على علم مثل هذا العلم الذي صدر عنه تفصيله؟<sup>(١)</sup>.

١٣- قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٣٦-٣٨] والمراد بذكر الرحمن: هو الذكر الذي أنزله، وهو القرآن<sup>(٢)</sup>، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [١٢] وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى [١٣] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا [١٤] قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى [١٥] طه: ١٢٣-١٢٦، قال ابن عباس ؓ: [من قرأ القرآن، واتبع ما فيه هداه الله في الدنيا من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب]<sup>(٣)</sup>، «ولقد ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة»<sup>(٤)</sup>، فمن لم يكتف بذكر الله، من الوحي الذي أنزله على محمد ﷺ، فلا أحد أضل منه؛ لأنه متبع لهواه.

١٤- قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦]، قال ابن القيم رحمه الله: «فإذا كان أهل الكتاب يفرحون بالوحي؛ فأولياء الله، وأتباع رسوله أحق بالفرح به»<sup>(٥)</sup>، والقرآن الذي علمنا الله خير لنا من الذهب

(١) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص ١٠-١١.

(٢) انظر: الرد على البكري ١/ ٣٥٧.

(٣) معالم التنزيل للبعوي ٥/ ٣٠٠.

(٤) هذه الزيادة ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٣٠، وشيخ الإسلام في المجموع ٣/ ٣١٤، وقد سبق

الأثر في ص ٢٤١.

(٥) الروح ص ٣٣٤.

١٥- كيف لا يستغنى بالوحي، والله ﷻ أخبر أنه مشتمل على الهدى والفلاح، قال ﷺ: ﴿الْمَرْءُ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ﷻ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﷻ [إبراهيم: ١-٢] وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﷻ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُكُمُ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﷻ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِفَايْتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٧]، فإذا كان الوحي مشتملاً على الهدى والنور، فمن تبعه اهتدى، ومن سار على دربه وصل، ومن أعرض عنه ضل<sup>(١)</sup>، ومن لم يعتقد أن في القرآن هدى وضياء فلا شك في كفره، وأنه خارج عن ملة الإسلام<sup>(٢)</sup>.

١٦- أن الوحي شفاء للمؤمنين وبيان، فكيف لا يستغنى به، قال ﷻ: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال الله ﷻ: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﷻ [آل عمران: ١٣٨] فاعتماد أهل السنة أصحاب الحديث: سلفاً وخلفاً، على الوحي، وعلى إرشاد الله إياهم<sup>(٣)</sup>، قال النبي ﷺ: [إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به؛ فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً]<sup>(٤)</sup>، ومثل هذا قول النبي ﷺ: [إني قد تركت فيكم، ما إن

(١) انظر: الدرء ٥ / ٣٧٥.

(٢) سمعت هذه العبارة من شيخنا عبد المحسن العباد البدر - حفظه الله -.

(٣) انظر: الانتصار للعمري ١ / ١٢٣.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ١ / ١٦٦ ح (١٢٢)، والطبراني في الكبير كما في صحيح

الترغيب والترهيب للألباني ١ / ١٢٤، ح (٣٨)، كلاهما عن طريق أبي شريح الخزاعي ﷺ، وقال:

الشيخ الألباني: إسناده جيد.



اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، كتاب الله، وسنة نبيه<sup>(١)</sup>، فكون القرآن « حبل الله بإطلاق، والشفاء النافع، دليل على كمال الأمر فيه... ولا أحد من العلماء لجأ إلى القرآن في مسألة إلا وجد لها فيه أصلاً »<sup>(٢)</sup>، فلا يلمس الهدى في غير الوحي<sup>(٣)</sup>.

١٧- قول النبي ﷺ: [ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن]<sup>(٤)</sup>، والمراد استغناء الرجل بما أوتي من كتاب الله ﷻ<sup>(٥)</sup>، هكذا نقل عن غير واحد من السلف: أن المرء يستغني بالوحي عما سواه<sup>(٦)</sup>.

١٨- أن ما جاء في فضل القرآن يدل على أنه يغني عن غيره، وغيره لا يغني عنه، قال ﷺ: [ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله؛ فيه الهدى والنور، من استمسك به، وأخذ به كان

الترغيب والترهيب للألباني ١/ ١٢٤، ح (٣٨)، كلاهما عن طريق أبي شريح الخزاعي ﷺ، وقال: الشيخ الألباني: إسناده جيد.

(١) رواه الحاكم في مستدركه، ح (٣١٨)، وأورده الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٢٤، ح (٤٠).

(٢) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٠-٣٧١ بتصرف يسير.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ١.

(٤) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب/ استحباب الترتيل في القراءة، ح (١٤٦٩)، والنسائي، في كتاب الافتتاح، باب/ تزيين القرآن بالصوت، ح (١٠١٦)، وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص ﷺ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان (١٢٠)، ورواه الحاكم في مستدركه (ح ٢٠٩٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذا الإسناد، وقال الذهبي: صحيح، كما في التلخيص في الحاشية من المستدرك، وقال الشيخ الألباني: عن سند أبي داود: إسناده صحيح، وأطال فيه الكلام بذكر شواهده، كما في تحقيقه لسنن أبي داود ٥/ ٢١٠ وما بعدها.

(٥) الإحسان لابن بلبان ١/ ١٦٥.

(٦) انظر: سنن أبي داود ١٠٦/ ٢، وتحقيق الشيخ الألباني لسنن أبي داود ٥/ ٢١٢ - ٢١٣، وقد ذكر فيه الخطابي أوجهها، فقال: « هذا يتأول على وجوه: أحدها تحسين الصوت، والوجه الثاني: الاستغناء بالقرآن عن غيره، وإليه ذهب سفيان بن عيينة، ويقال: تغنى الرجل بمعنى استغنى...، وقال ابن الأعرابي: إن العرب كانت تتغنى بالركبان إذا ركب الإبل، وإذا جلست في الأفنية، وعلى أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ أن يكون القرآن هجيراهم، مكان التغني بالركبان ». انظر: معالم السنن للخطابي ١/ ٢٩١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ١.

على الهدى، ومن أخطأه ضل؛ فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به - فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي: أذكركم الله في أهل بيتي...<sup>(١)</sup>، وجاء في الأثر: [كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تشيع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ٢٠ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ٢١] الجن: ١-٢، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم<sup>(٢)</sup>.

١٩- « أن الأصل المعتمد في هذا الباب، وغيره من أصول الدين، وفروعه: هو ما دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع علماء الأمة...، وليس المعول على كلام الأحاد من أهل العلم والدين، وإن علت درجاتهم، وارتفعت رتبهم، ولا تصلح المعارضة بقول فلان، وفلان من أهل العلم والدين، ولا ينتقض الدليل بمخالفة أحد كائنا من كان<sup>(٣)</sup>؛ لأنه قد توفر في الوحي جميع الأمور التي هي أسباب الهداية، بأبلغ العبارات، وأدق التعبيرات، وذلك لأن: ربنا ﷻ المتكلم عالم بما يقول، ثم كلامه أبلغ الكلام وأفصح، وهو يريد بإنزال الوحي هداية الخلق إلى عبادته وتوحيده، فإذا كان قد توفر في الوحي هذه الأمور الثلاث؛ من علم محقق، وقدرة على فصاحة باهرة،

(١) روى نحوه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل علي ؓ، ح(٢٤٠٨)، ورواه الطحاوي في مشكل الآثار ٨٩/٩، ح(٣٤٦٤).

(٢) رواه الترمذي مرفوعاً، وقال: «حديث غريب»، أبواب فضائل القرآن، باب/ ما جاء في فضل القرآن، ح(٣٠٧٠)، وروى نحوه الإمام أحمد في مسنده، ح(٧٠٤)، والدارمي في سنته، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣٣١)، وأورده شيخ الإسلام وسكت عنه، كما في المجموع ٣/٣١٤، وقال الشيخ الألباني: «هذا حديث جميل المعنى، ولكن إسناده ضعيف... ولعل أصله موقوف على علي ؓ». انظر: تحقيقه للطحاوية ص ٦٨.

(٣) غاية الأمان في الرد على النبهاني ١/ ٥٥، ونقله من كلام الإمام العلامة الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ ؒ.

وإرادة طيبة ناصحة؛ فهذا دليل على أن الوحي الذي صدر ممن هذا وصفه يكون كافياً، وشافياً<sup>(١)</sup>.

٢٠- لقد عرف السلف الصالح أن في الوحي غنى عما سواه، قال الخطابي رحمه الله: «سمعت أبا الحسن ابن الأعرابي - ونحن نسمع عليه هذا الكتاب، يعني: "سنن أبي داود" - يقول: لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب، لم يحتج معهما إلى شيء من العلم بته<sup>(٢)</sup>».

٢١- قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما نزل بأحد من المسلمين نازلة إلا وفي كتاب الله سبيل الدلالة عليها»<sup>(٣)</sup>.

٢٢- وقال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا نتجاوز القرآن والحديث»<sup>(٤)</sup>، فانظر رعاك الله إلى قول إمام مسدد، وهو يأمر بالوقوف على ما جاء في الكتاب والسنة، خصوصاً في باب الأسماء والصفات، لأنه من الأبواب الغيبية التي لا تدرك بالحواس البشرية.

٢٣- ومما يدل على أن الغنى في القرآن كون كثير من المخالفين للسلف من أساطين أهل الكلام، وغيرهم رجعوا إليه بعد ما ذاقوا مرارة البعد عنه، وعلموا ضياع أنفسهم حين نأوا عنه، وأقروا على أنفسهم بالخطأ، وذكروا أهمية الرجوع إلى الوحي.

وأصل ضلال من ضل عن الوحي إنما هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله، وتقديم اتباع الهوى على اتباع أمر الله<sup>(٥)</sup>، وتقليد الأمراء والعلماء، ولهذا نهى السلف

(١) انظر: شرح الواسطية للشيخ محمد خليل هراس ص ٢١.

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ١٥٥، السير ١٧/ ٢٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٣٨٣، ومرادي من هذا النقل أن الكتاب والسنة فيها الغنية عما عداهما، لا أن سنن أبي داود وحده كاف، كما هو قول ابن الأعرابي، نعم هو كذلك يحوي على غالب الأحاديث في الأحكام، لكن السنة أشمل من ذلك، وإنما هذا القول من ابن الأعرابي للدلالة على أهمية كتاب شيخه الإمام أبي داود رحمه الله.

(٣) نقله ابن القيم في كتابه شفاء العليل ١/ ١١٨.

(٤) أقاويل الثقات ص ٢٣٤.

(٥) انظر: العبودية ص ٤٨.

عن كل ذلك وأمروا بالقياس الصحيح، ونهوا عن اتباع الهوى، وعن التقليد الأعمى.

وإن أمة محمد ﷺ قد استغناهم الله ﷻ بالكتاب والسنة، وأثار السلف عن كل كلام<sup>(١)</sup>، وهذا أمر بين، وإنما أردت الإشارة والبيان بأن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور، لمن تدبر كتاب الله، وسنة النبي ﷺ، وقصد اتباع الحق<sup>(٢)</sup>، فإذا وجد في العبد عقل ودين، حتى يفهم ويتدين لله رب العالمين، فنور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء، فإذا ثبت أن دين نبينا محمد ﷺ مستغن عن دين من سبقه من الأنبياء بهذا الشرع الكامل الذي جاءنا به، فاستغناؤه عما سواه أولى<sup>(٣)</sup>.

فمن قام بالذي جاء به الكتاب والسنة، أشرف على علم الأولين، والآخرين، وأغناه الله بالنور الذي بعث به محمدا ﷺ عما سواه<sup>(٤)</sup>، ولما كان الكتاب والسنة هما طريق النجاة؛ فإني أبين في المطلب التالي التلازم بين الكتاب والسنة.

---

(١) انظر: المجموع ٩٩/٥.

(٢) انظر: المجموع ١٠٢/٥.

(٣) انظر: الصفدية ١/٢٦٠، المجموع ١٠٠/٥.

(٤) انظر: الصفدية ١/٢٦٠.

## المطلب الثاني: تلازم القرآن والسنة.

من معتقد السلف أن القرآن الذي أنزله الله ﷻ على نبيه ﷺ ما فرط فيه شيء، كما قال ﷺ: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي آلِ كَتَبٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وهذا الكتاب الذي لم يفرط فيه شيء، فيه الأمر بلزوم السنة، والتزامها في دين الله ﷻ، ولهذا فإن من تنزيل القرآن منزلته العمل بالسنة، حيث إنها تبين مجمل القرآن، وعامه، ووضحت ما فيه مما يحتاج إلى تفسير، فبين النبي ﷺ البيان التام، الذي به اكتمل المقصد على التمام، وبهذا يعلم أن السنة شارحة للكتاب، وأنه لا بد في فهمه من السنة على الصواب، فهذا التلازم واضح لمن تدبر، وجلي لمن تذكر<sup>(١)</sup>.

ولهذا حذر النبي ﷺ من أقوام لا يبالون بالسنة، ولا يقيمون لها وزناً، ولا منزلة<sup>(٢)</sup>، فقال: [ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن؛ فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه...]<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: [لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه]<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/٣٦٧، الجواب الصحيح ٣/١٧، الاقتضاء ١/٨٤-٨٥، أقاويل الثقات ص ٢١٩.

(٢) وسيأتي ذكرهم والرد عليهم في الفصل السادس من الباب الرابع.

(٣) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب/ في لزوم السنة، ح (٤٦٠٤)، وأخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب/ ما نهي عنه أن يقال...، ح (٢٦٦٦)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، ورواه غيرهما، من طريق المقداد بن معديكر ب ﷺ، وقال الشيخ الألباني: «صحيح» كما في صحيح سنن أبي داود ٣/١١٨.

(٤) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب/ في لزوم السنة، ح (٤٦٠٥)، وأخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب/ ما نهي عنه أن يقال...، ح (٢٦٦٥)، وقال: هذا حديث حسن. ورواه غيرهما، من طريق أبي رافع ﷺ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا الحديث في السنن والمسانيد، مأثور عن النبي ﷺ، من عدة جهات»، [المجموع ١٩/٨٥]، وقال الشيخ الألباني: «صحيح»، انظر: صحيح سنن أبي داود، ٣/١١٨.

فبينهما من التلازم ما بين المتن والشرح، أو ما بين الفقه والحديث، بل أشد، ثم كلاهما وحي، إلا أن القرآن وحي متلو، وهو كلام الله ﷻ، وأما السنة فوحي خفي، المعنى من الله ﷻ، واللفظ من رسول الله ﷺ، ولهذا جاء التأكيد على التزامهما وعدم التفريق بينهما، قال ﷺ: [تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وستي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض]<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «فَرَضَ اللهُ ﷻ في كتابه من وجهين:

أحدهما: أَبَانَ فِيهِ كَيْفَ فَرَضَ بَعْضُهَا، حَتَّى اسْتَغْنَى فِيهِ بِالتَّنْزِيلِ عَنِ التَّأْوِيلِ، وَعَنِ الْخَبَرِ» مثل جملة فرائضه في أن عليهم صلاة، وزكاة، وحج، وصوما، وأنه حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، ونص الزنا، والخمر، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وبين لهم كيف فرض الوضوء، مع غير ذلك مما بين نصا).

والآخر: أَنَّهُ أَحْكَمَ فَرَضَهُ بِكِتَابِهِ، وَبَيْنَ كَيْفَ هِيَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، «مثل عدد الصلاة، والزكاة، ووقتها، وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه»، ثم أثبت فرض ما فرض رسول الله ﷺ في كتابه بقوله ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]...، فمن قبل عن رسول الله ﷺ فبفرض الله ﷻ قبل.<sup>(٢)</sup>

وهناك أدلة كثيرة تؤكد على وجود التلازم بين الكتاب والسنة، وعدم التفريق بينهما، من حيث العمل في أبواب الشرع وغيرها، ومن هذه الأدلة:-

١. قال الله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فهذا ذم من الله ﷻ لمن لا يرضى بحكم رسول الله ﷺ، وقسمه، ويعدل عن أمره، وطاعته<sup>(٣)</sup>، وأيضا أمر الله

(١) روى نحوه مالك في الموطأ بلاغا ٦٨٦/٢، وقال السيوطي [في تنوير الحوالك ٣٠٨/٢]: وصله ابن عبد البر، وهو بلفظه في صحيح الجامع، ح (٢٩٣٤)، وقال الشيخ الألباني: «له شاهد بسند حسن عند الحاكم». كما في تحقيقه على المشكاة، ح (١٨٦).

(٢) جامع العلم للإمام الشافعي ص ٩١-٩٢، وما بين المعقوفين فمن كتابه الرسالة [الفقرة: ٥٦-٥٧].

(٣) انظر: المجموع ٨٧/١٩.

المؤمنين بالرجوع إلى حكم الله، وحكم رسوله؛ فقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، قال ميمون بن مهران: «الرد إلى الله: الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول إذا كان حيا، فلما قبضه الله: فالرد إلى سنت» <sup>(١)</sup> قال عطاء ﷺ - في تفسير أولي الأمر -: «أولوا العلم والفقه، وطاعة الرسول: اتباع الكتاب والسنن» <sup>(٢)</sup>.

٢. قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠] فجعل من علامات الكافرين التفريق في الإيمان بين ما نزل من الله ﷻ من الشرع، وما أمر به ﷺ.

٣. قوله ﷺ: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِغَايَتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١١٨] الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧] فجعل الله ﷻ رحمته للمتبعين لمحمد ﷺ.

٤. قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ خَیْرَةٌ مِنْ أَمْرِهِمْ ۚ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] فدلَّت الآية على وجوب طاعة الله ورسوله، والحدز من معصية الله ورسوله، ولهذا قال الشافعي ﷺ: «من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول

(١) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٦.

(٢) رواه الدارمي ١/ ٥١.

أحد»<sup>(١)</sup>، «فدل هذا على أنه إذا ثبت لله ولرسوله في كل مسألة من المسائل حكم طلبي، أو خبري؛ فإنه ليس لأحد أن يتخير لنفسه غير ذلك الحكم فيذهب إليه، وأن ذلك ليس لمؤمن ولا مؤمنة أصلاً؛ فدل على أن ذلك مناف للإيمان»<sup>(٢)</sup>.

٥. والأمر بطاعة الرسول ﷺ جاءت في القرآن في أكثر من ثلاثين موضعاً من القرآن<sup>(٣)</sup>، ومنها قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيطًا﴾ [النساء: ٨٠]، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فهذه الآيات الكثيرة التي فيها الأمر باتباعه ﷺ، إن لم يؤخذ بالسنة فتكون بلا معنى إلا بالنسبة للمخاطبين من الصحابة الأخيار، وهذا إلغاء لقيمة الآثار المنقولة عن النبي المختار،

(١) نقله ابن القيم في الرسالة التبوكية ص ١٠٧، وانظر: إعلام الموقعين ٢/ ٣٦١.

(٢) الرسالة التبوكية ص ١٠٧.

(٣) انظر: المجموع ٦٧/ ١.

(٤) يذكر المفسرون عند هذه الآية حديث ابن مسعود الذي يدل على التلازم بين الكتاب والسنة، وقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب/ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، ح (٤٨٨٦)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب/ تحريم فعل الواصلة...، ح (٢١٢٥) عن ابن مسعود ﷺ أنه لعن الواصلة والمستوصلة، وقال: مالي لا ألعن من لعنه الله في كتابه؟ فقالت امرأة: لقد قرأت ما بين لوجي المصحف فما وجدته، فقال: لئن كنت قرأته فقد وجدته، - ثم تلا الآية -.. وانظر: الموافقات ٣/ ٣٦٨.



قال الشافعي رحمه الله: «من علم اللسان الذي به كتاب الله، وأحكام الله دله علمه بهما على قبول أخبار الصادقين عن رسول الله ﷺ» <sup>(١)</sup> «ونحن نعلم يقينا بالاضطرار من دين الإسلام؛ أن محمدا رسول الله ﷺ، أوجب الله تعالى علينا طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، ولم يأمر بطاعة غيره إلا إذا وافق طاعته، لا نبيا ولا غير نبي...، وقد علمنا بالاضطرار من دينه أن من أطاعه دخل الجنة؛ فلا يحتاج مع ذلك إلى طاعة غيره: لا نبي، ولا محدث» <sup>(٢)</sup>.

٦. أن الله ﷻ إنما أمر بطاعة الرسول ﷺ طاعة مطلقة، ذلك لأنه - عليه الصلاة والسلام - لا ينطق عن نفسه، وإنما ينطق بالوحي الذي هو شرع لنا، قال الله ﷻ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿النجم: ٣-٤﴾.

٧. وأخبر الله ﷻ أن محمدا ﷺ إنما يعلم الناس شيئين هما: الكتاب والسنة، فقال: ﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وقال: ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فالكتاب: القرآن، والحكمة هي السنة، فأخبر الله ﷻ أنه يتلى في بيوت أمهات المؤمنين شيئان: القرآن والسنة، ومعنى التلاوة: النطق بالقرآن والسنة <sup>(٣)</sup>.

٨. أن الله ﷻ «جعل إلى رسوله ﷺ بيان ما كان منه - أي القرآن - مجملا، وتفسير ما كان منه مشكلا، وتحقيق ما كان منه محتملا، ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به، ومنزلة التفويض إليه، قال الله تعالى ﴿٤﴾: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وهذا الذكر المبين

(١) الأم للشافعي ٤٦١/٧، وانظر: ما بعدها.

(٢) الصفدية ٢٥٨/١.

(٣) انظر: الأم للشافعي ٤٦١/٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/١.

للمنزل هي الحكمة، وهي محفوظة؛ لأن « ما احتاجت الأمم إليه من الأخبار الإلهية؛ فلا بد أن يكون محفوظا، معصوما، لتقوم به الحجة، ويحصل به مقصود الدعوة، وهذا مما يدل على وجوب عصمة ما جاءت به الأنبياء، وعصمة ما جاء به نبينا بعد موته، فحفظ الله الذكر الذي أنزله، وقد أنزل عليه الكتاب والحكمة، والحكمة هي السنة، فحفظ الله هذا وهذا، والله الحمد والمنة »<sup>(١)</sup>.

٩. قول النبي ﷺ: [أوصيكم بتقوى الله، والسمع، والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ؛ وإياكم والمحدثات؛ فإن كل محدثة بدعة]<sup>(٢)</sup>.

١٠. وقد نص أهل العلم أن السنة قاضية على الكتاب<sup>(٣)</sup> وهذا يعني أنه يبين مجمله، ويوضح مبهمه...

١١. ومما يدل على وجوب العمل بالسنة مع الكتاب، قول ميمون بن مهران: [كان أبو بكر ﷺ إذا ورد عليه الخصم، نظر في كتاب الله؛ فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها؛ فإن أعياءه، خرج فسأل المسلمين...] <sup>(٤)</sup>، فهذا يدل على أن خليفة رسول الله ﷺ كان يحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهما، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عند ذكر البخاري رحمه الله لحديث عمر ﷺ في رجم الزاني المحصن<sup>(٥)</sup> -: « أشار - أي عمر ﷺ - بقصة الرجم إلى زجر من يقول: لا أعمل في الأحكام الشرعية إلا بما وجدته في القرآن، وليس في القرآن تصريح باشتراط التشاور إذا مات الخليفة، بل إنما

(١) الصفدية ١/ ٢٦٠.

(٢) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب/...، ح(٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم، باب/...، ح(٢٦٧٦)، والدارمي في سننه ١/ ٣٤، وغيرهم عن العرياض بن سارية رحمه الله، وهو حديث مشهور.

(٣) انظر: تبويب الإمام الدارمي في سننه ١/ ٩٦.

(٤) رواه الدارمي في سننه ١/ ٤٢، ح(١٦١)، وأورده السيوطي في تاريخ الخلفاء الراشدين، ص ٤٣.

(٥) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب الحدود، باب/ رجم الحبل من الزنا إذا أحصنت، ح(٦٨٣٠).

يؤخذ ذلك من جهة السنة، كما أن الرجم ليس فيما يتلى من القرآن، وهو مأخوذ من طريق السنة»<sup>(١)</sup>.

١٢. أن أسعد الناس، وأسدهم رأيا في جميع أمور الدين، وما يقرب إلى رب العالمين، هم المتلقون «من مشكاة الوحي المبين، ورغب بعقله وفطرته، وإيمانه عن آراء المتهوكين، وتشكيكات المشككين، وتكلفات المتنطعين، واستمطر ديم الهداية من كلمات أعلم الخلق برب العالمين؛ فإن كلماته الجوامع النوافع في هذا الباب، وفي غيره، كفت، وشفّت، وجمعت، وفرقت، وأوضحت، وبينت، وحلت محل التفسير والبيان، لما تضمنه القرآن»<sup>(٢)</sup>.

١٣. أنه ثبت اتفاق المسلمين من الصحابة والتابعين على وجوب العمل بالسنة إذا ثبتت<sup>(٣)</sup>، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لم أسمع أحدا نسبته للناس، أو نسب نفسه إلى علم يخالف في أن فرض الله ﷻ اتباع أمر رسول الله ﷺ، والتسليم لحكمه، بأن الله ﷻ لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ، وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله تعالى علينا، وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف في أن الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ...»<sup>(٤)</sup>.

«فهذه النصوص توجب اتباع الرسول، وإن لم نجد ما قاله منصوبا بعينه في الكتاب، كما أن تلك الآيات توجب اتباع الكتاب...، فعلينا أن نتبع الكتاب، وعلينا أن نتبع الرسول، واتباع أحدهما هو اتباع الآخر؛ فإن الرسول بلغ الكتاب، والكتاب أمر بطاعة الرسول، ولا يختلف الكتاب والرسول البتة، كما لا يخالف الكتاب بعضه بعضا،

(١) الفتوح ١٢/١٥٤.

(٢) شفاء العليل ١٨/١.

(٣) انظر: المجموع ٨٥/١٩.

(٤) الأم للشافعي ٧/٤٦٠.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] <sup>(١)</sup>.

وإذا ثبت بنصوص الكتاب والسنة وجوب العمل بالسنة؛ فإني أبين بعضاً مما يدل على وجود التلازم بين السنة والكتاب من المسائل، ومن أمثلة ذلك:

- ١ - أن الله ﷻ أمرنا بالصلاة في أكثر من آية - ، ولم يبين لنا في القرآن كم عدد الصلوات، ولا كيفيتها، فنحتاج إلى السنة لمعرفة عدد ركعات الصلاة، وكيفيتها <sup>(٢)</sup>.
- ٢ - أمر الله ﷻ بالصلاة عامٌ لكل المسلمين، والسنة قاضية بأن المرأة إذا أصابها الحيض أو النفاس أنها لا تصلي، فهذا يدل على التلازم بين الكتاب والسنة <sup>(٣)</sup>.
- ٣ - أن الله ﷻ أمرنا بالزكاة، ولم يبين لنا فرائض الزكاة ونصبها إلا في السنة <sup>(٤)</sup>.
- ٤ - أن الله ﷻ أمرنا بالحج، والطواف، والسعي، ولم يتبين لنا المناسك، ولا قدر الطواف، والسعي، ورمي الجمار، وأوقاتها إلا من السنة <sup>(٥)</sup>.
- ٥ - أن الله ﷻ أمرنا بقطع يد السارق، ولم يبين لنا نصاب السرقة، ولا موضع القطع، لكن ذلك ثابت بالسنة القاطعة للشبهة <sup>(٦)</sup>.
- ٦ - قال ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، فلو قال قائل: إن هذه الآية تُسَخِّتُ بآية الموارث لم نجد عليه حجة إلا السنة عن رسول الله ﷺ، إذ بينت أنه لا وصية لو ارث <sup>(٧)</sup>.
- ٧ - أن الله ﷻ فرض الميراث للوالدين والأبناء والأخوة على سبيل العموم،

(١) المجموع ٨٤/١٩.

(٢) انظر: المجموع ٨٥/١٩، الموافقات للشاطبي ٣/٣٦٧، إيثار الحق ص ١١٠.

(٣) انظر: الأم للشافعي ٧/٤٦٣، ٤٧٨.

(٤) انظر: الأم للشافعي ٧/٤٦٣، المجموع ٨٥/١٩، الموافقات ٣/٣٦٧، إيثار الحق ص ١١٠.

(٥) انظر: المجموع ٨٥/١٩، إيثار الحق ص ١١٠.

(٦) انظر: المجموع ٨٦/١٩.

(٧) انظر: الأم للشافعي ٧/٤٦٢، إيثار الحق ص ١١٠.

ولم يورث المسلمون كافرا من مسلم، ولا عبدا من حر، ولا قاتلا ممن قتل، وذلك كله مستثنى بالسنة<sup>(١)</sup>، فهذا دليل أكيد، ومثال واضح على أن السنة ملازمة للقرآن المجيد.

٨- أن الله ﷻ لما ذكر المحرمات في النكاح في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] الآية، قال بعدها: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ طَوْعًا وَكَرْهًا ذَلِكَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]، فقد سمى الله ما حرم، ولو لا الالتزام بالسنة، لما قال المسلمون بتحريم الجمع بين المرأة وخالتها، والمرأة وعمتها، لأن ذلك لم يثبت إلا في السنة<sup>(٢)</sup>.

٩- أن الله ﷻ بين في كتابه كثيرا مما يتعلق بأمر التوحيد، والسنة بينت كذلك مكملات التوحيد، وما يحميها، ومن ذلك النهي عن الحلف بغير الله، والذبح بمكان يذبح فيه لغير الله، فكل هذا دليل على وجوب التزام الكتاب والسنة معا.

١٠- أن الله ﷻ ذكر العقود من النكاح، والبيع، وغيرها، ولم تتبين شروطها إلا من السنة<sup>(٣)</sup>.

فعلى المسلم أن يعلم أن الوحي كله يجب العمل به سواء كان كتابا أو سنة، وأن العلم هو إما قرآن ناطق، أو أثر صحيح صادق، وما سوى ذلك فهو باطل زاهق.

ولقد أحسن الشاعر في نظمه لشرف الكتاب والسنة، حيث قال:

إن العلوم وإن جلت محاسنها	فتاجها ما به الإيمان قد وجبا
هو الكتاب العزيز الله يحفظه	وبعد ذلك علم فرج الكربا
فذاك فاعلم حديث المصطفى فيه	نور النبوة سنّ الشرع والأدبا
وبعد هذا علوم لا انتهاء لها	فاختر لنفسك يا من أثر الطلبا
والعلم كنز تجده في معاندنه	يا أيها الطالب ابحث وانظر الكتب
واتل بفهم كتاب الله فيه أتت	كل العلوم تدبره تر العجبا

(١) انظر: الأم للشافعي ٤٦٣/٧، وانظر منه ٣٩/٧.

(٢) انظر: الأم للشافعي ٣٦-٣٧/٧.

(٣) انظر: المواقفات ٣٦٧/٣.

وأقرأ هديت حديث المصطفى وسلن مولاك ما تشتهي يقضي لك الأربا  
من ذاق طعما لعلم الدين سربه إذا تزيد منه قال واطربا<sup>(١)</sup>  
وأرجو أن أكون قد بينت بهذا أن العمل بالكتاب والسنة تنزيل للقرآن منزله  
اللائقة به، حيث إنه دل دليل الاستقراء المعبر، أنه محتاج إلى البيان؛ فإن السنة على  
كثرتها، وكثرة مسائلها؛ إنما هي مبينة للكتاب<sup>(٢)</sup>، فكل ما سنه رسول الله ﷺ فالقرآن  
يأمر باتباعه، والمسلمون من السلف وموافقيهم من الخلف لا زالوا يتلقون دينهم كله  
عن الرسول ﷺ، وذلك عن طريق وحي القرآن، ووحى الحكمة<sup>(٣)</sup>.  
«ومحمد ﷺ خاتم الرسل؛ فعلى جميع الخلق اتباعه، واتباع ما شرعه من الدين،  
وهو ما أتى به من الكتاب والسنة، فما جاء به الكتاب والسنة، هو الشرع الذي يجب  
على جميع الخلق اتباعه، وليس لأحد الخروج عنه، وهو الشرع الذي يقاتل عليه  
المجاهدون، وهو الكتاب والسنة<sup>(٤)</sup>».  
ومما يجب أن يعمل به في نصوص الوحي، إجراؤها على الحقيقة لا التأويل،  
وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

(١) أوردها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣١/١.

(٢) انظر: الموافقات ٣/٣٦٧، وانظر: المجموع ١٣/٣٣١.

(٣) انظر: المجموع ٧/٤٠.

(٤) المجموع ٣٥/٣٦٥.

### المطلب الثالث: حمل القرآن على الحقيقة.

إن السلف يعتقدون أن كلام الله ﷻ هو أبلغ الكلام، وأدله على المعنى الذي أراده ﷻ، ولهذا فإنه ليس فيه الغارز، والسلف ينزلون القرآن منزلته الحقيقية إذ يعتقدون فيه أنه كله يجري على حقيقته اللاتقة به<sup>(١)</sup> وأنه لا يصار فيه إلى التأويل<sup>(٢)</sup>،

(١) وما ذكره الغزالي في (إحيائه ١/١٦٦) أن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل استثنى من التأويل ثلاثة أحاديث، ولم يحملها على حقيقتها، فهي فرية باطلة، وقد نفاهها شيخ الإسلام سندا ومتنا بأدلة ثابتة. انظر: المجموع ٥/٣٩٨، ٦/٣٩٧، ٥٨٠، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة، ومنهج الأشاعرة ص ٨٧. (٢) والتأويل الذي نفاه السلف عن النصوص، هو التحريف والتعطيل الذي يدعيه أصحاب البدع، وكل يدعي وصلا بقرينة مجازية!!، ولفظ التأويل قد جاء وله استعمالات عدة، وهي:

١. التأويل بمعنى التفسير: وهو الذي جاء في قول النبي ﷺ في وصف ابن عباس ؓ [اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل] (البخاري: كتاب الرضوء، باب/ وضع الماء عند الخلاء، ح(٤٣)، بدون لفظه: وعلمه التأويل). وهذا الذي يستعمله ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين عندما يقولون: التأويل في الآية هو...، فيعنون به التفسير.

٢. التأويل بمعنى ما يؤول إليه الأمر، من الكلام وغيره: وهو الذي جاء في قول الله ﷻ إخبارا عن يوسف ؑ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِيَنَّ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (سورة يوسف، من الآية ١٠٠)، أي هذا ما آل إليه تفسير رؤيائي، ومن هذا تأويل كفيات الأسماء والصفات، وحقائق ما في الجنة والآخرة، فإننا لا نعلم منها إلا المعاني دون الكيفيات، كما قال ابن عباس ؓ: [ليس في الدنيا مما في الجنة شيء إلا الأسماء] (رواه ابن جرير في تفسيره ١/٢١٠، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٦٣).

٣. التأويل: بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، وهذا هو مصطلح المتأخرين، أما اصطلاح الصحابة في التأويل فمقصودهم الأولان، ولهذا كان بعضهم يقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ بناء على أن التأويل هو ما استأثر الله بعلمه، أو المعنى المراد من حقيقة كذا، وليس مقصودهم أن المخلوقين لا يعلمون معنى تفسير كلام الله ﷻ، أو أن في القرآن ما هو على غير حقيقته، والذي ذمه الله تعالى، في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ. وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] إنما ذم من طلب العلم المحجوب، وهو العلم بكيفيات الصفات، أو العلم بحقائق ما أخبر الله به من الغيبات مما في الآخرة، وهو التأويل الذي لا يعلمه أحد، فعطفه الراسخين

ولا يـقـال: إن هـذا مـجـاز<sup>(١)</sup>،

والوقف بعدها بناء على أن الراسخين يعلمون معاني كلام الله ﷻ، وهو قول بعض الصحابة والتابعين، وأما الوقف على: وما يعلم تأويله إلا الله، فبناء على أن حقائق ما تؤول إليه الأخبار، وكيفيات ما أخبر الله به من صفاته، وما في الآخرة، لا يعلمه إلا الله، وذم السلف إنما هو منصب على ذم التأويل الذي هو التحريف لكلام الله ﷻ، المؤدي إلى التعطيل والإلحاد في الربوبية، أو في الألوهية، أو في الأسماء والصفات، أو في غيرها من الأمور الشرعية. انظر: الصفدية ٢٨٧/١-٢٩١، درء التعارض ٢٠١/١، ٢٠٦-٢٠٧، ٥/٣٨١-٣٨٤، المجموع ٣٥/٥، ٢٣٤، ١٣/٢٨٨، شرح حديث النزول ص ١٠٦-١٠٧، نقض المنطق ص ٥٧، الفتح ١٣/٥٣٥، قواطع الأدلة ٤٥/٣، منهج الأشاعرة في العقيدة ص ٨٦، تنبيه: التأويل الذي يذكره الفقهاء في باب/ أحكام البغاة، فهو مأخوذ من التأول، والفعل الماضي منه: تأول، وليس مأخوذاً من التأويل الذي ماضيه: أول، ومقصود الفقهاء بهذا التأول: هو وضع الدليل في غير موضعه باجتهاد أو شبهة تنشأ من عدم فهم النص. انظر: منهج الأشاعرة ص ٨٧.

(١) ومراد القائلين - من المتأخرين - بالمجاز هو: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح بقربته، وهو التأويل نفسه، انظر: روضة الناظر ١/١٥٠، وبعضهم يضيف بعض الشروط في التعريف، وبعضهم يعرفه بتعريف آخر، فيقول: المجاز، هو ما يصح أن ينفي؛ فإذا قال الرجل: رأيت أسداً راكباً؛ فإنه يصح لسامعه أن ينفي هذا فيقول: لم تر أسداً راكباً، وإنما رأيت شجاعاً راكباً، وهذه أحد الأسباب التي من أجلها أنكر المحققون المجاز، وذلك لأنه معلوم أنه لا يصح نفي شيء من القرآن؛ فإذا ليس فيه مجاز، وقد أطال في نفي المجاز شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، انظر: المجموع "رسالة الحقيقة والمجاز" ٢٠/٤٩٩-٤٠٠، ورده ابن القيم وسماه طاغوتاً وصناً؛ فرده بأكثر من خمسين وجهاً كما في مختصر الصواعق المرسلة، وكذلك رده الشيخ الأمين رحمه الله، كما في رسالته: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، وأنقل بعض العبارات التي تبين شناعة القول بالمجاز بإشارات تغني اللبيب عن الإسهاب، وتكفي طالب الحق من دون إطناب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قول القائل هذا اللفظ حقيقة، وهذا مجاز، نزاع لفظي، وهو مستند من أنكر المجاز في اللغة، أو في القرآن، ولم ينطق بهذا أحد من السلف، والأئمة، ولم يعرف لفظ المجاز في كلام أحد من الأئمة إلا في كلام الإمام أحمد؛ فإنه قال فيما كتبه من "الرد على الزنادقة والجهمية" هذا من مجاز القرآن، وأول من قال ذلك مطلقاً: أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه الذي صنّفه في "مجاز القرآن"، ثم إن هذا كان معناه عند الأولين: مما يجوز في اللغة، ويسوغ، فهو مشتق عندهم من الجواز، كما يقول الفقهاء: عقد لازم، وجائز» (المجموع ١٢/٢٧٧). وقال في موضع آخر: «إن الحقيقة والمجاز... هذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم، كمالك، والثوري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو، كالخليل، وسيبويه، وأبي عمرو بن العلاء، ونحوهم» ثم نقل كلام بعض الأصوليين المنكرين لهذا التقسيم فقال: «هذا اصطلاح حادث، والغالب أنه كان من جهة المعتزلة، ونحوهم من المتكلمين؛ فإنه لم يوجد هذا في كلام أحد من



أو ليس على ظاهره<sup>(١)</sup>، وقبل أن أدخل في المسألة فإني أبين معنى الحقيقة لغة، واصطلاحاً: فالحقيقة في اللغة مأخوذة من الحق، والحق: هو الثابت اللازم، وهو نقيض الباطل، يقال: حقيقة الشيء، أي ذاته الثابتة اللازمة منه، فقيل فيما سيق من أجله اللفظ: حقيقة؛ لأنه المقصود أصلاً، وهو الذي سيق اللفظ لإحكامه، والدلالة عليه<sup>(٢)</sup>.

والمقصود بالحقيقة في الاصطلاح: هو اللفظ المستعمل فيما وضع له<sup>(٣)</sup>، وألفاظ القرآن موضوعة لمعاني صريحة في الدلالة التي سيق لها، ولهذا ينبغي حملها على الحقيقة لا المجاز.

وهذا هو عمل السلف، إذ مقصودهم معرفة مراد الله ﷻ، ومراد رسوله ﷺ، فسلكوا العمل بحقائق هذه النصوص، وهو الوجه الذي يعرف به المراد، وهذا المسلك طريق الهدى، ومن قصد أن يجعل ما قاله الله ورسوله تبعاً له؛ فإن وافقه قبله، وإلا رده، وتكلف له من التحريف ما يسميه تأويلاً، مع أنه يعلم بالضرورة أن كثيراً

أهل الفقه، والأصول، والتفسير، والحديث، ونحوهم من السلف «المجموع ٨٨/٧». ومن هنا يمكن أن يقال: إن كان المقصود بالمجاز، أو التأويل هو: التجوز بالمعنى إلى معنى يفهمه السامع من سياق الكلام، فهذا لا ينكره أحد، وإذا كان هذا ما يسمى مجازاً، فيكون النزاع في اللفظ، وأما تسمية التأويل والمجاز الذي هو صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معنى مرجوح للدليل يُدعى فهذا الذي من أجله أنكر المحققون المجاز، ولهذا ينبغي حين نفي المجاز عن القرآن أو إثباته التفصيل، فيقال: إن كان المقصود بالمجاز أو التأويل: هو الأول، فالنزاع في العبارة، وإن كان في الثاني، فالنزاع حقيقي - والله تعالى أعلم -، انظر: تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة ص ٢١، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير البياضي ص ١٦٤، وما بعدها.

(١) وقول بعضهم أن الآية ليست على ظاهرها يعنون أنه مؤول، وهذا مستعمل في مكان التأويل، الذي هو عدم اعتقاد ما دل عليه الكلام ظاهراً، وأما أن يكون للفظ معنى باطني، وآخر ظاهري!! فهذا الذي أذكره مع بيان موقف السلف منه في المطلب التالي.

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص ٢٤٤، المفردات للراغب ص ١٣٢-١٣٣، الإحكام للأصمدي ٥١/١، المصباح المنير ص ١٤٣.

(٣) انظر: المفردات للراغب ص ١٣٣، روضة الناظر ١٥٠/١. المجموع ٢٠٠/٥؛ فإن قيل هذا التعريف لمن يرى تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز؛ وأن المجاز ما يفهم بقرينة، فيمكن أن يقال: إن المراد بالحقيقة هو ما دل عليه اللفظ من المعنى، من غير حاجة إلى توسط في الاستدلال، لا بقرينة خارجية، ولا بدليل آخر - والله تعالى أعلم -.

من ذلك، أو أكثره لم يردده الله ولا نبيه؛ فهو محرف للكلم عن مواضعه<sup>(١)</sup>.

والواجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة دون التأويل، وذلك هو منهج السلف الصالح رحمهم الله، فلم يقل أحد منهم إن هذه الآية ليست على حقيقتها، أو إن هذه الآية يجب تأويلها عن ظاهرها.

قال أبو المعالي الجويني: «ذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على موارد، وتفويض معانيها إلى الرب<sup>(٢)</sup>،... والذي نرتضيه رأياً، وندين الله به عقيدة: اتباع سلف الأمة، والدليل السمعي القاطع في ذلك إجماع الأمة، وهو حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة، وقد درج صحب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها<sup>(٣)</sup>، ودرك ما فيها - وهم صفوة الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهداً في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها - ، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً، أو محتوماً: لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم، وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل: كان ذلك هو الوجه المتبع<sup>(٤)</sup>، فهذا نقل صريح على إجماع الأمة على إجراء النصوص على حقيقتها دون تأويل، أو تحريف.

والقول بجواز العمل في نصوص الوحي على خلاف الحقيقة قول شؤم، ويؤدي إلى الضلال، والانحراف عن منهج الله، وقبل ذلك هو مخالف لدين الله ﷻ،

(١) انظر: المجموع ٤/ ١٩١، التدمرية ص ١١٣.

(٢) قوله: إن السلف فوضوا معاني الآيات سواء في الصفات، أو في غيرها، فهذا لا يصح عنهم، إذ تكلم غير واحد منهم في معنى استواء الله ﷻ ومعلوم معنى الضحك، والعجب، والبد، وغيره، وإن كان يقصد أن السلف: فوضوا كيفية الصفة - كما هو سياق قوله - فهذا هو منهج السلف، وهو الحق الذي يجب أن يصير عليه الخلف.

(٣) انظر: التعليق في الحاشية السابقة.

(٤) نقله عنه شيخ الإسلام في المجموع ٥/ ١٠٠-١٠١، والحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤١٨، وقد نقل الإجماع أيضاً الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله من المتأخرين. انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٥٥٢.

و الدليل على ذلك ما يأتي:

١- أن الله ﷻ هو المتكلم بالقرآن، ومن أصدق من الله قبلاً، ولا أبلغ منه بياناً، وقد أنزل القرآن الكريم حجة على العباد، وهو مبين في نفسه، فكيف يقال بعد ذلك: إن هذه الآية ليست على حقيقتها مسوقة؛ وإنما سيقّت مجازاً!!! أو يجب تأويلها عن ظاهرها!! والله يقول في وصف كتابه المنزل: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [النور: ٣٤]، وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، وقال: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]، فأيات الكتاب بينات في نفسها، لا يمكن أن تكون إلا جليات، فهي لذلك سميت مبينات؛ لأنها تجلي الأمور، ولم تأتي بغوامض، ولهذا فهو مبين أيضاً، و«أخبر أنه فصل الكتاب، وتفصيله: بيانه، وتمييزه بحيث لا يشبهه»<sup>(١)</sup>، ف«كلام رب العزة ﷻ الذي يعلم ما لا يعلمه أحد، ويقدر على ما لا يقدر عليه أحد، يحمل على الحقيقة...»<sup>(٢)</sup>.

٢- أن المخالفين من المشركين لم يقل أحد منهم إن هذا القرآن في أسلوبه هنا على خلاف الحقيقة، وما ندرى ما تأويله؟

٣- أن هذا الباب دخل منه جميع المؤولين المحرفين المبطلين لنصوص الوحي، من الباطنية، وغيرهم، محتجين بالتأويل، وصار الكل يدعي أن هذه الآية على خلاف الحقيقة، ويذكر قرينة ما<sup>(٣)</sup>.

٤- أنه ما من حجة يحتج بها - القائلون بالتأويل - في مسألة ما، إلا والقائلون بالتأويل المخالفون لهم في نصوص الوحي يحتج بمثلها<sup>(٤)</sup>.

(١) المجموع ٢٧٨/١٣.

(٢) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير البياني ص ١٥٣.

(٣) انظر: منهج الأشاعرة ص ٨٧.

(٤) انظر: منهج الأشاعرة ص ٨٧.

٥- أنه سبب للخلاف، إذ يقول أحدهم هذا مسوق على خلاف الحقيقة، وكل يدعي من عنده المعنى المجازي الذي يراه، ويسوق له القرينة التي يظن أنها تساعد على ما ذهب إليه، فيقع النزاع والخلاف<sup>(١)</sup>.

٦- مما يدل على أن الوحي يجب المصير فيه إلى إجراءاته على حقيقته أن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله، ولا قال هذا لا يعلم معناه، أو أن هذا لا يجب إجراؤه على حقيقته<sup>(٢)</sup>، بل لم يمتنع عن تفسير بعض الآيات، وادعاء أنها لا تعلم معانيها إلا المعتزلة ومن نحاحوهم<sup>(٣)</sup>.

٧- أن هذا باب دخل منه الباطنية، والفلاسفة، والروافض، والجهمية، والمعتزلة، وغيرهم، كل واحد منهم يدعي المجاز في النصوص التي لا توافق مذهبه، قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة؛ لا على المجاز، إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك، ولا يحدونه فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع: الجهمية، والمعتزلة كلها، والخوارج: فكلهم ينكرونها، ولا يحملون شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها فهو مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون: بما نطق به كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وهم أئمة الجماعة»<sup>(٤)</sup>، وهذا كلام حافظ عصره، وعالم مصره.

٨- أن العلماء الراسخين أنكروا هذا التأويل، قال أبو يعلى رحمه الله بعد ذكر آيات الصفات، وأحاديثها: «لا يجوز رد هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق؛

(١) انظر: الإنصاف للبطلوسي ص ٣٣، حيث ذكر أنه من أسباب الخلاف، ثم انتصر لإثباته!!، وشنع على من أنكروه!!، كما في ص ٧١.

(٢) انظر: المجموع ٥/٣٥، ١٣/٢٨٥.

(٣) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٥١٨-٥١٩.

(٤) المجموع ٥/٨٧، وذكر بعضاً من مقاله الحافظ ابن حجر في الفتوح ١٣/٤١٨.

ولا يعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن الإمام أحمد، وسائر الأئمة... ويدل على إبطال التأويل: أن الصحابة، ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفوها عن ظاهرها؛ فلو كان التأويل سائغا، لكانوا أسبق إليه، لما فيه من إزالة التشبيه، ورفع الشبهة<sup>(١)</sup>، وقال شيخ الإسلام رحمته الله: «مذهب "أهل الحديث"، وهم السلف، من القرون الثلاثة، ومن سلك سبيلهم من الخلف: أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت، ويؤمن بها، وتصدق، وتُصان عن تأويل يفضي إلى تعطيل، وتكيف يفضي إلى تمثيل، وقد أطلق غير واحد من حكي إجماع السلف.. مذهب السلف: أنها تجرى على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه فيها»<sup>(٢)</sup>.

٩- أن القول بأن نصوص الوحي لا تجرى على ظاهرها - سواء في باب الأسماء والصفات، أو في غيرها - على خلاف منهج السلف الصالح، وكفى به ضلالا.

١٠- قال قوام السنة الأصبهاني رحمته الله: «من حمل اللفظ على ظاهره، وعلى مقتضى اللغة حملَه على حقيقته، ومن تأوله عدل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجاز إلى صفات الله تعالى»<sup>(٣)</sup>.

١١- أن كل فساد في العالم إنما جاء من التأويل الفاسد، وكان أهل الكتابين على السداد، حتى دخلهم التأويل، فدخل فيهم الفساد، ما لا يعلمه إلا رب العباد»<sup>(٤)</sup>.

فالسلف ينكرون التأويلات التي تخرج الكلام عن مراد الله عز وجل، ومراد رسوله ﷺ، ولا شك أنه تحريف للكلم عن مواضعه، فإنكارهم للتأويل الباطل كإنكار التفسير

(١) نقله شيخ الإسلام عنه في المجموع ٨٩/٥ - ٩٠.

(٢) المجموع ٦/٣٥٥.

(٣) الحجة في بيان المحجة ١/٤٨٢.

(٤) فتاوى الدين الخالص ١/٢٥، وانظر: الفتوح ١٣/٥٣٥.

الباطل، فإذا كنا ننكر قول من فسر كلام متكلم بغير مراده؛ فالإنكار على من أول كلام الله، أو كلام رسوله على غير المراد من باب أولى<sup>(١)</sup>.

فالتأويل الذي هو ضد الحقيقة بهذا المعنى تحريف للكلام عن معناه الذي سيق له، إلى معنى محتمل بحجة متوهمة، وهذا أصل كل صاحب بدعة؛ فإن أي آية، أو حديث يخالف مذهبه يقول: إن هذه الآية على خلاف الحقيقة، أو الحديث مؤول عن ظاهره!!

ومن هنا أنكروا من أنكروا من العلماء المحققين أن يكون في القرآن شيء مسوق مجازاً، كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وغيرهما، كل ذلك توقيراً وتنزيلاً للقرآن منزلته اللاتقة به، حتى تحفظ النصوص على حقيقتها دون تأويل بحجة المجاز.

قال أبو المظفر السمعاني رحمته الله: «وعلى الجملة لا يجوز حمل الخاطر على استخراج التأويلات المستكرهة للأخبار، وينبغي للعالم الورع أن يجتنب ذلك ويحترز عنه غاية الاحتراز؛ لأن الكلام على كلام الشارع صعب، والزلل فيه يكثر، وقد ورد في الخبر يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله»، وقال في وصفهم: [ينفون عنه تحريف الجاهلين]<sup>(٢)</sup>، والله العاصم بمنه، والمرشد إلى الصواب بفضلته وعونه، ونسأله تعالى أن لا يجعلنا من هؤلاء القوم، فقد بين النبي ﷺ أن الجهل يحمل الإنسان على التأويلات المستكرهة، وذكر أن العدول من علماء الأمة ينفون ذلك، وذكر أيضاً أنهم ينفون تحريف

(١) انظر: الصفدية ١/ ٢٩١.

(٢) وهذا الأثر أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٤٠ عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرفعانه، قال: [يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين]. قال الهيثمي: (رواه البزار، وفيه عمرو بن خالد القرشي، كذبه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، ونسبه إلى الوضع)، وهو في المشكاة من رواية معاذ بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلاً (٢٤٨)، ومعزو إلى البيهقي، وقال الشيخ الألباني في تحقيقه على المشكاة - بعد أن ذكر علل الحديث -: «لكن الحديث قد روي موصلاً عن طريق جماعة من الصحابة، وصحح بعض طرقه الحافظ العلائي في "بغية الملتبس" (٣-٤)، وروى الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٢/ ٣٥) عن مهنا بن يحيى قال: سألت أحمد بن حنبل عن حديث معاذ بن رفاعة عن إبراهيم هذا، فقلت لأحمد: كأنه كلام موضوع؟ فقال: لا، هو صحيح...». انظر: تحقيق الشيخ الألباني على مشكاة المصابيح ١/ ٨٢-٨٣، والسلسلة الصحيحة ١/ ٤٨٥، وذكره ابن طاهر المقدسي في ذخيرة الحفاظ، ح (٦٥٠٠) ٥/ ٢٧٧٧، وذكر طرقها كلها هناك.

الغالين، وانتحال المبطلين، وإلى الله الملاذ، وبه المعاذ، من وساوس النفس، وخواطر  
السوء، فما ضل من ضل، وما هلك من هلك إلا بأمثال ذلك، والله المستعان»<sup>(١)</sup>.  
فإذا تبين أن السلف يجرون نصوص الوحي على الحقيقة؛ فإنهم كذلك يجرونها  
على ظاهرها اللائق بها، دون القول بالباطن، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) قواطع الأدلة ٥٨/٣.

## المطلب الرابع: حمل القرآن على الظاهر.

إن من معتقد السلف أن القرآن يجب أن يعمل به على ما دل عليه، وينزلون القرآن منزلته؛ فلا يعملون فيه بالآراء، والأقوال التي تخرجه من الدلالة الظاهرة إلى المعاني المشككة، والخيالات الفاسدة، ولهذا فهم يقولون: بظاهر القرآن اللائق به، ولا يقولون: بأن للوحي باطنا، كما تقوله بعض الفرق الضالة<sup>(١)</sup>.

والمراد بالظاهر: ليس هو إمرار الألفاظ فقط، ولكن المراد وجوب إجراء نصوص الوحي على الظاهر الذي دلت عليه هذه الألفاظ من المعاني، وإلا فإن مجرد الحروف لا يمكن إجراؤها على ظاهرها إلا قراءة دون فهم، وعمل، واعتقاد؛ مع أن المقصود بالظاهر هو: الإمرار لفظاً، ومعنى، واعتقاداً<sup>(٢)</sup>.

وهذا هو معتقد السلف، ولهذا نصوا على أن الكتاب والسنة يجريان على الظاهر، وكثيراً ما يعبرون فيقولون: "هذا ما تقتضيه ظواهر النصوص"، و"هذا ما دلت عليه ظواهر الكتاب والسنة"، فالمعول عليها، ويجب المصير إليها<sup>(٣)</sup>، وهذا الكلام منهم رد على المؤولة والباطنية.

قال الإمام الشافعي رحمته الله: «الأصل قرآن، أو سنة؛ فإن لم يكن فقياس عليهما، وإذا صح الحديث فهو سنة، والإجماع أكبر من الحديث المنفرد، والحديث على ظاهره، وإذا احتمل الحديث معاني فما أشبه ظاهره»<sup>(٤)</sup>

(١) هناك فرق ضالة تعرف بالباطنية تقول بأن للقرآن ظاهراً وباطناً، وكذلك الصوفية تقول بأن للقرآن حقيقة وشريعة، وسيأتي الكلام والرد عليهم في الباب الرابع، وإنما هنا تقرير لمسألة أنه لا باطن في القرآن يُدعى.

(٢) انظر: نقض المنطق ص ٥٧.

(٣) انظر: الأم ٣١/٧، الفتح ٥٤٧/١، ٤٩٦/١٣، الفتاوى الكبرى ١٤٨/٥، الفواكه الدواني ٤٠/١، المرقاة شرح المشكاة لملا على القاري ٢٩٢/١، فتاوى الدين الخالص ٢٥/١.

(٤) أورده الذهبي في السير ٢١/١٠، وقد ذكر محققه أن هذا منقول عن الإمام الشافعي مسنداً، كما في كتاب مناقب الشافعي للبيهقي ٣٠/٢.



وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: «والقرآن على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة، وإلا فهو على ظاهره» <sup>(١)</sup>.

وقال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: «وقد كانت الصحابة يتعلقون في تفاصيل الشرع بظواهر الكتاب والسنة» <sup>(٢)</sup>.

فليس في ظواهر النصوص إلا الحق، وما قد يفهمه البعض من ظواهر النصوص، مما لا تدل عليه؛ فإن ذلك لكساد عقله، وسوء فهمه، وإلا فإن النصوص بليغة العبارات، واضحة الدلالات، إلا لمن تتبع المتشابهات، وترك المحكمات، وعمل في النصوص بحسب منهجه، لا بحسب منهجها، ولهذا يجب أن يفهم المعنى الصحيح المفهوم من ظاهر النص قبل مطالبته بفهم النص على المعنى الظاهر، حتى لا يفهم من الظاهر ما تبادر إلى ذهنه من المعاني الفاسدة <sup>(٣)</sup>.

فالنصوص معصومة، ولهذا لا تدل على التشبيه، ولا على التعطيل، فهي في نفسها آيات بينات، تدل على الحق بأصح العبارات <sup>(٤)</sup>، ولا تدل على ما يشبه الطلسمات؛ «فينبغي تدبر القرآن، ومعرفة وجوهه؛ فإن أكثر ما يتوهم الناس أنه قد خولف ظاهره، وليس كذلك؛ وإنما له دلالات يعرفها من أعطاه الله فهمها في كتابه» <sup>(٥)</sup>.  
ومما يدل على أن القول بوجوب إجراء النصوص على ظاهرها، والعمل بما دل عليها هو الصواب، ما يأتي:

١ - أن الله سبحانه أخبر أن كلماته صدق وعدل، كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ

(١) الإبانة ص ٦٨.

(٢) قواطع الأدلة ٤٥/٣.

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى ١٥٥/٥، المجموع ٣٧٩/١٣ - ٣٨٠، شرح الواسطية للفوزان ص ١٢٣، ١٣٢.

(٤) انظر: الدرء ٢٤٩/١.

(٥) المجموع ٩٢/٢٢، بشيء من التصرف.

مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا [النساء: ٨٧]، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، فمن صرف عنها فإنه لم يقبلها على أنها صدق، ومن عدل عنها فإنه لم يقبلها على أنها عدل، كيف وقد أخبر ﷺ أنه لا أحد أصدق منه حديثاً.

٢- أن الله ﷻ أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال<sup>(١)</sup>؛ فإذا كان كذلك فيجب المصير إلى الظاهر، وعدم القول بالتأويل أو المعنى الباطني.

٣- أن الرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم، وأرسل بأفصح اللغات، وأبين الألسنة والعبارات؛ فكيف يقال: إنه تكلم بكلام المراد منه خلاف ظاهره!!! مع أنه ﷺ أنصح الأمة للأمة؛ إذ بين لنا آداب قضاء الحاجة، فكيف يقال بعد ذلك: إنه لم يبين لنا مسائل العقيدة<sup>(٢)</sup>.

٤- ادعاء أن للنصوص ظاهراً وباطناً قول من لم يعط النصوص حقها من الإجلال والاحترام، والدلالة والبيان، «إذ لو أعطي النصوص حقها من الدلالة لعلم أنها لا تدل إلا على حق»<sup>(٣)</sup>، وهو ما ظهر منها، على حسب فهم المنزل عليهم.

٥- أنه ما من نص يدعى فيه أن له معنى باطنياً، إلا كان نقصاً في بلاغة القرآن، إذ لم يأت بما تقوم به الحجة على العباد صريحة، وإنما تكون قد أتت بما قد يتوهم منها!! وهذا وحده دليل كاف على فساد القول بأن للنصوص ظاهراً وباطناً.

٦- أنه ما من نص يدعى فيه أنه على خلاف ظاهره إلا كانت اللغة العربية وفهم السلف مخالفين لذلك، فمن قال مثلاً: بأن المراد بالعوضة هو فلان من الناس؛ فإن قوله ظاهر البطلان لغة، وفقها<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: التدمرية ص ٦٩.

(٢) انظر: المجموع ٦/ ٣٦١، ٣٦٨.

(٣) التدمرية ص ٧١، بشيء من التصرف.

(٤) تذكر الرافضة كما في بعض كتبهم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ

٧- أن القول بالمعاني الباطنة - لو قيل بها - يدل على بطلانه سياق الآيات وسباقها، وأولها، وآخرها، فيعود القرآن الكريم متناقضا؛ مع أنه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، فهذا دليل على بطلان القول بأن للقرآن باطنا، إذ المعلوم من دين المسلمين أنه ليس في القرآن شيء متناقض؛ فلا تناقض في القرآن مطلقا<sup>(١)</sup>.

٨- أنه لم يقل أحد من السلف إن هذه الآية أو الحديث مصروف عن ظاهره، أو مؤول، مع أنهم قالوا في نصوص الأحكام: إن هذا النص عام، وهذا خاص...<sup>(٢)</sup>.

٩- أن النصوص لو كان الظاهر منها غير مراد، لوجب التنبيه على ذلك من الشرع، ولم يوجد شيء من ذلك<sup>(٣)</sup>.

١٠- أن السلف لم يستشكلوا نصا من النصوص التي هي في العقائد، مما يدل على فهمهم لها فهما تاما، وكونهم استشكلوا نصوصا في الأحكام دون العقائد فهذا دليل على ظهور معنى نصوص العقائد عندهم ظهورا تاما غير مشكل<sup>(٤)</sup>.

١١- أن العمل بظواهر النصوص هو عمل الصحابة والتابعين، وعلى ذلك صار المتبعون لهم من المتأخرين<sup>(٥)</sup>، قال الشوكاني: «واعلم أن الظاهر دليل شرعي

يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾» [البقرة: ٢٦] «عن أبي عبد الله أن هذا المثل: ضربه الله لأمر المؤمنين عليه السلام؛ فالبعوضة أمير المؤمنين عليه السلام!!، وما فوقها: رسول الله ﷺ!!!...، ويقطعون ما أمر الله به: يعني من صلة أمير المؤمنين (ع) والأئمة». (من تفسير القمي ٣٥/١ كما في كتاب: علماء الشيعة يقولون: ... ص ٧٦). فالقول بأن عليا ﷺ هو المقصود بالمثل المضروب بالبعوضة!! فيه حط من شأنه ﷺ ومن شأن النبي ﷺ الذي مثله بها فوق البعوضة!!، ثم هو مخالف للغة وفقه السلف ﷺ، لكنه التفسير الباطني!!!.

(١) انظر: المجموع ٢٤٨/١٤ - ٢٤٩.

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى ١٥٤/٥، المجموع ٣٦٧/٦.

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى ١٥٤/٥.

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى ١٥٤/٥.

(٥) انظر: الفتاوى الكبرى ١٥٢/٥.

يجب اتباعه، والعمل به، بدليل إجماع الصحابة على العمل بظواهر الألفاظ»<sup>(١)</sup>.

١٢- أن القول بأن للوحي ظاهراً وباطناً هو قول الباطنية، بل لهذا سموا باطنية<sup>(٢)</sup>.

١٣- أنه لو ساغ عدم العمل بظاهر القرآن والسنة، لبطل العمل بكثير من النصوص، بدعوى أن ظاهرها غير مراد، وأن المعنى الباطني للآية كذا وكذا...، وهذا يدل على فساد هذا القول، إذ كثير من الباطنية ادعوا أموراً هي معلومة البطلان من الدين بالضرورة، كقول بعضهم: إن المراد بالحج هو زيارة قبور أئمتنا، وأن المراد بالصوم، كتم أسرار نحلتنا، ونحو ذلك من الهذيان، الذي هو باطل لمخالفته ظاهر القرآن<sup>(٣)</sup>.

١٤- لو قيل بأن هناك آية أو حديثاً مصروفاً عن ظاهره إلى معنى آخر؛ فإن هذا لا بد عليه من دليل إما آية أخرى، أو حديث عن المصطفى ﷺ، «ولا يجوز العدول عن الظاهر إلا بدليل مانع منه بإجماع المسلمين»<sup>(٤)</sup>، أما دعوى أن الآية ليست على ظاهرها مجردة عن الدليل، فهذا هو التأويل، الذي هو في حقيقته تحريف وتعطيل، ولهذا ذكر الراسخون في العلم أن صرف الكتاب والسنة عن الظاهر إلى معنى يخالفه، أو يخالف حقيقته - لو سلم به، والأولى أن يقال: إن اللفظ مصروف عن ظاهره بدليل ظاهر نص آخر أدل منه على المعنى، وأن لا يقال: بأن هناك للنصوص باطناً أو معنى مجازياً<sup>(٥)</sup> - فلا بد فيه من شروط أربعة:

(١) إرشاد الفحول ص ٢٩٩.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢٨.

(٣) وسيأتي أمثلة لهذا الهذيان في أقوال الصوفية والباطنية، في الفصل الثاني والرابع من الباب الرابع.

(٤) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٥١.

(٥) انظر: الفتاوى الكبرى ١٥٥/٥، وقد ذكر شيخ الإسلام ﷺ لهذا مثلاً، بمسألة قرب الله ﷻ في قوله ﷻ: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَخَنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» [ق: ٧] قال: «وتحقيق الجواب هو أن يقال: إما أن يكون قرب نفسه القرب اللازم ممكناً، أو لا يكون؛ فإن كان ممكناً لم تحتج الآية إلى تأويل، وإن لم يكن ممكناً، حملت الآية على ما دل عليه سياقها، وهو قرب بعلمه، وعلى هذا القول: فإما أن يكون هذا هو ظاهر الخطاب الذي دل عليه السياق، أو لا يكون؛ فإن كان هو ظاهر الخطاب فلا كلام، إذ لا تأويل حيثئذ، وإن لم يكن ظاهر الخطاب: فإنما حمل على ذلك لأن الله تعالى قد بين في غير موضع من كتابه: أنه على العرش، وأنه فوق؛ فكان ما ذكره في كتابه في غير موضع أنه فوق

الأول: أن يكون هذا المعنى مستعملاً في كلام العرب الذين نزل بلغتهم القرآن الكريم، ويجوز أن يُردَّ بهذا اللفظ ذاك المعنى المدعى بلغة العرب؛ فلا يجوز أن يدعى معنى من اللفظ غير معروف في لغة العرب؛ وإلا فإن أي مبطل سيفسر ما يريد بما يريد.

الثاني: أن يكون هذا الحمل بدليل، وهو الذي يسمى بالقرينة، وأما من غير دليل ولا قرينة، فهذا لعب بالنصوص، وصرف اللفظ عن المعنى الظاهر بدون دليل مخالف لإجماع العقلاء.

الثالث: أن يكون الدليل، أو القرينة، سالماً عن معارض؛ لأنه متى كان الدليل أو القرينة معارضاً بمثله وجب إبقاء النص على ظاهره.

الرابع: أنه إذا جاء نص، وكان المقصود خلاف الظاهر، أو ليس على حقيقته؛ فلا بد أن يكون قد بين في الشرع، وإلا كان تعمية على الأمة<sup>(١)</sup>.

فما احتمل التأويل واختلف فيه «فهو على ظاهره، وعامه، لا يصرف إلى باطن أبداً وإن احتمله، إلا بإجماع من الناس عليه؛ فإذا تفرقوا فهو على الظاهر... والأشياء على أصولها، حتى تجتمع العامة على إزالتها عن أصولها»<sup>(٢)</sup>.

---

العرش مع ما قرنه بهذه الآية من العلم دليلاً على أنه أراد قرب العلم؛ إذ مقتضى تلك الآيات ينافي ظاهر هذه الآية على هذا التقدير، والصريح يقضي على الظاهر، ويبين معناه، ويجوز باتفاق المسلمين أن تفسر إحدى الآيتين بظاهر الأخرى، ويصرف الكلام عن ظاهره، إذ لا محذور في ذلك عند أحد من أهل السنة، وإن سمي تأويلاً، وصرفاً عن الظاهر فذلك لدلالة القرآن عليه، ولموافقة السنة والسلف عليه؛ لأنه تفسير للقرآن بالقرآن؛ ليس تفسيراً له بالرأي؛ والمحذور إنما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله، والسابقين «المجموع ٦/٢١».

(١) انظر: هذه الشروط بشيء من التصرف في المجموع ٦/٣٦٠، المرقاة شرح المشكاة ١/٢٩٢، فتاوى الدين الخالص ٢/٨٥، أصول الفقه الإسلامي لوهبة الزحيلي ١/٣١٥، وقد ذكر ابن قتيبة باباً فيما ليس على ظاهره من هذا الباب، أي بما دل عليه دليل آخر أدل على المعنى المفهوم من ظاهره، وذكر أمثلة لذلك. انظر: تأويل مشكل القرآن له ص ٢٧٥، وما بعدها.

(٢) جماع العلم للإمام الشافعي ص ٤٩، وهو من كلام خصم الإمام الشافعي، إلا أنه أقره عليها، كما في الرسالة المذكورة، وإنما اعترض عليه جوانب أخرى.

وحتى يتم فهم هذه المسألة؛ فإني أذكر أربعة تنبيهات:

**التنبيه الأول:** أن المقصود من إجراء النصوص على ظاهرها، هو الظاهر اللائق بها، لا الظاهر الذي يفهمه بعض الفرق، فالمقصود بالظاهر، هو ما يفهمه العربي الفصيح كالصحابة والتابعين، ومن صار على نهجهم من المتبعين، لا من تشوش ذهنه بمنهج بليد، وصار عن العربية في مكان بعيد<sup>(١)</sup>.

ولهذا فإن السلف لا يفهمون من نصوص الكتاب والسنة التشبيه، كما فهمته المشبهة، وذلك لمعرفة السلف بظواهر الكتاب والسنة، وعدم معرفة هؤلاء بالظاهر، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، وغيره من المحققين: لا بد من إجراء النصوص على ظاهرها اللائق بها، لا على الظاهر الذي يفهمه كل صاحب منهج وهوى<sup>(٢)</sup>.

**التنبيه الثاني:** أن من أهل الضلال من يقول: يجب إجراء النصوص على ظاهرها، وهم يقصدون: أنا لا نعلم معانيها، ولا تفسيرها - أي يثبتون اللفظ دون أن يعرفوا المعنى المقصود من اللفظ!! وهم المفوضة - وهذا تناقض بين، إذ كيف يثبت الظاهر مع القول بعدم معرفة معناها؟<sup>(٣)</sup>.

فليست ظواهر الكتاب والسنة ألفاظا مجردة عن المعاني الوضعية والالتزامية والتضمنية؛ فإن لها معاني عظيمة، ولا يعني ذلك أيضا الجمود على الدلالة التطابقية الوضعية دون الالتزامية والتضمنية<sup>(٤)</sup>.

**التنبيه الثالث:** أن بعض الفرق تقول بوجوب إجراء النص على ظاهره، وهم

(١) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٤٨، ١٥١، التدمرية ص ٧٧، المجموع ٣٣/ ١٧٥ وما بعدها.

(٢) انظر: المجموع ٦/ ٣٩٨، التدمرية ص ٦٩، وقد ذكر شيخ الإسلام في القاعدة الثانية أن لفظ الظاهر بعد ظهور الفرق أصبح من الألفاظ المجملة والمشاركة التي ينبغي التفصيل فيها، وذلك أن الظاهر في عرف السلف هو الظاهر اللائق بالنصوص، وأما الظاهر في عرف بعض الفرق فهو التمثيل والتشبيه أو نفى المعنى وعدم اعتقاد أنه يدل على معنى معلوم!! انظر: المجموع ٣/ ٢٠٧، ٦/ ٣٥٥، ٥/ ١٠٨، ١٣/ ٣٧٩، ٣٣/ ١٧٥ - ١٨١، وانظر: الفتح ١٣/ ٤١٨.

(٣) انظر: درء التعارض ١/ ١٦، الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥١، معارج القبول ١/ ٤٧٣.

(٤) انظر: اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث ص ٢٢٠ - ٢٢١.

يعنون أن ذلك لمصلحة الجمهور ليس إلا، قال شيخ الإسلام رحمه الله عن الفلاسفة: «وهؤلاء يقولون: الأنبياء قصدوا بهذه الألفاظ ظواهرها، وقصدوا أن يفهم الجمهور منها هذه الظواهر، وإن كانت الظواهر في نفس الأمر كذبا وباطلا، ومخالفا للحق!!، فقصدوا إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة»<sup>(١)</sup>.

التنبيه الرابع: ذكر مثالين لوجوب إجراء النص على الظاهر اللائق به، لا على ما قد يفهمه بعض أهل البدع، فقد جاء في نصوص الوحي: إثبات الاستواء لله تعالى، في أكثر من آية وحديث، ويجب إجراء هذا النص على ظاهره، فلا يؤول، ولا يقال بمعنى باطني يخالف المعنى العربي الذي تدل عليه الكلمة، وتصان عن الظنون والأوهام الكاذبة، فالاستواء معناه: العلو والارتفاع والاستقرار، وهو على ظاهره من حيث الإثبات والإطلاق، مع القطع بأنه ليس ظاهره في حق الله تعالى مساويا لظاهره في حق المخلوقين، فالله تعالى استوى على عرشه استواء يليق به، لا على ما هو متصور في المخلوقين؛ فإن علو الخالق واستواؤه لائق به، وعلو المخلوق واستواؤه لائق به<sup>(٢)</sup>.

مثال آخر: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في علم الله وقدرته: «فإن الله تعالى لما أخبر أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وافق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره، وأن ظاهر ذلك مراد، كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا، وقدرته كقدرتنا، وكذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة، عالم

(١) الدرء ٩/١، وانظر منه ١٠/٢٧١.

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/١٥٢-١٥٣، المجموع ٣/١٦٧، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، كلام القرطبي في معنى الاستواء، حيث قال: «هذه مسألة الاستواء، وللعلماء فيه كلام - فذكر قول المتكلمين، ثم قال -: كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله، كما نطق به كتابه، وأخبرت به رسله، قال: ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة؛ وإنما جهلوا كيفية الاستواء؛ فإنه لا تعلم حقيقة، - ثم قال بعد أن حكى أربعة عشر قولاً -: وأظهر الأقوال ما تظاهرت عليه الآي والأخبار، والفضلاء الأخيار: أن الله على عرشه، كما أخبر في كتابه، وعلى لسان نبيه بلا كيف، بائن من جميع خلقه، هذا مذهب السلف الصالح فيما نقله الثقات عنهم» (المجموع ٣/٢٢٤، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/١٤٠-١٤١).

حقيقة، قادر حقيقة، لم يكن مرادهم أنه مثل المخلوق الذي هو حي عليم قدير»<sup>(١)</sup>.  
ولما كان المقصود بوجوب إجراء النصوص على ظاهرها، هو هذا الظاهر  
اللائق بها، بل الظاهر الذي فهمه الصحابة؛ فكان لا بد إذا من فهم النصوص على  
ضوء فهمهم، وهذا ما أجليه في المطلب الآتي.



## المطلب الخامس: الاستعانة بفهم السلف الصالح في فهم القرآن.

إن فهم القرآن لا يجوز أن يكون بالظنون الكاذبة والأوهام المتخيلة، ولهذا كان متبعو السلف يجرون القرآن الكريم على حقيقته، وعلى ظاهره، ولا يقولون فيه بالتأويلات الكاذبة، ولا بالأقوال الباطنية الضالة، وذلك لأنهم يفهمون القرآن الكريم على ضوء فهم السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين.

ولا يلزم من فهم القرآن على ضوء فهمهم تعطيل فهمنا، ولكن المراد أن نفهم كفهمهم في المتنازع فيه، وأن لا نخالف فهمنا فهمهم، أما أن نفهم ما يوافق الأصول، ولا نخالف المنقول؛ فهذا فضل من الله يؤتيه من يشاء.

وإن السلف كانوا معاصرين لنزول الوحي، قريبي العهد به، مدركين لأسبابه، فهم أولى الناس بعلمه، وألصق الناس بمفهومه، لذا أوجب الله ﷻ علينا اتباعهم، وأمرنا بالسير على خطاهم.

وإنما أمرنا باتباع الصحابة لأنهم كانوا بعد النبي ﷺ «على نهجه المستقيم، وطريقه القويم، فجاءت كلماتهم كافية شافية، مختصرة نافعة، لقرب العهد، ومباشرة التلقي، ثم سلك آثارهم التابعون لهم بإحسان؛ فاقتفوا طريقهم، وركبوا منهاجهم، واهتدوا بهداهم، ودعوا إلى ما دعوا إليه، ومضوا على ما كانوا عليه»<sup>(١)</sup>، فإذا كان التابعون مع علمهم وجلالتهم لا يتعدون الصحابة، ولا يقصرون عنهم، فنحن في ذلك أولى وأجدر، كيف لا وقد «أجمع المسلمون على هدايتهم، ودرايتهم»<sup>(٢)</sup>.

وكان من أساسيات المتبعين للسلف الأخذ بفهومهم لنصوص الشرع، خصوصاً عند تعارض أقوال الناس، واختلاف نحلهم، ولأن الخير في اتباعهم، كما قال الشاعر:

(١) شفاء العليل ١/ ١٨، وانظر: نقض المنطق ص ٧١، ٧٩.

(٢) المجموع ٦/٥.

- وكن كما كان خيار الخلق      حليف حلم تابعا للحق  
فكل خير في اتباع من سلف      وكل شر في ابتداع من خلف...  
فتابع الصالح ممن سلفا      وجانب البدعة ممن خلفا<sup>(١)</sup>.
- فتفسير القرآن<sup>(٢)</sup>، وفهم نصوصه يكون بما ورد عن النبي ﷺ وبما ورد عن أصحابه الكرام ﷺ، فإن لم نجد فعن التابعين - رحمهم الله -<sup>(٣)</sup>.
- فما جاء في الكتاب والسنة فلا بد من فهمهما، والتصديق بهما « كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم، ورضوا عنه؛ فإن هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة، وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل »<sup>(٤)</sup>.
- ومن فسر القرآن الكريم، والسنة المطهرة، « وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة ﷺ، والتابعين؛ فهو مفتر على الله ﷻ، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزنادقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان من دين الإسلام »<sup>(٥)</sup>.
- قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: حاثا على اتباع السلف، ومحذرا من الابتداع: « إياك وما أحدث المحدثون؛ فإنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها،
- 
- (١) جوهرة التوحيد للقاني ص ١٨-١٩، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، وليته طبق هذا القول، لكنه سار على طريقة الخلف في كتابه؟!.
- (٢) وقد ذكر العلماء الراسخون أن أفضل أنواع تفسير القرآن هو التفسير بالمأثور، وهو أن يفسر القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبالأثر السلفية المروية، والنظر إلى اللغة العربية فيما لم يوجد من ذلك شيء. انظر: الانتصار ليحيى العمراني ٢/ ٣٧٥-٣٧٦، المجموع ١٣/ ٢٧-٢٩، ٣٦٣-٣٧٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣-٥.
- (٣) انظر: كشف القناع ١/ ٤٣٤، مناهل العرفان ٢/ ٦٧.
- (٤) المجموع ٥/ ١٥٦.
- (٥) المجموع ١٣/ ٢٤٣، وانظر: ١٣/ ٣٦١، ١٥/ ٩٤، ١٦/ ٥١، وقال رحمه الله في أهل البدع: « هؤلاء اعتقدوا رأيا، ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، لا في رأيهم، ولا في تفسيرهم » (المجموع ١٣/ ٣٥٨).

وعبرة منها، فعليك بلزوم السنة؛ فإنها لك بإذن الله عصمة، وإن السنة إنما سنّها من قد علم ما جاء في خلافها من الخطأ، والزلل، والحمق، والتعمق.

وارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم؛ فإنهم عن علم وقفوا، وببصر ناقد كفوا، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل - لو كان فيها - أخرى، إنهم لهم السابقون؛ فلئن كان الهدى ما أنتم عليه، فقد سبقتموهم إليه!!، وإن قلتم حدث حدث بعدهم، ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم<sup>(١)</sup>.

ولقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي؛ فما دونهم مقصر، ولا فوقهم محسر، لقد قصر دونهم أقوام؛ فجفوا، وطمح آخرون عنهم؛ فغلوا، وإنهم مع ذلك لعلّ هدى مستقيم<sup>(٢)</sup>.

قال عباد بن عباد أبو عتبة الخواص - من أتباع التابعين<sup>(٣)</sup> - رحمته الله: «اعقلوا والعقل نعمة، فرب ذي عقل قد شغل قلبه بالتعمق فيما هو عليه ضرر عن الانتفاع بما يحتاج إليه، حتى صار عن ذلك ساهيا، ومن فضل عقل المرء ترك النظر فيما لا نظر فيه، حتى يكون فضل عقله وبالا عليه في ترك مناقشة من هو دونه في الأعمال الصالحة، أو رجل شغل قلبه ببدعة، قلّد فيها دينه رجالا دون أصحاب رسول الله ﷺ، أو اكتفى برأيه فيما لا يرى الهدى إلا فيها!!، ولا يرى الضلالة إلا تركها!!،

(١) انظر: نقض المنطق ص ٢، فقد ذكر مثل هذه الكلمات المضطّبات أيضا.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٦٨-٦٩، وانظر: العين والأثر ص ١٠٩، وقد نقل مثله عن ابن الماجشون من تابعي التابعين، فقال رحمته الله: «فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم؛ فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم كانوا على كشفها أقوى، وبتفصيلها لو كان فيها أخرى، وإنهم لهم السابقون، وقد بلغهم عن نبينهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة؛ فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه!!، ولئن قلت حدث حدث بعدهم؛ فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، واختار ما تحته فكره على ما تلقوه عن نبينهم، وتلقاه عنهم من تبعهم بإحسان، ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا منه بما يشفي؛ فمن دونهم مقصر، ومن فوقهم مفرط، لقد قصر دونهم أناس فجفوا، وطمح آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلّ هدى مستقيم» (نقله شيخ الإسلام رحمته الله في نقض المنطق ص ٦-٧).

(٣) وهو مشهور باسمه ونسبه، صدوق في رواية الحديث، روى له أبو داود. انظر: التقريب ص ٢٣٣.

بزعم انه أخذها من القرآن!!، وهو يدعو إلى فراق القرآن!!، أفما كان للقرآن حكمة قبله، وقبل أصحابه يعملون بحكمه، ويؤمنون بمتشابهه؟؟، وكانوا منه على منار أوضح الطريق، وكان القرآن إمام رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ إماماً لأصحابه، وكان أصحابه أئمة لمن بعدهم: رجال معروفون، منسوبون في البلدان، متفقون في الرد على أصحاب الأهواء، - مع ما كان بينهم من الاختلاف<sup>(١)</sup> -، وتسكع أصحاب الأهواء برأيهم في سبل مختلفة، جائرة عن القصد، مفارقة للصراط المستقيم؛ فتوّهت بهم أدلاؤهم في مهامه<sup>(٢)</sup> مضلة؛ فأمعنوا فيها متعسفين في هياتهم، كلما أحدث لهم الشيطان بدعة في ضلالتهم انتقلوا منها إلى غيرها، لأنهم لم يطلبوا أثر السالفين، ولم يقتدوا بالمهاجرين،... عليكم بالقرآن فأتوا به، وأمّوا به، وعليكم بطلب أثر الماضين فيه،...»<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله في طوره السلفي -: «قولنا الذي نقول به، وديننا الذي ندين الله به، التمسك بكتاب ربنا، وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة، والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون...»<sup>(٤)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في معرض شرحه، في باب ما يستر العورة -: «فإن النبي ﷺ قد يتكلم بكلام من كلام العرب يستعمله في معنى هو أخص من استعمال العرب، أو أعم منه، ويتلقى ذلك حملة شريعته من الصحابة، ثم يتلقاه عنهم التابعون، ويتلقاه عنهم أئمة العلماء؛ فلا يجوز تفسير ما ورد في الحديث المرفوع إلا بما قاله هؤلاء العلماء الذين تلقوا العلم عن قبلهم، ولا يجوز الإعراض عن ذلك، والاعتداد على تفسير من يفسر ذلك اللفظ بمجرد ما يفهمه من لغة العرب.

وهذا أمر مهم جداً، ومن أهمه وقع في تحريف كثير من نصوص السنة، وحملها على غير محاملها»<sup>(٥)</sup>.

(١) أي: في المسائل العملية الفقهية، وأما المسائل الاعتقادية فلا خلاف بينهم فيها.

(٢) مأخوذ من (هام) يهيم، إذا خرج ولم يدر ما يقصد. انظر: المصباح المنير للفيومي ص ٦٤٥.

(٣) رواه عنه الدارمي بسنده في سننه، المقدمة، باب/ في رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي، ح (٦٤٩).

(٤) الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص ٨، وانظر: العين والأثر ص ١١٠.

(٥) فتح الباري لابن رجب ٣٩٩/٢.

فهؤلاء السلف من الصحابة والتابعين ينبغي أن يفهم ما اختلف فيه من المسائل على ضوء فهمهم حتى يرتفع الخلاف، ويكثر أتباع الأسلاف، فمن بشعاع طريقهم تبصر، وباقتفاء منهجهم تميز، وبسلوك سبيلهم تحيز، كان على الحق الأبلغ المميز.

فالسلف علمهم أتم وأحكم، وأسد وأبين وأسلم، فلهذا كله صار أئمة الهدى على دربهم، ومصابيح الدجى على طريقهم، وهم القوم لا يشقى جليسهم، ولا يخاف تابعهم، ولا يضل متبعهم، ولا يتدي مخالفهم.

وكانوا أعظم الناس قياما بدين الله ﷻ، لا تأخذ أحدهم في الله لومة لائم، ولا يصددهم عن سبيل الله العظائم؛ بل يتكلم أحدهم بالحق الذي عليه، ويعتقد ويموت عليه، ويتكلم في أحب الناس من أجله، فأنى يكون أحد أهدى منهم، وهذا حالهم، وكيف يترك سبيلهم، وهذا وضوحهم<sup>(١)</sup>.

وأما الأدلة على وجوب اتباعهم، والسير على منهاجهم، فهي كثيرة منها:

١ - قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: «أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ؛ فصار في شق، وذلك عن عمد منه، بعد ما ظهر له الحق، وتبين له، واتضح له ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية؛ فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقا؛ فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفا لهم، وتعظيما لنبيهم...»<sup>(٢)</sup>؛ فالآية عطف مخالفة سبيل المؤمنين - وهم الصحابة ومن تبعهم - على مشاقة الرسول ﷺ، وهذا يدل على عظم شناعته، وقبح جنايته، ولهذا تواعد على تلك المخالفة بالنار، وبئس القرار.

(١) انظر: المجموع ١/ ١٠، ١٣/ ٣٦٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٥٤-٥٥٥.

٢- قال ﷺ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] فالمراد من الإيمان المثلي: كإيمان الصحابة<sup>(١)</sup>، فلم يرض من مدعي الإيمان في زمن النبي ﷺ سواء كانوا كتابيين أو غيرهم، حتى يكون إيمانهم كإيمان الصحابة، ومعلوم أنه لا يمكن لمن بعدهم أن يتساوا معهم في كمية الإيمان؛ فلم يبق إلا أن المراد أن يكون الإيمان كالإيمان في الكيفية، وهو المنهج، والسبيل المذكور في آية النساء - والله أعلم -<sup>(٢)</sup>.

٣- قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَزَقَهُمُ اللَّهُ غِنًى وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، «فجعل التابعين لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان، والجنة، وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥]...، وقال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣]، فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم»<sup>(٣)</sup>.

٤- قوله ﷺ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُتَّحِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ﷻ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﷻ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨- ١٠] فلقلب الصحابة المهاجرين بالصادقين، ونحن مأمورون بأن نكون مع الصادقين، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وأخبر في آية

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١٥٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن - بالبشتو - لشيخنا أبي زكريا عبد السلام الرستمي ص ٢١.

(٣) المجموع ١٣/ ٢٣- ٢٤.

الحشر بأن الأنصار من المفلحين، ومن الذي لا يريد أن يحشر مع المفلحين؟ ولا يرغب عن نهجهم إلا من ضل سعيه، فإذا وجب أن نكون مع الصادقين، الذين حسنت وصدقت أعمالهم، ومع المفلحين الذين زكت قلوبهم، فاجتمع فيهم طهارة الأعمال والقلوب؛ ونقاوة العلم والعمل، ومن كان تابعا لهم فإنه يكون ثانيًا عليهم، ساريًا على دربهم، داعيًا لهم بالخير، وإلا فإنه يخشى عليه أن يكون ممن وصفوا في الآيات التي بعدها، وهي في ذكر المنافقين والخاسرين، نسأل الله السلامة والمعافة في الدنيا والدين.

٥- أن النبي ﷺ لم يأمر باتباع سنته فحسب، وإنما أمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين ؓ، فكيف إذا كان الصحابة مجتمعين يفهمون من النص أمرا معينا، أفيجوز بعد ذلك مخالفتهم؟ وقد أمرنا بسنة الخلفاء، فكيف بالصحابة جمعاء، قال ﷺ: [فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة] <sup>(١)</sup>.

٦- من الأدلة كونهم في خير القرون، وهم الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالخيرية، فكيف لا يكونون أعلم الناس وأحكمهم وقد قال - عليه الصلاة والسلام -: [خير الناس قرني...] <sup>(٢)</sup>، «ولهذا كانت معرفة أقوالهم في العلم، والدين، وأعمالهم خيرا...، فإنهم أفضل ممن بعدهم، كما دل عليه الكتاب، والسنة؛ فالإقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم...، وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوما، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم؛ فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم» <sup>(٣)</sup>.

٧- من ذلك فعل الخلفاء الراشدين ؓ، «فكان أبو بكر ؓ إذا ورد عليه

(١) سبق تخريج الحديث بلفظ: [عليكم بسنتي...] ص ٣١٩.

(٢) روى نحوه البخاري كتاب الشهادات، باب/ لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، ح (٢٦٥١) عن عمران بن حصين ؓ، ومسلم واللفظ له، كتاب فضائل الصحابة، باب/ فضل الصحابة الذين يلونه، ح (٢٥٣٣) عن ابن مسعود ؓ.

(٣) المجموع ٢٤/١٣.

الخصم نظر في كتاب الله؛ فإن وجد فيه ما يقضي به بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب، وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها؛ فإن أعياء خرج فسأل المسلمين، وقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه نفر كلهم يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا؛ فإن أعياء أن يجد فيه سنة عن رسول الله ﷺ جمع رؤوس الناس وخيارهم، فاستشارهم؛ فإن أجمع أمرهم على رأي قضى به، وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك؛ فإن أعياء أن يجد في القرآن، والسنة، نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء؟ فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رؤوس المسلمين؛ فإذا اجتمعوا على أمر قضى به<sup>(١)</sup>، فهذا فيه اتباع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما للكتاب والسنة، والأخذ عن الصحابة، وكان عمر يتبع قضايا أبي بكر رضي الله عنه لأنه سلف له، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: [فعليك أيها السائل بما دل عليه القرآن من صفته، وتقدمك فيه الرسل بينك وبين معرفته، فأنتم به، واستضيئ بنور هدايته؛ فإنها هي نعمة وحكمة أوتيتها؛ فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك في الكتاب فرضه، ولا في سنة النبي ﷺ، ولا عن أئمة الهدى أثره، فكل علمه إلى الله سبحانه؛ فإنه منتهى حق الله عليك]<sup>(٢)</sup>.

٨- احتج ابن عباس رضي الله عنهما بالمهاجرين والأنصار لما كان يناظر الخوارج؛ وهذا دليل على وجوب اتباعهم، وإلا فلماذا يحتج بهم أو يوردهم في معرض المناظرة من دون أن يكونوا حجة؟؟ قال رضي الله عنه: [أنيتكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله ﷺ، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم... وليس فيكم منهم أحد، وهم أعلم بتأويله]<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره السيوطي عن ميمون بن مهران رضي الله عنه، كما في تاريخ الخلفاء ص ٤٣.

(٢) أورده ابن الوزير الصنعاني في إثبات الحق ص ٩٣، ولم أجده بحسب بحث جهدي المقل عند غيره.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه، برقم (١٨٦٧٨)، والحاكم برقم (٢٦٥٦) وصححه، ووافقه الذهبي، وأورده

ابن الجوزي بسنده في تلبس إبليس ص ١٠٣.



٩- أن عدم الفهم على ضوء فهمهم يورث الخطأ في الاستدلال، والخطأ في فهم الدليل، قال عروة رضي الله عنه: [سألت عائشة رضي الله عنها؛ فقلت لها: أ رأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفاء والمروة] فهذا فهمه رضي الله عنه من الآية، «احتج للإباحة باقتصار الآية على رفع الجناح؛ فلو كان واجبا لما اكتفى بذلك، لأن رفع الإثم علامة المباح»<sup>(١)</sup>، فردت عليه عائشة رضي الله عنها قائلة: [بئس ما قلت يا ابن أخي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل؛ فكان من أهلّ يتحرج أن يطوف بالصفاء والمروة؛ فلما أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، فخطأت فهمه بدليل سبب النزول، ثم بينت وجوب السعي بدليل السنة<sup>(٢)</sup>؛ فقالت: [وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما؛ فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما]<sup>(٣)</sup>.

١٠- أنهم «نقلوا إلينا القرآن العظيم وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل مصدق لها، مؤمن بها، قابل لها، غير مرتاب فيها، ولا شاك في صدق قائلها»<sup>(٤)</sup>، فإذا كان هذا حالهم؛ فهم أعلم منا بهذه النصوص.

١١- حرمان الحق يكون بسبب عدم اتباع طريقتهم، فالمشبهة والمعطلة «إنما

(١) الفتح ٥٨٣/٣.

(٢) وقد بوب لهذا البخاري فقال: باب/ وجوب الصفا والمروة، وجعل من شعائر الله. انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب (٧٩)، وقال ابن حجر رحمته الله: «ومحل جواب عائشة أن الآية ساكنة عن الوجوب وعدمه، مصرحة برفع الإثم عن الفاعل، وأما المباح فيحتاج إلى رفع الإثم عن التارك... وأما الوجوب فيستفاد من دليل آخر، ولا يلزم من نفي الإثم عن الفاعل نفي الإثم عن التارك». الفتح ٥٨٣/٣.

(٣) رواه بطوله البخاري في صحيحه كتاب الحج، باب (٧٩)، ح (١٦٤٣).

(٤) نقض المنطق ص ٢.

أتوا من تعاطي علم ما لا يعلمون، ولو أنهم سلكوا مسالك السلف في الإيمان، بما ورد من غير تشبيه، لسلموا؛ فقد أجمعوا على أن طريقة السلف أسلم، ولكنهم - أي المعطلة والمشبهة - ادعوا أن طريقة الخلف أعلم!! فطلبوا العلم من غير مظانه، بل طلبوا علم ما لا يعلم؛ فتعارضت أنظارهم العقلية، وعارض بعضهم بعضا في الأدلة السمعية؛ فالمشبهة ينسبون خصومهم إلى رد آيات الصفات، ويدعون فيها ما ليس من التشبيه، والمعطلة ينسبون خصومهم وسائر أئمة الإسلام جميعا إلى التشبيه، ويدعون في تفسيره ما لا تقوم عليه حجة، والكل حرموا طريق الجمع بين الآيات والآثار، والافتداء بالسلف الأخيار، والاختصار على جليات الأبصار، وصحاح الآثار<sup>(١)</sup>.

وأما قول من يدعي أن السلف - في باب العقائد - طريقتهم أسلم فقط وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم؛ فهذه فرية مكشوفة، وكذبة مفضوحة، رد عليها عدة من العلماء المتبعين لطريقة الأنبياء، والسالكين سبيل السلف الصالحاء، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة - القرن الذي بعث فيه رسول الله ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - كانوا غير عالمين، ولا قائلين في هذا الباب بالحق المبين؛ فهذا لا يعتقده مسلم، ولا عاقل عرف حال القوم، ولا أن يعتقد أن الخلف أعلم من السلف، أو أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم، وأحكم!!!، ظنا أن طريقة السلف هي: مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك، وأن طريقة الخلف هي: استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن فاسدٌ أوجب تلك المقالة، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها النصوص؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى، وهي التي يسمونها طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف، وصار هذا الباطل مركبا من

فساد العقل، والتكذيب بالسمع؛ فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية، ظنوها بينات، وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه؛ فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين، كانت النتيجة: استجهال السابقين الأولين، وأنهم لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقيق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله!!.

وهذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة بمقدار السلف؛ فكيف يكون الخلف أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء، وأعلام الهدى الذين بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة، وأحاطوا من حقائق المعارف، وبواطن الحقائق، بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة».

ثم قال: «ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس على العرش، ولا إنه في كل مكان، ولا إنه لا داخل العالم، ولا خارجه!!، ولا متصلا به، ولا منفصلا عنه!!، ولا إنه لا تجوز الإشارة إليه!!».

فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات، ونحوها، دون ما يفهم من الكتاب والسنة، إما نصا، وإما ظاهرا؛ فكيف يجوز على الله، ورسوله، ثم على خير الأمة: أنهم يتكلمون دائما بما هو نص، أو ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده، لا ييؤحون به قط، ولا يدلون عليه حتى جاء المتوغلون في علوم الفلاسفة؛ فبينوا للأمة العقيدة الصحيحة!!، ودفعوا بمقتضى عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصا أو ظاهرا!!؛ فإن كان الحق في قولهم، فلقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم، وأنفع على هذا التقدير!!.

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء: إنكم يا معشر العباد!! لا تطلبوا معرفة الله، وما يستحقه من الصفات، لا من الكتاب!!، ولا من السنة!!، ولا من طريق

سلف الأمة!!، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات في عقولكم، فصفوه به، سواء كان موجودا في الكتاب، والسنة، أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به!!»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على أن طريقة السلف أسلم، وأعلم، وأحكم، أمور منها:

١- أن للسلف كلاما في جميع أبواب العقائد، هو من أوسط الكلام، ومن أسدّه، وكله موافق لنصوص الوحي، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «إن أهل العناية بعلم الرسول، العالمين بالقرآن وتفسير الرسول رحمته الله والصحابة والتابعين لهم بإحسان، والعالمين بأخبار الرسول والصحابة والتابعين لهم بإحسان، عندهم من العلوم الضرورية بمقاصد الرسول ومراده ما لا يمكن دفعه عن قلوبهم، ولهذا كانوا كلهم متفقين على ذلك من غير تواطؤ، ولا تشاعر»<sup>(٢)</sup>.

٢- أن السلف لم يقع منهم أي بدعة؛ والمتبعين لهم لم يتبعوا أي نحلة، وهذا دليل على صحة منهجهم، وسلامة معتقدتهم، خصوصا أن انتحال السلف ليس من شعائر أهل البدع، بل لا يعتز إليهم إلا سلفي، ومن عظمهم فإنها ذلك بقدر ما قام به من السنة<sup>(٣)</sup>.

٣- أن المؤلفات الكثيرة التي ألفت في أقاويلهم، ونقلت تعبيراتهم أكثر من أن تحصر، وفيها بيان لمعتقدهم السليم، المشتغل على العلم العميم، والإتقان الحكيم، ومن أهمها: اعتقاد أهل السنة للالكائي<sup>(٤)</sup>، السنة للخلال<sup>(٥)</sup>، الإبانة لابن بطة<sup>(٦)</sup>،

(١) نقله الشيخ مرعي الحنبلي في أقاويل الثقات ص ٢٢٦-٢٢٨، وهو موجود بنحو من ألفاظه في المجموع

٧/١٠-٧، وانظر: المجموع ٤/١٥٧، درء التعارض ٥/٣٧٨-٣٧٩.

(٢) درء التعارض ١/١٥٩، وانظر: الفتاوى الكبرى ٥/١٤٢.

(٣) انظر: تلبس إبليس ص ٢٩، المجموع ٤/١٥٦.

(٤) مطبوع بتحقيق الشيخ/ أحمد بن سعد حمدان، في السعودية.

(٥) وقد طبع بتحقيق: د/ عطية الزهراني، في السعودية.

(٦) وقد طبع عدة طبعات.

والسنة لابن أبي عاصم<sup>(١)</sup>، والأسماء والصفات لليهقي<sup>(٢)</sup>، والتوحيد لابن خزيمة<sup>(٣)</sup>، وغيرها من الكتب المصنفة في السنة، والرد على أهل البدع والأهواء، وكتب الاعتقاد.

ولهذا فلا أحد يسلم من البدعة ولا يسلم له عقيدة إلا بأن يسلم كما أسلموا، وأن يفهم النصوص كما فهموا، ويترك علم ما لم يكلف، وهذا هو مسلك أئمة السنة<sup>(٤)</sup>.

وأما إذا اختلف في أمر من أمور الشرع؛ فإن الواجب على العبد النظر في الدليل الشرعي، دون تحيز إلى فئة، وتمايز إلى نحلة، قال ابن أبي العز<sup>رحمته الله</sup>: «فالواجب على من طلب العلم النافع أن يحفظ كتاب الله، ويتدبره، وكذلك من السنة ما تيسر له، ويطلع منها ويتروى، ويأخذ معه من اللغة، والنحو ما يصلح به كلامه، ويستعين به على فهم الكتاب والسنة، وكلام السلف الصالح في معانيها، ثم ينظر في كلام عامة العلماء: الصحابة، ثم من بعدهم ما تيسر له من ذلك من غير تخصيص؛ فما أجمعوا عليه لا يتعداه، وما اختلفوا فيه: نظر في أدلتهم بغير هوى، ولا عصبية»<sup>(٥)</sup>، وهذا لا يدخل فيه العقائد؛ لأن العقائد لا اختلاف بينهم فيها البتة.

فالشاهد على المتخاصمين النظر في حال السلف الصالحين، وهل كانوا يفهمون هذه النصوص على هذا النحو أم لا؟؟ «هل كانوا آخذين فيها؟ أم كانوا تاركين لها، أو غافلين عنها؟! مع القطع بتحققهم بفهم القرآن، يشهد لهم بذلك النبي ﷺ، والجم الغفير؛ فلينظر امرؤ أين يضع قدمه؟»<sup>(٦)</sup>.

وإذا حمل القرآن الكريم وفهم على ضوء فهم السلف الصالحين، علمنا أنهم لم

(١) وقد طبع بتحقيق وتخريج الشيخ الألباني.

(٢) وقد طبع مرات عدة.

(٣) وقد طبع مرات كثيرة.

(٤) انظر: إنباء الحق ص ١٢٢.

(٥) الإنباء له ص ٨٨، وانظر: الأم للشافعي ٤٤/٧، المجموع ١١٦/٧، ٣٥٣/١٧، ٣٢/٢٥٢.

(٦) الموافقات للشاطبي ٣/٣٧٦، بتصرف يسير.

يختلفوا في أمور العقيدة بهوى متبع، ولا برأى مبتدع<sup>(١)</sup>، فكانوا على الوحيين، محتجين بهما، مستضيئين بنورهما، فكان الكتاب والسنة كالشمس والقمر لهم، سواء في الاعتقاد، أو في غيرها من المسائل العلمية، أو العملية، وكون القرآن حجة في باب العقائد هذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) انظر: حراسة العقيدة ص ٥٧.

### المبحث الثاني: حجية القرآن عند السلف

إن من المسلمات الشرعية، والضروريات الدينية عند كل مسلم، الإيمان بأن القرآن الكريم هو الكتاب المنزل على نبينا محمد ﷺ، وأنه حجة الله على الخلق، في جميع ما يجب على المسلم اعتقاده، وما يجب عليه تطبيقه، واتباع تعاليمه في التشريع وشتى مجالات الحياة، وهذا ما أبينه في المطالب التالية.

#### المطلب الأول: الأدلة على حجية القرآن في العقائد.

لا شك أن الله ﷻ أنزل القرآن هداية للخلق، وإقامة للحجة عليهم بالحق، وكانت معجزات الأنبياء وقتية، ومعجزة خاتم الأنبياء باقية، وذلك لكونه خاتم الرسل؛ فكانت حجته وبرهانه باقين، حتى لا يكون لأحد حجة على الله.

وهذا القرآن أخبر الله ﷻ أن فيه الهداية التامة، والنور الكامل الذي يستضاء به، وأن من تمسك به نجا وفاز، ومن تركه وأعرض عنه ضل وشقى، ومن أهم جوانب الهداية التي يشملها القرآن جانب العقيدة التي لم يترك الله تعالى فيها لنا مجالا للاجتهاد إلا في فهم نصوصها، وتدبر معانيها، واستخلاص دلالتها التي هي في غاية البيان والوضوح، وقد دل على ذلك أنواع من الأدلة، منها:

#### النوع الأول: الأدلة القرآنية نفسها، ومنها:

- ١- قول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِأَلْوَحْيٍ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، وقال تعالى مخبرا عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فكل

من بلغه القرآن فقد أنذره رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وهو الوحي الذي أمر أن ينذر به؛ ولو كانت الحجة غير قائمة به؛ فكيف ينذرهم بها لا تقوم به الحجة؟!.

٢- قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْءَانَ عِصِينَ﴾ [الحجر: ٩١] أي جعلوه مجزاء، منه ما هو سحر - بزعمهم - ومنه ما هو شعر، أو آمنوا ببعض، وكفروا ببعض<sup>(٢)</sup>، فمن ادعى أنه لا يحتج به في باب العقائد إلا إذا شهد له العقل فما آمن به.

٣- قال تعالى: ﴿أَقْتُولُونَ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٥٨] فإذا كان من آمن ببعض الكتاب، وكفر ببعض كاليهود والنصارى لم يكن إلا مخزيا في الدنيا، مجزيا بالعذاب الشديد يوم القيامة؛ فكذلك من تشبه بهم من هذه الأمة<sup>(٣)</sup>.

٤- قال تعالى: ﴿وَأَن آحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩] فالحكم أوجه الله بالمنزل، لا بالأهواء والمقالات، فكيف فيما يُعرّف بالله، ويقرب إلى الله ﷻ؟! لا شك أنه من باب أولى يكون بالمنزل، وقال ﷻ: ﴿يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] فهذا دليل قاطع على أنه يجب حين التنازع، رد الأمور كلها إلى الله والرسول، لا إلى أحد غير الله ورسوله؛ فمن أحال الرد إلى غيرهما - كالعقل، أو الذوق، أو الفلسفة - فقد ضاد أمر الله، ومن احتكم إلى غير الله ورسوله فقد دعا بدعوى

(١) انظر: الجواب الصحيح ١/ ٣٨٣، ٢/ ٢٣٩.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ١٧٧.

(٣) انظر: الصفدية ٢/ ٢٤٦.



الجاهلية؛ فلا يدخل عبد في الإيمان حتى يرد كل متنازع إلى الله والرسول<sup>(١)</sup>، «وحسبك بهذه الآية القاصمة العاصمة بيانا وشفاء؛ فإنها قاصمة لظهور المخالفين لها، عاصمة للمتمسكين بها، المتمثلين لما أمرت به»<sup>(٢)</sup>.

٥- قوله ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] فإذا كان لا يتم الإيمان إلا بالإذعان لما جاء به محمد ﷺ ولو في سنته، فكيف بالقرآن؟ لا شك أنه: «أكد مما قضى به رسول الله ﷺ، وأبعد من كل ريب، فمن استراب في شيء منه، فهو فيما سواه أعظم ريبا، ومن ولع بالنظر في دقائق الكلام المختلف فيها بين أهله، وأعرض عن التدبر لكتاب الله، والفرق بين نصوصه، وظواهره، وخصوصه، وعموماته من غير أن يحكم دليل ما قطع به، ويستوثق من صحته، ثم يسمع نصوص القرآن تحالف ما هو عليه، فيعتقد فيها من تمحل وجوه المجاز ما لا يصلح مثله في العربية»<sup>(٣)</sup>.

٦- قال ﷺ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ﴾ [الرعد: ٣١] فإذا كان هذا وصفه ونفعه وقدره، فكيف لا يستفاد منه في أصل الأصول؟؟ والاحتجاج به في الدلالة على الله ﷻ<sup>(٤)</sup>، ومن سمع آيات القرآن علم أنها إنما ضمنت الفلاح والهدى والنجاح لمن اتبعه، دون من خالفه، والآيات في ذلك كثيرة<sup>(٥)</sup>.

٧- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي

(١) انظر: الرسالة التبوكية ص ١٣٣.

(٢) الرسالة التبوكية ص ١٣٤، وانظر: المجموع ٦/٥.

(٣) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير البيهقي ص ١١.

(٤) انظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير البيهقي ص ٩.

(٥) انظر: درء التعارض ٣٧٤/٥.

ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرِي لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ [العنكبوت: ٥١] فهذه الآية وأمثالها الواردة بصيغة الاستفهام متضمن معنى الإنكار؛ فيها مبالغة واضحة في وضوح كفايته، ودلالته على وجوب الإيمان، ولا يائله شيء، ولا يدانيه <sup>(١)</sup>.

٨- قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]، فأى كتاب أعظم تفصيلا منه، فيما يقرب إلى الله، ويباعد عن النار <sup>(٢)</sup>.

٩- قوله ﷻ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمًى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمًى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦] «فبين أن من اتبع الهدى الذي جاء من عنده...؛ فإنه لا يضل ولا يشقى، بل يكون من المهتدين المفلحين...؛ فأهل الهدى - الذي يتضمن العلم والسعادة - هم: المتبعون للكتاب المنزل» <sup>(٣)</sup>.

١٠- قوله ﷻ: ﴿خَبَرًا عَنِ نَدَمِ أَهْلِ النَّارِ، الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْمَنْزِلِ عَلَى النَّبِيِّينَ الْأَبْرَارِ: ﴿كَأَدَّ تَمَيُّزٍ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿١٢﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٣﴾ فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٨-١١] فمن ظن عدم اشتغال الكتاب والحكمة على بيان الشرع؛ فإنما هو ناقص في عقله وسمعه، وله نصيب من هذه الآية التي توعد بها الكافرين <sup>(٤)</sup>.

النوع الثاني: الأدلة النبوية، فكل ما ثبت عنه ﷺ من الحث على اتباع كتاب الله ﷻ،

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير البيهقي ص ١٠.

(٢) انظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير البيهقي ص ١١.

(٣) الصنفية ٢/ ٢٤٦.

(٤) انظر: المجموع ٣/ ٢٩٦، ١٧/ ٤١٦.

والأخذ به، فهو دليل على وجوب الصدور عن القرآن، وحجته على الإطلاق، ومن ذلك:

١- قوله ﷺ: [إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله] <sup>(١)</sup>؛ فلو كان القرآن لا يشتمل على الهداية التامة لما حصل به نفي الضلالة، فعلمنا أنه مشتمل على أصل الأصول، ومهمات الوصول، ولو لم يكن كذلك؛ «فهلأ قال: من تمسك بالقرآن، أو بدلالة القرآن، أو بمفهوم القرآن، أو بظاهر القرآن في باب الاعتقاد: فهو ضال؟؟ وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم!! وما يحدثه المتكلمون منكم!! بعد القرون الثلاثة!!» <sup>(٢)</sup>.

٢- قوله ﷺ: [أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله]؛ «فأحسن الحديث، وأصدق كتاب الله: خبره أصدق الخبر، وبيانه أوضح البيان، وأمره أحكم الأمر» <sup>(٣)</sup>.

٣- قوله ﷺ: [القرآن حجة لك، أو عليك]، ونحو ذلك من الأحاديث التي تدل على وجوب العمل بالكتاب.

### النوع الثالث: دليل الإجماع، وهذه بعض الأقوال في ذلك:

١- إن متبعي السلف: «اتفقوا على أن أصول أحكام الشريعة: القرآن، والسنة، وإجماع السلف، وأكفروا من زعم من الرافضة أن لا حجة اليوم في القرآن... فهذا بيان ما اتفق عليه أهل السنة» <sup>(٤)</sup>.

٢- قال ابن الوزير <sup>(٥)</sup> رحمه الله: «إجماع علماء الإسلام من جميع الطوائف على أن القرآن يفيد ما ادعيت من معرفة أدلة التوحيد، من غير ظن، ولا تقليد» <sup>(٦)</sup>.

(١) سبق تخريجه ص ٥٧٣.

(٢) المجموع ٢٠/٥.

(٣) نقض المنطق ص ٧٢.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٥٢.

(٥) هو الذاب عن السنة: محمد بن إبراهيم بن علي المرتضي بن الهادي بن يحيى الحسيني، المعروف بابن الوزير البيهقي، تعلم بصنعاء ومكة، وبلغ الغاية في التصنيف، ومن مصنفاته: إثبات الحق على الخلق، القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، توفي سنة ٨٤٠ هـ. انظر: معجم المؤلفين ٢١٠/٨.

(٦) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير البيهقي ص ١٥.

٣- قال الألوسي<sup>(١)</sup> رحمته الله: «اعلم أن مستند المسلمين في العقائد، ومرجعهم في أصول الدين وفروعه، إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وإجماع من سلف من علماء الأمة»<sup>(٢)</sup>، وقال: «إن العمدة عند المسلمين في مسائل أصول الدين، وفروعه: على كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع أهل العلم، ولا تذكر أقوال أهل العلم إلا تبعاً، وبياناً... وما خالف ذلك فهو مردود على قائله، ويلزمه أهل العلم بصريح الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة»<sup>(٣)</sup>.

النوع الرابع: أقوال علماء المسلمين: أما أقوالهم على التفصيل؛ فإن في ذكرها تطويلاً، ويكفي اللبيب إشارة إلى ما استدل به السلف من آيات القرآن والسنة في كتبهم سواء في باب الصفات، أو غيرها من أمور التوحيد، والإيمان، والعبادات؛ فيحصل له العلم التام بأنهم لا يرون الاحتجاج إلا بالقرآن، والسنة النبوية، ومن هذه الأقوال السنية:

١- قال الإمام أحمد رحمته الله: «أصول الإسلام أربعة: دالٌّ، ودليلٌ، ومبينٌ، ومستدلٌّ؛ فالدال هو الله، والدليل هو القرآن، والمبين هو الرسول، والمستدل هم أولو العلم وأولو الألباب الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، ودرايتهم»<sup>(٤)</sup>.

٢- قال القاضي أبو يعلى رحمته الله: «والأدلة التي يدرك بها الحق خمسة أشياء: كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمة، وما استخرج من هذه النصوص، وبني عليها بطريق القياس والاجتهاد»<sup>(٥)</sup>، وحجج

(١) هو العالم المؤرخ الأديب: محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني، أبو المعالي وهو حفيد صاحب التفسير، ولد ونشأ في بغداد، وأخذ العلم عن أبيه وآخرين، ودرس في المساجد، وحل على أهل البدع، ورسائل كثيرة في نصرته السنة، منها: غاية الأمان في الرد على النبهاني، توفي سنة ١٣٤٢هـ. انظر: الأعلام ١٧٢/٧.

(٢) غاية الأمان في الرد على النبهاني ٥٥/١.

(٣) غاية الأمان في الرد على النبهاني ٥٥/١، ونقله من كلام الإمام العلامة الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رحمته الله.

(٤) نقله شيخ الإسلام رحمته الله في الاقتضاء ٢٤٨/١.

(٥) والقياس الذي يستعمل في باب التوحيد - فيما يتعلق بصفات الرب المجيد - هو قياس الأولى، وأما قياس التمثيل، والشمول فلا يستعمل في هذا الباب، عند أهل السنة من غير ارتياب. انظر: النقض ص ١٥٨، ٢٠٠، المجموع

العقول»<sup>(١)</sup> فانظر - بعين البصيرة - كيف جعل كتاب الله أولاً، وحجج العقول آخرًا.

٣- قال الرازي الأشعري: «أقر الكل بأنه لا يمكن أن يزداد في تقرير الدلائل على ما ورد في القرآن»<sup>(٢)</sup>.

٤- قال شيخ الإسلام رحمته الله: «الهدى والبيان والأدلة والبراهين في القرآن؛ فإن الله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وأرسله بالآيات البينات؛ وهي الأدلة البينة الدالة على الحق»<sup>(٣)</sup>.

٥- قال الإمام الشاطبي رحمته الله: «لا بد في كل مسألة يراد تحصيل علمها على أكمل الوجوه: أن يلتفت إلى أصلها في القرآن؛ فإن وجدت منصوصاً على عينها، أو ذكر نوعها، أو جنسها فذاك...، وأعلى مراجع المقطوع به: القرآن الكريم؛ فهو أول مرجوع إليه»<sup>(٤)</sup>.

٦- قال ابن الوزير اليماني رحمته الله مبينا حال الذين لا يحتجون بالقرآن بالحجج الواهية: «وإنما يستقبحون الظواهر بعقولهم؛ فيتكلفون لها معاني كثيرة يختلفون فيها، وكل منهم ينفرد بمعنى، ويأتي بمجرد احتمال، والكل من ذلك مما لم يستندوا فيه إلى شيء من السمع، وقد يكون مخالفاً للمعلوم من الشرع؛ لأن تلك الآيات ظهرت على عهد رسول الله ﷺ، وعلم من المسلمين تلقيها بالقبول، ولم يخبر ﷺ، ولا أحد من أصحابه لها بتأويل، ولا نبه على ذلك مع ما في المسلمين من البله المحتاجين إلى البيان الذي لا يجوز تأخيرها عن وقت الحاجة»<sup>(٥)</sup>.

(١) المعتمد لأبي يعلى ص ٢٦.

(٢) هكذا ذكره هنا، في كتابه الأربعين، في الكلام على النبوت، كما نقله ابن الوزير في إشار الحق ص ٨٠، ولكن ليته عمل بمقتضاه، ولم يخالفه إلى القواعد المنطقية، المزعومة بأنها موازين عقلية!! انظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ٢٠.

(٣) النبوات ٦٣٩/٢.

(٤) الموافقات للشاطبي ٣/٣٧٥.

(٥) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٢٥-١٢٦.

النوع الخامس: الأمثلة على اشتغال القرآن للأدلة العقائدية؛ معلومٌ أن إثبات شيء في الدين، سواء في المعتقد، أو غيره، لا يتوقف إلا على الشرع؛ فوجوب «تصديق كل مسلم بما أخبر الله ورسوله من صفاته، ليس موقوفاً على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها؛ فإنه يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول ﷺ إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى، وجب علينا التصديق به، وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا»<sup>(١)</sup>، ومع هذا فإنه لم يأت شيء في الشرع إلا ودل عليه العقل بالتبع، قال شيخ الإسلام ﷺ: «والقرآن يبين ما يستدل به العقل، ويرشد إليه، وينبه عليه، كما ذكر الله ذلك في غير موضع»<sup>(٢)</sup> وقد أرشد القرآن إلى الدلالات العقلية التي بها يعرف الحق من الباطل، وما يستحقه الرب الكامل، وهذه الدلالات العقلية كثيرة، ومنها:

١- من ذلك إرشاده إلى النظر في الاستدلال - للمرتاب - على الخالق ﷻ<sup>(٣)</sup>، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذِكْرُ اللَّهِ رَبِّكُمْ الْحَقُّ فَمَادَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢] وغير ذلك من الآيات، التي ترشد إلى الله ﷻ الخالق، وتبين أنه هو المعبود بحق، وهي قريبة من خمسمائة آية، ينبغي للخلق أن يعرفوا جلال الله وعظمته، بقوله الصادق المعجز...؛ فإن الدلالات الشرعية الصادرة عن اللطيف الخبير، وعن رسوله البشير النذير ﷺ تقنع، وتسكن النفس، وتغرس في القلوب الاعتقادات الصحيحة الجازمة»<sup>(٤)</sup>.

٢- وذكر الله ﷻ الدليل على وحدانيته<sup>(٥)</sup>؛ فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ

(١) الأصبهانية ١/ ٣٠.

(٢) التدمرية ص ١٤٦-١٤٧، وانظر: الصفدية ١/ ٢٩٦، درء التعارض ١/ ١٩٩، الأصبهانية ٢/ ٣٩٧.

(٣) انظر: نقض المنطق ص ٤٧، وانظر: النبوات ١/ ٢٩٢، في بيان ما ذكره شيخ الإسلام ﷺ في أحسن الطرق التي دل عليها القرآن في الاستدلال على الخالق ﷻ بخلق الإنسان.

(٤) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير البيهقي ص ٢١، وانظر منه: ص ٧٠.

(٥) انظر: التدمرية ص ١٤٧، المجموع ٣/ ٣٠٢، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير البيهقي ص ٢١.

لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿الأنبياء: ٢٢﴾، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فدللت الآيات على أن المعبود بحق هو الله ﷻ الذي بيده تصاريف الأمور، ولو كان هناك من يستحق العبادة غيره، لكان خالفاً، ولاختل ميزان السماوات والأرض؛ فلما لم يختل النظام في الكون، علم أن المعبود بحق هو الله ﷻ، المتصرف وحده.

٣- ومن ذلك الرد على منكري المعاد<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]، إلى آخر الآيات من سورة يس، حيث ذكر شبهة المنكرين للبعث، والرد عليها بأحسن عبارة، وأدل دلالة<sup>(٢)</sup>.

٤- ومن ذلك دلالته على إثبات الخالق ﷻ، وصفاته<sup>(٣)</sup>، قال تعالى: ﴿أَفَى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقال في الدلالة على وصفه ﷻ: ﴿رَبِّ الْعٰلَمِينَ﴾ (٤) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يُهْدِينِ (٥) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٦) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٧) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ [الشعراء: ٧٧-٨١]، فكل ما أثبتته الصفاتية<sup>(٤)</sup> من المتكلمين من صفات الله ﷻ بدلالة العقل - لا بالشرع!! -، دل عليها الشرع، وما لم يثبتوه مما ثبت بالشرع، يمكن إثباته بالعقل، إذ لا تنافي بين الشرع الثابت، والعقل

(١) انظر: التدمرية ص ١٤٧.

(٢) انظر: المجموع ٢٩٨/٣، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير البهائي ص ١٧.

(٣) انظر: المجموع ٣٠١/٣، الأصهبانية ٣٧٩/٢.

(٤) الصفاتية اصطلاح المراد منه: من أثبت الصفات، بغض النظر عن كونه أثبت كل الصفات، أو بعضها، وهل أثبتها على ما وردت من غير تشبيه، أم على ما فهموها، وهل أثبتها لدلالة الشرع أم لدلالة العقل، فهذه أمور أخرى، يختلف فيها الصفاتية أنفسهم، والصفاتية هم: الكلالية، والأشاعرة، والماتريدية، والمشبهة الكرامية وغيرهم، وهؤلاء هم من أهل الكلام، وقد يضاف إليهم أهل السنة والأثر لأنهم يثبتون بغض النظر عن مخالفتهم لهم في أمور كثيرة في باب الصفات.

الثاقب، ولهذا ألف شيخ الإسلام رحمه الله كتابه الفذ "درء تعارض العقل والنقل" لبيان أنه لا تنافي بينهما.

٥- ومن ذلك دلالته على إثبات النبوة، والرد على منكريها<sup>(١)</sup>، قال رحمه الله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٣-٢٤﴾. وهذه أمثلة، وإلا فإن القرآن كله في الدلالة على التوحيد، إما تطابقاً، أو تضمناً، أو التزاماً؛ «فأدلة القرآن، والسنة مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان، بل كالماء الذي ينتفع به الصبي، والرضيع، والرجل القوي، ولهذا كانت أدلة القرآن سائغة جليلة، ألا ترى أن من قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر...، وأن التدبير لا ينتظم في دار واحدة بمديرين؛ فكيف ينتظم في جميع العالم؟؟»<sup>(٢)</sup>.

٦- ومن ذلك اشتغال القرآن على الأدلة الكاملة للرد على أهل البدع؛ فمن هذه الأدلة قوله رحمه الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد بليغ على الممثلة، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على أهل التعطيل بجميع فرقته<sup>(٣)</sup>؛ فالآية على جزالة لفظها، شملت معاني عظيمة، وقواعد كثيرة، يتضح أن القرآن مشتمل على جميع الدلالات الصحيحة النافعة، التي توصل إلى المطلوب سواء في التوحيد أو في غيرها؛ «فالواجب أن يجعل ما أنزله الله من الكتاب والحكمة - أي السنة - أصلاً في جميع هذه الأمور، ثم يرد ما تكلم فيه الناس إلى ذلك»<sup>(٤)</sup>.

٧- أن سورة واحدة من سور القرآن تشتمل على أصول الدين؛ فكيف بالقرآن كله؟ فهذه سورة البقرة «جمع فيها معالم الدين، وأصوله، وفروعه...، ذكر في أولها

(١) انظر: التدمرية ص ١٤٧، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير البيهقي ص ١٧.

(٢) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير البيهقي ص ٢١-٢٢.

(٣) انظر: الصفدية ١/ ١٠٣.

(٤) المجموع ١٧/ ٣٠٦.



أصناف الخلق، وهم ثلاثة: مؤمن، وكافر، ومنافق، أخذ بعد ذلك يقرر أصول الدين، فقرر هذه الأصول الثلاثة: الإيمان بالله، ثم الرسالة، ثم اليوم الآخر...<sup>(١)</sup>، وفيها أركان الإيمان، والمسائل التي تكمل الإيمان: من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وغيرها، فهذه السورة سورة جامعة لأحكام الدين علما وعملا.

فالقرآن احتوى من الدلائل العقلية، والإرشادات القطعية في المسائل العقدية، ما لم يحويه كتاب؛ «ففي القرآن من المحاسن التي تقتضيها القواعد الشرعية الكثير، يشهد بها شاهد الاعتبار، ويصححها نصوص الآيات والأخبار،... وذلك أنه محتو من العلوم على ثلاثة أجناس هي المقصود الأول؛ أحدها: معرفة المتوجّه إليه، وهو الله المعبود ﷻ، والثاني: معرفة كيفية التوجه إليه، والثالث: معرفة مآل العبد»<sup>(٢)</sup>.

#### النوع السادس: الأدلة العقلية؛ ومنها:

١- أن الله ﷻ إنما أرسل الرسل ليلغوا لنا الدين، فإذا كان ما معهم لا يفي في مسائل الدين؛ ولا يُشفي في معرفة رب العالمين فهذا يعني أنهم لم يأتوا هداية البشر، حتى جاء أصحاب زبالات أفكار اليونان، وفلسفة أهل الهند وغيرهم من البلدان، فأكملوا الهداية للناس!!، وهذا معلوم بطلانه عقلا ونقلا؛ فثبت أن ما جاء به الرسل فيه الهداية التامة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨] فرسولنا ﷺ «قد أرسل بالبينات والهدى، بين الأحكام الخبرية والطلبية، وأدلتها الدالة عليها، بين المسائل والوسائل، بين الدين، ما يقال، وما يعمل، وبين أصوله التي بها يعلم أنه دين حق، وهذا المعنى قد ذكره الله تعالى في غير موضع، وبين أنه أرسل رسوله

(١) الأصبهانية ٢/ ٦٣٠.

(٢) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٩-٣٨٠.

بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله...، والهدى: هو هدي الخلق إلى الحق، وتعريفه ذلك، وإرشادهم إليه؛ وهذا لا يكون إلا بذكر الأدلة، والآيات الدالة على أن هذا هدى...، وهو سبحانه إذا ذكر الأنبياء؛ نبينا وغيره، ذكر أنه أرسلهم بالبينات؛ وهي الأدلة، والبراهين البينة، المعلومة علما يقينيا، إذ كان كل دليل لا بد أن ينتهي إلى مقدمات بينة بنفسها، قد تسمى: بديهيات<sup>(١)</sup>، وقد تسمى ضروريات<sup>(٢)</sup>، وقد تسمى أوليات، وقد يقال: هي معلومة بأنفسها؛ فالرسل - صلوات الله عليهم - بعثوا بالآيات البينات<sup>(٣)</sup>، وقد أخبر الله ﷻ في غير موضع من كتابه أنه أرسل رسوله تاليا للكتاب، وجعل حجته ما نزل؛ فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] «فتلاوة الآيات يحصل بها العلم؛ فإن الآيات هي العلامات، والدلالات؛ فإذا سمعوها دلتهم على المطلوب»<sup>(٤)</sup>.

٢- أن كفار قريش - وغيرهم - قامت عليهم حجج الرسالة بالقرآن، وفيه المسائل العقدية، وبآتيهم الجواب بكلام رب البرية، ولا يقول أحد منهم: إن هذا لا يصلح به الاحتجاج في الأمور العقدية، ونريد الدلائل المنطقية، أو الأصول الفلسفية، أو المناطات المرئية، أو الأذواق الوجدية، ولو كان ما ذهب إليه الذين لا يحتجون بالقرآن في المسائل الاعتقادية لكان الكفار أسبق إليه منهم، ف «لم يزل رسول الله ﷺ يحتاج عليهم بالقرآن، ويجعله العلم لنبوته، والدليل على صدقه، ويتحداه في موطن بعد

(١) البديهي أو البديهيات: هو الأمر الذي لا يتوقف معرفته على نظر وكسب، سواء كان فكرا أو تجربة أو عملا، وعلى هذا فهو قد يرادف الضروري. انظر: التعريفات ص ٤٣، ويمكن أن يقال: البديهيات: هي الأمور التي تكون معلومة دون توسط أمر آخر.

(٢) الضروريات هي الأمور التي يجد المرء ضرورة من غير كسب، ككون النار محرقة، والضرورة أنواع، انظرها في التعريفات ص ١٣٧.

(٣) النبوات ٢/ ٦٥٠-٦٥٢، وانظر ما بعدها من الصفحات، والمجموع ١١٨/٥.

(٤) النبوات ٢/ ٦٧١.

موطن... ولم يحك الله تعالى عنهم، ولا بلغنا في شيء من الروايات، أنهم جذبوه<sup>(١)</sup> من الجهة التي جذبته منها الطاعنون<sup>(٢)</sup>.

٣- ثم القرآن نقل إلينا متواترا، فثبت به العلم قطعا، ولما ثبت - بالتواتر - أنه كلام الله، ثبت أنه حجة موجبة للعلم قطعا، لعلنا يقينا أن كلام الله لا يكون إلا حجة،<sup>(٣)</sup> «ومعلوم أن النقل المتواتر يفيد العلم اليقيني؛ سواء كان التواتر لفظيا، أو معنويا...، فمن ادعى في كلام الله ورسوله خلاف ما عليه أهل الإيثار، كان قوله أظهر بطلانا وفسادا؛ لأن هذا معصوم محفوظ»<sup>(٤)</sup>، والمنقول: إما لفظ، أو معنى، وألفاظ القرآن متواترة، وكذلك من السنة ما هو متواتر، ومعاني القرآن والسنة منها ما هو متواتر عند العامة والخاصة، ومنها: ما هو متواتر عند الخاصة<sup>(٥)</sup>.

٤- أن كونه محفوظا، ليرجع إليه عند التخاصم، وتبقى حجة أبد الدهر في مسائل الشرع مطلقا، وقد هيأ الله أسباب حفظه، ف«هذه الشريعة المباركة معصومة، كما أن صاحبها ﷺ معصوم، وكما كانت أمته فيها اجتمعت عليه معصومة، ويتبين ذلك بوجهين؛ الأول: الأدلة الدالة على ذلك تصریحا وتلویحا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]...، فأخبر أنه يحفظ آياته، ويحكمها حتى لا يخالطها غيرها، ولا يداخلها التغير والتبديل...، والثاني: الاعتبار الوجودي الواقع من زمن النبي ﷺ إلى الآن، وذلك أن الله ﷻ وفر دواعي الأمة للذب عن الشريعة، والمناضلة عنها بحسب الجملة، والتفصيل، أما القرآن الكريم؛ فقد قيض الله له حفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر؛ فضلا عن القراء الأكابر؛ وهكذا

(١) أي عابوه، كما في اللسان ١/ ٢٤٩.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٣.

(٣) انظر: أصول السرخسي ص ٢٧٧-٢٧٩، المستصفى للغزالي ص ١١٥، وانظر: ترجيح أساليب القرآن

على أساليب اليونان لابن الوزير البيهقي ص ١٣.

(٤) درء التعارض ١/ ١٩٥-١٩٦.

(٥) انظر: درء التعارض ١/ ١٩٦-١٩٧.

جرى الأمر في جملة الشريعة؛ فقيض الله لكل علم رجلا حفظه على أيديهم<sup>(١)</sup>.

٥- أن الله ﷻ «أعلم بنفسه، وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون»<sup>(٢)</sup>، «فإذا كان الله ﷻ أعلم بنفسه، وبغيره، وكان أصدق قولاً، وأحسن حديثاً من خلقه، وكان رسله - عليهم الصلاة والسلام - صادقين في كل ما يخبرون به عنه، والواسطة بينهم وبين الله - التي تأتيهم بالوحي من عنده - واسطة صادقة، من ملائكته الكرام، وجب التعويل إذا على ما قاله الله، ورسله...»<sup>(٣)</sup>.

٦- ثبت بالدليل الشرعي تفضيل خير القرون على من بعدهم، وهم كانوا يأخذون أصول دينهم، وما به يتقربون إلى ربهم، من كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، فعلم عقلاً أن الوحي لو لم يكن حجة في ذلك، لما سلك ذلك خير القرون؛ «فطريقة السلف، والأئمة الموافقة للطرق التي دل القرآن عليها، وأرشدهم إليها، هي: أكمل الطرق، وأصحها، وأكثر الناس صواباً في العقليات أقربهم إليه، كما أن أكثرهم صواباً في السمعيات أقربهم إليهم»<sup>(٤)</sup> «فهم صفوة الأمة، وخيارها المتبعون للرسول علماً وعملاً، يدعون إلى النظر والاستدلال، والاعتبار بالآيات والأدلة والبراهين التي بعث الله بها رسوله، وتدبر القرآن، وما فيه من البيان»<sup>(٥)</sup>، ولم يقل أحد من السلف - وهذا وصفهم من العلم، والعمل، والإرادة - أن المسائل العقدية لا تستفاد من القرآن الكريم.

٧- أنه ثبت في الشرع كمال الدين؛ ويلزم هذا عقلاً الاستسلام له؛ فإن قيل: إنه محتاج إلى الأدلة والبراهين التي وضعتها العقول اليونانية، والفلسفات الهندية؛ فإن هذا يعني عدم كمال الدين، و«من زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة؛ فهو يكملها بزيادته، وهذا من الجرأة على الله، وعلى ما شرعه»<sup>(٦)</sup>.

(١) الموافقات للشاطبي ٢/ ٥٨-٩٥.

(٢) العقيدة الواسطية ص ٢١ المطبوع بهامش شرح الواسطية للشيخ محمد خليل هراس رحمه الله.

(٣) شرح الواسطية للشيخ صالح الفوزان ص ١٥.

(٤) الأصبهانية ٢/ ٤٠٨.

(٥) الاقتضاء ١/ ٢٩١.

(٦) من عبارات الأمير الصالح نور الدين زنكي، كما نقلها ابن كثير في البداية والنهاية ١٢/ ٨٥٥.

٨- أن الشرع الواجب في مسائل الاعتقاد لا يختلف فيه من زمن إلى زمن، ولهذا كان دين الأنبياء في المعتقدات واحداً، وفي الشرائع مختلفاً، فكيف يقال بعد ذلك: إن هناك مسائل لم يحليها الشارع؟؟ مع أنه أوضح أموراً هي من المستحبات كالسواك، وآداب قضاء الحاجة، «والعقائد أولى بذلك؛ لأنه لا يجوز أن يتجدد فيها للخلف ما لم يكن واجبا على السلف، بخلاف الفروع، فقد تجدد الحوادث، ويقع للمتأخر فيها ما لم يقع للمتقدم»<sup>(١)</sup>؛ فالدين قد كمل، ولم يبق لقائل مقولا، فقبض الله نبيه إليه وقد بانت الحجة، ووضحت المحجة، واشتد أس الدين، وقوي عضده<sup>(٢)</sup>؛ فلا يعقل أن يبين ما لا يتجدد باختلاف الأزمنة والأمكنة، مثل العقائد، ويبين مسائل الفقه بالتفصيل:

ما باله حتى السواك أبانه وقواعد الإسلام لم تتقرر!!<sup>(٣)</sup>

٩- احتجاج العلماء به، وإنكارهم على الذين لا يرون الاحتجاج بالقرآن، ف«من ترك العمل بآية، أو بكلمة من القرآن مما يجب العمل به، أو ترك قراءتها تكبرا كفر، ومن ترك عجزاً أو كسلاً أو ضعفاً مع اعتقاد تعظيمه؛ فلا إثم عليه، أي بترك القراءة، ولكنه محروم»<sup>(٤)</sup>.

١٠- النظر المفيد للعلم، إنما يكون في الدليل الهادي، وهو الوحي المعصوم، «والدليل الهادي - على العموم والإطلاق - هو كتاب الله، وسنة نبيه؛ فإن الذي جاءت به الشريعة... هو ما يفيد وينفع، ويحصل الهدى، وهو بذكر الله، وما نزل من الحق»<sup>(٥)</sup>.

١١- أن من قرأ القرآن الكريم من العرب؛ فهم يفهمونه، وأما العجم فيفهمون، وهو سهل ميسر لكل من عرف العربية، أو ترجم له<sup>(٦)</sup>، وأما هذه العلوم

(١) إيثار الحق ص ١٠٩.

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٨.

(٣) ذكره ابن الوزير البياني كتابه إيثار الحق ص ١٠٩، نقلاً عن السيد الإمام يحيى بن منصور الهاروي المفصلي.

(٤) تحفة الأحوذى ٨/ ٢١٩، نقله عن الطيبي شارح المشكاة، وانظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب

اليونان لابن الوزير البياني ص ١٤.

(٥) نقض المنطق ص ٣٣، بشيء من التصرف، وانظر: المجموع ٣/ ٣٠٣.

(٦) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٦٦.

المنطقية، والأصول الفلسفية، والرياضات المعقدة البدعية؛ فهي صعبة على المختصين بها، فكيف بعامة الخلق؛ فكيف لا تكون الحجة قائمة على الخلق في أصول الدين بالميسر على المسلمين، وتقوم الحجة عليهم بعد ذلك بما هو من أعسر العلوم حتى على أبنائها المتتمين إليها!!.

وبهذا يتبين حتى من الناحية العقلية أن « طريقة القرآن جاءت في أصول الدين وفروعه في الدلائل والمسائل بأكمل المناهج »<sup>(١)</sup>.

النوع السابع: ذكر شبهة والجواب عنها، قالوا: إن القرآن فيه من التشابهات، خصوصا في مسائل الاعتقادات؛ فكيف يحتاج به في المعقولات؟؟ قال ابن قتيبة رحمته الله: « وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه، وهجروا، واتبعوا: ﴿ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ آيَاتُ الْفِتْنَةِ وَآيَاتُ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران: ٧]، بأفهام كليلية، وأبصار عليلية، ونظر مدخول؛ فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله »<sup>(٢)</sup>.

والجواب عن هذا من أوجه:

١ - قولهم: إنه في كثير من المسائل العقيدية من التشابهات، فقول من لا يوقر القرآن، ولم يعرف ماذا يقول في كلام المنان، ويكفي فسادا من يحتاج بغير القرآن، ويجعل القرآن تبعا، ويؤولها على حسب مذهبه، أن يقال له: أي هذه التأويلات التي ذكرتموها هي المرادة؟ أم تأويلات المشبهة، أم تأويلات الجهمية أم تأويلات المعتزلة أم تأويلات غيرهم، أم تأويلات الباطنية؟؟؟ « فيا ليت شعري: بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟؟؟ »<sup>(٣)</sup>، ومن أوضح الأمثلة على بطلان القول بالتأويل بحجة التشابه ما ذكره ابن رشد الفيلسوف، حيث قال: « ومثال من أول شيئا من الشرع، وزعم أن ما أوله هو ما قصد الشرع، وصرح بذلك التأويل للجهمور<sup>(٤)</sup> - أي عوام

(١) المجموع ٨/٢.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٢.

(٣) أقاويل الثقات ص ٢٣٥، نقلا من كلام شيخ الإسلام رحمته الله.

(٤) وابن رشد وإن كان ينكر هنا التأويل بحجة التشابه، إلا أن إنكاره ليس مطلقا، بل إنها ينكر لأجل أنه لا

الناس - مثال من أتى إلى دواء قد ركبهُ طيب ماهر، ليحفظ صحة جميع الناس، أو الأكثر!!؛ فجاء رجل فلم يلائمه ذلك الدواء المركب الأعظم، لرداءة مزاج كان به ليس يعرض إلا للأقل من الناس؛ فزعم أن بعض تلك الأدوية الذي صرح باسمه الطيب الأول في ذلك الدواء العام المنفعة المركب لم يرد به ذلك الذي جرت العادة في اللسان أن يدل بذلك الاسم عليه، وإنما أريد به دواء آخر مما يمكن أن يدل عليه بذلك باستعارة بعيدة؛ فأزال ذلك الدواء الأول من ذلك المركب الأعظم، وجعل فيه بدل الدواء الذي ظن أنه الذي قصده الطيب، وقال للناس: هذا هو الذي قصده الطيب الأول؛ فاستعمل الناس ذلك الدواء المركب على الوجه الذي تأوله عليه المتأول؛ ففسدت به أمزجة كثير من الناس؛ فجاء آخرون شعروا بفساد أمزجة الناس من ذلك الدواء المركب فراموا إصلاحه بأن أبدلوا بعض أدويته بدواء آخر غير الدواء الأول؛ فعرض من ذلك للناس نوع من المرض غير النوع الأول؛ فجاء ثالث؛ فتأول في أدوية ذلك المركب غير التأويل الأول، والثاني، فعرض للناس من ذلك نوع ثالث من المرض غير النوعين المتقدمين؛ فجاء متأول رابع... حتى فسدت المنفعة المقصودة بذلك الدواء المركب في حق أكثر الناس، وهذه هي حال الفرقة الحادثة في هذه الطريقة مع الشريعة، وذلك أن كل فرقة منهم تأولت في الشريعة تأويلاً غير التأويل الذي تأولته الفرقة الأخرى، وزعمت أنه الذي قصده الشرع حتى تمزق كل ممزق، وبعد جداً عن الموضوع الأول»<sup>(١)</sup>.

٢- إن ما ذكرتموه من التشابه بحجة ترك الكتاب، وعدم اعتماده في المعتقدات، ناشئ من عدم معرفتكم بالمتشابه الوارد في القرآن الكريم، وحتى يتجلى ذلك؛ فلا بد من بيانه؛ فالله ﷻ وصف القرآن بأنه كله محكم، وبأنه متشابه، وبأنه محكم ومتشابه،

يجوز إطلاع العوام على هذا التأويل، وإلا فهو الواجب في حق العلماء!!، ولهذا قيده بقيد الجمهور الذين في نظره يجب عليهم التوهمات، واعتقاد المتخيلات، وأما العلماء فيجب عليهم الحقائق العلمية التي تعرف بالتأويلات الفلسفية!!!.

(١) انظر: مناهج الأدلة ص ٨٩-٩٠.

وذلك باعتبارات ثلاثة:

الأول: وصف بأنه كله محكم، وذلك باعتبار إتقانه<sup>(١)</sup>: قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَبٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]، وقال: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]؛ فالقرآن كله محكم باعتبار ضبطه، وإعجازه، ودلالته.

الثاني: وُصف بأنه كله متشابه، وذلك باعتبار توافقه، وتألفه: وهذا لأن التشابه أصله مأخوذ من الشبه، وهو مشابهة اللفظ للفظ، والمعنى مختلف<sup>(٢)</sup>، قال الله ﷻ: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، فالقرآن يشبه بعضه بعضا من حيث اللفظ والحروف، أو مشابهة بعض معانيه البعض، وليس بين بعضها البعض أي تنافر، ولا تضاد، قال تعالى: ﴿اللَّهُ تَرَكَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي﴾ [الزمر: ٢٣]؛ فأخبر أنه كله متشابه، وذلك لأنه لا اختلاف بين آياته وأحكامه، بل كله متناسب، يصدق بعضه بعضا، وهذا التشابه العام لا يخالف الإحكام العام؛ بل هو مؤكد لإحكامه؛ لأن ما كان متقنا حقا؛ فإنه لا اختلاف بينها، ولا تناقض<sup>(٣)</sup>، فالتشابه يعلمه الراسخون في العلم بهذا الاعتبار<sup>(٤)</sup>.

الثالث: وُصف بأنه محكم ومتشابه، وهذا باعتبار الإحكام الخاص، والتشابه الخاص؛ فالإحكام الخاص ضد التشابه الخاص؛ وهو مشابهة الشيء من وجه ومخالفته من وجه؛ فيشتبه على بعض الناس لهذا، والإحكام الخاص: هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر؛ فمن اهتدى للفرق بين المتشابهين: فقد حصل عنده علم في الوحيين؛ فيكون من الراسخين الذين علموا معنى التشابه، ومن لم يعلم ذلك المعنى، واتبع ما ظنه بالهوى؛ فقد اتبع التشابه الذي نهي عنه، قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي

(١) انظر: التدمرية ص ١٠٣.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٨٩.

(٣) انظر: التدمرية ص ١٠٥.

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٨٩.



قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧]؛ فالقرآن فيه المحكم الخاص، والمتشابه الخاص، ومن اتبع المحكم الخاص وفهم به معنى المتشابه الخاص، فقد اهتدى، ومن اتبع المتشابه الخاص بالظن والهوى، تردى وأردى.

والمتشابه الخاص نسبي، وليس مطلقاً؛ ولهذا فإن العلماء فسرُوا القرآن كله، ولم يقفوا عند آية ما - متفقين - على أن هذا مما لا يعلم معناه إلا الله؛ فليس في القرآن متشابه مطلق من حيث المعنى؛ نعم فيه المتشابه من حيث كفيات صفات الله، وما تؤول إليه من الأخبار، سواء المغيبات المستقبلية، مما يكون يوم القيامة، أو مما في الآخرة، فمن رام البحث في هذا المتشابه، كان من المذومين، وهذا علم لم نُكلفه<sup>(١)</sup>.

فإذا كان الأمر كذلك؛ فكيف يقال: بعد ذلك؛ إن القرآن الكريم لا يصح الاستدلال به، لأجل أن فيه متشابهاً، نعم لا يجوز الخوض في كفيات الصفات، وكفيات المغيبات الآخروية، وهذا يجب ترك الخوض فيه، أما أن يترك ما دل عليه من المعاني التي فسرها الراسخون في العلم مما هو من المتشابه النسبي، ويترك القرآن من أجل ذلك؛ فهذا لا يفعله إلا من ذكر الله وصفه في القرآن<sup>(٢)</sup>، والذين حذرنا رسول الله ﷺ من اتباعهم<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة: على أن جميع القرآن مما يمكن عمله، وفهمه، وتدبره، وهذا مما يجب القطع به، وليس معناه قاطعاً على أن الراسخين في العلم لا يعلمون تفسير

(١) انظر: التدمرية ص ١٠٥، وما بعدها.

(٢) انظر: التدمرية ص ١٠٦-١٠٧.

(٣) وذلك حيث قال ﷺ: [إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سباهم الله فاحذروهم].

المتشابه؛ فإن السلف قد قال كثير منهم: إنهم يعلمون تأويله»<sup>(١)(٢)</sup>.

٣- أن اشتغال القرآن على التشابهات النسبية، فيها حكم باهرة، ولو لم يكن من ذلك إلا ابتلاء المبتغين الفتنة لكفى بها حكمة، ومنها: حتى يعرف العالم من الجاهل، والمتتبع لمعاني القرآن من الغافل عنها، قال ابن قتيبة رحمته الله: «وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليها إلا اللقن»<sup>(٣)</sup>، وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خفي، ولو كان القرآن كله ظاهراً، مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل؛ لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر»<sup>(٤)</sup>، قال الله تعالى: «وَلَتَكُنْ لِّلْأَمْثَلِ نُصْرَةٌ لِّلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» [العنكبوت: ٤٣].

٤- أن يقال: هب أن في القرآن من المتشابه الذي لا يعلم معناه؛ فأين أنت من المحكمات، قال ابن الوزير البيهقي رحمته الله:

تَنَزَّهَ الرَّبُّ فِي الذِّكْرِ الْمُنَزَّلِ: أَنْ يُحِيطَ عُلَمَاءُ بِهِ خَلْقَ مِنَ الْبَشَرِ	تَمَدَّحًا، لَمْ يَكُنْ فِي الذِّكْرِ مُخْتَلِفًا
فَإَيْنَ قَوْلُهُمْ فِي مُحْكَمِ السُّورِ	وَكُلُّ مُشْتَبِهٍ فَالْمُحْكَمَاتُ لَهُ
أَمْ، كَمَا جَاءَنَا فِي أَصْدَقِ الْخَبَرِ <sup>(٥)</sup> .	

قال ابن حزم رحمته الله: «ولما تبين بالبراهين والمعجزات أن القرآن هو عهد الله

(١) المجموع ١٧/ ٣٩٠، وانظر: الدرء ١/ ٢٠٧ وما بعدها، وقد نقله ابن الوزير البيهقي في كتابه (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) ص ١٢٤-١٢٩، وذكر أدلة من قال بأن الراسخين في العلم يعلمون التأويل من أوجه عدة، وذكر أدلة القائلين بأن الراسخين لا يعلمون التأويل كذلك من أوجه كثيرة.

(٢) وانظر حول المحكم والمتشابه ما يأتي من المراجع: درء التعارض ١/ ٢٧٤-٢٧٥، الجواب الصحيح ١/ ٣٧٧، الأصبهانية ١/ ١٠١، المجموع ١٣/ ١٤٤، ٢٧٢، ١٧/ ٣٩٠-٤١٦، إيثار الحق ص ٨٦،

أقاويل الثقات ص ٥٠-٥٧، إرشاد الفحول ص ٦٤، التنبيه على المخالفات العقدية في الفتح ص ١١٨.

(٣) وفي اللسان ١٧/ ٢٥٧، (لقن): سريع الفهم.

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٨٦.

(٥) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير البيهقي ص ١١٤.

قال ابن حزم رحمه الله: «لما تبين بالبراهين والمعجزات أن القرآن هو عهد الله إلينا، والذي ألزمنا الإقرار به، والعمل بما فيه، وصح بنقل الكافة الذي لا مجال للشك فيه أن هذا القرآن هو المكتوب في المصاحف، المشهورة في الآفاق كلها، وجب الانقياد لما فيه؛ فكان هو الأصل المرجوع إليه»<sup>(١)</sup>.

وأرجو بهذا أن يزداد المؤمن إيماناً بأن «في القرآن والحكمة النبوية عامة أصول الدين، من المسائل والدلائل: التي تستحق أن تكون أصول الدين»<sup>(٢)</sup>، وأنه لا يؤخذ شيء من أمر الدين إلا من الشرع<sup>(٣)</sup>، لا من أحد من العلماء، فضلاً عن الزاعمين أنهم حكماء، أو أهل المنطق ولو كانوا بلغاء، ولا عن أهل التصوف ولو كانوا من الأولياء، وأنا لا نحتاج مع استغنائنا بالقرآن والسنة إلى ما سواهما، سواء في هذا الباب، أو في باب التشريع، وفي المطلب التالي أبين أن القرآن مصدر التشريع.

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/٩٤.

(٢) المجموع ٣/٣٠٣.

(٣) انظر: المجموع ٣/١٦١، ١٣/٣٠٥، ١٩/٥.

## المطلب الثاني: كونه مصدر التشريع.

من تنزيل القرآن منزلته أن تؤخذ الأحكام منه، وأن تصدر عنه، ولهذا فإن السلف كانوا لا يصدرون إلا عن الوحيين، فالدين عندهم ما شرعه الله ﷻ، أو سنه رسول الله ﷺ، أو ما أجمع عليه المسلمون، أو ما يفهم من النصوص الشرعية معنى إذا لم يكن فيه نص ظاهر في المسألة.

فأصول الإسلام محصورة في «الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس»<sup>(١)</sup>، ويصح أن يقال: أصول الإسلام: الكتاب والسنة؛ وذلك لأن الإجماع إنما ينعقد على نص، أو معنى مستفاد من النص، والقياس إنما هو مستفاد من الشرع، إذا كان صحيحاً مستوفياً لشروطه.

وهذا مستفاد من عمل الصحابة ﷺ: «فإن العلم قد حصل بالتواتر أنهم إذا وقعت عليهم حادثة شرعية، من حلال أو حرام؛ فزعوا إلى الاجتهاد، وابتدؤوا بكتاب الله تعالى؛ فإن وجدوا فيه نصاً، أو ظاهراً تمسكوا به، وأجروا حكم الحادثة على مقتضاه، وإن لم يجدوا فيه نصاً أو ظاهراً فزعوا إلى السنة، فإن روي لهم في ذلك خبر أخذوا به، ونزلوا على حكمه، وإن لم يجدوا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «إن أصل العلوم: القرآن، والسنة»<sup>(٣)</sup>.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «إن أصول الدين الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ، قد بينها في القرآن أحسن بيان، وبين دلائل الربوبية والوحدانية، ودلائل أسماء الرب وصفاته، وبين دلائل نبوة أنبيائه، وبين المعاد، بين إمكانه، وقدرته عليه في غير موضع، وبين وقوعه بالأدلة السمعية والعقلية؛ فكان في بيان الله أصول الدين الحق؛

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٩٩.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٩٩.

(٣) تلبيس إبليس ص ٣٦٩، بشيء من التصرف.

وهو دين الله، وهي أصول ثابتة صحيحة معلومة؛ فتضمن بيان العلم النافع، والعمل الصالح»<sup>(١)</sup>.

ويدل على أن القرآن الكريم مصدر التشريع في الدين أمور كثيرة، ودلائل غير يسيرة، وقد سبق وأن ذكرت من هذه الدلائل<sup>(٢)</sup> ما يغني عن الإعادة، وإنما أذكر هنا بعض المهمات، التي تزيد الأمر إيضاحاً وبياناً، وهي:

- ١ - أننا نفهم مراد الله ﷻ بها أنزله، وهذا قطعاً لا يكون إلا بالوحي المنزل.
- ٢ - أن الله ﷻ جعل القرآن الكريم كتاباً محفوظاً، وذلك حتى يرجع إليه في أخذ الأحكام، وإصدارها فيما بين الأنام.
- ٣ - أن الله ﷻ لما جعل محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، كان كتابه خاتم الكتب المنزلة، ولذلك احتوى هذا الكتاب على القواعد، والأصول الحوامد، مما لا يوجد له نظير، يعرف ذلك كل بصير، ويجده في الأحكام الشرعية: العلمية منها والتعبدية.
- ٤ - أن الصحابة إنما كانوا يعملون الفكر في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، أو في قياس على قواعدهما، ولا يلتفتون إلى غيرهما من الأمور التي كانت حولهم في الشرق أو الغرب، وهم قدوتنا في ديننا، ويجب اتباعهم في ذلك، وعدم الالتفات إلى غير الكتاب والسنة.

- ٥ - أن الفتوى لا يكون إلا به، أو بسنة رسول الله ﷺ، قال جابر ﷺ: [يا ابن زيد<sup>(٣)</sup> إنك من فقهاء البصرة، وإنك ستستفتى فلا تفتي إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية؛ فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلك وأهلك]<sup>(٤)</sup>.

(١) النبوات ٢/٦١٣.

(٢) انظر: المطلب الأول من هذا البحث، والبحث الأول من الفصل الثاني في هذا الباب.

(٣) يعني أن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ ينصح جابر بن زيد أبا الشعثاء البصري التابعي الكبير. انظر: ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ٩/١١٥.

(٤) أورده ابن كثير ﷺ في ترجمة أبي الشعثاء، في البداية والنهاية ٩/١١٥.

- ٦- أن الحكم لا يكون إلا بما شرعه الله ﷻ، وهذا معلوم من الدين بالضرورة.
- ٧- أن التحاكم لا يكون إلا إلى ما شرعه الله ﷻ، ولا يكون إلى غيره، لا القوانين الوضعية، ولا الدساتير الكفرية المستوردة<sup>(١)</sup>.
- ٨- أن من أعمل فكره في الكتاب وجد في كل مسألة شرعية جوابا، إما نصا أو ظاهرا، قيل لعلي عليه السلام: هل عندكم كتاب؟ قال علي عليه السلام: [لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم]<sup>(٢)</sup>؛ فإذا كان المهم منصبا على حفظ النصوص وضبطها<sup>(٣)</sup>، والتدبر فيها، فتح الله على العبد واستخرج منها المسائل التي لا تتبين لغيره، ممن هو غافل عنه، أو معرض، أو منشغل عنه.
- فالسلف الصالح علموا عمق مصادر الشرع وشموليتها؛ فارتووا منها، ونهلوا من معينها، ووردوا ماءها؛ فارتووا، ورووا<sup>(٤)</sup>.
- فإذا كان القرآن الكريم هو مصدر التشريع في العقائد، فهو مصدر التشريع في الأحكام العملية التعبدية، والمعاملات السلوكية اليومية، ولهذا كان كتابا حاويا لعلوم الماضين، مشتملا على العلوم النافعة؛ فإذا كان كذلك؛ فإنه لا يحتاج إلى كتاب آخر منزل، فهو حاوٍ لما في الكتب السماوية السابقة من الحق، ومهيمن عليها، وهذا ما أبيّنه في المطلب الآتي.

(١) وقد بينت الأدلة على وجوب التحاكم إلى شرع الله ﷻ، وأن ذلك عبادة وقربة، كما في الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب/ كتابة العلم، ح(١١١).

(٣) انظر: نقض المنطق ص ٧٩.

(٤) انظر: نقض المنطق ص ٧٩-٨٠، مناهل العرفان ١/ ٢٩٢.

المطلب الثالث: نسخ<sup>(١)</sup> القرآن للكتب السماوية.

من تنزيل القرآن منزلته اللاتقة به أن يوقر فوق كل كتاب، ولهذا فإنه ليس في الدنيا كتاب إلا وهو دونه - بل لا مقارنة -، ومن جملة ذلك الكتب السماوية السابقة، فضلا عن غيرها من الكتب التي أنتجتها العقول البشرية، وأخرجتها أفكار الإنسانية. ومن عقيدة السلف الصالح عليهم السلام أنهم يرون أن في القرآن كفاية وغنية عما في غيرها من الكتب السابقة<sup>(٢)</sup>.

والمقصود بالكتب السابقة هي المعروفة التي ورد ذكرها في القرآن، وهي المعروفة في البلدان، مما تناوله أهل الأديان، وهي:

١. صحف إبراهيم عليه السلام.

٢. صحف موسى عليه السلام، وقد ورد ذكر صحف إبراهيم وموسى في القرآن الكريم، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾. ولا يعرف عن صحف إبراهيم عليه السلام شيء، وأما صحف موسى، فقليل: هي التوراة، وقليل غير ذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) النسخ: لغة معناه: الإزالة والنقل، ومنه نسخت الكتاب، أي نقلته، ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابٌ يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وأيضا معناه: إبطال الشيء وزواله، وإقامة آخر مقامه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. وهذا المعنى هو المتضمن في معنى النسخ في الشرع وهو إقامة الحكم المتأخر مكان الحكم المتقدم، وقيل في تعريف النسخ شرعا: إزالة حكم شرعي بدليل شرعي متراخ عنه، وقيل غير ذلك، ولعل هذا التعريف هو أصلح التعاريف. انظر: المحرر الوجيز ١/ ١٩٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٣، ٤٥.

(٢) انظر: ما سبق في المطلب الأول، من البحث الأول، من هذا الفصل.

(٣) انظر: الدر المنثور ٨/ ٤٨٩.

٣. التوراة: وهو الكتاب الذي أنزل على موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣] والتوراة متداول إلى الآن بين اليهود والنصارى، وتسمى النصارى التوراة بالعهد القديم.

٤. الزبور: وهو الكتاب الذي أوتيهِ داود ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

٥. الإنجيل: وهو الكتاب الذي أوتيهِ عيسى ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦] وقال: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧] فالإنجيل جاء مصدقا لما في التوراة، وجاء بأحكام جديدة، وهذه الكتب - ما وجد منها - قد وقع فيها التحريف والتبديل.

وقد وقع الإجماع على أن شرع نبينا محمد ﷺ هو الذي يلزم الناس بعد بعثته ﷺ، وأن ما عداه من الأديان والكتب؛ فإنها لا تنجي صاحبها ما دام الإسلام قد بلغه، وهذا النوع من النسخ لم يختلف فيه أحد من المسلمين، ويدل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومن هذه الأدلة:

١- قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٢- الأحاديث النبوية التي بلغت حد التواتر بمجموعها تواترا معنويا، ومنها



قوله ﷺ: [والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار]<sup>(١)</sup>. قال النووي ﷺ: «فيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا محمد ﷺ... فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيها على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب؛ فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا؛ فغيرهم ممن لا كتاب له أولى»<sup>(٢)</sup>.

٣- إجماع أهل الإسلام على ذلك<sup>(٣)</sup>، قال ابن حزم ﷺ: «ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا ﷺ... قال ﷺ: [وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس عامة]<sup>(٤)</sup>؛ فإذا صح أن الأنبياء لم يبعث أحد منهم إلا إلى قومه خاصة فقد صح أن شرائعهم لم تلزم إلا من بعثوا إليه فقط، وإذا لم يبعثوا إلينا فلم يخاطبونا قط بشيء، ولا أمرونا بشيء، ولا نهونا...؛ فإذا صح أنهم ﷺ لم يخاطبونا بشيء فقد صح يقينا أن شرائعهم لا تلزمنا أصلا»<sup>(٥)</sup>، قال النووي ﷺ في تبويبه على صحيح الإمام مسلم: «وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته»<sup>(٦)</sup>.

فإذ ثبت نسخ الإسلام للأديان السابقة؛ فإن ذلك يعني عدم جواز العمل بتلكم الكتب التي أنزلت من قبل، وهذه الكتب المنزلة الموجودة في زمن النبي ﷺ، وفي هذا الزمن، فشأنها لا يخلو من أمرين:

الأول: ما هو باطل، مما وضعته أيدي المحرفين، أو لئته السنة الملحدون، فهذا لا شك أن القرآن قد أبطله من كل وجه، وأنه لا يمت إلى الله ﷻ بصله؛ بل هو مضاد لما في

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب/ وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، ح(٢٤٠) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) المنهاج على صحيح مسلم ابن الحجاج للنووي ١٨٨/٢.

(٣) انظر: ردود على أباطيل، للشيخ محمد الحامد ﷺ ص ٢٥.

(٤) رواه البخاري واللفظ له، كتاب التيمم، باب/ ١، ح(٣٣٥)، ومسلم، كتاب المساجد، باب/ ابتناء مسجد النبي...، ح(٥٢١)، كلاهما عن جابر ﷺ.

(٥) المحلى ١/ ٦٥-٦٦.

(٦) المنهاج على صحيح مسلم ابن الحجاج للنووي ١٨٦/٢.

القرآن؛ فهذا لا شك أنه باطل، وقد أخبر الله ﷻ في أكثر من آية أن أحبار السوء ورهبان الجهل غيروا هذه الكتب بأيديهم وألستهم: تحريفاً لها، وتأويلاً فيها، قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨] ففي الآية الأولى: بيان لتحريفهم الكتاب بأيديهم<sup>(١)</sup>، وهذا هو التحريف اللفظي للكلام المنزل، وفي الآية الثانية: بيان لتحريفهم الكتاب بألسنتهم<sup>(٢)</sup>، وذلك هو التحريف المعنوي للكلام المنزل بتغيير المعاني تأويلاً وإحاداً، وإبطالاً لمعانيها الصحيحة، فهذا كله منسوخ حقيقة، وذلك بإبطالها، وبيان أنها لا تنسب إلى الدين الحق بشيء.

الثاني: ما هو صحيح؛ فهذا يشهد له القرآن، ويؤكد<sup>(٣)</sup>، وهذا لا نعرفه إلا بشهادة كتابنا له، فلا نحتاج إليه، ولهذا جاء في وصف القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] ففي الآية بيان: أن الكتاب الذي هو القرآن مصدق لما قبله من الكتب المنزلة، وشاهد عليها بالحق، فما في الكتب السابقة مما هو في كتابنا فهذا حق لأن القرآن شهد له بذلك، ولذا لم يكن لنا أن نحكم أو نتحاكم إلا إلى كتابنا المنزل

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ١١٧-١١٨.

(٢) انظر المصدر السابق ١/ ٣٧٦.

(٣) وهنا أثبت على أن الشرائع كلها متفقة على الأمور الاعتقادية في رب البرية ﷻ سواء في باب الأسماء والصفات، أو في باب الربوبية، أو في باب الألوهية، فكل نبي جاء معرفاً بالله ﷻ، داعياً إليه، وإلى عبادته، والكتب السابقة كانت كذلك قبل أن تحرف، ولهذا نجد أن الله ﷻ نص على أن دعوة الأنبياء في التوحيد واحدة فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وإنما الاختلاف بينهم في الشرائع التي تسمى بالأحكام، ومع الاتفاق في الاعتقادات إلا أن الله ﷻ أغنانا بكتابنا عما سواه من الكتب.

علينا، وذلك لأنه مهيمن على الكتب السابقة، ناسخ لها، إذ جعل الله لكل نبي شرعة ومنهاجا، فشرعة أمة محمد ﷺ القرآن، ومنهجهم الوحي المنزل من الرحمن، فليس لهم أن يلتفتوا إلى غيره.

قال الشوكاني رحمه الله: «إن القرآن صار شاهدا بصحة الكتب المنزلة، ومقررا لما فيها مما لم ينسخ، وناسخا لما خالفه منها، ورقيا عليها، وحافظا لما فيها من أصول الشرائع، وغالبا لها لكونه المرجع في المحكم منها، والمنسوخ، ومؤثما عليها لكونه مشتملا على ما هو معمول به منها، وما هو متروك»<sup>(١)</sup>.

وأما ما في كتبهم مما ليس في كتابنا كأخبار الأمم السابقة، وبعض ملح العلم، مما هو ليس من أساسيات الأديان؛ فهذه قال فيها ﷺ: [لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، و﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾]<sup>(٢)</sup>، وذلك لأن التصديق قد يقع على المحرف، فنكون صدقنا بالباطل، أو يقع التكذيب بالمنزل فنكون قد وقعنا في الحرج.

ومما يدل على أن القرآن ناسخ لما في الكتب السابقة أمور منها:

١. أن الله ﷻ أمرنا باتباع ما أنزل إلينا، ولم يأمرنا باتباع المنزل على من قبلنا، وذلك في أكثر من آية<sup>(٣)</sup>.

٢. أن النبي ﷺ أخبر بأن موسى بن عمران ﷺ لو كان حيا لما وسعه إلا اتباعه، فقال ﷺ: [لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه إلا أن يتبعني].

٣. أنه ثبت النسخ في الكتب السماوية، كما نسخ الإنجيل بعضا مما في التوراة، وكذلك ثبت نسخ بعض آيات القرآن المتقدمة بآيات متأخرة، فإذا ثبت النسخ؛ فلا مانع عقلا من نسخ دين بدين متأخر عنه<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح القدير للشوكاني ٦٠ / ٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب / قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، ح (٤٤٨٥).

(٣) انظر: المجموع ٨٢ / ١٩.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٤ / ٢، عون المريد ٨١٠ / ٢.

٤. أن دين محمد ﷺ هو خاتم الديانات، وبشرع محمد ﷺ نسخ الله جميع الشرائع والديانات، « وخاتم الرسل محمد ﷺ أنزل الله كتابه مصدقا لما بين يديه من الكتاب، ومهيمننا عليه؛ فهو الأمين على جميع الكتب، وقد بلغ آيين البلاغ، وأتمه، وأكمّله »<sup>(١)</sup>، فإذا لا نحتاج بعد بلاغ نبينا ﷺ إلى كتاب آخر، بل نقول إن ما في ديننا هو الحق، وما سواه فإننا لا نحتاج إليه، وإن كان حقا في نفسه، وذلك لأن ما كان حقا في نفسه منه؛ فهو موجود عندنا، ومسطور في شريعتنا.

٥. أن من أصول المسلمين، ومما أجمعوا عليه من أمور الدين: « أن الله ﷻ قد أرسل محمدا ﷺ خاتما للنبيين، وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى، والصابئين »<sup>(٢)</sup>.

ونسخه لشرع غيره وقع حتما أذل الله من له منع<sup>(٣)</sup>

فهذا قد أجمع عليه المسلمون، واتفق عليه المتسبون إلى الإسلام إلا نحلا باطنية<sup>(٤)</sup>، وهي عن الدين غوية، ونسبتها إلى الإسلام لأسباب خفية، وإلا فهي ليست من الفرق الإسلامية.

٦. أن النسخ ليس هو من باب البداء<sup>(٥)</sup>، والبداء على الله ﷻ محال، والسلف الصالح يعتقدون أن الله ﷻ يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ فعلى هذا لا يوصف ربنا ﷻ بالبداء، خلافا للرافضة، وليس البداء نوع نسخ، وقد

(١) نقض المنطق ص ٢٤.

(٢) الإحياء للغزالي ١/ ١٨٢.

(٣) جوهرة التوحيد للقائي ص ١٥، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) كالبهائية، والقاديانية، وسيأتي ذكرهم في الباب الرابع، الفصل الرابع.

(٥) البداء: اسم من (بدا، يبدو) تقول: بدالي في الأمر كذا، أي: ظهر ما لم يكن ظاهرا، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لَيْسَ جُنْدُهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٥] ولا شك أن البداء بهذا المعنى ممتنع في حق الله ﷻ المتصف بكمال العلم وكمال الإرادة، لأن البداء بهذا المعنى يلزم منه نقصان العلم والإرادة. انظر: المحرر الوجيز ١/ ١٩٠.

ضل في مسألة النسخ طائفتان، لم تفرقا بين النسخ والبداء؛ فأنكر النسخ اليهود الذين زعموا أنها - أي النسخ والبداء - سواء، والبداء على الله محال؛ فالنسخ عليه محال، قال ابن عطية رحمته الله: «وجعلت اليهود النسخ والبداء واحدا؛ ولذلك لم يجوزوه فضلوا»<sup>(١)</sup>، وطائفة لم تفرق بين النسخ والبداء، وقالت بهما معا!! وقالوا لا فرق بين النسخ والبداء!!<sup>(٢)</sup>، ومعلوم الفرق بين النسخ والبداء، إذ الأول؛ في الأحكام الشرعية التي يعود نفعها على العباد، ومصلحتها متناول البلاد، وإن كان فيها حكمة الله تعالى، وأما البداء فهو متعلق بالأخبار، وهو أن يخبر بشيء ثم بدا له أن هذا ليس كذلك، بل هو كذلك - ولهذا فإنه لا نسخ في الأخبار<sup>(٣)</sup> -، أو هو العزم على أمر، ثم تركه لعارض، وهذا يعني عدم العلم المحقق، وهو محال على الله تعالى<sup>(٤)</sup>، قال ابن النحاس رحمته الله: «النسخ تحويل العبادة من شيء إلى شيء قد كان حلالا فيحرم، أو كان حراما فيحلل، وأما البداء فهو: ترك ما عزم عليه»<sup>(٥)</sup>، فالنسخ لا يلزم منه محال في حق الله تعالى، ولا في صفة من صفاته<sup>(٦)</sup>، فلا مانع منه عقلا، وقد ثبت به الشرع نصا.

٧. أن نسخ الشرائع السابقة فيها حكم باهرة، وفوائد عظيمة نافعة، حيث إنها شرعت لأوقات معينة، ولأشخاص وأقوام معينين، في أماكن معينة، وقد تغير الوقت والزمان، والناس والمكان؛ فإذا كان شعار الأنبياء السابقين: (يا قوم)<sup>(٧)</sup>، أصبح شعار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس)، وكان كل نبي يخاطب قومه، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم خطابه عام سواء ما جاء في القرآن الكريم، أو في سنته - عليه أفضل الصلاة والسلام -<sup>(٨)</sup>.

(١) المحرر الوجيز ١/ ١٩٠.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ١/ ١٩٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٤.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ١/ ١٩١.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٥.

(٥) نقله القرطبي في جامعه عن ابن النحاس، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٤.

(٦) انظر: المحرر الوجيز ٢/ ١٩٠.

(٧) وجاء هذا مصرحا في أكثر من آية من كتاب الله تعالى.

(٨) انظر: عون المريد ٢/ ٨٢١.

وبهذا يتضح أن نسخ كتابنا للكتب السابقة حق، وأن هذا القرآن هو المحكم الذي يجب العمل به، والتحاكم إليه، والإيمان بما فيه، ومن جملة الإيمان به اعتقاد أنه لا يُنسخ، وهذا ما أجليه في المطلب التالي.

## المطلب الرابع: وجوب اعتقاد أن القرآن لا يُنسخ بعد انقطاع الوحي.

من العقائد السلفية، المبنية على الكتاب والسنة النبوية: أن القرآن لا يلحقه نسخ بعد انقطاع الوحي، وأن يُعتقد أنه كتاب جامع ومانع؛ فلا يحتاج إلى تكميل بعد تمام إنزاله، ولا إلى استدراك بعد تمام آياته، وتبينه، ومن تمام الاستدلال به أن يعتقد أنه لا يُنسخ بعد انقطاع الوحي بوفاة رسول الله ﷺ، وعلى هذا إجماع المسلمين، ولهذا فإن المتبعين للسلف يعتقدون أن القرآن الكريم لا يُنسخ بعد انقطاع الوحي، إذ لما أكمل الله ﷻ الدين على المسلمين امتن عليهم بكماله، فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولما أكمل الله ﷻ الدين، لم يكن هناك نسخ للقرآن بعد ذلك<sup>(١)</sup>.

ومعلوم أن الوحي قد انقطع بوفاة النبي ﷺ، وهذا بإجماع أهل السنة، كما ثبت [أن أبا بكر وعمر ؓ دخلا على أم أيمن ؓ فتذاكروا النبي ﷺ فبكت فقال لها الصديق ؓ: ما يبكيك أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، قالت: بلى، ولكن أبكي لانقطاع خبر السماء؛ فبكياء لبكائها]<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حزم رحمه الله: «وإن الوحي قد انقطع مذ مات النبي ﷺ، برهان ذلك أن الوحي لا يكون إلا لنبي، وقد قال ﷻ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، والدين قد تم؛ فلا يزداد فيه، ولا ينقص منه، ولا يبدل، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤]، والنقص والزيادة تبديل، وقد بلغ رسول الله ﷺ الدين

(١) ونسخ القرآن ثابت كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، ولكن لا يكون النسخ إلا في زمن النبوة، وأما بعد وفاته فهذا هو الذي لا يقع، ولا يكون. وانظر: أقوال أهل العلم في نسخ القرآن في زمن النبوة في: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٤/٢.

(٢) روى نحوه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل أم أيمن، ح(٢٤٥٤)، من رواية أنس ؓ.

كله، وبين جميعه كما أمره الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

وكون شرع النبي ﷺ لا ينسخ بعد وفاته، فإن ذلك معلوم من الدين بالضرورة، وقد قام الإجماع على منعه.

قال القرطبي رحمه الله بعد أن بين أن النسخ إنما يكون في حياة النبي ﷺ: «أما بعد موته، واستقرار الشريعة؛ فأجمعت الأمة على أنه لا نسخ»<sup>(٢)</sup>.

وخص خير الخلق أن قد تمما به الجميع ربنا وعمما

بعثته، فشرعه لا يُنسخ بغيره، حتى الزمان ينسخ<sup>(٣)</sup>.

فغير جائز في معتقد السلف نسخ شيء من القرآن بعد وفاة النبي الكريم ﷺ، لا رسمه، ولا حكمه، ولا خلاف بين الأمة أن نسخ القرآن، وسائر الأحكام لا يكون بعد موت النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وأما النسخ الذي كان في زمن النبوة للقرآن الكريم؛ فهذا لا ينكر، بل هو من معتقد أهل السنة والجماعة، وهو على أقسام:

أولاً: ما يقع النسخ فيه؛ وهو قسمان:

١. نسخ في القرآن الكريم.

٢. نسخ في السنة النبوية.

ثانياً: ما يقع النسخ به؛ وهو على الصحيح أربعة أقسام:

١. نسخ القرآن بالقرآن، كنسخ آية العدة سنة - على قول - بالعدة أربعة أشهر

وعشراً للمتوفى عنها زوجها، فالآية المنسوخة هي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ

(١) المحلى ٢٦/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٦/٢، ومثله قول ابن عطية قبله حيث نقل الإجماع على ذلك، انظر: المحرر الوجيز ٤٣٣/١.

(٣) جوهرة التوحيد للقمي ص ١٥، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) انظر: الفصول في الأصول ٢٥١/٢.



مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ﴿البقرة: ٢٤٠﴾، والآية النسخة لها هي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] وهذه متأخرة في النزول والحكم، وإن كانت في ترتيب الآيات متقدمة في التلاوة.

٢. نسخ القرآن للسنة، كما في استقبال بيت المقدس؛ فإنه ليس عندنا دليل على استقبال بيت المقدس إلا السنة، وقد نسخت بآيات سورة البقرة، حيث فيها الأمر باستقبال الكعبة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٩].

٣. نسخ القرآن بالسنة<sup>(١)</sup>، ومثاله قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]؛ فإنها نسخت بقوله ﷺ: [لا وصية لوارث]<sup>(٢)</sup>.

٤. نسخ السنة بالسنة، كما في قوله ﷺ: [كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها؛ فإنها تذكركم الآخرة]<sup>(٣)</sup>. فإن هذا الحديث نسخ ما كان من الأمر الأول من النبي ﷺ من النهي عن زيارة القبور.

ثالثاً: النسخ في القرآن الكريم، وهو على ثلاثة أقسام، وهي:

١. نسخ التلاوة والحكم معاً، وهذا كما في قول عائشة رضي الله عنها في تحريم الرضاع: [كان فيما أنزل "عشر رضعات معلومات"، فنسخن: "بخمس معلومات"]<sup>(٤)</sup>؛

(١) انظر: المحلى ٥٢/١ - ٥٣.

(٢) رواه أبو داود، كتاب البيوع والإجازات، باب/ في تضمين العارية، ح (٣٥٦٥) عن أبي أمامة رضي الله عنه، ورواه غيره، وقال الشيخ الألباني: صحيح، كما في الإرواء، ح (١٦٣٥)، وذكر طرقه تحت الحديث رقم (١٦٥٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب/ استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، ح (٩٧٧) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب/ التحريم بخمس رضعات، ح (١٤٥٢).

[كان فيما أنزل "عشر رضعات معلومات"، فنسخن: "بخمسة معلومات"]<sup>(١)</sup>؛ فالعشر الرضعات بالاتفاق مما نسخ تلاوته وحكمه.

٢. نسخ التلاوة دون الحكم، وهذا كآية الرجم؛ فإن تلاوتها منسوخة، وحكمها باق، قال عمر رضي الله عنه: [إن الله بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم؛ فقرأناها، وعقلناها، ورجم رسول الله ورجمنا بعده؛ فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضل بترك فريضة أنزلها الله...]<sup>(٢)</sup>، فهذا منه إشارة إلى بقاء الحكم، بعد نسخ التلاوة.

٣. نسخ الحكم دون التلاوة، كما في آية العدة سنة للمعتدة المتوفى عنها زوجها؛ فإنها منسوخة بأربعة أشهر وعشرا، حكما لا تلاوة.

وأما بعد موت النبي ﷺ فكل أنواع النسخ متفية، فإذا رأينا إجماعا يخالف نصا، «فيعلم أن الإجماع استند إلى نص ناسخ لا نعلمه نحن، وأن ذلك النص المخالف متروك العمل به، وأن مقتضاه نُسَخَ، وبقي يقرأ ويروى، كما آية عدة السنة في القرآن تتلى - فتأمله فإنه نفيس - فيكون من باب نسخ الحكم دون التلاوة، ومثله صدقة النجوى<sup>(٣)</sup>، وقد تنسخ التلاوة دون الحكم، كآية الرجم، وقد تنسخ التلاوة، والحكم معاً، ومنه قول الصديق رضي الله عنه: [كنا نقرأ "لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر"]<sup>(٤)</sup>.

وكل ما نسخ لا يجوز الاحتجاج به في العقائد، ولا في الأحكام، وبهذا نعلم أن دين محمد ﷺ مستمر لا يُنسخ إلى قيام الساعة، بل إن من عقيدة السلف أن عيسى ﷺ حين نزوله في آخر الزمان بحكم بشريعة الرحمن، ويُحكم السنة والقرآن، ولا يأتي

(١) رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب/ التحريم بخمس رضعات، ح(١٤٥٢).

(٢) سبق تحريجه ص ٣٤١.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجَيَّعَ الرُّسُلُ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. «أشفقتم أن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ» وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [المجادلة: ١٢-١٣].

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٦/٢.

قال ﷺ في شأن عيسى عليه السلام: [والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام، حكما مقسطا؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد]<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: «والمعنى أنه ينزل حاكما بهذه الشريعة؛ فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ»<sup>(٢)</sup>.

قال النووي رحمه الله في نزول عيسى عليه السلام: «ينزل حكما بهذه الشريعة، ولا ينزل نبيا برسالة مستقلة، وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة...»<sup>(٣)</sup>.

وقد يشكل على بعض الناس ظاهر الحديث حيث ورد فيه التصريح بأنه لا يقبل الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، وقد قبل النبي ﷺ الجزية من أهل الكتاب؛ فيظنه نسخا، والجواب ما ذكره النووي رحمه الله، حيث قال: «إن هذا الحكم - يعني قبول الجزية من الكتابي - ليس بمستمر إلى يوم القيامة، بل هو مقيد بما قبل عيسى عليه السلام، وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ، بل نبينا ﷺ المين للنسخ؛ فإن عيسى يحكم بشرعنا، فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

فالنبي ﷺ ذكر لعيسى أمارات بها يُذكر، وذكر له صفاتا بها يشتهر، وجعل من صفاته هذا الحكم الخاص به، وقيد به، فالنبي ﷺ هو الذي قيد الحكم الشرعي في ذلك الزمن، وليس عيسى عليه السلام، كما أن الله ﷻ هو الذي ينزله في وقت معين، لا أنه هو الذي ينزل متى ما أراد؛ فكذلك النبي ﷺ أعطاه هذه المزية، لا أنه هو الذي اختارها - والله تعالى أعلم -.

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب/ نزول عيسى بن مريم عليه السلام، ح (٣٤٤٨)، ومسلم واللفظ له،

كتاب الإيمان، باب/ نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ح (٢٤٢)، عن أبي هريرة عليه السلام.

(٢) فتح الباري ٥٦٧/٦.

(٣) المنهاج على صحيح مسلم ابن الحجاج للنووي ١٩٠/٢.

(٤) المنهاج على صحيح مسلم ابن الحجاج للنووي ١٩٠/٢، وانظر: فتح الباري ٥٦٧/٦.

وذكر ابن بطلال رحمه الله معنى خاصا لهذا الحكم الخاص المتعلق بعيسى عليه السلام فقال: «إن مشروعية قبولها - أي الجزية - من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب، وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معانيته، فيصرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم، وانكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملوا في عدم قبول الجزية منهم» <sup>(١)</sup>؛ فعيسى عليه السلام تابع لشرع محمد عليه السلام، ومقرر لهذه الشريعة، ومجدد لها، ويؤكد هذا المعنى ما جاء في طريق آخر أنه عليه السلام قال: [كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم؛ فأتمكم منكم] فسرّها بعض الرواة بما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه [وإمامكم منكم] فقالوا المعنى: أمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى، وسنة نبيكم عليه السلام <sup>(٢)</sup> وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا؛ فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة] <sup>(٣)</sup>.

فالقرآن الكريم كتاب محكم لا يُنسخ، وقد تم إحكامه بانقطاع خبر السماء؛ ولهذا لا يمكن أن يُنسخ بكتاب سابق عنه، ولا لا حق به، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَکَتَّابٌ عَزِيزٌ﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت: ٤١-٤٢]، قال ابن عطية رحمه الله: «ليس فيما تقدمه من الكتب ما يبطل شيئا منه...، وليس يأتي بعده، من نظر ناظر، وفكرة عاقل، ما يبطل أشياء منه، والمراد باللفظ على الجملة: لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات» <sup>(٤)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَجِدُونَهُمْ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ يَغْفِرُ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبِيرٌ مَّقَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥] بيان أنه لا يجوز أن يعارض كتاب الله بغير كتاب الله، لا بفعل أحد، ولا أمره، ولا دولة،

(١) نقله الحافظ ابن حجر رحمه الله كما في: فتح الباري ٦/ ٥٦٧.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب/ نزول عيسى عليه السلام، ح (٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب/ نزول عيسى عليه السلام، ح (٢٤٧) عن جابر رضي الله عنه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٩.

ولا سياسة؛ فإنه حال الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أئامهم، ولكن يجوز أن يكون في آيات الله ناسخ ومنسوخ»<sup>(١)</sup>.

وهذا يتبين أن السلف قد أعطوا القرآن منزلته، وعرفوا قدره، وعظموه حق التعظيم، إذ عرفوا فضائله، ونشروا مآثره، وتبركوا بآثاره، وخصوه بخصائصه، واستغنوا به عما سواه، وفهموه على ضوء كلام المنزل عليه والمعاصرين لزمن نزوله، وحملوه على ظاهره، ولم يؤولوه إلى معنى باطني يدعى فيه، واحتجوا به في العقائد، وجعلوه مصدر الشرائع في الحكومات وفي المساجد، واعتقدوا به نسخ الكتب السابقة، وأنه لا ينسخه الكتب اللاحقة، وتتجلى منزلة القرآن عند السلف أكثر إذا عرفنا اهتمامهم وجهودهم في حفظ القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في الفصل التالي.



## الفصل الثالث

### مروءة السلف في حفظ القرآن

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عناية السلف بالقرآن.

المبحث الثاني: نهى السلف عن المراء، والتكلف في القرآن الكريم.





### المبحث الأول: عناية السلف بالقرآن

كما سبق ذكره من المباحث والمطالب بيان صريح ودليل صحيح على أن السلف من أشد الناس تعظيماً للقرآن الكريم، علماً وعملاً، ومن الأعمال الجليلة للسلف قديماً، والمتبعين لهم حديثاً خدماتهم الجليلة لكتاب الله ﷻ وعنايتهم به، وهذا يتبين من خلال المطالب التالية:

#### المطلب الأول: حفظ القرآن في الصدور.

القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق، وهو منزل على أشرف الأنبياء والمرسلين، وفيه سعادة الدارين؛ ولما علم السلف الأول: من الصحابة والتابعين هذا، وتيقنوه، كان جل اهتمامهم حفظ كتاب الله والعمل به.

وكان النبي ﷺ يجهد في حفظ القرآن الكريم؛ وقت نزوله فيردد الآية في نفسه؛ فأنزل الله ﷻ مبيناً أن الله هو الذي يحفظه إياه في صدره، وأنه هو الحافظ لهذا الكتاب، قال ابن عباس (رضي الله عنه): [كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفته؛ فيشتد عليه، وكان يعرف منه؛ فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ١٧ قال: علينا أن نجمله في صدرك، وقرآنه؛ فإذا قرأته فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ١٨ فإذا أنزلناه فاستمع، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ١٩ [القيامة: ١٦-١٩] علينا أن نبينه بلسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله ٢٠].

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب / في تفسير سورة القيامة، ح (٤٩٢٩).

فالله ﷻ أخبر رسوله بأنه سيحفظه القرآن، وأنه يحفظ له القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا خُنُّ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ولا ريب أن الله ﷻ: ﴿حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، ومما يدل على ذلك أنه أخبر بحفظ القرآن الكريم؛ فقال ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]؛ فالله ﷻ حفظ كتابه من أن يأتيه زيادة أو نقصان، لأنه ﷻ المتولي لحفظه من غير نكران، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٢﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ مَّجِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، فرسول الله ﷺ حفظه الله القرآن، وحفظ النبي ﷺ أمته القرآن.

وكان من اجتهاد النبي ﷺ في حفظ القرآن مدارسته مع جبريل في كل عام مرة، وفي العام الذي توفي فيه مرتين، وكان في هذه العروض يتبين له ما نسخ وما لم ينسخ، قالت فاطمة ؓ أسر إلي النبي ﷺ [أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين؛ ولا أراه إلا حضر أجلي]<sup>(١)</sup>؛ فكان النبي ﷺ يعرض وجبريل يستمع، وجبريل يقرأ والنبي ﷺ يستمع؛ فهذه مدارسة ومذاكرة للقرآن من الرسولين الكريمين<sup>(٢)</sup>.

وكان النبي ﷺ يجتهد على أصحابه فيسمع منهم القرآن، ويستمع إلى قراءة بعضهم، ويشجع آخرين منهم، فعن ابن مسعود ؓ قال: قال النبي ﷺ: [اقرأ عليّ]. قلت: اقرأ عليك، وعليك أنزل؟، قال: فإني أحب أن أسمع من غيري؛ فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: أمسك. فإذا عيناه تذرفان<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، معلقا مجزوما به، وعنده مسند.

عن أبي هريرة ؓ نحوه، برقم ح (٤٩٩٨).

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٦٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب/ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ الآية، ح (٤٥٨٢)، ومسلم، كتاب صلاة...، باب/ فضل استماع القرآن...، ح (٨٠٠).

وقد أخبر النبي ﷺ أنه لا حسد إلا في اثنتين، قال ﷺ: [لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن؛ فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار؛ فسمعه جار له؛ فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان؛ فعملت مثل ما يعمل، ورجل آناه الله مالا؛ فهو يهلكه في الحق؛ فقال: رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان؛ فعملت مثل ما يعمل]، والمقصود بالحسد هنا الغبطة <sup>(١)</sup>.

ومن تشجيع النبي ﷺ لحفاظ كتاب الله تعالى، أنه كان يشجع أمته على حفظ القرآن حتى أنه كان يزوج الحافظ بما معه من القرآن، قال البخاري رحمه الله: «باب: القراءة عن ظهر القلب» <sup>(٢)</sup>، وذكر تحت حديث تزويج النبي ﷺ الرجل بما معه من القرآن <sup>(٣)</sup>. وأمر ﷺ بمراجعة القرآن حتى لا ينسى، قال ﷺ: [بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيْتُ آية كَيْت، وكيت، بل: نُسِّي، واستذكروا القرآن؛ فإنه أشد تفصيلا من صدور الرجال من النعم] <sup>(٤)</sup>.

كل هذه التوجيهات السديدة والإرشادات القويمة، كانت لها الدور البارز في جهد وعناية الصحابة بالقرآن الكريم، فنزلت هذه التوجيهات في سويداء قلوبهم؛ فأنزلوها منازلها؛ فاهتموا بحفظ كتاب الله ﷻ.

وكان الحفاظ في عهد النبي ﷺ كثيرين، وبهم حصل التواتر، ولقد كان أصحاب بئر معونة كلهم حفاظا، وكانوا يسمون القراء <sup>(٥)</sup>.

ومما يدل على كثرة حفاظ كتاب الله ﷻ ما جاء في وصفهم في الكتب السابقة،

(١) وهي تمنى النعمة من غير زوالها من الغير.

(٢) انظر: صحيح الإمام البخاري، ص ١٠٩٤.

(٣) انظر: ما رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ القراءة عن ظهر قلب، ح (٥٠٣٠)، عن سهل ابن سعد.

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ استذكار القرآن وتعاهده، ح (٥٠٣٢)، ومسلم، كتاب صلاة...، باب/ الأمر بتعاهد القرآن، ح (٧٩٠)، كلاهما عن ابن مسعود.

(٥) سيأتي كما في المطلب الثاني من هذا البحث، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٦٤.

[أناجيلهم في صدورهم<sup>(١)</sup>].

وامتن الله ﷻ على هذه الأمة؛ فقال لنبيها: [وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان]<sup>(٢)</sup>، وهذا الحديث فيه إشارة إلى أن هذا القرآن لا يمحي من الأرض، ولا يرفع بفعل المخلوقين، وإنما يرفع متى ما أراد ذلك مُنْزِلُهُ؛ إذ من عادة البشر قديما إذا أرادوا محو شيء غسلوه بالماء، حتى يذهب ويُزال.

قال شيخ الإسلام ﷻ في شرح الحديث السابق: «يقول: ولو غسل بالماء من المصاحف لم يغسل من القلوب، كالكتب المتقدمة؛ فإنه لو عدمت نسخها لم يوجد من ينقلها نقلا متواترا محفوظة في الصدور، والقرآن ما زال محفوظا في الصدور نقلا متواترا»<sup>(٣)</sup>.

ومما يدل على أن الحفاظ كانوا على عهد النبي ﷺ يبلغون حد التواتر بلا مرية، ما جاء في بعض الأحاديث المروية، ومنها قوله ﷺ: [خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب]، وقال أنس ﷺ: [أربعة كلهم من الأنصار جمع القرآن على عهد النبي ﷺ] أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد<sup>(٤)</sup>.

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم، كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب/الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ح(٢٨٦٥) عن عياض بن حمار ﷺ.

(٣) الجواب الصحيح ١٣/٣، وانظر: المجموع ١٣/٤٠٠.

(٤) انظر هذه الأحاديث في صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ، ح(٤٩٩٩، ٥٠٠٣)، وحتى لا يبقى شك في أن القرآن نقل إلينا متواترا، بطريق الحفظ - فضلا عن كتابته - فأذكر الحفاظ من الصحابة ﷺ، وهم: الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم، وأبو هريرة، وعبد الله بن السائب، والعبادلة (ابن عمر، ابن الزبير، ابن عمرو، ابن عباس)، وقيم بن أوس، وعقبة بن عامر، وعبادة بن الصامت، ومعاذ أبو حلينة، ومجمع بن حارثة، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وأبو موسى الأشعري، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الدرداء، وعمرو بن العاص، وأبو ذر الغفاري، وسعد بن عباد، ومن النساء: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وأم ورقة ﷺ وآخرون. انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٢٤-٢٢٧، الفهرست لابن النديم ص ٤٣-٤٤، فتح الباري

٨/٦٦٩، ٦٧٠، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ١٣-١٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٤.

فهؤلاء من الأنصار؛ وكذلك من المهاجرين قوم كثر، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد ثبت في الصحيح أنه جمع القرآن كله على عهد النبي ﷺ جماعة من الصحابة» <sup>(١)</sup>.

ولا ريب أن الصحابة رضي الله عنهم كثير منهم حفظوا القرآن الكريم، منهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه <sup>(٢)</sup>، حتى وصل إلى التابعين بطريق التواتر، وعنهم إلى من بعدهم، وتخصيص الحفظ ببعض الصحابة، إنما هو في وقت معين، وعلى حسب علم الناقل، أو نسبة إلى قوم معينين لا أن الحفظ فيهم هم المذكورون فقط.

فما لا شك فيه أن السلف يعلمون أن الله ﻻ يحفظ القرآن في صدور المؤمنين، حتى وصل إلى من بعدهم حجة على العالمين، وأن ذلك تم بطريق التواتر الذي لا يرتاب فيه إلا ملحد زنديق، أو منافق حقيق <sup>(٣)</sup>.

وما يدل على أن الصحابة كانوا يقيمون حروف القرآن ومعانيه، ويحفظونه في معانيه ومبانيه، قول الله ﻻ <sup>(٤)</sup>: «الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ» [البقرة: ١٢١]، وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ» [٥] لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ» [فاطر: ٢٩-٣٠]، وقال: «وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُضْطَلُونَ» [٦] بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» [العنكبوت: ٤٨]، «فبين أن القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم...، سواء أريد به أنه بين في صدورهم، أو أنه محفوظ في صدورهم، أو أريد به الأمران، وهو الصواب؛ فإنه محفوظ في صدور العلماء، بين في صدورهم، يعلمون أنه حق» <sup>(٤)</sup>.

(١) المجموع ١٣/ ٤٠٠، وذكر الأربعة المذكورين في حديث أنس، وغيرهم.

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجوزي ٦/ ١.

(٣) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٦٩.

(٤) المجموع ١٤/ ١٩٠.

وكان السلف يتعاهدون القرآن، ويتدارسونه بينهم، حتى لا يُنسى، وأمر النبي ﷺ بتعاهد القرآن لم يغيب عن ذهْنهم، وبهذا حُفِظ القرآن في الصدور، كما حفظ في السطور<sup>(١)</sup>.

وحَفِظُ كتاب الله ﷻ أساس كل علم، ومورد كل عز، ولهذا فالسلف كانوا يطلبون العلم بحفظه، وفهمه، وليس المقصود أن حفظ جميع القرآن واجب على طالب العلم؛ فـ «حفظ جميع القرآن، وفهم جميع معانيه، ومعرفة جميع السنة، لا يجب على كل أحد؛ لكن يجب على العبد أن يحفظ من القرآن، ويعلم معانيه، ويعرف من السنة ما يحتاج إليه»<sup>(٢)</sup>.

ومن عناية السلف بحفظ القرآن الكريم أنهم كانوا يحثون عليه، حتى كان من أقوالهم المشهورة: إن تعلم القرآن أفضل من صلاة التطوع<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «من حفظ القرآن عظمت حرمة،... ومن عرف الحديث قويت حجته»<sup>(٤)</sup>.

فحفظ الله القرآن في صدور المؤمنين، حتى نقل من جيل إلى جيل، بحيث صار حفاظ كتاب الله ﷻ في كل عصر يبلغون حد التواتر، مع أنه مكتوب، ومحفوظ في السطور، في الشرق والغرب، وحفظه في الصدور نوع حفظ من الله ﷻ لكتابه؛ «فالمسلمون يحفظون القرآن في صدورهم حفظاً يستغنون به عن المصاحف...، والقرآن ما زال محفوظاً في الصدور نقلاً متواتراً، حتى لو أراد مريد أن يغير شيئاً من

(١) وحفظهم للقرآن الكريم إنما كان باجتهاد، لا بتتبع الطرق السقيمة والأمانى الوخيمة، وأما ما يفعله بعض أهل البدع من صناعة (خلطات من عند أنفسهم) أشياء هي من البدع المحدثات، كالادعية التي وضعها الكذابون في حفظ القرآن، وفي بعضها التوسل بجاه الأنبياء؛ فهذا لا شك أنه موضوع. انظر: المجموع ٢٥٨/١-٢٥٩.

(٢) المجموع ٣٩١/١٥.

(٣) انظر: مختارات النوازل ص ٤٨٦.

(٤) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص ١٢٧.

المصاحف، وعُرض ذلك على صبيان المسلمين لعرفوا أنه قد غير المصحف، لحفظهم للقرآن من غير أن يقابلوه بمصحف، وأنكروا ذلك...، ولهذا لا يمكن أحدا تغيير القرآن، مع كونه محفوظا في القلوب، منقولا بالتواتر»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على اهتمام السلف بالقرآن الكريم حفظا أن قتادة بن دعامة السدوسي رحمته الله كان يعرض المصحف؛ فيقرأ سورة البقرة؛ فلا يخطئ فيها حرفا واحدا<sup>(٢)</sup>، فضلا عن أعمالهم السديدة، المبنية على الأحكام الشرعية الرشيدة من الكتاب والسنة الصحيحة.

فالحفاظ في زمن السلف كانوا حفاظا للقرآن: حدا ورسما، وأما في هذه الأزمان فـ «لم يبق لمعظم من طلب القرآن العزيز همة إلا في قوة حفظه، وسرعة سرده، وتحرير النطق بألفاظه، والبحث عن مخارج حروفه، والرغبة في حسن الصوت به، وكل ذلك وإن كان حسنا ولكن فوقه ما هو أهم منه وأتم، وأولى وأحرى، وهو فهم معانيه، والتفكير فيه، والعمل بمقتضاه، والوقوف عند حدوده»<sup>(٣)</sup>.

ومن تمام حفظ الله للقرآن أن حفظه في السطور، وهذا ما أتكلم عنه في المطلب التالي.

(١) الجواب الصحيح ٣/ ١٣-١٥، وانظر: الصفدية ١/ ٢٢٣.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢٩.

(٣) المرشد الوجيز ص ١٩٣.

### المطلب الثاني: كتابة القرآن الكريم.

من العقائد السلفية أن الله ﷻ هو الحافظ لكتابه المنزل على نبيه محمد ﷺ، ولا شك في ذلك عندهم، وعند المتبعين لهم، وقد هيا الله ﷻ لحفظ كتابه أموراً وأسباباً، ومن جملة ذلك كتابته.

وقد جاء ذكر كتابة القرآن الكريم في القرآن نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝ وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ [الطور: ١-٣] وقد ذكر غير واحد من المفسرين: أن الله ﷻ أقسم بجبل الطور، وهو المكان الذي كلم الله فيه موسى، وأنزل عليه التوراة فيه، ثم أردف ذلك بالقسم بهذا الكتاب المنزل على محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقد ثبت بالدليل الصريح أن النبي ﷺ هو الذي كان يأمر بكتابة ما ينزل من القرآن، ومن المتواتر المعنوي أنه ﷺ كان له كتبه يكتبون القرآن الكريم، ولا تحدث عن جهود الصحابة في كتابة القرآن الكريم؛ وأبين ذلك في مسائل:

### المسألة الأولى: كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ.

كان اهتمام الصحابة بالقرآن الكريم من أهم المهام، ومن أكد الأمور، ولهذا كان الواحد منهم ما أن يُسلم حتى ينصرف إلى حفظ ما نزل من القرآن، فكان الاعتماد الأول في عهد النبوة على حفظ الصدور، وحتى يهتم الصحابة به أشد الاهتمام، ويحفظوه على الإتمام، نهى النبي ﷺ عن كتابة غير القرآن، قال ﷺ: [لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه]<sup>(٢)</sup>، فلم يكونوا يكتبون في أول الأمر أحاديث النبي ﷺ، ولا الغزوات، ولا السير، ولا الأشعار، وإنما كان ذلك كله يروى فقط معتمدين على الحفظ في الصدور، دون السطور، وأما القرآن الكريم فإنه كان يحفظ في الصدور والسطور<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٢٦.

(٢) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب/ التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ح (٣٠٠٤).

(٣) انظر: شرح السنة للبغوي ١/ ٢٩٥، رحلة المصحف الشريف ص ٦١.



وقد كان للنبي ﷺ كتبة يكتبون بين يديه القرآن الكريم، سواء في العهد المكي، أو العهد المدني؛ فقد ذكر غير واحد من المؤرخين أن الصحابة كانوا يكتبون القرآن الكريم حتى في مكة<sup>(١)</sup>، فكانت الآيات تنزل، ورسول الله ﷺ يملئ لأصحابه، منهم من يحفظها، ومنهم من يحفظها ويكتبها، وكل يكتب بحسب ما تيسر له.

روى البراء بن عازب ؓ قال: [لما نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾] [النساء: ٩٥] قال النبي ﷺ: ادع لي زيدا، وليجئ باللوح والدواة والكتف، أو الكتف والدواة، ثم قال: اكتب...<sup>(٢)</sup>

ويمكن أن نلخص صورَ اهتمام الصحابة بالقرآن الكريم في عهد النبي ﷺ في هذه النقاط:

■ أن جلهم كانوا يعتمدون على حفظهم، ولأن رسول الله ﷺ كان بين أظهرهم يرجعون إليه إذا ما أشكل عليهم شيء من آياته، فكانوا لا يعتمدون على الكتابة<sup>(٣)</sup>.

■ أن النبي ﷺ كان له كتبة في مكة، وفي المدينة يكتبون بين يديه ما ينزل من الآيات<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣٥٣/٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ كاتب النبي ﷺ، ح (٤٩٩٠).

(٣) انظر مثلاً مراجعة عمر وهشام بن حكيم حينما تنزاعا في آية كيف تحاكما إلى رسول الله ﷺ، كما في البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح (٤٩٩٢).

(٤) والذين كانوا يكتبون للنبي ﷺ كثر، وأشهر كتاب النبي ﷺ من المهاجرين هم:

أبو بكر الصديق ؓ	عمر بن الخطاب ؓ	عثمان بن عفان ؓ	علي بن أبي طالب ؓ
أبو عبيدة بن الجراح ؓ	طلحة بن عبيد الله ؓ	الزبير بن العوام ؓ	شرحيل بن حسنة ؓ
عبد الله بن مسعود ؓ	سالم مولى أبي حذيفة ؓ	عبد الله بن عمرو ؓ	خالد بن سعيد بن العاص ؓ
يزيد بن أبي سفيان ؓ	معاوية بن أبي سفيان ؓ	عبد الله بن أبي السرح ؓ	العلاء بن عقبة ؓ
أبان بن سعيد بن العاص ؓ	عبد الله بن الأرقم ؓ	أبو حذيفة بن عتبة ؓ	الأرقم بن أبي الأرقم ؓ

- أن الأكثرين كانوا حفاظا، وأما الكتاب فكانوا قليلين، سواء من المهاجرين أو الأنصار، ومما يدل على كثرة الحفاظ أن النبي ﷺ بعث سبعين رجلا كلهم من القراء؛ فقتلوا عند بئر معونة<sup>(١)</sup>، وأيضا أكثر القتلى في اليمامة كانوا من القراء؛ فهذا يدل على كثرة حفاظ كتاب الله ﷻ<sup>(٢)</sup>.
- أن الإمكانات لم تكن متوفرة في تسهيل عملية الكتابة، فكانوا يكتبون على الجلود، ولخاف الحجارة، وكسر الأكتاف.
- أن القرآن كان محفوظا بطريق التواتر، حفظا في الصدور، وفي السطور، فلم يقبض النبي ﷺ إلا والقرآن كله مكتوب في السطور عند الصحابة، كما أنه محفوظ في الصدور<sup>(٣)</sup>.
- أن النبي ﷺ إنما كان يأمر بكتابة ما نزل أولا بأول، فالمكي كتب بمكة، وهكذا.
- أن النبي ﷺ لم يجمع القرآن في مصحف لأن القرآن كان ينزل، ويُنسخ منه؛ فلم يمكنه الجمع لذلك<sup>(٤)</sup>.

وأشهر كتاب النبي ﷺ من الأنصار، هم:

أبو أيوب الأنصاري ﷺ    زيد بن ثابت ﷺ    أبو عيسى بن جبر ﷺ    أبي بن كعب ﷺ  
أسيد بن حضير ﷺ    ثابت بن قيس ﷺ    معاذ بن جبل ﷺ    أبو الدرداء عويمر ﷺ

وبهذا يعلم أن كتاب النبي ﷺ أيضا قد كانوا كثيرين، ولكن منهم من كان مختصا بالكتابة، ومنهم من كان يكتب أحيانا. انظر: كتاب المصاحف ص ١٠٥، شرح السنة للبغوي ٥١٦/٤-٥١٧، أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣٢٧، رحلة المصنف الشريف ص ٤٩-٥٧، كتاب النبي ﷺ لمحمد مصطفى الأعظمي.

(١) انظر ما رواه البخاري، كتاب المغازي، باب/ غزوة الرجيع... ح(٤٠٦٨).

(٢) انظر: فتح الباري ٦٢٩/٨.

(٣) انظر: فتح الباري ٦٢٩/٨.

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي ٥١٩/٤، فتح الباري ٦٢٩/٨.

### المسألة الثانية: كتابة القرآن في عهد الصديق ؓ.

تحققت كتابة القرآن في عهد أبي بكر ؓ بمشورة عمر ؓ، وذلك لما قتل كثير من حفظة كتاب الله ﷺ في حروب الردة - في غزو اليمامة على وجه التحديد، عام ١٢هـ؛ فخاف عمر ؓ ذهاب الحفاظ؛ فلا يبقى لهم شاهد إلا المكتوب مفرقا، دون ما في صدور الرجال شاهدا؛ فأراد كتب ذلك كله في محل واحد، فجاء إلى أبي بكر ؓ. وهذه الحادثة هي التي ترك كاتب رسول الله ﷺ زيد بن حارثة يحدثنا عنها، حيث يقول: [أرسل إليّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة؛ فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن؛ فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟؟ قال عمر: هذا والله خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ فتتبع القرآن أجمعه من العصب<sup>(١)</sup> والللخاف<sup>(٢)</sup> وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري<sup>(٣)</sup>، لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

(١) العُصْب: واحدة العسيب، وهو: سعف النخل، الذي يسميه أهل الحجاز بالجريد أيضا. غريب الحديث ٢/ ٢٥٤.

(٢) بكسر اللام ثم خاء معجمة خفيفة، وآخره فاء: جمع (لُخْفَة) بفتح اللام، وسكون المعجمة، وهي: الحجارة الرقاق، يكون فيها عرض ودقة، وقيل: هو الخزف الذي يكون من الطين المشوي.

انظر: غريب الحديث ٢/ ٢٥٤، فتح الباري ٨/ ٦٣١.

(٣) هو الصحابي الجليل: أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم النجاري الأنصاري ؓ، شهد بدرًا وما بعدها، وهو غير خزيمة بن ثابت الأنصاري صاحب الشهادتين. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ٥٠.

عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩]، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر طيلة حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه [١].

فأبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من جمع القرآن في صحف، وقد كان قبل ذلك في اللخاف، وعسب النخل، وغير ذلك؛ فجمعها كلها في الصحف، وكان كاتبه زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال زيد رضي الله عنه: [أرسل إلي أبو بكر رضي الله عنه قال: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبع القرآن، فتبعت حتى وجدت آخر سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدهما مع أحد غيره] [٣]. فأبو بكر رضي الله عنه اختاره لأنه كاتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما ذكر له من الصفات في الحديث السابق.

فالقرآن كله روي متواترا حفظا في الصدور، وقصّد زيد أنه لم يجد آخر آيتين من سورة التوبة، أي لم يجدهما مكتوبتين، وإلا فإنه والكتبة كانوا يحفظونها، وإلا كيف يبحثون عنها؟ أو كيف يعرفونها؟ قال البغوي رحمته الله في قول زيد رضي الله عنه لم أجدها: «ليس فيه إثبات القرآن بقول الواحد؛ لأن زيدا كان قد سمعها، وعلم موضعها...، وكذلك غيره من الصحابة؛ فمنهم من نسيها؛ فلما سمع ذكر، وتبعه الرجال في جمعه كان للاستظهار، لا لاستحداث العلم» [٤]؛ فهذه الكتابة التي تمت في عهد الصديق رضي الله عنه

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ جمع القرآن، ح (٤٩٨٦)، وأما الصحف التي كانت عند حفصة رضي الله عنها فقد كان عندها مدة حياتها، ولما توفيت حرقها مروان بن الحكم، وقد كان واليا على المدينة وقتها، كما قال سالم بن عبد الله بن عمر: [إن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التي كتب منها القرآن؛ فتأبى حفصة أن تعطيه إياها، قال سالم: فلما توفيت حفصة، ورجعنا من دفنها، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف؛ فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر؛ فأمر بها مروان؛ فشقت، فقال مروان: إني فعلت هذا؛ لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف؛ فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول: إنه قد كان شيء منها لم يكتب]. رواه ابن أبي داود في المصاحف، باب/ جمع عثمان رضي الله عنه المصاحف، ح (٨٥)، وقال المحقق: إسناده صحيح، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٧.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٤٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ كاتب النبي صلى الله عليه وسلم، ح (٤٩٨٩).

(٤) شرح السنة للبغوي ٥١٦/ ٤، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٢.

إنما كان جمعا للقرآن في صحف<sup>(١)</sup>، ولم يكن قبل كله في الورق<sup>(٢)</sup>، ثم لم يتعرض للقراءات والأحرف<sup>(٣)</sup>، ولا لترتيب السور<sup>(٤)</sup>؛ فرحم الله أبا بكر ورضي عنه، فهو حقا كما قال علي عليه السلام: [أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله]<sup>(٥)</sup>.

### المسألة الثالثة: كتابة القرآن في عهد ذي النورين عثمان رضي الله عنه.

وكان هذا الجمع المبارك سنة (٢٥هـ)، وسببه ما ذكره أنس رضي الله عنه حيث قال: [إن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدم على عثمان رضي الله عنه، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية<sup>(٦)</sup>، وأذربيجان<sup>(٧)</sup>، مع أهل العراق؛ فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى؛ فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك؛ فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله ابن الزبير،

(١) وهذا بوب له البخاري، فقال: (باب: جمع القرآن)، قال الحافظ رحمته الله: «المراد بالجمع هنا جمع مخصوص، وهو جمع متفرقة في صحف». فتح الباري ٨/ ٦٢٨، ويؤكد أن المراد بجمع أبي بكر رضي الله عنه هو هذا الذي ذهب إليه الحافظ، أمراً: الأول: أن الصحابة لم يترك أحد منهم مصحفه الخاص، مع أنه مرتب على ترتيب معين في السور، مما يدل على أن جمع الصديق لم يراعى فيه الترتيب، والثاني: أن زيدا رضي الله عنه قال: [قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء] فهذا يعني أنه أراد جمعه في موضع واحد، لا كتابته - والله أعلم -، وانظر الموضع المشار إليه من فتح الباري.

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٢.

(٣) انظر: أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣٢٩.

(٤) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٥.

(٥) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ جمع القرآن، ح(١٥ وما بعدها)، وقال محقق الكتاب: إسناده حسن.

(٦) إرمينية: بكسر أوله، ويفتح: اسم لناحية عظيمة في جهة الشمال (نسبة إلى العراق) والنسبة إليها أرميني على غير قياس، دخلها الإسلام على عهد عثمان رضي الله عنه، وهي الآن معروفة بهذا الاسم كدولة. انظر: معجم البلدان ١/ ١٩١، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص ٤٠.

(٧) أذربيجان: منطقة في شمال العراق، وهي الآن معروفة بهذا الاسم كدولة. انظر: أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص ٤٠.

وسعيد بن العاص<sup>(١)</sup>، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام<sup>(٢)</sup>؛ فنسخوها في المصاحف، وقال: عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنها نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة، أو مصحف أن يُحرق<sup>(٣)</sup>.

وإنما تولى كتابته زيد بن ثابت رضي الله عنه، دون غيره من الصحابة لأمر مهممة وأسباب جلية، وهي:

١. أنه كان كاتب الوحي لرسول الله ﷺ، فكان إماما في الرسم، وإماما في الأداء، وهذه ميزة له لم يتمتع بها غيره ممن كان كاتباً، ولم يكن يكتب لرسول الله ﷺ، فكان ابن مسعود إماما في الأداء دون الرسم<sup>(٤)</sup>. قال ابن أبي داود رحمته الله: «عبد الله ابن مسعود بدري، وذلك - يعني زيدا - ليس هو ببصري؛ وإنما ولوه لأنه كان كاتب رسول الله ﷺ»<sup>(٥)</sup>.

٢. أنه كان شاباً فتياً، وما كان غيره ليستطيع القيام بهذا الأمر، لما يعتري الشباب من القوة، بخلاف العجزة وكبار السن.

٣. أنه كان ذهيناً فاهماً لبياً.

٤. أنه كان حاضراً للعرضة الأخيرة، مع رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>، وهذا يفيد أنه

(١) هو الصحابي الجليل: سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية الأموي، قتل أبوه بدير، وله تسع سنين، وذكر في الصحابة، ولي إمرة الكوفة لعثمان رضي الله عنه، وإمرة المدينة لمعاوية رضي الله عنه، مات سنة ٥٨ هـ. انظر: التقريب ص ١٧٧.

(٢) هو المخضرم الكبير: عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، أبو محمد المدني، قيل له رؤية، وكان من كبار ثقات التابعين، مات سنة ٤٣ هـ. انظر: التقريب ص ٢٨٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ جمع القرآن، ح (٤٩٨٧).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٤١ / ٢.

(٥) كتاب المصاحف ص ٨١.

(٦) انظر: شرح السنة للبغوي ٤ / ٥٢٥، سير أعلام النبلاء للذهبي ١ / ٤٨٨.

يعلم الناسخ والمنسوخ، وما يجب إبقاؤه في المصحف، وما لا يجب إبقاؤه.

٥. أنه كان كاتباً لأبي بكر رضي الله عنه بإجماع الصحابة؛ فالإنكار بعد ذلك لاختيار عثمان رضي الله عنه له لا معنى له <sup>(١)</sup>.

وكتابة الصحابة رضي الله عنهم للمصحف على عهد عثمان رضي الله عنه تم من غير خلاف؛ لأنه إنما فعل هذا بعد أن استشار الصحابة الموجودين في المدينة - منهم علي وبقية العشرة رضي الله عنهم - فهذا يعد منهم إجماعاً، ولم يختلفوا في كتابة شيء منه، إلا ما ذكر من أنهم اختلفوا في كتابة لفظة (التابوت) هل يكتبونه بالتاء المفتوحة أم بالهاء - التي هي التاء المربوطة بدون نقط -؛ فقال عثمان رضي الله عنه اكتبوه بلغة قريش <sup>(٢)</sup>، فارتفع الخلاف، واتفق على هذا الأسلاف، وصار على درجهم الأخلاف.

قال أنس رضي الله عنه: [قال عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت في شيء - عربية من عربية القرآن -، فاكتبوها بلسان قريش؛ فإن القرآن أنزل بلسانهم، ففعلوا] <sup>(٣)</sup>.

ولم يفقد زيد رضي الله عنه شيئاً من القرآن مكتوباً إلا آية من سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] قال زيد رضي الله عنه: [فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها؛ فالتمسناها؛ فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فألحقناها في سورتها في المصحف] <sup>(٤)</sup>. فهذا الأثر يبين لنا منهجية الكتابة، حيث ما كان يكتب شيئاً معتمداً على الحفظ فقط، بل حتى يشهد على الكتاب اثنان من المسلمين، ويوجد

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٤٨٨، ٢/ ٤٤١.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٤٤١.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ نزل القرآن بلسان قريش والعرب، ح (٤٩٨٤)، وانظر منه ح (٣٥٠٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ جمع القرآن، ح (٤٩٨٨).

ذلك مكتوبا<sup>(١)</sup>، وهذا يعني أنه صار على النهج الأول، حين كان يكتب لأبي بكر رضي الله عنه. فكتابة المصحف من عثمان رضي الله عنه حسنة من حسناته رضي الله عنه، وشعار على خلافته، وميزة من مميزاته، حيث جمع الله بفعله الأمة على كتابه، وعصم المسلمين من الاختلاف فيه، فله الحمد أولا وآخرا، وجزى الله عثمان رضي الله عنه على هذا الفعل خيرا. وكتابة الخلفاء للمصحف على هذا الوجه، إنما هي من باب سد الذرائع، حتى لا تختلف الأمة، ولا تتفرق كلمتها على كتاب الله تعالى القرآن<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يتبين أن كتابة المصحف ليست أمرا مبتدعا<sup>(٣)</sup>، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بكتابة القرآن الكريم، فهو أمر مشروع، لكن لم يجمعه في مصحف واحد؛ لأن نزوله لم يكن قد تم، وكانت الآية قد تنسخ بعد نزولها؛ فوجود الزيادة والنقص لم يمكن جمعه في مصحف واحد حتى مات صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup>، ثم قام الخلفاء الراشدون بضم بعضه إلى بعض وكتابته كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم في العرضة الأخيرة، مشتملا على بعض الأوجه من الأحرف التي لم تنسخ، فاحتملوها في كتابتهم للمصحف، ومعلوم أن هذا ليس إحداثا في الدين لوجود الكتابة سابقا، ثم إن ما سنه الخلفاء الراشدون ليس بدعة شرعية ينهى عنها<sup>(٥)</sup>.

وفي هذه الكتابة تمت مراعاة أمور مهمة، حتى يرتفع الخلاف عن الأمة، وهي:

١. أنه كُتِبَ مُرَّتَبَ السُّورِ حسب ما كان في العرضة الأخيرة، على الصحيح من أقوال أهل العلم، وإن قيل إنه باجتهادهم؛ فاجتهادهم من غير خلاف يعد إجماعا، وإن كان فيه خلاف في الأول، إلا أن الجميع أذعنوا له، وتيقنوا أنه الخير، وانضموا إلى

(١) انظر: رحلة المصحف الشريف ص ٦٣.

(٢) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم ٢١٠/١، وقد ذكر ابن القيم (٩٠) دليلا لسد الذرائع وختمها بهذه، والأصح - والله تعالى أعلم - أن جمع المصحف على هذا النمط هو من باب سد الذرائع، لا أن الكتابة نفسها هي من باب سد الذرائع، كيف وقد كان مكتوبا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكتابته اتباع له صلى الله عليه وسلم، فليتبته.

(٣) انظر: الموافقات للشاطبي ٢/٤٠٩، ٣/٧٣.

(٤) انظر: الاقتضاء ٢/٥٩٥.

(٥) الاقتضاء ٢/٥٩٥، المجموع ١٣/٤٠٢، ٢١/٣١٨.



الجماعة، فحصل النفع الكثير، والذي هو من حسنات الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه <sup>(١)</sup>.  
٢. أنه روعي فيه ما بقي من الأحرف، ولم ينسخ مما يمكن للرسم أن يحتمله، وترك ما عدا ذلك.

٣. أنه أحدث شيء موافقة للعرضة الأخيرة، فلم يكتب فيه شيء مما نسخت تلاوتها من الآيات، قال البغوي رحمه الله: «فاستشار عثمان الصحابة في ذلك، فجمع الله تعالى الأمة بحسن اختيار الصحابة على مصحف واحد هو آخر العروضات... فأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمع القوم عليه، وأمر بتحريق ما سواه قطعاً لمادة الخلاف؛ فكان ما يخالف الخط المتفق عليه في حكم المنسوخ والمرفوع، كسائر ما نسخ ورفع منه باتفاق الصحابة، والمكتوب بين اللوحين هو المحفوظ من الله تعالى للعباد، وهو الإمام للأمة؛ فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج من رسم الكتابة والسواد، فأما القراءة باللغات المختلفة، فما يوافق الخط والكتاب فالفسحة فيها باقية، والتوسعة قائمة بعد ثبوتها وصحتها» <sup>(٢)</sup>.

٤. أن عثمان رضي الله عنه أرسل إلى الأمصار المشهورة في تلكم الأعصار، وأحرق ما عداه من المصاحف في الديار، ليرتفع الخلاف والشر، وكان هذا الإحراق عن جمع منهم، وإنما خالف بعضهم <sup>(٣)</sup> لما لم يظهر له العلة من فعل عثمان رضي الله عنه، أو لم يعلم باتفاق الصحابة رضي الله عنهم، فلما علم بذلك ثاب إلى قولهم <sup>(٤)</sup>، قال مصعب بن سعد رضي الله عنه: «أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف؛ فأعجبهم ذلك، وقال: لم ينكر ذلك منهم أحد» <sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: شرح السنة للبغوي ٤/ ٥٢١، أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣٢٩، وانظر ص ٣٣٩.

(٢) شرح السنة للبغوي ٤/ ٥١١، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٤٧ حيث نقل هذه العبارات بشيء من التصرف.

(٣) كما روي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه، كما في كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٧٠ وما بعدها.

(٤) حتى ابن مسعود رضي الله عنه الذي كان من المخالفين في أول الأمر لهذا الجمع، رجع إلى فعل الجماعة، انظر: كتاب المصاحف ص ٨٢ وما بعدها، قال ابن أبي داود: «باب: رضاء عبد الله بن مسعود لجمع عثمان رضي الله عنه المصاحف»، ثم ذكر الآثار عنه في ذلك.

(٥) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب: اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف، (ح ٤١)، وقال محققه: إسناده صحيح.

٥. أن عثمان رضي الله عنه حرم تداول ما سواه من المصاحف التي كتبت غير مراعى فيه ما كتب في المصحف المجمع عليه، ولهذا سمي هذا المصحف بعد ذلك بالمصحف (الإمام)<sup>(١)</sup>، وحرقت ما عدا ذلك من المصاحف حتى لا تكون مثارا للفتنة.

ولهذا أثنى عليه كثير من الناس، قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي رحمته الله: «خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر، ولا لعمر: صبره على نفسه حتى قتل مظلوما، وجمعه الناس على المصحف»<sup>(٢)</sup>.

قال علي رضي الله عنه: [يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف، وإحراق المصاحف؛ فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعا؛ فقال -أي عثمان رضي الله عنه -: ما تقولون في هذه القراءة؟ قد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرا، قلنا فما ترى؟ قال: نرى أن نجتمع الناس على مصحف واحد؛ فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت...، وجمع الناس على مصحف. قال علي رضي الله عنه: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل]<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام الزهري رحمته الله: «فوفق الله عثمان رضي الله عنه فنسخ تلك الصحف في المصاحف؛ فبعث بها إلى الأمصار، وبثها في المسلمين»<sup>(٤)</sup>.

#### المسألة الرابعة: المحافظة على الرسم العثماني.

ومن تمام المحافظة على القرآن الكريم كتابته كما كتبه السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وذلك حفاظا على ما يحتويه من الأوجه في القراءة، وما يحتمله

(١) وإنما سمي مصحف الإمام بهذا الاسم؛ نسبة إلى عثمان رضي الله عنه، (انظر: رحلة المصحف الشريف ص ١٣١)، ويمكن أن يكون نسبة إلى أنه الإمام الذي ينبغي أن يقتدى به كل كاتب للمصحف، - والله تعالى أعلم -، وقد تسمى كتابة المصحف على الرسم الذي كتب في زمن عثمان رضي الله عنه بالرسم العثماني.

(٢) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف، ح (٤٤).

(٣) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ جمع عثمان رضي الله عنه المصاحف، ح (٧٧).

(٤) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ جمع عثمان رضي الله عنه المصاحف، ح (٨١)، وانظر: فتح الباري

من الأحرف في التلاوة<sup>(١)</sup>، ومخالفة الكتابة خلاف ما كتبوه لا ينبغي لأسباب، منها:

١. أن اتباع السلف في كل ما يتعلق بأمر الدين، ولو لم يكن في نفسه عبادة، هو الأفضل، بل هو اللازم في أمور الدين؛ لأننا أمرنا باتباعهم<sup>(٢)</sup>.

٢. أن في اتباع رسمهم محافظة على الأوجه المروية في القراءات السبعة والعشرية المروية، بالأسانيد الصحيحة السوية، لأن من «أسباب تركهم المصاحف - أول ما كتبت - غير مشكولة، ولا منقوطة؛ لتكون صورة الرسم محتملة للأمرين، كالتاء والياء، والفتح والضم، وهم يضبطون باللفظ كلا الأمرين، وتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيها بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين»<sup>(٣)</sup>.

٣. أن كتابتها على تلكم الصورة بمحضر من الصحابة، وفيهم العلماء والشعراء والكتباء المطلعون على كتب الأقوام المعاصرة لهم، والمجاورة منهم، ومع ذلك كتبوا جميع المصاحف بهذه الصورة، ولم يختلف مصحف من هذه المصاحف التي أرسلت إلى البلاد عن المصحف الآخر، حتى في صورة الكتابة، ثم من أرسل إليهم قبلوها، ولم يقولوا: هذا غلط فيه الكاتب، وهذا خطأ فيه الكتاب؛ فهذا كله إجماع منهم على هذه الصورة الكتابية، فلا تجوز مخالفة إجماعهم<sup>(٤)</sup>، وما وجد من خلاف بين بعض المصاحف التي أرسلت؛ فإن ذلك كما قال أبو عمرو الداني رحمته الله: «السبب في ذلك أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة، وأثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصلح، ولا يثبت نظراً للأمة، واحتياطاً على أهل الملة، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله تعالى، كذلك منزلة، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك

(١) انظر: المجموع ٤٠٢/١٣.

(٢) انظر: ما ذكرته في أهمية اتباع السلف ص ٥٩٦.

(٣) المجموع ٤٠٢/١٣.

(٤) انظر: إعانة الطالبين ٦٨/١.

الحال غير ممكن إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك من التخلط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به؛ ففرقتها في المصاحف لذلك؛ فجاءت مثبتة في بعضها، ومحدوفة في بعضها لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله ﷻ، وعلى ما سمعت من رسول الله ﷺ؛ فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار<sup>(١)</sup>، وهذا يبين أن ما يذكره القراء سواء العراقيون، أو الشاميون؛ فإن ذلك مأخوذ سماعاً، ونظراً من المصاحف، ولهذا كان الأئمة يأمرهم باتباع المصحف، سئل الإمام مالك ﷺ: «هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟» فقال: لا، إلا على الكتابة الأولى، أي التي كتبها الإمام، وهو المصحف العثماني، قال أبو عمر ابن عبد البر ﷺ: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة<sup>(٢)</sup>، ومن كتب المصحف بغير الرسم العثماني فإنه جانب الصواب، ولا يحكم عليه بالكفر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وأما اتباع رسم الخط، بحيث يكتبه بالكوفي؛ فلا يجب عند أحد من المسلمين، وكذلك اتباعه فيما كتب بالواو والألف، هو حسن لفظ خط<sup>(٣)</sup> رسم الصحابة، وأما تكفير من كتب ألفاظ المصحف بالخط الذي اعتاده؛ فلا أعلم أحداً قال بتكفير من فعل ذلك، لكن متابعة خطهم أحسن، هكذا نقل عن مالك وغيره، والله أعلم<sup>(٤)</sup>».

٤. أن في مخالفة السلف تجهيلاً لهم، وهذا معلوم أنه لا يجوز، خصوصاً في أمر - يزعم أن فيه تيسير القراءة!! - متعلق بالقرآن الكريم، وكانوا أحرص الناس في الدلالة على الخير<sup>(٥)</sup>، والقرآن نزل بلغة قريش غير مكتوب، ولكن أهل مكة كانوا يكتبون، والله ﷻ يعلم ذلك، ورسوله ﷺ يملئ عليهم، ولم ينكر على الكتابة ما كتبوه، وتحري عثمان ﷺ أن تكون هذه الكتابة بلغة قريش خاصة لكونه نزل بلغتهم، فاستمر

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦)، ص ٤٣.

(٢) إعانة الطالبين ١/ ٦٨، وانظر: حاشية البيجوري ١٨٩/ ٢، المجموع للنووي ٣٧٤/ ٩.

(٣) هكذا في المطبوع، ولعل الصواب: (هو حسن لفظ خط رسم الصحابة)، أو (وكذلك اتباعه فيما كتب بالواو والألف حسن، للفظ رسم خط الصحابة) - والله أعلم -.

(٤) المجموع ٤٢١/ ١٣.

(٥) انظر: إعانة الطالبين ١/ ٦٨.

العمل على هذا قبل وضع قواعد الإملاء المعروفة؛ فكان فعلهم ذلك إجماعاً، وأهل العصور يتابعونهم في ذلك؛ فصار بذلك سنة متبعة<sup>(١)</sup>.

٥. أن لأنواع الخطوط والإملاء قواعد اصطلاحية من وضع البشر، ولربما تتغير، وتبديل؛ فإذا عدلنا عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حالياً تسهيلاً للقراءة!! قد يفضي ذلك إلى التغيير كلما تغير الاصطلاح في الكتابة لنفس العلة، وقد يؤدي ذلك إلى تحريف القرآن الكريم، بتبديل بعض الحروف من بعض، وزيادتها، أو نقصانها، ومن ثم تختلف القراءات أيضاً، فتذهب بعضها لعدم موافقتها لرسم المصحف، وتندثر، وتختلط، ويجد أعداء الإسلام مدخلا في المصحف المعظم، المحفوظ صدرا وكتابا، فهذا الباب ينبغي غلقه، ليس فقط لكون ذلك اتباعاً للصحابة فحسب، بل لأنه من الباب العظيم الذي جاء به الشرع، وهو باب: سد الذرائع، محافظة على الدين، ومنعاً للشر والفساد<sup>(٢)</sup>.

٦. قال الشاعر مينا أهمية اتباع الرسم العثماني في كتابة المصحف:

وبعده جرّده الإمام      في مصحف ليقتدي الأنام  
فينبغي لأجل ذا أن نقتفي      مرسوم ما أصّله في المصحف  
ونقتدي بفعله وما رأى      في جعله لمن يخطّ ملجأً<sup>(٣)</sup>

أما تنقيط المصحف، وتشكيل حروفه: فـ «الصحابة لم يشكلوا حروفاً، ولم ينقطوها؛ فإنهم كانوا عرباً لا يلحنون، ثم بعد ذلك في أواخر عصر الصحابة لما نشأ اللحن، صاروا ينقطون المصاحف، ويشكلونها، وذلك جائز عند أكثر العلماء، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وكرهه بعضهم، والصحيح أنه لا يكره؛ لأن الحاجة داعية إلى ذلك، ولا نزاع بين العلماء: أن حكم الشكل والنقط حكم الحروف المكتوبة؛ فإن

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦)، ص ٤٧، ٤٨.

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦)، ص ٤٨.

(٣) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٧٩.

النقط تميز بين الحروف، والشكل يبين الإعراب؛ لأنه كلام من تمام الكلام»<sup>(١)</sup>،  
فالتنقيط والتشكيل إنما تَسْمَا في المصاحف التي كتبت في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم،  
وذلك لما كثر الأعاجم الذين كانوا لا يفرقون بين الكلمات المهملات، ولعدم سلامة  
لسانهم في اللغة العربية، وتأثر العرب بالعجم - خصوصاً في العراق وأمصارها -<sup>(٢)</sup>؛  
فكان لا بد من تيسير القراءة لهم حتى يفرقوا بين (ريب) و (زيت)؛ فوضعت هذه  
النقاط من أجل هذا التفريق، ومعلوم أن القرآن الكريم كان يقرأ هكذا من غير تنقيط؛  
فالزيادة في التنقيط إنما هو في الكتابة والصورة، لا في الألفاظ والتلاوة.

ويذكر أن أول من وضع الشكل الإعرابي - مخافة التحريف، والتصحيح - أبو  
الأسود الدؤلي رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> .<sup>(٤)</sup>

وأما ما جاء من كراهة بعضهم للتعشير، كما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :  
« أنه كره التعشير في المصحف »<sup>(٥)</sup> فذلك منه رضي الله عنه حتى لا يختلط بالقرآن شيء مخافة  
أن يزداد فيه أو يحرف، وإلا فإن التعشير المعروف عليه المصاحف الآن، لم يكن معروفاً  
في زمن ابن مسعود رضي الله عنه<sup>(٦)</sup> .

(١) المجموع ٥٧٦/١٢، رحلة المصحف الشريف ص ٢٢.

(٢) انظر: رحلة المصحف الشريف ص ٢٣.

(٣) هو المقرئ النحوي المشهور المخضرم: ظالم بن عمرو بن سفيان، ويقال: عمرو بن ظالم، واشتهر بكنيته:  
أبو الأسود الدؤلي، أو الدليلي البصري، ثقة فاضل، روى له أصحاب الكتب، مات سنة تسع وستين.  
انظر: التقريب ص ٥٤٦.

(٤) ويرى بعض الغربيين - كعادتهم في نسبة كل شيء إلى أنفسهم - أن النصاري هم أول من عرفوا التشكيل  
والتنقيط في الخطوط، انظر: رحلة المصحف الشريف ص ٢٣. وهذا أمر بعيد - عندي -، وذلك لأن الكتب  
النصرانية لم تكتب إلا بالسريانية، وهي إلى الآن غير معجمة؛ فكيف يقال: إنها من اختراعهم، لفهم كتبهم!!  
وأما وضع الإعجام: وهي النقاط فهذا من وضع تلاميذ أبي الأسود الدؤلي - نصر بن عاصم الليثي  
٨٩هـ، ويحيى بن يعمر ١٢٩هـ. انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦) ص ٢١، رحلة المصحف  
الشريف ص ٢٣، ٣٤.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب/ التعشير في المصحف، ح (٨٥٣٦)، وانظر:  
ح (٨٥٥٨).

(٦) وانظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦)، ص ٢١.

ومن تمام اهتمامهم بكتابة القرآن الكريم أنهم كانوا يكرهون كتابة المصاحف الصغار؛ لأنها لا تقرأ، وربما تهان، عن علي عليه السلام: «أنه كره أن يكتب القرآن في المصاحف الصغار»<sup>(١)</sup> فهذا يدل على اهتمامهم بكتابة المصحف الشريف، قال السيوطي رحمته الله: «من آداب القرآن أن يفخم فيكتب مفرجا، بأحسن خط؛ فلا يصغر، ولا تقرمط حروفه، ولا يخط به ما ليس منه...»<sup>(٢)</sup>.

فتنقيط المصاحف وتعريبها وكتابة التعاشير فيها، وأرقام الآيات وأسماء السور في أولها وكتابة علامات الوقف، وغير ذلك مما هو في مصاحف المسلمين، كان فيه ذلك الخلاف اليسير كما في التنقيط والتعشير، ولكن هذا الخلاف ارتفع بثبوت الاتفاق على جوازه، بعد استمرار العمل به إلى عصرنا<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله: «إن ديننا يمتاز على جميع الأديان بحفظ أصله منذ الصدر الأول؛ فالذين تلقوا القرآن عمن جاء به من عند الله حفظوه، وكتبوه، وتلقاه عنهم الأئمة من المؤمنين، وتسلسل ذلك جيلا بعد جيل.

وقد أحسن التابعون وتابعوهم وأئمة العلم في اتباع الصحابة في رسم المصحف، وعدم تجويز كتابته بما استحدث الناس من فن الرسم، وإن كان أرقى مما كان عليه الصحابة عليهم السلام؛ لأنه صنعة ترتقي بارتقاء المدنية، إذ لو فعلوا لجاز أن يحدث اشتباه في بعض الكلمات باختلاف رسمها، وجهل أصلها.

فالاتباع في رسم المصحف يفيد مزيد ثقة، واطمئنان في حفظه، كما هو يبعد الشبهات

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب/ من كره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير، ح (٨٥٥٢)، وانظر: ح (٨٥٥٤).

(٢) نقلا عن مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦)، ص ٢١.

(٣) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦)، ص ٢٤.

(٤) هو المفسر والأديب: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد البغدادى الأصل، المصري موطنًا، رحل عدة رحلات، بسبب الأوضاع السياسية واستقر في مصر أخيرا، وأنشأ فيها مجلة المنار، وكان قد تأثر جدا بمحمد عبده المصري، ثم تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، فأصبح من المناصرين لها، من مؤلفاته: تفسير المنار، الوهابيون والحجاز، توفي سنة ١٣٥٤ هـ. انظر: معجم المؤلفين ٩/ ٣١٠.

أن تحوم حوله، وفيه فائدة أخرى وهي: حفظ شيء من تاريخ الأمة وسلف الأمة كما هو.

نعم إن تغير الرسم واختلاف الإملاء يجعل قراءة المصحف على وجه الصواب خاصة بمن يتلقاه عن القراء، ولذلك أحدثوا فيه النقط والشكل، وهي زيادة لا تمنع معرفة الأصل، على ما كان عليه في عهد الصحابة، ثم إنه يجعل تعليم الصغار عسرا، ولذلك أفتى الإمام مالك بجواز كتابة الألواح ومصاحف التعليم بالرسم المعتاد كما نقل <sup>(١)</sup>.

وهذا العمل الجليل من السلف الذين عانوا الكثير في كتابة المصحف الشريف حتى يحافظوا عليه، يتبين لنا جليا «تحقق وعد الله ﷻ بحفظ الذكر الحكيم؛ فكان أحكم وأقدم وأوثق وثيقة عرفها الإنسان ناجية من كل تحريف وتبديل» <sup>(٢)</sup>.

ويقول أحد الغربيين المنصفين عن القرآن الكريم: «إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا دون تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة، بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يُذكر، بل نستطيع أن نقول: إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها، والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة؛ فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يعتبر أكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا، والذي يرجع إلى الخليفة عثمان» <sup>(٣)</sup>.

### المسألة الخامسة: كتابة القرآن الكريم بالأحرف الأعجمية.

والمقصود كتابتها بغير الأحرف العربية، فهذا محرم بالإجماع، والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

١. أنه مخالف لإجماع السلف، حيث فتحوا الأمصار، ولم يكتبوا المصحف بلغة تلكم الديار، وهذا منهم بالاتفاق، وإنما أرسل إليهم القرآن مكتوبا بالأحرف العربية،

(١) نقلا عن مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦)، ص ٢٦ وما بعدها من الصفحات، وهو كلام نفيس على سؤال.

(٢) توثيق القرآن الكريم لأحمد العناني مجلة الدوحة العدد ٦١ ص ٣١، نقلا عن رحلة المصحف الشريف ص ٦٦.

(٣) ذكره موير في كتابه حياة محمد، نقلا عن رحلة المصحف الشريف ص ٦٦.



وانتشر بينهم باللغة العربية، حتى إن كثيرا من تلكم الديار تعلموا اللغة العربية وأحرفها، لتشوقهم لتعلم لغة القرآن الكريم.

٢. أنه يؤدي إلى تغيير معاني كتاب الله ﷻ، إذا كتب القرآن بلغة، وبأحرف كل قوم وقبيلة؛ فإن في العربية أحرفا ليست في كثير من اللغات، مثل (الضاد)، و(الحاء)، و(القاف)، فكيف تكتب حينئذ الكلمات التي لا تحتوي على هذه الأحرف؟؟ فيقال في (الضالين): (الدالين)، وفي (الرحيم): (الرهيم!!)، وفي (الفلق): (الفلك!!)، وهكذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣. ولأن من شرط القرآن أن يكون موافقا لما في المصحف خطأ ورسما، وموافقا لوجه من أوجه اللغة العربية، والكتابة بغير الأحرف العربية لا تشبه الأحرف العربية، فمن كتب القرآن باللغة اللاتينية مثلا، فإن قال: أَلْحَمْدُ لِلَّهِ، وكتبها باللاتينية فسيكتب هكذا **Al-hamdu lillahi** وسيقرأها (الهمد لله) وحينئذ يكون قد غير اللفظ والمعنى، فهذا ممنوع قطعاً؛ لأنه غيّر القرآن لفظاً ومعنى، فهذا لا يكون تفسيراً ولا ترجمة فيقال بجوازه، ولا هو قرآن فيترخص بكتابته.

٤. ولأن كتابته كحكم قراءته، وقراءته بغير العربية ممنوعة، فكيف بكتابته<sup>(١)</sup>، ولهذا حرمه غير واحد من أهل العلم، منهم الإمام المطلب الشافعي رحمه الله<sup>(٢)</sup>.

٥. ولأنه مخل بالإعجاز، فإن « في كتابتها بالأعجمية تصرف في اللفظ المعجز، الذي حصل التحدي به، بل بما لم يرد، بل بما يوهم عدم الإعجاز، بل الركافة؛ لأن الألفاظ الأعجمية فيها تقديم المضاف إليه على المضاف، ونحو ذلك مما يخل بالنظم، وتشويش للفهم »<sup>(٣)</sup>.

٦. أن ذلك يؤدي إلى الخلل في الألفاظ القرآنية، وتعلمه حينئذ يكون خطأ فادحاً، فالأولى تعلم قراءته بالعربية حتى يكون النطق به سليماً.

(١) انظر: إعانة الطالبين ١/٦٨، البرهان في علوم القرآن ١/٤٦١، حاشية الدسوقي ١/١٢٥.

(٢) انظر: إعانة الطالبين ١/٦٨.

(٣) إعانة الطالبين ١/٦٨.

٧. أن السلف منعوا كتابة القرآن الكريم باللغة العربية على خلاف المصحف؛ فمثلاً: لا يكتب (الربو) في القرآن الكريم إلا بالواو، «مع أنه موافق للفظ الهجاء؛ فممنع ما ليس من جنس الهجاء أولى»<sup>(١)</sup>.

٨. وأما ما ورد أن سلمان رضي الله عنه كتب الفاتحة بالفارسية<sup>(٢)</sup>، فلا دليل فيه، لأن الخط الفارسي يكتب بالأحرف العربية، فلا يقال إنه كتب بغير العربية، وإنما يقال: كتب بخط فارسي، وإلا فالنطق لا يختلف عن كتابتها، لوجود الأحرف العربية في تلكم اللغة، كما لو كتب بالخط الكوفي أو الرقعة أو النسخ، وقيل: إن ذلك لم يثبت عن سلمان رضي الله عنه، وعلى هذا فلا حجة فيه، ولو صح: فإن المراد أنه كتب معنى ذلك وتفسيره، لا لفظه.

وبهذا يتبين أنه لا تحوز كتابة القرآن بغير الأحرف العربية، أو ما يشابهها من الأحرف الأعجمية تماماً، فلا تحوز كتابتها بالأحرف اللاتينية، أو الفرنسية، أو اليابانية، أو الصينية، أو التركية<sup>(٣)</sup>.

تنبيه مهم: قد يوجد في بعض المصاحف المكتوبة سواء قديماً في عهد السلف، أو في عهد الخلف بعض الزيادات اليسيرة غير النطق بالقراءات، كالواوات ونحوها، ولكن سرعان ما تكشف وتعرف، فينكرها القراء الحفظة في الأمصار، ويردون ما أخطأ فيه الكاتب إلى الصواب، وإلى المصحف الإمام، وهذا كله من تيسير الله تعالى وحفظه لكتابه، فالحمد لله الذي حفظ كتابه، ولم يكل حفظه إلى أحد.

ومن تمام حفظ القرآن الكريم حفظ علومه، وقد كان للسلف جهود في ذلك، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

(١) إعانة الطالبين ٦٨/١، بتصرف يسير.

(٢) ذكر هذا الخبر بصيغة التمریض من دون إسناد السرخسي في المبسوط (٣٧/١) مستدلاً به لقول أبي حنيفة رضي الله عنه على جواز قراءة القرآن بالفارسية! وهو لم يذكر له سنداً، فلم يثبت من حيث السند، ولو ثبت فالمراد به ما ذكرت والله تعالى أعلم، أو أنه كتب لهم ترجمة القرآن الكريم لا القرآن نفسه.

(٣) وبهذا يعلم ضعف ترجيح الدكتور أحمد سالم، حيث رجح في أطروحاته العلمية جواز كتابة القرآن الكريم بغير الأحرف العربية إذا وجدت الضرورة!! وضعف أدلة الجمهور القائلين بالمنع؟ انظر: فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن ص ٤٥ وما بعدها له.

### المطلب الثالث: اهتمام السلف بعلوم القرآن.

لا شك أن السلف قد عرفوا للقرآن الكريم منزلته، واحتجوا به على الوجه الأكمل، ولأجل ذلك كانوا مهتمين بعلوم القرآن، ومن أهم ذلك عمل السلف الصالح بالقرآن الكريم، وتعليمه للناس، والتحاكم إليه، وإقامة حدوده وحروفه، فإن المقصود الأعظم من القرآن الكريم هو أن يتخذ منهجاً في طريق السير إلى الله ﷻ، وأن يتعبد به <sup>(١)</sup>.

وقد اتخذت مظاهر عناية السلف بالقرآن الكريم طرقاً شتى؛ فهناك عناية بتدريسه وحفظه وتجويده وقراءاته وإعرابه، ومن اهتمام السلف بالقرآن الكريم عنايتهم بتفسيره حيث إنهم كانوا أئمة في تفسير القرآن الكريم، ولهذا قال المتبعون للسلف: إن الواجب في فهم النصوص اتباع لا الابتداع، أي: اتباع نهج المتقدمين من السلف، لا ابتداءً منهاج جديدة <sup>(٢)</sup>.

ومن اهتمامهم بالقرآن الكريم عنايتهم بإظهار أوجه إعجازه، وبيان أنه معجز من نواحٍ شتى <sup>(٣)</sup>.

ومن عناية السلف بالقرآن الكريم اهتمامهم بحفظ كتاب الله ﷻ وضبطه وإتقانه حفظاً في الصدور، كما هو محفوظ في السطور <sup>(٤)</sup>.

وهنا أذكر بعض الأمثلة - من غير حصر إذ الحصر باب لا يدرك منتهاه في هذا المجال - التي تدل على اهتمام السلف بالقرآن الكريم، كيف لا وهو الكتاب المبين، الذي أنزل من الرحمن الرحيم، ليكون حجة على العالمين، فهم عرفوا العلوم المختلفة التي توضح معاني كتاب الله المبين؛ فأذكر بعض هذه العلوم وأمثلة لاهتمامهم بها:

(١) وكل هذا سبق بيانه، في الفصل الثاني من الباب الأول.

(٢) انظر: ص ٥٩٦. ///

(٣) انظر: الفصل الخامس من الباب الأول.

(٤) انظر: المطلب الأول من هذا المبحث.

أولاً: علم التفسير، وهو العلم الذي يحصل به المقصود الذي من أجله أنزل الله الكتاب، وهو فهمه، وإدراك معانيه، والعمل بما يقتضيه، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمنا كيف يكون الحال في تفسير كتاب الله تعالى، فقد «قرأ يوماً هذه الآية: ﴿وَفِكْهَةً وَأَبًا﴾ [عبس: ٣١]، قال: قد عرفنا ما الفاكهة؛ فما الأب؟ فقال: لعمر ك يا ابن الخطاب إن هذا هو التكلف» <sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله بعد قول عمر رضي الله عنه: «وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه؛ وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ ط وَعِنَبًا وَقَضْبًا ط وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ط وَحَدَاقٍ غُلْبًا ط وَفِكْهَةً وَأَبًا ط [عبس: ٢٧-٣١]» <sup>(٢)</sup> فهذا المنهج هو الذي يجب أن يتبع في تفسير القرآن الكريم، وهو فهم المراد دون التدخل فيما يكون بعيداً مراده، أو متعمقاً فهمه.

والمفسرون من السلف معروفون، ولاشتهارهم يستغنى عن ذكرهم؛ فإمامهم من الصحابة، ورافع لواءه، والجالس لإلقائه هو حبر الأمة، وترجمان القرآن: عبد الله ابن عباس رضي الله عنه، وغيره من الصحابة، وأتباعهم <sup>(٣)</sup>.

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يفهمون معاني كتاب الله تعالى ولهذا فسروه لمن بعدهم من التابعين رضي الله عنهم، ولم يقفوا في تفسير آية منه على اتفاق، وإن كان قد يحصل من بعضهم عدم إدراك لبعض ما في الآيات؛ فإن ذلك بالنظر إلى الانفراد لا من حيث المجموع <sup>(٤)</sup>.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: [والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا

(١) رواه ابن جرير في تفسيره، ٤٥١/١٢، وذكر الحافظ ابن كثير رحمته الله أنه رواه أبو عبيد عن الصديق في هذه الآية وأنه قال: [أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني: إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم]، ثم قال الحافظ: وهذا منقطع، وما رواه ابن جرير - أي أثر عمر رضي الله عنه - قال: فهو إسناد صحيح. وانظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٤٧٣، وانظر: ٥/١ منه.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣-٥.

(٤) ونظرة عاجلة على طبقات المفسرين، يؤكد لك أن الصحابة والتابعين هم رافعوا لواء التفسير.

أنا أعلم أين أُنزلت، ولا أُنزلت آيةٌ من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أُنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه<sup>(١)</sup>. فهذا حال ابن مسعود رضي الله عنه وغيره من الصحابة الذين رباهم النبي ﷺ وعلمهم. قال عبيدة السلماني رضي الله عنه: «ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن»<sup>(٢)</sup>، وهو إنما يعني الصحابة رضي الله عنهم.

وأما ما روي عن بعضهم من كراهية القول في القرآن؛ فهو محمول على كراهة الخوض فيه من غير أثر، وإنما بمجرد الوهم دون اتباع يذكر.

قال الحافظ ابن كثير رضي الله عنه عن بعض ما نقل عنهم من التوقف في بعض التفسير: «فهذه الآثار الصحيحة، وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه؛ فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا؛ فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به؛ فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه»<sup>(٣)</sup>.

ونظرة عابرة إلى طبقات المفسرين تنبئك عن جهود السلف في علم التفسير - الذي هو أهم علوم القرآن الكريم -، وقد ذكر السيوطي رحمته الله طبقات المفسرين، وأولهم: «المفسرون من السلف والصحابة والتابعين، وأتباع التابعين»، ثم «المفسرون من المحدثين، وهم الذين صنفوا التفاسير مستندةً مورداً فيها أقوال الصحابة، والتابعين بالإسناد»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ القراء من أصحاب رسول الله ﷺ، ح (٥٠٠٢).

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٢٨، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٦/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/١.

(٤) انظر: طبقات المفسرين له ص ٩، وما بعدها، وطبقات المفسرين للدودي؛ فإنه ذكر كثيرا من المفسرين المشهورين من الصحابة ومن بعدهم، ومن اشتهر بالتفسير من السلف: شعبة بن الحجاج، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وقتادة بن دعامة السدوسي، ومجاهد بن جبر المكي، وعكرمة، وآخرون.

ومما يدل على اهتمام السلف بالقرآن الكريم - علما وعملا - أن العادة المطردة التي جبل الله ﷺ عليها بني آدم تورثهم الاهتمام بالقرآن المنزل عليهم، أشد من اهتمامهم بالعلوم التي هي مكملات له، أو ملح في العلم<sup>(١)</sup>.

فهذا مجاهد إمام التفسير قد نقل عن ابن عباس ؓ في التفسير الشيء الكثير، حتى قيل: إنه كان له صحيفة عنه، وغيره من تلاميذ ابن عباس كذلك يروون عنه في التفسير، حتى إن المدرسة المكية اشتهرت بالتفسير<sup>(٢)</sup>.

ومن بعد الصحابة كان للتابعين جهد مشكور وسعي مبرور في تفسير كتاب الله ﷺ، وقد اشتهر في زمانهم أئمة فضلاء، وعلماء نبلاء، حتى وصل الأمر إلى إمام المفسرين في نهاية القرن الثالث الهجري ابن جرير الطبري ؓ؛ فكان تفسيره<sup>(٣)</sup> جامعا لتفاسير السلف، حاويا لآثارهم، ومشتملا على أقوالهم؛ فكان أعظم تفسير بالمأثور<sup>(٤)</sup>.

بل إن المسلمين ينقلون عن نبيهم محمد ﷺ نقلا متواترا: ألفاظ القرآن، ومعانيه التي أجمع المسلمون عليها<sup>(٥)</sup>.

والمؤلفات في أم علوم القرآن، أعني: التفسير، بلغت حد الكثرة بحيث لا تُحصى، ومنها: المطول، والمتوسط، والموجز، والتفسير بالمنقول، والتفسير بالمعقول، والتفسير الجامع بينهما، ومنها: تفسير القرآن كله، وتفسير جزء منه، أو سورة منه، أو آية منه<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: المجموع ١٥٧/٥.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٣، البرهان للزركشي ٢٩/١.

(٣) وقد طبع تفسيره طبعات كثيرة جدا.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٣، مناهل العرفان ٣٢/١، ولا شك أن من كتب التفسير المهمة تفسير ابن أبي حاتم وابن مردويه، وعبد الرزاق، وابن المنذر، وسعيد بن منصور في سنته، والحاكم في مستدركه، وكثير من أئمة السلف ضمنوا كتاب التفسير في مصنفاتهم، ثم من أشهر الكتب السلفية في تفسير كلام رب البرية، كتاب تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير ؓ، ومن التفاسير السلفية، ما جمع من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ؓ، وكذلك ما جمع من كلام ابن القيم ؓ، وتفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ؓ، وغيرها.

(٥) انظر: الجواب الصحيح ١٠/٣.

(٦) انظر: مناهل العرفان ٣٣/١.

وألفت كتب في معاني مفردات القرآن، وهي المعروفة بكتب معاني القرآن وغريبه، وهي كثيرة، لا تعد ولا تحصى<sup>(١)</sup>.

ومن اهتمام السلف بعلوم القرآن كتابتهم تفاسير مستقلة في بيان أحكام القرآن، وما يستخرج من آيات الأحكام من الحلال والحرام<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: علم القراءات<sup>(٣)</sup> وهو علم متعلق بالقرآن الكريم من حيث أدائه وفهمه، ولقد اهتم به السلف الصالح اهتماماً بليغاً، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم كل يقرأ بما سمعه من رسول الله ﷺ، والقراءة سنة متبعة، ولهذا كان الصحابي إذا سمع رجلاً يقرأ على خلاف ما سمعه هو ينكر هذه القراءة وذلك حفاظاً على قراءة القرآن، حتى يبلغه أنه سمعه كذلك من النبي ﷺ، قال عمر رضي الله عنه: [سمعت هشام بن حكيم<sup>(٤)</sup> يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول ﷺ فاستمعت إلى قراءته؛ فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أسأوه في الصلاة، فتصبرت حتى سلم فليتبته بردائه؛ فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ بها؟ قال: أقرئنيها رسول الله ﷺ؛ فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرئنيها على غير ما قرأت؛ فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ،

(١) وقد ذكر ابن النديم في الفهرست ص ٤٥-٥٥، الكثيرين من أهل العلم الذين خاضوا غمار هذا الفن، ومن أشهر المؤلفات السلفية في هذا الفن: معاني القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن لابن الأنباري، ومعاني القرآن للزجاج، ومفردات القرآن للراغب الأصبهاني، و كتاب غريب القرآن لأبي عبيدة، وغريب القرآن لابن قتيبة، وغريب القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، وغريب القرآن لأبي بكر بن داود السجستاني. انظر: مناهل العرفان ٣٣/١.

(٢) ومن أشهر هذه المؤلفات: كتاب أحكام القرآن للإمام الشافعي، كتاب أحكام القرآن لأبي ثور، كتاب أحكام القرآن لداود بن علي. انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٩.

(٣) وعلم القراءات، المقصود به: ما يروى من الأحرف في القراءات المشهورة الصحيحة، وغير الصحيحة، وما يتعلق به من الأمور، ومن أشهر الكتب المؤلفة في علم القراءات - وهي كثيرة -: كتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام، كتاب القراءات لابن قتيبة، كتابا: القراءات الكبير والصغير لابن مجاهد. انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٥، والقراءات المنقولة عن الصحابة، والمقروء بها القرآن اليوم هو أيضاً منقول بالتواتر. انظر: مقدمة ابن خلدون ص ٧٨٣.

(٤) هو الصحابي الجليل: هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي القرشي، صحابي وابن صحابي، مات قبل أبيه. انظر: التقريب ص ٥٠٣.

فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها؛ فقال رسول الله ﷺ: أرسله، اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني؛ فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه<sup>(١)</sup>.

فيتضح لنا من هذا الحديث كيف كان عمر ﷺ يهتم بقراءة القرآن الكريم، وقد كان أبو عبد الرحمن السلمي أحد الذين جلسوا في مسجد النبي ﷺ أكثر من ثلاثين سنة يقرأ الناس القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

وقد كان كثير من السلف مهتمين بإقراء الناس القراءة الصحيحة، وتعليمهم القراءات<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك اهتمامهم بعلم رسم المصحف<sup>(٤)</sup>، ويتمثل أول الاهتمامات السلفية في كتابة الآيات القرآنية في قول عثمان ﷺ للكتاب الذين كانوا يكتبون القرآن في عهده: [إذا اختلفتم في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش؛ فإن القرآن أنزل بلسانهم، ففعلوا]<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك اهتمامهم بمعرفة أسباب نزوله ومكيه ومدنيه، وقد كان ابن مسعود ﷺ يحلف أنه يعلم الآية فيم نزلت، وأين نزلت، ويسمعه الصحابة ﷺ ولا ينكرون عليه<sup>(٦)</sup>،

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح (٤٩٩٢).

(٢) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب العلم، باب/ ٢١، ح (٥٠٢٧).

(٣) انظر: العناية بالقرآن الكريم وعلومه من بداية القرآن الرابع الهجري إلى عصرنا الحاضر، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل ص ٣ وما بعدها، ومن أشهر هؤلاء: أبو بكر بن مجاهد، مكي بن أبي طالب، أبو عمرو الداني، الشاطبي، علم الدين السخاوي، الذهبي، ابن الجزري، ملا علي القاري الحنفي.

(٤) وهذا علم قد اهتم به السلف أي اهتمام، وقد ذكرت في المطلب السابق ما يدل على هذا، وأشار إلى أشهر الكتب المؤلفة التي اهتمت بهذا العلم، وهي: كتاب الخليل في النقط، كتاب ابن الأنباري في النقط والشكل. انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٥.

(٥) سبق تحريجه، بلفظ: "قال عثمان..".

(٦) انظر: الأثر السابق عن ابن مسعود ﷺ كما مر قريباً.



ومن أوائل من ألف في هذا الفن شيخ الإمام البخاري المحدث المشهور علي بن المديني رحمته الله <sup>(١)</sup>.

ومن ذلك اهتمامهم بمعرفة ناسخه ومنسوخه، وقد كان الأئمة من السلف ي نهون عن تفسير القرآن والخوض في أحكامه من غير معرفة بالناسخ والمنسوخ <sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك اهتمامهم بعلم فضائل القرآن الكريم، وقد صنفوا في ذلك مصنفات، وكتبوا في ذلك مؤلفات <sup>(٣)</sup>.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله وغيره من العلماء المتبعين للسلف كتب كثيرة تنافح وتدافع عن كتاب الله تعالى، وهذه عناية مهمة منهم لفصح عدوان الغاشمين على القرآن الكريم <sup>(٤)</sup>.

والعلوم المضافة إلى القرآن الكريم قسمان؛ قسم هو كأداة لفهمه، واستخراج ما فيه من الفوائد، ومعين على معرفة مراد الله تعالى منه؛ كعلوم اللغة العربية التي لا بد منها، وعلم القراءات، والناسخ والمنسوخ، وقواعد أصول الفقه، وما أشبه ذلك <sup>(٥)</sup>.

ولكن قد يدعى فيما ليس بوسيلة أنه وسيلة إلى فهم القرآن، وأنه مطلوب، ولا يكون كذلك <sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٣.

(٢) وعلم الناسخ والمنسوخ قد اهتم به السلف، وكتبوا في ذلك المؤلفات المشهورة والمجلدات المزبورة، ومنها: كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي بكر ابن أبي داود السجستاني، ومقاتل بن سليمان. انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٨-٥٩.

(٣) ومن أشهر هذه المؤلفات السلفية: فضائل القرآن لأبي عبيد، فضائل القرآن لابن أبي شيبة، (بل كل من صنف في الأحاديث، وضع كتابا بعنوان: فضائل القرآن، ثم ذكر ما ورد تحت هذا الباب، ومن أشهر هؤلاء: البخاري، ومسلم، وأبو داود، وغيرهم)، وكتاب: فضائل القرآن لابن كثير.

(٤) انظر: العقود الدرية ١/ ٥٣.

(٥) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٥.

(٦) كجعل الرازي علم الهيئة وسيلة إلى فهم القرآن، وجعل ابن رشد الفلسفة مطلوبة في فهم القرآن!! انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٥-٣٧٦.

وقسم هو: أساس المقصد من إنزال القرآن الكريم، كمعرفة المعبود، ومعرفة المرسل، ومعرفة المرسل، ومعرفة ما أرسل به، وهو مأخوذ من جملته، من حيث هو، كفهم معرفة صفات الله تعالى وأسمائه، ومعرفة أمور الإيمان، ومعرفة أنه معجزة الرسول ﷺ وأنه دليل على نبوته، وما يفهم منه من القواعد العامة من مجموع ما يفهم من الآيات، وما يستخرج من المقاصد الشرعية<sup>(١)</sup>، وهذا معلوم أنه لم يهتم به على الوجه الأكمل إلا السلف الصالح، ومن تبعهم بإحسان.

وبهذا يتبين أن الصحابة والتابعين وسائر الأئمة قد كان لهم في نصوص القرآن وتفسيرها الجهد المشكور، والبذل الكبير المبرور<sup>(٢)</sup>.

فالسلف - رحمهم الله - لهم في هذه الفنون اليد الطولى، والباع الكبير؛ فمن نور الله قلبه وبصيرته هداه بما يبلغه من ذلك، ومن عمي عنه فإن كثرة العلوم والكتب لا تزيده إلا حيرة وضلالا<sup>(٣)</sup>.

واهتمام الأمة بالقرآن الكريم فوق التصور، وفوق الوصف؛ إذ لا زال الناس يحفونه بالناية والاهتمام حتى أصبح كل فن من فنون العلم له متعلق بالقرآن الكريم، - بل إن أي علم من العلوم إن لم يكن منتزعا من القرآن فلا برهان له -<sup>(٤)</sup>، وتسابق الناس في استخراج مخدّرات فنونه<sup>(٥)</sup>، حتى أصبح هناك مؤلفات في «إقسام القرآن، وأمثال القرآن، وبدائع القرآن، ورسم القرآن، وما أشبهها مما يروعك تصوره - بلّه الاطلاع عليه -، وما يملأ خزائن كاملة من أعظم المكتبات في العالم، ثم لا يزال

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٦ وما بعدها، وقد نقل حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم وأن منها علوماً أصلية - وهي المقصودة -، وعلوماً فرعية. انظر: كشف الظنون ١/ ١١ - ١٥.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ٣٠٧.

(٣) انظر: المجموع ١٠/ ٦٦٥.

(٤) انظر: البرهان للزركشي ١/ ٢٨.

(٥) قال الزركشي رحمه الله عن القرآن الكريم وما فيه من العلوم:

هذا وكما فيه من مزايا وفي زواياه من خبايا

البرهان للزركشي ١/ ٢٢.

المؤلفون إلى عصرنا هذا يزدون، وعلوم القرآن ومؤلفاته تنمو وتزدهر وتزيد، بينما الزمان يفنى والعالم يبيد! أليس هذا إعجازا آخر للقرآن يريك إلى أي حد بلغ علماء الإسلام في خدمة التنزيل؟! ويريك أنه كتاب لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي معارفه<sup>(١)</sup>، ويزداد المرء تعجبا إذا نظر إلى مؤلفات من سلف، إذ يجدها تستقصى في مجالها، وتستوعب الموضوعات التي ألفت فيها، وحتى تكون هذه المؤلفات معلومة للناس، بعد أن كانت مشتتة بأسماء العلوم نفسها؛ اشتدت الحاجة إلى فهرسة لها، فكانت مؤلفات العلماء في فن جديد يعرف بـ "علوم القرآن"<sup>(٢)</sup>، ويعتبر هذا الاسم جديدا من حيث التأليف، وأما من حيث معرفته فهو قد كان مجموعا في صدور العلماء السابقين<sup>(٣)</sup>، وبهذا نعلم أن السلف قد كانت لهم جهود مشكورة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، حتى وصلت إلينا.

وقام المتبعون للسلف في العصر الحديث بجهود مشكور في خدمة القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

(١) مناهل العرفان ٣٣/١، ويؤكد لك هذا المعنى نظرة إلى كتاب: البرهان للزركشي ٣٠-٣٢، حيث ذكر خطة سيره في كتابه المذكور؛ فذكر من علوم القرآن (٤٧) فنا من الفنون المتعلقة بعلوم القرآن الكريم، وكذلك السيوطي في كتابه: التيجان في علوم التفسير ذكر (١٠٢) فنا من فنون العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، وذكر في كتابه: الإتيان في علوم القرآن (٨٠) نوعا من أنواع العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم.

(٢) ومن أجل الكتب المؤلفة في هذا الفن: كتاب جمال القراء لعلم الدين السخاوي، والبرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتيان للسيوطي.

(٣) انظر: مناهل العرفان ٣٤-٣٥.

### المطلب الرابع: اهتمام أهل السنة بالقرآن في العصر الحديث.

لا زال المتبعون من الخلف سائرين على درب السلف في تعظيم القرآن الكريم وتنزيله منزلته اللائقة به، والاهتمام بعلومه.

ومن برز من علماء أهل الحديث فذلك لكونه على درب السلف، وكل من كان بالقرآن أشد علماً وعملاً كان جهده في علوم القرآن بارزاً، وسيرته بين الأنام معروفة، حتى لقبوا بأئمة الإسلام، ومجددي الدين للأنام، ومن أشهر هؤلاء الأعلام:

■ إمام أهل السنة الهمام: الإمام أحمد بن حنبل عَلمُ الأعلام، وفخر الإسلام، والمنافع عن القرآن في المحنة المعروفة بمحنة خلق القرآن.

■ شيخ الإسلام، مجدد السنة، ومجدد عقيدة السلف بين الأنام: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، وقد كان جهده منصبا لخدمة القرآن والسنة، لم يعرف بالتحزب إلا إليهما، ولا بالتمذهب إلا عليهما، ولا بالجهاد إلا عنهما، لم يدع إلا إليهما، نبذ الطرق الصوفية والمناهج الكلامية، وهجر الراحة في الدنيا الدنية، ونبذ ما فيها من الزخارف الوقتية، وكان جل وقته في خدمة كلام رب البرية.

■ المجدد لما اندرس من معالم الإسلام، شيخ الإسلام: الإمام محمد بن عبد الوهاب، الذي دعا إلى دعوة القرآن في توحيد الله ﷻ، وكان جل همّه تجلية الآيات التي وضع حولها أهل البدع الحجب الكثيرات؛ فكشف الشبهات، ودعا إلى توحيد رب البريات؛ فأظهر الله دعوته، ونشر بين الأنام طيب سيرته، وأصبح المتبعون للسلف يهتمون بكتبه، ويتهجون نهجه في العقيدة والسلوك إذ كان نهجه القرآن، متبصراً بسيرة سيد ولد عدنان.

ولا زال المتبعون للسلف على هذا الدرب حتى العصر الحاضر، ولأهل الحديث والأثر مساعٍ مشكورة في الذب عن كتاب الله ﷻ والدعوة إلى ما دعا إليه، ونشر السنة في كل مكان، وأشمل ذلك وأكمل ما تقوم به هذه الدولة المباركة التي ما

نحن إلا ثمرة من ثمراتها، ولا نبتنا إلا بين جنباتها، وترعرعنا في خيراتها، وتروينا من مياهها، ولهذا فسأين بشيء من التبيان، ما قامت به هذه الدولة في خدمة القرآن، على صورة نقاط معينة، تبرز الجهود المشكورة والأموال المبذولة، وهي مظاهر ملموسة<sup>(١)</sup>، وأما غيرها من الدول فجهودها في نشر السنة لا تذكر، وفي بث عقيدة السلف لا تعرف، وإن كان فيها شيء فذلك لجهد فرعي أو نشاط اجتماعي من قبل بعض الأفراد والمؤسسات، ولهذا فإني اقتصر على جهود هذه الدولة التي عملها في نصرة الكتاب والسنة ظاهرة، وذلك من خلال ما يأتي:

١- الدستور هو القرآن الكريم: هكذا أنشئت هذه الدولة المباركة<sup>(٢)</sup>، التي أقامها المؤسسان الأولان: محمد بن عبد الوهاب العالم الرباني رحمه الله، والأمير محمد بن سعود الإمام المجاهد رحمه الله، فكان الدستور في البلاد، وما إليه المرجع بين العباد: القرآن والسنة، وهذا كان شأن القضاة، وهكذا حتى كان عهد المؤسس الثالث للدولة السعودية الثالثة: الملك عبد العزيز رحمه الله فأعلن أن دستور البلاد ما كان عليه السلف الأول: من انتهاز نهج السنة والقرآن، في جميع الأمور التي تكون في البلدان، ومن جملة ذلك أن وجه كثيرا من الأموال في صرف حفظ القرآن الكريم وتعليمه، وللبلدان في المعمورة دساتير وضعية، وقوانين غربية، وأما الدولة السعودية الأبية؛ فهي تحكم القضاء الشرعي، وتراعي في ذلك نصوص الوحيين: الكتاب والسنة<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا صار أبناؤه، الذين ولاهم الله زمام الأمور، نسأل الله أن يوفقهم لما فيه الجور، وأن يجنبهم الغرور والشور.

(١) انظر: هذه المظاهر في كتاب: عناية المملكة العربية السعودية بطباعة المصحف الشريف، وتسجيل تلاوته، وترجمة معانيه، ونشره. للأستاذ د/ محمد بن سالم العوفي ص ٤ وما بعدها.

(٢) انظر: بحث الشيخ د/ صالح بن غانم السدلان، والشيخ د/ صالح بن حميد، والبحثان بعنوان: اتخاذ القرآن الكريم أساسا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، مقدم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، وقضايا عقدية معاصرة ص ١٣٣.

(٣) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم، إعداد: مركز البحوث والدراسات، بوزارة الأوقاف والدعوة والشئون الإسلامية ص ٣٦-٣٨.

٢- تعليم القرآن الكريم: لقد اهتمت المملكة العربية السعودية في تعليم القرآن الكريم للنشأ على وجه الخصوص، ومن الجهود المباركة ما تبذله الإدارة العامة للمناهج بوزارة المعارف السعودية في مجال العناية بكتاب الله تعالى وحفظه<sup>(١)</sup>، ومن ذلك جملة مدارس خاصة في وزارة المعارف، وتعليم البنات تعرف بمدارس تحفيظ القرآن الكريم، وتبين هذه الأرقام الإنجازات الكبيرة في تعليم القرآن الكريم، ففي عام ١٤٠١هـ، كان عدد المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم (٩٩) مدرسة، وعدد الطلاب (١٣.٧٠٥) طالباً، بينما ارتفع هذا الرقم بشكل ملحوظ فوصلت هذه المدارس عام ١٤٢٠هـ إلى (٣٨٦) مدرسة، وعدد طلابها (٤٦.٠٥٢) طالباً<sup>(٢)</sup>، ويتمتع الطلاب فيها بمزايا خاصة<sup>(٣)</sup>، بالإضافة إلى مدارس تحفيظ القرآن الكريم التابعة للحرس الوطني، ولا ريب أن القرآن الكريم يرفع من شأن معنويات الجنود، والإقبال على هذه المدارس في الحرس الوطني كبير - والله الحمد -<sup>(٤)</sup>، ولا ريب أن المدارس العامة في المملكة لها جهود مبذولة حيث هناك مقررات للحفظ في جميع مراحل التعليم العام، والتعليم الجامعي<sup>(٥)</sup>، ومن تعليم القرآن الكريم ما يتم داخل السجون حيث توجد هناك حلقات لتعليم القرآن الكريم<sup>(٦)</sup>، ومن يحفظ القرآن

(١) وقد كتب أ.د/ محمد بن معجب الحامد بحثاً قيمياً بعنوان: جهود الإدارة العامة للمناهج في وزارة المعارف في مجال العناية بكتاب الله تعالى وحفظه، ومن أهم المحاور التي بحثها: وجود المدارس الليلية والنهارية لتحفيظ القرآن الكريم، وبيان المقررات العامة في التعليم العام: تلاوة وحفظ، وبيان المقرر من تفسير القرآن الكريم، وبيان طرق تدريس القرآن الكريم في مختلف المراحل...

(٢) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ٤٩.

(٣) انظر: المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم، والكلليات الجامعية للقرآن وعلومه (تقرير) د/ محمد الأمين الحسين ص ٢١.

(٤) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ٥٠، وما بعدها.

(٥) انظر: حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي (تقرير) د/ حمد بن ناصر العمار ص ٢٩ وما بعدها.

(٦) انظر: تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الإجتماعية للشيخ محمد حبيب أحمد ص ٢٨ وما بعدها.

الكريم منهم يخفف عنه السجن، تكريماً لحفظة كتاب الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وكذلك يتم تحفيظ القرآن الكريم في دور الملاحظة الاجتماعية<sup>(٢)</sup>، ولقد اهتمت المملكة العربية السعودية بعلوم القرآن الكريم تعليمياً، وتفسيراً وترجمة، وهذا كله من باب التعليم<sup>(٣)</sup>.

٣- إقامة الجمعيات الخيرية: قام السلفيون في مختلف البلدان بجهود ملحوظة لتحفيظ كتاب الله ﷺ، ومن ذلك إنشاء مراكز تهتم بحفظ كتاب الله ﷺ، وهذا ملاحظ في المراكز السلفية ذات العقيدة السنية، في البلدان المختلفة المتحضرة والنائية، ومن أعظم هذه الجهود الظاهرة ما تقوم به المملكة العربية السعودية من جهود مشكورة، ومساعٍ مبرورة في إقامة حلقات تحفيظ القرآن الكريم، تحت مسميات الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>، ويكفي أن تعلم أن عدد الدارسين في هذه الجمعيات خلال عام ١٤٠٠هـ، كان أقل من (خمين ألف) طالب، وبلغ عدد المشاركين في هذه الجمعيات عام ١٤٢٠هـ (٣٢٠.٠٠٥)، وهذا وحده يكفي دليلاً أكيداً على الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه<sup>(٥)</sup>.

٤- إقامة المسابقات الداخلية والدولية: والمملكة العربية السعودية بما لها من دور بارز في خدمة القرآن الكريم، وما حباها الله من ضم جناباتها الحرمين الشريفين؛ فهي تقوم بإقامة المسابقات الداخلية والدولية التي تدل على الاهتمام بالقرآن الكريم،

(١) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ٩٢، وانظر: تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية للشيخ محمد حبيب أحمد ص ٣٤ وما بعدها.

(٢) انظر: تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية للشيخ محمد حبيب أحمد ص ٤٥ وما بعدها.

(٣) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بتفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه، أعده د/ مانع بن حماد الجهني ص ٤ وما بعدها.

(٤) يوجد في المملكة العربية السعودية (١٦) جمعية خيرية متخصصة في حفظ القرآن الكريم، ومركز خيري لتعليم القرآن الكريم وعلومه في الرياض، والمدرسة الصالحية في حريملاء، وغيرها. انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ٤٢، وانظر: الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، تقرير أ. عبد الله بن حمد المزروع ص ١ وما بعدها.

(٥) انظر: المصدر السابق.

وقد رصدت لذلك مبالغ كبيرة، وقد بلغ عدد الطلاب المشاركين في المسابقة الدولية حتى الآن (٣٢٩٦) طالبا<sup>(١)</sup>.

٥- إنشاء إذاعة تهتم بالقرآن الكريم وعلومه: لا شك أن الإعلام له دور بارز، ولهذا اهتم القائمون على الإعلام من المتبعين للسلف على نشر القرآن الكريم مسموعا ومرثيا، وعلى نشر علومها<sup>(٢)</sup>، وكان قدم سبق لـ "إذاعة القرآن الكريم"<sup>(٣)</sup> في المملكة العربية السعودية، والتي تبث عبر موجات مختلفة، وإلى بلدان شتى، وجل اهتمامها بالقرآن الكريم، ويث القرآن منها بنسبة (٧٠%)، وعناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم في إعلامها إنما هو تعبير عن هويتها الإسلامية، ورسالتها في خدمة الإسلام والمسلمين، «وتهدف إذاعة القرآن الكريم إلى إيصال القرآن الكريم إلى أذن كل مسلم ومسلمة، بكل صفاء، وإتقان، لفهمه، وتدبر معانيه، والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه، وذلك عن طريق بثه مرتلا ومجودا إلى المستمعين كمصاحف متكاملة من الفاتحة إلى الناس، أو كتلاوات متفرقة، كما تبث الإذاعة كذلك برامج التفسير، وعلوم القرآن والسنة المطهرة...»<sup>(٤)</sup>، فهذه الإذاعة تقوم مشكورة على مختلف البرامج

(١) انظر: الجدول الذي يبين عدد المشاركين، وعدد الدول في كتاب: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ١١٢، ومن أهم هذه المسابقات: المسابقة الدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته، وتفسيره، مسابقة وزارة التربية والتعليم، مسابقة خادم الحرمين في إندونيسيا، المسابقة المحلية لتحفيظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره، مسابقة... وهناك مسابقات دولية ومحلية في الدول الأخرى حذت حذو المملكة العربية السعودية في إقامتها ورعايتها، ولمن سن السنة الحسنة الأجر. انظر: المسابقات القرآنية المحلية والدولية، تقرير: أ. عبد العزيز بن عبد الرحمن السبهين، ص ٥ وما بعدها.

(٢) وكل إناء بما فيه ينضح؛ فهناك إذاعات للقرآن الكريم في أكثر من دولة عربية وإسلامية، وتبث في أوقات معدودة مختلفة، ولكنها تنفث السم الزعاف باسم القرآن الكريم؛ فكم سمعت من إذاعة القرآن الكريم في الدولة الفلانية... من السموم الصوفية، والخرافات الأشعرية، وتسمع من آخر الاعتزالات الغوية؛ وتسمع من إذاعة أخرى المسبات العلنية من الرافضة الغوية؛ فإلى الله المشتكى.

(٣) أنشأت هذه الإذاعة عام ١٣٩٢هـ في مكة المكرمة، ومثلها في الرياض، ثم تم دمجها عام ١٤٠٣هـ. انظر:

عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ٥٥.

(٤) جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه، لمحمد بن علي الصفار، ص ٧.



التي تخدم الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>، بل وتشجع من يقوم بتسجيل إذاعي بدفع مكافأة مالية له<sup>(٢)</sup>، وهذا لا يعني أن الإذاعات الأخرى في المملكة سواء المسموعة أو المقروءة منها خاوية عن خدمة القرآن الكريم وعلومه، بل إن لها جهداً ملموساً في ذلك<sup>(٣)</sup>، ولا ننسى جهود الإعلام الخاص في خدمة القرآن الكريم، سواء عن طريق التسجيلات أو المكتبات<sup>(٤)</sup>، أو الصحف والمجلات<sup>(٥)</sup>.

٦- طبع المصاحف وتسجيل الأشرطة السمعية: قامت جهات عدة بطبع المصحف الشريف وتوزيعه، ولكن لم تكن على المستوى المطلوب في أي من هذه الجهات، وتعد من مفاخر الدولة السعودية - وهي تخدم نشر علوم القرآن الكريم - أن أنشأت "مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف"<sup>(٦)</sup> والذي يطبع سنوياً الملايين من المصاحف<sup>(٧)</sup>، ويوزعها بالمجان على الحجاج والمعتمرين، وعلى المساجد، وفي السفارات

(١) ونظرة واحدة إلى هيكل برامج إذاعة القرآن الكريم تُبَيِّنُك عن مدى اهتمامها بعلوم القرآن الكريم؛ فمن برامجها الثابتة: ناشئ في رحاب القرآن، وبرنامج: فقه القرآن الكريم، وبرنامج: من أحكام القرآن الكريم، وبرنامج: علم القراءات، وبرنامج: دروس من القرآن الكريم، ... انظر: جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه، لمحمد بن علي الصفار ص ٢٣-٢٤ وما بعدها.

(٢) انظر: جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه، لمحمد بن علي الصفار ص ٣١.

(٣) انظر: عناية الإعلام السعودي بالقرآن الكريم (مع دراسة تحليلية لبرامج القناة الأولى)، د/إسماعيل أحمد النازري ص ١٣ وما بعدها.

(٤) انظر: عناية الإعلام السعودي بالقرآن الكريم (مع دراسة تحليلية لبرامج القناة الأولى)، د/إسماعيل أحمد النازري ص ٧ وما بعدها.

(٥) انظر: عناية الإعلام السعودي بالقرآن الكريم (مع دراسة تحليلية لبرامج القناة الأولى)، د/إسماعيل أحمد النازري ص ٢٣ وما بعدها.

(٦) انظر: أهداف إنشاء المجمع في كتاب، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة صرح إسلامي لخدمة القرآن والسنة، ص ٥ وما بعدها.

(٧) وللعلم فقد طبع من المصاحف في هذا المجمع المبارك حتى عام ١٤٢٠هـ، (١٥٠) مليون مصحف بأحجام وألوان مختلفة، تم توزيع (١٣٥) مليون منها على المسلمين إهداء. انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ٥٨، وانظر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة صرح إسلامي لخدمة القرآن والسنة، ص ١٢ وما بعدها.

السعودية ومن ثم يتم توزيعها على حسب الحاجة، فتقوم هذه الدولة السنية في نشرها لكتاب الله ﷻ على أكمل وجه<sup>(١)</sup>، وكذلك يقوم المجمع بنسخ الأشرطة السمعية بأصوات المقرئين المعروفين، ومن ثم يتم توزيعها، وبيعها - بسعر رمزي - في مختلف البلدان<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك طباعة المجمع للتفاسير المختلفة باللغات المختلفة الحية الموجودة في العالم، وتختار أرقى التفاسير وأصحها لغة ومعنى، دراية ورواية، ويتم توزيعها بعد ذلك على أصحاب اللغات، وبيع بسعر منخفض<sup>(٣)</sup>، ونظرة متأمل تطلعك على الأهداف السامية التي أنشئ المجمع من أجلها<sup>(٤)</sup>، ومن أهم ما يذكر في باب خدمة القرآن الكريم وعلومه ما قامت به المملكة العربية السعودية من طباعة المصحف الشريف للمكفوفين بطريقة (برايل)، وقد استفاد من هذا العمل العظيم أناس كثيرون كانوا محرومين من قراءة القرآن الكريم<sup>(٥)</sup>.

٧- الجهود في تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين: وقد بذلت الجهات السنية في مختلف البلدان جهوداً لا بأس بها في تحفيظ القرآن الكريم والاهتمام بعلومها في هذا العصر، ولكن كان قدم سبق للمملكة العربية السعودية في تشجيع أبناء المسلمين إلى هذا الخير، ومن ذلك دعم المملكة العربية السعودية السخية للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في العالم الإسلامي لتواصل مسيرتها الدعوية والتوعوية والتعليمية<sup>(٦)</sup>، وصرف أموال طائلة لدعم هذه الجمعيات التحفيظية سنوياً<sup>(٧)</sup>،

(١) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية، ص ١١، العدد (١١٨)، السنة ٣٥، ١٤٢٣هـ.

(٢) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ٨٧.

(٣) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ٨٦.

(٤) انظر: هذه الأهداف، في عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ٨١.

(٥) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في مجال طباعة القرآن الكريم للمكفوفين بطريقة (برايل) (تقرير، د. ناصر بن علي الموسى ص ٧ وما بعدها).

(٦) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ١٢-١٣.

(٧) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ١٦.

وبذلت مساعدات سخية في دعم حلقات التحفيظ في الخارج<sup>(١)</sup>، وكذلك تجتهد في حث الطلاب في الخارج على الحفظ عن طريق إقامة مختلف المسابقات<sup>(٢)</sup>، وبذلت مساعي حميدة في إقامة دورات لمعلمي القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>، وتنمية القدرات في الجامعات والكليات المهتمة بالقرآن الكريم وعلومه<sup>(٤)</sup>، وبذلت في نشر المصاحف لهم جهداً عظيماً<sup>(٥)</sup>، وكذلك سعت في نشر البحوث<sup>(٦)</sup> والدراسات والندوات التي تخدم القرآن الكريم وعلومه<sup>(٧)</sup>.

ولا أنسى - وأنا من أبناء هذه الجامعة المباركة - كلية القرآن الكريم؛ فقد أسست في الجامعة الإسلامية - ولأول مرة في التاريخ - كلية القرآن الكريم التي فيها تدرس علوم القرآن الكريم من تفسير وقراءات...، وهذا لا شك يدل على اهتمام بالغ بالقرآن الكريم<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ١٧ وما بعدها.
- (٢) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٢٣ وما بعدها.
- (٣) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٣٢ وما بعدها.
- (٤) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٤٥ وما بعدها.
- (٥) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٤٨ وما بعدها.
- (٦) انظر: جهود مركز البحوث والدراسات الإسلامية في مجال العناية بالقرآن الكريم (تقرير)، د/ مساعد بن إبراهيم الحديشي.
- (٧) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٥٠ وما بعدها.
- (٨) جهود كلية القرآن الكريم في خدمة القرآن، (محاضرة) بتاريخ ١٧/٨/١٤٢١هـ، في قاعة المحاضرات الكبرى في الجامعة الإسلامية، وانظر: المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم، والكليات الجامعية للقرآن وعلومه (تقرير) د/ محمد الأمين الحسين ص ٥٦ وما بعدها، عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم من خلال المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم والكليات الجامعية للقرآن وعلومه. د/ محمد بن سيدي محمد ص ٤٧ وما بعدها.

وجهود المتبعين للسلف في هذا العصر معلومة في إقامة الندوات العلمية المختلفة التي تبحث عن الأمور المتعلقة بالقرآن الكريم سواء ما كان متعلقا بطباعته، أو برسمه، أو بتفسيره وتراجمه، أو بعلومه<sup>(١)</sup>.

ومن أهم ما يميز السلف ومتبعيهم من الخلف في جهودهم للقرآن الكريم نهيمهم عن المراء في القرآن، ونهيمهم عن التكلف فيه، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) ومن هذه الندوات: ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ١٤٢١هـ"، وندوة "ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي، وتخطيط للمستقبل ١٤٢٣هـ" والتي نظمتها مجمع الملك فهد للمصحف الشريف في المدينة النبوية.

## المبحث الثاني

### نهي السلف عن المراء<sup>(١)</sup>، والتكلف<sup>(٢)</sup> في القرآن الكريم

السلف الصالح ومن تبعهم عرفوا منزلة القرآن الكريم، وعظموه حق التعظيم، ولهذا نهوا عن كل ما قد يقلل من منزلته أو تعظيمه، ومن جملة ذلك نهيهـم تبعاً لنبيهم ﷺ عن المراء في القرآن الكريم، وعن التكلف فيه، حتى يبقى عبادة غضة لله ﷻ، متلوّاً مستغنيا عن التطريب المبتدع، وأبين هذا في مسألتين:

#### المسألة الأولى: نهى السلف عن المراء في القرآن الكريم.

وردت أدلة تنهى عن المراء في القرآن الكريم والمجادلة في آياته<sup>(٣)</sup>، ومن هذه الأدلة قوله ﷺ: ﴿ مَا يُجَدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [عافر: ٤] وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُجَدِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرُ مَقَامًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [عافر: ٣٥]

(١) المراء: اختلف علماء اللغة في معنى هذه الكلمة، ولكنها لا تخرج عن معنى: الشك، والمجادلة، والإنكار، قال البغوي رحمه الله: « واختلفوا في تأويله؛ فقليل: معنى المراء: الشك، كقوله ﷺ: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مَرْيَةٍ مِنْهُ ﴾ [هود: ١٧] أي: في شك، وقيل: المراء هو: الجدل المشكك، وذلك أنه إذا جادل فيه، أداه إلى أن يرتاب في الآي المتشابهة منه؛ فيؤديه ذلك إلى الجحود،... وتأوله بعضهم على المراء في قراءته، وهو أن ينكر بعض القراءات المروية، وقد أنزل الله القرآن على سبعة أحرف؛ فتوعددهم بالكفر ليتنوها عن المراء فيها؛ والتكذيب بها، إذ كلها قرآن منزل يجب الإيـان به،... وقيل: إنا جاء هذا في الجدل بالقرآن من الآي التي فيها ذكر القدر والوعيد، وما كان في معناها على مذهب أهل الكلام والجدل. شرح السنة ١/ ٢٦١-٢٦٢، وهذا بعينه هو كلام الخطابي منقول بنصه من معالم السنن، انظر ٤/ ٢٩٧، وانظر: عون المعبود ١٢/ ٢٣١.

(٢) المراد بالتكلف: التنطع في القراءة، والتمطط في التلاوة، والتشبه بلحون الأعاجم.

(٣) انظر: الدرء ١/ ٤٧.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِيغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦] وقال: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا هُمْ مِنْ مَّحْصٍ﴾ [الشورى: ٣٥]، فالمؤمنون لا يجادلون ولا يمارون في كتاب الله ﷻ، بل يجزمون في معتقدهم أنه كلام الله ﷻ، وأنه منزل من الله ﷻ، وأنه معجزة محمد ﷺ، ولهذا فهم لا يقبلون المجادلة والمناقشة في آيات الله القرآن، سواء من حيث العلم أو العمل، أو من حيث الخبر والتطبيق، فهم في يقين من أمرهم، ولهذا لما اختلف التابعون - مع توافر الصحابة - في القراءات؛ فإن حذيفة رضي الله عنه لم يقبل ذلك؛ لأنه لا يقبل الاختلاف في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، ولهذا بوب السلف في كتب الاعتقاد والرقائق أبواباً في: النهي عن الخصومات في الدين، ومجانبة أهل الخصومات<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمته الله في بيان معرض عقيدة أهل السنة والجماعة: «وينكرون الجدل والمراء في الدين، والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم، ويسلمون الروايات الصحيحة كما جاءت به الآثار الصحيحة...»<sup>(٣)</sup>.

وكانت الخصومات والاختلافات في القرآن الكريم - على وجه الخصوص، وفي الدين على وجه العموم - سبباً للشر والاختلاف الكبير الذي بسببه أصبح المسلمون فرقا شتى، ولهذا نهى الشارع الحكيم عن كل ما يكدر هذا الصفو؛ فنهى عن الاختلاف في الدين، وعن المراء في القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>.

والنهي عن المراء في القرآن الكريم والنهي عن الاختلاف فيه يشمل الاختلاف في أحرفه وتنزيله، كما قد يختلف في القراءة؛ فجمع الله المسلمين بجمع عثمان رضي الله عنه الناس على مصحف واحد؛ فارتفع هذا الخلاف، وقد يكون الاختلاف في التأويل،

(١) سبق تخريج الأثر، وقصة اختلافهم في الثغر، في الفصل الثالث، من الباب الثالث.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٠٤ وما بعدها، وانظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢١٠ وما بعدها.

(٣) المجموع ٩١/٥.

(٤) انظر: ترجيح أساليب القرآن ص ٤٦.

وهو الذي تعاني منه الأمة إلى يومنا هذا<sup>(١)</sup>.

ومن المراء في القرآن الكريم « تكذيب القرآن بالقرآن، ليدفع بعضه ببعض؛ فينبغي أن يجتهد في التوفيق بين المتخالفين، على وجه يوافق عقيدة السلف؛ فإن لم يتيسر له فليكله إلى الله تعالى »<sup>(٢)</sup>.

ويمكن أن تُقسَّم المناقشة والمجادلة في كتاب الله ﷻ إلى أربعة أقسام، ثلاثة منها مذمومة، والرابع ممدوح، وهي:

١- مجادلة بالحق للحق: وهذا كمن يريد أن يؤكد ما جاء به القرآن الكريم بآيات أخرى تؤكد الأمر وتحليه؛ فهدفه حق، أعني أن غايته ووسيلته حستان، وهي حق في نفسها، وهذا ممدوح، وهو المطلوب من أهل العلم، ولهذا ألف العلماء قديما وحديثا في بيان هذا الأمر وتحليته، ومن ذلك كتب تأويل مشكل القرآن<sup>(٣)</sup>، وكتاب: دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب<sup>(٤)</sup>.

٢- مجادلة بالحق لا للحق: كمن يجادل بآيات القرآن الكريم ليثبت علمه، ومهارته، وإبداعه الاستدلال، والمناظرة؛ فهذا هدفه وغايته سيئة، وإن كانت الوسيلة حسنة، وهذا منهي عنه؛ لأنه يدخل في المراء في القرآن الكريم، وهو يؤدي إلى الاختلاف.

٣- مجادلة بالباطل للحق: وهذا كمن يريد نصر الحق بالباطل، كمن يريد أن يثبت شيئا مما جاء به القرآن بالآراء والنظريات الباطلة أو الأحاديث الضعيفة والمكذوبة؛ فهذا لاشك أن القرآن في غنى عنه، لأنه في نفسه حق، ولا يحتاج إلى باطل لنصرته وتحليته، وبيان الحق الذي جاء فيه، فـ « يحرم المراء في القرآن الكريم، والجدال فيه بغير حق »<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٤١.

(٢) عون المعبود ١٢/ ٢٣١، ونقله من كلام الطيبي.

(٣) وههنا عدة مؤلفات بهذا الاسم من أشهرها كتاب ابن قتيبة، وهو من أفضلها، وأتقنها.

(٤) وهو للشيخ محمد الأمين ﷺ صاحب الأضواء، وهو مطبوع مستقلا، ومع تفسيره أضواء البيان تبعا.

(٥) التبيان للنووي ص ١٥٥.

٤- مجادلة بالباطل للباطل: وهذا كمن يستشهد بالآيات التي لا تدل إلا على الحق على بدعته وضلالته؛ فهو يستشهد بوجه باطل ليؤكد شيئاً باطلاً، فهو يورده لا لقصد الاهتداء به، وإنما لأجل اعتضاد مذهب قد ارتآه أو يراه؛ فيجعل آيات الكتاب تبعاً لمذهبه!! قال ﷺ: [اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم؛ فإذا اختلفتم فقوموا عنه]<sup>(١)</sup>، ف«ضلال من ضل من أهل الكلام، والنظر في النوع الخبري بمعارضة خبر الله عن نفسه، وعن خلقه بعقولهم ورأيهم!! وضلال من ضل من أهل العبادة والفقه في النوع الطلبي، بمعارضة أمر الله الذي هو شرعه بأهوائهم وآرائهم»<sup>(٢)</sup>، ولأن هذا يؤدي إلى ضرب القرآن بعضه ببعض، وقد جاء النهي عن الاختلاف في القرآن الكريم، وضرب بعضه ببعض، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْ يَبْلُغُوا إِلَى هَذِهِ الْأَيَّامِ فَذَلِكِ بَيِّنَاتٌ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، وقال عبد الله بن عمرو ﷺ: [هَجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ؛ فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ؛ فَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ]<sup>(٣)</sup>، وقال: [إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، ضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَإِنَّمَا نَزَلَ الْكِتَابُ يَصْدُقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، لَا لِيَكْذِبَ بَعْضُهُ بَعْضًا، انْظُرُوا مَا أَمَرْتُمْ بِهِ فَافْعَلُوا، وَمَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوا]<sup>(٤)</sup>، وكذلك لا يجوز إنشاء خلاف بين القرآن والسنة؛ فإن سنة رسول الله ﷺ توافق كتاب الله، ولا تخالفه، فليس بينهما نزاع ولا اختلاف<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم، ح(٥٠٦١)، من رواية جندب ﷺ.

(٢) الدرر ٢٠٦/٥، وانظر ما بعدها.

(٣) رواه مسلم، كتاب العلم، باب/النهي عن اتباع متشابه القرآن، ح(٢٦٦٦).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ح(٦٦٦٨)، وفي غير هذا الموضع، ورواه الترمذي، وابن ماجة في المقدمة، باب/في القدر.

(٥) انظر: المجموع ٣/٣١٠.



فهذه الأقسام الثلاثة الأخيرة كلها مذمومة، ويخشى على صاحبها الهلاك، قال ﷺ: [المراء في القرآن كفر]<sup>(١)</sup>، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَانْتِعَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، وقال ﷺ في تفسير هذه الآية [إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سباهم الله فاحذروهم]<sup>(٢)</sup>.

ومن المراء في القرآن الكريم عدم العمل به، قال البخاري ﷺ: «باب: إثم من رآى بقراءة القرآن، أو تأكل به، أو فجّر به»<sup>(٣)</sup>، وصنيع البخاري ﷺ هذا يدل على أن هذا الفعل وهو: التآكل بالقرآن، والمراء فيه، وعدم العمل به من الذم الذي ورد في أحاديث النبي ﷺ فيما ذكره من أوصاف الخوارج، والمنافقين.

فالأحاديث تدل على أن عدم العمل بالقرآن - مع قراءته - من المراء، وهي كثيرة، منها: قوله ﷺ: [يخرج فيكم قوم... يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل<sup>(٤)</sup> فلا يرى شيئاً، وينظر في القدح فلا يرى شيئاً، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً، ويتمارى في الفوق]<sup>(٥)</sup>، وقوله ﷺ: [ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب،

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، ح(٧٤٩٩)، وأبو داود، كتاب السنة، باب/ النهي عن الجدل في القرآن، ح(٤٦٠٣)، ورواه الحاكم، في مستدركه، كتاب التفسير، ح(٢٨٨٢)، قال الذهبي في التلخيص بحاشية المستدرک ٢/ ٢٤٣: على شرط مسلم.

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير سورة آل عمران، ح(٤٥٤٧)، ومسلم، كتاب العلم، باب/ النهي عن اتباع متشابه القرآن، كلاهما عن عائشة ﷺ.

(٣) صحيح الإمام البخاري ص ١٠٩٩.

(٤) النصل: طرف السهم الأدنى، والقدح: الذي يرمى به القوس، والسهم: يكون أولاً قطع، ثم برياً، قدحاً، ثم يراش ويركب نصله؛ فيسمى سهماً. انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٠.

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ إثم من رآى بقراءة القرآن...، ح(٥٠٥٨)، من رواية أبي سعيد الخدري ﷺ.

وطعمها مَرًّا<sup>(١)</sup>، كل هذا يدل على أن من نوع المراء عدم العمل بالقرآن الكريم: اعتقاداً، ونهجا، كما هو حال المنافقين والخارجين عن الشريعة الغراء.

والاختلاف في آيات الكتاب سبب للهلاك والاختلاف، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: [سمعت رجلاً قرأ آية، سمعت من النبي ﷺ خلافها؛ فأخذت بيده، فأتيت به رسول الله ﷺ؛ فقال: كلاهما محسن، لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا؛ فهلکوا]<sup>(٢)</sup>. ومن كمال تعظيم القرآن الكريم ترك المراء فيه ولو كان في الأداء، ومن جملة ذلك التكلف.

### المسألة الثانية: نهى السلف عن التكلف في القرآن الكريم.

جاء النهي عن التكلف في القرآن الكريم من أقوال النبي الكريم ﷺ، ومن جملة ذلك نهى ﷺ عن الغلو، قال ﷺ: [ياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو]<sup>(٣)</sup>. «وهذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال»<sup>(٤)</sup>، فيدخل فيه الغلو في القراءة، والتكلف فيها.

ومن هذا الباب ما جاء من التحذير عن التنطع، حيث قال ﷺ: [هلك المتنطعون] قالها ثلاثاً<sup>(٥)</sup>، والتنطع: التعمق في الكلام، والمبالغة في إخراجهم من أقصى الخلق، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل متعمق قولاً وفعلًا<sup>(٦)(٧)</sup>. وأما المخالفون للسلف فمراؤهم في القرآن ظاهر، وتكلفهم في القرآن باهر، وبيان منزلة القرآن الكريم وتعظيمه عند المخالفين أبيته في الباب التالي.

(١) سبق تخريجه بلفظ: "مثل المؤمن...".

(٢) رواه البخاري، كتاب الخصومات، باب/ ما يذكر في الأشخاص...، ح(٢٤١٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٤٧، ح(٣٢٤٨)، وابن ماجه في سننه، كتاب الحج، باب/ قدر الحصى، ح(٣٠٢٩) كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنه، وإسناده على شرط مسلم، كما في فيض القدير للمناوي ٣/ ١٢٦.

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٣١٧.

(٥) رواه مسلم، كتاب العلم، باب/ هلك المتنطعون، ح(٢٦٧٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٣١٨.

(٧) قد مضى شيء من ذكر آداب القراءة في الفصل الثالث، من الباب الأول.

## البَابُ الرَّابِعُ

# مَنْزِلَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ الْمُخَالِفِينَ لِلسَّلَفِ

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: منزلته عند الفلاسفة.

الفصل الثاني: منزلة القرآن عند الصوفية (القائلين بأن  
للقرآن ظاهرا وباطنا).

الفصل الثالث: منزلة القرآن عند الرافضة.

الفصل الرابع: منزلة القرآن عند الباطنية.

الفصل الخامس: منزلته عند أهل الكلام.

الفصل السادس: منزلة القرآن الكريم عند بعض المعاصرين  
(العقلانيين ومنكري السنة القرآنيين).



# إِفْضَيْكَ الْأَوَّلَ

## مَنْزِلَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ الْفَلَسَفَةِ

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالفلاسفة.

المبحث الثاني: عدم تعظيم الفلاسفة للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: عدم رجوع الفلاسفة إلى القرآن والصدور عنه

في العقائد والرد عليهم.



## مدخل:

إن من أهم مميزات المتبعين للسلف كونهم متمسكين بالكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة، وأما المخالفون فإنهم لا يباليون بالكتاب والسنة، ولا بما عليه سلف الأمة، وهؤلاء الخلف فرق شتى، ونحل تترى، وهم مختلفون فيما بينهم، إلا أن هناك أمورا تجمعهم، وهي:

١- اتفاقهم على جعل المنقول عن الرسول ﷺ في باب العقائد فرعاً، وأن الأصل عند كل طائفة ما تزعم أنه من البراهين: فالفلاسفة يقدمون الأصول الفلسفية، وأهل الكلام يقدمون المقدمات الكلامية، وأهل التصوف يقدمون الأدواق الوجدية، والرافضة يقدمون ما يزعمون أنه من كلام الأئمة المعصومين، وهكذا، قال ابن الوزير رحمته الله: «المتدعة يرون تصانيفهم أهدى منه - أي من القرآن - لبيانهم فيها على زعمهم المحكم من التشابه؛ فمنهم من صرح بذلك، وقال: إن كلامه أنفع من كلام الله تعالى، وكتبه أهدى من كتب الله!!»<sup>(١)</sup>.

٢- أن جميع هذه الفرق إذا استشهدت بالأدلة النقلية؛ فإنها تستدل بالتشابهات، وتترك المحكمات: قال الإمام أحمد رحمته الله: «وكذلك الجهم وشيعته، دعوا الناس إلى التشابه من القرآن والحديث، وأضلوا بشراً كثيراً»<sup>(٢)</sup>.

٣- أن كتبهم مليئة بأقوال رجال نحلتههم، وبالمقدمات الفلسفية والمنطقية والمنامات، كل حسب منهجه: وكل الكتب التي صنفوها في باب العقائد تخلو من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فضلاً عن الآثار السلفية، «فالكتب المصنفة في مقالات الطوائف التي صنفها هؤلاء ليس فيها ما جاء به الرسول، وما دل عليه القرآن»<sup>(٣)</sup>.

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٩٤.

(٢) الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ١٩، المجموع ٢١٨/٤.

(٣) النبوات ص ٢٤٦، وانظر: شرح الأصبهانية ص ٢٨٤، ونظرة متأنية إلى كتب ابن سينا، والرازي، وأم البراهين، والعقائد النسفية، تبيك على أن القوم لا يحتجون بالقرآن والسنة إلا تبعاً، وأن الأصل عندهم أصولهم.

٤- عدم معرفتهم بحقيقة ما جاء به الأنبياء من البراهين والأدلة والمعجزات<sup>(١)</sup>:  
 فلهذا هم يجتهدون في بيان البراهين التي يظنون أنها تؤكد ما جاء به الأنبياء، وكل واحد يزعم أن برهانه أكد، وأن دليله أقوى، والحال: أن ما جاء به الأنبياء فيه الشفاء من كل عي، والدواء من كل داء.

٥- عدم علمهم بما عليه سلف الأمة من العقيدة المجمع عليها، بل وأحيانا يدعون الإجماع فيما يذهبون إليه، وعندما تتحرى تجد أن الإجماع على ضد ذلك ونقيضه، وأنى يكون لهم علم بالإجماع، وهم لا يعرفون أقوال السلف، ولا يهتمون بها، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «كتب أهل الكلام مشحونة بذلك، يحكون إجماعا ونزاعا، ولا يعرفون ما قال السلف في ذلك البتة، بل قد يكون قول السلف خارجا عن أقوالهم، كما تجد ذلك في مسائل أقوال الله وأفعاله وصفاته، مثل مسألة القرآن...»<sup>(٢)</sup>، وقال في موضع آخر: «عامّة هؤلاء المختلفين في الكتاب، لم يعرفوا القول السديد، قول السلف، بل ولا سمعوه، ولا وجدوه في كتاب من الكتب التي يتداولونها؛ لأنهم لا يتداولون الآثار السلفية، ولا معاني الكتاب والسنة»<sup>(٣)</sup>.

٦- أن جميع الفرق لا تنتسب إلى السلف الصالح، ولا إلى أهل العلم المعروفين بالعلم والتقوى، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن انتسب منهم إلى أحد العلماء المعروفين، فذلك ليس لكونه مذهبا له، وإنما فعل ذلك ترويجا لبضاعته<sup>(٤)</sup>.

٧- أن جميع أهل البدع عملت بمعول هدم الدين بتحريف وليّ الأدلة الظاهرة، التي تدل على بطلان قولهم ومذهبهم: فإذا عمدوا إلى الأدلة النقلية؛ فإنهم يعملون على تحريفها، وتغيير معانيها؛ ولا يرجعون إلى السلف في فهم هذه النصوص؛ «لأنهم لا يتداولون الآثار السلفية، ولا معاني الكتاب والسنة إلا بتحريف بعض المحرفين

(١) انظر: النبوات ص ٢٤٦.

(٢) المجموع ٢٥/١٣.

(٣) المجموع ٣٠٩/١٢.

(٤) انظر: المجموع ٧٩/٥.



لها»<sup>(١)</sup>؛ فأهل الضلال والبدع «يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل، ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعاً لها؛ فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم، ويقولون: نفسر القرآن بالعقل واللغة، يعنون أنهم يعتقدون معنى بعقلهم ورأيهم، ثم يتأولون القرآن عليه، بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه»<sup>(٢)</sup>.

٨- أن ما يستشهدون به؛ يختلفون فيه، فهذا يؤوله على معنى، والآخر يرده، سواء كان دليلاً عقلياً - وهو الأصل عندهم - أو نقلياً: فصدق فيهم أنهم يختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] فكل واحد ادعى في آياته ما ينفيه الآخر؛ فهذا يوجب التأويل، وهذا يحسنه، وهذا يأمر بالتفويض، وهذا يأمر بالتخييل، وهذا ينهى عنه، وهذا يخبر بالتجهيل ويأمر به!!!<sup>(٣)</sup>، ويصدق على أهل البدع قول الله ﷻ: ﴿إِنْ كُنْ لَكُمْ لُغِي قَوْلٌ مُخْتَلَفٌ يُؤْفَكُ عَنْهُ مِّنْ أُولَئِكَ فَكُلٌّ خَرَصُونَ﴾ [الذاريات: ٨-١٠] «يعلم الذكي منهم، والعاقل: أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست بيينة، وإنما هي كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا، وكل كاسر مكسور»<sup>(٤)</sup>

٩- أنهم حين النزاع لا يردون الأمر إلى الكتاب والسنة: كما أمرنا الله ﷻ، بل كل واحد يدعي وجوب الرجوع إلى قواعده، وما عليه نحلته، فلا يعملون بقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] فلا يرفع الخلاف إلا الكتاب والسنة، وأما الآراء العقلية، والأذواق النفسية، والمنامات

(١) المجموع ٣٠٩/١٢.

(٢) المجموع ٣٥٥/١٧، وانظر منه ٤٤٥.

(٣) انظر: الصفدية ١/٢٩٤، شرح الأصبهانية ص ٣٧٨، ٣٨٤، ٣٨٨، النبوات ص ٢١٨، المجموع ٢٤/١٢.

(٤) المجموع ١١٩/٥.

الخيالية؛ فإنها تزيد من الفرقة، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]

«فهذه النصوص وغيرها، تبين أن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب لبيان الحق من الباطل، وبيان ما اختلف فيه الناس، وأن الواجب على الناس اتباع ما أنزل إليهم من ربهم، ورد ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة، وأن من لم يتبع ذلك كان منافقا، وأن من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى»<sup>(١)</sup> فغالب أهل البدع «لا يعلمون معاني القرآن، فضلا عن الحديث، بل كثير منهم لا يحفظون القرآن أصلا؛ فمن لا يحفظ القرآن، ولا يعرف معانيه، ولا يعرف الحديث، ولا معانيه، من أين يكون عارفا بالحقائق المأخوذة عن الرسول!! وإذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلها كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب كانت بالقرآن والحديث أعرف وأعظم عناية، وإذا كانت عن الله وعن رسوله أبعد، كانت عنهما أنأى، حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية؛ فقال: لا نسلم صحة الحديث، وربما قال: لقوله ﷺ كذا، وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر»<sup>(٢)</sup>.

١٠- أن جميع أهل البدع ليسوا على قدم ثابت في المعتقد: ولا على رسوخ في دينهم؛ فالיום يمانى، وغدا شامى، فتجده مع الجهمية يوما، ومع المعتزلة أخرى، ومع الفلاسفة تارة، ومع المتكلمين تارة<sup>(٣)</sup>، ومع المتصوفة تارة، ومع أهل السنة أحيانا، فهذا الغزالي لما ألف كتابه المسمى بإحياء علوم الدين<sup>(٤)</sup> لم يستقر فيها مع أحد؛ «فتكلم في علوم الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها، ولا خبير بمعرفتها؛

(١) المجموع ١٧/ ٣٠٣.

(٢) نقض المنطق ص ٨٢، وانظر نقض المنطق ص ٦٠، النبوات ص ٢٤٧، وقد وقع لي هذا مع بعض أهل البدع، يستشهد بأية ويظنها حديثا، والعكس بالعكس!!

(٣) انظر: الصفدية ٢/ ١١٣.

(٤) وهو بإماتة علوم الدين أشبه، كما نقل ذلك الذهبي في السير ١٩/ ٤٩٥.

فسقط على أم رأسه؛ فلا في علماء المسلمين قرّ، ولا في أحوال الزاهدين استقر، ثم شحن كتابه بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتاباً على وجه بسيط الأرض أكثر كذباً على الرسول ﷺ منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ورموز الحلاج، ومعاني رسائل إخوان الصفا...»<sup>(١)</sup>.

١١- أن عامة هؤلاء أصحاب البدع واقعون في الخيرة والشك: بل منهم من يقر بالصواب الذي عليه السلف؛ كما حصل لكثير منهم حال النزاع<sup>(٢)</sup>، وهذا يدل على صحة معتقد السلف وبطلان مذهب الخلف، أيا كان هذا الخلف، يقول ابن بدران رحمه الله: «لما من الله علي بطلب العلم هجرت له الوطن والوسن، وكنت أبكر فيه بكور الغراب، وأطوف المعاهد لتحصيله، وأذهب فيه كل مذهب، وأتبع فيه كل شعب، ولو كان عسراً، أشرف على كل يفاع كل غور؛ فتارة أطرح بنفسي فيما سلكه ابن سينا في الشفاء والإشارات، وتارة أتلقف ما سبكه أبو نصر الفارابي من صناعة المنطق وتلك العبارات، وتارة أجول في مواقف المقاصد والمواقف، وأحياناً أطلب الهداية ظناً مني أنها تهدي إلى رشد؛ فأضم إليها ما سلكه ابن رشد، ثم أردد في الطبيعي والإلهي نظراً، وفي تشريح الأفلاك أتطلب خبراً أو خبراً، ثم أجول في ميادين العلوم مدة كعدد السبع البقرات العجاف؛ فأرتد إلى الطرف خاسئاً وهو حسير، ولم أحصل من معرفة الله ﷻ إلا على أوهام، وخطرات وسائوس وأشكال، تنشأ من البحث والتدقيق؛ فأدفعه بما أقنع نفسي بنفسي؛ فلما هممت في تلك البيداء... ناداني منادي الهدى الحقيقي: هلم إلى الشرف والكمال، ودع نجاة ابن سينا الموهومة إلى النجاة الحقيقية، وما ذلك إلا بأن تكون على ما كان عليه السلف الكرام من الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ فإن الأمر ليس على ما تتوهم، وحقيقة الرب لا يمكن أن يدركها المربوب، وما السلامة إلا بالتسليم، وكتاب الله حق، وليس بعد الحق إلا

(١) السير ٤٩٥/١٩، وهو منقول من كلام الإمام الطرطوشي رحمه الله.

(٢) انظر: نقض المنطق ص ٦٠.

الضلال؛ فهناك هدأ روعي، وجعلت عقيدتي: كتاب الله، أكمل علم<sup>(١)</sup> صفاته إليه بلا تجسيم<sup>(٢)</sup>، ولا تأويل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، وانجلي ما كان على قلبي من ران، أورثته قواعد أرسطوطاليس...»<sup>(٣)</sup>.

١٢- أن جميع المخالفين عندهم نوع إقرار بالشرع: وإلا عدوا من الكفار، ولهذا الإقرار تجدهم لما بنوا عقائدهم على ضلالات، وكانت تخالف القرآن والسنة - وهم آمنوا بها، ولو تنزيلا - سعوا إلى الجمع بينها، تارة بالتأويل، وتارة بالتجهيل، وتارة بالتخييل، وتارة بنوع رد، ومعارضة بأخرى<sup>(٤)</sup>، فكل مخالف من أهل البدع عنده نوع إقرار، مع أن الإعراض هو الغالب عليه.

١٣- أن جميع هذه الفرق المخالفة للسلف، إنما كان سبب نشوءها أحد ثلاثة أمور: الأول: قصد إفساد الدين، وكثير من هؤلاء منافقون زنادقة<sup>(٥)</sup>. الثاني: الزيادة في الدين بإثبات ما لم يرد في الشرع. الثالث: النقص من الدين بنفي بعض ما ورد في الشرع<sup>(٦)</sup>، وبعد ذكر أهم ما يجمع هؤلاء؛ فإني أشرع في بيان تفاصيل خباياهم، والتعريف بأهم الفرق وبيان دعاواهم - في الفصول التالية -، وأبدأ بأقدمهم سلفا، وهم الفلاسفة.

(١) ظاهره أنه يريد ﷺ علم كصفات الصفات، بدليل السياق بعد، ولا يقصد علم معاني الصفات؛ لأنها معلومة.

(٢) لفظ الجسم من الألفاظ المجملة، فلا ينبغي إثباتها بإطلاق، ولا نفيها بإطلاق، وإنما ينظر إلى المعنى ثم يثبت المعنى إن كان حقا، وينفى المعنى إن كان باطلا، ويتمسك بالألفاظ الشرعية الواردة في وصف الله تعالى.

(٣) المدخل لابن بدران ص ٤٢، ولقصة رجوعه إلى عقيدة السلف تكملة، انظرها في الموضع المشار إليه.

(٤) انظر: نقض المنطق ص ٧٥.

(٥) انظر: المجموع ١٢/ ٤٩٧.

(٦) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٥.

### المبحث الأول: التعريف بهم، وبيان أقسامهم

التعريف بالفلاسفة وبيان أقسامهم يمهد الطريق لبيان معرفتهم، ومعرفة منزلة القرآن عندهم، ولبيان معرفتهم أقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

#### المطلب الأول: التعريف بالفلاسفة.

الفلاسفة اسم جنس يشمل كل من اشتغل بالفلسفة وأحبها<sup>(١)</sup>، فهو عَلَمٌ على طائفة تنتسب إلى "الفَلَسَفَة"، وهي كلمة أعجمية<sup>(٢)</sup>، وقد "تفلسف"، أي صار "فيلسوفاً"، واسم الفاعل منه: "فَيْلَسُوف".

وأصل الفلسفة عند الأعاجم اليونانيين معناها: «محبة الحكمة، والفيلسوف هو: فيلا وسوفا، وفيلا هو الحب، وسوفا: الحكمة؛ أي هو محب الحكمة»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: «اشتقاق كلمتي فلسفة وفيلسوف مأخوذتان من: "فيلوس" ومعناها: محب، و"سوفيا" ومعناها: الحكمة؛ فمعنى فيلسوف: محب الحكمة»<sup>(٤)</sup>، وهذا أدق من الأول، إذ وصف الحب إنما يكون لاسم الفاعل، وهو الفيلسوف، ولا يكون المحب وصفا لاسم الشيء نفسه، وهو هنا المفعول.

وقيل: معنى «يتفلسف: أنه يبحث في ماهية الأشياء وأصولها، وعلاقة بعضها ببعض»<sup>(٥)</sup>، وإذا كان هذا التعريف صحيحاً - وهو كذلك -، فكم سيكون ضلال هذه

(١) انظر: دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ص ١٢٠.

(٢) انظر: لسان العرب ٣١٩/١٠.

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٢، دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ص ١١٩.

(٤) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين ص ١٩.

(٥) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٦.

هذه الفرقة الفلسفية، إذ هي تبحث عن ماهية الأشياء، ومعنى ذلك أنها ستبحث عن ماهية ذات الله ﷻ الذي أمرنا أن لا نبحث في ماهيته، وإنما نعرفه بصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأوامره، وشرعه، وأما ذاته فغيب محجوب، وماهيته فسر غير مكشوف، ومهما بلغ العقل فإنه لا سبيل له إلى أن يدرك حقيقة ذات الله ﷻ، وكيفيته، قال شاعر أهل السنة:

لا تفتكر في ذات ربك، واعتبر فيما به يتصرف الملوان  
والله ربي ما تُكَيِّف ذاته بخواطر الأوهام والأذهان<sup>(١)</sup>

وقال شيخ الإسلام ﷺ في بيان معنى الفلسفة: «الفلسفة لفظ يوناني، ومعناها: محبة الحكمة، والفيلسوف في لغتهم محب الحكمة، ولهذا يقولون: "سوفستيا"، أي: حكمة موهمة، ثم كثرت في الألسنة؛ فقليل: سفسطة، أي: حكمة موهمة»<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني أن الفلسفة تعني الحكمة المشوبة، ولا ريب أن في الفلسفة بعض ما يحمد كما هو الحال في الطبيعيات، والرياضيات، وفيها باطل مشوب بالحق، كما هو الحال في الإلهيات.

وأما الفلسفة في اصطلاح القوم فهي: «التشَبُّه بالإله بحسب الطاقة البشرية، لتحصيل السعادة الأبدية...»<sup>(٣)</sup>.

وبناء على أن الحكمة هي الفلسفة عرفت بتعريف آخر، وهو أن الفلسفة: «خروج النفس الإنساني إلى كماله الممكن في جزأي العلم والعمل»<sup>(٤)(٥)</sup>.

(١) نونية القحطاني ص ٤٦.

(٢) الصفدية ٣٢٣/٢.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ١٦٩، دستور العلماء ٣/٣٢.

(٤) من كلام ابن سينا، كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٤٢٨.

(٥) وتسمية الفلسفة بالحكمة معروفة عند قدماء اليونان وغيرهم، وسار عليه فلاسفة المسلمين، ولذلك يبدوون كتبهم بذكر الآية التي فيها ذكر الحكمة، كما فعل محقق كتاب: النجاة لابن سينا ١/ ص (ج)،

وقيل في تعريف المتسبين إليها اصطلاحاً، هم: أصحاب المنطق، والبرهان!!<sup>(١)</sup>.

ونخلص من هذا، أن الفلاسفة هم: المتشبهين بالإله عن طريق المنطق والبرهان العقلي، وهم أقسام وأبينها في المطلب التالي.

وغيره، ويؤولون الآية على الحكمة اليونانية. انظر: دستور العلماء ٣٢/٢، ومعلوم أن الحكمة في الكتاب والسنة؛ المقصود بها: السنة النبوية المطهرة، وما جاء به النبي المبارك ﷺ، وما يفهم من الآيات والسنن، والحكمة في الآيات مقصورة على ذلك؛ فكأنه إشارة - والله أعلم - إلى أن هذا هو الحكمة التي ينبغي أن يعرفها الحكماء، وأن يتنافس فيها العقلاء، لا الحكمة - المزعومة - اليونانية العجماء، أو الفلسفة اليونانية الصماء، قال تعالى خبراً عن إبراهيم عليه السلام أنه دعا فقال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١] ففي الآية الأولى إخبار بأن التزكية إنما تحصل بحكمة الأنبياء، لا بحكمة الفلسفة ولو كانوا بلغاء، وفي الآية الثانية أمر بتذكر الحكمة الإلهية التي أظهرها الله ﷻ بواسطة الأنبياء. وانظر: دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ص ١١٩.

(١) انظر: المنقذ من الضلال للغزالي ص ٨٩، المجموع ٥٥/٢، وشرح الأصبهانية ص ٥٠٩.

## المطلب الثاني: بيان أقسام الفلاسفة.

إن بيان الأقسام إنما يكون باعتبارات عدة، ولهذا ينبغي أن نبين الأقسام باعتباراتها؛ فالفلسفة باعتبار أنها تبحث عن الحكمة؛ فهي تنقسم إلى قسمين<sup>(١)</sup>:

الحكمة القولية: وهي العقلية؛ ويدخل فيها الحدود والتعريفات وبراهين الاستقراء، وقد اختلفت الفلاسفة في هذه الحكمة القولية العقلية اختلافا كبيرا، مع أن الأوائل منهم كانت تعريفاتهم محصورة في الطبيعيات والإلهيات، ثم زادوا الرياضيات، وهؤلاء قسموا العلوم إلى ثلاثة أنواع: الأول: علم الماهية، وهو ما يطلب فيه ماهيات الأشياء، وهو العلم الإلهي. الثاني: علم الكيفيات، وهو: العلم الذي يطلب فيه كيفيات الأشياء، وهو العلم الطبيعي. الثالث: علم الكميات، وهو: العلم الذي يطلب فيه كميات الأشياء، وهو العلم الرياضي. ونشأ عن هذا العلم علم المنطق، الذي سمي بالتعليمات، أو آلة العلوم!! وهذا الذي انبهر به الفلاسفة المتكلمون، وصاروا عليه سواء منهم الفلاسفة البحتة، أو الفلاسفة المناطقة.

الحكمة الفعلية: وهي كل ما يفعله الحكيم لغاية كماله، وهذا الذي صار عليه الفلاسفة الصوفية.

وينقسم الفلاسفة من حيث نشأتهم وبلدانهم إلى أقسام<sup>(٢)</sup>:

١ - فلاسفة الهند، من البراهمة، وهم لا يقولون بالنبوات أصلا، وهم الذين عرف عنهم الفلسفة في حب الخير ونشره والتشبه بالإله!!<sup>(٣)</sup>.

٢ - فلاسفة الفرس (المجوس).

٣ - فلاسفة العرب، وهم قليلون، وربما قالوا بالنبوات.

(١) انظر: هذا التقسيم بشيء من التفصيل في الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٢ وما بعدها.

(٢) الأقسام استقتتها من كتاب الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٤.

(٣) وقد ترجم ابن المقفع كتاب كليله ودمته مع أنه كتاب فلسفي بحث يدعو إلى الفلسفة الهندية.



٤- فلاسفة اليونان (الروم)، وهم أصل فلاسفة اليوم، وقد ترجمت كتبهم، ودرست، وراجت في كثير من المدارس والمناهج.

٥- فلاسفة المسلمين<sup>(١)</sup>.

وينقسم الفلاسفة إلى قسمين من حيث نظرهم إلى العقائد والدين<sup>(٢)</sup>:

١- الفلاسفة الطبيعيون، أو (الدهريون) وهم الذين ينكرون وجود الخالق، ويعتقدون بأنه لا إله والحياة مادة، وقد يسمون بالماديين.

٢- الفلاسفة الإلهيون، وهم (المشاؤون)، وهم أتباع أرسطو، وكان يلقي الدروس وهو يتمشى فليلهم: المشاؤون، وهؤلاء يثبتون وجود الخالق إثباتاً كلياً، لا إثباتاً حقيقياً، فيقولون: «إن للعالم مبدعاً، لا تدرك صفته العقول من جهة هويته، وإنما يدرك من جهة آثاره!! وهو الذي لا يعرف اسمه!! فضلاً عن هويته إلا من نحو أفاعيله وإبداعه وتكوينه الأشياء؛ فلسنا ندرك له اسماً من نحو ذاته، بل من نحو ذاتنا!!»<sup>(٣)</sup>، وربما قالوا بالحللول، لأنهم يقولون بالتشبه بين الخالق والمخلوق<sup>(٤)</sup>، إذا صفى عن الأكدار!! ف «ما من موجود في العالم العقلي، والعالم الحسي إلا وفي ذات

(١) وهؤلاء هم الذين يهمن أمرهم، ومجادلة أقوالهم، ومن أشهر هؤلاء: ١- يعقوب الكندي ٢٦٠هـ. ٢- أبو نصر الفارابي ٣٣٤هـ. ٣- إخوان الصفا (منتصف القرن الرابع الهجري). ٤- أبو علي بن سينا ٤٢٨هـ.

٥- أبو حامد الغزالي (في طور) ٥٠٥هـ. ٦- أبو بكر بن طفيل ٥٣١هـ، صاحب كتاب "حي بني يقظان". ٧- محمد بن أحمد بن رشد "الحفيد" القرطبي ٥٩٥هـ. ٨- عبد الرحمن ابن خلدون ٨٠٨هـ،

صاحب المقدمة. انظر: مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٢٣-١٣٧. وهناك آخرون يتأرجحون بين

الفلسفة وعلم الكلام؛ فلا تستطيع أن تصنفه إلا باعتبار مؤلف، أو فترة زمنية من حياته.

(٢) وقسمهم صاحب كتاب: مبادئ الفلسفة ترجمة أحمد أمين، ص ١٧٠، إلى أربعة أقسام، وهي: ١- مذهب

الجوهر الفرد. ٢- مذهب المؤلثة. ٣- مذهب العقليين. ٤- مذهب الحللول. ولا شك أن الأول

والثالث واحد في المآل، وهو القول بإنكار الإله حقيقة، وإن كانوا يثبتونه اسماً. وكذلك الثاني والرابع

قولهما واحد، وهو إثبات الإله مع اختلاف في ماهيته.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٥، وانظر: مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٤٦ وما بعدها.

(٤) انظر: مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٦٦، ١٦٨.

العنصر صورة له، ومثال عنه»<sup>(١)</sup>، وهؤلاء الإلهيون اشتهر عنهم: القول بأن العقل الأول الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، والقول: بأن الخالق والمادة أزليتان<sup>(٢)</sup>.

وأما فلاسفة المسلمين فيزعمون أنهم على طريقة الإلهيين، وهؤلاء الفلاسفة - أعني المتسبين إلى الإسلام - ينقسمون إلى ثلاثة مناهج<sup>(٣)</sup>، وهي:

١- أصحاب الفلسفة المحضة<sup>(٤)</sup>.

٢- أصحاب الفلسفة الراضية<sup>(٥)</sup>.

٣- أصحاب الفلسفة الصوفية<sup>(٦)</sup>.

والفلاسفة المتمسلمون هم الذين سعوا في الخلط بين الفلسفة والدين، وإلا كان أول الأمر معزولا إذ غالب كلام الفلاسفة في الطبيعيات، وكلام الشرع في الإلهيات، فمنهم ابن سينا<sup>(٧)</sup>، وابن رشد الحفيد، وأمثالهما أصول هؤلاء بطريقة الأنبياء، ويظهرون أن أصولهم لا تخالف الشرائع النبوية، وهم في الباطن لا يقرون إلا أن ما جاء في الشرع تخيلات تسييرية وتصورات تقريبية، وليست بحقيقية<sup>(٨)</sup>، فهم

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٦.

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ٣٧٩، ٣٨٣ وما بعدها، ٤٣٧، ٤٤٣.

(٣) انظر: الدرء ١٠/ ٢٨٢، معتقد أهل السنة والجماعة في أساء الله الحسن، لشيخنا أ.د. محمد بن خليفة التميمي ص ١٣، ومقالة التعطيل له أيضا، ص ٢٤.

(٤) وأشهر من يمثل هذه المدرسة هو الفارابي، والسهورودي، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «والسهورودي الحلبي المقتول، سلك النظر والتأله جميعا؛ لكن هذا صابغ محض، فيلسوف لا يأخذ من النبوة إلا ما وافق فلسفته». المجموع ٥٧/ ٢.

(٥) ومن أشهر هؤلاء الحسين بن سينا، وإخوان الصفا.

(٦) ومن أشهرهم، بل هو رئيسهم: ابن عربي النكرة، وابن سبعين، وابن التلمساني، وهم النكرات.

(٧) قال ابن القيم رحمته الله:

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعا للمسلمين بإفك ذي بهتان...

ومضى على هذي المقالة أمة خلف ابن سينا فاغتذوا بلبان

منهم نصير الكفر في أصحابه الناصريين مللة الشيطان

نونية ابن القيم بشرح الشيخ محمد خليل هراس ١/ ١٤٥، ١٤٩.

(٨) انظر: الصغدية ١/ ٢٣٧، دعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس ص ٢٢٩.

راموا الجمع بين أقوال المتفلسفة المخالفين للرسول، وبين ما جاءت به الرسل<sup>(١)</sup>، وزعموا أن الفلسفة مهمة، كما يقوله ابن رشد: «إن كان فعل الفلسفة ليس شيئا أكثر من النظر في الموجودات<sup>(٢)</sup>، واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإن الموجودات إنما تدل على الصانع لمعرفته صنعتها، وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم»<sup>(٣)</sup>، ومعلوم أن الفلسفة ليست من الدين في شيء، ولهذا فهو من المحدثات، والفلسفة التي يسميها أهلها بالحكمة لا يمكن أن تجتمع مع الشرع أبدا، بل هي متعارضة معه ندا، ولذا شُنت عليهم الأقوال، وصرح بكفر الفلسفة وآرائها رجال، يقول ابن رشد مبينا عدم توافق الشرع والفلسفة: «فصار الناس بسبب هذا التشويش والتخليط فرقتين: فرقة انتدبت لدم الحكماء والحكمة، وفرقة انتدبت لتأويل الشرع، وروم صرفه إلى الحكمة، وهذا كله خطأ<sup>(٤)</sup>، بل ينبغي أن يقرر الشرع على ظاهره، ولا يصرح للجمهور بالجمع بينه وبين الحكمة؟؟ لأن التصريح بذلك هو تصريح بنتائج الحكمة لهم، دون أن يكون عندهم برهان عليها، وهذا لا يحل، ولا يجوز»<sup>(٥)</sup>.

فإذا كان هذه هي الفلسفة التي ينتسب إليها فلاسفة المسلمين، وهذا حالهم؛ فكيف يكون تعظيمهم للقرآن الكريم، هذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) انظر: المجموع ١٧/١٦٥.

(٢) لكن يتبين من التعريفات الماضية أن الفلسفة لم تقف عند حد النظر في ماهية الطبيعيات، بل قد نظرت في الأديان والإلهيات؛ مجردة بعقولها عن الشرعيات؛ فلذلك ضلت، وأضلت.

(٣) فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال ص ١١.

(٤) فالفلسفة والشرع لا يجتمعان؛ وكيف يمكن الجمع بين ما فيه حياة الروح وما فيه موته وهلاكه، وأما قول ابن رشد بعد هذا النص: إن الواجب إقرار الشرع على ظاهره للعوام، واعتقاد الفلسفة في الباطن للحكماء!! فهذا نوع جمع صار إليه هو وأمثاله، وهو من باب التلبيس، حتى لا يظهر حالهم في التدليس، وأنهم دعاة إلى النار مع إبليس، إذ قالوا: الفلسفة للخاصة، والشرع للعامة!!

(٥) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٩١-٩٢.

### المبحث الثاني: عدم تعظيمهم للقرآن

إن فلاسفة المسلمين يقرون بأصل الرسالة، لكن يجعلون النبي ﷺ بمنزلة الملك العادل الذي وضع قانونا لشعبه، أو يقولون: «إن الرسالة للعامة دون الخاصة، أو في الأمور العملية دون العلمية!! أو في الأمور التي يشترك فيها الناس دون الخصائص التي يمتاز بها الكمل».

ويقرون برسالة محمد ﷺ من حيث الجملة ويعظمونه، ويقولون: اتفق فلاسفة العالم على أنه لم يرد إلى الأرض ناموس أعظم من ناموسه، لكنهم يكفرون ببعض ما جاء به: مثل أن يسوغوا اتباع غير دينه من اليهودية والنصرانية، وقد يسوغون الشرك أيضا للعامة أو للخاصة...، وقد يكذبون في الباطن بأشياء مما أخبر بها...

وقد يزعمون أن حقيقة العلم بالله تؤخذ من غير ما جاء به الرسول، وإن من الناس من يكون أعلم بالله منه، أو أفضل منه!!<sup>(١)</sup>.

وقد يعترفون بفضل القرآن الكريم، ويقولون: إنه أفضل من غيره - وإن كانوا يقولون: إنه كقول البشر، - كغيره من الكتب - كما أن بعض البشر أفضل من بعض، وهذا الذي جعلهم لا يعظمون القرآن حق تعظيمه، حتى قال التلمساني<sup>(٢)</sup>: «كلامنا يوصل إلى الله، والقرآن يوصل إلى الجنة...، ويقول كثير منهم: إن القرآن للعامة، وكلامنا للخاصة!!!»<sup>(٣)</sup>.

(١) المجموع ١٢/٣٣٦-٣٣٧، وانظر: الصفدية ١/٢٠٣.

(٢) هو الصوفي الكبير، والحلوي الخطير: سليمان بن علي بن عبد الله بن علي العابدي المعروف بالعفيف التلمساني!!، من مؤلفاته: شرح فصوص الحكم، المواقف في التصوف، توفي سنة: ٦٩٠ هـ انظر: معجم المؤلفين ٤/ ٢٧٠.

(٣) المجموع ١٢/٢٤.

ويقولون بأن القرآن جاء بما هو خيال حتى لا ينفر العوام<sup>(١)</sup>، ومنهم من يقول: بأن القرآن ظاهره للعوام، وأما الخواص فلم يكلفوه، يقول الغزالي: «لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد؛ فأما البحث والتفتيش، وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلاً»<sup>(٢)</sup>.

فالمبتدعة عموماً، وأهل الفلسفة والمنطق خصوصاً: تعلموا القواعد المنطقية والفلسفات، قبل تعلمهم لكتاب رب الأرض والسموات، وقبل تعلمهم لسنة خير البريات، ولهذا كان منهم نفي الصفات، والوقوع في تحريف الآيات<sup>(٣)</sup>، ويدل على عدم تعظيم الفلاسفة للقرآن الكريم أمور منها:

١- أن القرآن الكريم ثبت فيه ذكر أن هناك ملائكة، وأن هناك جناً، وهؤلاء لا يشبّهون شيئاً من ذلك، فخالقوا طوائف المسلمين، وصريح ما دل عليه القرآن المبين، حيث قالوا: «الملائكة عبارة عن العقول المجردة والنفوس الفلكية»<sup>(٤)</sup>، و«هؤلاء يلزمهم إقامة دليل على النفي، ولا دليل لهم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩]، وهذا مما ينبغي أن يعرف؛ فإن عمدة هؤلاء النفي والتكذيب بلا علم»<sup>(٥)</sup>.

٢- يسمون ما تنتجه العقول من القواعد والأصول: براهين، وأما نصوص الشرع الواردة، فإنها تكون براهين إذا لم تخالف هذه الأصول الموضوعية، التي جاؤوا بها مخالفين لكلام رب العالمين، يقول ابن رشد: «فواجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي، وبين أن هذا النحو من النظر الذي دعا إليه الشرع، وحث عليه، هو أتم أنواع النظر، بأتم أنواع القياس، وهو المسمى برهاناً»<sup>(٦)</sup>. ثم بدأ

(١) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال ص ٢٧.

(٢) الإحياء للغزالي ١/ ١٥٢.

(٣) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٤٨٥.

(٤) الدر التنزيدي لابن الحفيد ص ٣٤٧، وانظر: الصفدية ١/ ٢٠١.

(٥) الصفدية ١/ ١٦٦ بشيء من التصرف.

(٦) فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال ص ١٢، ويؤكد بأن القياس البرهاني الفلسفي المنطقي

يقيني، وأنه لا يقبل الخطأ!! انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال ص ١٨.

يذكر كيف تعرف البراهين، وأنواع الأقيسة، وما هو القياس، حتى يتوصل بزعمه إلى معرفة الصانع<sup>(١)</sup>، بل أوجب النظر في كتب المتقدمين حتى يحصل اليقين في رب العالمين!! وهو يعني بكتب المتقدمين كتب الفلاسفة اليونانيين<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني أن معرفة رب العالمين لا تحصل بها دل عليه القرآن الكريم؛ فأني تعظيم هذا لكتاب الله ﷻ المنزل؟؟؟.

٣- ولأجل عدم العار عليهم والشنار في أقوالهم البدعية الفلسفية، وما قاله مشايخهم من الأصول الكفرية، تراهم يبررون أقوالهم بشتى الآراء، ولو خالفت صريح القرآن، ومن ذلك مخالفة الفلاسفة للقرآن الكريم في إثبات المعاد، فهم يرون أن المعاد وبعث الأجساد لا يكونان إلا على سبيل التخيل، لا على الحقيقة<sup>(٣)</sup>، وأراد ابن رشد أن يخفف من وطأة هذه المسألة التي شنع العلماء بها على الفلاسفة، فزعم أن المعاد الجسماني أمر مختلف فيه!!! مع أن صريح القرآن والسنة، بل والشرع كله، بل الأديان الموروثة من الأنبياء كلها تقر بالبعث الجسدي، وأنه على الحقيقة دون الخيال العقلي؛ فهذا ابن رشد بعد أن بين أن من الشرع ما يجب تأويله!! ومن الشرع ما لا يجوز تأويله وقسم مختلف فيه!!، ذكر مسألة المعاد فقال: «فمن أي المراتب الثلاث، هو عندكم ما جاء في صفات المعاد، وأحواله؟، فنقول: إن هذه المسألة الأمر فيها بين أنها من الصنف المختلف فيها...، ويشبه أن يكون المخطئ في هذه المسألة من العلماء معذورا...، وأما من كان من غير أهل العلم فالواجب في حقه حملها على الظاهر، وتأويلها في حقه كفر؛ لأنه يؤدي إلى الكفر، ولذلك نرى أن من كان من الناس فرضه الإيمان بالظاهر، فالتأويل في حقه كفر؛ لأنه يؤدي إلى الكفر»<sup>(٤)</sup>، وصرح الغزالي أن المؤول للقرآن ليس بكافر، وإن خرق الإجماع في التأويل، فليفعّل الباطنية والصوفية ما

(١) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال ص ١٣.

(٢) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال ص ١٥.

(٣) انظر: دستور العلماء ٢/ ٣٥.

(٤) فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال ص ٢٨.

يشاءون في نصوص الوحيين، بعد هذه الفتوى التي خرجت من الغزالي من غير روية أو بيينة<sup>(١)</sup>، كذلك الفلاسفة يزعمون أن الأنبياء جاؤوا بالأعمال التي «تفيد السعادة، وتجنب الأفعال التي تفيد الشقاء»<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني أن الأنبياء لم يأتوا لبيان المعاد والبعث والنشور والجنة والنار حقيقة، وأن الأنبياء هم رجال كمل جاؤوا بما يحقق السعادة، وإن كان مع ذلك عندهم شيء من التخيل، فإن ذلك تبع لغلبة العوام، وليس ذلك مقصودا استقلا لا!!!.

٤- ومن المعلوم أن القرآن بل الشرع كله دل على أن ما سوى الله من العالم فهو محدث مخلوق، وهؤلاء يزعمون أنه ليس محدثا مخلوقا!!، يقول ابن رشد: «فأما أن يقال لهم - أي لجمهور الناس -: إن عقيدة الشرع في العالم هي: أنه محدث، وأنه خلق من غير شيء، وفي غير زمان، ذلك شيء لا يتصوره العلماء فضلا عن الجمهور!!»<sup>(٣)</sup>. كيف لا يتصور الجمهور أن العالم مخلوق لله، وهو شيء يجده عامة الناس: مسلمهم وكافرهم في صدورهم من غير استدلال عليه، لكن إذا دنست العقول بالأفكار الفلسفية فيصعب تصور ذلك، ولو كان المتصور له عالما، ولا ريب أن العالم محدث مخلوق لله ﷻ خلقه في زمن، وأن هذا الزمن ليس قديما مع الله، والمادة المخلوقة منها العالم ليست قديمة مع الله كما تزعمه الفلاسفة، بل هو خلق لله ﷻ، فهؤلاء إذا رأوا آية من القرآن فضلا عن الأحاديث مخالفة لقواعدهم الفلسفية يقولون: «مقصود الرسول أن يخيل إلى الجمهور اعتقادا ينتفعون به في الدنيا، وإن كان كذبا وباطلا...، وحقيقة قولهم أن الرسل كذبت فيما أخبرت به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ لأجل ما رأوه مصلحة الجمهور في الدنيا»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد ص ٩٢.

(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال ص ٣٠، وانظر إليه كيف يقسم الناس إلى أهل الظاهر، ويسميهم بأهل التخيل، وأهل البراهين وهم أهل العلم بالحقيقة، ص ٣٣.

(٣) مناهج الأدلة لابن رشد ص ١١١.

(٤) منهاج السنة ١٠٩/٢.

٥- ومن عدم تعظيمهم للقرآن القول بأنه لا وجود لما جاء به القرآن من ذكر الجنة والنار... فهم لا بألفاظ القرآن والسنة أذعنوا، ولا لمعانيه انقادوا، فحرفوا الكلم عن مواضعه، بظن أن هذه الألفاظ غير مقصودة، وأن المراد بها المعاني البعيدة، ف « لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة؛ فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون: هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية، الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام، وطائفة ممن ضاهوهم من كاتب أو متطبب أو متكلم أو متصوف، كأصحاب رسائل إخوان الصفا، وغيرهم، أو منافق، وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان»<sup>(١)</sup>.

٦- كيف يكون الفلاسفة معظمين للقرآن وهم يعتقدون أنه جاء بالتخييل، وما يفيد الوهم<sup>(٢)</sup>، وأنه لا حقيقة في أعظم قضاياهم وهو الإيمان بالبعث والنشور، ونشر الأجساد من القبور، والمصير من دار الغرور إلى دار النار أو الحبور، ومن جملة مقالاتهم في بيان أن ما أخبر به الرسل إنما هي تخيلات: « النفوس إذا فارقت، وقد رسخ فيها نحو من الاعتقادات في العاقبة على مثل ما يخاطب به العامة، ولم يكن لهم معنى جاذب إلى الجهة التي فوقهم لإكمالها؛ فتسعد تلك السعادة، ولا عدم كمال فتشقى تلك الشقاوة، بل جميع هيئاتهم النفسانية متجهة نحو الأسفل، منجذبة إلى الأجسام، ولا بد لها من تخيل، ولا بد للتخييل من أجسام... فلا بد لها من أجرام سماوية تقوم بها القوة المتخيلة؛ فتشاهد ما قيل لها في الدنيا من أحوال القبر والبعث والخيرات الأخروية!!! وتكون الأنفس الرديئة أيضا تشاهد العقاب المصور لها في الدنيا وتقاسيه؛ فإن الصورة الخيالية ليست تضعف عن الحسية، بل تزداد تأثيرا كما تشاهد في المنام، وهذه هي السعادة والشقاوة»<sup>(٣)</sup>، فانظر بعين البصيرة، كيف جعل ما

(١) المجموع ٤/ ٣١٤، وانظر: المجموع ٥/ ١٦٨، ١٦٩/ ٤٤١.

(٢) انظر: النجاة في المنطق والإلهيات لابن سينا ٢/ ١٦٦-١٦٧، والصفدية لشيخ الإسلام ١/ ٢٠١.

(٣) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٥٤٤.



أخبر به الرسل وما أجمع عليه أهل الملل تخيلاً، وجعلها كالمنامات، وأن هذه هي السعادة، وهي الشقاوة!!، ويقولون فيما جاء به النبي ﷺ: «يدعو إلى التوحيد، ويمنعهم من الشرك، ويسن لهم الشرائع والأحكام، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن التباغض والتحاسد، ويرغبهم في الآخرة وثوابها، ويضرب لهم للسعادة والشقاوة أمثالا تسكن إليها نفوسهم!!، وأما الحق فلا يلوح لهم منه إلا أمرا مجملا!!»<sup>(١)</sup>؛ فإذا لم يكن القرآن قد بين الحق شافيا كافيا؛ فأى كتاب في الدنيا، وأي شيء يمكن أن يبين الحق؟!، أهم هؤلاء أذئاب الفلسفة اليونانية، أو الهندية!!؟.

٧- ويسخرون من العبادات التي جاء بها الأنبياء، وما يحصل لهم بها الأجر عند العقلاء؛ فيقولون عن الصلاة والصيام: «ثم تكريره عليهم العبادات ليحصل لهم بعده تذكّر المعبود بالتكرير، والمذكرات: إما حركات، وإما أعدام حركات تقضي إلى حركات؛ فالحركات كالصلوات، وما في معناها، وأعدام الحركات كالصيام، ونحوه، وإن لم يكن لهم هذه المذكرات، تناسوا جميع ما دعاهم إليه مع انقراض قرن أو قرنين»<sup>(٢)</sup>، وهذا يفيد أن الصلوات إنما هي للتذكير بالمتخيلات، حتى لا تُنسى، وليقوم العامة بالمصالح التي دعا إليها الأنبياء فحسب، وأما المعاد فأمرها تخييل!!<sup>(٣)</sup>.

٨- تسويتهم بين الرسول النبي والحكيم الفلسفي، قال الشهرستاني مبينا عقيدة الفلاسفة في تفريقهم بين النبي والحكيم الفلسفي!!: «الأنبياء ﷺ أيدوا بأمداد عقلية تقريراً للقسم العملي، ولطرف ما من القسم العلمي، والحكماء تعرضوا لأمداد عقلية تقريراً للقسم العلمي، ولطرف من القسم العملي؛ فغاية الحكيم هو أن يتجلى لعقله كل الكون، ويتشبه بالإله الحق تعالى وتقدس بغاية الإمكان!! وغاية النبي أن يتجلى له نظام الكون؛ فيقدر على ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم، وتتظم

(١) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٤٥٥، وانظر: المجموع ١٧/٣٥٦، ١٩/١٥٦.

(٢) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٤٥٥-٤٥٦.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص ٦٣٤.

مصالح العباد!!، وذلك لا يتأتى إلا بترغيب وترهيب، وتشكيل وتخيل!!!»<sup>(١)</sup>.

٩- وما يدل على عدم تعظيمهم لكتاب الله ﷻ وخطابه أنهم سعوا بالتأويلات الفاسدة، ومن تأويلاتهم الفاسدة التي تدل على عدم تعظيمهم للقرآن، وأن معاملتهم معها معاملة من يتعامل مع شيء ثانوي لا أساسي، يقول ابن رشد<sup>(٢)</sup> - بعد أن بين سبب إخفاء التأويلات الفلسفية، ووجوب ذلك -: «فقد تبين لك من هذا أنه ليس يجب أن تثبت التأويلات الصحيحة في الكتب الجمهورية، فضلا عن الفاسدة، والتأويل الصحيح هي الأمانة التي حملها الإنسان، فأبى أن يحملها، وأشفق منها جميع الموجودات، أعنى المذكورة في قوله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ جَهُولًا ظَلُومًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، فانظر - رعاك الله - كيف أول الآية تأويلا فلسفيا لم يعرفه علماء الإسلام قاطبة، فضلا عن السلف الصالح ومن اتبعهم من البقية الباقية، فهل الأمانة هي التأويلات الفاسدة؟؟؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم. هذا الكلام يصدر من فيلسوف من علماء الإسلام، مع أنه يعرف أن السلف الصالح ما عرفوا التأويل في آيات الكتاب العزيز، فكيف يسوغ لغيرهم ذلك، بل ويوجهه على الخاصة، فهل هم أعلم من أولئك؟؟؟ وانظر إليه وهو يقرر أن السلف ما عرفوا ذلك فيقول - رادا على نفسه، ومناقضا نفسه -: «فإن الصدر الأول إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الأقاويل دون تأويلات فيها، ومن كان منهم وقف على تأويل لم ير أن يصرح به، وأما من أتى بعدهم؛ فإنهم لما استعملوا التأويل قل تقواهم، وكثر اختلافهم، وارتفعت محبتهم، وتفرقوا فرقا»<sup>(٣)</sup>، وقطعا السلف لم يعرفوا التأويل، فعاشوا كما وصفهم ابن رشد بنفسه، والخلف لما عرفوا التأويل الفاسد، والفلسفة والمنطق عاشوا شذرا مذر كما نطق به قلمه.

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٣.

(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال ص ٣٥.

(٣) فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال ص ٣٧.

١٠- وما يدل على عدم تعظيمهم للكتاب العزيز وما دل عليه، أنهم يساوونه بزبالات الأفكار، وما أنتجت آراء الفلاسفة الأشرار، يقول ابن رشد عن الفلسفة التي يسميها بالحكمة: «الحكمة هي صاحبة الشريعة، والأخت الرضيعة، فالأذية ممن ينسب إليها أشد الأذية مع ما يقع بينهما من العداوة والبغضاء والمشاجرة، وهما المصطحبتان بالطبع، المتحابتان بالجواهر والغريزة!!»<sup>(١)</sup>؛ فأى تعظيم للقرآن بعد الجمع بين زبالات الأفكار وما جاء منزلا من الله العزيز الغفار!؟.

١١- ومن استهانهم بآيات القرآن الكريم ما يعتقدون من أن النبي بقوته المتخيلة يغير مجريات الأمور في العالم، ولهذا تظهر المعجزات، لا أن الله ﷻ فعل ذلك، يقول ابن سينا: «وقد تبلغ نفس إنسانية في الشرف إلى حد يناسب تلك النفوس؛ فتفعل فعلها، وتقوى على ما قويت هي!! فتزيل جبلا عن مكانه، وتذيب جوهرها فيستحيل ماء، وتجمد جسما سائلا فيستحيل حجرا...»<sup>(٢)</sup>، ويكفيك ما قد عرفت من أنهم يقولون في القرآن: إنه فيض يفيض على النبي ﷺ، من جهة العقل الفعال!!، لا أن هناك كلاما تكلم الله به، قائم به<sup>(٣)</sup>، فهل هذا القول يصدر عن يحترم آيات الله ﷻ، ويوقر معانيه، ويقف عند مبادئه؟؟.

وأما ما يظهرونه من تعظيم القرآن، فذلك ليس لكونه كلام الله ﷻ، وإنما لاعتبارات أخرى، ومنها:

أ- أنه جاء بخطاب جمهوري فيه سعادة البشر، وهذا يعني أنه كأى دستور، وكتاب فيه منافع عظيمة، فينبغي أن يعظم، لا لحقيقة نفسه، مع أن أهل السنة معظمون للقرآن لحقيقة كونه كلام الله ﷻ، وليس فقط لكونه دالا على ما فيه سعادة البشر.

(١) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٨.

(٢) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٤٨٥.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ٣٢٩.

ب- أنهم يعظمون القرآن لكونه دالا على كلام الله أو مؤشرا عليه، يقول ابن رشد: « وأن اللفظ الدال عليه مخلوق...، وأما الحروف التي في المصاحف، فإنها هي من صنعنا بإذن الله، وإنما وجب لها التعظيم لأنها دالة على اللفظ المخلوق لله، وعلى المعنى الذي ليس بمخلوق»<sup>(١)</sup>؟؟؟.

ت- أن من منع منهم التأويل في آيات القرآن الكريم، حتى يُظن أنهم معظمون له، وأنهم يردون على أهل الكلام المتأولين؛ فهذا ليس « لأجل الإيمان، والتصديق بمضمونها، بل لعلمهم بأنه ليس لها قانون مستقيم، وفي إظهارها إفساد الخلق؛ فيرون الإمساك عن ذلك مصلحة، وإن كان حقا في نفسه!!! وهؤلاء قد يقولون: الرسل خاطبوا الخلق بما لا يدل على الحق؛ لأن مصلحة الخلق لا تتم إلا بذلك!!»<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان هكذا تعظيم القرآن عندهم: تأويل لنصوصه وتحريف لمعانيه وعدم اعتماد عليه؛ فكيف يكون استدلالهم به، هذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) مناهج الأدلة ص ٧٣.

(٢) درء التعارض ٥ / ٣٨٠.

## المبحث الثالث

عدم الرجوع إلى القرآن والصدور عنه في العقائد

والرد عليهم

إن من الأمور الواضحة عند فلاسفة المسلمين عدم الرجوع إلى القرآن؛ والصدور عنه؛ فهم يرون أن القرآن والسنة بل جميع الأنبياء إنما جاؤوا بالتخييل، وهذا يعني أنه في جميع أموره لا حقيقة له، وأن كل ما جاء من علو الله ﷻ ونزول وحيه، والملائكة، والبعث والنشور، والجنة والنار، يرون أن ذلك كله من باب التخييل!!.

بل - بعد قراءة لبعض مقالات القوم - أجزم بأنهم لا يوافقون القرآن إلا في الرسم، وأما فيما يسمونه الإلهيات فلا؛ فكل مسألة عقدية لهم فيها كلام، اعتقادهم فيها على خلاف ما جاء في القرآن، حين التمعن والنظر الدقيق، كما بين ذلك علماء المسلمين.

وعلى أساس أن القرآن جاء بالتخييل!!، ويسمونه: الأسلوب الخطابي، أو الوعظي، بنى ابن رشد كتبه فهو يصرح بأن كل ما خالف الفلسفة (ويسمونها: الحكمة) فإن ذلك تخييل لمصلحة الجمهور، ويعني به عامة الناس، ونظرة واحدة إلى كتابه: فصل المقال، ومناهج الأدلة تدلك على شدة اعتقاده بالتخييل في نصوص القرآن، فضلا عن السنة، وقد سقت فيما مضى نصوصا تدل على ذلك.

وإذا تبين هذا فكيف يطلب منهم بعد ذلك أن يأخذوا عقائدهم من القرآن، وهم يصرحون أن هذا للجمهور البسطاء، والعامة الغوغاء، وليس للحكماء!!؟.

ويحتجون على أن القرآن لا يؤخذ منه شيء لأن ما فيه تصورات وتخيلات!!!.

ولما اعتقدوا أن نصوص الوحي جارية على التخيل، صاروا هم يعملون فيه بالتحريف - للخاصة - زاعمين أن هذا هو الطريق السديد، ويسمون بالتأويل الرشيد!! ويستدلون بالقرآن لنشر تليساتهم، فهم يستدلون بوجوب مخاطبة الجمهور بالتخيل بقول الله ﷻ: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٧] فيقولون: لا سبيل للجمهور إلى فهمها!! يعنون بذلك أن الصحابة العلماء الراسخين في العلم هم من الجمهور الذين تجب مخاطبتهم بالخيال!!، وأما هؤلاء الفلاسفة أذئاب اليونان فلا يروق لهم إلا التأويل الذي هو واجب العلماء!!.

ويقول ابن رشد بعد أن ذكر ما سبق: «وهنا أيضا ظاهر يجب على أهل البرهان تأويله، وحملهم إياه على ظاهره كفر، وتأويل أهل غير البرهان له، وإخراجه عن ظاهره كفر في حقهم، أو بدعة، ومن هذا الصنف آية الاستواء، وحديث النزول، ولذلك قال ﷺ في السوداء، إذ أخبرته أن الله في الساء [اعتقها فإنها مؤمنة]»<sup>(١)</sup> إذ كانت ليست من أهل البرهان!!»<sup>(٢)</sup>.

عجبا لابن رشد كيف يوجب التأويل على أهل البرهان ويقول: إن عدم التأويل في حقهم كفر، ثم يرى رسول الله ﷺ لا يؤول أم أنه ﷺ لم يكن عنده من أهل البرهان؟؟ أو أنه لم يكن بحجة وقوة أهل البرهان في البيان، فخاف على المرأة الافتتان، فسكت عن التأويل والبيان!!، ثم كيف يكون في نفس الوقت التأويل لغير أهل البرهان كفر أو بدعة!! إلا إذا اعتقد أن القرآن والسنة فيهما دينان، دين لعامة الناس، ودين للخواص!! ثم من هؤلاء الخواص هل هم الصوفية الغلاة، أم المتفلسفة أشباه المسلمين، أم المتكلمون المتهوكون؟.

ومن تأويلاتهم الفاسدة التي تدل على أنهم لا يقيمون لما دلت عليه النصوص الشرعية اعتبارا، أن الله ﷻ في أكثر من آية أخبر بأن النفخ في الصور كائن يوم القيامة،

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب/ تحريم الكلام في الصلاة...، ح(٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ.

(٢) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٢٧.

وأن ذلك إيدان بنهاية العالم، وهؤلاء يزعمون: « أن النفخ في الصور الذي هو سبب الصعقة وقوف الفلك!! »<sup>(١)</sup>.

ومن مخالفاتهم الصريحة للآيات والأحاديث الصحيحة أنهم يقولون: بأن الوحي يمكن أن يدرك إذا صفيت النفس، كما يقول ابن سينا: « إن بعض النفوس يقوى قوة لا تشغله الحواس، ولا تمنعه، بل يتسع بقوته للنظر إلى عالم العقل، والحس جميعاً؛ فيطلع إلى عالم الغيب؛ فيظهر له بعض الأمور مثل البرق الخاطف، وبقي التصور المدرك في الحافظة بعينه، وكان ذلك وحياً صريحاً »<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان هذا معتقدهم في الوحي؛ فكيف يحتاجون به بعد ذلك؟ طبعاً، لا يمكن الاحتجاج بها هو من باب المتخيلات!!.

ولا يحتاجون بالقرآن - في المسائل التي هي للخاصة - بزعم أن القرآن جاء بالطريقة الخطائية، وهو عري عن الطريقة البرهانية، أو مشتمل على قليل منها!!<sup>(٣)</sup>، يقول ابن سينا: « الشرائع واردة بخطاب الجمهور بما يفهمون، مقرباً ما لا يفهمون إلى أوهامهم بالتمثيل والتشبيه، ولو كان غير ذلك لما أغنت الشرائع البتة؛ فكيف يكون ظاهر الشرائع حجة في هذا الباب؟!!... - فهذا للخاصة -: أن ظاهر الشرع غير محتج به في مثل هذه الأبواب!! »<sup>(٤)</sup>.

والجواب عن هذا من وجوه:

١ - أن هذا مخالف للقرآن كله، من أوله إلى آخره، فالقرآن ملزم للناس كافة، وليس للعامة دون الخاصة، وفيه الهداية التامة للعامة والخاصة، والإيمان به واجب للعامة والخاصة؛ فكل من ادعى أنه يمكنه أن يخرج عن طريق وشرع محمد ﷺ؛ فهو

(١) مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٠٤.

(٢) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٤٨٤.

(٣) انظر: المجموع ٤٦/٢.

(٤) الأضحوية ص ٥٠.

مرتد عن الإسلام، وقد ناقض شرعة الرحمن<sup>(١)</sup>.

٢- أن هذا الكلام بعينه هو كلام الجهمية - بل وأشد منه - وقد علم القاضي والداني أن الجهمية لما عملت بمعول التأويل في النصوص تيقن العلماء أنهم زنادقة يريدون هدم الدين، وتخريب دين المسلمين، وأن منهم منافقون، وآخرين مغرورون، ولهذا قالوا: "الرد على الزنادقة والجهمية"<sup>(٢)</sup>؛ فعاب الأئمة عليهم «أنهم يفسرون القرآن بغير ما هو معناه، ولم يقل أحد ولا أحد من الأئمة: إن الرسول ﷺ لم يكن يعرف معاني آيات الصفات وأحاديثها، ولا قالوا: إن الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يعرفوا تفسير القرآن ومعانيه»<sup>(٣)</sup>، فكيف بالفلاسفة الذين يقولون: إن القرآن ليس إلاً متصورات خيالية، وليس فيها حقائق علمية؟؟، أو كيف يطيب لهم أن يقرّروا أنّه للجمهور دون الخاصة؟!.

٣- كيف لا يكون القرآن حجة - في العقائد وغيرها -؟! والقول بالتخييل باطل - كما سيأتي -، ثم بأي شيء قامت الحجة على الصحابة الفضلاء، وهم الأئمة الحكماء - بحق -؟؟.

٤- أليس الله قد أمرنا بتدبر القرآن الكريم، مما يعني أن لألفاظه معاني، وأن هذه المعاني ظاهرة، وأن من موجبات التدبر، العمل والتفكر، لا التحريف والتضجر، وقد أمر الله بتدبر كتابه في أكثر من آية فقال ﷻ: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] فهذه الآيات وأمثالها فيها الدلالة على وجوب تدبر القرآن، وأخذ الأحكام منها، ولم يأمر الله ﷻ بتدبر بعض آياته، ولم يستثن من القرآن شيئاً؛

(١) انظر: الدرء ١٦/٥ وما بعدها.

(٢) هكذا سمي الإمام أحمد كتابه، والإمام البخاري، والإمام ابن مندة، وآخرون - رحمهم الله -.

(٣) نقض المنطق ص ٥٨ بتصرف يسير.



فدل أنه في جميع آياته يتدبر، ويؤخذ منها الأحكام العلمية والعملية، قال شيخ الإسلام رحمته الله بعد أن سرد تلکم الآيات -: «وأمثال ذلك في النصوص التي تبين أن الله يحب أن يتدبر الناس القرآن كله، وأنه جعله نورا وهدى لعباده، ومحال أن يكون ذلك مما لا يفهم معناه...، ومن يقول في الرسول، وبيانه للناس: إنه لم يفهم القرآن، ولم يعرف معناه، إنما هو من قول الملاحدة»<sup>(١)</sup>.

٥- أن هؤلاء الفلاسفة ومن تبعهم ليس لهم مستند في طرح آيات الكتاب، إلا التخيلات والظنون الكاذبات، فهم فيما يقولونه في رب البريات، أو فيما يدعونهم في النبوات، أو فيما يتعلق بالمعاد والنار والجنان، ليس لهم مستند من خبر الأنبياء، «لا الكتاب، ولا السنة، ولا أقوال السلف، ولا مستندهم فطرة العقل، وضرورته؛ ولكن يقولون: معنا النظر العقلي!!، وأما أهل السنة...؛ فيقولون: إن ذلك ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، مع فطرة الله التي فطر العباد عليها، وضرورة العقل، ومع نظر العقل واستدلالة»<sup>(٢)</sup>.

٦- أن القرآن لا يشتمل إلا على ما هو حق ويقين، مشتمل على المقدمات المشهورة، أو المسلمة؛ فلا بد أن تكون نتائجها يقينية، وأما مجرد الاكتفاء بالمقدمات المسلمة من المنازع من غير كونها صادقة، أو بمجرد كون المقدمة مشهورة، وإن لم تكن صادقة؛ فمثل هذه المقدمات لا يشتمل عليها كلام الله ﷻ الذي كله حق وصدق، وهو أصدق الكلام وأحسنه، ولقد اشتمل القرآن في جميع مقدماته على الطريقة البرهانية، وتكون تارة خطابية، وتارة جدلية، مع كونها برهانية<sup>(٣)</sup>، و«الناس ثلاثة أقسام: إما أن يعترف بالحق ويتبعه؛ فهذا صاحب الحكمة؛ وإما أن يعترف به لكن لا يعمل به؛ فهذا يوعظ حتى يعمل؛ وإما أن لا يعترف به؛ فهذا يجادل بالتي هي أحسن،

(١) نقض المنطق ص ٥٩.

(٢) المجموع ١٦ / ١١٠.

(٣) انظر: المجموع ٤٦ / ٢.

لأن الجدل في مظنة الإغصاب؛ فإذا كان بالتي هي أحسن: حصلت منفعته بغاية الإمكان، كدفع الصائل»<sup>(١)</sup>، فالقرآن فيه المقدمات اليقينية البرهانية التي لا تتج إلا الصدق والحق، وقد يكون مصوغا بالأسلوب للخطابي، أو الوعظي، أو الجدلي مراعاة لحال المخاطبين، ولا يشتمل القرآن على المقدمات الوعظية والجدلية البحتة.

٧- أن بعض الفلاسفة قد اعترفوا بأن العقول تكل فيما وراء الطبيعة - الغيب -؛ فلا تستطيع أن تدرك الحقائق، يقول أحدهم<sup>(٢)</sup>: «نرى ما بعد الطبيعة علما مستحيلا، وراء الطبيعة، وراء حواسنا، فيجب أن يترك بمضيعة، ويُعد من سقط المتاع»<sup>(٣)</sup>، فهذا اعتراف صريح بعدم إدراك العقول المجردة لماهية ما وراء الطبيعة؛ فلم يبق إلا النص، ومعلوم أن النصوص لا تخالف العقول، ولكن العقول قد تحار فيها؛ فيجب المصير إليها.

٨- أن الفلاسفة المسلمين رأوا أن القرآن والسنة حق؛ فآمنوا بها - من حيث الجملة - وأن الفلسفة حق، والحق لا يتعدد؛ فراموا الجمع بينها، ويؤخذ عليهم «أنهم لم ينظروا إلى الفلسفة اليونانية - كما كان ينبغي أن ينظروا إليها - من أنها مجموعة أقوال ومذاهب قد يناقض بعضها بعضا، وأن ما يذهب إليه "أرسطو" في مسألة، قد يكون مناقضا لما يذهب إليه "أفلاطون" فيها، بل نظروا إليها كأنها حقيقة واحدة ملتزمة... واعتقدوا الخلاف بين الفلاسفة أنفسهم: خلاف تنوع، لا خلاف تضاد؛ وعدوا أقوال الفلاسفة المختلفة شرحا لحقيقة واحدة؛ فبدلوا جهدا عظيما في التوفيق بين أقوال "أفلاطون" و"أرسطو" وزاد عليهما المتدينون "القرآن"!!!!... فمزج اللوح والقلم، والكرسي، والعرش، والملائكة، والسموات السبع، بتعاليم اليونانيين الوثنيين مع ما بين أجزائها من التناقض»<sup>(٤)</sup>، فهذا قول متفلسف يشهد بخطأ شيوخه وأساتذته.

(١) المجموع ٤٥/٢.

(٢) وهو مؤلف كتاب: "القوة المادية" لـ "بخنر".

(٣) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ٢٦.

(٤) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٢٩-١٣٠.

٩- أن الظنون والأوهام الكاذبة هي التي تؤدي إلى جعل القرآن فرعاً في العقائد، وذلك بظنهم أنها مشوبة، كما يقولون: «إن الشريعة قد دنست بالجهالات!!»، واختلطت بالضلالات!!، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة!!؛ لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية!! وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال!!<sup>(١)</sup>، وهذا كمن يجمع بين الثرى والثريا؛ فضياء الشرع ونور القرآن لا يجتمعان في قلب امرئ مع فلسفة اليونان، أهل الوثنية والبهتان، خصوصاً أن أهل الفلسفة لم يكونوا مستضيئين بنور النبوة<sup>(٢)</sup>.

١٠- أن المنهج الذي سلكه الفلاسفة في الأمور الإلهية منهج عقلي، لا يرجعون في شيء منها إلى المنزل، وإنما يعرفون ما قاله أوائلهم، وزادوا عليها بعضاً من المقدمات المنطقية<sup>(٣)</sup>.

فهؤلاء الفلاسفة لا يقيمون للقرآن وزناً في باب الاعتقاد، إذ «يقولون: إن الرسل خاطبوا خطاباً قصدوا به التخييل إلى العامة!!...، لا أنهم قصدوا الإخبار بالحقائق!!»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن الوزير اليباني رحمته الله: «ولا شك أن الحق في خلاف هذا فقد نص الله على أن الرسل إنما أرسلت لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»<sup>(٥)</sup>.

والفلاسفة من أهل التخييل، سواء قلنا أنهم من أهل التخييل المكذبة، وهم الذين يقولون: بأن هذا تخييل من الرسول وهو يعلم أنه تخييل، أو من أهل التخييل المجهلة، وهم الذين يقولون: بأن هذا تخييل والرسول لا يعلم بها، وإنما يعلمها نظارنا<sup>(٦)</sup>، وقد

(١) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٣١.

(٢) ابن تيمية السلفي للشيخ محمد خليل هراس ص ٣٧.

(٣) انظر: منهاج السنة ٩٦/١، ابن تيمية السلفي للشيخ محمد خليل هراس ص ٣٨.

(٤) نقله شيخ الإسلام رحمته الله عنهم كما في النبوات ص ٢٥٢.

(٥) إثبات الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٥.

(٦) انظر: الدرء ٩/١.

اتفقوا على أن الشرع لم يصرح للجمهور الأمور التي لا يستطيعون إدراكها؛ فأتاهم بما هو خيال أو توقف في المقال!!<sup>(١)</sup>.

ومن الأسباب التي من أجلها لا يستشهدون بالآيات القرآنية في باب العقائد، ولا يعتمدون عليها في الاحتجاج، اعتقادهم أنها تدل على التشبيه، الذي جاء به الأنبياء من أجل الجمهور!!، ويقولون: «يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل!!، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، مع أن ذلك باطل!! قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد؛ فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر، وأما الأعمال؛ فمنهم من يقرها، ومنهم من يجريها هذا المجرى»<sup>(٢)</sup>.

وما احتج به هؤلاء على التخييل والتجهيل هو بعينه ما احتج به الدهريون والملاحدة على إنكارهم للنبوات والمعاد، حتى قالوا إن ما جاء به الأنبياء لا يستفاد منه العلم؛ وأن ما جاء به الأنبياء من الشرائع إنما هو تزكية للنفوس ليس إلا، وذلك في حق العامة لا الخاصة!!<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمته الله عن الفلاسفة: «وهؤلاء يقولون: الأنبياء قصدوا بهذه الألفاظ ظواهرها، وقصدوا أن يفهم الجمهور منها هذه الظواهر، وإن كانت الظواهر في نفس الأمر كذبا وباطلا ومخالفا للحق!!، فقصدوا إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة!!»<sup>(٤)</sup>.

فكيف يطلب منهم أن يحتجوا بالقرآن الكريم إذا كان هذا حالهم!!؟ ومعلوم أن الرسول ﷺ بلغ البلاغ المبين، بل أخذ الله الميثاق على العلماء للبيان؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ

(١) انظر: الدرء ١٠/٢٦٦.

(٢) المجموع ٥/٣٢.

(٣) انظر: الدرء ٥/٣.

(٤) الدرء ٩/١، وانظر منه ١٠/٢٧١، المجموع ١٩/١٦٣.

وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُغِيسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فكيف بالأنبياء؟! ولعن الله كاتب العلم؛ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] فأخبر ﷺ أنه بين للناس في الكتاب البيّنات والهدى؛ فكيف يكون بعد ذلك عدم بيان من الأنبياء والصلحاء إما بكتمان أو بعدم العلم، ويعلمه هؤلاء المدعون للحكمة من أهل الفلسفة؟! (١).

إن هؤلاء الفلاسفة لا يعرفون المقصد العظيم الذي جاء به الأنبياء، ودعا إليه الأصفياء، وظهرت فيه الأدلة، واهتم به علماء الملة، ألا وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ ففي «فلسفتهم المبتدعة ليس فيها الأمر بعبادة الله وحده والنهي عن عبادة المخلوقات، بل كل شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم...، وهم إذا ادعوا التوحيد؛ فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل» (٢)؛ فهذا يدل على أن الأصل عندهم ما جاءت به فلسفتهم، ولهذا لا تكاد تجد في كتبهم ذكرا لتوحيد العبادة.

ومن جملة الأسباب التي من أجلها تركوا الاحتجاج بالقرآن الكريم ظنهم أن الشرع جاء بالتخييل، والقول بأن الأنبياء جاؤوا بالتخييل من أشنع الأقوال على دين الأنبياء، ومن أعظم المفتريات على شرعة الحنفاء، وللرد على هذه الفرية الباطلة والكذبة الفاضحة فإني أذكر أهم الوجوه، وإلا فإن المسألة مكشوفة، ومما يرد عليهم به ما يأتي:

١- أن الله ﷻ أثبت أن هناك ملائكة، ووصفهم بأوصاف يستحيل في العقل - مع تأييد النقل له - أن تكون تلك خيالا أو تخيلا من النبي ﷺ (٣).

٢- أن الله ﷻ إنما أرسل الرسل لكافة الورى، وليس للعامة دون أهل الحجى، كما تقوله الفلاسفة فيما يدعون أنه مخالف لمذهبهم بأن هذا فرض العوام، وأما فرض

(١) انظر: المجموع ١٣/ ٢٦٥.

(٢) نقض المنطق ص ١٧٧.

(٣) وقد ذكرت الأدلة على إثبات الملائكة، ونزول جبريل بالوحي من السماء، والرد على المنكرين، في الفصل الثاني، من الباب الثاني ص ٤٦٥ ///، وانظر: النبوات ص ٢٧٧، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٨٠، والمجموع ٢/ ٤٩، ١١/ ٢٣٢-٢٣٣.

العلماء فشيء آخر لا يعلمه كل الأنام!!<sup>(١)</sup>.

٣- أن القول بالتخييل قول بلا دليل، بل هو «كلام يسيء الظن بمعتقد قائله، ولا قول أسوأ من قول من قال: إن الله تعالى شبه على عباده فيما أراد منهم وفيما كلفهم، وأن رسول الله ﷺ لم يبين تلك الأشياء، وتركها مهملة!!»<sup>(٢)</sup>.

٤- قالوا: إن إظهار الحقائق يفسد العامة، فالمتلفسة: «تقول: إن الرسل لم يتمكنوا من بيان الحقائق لأن إظهارها يفسد الناس!!»، ولا تحتل عقولهم ذلك، ثم قد يقولون: إنهم قد عرفوها، وقد يقول بعضهم: لم يعرفوها، أو أنا أعرف بها منهم!!<sup>(٣)</sup>. فسبحان الله كيف يصح أن يقال: إن الفلاسفة تمكنوا من إظهار الحقائق، وأما الأنبياء الذين أوتوا الفصاحة البالغة والنية الخالصة والقصد الحسن لا يستطيعون إظهارها؟! ثم كيف يكون الأنبياء لا يعرفون حقائق ما أرسلوا به؟! وعرفها آحاد الناس ممن ليسوا بشيء في أي جهة من جهات المقارنة بالأنبياء.

٥- أن جمهور المسلمين من السلف والخلف يعتقدون أن ما نزل من الله ﷻ فيه الهداية التامة والحق الأبلج، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي كَتَبَ لِرَبِّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن القرآن هداية وبيان، وبه تحصل العصمة من الضلال والنجاة من الشقاوة، ولهذا كان من أوليات عقيدة السلف أن العلم الذي جاء به الأنبياء علم كامل<sup>(٤)</sup>.

٦- القول بأن الأنبياء علموا معاني النصوص المتخيلة ولم يعلموها أحداً أو علموا بعضهم من الأقوال الضعيفة المردودة؛ فإنه من «الأمر العظيمة، التي معرفتها والتكلم بها من أعظم ما تتوفر الهمم، والدواعي عليه، ألا ترى أن الباطنية، ونحوهم أبطنوا خلاف ما أظهروه للناس، وسعوا في ذلك بكل طريق، وتواطؤوا عليه ما شاء الله، حتى

(١) انظر: نقض المنطق ص ٩٠.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢ / ٤٢١ بشيء من التصرف.

(٣) نقض المنطق ص ٧٦، وانظر منه ص ٥٧.

(٤) انظر: المجموع ٤ / ٢.

التبس أمرهم على كثير من أتباعهم، ثم إنهم مع ذلك اطلع على حقيقة أمرهم جميع أذكى الناس من موافقيهم ومخالفهم، وصنفوا الكتب في كشف أسرارهم، ورفع ستارهم، ولم يكن لهم في الباطن حرمة عند من عرف باطنهم، ولا ثقة بما يخبرون به، ولا التزام طاعة لما يأمرهم، وكذلك من فيه نوع من هذا الجنس؛ فمن سلك هذه السبيل، لم يبق لمن علم أمره ثقة بما يخبر به، وبما يأمر به، وحينئذ فينتقض عليه جميع ما خاطب به الناس؛ فإنه ما من خطاب يخاطبهم به إلا ويجوزون عليه أن يكون أراد به غير ما أظهره لهم، فلا يثقون بأخباره وأوامره؛ فيختل عليه الأمر كله؛ فيكون مقصوده صلاحهم؛ فيعود ذلك بالفساد العظيم، بل كل من وافقه فلا بد أن يظهر خلاف ما أبطن، كاتباع من سلك هذه السبيل من القرامطة الباطنية وغيرهم، لا تجد أحدا من موافقيهم إلا ولا بد أن يبين أن ظاهره خلاف باطنه.... وإذا كانت الرسل تبطن خلاف ما تظهر؛ فإما أن يكون العلم بهذا الاختلاف ممكنا لغيرهم، وإما أن لا يكون؛ فإن لم يكن ممكنا كان مدعي ذلك كذابا مفتريا؛ فبطل قول هؤلاء الملاحدة الفلاسفة والقرامطة وأمثالهم، وإن كان العلم بذلك ممكنا علم بعض الناس مخالفة الباطن للظاهر، وليس لمن يعلم ذلك حد محدود؛ بل إذا علمه هذا علمه هذا وعلمه هذا؛ فيشيع هذا ويظهر، ولهذا كان من اعتقد هذا في الأنبياء كهؤلاء الباطنية من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم معرضين عن حقيقة خبره وأمره، لا يعتقدون باطن ما أخبر به، ولا ما أمر به، بل يظهر عليه من مخالفة أمره والاعراض عن خبره ما يظهر لكل أحد.... وأيضا فمن كانت هذه حاله كان خواصه أعلم الناس بباطنه، والعلم بذلك يوجب الانحلال في الباطن، ومن علم حال خاصة النبي ﷺ كأبي بكر وعمر، وغيرهما من السابقين الأولين، علم أنهم كانوا أعظم الناس تصديقا لباطن أمر خبره وظاهره»<sup>(١)</sup>.

٧- أن القول بأن الجنة والنار وما جاء به الأنبياء متخيلات كفر صريح، وليس في القرآن الكريم «تجاوز أهل الجنة وأهل النار وتخاصمهم بتلك الحجج التي لا

(١) المجموع ١٣/ ٢٥٠-٢٥١، وانظر منه ٧/ ٥٠٢ وما بعدها، الصفدية ٢/ ٢٣٩، نقض المنطق ص ٧٧.

تصدر إلا عن أكمل الناس عقلاً، وأوفر الخلائق فهماً، وما يذكرونه من حالهم الذي كانوا عليه في أهلهم»<sup>(١)</sup>، كل هذا يدل على أنها حقيقة لا خيال، بل إن الأنبياء ما جاؤوا إلا لإثبات المرسل، وأيدوا بما يدل على صدق المرسل، وبالإيمان بما جاء به الرسول من البعث والنشور وغير ذلك.

٨- أن العلماء الربانيين وأهل السنة السلفيين، وأصحاب العقول المتمسكين بسنة خير المرسلين، حرّموا الفلسفة ودراستها، ومنعوا الناس من الانشغال بها، فكيف يكون ذلك أهدى من الكتاب والسنة ثم يمنع الناس منها؟؟، قال ابن الصلاح<sup>(٢)</sup> رحمه الله لما سئل عن حكم الاشتغال بالفلسفة والمنطق :- «الفلسفة رأس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة، ومن تلبس بها تعلّماً وتعلّماً قارنه الخذلان، والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأي فن أخزى من فن يُعْمى صاحبه؟؟؟»<sup>(٣)</sup>.

٩- ومن زعم منهم أن الإسلام بحاجة إلى الفلسفة؛ فهذا يبطل النص والإجماع، فإن الإجماع منعقد على كمال الدين وتمام الشريعة، ودل على ذلك النصوص الكثيرة، ثم ما هذا الذي تدعون أن الإسلام يكمل به؟؟، ف«ما مثل من نصر الإسلام بمذاهب الفلاسفة والآراء المنطقية، إلا كمن يغسل الثوب بالبول، ثم يسوق الكلام سوقاً، يرعد فيه، ويرق، ويمني ويشوق، حتى إذا تشوفت له النفوس، قال: هذا من علم المعاملة، وما وراءه من علم المكاشفة، لا يجوز تسطيره في الكتب، ويقول هذا سر من سر الصدر الذين نهينا عن إفشائه، وهذا فعل الباطنية أهل الدغل والدخل في

(١) أبجد العلوم ١/ ١٦.

(٢) هو الفقيه المحدث: أبو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصل الشافعي، المعروف بابن الصلاح، من مؤلفاته: علوم الحديث الشهير بـ "مقدمة ابن الصلاح"، توفي سنة ٦٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤٠.

(٣) فتاوى ابن الصلاح، ص ٧٠، وانظر فتوى قريبة منه للسبكي في الفلاسفة، في مغني المحتاج ٣/ ٦١.



الدين، يستقل الموجود، ويعلق النفوس بالمفقود، وهو تشويش لعقائد القلوب، وتوهين لما عليه كلمة الجماعة؛ فلئن كان الرجل يعتقد ما سطره لم يبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقد ما أقرب تضليله»<sup>(١)</sup>.

١٠- أن القول بأن هذه النصوص جاءت للتخييل جنائية على النصوص أي جنائية<sup>(٢)</sup>؛ فكأنها جاءت للتمويه وإظهار ما ليس حقيقة على أنه هو الحق!!، وتصبح ألفاظ الشرع معدومة المعنى في حقيقة الأمر عند هؤلاء!! ثم أيضا ظنهم أن هذه النصوص الشرعية قد أتت على ما يستحيل في العقل قبوله ظن سيء آخر قد ظنوه في ربهم المتكلم بالقرآن، وكفى بذلك خزيا وعارا.

١١- أن الفلاسفة بإنكارهم لوجود الرب ﷻ إلا وجودا مطلقا عن الأوصاف والأسماء قد خالفوا النصوص المستفيضة في إثبات الأسماء والصفات لله ﷻ « وقد علم بصريح العقل أن هذا - أي الوجود المطلق بشرط الإطلاق - لا يكون إلا في الذهن، لا فيما خرج عنه من الموجودات »<sup>(٣)</sup>.

١٢- أن القرآن والسنة قد ثبت فيهما - بما لا يدع مجالا للشك - أن العالم بأجرامه محدثات لله ﷻ، وأنها مخلوقة بعد أن لم تكن، وهؤلاء المدّعون للإسلام يزعم أساتذتهم صراحة بأن العالم قديم، وهم يلمحون بذلك<sup>(٤)</sup>.

١٣- أن من كفریاتهم وضلالاتهم وانحرافات بعضهم: أنهم « أسقطوا حرمة المصحف، وربما داسوه، ووطئوه، وربما كتبوه بالعدرة!! »<sup>(٥)</sup>.

(١) السير ١٩/٤٩٥، بتصرف، وهذا الكلام قاله الإمام الطرطوشي رحمه الله عن الغزالي وكتابه الإحياء، وهذا الكلام منطبق على كل من زعم أن الفلسفة وغيرها من المحدثات أنفع في أمور الإلهيات.

(٢) انظر: التدمرية ص ٨٠.

(٣) التدمرية ص ١٧.

(٤) انظر: منهاج السنة ٢/٤١٥.

(٥) المجموع ١٢/٣٨٢.

فإذا تبين للمنصف أن النصوص الشرعية قوالب لمعانٍ عربيةٍ صحيحةٍ، وأنها تدل على المعاني المفهومة الجلية؛ يظهر له كم بعد الفلاسفة عن الإسلام، وبعد الإسلام عنهم، ونشأ للفلاسفة أذنان لم يقولوا بالتخييل، لكنهم ظنوا أن للنصوص ظاهراً وباطناً، وعن هؤلاء سيكون البيان في الفصل التالي.

## الفصل الثاني

منزلة القرآن الكريم عند الصوفية  
(القائلين بأى للقرآن ظاهراً وباطناً)

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمن سلك هذا المسلك.

المبحث الثاني: أقوال الصوفية في الظاهر والباطن.

المبحث الثالث: استخفاف الصوفية بظاهر القرآن الكريم والرد عليهم.

المبحث الرابع: عدم تعظيم الصوفية للقرآن الكريم.

المبحث الخامس: عدم اعتمادهم عليه في باب الاعتقاد.



### المبحث الأول: التعريف بمن سلك هذا المسلك

الصوفية فرق شتى ونحل تترى، فلكل قطر طريقة، ولكل شيخ منهم قريحة؛ ولكن يجمعهم أمرٌ مهم، ألا وهو القول بالظاهر والباطن<sup>(١)</sup>، أو القول بالحقيقة والشرعية، وأن الظاهر أو الشريعة للعوام، وأن الباطن أو الحقيقة للمشائخ الأعلام!! والظاهر أو الشريعة هي الأمور الفقهية العملية، والباطن أو الحقيقة أمور وراء ذلك!!<sup>(٢)</sup>. ولقد اختلف الناس قديما وحديثا في تعريف الصوفية وأحوالهم، خصوصا وأن لفظ الصوفية لم يكن معروفا في القرون المفضلة، وإنما اشتهر بعد ذلك<sup>(٣)</sup>، ولأبين من سلك هذه الطريقة في الاستدلال وإظهارهم البدع؛ فإني أذكر معنى الصوفية واشتقاقها لغة، واصطلاحا:

أولا: بيان اشتقاق كلمة "الصوفي" لغة:

كلمة "الصوفي" في الميزان الصّرفي من مباني أسماء النسب<sup>(٤)</sup>، كالقرشي والمدني<sup>(٥)</sup>، واختلف في المنسوب إليه على أقوال كثيرة، ونعرض أهمها:

(١) الباطنية الخارجون عن نحل الإسلام أيضا يدعون الظاهر والباطن، ولكن الفرق بين هؤلاء الصوفية القائلين بالظاهر والباطن، وأولئك الباطنية في نوع هذا القول فإن الصوفية أقوالهم في الظاهر والباطن شطحات، وهي كباثر وكفريات، ولكنها ليست كأقوال الباطنية الظاهرين في الضلال، والمنغمسين في الانحلال، مع أن أولئك يزعمون أن تحريفاتهم الباطنية هي المرادة قطعا، أما هؤلاء الصوفية؛ فإن منهم من يرى أن التفسير بالباطن، أو بالحقيقة، نوع مراد، وليس هو المقطوع به. انظر: الموافقات للشاطبي ٣/٣٩٨، وسيأتي بيان حال الباطنية في الفصل الرابع من هذا الباب.

(٢) انظر: الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبدو وطارق عبد الحليم ص ٥٦.

(٣) انظر: المجموع ٥/١١.

(٤) ولهذا ذكره السمعاني في الأنساب ٣/٥٦٦.

(٥) انظر: المجموع ٦/١١.

قيل: إنه نسبة إلى "الصوف"، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «والنسبة في "الصوفية" إلى الصوف؛ لأنه غالب لباس الزهاد»<sup>(١)</sup>، وقال ابن خلدون رحمته الله: «والأظهر إن قيل بالاشتقاق: أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف»<sup>(٢)</sup>.

«وقيل: نسبة إلى "صوفة" بن مراد بن أد بن طابخة، قبيلة من العرب، كانوا يجاورون حول البيت»<sup>(٣)</sup>، وهذان الاشتقاقان أقرب إلى الصناعة الصرفية؛ إذ بينهما توافق في الاشتقاق الأصغر، وهو مراعاة الحروف والترتيب، خصوصاً إذا ضم إليه واقعة الحال، وهو أن الزهاد كانوا يشتهرون بلبس الصوف والترفع عن لباس الترفه، ثم هذه النسبة هي المعروفة، وكذلك الثاني: حيث إن غالب الصوفية يجاورون المساجد والتكايات والخلوات، كمجاورة أولئك القوم للبيت، وضعف النسبة الثانية لأمر، وهي: أ- أن هذه القبيلة لم تكن مشهورة، حتى ينتسب إليها. ب- أنها لم تكن معروفة عند النساك والصوفية أنفسهم. ت- أنه لو نسب إليها النساك لانتسب إليها الصحابة وهم خير النساك والزهاد. ث- إن "الصوفية" لا يرضون النسبة إليها لأنها قبيلة جاهلية - والله أعلم -<sup>(٤)</sup>.

وقيل: نسبة إلى "الصُفَّة"، والمقصود الصفة - فناء المسجد - التي كان للصحابة في المدينة في مؤخرة مسجده ﷺ<sup>(٥)</sup> وهذا لا يصح؛ لأن النسبة إليه تكون: صُفِيَّةٌ<sup>(٦)</sup>، وصُفِّيٌّ<sup>(٧)</sup>، وأيضاً لا يعرف الانتساب إلى هذا المكان من أحد من الصحابة فلم يُحْكْ أن أحدهم انتسب إليها، ولا من التابعين، ثم كان أهل الصفة في وقت الحاجة سكنوا

(١) المجموع ٣٦٩/١٠، وانظر: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٨٣٦.

(٣) المجموع ٣٦٩/١٠، وانظر: الأنساب للسمعاني ٥٦٦/٣.

(٤) وانظر: المجموع ٦/١١.

(٥) انظر: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٥.

(٦) انظر: المجموع ٣٦٩/١٠.

(٧) انظر: المجموع ٦/١١.

هذا الفناء، فلما فتح الله ﷻ على نبيه ﷺ استغنى الصحابة وبنوا لأنفسهم دوراً<sup>(١)</sup>.

وقيل: نسبة إلى "الصفاء"، « وذلك لصفاء قلب المريد، وطهارة باطنه وظاهره عن مخالفة ربه »<sup>(٢)</sup>، فالقوم يبحثون عن التصفية!!، وهذا أيضاً لا يصح؛ لأن حقه أن يقال: صفائية<sup>(٣)</sup>، وصفائي، وصفراوي، وصفوي، ثم لم ير بعد التدقيق أنه تحصل التصفية بالطرق الصوفية، وهذه هي الطرق الصوفية المختلفة، انظر إليها تجد أتباعها قديماً وحديثاً من أبطال الناس علماً، وأجهل الناس عملاً بالشرع، فأنى يحصل لهم التزكية والتصفية.

وقيل: نسبة إلى "الصفى" مقصوراً، وهذا لا يصح أيضاً؛ لأن حقه أن يقال: صَفْوِيَّة<sup>(٤)</sup>، وَصَفْوِي.

وقيل: نسبة إلى "الصفوة"، وذلك لأنهم صفوة الناس، وهذا كسابقه لا يصح، إذ النسبة إليه: صَفْوِيَّة<sup>(٥)</sup>، وَصَفْوِي<sup>(٦)</sup>، ثم إن صفوة الناس ليسوا صوفية؛ فهؤلاء أئمة العلماء الربانيون وأئمة الحديث المهديون، ومن قبل الصحابة البررة والتابعون الخيرة، لم يكن أحد منهم يلقب بهذا، مع أنهم صفوة الناس.

وقيل: نسبة إلى "الصف المتقدم"، فالصوفية لملازماتهم المسجد يكونون في الصفوف المتقدمة، وكذلك هم مقدّمون في الصفوف الأولى عند الله!!، وهذا أيضاً لا يصح، وذلك لأن النسبة إليه: صَفِّيَّة<sup>(٧)</sup>، وَصَفِّي<sup>(٨)</sup>.

(١) الفرقان ص ١١١.

(٢) تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٥.

(٣) انظر: المجموع ٣٦٩/١٠.

(٤) انظر: المجموع ٣٦٩/١٠.

(٥) انظر: المجموع ٣٦٩/١٠.

(٦) انظر: المجموع ٦/١١.

(٧) انظر: المجموع ٣٦٩/١٠.

(٨) انظر: المجموع ٦/١١.

ويرى شيخ الإسلام رحمته الله أن هذه النسب - غير الأولين لو قيل بها - تصح إذا روعي فيها الاشتقاق الأكبر، والاشتقاق الأوسط، دون الأصغر.

فمراعاة الحروف دون الترتيب هو الاشتقاق الأوسط؛ ويمكن أن تكون المراعاة في جنس الحروف دون أعيانها، وهو الاشتقاق الأكبر، وعلى هذا يمكن أن يكون من "الصفة" أو "الصف"؛ لأن جنس الحروف مراعى فيها؛ فقول: صوفي<sup>(١)</sup>.

ولشدة الاختلاف في نسبة الصوفي قال السبكي: «تشعبت الأقوال فيهم تشعباً - ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم!! - لكثرة المتلبسين بها...، والصحيح أنهم: المعرضون عن الدنيا!!، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة...»

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قديماً وظنوه، مشتقاً من الصوف

ولست أنحل هذا الاسم غير فتى صافى؛ فصوفي، حتى لُقّب الصوفي<sup>(٢)</sup>

وربما كان هذا الاختلاف ناشئاً عن كثرة طرقها وشعبها، وأيضاً لكونهم يخفون حقيقة حالهم، فخفي على كثير نسبتهم - والله أعلم -.

وقيل: إن كلمة "الصوفية" أو "التصوف" لقب غير مشتق، قال القشيري<sup>(٣)</sup> رحمته الله:

«ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية، ولا قياس، والظاهر أنه لقب، ومن قال باشتقاقه من الصفاء، أو الصفة، فبعيد من جهة القياس اللغوي<sup>(٤)</sup>...، وكذلك من الصوف؛ لأنهم لم يختصوا به<sup>(٥)</sup>، وهذا ضعيف؛ لأن كونهم لم يختصوا به لا يلزم منه نفي التلقب والنسبة؛ لأن النسبة أغلبية، ولا يلزم أن تكون كلية، ألا ترى الرجل ينسب إلى مدينة لكونه لبث فيها مدة، ولو لم يكن من أهلها؛ فكذلك الصوفية نسبوا

(١) انظر: المجموع ١٠/ ٣٦٩.

(٢) معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص ١١٩-١٢٠.

(٣) هو العالم الصوفي: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري الشافعي الصوفي المفسر، من مؤلفاته: الرسالة القشيرية، توفي سنة ٤٦٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٧.

(٤) وهذا القول يصح إذا قصد به القياس على الاشتقاق الأصغر، وإلا فإنه يصح من جهة الاشتقاق الأكبر أو الأوسط.

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٣.



نسبوا إلى الصوف، ليس للاختصاص، ولكن لكون هذا غالب لباسهم، وإن أشركهم فيه غيرهم، ويمكن أن يقال: إنهم نسبوا إلى ذلك - مع كون غيرهم يلبسون الصوف - لأنهم يلبسونه تعبداً وتفقراً، وغيرهم يلبسونه حاجة وفقراً - والله تعالى أعلم -.

ثانياً: المراد بالصوفية اصطلاحاً.

إن اختلاف الناس في نسبة التصوف انبنى عليه اختلافهم في تعريفهم من حيث الاصطلاح، وأيضاً يرجع اختلاف الناس في تعريفهم إلى اختلافها في نفسها، وفي طرقها، وكثرة ما فيها من التناقضات والخرافات، وأيضاً لعدم إظهار ما عندهم على الحقيقة حتى لا يعرفوا، ولهذا فكل عالم أو كاتب؛ فإنه يعرف من عرفهم، وخابهم، وما ظهر منهم له، أو ما يريدون أن يظهر منهم للناس، ولكن أذكر بعض هذه التعاريف، مع التعليق المختصر، ثم أذكر التعريف الذي يكون جامعاً ومانعاً.

ف قيل التصوف: «إرسال النفس مع الله على ما يريده»<sup>(١)</sup>، لكن هذا التعريف لا ينطبق عليهم؛ لأن حقيقة التصوف هي: أنهم يرسلون نفوسهم من غير قيد بالشرع، وإنما يرسلون نفوسهم على ما تريده هي، لا على ما يريده هو.

وقال ابن عربي - معرفاً الصوفية -: «التصوف: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً، وهي الخلق الإلهية، وقد يقال: بإزاء إتيان مكارم الأخلاق وتجنب سفاسفها»<sup>(٢)</sup>.

وقيل التصوف: «هو مناجاة القلب ومحادثة الروح، وفي هذه المناجاة طهارة لمن شاء أن يتطهر، وصفاء لمن أراد التبرؤ من الرجس والدنس، وفي تلك الحادثة عروج إلى السماء والملائكة!!، وصعود إلى عالم الفيض والإلهام!!»<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٥.

(٢) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٧، وانظر: الشاهد لابن عربي ص ١٧.

(٣) درس في تاريخ الفلسفة د/ بيومي مذكور يوسف ص ١٤٠، نقلاً عن كتاب: تفسير ابن عربي للقرآن

حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٦.

وهذا التعريف وحده كاف في تصور هذه النحلة الضالة، والفرقة الناشئة التي نشأت في الإسلام، وترعرعت باسم الإسلام، وكيف أنها تدعي العروج إلى السماء، وإلى الملائكة، وإلى الوحي!!.

وقيل: الصوفية هم من يدعون أنهم خواص الحضرة، وأهل المكاشفة والمشاهدة!!<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن يقال عنهم: أنهم أصحاب الرياضة والتجرد، وهذا يصدق على الصوفية؛ فإنهم لم يعرفوا إلا طريقة الرياضة والتجرد والتصوف<sup>(٢)</sup>.

ولكن يجمعهم منهجياً: أنهم يقسمون الدين إلى شريعة وحقيقة - وهذا أجمع تعريف لفرق الصوفية - قال ابن عقيل رحمته الله: «جعلت الصوفية الشريعة اسماً، وقالوا: المراد منها الحقيقة، وهذا قبيح؛ لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق، وتعبدها فيها الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع في النفس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فهو مغرور، مخدوع»<sup>(٣)</sup>.

وأما إن قيل: إن التصوف معناه الزهد والعبادة والورع، أو هو العلم والعمل؛ فهذا ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وهذا لا ينبغي أن يسمى تصوفاً، بل يسمى بأسمائه الشرعية الواردة في الكتاب والسنة<sup>(٤)</sup>.

ولو كان المراد بالتصوف هو هذا فقط، لما كان النزاع في الاصطلاح قط، ولكن القوم تحت هذا الاسم أتوا بدين مبتدع مخلوط، فالتصوف مكون من: «اليهودية والمجوسية، والوثنية، ومبادئ إسلامية، والإسلام اسم فقط، وهم إخوان المستعمر»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: المنقذ من الضلال ص ٨٩، المجموع ٥٥/٢، شرح الأصبهانية ص ٥٠٩.

(٢) انظر: المجموع ٥٧/٢.

(٣) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٨.

(٤) انظر: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٦.

(٥) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٤٨٨/٢.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «التصوف عندهم له حقائق معروفة، قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه، كقول بعضهم: الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، واستوى عنده الذهب والحجر<sup>(١)</sup>، التصوف: كتمان المعاني وترك الدعاوي...، ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه، تنازع الناس في طريقهم؛ فطائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام، وطائفة غلت فيهم، وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم، والصواب: أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله؛ ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده<sup>(٢)</sup>، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين<sup>(٣)</sup>، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب، فيتوب أو لا يتوب، ومن المتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة<sup>(٤)</sup>».

فهذا ينبئك أن القوم نحل شتى وطرق تترى<sup>(٥)</sup>؛ فلا بد في الحكم عليهم من النظر إلى أقوالهم ودعاويهم واعتقاداتهم.

وبعد هذا السرد لأقوال الناس في تعريف الصوفية، يمكن أن يقال: إن الصوفية قوم لهم طريقة معينة في العبادة، وحصول تزكية النفس.

فالمتصوفة لهم طرق معينة، سواء في العبادة، من ذكر وقراءة وورد، أو في تزكية النفس من خلوة وجوع...

(١) وهذا كان في الصوفية الأول الذين خالطوا علماء السلف، ولما انفردوا بهواجسهم، واختلوا بطريقتهم ظهر فيهم التخبط، والشيع في الفلسفة وغيرها، وتأثروا بالتصوفات الهندية، والفارسية، واليونانية.

(٢) كأوائلهم، ومن قصد الزهد والورع من غير ابتداء.

(٣) كعوام الصوفية الذين كانوا قرب زمن الوحي.

(٤) المجموع ١٦/١٨-١٨.

(٥) انظر: الطرق الصوفية ونشأتها في كتاب: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق ص ٥٣٩ وما بعدها.

وهذا التعريف يجمع التعاريف السابقة، ويجمع فرق الصوفية كلها، إذ هي تشترك في هذا المضمار، وهي التعبد لله ﷻ بطريقة معينة؛ فتجد في سابقهم من يأتي إلى شيخ ويقول: أريد أن أتسك على يديك، وأن أتعبد على طريقتك<sup>(١)</sup>، - وكأن طريقة النبي ﷺ قاصرة فاحتاج إلى طريقة شيخ!! وأما في المتأخرين فالفرق الصوفية، ذات الأوراد المختلفة البدعية، معروفة في البلاد الإسلامية، والصوفية بجميع فرقها لها أوراد معينة وأذكار مبتدعة.

ولا يحسن في التعريف الحكم على الصوفية، وذلك كما سبق - من كلام شيخ الإسلام - أن منهم من يكون مجتهدا؛ فالحكم عليهم لا يكون واحدا.

وكذلك لم أذكر نوع بدعتهم، وذلك لكون الصوفية أصحاب بدع مختلفة؛ فمنهم من بدعته كفرية، ومنهم من بدعته فسقية، ومنهم من يكون مخطئا.

وبهذا يظهر أن التصوف دعوة إلى « محاولة تحويل وجهة المسلمين من علم التوحيد إلى التصوف تأييدا لدينهم، وتشبيها لعقائدهم، تشبه محاولة إحداث نوع من بعثة الأنبياء بعد انقضاء عهد النبوات »<sup>(٢)</sup>.

ويمكن أن يقسم الصوفية باعتبار عظم بدعتهم إلى قسمين<sup>(٣)</sup>:

١ - أصحاب البدع الكفرية: وهؤلاء كأتباع ابن عربي، وابن سبعين، والقونوي<sup>(٤)</sup>، والتلمساني، « فهؤلاء ضلال جهال، خارجون عن طريق الإسلام؛ فضلا عن العلماء »<sup>(٥)</sup>، وقد يتوقف بعض الناس في بدعة هؤلاء ويظنهم على طريقة الصفاء، وذلك لكثرة تلبيساتهم، ولشدة تمحلاتهم، وزيادة تقلباتهم<sup>(٦)</sup>، ولهذا تبعهم في

(١) انظر: دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيهما في شبه القارة الهندية ص ١٥٤.

(٢) موقف العقل والعلم والعالم ١/ ٢٦٢.

(٣) مغني المحتاج ٣/ ٦١، وذكر أن هذا التقسيم من السبكي.

(٤) هو الحلولي الضال: محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي القونوي جلال الدين الرومي الصوفي، صاحب

الطريقة المولوية، من مؤلفاته: المنوي - بالفارسية - توفي سنة: ٦٧٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٧/ ٣٠.

(٥) مغني المحتاج ٣/ ٦١ نقلا من كلام السبكي.

(٦) انظر: المصدر نفسه.

ظاهر أقوالهم دون أن يكون لهم غور في كفرهم، وعلم بحالهم عوام الصوفية المعظمون لابن عربي وغيره، وقد تجدد من الجهال «الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء - الاتحادية، وأصحاب وحدة الوجود -، ولا يفهمونه، ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ العارفين، الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من الناس؛ فهؤلاء تجدد فيهم إسلاما وإيماناً ومتابعة للكتاب والسنة، بحسب إيمانهم التقليدي، وتجدد فيهم إقراراً لهؤلاء وإحساناً للظن بهم، وتسليماً لهم بحسب جهلهم وضلالهم، ولا يتصور أن يشني على هؤلاء إلا كافر ملحد أو جاهل ضال»<sup>(١)</sup>، وكثير من «عوام أهل الدين والخير والعبادة ينشد قصيدة ابن الفارض»<sup>(٢)</sup>، ويتواجد عليها ويعظمها، ظاناً أنها من كلام أهل التوحيد والمعرفة، وهو لا يفهمها، ولا يفهم مراد قائلها، وكذلك كلام هؤلاء يسمعه طوائف من المشهورين بالعلم والدين؛ فلا يفهمون حقيقته؛ فإما أن يتوقفوا عنه، أو يعبروا عن مذهبهم بعبارة من لم يفهم حقيقته؛ وإما أن ينكروه إنكاراً مجملاً من غير معرفة بحقيقته، ونحو ذلك، وهذا حال أكثر الخلق معهم»<sup>(٣)</sup>، هذا الصنف هم الصوفية الغلاة.

٢- أصحاب البدع المضللة: وهذا غالب حال الصوفية، سواء منهم أصحاب الطرق وغيرهم.

ويجمع الصوفية شيء آخر، ألا وهو القول بالحقيقة والشرعية، أو القول بالظاهر والباطن، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) المجموع ٢/ ٣٦٧، وانظر منه: ١٤٤/ ٣٥.

(٢) هو الحلوي الضال: عمر بن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل المصري، المعروف بابن الفارض، صاحب التائية المعروفة التي بث فيها الحلول، توفي سنة ٦٣٢ هـ. انظر: معجم المؤلفين: ٧/ ٣٠١.

(٣) المجموع ٢/ ٣٧٩.

### المبحث الثاني: أقوالهم في الظاهر والباطن

الصوفية: الذين عرفوا بالتفريق بين الشريعة والحقيقة اختلفت أقوالهم في الظاهر والباطن، أو في الشريعة والحقيقة، وتحديد الفارق بينهما، ولكن يجمعهم في ذلك أن الحقيقة وجد وذوق وخيال وكشف!!، والأمر بدأ صغيراً، ثم أصبح كبيراً، بدأ بصور وأوضاع، وانتهى بالحلول والاتحاد.

« وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة، وهذا جهل من قائله، لأن الشريعة كلها حقائق <sup>(١)</sup>، ولما بدؤوا في التفريق بين الحقيقة والشريعة، والظاهر والباطن أصبح « الأمر ينمي، والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً، ويتكلمون بواقعاتهم، ويتفق بعدهم عن العلماء، لا بل رؤيتهم ما هم فيه، أو في العلوم، حتى سموه العلم الباطن، وجعلوا الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة؛ فادعى عشق الحق والهيمن؛ فكأنهم تخيلوا شخصاً مستحسن الصورة؛ فهاوما به، وهؤلاء بين الكفر والبدعة، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق؛ ففسدت عقائدهم؛ فمن هؤلاء من قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً <sup>(٢)</sup>، « فأول ما وضعوا أسماء، وقالوا: حقيقة وشريعة، وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق، فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع <sup>(٣)</sup> ».

(١) تلييس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٧.

(٢) تلييس إبليس لابن الجوزي ص ١٨٤.

(٣) تلييس إبليس لابن الجوزي ص ٤١٩، وهو من كلام ابن عقيل رحمته الله.

فسموا الظاهر قشرا، والباطن لباً<sup>(١)</sup>، أو الشرع ظاهراً، والتصوف باطناً!!، والاتباع دين العامة، والابتداع دين الخاصة!! والسير على نصوص الشرع جموداً، والسير على الخيال والكشف جيلاً مفيداً!! وقالوا: إن أهل الظاهر هم العوام، أو هم الذين حرموا الحقائق!! وجعلوا يميزون أنفسهم بلا دليل من الكتاب أو السنة؛ فزعموا أنهم "خاصة الخلق"<sup>(٢)</sup>.

ويرون أن الشرع ظاهر وباطن، والظاهر الأحكام، والباطن الحقيقة!! وقد يعبرون فيقولون: الشريعة والحقيقة<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن عربي في بيان موقفهم من ظاهر الشرع: «الشرع أمانة، والحقيقة أمن»<sup>(٤)</sup>، ويقول: «الطاعة تجر إلى النور، والمعصية تجر إلى النار، والنور أشد إحراقاً!!!»<sup>(٥)</sup>، فلا فرق بين الجنة والنار حقيقة عندهم، ولكن الفرق في الظاهر لأهل الظاهر!!.

وربما قالوا: «والعلم الذي بقي من الأنبياء - عليهم السلام - نوعان: علم الأحكام، وعلم الأسرار!!؛ فالعالم الوارث من يكون له سهم من نوعي العلم»<sup>(٦)</sup>. «وقال سهل التستري<sup>(٧)</sup>: للعالم ثلاثة علوم!!: علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله، وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد!!». وقال بعض العارفين: إفشاء سر الربوبية كفر، وقال بعضهم: للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة!! وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم!! وللعلماء بالله سر لو أظهره

(١) انظر: الإسراء في مقام الأسرى لابن عربي الصوفي ص ٥٦.

(٢) انظر: معبد النعم ومبيد النقم للسبكي ص ١٢٣.

(٣) التراجم لابن عربي ص ٢٨، السنوسية ص ٢٢١.

(٤) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٧.

(٥) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٧.

(٦) موقف العقل والعلم والعالم ٢٧٦/٣، نقلاً من كلام أحمد السرهندي صاحب "المكتوبات".

(٧) هو العابد الصوفي: سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى أبو محمد التستري الصوفي، من مؤلفاته: رقائق المحبين، ومواعظ العارفين، قيل: توفي سنة ٢٨٣هـ. انظر: معجم المؤلفين ٤/ ٢٨٤.

لبطلت الأحكام!!<sup>(١)</sup>، وهذا الكلام في حد ذاته ينبئك عن مدى ضلال الصوفية في قولهم بالباطن والظاهر، والحقيقة والشريعة، حتى وصلوا إلى أن كشف علم الباطن يبطل الربوبية والنبوة والأحكام!!، ألا فليهنأ الملاحدة بهذا القول؛ فإنه مقصودهم.

وقال الغزالي - في شرح أن للقرآن ظاهرا وباطنا -: «قال بعض العلماء: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم، ومائتي علم، إذ كل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن، وحد ومطلع!!»<sup>(٢)</sup>.

ومن تفضيلهم الشنيع لما سموه باطنا على الظاهر أن جعلوا الدين دينين، وفضلوا الباطن على الظاهر، يقول ابن عربي: «وربما يقام لك في بعض هذه المواطن الدين المستقيم، الحكم النبوي الاختصاصي الخالصي - ويعني به الباطن -، والدين غير المستقيم الحكمي المزوج الفكري العقلي - يعني: الظاهر - وتميز بينهما، وترى غاية كل منهما الحق سبحانه، من حيث سعادتك، لا من حيث الشقاوة!! فاسلك دين الاختصاص الخالص النبوي!! فإنه أرفع وأنفع، وإن كان الآخر رفيع المنار، ولكن بوجود هذا، الآخر يضمحل رسمه، وإن كان حقا من وجه»<sup>(٣)</sup>. ثم ادعى بأن الباطني قد ينسخ الظاهري!!!<sup>(٤)</sup>.

قال الغزالي: «إن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام بنقل عن صاحب الشرع، وبغير ضرورة تدعو إلى ذلك من دليل العقل»<sup>(٥)</sup>، اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ....، والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر<sup>(٦)</sup>....، ثم بهذا

(١) الإحياء للغزالي ١/ ١٦٠ - ١٦١.

(٢) الإحياء للغزالي ١/ ٤٤٨.

(٣) الفناء لابن عربي ص ٦.

(٤) الفناء لابن عربي ص ٦.

(٥) دليل العقل وحده لا يكون كافيا في صرف الألفاظ عن معانيها، ما لم يكن ذلك مؤيدا بنص. انظر: تعليق الشيخ عبد الرحمن الوكيل على هذه العبارة في كتاب: مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص ٦٦.

(٦) قال الشيخ الوكيل رحمته الله: «هذا حق لا مرية فيه، بيد أن من قرره لا يؤمن به إلا حين يخاطب عوام الناس



الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة»<sup>(١)</sup>.

أما الصوفية المتقدمون فهم «مصرحون بأن كل حقيقة يردّها الشرع زندقة، وأنه ليس في أسرار المعرفة شيء يناقض ظاهر الشرع، بل باطن الشريعة يتم بظاهره، وسره يكمل صريحه، ولهذا إذا انكشفت على أهل الحقيقة أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى الألفاظ الواردة في الشرع؛ فما وافق ما شاهدوه قرروه، وما خالف أولوه بما يطابق الشرع»<sup>(٢)</sup>.

والصوفية قد «تزعمن أن الإسلام شريعة وحقيقة، تعني بالشريعة: ما أوحاه الله إلى رسوله، وبالأخرى وساوس الأبالسة النافثين لبدع الصوفية»<sup>(٣)</sup>.

بل إن من الصوفية من يقول: إن الظاهر شرك، فقد «كتب العلاج إلى بعض تلامذته: يا ولدي ستر الله عنك ظاهر الشريعة!! وكشف لك حقيقة الكفر؛ فإن ظاهر الشريعة شرك خفي!! وحقيقة الكفر معرفة جليلة!!»<sup>(٤)</sup>، وأقر هذا المهراء ابن عربي الحلولي، وزاد عليه فقال: «وتلقي علم الله الباطن كان أولى بك؛ لأنك تزيد حسنا وجمالا في روحانيتك»<sup>(٥)</sup>.

ومن أقوالهم في الباطن: أنه يظهر لهم بواسطة الكشف أمور لا تظهر بمجرد العلم!! وهم في خلواتهم يصيهم «القوة الوهمية؛ فقد تعمل الأوهام أعمالا لكنها باطلة، كالشيخة الذين لم يسلكوا الطرق الشرعية النبوية؛ نظرا أو عملا؛ بل سلكوا الصابئية. ويشبه هؤلاء من بعض الوجوه... خلق كثير من المتصوفة، والمتفكرة بأرض المشرق»<sup>(٦)</sup>.

في زعمه، أما في كتابه "المظنون به على غير أهله"؛ فهو باطني يجرّد اللفظ من معناه بجرأة بالغة، وحسبك أن من أساتذة الغزالي "إخوان الصفا"... المصدر السابق.

(١) مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص ٦٦.

(٢) مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص ١٦٨-١٦٩.

(٣) هذه هي الصوفية للعلامة عبد الرحمن الوكيل ص ٢٠.

(٤) رسالة ابن عربي للرازي ص ١٣.

(٥) رسالة الأنوار لابن عربي ص ٤.

(٦) المجموع ٥٨/٢.

فلو كان مقصود هؤلاء بالباطن ما يجب من الإتيان في القلب، وبالظاهر ما يجب من الإتيان والأعمال بالجوارح لاستقام تقسيمهم، لكن القوم راموا الفصل بين الشريعة التي عنوا بها الظاهر، وهو الذي جاء به محمد ﷺ، وبين الحقيقة التي عنوا بها الباطن، وهو الذي يجدونه بأذواقهم ومكاشفاتهم!!.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والظاهر لا بد له من باطن يحققه، ويصدق، ويوافق؛ فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق؛ ومن ادعى باطنا يخالف ظاهرا فهو كافر منافق، بل باطن الدين يحقق ظاهره، ويصدق، ويوافق، وظاهره يوافق باطنه، ويصدق، ويحققه؛ فكما أن الإنسان لا بد له من روح وبدن، وهما متفقان؛ فلا بدّ لدين الإنسان من ظاهر وباطن يتفقان؛ فالباطن للباطن من الإنسان، والظاهر للظاهر منه، والقرآن مملوء من ذكر أحكام الباطن والظاهر»<sup>(١)</sup>، لأن الدين لا يستقيم إلا باعتقاد في الباطن، وقول في الظاهر، وعمل بالجوارح، لكن هؤلاء الصوفية أصحاب الحقيقة لم يروموا في تقسيمهم هذا، أو ليس حالهم هو هذا، بل حالهم ادعاء علم في الباطن لم يرد به الشرع؛ ومن «ادعى علما باطنا، أو علما بباطن، وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئا، إما ملحدا زنديقا؛ وإما جاهلا ضالا»<sup>(٢)</sup>.

وقد استدل هؤلاء بأدلة لما راموه من التقسيم البدعي، وظنوا أن هناك أدلة على الفصل بين روح الشريعة وجسدها، أعني العلم والعمل، أو الأعمال القلبية والبدنية، وأذكر بعض شبهاتهم، مع الرد عليها، ومنها:

قال الغزالي: «مسألة: فإن قلت: هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار... وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع، إذ ليس للشرع ظاهر وباطن، وسر وعلن، بل الظاهر والباطن، والسر والعلن، واحد فيه. فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة، وإنها ينكرها القاصرون، الذين تعلقوا في أوائل الصبا

(١) المجموع ١٣/٢٦٨.

(٢) المجموع ١٣/٢٣٦.

شيئا وجهدوا عليه، فلم يكن لهم ترق إلى شأو العلاء ومقامات العلماء والأولياء، وذلك ظاهر من أدلة الشرع»<sup>(١)</sup>، وذكر: [إن للقرآن ظاهرا وباطنا، وحدا ومطلعا]<sup>(٢)</sup>، وأحاديث أخرى نحو هذا، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وذكر شبهات أخرى، وتلك أهمها، والجواب عن ذلك من وجوه:

١- أن الحديث بأن للقرآن ظاهرا وباطنا... لا يثبت، فقد قال غير واحد من العلماء: إنه لا يصح، قال الذهبي رحمته الله: «لا يصح إسناده»<sup>(٣)</sup>، ومن رواه الحكيم الصوفي الترمذي وهو متهم بالوضع<sup>(٤)</sup>، وفي بعض أسانيده من هو ضعيف، وذكر الشاطبي رحمته الله أنه مرسل<sup>(٥)</sup>، فهذه علل اجتمعت فكيف يحتج بالحديث الذي لا يثبت؟!.

٢- أن الحديث لو ثبت فالمراد بالظاهر ما دل عليه من الأعمال الظاهرة، ومن الباطن ما دل عليه من الأعمال الباطنة، من الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وغير ذلك، «وما من آية إلا وتوجب الأمرين جميعا؛ لأن وجوه القرآن أمر ونهي، ووعد ووعيد، ومواعظ وأمثال، وخبر ما كان وما يكون، وكل وجه منها يجب الإيمان به، والتصديق له، والعمل به؛ فالعمل بالأمر: إتيانه، وبالنهي: الاجتناب عنه، وبالوعد: الرغبة فيه، وبالوعيد: الرهبة عنه، وبالمواعظ: الاتعاظ، وبالأمثال: الاعتبار»<sup>(٦)</sup>.

٣- أن المراد بالظاهر: اللفظ، وبالباطن: المعنى التفسيري، لا المعنى الباطني أو الإشاري، الذي لا يدل عليه السباق والسياق؛ فالظاهر: التلاوة، والباطن: التفهم<sup>(٧)</sup>.

(١) الإحياء للغزالي ١/ ١٦٠.

(٢) روى نحوه البغوي في شرح السنة ١/ ٢٦٢، عن الحسن البصري مرسلا، قال محققه: مرسل، وإسناده ضعيف.

(٣) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٠٩.

(٤) انظر: لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٣٠٩.

(٥) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٨٢، ٣٨٤.

(٦) شرح السنة للبغوي ١/ ٢٦٤، وانظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٨٩.

(٧) انظر: شرح السنة للبغوي ١/ ٢٦٤، الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٩٤.

٤- قال أبو عبيدة<sup>(١)</sup> رحمه الله: «إن القصص التي قصها الله تعالى عن الأمم الماضية، وما عاقبهم به، ظاهرها: الإخبار بهلاك الأولين، وحديث حدث به عن قوم، وباطنها: وعظ الآخرين، وتحذيرهم أن يفعلوا كفعالهم؛ فيحل بهم مثل ما حل بهم»<sup>(٢)</sup>.

٥- أن المراد بالحد: الغاية التي ينتهي عندها، وما أراده الله بها، كما في إخبار الله عما يأتي جلياً؛ «فحد في التلاوة ينتهي إليه، فلا يجاوز، وكذلك في التفسير، ففي التلاوة: لا يجاوز المصحف الذي هو الإمام، وفي التفسير: لا يجاوز المسموع»<sup>(٣)</sup>، وأيضاً لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب.

٦- المراد بالمطلع ما يتوقف عليه معرفة الشيء، ويوصل إلى إدراكه<sup>(٤)</sup>، فهذه بعض المعاني للظاهر والباطن، والحد والمطلع - لو صح الحديث -، ولم يذكر العلماء الراسخون إن من معانيها المعنى الإشاري الصوفي، أو الباطني الحلوي.

٧- قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «وفسر بأن الظهر والظاهر هو: ظاهر التلاوة، والباطن: هو الفهم عن الله لمراده...، وإليه يرجع تفسير الحسن للحديث إذ قال: الظهر هو الظاهر، والباطن هو السر، وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فظاهر المعنى شيء، وهم عارفون به، لأنهم عرب، والمراد شيء آخر، وهو الذي لا شك فيه أنه من عند الله، وإذا حصل التدبر لم يوجد في القرآن اختلاف البتة، فهذا الذي من جهته يفهم الاتفاق، وينزاح الاختلاف هو الباطن المشار إليه...، وحاصل هذا الكلام أن المراد بالظاهر هو الفهم العربي، والباطن هو مراد الله تعالى من كلامه وخطابه؛ فإن كان مراد

(١) هو العالم اللغوي: معمر بن المثنى التيمي مولا هم أبو عبيدة البصري من مؤلفاته: غريب الحديث، مجاز القرآن، توفي سنة ٢٠٩ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٩ / ٤٤٥.

(٢) مناهل العرفان ٨٨ / ٢، وقد حكى البغوي في شرح السنة ١ / ٢٦٣ قريباً من هذا القول، ونسبه إلى الحسن البصري؛ فالحديث لو ثبت؛ فإننا نفهمه على ضوء أفهامهم، لا أن نقبل منهم ما رويوا، ونرد منهم ما فهموا.

(٣) شرح السنة للبغوي ١ / ٢٦٤.

(٤) انظر: هذه الوجوه في شرح السنة للبغوي ١ / ٢٦٤.

من أطلق هذه العبارة ما فسر فصحيح، ولا نزاع فيه، وإن أرادوا غير ذلك فهو إثبات أمر زائد على ما كان معلوما عند الصحابة ومن بعدهم؛ فلا بد من دليل قطعي يثبت هذه الدعوى، لأنها أصل يحكم به على تفسير الكتاب؛ فلا يكون ظنياً<sup>(١)</sup>.

٨- وهو تفصيل في المسألة؛ فيقال: ما المراد بعلم الباطن؟ فإنه إذا كان مجرد اصطلاح ولا يخالف الظاهر، وأن المقصود به ما يخفى على كثير من الناس؛ فهذا لا ينكر، وإن كان المقصود به الباطن الذي يخالف الظاهر، ولا يعرفه إلا من تمرس بالرياضة والطرق الصوفية؛ فهذا باطل ولا ريب<sup>(٢)</sup>؛ فدعوى الظاهر والباطن في النصوص فيها إجمال<sup>(٣)</sup>؛ فالباطن: إما أن يقال: المراد به الأمور الباطنة، مما هي في القلوب من المعارف والعلوم والغيوب التي أخبر بها الرسل. وإما أن يراد بالباطن: ما يقصر عن فهمه أكثر الناس؛ فالأول: منه ما هو متعلق بالجوارح، ومنه ما هو متعلق بالباطن كأعمال القلوب، من الإيمان بالله، وأسمائه، وصفاته، وملائكته... والناس متفاوتون مختلفون في هذا وهذا، ويكون هذا المعلوم باطنا لهم من وجهين: الأول: من جهة كون المعلوم غير ظاهر. الثاني: من جهة كونه لا يعلمه أكثر الناس. وأما الثاني: وهو أن يراد بالباطن العلم الخفي الذي يخفى على أكثر الناس فهو أيضا على وجهين: الأول: باطن يخالف العلم الظاهر؛ فهذا باطل، ومدعيه إما ملحد زنديق، أو جاهل بالعلم غير حقيق، وهذا الذي سار عليه الباطنية ومن وافقهم. الثاني: باطن لا يخالف العلم الظاهر؛ فالكلام فيه كالكلام في العلم الظاهر، منه ما هو حسن، ومنه ما هو حق، ومنه ما هو صواب، ومنه ما ليس كذلك، ويوزن الكل بالكتاب والسنة<sup>(٤)</sup>.

٩- قال شيخ الإسلام ﷺ - في بيان أن الصوفية منهم من يقول -: «لنا

(١) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٨٢-٣٨٤.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ٢٣٥-٢٣٦.

(٣) انظر: المجموع ١٣/ ٢٣٢-٢٣٦.

(٤) انظر: المصدر السابق.

شريعة، ولنا حقيقة تخالف الشريعة!! والذين يتكلمون بهذا الكلام لا يميزون ما المراد بلفظ الشريعة في كلام الله وكلام رسوله، وكلام سائر الناس، ولا المراد بلفظ الحقيقة، أو الحق<sup>(١)</sup>، «فكل شريعة ليس لها حقيقة باطنة؛ فليس صاحبها من المؤمنين حقاً، وكل حقيقة لا توافق الشريعة التي بعث الله بها محمداً ﷺ فصاحبها ليس بمسلم؛ فضلاً عن أن يكون من أولياء الله المتقين، وقد يراد بلفظ الشريعة ما يقوله فقهاء الشريعة باجتهادهم، وبالحقيقة ما يذوقه ويمجده الصوفية بقلوبهم، ولا ريب أن كلا من هؤلاء مجتهدون: تارة مصيبون، وتارة مخطئون، وليس لواحد منهما تعمد مخالفة الرسول ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

١٠- أن جل ما ذكره لا يصح؛ ففيما لا يصح لا يكون دلالة - إلا إذا كان كشفاً!!-، وأما ما صح سنداً فلا وجه للدلالة فيها لهم - اللهم إلا أن يكونوا فهموها ذوقاً!<sup>(٣)</sup>.

١١- أن المراد من الآية التي أوردها الغزالي: ليس العلم الكشفي الذوقي، وإنما المراد منه الاعتبار<sup>(٤)</sup>.

١٢- وما يرد عليهم به: اختلافهم فيما بينهم فيما يدعون أنه من علم الباطن؛ «فكل منهم يفسره بما يدعيه من الضلالات الكفرية التي يزعم أنها "علم الأسرار والحقائق"»<sup>(٥)</sup>.

١٣- وما يرد عليهم به أن يقال لهم: كيف يكون الظاهر مراداً وما في القرآن كله تخيلات وتمثيلات، وإشارات على زعمكم؟!؛ فهذا دليل على أنكم لا ترون الظاهر موجبا، والعمل به وارداً، وذلك لأنه إشارات وتخيلات!! فدل على أن القول بأن الظاهر شرع إنما هو لإسكات الناس، والتستر وراءها حتى لا ينكشف الزيف، وتروج الطريقة.

(١) المجموع ٨ / ٣١٤.

(٢) المجموع ٨ / ٣١٦، وانظر منه ١٣ / ٢٣٦.

(٣) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان بن علي حسن ١ / ٤٠٧، وما بعدها.

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي ١ / ٢٦٤، الموافقات للشاطبي ٣ / ٤٠٣.

(٥) المجموع ١١ / ٥٤.

١٤- أن القول بالفصل بين الشريعة والحقيقة والظاهر والباطن مبتدع، وسأذكر ما يدل على ذلك، من وجوه أخرى متعددة:

أ- أنهم زعموا بهذا التقسيم أن في الدين سرا وجهرا، وظاهرا ومكتوما، قال ابن حزم رحمته الله: «ولا سر في الدين عند أحد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَاهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهٗ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] وقال الله تعالى: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]»<sup>(١)</sup>.

ب- أن تقسيم الدين إلى قشر ولباب، أو ظاهر وباطن ليس عليه دليل من الكتاب أو السنة، أو من هدي سلف الأمة، فهو إذا مردود، وقد ذكر ابن عربي الطائي الصوفي نفسه أن الواجب في الخلافات الرجوع إلى الشرع، فقال: «وكان الواجب أن لا يهملوا جناب الحق، ولا يطلقون عليه من الألفاظ والنعوت إلا ما أطلقها على نفسه في كتابه، أو على لسان نبيه»<sup>(٢)</sup>، فهذا شهادة صوفي حلولي على وجوب الاتباع في الشرع، وقال شيخ الإسلام رحمته الله: «لفظ الشرع والشريعة إذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد من أولياء الله، ولا لغيرهم أن يخرج عنه، ومن ظن أن لأحد من أولياء الله طريقا إلى الله غير متابعة النبي صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا فلم يتابعه باطنا وظاهرا؛ فهو كافر»<sup>(٣)</sup>.

ت- قال ابن العربي المعافري المالكي رحمته الله ردًا على أصحاب الظاهر والباطن، ممن يدعون القشر واللباب، ويختلفون في تفسير آيات الكتاب: «نبغت - طائفة - يقال: لهم أصحاب الإشارات، جاؤوا بالألفاظ الشرعية من بابها، وأقروها على نصابها، لكنهم زعموا أن وراءها معاني غامضة خفية، وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ، فعبروا إليها بالفكر، واعتبروا منها في سبيل الذكر...، ومتعلقهم في ذلك أن السلف ما زالوا يبطنون مثل هذا المعنى، ويجعلونه من باطن علم القرآن الذي قالوا فيه:

(١) المحل ١/١٣.

(٢) الأزل لابن عربي ص ٤.

(٣) الفرقان ص ١١٠، المجموع ١١/٢٦٣-٢٦٤.

إن للقرآن ظاهراً وباطناً، وحداً ومطلعاً»، وذكر شبههم، ثم قال مبيناً عوارهم، وكاشفاً أغوارهم: «والذي تحرر بعد تحرير الافتكار، في سبيل النظر والاعتبار، أن الصريح عام في الدين، به جاء البرهان، وعليه دار البيان، فلا يجوز أن يعدل بلفظ صريح معناه إلى ما سواه، فإن ذلك تعطيل للبيان، وقلب له إلى الإشكال، فإذا تقرر الصريح في نصابه، فالإشارة بعد ذلك إلى الأمثال والأشباه، والتنبيه لوجه التشبيه أصل عظيم في العقل، وباب متسع في الدين، وسبيل واضحة في الشريعة، فإن كانت في الأحكام فهو باب القياس، وإن كانت في التذكير والوعظ، فالعبرة مباحة، وإن كانت في التوحيد، ولم يذكر في معرض المثل، فهي على حقيقتها...»<sup>(١)</sup>. ثم قال عن هذه الإشارات التي زعموا أنهم فهموها من العبارات: «هذا من الفن الذي لا يحتاج إليه، وإنما هو احتكاك بتلك الأغراض الفلسفية، وهي عن نهج الشريعة قصية، كادت بها الدين طائفة خبيثة»<sup>(٢)</sup>.

ث- أن دين النبي ﷺ كامل، لا يحتاج إلى إكمال ببيان طرق محدثة لا عد لها، بدعوى ظهور شيء من الباطن لم يظهر للأول، وكل واحد من هؤلاء يأمر أتباعه بما لم يأمر النبي ﷺ أتباعه قطعا، فانظر إلى أحدهم وهو يقول لمريده: «فاغلق بابك دون الناس!! وكذلك باب بيتك بينك وبين أهلِكَ!! واشتغل بذكر الله بأي نوع شئت من الأذكار، وأعلاها الاسم، وهو: الله، الله، الله، لا تزيد عليه شيئا!!!...، وتحفظ في غذائك، واجتهد أن يكون دسما، ولكن من غير حيوان!!»<sup>(٣)</sup>.

ج- أن القول بتقسيم الدين إلى الظاهر والباطن قول للفلاسفة، وتلقفها هؤلاء الصوفية، وادعى الفلاسفة الإجماع على ذلك التقسيم كقول الصوفية، يقول ابن رشد: «أجمع المسلمون على أنه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها، ولا أن تخرج كلها من ظاهرها بالتأويل»<sup>(٤)</sup>، والجواب عن هذا الادعاء من وجوه أيضا:

(١) العواصم من القواصم لابن العربي ص ٢٦١-٢٦٣، بتصرف يسير.

(٢) العواصم من القواصم لابن العربي ص ٢٧٠، وانظر: قانون التأويل لابن العربي ص ٥١٨ وما بعدها.

(٣) رسالة الأنوار لابن عربي ص ٦.

(٤) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٨-١٩.



أ- أن الذي ذكره ابن رشد نفسه من ادعاء الإجماع نقضه بقوله أن البرهان العقلي مقدم على الإجماع؛ فكيف يحتج بالإجماع إذاً - لو صح -؟؟، قال في مسألة: إذا خالف الإجماع البرهان العقلي، وهل يتصور ذلك ويصح؟ فقال: «أما لو ثبت الإجماع بطريق يقيني لم يصح، وإن كان الإجماع فيها ظنياً، فقد يصح»<sup>(١)</sup>، فيقال: كذلك دعواه أن المسلمين أجمعوا على أنه ليس يجب حمل الشرع كله على ظاهره، دعوى للإجماع بدون يقين، إذ لم يسبق إلى هذه الدعوى إلا أمثاله، ممن يرون أن للشرع ظاهراً وباطناً، أما السلف فهم كانوا مقرين بالشرع ظاهراً وباطناً، ولا يؤولون شيئاً منه عن ظاهره الذي سبق له الدليل.

ب- أن الإجماع قد يصح إذا كان يقينياً - ولو فرض أنه خالف البراهين العقلية!! -، أفلا يصح حينئذ العمل بظاهر نص الشارع - ولو كانت البراهين العقلية مخالفة!!؟ -، ثم إن القائلين بالباطن والحقيقة يؤولون نص ظاهر الشرع حتى يكون موافقاً للبراهين<sup>(٢)</sup> ما دام خالف البراهين العقلية!! أفلا يصح حينئذ العمل بالظاهر، ولو كانت البراهين العقلية يقينية؟ ثم إنكم تبحثون عن التأويلات للإجماع حتى يكون موافقاً للبراهين<sup>(٣)</sup>، فهلا بحثتم تأويلاً للبراهين حتى توافق القرآن الثابت؟؟.

ت- أنهم بسبب هذه القواعد المنطقية، والعبارات الفلسفية لا يكفرون الرجل ولو وقع في الكفر المخالف للقرآن والسنة، فأبي تعظيم يكون للقرآن والسنة حينئذ، بحجة أنهم لم يخالفوا شيئاً قطعياً!!، فهذا ابن رشد يدافع عن ابن سينا وأبي نصر الفارابي - مع أن الغزالي كفرهم - بحجة أنهم لم يخالفوا شيئاً مجمعا عليه!! مع دعواهم بقدم العالم، وأن الله لا يعلم الجزئيات، وتأويلهما لحشر الأجساد والأرواح!!<sup>(٤)</sup> ومع هذا الكفر الصراح، لا يعتبرون مخالفين للكتاب والسنة ما داموا على الأصول الفلسفية؟؟.

(١) فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال ص ١٩.

(٢) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال ص ١٩.

(٣) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال ص ١٩.

(٤) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال ص ٢٠.

ث- أن دعوى الظاهر والباطن منقوضة بأقوال الأئمة الراسخين في السنة النابذين للبدعة، ومن وافقهم من أهل الملة، حيث أنكروا أن يكون للشرع ظاهر وباطن، وشريعة وحقيقة، وأقوالهم في ذلك مشهورة، وآثارهم مذكورة، وقد تقدم بعض أقوالهم في إيجابهم العمل بالشرع وأنه هو الظاهر، وأنه لا سرفيه<sup>(١)</sup>.

ج- أن كبار الصوفية القدامى قالوا: احفظوا السواد على البياض؛ فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق...، وقالوا: كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل...، وقيل: كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر، وقالوا: من قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر؛ فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان<sup>(٢)</sup>.

ومن شبهاتهم أنهم يقولون: إن الشرع ورد فيه الظاهر والباطن لاختلاف أذواق الناس واختلاف فطرهم!! وكما سبق أنهم يقولون: إن العوام لا يعرفون إلا التشبيه والجري على الظواهر. فتأى الشرع كذلك!!، يقول ابن رشد<sup>(٣)</sup>: «إن الشريعة قسمان: ظاهر ومؤول، وأن الظاهر منها فرض الجمهور!!، وأن المؤول هو فرض العلماء!!»<sup>(٤)</sup>، وهذا قول بعض المتكلمين، يقول الكرمي الحنبلي<sup>(٥)</sup> رحمته الله: «وإذا كانت الظواهر تثبت وجود القرآن، وأنه كلام الله حقيقة، فقال قائل: ليس كذلك؟؟ فقد نفى الظواهر التي تعب الرسول ﷺ في إثباتها، وقرر وجودها في النفوس، وهل للمخالف دليل إلا أن يقول: قال الله فيثبت ما نفى؟ فليس الصواب لمن وُفق إلا

(١) انظر: بعض هذه الأقوال في الفصل الثاني من الباب الثالث ص ٥٨٩ ///

(٢) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٣) وإنما ذكرت قول ابن رشد، وحقه أن يذكر في الفلاسفة لأن القول بالظاهر والباطن من أقوال الفلاسفة أصلاً ثم تبعهم على ذلك الصوفية تبعاً مع شيء من التطور؛ فأولئك يقولون: إن النصوص هكذا أصلاً تدل على هذه المعاني، وكلها متخيلات، والباطن: أن هذا الظاهر كله غير مراد أصلاً!!، وأن الباطن أنه لا شيء من هذا حقيقة!! وأما الصوفية فيقولون: ظاهره ما يفهمه العامة (أي أهل السنة) وباطنه: ما يفهمه الخاصة - أي من أتباعهم أهل الكشف!! وكلا المعنيين مراد في النص، ظاهره وباطنه.

(٤) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٤٣.

(٥) هو العالم الفقيه: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، من مؤلفاته: أقاويل الصفات في تأويل الأسماء والصفات، توفي بفلسطين سنة ١٠٣٣ هـ. انظر: معجم المؤلفين ١٢ / ٢١٨.

الوقوف مع ظواهر الشرع... وإثبات الإله بظواهر الآيات والأحاديث ألزم للعوام من تحديثهم بالتنزيه، وإن كان التنزيه لازماً!!!.

وقد كان ابن عقيل يقول: الأصلح لاعتقاد العوام ظواهر الآيات والأحاديث؛ لأنهم يأنسون بالإثبات!!! فمتى محونا ذلك من قلوبهم زالت السياسة والحشية!! وتهافت العوام في التشبيه أحب إلي من إغراقهم في التنزيه!!! لأن التشبيه يغمسهم في الإثبات، فيطمعوا ويخافوا شيئاً قد تخيلوا مثله يرجى ويخاف!! وأما التنزيه فإنه يرمي بهم إلى النفي، ولا طمع ولا مخافة من النفي<sup>(١)</sup>.

وهذا الذي ذكره ابن رشد، وتبعه بعض المتكلمين فيه تلبيس وتدليس، إذ ليس ظواهر القرآن والسنة دالة على التشبيه، بل هذه النصوص تدل على الإثبات مع التنزيه، وأما تنزيههم فهو تعطيل للرب، يؤدي إلى تعطيل التعبد في العبد.

وهذا القول هو قول بعض الصوفية أيضاً؛ فإن منهم من يعتقد أن الشريعة الظاهرة واجبة على العوام، فيدخلون في كثير من أقوالهم في العلوم، أو في العلوم والأعمال إلى أقوال الباطنية<sup>(٢)</sup>، ولهذا تجد كثيراً منهم في الخلوات، لا يظهرون للجمع والجماعات، ولا يتطهرون بزعم تكميل المكاشفة في الظلمات، في سراديب تحت الأرض لا يرى منها نور السماوات<sup>(٣)</sup>.

واستدلوا على القول بالظاهر والباطن بما روي عن علي عليه السلام [حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله]<sup>(٤)</sup>، واستدلوا<sup>(٥)</sup> بقوله عليه السلام: [إنا معاشر

(١) أقاويل الثقات ص ٢٢٤.

(٢) انظر: الصفدية ٥/١.

(٣) وقد سمعت عن أحد الأئمة المزعومة بأنها خلوة فلان!!! فإذا هي عميقة، وكان لا يخرج منها حتى لقضاء الحاجة، ويتم أربعين يوماً في مكانه!!، وكانوا يعتقدون فيه المعتقدات الخرافية!! وأشد من هذا ما كان يحصل من الغزالي (حجة الإسلام!!) حيث كان في خلوته، والصليبيون يدكون أسوار بيت المقدس، ولم يخرج منها، ولم يدع إلى جهاد، بل ولم يذكر الغزوات الصليبية لا من قريب ولا من بعيد، مع أنه عاشها قرابة (١٢) عاماً!!! انظر: كتاب مصرع الشرك والخرافة للشيخ خالد محمد الحاج ص ٤٦٩.

(٤) رواه البخاري معلقاً مجزوماً به، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ص ٣٣.

(٥) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد ص ٩٩.

الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم، وأن نخاطبهم على قدر عقولهم<sup>(١)</sup>، والجواب عن هذا من وجهين:

١- « ما ذكره البخاري عن علي عليه السلام أنه قال: [حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله] قد حمّله أبو الوليد بن رشد الحفيد الفيلسوف، وأمثاله، على علوم الباطنية الفلاسفة نفاة الصفات، وهذا تحريف ظاهر؛ فإن قول علي عليه السلام... دليل على أن ذلك مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، وأقوال النفاة من الفلاسفة والجهمية والقرامطة والمعتزلة لم ينقل فيها مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً لا صحيحاً ولا ضعيفاً؛ فكيف يكذب الله ورسوله في شيء لم ينقله أحد عن الله ورسوله... فعلم أن الصحابة لم يكونوا يبطنون خلاف ما يظهرون، ولا يظهرون الإثبات ويبطنون النفي، ولا يظهرون الأمر ويبطنون امتناعه، بل هم أقوم الناس بتصديق الرسول فيما أخبر، وطاعته فيما أمر<sup>(٢)</sup>.

٢- أن قول الإمام البخاري رحمته الله: «باب: من خص قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا»<sup>(٣)</sup> فيه دليل على أن المقصود بقول علي عليه السلام العلم ليس إلا، والدليل أنه معلوم للعلماء، وليس لعامة الدهماء، وقد أبهم عنهم خشية أن يفقهوه على غير وجهه، ويؤكد هذا الفهم تبويبه السابق على هذا التبويب حيث قال: «باب: من ترك بعض الاختيار مخافة أن تقصر فهم بعض الناس عنه؛ فيقعوا في أشد منه»<sup>(٤)</sup>، أي يترك الأفضل مخافة عدم الفهم من بعض الناس<sup>(٥)</sup>، وليس المراد أنه لا يبلغ ما يتعلق بأصول الدين، وما يقرب إلى رب العالمين، ومما يؤكد هذا الفهم فهم السلف الصالح؛ فإن ابن مسعود وأبا هريرة وغيرهما لم يحدثا ببعض الأخبار والأمر التي سمعوها من رسول الله

(١) روى نحوه أبو داود، كتاب الأدب، باب/ في تنزيل الناس منازلهم، ح (٤٨٤٢)، عن ميمون بن أبي شبيب عن عائشة رضي الله عنها، قال أبو داود: (ميمون لم يدرك عائشة)، فالحديث منقطع.

(٢) المجموع ١٣ / ٢٦٠.

(٣) صحيح الإمام البخاري، كتاب العلم، ص ٣٣.

(٤) صحيح الإمام البخاري، كتاب العلم، ص ٣٣.

(٥) انظر: الفتح ١ / ٢٧١.

ﷺ لأنه لم يكن متعلقا بالدين، وإنما هي أمور متعلقة بالدنيا، وما سيقع فيها، وتقع كراهة التحديث لمن يتخذها ذريعة إلى فعل مشين، أو قول منكر مبين، ظنا منه أن هذا الحديث يدل عليه، وضابط ذلك: أن يكون ظاهر الحديث - عند من لا يفهمه - يقوي البدعة، وهذا الظاهر غير مراد؛ فالإمسك عنه عند من يخشى عليه الأخذ به مطلوب<sup>(١)</sup>.

وقالوا مستدلين لقولهم بالباطن والظاهر: إن الأنبياء لم يعلموا أصحابهم الباطن، لكونهم مشغولين بالجهاد، وخاف النبي أن يشتغلوا بالباطن عن الجهاد!!<sup>(٢)</sup>. فهل النبي ﷺ يترك شيئا مهما يتعلق بالنصوص الشرعية، من أجل اشتغالهم بالجهاد!!؟ ولم يترك الإنكار عليهم في مسألة عقدية واحدة - هي في نظر كثير من الناس - صغيرة في أحلك الظروف وأصعبها؛ فكيف يترك أمرا عظيما يتعلق بفهم كتاب الله ﷻ؟، انظر إليه ﷺ وهو يغضب على مسلمة الفتح في طريقه إلى غزوة حنين لما قالوا: [اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط!]؛ فقال ﷺ من غير مجاملة ولا مسايرة: [قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون...]<sup>(٣)</sup>؛ فما منعه الجهاد من إظهار تبرك شركي فكيف بأمر عظيم يتعلق بفهم كلام الشرع في الاعتقاد!!؟ فهم يقولون: إن المراد من بعث الأنبياء حصول الحكمة والمصلحة، - وهذا لا شك أنه مقصد عظيم وصحيح - وأن في بعث الأنبياء صلاحًا للعباد والبلاد، في المعاش والمعاد، لكن ليس في هذا ما يوجب سقوطها عن بعض العباد، كما يدعيه أهل الفسق والعناد، أو أهل البدعة والاتحاد، أو من يسمون أنفسهم بالأقطاب والأوتاد.

ومن شناعاتهم الشنيعة وأقوالهم السخيفة في بعث الأنبياء، قالوا: إن «المراد منها ضبط العوام، ولسنا نحن العوام»، ولا ريب: «أن الكلمة الأولى: زندقة ونفاق،

(١) انظر: الفتح ١/ ٢٧٢.

(٢) انظر: النبوات ص ٢٤٨.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ح (٢٢٢٤٢)، والترمذي، كتاب الفتن، باب/ لتركبن سنن من كان قبلكم،

ح (٢١٨٠) عن أبي واقد الليثي، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

والثانية: كذب واختلاق؛ فإنه ليس المراد من الشرائع مجرد ضبط العوام؛ بل المراد منها الصلاح باطنا وظاهرا، للخاصة والعامة، في المعاش والمعاد<sup>(١)</sup>.

وربما قالوا: إن الوحي والإلهام عام، وأن العلم بالباطن يحصل بصفاء الذهن ونوع رياضة، وإذا أوحى إلى النحل فغيره كذلك، وبهذا يعلم أن الكشف صحيح!! ومعلوم أن الإيحاء العام ليس كالإيحاء الخاص للأنبياء، وقد فرق الله ﷻ بين ذلك، وإلا عد النحل رسولا!! فالفهم الذي يظهر في قلوب العلماء العاملين، والصلحاء الصادقين: ليس إلا إدراكا يقع في قلوبهم لما لهم من معارف شرعية؛ جعل الله ذلك وسيلة إلى إدراك الحقائق على ما هي عليه، لا أنهم يرون ما حجب وستر وكان غيبا؛ فجعل هؤلاء الصوفية «الإيحاء والإلهام الذي يحصل في اليقظة والنام مثل سماع موسى كلام الله، سواء لا فرق بينهما!!»<sup>(٢)</sup>، ومعلوم أنه «لو كان أحد يأتيه من الله ما لا يحتاج إلى عرضه على الكتاب والسنة، لكان مستغنيا عن الرسول ﷺ في بعض دينه، وهذا من أقوال المارقين الذين يظنون أن من الناس من يكون مع الرسول كالخضر مع موسى، ومن قال هذا فهو كافر»<sup>(٣)</sup>.

ومنهم من يستدل بالمفتريات على المبتدعات؛ فيقول على سيد البريات، ويدعي العلم الباطن وسماع الوحي!! وذلك كقولهم: «إن أهل الصفة سمعوا ما خاطب الله به رسوله ليلة المعراج؛ وأن الله أمره أن لا يعلم به أحد؛ فلما أصبح وجدهم يتحدثون، فأنكر ذلك؛ فقال الله تعالى: أنا أمرتك أن لا تعلم به أحدا، لكن أنا الذي أعلمتهم به!! إلى أمثال هذه الأكاذيب التي هي من أعظم الكفر، وهي كذب واضح؛ فإن أهل الصفة لم يكونوا إلا بالمدينة؛ لم يكن بمكة أهل صفة؛ والمعراج إنما كان بمكة...، ومما يشبه هذا من بعض الوجوه: رواية بعضهم عن عمر أنه قال: كان النبي ﷺ يتحدث هو و أبو بكر، وكنت كالزنجي بينهما. وهذا من الإفك المخلتق، ثم إنهم مع هذا

(١) المجموع ١١/٤١٥-٤١٦.

(٢) المجموع ٦/١٨٠.

(٣) المجموع ١١/٦٦.

يجعلون عمر الذي سمع كلام النبي ﷺ وصديقه، وهو أفضل الخلق بعد الصديق لم يفهم ذلك الكلام!! بل كان كالزنجي!! ويدعون أنهم سمعوه وعرفوه!!»<sup>(١)</sup>.

وقد يحتاجون لعلم الباطن بقول أبي هريرة ؓ: [حفظت من رسول الله ﷺ جرايين؛ فأما أحدهما فبثته فيكم؛ وأما الآخر فلو بثته لقطعتم هذا البلعوم]<sup>(٢)</sup>، «ولكن ليس في هذا من الباطن الذي يخالف الظاهر شيء؛ بل ولا فيه من حقائق الدين، وإنما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون من الملاحم والفتن؛ فالملاحم: الحروب التي بين المسلمين والكفار، والفتن: ما يكون بين المسلمين»<sup>(٣)</sup>.

ومن هؤلاء من يحتج بقصة موسى والخضر: والذي فعله الخضر كان «مصلحة، وهو شريعة أمره الله بها، ولم يكن مخالفا لشرع الله، لكن لما لم يعرف موسى الباطن كان في الظاهر عنده أن هذا لا يجوز؛ فلما بين له الخضر الأمور وافقه؛ فلم يكن ذلك مخالفا للشرع، وهذا الباب يقال فيه: قد يكون الأمر في الباطن بخلاف ما يظهر، وهذا صحيح، لكن تسمية الباطن حقيقة، والظاهر شريعة أمر اصطلاحية»<sup>(٤)</sup>.

ومن احتج بقصة موسى مع الخضر على أن هناك حقيقة وشرعية، أو باطنا وظاهرا، أو يسوغ الخروج عن ظاهر الشرع؛ فهو مخطئ من وجهين<sup>(٥)</sup>:

الأول: أن موسى لم يبعث إلى الخضر، ولم يكن على الخضر اتباعه؛ فإن موسى بعث إلى بني إسرائيل؛ وأما محمد ﷺ فرسالته عامة للإنس والجن، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر كإبراهيم وموسى وغيرهما وجب عليهم اتباعه؛ فكيف بأحد أمته.

الثاني: أن موسى لم يعلم سبب الفعل، ولهذا وقع منه الإنكار، ولما علم السبب

(١) المجموع ٥٤/١١، وانظر منه ١١٠.

(٢) روى نحوه البخاري، كتاب العلم، باب/ حفظ العلم، ح (١٢٠).

(٣) المجموع ٢٥٥/١٣.

(٤) المجموع ٣١٥/٨، ومعلوم أن الاصطلاح إذا ترتب عليه نزاع شرعي؛ فإنه لا عبرة به، وأنه لا مشاحة في الاصطلاح إذا كان الاصطلاح له معنى صحيح، ولا يخالف الشرع.

(٥) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١١١، المجموع ٢٦٣-٢٦٤.

لم ينكر بل أقر، فإن خرق السفينة للمصلحة جائز، وهو إحسان إليهم...، ولهذا ينكر الناس بعضهم على بعض فيما يقع من الأعمال التي لا يعرفون أسبابها وأحكامها؛ فإذا علموا وافقوا وأذعنوا - كمن رأى رجلاً يضرب صبياً فينكر عليه؛ فإذا علم أنه ابنه، وأنه يضربه تأديباً، عرف السبب وسكت عن الإنكار -؛ فكل من عمل بشيء فإنه يطالب بالدليل الشرعي؛ فإن وافقه قبل، وإلا رد.

وقد يقول أهل الجهل والكذب منهم: إن علياً عليه السلام اختص بعلم، وانفرد به عن الصحابة!! وهذا كله باطل، وقد ثبت في الصحيح أنه قيل له: [هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء؟] فقال: لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا فهما يؤتيه الله عبداً في كتابه، وما في هذه الصحيفة، وكان فيها عقل الديات<sup>(١)</sup>...، فكل من ادعى أن النبي ﷺ خصه بعلم فقد كذب عليه...، وكذلك ما يذكر: «أنه كان عنده علم باطن امتاز به عن أبي بكر وعمر، وغيرهما؛ فهذا من مقالات الملاحدة الباطنية، ونحوهم»<sup>(٢)</sup>.

وقد أوردت أقوال الباطنية الصوفية - في هذا الباب مع أن حقهم أن يذكروا مع الباطنية - وذلك لأنهم معظمون عند عامة الصوفية؛ وإن لم يقولوا بقولهم، ولم يتصوروا مقولهم، ولكن حتى يتبين الأمر، ويعرف الخير من الشر، وإلى من ينسب هؤلاء الصوفية، ومن يعظمون. فإن عامة الصوفية معظمون لأصحاب وحدة الوجود، بل «وهم عند كثير من الناس سادات الأنام، ومشايخ الإسلام، وأهل التوحيد والتحقيق وأفضل أهل الطريق، حتى فضلهم على الأنبياء والمرسلين، وأكابر مشايخ الدين!!»<sup>(٣)</sup>، ولهذا فنقل بعض أقوالهم مع منتحلهم أمر لا بد منه، حتى يظهر الحال، وينكشف المقال.

بل إن من الصوفية من يزعم أن التكاليف الشرعية لا تلزمه، إذا وصل إلى اليقين!! لقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] «فاليقين عندهم،

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب/ فكاك الأسير، ح (٣٠٤٧) عن علي عليه السلام.

(٢) المجموع ٤/ ٤١٢-٤١٣.

(٣) المجموع ٢/ ٣٥٧.



هو معرفة هذه الحقيقة!! وقول هؤلاء كفر صريح... ومشاقة لله، وتكذيب لله ولرسوله، ومعاداة له، وصدد عن سبيله، ومشاقة له، وتكذيب لرسله، ومضادة له في حكمه، وإن كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك، ويعتقد أن هذا الذي هو عليه هو طريق الرسول وطريق أولياء الله المحققين، فهو في ذلك بمنزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه لاستغناء الله عنها، بما حصل له من الأحوال القلبية، أو أن الخمر حلال له، لكونه من الخواص!! الذين لا يضرهم شرب الخمر!! أو أن الفاحشة حلال له، لأنه صار كالبحر لا تذكره الذنوب، ونحو ذلك!!<sup>(١)</sup>، ف«يحتج بقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] ويقول: معناها: اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة؛ فإذا حصل ذلك سقطت العبادة، وربما قال بعضهم: اعمل حتى يحصل لك حال!! فإذا حصل لك حال تصوفي [سقطت عنك العبادة]<sup>(٢)</sup>، وهؤلاء فيهم من إذا ظن حصول مطلوبه من المعرفة والحال، استحل ترك الفرائض وارتكاب المحارم، وهذا كفر<sup>(٣)</sup>.

فطريق الحقيقة عندهم: هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه، ولكن بما يراه، ويذوقه، ويجده في قلبه مع ما فيه من غفلة عن الله ﷻ، ونحو ذلك، ويقول محققوهم: الشريعة فيها طاعة ومعصية، والحقيقة فيها معصية بلا طاعة، والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية!!<sup>(٤)</sup>.

«وابتلى بهذا - أي إنكار الصفات - كثير من أهل النظر والعبادة والتصوف، وصاروا يظهرون هذا في قالب المكاشفة!! ويزعمون أنهم أهل التحقيق والتوحيد والعرفان!!<sup>(٥)</sup>».

«وكان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة، وإنما لبس

(١) العبودية ص ٤٤-٤٥.

(٢) هكذا في المطبوع بين قوسين.

(٣) المجموع ١١/٤١٧.

(٤) العبودية ص ١١٣.

(٥) النبوات ص ٨٧.

الشیطان علیهم لقلۃ علمهم... قال أبو سلیمان الدارانی: ربما تقع فی نفسی النکتۃ من نکت القوم آیاما؛ فلا أقبل منه إلا بشاہدین عدلین: کتاب والسنة...، وقال البسطامي<sup>(١)</sup>: من ترک قراءة القرآن والتكشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعبادة المرضى وادعی بهذا الشأن؛ فهو مبتدع<sup>(٢)</sup>.

ولا زال أهل العلم أئمة الدین یعظمون النکیر علی هؤلاء، «وإن كانوا من الزهاد العابدین، وأهل الكشف والتصرف فی الکون!!...، وإنما الفاصل بین أهل الجنة وأهل النار: الإیمان والتقوی، الذي هو نعت الأولیاء»<sup>(٣)</sup>.

وبما يظهر لهم بواسطة الحقيقة - وهو الكشف - أدل الصوفیة بأقوالهم التي فیها يتجلى القول بالباطن، وكان إدلائهم فی نصوص الوحي واضحا، كما فی تفسیر القشیری، والسلمي، وروح البیان لإسماعیل حقی<sup>(٤)</sup>، وإعجاز البیان للقونوي، وتفسیر النخجواني<sup>(٥)</sup>، بل وتفسیر روح المعانی للألوسی، وتفسیر النیسابوري، وغيرها، وکفیک هو لا أن تعلم شناعة تفسیر ابن عربي الصوفي الحلولي أنه لما طبع کتابه عظم الأمر علی المحققین من أهل السنة حتی قيل<sup>(٦)</sup>: «هالني ما كان من بعض دور الشر فی مصر وبيروت، من الأخذ فی طبع کتاب التفسیر المنسوب لابن عربي...، هالني ذلك وهال الكثيرین غیری - فکيف - یسکت عن مثل هذا الفعل الذي یسیء إلى الإسلام، ویذهب بقدسية القرآن؟!»<sup>(٧)</sup>.

(١) هو الصوفي: طیفور بن عیسی بن شروسان الصوفي، أبو زید البسطامي، توفي سنة ٢٦١هـ. انظر: سیر أعلام النبلاء ١٣ / ٨٦.

(٢) تلبیس إبلیس لابن الجوزي ص ١٨٧.

(٣) المجموع ١١ / ٤٢٠.

(٤) هو الصوفي الکبیر: إسماعیل حقی بن مصطفى أبو الفداء البروسوي، من مؤلفاته: کتاب التوحید، وروح البیان فی تفسیر القرآن، توفي سنة ١١٣٧هـ. انظر: معجم المؤلفین ٢ / ٢٦٦.

(٥) انظر: مقدمة المحقق علی کتاب البرهان فی توجيه متشابه القرآن للکرماني ص ٨.

(٦) القائل هو الدكتور/ محمد الذهبي رحمته الله، وله کتاب بعنوان التفسیر والمفسرون؛ فهو خبير فی مجاله، وعالم تحرير فی أيامه.

(٧) تفسیر ابن عربي للقرآن حقیقته وخطره، للدكتور/ محمد حسین الذهبي ص ٣-٤.

وقد يظهرون تعظيم القرآن الكريم، بأقوال معسولة وعبارات ملبوسة، ولكنها مع البحث عرية عن التحقيق، وتعظيمهم ظاهري على التدقيق، وإلا لعملوا به؛ فتجدهم يقولون بياناً للتعظيم: «في القرآن علم كل شيء، وعلم القرآن في الأحرف التي في أوائل السور!! وعلم الأحرف في لام ألف!!»<sup>(١)</sup>.

وربما ظن أحدهم أنه بالرياضة يمكنه أن ينال العلوم، وأن يحفظ القرآن الكريم، «فمنهم من يظن أنه يلقي القرآن بلا تلقين، ويحكون أن شخصا حصل له ذلك، وهذا كذب، نعم: قد يكون سمع آيات الله فلما صفى نفسه تذكرها، فتلاها، ويقول بعضهم، أو يحكي أن بعضهم قال: أخذوا علمهم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، وهذا يقع، لكن منهم من يظن أنها يلقي إليه من خطاب، أو خاطر، هو من الله تعالى بلا واسطة!! وقد يكون من الشيطان، وليس عندهم فرقان يفرق بين الرحمان، والشيطاني؛ فإن الفرقان الذي لا يخطئ هو القرآن، والسنة؛ فما وافق الكتاب والسنة فهو حق؛ وما خالف ذلك فهو خطأ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عقيل رحمته الله: «وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها»<sup>(٣)</sup>، منها: أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهي الأربطة، فانقطعوا إليها عن الجماعات في المساجد؛ فلا هي مساجد، ولا بيوت، ولا خانات، وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش، وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب، والرقص، والغناء، وعولوا على الترقية المعتمد<sup>(٤)</sup> به التحسين تلميعا...، واستمالوا النسوة والمردان، بتصنع الصور واللباس، فما دخلوا بحيتا فيه نسوة، فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن.

ثم يقبلون الطعام، والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبي الأموال....،

(١) من كلام الحلّاج نقلا من كتاب: الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٧١.

(٢) المجموع ٤١٣/١٠، وانظر ما بعدها.

(٣) في المطبوع (فعلها)، ولعل الصواب (فاعلها).

(٤) لعل الصواب (المتعمد) يتقديم التاء على العين.

ويستصحبون المردان في الساعات، يجلبونهم في الجموع مع ضوء الشموع، ويخالطون النسوة الأجانب، ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة!!...، ويسمون الطرب وجدا، والدعوة وقتا، واقتسام ثياب الناس حكما...، ولا يخرجون عن بيت دعوا إليه إلا عن إلزام دعوة أخرى!!...، ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قربة!!...، ويسلمون أنفسهم إلى شيوخهم...؛ فإن قبل أمردا، قيل: رحمة، وإن خلا بأجنبية، قيل: بنته!! وقد لبست الخرقة...

وليس لنا شيخ نسلم له حاله، إذ ليس شيخ غير داخل في التكليف... ثم إن الله تعالى تقول له الملائكة: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ﴾ [البقرة: ٣٠]، ويقول موسى ﷺ: ﴿أَتَمْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ آلُفُفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وإنما هذه الكلمة جعلها الصوفية: ترفيها لقلوب المتقدمين، وسلطنة سلكوها على الأتباع والمريدين<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء الذين قالوا بالقول بالباطن، أو الحقيقة والشرعية، وصل بهم الأمر، أن قالوا: «واضع هذا العلم "يعني التصوف" فهو النبي ﷺ علمه الله بالوحي والإلهام؛ فنزل جبريل أولا بالشرعية؛ فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة!! فخص بها بعضا دون بعض<sup>(٢)</sup>، وأول من تكلم فيه وأظهره، سيدنا علي ﷺ، وأخذ عنه الحسن البصري<sup>(٣)</sup>».

والصوفية فرق شتى، و«انتصب كل واحد إماما، ودعا الناس إليه، وزعم نفسه هاديا مهديا، وهو ضال مضل...، هؤلاء قطاع الطريق، دجالون كذابون مفترون فتانون، إياكم وإياهم، ولا تتبعوا إلا من دعا إلى كتاب الله، وسنة رسوله، ولم يدع إلى نفسه، ولا نرضى بإشاعة الإشارات الصوفية<sup>(٤)</sup>».

(١) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٤١٨-٤١٩.

(٢) ما أشبه كلام الصوفية لكلام الرافضة الغوية، في قولهم بالعلم الاختصاصي، وما أشبههم بالفلاسفة في قولهم بالعلم الخاصي!!.

(٣) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص ٥، نقلا من كتاب: هذه هي الصوفية للدكتور عبد الرحمن الوكيل ص ٢٠.

(٤) من كلام العلامة الدهلوي، كما في كتاب: الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته، للأستاذ محمد بشير السالكوتي ص ١٩٠-١٩١.

ومما يدل على أنهم أصناف قول ابن خلدون: «ومن هؤلاء المريدين من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون أشبه بالمجانين من العقلاء، وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين!!»<sup>(١)</sup>، وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق، مع أنهم غير مكلفين!! ويقع لهم من الإخبار عن المغيبات عجائب!!...، وربما ينكر الفقهاء أنهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم، والولاية لا تحصل إلا بالعبادة، وهو غلط!! فإن فضل الله يؤتيه من يشاء<sup>(٢)</sup>، ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة، ولا غيرها!!»<sup>(٣)</sup>.

ويؤكد أن الصوفية طوائف قوله ﷺ، «ثم حدث عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف، وفيها وراء الحس، وظهر من كثير منهم: القول على الإطلاق بالحلول والوحدة، فشاركوا فيها الإمامية، والرافضة، لقولهم: بألوهية الأئمة، وحلول الإله فيهم. وظهر منهم أيضا القول بالقطب والأبدال، وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الإمام والنجباء، وأشربوا أقوال الشيعة، وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم»<sup>(٤)</sup>.

فالصوفية كالرافضة في مسألة القول بالأسرار، أو القول بأن هناك شيئا مخفيا علمه بعض الصحابة، فادعوا «علوم الأسرار والحقائق التي يدعون أخذها عن أهل البيت، إما من العلوم الدينية، وإما من علم الحوادث الكائنة، ما هو عندهم من أجل الأمور، التي يجب التواصل بها، وبكتماها والإيمان بما لا يعلم حقيقته من ذلك»<sup>(٥)</sup>.

وأما حدوث التصوف فلا مرية فيه ولا شك؛ فإن أقل أحوالها البدعة والتقول، وأرفع أقوالها الاتحاد والحلول، قال ابن خلدون: «الفصل السابع عشر في علم

(١) غير مكلفين وصاروا صديقين، ألا فليهنأ المجانين!!.

(٢) طبعاً على قول الأشاعرة القائلين بعدم الحكمة في أفعال الله ﷻ، وفي خلقه؛ وابن خلدون على منهج الأشاعرة أحياناً، وإلا فكيف يسوى بين من عبده وبين من جهله؟!

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٩٤.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٥-٥٧٦.

(٥) نقض المنطق ص ٦٤.

التصوف، هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة!! وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم: طريقة الحق، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا، وزينتها...، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف؛ فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية، والمتصوفة<sup>(١)</sup>، و«اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم - أي المكاشفة - الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه!!»<sup>(٢)</sup>.

وزعم ابن خلدون أن الصوفية بالكشف يفعلون ما لا اختصاص للبدن فيه؛ فقال: «وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدركه سواهم، وكذلك يدركون كثيرا من الوقائع قبل وقوعها!! ويتصرفون بهمهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية!! وتصير طوع إرادتهم!!...، وإنهم كشفوا ذوات الوجود، وتصوروا حقائقها كلها من العرش إلى الطش!!!»<sup>(٣)</sup>.

ويقول: «وقد يوجد لبعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثير أيضا في أحوال العالم، وليس معدودا من جنس السحر، وإنما هو الإمداد الإلهي؛ لأن طريقتهم ونحلته من آثار النبوة وتوابعها!!»<sup>(٤)</sup>.

وبعد هذا - لعلك - عرفت لماذا الصوفية يدعون علم الغيب والكرامات!! لأنه - كما زعم ابن خلدون وأمثاله - يتصرف في الكون بقواه!!؛ لأن من سلك مسلك الباطن فإنه لا محالة سيدعي الاطلاع على ما يزعم أنه باطن، أو أنه غيب!!، ولا شك أنه باطل وريب، وقال السبكي: «ومن حقهم الوقوف في إظهار ما يطلعهم الله تعالى من المغيبات!!!»<sup>(٥)</sup>.

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٧.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٧.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٩٣٣.

(٥) معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص ١٢١.

ويقع للمتأخرين من المتصوفة الاتحاد والحلول بعد الكشف حتى يظن أن الله ﷻ «متحد بالمخلوقات: إما بمعنى الحلول فيها، أو بمعنى أنه هو عينها، وليس هناك غيره جملة ولا تفصيلاً!!»<sup>(١)</sup>، وقد «ذهب جماعة من المتأخرين الذين صيروا تلك المدارك الوجدانية علمية نظرية، إلى أن الباري تعالى متحد بمخلوقاته في هويته، ووجوده، وصفاته!!»<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر ابن خلدون هؤلاء المتأخرين فقال: «ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف، وفيما وراء الحس، توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة، كما أشرنا إليه، وملؤوا الصحف منه، مثل الهروي في كتاب المقامات له<sup>(٣)</sup>، وغيره، وتبعهم ابن العربي، وابن سبعين، وتلميذيهما، ثم ابن العفيف، وابن الفارض، والنجم الإسرئيلي في قصائدهم.

وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم»<sup>(٤)</sup>.

وخلاصة القول في الظاهر والباطن: أنه باب لكل زنديق فتح، وسرداب لكل بطل وقح، وإن أحدهم يخرج منه الكفر الصريح، والقول القبيح، ثم يعذرون!!!<sup>(٥)</sup>، وكأنهم غير مكلفين!!، أو بالقرآن والسنة غير مخاطبين!!.

«وعامة شيوخهم يرمون بالعظائم، وإن كان فيهم من هو معروف بزهد وعبادة، ففي زهد بعض العامة من أهل السنة وعبادته ما هو أرجح مما هو فيه»<sup>(٦)</sup>.

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٨٧٠.

(٣) قد يفهم من كلام الهروي ذلك، ولكنه لم يقصد ما قصده ابن عربي وأمثاله، ودعا إليه، وجهر به من الحلول الصريح. انظر: مدارج السالكين ١/ ١٦٦.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٨٧٥.

(٥) انظر: معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص ١٢٤.

(٦) نقض المنطق ص ٤٥.

« والقوم لما تركوا العلم، وانفردوا بالرياضيات على مقتضى آرائهم، لم يصبروا عن الكلام في العلوم؛ فتكلموا بواقعاتهم؛ ف وقعت الأغاليط القبيحة منهم؛ فتارة يتكلمون في تفسير القرآن، وتارة في الحديث، وتارة في الفقه، وغير ذلك، ويسوقون العلوم إلى مقتضى علمهم الذي انفردوا به!! »<sup>(١)</sup>.

« فاعلم أن هذا المذهب مذهب وراء طور العقل، وقد صرحوا بذلك، وبأنه لا طريق للوصول إليه إلا الكشف!!، الذي نسبته إلى العقل كنسبة العقل إلى الوهم... و- الغزالي - جعل العلم الظاهر كمكان وضع لا يرى منه شيء بعيد عن أطوار العقل!!، وهذه استهانة ظاهرة بالعلم الظاهر المأخوذ من الكتاب والسنة، وبالعقل الذي كرم الله به الإنسان، وجعله أهلاً للخطاب...، كما يقضي على كرامة العقل والعلم الظاهر »<sup>(٢)</sup>.

وإذا علم مدى تعمق هؤلاء الصوفية في القول بالظاهر والباطن، أو الحقيقة والشرعية، فحينئذ يمكن أن يعرف مدى استخفافهم بظواهر النصوص، وقد مر شيء من ذلك، ويجليه المبحث التالي.

(١) تليس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٥.

(٢) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ١٧٤-١٧٥.



### المبحث الثالث: استخفافهم بظاهر القرآن والرد عليهم

لما اعتقد الصوفية أن للقرآن ظاهراً وباطناً!! وأن الدين حقيقة وشريعة!! كان علمهم بالظاهر غير سديد، وبحثهم عن الباطن شديد، وحالهم كمن يبحث عن السراب في الليلة الظلماء وفي أشد ما يكون من الصحراء، فلم يجدوا ماء يرويه، ولا شفاء يداويه، فلا هم بالذين اكتفوا بظاهر النصوص، ولا بمن وجدوا ما ظنوه باطن النصوص، وكان موقفهم من الظاهر سيئاً، ومن الباطن أسوأ، إذ بالأول وقعوا في الاستخفاف بالعلم الشرعي، وبالثاني وقعوا في القول على الله بغير علم، بل بمجرد الظنون والأوهام والتخيلات والكشوفات.

فهذا أحد الصوفية القائلين بالظاهر والباطن، وهو ابن عربي الحلوي<sup>(١)</sup>، يقول: «العرش: مستوى الأسماء المقيدة! الكرسي: موضع الأمر والنهي!! القدم ما ثبت للعبد في علم الحق»<sup>(٢)</sup>. ويقولون: «العرش ظل الله، والإنسان: العرش!!»<sup>(٣)</sup>. فهذه تأويلات سخيفة واصطلاحات مريرة لإبطال ظاهر القرآن، وهذا معناه أنهم يقولون: إن الله لا يوصف، ولا يسمى لأن هذه تقيده عن العلو المطلق، كما زعموا!! وأنه لا عرش ولا كرسي، ولا قدم يثبت لله ﷻ!!<sup>(٤)</sup>.

(١) وهو حلوي باطني، ولكن نقلت كلامه لكون الصوفية جمعاء معظمين له بغياء، ومفخمين من أمره على غير هدى، فليعلموا كيف قائلهم، وما هي أقوال رائدهم.

(٢) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٦.

(٣) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٦.

(٤) انظر: الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٤.

بل ويقول بعضهم: إن العمل بظاهر القرآن والسنة كفر<sup>(١)</sup>، ولقد جاء في القرآن العمل بالشرع، واتباع ما ورد في المنزل، وابن عربي يقول: «والعمل الذي هو سبب له من إقامة فرض، أو سنة يُطلب ثوابه، فلا تشغل نفسك به!! فإن حركة الأبدان لا بد لها من نتائجها المحسوسة، فلا تسأل ما تعطىها الحركات بذاتها، فيضيع وقتك عليك!!»<sup>(٢)</sup>، فإذا يعمل الصوفية بعد هذا - الفسح الكهنوتي - في الصلوات المشروعات بالآيات، والمؤكدات بالسنن المتواترات!؟؟.

وإليك بعض الأمثلة التي تبين لك أن القوم لا يقيمون لظاهر القرآن وزنا، وإن كانوا يعظمون القرآن رسماً:

١ - قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] وهم يقولون: كيف يحشر إليه من هو جلسه؟<sup>(٣)</sup>.

٢ - القصر في السفر ثابت في القرآن الكريم، وهؤلاء يحرفون ظاهره؛ فيقولون: «سفر الأجسام يضع شطر الصلاة، وسفر الأرواح يضع الصلاة، لأن الخطاب سفلي»<sup>(٤)</sup>.

٣ - أمر الله في أكثر من آية بالإخلاص له في الأمور القلبية والعملية التي يرجى فيها الثواب، وهؤلاء يقولون: «تحقيق الإخلاص: تقوية إبليس»<sup>(٥)</sup>.

٤ - ثبت في القرآن أن الغيب لا يعلمه أحد إلا الله في أكثر من آية، وهؤلاء إذا خلى أحدهم، وترك الجُمع والجماعات يدعي الكشف والاطلاع على المغيبات، يقول ابن عربي: «فأول ما يفتح الله عليك إن أعطاك الأمر على الترتيب ما أقوله لك، وهو:

(١) انظر: رسالة البصائر في التوسل بالمقابر.

(٢) الفناء لابن عربي ص ٥.

(٣) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٧، وانظر: التراجم لابن عربي ص ٢٠، حيث نقل هذا

القول عن أبي يزيد البسطامي الصوفي.

(٤) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٨.

(٥) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٩.

الحس الغائب عنه، فلا يحجبك الجدران، ولا الظلمات عما يفعله الخلق في بيوتهم...!! فإن رتب لك العرض فإنك ستكشف أولاً، على أسرار الأحجار العذنية، وغيرها، وتعرف سر كل حجر، وخاصيته في المضار والمنافع...!!<sup>(١)(٢)</sup>، وادعوا أن الولي يطوي الأرض، ويمشي على الماء، ويطيّر في الهواء، والأكل من الكون<sup>(٣)</sup>!! وليس عندهم عمل بظاهر الشرع، ولا اتباع للسنة، وإنما هو المجاهدة للنفس!! ولو كان فيه كبس.

٥- أنهم ألقوا مؤلفات بعنوان: "أسرار خواص القرآن"، وكأن القرآن طلاسّم وألغاز، واتخذوا التقديس والتبرك شعاراً؛ فإذا أنكر عليهم: اتهموك بغمط حق القرآن!!<sup>(٤)</sup> وكأن حق القرآن هو ما فهموه هم، لا ما فهمه السلف الصالح.

ومن استخفافهم بظاهر القرآن تحريفهم لنصوصه بحسب ما يتوهمونه ويظنونهم، فيحتجون بقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ ۖ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧-١٨] على جواز بل واستحباب السماع الصوفي، «ولا يدري أن القول هنا هو القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]»<sup>(٥)</sup>، ومن استخفافهم بظاهر القرآن، تلكم التأويلات السخيفة، والتحريفات العظيمة، التي إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على عدم تعظيم هؤلاء للقرآن، وأنهم يقولون في آياته ما بدا لهم!! كقولهم في قوله تعالى: ﴿وَلَمَن دَخَلَ بَيْتَ﴾ «أي قلبي» «مُؤْمِنًا» مصداقاً بما يكون فيه من الأخبار الإلهية، وهو ما حدثت به أنفسها، «وَلِلْمُؤْمِنِينَ» من العقول «وَالْمُؤْمِنَاتِ» من النفوس، «وَلَا تَرِدُ الظَّالِمِينَ» من الظلمات أهل الغيب المكتنفين داخل الحجب الظلمانية، «إِلَّا تَبَارًا» [نوح: ٢٨] أي:

(١) إذا لا يبقى فقراء في الصوفية!!

(٢) رسالة الأنوار لابن عربي ص ٧-٩.

(٣) انظر: رسالة الأنوار لابن عربي ص ٥.

(٤) انظر: خصائص القرآن للرومي ص ١١.

(٥) الرد على البكري ٢/ ٦٨٢.

هلاكا؛ فلا يعرفون نفوسهم!! لشهودهم وجه الحق دونهم!! وهذا كله: من أقبح تبديل كلام الله وتحريفه، ولقد ذم الله أهل الكتاب في القرآن على ما هو دون هذا؛ فإنه ذمهم على أنهم حرفوا الكلم عن مواضعه... وهؤلاء قد حرفوا كلام الله عن مواضعه أقبح تحريف<sup>(١)</sup>، ومن تحريفاتهم الباطلة وسخرياتهم الزائفة بظاهر القرآن، ما أورده السلمي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ﴾ [البقرة: ٨٥] «قال: قال أبو عثمان: غرقى في الذنوب!! وقال الواسطي: غرقى في رؤية أفعالهم!!، وقال الجنيد<sup>(٢)</sup>: أسارى في أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق!!»<sup>(٣)</sup>، قال ابن الجوزي رحمته الله: «وإنما الآية على وجه الإنكار، ومعناها: إذا أسرتوهم فديتموهم، وإذا حاربتموهم قتلتموهم، وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح!!»<sup>(٤)</sup>، فانظر - رعاك الله - كيف فسروا الآية على أنها مدح، مع أنها سقت لبيان صفة اليهود<sup>(٥)</sup>، ويتضح لك ذلك بذكر الآية كاملة وهي قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْتَدُوهُمْ وَهُوَ حَرْمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوْمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٧)</sup> أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا تَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٤-٨٦] وبهذا المثال يتضح أن القوم يستخفون بظاهر النصوص، ويهتمون - بزعمهم - بالفصوص!! ومن تحريفاتهم لظاهر

(١) المجموع ٢/ ٢٠٠، وانظر بعض التحريفات الصوفية لكلام رب البرية في مناهل العرفان ١/ ٥٤٢.

(٢) هو الزاهد الصوفي: الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادى، شيخ الصوفية، وكان يحث على السنة، مع ما كان فيه من شطحات. انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٦.

(٣) تليس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٦.

(٤) تليس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٦.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ١٢٠.

القرآن، تفسيرهم للجار ذي القربى، قال سهل: «هو القلب!! والجار الجنب: النفس!! وابن السبيل: الجوارح!!... وفي قوله: "ولله المكر"، قال الحسين<sup>(١)</sup>: لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم أن لهم سبيلا إليه بحال، أو للحدث اقتران مع القدم...، قال ابن الجوزي رحمته الله: ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض؛ لأنه يشير إلى أنه كاهنز واللعب»<sup>(٢)</sup>، وقال الجنيد رحمته الله في قوله رحمته الله: ﴿سُنُقِرُكَ فَلَا تَنسَى﴾ [الأعلى: ٦] «لا تنسى العمل به!!»، قال ابن الجوزي رحمته الله عن هذا التفسير: «لا وجه له، والغلط فيه ظاهر؛ لأنه فسرّه على أنه نهي، وليس كذلك، إنها هو خبر لا نهي، وتقديره؛ فما تنسى، إذ لو كان نهيًا كان مجزوما؛ فتفسيره على خلاف إجماع العلماء»<sup>(٣)</sup>.

٧- ومن استهزأهم بظاهر القرآن ما ذكره بعضهم أنهم كانوا لا يستعيذون عند القراءة، ويقول: حتى يحضر الشيطان كلام الحق!!، قال ابن الجوزي رحمته الله عن هذا الأمر فإنه: «مخالف لما أمر الله رحمته الله به؛ فإنه قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]»<sup>(٤)</sup>؛ فجرأتهم في تحريف ظاهر القرآن إلى معاني لا يدل عليها السياق، ولا يعرفه أهل العربية بالوفاق، شيء عظيم، يدل على جرأتهم على كتاب الله رحمته الله<sup>(٥)</sup>، «وجاء أبو عبد الرحمن السلمي؛ فصنف لهم كتاب السنن، وجمع لهم حقائق التفسير!! فذكر عنهم فيه العجب!! في تفسيرهم القرآن، بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم، وإنما حملوه على مذاهبهم، والعجب من ورعهم في الطعام، وانبساطهم في القرآن!!»<sup>(٦)</sup>، قال ابن الجوزي رحمته الله عن كتاب

(١) هو الخلاج.

(٢) نقلا عن تلييس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٦-٣٧٧.

(٣) تلييس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٥.

(٤) تلييس إبليس لابن الجوزي ص ٣٩٤.

(٥) انظر: تلييس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٥.

(٦) تلييس إبليس لابن الجوزي ص ١٨٤، وقال ابن الجوزي عن تفسير السلمي هذا: «وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي في تفسير القرآن من كلامهم الذي أكثره هذيان، لا يحل». تلييس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٦.

السلمي هذا: «وجميع الكتاب من هذا الجنس، ولقد هممت أن أثبت منه ها هنا كثيراً؛ فرأيت الزمان يضيع في كتابة شيء بين الكفر، والخطأ، والهذيان، وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية؛ فمن أراد أن يعرف جنس ما في الكتاب فهذا أنموذجه، ومن أراد الزيادة فليُنظر»<sup>(١)</sup>، وقال ابن الصلاح رحمه الله: «وجدت عن الإمام (أي الواحدي المفسر رحمه الله) أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير؛ فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير؛ فقد كفر، وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكر تفسيراً، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن العظيم؛ فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسالك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير...، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك، لما فيه من الإيهام والإلتباس»<sup>(٢)</sup>. ومن تفاسيرهم المعروفة التي ذكروا فيها الأمور الباطنية لمعاني كلام رب البرية، أو الحقيقة الصوفية دون المعاني الشرعية، تفسير النيسابوري، والتستري، وابن عربي، وغيرهم<sup>(٣)</sup>. ومن استخفافهم بالظاهر تأويلاتهم للآيات على حسب اصطلاحاتهم المبتدعات؛ فـ «يجعلون "خلع النعيلين" إشارة إلى ترك العالمين، و"الطور" عبارة عن العقل الفعال!! ونحو ذلك من التأويلات»<sup>(٤)</sup>، وقد شارك الباطنية في التحريفات: طائفة من الصوفية، حيث يقول بعضهم في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤] هو القلب!! ويقولون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْخُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] هي النفس!!<sup>(٥)</sup> وأمثال هذه

(١) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٧.

(٢) فتاوى ابن الصلاح ص ٦٢.

(٣) انظر: مناهل العرفان ٩٠/٢.

(٤) المجموع ١٨٠/٦.

(٥) كما في تفسير النيسابوري ٣١٥/١ المطبوع بهامش تفسير الطبري!! وتام الكلام: «إنها بقرة: نفس تصلح للذبح بسيف الصدق!! لا فارض: في سن الشيخوخة؛ فيعجز عن وظائف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية، كما قيل: الصوفي بعد الأربعين بارد. ولا بكر: في سن شرخ الشباب، يستهويه سكره... بقرة صفراء: إشارة إلى صفرة وجوه أصحاب الرياضات!! فاقع لونها: يريد أنه صفرة زين،

التحريفات، لكن منها ما يكون معناه صحيحا، وإن لم يكن هو المراد باللفظ، وهو الأكثر في إشارات الصوفية، وبعض ذلك لا يجعل تفسيرا، بل يجعل من باب الاعتبار، والقياس»<sup>(١)</sup>. ومن أمثلة ذلك تحريفهم لظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤] قالوا: «مساجد الله التي يذكر فيها اسمه عند أهل النظر النفس! والقلب!! والروح!! والسر، والخفي - وهو سر السر -»<sup>(٢)</sup>، وذكر كل مسجد منها مناسب لذلك المسجد...»<sup>(٣)</sup>، ومن أخف تفاسيرهم: "روح المعاني للألوسي" رحمته الله، ومع ذلك فإن فيه من التفسير الإشاري الشيء الذي لا يدل عليه الكتاب ولا السنة، ولا أقوال السلف، ولا سياق الآية، ولا سباقها، ولا حدها، ولا مطلعها، ومن جملة ذلك قوله في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْغَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥] بعد أن فسر الآية بالظاهر قال: «ومن باب الإشارة في الآيات: وإذ قلتم لموسى: القلب!! لن نؤمن: الإيوان الحقيقي حتى نصل إلى مقام المشاهدة والعيان. فأخذتكم: صاعقة الموت: الذي هو الفناء في التجلي الذاتي!!»<sup>(٤)</sup>، وقال في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّمَّا أَوْمَرْنَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] بعد أن فسر بها بالظاهر، قال: «ومن باب الإشارة في الآيات: ما ننسخ من آية: ما نزيل من صفاتك شيئا عن ديوان قلبك!!، أو نخفيه بإشراق أنوارنا عليه!! إلا ونرغم فيه من صفاتنا التي لا تظن

لا صفة شين؛ فإنها سببا للصالحين!! لا ذلول تثير الأرض: لا تحتمل ذلة الطمع، ولا تثير: بألة الحرص أرض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها!!!. إلى آخر ذلك من الخرافات التي لا تدل عليها الآية حتى بالتكلفات، بل ولا بالمكاشفات!! فإن لم يكن هذا تفسيرا باطنيا فما هو التفسير الباطني؟ والعجب من الزرقاني كيف أوردتها، ولم يفندوها، كما في مناهل العرفان ٩٢/٢.

(١) شرح حديث النزول ص ٤٢٧، المجموع ٥٥١/٥.

(٢) فإذا كانت هذه هي مساجد الله؛ فلا تستغرب من احتقارهم لبيوت الله، ومساجده حقا، وتعظيمهم للخلوات، والتكايات الصوفية، لأن القوم مساجدهم معهم!!!.

(٣) تفسير النيسابوري ٨٣٨/١، المطبوع بهامش تفسير الطبري!!.

(٤) روح المعاني ٢٦٩/١.

قابليتك لما يشاركها في الاسم! التي تظن وجود ما يشاركها فيك!!!»<sup>(١)</sup>.

٨- اعتمادهم في التفسير على غير المأثور، فالتفسير الصوفية بمختلف أطوارها تفاسير تعتمد على الكشف والذوق، والإشارات والعبارات، وكانت لهذه التفاسير أثر بالغ في تفسير القرآن الكريم، حتى أبعدته عن تسميته بالتفسير، وحق لها أن تسمى بإشارات وإلهامات - لكن شيطانية -<sup>(٢)</sup>، «والتفسير الفيضي أو الإشاري؛ فهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك!!!»<sup>(٣)</sup>، والتفسير الإشاري لا ينكر إذا كان بضوابط الشرع، ومن أهم هذه الضوابط: الأول: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، بحيث يجري على المقاصد العربية. الثاني: أن يكون له شاهد نص، أو ظاهرا في محل آخر، يشهد لصحته من غير معارض<sup>(٤)</sup>.

٩- وما يدل على استخفافهم بظاهر القرآن الكريم موقفهم من تفسيره الظاهري: والصوفية لا يحقرون ظاهر التفسير - في كثير من الأحيان - ولكن حين التمعن تجد أن قولهم فيه استخفاف بظاهر القرآن الكريم، إذ يقولون: إن ظاهره للعامة!! وأما الخواص فإن لهم ما يظهر بالمكاشفات والرياضات!! وهذا من الفروق بين التفسير الصوفي والتفسير الباطني؛ فالباطنيون يلغون الظاهر، وهؤلاء يعملونه، ولكن يقولون: إنه لمن لم يصل!!<sup>(٥)</sup> ولكن حين التمعن أكثر يظهر أنه لا فرق حيث أن هؤلاء الباطنية يقولون: بوجود الظاهر للعوام أيضا، كالصوفية، وأن للحكماء الباطن، كما يقول الصوفية إن للخواص الحقيقة، وأما علماء أهل السنة ف«لا يعولون على أشباهها مما ورد في كلام القوم بالكتب الصوفية؛ لأنها كلها أذواق ومواجيد

(١) روح المعاني للألوسي ١/ ٣٦١.

(٢) انظر: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٧ وما بعدها.

(٣) تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ١٣.

(٤) انظر: هذه الشروط بشيء من التوسع في: الموافقات للشاطبي ٤/ ٢٣١-٢٣٢ تفسير ابن عربي للقرآن

حقيقته وخطره، للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ١٧ وما بعدها، مناهل العرفان ١/ ٥٤٩.

(٥) انظر: روح المعاني للألوسي ٨/ ١، مناهل العرفان ٢/ ٨٧.



خارجة عن حدود الضبط والتقيد، وكثيرا ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة، والحق بالباطل، وإذا تجردت من ذلك فقلما يظهر منها مراد القائل؛ وإذا ظهر فقد يكون من الكفريات الفاحشة<sup>(١)</sup>.

١٠- ومن استخفافهم بظاهر القرآن استخفافهم بوسائله من العلم، ونحوه، فإذا «سمعوا أحدا يروي حديثا، قالوا: مساكين، أخذوا علمهم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت؛ فمن قال: حدثني أبي عن جدي، قلت: حدثني قلبي عن ربي؛ فهلكوا، وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار، وأنفقت لأجلها عليهم الأموال...، وبغضهم الفقهاء أكبر الزندقة، لأن الفقهاء يخطرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم...، وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث»<sup>(٢)</sup>.

١١- أن أقوال الصوفية في القرآن - كما يتبين لطالب الحق - تعد من الهذيان، وهو استخفاف بالقرآن، ولا يجوز بحال أن تعد من تفسير كلام الرحمن، قال صديق حسن خان رحمته الله: «وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير»<sup>(٣)</sup>، فكلام هؤلاء الصوفية في القرآن، فيه الجرأة على كلام الرحمن ما لا يتصوره إنسان، وقد تكلمت طائفة من الصوفية في نفس القرآن بما لا يجوز، وهو تبديل للقرآن<sup>(٤)</sup>، ولعلي أختتم بعد بيان سخافتهم، وتلاعبهم بكتاب الله تعالى، وذكر بعض ضلالاتهم، بقول من خبرهم، وعرف غورهم، وهو ابن العربي المعافري المالكي، حيث قال واصفا إياهم: «وتكلفت طائفة ما يُستغنى عنه، وهم جماعة من الصوفية، أنحاء غريبة»<sup>(٥)</sup>.

(١) مناهل العرفان ٩٨/٢ بشيء من التصرف.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٤١٩، من كلام ابن عقيل رحمته الله، وانظر: ما بعدها من الصفحات.

(٣) هو العالم المفسر الفقيه: محمد صديق حسن خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي أبو الطيب الهندي، من مؤلفاته: فتح البيان في مقاصد القرآن، والإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد، توفي سنة ١٣٠٧هـ. انظر: معجم المؤلفين ٩٠/١٠.

(٤) فتح البيان لصديق حسن خان ١٢/١.

(٥) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٨.

(٦) قانون التأويل لابن العربي المعافري ص ٥١٨.

فالكتاب والسنة إما أن يحرفوا القول فيها عن مواضعه؛ وإما أن يعرضوا عنه بالكلية؛ فلا يتدبرونه، ولا يعقلونه، بل يقولون: معناه بالكشف كذا، وكذا... مع أن ما زعموه تحقيقاً لا يعد إلا كونه تليسا وتدليسا، ولا يوافق ما ذكره أولياء الله المحققون تأسيساً، بل تعد من المخالفات الصريحة للكتاب والسنة أساساً.

وبالجملة فإن الصوفية الأولين كانوا يحثون على اتباع الكتاب والسنة، ولكن وقع منهم بعض الانحرافات والأقوال في بعض الحالات، وتوسع الخرق، وزاد الشق، حتى أصبحت الصوفية لا يعرفون إلا بما يسمى بأصحاب الحقائق، ولا يبالون بموافقتها للشرع الظاهر الفائق<sup>(١)</sup>.

« وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع...، قال التستري: الدنيا كلها جهل، إلا ما كان علماً، والعلم كله حجة، إلا ما كان عملاً، والعمل كله موقوف، إلا ما كان منه على الكتاب والسنة، وتقوم السنة على التقوى، وقال: احفظوا السواد على البياض؛ فما أحد ترك الظاهر إلا ترندق<sup>(٢)</sup>. »

وبهذا يعلم أن الصوفية - المتأخرين منهم على وجه الخصوص - لا يبالون بظاهر القرآن، ولا يقيمون لتفسيره وزناً، إلا أن يكون كشفاً، ويتبين أنهم لم يُكنُوا للقرآن تعظيماً، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) انظر: تلييس إبليس لابن الجوزي ص ١٨٨.

(٢) تلييس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٧-٣٦٨، وانظر: المجموع ١١/ ٥٨٥.

### المبحث الرابع: عدم تعظيمهم للقرآن

الصوفية بفرقها ترى التفسير الإشاري، أو الباطني، وهم بذلك غير معظمين لظاهر القرآن الكريم - كما بينت في المطلب السابق -، وذلك يؤكد أنهم غير معظمين للقرآن الكريم، وأذكر بعض الأمور التي تبين أنهم غير معظمين له حقيقة، فالصوفية لا يعظمون القرآن إلا رسماً، ألا ترى إليهم وهم يخالفون صريح آياته، وأكد دلالاته، ومما يدل على عدم تعظيمهم لكتاب الله ﷻ ما يأتي:

١- مما جاء في القرآن أن الله كلم موسى، وهو بإجماع أهل الأديان كليم الله، ومع ذلك من الصوفية من ينفي سماع موسى لكلام الله ويقول: «النداء من الشجرة لموسى»<sup>(١)</sup>، والله تعالى يقول مخبراً أنه كلم موسى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرْشِ إِذْ قُضِيَنا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤] وهؤلاء يقولون: «من قال: كلمه من الجانب فهو ذاهب!!!»<sup>(٢)</sup>.

٢- جاء في القرآن الكريم أن الغيب لا يعلمه أحد إلا الله ﷻ، وهؤلاء يدعون أن الغيب تنزل عليهم، يقول ابن عربي: «السكينة: ما تجده من الطمأنينة عند تنزل الغيب»<sup>(٣)</sup>.

٣- يرون أن هذا الدين الظاهري لا اعتبار له عند العارفين!! وأن المأمور به هو الدين الباطني الذي عليه الباطنيون، فيقول: «والدين دينان: دين مأمور به، وهو ما جاءت به الرسل، ودين معتبر، وهو: الابتداع الذي فيه تعظيم الحق!! فمن رعاه حق

(١) كتاب اصطلاح الصوفية لابن العربي ص ٩ (المحاذنة).

(٢) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٤.

(٣) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٣.

رعايته، ابتغاء رضوان الله فقد أفلح»<sup>(١)</sup> فأى تعظيم يكون بعد هذا من هؤلاء وأمثالهم لما جاء به الرسول ﷺ؟!.

٤- يرون أن الإنسان يمكن أن يبلغ مرتبة النبي ولو بالنوم، يقول الغزالي: «وقد قرب الله ﷻ على خلقه بأن أعطاهم نموذجا من خاصية النبوة، وهو النوم، إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب، إما صريحا، وإما في كسوة مثال، يكشف عنه التعبير»<sup>(٢)</sup>. ويقول عن الفكرة والخلوة الصوفية: «وإن هذه المرتبة هي من جنس مراتب الأنبياء في العلم»<sup>(٣)</sup>.

٥- أن منهم أقواما انفردوا «بالتزهد والانقطاع، فامتنعوا عن عيادة المرضى، والمشي بين الناس، وأظهروا التخاشع، ووضعوا كتباً للرياضيات، والتقليل من الطعام، وصارت الشريعة عندهم كلام أبي يزيد والشبلي والمتصوفة. ومعلوم أن من سبر الشريعة لم ير فيها من ذاك شيئا»<sup>(٤)</sup>.

قال عنهم صوفي جلد يرى الحقيقة والشريعة، والظاهر والباطن!!<sup>(٥)</sup> مينا عدم تعظيم أصحاب الطرق، القائلين بالظاهر والباطن للقرآن، فيقول: «أما فرقة الإلهامية!! - والصوفية كلها إلهامية - فهي تذهب إلى أن كتب الشعراء هي طريق القرآن، وجملتها تفسير للحقيقة، وهم يُعرضون عن تعلم القرآن، والحديث، والفقه، ويقرؤون كتب الشعراء<sup>(٦)</sup> والحكماء<sup>(٧)</sup>، والظرفاء على أنها إلهام رباني!!! فمن هذه حاله، فهو يقضي عمره في الضلال»<sup>(٨)</sup>.

(١) نقش الفصوص لابن عربي ص ٥.

(٢) المنقذ من الضلال للغزالي ص ١٤٦.

(٣) منا هج الأدلة لابن رشد ص ٩١.

(٤) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٣٢٢.

(٥) وهو إبراهيم حقي الأرضرومي (١١٨٦هـ)، صاحب كتاب "معرفت نامه" أي: المعرفة الشاملة.

(٦) كأمثال شعر الجلال الرومي القونوي فيما كتبه بالفارسية في كتابه المعروف بـ "المنثوي"!!.

(٧) كأمثال ما كتبه الشاعر الصوفي ابن عربي، والقونوي، ومحمد إقبال، من الفلاسفة الصوفية.

(٨) معرفت نامه ص ٤٣٠، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٢٧.

٧- مما يدل على عدم تعظيمهم للكتاب تحريفاتهم لمعاني الكتاب، وهو كثير في هذا الباب، فهم يستدلون لما سموه بالكشف بآيات من القرآن!! ومن عدم تعظيمهم القرآن تأويلهم الآيات لتوافق سخرياتهم، فمنهم من يستدل بجواز الرقص والدوران في الذكر بما فهمه من قول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] وأشار إلى هذا أبو السعود الحنفي رحمه الله رادا عليهم في جوابه فقال: «ليس في الآية الكريمة إشارة على جواز الرقص قطعا، وعلى المتمسك لتحليل تلك الأفعال القبيحة بهذه الآية، أن يجدد إيمانه، ونكاحه؛ لأنه حرف معنى كلام الله، وجعله تابعا لهواه...، وأما رقص الصوفية الآن فهو في الحقيقة رقص الديكة الكفار ونقزهم، فهم بذلك يتشبهون بالكفار»<sup>(١)</sup>.

٨- أنهم يؤلفون في تفسير القرآن لأجل ترويج التصوف، فمن أخفهم تصوفا من يؤلف المؤلفات، ويكتب الكتب المطولات حتى في التفسير من أجل ترويج التصوف، وإظهار الصوفية<sup>(٢)</sup>.

٩- ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم يجعلون ما جاء به من المأمورات، وما جاء به من المنهيات واجبا حتى تهذب النفوس!! أو على السالك حتى يصل!! ويصير عارفا محققا بزعمهم، وحينئذ يسقط عنه التكليف!!، ويتأولون على هذا قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] زاعمين أن اليقين هو ما يدعونه من المعرفة!!<sup>(٣)</sup> واليقين هنا لا ريب أن المراد به هو الموت وما بعده، كما قال تعالى عن أهل النار<sup>(٤)</sup>: ﴿وَكُنَّا خَوْضًا مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ ﴿١٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١٦﴾ حَتَّىٰ أَتَيْنَا

(١) نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٦٧-٢٦٨، وأشار إلى هذه الرقصة النصرانية الكافرة التي تفعل في بعض مساجد المسلمين العلامة محمد بن صفى الدين البخاري الحنفي (١٢٠٠هـ)، في كتابه: الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المترذقة ص ١٧.

(٢) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٧١٩، وانظر ٢/ ٧٥٣.

(٣) انظر: روح المعاني، وفي تفسير كابل بالغة الأفغانية: قال: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين؛ فلا تسأل!! ١٥٠٨/١.

(٤) انظر: المجموع ٧/ ٥٠٣، ١١/ ٤١٨-٤١٩.

أَلَيَقِينُ ﴿١٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴿١٨﴾ [المذثر: ٤٥-٤٨]. فهذه الكلمة، وهي: أن العبد إذا عرف ربه رفع عنه التكليف، « هذه هي نهاية الزندقة؛ لأن الفقهاء: أجمعوا على أنه لا حالة ينتهي إليها العارف إلا وضيق عليه التكليف، كأحوال الأنبياء، يضايقون في الصغائر...، فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات، وإنما هم زنادقة...، ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة »<sup>(١)</sup>.

١٠- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنك تقرأ على أحدهم الآية، أو الحديث، وإذا به لا يقبل قولك، ولا يبالي بما تلوته وذكرته؛ وذلك « لأنهم لا يقبلون من الدين رأياً ورواية إلا ما جاءت به طائفتهم... مع أن دين الإسلام يوجب اتباع الحق مطلقاً: رواية ورأياً، من غير تعيين شخص أو طائفة غير الرسول ﷺ »<sup>(٢)</sup>.

١١- أن كثيراً من هؤلاء أصحاب دعوى العلم الحقيقي، أو الباطني، يفسرون القرآن بما يرونه من المعاني الفاسدة، أو البعيدة، « وإن لم يكن مخالفاً؛ فهو حال كثير من جهال الوعاظ، والمتصوفة الذين يقولون: بإشارات لا يدل اللفظ عليها نصاً، ولا قياساً »<sup>(٣)</sup>. ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم تأويلاتهم الفاسدة، وتحريفاتهم الجليلة، « ولبعض الصوفية تأويلات، وتفسيرات غريبة في بعض آيات القرآن، بعيد عن معناها ومقاصدها، لتضليل الناس بما يخدم أهواءهم ونواياهم »<sup>(٤)</sup>.

١٢- ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم لا يحلون حلاله، ولا يحرمون حرامه، بل يطيع أحدهم « المعظم عنده في كل ما يأمر به، وإن تضمن تحليل حرام، أو تحريم حلال!! قال ﷺ: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةٌ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ [الحديد: ٢٧] وقد ابتلي طوائف من المسلمين، من الرهبانية المبتدعة بما الله به عليهم »<sup>(٥)</sup>.

(١) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٤١٩، والكلام لابن عقيل ﷺ.

(٢) الاقتضاء ١/ ٧٥.

(٣) المجموع ٢/ ٢٧-٢٨.

(٤) كتاب مصرع الشرك والخرافة للشيخ خالد محمد الحاج ص ٤٦٣، وانظر: مظاهر الانحرافات العقدية

عند الصوفية ١/ ١٣٣.

(٥) الاقتضاء ١/ ٧٨.

١٣- وما يدل أنهم لا يعظمون القرآن زعمهم أن القرآن لا يدرك به الأمور العقدية: يقول أبو حامد الغزالي - مبينا أقوال الناس في آيات الصفات، والجنة والنار، ونحو ذلك -: « زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة، وردوه إلى آلام عقلية وروحانية، ولذات عقلية، وأنكروا حشر الأجساد...، وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله، وبين جمود الخنابلة، دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يُدركون الأمور بنور إلهي، لا بالسمع؛ ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع، والألفاظ الواردة؛ فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه!!! وما خالف أولوه!!! فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد؛ فلا يستقر له فيها قدم!!!، ولا يتعين له موقف!!!<sup>(١)</sup>، وهذا الكلام صريح وفصيح على أن السمع لا يستفاد منه العلم، وأن السمعية يتحاكم في قبولها وردّها إلى المكاشفات!! قال شيخ الإسلام رحمته الله: « هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول ﷺ شيء من الأمور العلمية؛ بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة!! وهذان أصلان للإلحاد؛ فإن كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة، وإلا دخل في الضلالات<sup>(٢)</sup>، وقال رحمته الله: « إنا نعلم بالاضطرار من دين النبي ﷺ، ودين أمته المؤمنين به، بطلان لوازم هذا القول، وبطلان اللازم يدل على بطلان المزوم، بل نعلم بالاضطرار من دينه أن لوازم هذا القول من أعظم الكفر والإلحاد...، ومضمونها: أن الرسول ﷺ لا يكون فيما أخبر به عن الله تعالى، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر: لا علم، ولا هدى، ولا كتاب منير؛ فلا يكون الرسول قد هدى الناس، ولا بلغهم بلاغا بينا، ولا أخرجهم من الظلمات إلى النور، ولا هداهم إلى صراط العزيز الحميد، ومعلوم أن كثيرا من خطاب القرآن، بل أكثره، متعلق بهذا الباب؛ فإن الخطاب العلمي في القرآن أشرف من الخطاب العملي قدرا وصفة؛ فإذا كان هذا

(١) الإحياء للغزالي ١/ ١٦٧.

(٢) الدرء ٥/ ٣٤٨، ثم نقل الأقوال السلفية التي تنبئك بوجوب اتباع كتاب رب البرية، وسنة سيد البشرية.

الخطاب لا يستفيدون منه معرفة، ولم يبين لهم الرسول مراده ومقصوده بهذا الخطاب، بل إنما يرجع أحدهم في معرفة الأمور التي ذكرها، ووصفها، وأخبرهم عنها، إلى مجرد رأيه وذوقه؛ فإن وافق خبر الرسول ما عنده صدق بمفهوم ذلك ومقتضاه، وإلا أعرض عنه...، كان هذا مما يعلم فسادا بالاضطرار من دين الرسول ﷺ»<sup>(١)</sup>.

١٤- ومن عدم تعظيمهم للقرآن عدم تعظيم علومه، فلا يهتمون بالحديث، ولا بتفسير القرآن الكريم المأثور، وفقهه، وأحكامه، فيقولون: «الاشتغال بالعلم بطلالة!! وقالوا: نحن علومنا بلا واسطة!!...»، وقال أبو حامد: اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية، ولذلك لم يتعلموا، ولم يحرصوا على دراسة العلم...، ويقتصر على الفرائض والرواتب، ولا يقرن همهم بقراءة القرآن!!»<sup>(٢)</sup>، قال ابن الجوزي رحمه الله: «عزيز علي أن يصدر هذا الكلام من فقيه؛ فإنه لا يخفى قبحه، إنه على الحقيقة طي لبساط الشريعة التي حثت على تلاوة القرآن، وطلب العلم»<sup>(٣)</sup>، وذكر ابن الجوزي رحمه الله أن رجلا: «كان يقول: القرآن حجاب!! والرسول حجاب!! ليس إلا عبداً، ربّاً؛ فافتتن جماعة به؛ فأهملوا العبادات، واختفى مخافة القتل»<sup>(٤)</sup>.

١٥- وبلغ الحال ببعض أصحاب الحال أنهم يمنعون قراءة القرآن عند الخلوات، وفي الرباطات الخاصة بهم، وهذا معلوم خصوصا في وقت ما يسمونه بـ"الحضرة"، وهي لا شك أنها حضرة، ولكنها محصورة من الشياطين، ولذلك يمنعون من قراءة القرآن في تلكم الأحيان، قال ابن الجوزي رحمه الله: «ولقد بلغني أن رجلا قرأ القرآن في رباط فمنعوه، وأن قوما قرؤوا الحديث في رباط فقالوا لهم: ليس هذا موضعه!!»<sup>(٥)</sup>، فأبي تعظيم للقرآن الكريم عند هؤلاء؟؟!!

(١) الدرء ٥/ ٣٥٧-٣٥٨.

(٢) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٦، الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٩٢.

(٣) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٦.

(٤) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٧.

(٥) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١٩٦.



١٦- أنهم عظموا الأشخاص فوق القرآن الكريم، ومن تعظيمهم للأشخاص أنهم بالغوا في كل صاحب مخاريق؛ وظنوه من الكرامات، ولا ينظرون إلى حاله مع القرآن، قال الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: « فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور؛ فهو ولي الله، بل يعرف أولياء الله بصفاتهم وأحوالهم وأفعالهم، التي دل عليها الكتاب والسنة، وأكثر هذه الأمور قد توجد في أشخاص يكون أحدهم لا يتوضأ، ولا يصلي المكتوبة، ولا يتنظف، ولا يتطهر الطهارة الشرعية...، ويكره سماع القرآن، وينفر منه، ويُؤثر سماع الأغاني والأشعار ومزامير الشيطان على كلام الرحمن؛ فلو جرى علي يدي شخص من الخوارج ماذا عساه أن يجري فلا يكون ولياً لله محبوباً عنده، حتى يكون متبعاً لرسوله ﷺ »<sup>(١)</sup>.

١٧- « وكثير من هؤلاء: ينفر ممن يذكر الشرع، أو القرآن، أو يكون معه كتاب، أو يكتب، وذلك لأنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم؛ فصارت شياطينهم تهرّبهم من هذا...، وهم من أرغب الناس في السماع البدعي: سماع المعازف، ومن أزهدهم في السماع الشرعي: سماع آيات الله تعالى »<sup>(٢)</sup>.

١٨- ومن تهوينهم لشأن القرآن أن جعلوه كتاباً لا يفهمه إلا الواصلون!! وأما عامة الأمة؛ فإنه بالنسبة لهم كتاب مغلق دونه الأبواب، وعليه الحجب؛ فيقولون: لا يفسره إلا الخواص، وإنه صعب وممنوع، وهذا نوع تأثر بقول الرهبان: أنه لا يفسر التوراة إلا الرهبان<sup>(٣)</sup>، والسبب في وقوع « هذا الانحراف الخطير، هو إهمال الكتاب الحكيم، والسنة المطهرة؛ فالأمر نتيجة حتمية لهجر الوحيين، والاعتياض عنهما بالإلهام، والذوق، والرأي أحياناً... إذ لا بد لمن أهمل الدليل من الكتاب والسنة أن ينحرف انحرافاً، قليلاً كان أو كثيراً »<sup>(٤)</sup>، وقد ألقى الشيطان إلى بعض هؤلاء الصوفية

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٩٧، وانظر: الفتاوى الجليلة عن المناهج الدعوية للشيخ أحمد النجمي ص ٣٧.

(٢) المجموع ٤١٢/١٠.

(٣) وفي بروتوكولات حكماء صهيون أنهم يقولون: لا نعي الدين إلا على السنة وأوليائه، ص ٣٦.

(٤) إعلام المسلمين ببعض مقالات التيجانيين للشيخ إبراهيم القطان الأردني ص ٦.

أن من قرأ القرآن من غير حضور قلب، أو انتفاع بعمل؛ فإن ذلك يضره، مع أن في قراءة القرآن مجردا حسنات؛ فإذا انضم إلى ذلك حضور القلب والانتفاع والعمل، زادت الحسنات والإيمان، ولا يخلو الأجر من الرحمن، ولكن تلبسات الشيطان بالقوم كثيرة، قال الغزالي: «قال يوسف بن أسباط: إني لأهم بقراءة القرآن؛ فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسييح والاستغفار»<sup>(١)</sup>، ولهذا قللوا من شأن حفظه، حتى إن الغزالي ادعى «أن النبي ﷺ مات عن عشرين ألفاً من الصحابة»<sup>(٢)</sup>، لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة!! اختلف في اثنين منهم!!<sup>(٣)</sup>، وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين»<sup>(٤)</sup>.

١٩- ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم استعمالهم لحروف القرآن - سواء المقطعات، أو ما ورد في أسماء الله ﷻ، أو غيرها - على أنها أسرار تكشف لهم الغيوب!! ف«نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة؛ فاستعمل استعمال العام في الخاص، وحدث هذا العلم!! في الملة بعد أن صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة، وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات في عالم العناصر!!، وتدوين الكتب والاصطلاحات، ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه، وزعموا أن الكمال الأسامي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب!! وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء!! فهي سارية في الأكوان على هذا النظام»<sup>(٥)</sup>.

٢٠- ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم ابتداعهم في الدين، وعدم تقييدهم بتعاليم القرآن المبين، فالصوفية هم «أهل العبادات البدعية، يزين لهم الشيطان تلك العبادات، ويبغض إليهم السبل الشرعية، حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث؛

(١) الإحياء ١/ ٤٤٣.

(٢) والصحيح أنهم أكثر من ذلك، بل الذين حضروا حجة الوداع كانوا قرابة (١٢٠) مائة وعشرين ألفاً. انظر: الإصابة ١/ ٣-٤.

(٣) انظر: الحفاظ الذين ذكرت أسمائهم وهم أهل التواتر في الفصل الثالث، من الباب الثالث.

(٤) الإحياء ١/ ٤٤٤.

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٩٣٦-٩٣٧.

فلا يحبون سماع القرآن والحديث، ولا ذكره، وقد يبغض إليهم حتى الكتاب؛ فلا يحبون كتابا، ولا من معه كتاب، ولو كان مصحفا، أو حديثا»<sup>(١)</sup>.

٢١- ومن هؤلاء من يميز كتابة المصحف بالنجاسات، ظنا منهم أن ذلك من باب التطيبات!!<sup>(٢)</sup> أهكذا يكون تعظيم القرآن الكريم؟! ولكن إذا غُيِّبَ الشرع الظاهر، وقيل بادعاء الشرع الباطن؛ فإن الإنسان يفعل ما يشاء.

٢٢- إعراضهم عن القرآن الكريم قراءة وتدبرا، ويؤكد إعراض الصوفية عن القرآن الكريم، أنهم كانوا حتى في زمن الأئمة كالشافعي يؤثرون أشياء على القرآن. قال الإمام الشافعي رحمه الله: «خلفت في العراق شيئا يسمى التغير، وضعت الزنادقة، يشتغلون به عن القرآن»<sup>(٣)</sup>، «وهذا من كمال معرفة الشافعي رحمه الله وعلمه بالدين؛ فإن القلب إذا تعود سماع القصائد والأبيات، والتذ بها، حصل له نفور عن سماع القرآن والآيات؛ فيستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن»<sup>(٤)</sup>، واستمر إثارهم على القرآن حتى بدأ بعضهم يفضل كتابه وورده على قراءة القرآن الكريم، فهذه المشهورة بصلاة الفاتح زعم أصحابها أنها تعدل قراءة القرآن الكريم (٦٠٠) ألف مرة!!!، وكل مرة تعدل (٤٠٠) غزوة!!!<sup>(٥)</sup> فكيف يا ترى يعظمون القرآن بعد هذا، وكيف يهتمون به ويعتنون به، وها قد وضع لهم شيخهم ما هو أفضل من القرآن!!! ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم - كما يجب - أنهم يخشعون عند سماع الأناشيد الصوفية، والأوراد البدعية، ولا يهتشون عند سماع الآيات القرآنية؛ فإذا سمع «الأبيات حصل له من الخشوع والحضور ما لا يحصل له عند الآيات، بل يستقلونها، ويستهلزون بها، وبمن يقرأونها»<sup>(٦)</sup>، ومن

(١) المجموع ٤١١/١٠.

(٢) انظر: الرد على البكري ٤٩٨/٢.

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ٢٨٣/١.

(٤) المجموع ٥٣٢/١١، وانظر: تليس إبليس لابن الجوزي ص ٢٦٢، ومختصر الفتاوى ص ٥٩٢-٥٩٣.

(٥) انظر: جواهر القرآن ١/١١٤.

(٦) المجموع ٥٠/١٥، وانظر منه ٥٣٧/١١، ٤٦٦/١٤.

ذلك خشوعهم عند الأناشيد دون آيات الوعيد، مع أن الله ﷻ، قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا  
 الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]، «ويميل هؤلاء إلى  
 سماع الشعر، والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الإيمان، بل  
 يشترك فيها محب الرحمن ومحب الأوثان ومحب الصليبان ومحب الأوطان ومحب  
 الإخوان ومحب المردان ومحب النسوان!! وهؤلاء الذين يتبعون أذواقهم ومواجيدهم  
 من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة»<sup>(١)</sup>، «وقد نشب  
 السماع بقلوب خلق منهم؛ فأثروه على قراءة القرآن، ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق  
 عند القرآن»<sup>(٢)</sup>، وهؤلاء الذين حسن في نفوسهم السماع البدعي، قد نجد منهم «من  
 يحسن صوته بأية من القرآن، من غير ذوق طعم، ولا حلاوة»<sup>(٣)</sup>، و«إذا سمع أحدهم  
 الأبيات يحصل له من الخضوع والخشوع والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات  
 الله تعالى؛ فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين، ولا يخشع عند سماع المخلصين  
 المتقين، بل إذا سمعوا آيات الله تعالى اشتغلوا عنها وكرهوها، واستهزؤوا بها وبمن  
 يقرؤها...، وإذا سمعوا القرآن، سمعوه بقلوب لاهية، وألسنة لاهية، كأنهم صمٌّ،  
 وعميٌّ، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم!! وسكنت ألسنتهم، وسكنت  
 حركاتهم، حتى لا يشرب العطشان منهم ماء، ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم  
 فأذن المؤذن قالوا: نحن في شيء أفضل مما دعانا إليه!!، ومنهم من يقول: هذا في  
 شغله، وهذا في شغله!! ومنهم من يقول: كنا في الحضرة؛ فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا  
 على الباب»<sup>(٤)</sup>، قال الغزالي: «وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال: رأيت أبا العباس  
 الخضر ﷺ فقلت له: ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟؟ فقال: هو  
 الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء»<sup>(٥)</sup>، بل ونسب القول بالسماع إلى

(١) العبودية ص ٤٩.

(٢) تليس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨٢.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٨٩، بتصرف يسير.

(٤) الرد على البكري ٢/ ٦٧٥-٦٧٦.

(٥) الإحياء ٢/ ٤١٩، وبحاشيته ذكر المحقق الأقوال الصحيحة عن الأئمة في تحريم السماع فانظرها فإنها نفيسة.

النبي ﷺ وزعم أنه سمعه!! وأبو بكر الصديق رضي الله عنه!!<sup>(١)</sup>؛ فلم يكف بملاقاة الخيال الصوفي المصور لهم وهو الخضر - بزعمهم -<sup>(٢)</sup>، حتى زعم أنه رأى رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق رضي الله عنه يستمعان إلى السماع الصوفي!!، بل ذهب إلى أبعد من هذا إذ زعم أن سماع الصوت الحسن، والكلام الحسن أحكم قانون في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، إذا كان سماعه من الله تعالى!!، وعلى الله وفيه!!<sup>(٣)</sup>.

وأبعد الغزالي إذ ادعى أن سماع القرآن يؤثر جدا - أي وجدا صوفيا -، كما أن السماع الصوفي يؤثر جدا<sup>(٤)</sup>، وذكر لذلك الشبهات - وهي أدلة تدل على أن القرآن مؤثر في القلب، ويزيد الإيمان، ولا تدل على السماع الصوفي -، وزاد الطين بلة، والحق لبسا إذ ادعى أن السماع الصوفي أفضل في الوجد من القرآن الكريم!<sup>(٥)</sup>، فقال: «فإن قلت: فإن سماع القرآن مفيد للوجد؛ فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين، دون القارئ؟ فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنين؟ وكان ينبغي أن يطلب عند اجتماع في كل دعوة قارئ لا قوالا؟ فإن كلام الله أفضل من الغناء لا محالة!!؛ فاعلم أن الغناء أشد تهيبجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه!!<sup>(٦)</sup>».

الوجه الأول: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع، ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له!!...<sup>(٧)</sup>.

(١) الإحياء ٢/ ٤٢٠، وانظر منه ٢/ ٤٣٣.

(٢) والصحيح من أقوال أهل العلم أن الخضر رضي الله عنه كان نبيا، وأنه قد توفي. انظر: المجموع ١٣/ ٩٣.

(٣) انظر: الإحياء ٢/ ٤٤٩.

(٤) انظر: الإحياء ٢/ ٤٦١.

(٥) وهذا يدل على أن القرآن الكريم لا ينتج وجدا صوفيا - والحمد لله - ولهذا لم يفضلوه!! ولو أنتج وجدا صوفيا لفضلوه، وكلام الخلق عند هؤلاء أشد تأثيرا في النفوس من كلام الله ﷻ!!!.

(٦) وأكتفي بذكر الأوجه موجزة، من غير رد عليها؛ ولا أسود الصفحات في الرد على كلام ساقط لا قيمة له، وإنما أذكر بعض العبارات الموجزة التي تفيد الغرض.

(٧) القرآن الذي أنزل لهداية الخلق جمعاء، لا يصلح - عند هذا العالم الصوفي - للأصفياء، لعدم مناسبة الحال، والسماع يناسب الحال!!.

الوجه الثاني: أن القرآن محفوظ للأكثرين، ومتكرر على الأسماع والقلوب، وكلما سمع أولاً عظم أثره في القلوب، وفي الكرة الثانية يضعف أثره!! وفي الثالثة يكاد يسقط أثره!!...<sup>(١)</sup>.

الوجه الثالث: أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيراً في النفوس؛ فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون!!...<sup>(٢)</sup>.

الوجه الرابع: أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمع الطرق...، وهذا التصرف جائز في الشرع، ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أنزل...، وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان!!...<sup>(٣)</sup>.

الوجه الخامس: أن الألحان الموزونة تعضد، وتؤكد بإيقاعات، وأصوات أخرى موزونة خارج عن الحلق كالضرب على القضيبي والدف، وغيره...، وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن؛ لأن صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب!!...<sup>(٤)</sup>.

الوجه السادس: أن المغني قد يغني بيت لا يوافق حال السامع؛ فيكرهه وينهاه عنه، ويستدعي غيره؛ فليس كل كلام موافقاً لكل حال؛ فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ<sup>(٥)</sup>، فربما يقرأ آية لا توافق حالهم...<sup>(٦)</sup>.

(١) بل سقط أثره من قلوب العارفين من الصوفية!! لأنهم وصلوا إلى مكاشفة الرب!! وسمعوا الخطاب منه!! فكيف يتلذذون بسماع القرآن!!؟ وأما أهل الإيمان فكلما كرروا آيات القرآن ازدادوا نورا وبصيرة، بل كان من السلف من يردد الآية حتى الفجر، ولا يزيده التكرار إلا إيماناً وخشية.

(٢) القرآن الذي تحدى الله به الإنس والجن، الذي هو آية في وزنه وترتيبه وحركاته وسكناته، لا يكون له وقع على النفوس!!؟، لعله لم يسمعه ممن يرتله ترتيلاً، وسمع السماع الصوفي ممن يلحنه تلحيناً فأعجبته!!

(٣) بل العكس هو الصحيح، إذ لو أسقطت التلاوة لذهب بعض حسنه، أما مع التلاوة؛ فهو غض كأنه الآن أنزل - عند من يقبل عن الله وعن رسوله -.

(٤) لم يبق إلا أن يميز قراءة القرآن بالآلات! وكاد أن يفعل لو لا تذكره أن العامة يعرفون أن هذا هو ولعب؛ فمنعها خوفاً من سياط العوام، وإلا فهو لا يرى به بأساً، لولا أنه رأى بأساً.

(٥) وقد اجتمعوا كما في المآتم، والجمع قبل حضور الخطيب، وليس لهم من الاستماع نصيب إلا سماع الصوت؛ فيضطربون ويمدحون، وكل ذلك واقع على الصوت. انظر: الفصل الثالث من الباب الثاني.

(٦) ولكن يمكن أن يطلب من القارئ أن يقرأ سورة معينة، أو آيات معينة فلا حجة في هذه السفسطة.

الوجه السابع: ...القرآن كلام الله وصفة من صفاته، وهو حق لا تطبيقه البشرية؛ لأنه غير مخلوق؛ فلا تطبيق الصفات المخلوقة<sup>(١)</sup>...، والشعر نسبته نسبة الحظوظ...»<sup>(٢)</sup>.

غفر الله لنا وللغزالي، كيف يخرج منه هذا الهراء، وكيف يوازن بين القرآن وكلام الشعراء، ويفضله من حيث التأثير من سبعة أوجه دهاء!! -رحمك اللهم يا ذا العظمة والكبرياء-.

ويقول الغزالي: «فإن قلت عظمت أمر الذكر؛ فهو أفضل أم قراءة القرآن؟ فاعلم أن قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم إلا الذهاب إلى الله ﷻ...؛ فمداومة الذكر أولى به؛ فإن القرآن يجاذب خاطره!! ويسرح به في رياض الجنة، والمريد الذهاب إلى الله تعالى لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة ورياضها!! بل ينبغي أن يجعل همه هما واحدا، وذكره ذكرا واحدا!! حتى يدرك درجة الفناء والاستغراق!!»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: «ويا عجبا لمن ذاق طعم الإيمان كيف يعدل بالكلام الذي فضله على غيره كفضل الله على خلقه؟؟ وبالكلام الذي ما تقرب العباد إلى الله بأحب إليه منه كلاما نزه الله رسوله وأوليائه عنه، وجعله صلاة للمشركين وقرآنا لهم، وقرآنا لعدوه الشيطان، ورقية لمحارمه، ومادة النفاق»<sup>(٤)</sup>.

«ومشايع هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حداها الحادي إلى الله بالأناشيد؛ قال ابن عقيل: لا كرامة لهذا القائل، إنما تُحْدَى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده، وسنة الرسول ﷺ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]، وما قال: وإذا أنشدت عليه القصائد طربت؛ فأما تحريك الطباع بالألحان؛ فقاطع عن الله، والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق، مما يتعدد عنه فتنة،

(١) ليت الغزالي يثبت كلاما لله ﷻ هو القرآن، ولكنه يذهب إلى الكلام النفسي في مواضع كثيرة من كتبه!! فأنى تصح له الدعوى؟ ثم كلما كان الأمر من علو كان الانتفاع به أكبر؛ فكيف يقال: إن النفس لا تطبيقه؟.

(٢) الإحياء ٢/ ٤٦٤-٤٦٧.

(٣) الأربعين في أصول الدين ص ٦٥-٦٦، نقلا عن كتاب رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ص ٣٤.

(٤) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء لابن القيم ص ٢٣٤-٢٣٥.

ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون، بل ينبغي النظر إلى المحال التي أحالنا عليها: الإبل، والخيول، والرياح، ونحو ذلك؛ فإنها منظورات لا تهيج طبعاً، بل تورث استعظاما للفاعل، وإنما خدعكم الشيطان؛ فصرتم عبيد شهواتكم، ولم تقفوا حتى قلت: هذه الحقيقة، وأنتم زنادقة في زي عباد، شرهين في زي زهاد، مشبهة تعتقدون أن الله ﷻ يُعشق، ويُهَام فيه... فما يدعيه عشاق الصوفية لله في محبة الله، إنما هو وهم اعترض، وصورة شكلت في نفوس فحجبت»<sup>(١)</sup>.

ولما كان للسمع عندهم شأن كبير، ورتبة عالية، سموا أناشيدهم وقصائدهم بـ "جنب القرآن!!"، ويكون جده وفرحه بها أعظم من فرحه بالقرآن الكريم!!<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يظهر أن الصوفية إذا وقع منهم التعظيم؛ فإنما ذلك على المبنى دون المعنى، وعلى اللفظ دون العمل، وعلى الظاهر دون حقيقة.

ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم، أنهم لم يعتمدوه في باب العقائد، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) تلييس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨١.

(٢) انظر: نقض المنطق ص ٦٤.



## المبحث الخامس

## عدم اعتمادهم عليه في باب العقائد

الصوفية يرون أن ظاهر القرآن للعامة، وأنهم بذلك ملزمون، ولكنهم عندهم نوع آخر من تحريف النصوص، وهو الغالب على المتأخرين من مشايخهم وأصحاب طرقهم، إذ يرون أن الحجة في المكاشفة.

بل صرحوا بأن مصادر التلقي هي: الكشف والذوق والوجد!! وهم وإن كانوا مصرحين بأن الوحي مصدر للتلقي إلا أنهم في حقيقة الأمر غير مباينين به - خصوصا عند من وصل منهم!! - ولكنهم يقدمون أذواقهم وكشوفاتهم على الوحي، وأما الوحي فإما أن يحرفوه، وإما أن ينكروه.

وقد تجد في مقدميهم ومتأخريهم من يأمر باتباع ظاهر القرآن الكريم، وابن عربي الحلولي نفسه يأمر أتباعه في بعض رسائله باتباع طريق أهل الحديث!! فيقول: «واشتغل بنفسك شغلا كليا، واهرب إلى محل إجماعهم، فإن لم تجد إجماعا فكن مع أكثرهم!! فإن لم تجد فكن مع أصحاب الحديث في تلك المسألة المطلوبة»<sup>(١)</sup>.

ويعتمدون في العقائد على العقل والشرع والكشف!!<sup>(٢)</sup> أما العقل فمرادهم به العقل الفلسفي اليوناني والفلسفي الهندي، وأما الشرع فيعنون به ما فهموه بزعمهم من بواطنه!! وأما الكشف: فما علموه وأدركوه من الحضرة الإلهية!!!.

(١) القرية لابن عربي ص ٧.

(٢) انظر: القسم الإلهي لابن عربي ص ٣.

وقد يصرحون بعدم الاعتماد إلا على الكشف، كما يقول ابن عربي نصحا للرازي: «وينبغي لعالي المهمة أن يكون معلمه وشاهده مؤثقا متعلقا بالأخذ من النفس الكلية، كما ينبغي له أن لا يتعلق بالأخذ من فقير أصلا، وكل ما لا كمال له إلا بغيره فهو فقير، فهذا حال كل ما سوى الله تعالى، فارفع المهمة في أن لا تأخذ علما إلا من الله تعالى على الكشف»<sup>(١)</sup>، ويقولون في نفي العلم المدرك بالعقل: «التوحيد المدرك بالدليل العقلي لا يعول عليه!!!»<sup>(٢)</sup>.

ويذكر أحدهم المسألة ثم يذكر الدليل، فما دليله؟! إنه الكشف، يقول أحد الصوفية حاثا على زيارة القبر للتبرك!!: «وإن أنكر ذلك بعض المدعين علما وفضلا، واستدل بظواهر!، واعتضد بنقول!!؛ فليس بشيء عند التحقيق!!!... والذي عليه العمل الآن...: الجواز والاستحباب، فثق بما نقوله، ولا تغتر بمخالفته؛ فليس هو في مخالفته سائر مع الحق، ولا قاصد إلى الصدق، حققنا ذلك كشفا وعلما، وأوثقناه حكمة وحكما!!!»<sup>(٣)</sup>.

وعندهم أن العلم يؤخذ عن الحي الذي لا يموت، كما يقول هذا ابن عربي: «ومنهم من نظر إلى ربه من وجه سببه - أي الكشف والفناء - لا من وجهه، فقال: حدثني قلبي عن ربي، وقال الآخر - وهو الكامل -: حدثني ربي، وإليه يشير صاحبنا العارف بقوله: أخذتم علمكم عن الرسوم، ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت»<sup>(٤)</sup>.

ومن الردود عليهم في تصوفهم للوصول إلى الكشف، وتقديمه على الكتاب والسنة، ما يأتي:

(١) رسالة ابن عربي للرازي ص ٣.

(٢) لا يعول عليه، لابن عربي ص ١٢.

(٣) نقله عن ابن السراج صاحب كتاب: أضواء على الرسالة المنسوبة إلى الحافظ الذهبي "النصيحة الذهبية لابن تيمية" وتحقيق في صاحبها لأبي الفضل محمد بن عبد الله القونوي ص ٥٨.

(٤) رسالة ابن عربي للرازي ص ٤.

١ - أن أصحاب هذا القول متناقضون في أنفسهم، فتارة يقولون ما سبق، وتارة يوجبون اتباع الشرع!! وهذا - والله أعلم - خوفا من علماء الوقت كما يقوله ابن عربي<sup>(١)</sup>، ومما صرحوا فيه بوجوب الشرع قول ابن عربي: «كل علم من طريق الكشف والإلقاء أو اللقاء!! والكناية بحقيقة تخالف شريعة متواترة لا يعول عليه»<sup>(٢)</sup>، ويقول: «كل عمل وترك لا يكون الشخص فيه تابعا، فلا يعول عليه، وإن كان أشق من عمل التبعية، قال الشبلي في هذا المقام: كل عمل لا يكون عن أثر فهو هوى النفس»<sup>(٣)</sup>، وهذا هو الحق، وهو أن الكشف والإلهام لا يكونان أدلة كالقرآن الكريم؛ «لأن الإلهام ليس من أسباب المعرفة بصحة الشيء، عند أهل الحق»<sup>(٤)</sup>.

٢ - حث الصوفية الأوائل على التمسك بالكتاب والسنة، قال شيخ الإسلام رحمته الله: «ولهذا كان الشيوخ العارفون المستقيمون من مشائخ الصوفية وغيرهم يأمرهم أهل القلوب - أرباب الزهد، والعبادة... - بلزوم الكتاب والسنة، قال الجنيد بن محمد: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة؛ فمن لم يقرأ القرآن، ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم بعلمنا...»<sup>(٥)</sup>.

٣ - أن دين الصوفية قائم على الذوق والوجد، وما يظنه مقربا له إلى الله يتخذه، ولو كان مبتدعا، بل ولو كان محرما؛ «فتجد عامة دينهم إنما يقوم بالأصوات المطربة والصور الجميلة؛ فلا يهتمون بأمر دينهم بأكثر من تلحين الأصوات...، وترى كثيرا من المتصوفة والمتفكرة لا يرى الشريعة ولا العلم شيئا، بل يرى التمسك بها منقطعا عن الله!!! وأنه ليس عند أهلها مما ينفع عند الله شيئا!!!»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: رسالة ابن عربي للرازي ص ٧.

(٢) لا يعول عليه لابن عربي ص ٢.

(٣) لا يعول عليه لابن عربي ص ٦.

(٤) العقائد النسفية لعمر النسفي ص ٢٨، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٥) الرد على المنطقيين ص ٥١٤-٥١٥، وقد ذكر أقوالا أخرى لأئمة الزهد والتصوف فانظرها.

(٦) الاقتضاء ١/ ٧٨-٧٩.

٤- أن الذوق والكشف لو كانا مصدرين لمعرفة العقيدة، لما كان هناك داع إلى إرسال الرسل، وإنزال الكتب - خصوصا أن الصوفية تزعم أن لا حاجة إلى اتباع الرسل -، وهذا معلوم بطلانه، وبطلان الملزوم يدل على بطلان اللازم.

٥- أن الكشف لو كان حجة بنفسه، والذوق كذلك، لكانت كشوفات البوذية والبراهمة حجة!!، وإلا فما الفرق بين كشف وكشف، ما دام الجميع لا يحتكمون إلى النصوص الشرعية؟!.

٦- أن القول بأن الكشف حجة في الاعتقاد تجهيل للسلف الصالح، وهذا قدح في نقولهم وعلومهم!!.

٧- أن الكشف لو كان عمدة في باب الاعتقاد - بل لو جزئية - لكان المعول عليه بعد موت رسول الله ﷺ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة وتابعيهم أنه رجع في مسألة شرعية واحدة إلى الذوق والكشف فضلا عن مسائل الاعتقاد.

٨- أن الكتاب والسنة فيها الغنية، وأن كل ما سوى ذلك لا بد أن يكون معروضا عليهما، ولا يجوز بحال أن يكونا محكومين، بل لا بد أن يكونا حاكمين.

وغالب اعتماد الصوفية على كتب مشايخهم، « وهذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند إلى أصل، وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض، ودونوها، وقد سموها بالعلم الباطن...، وسئل أبو زرعة عن الحارث المحاسبي وكتبه؛ فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه الكتب كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر؛ فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب، قيل له في هذه الكتب عبرة، قال: من لم يكن له في كتاب الله ﷻ عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأئمة المتقدمة: صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء!!، هؤلاء قومٌ خالفوا أهل العلم<sup>(١)</sup> ».

(١) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١٨٦.

ومن اعتمادهم على السماع البدعي الشيء الكثير الذي جعلهم يصدون عن الخير الكثير الذي جاء به القرآن الكريم، ومعلوم أن «السماع الذي أمر الله به، هو سماع ما جاء به الرسول ﷺ: سماع فقه وقبول»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن الكريم أنهم انحرفوا عن الطاعات، «فلا يبالون إذا حصل لهم توحيد القلب، وتأله أن يكون ما أوجبه الله من الصلوات، وشرعه من أنواع القراءة، والذكر، والدعوات، أن يتناولوا ما حرم الله من المطاعم، وأن يتعبدوا بالعبادات البدعية من الرهبانية، ونحوها، ويعتاضوا بسماع المكاء والتصديعة عن سماع القرآن»<sup>(٢)</sup>.

ومن جعلهم القرآن فرعا في باب الاعتقاد وعدم الاعتماد عليه أن حرفوا ما جاء به القرآن من شهادة الوجدانية؛ فزعم بعضهم أن: «لا إله إلا الله، ذكر العابدين، والله، الله، ذكر العارفين!! و"هو" ذكر المحققين!!»<sup>(٣)</sup>، وقد يقولون: إن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد، وذكر خاصة الخاصة الاسم المضمّر<sup>(٤)</sup>.

وهؤلاء «ضالون، غالطون...، والاسم المفرد مظهرا ومضمرا؛ فليس بكلام تام، ولا جملة مفيدة، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر، ولا أمر ولا نهي»<sup>(٥)</sup>.

ومعلوم أن من الدعاوى العريضة، والشعارات البراقة الكبيرة، التي أطلقها الصوفية، حتى أصبح شعارا لهم، أنهم أصحاب التزكية؛ فهم يبحثون عن تزكية النفوس!! ولكن بغير طريق القرآن، وإنما عن طريق الأناشيد والحفلات وإقامة السراقات والموائد!!<sup>(٦)</sup>.

(١) المجموع ٨/١٦.

(٢) المجموع ٧٣/١٩، وانظر منه: ٤٣/٢.

(٣) المجموع ٦٤/٢.

(٤) انظر: العبودية ص ١٢٥.

(٥) العبودية ص ١٢٥ وانظر ما بعدها.

(٦) انظر: تلبس إبليس لابن الجوزي ص ٢٦٢، ٣٥٨، الروح لابن القيم ص ١٠٩.

ومن ذلك وقوع كثير منهم فيما نهى عنه الشرع نصاً، كابتندهام ببناء المساجد على القبور، وتعظيمهم المقبور، ووقوعهم في الشرك، ودعاء الأموات؛ فضلاً الصوفية يشركون بدعاء غير الله تارة، وبنوع عبادة أخرى، وبها تارة<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على عدم اعتماد الصوفية على القرآن، في العقائد وغيرها، كونهم معظمين للباطنية المتزنقة الذين يرون وحدة الوجود، وكفرياتهم بينة<sup>(٢)</sup>.

ومن عظيم ما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن الكريم كونهم يهتمون بتوحيد الربوبية الذي شهد به أغلب الإنسانية إلا بقايا من الدهرية، ويتعبدون أنفسهم في تحصيل الحاصل، مع أن التوحيد الذي من أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، هو توحيد الألوهية، وهم فيه من أعظم الناس تفريطاً، بل ما جاء الشرك وأسبابه في أمة الإسلام إلا من طريقهم، ومن طريق الرافضة، في توحيد الألوهية<sup>(٣)</sup>.

فكيف يعتمد الصوفية على القرآن الكريم، وبعض من يوقرونه ويظنون أنه قد وصل، كالحسين بن منصور الحلاج، يدعي أنه يستطيع أن يأتي بمثل القرآن الكريم!!<sup>(٤)</sup>.

وإذا لم يعتمدوا على القرآن؛ فإن ذلك يعني الاعتماد على الكشف والذوق والوجد، ومعلوم ما يحصل في هذا الكشف من الاضطراب، والاختلاف؛ ما لا ينضبط<sup>(٥)</sup>، حتى تعددت الطرق الصوفية<sup>(٦)</sup>، وكل واحدة تلعن الأخرى، وذلك لكون الأذواق مختلفة، والكشوفات متغيرة.

(١) انظر: المجموع ٩٧/١، وقد ألف شيخ الإسلام رحمته الله كتابه العظيم المعروف بـ "الرد على البكري" وهو كله بيان لما وقع فيه الصوفية، من الضلالات والكفريات والشركيات.

(٢) انظر: المجموع ١٢١/٢.

(٣) انظر: التدمرية ص ١٨٦ وما بعدها.

(٤) انظر: تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١٩١، وقد ذكر آثاراً كثيرة عنه تدل على شناعة قوله، وخبث طويته.

(٥) انظر: شرح الأصبهانية ص ٢٨، النبوات ص ٧٥.

(٦) انظر: هذه الطرق وعددها في كتاب: الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبداء وطارق عبد الحليم ص ١٠٩.

وبنظرة واحدة على عقائد الصوفية تعلم أنهم بعدوا عن الإسلام أي بعد، فهم يرون إثبات الوجود المطلق عن كل قيد، وحقيقته هو الوجود نفسه، ويرون أن الأديان كلها طرق توصل إلى الله، وأن العذاب الأخروي ونيمة سواء<sup>(١)</sup>، وأخفهم من يتبدع بدعة يتقرب بها إلى الله ﷻ.

والصوفية في باب الاعتقاد إنما اعتادهم على كتبهم الذوقية ومؤلفاتهم الكشفية وزبالاتهم الخرافية، ف « الصوفية هنا وهناك، وفي كل مكان يتربصون فيه بالإسلام، يؤمنون بكتبهم إيماناً عنيداً طاغياً، يأسر منهم في قبضته القاهرة عواطف القلوب، ومشاعر النفوس، وسبحات الخواطر، وتأملات الفكر، ويدينون بكل حرف فيها يرمز إلى أسطورة، وبكل كلمة نفسي خرافة؛ فما تناوحت إحساساتهم بالحب إلا لها، وما فتك بالقلوب أخطبوطهم إلا بها، وما قتلت عناكبهم ذباب النفوس غلاب لعبها السام، بيد أنهم حين يلقون المؤمنين يقولون: رياء ومخادعة: مدسوس...، حتى إذا دخلوا إلى شياطينهم قالوا: نفتن المؤمنين!.

وإلا فإني أدوي بصيحة الحق تتحدى الصوفية وطواغيتها، أن يجراً واحد منهم على القول: إن تلك الكتب مدسوسة! أو يستنكر ما تطفح به من كفر، وليأتنا بأثارة من علم، أو ظن تدل على أنها دعية النسب إلى من افتروها... إن تلك الكتب ليست بمدسوسة، ويشهد بذلك التاريخ الحق، وتواتر النقل الصحيح، ولكن هبوا كذلك؛ فما ينفعكم وأنتم بها تدينون، وتؤمنون...، وآخرون يزعمون أن تلك الكتب أسرار ورموز، لا يفقهها إلا أولئك الذين أباح لهم الغيب الخفي مكنونه!!...، سأنحدر إلى فرية أولئك؛ فأزعم أن كتب الصوفية رموز مقنعة بالخفاء، وأسرار ملثمة بسحر الغيب!! ولكني أسألك كيف يُعبد الله برمز مقنع بالإيهام؟!... أيجق لامرئ أن يعبد ربه بشيء أطبق عليه الجهل به؟! وبغير ما شرعه الله في كتابه، وأوحاه إلى رسوله؟!...

(١) انظر: هذه هي الصوفية للعلامة عبد الرحمن الوكيل ص ١٧٤.

أتفقهون - ياكهنة الصوفية - دلائل تلك الرموز؟ أم لا تفقهونها؟ فإن تكن الأولى: فأبينوا لأتباعكم، لتطمئن قلوبهم بالمعرفة...، وإن تكن الأخرى؛ فإنها دين البغاء تردد ما لا تعي...»<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن خلدون المغرم بأصحاب الكشف مواقف الناس في المهدي، ثم ذكر قول الصوفية؛ فقال: «وربما يعتمدون في ذلك على الكشف، الذي هو أصل طرائقهم»<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن ظهر أن الصوفية أظهرت عقيدة الكشف والتلقي عن الله ﷻ، صار غنيا أن يقال: إنهم لا يأخذون من مشكاة النبوة إلا ما كان عملا ظاهرا أمام العامة، أو إظهار تعظيمه للعامة، ولمصلحة العامة، وأما هم فجأؤوا بالعظام، ومن أهمها:

١- القول بالحلول، ووحدة الوجود، وهو قول غالب المتأخرين من الصوفية، وهو لبنات وضعها الأولون فيهم، وإن لم يريدوا ذلك.

٢- اتهام سيد الأنبياء ﷺ بأنه لم يبلغ ما يفي بحاجة الخاصة، حتى أصبحوا يتلقون ذلك عن غير ما نزل إليه.

٣- ادعاء التلقي عن الله مباشرة، إما بوحى جلي، أو إلهام، أو كشف، أو منام!!

٤- تحقير شأن العلماء العاملين، من أئمة الدين، بحجة أنهم علماء القشور، وأنهم علماء الظواهر!!.

٥- تفسيرهم لنصوص القرآن والسنة بما يوافق أهواءهم.

هذه مع ما سبق يدل على عدم اهتمام الصوفية بالقرآن الكريم في باب الاعتقاد، وكذلك شيوخهم من الرافضة، وأبين حالهم في الفصل التالي.

(١) هذه هي الصوفية للعلامة عبد الرحمن الوكيل ص ٧٠-١٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٥.



## الفصل الثالث

### مَنْزِلَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ الرَّاغِبِينَ

وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالرافضة.

المبحث الثاني: عقيدة الرافضة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: عدم تعظيم الرافضة للقرآن الكريم.

المبحث الرابع: عدم اعتماد الرافضة على القرآن الكريم في

العقائد.



### المبحث الأول: التعريف بهم

لمعرفة الرافضة لابد من النظر إلى الأصل اللغوي لكلمة "الرفض" حتى يعرف معنى هذه الكلمة، ومن ثم تبين النسبة بعد ذلك.

أولاً: معنى الرافضة لغة:

"الرافضة" نسبة مأخوذة من الرفض، و "رفض": «الراء والفاء والضاد أصل واحد، وهو الترك، ثم يشتق منه، يقال: رفضت الشيء: تركته، هذا هو الأصل»<sup>(١)</sup>، والروافض تركوا الكتاب والسنة، والصحابة وسواد المسلمين؛ فتسميتهم بالروافض مناسبة لحالهم وتركهم.

و «رفضته» رفضاً، من باب ضَرَبَ، وفي لغة من باب: قَتَلَ<sup>(٢)</sup>، فإن كان "رفض" من باب ضرب؛ فيكون: رَفَضَ، يَرُفِضُ، رَفْضاً، وإن كان "رفض" من باب قتل؛ فيكون: رَفَضَ، يَرُفِضُ، رَفْضاً.

والأول - أعني ما كان على باب: ضرب - يكون معناه دائراً حول التفرق والاختلاف؛ ف «رفضت الإبل، من باب: ضرب، تفرقت في المرعى»<sup>(٣)</sup>، فعلى هذا يكون معنى الرفض: التفرق والاختلاف، وهو حال الرافضة الذين فرقوا جماعة المسلمين، وخالفوا سوادهم، وشقوا عصاهم، وهم في أنفسهم شذر مذر.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٤١٥.

(٢) المصباح المنير للفيومي ص ٢٣٢.

(٣) المصباح المنير للفيومي ص ٢٣٢.

والثاني - أعني ما كان على باب: قتل - يكون معناه: الترك، « فالرفض: ترك الشيء »<sup>(١)</sup>، فعلى كلا البابين ورد "الرفض"، وتقول: « أرفضه، وأرفضه، ورفضاً: تركته، وفرقته...، والرفض: الشيء المتفرق »<sup>(٢)</sup>.

« والروافض: جنود تركوا أميرهم، وانصرفوا، فكل طائفة منهم رافضة »<sup>(٣)</sup>.

وأما بيان سبب نسبة الرافضة إلى الرفض: فإذا تبين معنى "رفض" من حيث أصل معناه، وأنه دائر على التفرق والترك وخذلان الأمير، وهذه الصفات كلها في الروافض موجودة. فالنسبة إنها هي بسبب أن الروافض لما تركوا الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، واختصوا بهذا الترك لإعراضهم الكلي عنهما وعنهم، لقبوا بالرافضة، وكذلك لما تفرقوا عن جماعة المسلمين، ولم يقبلوا مقالهم، وهم لم يطيعوا أميرهم. والمقدم عندهم - بزعمهم - زيد بن علي بن الحسين عليه السلام فنسبوا إلى الرفض لذلك، وقيل لهم روافض نسبة إلى ذلك<sup>(٤)</sup>، وقد يذكر بعضهم سببا واحدا في تسميتهم بالروافض وهو مخالفتهم لأمرهم زيد بن علي، ولكن الذي يظهر أنه لقبوا بذلك، وهم يستحقون هذا اللقب لاجتماع الأمور المذكورة في معنى الرفض فيهم - والله أعلم -.

قال شيعة الكوفة حينما سمعوا زيد بن علي عليه السلام يتولى أبا بكر وعمر عليهما السلام؛ لأنهما وزيرا جده رفضوه؛ فقال لهم: رفضتموني؛ فسموا رافضة<sup>(٥)</sup>.

ثانيا: المراد بالرافضة اصطلاحاً:

وأما الرافضة في الاصطلاح؛ فالمقصود بهم: قوم تبرؤوا من الشيخين أبي بكر الصديق عليه السلام وعمر بن الخطاب عليه السلام.

(١) لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٦.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٧، وانظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص ٤١٥.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٧.

(٥) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٥٥، المجموع ٣/ ١٥٣، البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٣٨٢، لسان

العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٧.

وسئل الإمام أحمد رحمته الله عن الرافضة فقال: «الذين يشتمون أو يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما»<sup>(١)</sup>.

ويطلق هذا الاسم على كل من تبرأ من الصحابة رضي الله عنهم، واستعمل هذا اللقب في كل من غالى في هذا المذهب، وأجاز الطعن في الصحابة رضي الله عنهم<sup>(٢)</sup>، وقالوا: «الرَّوافض، ولم يقولوا: الرُّفَاض؛ لأنهم عنوا الجماعات»<sup>(٣)</sup>.

«والرفض أتى من قبل العجم، أما العرب فلم يكونوا روافض، ولكن بعد أن اختلط العجم بالعرب أصبح فيهم روافض»<sup>(٤)</sup>.

و«أصل الرفض كان من وضع قوم زنادقة منافقين، مقصودهم الطعن في القرآن والرسول ودين الإسلام، فوضعوا من الأحاديث ما يكون التصديق به طعنا في دين الإسلام، وروجوها على أقوام، فممنهم من كان صاحب هوى وجهل، فقبلها لهواه، ولم ينظر إلى حقيقتها، ومنهم من كان له نظر فتدبرها؛ فوجدها تقدر في حق الإسلام؛ فقال بموجبها، وقدر في دين الإسلام...، ولهذا دخلت عامة الزنادقة من هذا الباب؛ فإن ما تنقله الرافضة من الأكاذيب تسلطوا به على الطعن في الإسلام، وصارت شبهها عند من لم يعلم أنها كذب...، وضلت طوائف كثيرة من الإسماعيلية والنصيرية، وغيرهم من الزنادقة»<sup>(٥)</sup>.

فالرافضة لا تصح عندهم الاعتقاد إلا بتولي علي رضي الله عنه والتبرئ من باقي الصحابة رضي الله عنهم. وأما الشيعة فهو اسم أعم من الرافضة؛ ولهذا وجدت روايات في كتب الحديث السنية عمن فيهم تشيع، ولكن لا توجد روايات عن الرافضة الخالص، ولكن اندثر هؤلاء الشيعة، ولا يوجد اليوم إلا الشيعة الرافضة، اللهم إلا الزيدية.

(١) ذكره شيخ الإسلام في الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٤٠٦.

(٢) المصباح المنير للفيومي ص ٢٣٢.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٥/٢٦٧.

(٤) المجموع في ترجمة المحدث الشيخ حماد الأنصاري ٧٠٤/٢.

(٥) منهاج السنة ٩/٧.

« وأول من ابتدع الرفض عبد الله بن سبأ: وكان منافقاً زنديقاً، أراد بذلك فساد المسلمين؛ كما فعل بولص، صاحب الرسائل التي بأيدي النصاري، حيث ابتدع لهم بدعاً أفسد بها دينهم، وكان يهودياً، فأظهر النصرانية نفاقاً، لقصد إفساد ملتهم، وكذلك كان ابن سبأ يهودياً، فقصد ذلك وسعى في الفتنة <sup>(١)</sup>، ف « الروافض أخذوا دينهم من اليهود، وطعنهم في الصحابة طعن في الإسلام » <sup>(٢)</sup>.

والرافضة هم الشيعة الإمامية، وهم قرابة (٢٤) أربع وعشرين فرقة، ومن أشهرها: الكيسانية <sup>(٣)</sup>، والبيانية <sup>(٤)</sup>، والخطابية <sup>(٥)</sup>، والهشامية <sup>(٦)</sup>، والإسماعيلية، والإمامية الإثنا عشرية <sup>(٧)</sup> والإمامية أشهرها وأوسعها، وذلك بسبب كثرة من ينتمي إليها من علماء السوء، ولكون الدولة لهم قديماً وحديثاً، وأكثرهم من أولاد المجوس <sup>(٨)</sup>.

والرافضة كلهم دينهم قائم على الطعن في إمامة الخلفاء: أبي بكر وعمر وعثمان عليهم السلام بل وتكفيرهم، قال ابن عقيل رحمته الله: « الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد

(١) مختصر الفتاوى ص ١٥٦.

(٢) المجموع في ترجمة المحدث الشيخ حماد الأنصاري ٤٩٩/٢.

(٣) أصحاب كيسان مولى لأمر المؤمنين علي عليه السلام، وقيل تتلمذ على محمد بن الحنفية، ويعتقدون فيه أنه محيط بعلم الباطن. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٤٧.

(٤) وهم أتباع بيان بن سمعان التميمي، قالوا: بانتقال الإمامة من أبي هاشم إلى بيان، وهم يقولون: بألوهية علي عليه السلام. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٥٢.

(٥) أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي مولاهم، وعزا نفسه إلى جعفر الصادق، وتبرأ منه الصادق لما عرف حاله وغلوه، فاعتزل الصادق، وادعى الإمامة لنفسه، وزعم أن الأئمة أنبياء وآلهة!! انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٧٩-١٨٠.

(٦) أصحاب الهشامين: هشام بن الحكم وهشام بن سالم، وهما مشبهة في الصفات زيادة على غلوهم في التشيع. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٨٤.

(٧) وهم القائلون بإمامة الأئمة الإثني عشر نصاً ابتداءً بعلي عليه السلام، وانتهاءً بمحمد بن الحسن العسكري الغائب!!، وهم يتبرؤون من الشيخين، وعن يتولونها. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٦٢ وما بعدها.

(٨) وذكر أبو الحسن الأشعري أن الشيعة ثلاثة أقسام: الغالية وذكر فرقتها، وهم الباطنية، ثم ذكر الزيدية، وذكر فرقتها، ثم ذكر الإمامية وفرقتها. انظر: مقالات الإسلاميين ص ١٧-٢٤، وانظر: قمع الدجاجة لعبد العزيز الراجحي ص ٣٧٢، عبدالله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي بن عبد الرحمن السلطان ص ٢٧-٢٨.

الطعن في أصل الدين والنبوة، وذلك أن الذي جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا، وإنما نثق في ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم؛ فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله، فإذا قال قائل: إنهم أول ما بدؤوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها، وما هذا إلا لسوء اعتقاد في المتوفى، فإن الاعتقادات الصحيحة سيما في الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم، لا سيما في أهل بيته وذريتهم؛ فإذا قالت الرافضة: إن القوم استحلوا هذا بعده، خابت آمالنا في الشرع، لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم، والثقة بهم.

فإذا كان هذا محمول ما حصل لهم بعد موته خبنا في المنقول، وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوي العقول، ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة، وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة، ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله؛ فطاحت الاعتقادات، وضعفت النفوس عن قبول الروايات في الأصل، وهو المعجزات؛ فهذا من أعظم المحن في الشريعة<sup>(١)</sup>.

فإذا تبين معنى الروافض لغة واصطلاحاً؛ فإني أبين في المبحث التالي عقيدتهم في القرآن الكريم.

(١) نقله ابن الجوزي في تلييس إبليس ص ١١٠-١٠٩.

### المبحث الثاني: عقيدتهم في القرآن<sup>(١)</sup>

إن عقيدة الرافضة في القرآن موافقة لعقيدة المعتزلة؛ من حيث اعتقاد مصدريته؛ فيقولون: إن القرآن مخلوق، هذا من حيث اعتقادهم في حقيقة القرآن الكريم، ثم هم في هذه المسألة فرقتان:

«الفرقة الأولى: منهم هشام بن الحكم وأصحابه، يزعمون أن القرآن: لا خالق ولا مخلوق، وزاد بعض من يخبر عن المقالات في الحكاية عن هشام؛ فرعم أنه كان يقول: لا خالق ولا مخلوق، ولا يقال أيضاً: غير مخلوق؛ لأنه صفة والصفة لا توصف...!!»  
والفرقة الثانية منهم: يزعمون أنه مخلوق محدث...، كما تزعم المعتزلة والخوارج، وهؤلاء قوم من المتأخرين منهم<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الإسلام رحمته الله: «الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم، فليس في أئمة أهل البيت - مثل علي بن الحسين<sup>(٣)</sup> وأبي جعفر الباقر<sup>(٤)</sup>، وابنه جعفر بن محمد الصادق<sup>(٥)</sup> - من كان ينكر الرؤية، أو يقول بخلق القرآن، أو ينكر القدر، أو يقول

(١) وإنما أذكر هنا ما يفي بالغرض دون الإحاطة والعرض، ويكفي من القلادة ما يحيط بالعنق، وقد كتب في اعتقاد الرافضة في القرآن مؤلفات، ومن أوسعها - حسب علمي - كتاب موقف الرافضة من القرآن الكريم للدكتور/ مامادو، وهي رسالة ماجستير، نوقشت في الجامعة الإسلامية.

(٢) مقالات الإسلاميين ١/ ٤٠.

(٣) هو زين العابدين: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، وكان من أئمة المسلمين، وانتسب إليه الرافضة زوراً، توفي سنة ٩٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦.

(٤) هو الباقر: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب، وهو من أئمة المسلمين، وانتسب إليه الرافضة، وعدوه من أثمتهم، توفي سنة ١٢٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١.

(٥) هو جعفر الصادق: جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي



بالنص على علي، أو بعصمة الأئمة الاثني عشر، أو يسب أبا بكر وعمر، والمنقولات الثابتة المتواترة عن هؤلاء معروفة موجودة، وكانت مما يعتمد عليه أهل السنة.

وشيوخ الرافضة معترفون بأن هذا الاعتقاد في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه لا عن كتاب ولا سنة، ولا عن أئمة أهل البيت، وإنما يزعمون أن العقل دهم عليه، كما يقول ذلك المعتزلة - وهم في الحقيقة إنما تلقوه عن المعتزلة - وهم شيوخهم<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن الروافض قوهم في القرآن موافق لقول المعتزلة في أنه مخلوق، خصوصاً المتأخرين منهم؛ وإنما هناك فرقا يسيرا، وهو أنهم يقولون: إنه محدث، ولا يقولون: إنه مخلوق؛ كما بين ذلك شيخ الإسلام رحمته الله في منهاج السنة؛ فقال: «أتريد به أنه حادث في ذاته؟ أم حادث منفصل عنه؟»

والأول: قول أئمة الشيعة المتقدمين والجهمية والمرجئة والكرامية، مع كثير من أهل الحديث وغيرهم.

ثم إذا قيل: "حادث" أهو حادث النوع فيكون الرب قد صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً؟ أم حادث الأفراد، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء؟ والكلام الذي كلم به موسى - مثلاً - هو حادث، وإن كان نوع كلامه قديماً لم يزل؟.

فهذه ثلاثة أنواع تحت قولك: وقد علم أنك إنما أردت النوع الأول، وهو قول متأخري الشيعة، الذين جمعوا بين التشيع والاعتزال؛ فقالوا: إنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه، والإمامية وإن قالوا: هو محدث، وامتنعوا أن يقولوا: هو مخلوق؛ فمرادهم بالمحدث، هو مراد هؤلاء بالمخلوق، وإنما النزاع بينهم لفظي<sup>(٢)</sup>.

ومن أعظم ما تميز به الرافضة في اعتقادهم في القرآن الكريم قوهم فيه

القرشي، أبو عبد الله، وهو من أئمة المسلمين، وانتسب إليه الرافضة زوراً، ويعد - عند الإمامية - سادس الأئمة الاثني عشر، توفي سنة ١٤٨ هـ. انظر: معجم المؤلفين ٣ / ١٤٥.

(١) منهاج السنة ٢ / ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٢) منهاج السنة ٢ / ٣٧٠ - ٣٧١.

بالتحريف والزيادة والنقصان<sup>(١)</sup>، والرافضة سموا رافضة لكونهم يطعنون في الصحابة عليهم السلام، ومعلوم أن الذين نقلوا إلينا الدين: القرآن والسنة، هم الصحابة عليهم السلام، وحتى يسهل الطعن في الوحيين، وجه الرافضة سهامهم إلى ناقله، ولهذا قال الإمام أبو زرعة الرازي رحمته الله: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»<sup>(٢)</sup>.

فالروافض طعنوا في الصحابة عليهم السلام فسهل عليهم الطعن في المنقول عن طريقهم، سواء كان قرآنا أو كان سنة.

والروافض شابهوا اليهود من نواح عدة، ومنها: أن اليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن، بالتأويلات السخيفة والاعتقادات الزائفة، حيث جوزوا فيه التحريف والنقص والزيادة<sup>(٣)</sup>.

ومخالفة الروافض في كون القرآن الموجود بين دفتي المصحف هو القرآن المنزل على محمد ﷺ أمر معلوم متواتر، وسأذكر ما يدل على ذلك:

ومن ذلك زعمهم أن من ادعى أنه جمع القرآن كله غير علي عليه السلام فقد كذب!! ومن ثم قالوا: إن الصحابة وعلى رأسهم الأئمة الراشدون، والخلفاء الثلاثة المهديون: أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم قد حرفوا القرآن، وغيروا فيه، وأنقصوا منه سورا وآيات!!<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: حقيقة الخلاف بين علماء الشيعة وجمهور علماء المسلمين ص ٨.

(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب الغدادي ص ٩٧، وأورده الحافظ ابن حجر في الإصابة ١٠/١.

(٣) انظر: الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٨٧/٢، المعتمد في أصول الدين ص ٢٥٩، منهاج السنة ٣٢/١.

(٤) انظر: الكافي للكليني: كتاب الحجة، باب/أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة!! ١٧٨/١، الاحتجاج للطبرسي ٤٦/١، ودلائل الإمامة للطبري الرافضي ص ٢٧، أجوبة الشبهات لدستغيب الرافضي

بل زعموا أن القرآن الحقيقي لا يمسه إلا المطهرون!! ولا يمكن لغيرهم أن يعلموه، أو يمسه!!<sup>(١)</sup>.

وقالوا: «إن القرآن قد غير وبدل، وخولف بين نظمه وترتيبه، وأحيل عما أنزل إليه، وقرئ على وجوه غير ثابتة عن الرسول ﷺ، وأنه قد نقص منه، وزيد فيه!!»<sup>(٢)</sup>. ولما في القول بنقص القرآن وعدم حفظه من حمق مشوب بكفر وسفه، تبرأ منه علماء الرافضة، لئلا يبقى عارا عليهم، لكن هل كان تبرؤهم تقية منهم؟! أم يقصدون بأن القرآن غير المحرف القرآن المدعى بأنه قرآن علي ﷺ، أو قرآن فاطمة ﷺ المحفوظ عند الغائب مهديهم؟!<sup>(٣)</sup>.

ومنهم الذي مجرفون الكلم عن مواضعه، فادعوا أن هذا القول ليس قولا لهم فقط!! بل هو قول بعض أهل السنة!!<sup>(٤)</sup> كما يقول الطبرسي<sup>(٥)</sup>: «أما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأما النقص: فقد روي عن قوم من أصحابنا، وقوم من حشوية العامة، والصحيح خلافه»<sup>(٦)</sup>.

ص ١٣١-١٣٢.

(١) انظر: فصل الخطاب للطبرسي ص ٦-٧ من الطبعة الحجرية.

(٢) لمعتمد في أصول الدين للفراء ص ٢٥٨.

(٣) انظر: مقدمة كتاب: الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني للشيخ د. علي بن ناصر فقيهي ص ١٢٤.

(٤) وقد سبق أن ذكرت أن أهل السنة مجمعون على أن القرآن هو الموجود بين الدفتين، وما سوى ذلك فهو إما منسوخ، أو تفسير للقرآن من النبي ﷺ، أو من الصحابة ﷺ، ليس إلا، ولهذا كفر أهل السنة من قال: إن القرآن ناقص أو زائد، ولو حرفا واحدا لما لم يرو على وجه التواتر من طريق القراءات الثابتة، وأفتوا بضلال وكفر من اعتقد الزيادة والنقصان في القرآن الكريم مطلقا، ونظرة واحدة إلى تفاسير أهل السنة في سورة الحجر، الآية ٩، تبين لك كم هم متفقون في هذا القول. انظر: أي تفسير شئت من تفاسير أهل السنة عند الآية المشار إليها، وانظر: الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص ٤ وما بعدها.

(٥) هو الرافضي المتكلم: الطبرسي: حسين بن محمد تقي الدين ابن محمد بن علي النوري الطبرسي، من مؤلفاته: فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب!!، كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار، توفي سنة ١٣٢٠ هـ. انظر: معجم المؤلفين ٤/٤٦.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، وانظر: جذور الإنحراف لحسين المعنوق الرافضي ص ٢٧٠.

وما زعمه من نسبة القول إلى قومه، فهو على وجهه ومحلّه، وما نسبته إلى السنة - وسأهم الحشوية - فكذب مفضوح ودجل صريح، كيف وأهل السنة قد أجمعوا: على أن ما ثبت قرآنيته بالتواتر، فهو موجود بين دفتي المصحف، مسطر فيه، وأن ما ليس فيه، فهو: إما نقل آحاداً لا يعدوا أن يكون رأياً، أو قرآناً نسخ، أو حرفاً أُلغي في العرضة الأخيرة، وهذا الحق الذي ليس فيه ريب، وهو اليقين الذي دل عليه كلام الرب ﷻ وكلام الحبيب ﷺ وكلام الأصحاب عليهم السلام <sup>(١)</sup>.

وقالوا: إن المصحف الموجود ليس كاملاً <sup>(٢)</sup>، كما في كتبهم، وإليك بعض نصوصهم: «عن جابر الجعفي <sup>(٣)</sup> قال: سمعت أبا جعفر يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب، والأئمة من بعده!!» <sup>(٤)</sup>، ورووا «عن جابر الجعفي عن أبي جعفر أنه قال: ما يستطيع أحد يدعي أن عنده جميع القرآن ظاهره وباطنه إلا الأوصياء!!» <sup>(٥)</sup>.

ويقولون بأن هناك مصحفاً آخر، وهو عقيدة يدينون بها، أو ينكرونها تقية، فمن جملة ما في كتبهم: عن «أبي عبد الله يقول: تظهر الزنادقة سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة (ع) قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: إن الله تعالى لما قبض نبيه ﷺ دخل على فاطمة (ع) من وفاته الحزن ما لا يعلمه إلا الله ﷻ؛ فأرسل الله إليها ملكاً يسلي غمها، ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي؛ فأعلمته بذلك؛ فجعل أمير

= ٢٦٩، ٢٧٤، وذكر الروايات مبتورة للوصول إلى مقصده، والقول بأن أهل السنة يقولون بالنقص في القرآن الكريم!!.

(١) انظر: أقوال أهل السنة في أن القرآن هو الموجود بين دفتي المصحف، في الفصل الرابع من الباب الأول.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤١.

(٣) هو الكذاب الجعفي: جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي أحد علماء الشيعة، توفي سنة: ١٦٧ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ميزان الاعتدال ١/ ٣٧٩.

(٤) الكافي للكليني، كتاب الحجة، باب: أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة!! وأنهم يعلمون علمه كله ١/ ١٧٨.

(٥) المصدر نفسه.

المؤمنين (ع) يكتب كلما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفاً!!!، قال: ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون!!»<sup>(١)</sup>.

فهؤلاء الرافضة يعتقدون أن القرآن غير موجود؛ لأنه لم يجمعه إلا الأئمة، واختفى باختفاء مهديهم!!<sup>(٢)</sup>.

وهذا الكلام من أساسه ليس إلا افتراء على أبي جعفر عليه السلام، وإلا فإن علياً عليه السلام قد ولي الخلافة مدة خمس سنوات، فلم لم يأمر الناس بإحراق المصاحف التي كتبت في عهد عثمان عليه السلام، وإظهار المصحف الذي زعمه الرافضة، فهذا أوضح دليل على بطلان قولهم الكليل، وسخفهم العليل<sup>(٣)</sup>.

ومما يزعمون أنه سقط من القرآن وهم يحفظونه!! - سورة النورين!!<sup>(٤)</sup> وسورة الولاية!!<sup>(٥)</sup>.

ومنهم طائفة تقول: إن القرآن الكريم الموجود بين دفتي المصحف كامل،

(١) الكافي للكليني، كتاب الحجة، باب/ أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة!! وأنهم يعلمون علمه كله ١/ ١٨٥-١٨٦.

(٢) أي أن الحجة على الخلق غير قائم لعدم وجود ما يتبعون به، وهو القرآن!!، ففتي الفقهاء منهم، والعلماء والزهاد بإيرونه؛ لأنه لا قرآن، حتى يرجع القرآن بواسطة القائم!! - اللهم رحماك من مذهب هذا عقيدته في كتابك..

(٣) انظر: مقدمة كتاب: الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني للشيخ د. علي بن ناصر فقيهي ص ١٢٥-١٢٦.

(٤) ذكر هذه السورة كل من: ١ - الطبرسي في فصل الخطاب ص ١٨٠. ٢ - محمد باقر المجلسي في كتابه تذكرة الأئمة ص ١٨-١٩ باللغة الفارسية!! ٣ - كتاب (دبستان مذاهب) باللغة الفارسية. ٤ - ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوني في كتابه: مناهج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢/ ٢١٧، وانظر: كتاب الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص ٨١-٨٣.

(٥) ذكر هذه السورة كل من: ١ - ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوني في كتابه: مناهج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢/ ٢١٧. ٢ - محمد باقر المجلسي في كتابه تذكرة الأئمة ص ١٩-٢٠ باللغة الفارسية، منشورات مولانا من إيران، وانظر: الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن ص ٨٣. ٣ - النوري الطبرسي في فصل الخطاب ص ١٨٠، وانظر: عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي عبد الرحمن السلطان ص ١١٧، ولم ينكر العلماء المعتبرون الآخرون هذه الروايات!! ولم ينكروا على هؤلاء الموسومين بالآيات!!!!.

ولكن أيكون ذلك منهم تقية أم عقيدة؟<sup>(١)</sup>. وهؤلاء وإن قالوا بذلك، إلا أن عقيدتهم في القرآن الكريم كعقيدة المعتزلة - لو أثبتوه أنه كما أنزل - بل هم مضطربون؛ فمنهم من يقول: إنه مخلوق، ومنهم من يقول: إنه نزل أولاً معناه جملة إلى محمد ﷺ ثم نزلت ألفاظه وحروفه منجّمة!!<sup>(٢)</sup>.

وقد تسمع منهم من يقول: إن القرآن غير مبدل، ولكن ماذا يقصدون؟ وأي شيء يريدون، أهى التقية أم يقصدون مصحفاً آخر؟، أو يعنون به القرآن في حال دون حال!! وهذا الكلام مجمل منهم، حيث لم يقولوا بأن القرآن المنزل على محمد ﷺ لم يحرف، ومن قال منهم: إنه لم يحرف فإنها يقصد المصحف المنزل عليه ﷺ والموجود مع مهديهم المنتظر!! وليس المنزل الموجود بين الدفتين، وبعضهم يقول: المصحف الموجود بين الدفتين لم يغير منه ولم ينقص، وهم إنما يعنون مصحف عثمان ؓ، أي أن التحريف وقع في الأساس قبل جمع عثمان ؓ، فما جمعه عثمان ؓ هو بعض ذلك القرآن، وهو لم يتغير، هكذا يقولون ويلبسون<sup>(٣)</sup>. وإليك هذا الكلام القاطع لتعلم كم

(١) ولو كانت هذه المسألة عندهم عقيدة لوجب أن يكفروا القائلين بنقصان القرآن الكريم وزيادته، والرد عليهم، هلا فعلوا!!!، وهذا الذي ظننته هو اليقين عندي، وقد وقفت على ما يؤيد ظني السابق ما ذكره القاضي أبو يعلى الفراء حيث بين أن أساس مذهب الرافضة مبني على القول بتحريف القرآن، فقال: «ولو ذهب ذاهب إلى ترك مناظرة الرافض ومكالمتهم، لكان قد ذهب مذهبا ليس ببعيد، وذلك أن المتناظرين إنما يتناظران ويردّان إلى أصل قد اتفق عليه، والأصول التي ترجع إليها الأمة فيما اختلفت فيه: الكتاب والسنة وإجماع الأمة وحجج العقول. وهذه الأصول الأربعة، لا يمكن الرجوع إليها على قول الرافضة، وذلك أن مذهبه أن الكتاب مغير مبدل، وأنه قد ذهب أكثره؛ فلا يأمن أن يرد إلى آية فتكون منسوخة بآية من القرآن الغائب عنا الذي هو عند الإمام...!!». المعتمد في أصول الدين ص ٢٥٩؛ فمن أصول مذهب الرافضة القول بتحريف القرآن الكريم. انظر: صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٤٧٨.

(٢) انظر: أجوبة الشبهات لدستغيب الرافضي ص ١٣٠.

(٣) قال المحشي على كتاب نور البراهين ١/ ٥٢٦: «رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة - أي الرافضة -، والعامّة - أي أهل السنة - بنقصان كثير من آي القرآن!!!...، والأولى الإعراض عنها، وترك التشاغل بها، لأنه لا يمكن تأويلها، ولو صحت لما كان ذلك طعنا على ما هو موجود بين الدفتين؛ فإن ذلك معلوم صحته، لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه!!!...، وقد كتب معاصرونا كتباً مستقلة في مسألة عدم وقوع

في كلام القوم من التلبس، وإليك الأدلة من غير تدليس:

١- أنهم زعموا أن المصحف الكامل لم يعرفه إلا الأئمة، واختفى باختفاء الإمام الثاني عشر!!.

٢- أنهم نصوا على أنه لم يجمع القرآن من الصحابة إلا علي عليه السلام؛ وهذا يعني أن غيره لو جمعه فهو كاذب!!، كما نصوا على ذلك.

٣- أنهم قالوا: إن الصحابة قد ارتدوا عن الدين!!؛ فكيف يوثق بنقلهم، وتقبل روايتهم!! وهذا وحده يدل على أن القوم لا يقولون بأن المصحف الموجود هو كلام الله المنزل كما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله، وإلا لزمهم الترضي عن الصحابة، والقول بعدالتهم، إذ هم الرواة والنقلة لهذا المنقول، وفيه الثناء عليهم، والترضي عنهم، وهم لا يقولون بذلك كله.

٤- أنهم ألقوا الكتب، وبينوا أن القرآن قد غير، ويكفي ما قد ذكرت من نصوصهم، وليتضح المقال، انظر لما صنعه أحد ضلالهم حيث ألف كتابا بعنوان: "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، - وكتبا أخرى لغيره<sup>(١)</sup>، - ويطبع هذا الكتاب، في المطابع الرافضية، ولم ينكره أحد من علمائهم صراحة، وإن وقع الإنكار؛ فهو لعدم مناسبة الزمان!! لا دفاعا عن القرآن!!<sup>(٢)</sup>.

التحريف في القرآن المجيد». فهذا يؤكد أن من قال منهم: إنه غير محرف؛ فإنما يعني الموجود من جمع عثمان عليه السلام، وأنه كما جمع، وبقي كما جمع. وأما المصحف الحقيقي فيبحثون عنه!! ويتنظرونه مع المنتظر!! أما دعواه على أهل السنة فكذب محض.

(١) انظر: مصادر التلقي ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) قال الشيخ محب الدين الخطيب عن كتاب "فصل الخطاب": «جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة، ومجتهدهم، في مختلف العصور بأن القرآن قد زيد فيه، ونقص منه، وقد طبع كتاب الطبرسي هذا في إيران سنة ١٢٩٨ هـ، وعند طبعه قامت حوله ضجة؛ لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن محصورا بين خاصتهم، ومتفرقا في مئات الكتب المعتبرة عندهم، وأن لا يجمع ذلك كله في كتاب واحد، تطبع منه ألوف النسخ، ويطلع عليه خصومهم، فيكون حجة عليهم، ماثلة أمام أنظار الجميع، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات، خالفهم فيها مؤلفه، وألف كتابا آخر سماه: "رد بعض الشبهات

٥- أن صاحب كتاب "فصل الخطاب..." نص على أن القرآن الموجود في المصاحف ليس فيه نزاع، وإنما النزاع في الأساس؛ فقال في مقدمة كتابه: «هذا كتاب لطيف!! وسفر شريف! عملته في: إثبات تحريف القرآن! وفضائح أهل الجور والعدوان! وسميته: فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، وجعلت له ثلاث مقدمات، وباين، وأودعت فيه من بدائع الحكمة ما تقر به كل عين!!»<sup>(١)</sup>...

المقدمة الأولى: في نبذ مما جاء في جمع القرآن، وسبب جمعه، وزمانه، وكونه في معرض تطرق النقص والاختلاف بالنظر إلى كيفية الجمع!!<sup>(٢)</sup>. المقدمة الثانية: في بيان أقسام الاختلاف والتغيير الممكن حصوله في القرآن، والممتنع دخوله فيه!!<sup>(٣)</sup>. المقدمة الثالثة: في ذكر أقوال علمائنا في تغيير القرآن وعدمه<sup>(٤)</sup> - ثم قال بعد أن ذكر زبالة أفكاره، وحثالة رواياته قبل البدء بالمقدمة الثالثة -: «واعلم أنه قد ظهر مما مر أنه كان للقرآن حالات: أ- حال التفرق والشتات قبل زمان جمع الشيخين. ب- حال الاجتماع بعده إلى زمان جمع عثمان. ج - حاله بعد جمعه، ومحل النزاع في تطرق التغيير فيه، وعدمه، إنما هو في أحد الحالين الأولين، وأما في الأخير فلا خلاف لأحد فيه، بل الكل متفقون على أنه الآن باقٍ على ما كان عليه في عهده»<sup>(٥)</sup>، ومن تأمل هذا الكلام يعلم أن «المؤلف بتفصيله هذا: إن دعوى النقص في القرآن، ومحل النزاع فيه هو في جمع القرآن من أساسه في زمن الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما هل جمع كاملاً أم لا؟!...، أما

=  
عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، وقد كتب هذا الدفاع في أواخر حياته، قبل موته بنحو سنتين». الخطوط العريضة ص ١٤-١٥.

(١) ربما إذا كان أعور عن الحق، أو أعمى عن الصواب، فتقر بذلك، وأما عيون المتبعين للسنة والقرآن فلا تقر بهذا الهراء، ولا تقر إلا بنفي هذا الخواء، واعتباره من السموم التي تعمي عيون الأتقياء، وتدعم قلوب الصالحاء.

(٢) فصل الخطاب لحسين نوري الطبرسي الرافضي ص ٢ من الطبعة الحجرية.

(٣) فصل الخطاب ص ٢٤ من الطبعة الحجرية.

(٤) فصل الخطاب ص ٢٦ من الطبعة الحجرية.

(٥) فصل الخطاب ص ٢٦ من الطبعة الحجرية.



الإجماع المحكي فقد بين المؤلف أن المقصود به أن مصحف عثمان الموجود الآن هو باقٍ على ما كان عليه في عهده، وأن الجميع متفقون على ذلك، أي أن الذي وجد وجمع في عهد عثمان عليه السلام لم يغير حتى الآن، ولكنه لا يشتمل على القرآن كله، كما أنزله الله؛ لأنه لم يجمعه كاملاً كما أنزل إلا علي بن أبي طالب عليه السلام» <sup>(١)</sup>.

٦- ومما يؤكد أن الروافض يقولون بتحريف القرآن الكريم، وأن الموجود منه ناقص ومبدل!! أن الذين ألقوا وبنوا وذكروا تحريف القرآن الكريم، هؤلاء المؤلفون: «نالوا أكبر تعظيم من الشيعة أنفسهم، وعلى سبيل المثال: الطبرسي، والذي ألف كتاباً سماه "فصل الخطاب..." دافعوا عن كتابه لما رُد عليه وعورض في إخراجهم؛ فبالله عليك ماذا حدث له؟ هل قتل ردة؟؟، هل سجن؟ هل ضادته الشيعة كما ضاد الدين؟ الجواب كما هو معلوم: لا...!!، بل عزز، وكرم، ودفن في مكان من أعظم الأمكنة - عندهم وأقدسها - وبعض كتبه تعتبر من الكتب الحديثية المعتبرة عند الشيعة...!!» <sup>(٢)</sup>.

٧- ومما يؤكد أن القوم يرون أن القرآن محرف سعيهم لما اندثر من الخلاف بين الأسلاف، أن يحيوه من جديد بقصد الاتلاف، وقد وجد في عهد أبي حامد الاسفرائيني رحمته الله في بغداد طائفة من الناس زعموا أنهم وجدوا مصحفاً لابن مسعود رضي الله عنه، وكان فيه خلاف كثير، فأمر الشيخ أبو حامد والفقهاء بإحراقه؛ فثارت ثائرة الشيعة الرافضة!! - مع أنهم لا يوقرون ابن مسعود رضي الله عنه ولا يرون قراءته، ومصحفه - وفعلوا ذلك إيقاداً للرماد، وإيجاد الشبهات لأهل الإلحاد، فقاموا وسبوا وشتموا من أحرق ذلك المصحف!! ووقع بسبب ذلك القتال بين أهل السنة والرافضة في بغداد <sup>(٣)</sup>.

٨- أن القائلين بتحريف القرآن هم جلة أئمة الشيعة وعلمائهم؛ فيما أن يتبرؤوا منهم!!، أو يقولوا بقولهم، والأول لم يقع، فبقي الثاني، وهو الثابت عنهم، وإنما قد

(١) من كلام شيخنا د. علي بن ناصر فقيه في مقدمة كتاب الإمامة لأبي نعيم الأصبهاني ص ١٣٥.

(٢) علماء الشيعة يقولون ص ٦.

(٣) انظر: شذرات الذهب ٣/ ١٤٩.

يقولون بأنه لم يحرف تقية من غير تصريح<sup>(١)</sup>. ومما يدل على أن من أنكر التحريف فإنما ذلك تقية أمور كثيرة - غير ما ذكرته - ومنها على سبيل الإيجاز: أ - أنهم لم يؤلفوا كتباً في الرد على من قال بالتحريف على وجه التصريح، ولم يرتبوا عليه حكماً شرعياً كالردة. ب - أنهم يلقبون القائلين بالتحريف بالأئمة والآيات والأعلام!! ويتخذونهم مراجع!! ج - أن من أنكر منهم النقص والتحريف فلماذا لا يذكر ما يثبت ذلك من أقوال الأئمة، كما أثبت القائلون بالتحريف الأقوال عن أئمتهم بالتحريف؟! إلا أن لا يكون ذلك وارداً عن الأئمة وإنما هو اجتهاد منه!! د - أنه قد ثبت عن الأئمة النقل بالتحريف، وفي تأويلها تعسف، فإما أن يردوها - وهي متواترة!! - أو أنهم يقولون بها، أو يخالفونها تقية!!<sup>(٢)</sup>.

أن متأخري الروافض كأوائلهم - إلا من كان منهم طالباً للحق، غير عامل بالتقية، كبعض المتأثرين بالاعتزال في المقال -؛ فهذا رافضي متأخر يقول: «والحاصل فالأخبار من طريق أهل البيت (ع) أيضاً كثيرة، إن لم تكن متواترة، على أن القرآن الذي بين أيدينا ليس هو القرآن بتمامه كما أنزل على محمد (ص)!! بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو محرف، ومغير!!، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة!! منها اسم علي (ع) في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد (ع)، ومنها أسماء المنافقين، ومنها غير ذلك!! وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله<sup>(٣)</sup>، وعند رسول الله (ص)!!»، ثم ذكر أمثلة كثيرة بزعمه آيات

(١) وقد ذكر مؤلف كتاب: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن علماء الشيعة القائلين بالتحريف، وعد منهم العشرات من كبار علمائهم، وأئمتهم. انظر: ص ٩-٣٩، وذكر المصنف ستة من كبار علماء الشيعة القائلين بأن التحريف في القرآن الكريم متواتر ومستفيض!! انظر: ص ٤٠-٤١، وذكر من علمائهم من يقول: إن القول بتحريف القرآن من ضروريات المذهب الرافضي الشيعي. انظر: ص ٤٢، ثم أورد أسماء وأقوال علماء الشيعة الروافض القائلين بأن تحريف القرآن أمر مجمع عليه بين الروافض جميعهم. انظر: ص ٤٣، ثم ذكر المصنف بعض العلماء القائلين بعدم التحريف "تقية" وعد منهم ثلاثة فقط. انظر: ص ٨٤، وانظر كتاب: عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لـعلي بن عبد الرحمن السلمان ص ١٠٦ وما بعدها.

(٢) انظر: هذه الوجوه في كتاب: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص ٨٥.

(٣) وهذا الكلام من الروافضة بالاتفاق - سواء منهم من قال بتحريف القرآن صراحة، أو الذين قالوا: بعدم التحريف تقية - يقولون: إن القرآن الموجود ليس على الترتيب المرضي عند الله ﷻ. انظر: أجوبة الشبهات لدستغيب الرافضي ص ١٣١، حيث يقول: «أما سبب عدم جمع القرآن وترتيبه على كيفية النزول؛ فهو يُعد بشكل عام واحداً من المحرومات التي أصيبت بها الأمة، والمجتمع الإسلامي، نتيجة

حرفت!!، وأورد مثالا واحدا ليطلع - على عقائد هؤلاء - المنتصف المتبع للحق، قال: «أما ما كان خلاف ما أنزل الله؛ فهو قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فقال أبو عبد الله (ع) لقارئ هذه الآية: خير أمة تقتلون أمير المؤمنين؟<sup>(١)</sup>، والحسين بن علي (ع)!!؛ فقيل له: كيف نزلت يا ابن رسول الله؛ فقال: إنما نزلت "خير أمة أخرجت للناس"<sup>(٢)</sup>، فهذا يؤكد أن أي شيعي فلا بد أن يعتقد تحريف القرآن؛ لأنه ثابت عندهم عن الإمام المعصوم!!، وإلا فليطرحوا جميع روايتهم، وليتركوا جميع مروياتهم، وانظر إلى آخر على شكله، وهو يقول: «إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد (ص) باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان!!...، وأما النقصان فإن العقول لا تحيله، ولا تمنع من وقوعه!!»<sup>(٣)</sup>، وهؤلاء المتأخرون يؤلفون حول تحريف القرآن كأوائلهم؛ فيقولون: «إن جماعة من المحدثين، وحفظة الأخبار

التخلف والانحراف عن خط أهل البيت»، وقد سبق أن بينت أن ترتيب السور على ما هي عليه سواء قلنا: إنه توقيفي - وهو الرأي الراجح - أو قلنا: إنه باجتهاد من الصحابة (رضي الله عنهم) بما فهم علي (رضي الله عنه) فإنه مرضي عند الله (رضي الله عنه)، إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة؛ فثبت على قولي أهل السنة أن هذا الترتيب هو الترتيب الذي رضي الله (رضي الله عنه)، وحفظ على ترتيبه كتابه، قال ابن حزم رحمه الله - مبينا أن ترتيب السور هو المرضي عند الله تعالى؛ ف«رتبة الآية، ورتبة السور مأخوذة عن الله (رضي الله عنه) إلى جبريل، ثم إلى النبي (رضي الله عنه)، لا كما يظنه أهل الجهل أنه ألف بعد موت النبي (رضي الله عنه)، ولو كان ذلك ما كان القرآن منقولا نقل الكافة، ولا خلاف بين المسلمين، واليهود، والنصارى، والمجوس أنه منقول عن محمد (رضي الله عنه) نقل التواتر». الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/ ٢٧٧، وابن حزم (رضي الله عنه) من العلماء الذين يرى أن الترتيب توقيفي.

(١) ومعلوم أن الخطاب بأنهم خير أمة موجه للصحابة (رضي الله عنهم)، والذين قتلوا عليا والحسن والحسين هم الخوارج والرافضة أنفسهم!!؛ فلا وجه لإيراد الإنكار، إلا التحريف والكذب والاستكبار.

(٢) مشارق الشموس في أحقية مذهب الإخبارية للعلامة الحجة السيد!! عدنان بن السيد علوي آل الموسوي البحراني المتوفى سنة ١٣٤٨ هـ، ص ١٢٧، ومن يقول بتحريف القرآن الكريم من المتأخرين الخوئي المتوفى سنة ١٤١٣ هـ، وهو مرجع الشيعة الإمامية في هذا الزمان!!؛ فهو يؤكد أن روايات الشيعة في تحريف القرآن لا تثبت لأنها آحاد، وحتى لا يلام في الإنكار جعل لنفسه خط رجعة فقال مبينا أنها تعتضد، «و تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين، ولا أقل من الاطمئنان إلى ذلك!!». انظر: البيان في تفسير القرآن له ص ٢٢٦.

(٣) أوائل المقالات ص ٩١، نقلا عن كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٢٢٥، ١٨.

استظهروا التحريف بالنتيجة من الأخبار، ولذلك ذهبوا إلى التحريف بالنقصان!!<sup>(١)</sup>، ثم ذكر هذا القائل جمعا غفيرا منهم<sup>(٢)</sup>، وأمثلة على ما زعم أنه محرف، أو ناقص منه!! بل إن القول بالتحريف عند الروافض بلغ مبلغ التواتر، قالوا: «روى أصحابنا، ومشايخنا في كتب الأصول من الحديث وغيرها، أخبارا كثيرة بلغت حد التواتر في أن القرآن قد عرض له التحريف، وكثير من النقصان والزيادة!!»<sup>(٣)</sup>، ويجلي هذا أن كتاب "فصل الخطاب..." يذكره كثير من علمائهم، ولا يكفرون مؤلفه، بل يجلونه، ويقرونه<sup>(٤)</sup>، ومعلوم أن الرضا بالكفر كفر، فإما أن يكون قال كفرا؛ فلا يكون إماما إلا في الكفر والضلالة، أو يكون قال حقا؛ فيتبع!!، وهذا الذي فعلوه - وهو اتباعه - حقيقة، وأنكروا قوله تقية.

١٠- قال أبو الحسن الأشعري رحمته الله: «واختلف الروافض في القرآن، هل زيد فيه أو نقص منه؟! وهم ثلاث فرق: فالفرقة الأولى: منهم يزعمون أن القرآن قد نقص منه، وأما الزيادة فلذلك غير جائز أن يكون قد كان، وكذلك لا يجوز أن يكون قد غير منه شيء عما كان عليه؛ فأما ذهاب كثير منه فقد ذهب كثير منه!!، والإمام يحيط علما به!!... والفرقة الثالثة منهم: وهم القائلون بالاعتزال<sup>(٥)</sup>، والإمامة، يزعمون أن القرآن ما نقص منه، ولا زيد فيه، وأنه على ما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ لم يغير، ولم يبدل، ولا زال على ما كان»<sup>(٦)</sup>.

١١- أن هذا القول، وهو القول بالتحريف مشهور منذ العصور القديمة، حتى أن ابن حزم رحمته الله لم يعدهم من المسلمين، بسبب هذا القول المهين في القرآن المين؛

(١) آراء حول القرآن لآية الله العظمى الأصفهاني ص ٨٨.

(٢) وانظر: تفسير البرهان للقمي ٧٩/١، مرآة العقول ١٢/٥٢٥، كتاب الصافي في تفسير القرآن ١/٧٥.

(٣) نور البراهين ١/٥٢٦، مصابيح الأنوار ص ٢٥٩، من كتاب علماء الشيعة يقولون ص ١٩، ١٧.

(٤) انظر: مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل للطبرسي ١/٥٠ من المقدمة.

(٥) وهذا يؤكد أن الذين يتلبون جانب العقل، وقد يسمون أنفسهم بالعقلانيين، ويخالفون الإخباريين

الفقهاء قديما وحديثا لا يرون تحريف القرآن - اللهم إلا أن يكون تقية أيضا!!

(٦) مقالات الإسلاميين ص ٤٧.

فقال: «وأما قوهم - أي قول أهل الكتاب - في دعوى الروافض تبديل القرآن؛ فإن الروافض ليسوا من المسلمين»<sup>(١)</sup>، وقال شيخ الإسلام رحمته الله: «وكذلك - أي يكفر - من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت»<sup>(٢)</sup>، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال الشرعية، ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة، ومنهم التناسخية، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم»<sup>(٣)</sup>.

وهذا يظهر لكل منصف أن الروافض يقولون بتحريف القرآن الكريم، سواء صراحة، أو تلبيساً وتدليساً، أو ينفون ذلك تقية، وأن من قال منهم صراحة بنفي ذلك وكفر القائل بذلك فهم قلة - إن وجدوا -.

وأما الجواب عن شبهة الرافضة في ادعائهم النقص والزيادة في القرآن الكريم فمن وجوه عدة:

١ - قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فقد ضمن الله ﷻ حفظ كتابه بهذه الآية، ولم يكل أمر حفظه إلى أحد من البشر، فمعنى الآية «إنا نحفظ ذلك الذكر، من التحريف والزيادة والنقصان... إن أحدا لو حاول تغيير حرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا: هذا كذب، وتغيير لكلام الله، حتى إن الشيخ المهيب لو اتفق له لحن، أو هفوة، في حرف من كتاب الله تعالى لقال له الصبيان: أخطأت أيها الشيخ، وصوابه كذا وكذا...، واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ؛ فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير، إما في الكثير منه، أو في القليل، وبقاء هذا الكتاب مصوناً من جميع جهات التحريف - مع أن دواعي الملاحدة، واليهود، والنصارى، متوفرة على إبطاله، وإفساده - من أعظم المعجزات»<sup>(٤)</sup>.

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٧٨/٢.

(٢) كقول الروافض إن الصحابة كنمو آيات من القرآن الكريم!!

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٤٢٠.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ١٦٠/١٩ - ١٦١.

٢- قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۖ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] وهذه الآية نص على أن من لم يعتقد حفظ القرآن وصيانة الذكر المنزل فإنه من الذين كفروا بالذكر، والمراد بالذكر "القرآن الكريم" (١).

٣- قوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۖ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [البقرة: ١-٢] وكيف يكون هدى للمتقين وهو ناقص؛ فلا ريب أنه كتاب معظم محفوظ ممجد، لا يأتيه الريب والشك، لا في لفظه، ولا في معناه، ولهذا كان هدى للمتقين، وهؤلاء المتقون من سماتهم أنهم يؤمنون بالمنزل على محمد ﷺ كما في الآيات بعدها، ويؤمنون بما أنزل من قبل، وقد جاء الخبر في القرآن بأن ما أنزل من قبل غير، وصدقنا القرآن، وجاء الخبر في القرآن بأن القرآن محفوظ؛ فنصدق القرآن إن كنا مؤمنين به حقاً.

٤- «قال ابن عباس ؓ وقد سئل: أترك النبي ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين، وقال محمد ابن الحنفية مثل ذلك» (٢)، وترجم له الإمام البخاري رحمه الله فقال: «باب من قال: لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين» (٣)، قال الحافظ رحمه الله: «هذه الترجمة للرد على من زعم أن كثيراً من القرآن ذهب لذهاب حملته، وهو شيء اختلقه الروافض، لتصحيح دعواهم أن التنصيص على إمامة علي واستحقاقه الخلافة عند موت النبي ﷺ ثابت في القرآن، وأن الصحابة كتموه، وهي دعوى باطلة؛ لأنهم لم يكتموا مثل: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" (٤)، وغيرها من الأمور التي قد

(١) يقول أحد الروافض في شرحه للآية المذكورة: «العزير الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وهذا لا ينافي بطريق التغيير لما بين أيدينا من القرآن، وهو ما بين الدفتين؛ لأن ذلك الوصف باعتباره في نفسه!!» الأنوار الوضية في العقائد الرضية ص ٢٨، نقلاً عن كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٢٠، وذكر المحشي أن علماء الرافضة اختلفوا في هذه المسألة!! وهل يختلف المسلمون في كتاب ربهم، وأنه من عنده، وأنه باق كما أنزله، إلا من طمست بصيرته، وعميت فطرته، ودنست عقيدته بعقيدة الطعن في الإسلام وحملته.

(٢) رواه البخاري معلقاً مجزوماً به، كتاب فضائل القرآن، باب ١٦، ح (٥٠١٩).

(٣) صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب ١٦، ص ١٠٩٢.

(٤) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ؓ، ح (٢٤٠٤) عن سعد بن أبي وقاص ؓ.

يتمسك بها من يدعي إمامته، كما لم يكتموا ما يعارض ذلك، أو يخصص عمومهم، أو يقيد مطلقه، وقد تلطف المصنف في الاستدلال على الرافضة بما أخرجه عن أحد أئمتهم - الذين يدعون إمامته - وهو محمد بن الحنفية وهو ابن علي ابن أبي طالب؛ فلو كان هناك شيء ما، يتعلق بأبيه لكان هو أحق الناس بالإطلاع عليه، وكذلك ابن عباس عليه السلام فإنه ابن عم علي عليه السلام، وأشد الناس له لزوماً، وإطلاعا على حاله <sup>(١)</sup>.

٥- دليل الإجماع: ف «القرآن جمع بمحضر من الصحابة - بما فيهم علي عليه السلام - وأجمعوا عليه، ولم ينكر منكر، ولا رد أحد من الصحابة ذلك، ولا طعن فيه، ولو كان مغيراً مبدلاً، لوجب أن ينقل عن أحد من الصحابة أنه طعن فيه؛ لأن مثل هذا لا يجوز أن يكتم في مستقر العادة، ولو جوزنا ذلك، لوجب أن يجوز على الله تعالى قد أوجب أكثر من خمس صلوات، وأوجب صوم شهر أكثر من شهر رمضان، ولما بطل ذلك، وجب القطع بأن القرآن ما غير ولا بدل» <sup>(٢)</sup>، قال ابن حزم رحمته الله: «إن عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يك <sup>(٣)</sup> إلا وجزيرة العرب كلها مملوءة بالمسلمين، والمصاحف، والمساجد، والقراء يعلمون الصبيان والنساء، وكل من دب وهب، واليمن كلها، وفي أيامه مدن وقرى، والبحرين كذلك، وعمان كذلك، وهي بلاد واسعة مدن وقرى، وملكها عظيم، ومكة، والطائف، والمدينة، والشام كلها كذلك، والجزيرة كذلك <sup>(٤)</sup>، ومصر كلها كذلك، والكوفة، والبصرة كذلك، في كل هذه البلاد من المصاحف والقراء ما لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وحده، فلورام عثمان رضي الله عنه ما ذكروا ما قدر على ذلك أصلاً، وأما قولهم: إنه جمع الناس على مصحف فباطل، ما كان يقدر على ذلك لما ذكرنا، ولا ذهب عثمان رضي الله عنه قط إلى جمع الناس على مصحف كتبه، إنما خشي عليه السلام أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين، أو أن يهم واهم من أهل الخير؛ فيبدل شيئاً من المصحف، يفعل

(١) الفتح ٨/ ٦٨٣.

(٢) المعتمد في أصول الدين للقراء ص ٢٥٨.

(٣) أي لم يول الخلافة بعد.

(٤) المقصود بالجزيرة ما بين النهرين دجلة والفرات.

ذلك عمداً، وهذا وهماً؛ فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال؛ فكتب مصاحف مجتمعا عليها، وبعث إلى كل أفق مصحفاً، لكي إن وهم واهم، أو بدل مبدل رجع إلى المصحف المجتمع عليه؛ فأنكشف الحق، وبطل الكيد، والوهم فقط<sup>(١)</sup>، فكتابة عثمان رضي الله عنه للقرآن إنما كانت لإبقائه أصلاً يرجع إليه عند التحاكم والاختلاف، وهو أشبه ما يكون بتدوين السنة؛ فإذا اختلف في حديث ما رجعنا إلى الأصول المؤلفة، ويطرح ما عدا ذلك، وهكذا فعل عثمان رضي الله عنه حيث جمع القرآن الذي عرض في العرصة الأخيرة، وطرح ما سواه مما كان رواية، أو تفسيراً، أو منسوخاً، أو قولاً لصاحب.

٦- كيف يقال إن الصحابة رضي الله عنهم اجتمعوا على النقص في المصحف، أو الزيادة منه، ولو «رام اليوم أحد أن يزيد في شعر النابغة، أو شعر زهير كلمة، أو ينقص أخرى ما قدر، لأنه كان يفتضح الوقت، وتخالفه النسخ المثبوتة؛ فكيف بالقرآن في المصاحف، وهي من آخر الأندلس، وبلاد البربر، وبلاد السودان إلى آخر السند، وكابل، وخراسان، والترك، والصقالبة، وبلاد الهند، فما بين ذلك، فظهر حق الرافضة، ومجاراتها بالكذب»<sup>(٢)</sup>.

٧- لو فرض التغيير والتبديل، أو الزيادة أو التقليل، لما كان لأسد الله وأسد رسوله علي رضي الله عنه أن يسكت، وهو من هو في إجلاله لعظمة الله، وحميته لدين الله تعالى؛ فلما وقع منه الرضا بما في المصحف، وعدم الاعتراض عليه، من غير إكراه، علمنا أنه على ما أنزل، ثم أيضاً ولي الخلافة، فلم «لم يبينه ويصلحه، ويبين للناس بيانا عاماً، أنه أصلح ما كان مغيراً؛ فلما لم يفعل ذلك، بل كان يقرأه، ويتلوه، دل أنه غير مبدل، ولا

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٧٧/٢، فقول ابن حزم رضي الله عنه أن الكتابة إنما كانت بسبب الخوف، وهو سبب، ولكن الأساس أنهم اختلفوا في الأحرف؛ فمنهم من كان يقرأ بمنسوخ ولا يعلم، ومنهم من كان يقرأ بأية نزلت ولا يعلم بها الآخر، فجمعهم على ما كان قرأنا بقي ورسول الله تعالى توفي وهي من الآيات المحكمة الباقية رسماً وحكماً، أو رسماً فقط؛ فجمعهم عثمان عليها، وأخذ ذلك مما جمعه أبو بكر رضي الله عنه، ولم يفعل شيئاً جديداً إلا أنه أمر بترتيب السور بحسب ما سمعوه ورأوه، وأمر بها عدا ذلك من المصاحف فحرق حتى لا تكون سبباً للخلاف.

(٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٨٠/٢.



مغير<sup>(١)</sup>، لأن «القرآن يقرأ في المساجد في كل مكان، وهو يؤم الناس به، والمصاحف معه، وبين يديه، فلو رأى فيه تبديلا - كما تقول الرافضة - أكان يقرهم على ذلك، ثم إلى ابنه الحسن، وهو عندهم كأبيه، فجرى على ذلك؛ فكيف يسوغ هؤلاء النوكى أن يقولوا: إن في المصحف حرفا زائدا، أو ناقصا، أو مبدلا مع هذا، ولقد كان جهاد من حَرَف القرآن، وبَدَل الإسلام أَوْكَدَّ عليه من قتال أهل الشام الذين إنَّما خالفوه في رأي يسير رأوه، ورأى خلافه فقط، فلاح كذب الرافضة، ببرهان لا محيد عنه، والحمد لله رب العالمين»<sup>(٢)</sup>.

٨- ثم إذا كان هذا الموجود ليس هو القرآن المنزل كما أنزل، فأين هو القرآن المنزل؟!؟<sup>(٣)</sup>؛ فإن قالوا: إنه مع المنتظر، وإذا ظهر سيظهر، فإن هذا يقوله كل مدع، وإلا فإن الأصل أنه لا يكون قرآنا إلا ما كان موجودا عند المسلمين، وإلا فلا يسمى قرآنا، وإلا لصَحَّت تسمية كل كلام لله ﷻ قرآنا، ومعلوم أن الأمر ليس كذلك، وأن القرآن اسم مخصوص بما هو موجود في مصاحف المسلمين.

٩- قال القاضي أبو يعلى رحمته الله: «والقرآن ما غير، ولا بدل، ولا نقص منه حرف، ولا زيد فيه، خلافا للرافضة القائلين: إن القرآن قد غير وبدل، وخولف بين نظمه، وترتيبه»<sup>(٤)</sup>.

١٠- يؤكد القول بأن القرآن لم تنله أيدي التحريف قط، منذ نزوله وحتى

(١) المعتمد في أصول الدين للفراء ص ٢٥٨.

(٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٨٠-٨١.

(٣) ويذكر الروافض أن الأئمة: «أمرُوا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة، وغيرها، والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان؛ فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء، ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين (ع) فيقرأ ويعمل بأحكامه!!» الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري ٢/ ٣٦٠، وقد نص غير واحد من علمائهم على أن القرآن مع المهدي؛ فكما اختفى المهدي اختفى القرآن!! انظر: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص ٧٨ وما بعدها، وهاهنا وقفة: كيف يأمرُون أتباعهم أن يعملوا بقرآن محرف!!، وهم يعتقدون أنه مغير، وكيف يأمرُونهم بقرآته، إلا أن يكون ذلك تقية مع أتباعهم أيضا!!!.

(٤) المعتمد في أصول الدين للفراء ص ٢٥٨.

الساعة، وإلى قيام الساعة، قول بعض الرافضة أنفسهم - سواء كان ذلك منهم تديناً، أو تقية؛ فهي حجة عليهم في كلتا الحالتين - حيث يقولون عن القرآن: « في كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون:.... والمكنون هو المحفوظ الذي لا تناله الأيدي، وأحد وجوه التفسير لـ "مكنون" هو اللوح المحفوظ، أي أن القرآن ثبت في اللوح المحفوظ أولاً، ثم نزل على مدى ثلاث وعشرين سنة بالتدريج على خاتم الأنبياء، فالقرآن كتاب محفوظ محروز عند الله... الوجه الثاني: أن هذا القرآن المصحف بشكله هذا، وبكلماته، وسطوره لم تمسه يد الخيانة، ولن تمسه، أي لا يمكنها زيادة شيء عليه، وهذه من معجزات القرآن، أن لا تناله يد الخيانة، من أول نزوله إلى الآن؛ فلا يمس هذا الكتاب إلا المطهرون»<sup>(١)</sup>.

ومن شبههم في قولهم بتحريف القرآن، وأن ذلك قول أهل السنة!، ما روي عن بعض الصحابة رضي الله عنه من مثل ما يروي عن عثمان رضي الله عنه: « إن في القرآن لحنا ستقيمه العرب»<sup>(٢)</sup>، وإنكار ابن مسعود رضي الله عنه كيف جمع زيد بن ثابت رضي الله عنه وأنه أنكر أن تكون المعوذتان من القرآن!!، وإنكار أبي رضي الله عنه ونحو ذلك من الآثار.

والجواب عن هذه الشبه من عدة أوجه:

١ - أن في ثبوت مثل هذه الآثار كلاماً معروفاً عند أهل الأخبار، وعند المحدثين النقاد أولي الأبصار، وقد أنكر نسبة إنكار ابن مسعود رضي الله عنه للمعوذتين: ابن حزم<sup>(٣)</sup>، والرازي<sup>(٤)</sup>، والنووي<sup>(٥)</sup>، وشيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٦)</sup> - رحمهم الله - قال ابن حزم رحمته الله: « وإن القرآن الذي في المصاحف بأيدي المسلمين شرقاً وغرباً؛ فما بين ذلك من أول أم القرآن إلى آخر المعوذتين كلام الله تعالى، ووحيه أنزله على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، من

(١) الدار الآخرة لدستغيب الرافضي ص ٢٣٤.

(٢) لم أجد الحديث مسنداً، وإنما ذكره هكذا شيخ الإسلام وغيره.

(٣) انظر: المحل له ١٣/١، والفصل في الملل والنحل له ٧٧/٢.

(٤) مفاتيح الغيب له ١/٢٢٣.

(٥) المجموع له ٣/٣٣٣.

(٦) انظر: المجموع ٣/٣٥٠.

كفر بحرف منه فهو كافر...، وكل ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من أن المعوذتين، وأم القرآن لم تكن في مصفحه؛ فكذب موضوع، لا يصح، وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبیش<sup>(١)</sup> عن ابن مسعود، وفيها أم القرآن، والمعوذتان<sup>(٢)</sup>، ثم لو صح عن ابن مسعود رضي الله عنه ذلك فإنه كما قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «ثم قد رجع عن قوله ذلك، إلى قول الجماعة؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوها في المصاحف الأئمة، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك، والحمد لله والمنة»<sup>(٣)</sup>.

٢- أن هذه الآثار، ونحوها، مما ورد يحمل على ما كان قبل العرضة الأخيرة التي أجمع عليها الصحابة رضي الله عنهم، «والأصل ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما عارضه به جبريل - عليه السلام - في تلك السنة مرتين، ثم اجتمعت الصحابة على إثباته بين الدفتين»<sup>(٤)</sup>، و«طعن قوم على عثمان رضي الله عنه بحمقهم جمع القرآن، ثم قرؤوا بها نسخ، قال أبو عبيد: يذهب أبو مجلز إلى أن عثمان أسقط الذي أسقط بعلم، كما أثبت الذي أثبت بعلم»<sup>(٥)</sup>، ويؤكد هذا الفهم أنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الأحاديث التي تبلغ مبلغ التواتر المعنوي قراءته للمعوذتين، على أنه قرآن<sup>(٦)</sup>؛ و«في الإجماع على كونها من القرآن غنية عن تكلف الأسانيد»<sup>(٧)</sup>، فإنكار ابن مسعود رضي الله عنه

(١) هو المخضرم الثقة: زر بن حبیش بن حباشة الأسدي الكوفي أبو مريم، مخضرم، توفي سنة ٨٢ هـ. انظر: التقريب ص: ١٥٥.

(٢) المحلى ١٣/١، وانظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٧٧/٢، الفتح ٩/٧٣٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٥٧١، وانظر: قول ابن الأنباري؛ فإنه قريب من هذا، كما في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/١٧٢.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٢/٣٥٨، ح (٣٨٠٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٦٠، وانظر: نحوه كلام ابن عبد البر في ما يروي عن الصحابة، وليس في القرآن، في كتاب شرح الزرقاني ١/٣١٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/٩٦، ١٤/٧٦، الفصول في الأصول ٢/٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٨، مختصر التحرير ٢/١٢٩.

(٦) انظر: المجموع للنووي ٣/٣٥٠، الفتح ٨/٦١٥ - ٦١٦، مجمع الزوائد ٧/١٤٩ وما بعدها، حيث ذكر جميع الروايات في ذلك.

(٧) الفتح ٨/٦١٦.

- لو صح - يحمل على أنه لم يعلم ذلك إذ سمعه يقرأه كمعوذات، ولم يسمعه يقرأه قرآنًا؛ فهل يترك روايتهم وإجماعهم لسماعه؟ ولما يتقن الإجماع ترك سماعه لإجماعهم.

٣- قال ابن حزم رحمته الله في بيان أنواع النسخ، وهو يصلح أن يكون ردا على من يتمسك ببعض ما روي عن الصحابة على غير وجهه: «وأما القسم الذي رفع لفظه، وبقي حكمه؛ فأية الرجم، وآية الخمس رضعات المحرمات، وقد تعلل قوم في رد هذا - أي هذا النوع من النسخ - بقول عائشة رضي الله عنها: فتوفي رسول الله ﷺ وإني لم أقرأ من القرآن، وهذا لا تعلل فيه، وإني معناه أنه يقرأ من القرآن الذي سقط رسمه، وإثباته في المصحف، ولم تقل عائشة رضي الله عنها: إنه من القرآن المتلو في المصحف؛ فبطل تعليلهم»<sup>(١)</sup>.

٤- قال الزجاج رحمته الله ردا على من قال: إن في القرآن لحنا، «قول من قال: إنه خطأ بعيد جدا؛ لأن الذين جمعوا القرآن، هم أهل اللغة والقراءة؛ فكيف يتركون في كتاب الله شيئا يصلحه غيرهم؛ فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم»<sup>(٢)</sup>، وقال ابن الأنباري رحمته الله: «حديث عثمان لا يصح؛ لأنه غير متصل، ومحال أن يؤخر عثمان شيئا ليصلحه من بعده»<sup>(٣)</sup>، وقال السخاوي رحمته الله: «عن أثر عثمان المذكور: هذا الأثر ضعيف، والإسناد فيه اضطراب وانقطاع؛ لأن عثمان رضي الله عنه جعل للناس إماما يقتدون به؛ فكيف يرى فيه لحنا ويتركه لتقييمه العرب بألسنتها؟؟ وقد كتب مصاحف سبعة، وليس فيها اختلاف قط، إلا فيما هو من وجوه القراءات، وإذا لم يقيم هو ومن باشر الجمع، كيف يقيم غيرهم؟»<sup>(٤)</sup>، وبعد ذكر بعض النقولات أبين بطلان الخبر المذكور بوجوه متعددة: أحدها: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٤٧٨/١.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٢/٢٥١، والمجموع ١٥/٢٥٣.

(٣) هو المقرئ اللغوي: أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري، المقرئ النحوي، من مؤلفاته: شرح الكافي، والجاهليات، توفي سنة ٣٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/٢٧٨.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٢/٢٥٢، والمجموع ١٥/٢٥٢.

(٥) هو المحدث: محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، من مؤلفاته: الأصل الأصيل في تحريم النظر في التوراة والإنجيل، والقناعة فيما تحسن إليه الحاجة من أشراف الساعة، توفي سنة ٩٠٢هـ. انظر: معجم المؤلفين ١٠/١٥٠، الأعلام للزركلي ٦/١٩٤.

(٦) محاسن التأويل للقاسمي ٢/٥٨٤.

المنكرات؛ فكيف يقرون اللحن في القرآن - فضلا عن الزيادة والنقصان - مع أنه لا كلفة عليهم في إزالته. والثاني: أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقبح في الكلام؛ فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف؟. والثالث: أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بألسنتها غير مستقيم؛ لأن المصحف الكريم يقف عليه العربي والعجمي؛ فكيف سيقيمونه؟؟. والرابع: أنه قد ثبت في الصحيح أن زيد بن ثابت رضي الله عنه أراد أن يكتب "التابوت" بالهاء على لغة الأنصار؛ فمنعوه من ذلك، ورفعوه إلى عثمان رضي الله عنه فأمرهم أن يكتبوه بالتاء على لغة قريش؛ فكيف باللحن إن وجد؟؟<sup>(١)</sup>.

٥- وأما اختيار زيد رضي الله عنه فقد ذكرت سبب اختياره في كلا الجمعين<sup>(٢)</sup>، وهنا أزيد بذكر قول ابن الأنباري رضي الله عنه حيث قال: «لم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في جمع القرآن - وعبد الله أفضل من زيد، وأقدم في الاسلام، وأكثر سوابق، وأعظم فضائل - إلا لأن زيدا كان أحفظ للقرآن من عبد الله، إذ وعاه كله، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي، والذي حفظ منه عبد الله في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم نيف وسبعون سورة، ثم تعلم الباقي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فالذي ختم القرآن وحفظه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أولى بجمع المصحف، وأحق بالإثارة والاختيار، ولا ينبغي أن يظن جاهل أن في هذا طعنا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه... وما بدا من عبد الله بن مسعود من نكير ذلك، فشيء نتجه الغضب، ولا يعمل به، ولا يؤخذ به، ولا يشك في أنه رضي الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقي على موافقتهم، وترك الخلاف لهم<sup>(٣)</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم مينا حكم من قرأ بما لم يثبت: «وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] دلالة على كفر هذا الإنسان؛ لأن الله صلى الله عليه وسلم قد حفظ القرآن من التغيير والتبديل، والزيادة والنقصان، فإذا قرأ قارئ: تب يدا أبي لهب و(قد) تب... "فقد كذب على الله - جل وعلا -، وقوله ما لم يقل، وبدل كتابه وحرفه، وحاول ما قد

(١) انظر: المجموع ٢٥٢/١٥ وما بعدها.

(٢) انظر: ما سبق في الفصل الثالث من الباب الثالث.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٩/١.

حفظه منه، ومنع من اختلاطه به، وفي هذا الذي أتاه توطئة الطريق لأهل الإلحاد، ليدخلوا في القرآن ما يجلون به عرى الإسلام، وينسبونه إلى قوم كهؤلاء القوم الذين أحالوا هذا بالأباطيل عليهم، وفيه إبطال الإجماع الذي به يحرس الإسلام، وبشباته تقام الصلوات، وتؤدى الزكوات، وتتحرى العبادات، وفي قول الله تعالى: ﴿الرَّكَتُوبُ أُحْكِمَتْ أَيْتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] دلالة على بدعة هذا الإنسان، وخروجه إلى الكفر، لأن معنى: أحكمت آياته: منع الخلق من القدرة على أن يزيدوا فيها، أو ينقصوا منها، أو يعارضوها بمثلها، وقد وجدنا هذا الإنسان زاد فيها: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بعلي ﴿وَكَارَبَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥] فقال: في القرآن هجرا، وذكر عليا في مكان لو سمعه يذكره فيه لأمضى عليه الحد، وحكم عليه بالقتل...، ومن كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله...<sup>(١)</sup>، ويقال لهذا الإنسان، ومن يتحل نصرته: أخبرونا عن القرآن الذي نقرؤه، ولا نعرف نحن، ولا من كان قبلنا من أسلافنا سواه، هل هو مشتمل على جميع القرآن من أوله إلى آخره صحيح الألفاظ والمعاني، عارٍ عن الفساد والخلل؟ أم هو واقع على بعض القرآن؟ والبعض الآخر غائب عنا كما غاب عن أسلافنا والمتقدمين من أهل ملتنا؟ فإن أجابوا بأن القرآن الذي معنا مشتمل على جميع القرآن لا يسقط منه شيء، صحيح الألفاظ والمعاني سليمها من كل زلل وخلل، فقد قضوا على أنفسهم بالكفر، حين زادوا فيه...، وما يؤثر عن الصحابة والتابعين أنهم قرؤوا بكذا، وكذا، إنما ذلك على جهة البيان والتفسير، لا أن ذلك قرآن يتلى، وكذلك ما نسخ لفظه وحكمه، أو لفظه دون حكمه ليس بقرآن<sup>(٢)</sup>.

٦- كثير مما يذكر عن أبي بن كعب رضي الله عنه وغيره من الصحابة رضي الله عنهم لا يصح، وقد روي عنه القرآن الأثبات، ولم يذكروا عنه هذه الزيادات، التي تروى عن غير وجه الثقات، فهي من المفتریات<sup>(٣)</sup>، أو أقوال هي للقرآن تفسيرات.

وربما استدلوا بالقول بالتحريف ببعض ما روي عن الصحابة من أنهم أثبتوا

(١) وقد نقل ابن حزم رحمته الله مثل هذا الإجماع، انظر: مراتب الإجماع له ص ١٧٤، مختصر التحرير ١٨٦/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦٠-٦١.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦٠.

الآية بشهادة رجل واحد من الصحابة، وهو خزيمه بن ثابت، ونقضوا القول بالتواتر لذلك!! والجواب عن هذا من أوجه:

١- قال ابن حزم رحمته الله: «وأما افتقار زيد بن ثابت الآية فليس ذلك على ما ظنه أهل الجهل، وإنما معناه أنه لم يجدها مكتوبة إلا عند ذلك الرجل، وهذا بين...»<sup>(١)</sup>.

٢- أن زيد بن ثابت رحمته الله كان يعرف الآية، وإلا فكيف يقول: فقدت آية من سورة كذا؟؟ «ولو لم يعرفها لم يدر هل فقد شيئاً أو لا؟؛ فالآية إنما ثبتت بالإجماع لا بخزيمة وحده»<sup>(٢)</sup>.

٣- أن قول زيد رحمته الله لو كان على ما فهموه، أليس قد انتشرت هذه المصاحف، «بين هذه الأمة المحفوظة، لا سيما الصدر الأول، الذي حوى من الأكابر ما حوى، وتصدر للخلافة الراشدة علي المرتضى رحمته الله وهو... الأسد الأشد الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، لا يبقى في ذهن مؤمن احتمال سقوط شيء بعد من القرآن، وإلا لوقع الشك في كثير من ضروريات هذا الدين الواضح البرهان»<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا القدر كفاية لبيان حال هذه النحلة الضالة، وقولها المنحرف في كتاب الله ﷻ المشابه لفعل وقول أهل الكتاب، ومعلوم عند أهل السنة حكم من أنكر آية من القرآن، أو اعتقد الزيادة فيه، أو النقص منه، «ومن أنكر شيئاً من القرآن بعد تواتره، استتيب فإن تاب وإلا قتل، وأما قبل تواتره عنده فلا يستتاب، لكن يبين له»<sup>(٤)</sup>.

ولما كان اعتقادهم في القرآن التحريف، فكيف يا ترى يكون موقفهم من تعظيمه؟ هذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/ ٢٧٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٤١.

(٣) روح المعاني للألوسي ١/ ٢٤.

(٤) المجموع ١٤/ ٤٨.

### المبحث الثالث: عدم تعظيمهم للقرآن

سبق وأن ذكرت عقيدة الرافضة في القرآن، وأنهم لا يعتقدون عصمته وحفظه من الزيادة والنقصان، ولا يبعد هذا إذا علم أن «أصل الرفض كان من وضع قوم زنادقة منافقين، مقصودهم الطعن في القرآن والرسول ودين الإسلام»<sup>(١)</sup>.

وتعظيم الرافضة للقرآن كيف يكون؟ وهم يشكون في حفظ الرحمن إياه، ويقولون: إنه نقص منه!! وزيد فيه!!.

ومنهم طوائف ينشدون أبياتا تنبئك عن عدم تعظيمهم للقرآن، بل ولا يعظمون شريعة الرحمن، ويستخفون بالحج، وبالمساجد، ويعظمون القبور والمشاهد، ويخشعون عند ذكر الشيوخ، ويتكبرون عند ذكر الله تعالى، ويعظمون ما عليه أئمتهم، ويستخفون بحق القرآن؛ يقول شاعرهم:

تعالوا نخرب الجامع	ونجعل فيه خمارة
ونكسر المنبر	ونجعل منه طنبارة
ونخرق المصحف	ونجعل منه زمارة
ونتف لحية القاضي	ونجعل منه أوتاره <sup>(٢)</sup> .

والرافضة محرفون للقرآن؛ فيقرؤون الآيات كما يريدون، أو كما نقل لهم، وقد

(١) منهاج السنة ٩/٧.

(٢) نقل هذه الآيات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في الرد على البكري ٢/ ٦٧٠-٦٧١، المجموع ١٠٧/٢، عن أتباع يونس القيسني الشيعي، قلت: وأما هدمهم لمساجد أهل السنة، فشيء ظاهر للعيان، بل حاولوا العدوان على بيت الله الحرام، وعذبوا مشايخ أهل السنة في إيران، وأتلفوا المصاحف بحجة أنها من الوهابيين!!!.



نقل شيخ الإسلام رحمه الله عن بعض الرافضة أنهم يقولون: «نحن غلمان الملك!!، ويسمون المسجد: اصطبل البطالين، ويقرؤون القرآن: وما أرسلناك إلا رحمة للمدمنين!!! وألوان من هذا الجنس الذي فيه استهزاء بالله وآياته ورسوله، مع تعظيمهم شيخهم، وغلوهم فيه»<sup>(١)</sup>.

ويتبين عدم تعظيم الرافضة للقرآن الكريم في النقاط التالية:

١- أنهم يعتقدون بتحريفه، اعتقادا وعملا؛ وكيف يتوقع منهم تعظيمه؟ وهم يعتقدون فيه التحريف والتبديل. فمن عدم تعظيمهم للقرآن، واستخفافهم به، ما يصرحون به من أن القرآن محرف!! ومعلوم عند المسلمين أن من «أنكر آية من كتاب الله تعالى»<sup>(٢)</sup>، أو عاب شيئا من القرآن... كفر... ومن جحد القرآن أو سورة منه، أو آية، أو زعم: أنها ليست من كلام الله تعالى كفر»<sup>(٣)</sup>، فالرافضة خرقوا الإجماع في ادعائهم أن القرآن غير محفوظ<sup>(٤)</sup>.

٢- ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أن من أثبت منهم - تواتر المصحف - فإنه يعمل فيه بالتحريفات الباطلة، والرافضة يتلاعبون بألفاظ القرآن الكريم، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويخضعون معانيه لمعتقداتهم<sup>(٥)</sup>، ويكفي لهذا بعض الأمثلة، والباقي على منوالها؛ فهم لما اعتقدوا أن الإمامة من أصول الدين، بل أعظمها، بل جعلوها الركن الركين!!<sup>(٦)</sup>، احتاجوا أن يجدوا له دليلا من القرآن؛

(١) الرد على البكري ٢/ ٦٧٢.

(٢) وأما إنكار ابن مسعود رضي الله عنه للمعوذتين؛ فإنه لا يصح - كما نقلت أقوال أهل العلم عنه في البحث السابق - ولو صح؛ فإنه إنما وقع منه الإنكار قبل أن يعلم ذلك، وأما بعد وقوع الإجماع؛ فإنه قد صار إلى الإجماع؛ وأما الآن فقد استقر الإجماع على أنها من القرآن، وصارت قرآنيتهما معلومة من الدين بالضرورة؛ فيكفر من أنكره. انظر: الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي ص ٢٠٦-٢٠٧، ضمن الجامع لألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٣) ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص ٢٩، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص ٢٨١.

(٥) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص ٢٧٧، ٢٧٩.

(٦) يقول الديباجي من علمائهم: «عقائد الإسلام وأصوله الخمسة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة،

فاستدلوا عليه من القرآن، ما يعلم الجاهل قبل العالم - ممن يعرف العربية - أن هذا باطل؛ فقالوا في قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٥] فقالوا: بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي!! قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وهذا اللفظ عام في جميع ما أنزل إليه من ربه، لا يدل على شيء معين؛ فدعوى المدعي أن إمامة علي هي مما بلغها، أو مما أمر بتبليغها، لا تثبت بمجرد القرآن، فإن القرآن ليس فيه دلالة على شيء معين، فإن ثبت ذلك بالنقل كان ذلك ثابتاً بالخبر لا بالقرآن؛ فمن ادعى أن القرآن يدل على أن إمامة علي مما أمر بتبليغه، فقد افترى على القرآن، فالقرآن لا يدل على ذلك عموماً، ولا خصوصاً... وهذه الآية - مع ما علم من أحوال النبي ﷺ - تدل على نقيض ما ذكروه، وهو أن الله لم ينزلها عليه، ولم يأمره بها، فإنها لو كانت مما أمره الله بتبليغه، لبلغه، فإنه لا يعص الله في ذلك»<sup>(١)</sup>، ومن التأويلات الباطلة تحريفهم لقوله ﷺ: ﴿وَأُشْرِقتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] حيث ذكروا «عن أبي عبد الله قال: رب الأرض يعني إمام الأرض!!؛ فقلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذا يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر»<sup>(٢)</sup>، ويجتزئون بنور الإمام»<sup>(٣)</sup>، وقالوا في قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] قالوا: «فصل: في ذكر بعض ما جاء في رجعة أمير المؤمنين (ع)، وأنه دابة الأرض!!»<sup>(٤)</sup>، ولو كان لهم عقول، لما وصفوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام بهذه الأوصاف، وقالوا في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ

والمعاد». تبويب الذريعة إلى تصانيف الشيعة ص ٤٠.

(١) منهاج السنة ٤٧/٧.

(٢) ولم يحصل هذا في زمن الأنبياء، ولكن يحصل هذا عند هؤلاء السفهاء، الذين ينقلون الحكايات للطعن في آل البيت، والطعن في الإسلام.

(٣) تفسير القمي ٢/٢٥٣.

(٤) كتاب الرجعة ص ٢٠١، من كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٧٢.

رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿البقرة: ٢٦﴾ فقالوا: «إن هذا المثل ضربه الله لأمر المؤمنين ﷺ؛ فالبعوضة أمير المؤمنين ﷺ!! وما فوقها رسول الله ﷺ!!»<sup>(١)</sup>. وهل يليق أن يقال عن رسول الله ﷺ هذا الكلام، وهل يليق بخليفة من الخلفاء الراشدين أن يقال عنه إنه هو البعوضة في المثل!! إلا عند هؤلاء الذين يحرفون الدين، وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَلْوَارِيثًا ۚ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥-٦] «ومن فرعون وهامان؟ قال: أبو بكر وعمر!!»<sup>(٢)</sup>. وقالوا في قوله ﷺ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [نصلت: ٢٩] «قال: هما!!، ثم قال: وكان فلانا شيطانا...، قوله: "هما" أي أبو بكر وعمر، والمراد بـ"فلان": عمر، أي الجن المذكور في الآية عمر!! وإنما سمي به؛ لأنه كان شيطانا؛ إما لأنه كان شرك شيطان لكونه ولد زنا!!»<sup>(٣)</sup>، أو لأنه كان في المكر والخديعة شيطانا!!، وعلى الأخير يحتمل العكس، بأن يكون المراد بـ"فلان: أبا بكر!!»<sup>(٤)</sup>. الصديق ﷺ صاحب النبي ﷺ في الغار بنص القرآن لم يسلم من هؤلاء، والذي يفر منه الشيطان عمر ﷺ لم يسلم من دين هؤلاء، فأَي دين لهم؟؟؛ فالرافضة لما اعتقدت بتحريف القرآن طعنت فيه من حيث شعرت أم لم تشعر، وكان طعنهم في القرآن جليا في التفسيرات الزائفة، والتأويلات السخيفة، بل وبالعبارات القبيحة، الساذجة السقيمة السيئة، بل وزعموا في القرآن التناقض!! فقالوا: «إن الاختلاف فيه: كما يصدق على اختلاف المعنى وتناقضه!!، كنفية مرة، وإثباته أخرى،

(١) تفسير القمي ١/ ٣٥.

(٢) إلزام الناصب ٢/ ٢٦٦ نقلا عن كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٨٣.

(٣) هكذا يتفوهون ويتفكهون بعرض أمير المؤمنين، الخليفة الراشد عمر ﷺ، - فليهنأ دعاة التقريب!! -.

(٤) مرآة العقول ٢٦/ ٤٨٨. وانظر: بحار الأنوار ٢٣٥/ باب/ ٢١.

وعلى اختلاف النظم: كفساحة بعض فقراتها البالغة حد الإعجاز، وسخافة بعضها الأخرى، وعلى اختلاف مراتب الفصاحة ببلوغ بعضها أعلى درجاتها، ووصول بعضها إلى أدنى مراتبها...!!»<sup>(١)</sup>.

٣- عدم الاعتراف بالقرآن الكريم وأحقيقته في التشريع، وتقديم أقوال الأئمة عليه<sup>(٢)</sup>.

٤- تقديمهم مصحف فاطمة<sup>(٣)</sup>، وكتبهم المزعومة عليه<sup>(٤)</sup>.

٥- فتح الباب أمام أعداء الإسلام في الطعن في القرآن<sup>(٥)</sup>، فكل صاحب نحلة يدعي أن القرآن محرف بدليل أن الروافض قالوا بالتحريف، وأن المسلمين لم يتفقوا على القرآن الكريم بدليل مخالفة الروافض لجمهور المسلمين!! ولكن صدق ابن حزم رحمته الله حيث بين أن من اعتقد تحريف القرآن الكريم فإنه ليس من المسلمين.

٦- مخالفتهم لنصوص الكتاب الصريحة<sup>(٦)</sup>، فالرافضة هجروا القرآن قراءة وعملا واعتقادا، فإنهم لا يعرفون من التوحيد الذي دعا إليه القرآن إلا اسمه، واتخذوا القبور في المساجد، وزينوا المشاهد، «ويصلون إليها، وينذرون لها، ويحجون إليها، بل قد يجعلون الحج إلى بيت المخلوق أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام، ويسمون ذلك "الحج الأكبر"!! وصنف لهم شيوخهم في ذلك مصنفات!! كما صنف المفيد بن النعمان كتابا في مناسك المشاهد، سماه: "مناسك حج المشاهد"، وشبه بيت المخلوق ببيت الخالق!!، وأصل دين الإسلام أن نعبد الله وحده، ولا نجعل له من

(١) الوثيقة للطبرسي ص ٣١١، من كتاب علماء الشيعة يقولون ص ١٣.

(٢) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص ٢٩٦، وسيأتي مزيد بيان في اعتمادهم على أقوال أئمتهم، دون نصوص ربهم ﷺ.

(٣) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص ٢٨٨.

(٤) وسيأتي في المبحث التالي تقديمهم لمصحف فاطمة على القرآن الكريم، وتقديمهم غيرها من الكتب عليه.

(٥) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص ٣٠١.

(٦) موقف الرافضة من القرآن الكريم ص ٣٠٧.

خلقه ندا، ولا كفوا، ولا سمياً<sup>(١)</sup>، فالرافضة أكثر مخالفة للقرآن من جميع الفرق، وهم غير مقرين بالجملة بالأحاديث المروية عن طريق جمهور الصحابة عليهم السلام، وهم أكثر الفرق الغوية قدحا في سلف الأمة وأئمتها، وطعنا في جمهور المسلمين<sup>(٢)</sup>، ومخالفتهم لأحكام القرآن الاعتقادية منها - فضلا عن الفقهية - أمر كبير، وحصره غير يسير، وأذكر بعضا منها على سبيل الاختصار:

أ - أن القرآن الكريم أمر بالتوحيد الخالص، وهؤلاء يأمرّون الناس بالشرك!!<sup>(٣)</sup>، بحجة أنه واسطة، ويستغيثون بغير الله، ويدعون غير الله، ويلتجئون إلى الأوصياء!!<sup>(٤)</sup>.

ب - أن الله تعالى أخبر أن النار مأوى الكافرين، وموضع خلود المشركين، وهؤلاء يقولون: إن بعض المشركين يخرجون من النار، ولو لم يدخلوا الجنة!!<sup>(٥)</sup>.

ت - أن الله تعالى أمر بالطواف ببيته كما في كتابه، وهؤلاء يجيزون الطواف بالقبور!!<sup>(٦)</sup>.

ث - أن القرآن يُبين فيه - في أكثر من آية - أن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، ولا يعلم الغيب نبي مخاطب، ولا ملك مقرب، وهؤلاء يقولون في الأئمة: «إن عندهم عليهم السلام علم ما في السماء، وما في الأرض، وعلم ما كان!!، وعلم ما يكون، وما يحدث

(١) المجموع ٢٧/٣٣٨.

(٢) انظر: نقض المنطق ص ١٢٧.

(٣) انظر مثلاً كشف الأسرار للخميني، ويقول أحد دعائهم وقد سمعته بصوته: ما الفرق بين أن تقول: يا الله، أو يا علي، أو يا فاطمة، الكل واحد، يعني إذا دعوت الله يجب لك، وإذا دعوت علياً أو فاطمة ما يجب لك؟، الكل واحد!!.

(٤) انظر: مستدرك الوسائل ص ٣١٠.

(٥) انظر: كتاب بحار الأنوار ٤١/٢٤٨ وذكر قصة مفادها: أنه عثر على جمجمة كسرى أنوشروان، ملك الفرس!! فاستنطقه علي عليه السلام فنطق!! وأخبر أنه أخرج من النار بعدله، ولم يدخل الجنة، وسلم على علي عليه السلام بالإمامة والإمامة!! فهل خلصه الله من النار، وحرّمها عليه لأنه كان من الفرس!! وأبو بكر وعمر صاحباً النبي صلى الله عليه وآله عند - هؤلاء - لا يستحقان الجنة!!.

(٦) انظر: مستدرك الوسائل للشيخ ميرزا حسين الطبرسي ص ٣٦٦-٣٦٧، باب/ جواز الطواف بالقبور!!.

بالليل والنهار!!، وساعة وساعة!!، وعندهم علم النبيين ﷺ وزيادة!!<sup>(١)</sup>.

ج - أن القرآن الكريم مليء بالثناء على الصحابة رضي الله عنهم وهؤلاء ينادونهم، ويطعنون فيهم، بل ويلعنونهم<sup>(٢)</sup>، بل إنه ثبتت صحة أبو بكر الصديق رضي الله عنه في القرآن، وهؤلاء يقولون فيه أشنع المقال، وأكذب القول، ويتهمونه في دينه، مع إثبات الله تعالى لصحته، قال ﷺ: «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [التوبة: ٤٠]، وباتفاق أهل السنة والرافضة أن المقصود بصاحبه هنا هو الصديق الأكبر رضي الله عنه، ومع ذلك يتناقضون فيتهمونه بالنفاق والكفر مضادين لله تعالى ولرسوله ﷺ؛ فيقولون: «قد روي في الأخبار الخاصة أن أبا بكر كان يصلي خلف رسول الله ﷺ والصنم معلق في عنقه، وسجوده له!!»<sup>(٣)</sup>، بل وكفروا الصحابة<sup>(٤)</sup> ففي القرآن الكريم إثبات أن الله ﷻ راض عن الصحابة<sup>(٥)</sup> وهؤلاء يلعنونهم!!، بل ويطعنون

(١) أصول الدين للبحراني، الباب الخامس معقود لهذا الغرض!! من كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٥٧، ٥٦.  
(٢) في كتاب لآلئ الأخبار المطبوع ب (قم) ٩٣ / ٤ نقلا عن كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٨٠، قال: «اعلم أن أشرف الأمكنة، والأوقات، والحالات، وأنسبها للعن عليهم - عليهم اللعنة - إذا كنت في المبال!!؛ فقل: عند كل واحد من التخليّة، والاستبراء، والتطهير مرارا بفراغ من البال: اللهم - يذكرون الله في وقت الحاجة!! - العن عمر ثم أبا بكر وعمر، ثم عثمان وعمر، ثم معاوية وعمر، ثم يزيد وعمر، ثم ابن زياد وعمر، ثم ابن سعد وعمر، ثم شمرا وعمر، ثم عسكرهم وعمر، اللهم العن عائشة وحفصة وهندا وأم الحكم، والعن من رضي بأفعالهم إلى يوم القيامة!!». ولا يوجد إرشاد ودلالة في أي ديانة إلى هذا الفعل القبيح، والعمل الشنيع، وذكر اسم الله في الوقت والمكان الحسيس، ولكن الرافضة لهم دين مخالف للكتاب والسنة والعقل.

(٣) الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري ٥٣ / ١. الأصول من الكافي ١ / ٣٧٣.

(٤) انظر: صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ص ٣٧١ وما بعدها، حيث نقل نصوص الرافضة في تكفيرهم للصحابة رضي الله عنهم، وكتاب: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص ٥٧، وقد ذكر نصوصا كثيرة من كتب الرافضة مما يدل على أنهم يكفرون الصحابة رضي الله عنهم وهذا الأمر أبين من أن يستدل له عندهم!!.

(٥) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٦٤، صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ص ٢٤٩.

ويطعنون فيهم!!، ورحم الله القائل:

إن الروافض شر من وطئ الحصى      من كل إنس ناطق أو جان  
مدحوا النبي وخونوا أصحابه      ورموهم بالظلم والعدوان  
حبوا قرابته وسبوا صحبه      جدلان عند الله منتقضان  
فكأنما آل النبي وصحبه      روح يضم جميعها جسدان<sup>(١)</sup>

ح - أن الله ﷻ برأ أمنا عائشة ؓ، كما في سورة "النور" لأنها منورة بالإيمان، وهؤلاء لا يقبلون ذلك!!<sup>(٢)</sup>، ويتهمونها - قاتلهم الله - وهي المبرأة من فوق سبع سموات، ولكنهم يحرفون الآيات عل ما يراه الآيات!! فقالوا في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَفَصَّتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ [النحل: ٩٢] قالوا: «عائشة هي نكثت أيمانها!!»<sup>(٣)</sup>، هكذا التحريف مع أن الله ﷻ نص على براءتها في إحدى عشرة آية ومنها قوله ﷻ: ﴿الْحَيْثُ لِلْحَيْثُ وَالْحَيْثُ لِلْحَيْثُ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] ومحمد ﷺ من الطيبين وله الطيبات، وعائشة من الطيبات فكانت لمحمد ﷺ، وهي مبرأة مما لاكها به السنة القاذفين وألسنة المنافقين في زمن النبوة، وبعد زمن النبوة<sup>(٤)</sup>.

خ - أن الله ﷻ أخبر أن نساء النبي ﷺ أمهات للمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وهؤلاء يتبرؤون منهم!! ولعلمهم ليسوا بمؤمنين حقيقة، وإنما هم مظهرون للإيمان فلا يرضون النسبة إليهن!! وإلا فإن المؤمن يفرح بأن تكون زوجات النبي ﷺ أما له.

(١) نونية القحطاني ص ٢١.

(٢) انظر: تفسير القمي ٣٧٧/٢ تفسير سورة التحريم، وانظر: تفسير (شبر) و(البرهان) للبحراني ففيهما اتهام صريح لعائشة وطلحة ؓ، ولعن من لعنهم، أو طعن فيهم. وانظر: مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص ٨٦، بل وزعموا أنها تبعت في آخر الزمان، ويجلدها المهدي!! انظر: علل الشرائع ص ٣٠٣.

(٣) تفسير العياشي ٢٢/٣، الاحتجاج للطبرسي ص ٤٦٣.

(٤) مثال المنافقين في زمن النبوة عبد الله بن أبي بن سلول، وبعد زمن النبوة كابن سبأ وأتباعه.

٧- ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم: أنهم يسوون بين القرآن الكريم - الذي هو كلام الله تعالى، وصفة من صفاته - وبين مخلوق - ولو كان معظماً - ويقرن بينهما بذكر أوجه التشابه؛ فيقولون: « ذكر مصيبة الحسين (ع) كالقرآن...، نقاط التشابه بين القرآن والحسين (ع): من عظمة القرآن بل وإعجازه أنه لا يمل من التكرار... كذلك هي مصيبة الحسين (ع) كلما قرأت عنها، أو سمعتها تراها جديدة لا تبلى!!...<sup>(١)</sup>، ثم إن النظر إلى المصحف عبادة، وكذلك تلاوته، واستماعه، كذلك رثاء الحسين (ع) قراءتها واستماعها، والبكاء والإبكاء عبادة...، ومن مظاهر التشابه الأخرى: أن القرآن الكريم معجزة في كل جوانبه...، كذلك الحسين: رأسه المقطوع، أعضاؤه، بدنه كله معجزة!!...<sup>(٢)</sup>، بل يذهبون إلى أبعد من ذلك إذ يزعمون أن الحسين عليه السلام كالقرآن، فيقولون: « الحسين قرآن ناطق:... القرآن لا يمل بكثرة القراءة والتكرار، وهو يقرأ العمر كله، ولا يمل منه، كذلك اسم الحسين وذكر مصيبته!!...، والقرآن لا تمسه يد الخيانة<sup>(٣)</sup>، وكذلك الحال بالنسبة لآثار الحسين...، ومما يذكر أن عدد آيات القرآن (٦٦٦٦) آية على المشهور<sup>(٤)</sup>، وجروح بدن الحسين (ع) قيل: إنها أربعة آلاف جرح، ولو أضيف إليها مواضع سنابك الخيل؛ فإن عددها ربما يطابق عدد آيات القرآن!!!<sup>(٥)</sup> ».

٨- ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم اعتقادهم أن هناك آية أعظم منه؛ فقالوا: فيما كذبوا على علي عليه السلام أنه قال: « ما لله تعالى آية أكبر مني!!، ولا نبأ أعظم مني!!<sup>(٦)</sup> ».

٩- ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم قولهم بأن له ظاهراً وباطناً، وأن الباطن

(١) فانظر - جعل الله في قلوبنا الغيرة لدينه - كيف جعل كلام الناس في مصيبة الحسين عليه السلام ككلام الله تعالى!!!.

(٢) الدار الآخرة لدستغيب الرافضي ص ٢٥-٢٦.

(٣) إلا على قول الرافضة!!.

(٤) ومعلوم أن عدد آيات القرآن الكريم على العد المشهور عن الكوفيين، والتي اعتمدها ابن مجاهد عن أبي عبد الرحمن السلمي (٦٢٣٦) آية، وهو العد المعتمد عند المسلمين، ولكن القول بالستات الأربع هو

قول العوام، وهم طوام. انظر: الإتيقان للسيوطي ١/ ١٨٩.

(٥) الدار الآخرة لدستغيب ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٦) شرح الزيارة الجامعة الكبير ٢/ ١٧٨، نقلاً عن كتاب: علماء الشيعة يقولون ص ٥٢.



لا يعلمه إلا الأئمة المعصومون الطاهرون!!<sup>(١)</sup>، فأصبح القرآن بالنسبة لهم طلاسماً لا يعرفونه، ولا يفهمونه، حتى يأتي الإمام المعصوم فيبينها لهم!! فالرافضة من الفرق التي ترى أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأن الباطن مخصوص بالأئمة، ومن أخذ عنهم، ولهذا كان منهم التحريف في النصوص، على ضوء هذا الطاغوت - القول بالظاهر والباطن - فصاروا «يحرفون لفظ القرآن عن معناه، إلى ما يتفق مع عقيدتهم وأهوائهم...، وبالتأويل الفاسد: تحلل الروافض من القيم الأخلاقية، والشعائر الدينية، ونشروا الإباحة والإلحاد؛ فالخطيئة استحلوها الزنا<sup>(٢)</sup>، وشرب الخمر، وقالوا بترك الصلاة<sup>(٣)</sup>...»<sup>(٤)</sup>.

١٠ - ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم منعهم من قراءة سور معينة، ويرفعون ذلك؛ فيقولون: «قال أمير المؤمنين (ع) لا تعلموا نساءكم سورة يوسف!! ولا تقرأوهن إياها!! فإن فيها الفتن!! وعلموهن سورة النور، فإن فيها المواعظ»<sup>(٥)</sup>، ويتبع هذا أنهم يأمرون بالقراءة في الصلاة بـ «بعض كلمات ليس من القرآن، وأن لا يقرأوا فيها بعض ما هو من القرآن!!»<sup>(٦)</sup>؛ فقالوا: «ولا تقرأ في الفريضة شيئاً من العزائم الأربع: وهي سورة سجدة لقمان<sup>(٧)</sup>، وحم السجدة، والنجم، وسورة اقرأ باسم ربك!!»<sup>(٨)</sup>.

١١ - ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم لا يهتمون بالقرآن، ف «الرافضة لا تعتني بحفظ القرآن، ومعرفة معانيه، وتفسيره، وطلب الأدلة الدالة على معانيه، ولا تعتني أيضاً بحديث رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحه من سقيم،

(١) الدار الآخرة لدستغيب ص ٢٣٥.

(٢) والشيعية الإمامية الرافضة كذلك ولكن بمسمى ملبس، وباسم الدين، وسموه بالمتعة المباحة!! أو "الصيغة"، يسمونها بغير اسمها.

(٣) والإمامية الإثنا عشرية الرافضة تجمع بين الصلوات، ولا تقيم الجمع بحجة غياب الحجة!!.

(٤) بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٤٨-٤٩.

(٥) تفسير نور الثقلين لسعيد على العروسي الحويزي ٣/ ٥٦٨.

(٦) صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ص ٤٧٩.

(٧) وليس في لقمان سجدة!! ولكن لعل المقصود سورة السجدة التي تلي سورة لقمان.

(٨) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١/ ٢١٦، من كتاب صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي

ص ٤٧٩ ح (٤).

والبحث عن معانيه، ولا تعني بآثار الصحابة والتابعين»<sup>(١)</sup>، «ومنهم طوائف لا يقرؤون»<sup>(٢)</sup> القرآن، مثل كثير من الرافضة والجهمية، لا تحفظ أئمتهم القرآن، وسواء حفظوه، أو لم يحفظوه، لا يطلبون الهدى منه، بل إما أن يعرضوا عن فهمه وتدبره، كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى، وإما أن يحرفوه بالتأويلات الفاسدة، وأما الحديث: فمنهم من لا يعرفه، ولم يسمع به، وكثير منهم لا يصدق به، ثم إذا صدقوا به كان تحريفهم له وإعراضهم عنه أعظم من تحريف القرآن والإعراض عنه...»<sup>(٣)</sup>، فالرافضة «ليس لهم سعي إلا في هدم الإسلام، ونقض عراه، وإفساد قواعده، والقدر الذي عندهم من الإسلام إنما قام بسبب قيام الجمهور به، ولهذا قراءة القرآن فيهم قليلة، ومن يحفظه حفظا جيدا فإنما تعلمه من أهل السنة...، والرافضة من أجهل الناس بدين الإسلام، وليس للإنسان منهم شيء يختص به إلا ما يسر عدو الإسلام، ويسوء وليه»<sup>(٤)</sup>.

١٢- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم عدم اهتمامهم بعلومه، ومن ذلك ترجمته إلى اللغة الفارسية - التي هي لغة المجوس قديما -: وقد وجد القرآن الكريم مترجما باللغة الفارسية قديما مع دخول الإسلام السلفي السني إلى بلاد فارس، وهذه الترجمات كلها - والله الحمد - سنية، وأما الشيعة فمنذ دخول الإسلام إلى بلادهم، وتمسكهم بالمنحى الشيعي كان ولا يزال جهدهم منصبا على إبعاد الناس عن القرآن، ولذلك لم تترجم القرآن الكريم منذ دخول الإسلام في القرن الأول الهجري وحتى نهاية القرن التاسع، وفي أوائل القرن العاشر الهجري بدؤوا في الترجمة<sup>(٥)</sup>، وهذا يعني

(١) منهاج السنة ٥/ ١٦٣.

(٢) في المطبوع (لا يقرؤون)، ولكن السياق يدل على أن المقصود القراءة، لا الإقرار.

(٣) الدرء ٥/ ٢٢٧.

(٤) منهاج السنة ٧/ ٤١٥.

(٥) التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها ٢/ ٥٨٠، نقلا عن بحث د/ عبد الغفور البلوشي، "تاريخ ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية" المقدمة لندوة ترجمة معاني القرآن الكريم، ص ٣٧، وذكر في ص ٣٠ أنه ليس للشيعة إلا تفسير واحد بالفارسية ألف خلال القرن السادس الهجري، وهو باسم "روض الجنان وروح الجنان" لأبي الفتوح الرازي ٥٤٨هـ.

الإهمال، وعدم الاهتمام، واللامبالاة بالوحي المنزل، والكتاب المبجل، إذ هم يهتمون بما ورثوه من الآباء والأجداد، وينتظرون ما يخرج به مهديهم!!.

١٣- ومن صور عدم تعظيمهم للقرآن الكريم استعمالهم له على شكل حروز وأشكال مخلوطة بالأرقام السرية!!، والدوائر والأشكال الهندسية، يلبسها الأنجاس، ويكون مهانا وربما تداس، ويدخل بها في أماكن القذارة من قبل الناس<sup>(١)</sup>، وعن طريقهم انتشر هذا الأمر بين عوام أهل السنة، والمتصوفة - والله المستعان -.

١٤- وما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم لا يهتمون بحفظه، وليس عندهم أسانيد للقرآن الكريم إلا من طريق أهل السنة، وليس عندهم اهتمام بعلوم القرآن الكريم كالاتهام بضبط القرآن الكريم، ورسمه، ونحو ذلك.

١٥- أنه لا يعرف في تراجم أعلامهم أنهم كانوا يهتمون بقراءة القرآن الكريم، بخلاف أهل السنة الذين لا يبلغ أحدهم مرتبة العلم إلا بحفظ وفهم القرآن الكريم، وتجدهم تلاوات عظيمة، كثيرة، ومتأنية، تكون بتدبر، وخشوع وخضوع.

فهذا تعظيم الرافضة للقرآن الكريم، ولما لم يعتقدوا صيانتة، ولم يعظموه حق تعظيمه بالعلم والعمل، كان نصيبهم من الاحتجاج به والإعراض عنه أكبر، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) انظر: ضياء الصالحين ص ٤٤١، ٥٢٥ حيث ذكر طلسم يوم الأحد، والجمعة... وهكذا لكل يوم طلسم، ولكل مناسبة شكل. وانظر: بحار الأنوار ٩٤/١٩٣ باب عوذات الأئمة!!.

### المبحث الرابع: عدم اعتمادهم عليه في العقائد

ذكرت أن الرافضة لا يقيمون للقرآن تعظيماً إذ قالوا بتحريفه، وزيادته، ونقصانه، فلم يعتبروه حجة، ولم يبالوا بآياته، ولذلك فإن أهل السنة: «أكفروا من زعم من الرافضة أن لا حاجة اليوم في القرآن والسنة، لدعواهم فيها أن الصحابة غيروا بعض القرآن، وحرفوا بعضه!!»<sup>(١)</sup>.

فاعتمادهم: على أئمتهم المعصومين!! وعلى ما روي عنهم عن طريق الإخباريين!! وعلى ما يروونه بعقولهم ولو كان فيه شين.

وجل اعتمادهم على ما يروونه عن أئمتهم -الذين زعموا أنهم معصومون-، بل قالوا: «إنهم يخاطبون، ويسمعون الصوت، ويأتيهم صور أعظم من جبريل وميكائيل...، قال سمعت: أبا عبد الله (ع) يقول: إن منا لمن يعاين معاينة، وإن منا لمن ينقر في قلبه كيت وكيت، وإن منا لمن يسمع كما يقع السلسلة كله يقع في الطست، قال - أي الراوي عنه - قلت: فالذين يعاينون ما هم؟ قال: خلق أعظم من جبريل وميكائيل؟!!!»<sup>(٢)</sup>؛ فعلى هذا لم يكمل الدين، ولا يكمل!! لأن كل إمام يوحى إليه!! بل زعموا أن علياً عليه السلام عرج به إلى السماء!!<sup>(٣)</sup>.

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥٢، وانظر: المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الفراء ص ٢٥٩.  
(٢) بصائر الدرجات ٥/ ٢٥١، نقلاً عن كتاب: علماء الشيعة يقولون ص ٥٣، واليهود كانت تقول بنزول الوحي على الوصي، وكذلك قالت الرافضة. انظر: عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي بن عبد الرحمن السلمان ص ٦٢.

(٣) انظر: الاختصاص للمفيد ص ٢١٣، وانظر: عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي بن عبد الرحمن السلمان ص ٧٠، حيث نقل نصوصاً من كتبهم في ذلك.

ولهذا فإن الرافضة ترى أن الحجة هو الإمام المعصوم، ولا يكون حجة سواه؛ فكيف سيكون موقفهم من القرآن الكريم؟؟ قالوا عن أئمتهم: «هم المعلمون للملائكة: تسبيح الله، وتهليله، وتكبيره، وتمجيده، وروي أن جبرائيل (ع) كان جالسا عند النبي ﷺ فأتى علي (ع) فقام له جبرائيل؛ فقال ﷺ: أتقوم لهذا الفتى؟ فقال: إن له علي حق التعليم!!...»<sup>(١)</sup>، فالإمام عندهم يعلم أمين الوحي جبريل ﷺ!!!!.

بل غلوا في الإمامة وأقوال الأئمة حتى قالوا: «إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن، لا تخص جيلا خاصا، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر، وإلى يوم القيامة، يجب تنفيذها واتباعها»<sup>(٢)</sup>، ويقولون: «نعتقد أن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهام، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهام معصيتهم، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على رسول الله، والراد على رسول الله كالراد على الله تعالى!!»<sup>(٣)</sup>.

ولأنهم لا يصدر عن القرآن الكريم، وقالوا بالإمامة بناء على قول ابن سبأ اليهودي، ولم يجدوا ذلك في القرآن الكريم؛ فإنهم قالوا بتحريف القرآن الكريم!!<sup>(٤)</sup>.

فيصدرون عن الأشخاص، والتعظيم عندهم قائم للأشخاص، ولا يقوم عندهم التعظيم للمبادئ الإسلامية، التي جاء بها الكتاب والسنة النبوية، ولهذا الغرض حرفوا أيضا آيات القرآن الكريم؛ فقالوا في كثير من الآيات ما يظنونه

(١) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، باب/ وشهداء على خلقه، وأعلاما لعباده!! ص ٣٧١، نقلا عن كتاب: علماء الشيعة يقولون ص ٥٩.

(٢) الحكومة الإسلامية للخميني ص ١١٣.

(٣) عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ص ١٠٦-١٠٧ وانظر: كشف الأسرار للخميني، ترجمة د/ محمد النيداري ص ٢٠٧.

(٤) انظر: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن ص ٤٤ وما بعدها، وبناء على القول بأن الإمامة من أركان الإسلام فإنهم كفروا من لم ير إمامة أئمتهم!! بل وجعلوا ذلك مثل الشرك بالله!! مع أنهم يمارسون أبشع أنواع الشرك كما هو معروف من اعتقادهم في أئمتهم، ودعائهم لهم من دون الله، وغير ذلك من مظاهر الشرك المعروفة عندهم.

بأوهامهم، ويروونه من روايتهم، ففي قوله ﷺ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ (١) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٢) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٣) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِيزِينَ﴾ (٤) وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٥) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ (٦) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الحاقة: ٤٤-٥٠) قالوا: إن منكم مكذبين، يعني: فلانا، وفلانا!!! وإنه لحسرة على الكافرين: يعني عليا (ع)!!! وإنه لحق اليقين يعني: عليا (ع)!!!<sup>(١)</sup>.

ومنهم من يعتمد على كتب وضعها لهم الكذابون، ومن ذلك ما أضيف إلى جعفر الصادق عليه السلام؛ حيث «أضيف إليه كتاب الجفر، والهفت، حتى أضيف إليه رسائل إخوان الصفا؛ وهذا في غاية الجهل؛ فإن هذه الرسائل إنما وضعت بعد موته بأكثر من مائتي سنة؛ فإنه توفي سنة ثمان وأربعين ومئة، وهذه الرسائل وضعت في دولة بني بويه، في أثناء المائة الرابعة... وضعها جماعة زعموا أنهم جمعوا بين الشريعة والفلسفة؛ فضلبوا وأضلبوا»<sup>(٢)</sup>، ولذلك نصوا على أن القائم - مهديهم - إذا قام؛ فإنه «يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد!!! وقضاء جديد، على العرب شديد!!! ليس شأنه إلا السيف لا يستتيب أحدا!!!»<sup>(٣)</sup>، وقالوا: إن القائم يحكم بحكم داود، وآل داود!!!<sup>(٤)</sup>؛ فأين كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ؟!.

ولما نظروا إلى كتبهم الملفقة المزورة المكذوبة على آل البيت، وما بينها وبين القرآن الكريم من التناقض قالوا: بتحريف القرآن الكريم!!!<sup>(٥)</sup>.

ويزعمون أنهم يتحاكمون إلى مصحف فاطمة عليها السلام؛ وعليه اعتمادهم، ولهذا أهملوا القرآن الكريم، وقالوا عن هذا المصحف المزعوم: «وإن عندنا لمصحف فاطمة (ع) وما يدرهم ما مصحف فاطمة (ع)؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف

(١) تفسير العياشي ٢٢/٣.

(٢) مختصر الفتاوى ١٥٦، وانظر: نقض المنطق ص ٦٦، المجموع ١٣٨/٣٥.

(٣) كتاب الغيبة ص ١٥٤، من كتاب: علماء الشيعة يقولون ص ١٠٦.

(٤) الأصول في الكافي ١/٣٧٩.

(٥) انظر: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن ص ٥٣ وما بعدها.

فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال قلت: هذا والله العلم<sup>(١)</sup>!!...<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت أصول مذهب الرافضة: التلقي عن الأئمة دون النظر إلى الكتاب والسنة، قالوا بالكفر الظاهر، والشرك الجلي، والمبتدعات الشنيعة، والمستدركات على الشريعة!! حتى وصل بهم الأمر إلى أنهم نفوا الاجتماع والالتقاء مع أهل السنة - أهل الحق والإنصاف - بل تبرؤوا من الله ﷻ، ومن نبيه محمد ﷺ، حتى قالوا: «إنا لم نجتمع معهم - أي مع أهل السنة - على إله، ولا على نبي، ولا على إمام!! وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا!!»<sup>(٣)</sup>.

ويكفي أن تعلم أنهم لما لم يصدرُوا عن القرآن الكريم، ولا وردوا هداة، قالوا: إن النبي الكريم ﷺ فشل في دعوته، ولم يؤمن به طيلة ثلاث وعشرين سنة إلا ثلاثة نفر!! والباقون كلهم أهل نفاق!!<sup>(٤)</sup>، ف«الرسول الذي آمنوا به؛ فهو بزعمهم رجل من العرب لم يبلغ رسالات ربه!! وليس هو أفضل الخلق!! بل إن من ليس بنبي يساويه بزعمهم»<sup>(٥)</sup>، وأنه رد الوحي مرتين، وأنه لم يبلغ رسالات ربه في آخر حياته خوفاً من ضرر أصحابه...<sup>(٦)</sup>.

ويدعي الخميني أنه استطاع أن يقيم ما لم يقمه محمد بن عبد الله ﷺ!!! فاستطاع الفقيه الوالي عن الإمام الغائب المنتظر - عندهم - أن يكون أفضل في دعوته

(١) كيف يكون فيه العلم، وما فيه من قرآننا حرف واحد!! اللهم إلا أن يكون فيه علم المجوس!!.

(٢) الكافي للكليني، كتاب الحجّة، باب/ فيه ذكر الصحيفة والجفر، والجامعة، ومصحف فاطمة!! ١/ ١٨٥-١٨٦.

(٣) الأنوار النعمانية ٢/ ٢٧٨.

(٤) الروضة من الكافي ٨/ ٢٤٥.

(٥) قال المجلسي في بحار الأنوار ٢٦/ ٢٦٧، باب/ تفضيل الأئمة على الأنبياء وعلى جميع الخلق!!... وأن أولي العزم صاروا أولي العزم بجهنم!! وقال: ٢٦/ ٣١٩، باب/ أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بالأئمة!!

(٦) صبب العذاب على من سب الأصحاب ص ٤٧٨، وانظر ما بعدها.

من أفضل خلق الله محمد ﷺ، - اللهم سبحانه هذا بهتان عظيم - يقول الخميني: « لقد جاء الأنبياء جميعاً من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم، لكنهم لم ينجحوا، حتى النبي محمد<sup>(١)</sup> خاتم الأنبياء، الذي جاء لإصلاح البشرية، وتنفيذ العدالة، وتربية البشر لم ينجح في ذلك!! وإن الشخص الذي سينجح في ذلك، ويُرسى قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم، في جميع مراتب إنسانية الإنسان، وتقويم الانحرافات هو المهدي المنتظر... »<sup>(٢)</sup>.

ولهذا كان أئمة الشيعة، أو المناوون عن الغائب منهم كلامهم هو المعتمد، وقوله هو الموجد، ولذا كان دستور الدولة الإسلامية!! عندهم قائماً على « منح الفقيه حق الولاية العامة، يسوق منطقياً إلى رفع منزلته إلى مقام الأئمة المعصومين، وهو ما ادعاه الخميني لنفسه، بدعوى استمرارية الإمامة، والقيادة العامة في غيبة المهدي، وعليه فإن الدستور في فلسفته العامة يستمد شرعيته وصلاحيته من الآراء والمعتقدات الذاتية للخميني باعتباره "حجة مطلقة"!! ونائباً عن الإمام الغائب في الفصل بين الأشياء والأمور!! »<sup>(٣)</sup>.

فالرافضة مع طعنهم في أصحاب رسول الله ﷺ لا يمكنهم إثبات مطلب ما، « من المطالب الدينية على القول بارتداد الصحابة - والعياذ بالله - إلا القليل...، والخبر... لا بد له من ناقل؛ فهو إما من الشيعة، أو من غيرهم، ولا اعتبار لغيرهم عندهم أصلاً؛ لأن منتهى وسائلهم في رواياتهم المرتدون المحرفون لكتاب الله تعالى!! المعادون المعاندون للأمر ﷺ وسائر أهل بيته!! »<sup>(٤)</sup>.

فإذا كان هذا حالهم مع القرآن؛ فلا شك أن موقفهم من السنة النبوية الثابتة أشد وأنكى، وأقبح وأردى، ولهذا لا يقيمون لما روي عن طريق الصحابة وزناً، ولا ما جاء عن النبي ﷺ، بل اعتمادهم ما رواه علماءهم عن أئمتهم المعصومين بزعمهم<sup>(٥)</sup>.

(١) هكذا دون أن يصلي عليه!! اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

(٢) نهج خميني ص ٤٦.

(٣) نهج خميني ص ١٨.

(٤) صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٣٦٨-٣٦٩.

(٥) انظر: مصادر التلقي ص ١٤١ وما بعدها، ومن أهم مصادر التلقي الكتب التي منها يتلقون أقوال أئمتهم



قال الشيخ محمود شكري الألوسي رحمته الله: «نعم، إنهم أخذوا مذهبهم من الرقاق المزورة، التي لا يشك عاقل أنها افتراء على الله تعالى، ولا يصدق بها إلا من أعمى الله بصره وبصيرته... والعجب من الرافضة أنهم سمو صاحب الرقاق بـ"الصدق"، ولا يخفأك أن هذا من قبيل تسمية الشيء باسم ضده، وهو وإن كان يظهر الإسلام، غير أنه كافر في نفس الأمر، وكان يزعم أنه يكتب مسألة في رقعة فيضعها في ثقب شجرة ليلاً!! فيكتب الجواب عنها صاحب الزمان!!».

وهذه الرقاق عند الرافضة من أقوى دلائلهم، وأوثق حججهم، فتنبأ لقوم أثبتوا أحكام دينهم بمثل هذه الترهات، واستنبطوا الحلال والحرام من نظائر هذه الخزعبلات، ومع ذلك يقولون: نحن أتباع أهل البيت!! كلا، بل هم أتباع الشياطين، وأهل البيت بريئون منهم<sup>(١)</sup>.

فالرافضة لا يتلقون عن الكتاب والسنة، «وشيوخ الروافض معترفون بأن هذا الاعتقاد في التوحيد والصفات... لم يتلقوه لا عن كتاب، ولا سنة، ولا عن أئمة أهل البيت، وإنما يزعمون أن العقل دل عليه، كما يقول ذلك المعتزلة، وهم في الحقيقة إنما تلقوه عن المعتزلة، وهم شيوخيهم»<sup>(٢)</sup>.

«ولو فرض - على سبيل التقدير - أن العقل الصريح الذي لا يكذب، يناقض بعض الأخبار: للزم أحد الأمرين: إما تكذيب الناقل، أو تأويل المنقول؛ لكن - والله الحمد - هذا لم يقع، ولا ينبغي أن يقع قط؛ فإن حفظ الله لما أنزله من الكتاب والحكمة يأبى ذلك، نعم يوجد مثل هذا في أحاديث وضعتها الزنادقة ليشينوا بها أهل الحديث»<sup>(٣)</sup>.

يأتي: ١ - الكافي للكليني، وهو أصح الكتب عند الرافضة!! بل هو كصحيح البخاري عند أهل السنة. ٢ - من لا يحضره الفقيه للقمي. ٣ - التهذيب لأبي جعفر الطوسي. ٤ - الاستبصار لأبي جعفر الطوسي، وقالوا: إن العمل بما في الكتب الأربعة واجب!! انظر: صلب العذاب على من سب الأصحاب ص ٢٨٦ وما بعدها.

(١) صلب العذاب على من سب الأصحاب ص ٣٠٠-٣٠١، ثم ذكر بعضاً من الرقاق التي يستندون عليها.

(٢) منهاج السنة ٢/ ٣٦٩.

(٣) المجموع ٣٣/ ١٧٣.

واعتماد الرافضة الكلي على العقل في مسائل التوحيد، ولهذا فهم يسمون هذا الباب بعلم الكلام، قالوا: «ومن أجل هذا أُتس علم الكلام...؛ فمن يقف على كتب المسلمين في هذا العلم يجد للشيعية الإمامية النظرات العالية، والمعتقدات التي تتفق مع العقل السليم!! والمنطق الحر!!»<sup>(١)</sup>.

فالرافضة عندهم من الأصول التي يعتمدون عليها: العقل!! ولكنها عقولهم التي أوردتهم الموارد، وإلا فإن العقل الصريح لا يناقض النقل الصحيح<sup>(٢)</sup>. وهؤلاء الرافضة كانوا بابا عظيما للباطنية، إذ دخلوا من طريقهم إلى إفساد الإسلام، وفي الفصل التالي سيكون الحديث عن الباطنية.

(١) تبويب الذريعة إلى تصانيف الشيعة ص ٤٠.

(٢) ولهذا ألف شيخ الإسلام رحمته الله كتابه الفذ: درء تعارض العقل والنقل، لبيان هذا المقصد، ووقع التعارض المتوهم، وانظر: صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٥٠٠.

## إِلْفَضِكُ الْإِرَّاعِ

### مَنْزِلَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ الْبَاطِنِيَّةِ

وفيه مباحث:

**المبحث الأول: التعريف بالباطنية.**

**المبحث الثاني: اعتقاد الباطنية عدم انقطاع الوحي.**

**المبحث الثالث: اعتقاد الباطنية في القرآن الكريم.**

**المبحث الرابع: استهانة الباطنية بالقرآن الكريم.**



### المبحث الأول: التعريف بهم

كلمة الباطنية من الباطن، ولقبوا بهذا؛ لأنهم يقولون: بأن لكل ظاهر باطنا، ويقولون: الظاهر بمنزلة القشور، والباطن بمنزلة اللب<sup>(١)</sup>.

وقيل: هم الذين يعتقدون أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وأن المراد باطنه<sup>(٢)</sup>، وقال الغزالي: «الباطنية: وهم يدعون أنهم أصحاب التعلم، والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «الباطنية: قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض»<sup>(٤)</sup>.  
فالباطنية هم الذين سلكوا في النصوص مسلك التأويل الباطني الذي لا يدل عليه العقل؛ فضلا عن الكتاب والسنة، كقولهم: إن الصلاة هي أسرار أئمتنا!!!<sup>(٥)</sup>.  
ولهم أسماء عدة، وهم طوائف مختلفة، ومن أشهرها<sup>(٦)</sup>:

١- الباطنية: لادعائهم أن للدين ظاهرا وباطنا، وأن الظاهر هو القشر، والباطن هو اللب، «ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر، ليقدروا

(١) انظر: كتاب اصطلاح الصوفية لابن عربي ص ١٥ (القشر)، الحركات الباطنية للخطيب ص ١٩.

(٢) انظر: الأنساب للسمعاني ٢/ ٢٦٠، رسالة في ألفاظ الكفر لقاسم بن صلاح الدين الحاني، ص ٣٧٩، ضمن الجامع لألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد الخميس.

(٣) المنقذ من الضلال ص ٨٩، المجموع ٢/ ٥٥، شرح الأصبهانية ص ٥٠٩.

(٤) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣.

(٥) انظر: الصفدية ١/ ٢٧٦.

(٦) انظر: تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١١، وما بعدها، المجموع

٣٥/ ١٥٢، الدرء ٥/ ٢٠٨، مناهل العرفان ٢/ ٨٢.

بالتحكم بدعوى الباطن على إبطال الشرائع»<sup>(١)</sup>.

٢- إخوان الصفا: وهم قوم من بقايا الفرس والمجوس اجتمعوا سرا لإبطال الشريعة الإسلامية، ولكن بطرق خفية<sup>(٢)</sup>.

٣- الإسماعيلية: نسبة إلى زعيمهم: محمد بن إسماعيل بن جعفر، وزعموا أن الله حل فيه!!<sup>(٣)</sup>.

٤- السبعة أو السبعية: نسبة إلى قول بعض فرقهم بأن للأشياء سبعة أدوار، ومن جملة ذلك الإمامة، وهذا هو قول الإسماعيلية، وأن هذه الأدوار لا نهاية لها، وأن المقصود بالقيامة الدور السابع في كل شيء!!، وقيل لهم سبعية أيضا: لقولهم إن الأفلاك السبعة السماوية مدبرة للأمور الأرضية!! وهذا يعني أنهم لا يدينون بالقيامة، وأنهم دهرية كما قال البغدادي رحمته الله<sup>(٤)</sup>.

٥- البابكية: وهو اسم لطائفة منهم تبعوا شخصا يقال له: بابك الخرمي، وكان من الباطنية<sup>(٥)</sup>.

٦- المحمرة: ونسبوا إلى ذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة، في أيام بابك الخرمي.

٧- القرامطة، أو القرمطية: نسبة إلى رجل يقال له: حمدان قرمط، وقيل نسبة إلى رجل يقال له "كرميته"<sup>(٦)</sup>.

٨- الخرمية: و(خُرْم) لفظ أعجمي، ومعناه المستلذ المستطاب<sup>(٧)</sup>، ومقصود هذا

(١) تليس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، وانظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٤، الموسوعة العربية الميسرة ١٣٧٣/٢.

(٢) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٦٩.

(٣) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٥٥ وما بعدها، بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٥١.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٤، الدرء ٥/٤.

(٥) انظر: كيد الشيطان لابن الجوزي ص ١٠٦.

(٦) انظر: الأنساب للسمعاني ٤/٤٧٨، كيد الشيطان لابن الجوزي ص ١٠٦، البيانات المسلولة للكوراني ص ٢٠٨ وما بعدها، الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٣٥ وما بعدها.

(٧) انظر: المعجم الفارسي (فرهنگ عمید) ١/٨٥١.

- الاسم أن الباطنية إنما يتبعون ما لذ وطاب في أعين الناس، دون نظر إلى شرع، وإلى دين.
- ٩- التعليمية: وذلك لأنهم يطلون العقول، وحججها، ويغمضون النصوص وظواهرها، ويلزمون أتباعهم بالتعليم من الإمام المعصوم!!.
- ١٠- الملاحدة: وذلك لأن دينهم يعود إلى الإلحاد في الأديان، وبما جاء في شريعة الرحمن.
- ١١- الخطابية، وهم أصحاب أبي الخطاب بن أبي زينب<sup>(١)</sup>، ويزعمون أن الأئمة محدثون ورسل الله، وحججه على خلقه<sup>(٢)</sup>.
- ١٢- النصيرية: وهي حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري، على يد غلاة الشيعة، وقالوا بألوهية علي<sup>(٣)</sup>، وهم يسمون اليوم بالعلويين<sup>(٤)</sup>.
- ١٣- الدروز: طائفة من الباطنية انشقت عن الإسماعيلية، في العهد العبيدي في مصر<sup>(٥)</sup>.
- ١٤- البابية: وهي فرقة تعتقد بأن الميرزا علي محمد الشيرازي نبي، وأنه نسخ الشريعة الإسلامية<sup>(٦)</sup>.
- ١٥- البهائية: وهي فرقة تعتقد بأن البهاء حسين بن علي بن عباس النوري قد أصبح هو النبي وهو الإله، وأنه قد نسخ الشريعة الإسلامية<sup>(٦)</sup>.
- ١٦- القاديانية: وهم أتباع غلام أحمد القادياني، وهو يدعي أنه نبي وأنه أوحى إليه!!<sup>(٧)</sup>.

(١) هو: أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مقلص الأسدي الكوفي، انظر: منهاج السنة ١/ ٦٤.

(٢) منهاج السنة ٢/ ٥٠٦.

(٣) انظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٥٩.

(٤) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٩٩، بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٦٦.

(٥) انظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٧٣ وما بعدها.

(٦) انظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٨٣ وما بعدها.

(٧) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٤٤ وما بعدها، بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ١٠٨ وما بعدها.

و« هذه الأسماء منها ما يعمهم، ومنها ما يخص بعض أصنافهم، كما أن الإسلام والإيمان يعم المسلمين، ول بعضهم اسم يخصه: إما لنسب، أو لمذهب، وإما لبلد، وإما لغير ذلك...، وهم كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض»<sup>(١)</sup>.

وفي نسبة الباطنية: إلى فئة اختلاف كثير - وهذا لا يهم - إذ المهم معرفة أفكارهم وأقوالهم في هذا الباب خصوصاً، واللب الذي اجتمعوا عليه هو: التأويل الفاسد لآيات الكتاب، والأحاديث، وقولهم إن النصوص لها معانٍ باطنة لا يعلمها إلا الأئمة، ولعل أول نابغة نبغت وتبنت هذا الرأي، هو عن طريق عبد الله بن سبأ اليهودي<sup>(٢)</sup>.

وأول ظهور بداية جماعية لهم كان فيها أولاد المجوس، وبقايا الخرمية، والفلاسفة واليهود؛ إذ جمعهم ناد، وتشاوروا فيما بينهم وقالوا: إن محمداً غلب علينا، وأبطل ديننا، واتفق له أعوان، ونصروا مذهبه، ولم يكن نبياً!!، ولا مطمع لنا في مغالته بالقوة، ولا بالحجة، فلا بد من هدمه من الداخل بالتأويلات، ولهذا قيل: إن وباء الباطنية على عمومها منقول بطريق العدوى من المجوس<sup>(٣)</sup>.

ولا شك في أن الباطنية بجميع نحلها ليست من فرق الإسلام في شيء، قال البغدادي رحمته الله: «وليست الباطنية من فرق الإسلام، بل هي من فرق المجوس»<sup>(٤)</sup>.

وهؤلاء الباطنية «فإنهم في الباطن كافرون بجميع الكتب والرسول، يخفون ذلك، ويكتمونه عن غير من يثقون به، لا يظهرونه...، لأنهم لو أظهروه لنفر عنهم

(١) المجموع ١٥٢/٣٥.

(٢) عبد الله بن سبأ، ويعرف بابن السوداء، اليهودي، كان من يهود اليمن، وأظهر الإسلام لتدمير الإسلام من الداخل، فادعى أن علياً هو وصي رسول الله، كما أن لكل نبي وصياً، ثم ادعى أنه هو الله، وأن الله تجسد في بدنه!! وأنه لم يمت، بل هو في السحاب، وصوت الرعد صوته!! سعى في تأجيج نار الفتنة، وأشعلها حتى قتل عثمان رضي الله عنه مظلوماً، وفي خلافة علي رضي الله عنه ظهرت السبائية، فطلبهم علي رضي الله عنه وقتل منهم من قتل، وهرب ابن سبأ إلى مصر، وقيل بل قُتل علي رضي الله عنه، وقيل غير ذلك. انظر: ابن سبأ حقيقة لا خيال، د. سعدي الهاشمي.

(٣) انظر: مناهل العرفان ٦٣/٢.

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢.



جماهير أهل الأرض من المسلمين وغيرهم»<sup>(١)</sup>.

أمور اتفقت عليها الباطنية:

١ - التأويل الفاسد: وهو تفسير الكتب المقدسة تفسيراً رمزياً أو مجازياً، يكشف عن معانيها بحسب رغباتهم، فالشريعة عندهم مشتملة على ظاهر وباطن لاختلاف فطر الناس!!<sup>(٢)</sup>.

٢ - الدخول إلى الاسلام لإفساده، وذلك من طرق: الأول: التشيع، فهو باب الباطنية، ولهذا ظهر فيهم...، الثاني: التصوف، وظهر فيهم الباطنية بشدة مثل المولوية ونحوها، والثالث: علم الفلسفة والكلام، فأكثر هؤلاء الباطنية كابن سينا والفارابي وغيرهم من المتكلمين من الفلاسفة.

٣ - إظهار الموافقة لكل أحد على حسب ما يعتقده المخاطب: فهم لا يظهرون ما يبطنون إلا لخاصتهم، ويقولون: إنه لا يظهر الحقيقة الباطنية لكل أحد<sup>(٣)</sup>، ويسمونها التقية: وهي واجبة عند جميع الحركات الباطنية<sup>(٤)</sup>، يقول ابن عربي الحلوي: «الغيرة: غيرة في الحق لتعدي الحدود، وغيرة تطلق بازاء كتمان الأسرار والسرائر، وغيرة الحق: ضيته على أولياءه، وهم الضنائن»!!<sup>(٥)</sup> ويقول عن الفناء الصوفي: «وهذا الفن من الكشف، والعلم: يجب ستره عن أكثر الخلق!! لما فيه من العلو، فغوره بعيد! والتلف فيه قريب!»<sup>(٦)</sup>، ويقول شاعرهم:

(١) المجموع ١٤١/٣٥.

(٢) انظر: إيثار الحق ص ١٢٣، الحركات الباطنية ص ٣٠، المعجم الفلسفي، جميل صليبا ١/٣٣٤، ونظرة واحدة إلى كتاب: أخبار جلال الدين الرومي يتبين لك ضلال الباطنية الصوفية وغيرهم، وتلاعهم بالنصوص الشرعية، والألفاظ التي لها معانٍ في العربية، حتى يتسنى لهم ما يريدون من العقيدة الغوية، التي يبطنونها في أنفسهم خوفاً من أهل الظواهر السنية.

(٣) انظر: الحركات الباطنية ص ٤٧-٤٨، تاريخ الفكر العربي لعمر فروخ ص ١٤٤.

(٤) انظر: الحركات الباطنية ص ٥٢.

(٥) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١١ (الغيرة).

(٦) الفناء لابن عربي ص ٣، وانظر منه ص ٤، وانظر: رسالته للرازي ص ١٠.

وأسرار تراءت مبهمات      متسترة بأرواح المعاني

فمن فهم الإشارة فليصنها      وإلا سوف يقتل بالسنان<sup>(١)</sup>

وهكذا يقول الفيلسوف ابن رشد: «فالتأويلات ليس ينبغي أن يصرح بها للجمهور، ولا يثبت في الكتب الخطابية، أو الجدلية... وأما المصرح بهذه التأويلات لغير أهلها فكافر، لمكان دعائه للناس إلى الكفر»<sup>(٢)</sup>.

٤- تزهيدهم في ظاهر الشرع، وظاهر القرآن بحجة الباطن، ويسمون العلماء بأهل الرسوم، والنظر الفكري<sup>(٣)</sup>. بل ويقولون: «الحجب المانعة من إدراك الحق عظيمة، وأعظمها: العلم»<sup>(٤)</sup>، بل ويقولون: «من صار إلى تأويله الباطن فهو من الملائكة البررة، ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين الكفرة»<sup>(٥)</sup>.

٥- ادعائهم أن الله ظهر في الصورة الناسوتية: ثم اختلفوا وكل فريق منهم يدعي أن اللاهوت ظهر في صورة الناسوت، أي الله ظهر في صورة الإنسان، وكل واحد يقول هو شيخنا، أو إمامنا، أو رئيسنا<sup>(٦)</sup>. قال ابن عربي: «التوحيد لا تصح العبارة عنه؛ لأنه لا يعين إلا للغير، ومن أثبت غيرا فلا توحيد له»<sup>(٧)</sup>. ويقول بعضهم: «رسل الله: الله»<sup>(٨)</sup>، ويقول القونوي عن نفسه: «علامتي بلا علامة، مكاني بلا مكان! ولا أنا جسم ولا روح، فنفسي روح الأرواح!، لما لفظت الاثنينية رأيت العالم واحدا، إني أرى واحدا، وأنشد واحدا، وأعلم واحدا، وأقرأ واحدا!!!»<sup>(٩)</sup>.

(١) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص ٤، ونقل شيخ الإسلام رحمته الله أبياتا مشابهة لهذه، كما في المجموع ٣١٧/٨.

(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال ص ٣٣.

(٣) الفناء لابن عربي ص ٧، القربة له ص ٨، وانظر: الميم والواو والنون لابن عربي ص ٨.

(٤) التراجم لابن عربي ص ١٨.

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٣.

(٦) انظر: المجموع ٣١٧/٨، الحركات الباطنية ص ٣٤١، إسلام بلا مذاهب ص ٣٣٢.

(٧) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٥.

(٨) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص ٧.

(٩) تاريخ التصوف الإسلامي لعبد الرحمن بدوي ص ٢٩، وانظر: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧٧.

٦- ادعائهم علم الغيب: فهذا ابن عربي المنكر يقول: «المطالعة: توقيعات الحق للعارفين ابتداء، وعن سؤال منهم فيما يرجع إلى حوادث الكون»<sup>(١)</sup>. ويقول ابن عربي ناصحا مريده بالاستمرار: «فإن لم تقف رفع لك سرير الرحمانية، وكل شيء عليه، فإذا نظرت في كل شيء، فسترى جميع ما اطلعت عليه فيه، وزائدا على ذلك، ولا يبقى علم، ولا عين إلا وتشاهده فيه»<sup>(٢)</sup>، ويقول الرومي القونوي: «قد أراني الله أساس إيجاد هذا الكون، متى وكيف خلق، وإلى أي حين سيدوم»؟!<sup>(٣)</sup>.

٧- عدم الإنكار على أهل الأديان بحجة أن الكل على الحق: يقول ابن عربي في وصف من وصل!!: «فإن لم تقف مع هذا رفعك عن عالم الحمية والغضب والتعصب، ومنتشأ النزاع الخلاف الظاهر في العالم، واختلاف الصور في ذلك!!»<sup>(٤)</sup>. ويقول معتذرا للمشركين: «وغاية كل سالك مناسبة لطريقه الذي عليه سلك، فمنهم: من ينجي بلغته! ومنهم من ينجي بغير لغته، وكل من نوجي بلغة، أي لغة كانت؛ فإنه وارث لنبي ذلك اللسان، وهو الذي تسمعه على ألسنة أهل هذه الطريقة: إن فلانا موسوي!!، وعيسوي!!، وإبراهيمي!!...، والكمال من ينجي بجميع اللغات، وهو المحمدي خاصة!!»<sup>(٥)</sup>، ويسمون من ينكر على أهل الأديان، ويدعونهم إلى الحق الذي جاء به سيد ولد عدنان ﷺ يسمونهم: الملامتية<sup>(٦)</sup>.

وهكذا يقول الحلاج: «وإياك والتوحيد!!»<sup>(٧)</sup> ويقول في ذلك ابن عربي: كفرت بدين الله والكفر واجب لديّ وعند المسلمين قبيح<sup>(٨)</sup>.

(١) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١١ (المطالعة).

(٢) رسالة الأنوار لابن عربي ص ١٣.

(٣) مناقب العارفين للأفلاكي ١ / ٥٠٠، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٣٠.

(٤) رسالة الأنوار لابن عربي ص ١١.

(٥) رسالة الأنوار لابن عربي ص ١٣-١٤.

(٦) رسالة الأنوار لابن عربي ص ١٤، لا يعول عليه لابن عربي ص ١٠.

(٧) رسالة ابن عربي للرازي ص ١٣.

(٨) رسالة ابن عربي للرازي ص ١٣.

وهكذا يقول القانوني: «جه تدابير مسلمانان كه من خودرا نمي دانم، نه ترسا، نه يهودم، نه كفرم، نه مسلمانم...، المعنى: أيها المسلمون: ليت شعري ما التدبير؟ أنا لا أدري؟ فلا أنا نصراني، ولا يهودي، ولا زرادشتي، ولا مسلم!!!»<sup>(١)</sup>.

وهذا الرومي القانوني لم يكن يفرق بين الحلال والحرام، إلا ما أرشده إليه ذوقه، فلا يعرف ديناً، إلا ما أملاه عليه هواه؛ «فكان يستحل جميع المحرمات؛ حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول: البنت والأم والأجنبية شيء واحد، ليس في ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام؛ فقلنا حرام عليكم»<sup>(٢)</sup>.

ف «الباطنية، ونحوهم أبطنوا خلاف ما أظهروه للناس، وسعوا في ذلك بكل طريق، وتواطؤوا عليه ما شاء الله، حتى التبس أمرهم على كثير من أتباعهم، ثم إنهم مع ذلك اطلعوا على حقيقة أمرهم جميع أذكياء الناس من موافقيهم ومخالفهم، وصنفوا الكتب في كشف أسرارهم، ورفع ستارهم، ولم يكن لهم في الباطن حرمة عند من عرف باطنهم، ولا ثقة بما يخبرون به، ولا التزام طاعة لما يأمرون، وكذلك من فيه نوع من هذا الجنس؛ فمن سلك هذه السبيل، لم يبق لمن علم أمره ثقة بما يخبر به، وبما يأمر به»<sup>(٣)</sup>، وإذا كان هذا ما اتفق عليه الباطنية فإنني أذكر بعض نصوصهم بشيء من التفصيل - في المبحث الآتي - مما يدل على أنهم جميعاً لا يرون انقطاع الوحي، وإن اختلفوا في مسميات هذا الوحي.

(١) تاريخ التصوف الإسلامي لعبد الرحمن بدوي ص ٢٩، وانظر: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧٧.

(٢) المجموع ٢/ ٤٧٢.

(٣) المجموع ١٣/ ٢٥٠.

### المبحث الثاني: اعتقاد الباطنية عدم انقطاع الوحي

إن من العقائد السلفية السنية أن الوحي قد انقطع بعد وفاة النبي ﷺ، وأنه لا يمكن لأحد كائنا من كان أن يأتيه وحي - بشرع - بعد بعثته ﷺ، وأن أحدا لا يمكن أن يبلغ مرتبة الأنبياء والرسل، ولو جاهد ما جاهد، وبذل ما بذل، فالنبوة ليست مكتسبة عند أهل الإسلام - بحق - بل هو محض فضل الله ﷻ يؤتيه من يشاء.

والباطنية منهم من يصرح بعدم انقطاع الوحي، وزعموا أن رسل الله لا تنقطع أبداً، وأن انقطاع الوحي نقص وعيب!!<sup>(١)</sup> ومن فرق الباطنية من زعم أن في قلب كل مؤمن وحيًا!!، وأن كل مؤمن يوحى إليه!!<sup>(٢)</sup> ومنهم فرق وأقوام لا يصرحون بانقطاع الوحي، ويعتقدون أنه يمكن إدراكه، ولكن يسميه بغير اسمه، حتى لا ينكشف عواره، ولا يظهر شأنه<sup>(٣)</sup>.

وكثير منهم يزعم أنه جاءه الوحي في قلبه، حتى كان منهم من يقول: حدثني قلبي عن ربي<sup>(٤)</sup>، فليس هو بحاجة إلى علم المحدثين!!.

ومن هؤلاء الذين خالفوا السلف ولا يعتقد انقطاع الوحي - ويسميه بغير اسمه - ابن عربي الحلولي، حيث يقول: «المسامرة: خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب، نزل به الروح الأمين على قلبك»<sup>(٥)</sup>، ويقول: «الحرف: اللغة،

(١) وهذا الكلام صحيح لو أن الدين لم يكن كاملاً، أما وأن الدين قد كمل؛ فليس لهذه الشبهة من وجه. انظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٥٥.

(٢) انظر: منهاج السنة ٢/ ٥٠٥-٥٠٨.

(٣) انظر: الدرر ٥/ ٢٠٨، الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ص ١٣١.

(٤) انظر: المجموع ١٣/ ٢١٨، ٢٢٤.

(٥) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٠ (المسامرة).

وهو ما يخاطبك به الحق من العبارات»<sup>(١)</sup>، ولذلك ادعى أنه يزاحم الأنبياء، فيقول: «اعلموا أن كثيرا من أهل طريقتنا كأبي حامد الغزالي، وغيره، تخيل أنه ليس بين الصديقية والرسالة مقام، وأن من تخطى رقاب الصديقين، وقع في النبوة، وبابها مسدود عندنا دوننا، لكن لنا المزاخرة معهم في صفهم، هذا غايتنا»<sup>(٢)</sup>. وأن جبريل يأتيهم!! «إذا بدت لكم وفقكم الله حضرة الأحكام، وتنزلات الشرائع، ورأيتم خازنها جبريل عليه السلام، فذلك أول تحصيل هذا المقام!!!». ثم يفلت من هذا بدهاء، ومكر وإيجاء فيقول: «واعلم أن جبريل لا ينزل على غير رسول يوحى أبدا، ولا ينسخ شريعة» ثم يعيد الكرة بدهاء لإثبات رؤيتهم جبريل فيقول: «فتعمل هناك في وسيلة ورقيقة تكون من ذلك اللوح إلى قلبك، إن أردت تحصيل هذا المقام، فستجد صورة جبريل، وما هي بجبريل، وهي مختصة بالأولياء، فانظر إليها فإن رأيته ناظرة إليك فاعلم أنك منهم»<sup>(٣)</sup>.

بل ويزعمون أن الحق ينزل إليهم، يقول ابن عربي: «التداني: معراج المقربين، التدلي: نزول المقربين، ويطلق بازاء نزول الحق إليهم عند التداني»<sup>(٤)</sup>، ويتلقون ما يرد إليهم!! فيقول: «والتلقي: أخذك ما يرد من الحق عليك»، بل ويكون هذا التلقي بدون حجاب وواسطة، «الخلوة: محادثة السر مع الحق حيث لا ملك، ولا أحد»<sup>(٥)</sup>.

هذا الزعم لم يأت من فراغ، بل هو نتائج أفكار معكوسة، وزبالات منكوسة، وزعموا أن الولاية أرفع من النبوة!!! فكيف لا يأتيهم الوحي إذاً، يقول ابن عربي: «الولاية الكبرى هي النبوة الكبرى، والولي العارف مرتبته فوق مرتبة الرسول...، ومرتبة الولاية دائمة الوجود، ومرتبة الرسالة منقطعة فإنها تنقطع بالتبليغ!!! والفضل

(١) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٣.

(٢) القربة لابن عربي ص ٦.

(٣) القربة لابن عربي ص ٧.

(٤) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٣.

(٥) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٣.

للدائم الباقي!!»<sup>(١)</sup>. مع أن المعتقد المشهور عند المسلمين، بل وعند أهل الكلام، وهو الحق بلا خصام، أن الولاية تنال باتباع النبوة، ولا تكون أبداً أفضل منها، بل ولا يكون ولي إلا أن يكون محققاً في ديانتها، متبعاً لرسالة النبي ونبوته<sup>(٢)</sup>.

واقراً هذا الأنس والانبساط مع الإله!! كما يزعم هؤلاء الذين لا يقرون بانقطاع خبر السماء، يقول ابن عربي: «وعاينت آداب الدخول إلى الحضرة الإلهية!! وآداب الوقوف بين يدي الحق، وآداب الخروج من عنده...، والمشاهدة الدائمة من الوجوه المختلفة!! وكيفية تلقي العلوم الإلهية من الله تعالى!!...، وأدب الأخذ، والعطاء، والقبض، والبسط!!»<sup>(٣)</sup>.

ومثل هذا قول الشمس التبريزي الحلولي الرافضي، في معرض حفل تنصيب شيخ صوفي، تكلم القوم، فقال الزعيم الصوفي الحلولي: «إلام تفخرون بمروياتكم

(١) القرية له ص ٩، ثم لما يرى شناعة هذا القول، يتنكر له بدهاء، ويلتفت إلى نفسه، ثم يرجع إلى إثباته مرة أخرى بدهاء.

(٢) انظر: العقائد النسفية ص ٣٢، وبدأ الأمالي للفرغاني ص ٢١، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٣) رسالة الأنوار لابن عربي ص ١٠. وأما أهل السنة المتبعون للكتاب، المعتمدون على الرأي الصواب، فيعتقدون أن الله لا يرى في الدنيا، كما هو صريح القرآن الكريم، حيث قال الله ﷻ لكليمه موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيَّ وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ آسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ نَرِيَّ فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنكَ ثَبَّتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» [الأعراف: ١٤٣]، وفي الحديث: [تعلموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه ﷻ حتى يموت] (رواه مسلم، كتاب الفتن، باب/ ذكر ابن صياد، ح ١٦٩) من رواية ابن عمر (رضي الله عنه) وهذه من العقائد المسلمات، وهو عقيدة المسلمين والمسلمات، خلا هذه الطائفة الباطنية التي تعتمد على الزندقات، يقول الشيباني راداً على أمثال هؤلاء:

ولا عين في الدنيا تراه لقوله      سوى المصطفى إذ كان بالقرب أفردا  
ومن قال في الدنيا: يراه بعينه      فذلك زنديق طغى وتمردا  
وخالف كتب الله والرسل كلهم      وزاغ عن الشرع الشريف، وأبعدا  
وذلك ممن قال فيه إلها      يرى وجهه يوم القيامة أسودا  
ولكن يراه في الجنان عباده      كما صح في الأخبار، نرويه مسندا

متن الشيبانية ص ٣٥، مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

عن هذا وذاك؟ وحتام تركبون سرجا بغير أحصنة! تركضونها في ميادين الرجال، أليس فيكم امرؤ يقول: حدثني قلبي عن ربي؟! أيام تمشون معتمدين على عصاة غيركم!! إن ما تنقلونه من كلام في الحديث والتفسير، الحكمة، وغيرها، كلمات رجال عاشوا في وقتهم، مترعين مقامات الولاية في عصرهم!! كانوا يحدثون بها يأتهم من أحوال، وبما أن أولياء هذا العصر هم أنتم، فأين - والحالة هذه - كلماتكم، وأسراركم أنتم؟؟ ثم قال الشمس أيضا: إن لكل مولود مذ آدم، سواء أكان من الأنبياء، أم الأولياء، ومذ عالم العدم الذي لا أول له، وحتى يطأ عالم الوجود، منصبا وعملا خاصا به، فكان بعضهم كاتب وحي، وكان بعضهم الموضع الذي يجيئه الوحي - يعني النبي ﷺ -، فعليك الآن: أن تحرص على أن تكونهما، أعني كن كاتب وحي، وكن الموضع الذي يوحى بالوحي إليه. ثم قال: فكما كان الوحي يأتي محمدا ﷺ بواسطة جبريل، فكذلك كان لقلبه وحي، والولي كذلك!!<sup>(١)</sup>.

ويقول الشمس التبريزي: «إن لشيوخ الصوفية طريقا للمعرفة والعلم، غير الحواس الظاهرة، هما: الوحي والإلهام»<sup>(٢)</sup>.

ولقد تلقف تلميذه القنوي ذلك، فقال عن كتابه المثنوي: «لا يمسسه إلا المطهرون!! تنزيل من رب العالمين!!»<sup>(٣)</sup> قال أحد شراح المثنوية: «نزل هذا المثنوي الشريف من رب العالمين ذي الجلال!!! دفعة واحدة في ليلة القدر إلى سماء القلب!! ثم نطق به منجما على قدر الحاجة بواسطة جبريل العقل، وقد تنزل بطريق الفيض والإلهام!!»<sup>(٤)</sup>.

(١) المقالات للتبريزي ١/ ١٠٧، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٢) المقالات للتبريزي ٢/ ١١٠، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٣٥، وانظر: مقدمة المثنوي ص ٧-٨ المطبوع بشرح حضرت بحر العلوم!!.

(٣) مقدمة المثنوي، نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٣.

(٤) شرح المثنوي لصاري عبدالله أفندي (١٠٧١هـ) ص ٢٢، وهو مخطوط، وهذا الذي كتبه هذا الشارح أقره شارح آخر للمثنوي، ومدح به الكتاب!! وهو طاهر المولوي (١٢٩٤-١٣٧٠هـ)، انظر: شرحه للمثنوي ١/ ٣٨، نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٦-٣٦٧.



وكونهم يسمون الوحي إلهاما، فهذا من تليسياهم، وإلا فإنهم يرون الإلهام كالوحي تماما، ولتتيقن ذلك انظر إلى قول أحد شراح المثنوية وهو يقول: « وإلهام الولي كوحي النبي »<sup>(١)</sup>.

وإن من فضائح الباطنية تسمية كتبهم بالقرآن، حتى إن أحد الفلاسفة المتصوفة<sup>(٢)</sup> ليسمي كتاب المثنوي: بقرآن الفارسية<sup>(٣)</sup>.

بل ويقول أحد محبي المثنوي من العرب:

فهو وحي الله في إلهامه يخرج المطلق من كل القيود...  
وهو قرآن وفرقان لمن عرف الله على رغم الحسود<sup>(٤)</sup>

وهذا المحب للمثنوي لم يقل هذا الكلام من فراغ، بل قال ذلك لأن القونوي نفسه مؤلف المثنوي قال ذلك عن كتابه، حيث قال: « أيها الكلب الطاعن!!! في كتابي تعوي وتعوي، تطعن في القرآن اخرج عن طريقنا، وإلى قيام الساعة، والقرآن - يعني المثنوي - ينادي، أنا كلام الحق القائم بالذات، أنا قوت روح الروح، وقوت التزكية »، ويقول في موضع آخر: « لو صارت الأشجار أقلاما، والبحار مدادا، المثنوي ليس له نهاية!!! »<sup>(٥)</sup>.

(١) أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧٥.

(٢) وهو الملا الجامي، صاحب الشرح المعروف في المنطق باسمه: شرح ملا جامي.

(٣) أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧٠، وقال شعرا بالفارسية، مدعيا فيه الكلام المذكور، وأن صاحب المثنوي أوتي كتابا، وليس بنبي، وكذا قال الشاعر محمد إقبال:

مثنوي مولوي معنوي هست قرآن در زبان بهلوي

والمعنى: مثنوي المولوي - يقصد به الرومي القونوي - ذو المعنى العظيم هو قرآن باللغة الفارسية. انظر:

أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧٢.

(٤) أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧١.

(٥) المثنوي ص ١٥٨، ١٥٩ المطبوع مع شرحه المسمى بحضرت بحر العلوم!! أي: علوم الملاحدة الحلوية، والأبيات هي بالفارسية، وإنها ترجمتها، وأكتب نصها كما جاءت بالفارسية:

ای سک طاعن تو عو عو میکنی	طعن قرآن را بیرون شو میکنی
تاقیامت میزند قرآن ندا	.....
من کلام حق قائم بذات	قوت جان جان و یاقوت زکات
کرشود بشیة قلم در یامدید	مثنوي را نیست بایانی بدید.

بل إن كبير الباطنية ملك التتر المغول المتصوف - ويشي عليه القانوني من الباطنية وغيره - كان ينتظر الوحي من السماء، يقول القانوني: «إنه ذهب إلى مغارة ظلماء فدخلها، وصام، وجعل يستغيث، ويتضرع!! فسمع صوتاً من الله تعالى!!! يقول: قد سمعت تضرعك، واستجبتُ دعائك، فاخرج فأينما تؤم فأنت الأعلى!! هذا هو السبب - أي في ظهورهم - وعند خروجهم كانوا هم الأعلى بأمر الله، وحكموا الدنيا»<sup>(١)</sup>.

فانظر: - يا رعاك الله - كيف ينسب الباطني القانوني الوحيَ إلى هذا الكافر الذي أجمع العلماء على كفره، متناسيا كفرياته وشركياته، بسبب خلواته، وموافقته إياه في طياته!!.

وهؤلاء الباطنية أهل خبث وطوية، فهم قد لا يصرحون بنزول الوحي صراحة، إذا كان للإسلام صولة، خوفاً على أنفسهم، وخوف الفضيحة، فيسمون ما يأتي مشايخهم بالإلهام!!<sup>(٢)</sup>.

ومن اعتقادات الباطنية «أن النبوة لها ثلاث خصائص من قامت به فهو نبي!! فالنبوة عندهم لا تنقطع بل يبعث الله بعد كل نبي نبيا دائما!! وكثير منهم يقول إنها مكتسبة»<sup>(٣)</sup>.

وكان ابن سبعين يقول: «لقد زرب ابن آمنة، حيث قال: لا نبي بعدي!! وكان يطمع أن يصير نبيا، وذكروا أنه جدد غار حراء لينزل عليه فيه الوحي، كما يجيء بعض الناس يجدد بعض معابد المشايخ ليُفتح عليه كما فتح عليه»<sup>(٤)</sup>.

وابن عربي في رسالته "الإسراء إلى مقام الأسرى"<sup>(٥)</sup>، جعل لنفسه إسراء

(١) كتاب: فيه ما فيه للرومي ص ٥٤-٥٥، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٠٣.

(٢) أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٧.

(٣) الصفدية ٥/١، وانظر منها ٢٣٤/١، شرح الأصبهانية ص ٥٢٠، الدرر ٢٢/٥، الفرقان ص ٩١، المجموع ٢٤٤/١١.

(٤) الصفدية ٢٨٤/١.

(٥) وهي من الرسائل الكبيرة بالنظر إلى الرسائل الأخرى له، وهي مطبوعة ضمن مجموع رسائل ابن العربي المطبوعة في الهند، وقد أعيد طبعها بواسطة دار إحياء التراث العربي، بنفس الترتيب.

كإسراء النبي ﷺ، وأن الله ﷻ خاطبه، ويدعي أنه اجتمع مع المشايخ - أصحاب الولاية - وأنه علمهم التوحيد في ذلك الإسراء!!<sup>(١)</sup>.

وقد دلت النصوص الكثيرة، من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، على أن محمدا ﷺ خاتم النبيين، وتنوعت طرق الدلالة على ختم النبوة، بالمطابقة، والتضمن، والالتزام. وكبير الفلاسفة الباطنية ابن سينا يرى أن الدلالات اللفظية ثلاث، ف «اللفظ يدل على المعنى إما على سبيل المطابقة...، وإما على سبيل التضمن...، وإما على سبيل الاستتباع والالتزام...»<sup>(٢)</sup>.

فكيف يأتي بعد ذلك باطني فلسفي، أو باطني صوفي، أو باطني رافضي فيدعي عدم ختم الوحي، وقد صح ختمه بالدلالات اللفظية كلها!؟.

وادعى الباطنية باب الولاية، والتي بها يتوصلون إلى الإلهام والمكاشفة والوحي، ومن ثم تفضيل أئمتهم وأوليائهم على الأنبياء، «وتفضيل الولاية على النبوة، والسكر على الصحو، شبيه بترجيح الكفر على الإسلام، والجهل على العلم؛ فإن كلا من الكفر<sup>(٣)</sup> والجهل مناسب لمقام الولاية، وكلا من الإسلام والعلم مناسب لمرتبة النبوة»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الصفدية ٢٦٦/١، بل إنه في رسالة الإسراء زاد على إسراء النبي ﷺ بأن جعل لنفسه مقامات كثيرة يخاطب فيها: البحر المسجور في المقامات العليا (كما في ص ١١)، وساء الوزارة وهي الأولى (ص ١٢)، وساء الكتابة وهي الثانية خاطب فيها عيسى!! (ص ١٥)، وساء الشهادة، وهي الثالثة خاطب فيها يوسف!! (ص ١٨)، وساء الإمارة، وهي الرابعة وخاطب فيها إدريس!! (ص ٢١)، وساء الشرطة، وهي الخامسة وخاطب فيها هارون!! (ص ٢٣)، وساء القضاة، وهي السادسة وخاطب فيها موسى!! (ص ٢٥)، وساء الغاية، وهي السابعة وخاطب فيها إبراهيم!! (ص ٢٨)، وسدره المنتهى (ص ٣٤)، وحضرة الكرسي!! (ص ٣٤)، والرفارف العليا!! (ص ٤٥)، ومناجاة قاب قوسين!! (ص ٥٠)، ومناجاة أو أدنى!! (ص ٥٤)، وآيات مناجاة الإمام أبي حامد!! (ص ٥٧)، ومناجاة اللوح الأعلى!! (ص ٥٨)، ومناجاة الرياح، وصلصلة الجرس، وريش الجناح!! (ص ٦٠)... وهكذا وهي كثيرة، وبالخرافات مليئة، وبالكفريات جدية.

(٢) الإشارات لابن سينا ٢٧/١.

(٣) في المطبوع (الفكر) والسياق يدل على أن المراد (الكفر).

(٤) موقف العقل والعلم والعالم ٢٧٧/٣.

وقد كان المختار بن أبي عبيد الثقفي في أول أمره كان يزعم الصلاح، ثم النصره لآل البيت، وآل أمره أن كان « يزعم أن جبرائيل يأتيه بالوحي!! »<sup>(١)</sup>.

ومعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الوحي قد انقطع، بإرسال محمد ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء. والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها:

قال الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قوله ﷻ: ﴿ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٩٣﴾ [الأنعام: ٩٣] وهؤلاء الباطنية منهم من يقول كذبا: هذا من الله، ومنهم من يقول كذبا أوحى إلي، ومنهم من يقول: أنزل علي كما أنزل على نبي العرب!! « وقد جمع الله هؤلاء... فذكر سبحانه من يفتري الكذب على الله، ومن يقول أنه يوحى إليه، ومن يزعم أنه يقول كلاما مثل الكلام الذي أنزله الله »<sup>(٢)</sup>.

ولهذا فإن أديعاء النبوة يكثرون في هذه النحل الباطنية، وقد ظهر في القرن الماضي ادعاء للنبوة من قبل ميرزا حسين علي المازندراني<sup>(٣)</sup>، وزعم الوحي، وأنه جاءه كتاب جديد ودين جديد!! وهذا هو الحق؛ فهم لا يمتنون إلى الإسلام بصلة، ولا يعرفون منه إلا الاسم<sup>(٤)</sup>.

وقد ادعى في هذا القرن من الفرق الغوية التي هي وليدة الباطنية "القاديانية"، وتسمي نفسها بالأحمدية أيضا، وزعم ميرزا غلام أحمد القادياني<sup>(٥)</sup> أنه قد أوحى إليه!!

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٢٢٦، وانظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣١-٣٢، منهاج السنة ٢/ ٦٨-٦٩.

(٢) الدرء ٥/ ٢٠٩.

(٣) ولد في إيران عام ١٢٣٣ هـ ونشأ بها ثم ادعى أنه يوحى إليه.

(٤) انظر: مجلة البحوث العلمية ٢٧/ ٣٤٣ من قرارات المجمع الفقهي.

(٥) توفي سنة ١٨٦٧ م

« وزعم أنه قد نزل عليه الوحي، وأوحى إليه أكثر من عشرة آلاف آية!! »<sup>(١)</sup>.

فإذا كان هذا اعتقادهم في الوحي، فما يكون موقفهم من القرآن الكريم؟! هذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) مجلة البحوث العلمية ٢٦ / ٣٣١ مما ذكره أصحاب الفضيلة العلماء في المجمع الفقهي، وذلك نقلا عن

كتبهم.

### المبحث الثالث: اعتقاد الباطنية في القرآن الكريم

**المطلب الأول: أن القرآن منسوخ، ولا يعمل به.**

إن الباطنية كثيرا ما تراهم يخالفون شرائع الإسلام الظاهرة، وما ذلك إلا بسبب عدم اعتقادهم انقطاع الوحي، وأن شرع محمد ﷺ قد نسخ. وذلك إما بالقول فيها صراحة، أو بالتأويل الفاسد المفضي إلى القول بنسخها، والاستعاضة عنها بخليط من الأفكار الفلسفية، والأقوال الفارسية، أو ما يمليه عليهم مشايخهم.

وقد صرحت فرق بأن القرآن الكريم منسوخ بكتبهم المتحلة، فهؤلاء البهائية يعتقدون أن "الأقدس" - وهو أهم كتبهم - ناسخ للقرآن الكريم!! مع أنه في (٢٢) صفحة بالخط الكبير!!<sup>(١)</sup>.

والدروز من الباطنية نسخوا أركان الإسلام، واعتاضوا عنها بما زعم أنه سبع خصال توحيدية!! ويرون أن هذه الخصال تغني عن الصلاة الشرعية، وعن الصيام، والحج، ويوجبون على الأتباع أن يعرفوا أن أول المفترضات عليهم معرفة من زعموا له الربوبية، وهو الحاكم بأمر الله العبيدي!! وغير ذلك من الافتراءات<sup>(٢)</sup>.

وربما خافوا التصريح بأنه منسوخ، فيقولون: إنه محكم في حق العوام وجمهور المسلمين، وأما المحققون منهم، كالأولياء، والأغوث، والأقطاب!! فإن الشريعة في حقهم مرفوعة، والأقلام في جنابهم محفوفة!!! وهذا قول بنسخ القرآن الكريم، والشرع

(١) انظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٥٩ - ٦٠، بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٨٤.

(٢) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٢٧٦ وما بعدها.

القويم، بأسلوب ماكر أئيم، ومعلوم لدى العامة والخاصة من أهل الإسلام: «أنه لا يبلغ ولي درجة الأنبياء أصلاً، ولا يصل العبد إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهي»<sup>(١)</sup>.

ومن تليساتهم أنهم يرون رفع القلم عن المكلفين، وهذا معلوم أنه نسخ في الدين، ولكن بطريقة غير صريحة، حتى لا ينفر العوام، ولا يسقط قدره بين الأنام، قال ابن الجوزي رحمه الله مبينا بعض اعتقاداتهم فهم يقولون: «الأغلال هي تكليفات الشرع، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف، واستراح من أعبائه!!»<sup>(٢)</sup>، وقالوا: من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها!!<sup>(٣)</sup>.

واليزيدية من الإباضية تعتقد بأن شريعة الإسلام تُنسخ في آخر الزمان<sup>(٤)</sup>.

والباطنية بجميع فرقها لا تتدين بالشريعة السمحاء، حتى في العبادات الظاهرة التي نقلت بالتواتر علماً وعملاً، دليلاً وتطبيقاً، فلا يعتقدون بوجوب الصلوات الخمس، ولا الزكاة، ولا الصيام، ولا الحج إلى البيت العتيق، ولا تحريم المحرمات من الخمر، والميسر، والزنا<sup>(٥)</sup>. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم إيمانهم بها، أو أنها منسوخة!! وأن الناسخ لها هو أحد أئمتهم الذين اطلعوا على اللوح!! وعلى الأسرار الإلهية فمحا عنهم هذه الأمور، ورفع عنهم الحجب والستور!!.

ومن هذا اعتقاد بعضهم أن الشريعة لا تلزمه، وهذا نوع نسخ ولا ريب، ويعتقد الباطنية - أنهم «يصلون إلى مقام لا يعتقدون فيه إيجاب الواجبات، وتحريم المحرمات، وإنما يرون الإيجاب والتحريم للمحجوبين عندهم»<sup>(٦)</sup>.

حتى يقولون إذا سئلوا: «ما الفرق عندكم بين الزوجة، والأجنبية، والأخت،

(١) العقائد السفية ص ٣٣، مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٢) تلييس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٤، منهاج السنة ٢/ ٥٠٩.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق ص ١١.

(٥) انظر: الصفدية ٤/ ١.

(٦) المجموع ٢/ ٨٢، انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٩٧.

الكل واحد؟! قال: لا فرق بين ذلك عندنا، وإنما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراماً؛ فقلنا حرام عليهم عندهم، وأما عندنا فما ثم حرام»<sup>(١)</sup>.

وقد صرحت الإسماعيلية من الباطنية بأن شرع محمد ﷺ قد نسخ!!! وأن محمد بن إسماعيل قد نسخ شرع محمد بن عبد الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وكان من أتباع الباطنية من يقول: «قد أبحنا لكم كل ما تشتهونه من فرج، ولحم، وشراب، ونسخنا عنكم العبادات؛ فلا صوم، ولا صلاة، ولا حج، ولا زكاة!!!»<sup>(٣)</sup>.

يقول شاعر الإسماعيلية مدعياً نسخ شريعة محمد ﷺ:

تولى نبي بني هاشم	وجاء نبي بني يعرب
أحل البنات مع الأمهات	ومن فضله زاد حل الصبي
لكل نبي مضى شرعة	وهذي شريعة هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلا	ة وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي	وإن صاموا فكلي واشربي <sup>(٤)</sup>

والفرق الباطنية لا زالت تسير على هذا الخطى، فهذه الباطية زعمت أن للباب السلطنة في تغيير أحكام الشرائع الإلهية، وأنه أتى بعبادات مبتدعة لأتباعه!!!<sup>(٥)</sup>.

(١) المجموع ٢/ ٢٤٤، وانظر: الصفدية ١/ ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) انظر: منهاج السنة ١/ ٤٨٢، الدرء ٥/ ٢٢، الصفدية ١/ ٢٣٤، نقض المنطق ص ١٣٣.

(٣) الدرء ٥/ ٢٣.

(٤) الحركات الإسلامية للخطيب ص ٦٦.

(٥) نقل هذا عنهم العلماء في قرارات المجمع الفقهي، كما في مجلة البحوث العلمية ٢٧/ ٣٤٤.



## المطلب الثاني: اعتقادهم أنّ النبي ﷺ مرسل إلى العرب خاصة.

النبوة عند هؤلاء الباطنية، وإخوانهم من الفلاسفة ومن قارهم من الصوفية الغلاة، مكتسبة؛ فيمكن عندهم أن يصل الإنسان إلى درجة النبي بالريضة، والتأله، والصفاء!! فصار كثير منهم يطلب النبوة، ناسين أو متناسين أن محمدا ﷺ خاتم الأنبياء، ومنهم من يقول: إنه أرسل إلى العرب خاصة، كما « جرى للسهروردي المقتول، ولا بن سبعين، ولهذا كان ابن سبعين يقول: لقد زدت في حديث: قال [لأنبي بعدي] <sup>(١)</sup> نبي عربي!! <sup>(٢)</sup> ».

ولهذا كان من أصول إخوان الصفا أن الشريعة عربية، ولهذا قالوا في اجتماعاتهم السرية: « متى انتظمت الفلسفة اليونانية، والشريعة العربية؛ فقد حصل الكمال!!... » <sup>(٣)</sup> . ومعلوم أن النبي ﷺ مبعوث إلى العرب والعجم، بل والإنس والجن، والأدلة أظهر من أن تذكر، وأشهر من أن تورده، ولكن أذكر ما يكون به الذكرى، ومن تلکم الأدلة:

١- أن الله ﷻ أخبر أن محمدا ﷺ رسول إلى الناس كافة، فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبا: ٢٨] فهو ﷺ مبعوث إلى الناس كافة، ويؤكد هذا قوله ﷻ: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨] على قول أن كافة مفعول لـ (ادخلوا)، ويؤكد ذلك أن كافة الخلق مخاطبون بشرع محمد ﷺ قوله ﷻ: ﴿ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [التوبة: ٣٦] فلما أمر ﷺ بقتال المشركين كلهم دل ذلك على أنهم مخاطبون بشرعه. <sup>(٤)</sup>

(١) الحديث رواه الإمام البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب/ ما ذكر عن بني إسرائيل، ح (٣٤٥٥)، والإمام

مسلم، كتاب الإمارة، باب/ وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، ح (١٨٤٢)، كلاهما عن أبي هريرة ؓ.

(٢) شرح الأصبهانية ص ٥٠٣.

(٣) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٣١.

(٤) انظر: حجة الله البالغة للدهلوي ١/ ٢٣٠.

٢- أن الله ﷻ أخبر أن محمدا ﷺ رسول إلى الناس جميعا، فقال: ﴿قُلْ يَتَّيْهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ولما كان ﷺ رسولا إلى الناس جميعا كان يحمل همهم، ويتمنى إيمانهم جميعا فقال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

٣- أن الله ﷻ خاطب أهل الكتاب بأن يؤمنوا به ﷻ، فغيرهم من باب أولى. وقد كانوا قريبي العهد من دين سماوي، ومع ذلك أمروا باتباع محمد ﷺ فدل أنه إلى الناس أجمعين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال: ﴿يَتَّيْهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ تَلْعَمَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧]، وقال: ﴿يَتَّيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نُزِّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

٤- أن التكذيب برسول واحد تكذيب بجميع الرسل، فمن ادعى أن محمدا ﷺ ليس رسولا إلا إلى العرب خاصة، فقد كذب بما جاء به، وبما أرسل به؛ فلا ينفعه إيمانه بنبي بعد ذلك، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، وقوله: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] فتكذيبهم لنوح تكذيب لجميع الأنبياء، وهكذا التكذيب بمحمد ﷺ وبما جاء به تكذيب لغيره من الأنبياء.

٥- أن الله ﷻ أخبر أنه لا يقبل من أحد دينا سوى الإسلام، وهو الدين الذي جاء به محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، «فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشارك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده، وهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت»<sup>(١)</sup>.

٦- قول النبي ﷺ: [وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس عامة].

٧- أنه ﷺ خاتم النبيين؛ فمن كذب به؛ أو ادعى أنه لم يبعث إليه؛ فقد زعم أن الحجة غير قائمة عليه، ومعلوم أنه «خاتم الرسل، ليس بعده نبي ينتظر، ولا كتاب يرتقب، بل هو آخر الأنبياء»<sup>(٢)</sup>.

فلا يبقى بعد هذا أدنى حجة لقائل أنه ﷺ بعث إلى العرب خاصة.

(١) التدمرية ص ١٦٩.

(٢) المجموع ٥٩/٢٧.

## المطلب الثالث: تحريفهم النصوص.

والباطنية يزعمون لأئمتهم الخصوصية فلهذا أصبحوا يجيزون لهم أن يقولوا في المعلومات بالمستحيلات، دون معارضة أو مخالفة ولو كانت في البديهيات، ومعلوم أن الباطنية ليسوا مخصصين في شيء من العلوم الدنيوية فضلا عن الدينية<sup>(١)</sup>. ولهذا فإن تحريفاتهم هي من التكذيبات الصريحة للقرآن والسنة النبوية.

والباطنية حرفوا القرآن تحريفا لم يحرفه غيرهم، وهم في سراديب الروافض، وتعلموا من موائدهم، واستتروا بأسمائهم - وأولئك الحمقى لم يعرفوهم، أو عرفوهم ولم ينكروا عليهم - فكانت المتاعمة بينهم شديدة، وتحريفاتهم كبيرة<sup>(٢)</sup>.

وكان من الأسس التي وضعوها أن قالوا: إن الشريعة جاءت بالمتخيلات، وأن المراد حقائقها، ولهذا فكل صاحب نحلة يحرف المعنى الظاهر بما يريد، ويفسر اللفظ بما يظنه مفيداً!!!.

ومن تحريفاتهم لمعنى الشهادة ما جاء أن رجلا ركع منحنيا خاضعا للشمس التبريزي، « وقال بخلوص قلبي تام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن شمس الدين رسول الله!!! فلما سمع الناس هذا ثاروا به، وضجوا، وهموا بضربه، بل وتقدم أحدهم فضربه، فلما رأى الشمس هذا صرخ صرخة مات لها ذاك الضارب!! فخضع الناس له وبكوا، وعادوا عبيدا له!! فأخذ الشمس بيده - أي يد المنحني المتشهد له بالرسالة!! - وخرجا من السوق، وأداه إلى زاوية، وقال: له: اسمي أنا محمد، فكان عليك أن تقول: محمد رسول الله!!! لا يعرف الناس دينارا غير مختوم<sup>(٣)</sup>!! ».

ومن تحريفاتهم لنصوص الوعد والوعيد أنهم يزعمون أن اللجنة مفاتيحها بأيدي مشايخهم يقول الشمس التبريزي مادحا تلميذه وقرينه القانوني: « من أراد أن

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغداد ص ٢٣٣.

(٢) انظر: منهاج السنة ٣/ ٤٠٤-٤٠٥.

(٣) مناقب العارفين للأفلاكي ٢/ ٢٠٧، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٤٧.

يرى الرسول ﷺ، فلينظر إلى مولانا، فإن فيه حركات الرسول، وحاله...، والآن، فإن الجنة في رضا مولانا- أي الجلال الرومي القونوي-، وجهنم في غضبه!! إن مفتاح الجنة هو مولانا»<sup>(١)</sup>.

والباطنية أولوا أركان الإسلام، ومبانيه العظام، بما يوافق أهوائهم، ويسائر شهواتهم؛ فقالوا: إن الصلاة المراد منها أسرارنا، وموالة أئمتنا، والصوم: كتمان أسرارنا، والحج: زيارة مشايخنا!! وإدمان خدمتهم، والزنا عندهم هو إفشاء سرهم!!<sup>(٢)</sup>.

وقول هؤلاء الفلاسفة في الأعمال التي جاءت بها الأنبياء كقولهم في نصوص الصفات؛ فيقولون: إنها من باب التخيل، وأنها لا يحتاج إليها إلا العامة؛ وهذه هي طريقة الملاحدة، والإسماعيلية، ونحوهم<sup>(٣)</sup>.

فكذب الباطنية من أعظم الكذب على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ. وهذا بين لمن عرف حالهم، وقرأ مقالهم، بل إن القرامطة منهم أكذب «على الله مما فعل مسيلمة، وألحدوا في أسماء الله وآياته أعظم مما فعل مسيلمة، وحاربوا الله ورسوله أعظم مما فعل مسيلمة»<sup>(٤)</sup>.

وهؤلاء الباطنية يخالفون النصوص كلها: العلمية منها والعملية؛ ف«ينكرون ظواهر الأمور العملية، والعلمية جميعاً»<sup>(٥)</sup>، وأما غير هؤلاء فلا ينكرون العمليات الظاهرة المتواترة، لكن قد يجعلونها لعموم الناس لا لخصوصهم، كما يقول ذلك في الأمور الخبرية»<sup>(٦)</sup>.

(١) مناقب العارفين للأفلاكي ١/ ٤٩٥، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٤٨.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٣، الصفدية ١/ ٢٧٦، منهاج السنة ٢/ ٥١٣، التدمرية ص ٤٨.

(٣) المجموع ٥/ ٣٢.

(٤) المجموع ٣٥/ ١٤٤.

(٥) وقد رأيت كثيرا من البهائية؛ فلا تعرفهم بالإسلام، لا اعتقادا، ولا عملا، فليس لهم من الإسلام إلا الاسم، وأما القرآن فلا يعرفونه حتى رسا.

(٦) نقض المنطق ص ٨٤.

ومن تحريفاتهم: تفسيرهم قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢] أنه علي عليه السلام!!، ويفسرون قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَلَىٰ لَهْبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] بأنهما أبو بكر وعمر عليهما السلام!!، ويفسرون قوله تعالى: ﴿فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢] أنهم طلحة، والزبير....!!<sup>(١)</sup>.

ومن تحريفاتهم الغوية وأقوالهم الباطنية، التي يستدلون بها على الأقوال الحلولية الباطنية<sup>(٢)</sup>، قولهم: «إن الحق المنزه هو الخلق المشبه، فالأمر الخالق المخلوق!! والأمر المخلوق الخالق!! كل ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة!! وهو العيون الكثيرة: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصفات: ١٠٢]، ﴿يَتَأْتَبِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصفات: ١٠٢]، والولد عين أبيه؛ فما رأى يذبح سوى نفسه!! ﴿وَقَدَيْنَهُ يَذْبَحْ عَظِيمٍ﴾ [الصفات: ١٠٧]، فظهر بصورة كبش!! من ظهر بصورة إنسان!! وظهر بصورة لا بحكم ولد من هو عين الوالد!! ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ﴾ [النساء: ١]، فما نكح سوى نفسه!!<sup>(٣)</sup>، تعالى الله عما يقولون وعما يحرفون في آياته - علوا كبيرا<sup>(٤)</sup>.

ولما اعتقدوا أن فرعون لا يعذب حرفوا الآيات، وغيروا معاني القرآن؛ فقالوا زعما: «إنه ليس في القرآن ما يدل على عذابه، بل فيه ما ينفيه!! كقوله: ﴿أَدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، قالوا: فإنما أدخل آله دونه! وقوله: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨] قالوا: إنما أوردتهم، ولم يدخلها!!<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: المجموع ١٣/٢٣٧.

(٢) وهؤلاء الحلولية الاتحادية باطنية ولا شك، وهم موافقون للقرامطة في كثير من الوجوه. انظر: شرح الأصبهانية ص ٤٦٤-٤٦٥.

(٣) المجموع ٢/١٢٢-١٢٣، وقد نقله عن كتاب "فصوص الحكم لابن عربي الضال الحلولي"، وانظر تحريفات أخرى لهم، كما نقلها شيخ الإسلام رحمته الله في منهاج السنة ٢/٥٠٤-٥٠٥، المجموع ٢/٢٦٥، ٢٣٨/١٣.

(٤) وانظر بعض تحريفاتهم ما ذكره شيخ الإسلام في المجموع ١٣/١٩٤ وما بعدها.

(٥) المجموع ٢/٢٧٩.

فيقال لهؤلاء المغرورين بأمثال هؤلاء: إما القرآن، وإما أقوال هؤلاء أهل البهتان؟!<sup>(١)</sup> وأما تعظيم القرآن مع تعظيم هؤلاء وتعظيم أقوالهم فجمع بين النقيضين، جمع بين التوحيد والشرك، وهو غير ممكن، فليختر العاقل أين يكون؟.

ومعلوم عند أهل الإسلام كفر فرعون، ودخوله النار، بل هو معلوم عند جميع الملل يهودهم ونصرانيهم، إلا عند هؤلاء الباطنية الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه. ولما فتح باب التحريف والقول بالباطن « صار بعضهم يقول: الإمام المبين: علي بن أبي طالب!!، والشجرة الملعونة في القرآن: بنو أمية!! والبقرة المأمور بذبحها: عائشة!! واللؤلؤ والمرجان: الحسن والحسين!! »<sup>(٢)</sup>.

وقد حاولت الفرق الباطنية كالإسماعيلية والقاديانية ترجمة القرآن الكريم ترجمة مخرفة أخرجت كتاب الله ﷻ عن مقاصده التي دعى إليها<sup>(٣)</sup>.

ومهما حاول الباطنيون تحريف كتاب الله ﷻ، أو تغيير دين الله ﷻ فإنهم لن يستطيعوا؛ فإن الله ﷻ حارس دينه، وحافظ كتابه، وقد ضمن الله ﷻ ذلك بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] « أخبرنا الله تعالى في هذه الآية أنه أنزله، وأنه تولى حفظه، وهذا كتاب الله محفوظ بحفظه، لا يقدر أحد على تغيير كلمة واحدة من لفظه، على كثرة من سعى في تغييره؛ فأطفاً الله نوره، لا سيما القرامطة فإنهم كانوا قد أجمعوا كيدهم، واستنفدوا في تغييره وتحريفه جهدهم، ولم يزل كذلك دأبهم ودأب غيرهم من أعداء الدين، وعتاة الملحدين، ويأبى الله إلا أن تعلق كلمته، وتظهر شريعته »<sup>(٤)</sup>.

ومن شدة تحريفات الباطنية للنصوص الشرعية حرّم العلماء - رحمهم الله - النظر في كتبهم، نظراً لتليساتهم، وخوفاً على الأمة من تحريفاتهم، وقد سئل ابن الصلاح رحمه الله عن كتب ابن سينا فحرم النظر فيها، وقال: « من فعل ذلك، فقد غرر

(١) انظر: المجموع ١٣/ ١٩٢-١٩٣.

(٢) شرح حديث النزول ص ٤٢٧، المجموع ٥/ ٥٥١.

(٣) ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل بعض الفرق الضالة للشيخ يوسف الهمداني ص ٣٨ وما بعدها.

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام.. للقرطبي ١/ ٣٤١.

بدينه، وتعرض للفتنة العظمى، ولم يكن - أي ابن سينا - من العلماء، بل كان شيطانا من شياطين الإنس، وكان حيرانا في كثير من أمره»<sup>(١)</sup>.

وهكذا كل باطني يحاول تحريف آيات القرآن لتوافق مذهبه، فهذا باطني العصر القادياني يحرف آيات القرآن الكريم لتوافق ادعائه بأنه المسيح الموعود!! وضمن هذه التحريفات في كتابه الموسوم "شهادة القرآن!!"<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي رحمه الله في بيان سبب منع التفسير بالرأي: «أحدها: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه، ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى... ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به...، وتستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغريب الناس، ودعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة، فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة»<sup>(٣)</sup>.

فتحريفات الباطنية «من أشد وأنكى ما يصاب به الإسلام والمسلمون، لأنها تؤدي إلى نقض بناء الشريعة حجرا حجرا، وإلى الخروج من ربة الإسلام، وحل عراه عروة عروة، ولأنها تجعل القرآن والسنة فوضى فاحشة، يقال فيهما ما شاء الهوى أن يقول»<sup>(٤)</sup>، كأنهما لغو من الكلام، أو كلاً مباح للبهائم والأنعام. وأخيراً ينفرط عقد المسلمين، ويكون بأسهم بينهم من جراء هذا العبث بتلك الضوابط الدينية الكبرى، والحواظ الأدبية العظمى، مادام لكل واحد أن يفهم من القرآن ما شاء له الهوى والشهوة دون اعتصام بالشريعة، ولا التزام لقواعد اللغة، لم يعد القرآن قرآناً، وإنما هما الهوى والشهوة فحسب»<sup>(٥)</sup>.

(١) فتاوى ابن الصلاح ص ٢٠٨.

(٢) انظر: مجلة البحوث العلمية ٢٦ / ٣٣٢ من قرارات المجمع الفقهي خروج هذه النحلة من فرق الإسلام، بل اعتبرت الحكومة الباكستانية القاديانية فئة غير مسلمة، وأنها أقلية في البلد.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦ / ١.

(٤) في المطبوع: (أن يقال).

(٥) مناهل العرفان ٢ / ٨٣-٨٤.



### المبحث الرابع: استهانتهم بالقرآن

#### المطلب الأول: استخفافهم بالقرآن.

مما يدل على عدم تعظيم الباطنية للقرآن أن من أهدافهم، ومن أهم مهمات دعوتهم، تشكيك الناس في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، فكيف يكونون له معظمين؟؟.

ثم إن الباطنية لا تعتقد بأن القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ. فهذه الإسماعيلية تعتقد بأن الوحي إنما يكون من القلم بالوسائط المتعددة، «وبالتالي فالقرآن مستمد من سلسلة الحدود العلوية التي أولها السابق - العقل الأول - لذلك فالقرآن ليس كلام الله!!»<sup>(٢)</sup>.

وتعتقد القرامطة أن القرآن الكريم إنما هو لفظ محمد ﷺ، «فهم ينكرون أن يكون الوحي من الله إلى الأنبياء عن طريق جبريل، وإنما يرون أن جبريل تعني عملية الفيض التي تفيض من العقل على النبي باعتبار أن النبي أو الإمام هو ممثل العقل في العالم السفلي!!»<sup>(٣)</sup>.

وإخوان الصفا من الباطنية يعتقدون بأن القرآن الكريم، المحفوظ من التحريف والتبديل، هو كالتوراة المحرفة والإنجيل المحرف!!<sup>(٤)</sup>.

والدروز من الباطنية تعتقد بأن القرآن إنما هو كلام سلمان الفارسي!! وأن الله لم

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٤، الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٦٢.

(٢) الحركات الإسلامية للخطيب ص ٩٦.

(٣) الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٦٢.

(٤) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٨٤.

يكلم موسى تكليماً، وأن ذلك لا يليق بالله!!<sup>(١)</sup>.

« وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي...، ولا بشيء من كتب الله المنزلة؛ لا التوراة، ولا الإنجيل، ولا القرآن<sup>(٢)</sup> ». والقرامطة هم الذين لما استولوا على مكة قتلوا الحجاج، وأخذوا الحجر الأسود<sup>(٣)</sup>، فأبي تعظيم يكون بعد ذلك منهم لدين الله ﷻ؟! ويطنون أن القرآن ما جاء بما يفي ويكفي خصوصاً في باب الاعتقادات. يقول ابن سينا: « لم يرد في القرآن من الإشارة إلى هذا الأمر الأهم شيء، ولا إلى صريح ما يحتاج إليه في التوحيد بيان مفصل، بل إلى بعضه على سبيل التشبيه في الظاهر، وبعضه جاء تنزيهاً مطلقاً عاماً جداً، لا تخصيص ولا تفسير له، وأما الأخبار التشبيهية فأكثر من أن تحصى، ولكن لقوم أن لا يقبلوه؛ فإذا كان الأمر في التوحيد هكذا؟؟ فكيف فيما هو بعده من الأمور الاعتقادية؟!<sup>(٤)</sup>؛ فإذا كان هذا اعتقاد منظر الباطنية في القرآن فكيف يتوقع منهم تعظيم للقرآن الكريم، أو عدم استخفاف بآياته؟؟ وقد ذكر شيخ الإسلام ﷺ أن منهم من يقول: إن الأنبياء ضيعوا الطريق!!<sup>(٥)</sup>.

أما استخفافهم بالقرآن من حيث عدم تعظيمهم له فهذا له صور كثيرة، وأذكر أهمها:

١- أنهم يحرفون نصوص القرآن كما يريدون، فهم يدعون « أنهم أعلم بالله من المرسلين!!...، ويفسرون القرآن بما يوافق باطنهم الباطل<sup>(٦)</sup> »، ولهذا هم كانوا مؤسسين لمذهب القول بأن القرآن جاء بما يشبه على العوام، وأن حقيقته على خلاف ذلك، كما قال ابن سينا: « فظاهر من هذا كله أن الشرائع واردة بخطاب الجمهور بما

(١) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٣٠٥.

(٢) المجموع ١٥٢/٣٥.

(٣) انظر: المجموع ١٥٠/٣٥، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/١٩٣.

(٤) الأضحوية ص ٥٤.

(٥) انظر: المجموع ٢٢٢/١٣.

(٦) المجموع ٢٣٨/١٣.

يفهمون، مقربة ما لا يفهمون إلى أوهامهم بالتمثيل والتشبيه!!<sup>(١)</sup>. ومن تليساتهم أن من كان من أتباعهم متمسكا بظاهر القرآن، قالوا له: إن هذه الظواهر لها أسرار، وبواطن، وأن المنخدع بظواهرها أحق، وإنما الفطنة في اعتقاد بواطنها، ثم يثون إليه عقائدهم، وينفثون فيه سموهم<sup>(٢)</sup>. قال ابن الجوزي رحمته الله: «ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها، إذ لو صرحوا بالنفي المحض، لقتلوا»<sup>(٣)</sup>، وقامت الباطنية البابية وأتباعهم بتأويلات لآيات القرآن العظيم غاية في الغرابة والباطنية، بتنزيلها على ما يوافق دعوتهم الخبيثة<sup>(٤)</sup>.

٢- منها أنهم لا يقرّونه، بل إن الباطنية كالقرامطة الذين لما ظهرت دولتهم كانوا يستنجون بالمصاحف!!<sup>(٥)</sup> ومنهم من يستعمل أوراقه بعد الاستخفاف به بالقاذورات ونحوه من أجل السحر، وهذا كفر صريح<sup>(٦)</sup>، ولما مكثوا في نواحي المغرب العربي كانوا يحرقون المصاحف والمساجد<sup>(٧)</sup>. ولذا لما مكثوا في طبرية خاف الناس منهم على المصحف العثماني فأخرج منها إلى دمشق صيانة له، وحفظا<sup>(٨)</sup>، وكان من استهانة هؤلاء الباطنية أن أحدهم كان يكتب اسم الله، أو اسم رسوله في مقعده!!<sup>(٩)</sup>.

٣- لما كانت عقائدهم مبنية على الكيد للإسلام والمسلمين، وهدم ما جاء به الشرع القويم؛ فإنه لا يتصور منهم تعظيم للقرآن الكريم، ولهذا «لا يتصور أن يأمرُوا بما أمرت به الأنبياء، وينهوا عما نهوا عنه؛ لأن ذلك يناقض مقصودهم، بل وإن أمرُوا

(١) الأضحوية ص ٥٩.

(٢) انظر: تليس إبليس لابن الجوزي ص ١١٧.

(٣) تليس إبليس لابن الجوزي ص ١١٨.

(٤) انظر: مجلة البحوث العلمية ٢٧/ ٣٤٤، وانظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٥٤.

(٥) انظر: المبسوط للسرخسي ٢٩/ ١٠.

(٦) انظر: حواشي الشرواني ٦٤/ ١٠.

(٧) انظر: الفرق بين الفرق للبغداد ص ٢١٨.

(٨) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٧٠.

(٩) انظر: المجموع ١٣٧/ ٣٥.

بالبعض في ابتداء الأمر من يخذعونه ويربطونه؛ فلا بد أن يناقضوا فيأمروا بما نهت عنه الأنبياء، ولا يوجبوا ما أمرت به الأنبياء»<sup>(١)</sup>.

٤- إعراضهم الكلي عن القرآن الكريم؛ فهم لا يتلونه، ولا يعملون به<sup>(٢)</sup>، ويوجد فيهم. وفي أتباعهم من ينفر عن القرآن، وعن الشرع، نفور الحمار من الأسد<sup>(٣)</sup>.

٥- ومما يدل على استخفافهم به أنهم لم يعملوا بشيء منه بل أولوا كل ما سنحت لهم فرصة، ومن ذلك تأويلهم أركان الإسلام ومبانيه العظام، وغير ذلك مما هو من شعائر دين الله ﷻ فقالوا: «الجنابة مبادرة المستجيب»<sup>(٤)</sup> بإفشاء السر!! ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك، ومعنى الزنا: نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد...!!<sup>(٥)</sup>، فأحلوا كل شيء لأنفسهم ولأتباعهم، إما بحجة أنه منسوخ، أو بحجة أنه ظاهر، والباطن خلافه، أو بحجة رفع القلم، لوصوله إلى درجة لا يلام!!<sup>(٦)</sup>.

٦- اعتقادهم أن القرآن غير كاف في الدلالة على الأمور الشرعية، ولهذا زعموا الحاجة إلى أقوال الفلاسفة، أو المجوس، أو الهندوس!!<sup>(٧)</sup>.

٧- ومما يدل على استخفافهم أنهم منعوا شرح القرآن - أعني السنة - أن تروى، فمنعوا من رواية الحديث الشريف في مصر إبان الحكم العبيدي عليها، بل كان المحدث يخاف أن يروي فيها شيئاً خوفاً من القتل، ولما بنوا مدارسهم في مصر كانوا لا يدرسون فيها علوم المسلمين، بل كان لا يدرس فيها إلا المنطق، والفلسفة،

(١) النبوات ص ١٩١.

(٢) وقد كلمت رجلاً بهائياً في هذه القضية؛ فقال: إن لنا كتباً خاصة بنا، وهذا القرآن لعلنا!!

(٣) المجموع ١٣/ ٢٢٤.

(٤) في المطبوع زيادة: (إفشاء المستجيب)، ولعلها زائدة.

(٥) تلييس إبليس لابن الجوزي ص ١١٨، وانظر: مناهل العرفان ٢/ ٨٣.

(٦) انظر: المجموع ٣٥/ ١٣٧.

(٧) انظر: الصفدية ١/ ٢٦٠.

والطبيعيات، ونحو ذلك!!<sup>(١)</sup>.

قالوا: إن لظواهر القرآن والأخبار التي جاءت فيه بواطن هي المطلوبة، وهي تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وإنما بصورها توهم الجهال الأغبياء صورا جميلة!! وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات لحقائق معينة!!<sup>(٢)</sup>، وقالوا: إن الظواهر عذاب، والبواطن رحمة!!<sup>(٣)</sup> وكيف لا يستهينون بالقرآن، وهم أصلا لا يثبتون لله تعالى أي صفة، لا سلبا ولا إيجابا<sup>(٤)</sup>.

ومن استخفافهم بالقرآن: نفهم للجنة والنار، ويقولون: إن كل ما ورد في القرآن من ذلك فإنما هو إشارات ورموز، ولا جنة ولا نار!!<sup>(٥)</sup> بل إن الباطنية قد قعدت قاعدة إبليسية وقالت: إن القرآن مشتمل على التشابهات؛ فلا يستفاد منه العلم المتعلق بالبريات!!<sup>(٦)</sup> بل إن استخفافهم بالقرآن الكريم أمر فوق التصور، إذ إن «أعمالهم تباين الإسلام بالمرة، فمحصول قولهم تعطيل الصانع، وإبطال النبوة والعبادات، وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم بل يزعمون أن الله حق، وأن محمدا رسول الله، والدين صحيح، لكنهم يقولون: لذلك سر غير ظاهر، وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ، وحسن لهم مذاهب مختلفة»<sup>(٧)</sup>.

ويتناول ابن عربي آيات الوعيد والتهديد الواردة في الكفار بما يشبه الاستهزاء بها، مع حسن تلاعب بالألفاظ، لكن لكون القرآن معظما عند الناس كان يتفوه بكلمات ملتوية تدل على مضادته للقرآن الكريم ومخالفته له<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر: المجموع ٣٥/ ١٣٨.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٩، لسان العرب ١/ ٤٣٤، المعجم الفلسفي ٢/ ١٩٤.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٨.

(٤) انظر: الحركات الباطنية ص ٢٢٣، إسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة ص ٢٥٠، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٤٩.

(٥) انظر: تليس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، الحركات الباطنية ص ٢٣٩، ٢٤٠.

(٦) انظر: أقاويل الثقات ص ٥٠.

(٧) تليس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، وانظر: المجموع ٣٥/ ١٥٢.

(٨) انظر: مقدمة كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص ٦٣.

ومن استخفافهم بالقرآن: أنهم لا يقيمون لشرائعه وزنا، ولا لأحكامه قيمة، إذ الحلال ما أحلوه، والحلال ما حرموه!!! ويقولون: إن الدين أغلال، في أعناق من لم يصل إلى اعتقاداتهم الفاسدة، وأما من وصل إلى ما يعتقدونه فلا غِل عليه<sup>(١)</sup>.

ومن استخفافهم: أنهم يجعلون التوحيد الذي جاء به محمد ﷺ والشرك سواء، ويؤولون آيات التوحيد بحسب اعتقاداتهم الباطنة المنحرفة، يقول ابن عربي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۚ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] «وقد أشرك المشركون معه الملائكة والنجوم والأناسي والشياطين والحيوانات والشجر والجمادات، فصارت الأحدية سارية في كل موجود، فزال طمع الإنسان من الاختصاص، وإنما عمت جميع المخلوقات الأحدية للسريان الإلهي الذي لا يشعر به خلق، إلا من شاء الله، وهو قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقضاؤه لا سبيل أن يكون في وسع خلق أن يردوه!! فهو ماض نافذ فما عَبَدَ عابد غيره سبحانه، فإذا الشريك هو الأحد!!!»<sup>(٢)</sup> ويقول: «كل توحيد شرك!!! فلا يعول عليه»<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله ﷺ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٧] قال فيها ابن عربي مبينا أن العذاب ليس على ظاهره: «ليس الأمر كما توهمته، فإنه قد قرن الإبلas الذي هو البعد عند الفتح، فرحة الفتح أعطتهم البعد بذلك القدر، فهم في عذاب هو رحمة لمقارنة عذاب آخر»<sup>(٤)</sup>.

ومن استخفافهم بالقرآن أن بعض الباطنية سمع من أهل العلم فتوى بعدم جواز ذكر الله في الخلاء فقال: «يقولون: لا ينبغي أن يذكر اسم الله في بيت الخلاء، ولا يليق أن يقرأ فيه القرآن ولو همسا، ولكن ماذا أصنع اليوم بالقاذورات في أحشائي التي

(١) انظر: الحركات الباطنية ص ٣٩٠.

(٢) كتاب الألف (وهو الأحدية) لابن عربي ص ٣.

(٣) لا يعول عليه لابن عربي ص ١٠.

(٤) الياء لابن عربي ص ١٠، وانظر: التراجم لابن عربي ص ١٤-١٥، ١٧.

لا أستطيع منها فكاً كما؟!»<sup>(١)</sup>.

ولهذا يقول الفقيه ابن العربي المعافري راداً على هؤلاء وأمثالهم المتلاعبين بنصوص القرآن، وتفسيرهم له بغير حجة ولا برهان: «وأما علم الباطن، فقد ضلت فيه الأمم، فأوغلوا في هذا الباب وأوعدوا، حتى كفرت منهم طائفة لا يحكى قولها الآن لسخافتها، وتسورت عليه أخرى، وادعى كل واحد منهم: إن علمه في كتاب الله، ليحرص عليه من يطلبه»<sup>(٢)</sup>.

والذي أدى إلى هذا الاستخفاف بالقرآن من هؤلاء وغيرهم ممن يزعمون أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وظاهراً ومؤولاً، هو فتح باب التأويل (التحريف) الذي جاء منه الشر المستطير، وهذا ابن رشد يبين مفاصد فتح باب التأويل - مع أنه من أربابها - فيقول: «إن تأثيرها - أي: ظواهر النصوص - في نفوس الجمهور إنما هو إذا حملت على ظاهرها، وأما إذا أولت فإنها يؤول الأمر فيها إلى أحد أمرين:

إما أن يسلط التأويل على هذه، وأشباه هذه في الشريعة، فتتمزق الشريعة كلها، وتبطل الحكمة المقصودة منها.

وإما أن يقال في هذه كلها: إنها من المشابهات، وهذا كله إبطال للشريعة، ومحو لها من النفوس، من غير أن يشعر الفاعل لذلك بعظيم ما جناه على الشريعة»<sup>(٣)</sup>، ويقول عن هذه التأويلات الباطنية، والتحريفات الكلامية: «فهذه كلها كما تراه بدع حادثة في الاسلام، هي السبب فيما عرض فيه من الفرق، التي أنبأ المصطفى ﷺ، أنها ستفترق أمتة إليها»<sup>(٤)</sup>.

ويقول الشيخ مصطفى صبري التركي رحمه الله: «إن نصوص أحكام الإسلام ما كانت لتتخذ لعبة في يد أحد من الناس، يتلعب بها، ولن يعطى الحق لكائن من كان،

(١) مقالات التبريزي ١١٥ / ٢، نقلاً عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٨٨

(٢) قانون التأويل لابن العربي المعافري ص ١٨٥.

(٣) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٨٢.

(٤) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٨٣، وانظر منه ص ٨٥.

كي يضع اصطلاحات تخالف بيانات كتاب الله تعالى، وتضاده»<sup>(١)</sup>.

ومن استخفافهم بالقرآن الكريم أنهم يقتبسون منه في تركيب كلماتهم في غير السياق الذي نزلت من أجلها الآية، بل ويركبون كلامهم من آياتها، فاقراً هذا النص من مقدمة المثنوي للجلال الرومي القونوي، وهو يقول مادحا كتابه "المثنوي": « مثله نوره كمشكاة فيها مصباح، يشرق إشرافاً أنور من الإصباح، وهو جنان الجنان، ذو العيون والأغصان، منها عين تسمى عند أبناء هذا السبيل سلسبيلا، وعند أصحاب المقامات والكرامات خير مقاما وأحسن مقيلا، الأبرار فيه يأكلون ويشربون، والأحرار منه يفرحون ويطربون، وهو كنيل مصر للشاربين، وحسرة على آل فرعون والكافرين، كما قال تعالى: يضل به كثيرا، ويهدي به كثيرا!!! وإنه شفاء الصدور، وجلاء الأحزان، وكشاف القرآن!!!، وسعة الأرزاق!!! وتطبيب الأخلاق!!!»<sup>(٢)</sup>.

وأما تأويلاتهم الباطنية فما أكثرها، ومن جملة ذلك قولهم:

١- الصلاة: حضور القلب مع الله تعالى فقط!! وأما الصلاة الشرعية ذات الأركان فلا يعتدونها، ولا يقولون بها.

٢- الصوم: الجوع فقط!!<sup>(٣)</sup>.

٣- الكعبة هي النبي!! والباب علي، والطوفان: طوفان العلم!!<sup>(٤)</sup>.

ومن جملة ذلك تأويلهم الأسماء الحسنى كلها، ونفيها عن الله ﷻ على سبيل التنزه له عنها!! « وقد غلوا في ذلك، وبالغوا حتى قالوا: إنه لا يقال: أنه - أي الله ﷻ - موجود، ولا معدوم، بل قالوا: إنه لا يعبر عنه بالحروف، وقد جعلوا تأويلها: أن المراد بها كلها إمام الزمان عندهم، وهو عندهم المسمى الله، والمراد بلا إله إلا الله، وقد تواتر

(١) القيمة العلمية للمجهدين الجدد ص ١٢٥-١٢٦، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٦٤.

(٢) مقدمة كتاب المثنوي، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٣.

(٣) انظر: رسالة في ألفاظ الكفر لقاسم بن صلاح الدين الخاني، ص ٣٧٩، ضمن الجامع لألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١١٩، وانظر ما بعدها، مناهل العرفان ٨٣/٢.



هذا عنهم، وأنا ممن وقف عليه؛ فيما لا يحصى من كتبهم التي في أيديهم، وخزائنها، ومعاملهم التي دخلت عليهم عنوة»<sup>(١)</sup>.

ومن استخفافهم بالقرآن عدم الالتفات إليه تعلمًا، وتعليمًا، وتعبداً، ف «لا يعتنون بالقرآن، ولا بتفسيره، ولا بالحديث، وكلام السلف، وإن تعلموا من ذلك شيئاً؛ فلاجل تعلق الجمهور به ليعيشوا بينهم بذكره، لا لاعتقادهم موجه في الباطن، وهذا بخلاف طوائف المتكلمين؛ فإنهم يعظمون القرآن في الجملة، وتفسيره، مع ما فيهم من البدع»<sup>(٢)</sup>.

ومن استخفافهم بالقرآن إنكارهم لما جاء فيه من ذكر معجزات الأنبياء وآياتهم؛ فيحرفونها تحريفات ماكرة، أو يكذبون بها، «وربما جعلوها أمثالا؛ فقالوا: إنه ألقا عصا العلم؛ فابتلعت حبال الجهل وعصيه!! ونحو ذلك، كما يغلب الرجل الرجل بحجته!! وهذا من تأويلات القرامطة التي يعلم بالضرورة بطلانها، وأنها مخالفة للمنقول بالتواتر، ومخالفة لما اتفق عليه المسلمون»<sup>(٣)</sup>.

ومن استخفافهم بالقرآن الكريم قولهم عما جاء فيه بأنه: «رموز وإشارات إلى علوم باطنية، كما يقولون: إن الصلاة معرفة أسرارنا والصيام كتمان أسرارنا!!، والحج زيارة شيوخنا المقدسين!! ونحو ذلك»<sup>(٤)</sup>.

فهؤلاء الباطنية أعظم الناس كفرا، وأشد الناس ضلالا، فإنهم لما ادعوا العلم الباطني الذي يخالف ما عليه المسلمون، جاؤوا بالكفر الصريح، والنفاق القبيح، حيث إن مضمون هذا العلم الباطني، تحريف أوامر القرآن وتحريف نواهيه وتحريف أخباره، «أما الأوامر: فإن الناس يعلمون بالاضطرار من دين الاسلام أن محمدا ﷺ أمرهم بالصلوات المكتوبة، والزكاة المفروضة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير البيهقي ص ١٢٣.

(٢) المجموع ١٣/٢٠٦-٢٠٧.

(٣) الصفدية ١/١٣٨.

(٤) شرح الأصبهانية ص ٦٣٤، وانظر: المجموع ٣٥/١٣٣، ١٥٠.

العتيق. وأما النواهي: فإن الله تعالى حرم عليهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم، والبغي يغير الحق...، كما حرم الخمر، ونكاح ذوات المحارم، والربا، والميسر، وغير ذلك؛ فزعم هؤلاء أنه ليس المراد بهذا ما يعرفه المسلمون، ولكن لهذا باطن يعلمه هؤلاء الأئمة - الباطنيون -... الذين يقولون: إنهم معصومون!!...، وأما الأخبار: فإنهم لا يقرون بقيام الناس من قبورهم لرب العالمين، ولا بما وعد الله به عباده من الثواب والعقاب، بل ولا بما أخبرت به الرسل من الملائكة؛ بل ولا بما ذكرته من أسماء الله، وصفاته...»<sup>(١)</sup>.

فأي استخفاف بالقرآن أعظم من أن يُعتقد فيه أن كل ما فيه من أخبار وأوامر ونواهٍ، محرقة إلى المعاني المشتبهة!! وأن الحلال ما أحله مشايخهم!! والحرام ما حرمه أئمتهم!! والأخبار ما جاء به أصحاب نحلته!!.

ومن استخفاف بعضهم بالقرآن «دعواه أنه يقدر أن يعارض القرآن بخير منه!! ودعواه أنه من فاته الحج أنه يبني بيتا يطوف به!!...، إلى أمور أخرى توجب الكفر باتفاق المسلمين الذين يشهدون أن محمدا رسول الله: علماؤهم، وعبادهم، وفقهاؤهم، وفقراؤهم، وصوفيتهم»<sup>(٢)</sup>.

ومن استخفافهم بالقرآن «سؤالهم عن معاني حروف الهجاء، في أوائل السور... وزعموا أنه لا يعرف تأويلها إلا الإمام المعصوم... ويسألون عن معاني آيات استخفافا، وتدريجا، فإذا سمع الغر منهم هذه الأسئلة، ورجع إليهم في تأويلها، قالوا له: علمها عند إمامنا، وعند المأذون له في كشف أسرارنا؛ فإذا تقرر عند الغر أن إمامهم أو ما دونه هو العالم بتأويله، اعتقد أن المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها؛ فأخرجوه بهذه الحيلة عن العمل بأحكام الشريعة»<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة الأمر أن تفسير معاني القرآن الكريم عند هؤلاء الباطنية تغيير لمعاني

(١) المجموع ٣٥/١٣٢، وانظر منه ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) المجموع ٨/٣١٦، وذكر شيخ الإسلام أن الذي ادعى هذا القول هو الحلاج المقتول ردة.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٣٢-٢٣٣.

القرآن إلى الهذيان، و«أقل ما حولوا فيه التفسير إلى التغير، وهناك ما هو أشد وأفسد، حتى إن هذا الحال أعني ما رأيته من أن الصوفية الوجودية وأنصارهم يحرفون معاني كلام الله ورسوله، في سبيل تأييد مذهبهم تحريفا جليا، كان أول مُنبه إليّ على بطلان مذهبهم، كما رأيت أن مثل هذه التحريفات لا يصدر إلا من المضل المتعمد، أو الجاهل السيء الفهم؛ فإن كانوا ينسبون تلك المعاني المحرفة إلى باطن الكتاب أو السنة؛ فهي أحق عندي باسم الباطل منها باسم الباطن»<sup>(١)</sup>.

ومن «ذلك التحريف الفاحش أنهم يجعلون "رسلُ الله" في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] مبتدأ، و"الله" الثاني خبره!!، - فيكون المعنى: رسل الله هو الله - بناء على أساس وحدة الوجود الموجب لكون كل موجودٍ لله؛ فيكون رسل الله أيضا الله!!»<sup>(٢)</sup>.

فهذه بعض تحريفات الباطنية<sup>(٣)</sup> أهل وحدة الوجود - المعظمون عند جهلة المسلمين، وعند الصوفية على وجه الخصوص -؛ فكيف بالباطنية الإسماعيلية!!.

ومعلوم أن «النصوص تحمل على ظواهرها، والعدول عنها إلى معانٍ يدعيها أهل الباطن إلحاد»<sup>(٤)</sup>.

ويزعمون أن حالهم، وما عليه مشايخهم، أفضل مما عليه الأنبياء، حتى يقول التلمساني: «القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله!!»<sup>(٥)</sup>.

ومن استخفافهم بالقرآن الكريم، وبالدين القويم، قول بعضهم: «المسجد: اصطبيل البطالين، ويقرؤون القرآن: وما أرسلناك إلا رحمة للمدمنين!! وألوان هذا

(١) موقف العقل والعلم والعالم ٢٦٣/٣.

(٢) موقف العقل والعلم والعالم ٢٦٣/٣.

(٣) انظر: تحريفات أخرى، وتليسات شتى كما ذكره عنهم صاحب كتاب: موقف العقل والعلم والعالم

٢٦٤/٣ وما بعدها، مع الرد عليهم.

(٤) فتح البيان لصديق حسن خان ١٢/١، نقلا عن النسفي.

(٥) المجموع ٦٦/٢، وانظر منه ١٨٦/١٢.

الجنس الذي فيه استهزاء بالله وآياته، ورسوله، مع تعظيمهم شيخهم، وغلوهم فيه، وكذلك النصيرية، والإسماعيلية، ونحوهم، وكثير من طوائف متعددة»<sup>(١)</sup>.

وفي أشعار الغلاة من الصوفية من سب النبي ﷺ وسب الإسلام وسب القرآن ما لا يرضاه مسلم<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان هذا حقيقة حالهم مع القرآن؛ فكيف يتصور منهم الاعتماد عليه في العقائد؟! وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

(١) الرد على البكري ٢/ ٦٧٢، ولا شك أن هذه الطوائف المتعددة إنما يجمعها الطابع المشترك، وهو الخروج على الشرع بالقول الباطني.

(٢) انظر: المجموع ١/ ١٠٧.

## المطلب الثاني: عدم اعتماد الباطنية على القرآن الكريم.

ولما اعتقدت الباطنية بأن القرآن قد جاء بالتخييل، وكان منهم من قال بنسخه، أو نسخ بعض أحكامه، لم يعتمدوا عليه، لا في باب الإيمان، ولا في غيره. وقالوا: إن الكتاب والسنة والإجماع لا يحتاج بهما في باب الإيمان بالله وباليوم الآخر، ولهذا لا يعتمدون على الكتب الإلهية<sup>(١)</sup>.

فلا يصدر عن عقائدهم عن القرآن الكريم، والشرع القويم: فالقرآن فيه إثبات خالق ومخلوق، وعابد ومعبود، وهؤلاء لا يشبثون إلا الحلول، أو الاتحاد، أو وحدة الوجود. يقول ابن عربي في إثبات وحدة الوجود: «وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد، وهذه الآية التي في كل شيء التي تدل على وحدانية الله، هي وحدانية الشيء، لا أمر آخر، وما في الوجود شيء من جمال غيره»، ويقول: «ولهذا إذا ضربت الواحد في الواحد لم يتضعف، ولم يتولد منهما كثرة، لأنها ما هو!! فإنك ضربت الشيء نفسه في نفسه، فلم يظهر لك سوى نفسه، فاضرب أنا في أنا يخرج لك في الخارج أنا»<sup>(٢)</sup>. ويقول: «وهكذا الوجود كله هو واحد في الحقيقة، لا شيء معه، ولهذا ما ألطف إشارة الشرع ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧] فالشاهد هو الهو والقلب والسمع!!!»<sup>(٣)</sup>.

وإن تأويلاتهم لا نهاية لها، فانظر ماذا يقولون: «عبدني خرق لك الحجاب، وأظهرت لكل الأمر العجيب، حتى أتيت قومك باللباب، ﴿فَقَالُوا سَجِرٌ كَذَّابٌ﴾، عبدني وهبتك أسرار الأخلاق، وملكتك مفتاح اسمي الخلاق، فقال لك الكافرون: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا آخِثَلَقٌ﴾، عبدني ملكتك سر النون، من قول كن فيكون، فقالوا: ﴿سَاحِرٌ

(١) انظر: الدرء ٥ / ٢١.

(٢) كتاب الألف (وهو الأحدية) لابن عربي ص ٤، ٥.

(٣) الجلالة لابن عربي ص ٩.

أَوْجَحُونَ<sup>(١)</sup>، عبادي أنيتهم بأسرار الكوثر، فقالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾...<sup>(١)</sup>.

وجاء القرآن مبينا للربوبية وما يجب للرب ﷻ، وما يستحقه من الألوهية، وفي إثبات النبوة، وأهمية العلم، وهؤلاء يقولون: «للمروبية سر لو ظهر لبطلت النبوة»، ذلك لأن السر بزعمهم هو: أن المرسل عين المرسل!!! وقالوا: «وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم»، لأن السر عندهم أن كل صاحب دين على ما هو عليه، وإنما جاء الرسل لأهل الظاهر، فإذا كان كذلك بطل التمايز بالعلم!! وقالوا: «وللعلماء بالله سر، لو ظهر لبطلت الأحكام»<sup>(٢)</sup>، لأنهم يرون أن من وصل رفع عنه التكليف فتبطل الأحكام في حقهم!!!.

قال شيخ الإسلام ﷺ مبينا أنهم لا يعتمدون على الكتاب والسنة، بل على مخالفتها: «ويقولون: نطق الكتاب والسنة بشئ من الوجود، والوجود واحد لا ثنوية فيه، ونحو ذلك من المقالات التي هي أعظم الكفر والإلحاد»<sup>(٣)</sup>.

ولا يعتمدون على أحكام القرآن، فلذلك يحرمون ما يشاؤون، ويحلون ما يشاؤون، بل ويتكلمون في آياته بما يريدون. فهذا أحد الباطنية من أتباع المولوية يجعل الرباب والضرب به حلالة مثل عصا موسى، فيقول عن رباهم الذي به يقيمون الحفلات الصوفية والليالي الماجنة: «وربانا هذا، كان في السابق قطعة خشب ملقاة في جانب، لا يلتفت إليها، فاختار مظهر سر المصطفى!! وموسى الزمان!! مولانا - الجلال الرومي - هذه القطعة الخشبية، ونظر إليها نظرة عناية، فتحولت قطعة الخشب هذه في يده ثعبانا تلقف كل حبال خيال أصحاب الخيل... فيبتلع في نفس واحد جميع علومكم العقلية وأحكامكم!!!... إن نظرة من إكسير نظره، بدلت حرمة إلى الحل!! وأصبح الرباب مقبول أهل القبول!!!»<sup>(٤)</sup>.

(١) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص ٧٢-٧٣.

(٢) رسالة ضمن رسالة ابن عربي للرازي (متمم) ص ٩.

(٣) الصفدية ٢/ ٢٢٤.

(٤) مناقب العارفين للأفلاكي ٢/ ٣٤٩ - ٣٥١، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٠٠.

ومما يدل على عدم اعتمادهم على الشرع، أن القونوي وهو في حفلة رقص ورباب، دخل عليه أحد أعزائه، فقال له: «بدأ المؤذن في آذان الظهر، ففكر هنيهة ثم قال: لا، لا، فكما أن ذاك الصوت يدعو إلى الحق، فكذلك هذا الصوت - يعني الرباب - يدعو للحق أيضا!! ذاك يدعو ظاهر الإنسان، والمشهد منه لوظيفته، أما صوت الرباب فيدعو باطنه، والخفي منه إلى محبة الحق ومعرفته»!!<sup>(١)</sup>.

بل ويزعمون أن الطريق الموصل إلى الله هو غناؤهم الذي ابتدعوه، لا القرآن والعلم والبيان، قال أحد علماء الشريعة ممن «يحسن الظن بالشمس التبريزي: قد أسأت إلى سمعة أهل العلم بسماحك هذا؟ فأجابه التبريزي: ألا تدري أن فرق ما بين السيء والحسن، والكافر والمؤمن لا يتضح إلا لأهل السماع!!، فقال العالم: أو تصل إلى الله بالرقص واللعب؟؟ فقال الشمس: فالعب أنت أيضا لتصل إلى الله، فبعد خطوتين ستدركنا!!»<sup>(٢)</sup>. فانظر بعين الإمعان تجد أن القوم يستخفون بالشرع، ويعظمون الرقص والسماع الصوفي على كتاب الباري والعلم المستفاد منه.

قال ابن القيم رحمه الله: «وبعض هؤلاء سمع إقامة الصلاة، وهو في السماع، فقال: كنا في الحاضرة!! فصرنا على الباب!!». ثم قال ابن القيم رحمه الله: «فقال له صاحب القرآن: صدقت والله كنت في حضرة الشيطان، فدعيت إلى باب الرحمن»<sup>(٣)</sup>.

ومن عجائب هؤلاء الباطنية تسميتهم لمبتدعاتهم بالأسماء الشرعية حتى تروج على الخلق، وتنفق سلعتهم باسم الحق، فهذا القونوي يسمي السماع الصوفي: صلاة العاشقين!!<sup>(٤)</sup>.

فهؤلاء يفعلون المنكر باسم الدين، وهذا شأن الباطنية أجمعين، يفعلون الكفر

(١) مناقب العارفين للأفلاكي ١/ ٦١٣، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٤٣.

(٢) مقالات التبريزي ٢/ ٨٢، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٤٨.

(٣) الكلام على مسألة السماع ص ٢٩١، وألف الشيخ إبراهيم الحلبي رسالة في رد السماع الصوفي بعنوان: "الرهبص والوقص لمستحل الرقص" وهو مطبوع.

(٤) مناقب العارفين ١/ ٦١٢، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٤٩.

والشرك والخرافة، ملبسين إياها بالدين، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «ولو فعلوه على جهة اللعب، كما يفعله الصبيان، لكان أخف عليهم، مع ما فيه من إسقاط الحشمة، وإذهاب المروءة، وترك هدي أهل الاسلام، وأرباب العقول، لكنهم يفعلونه على جهة التقرب إلى الله، والتعبد به، وأن فاعله أفضل من تاركه، وهذا أدهى وأمر حيث يعتقدون أن اللهو واللعب عبادة، وذلك من أعظم البدع المحرمات، الموقعة في الضلالة المؤدية إلى النار، والعياذ بالله»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو السعود الحنفي رحمه الله - في عبادات الصوفية الرقسية!! مبينا حرمتها ومخالفتها الشرعية - لما سئل عن وجه لزوم كفر القائلين بقربية الدوران في الرقص، وعدم لزوم كفر القائلين بإباحته؟.

قال: «المباح ليس مأمورا به، أما العبادة فمن المؤكد أنها مأمور بها، والقائل بحله لم يفتر على الله تعالى بقوله: إنه تعالى أمر به حتى يكفر. أما الذي يعده عبادة، ذلك اللاعب العابث، فقد جمع إلى عبثه ولعبه، وحرمة المقررة، وكفر الكفار مشهور، وكمال مشابهته لهم، دعواه: إن ذلك أمر الله تعالى، يطلب الثواب عليه، كالذي يستبيح سرقة الدرهم ليتصدق به، ويرجو ثواب ذلك، مما هو كفر ثان غير الأول»<sup>(٢)</sup>.

ومما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن الكريم أنهم يفعلون المنكرات والفسق والفجور، والشر والمجون، وينسبون: «هذا العهر إلى الله تعالى!! ويقدس بمثل ما قدس به القرآن، فهذا هو الكفر بعينه»<sup>(٣)</sup>، وليس في كتبهم آيات وأحاديث يعتمد عليها، وإن ذكرت بعضها فلكونها ظنوا أنها توافق هواهم، وأولوها على أهوائهم.

فإذا قيل لهم: إن كتبكم تحوي الفجور والشرور، قالوا: إن القرآن كذلك فيه ذكر لقضية الشهوة والنزوة!!، وقالوا: «انظروا كيف جاء القرآن بكذا وكذا من المعاني الجنسية، لغاية وحكمة!!...»

(١) فتاوى الإمام الشاطبي ص ١٩٦.

(٢) نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٦٧.

(٣) أخبار جلال الدين الرومي ص ٤٤١.



وهذه ورب الكعبة كذبة صلعاء، وجهالة عظمى تدل فيما تدل على فهم بلقع، ووهم شنيع...، فهذا كتاب الله ﷻ، نظيف القمة، أخلاقي في الذروة»<sup>(١)</sup>.

فالقرآن يدل من أوله إلى آخره على وجود رب، ومربوب، وخالق، ومخلوق. وهؤلاء « يصل بهم الكفر إلى أنهم لا يشهدون أنهم عبادٌ، لا بمعنى أنهم مُعبدون، ولا بمعنى أنهم عابدون، إذ يشهدون أنفسهم هي الحق!! كما صرح بذلك طواغيتهم، كابن عربي صاحب الفصوص، وأمثاله الملحدين المفتريين، كابن سبعين وأمثاله»<sup>(٢)</sup>.

ومما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن في العقائد، أنهم « يتوهمون ما لا حقيقة له، كتوهم إلهية البشر كتوهم النصارى»<sup>(٣)</sup>، وتوهم المتنظر، وتوهم الغوث المقيم بمكة: أنه بواسطته يدبر أمر السماء والأرض!! ولهذا يقول التلمساني: ثبت عندنا بطريق الكشف ما يناقض العقل!!»<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك تفضيلهم لأئمتهم على النبي ﷺ، وهذا أحد الباطنية الصوفية يقول: «إن النبي ﷺ لبنة من فضة، وهو لبنتان من ذهب وفضة، ويزعم أن لبنة محمد ﷺ هي العلم الظاهر، ولبنته: الذهب: العلم الباطن!! والفضة: العلم الظاهر!!»<sup>(٥)</sup>.

وكانت البابكية تزعم أن رجلا منهم كان في الجاهلية يقال له "شروين" أنه أفضل من النبي محمد ﷺ!!<sup>(٦)</sup> بل يزعم البهائية والبابية أن البهاء أفضل من النبي محمد ﷺ الهاشمي!<sup>(٧)</sup>.

فالقرآن يدل صراحة، وبأوضح عبارة، على أن محمدا ﷺ رسول إلى الناس

(١) أخبار جلال الدين الرومي ص ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٢) العبودية ص ٣٩.

(٣) في المطبوع: (إلهية البشر، وتوهم النصارى)، ولكن السياق لا يستقيم إلا بما أثبتته - والله أعلم -.

(٤) المجموع ٥٨/٢.

(٥) نقض المنطق ص ١٤١، والذي قال هذا الكلام هو ابن عربي، كما أشار إليه شيخ الإسلام ﷺ.

(٦) انظر: الأنساب للسمعاني ٢/٢٤٣، الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب ص ١٦.

(٧) انظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٤٨.

كافة، وهؤلاء يدعون « أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد؛ فهذا كافر ملحد، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر، دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة؛ فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمدا رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب؛ فإن أولئك آمنوا ببعض، وكفروا ببعض؛ فهو كافر، وهو أكفر من أولئك »<sup>(١)</sup>.

وكيف يعتمدون عليه وهم يقولون: إن صاحب الطريق المستديرة هو الواصل عندهم، ويمدحون أصحاب الطرق المستديرة، وهم يعنون بذلك الذين يقولون: الرب عبد، والعبد رب؛ فيرجع الأول إلى الثاني، والثاني إلى الأول، وهكذا وهذه هي الحركة المستديرة الحائرة بزعمهم!!! ويذمون أصحاب الطريق المستقيم!! ومعلوم أن القرآن قد أمر باتباع الصراط المستقيم، الذي يوصل إلى رب العالمين، وأن العبد عبد، لا يمكن أن يصل إلى السعادة المنشودة، والدرجة العالية المعهودة، في الجنات الموعودة، وأن الرب رب، لا يمكن إدراكه، والإحاطة به، وأنه لا يمكن أن يراه أحد إلا بالسير على الصراط المستقيم، ولهذا كان الأمر في القرآن الكريم باتباع الصراط المستقيم، دون الطرق الأخرى، سواء كانت دائرية حائرة، أو طرقا أخرى<sup>(٢)</sup>.

و« إن حديث الخلق الذي ملأ كتاب الله يلزم أن يكون بالنظر إلى هذا المذهب حديث خرافة؛ لأن الخلق هو الإيجاد من العدم، وهو من أجل أوصاف الله التي تختص به، ولا يقدر غيره عليها، مع أن الخلق والإيجاد ممتنع في مذهب الصوفية... بل الخلق والإيجاد مستحيل كخلق إله غير الله؛ لأن الوجود هو الله!! ولا وجود، ولا موجود غيره!! وليس هناك وجودان: وجود الواجب الخالق، ووجود الممكنات المخلوقات، بل الوجود واحد وواجب!! ولذا عبر عن مذهبهم بمذهب وحدة الوجود، وهي تستلزم وحدة الوجود أيضا، على أنه لا موجود عند غير الوجود...،

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٧٣، المجموع ١١/ ٢٢٥.

(٢) انظر: المجموع ٢/ ٢٦٦ وما بعدها.

وصرحوا بأن العالم عين الله!!...، واختلاف الصوفي عنا في تسمية المحسوسات؛ فنسميها العالم، ويسميها الله!!»<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك إخراجهم لفرعون من دركات الكفر إلى دركات البر؛ فزعموا أنه كان من الموحدين!! فأبي اعتماد هؤلاء يكون على كلام الله!!؟ يقولون: «إن فرعون كان مؤمنا، وأنه لا يدخل النار...، وهذا القول كفر معلوم فساد بالاضطرار من دين الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

«والزنادقة من الفلاسفة، والنصيرية وغيرهم: يقدحون تارة في النقل، وهو قول جهالهم، وتارة يقدحون في فهم الرسالة، وهو قول حذاقهم، كما يذهب إليه أكابر الفلاسفة، والاتحادية، ونحوهم...، وكذلك ابن سينا، وغيره، يذكر من النقص بالصحابة ما ورثه عن أبيه وشيعته القرامطة»<sup>(٣)</sup>.

وعند ما يرى المسلم هذه الخرافات من الباطنية في كتاب الله ﷻ ليستيقن أن الباطنية إنما تلقت هذه الأقوال وهذه الخصال عن اليهودية المحرفة، والمجوسية الخاقدة، وكل أمة معرضة عن الشرع. فمصادرهم الأمم الماضية، والأفكار الواردة، لا يتصدرون عن القرآن أساسا، ولا عن السنة أصلا، ولا يعرفون للسلف درجة ومقاماً<sup>(٤)</sup>.

(١) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) المجموع ٢/ ٢٧٩.

(٣) نقض المنطق ص ٨٧.

(٤) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٣٦ وما بعدها.

## المطلب الثالث: تفضيل غير القرآن على القرآن.

الباطنية نحل مختلفة، والذي يجمعهم عدم الإيمان الصحيح بما في القرآن الكريم من ختم النبوة، وختم الرسالات، ولكن منهم من يصرح بهذا الكفر، ومنهم من لا يصرح به، ولكن يذكر ذلك بأسماء ملبسة، وبطرق مدلسة.

فالبايية مثلاً: تزعم أن الهراء الذي جاء به "المرزا محمد علي الشيرازي" أفضل من القرآن الكريم!!<sup>(١)</sup> وأن الكتاب المسمى بـ (البيان) أفضل من القرآن الكريم!!<sup>(٢)</sup> والبهائية تزعم أن كتابها المسمى بـ (الأقدس) قد نسخ كتاب البايية (البيان)، ونسخ القرآن الكريم!!<sup>(٣)</sup>.

وكذلك القاديانية تفضل كتابها المسمى بـ (الكتاب المبين) على القرآن الكريم!!<sup>(٤)</sup>.

والتيجانية من الفرق الصوفية الغوية، والنحل المنتسبة إلى الإسلام وهي من الباطنية، تزعم أن كتاب "جواهر المعاني" كتاب مهم، وفيه من الطامات الشيء العظيم<sup>(٥)</sup>. بل زعموا وبكل وقاحة أن "صلاة الفاتح" أعظم من القرآن الكريم!! وأنه من كلام الله ﷻ!! وأنه أفضل من القرآن الكريم ستة آلاف مرة، ونصها: «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٤٨

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٥٨.

(٣) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٦١.

(٤) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٥٢.

(٥) انظر: التيجانية للدكتور/ علي بن محمد آل دخيل الله ص ٥٧ وما بعدها، ٨٠، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٦٩.

(٦) انظر: التيجانية للدكتور/ علي بن محمد آل دخيل الله ص ١١٣، ١١٧، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٧٠، وهذه الصيغة لا ينبغي أن تنطلي على المسلمين، خصوصاً بعد أن بين النبي الكريم محمد ﷺ كيفية الصلاة عليه، وهي المحفوظة التي يقولها المسلمون في كل تشهد.

فالباطنية بمختلف فئاتها لا تصدر عن القرآن، بل كل واحد منهم يصدر عما يقال له من الشيوخ، أو المتبوعين من علماء ملتهم، فتارة يزعم كبارهم أنهم يصدرون عن الكشوفات، وما يطلعون عليه من الغيوبات، فيطرحون ما نزل من الآيات، ويحرمون الطيبات، ويحلون المحرمات، ومن ذلك ما ذكره الثقة<sup>(١)</sup> عن التلمساني كبير الصوفية الحلولية، أنه كان يقرأ عليه الفصوص، فقال له «هذا الكلام يخالف القرآن!! فقال: القرآن كله شرك!!<sup>(٢)</sup> وإننا التوحيد في كلامنا!! قال: فقلت له: فإذا كان الكل واحدا فلماذا تحرم علي ابنتي، وتحل لي زوجتي؟ فقال: لا فرق عندنا بين الزوجة والبنات!!! اجمع حلال!! لكن المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم!!<sup>(٣)</sup>».

وهذا الكلام من التلمساني ما جاء عن خطرة، ولا ظهر منه عن فكرة، بل هو طريق سائر ودرب جاسر صار عليه الحلولية الأوائل منهم والأواخر، وقد كان الحلاج يدعي أنه يمكنه أن يعارض القرآن الكريم!!<sup>(٤)</sup>.

ومن تفضيل الباطنية الغناء على القرآن أنهم لا يكتفون به، ولا يتشوقون إليه، بل شوقهم في الغناء والرقص!! يقول من مدحهم وجالسهم - مادحا إياهم -: «وبعد الفراغ من الأكل، قرأ القراء آيات من القرآن العزيز!! ثم أخذوا في السماع والرقص!!!»<sup>(٥)</sup>. قال ابن قدامة رحمته الله: «فأما من يجعله ديناً، ويجعل استماعه واستماع الغناء قرابة وطريقاً إليه سبحانه؛ فلا يكاد يوصله ذلك إلا إلى سخط الله ومقته»<sup>(٦)</sup>.

(١) والثقة هو: كمال الدين عمر المراغي المتوفى سنة ٧٣٢هـ، انظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص ٢١٥.

(٢) لأن القرآن يبين الفرق بين المعبود والعابد، وبين الخالق والمخلوق، وهذا عند هؤلاء الحلولية والاتحادية وأهل وحدة الوجود شرك!!، لأن التوحيد عندهم هو عدم الفرق بين الخالق والمخلوق!!!.

(٣) الصفدية ١/ ٢٤٤ - ٢٤٥، و انظر: الفرقان ص ٨٨، المجموع ١١/ ٢٤١، أخبار جلال الدين الرومي ص ٦٧-٦٨.

(٤) انظر: الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ص ١٠٢.

(٥) رحلة ابن بطوطة ص ٢٢٣، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٨٦.

(٦) ذم ما عليه مدعوا التصوف لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي ص ١٤.

ومما يدل على تفضيلهم لغير القرآن على القرآن: أنهم يزعمون أن الوجد الصوفي، والسماع المبتدع، يوصل إلى الجنة لا محالة!! وأما السماع الفرض!! فهو سماع أهل الحال، وهو فرض عين، مثل الصلوات الخمس، وصيام رمضان<sup>(١)</sup>.

ومنهم من يفضل الشعر الصوفي على القرآن!!! فهذا صوفي يدخل على شيخه الرومي القونوي، فيقول له: إني لا أحب سنائي<sup>(٢)</sup> أدنى محبة؛ لأنه لم يكن مسلماً! قال: وأي شيء تعني لم يكن مسلماً هذه؟ فقال المريد؛ لأنه يخلط شعره بآيات من القرآن المجيد، ويتخذها قوافي وأسطاراً لشعره!!!، فغضب الرومي أشد الغضب، وزجره قائلاً: ما معنى الإسلام؟...، أفيكون هو غير مسلم، وأنت وآلاف من أمثالك مسلمون؟! إن إسلامه قد قبل منه في الدنيا والآخرة!! أما هو فقد زين أسرار القرآن وبيانه بذلك الصنيع<sup>(٣)</sup>.

بل وادعى قوم من الباطنية أن كتبهم القرآن نفسه!!! فاسمع الخبر من أهله: «اشتكى أحد الأصدقاء إلى مولانا - الرومي القونوي - من سؤال بعضهم له: كيف يسمي الجلال الرومي المثنوي قرآناً؟! فقال: عبدكم هذا لهم: لأنه تفسير للقرآن!!! فعند ذلك سكت هنيهة ثم قال: يا كلب! لم لا يكون قرآناً؟ يا حمار! لم لا يكون قرآناً؟ يا أخا القحبة لم لا يكون قرآناً؟ وما هو - أي كتابهم المثنوي - إلا نور أسرار الحق!!!»<sup>(٤)</sup>.

ويقول الجلال الرومي القونوي مادحاً كتابه: «لو أصبحت الغابات أقلاماً، وكانت البحار مداداً، فلا تخالن أن المثنوي سينفذ»!!!<sup>(٥)</sup>.

(١) فالسماع الصوفي المبتدع يوصل إلى الجنة لا محالة!!، وأما أوامر الشرع فهو فرض عيني قد يوصل، وقد لا يوصل؟؟! انظر: مناقب العارفين للأفلاكي، ترجمة تحسين يازجي ١/ ٣٨٨، نقلاً عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٤٦.

(٢) أحد الصوفية الحلولية، ولم أقف له على ترجمة.

(٣) انظر: مناقب العارفين ١/ ٤٠٩، نقلاً عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٢٨.

(٤) الأفلاكي، في كتابه مناقب العارفين ١/ ٤٩٠، نقلاً عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٢٣-٢٢٤، ٤٦٧.

(٥) المثنوي المطبوع مع شرح حضرت بحر العلوم ص ١٥٩، والمثنوي ٦/ البيت رقم (٢٢٤٨)، نقلاً عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٢٤.

ومما يؤكد هذا أنه وصف كتابه المثنوي بأوصاف لا يوصف بها إلا كتاب الله رب العالمين، فيقول القونوي في مدح كتابه: «بأيدي سفرة، كرام بررة، يمنعون بأن لا يمسه إلا المطهرون!!! تنزيل من رب العالمين!! لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والله يرصده ويرقبه، وهو خير حافظا، وهو أرحم الراحمين، وله ألقاب أخر لقبه الله تعالى!! واقتصرنا على هذا القليل، والقليل يدل على الكثير»<sup>(١)</sup>.

ويؤكد تشبيه المثنوي بالقرآن أحد شراح المثنوي رادا على من رد على المثنوي، فيقول: «قد قال الكفار في القرآن كلام الله إنه أساطير الأولين، فذلك جرى للمثنوي، مثل ما جرى للقرآن من وصف خصومه له بتلك المثلية»<sup>(٢)</sup>.

بل ويصرح القونوي ويصر على تسمية كتابه: المثنوي بالقرآن!! فيقول منتقدا من انتقد مثنويه: «لا عجب إن لم ير الضالون في القرآن - يعني: مثنويه - سوى الكلمات والأحاديث... أو تظن أنك بنقدك للقرآن نجوت بنفسك من حكمه!!!...»<sup>(٣)</sup> يقول شارح المثنوي: «إنه كان خلال تأليف المثنوي معترضون يرونه كتابا تافها، يحوي مجموعة من القصص، فجعل مولانا بهذه المناسبة يقارنه بالقرآن!!»<sup>(٤)</sup>.

ومنهم من قد يستحيي فيقارنه بالقرآن، في بعض ما يرونه من البدع، ومن ذلك أخذهم الفأل من الكتب، فيكون بـ «فتح المصحف، أو كتب المشايخ!! كديوان الحافظ»<sup>(٥)</sup>، والمثنوي، ونحوهما. وقد اشتهر ديوان الحافظ بالتفاؤل، حتى صنفوا فيه<sup>(٦)</sup>، وهكذا يبين الحال أن من هؤلاء من يأخذ الفأل من المصحف، ومنهم من يرتقي

(١) مقدمة المثنوي، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٤.

(٢) شرح المثنوي لطاهر المولوي ١/ ٣٥، نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٣.

(٣) المثنوي ٣/ البيت ٤٢٣٠، ٤٢٨٢، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٨٥-٣٨٦.

(٤) المثنوي ٣/ ٤٢٢، بشرح عبد الباقي كولبيناري.

(٥) هو ديوان فارسي، وهو لشمس الدين محمد الشهرير بحافظ الشيرازي، المتوفى سنة ٧٩٢هـ وهو ديوان مشهور، ويتفأل به عند الأعاجم، حتى يقال له: لسان الغيب!! ويحفظه الأطفال!! انظر: كشف الظنون ١/ ٧٣٨.

(٦) كشف الظنون ٢/ ١٢١٦.

فيأخذ من الديوان!! وهو اسم على مسمى فإنه ديوان الصوفية الحلولية، وإن كان المقصود به المعنى الفارسي، فهو أيضا اسم على مسمى، فهو جنون الصوفية، ولا ريب، وديوان الحافظ ديوان معروف متداول بين أهل الفرس، عوامهم وخواصهم، يعرفونه أكثر من معرفتهم لسور القرآن، وجز عم، بل ويحفظون أولادهم أول ما يبدؤون بطلب العلم<sup>(١)</sup>، زعما منهم أنه كتاب مفيد، وأنه كتاب أديب!! وهو كتاب مليء بالحلول والتصوف<sup>(٢)</sup>.

ويقول قائلهم عن سماع الأغاني التي يسمونها الأوراد الصوفية: «إنه قد يكون أنفع للقلب، من قراءة القرآن، من ستة أوجه، أو سبعة!!»<sup>(٣)</sup>.

بل ويزعم بعض الباطنية أن كتابه هو: «أصول أصول الدين!!!»<sup>(٤)</sup>.

فالباطنية يزعمون أن تصانيفهم أفضل من القرآن، «فمنهم من صرح بذلك، وقال: إن كلامه أنفع من كلام الله تعالى، وكتبه أهدى من كتب الله!!»<sup>(٥)</sup>.

وهؤلاء الباطنية قد يزعمون أن كتبهم المفتراة أعظم من القرآن، وكان الفاجر التلمساني يقول: «القرآن كله شرك، ليس فيه توحيد، وإنما التوحيد في كلامنا!!»<sup>(٦)</sup>.

وإن مقالاتهم الكفرية ومؤلفاتهم الشركية أفضل من كلام رب البرية، قال كمال الدين المراغي: «قرأت على التلمساني من كلامهم شيئا؛ فرأيتة مخالفا للكتاب والسنة؛ فلما ذكرت ذلك له، قال: القرآن ليس فيه توحيد!! بل القرآن كله شرك!! ومن اتبع القرآن لم يصل إلى التوحيد!! قال: فقلت له: ما الفرق عندكم بين الزوجة

(١) ولقد قرأت شيئا منه وأنا لم أتجاوز الثامنة على والدي، ثم تركته بأمر من الوالد على خلاف العادة في بلادنا، لما رأى أن نفعه قليل، وطوامه كثير.

(٢) انظر: أبجد العلوم ٢/ ٣٩٣.

(٣) الكلام على مسألة السماع ص ٢٩١-٢٩٢.

(٤) أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٣.

(٥) نقله ابن الوزير، كما في كتابه إيثار الحق على الخلق ص ٩٤، ونسب هذا القول إلى: الحسينية، أصحاب الحسين بن القاسم العناني.

(٦) المجموع ٢/ ٢٠١، وانظر: الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ص ١٠٩.



والأجنبية والأخت، الكل واحد؟! قال: لا فرق بين ذلك عندنا، وإنما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراماً؛ فقلنا حرام عليهم عندهم، وأما عندنا فما ثم حرام»<sup>(١)</sup>.

ومن تفضيل الباطنية لكتبهم المزعومة على القرآن ما يعتقده كل صاحب نحلة من أن عندها ما هو أفضل من القرآن أو مثله، كما يزعم ذلك غلاة الشيعة القائلون بأن البطاقة المنسوبة إلى علي عليه السلام<sup>(٢)</sup> فيها علم الأولين والآخرين يزعمون ذلك في البطاقة مع اعتقادهم التحريف والنقص في كتاب الله ﷻ.

ومما يدل على عدم الاعتماد على القرآن أنهم اهتموا بحفظ كتبهم، ولم يحفظوا كتاب الله، وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

(١) المجموع ٢/ ٢٤٤.

(٢) انظر: الدرء ٥/ ٢٦.

## المطلب الرابع: حفظهم لكتبهم المزعومة.

ومما يدل على حفظ الباطنية لكتبهم المزعومة وعدم الاهتمام بالقرآن، بل والتصريح بأن كتبهم أفضل من القرآن - كما سبق -، ومن جملة ذلك طبع الدروز كتابهم المملوء بالضلال، المسمى بـ "مصحف الدروز"!! أو "المصحف المنفرد بذاته" وحاول كاتبه أن يحاكي القرآن العظيم، وكلام الرب الكريم؛ فكانت كمحاولة مسيلمة الكذاب<sup>(١)</sup>.

ومن الباطنية فرق تتحفظ على كتبها إلا لأصحاب نحلتهما، كالإسماعيلية، والبهرة، والبهائية، ونحوهم. وقد طبع البهرة لهم كتابا بعنوان: "صحيفة الصلاة"، وهم يصلون مع المسلمين، ولكنهم في نياتهم كعبدة الأوثان أو النصرانيين، إنما يعبدون غير الله<sup>(٢)</sup>.

وكذلك البهائية لم تطبع كتابها المسمى بالأقدس منذ زمن، وذلك لأنهم أحسوا بعدم قبول الناس له، وخوفا على إظهار عقيدتهم، ولذا أصبحوا يحافظون عليه سرا، ويقرؤونه بينهم خيفة<sup>(٣)</sup>.

وابن الفارض - من متأخري الاتحادية - ألف « القصيدة الثائية المعروفة بنظم السلوك، وقد نظم فيها الاتحاد نظما رائع اللفظ؛ فهو أخبث من لحم خنزير في صينية من ذهب، وما أحسن تسميتها بنظم: الشكوك.

الله أعلم بها، وبما اشتملت عليه؛ وقد نفقت كثيرا، وبالجأ أهل العصر في تحسينها، والاعتداد بها فيها من الاتحاد!!<sup>(٤)</sup>.

» ولما استولى التتار على بغداد، وكان الطوسي منجما هو لاكو استولى على كتب

(١) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٣١٥، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٣٠.

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٣٢.

(٣) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٦٣.

(٤) نقض المنطق ص ٦٢.

الناس: الوقف، والملك؛ فكان كتب الإسلام مثل التفسير، والحديث، والفقه، والرقائق يعدمها.

وأخذ كتب الطب والنجوم والفلسفة والعربية؛ فهذه عنده هي الكتب المعظمة، وكان بعض من أعرفه قارئاً خطيباً، لكن كان يعظم هؤلاء، ويرتاض رياضة فلسفية سحرية حتى يستخدم الجن، وكان بعض الشياطين ألقى إليه أن هؤلاء - أي التتار - يستولون على دار الإسلام؛ فكان يقول لبعض أصحابنا يافلان: عن قليل يرى هذا الجامع - جامع دمشق - يقرأ فيه المنطق والطبيعي والرياضي والإلهي، ثم يرضيه، فيقول: والعربية أيضاً!!<sup>(١)</sup>.

«وهؤلاء قد حرفوا كلام الله عن مواضعه أقبح تحريف، وكتبوا كتب النفاق، والإلحاد بأيديهم، وزعموا أنها من عند الله.

تارة يزعمون أنهم يأخذون من حيث يأخذ الملك الذي يوحى به إلى النبي؛ فيكونون فوق النبي بدرجة!!.

وتارة يزعمون أنهم يأخذون من حيث يأخذ الله؛ فيكون أحدهم في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به؛ لأن الأخذ من معدن واحد!!.

وتارة يزعم أحدهم أن النبي ﷺ أعطاه في منامه هذا النفاق العظيم، والإلحاد البليغ، وأمره أن يخرج به إلى أمته، وأنه أبرزه، كما حده له رسول الله ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان!!!...

ومعلوم أن هذا من أبلغ الكذب على الله ورسوله، وأنه أحق الناس بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وكثير من المتنبيين الكذابين... لم يبلغ كذبهم وافتراؤهم إلى هذا الحد، بل مسيلمة الكذاب لم يبلغ كذبه وافتراؤه إلى هذا الحد. وكان كل واحد من هؤلاء يعظم النبي ﷺ، ويقر له

بالرسالة؛ لكن كان يدعي أنه رسول آخر، ولا ينكر وجود الرب، ولا ينكر القرآن في الظاهر. وهؤلاء جحدوا الرب، وأشركوا به كل شيء، وافتروا هذه الكتب التي قد يزعمون أنها أعظم من القرآن، ويفضلون نفوسهم على النبي ﷺ من بعض الوجوه!!<sup>(١)</sup>.

فالباطنية بجميع نحلها تتحفظ على كتبها، وتحفظها، ولا تهتم بحفظ القرآن الكريم، ولا بتحفيظه، ولهذا لا تجد منهم اهتماما به، ولا بعلومه، ونظرة إلى أي منتسب إلى النحل الباطنية تؤكد لك هذا المعنى<sup>(٢)</sup>.

(١) المجموع ٢/ ٢٠١.

(٢) وقد كلمت مرة رجلا بهائيا في الكويت، ومن ضمن ما جرى بيننا أنني سألته عن حفظ القرآن الكريم، وبالكاد استطاع أن يقرأ سورة الإخلاص، وبصعوبة، وتردد - مع أنه من دعاة البهائية -.

## الفصل الخامس

### مَنْزِلَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ أَهْلِ السَّلَامِ

وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بأهل الكلام.

المبحث الثاني: عدم تعظيم أهل الكلام للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: جعل أهل الكلام القرآن فرعاً في باب العقائد،

والرد عليهم.

المبحث الرابع: بيان عدم حفظ أهل الكلام للقرآن الكريم.



### المبحث الأول: التعريف بأهل الكلام

وأهل الكلام يختلفون فيما بينهم في تعريف هذا "الكلام"، وذلك نظرا لاختلافهم فيما بينهم، وكل يعرفه من وجهة نظره، ومذهبه، فمنهم من يقول: إنه العلم بالعقائد عن طريق الأدلة اليقينية<sup>(١)</sup>.

ويسمون أنفسهم المتكلمين: وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر<sup>(٢)</sup>. فأهل الكلام هم المستعملون لطريقة النظر والقياس، وهذا هو حال جمهور المتكلمين، من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية<sup>(٣)</sup>.

وقد يكون بعض أهل الكلام قد خلط مع علمه بالكلام الفلسفة، أو شابه شيء منه<sup>(٤)</sup>، خصوصا أن المنطق وليدة الفلسفة، بل التفريق بينهما تفريق بين التماثلات، خصوصا في طريقة الاستدلال، وإن اختلفوا في النتائج. وقد يذكرون فرقا آخر بينهما وهو: أن المتفلسف لا يستدل بالآيات، والمنطقي يذكر بعض الآيات وهي الأدلة السمعية<sup>(٥)</sup>، ولكن هذا الفرق غير ظاهر؛ فإن الفلسفي قد يستدل ببعض الآيات التي يظن أنها توافق مذهبه بالمنطقي، وقد يذكر آية أو حديثا لتحريفه بالمنطقي.

وأهل الكلام نشوءهم من المنطق اليوناني والفلسفة الإغريقية، وهما حرام إدخالهما في شرع الله، ووسيلة غير شرعية في الوصول إلى معرفة الله، إذ لم يعرفها

(١) انظر: شرح المقاصد للفتازاني ١/ ١٦٣.

(٢) انظر: المنقذ من الضلال ص ٨٩، المجموع ٢/ ٥٥، شرح الأصبهانية ص ٥٠٩.

(٣) انظر: المجموع ٢/ ٥٧.

(٤) انظر: الصفدية ٢/ ١١٣.

(٥) انظر: شرح العقائد السلفية لسعد الدين الفتازاني ص ٥٥.

السلف الصالح، ولا قال بجوازها عالم من العلماء المقتدى بهم في الدين، ممن عرف بالعلم والعمل. قال ابن الصلاح رحمته الله: «وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة، ومدخل الشر شر، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع، ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، والسلف الصالحين، وسائر من يقتدى به من أعلام الأئمة وسادتها، وأركان الأمة وقادتها، قد برأ الله الجميع من معرفة ذلك وأدناسه، وطهرهم من أوضاره»<sup>(١)</sup>.

فعلم الكلام المبني على المنطق، إنما هو جزء من علوم الفلسفة اليونانية التي لها فروع كثيرة، ومنها المنطق<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن خلدون: «هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية»<sup>(٣)</sup>. وفرق بين الكلام الفلسفي وكلام أهل الكلام، فقال: «وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بأنه: قانون ومعياري للأدلة فقط!!»<sup>(٤)</sup>.

وظن بعضهم أن "علم الكلام" أصبح مجملاً فلا بد فيه من التفصيل نفياً أو إيجاباً. قال السبكي رحمته الله: «إن أريد بعلم الكلام: العلم بالله تعالى وصفاته، وما يستحيل عليه، ليرد على المبتدعة، وليميز بين الاعتقاد الصحيح والفساد؛ فذاك من أجل العلوم الشرعية، والعالم به من أفضلهم، وقد جعلوه في كتاب السير من فروع الكفايات، وإن أريد به التوغل في شبهة والخوض فيه على طريق الفلسفة، وتضييع الزمان فيه، والزيادة على ذلك يكون مبتدعاً وداعياً إلى ضلالة؛ فذاك باسم الجهل أحق»<sup>(٥)</sup>.

والصواب أن «استعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية؛ من المنكرات المستبشرة، والرقاعات المستحدثة، وليس بالأحكام الشرعية - والحمد لله -

(١) فتاوى ابن الصلاح ص ٧١.

(٢) انظر: مبادئ الفلسفة لأحمد أمين ص ٢١.

(٣) المقدمة لابن خلدون ص ٨٢١.

(٤) المقدمة لابن خلدون ص ٨٣٥.

(٥) مغني المحتاج ٣/ ٦٠-٦١.



افتقار إلى المنطق أصلاً، وما يزعمه المنطقي للمنطق من أمر الحد والبرهان فقاقيع قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن، لا سيما من خدم نظريات العلوم الشرعية، ولقد تمت الشريعة وعلومها، وخاض في بحار الحقائق والدقائق علماءها، حيث لا منطق، ولا فلسفة، ولا فلاسفة<sup>(١)</sup>.

وإدخال العلوم الفلسفية إلى المسلمين باسم المنطق محدث في الإسلام، يقول ابن خلدون: «وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه الإمام ابن الخطيب، وجماعة قفوا أثرهم، واعتمدوا تقليدهم، ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه فيها واحداً من اشتباه المسائل فيها»<sup>(٢)</sup>.

وبين ابن خلدون عدم الحاجة إلى الكلام فقال: «وعلى الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملاحدة والمبتدعة قد انقرضوا!!»<sup>(٣)</sup>. نعم عدم الحاجة إلى علم الكلام ظاهر، ولكن التعليل بانتفاء الملاحدة والمبتدعة غير ظاهر، وإنما لا نحتاج إلى علم الكلام - إن كان علماً - لأنه لا جدوى فيه، وعلم القاضي والداني أن نفعه مجذب، وأن ضرره مُعَدِّ.

وسمي علم الكلام بالكلام كما قال ابن الجوزي رحمه الله وغيره: بسبب أن أول ظهور خلاف علمي كان في مسألة إثبات الكلام لله تعالى، فوقع الخلاف فيه، وحينئذ سمي هذا العلم بعلم الكلام، وقيل لأنهم كانوا يقولون: الكلام في المسألة كذا وكذا!!<sup>(٤)</sup>.

والصواب أن أهل الكلام سموا بذلك لأنهم كانوا يستدلون بالمسائل الاعتقادية بالطرق العقلية، حتى قبل ظهور علم الكلام والمنطق، كما قاله شيخ الإسلام رحمه الله<sup>(٥)</sup>.

(١) فتاوى ابن الصلاح، ص ٧١، والفتوى له تكملة، استغثت بذكر ما يغني.

(٢) المقدمة لابن خلدون ص ٨٣٦.

(٣) المقدمة لابن خلدون ص ٨٣٧.

(٤) انظر: تلييس إبليس لابن الجوزي ص ١٠٨، شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني ص ٥٣.

(٥) انظر: المجموع ٣/ ١٨٣.

وقد مر أهل الكلام بمراحل أربع هي<sup>(١)</sup>:

١- المرحلة الأولى: مرحلة الترجمة: وأشهر من يمثل هذه المرحلة الجهمية الأول وتابعوهم من المعتزلة. فهؤلاء قد تأثروا بالمصطلحات اليونانية المنطقية، خصوصاً بعد ترجمة كتبهم في عهد الخليفة المأمون المعتزلي، ولكن لم يكن لأهل الكلام كتب خاصة بهم، وكانت الكتب المترجمة مخلوطة بكثير من كلام الفلاسفة اليونان، ولم يتميز بعد أهل الكلام عن الفلاسفة، وكان مقصود هذه الترجمة تفريق المسلمين وإضعاف قواهم<sup>(٢)</sup>.

٢- المرحلة الثانية: وهي مرحلة التمييز، وقد دخل بعض المنتسبين إلى السنة - بالمعنى العام - مع أهل الكلام<sup>(٣)</sup>، بحجة مناظرتهم باصطلاحاتهم، ومن ثم تأثروا بعد ذلك بهذه المصطلحات. وهذه المرحلة أبرز من يمثلها من أهل الكلام هم الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية. وهم يظنون أنهم على السنة، بل ويصرحون أنهم إنما دخلوا لنصرة السنة بسيوف القوم!!، ولكنها أصبحت في أيديهم عليهم، ومن أشهر من يمثل هذه المدرسة: عبد الله بن سعيد بن كلاب، وأبو الحسن الأشعري في طور، وأبو بكر الباقلاني. وعلى هذه الطريقة مشى الجويني أبو المعالي ووضع القواعد الكلامية، وكذلك من المعتزلة أبو هاشم الجبائي، والقاضي عبد الجبار المعتزلي أيضاً، وغيرهما ممن وضعوا القواعد في فن الكلام.

٣- المرحلة الثالثة: مرحلة مخالفة الفلاسفة ومناظرتهم، ويمثلها أبو حامد الغزالي في بعض كتبه، والرازي كذلك.

٤- المرحلة الرابعة: مرحلة الخلط بين الفلسفة والمنطق: وهذه المدرسة أصبحت هي الرائدة في المتأخرين، خصوصاً بعد البيضاوي، صاحب "الطوالع".

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٣٧ وما بعدها.

(٢) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة ١٢٨/١.

(٣) وقد بين ابن الوزير رحمته الله أن من وقع في الخطأ من المحدثين كان بسبب تشبهه بعلم الكلام. انظر: الروض

الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ٢٤٤/٢.

والتكلمون في المسائل العقدية على طريقة أهل الكلام أصناف، وأشهر فرقهم هي<sup>(١)</sup>:

- ١- الجهمية، أتباع جهم بن صفوان، الذين أنكروا الأسماء والصفات لله ﷻ<sup>(٢)</sup>.
- ٢- المعتزلة: وهم فرق عدة، ولكن لهم أصول خمسة، ومنها: إنكار صفات الله ﷻ<sup>(٣)</sup>.
- ٣- الكلاية: وهم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، وهم وافقوا المعتزلة في إنكار بعض الصفات الخبرية، وأنكروا الصفات الاختيارية.
- ٤- الأشاعرة، وهم أتباع أبي الحسن الأشعري في طوره الثاني، والمتأخرون منهم ينكرون الصفات إلا السبع، وإثباتهم لها أيضا على طريقة المتكلمين.
- ٥- الماتريدية، وهم أتباع أبي منصور الماتريدي، وهم كالأشاعرة، والاختلاف بينهم يسير.

ويلحق بهم من كان مستدلا في المسائل العقدية على طريقتهم، ومخالفون للسلف في نحلته، ويذكرون مع من ذكروا من أهل الكلام، مثل:

- ٦- الكرامية، وهم أتباع محمد بن كرام السجستاني، ونسبوا إلى التشبيه<sup>(٤)</sup>.
- ٧- الهشامية، وهم أتباع هشام بن سالم الجواليقي، وهم مشبهة<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: الدرء ١/١٣، ٥/٢٤٥، المجموع ١٩/١٥٩، وكثيرا ما يقول: شيخ الإسلام ﷺ: «والتكلمون: من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، ونحوهم، ممن سلك في إثبات الصانع طريق الأعراض...»، فهذا يعني أن أشهر فرقهم هي التي لها أقوال مشهورة في الأسماء والصفات، ولهم أتباع في مختلف البريات، وأما من يلحق بهم فهم إما أن يكونوا أصحاب قول دون نحلة، أو أصحاب نحلة دون قول مستقل في باب الأسماء والصفات، ولكن لها قول آخر به اشتهرت - والله تعالى أعلم -.

(٢) انظر: أصول الدين للبغدادي ص ٣٣٣.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٣٣٥.

(٤) انظر: المصدر السابق ص ٣٣٧.

(٥) انظر: المصدر السابق.

٨- الشيعة، وهم المدعون حب آل البيت، وهم فرق مختلفة منها الروافض، والزيدية، ولكنهم في المسائل العقدية على طريقة المتكلمين من المعتزلة.

٩- المرجئة، وهم أقسام، ولكن يجمعهم القول بأن الإيمان لا يدخل في مسماه الأعمال، وإنما دخل عليهم هذا مع مخالفته لنصوص الوحيين استدلالاً لهم العقلية، بعيدة عن نور الكتاب والسنن النبوية.

١٠- القدريّة، وهم الذين أنكروا تقدير الله ﷻ للأشياء، ومنهم طوائف أنكرت قدرة الله ﷻ على فعل العبد، وكل ذلك بسبب الاستدلالات العقلية الكلامية.

١١- الهشامية، وهم أتباع هشام بن الحكم الرافضي<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء جميعاً يسمون بأهل الكلام، وبينهم من الاختلاف الشيء الكثير، بل بينهم المناوشات العلمية والواقعية، ولكن إذا أطلق أهل الكلام فالمراد بهم هؤلاء من غير ملام، ويجمعهم أمور، وهي:

١- اتفاقهم على أن المسائل العقدية تؤخذ من العقل، وأنه إذا تعارض العقل والنقل فالمتبر هو العقل<sup>(٢)</sup>. وأن الوحي لا يؤخذ منه المسائل الاعتقادية، ومنهم مكثّر في هذا الضلال ومقل، فمنهم من يرى أن الوحي لا يؤخذ منه شيء، سواء في باب التوحيد، أو في باب المعاد إلا إذا وافق العقل!! ومنهم من يقول: إن العقل لا دخل له في مسائل الإيمان باليوم الآخر، وكثير من الأمور المتعلقة بيوم القيامة وبالمعاد، ولا يثبتها بعض المتكلمين، وبعضهم أثبتها - ويسميها السمعيات -؛ ومنهم من أثبتها أيضاً بدلالة العقل عليها، وذلك لكون هذه المسائل مبنية على الأصول التي سموها العقلية<sup>(٣)</sup>، فإثباتهم ونفيهم مبني على دلالة العقل، وليس على دلالة السمع؛ وإنما تكون دلالة السمع عندهم جميعاً تبعاً، لا أصلاً!!!.

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) ومعلوم أنه لا تعارض بين عقل صريح، ونقل صحيح، ولكن هؤلاء إنما يقصدون العقول الملوثة بالمنطق اليوناني. انظر: المجموع ١٦/٤٣٦ وما بعدها.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص ٦٣١.

٢- اتفاقهم على النفي، وهم أيضا مكثرون ومقلون في هذا الباب؛ فمنهم من ينفي الأسماء والصفات، بالكلية، ويقول: بأن ما جاء به الرسول في هذا الباب إنما هي أسماء وإضافات لا حقيقة لها - وهم الجهمية -، ومنهم من يقول ذلك في الأسماء دون الصفات - كالمعتزلة -، ومنهم من يقول ذلك إلا في بعض الصفات - كالأشاعرة والماتريدية -، ومنهم من يقول ذلك في الصفات الاختيارية - كالكلابية -<sup>(١)</sup>.

٣- اتفاقهم على وجوب النظر في معرفة الله ﷻ وأنه أول واجب على العبد؛ مع اختلافهم فيما بينهم في ماهية هذا الواجب، وتقريرهم ذلك وجعلهم إياه أصلا من أصول الدين!! في حين أن المقرر شرعا، والمعروف نصا، أن النبي ﷺ كان يأمر من يريد الإسلام أن ينطق بالشهادتين، وهكذا كان يأمر الدعاة الذين يرسلهم، وهكذا كان فعل السلف<sup>(٢)</sup>.

٤- رجوعهم جميعا إلى القواعد والأصول المنطقية؛ فهم كما قال شيخ الإسلام ﷻ: «يرون أن هذه الأصول العقلية - وهي العلم بما يجب للرب ويمتنع عليه، وما يجوز عليه من الأفعال - هي أعظم العلوم وأشرفها، وأنهم برزوا بها على الصحابة، وأن النبي ﷺ لم يعلمها الصحابة...، وهذه هي الأصول العقلية التي يعتمدون عليها هم ومن وافقهم...، وكل الأصول العقلية التي ابتدعها هؤلاء وهؤلاء باطلة في العقل والشرع، وإن كانت كل واحدة من الطائفتين تعتقد أنها من أعظم الدين، ويقدمونها على الأصول الشرعية»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷻ: «وقلوب كثير من الناس يجول فيها أمر النبوت، وما جاءت به الرسل، وهم وإن أظهروا تصديقهم والشهادة لهم ففي قلوبهم مرض ونفاق، إذ كان ما جعلوه أصولا لدينهم معارض لما جاءت به الأنبياء، وهم لم يتعلموا ما

(١) انظر: التدمرية ص ١٨، شرح الواسطية للفوزان ص ١٢٣.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٢٤ وما بعدها، وانظر: مقدمة

موسى محمد علي لكتاب قواعد العقائد ص ٢٤ وما بعدها.

(٣) المجموع ١٣/٢٢٨-٢٢٩.

جاءت به الأنبياء، ولم يأخذوا عنهم الدلائل والأصول والبيانات والبراهين»<sup>(١)</sup>.

٥- أن جميع الفرق الكلامية التي تعتمد الأصول المنطقية من الفرق المحدثه الغوية، وإن ادعت نوع تعظيم للسلف فذلك منها مجرد ادعاء، وإلا فإنها كلها بدعية.

مناقضة بعضهم لبعض<sup>(٢)</sup>، فالجهمي يناقض المعتزلي، والمعتزلي يناقض الكلابي، والأشاعرة تناقضهم، وهكذا، لأن أصولهم غير سوية، فالتناقض لهم لازم، ولم يرجعوا جميعاً إلى ما به يرتفع الخلاف، وهو الكتاب والسنة، قال ابن الوزير رحمته الله: «إن خوض جميع المتكلمين في عقائدهم الخلافية بين الفرق الإسلامية يتوقف دائماً أو غالباً على الخوض في مقدمات لتلك العقائد، وجميع تلك المقدمات مختلف فيها أشد الاختلاف بين أذكياء العالم وفحول علم المعقولات من علماء الإسلام، دع عنك غيرهم»<sup>(٣)</sup>، ثم قال: «وأعجب من كل عجب تكفير بعضهم لبعض لسبب الاختلاف في هذه المحارات الخالية»<sup>(٤)</sup>.

٧- اتفاقهم على التأويل، بغض النظر عما يختلفون فيه فيما يجب تأويله؛ فهذا يفسره بمعنى، وهذا يخالفه، وهذا يوجهه هنا، وينكره هناك، وهذا يستجبه هنا، ويكرهه هناك!! وعمدتهم الحقيقية ليست على القرآن، ولكنهم على أصول ابتدئها لهم شيوخيهم، وما ظنوا أنه موافق من القرآن احتجوا به، وما ظنوه مخالفاً لأصولهم أولوه<sup>(٥)</sup>، وحتى يتسنى لهم مخالفة الكتاب أتوا بالتأويلات المستبشعة، والتحريفات الظاهرة، حتى توافق النصوص مذاهبهم، ولا يشنع عليهم في مناهجهم!! ولهذا كان الأسس الأساس لمذهب المتكلمين في نصوص الصفات على وجه الخصوص - وفي باقي

(١) النبوت ص ٢٥٣.

(٢) انظر: الدرء ٥/ ٢٤٥ وما بعدها.

(٣) إنبار الحق لابن الوزير ص ١٥.

(٤) المصدر نفسه ص ١٩، وانظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٢٨-٢٩.

(٥) انظر: المجموع ١٣/ ٥٨، شفاء العليل ١/ ٢٢٠-٢٢١، ١/ ٢١٧ وقد ذكر في الموضع المشار إليه

تحريفات القدريّة للآيات القرآنية، وانظر: إنبار الحق لابن الوزير ص ١٢٤، المعتزلة بين القديم والحديث

لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٣٢-٣٣.

النصوص على وجه العموم - التأويل وهو في حقيقته التحريف<sup>(١)</sup>. يقول الرازي موجبا التأويل ومحسنا إياه: «نقل الشيخ الغزالي رحمه الله عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه أقر بالتأويل في ثلاثة أحاديث»<sup>(٢)</sup>، فلا بد إذا من التأويل!! وهذا باطل عن الإمام أحمد، ولا يثبت عنه لا سنداً، ولا متناً<sup>(٣)</sup>.

٨- اتفاقهم على أن القرآن الموجود بين الدفتين مخلوق<sup>(٤)</sup>، قال ابن الجوزي رحمه الله: «أهل الكلام يقولون: ما في السماء رب، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي، ثلاث عورات لكم»<sup>(٥)</sup>.

٩- اتفاقهم على نفي إثبات ما جاء في القرآن والسنة من الصفات - على اختلاف بينهم فيما ينفي ويثبت - بحجة التشبيه<sup>(٦)</sup>؛ فهم شبهوا أولاً، واحتاجوا إلى النفي فعطلوا ثانياً.

وأهل الكلام باعتبار نفي الصفات وإثباتها ينقسمون إلى قسمين:

- ١- أهل الكلام النفاة، وهم الجهمية والمعتزلة، ومن وافقهم.
  - ٢- أهل الكلام المثبتة، وهم الكلاية والكرامية والأشعرية، ومن وافقهم<sup>(٧)</sup>.
- وقد اتفق السلف على ذم الكلام وأهله، وصنفوا في التشنيع عليهم، وبينوا عوارهم وسوء ما يؤدي إليه هذا الفن، الذي ليس فيه إلا العفن<sup>(٨)</sup>، بل إن أهل الكلام

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة للحوالي ص ٨٦، العصرانيون بين مزايم التجديد وميادين التغريب ص ٢٠.

(٢) أساس التقديس للرازي ص ٨١.

(٣) انظر: المجموع ٣٩٨/٥، وانظر ص ٥٨٢ من هذا الكتاب.

(٤) على اختلاف فيما بينهم فيما ذهبوا إليه؛ فالمعتزلة ومن وافقهم يقولون: إنه كلام الله مخلوق، والأشاعرة ومن وافقهم يقولون: هو عبارة عن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق، والعبارة مخلوقة.

(٥) السير ٣٧٦/٢١، وانظر: المجموع ٢١٨/٣.

(٦) وأي كتاب من كتبهم يثبتك أنهم إنما ينفون أي صفة بحجة التشبيه. انظر: الفواكه الدواني ٥٤/١، وانظر: ما نقله الحافظ في صدد نفي الصوت والحرف في كلام الله ﷻ، بحجة التشبيه!! الفتح

١٣/٤٦٦، المقدمة لابن خلدون ص ٨٣١.

(٧) انظر: نقض المنطق ص ١٢٣، ١٢٨، والمجموع ١٥٦/٤.

(٨) انظر: أحاديث في ذم الكلام وأهله للهيروي انتخبها المقرئ ص ٧٩ وما بعدها، الإحياء للغزالي ١٥٣/١،

أنفسهم يوردون ذم السلف للكلام وأهله ثم يردونه بالتأويلات، وكأن السلف ما عرفوا أن يتكلموا إلا بالمجملات!! يقول الغزالي: «فاعلم أن للناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف، فمن قائل: إنه بدعة أو حرام، وأن العبد إن لقي الله ﷻ بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام، ومن قائل: إنه واجب وفرض، إما على الكفاية أو على الأعيان، وأنه أفضل الأعمال، وأعلى القربات؛ فإنه تحقيق لعلم التوحيد، ونضال عن جنب الله تعالى، وإلى التحريم ذهب الشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، وسفيان، وجميع أهل الحديث من السلف»<sup>(١)</sup>، ثم ذكر قول الشافعي.

فذر السلف الصالح - رحمهم الله - الكلام وأهله بأصرح العبارات، وأدق التعبيرات - حتى باعتراف أهل الكلام -، حتى يهجرُوا، ولا يتبعُوا، وأنقل بعض النقول، لتقف على هذه العبارات التي فيها التحذيرات:

١ - قال الإمام مالك ﷺ مبينا أن العقول ليست هي موازين لقبول الكتاب والسنة حيث يقول منكرا على أمثال هؤلاء: «أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء؟؟»<sup>(٢)</sup>.

٢ - قال الشافعي ﷺ: «ما ارتدى بالكلام أحد فأفلح»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: «لأن يلقى العبد ربه بكل ذنب ما عدا الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام»<sup>(٤)</sup>، وقال ﷺ: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام. وقال أيضا:

صون المنطق للسيوطي ص ١٤ وما بعدها، اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث د. محمد الخميس ص ١٩ وما بعدها.

(١) الإحياء للغزالي ١/ ١٥٣، ونقل قول الشافعي نصا بعد ذلك.

(٢) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٦٧٠، وانظر: المجموع ٥/ ٢٩.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٩/ ١١١، وانظر: السير ١٠/ ١٨، العين والأثر ص ٩١.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٠٦، وانظر: مغني المحتاج ٣/ ٦١.



كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين»<sup>(١)</sup>.  
قال الإمام أحمد رحمته الله: «ما أحب أحد الكلام فكان عاقبته إلى خير»<sup>(٢)</sup>.

٣- قال شيخ الإسلام رحمته الله مينا تحذير الأئمة من بدعة الكلام والتجهم: «وكلام الأئمة مثل مالك، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، وأبي يوسف، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، والفضيل بن عياض، وبشر الحافي، وغيرهم، كثير في ذمهم وتضليلهم»<sup>(٣)</sup>.  
٤- وإنما حذر السلف الصالح - رحمهم الله - من الكلام وأهله لأنه يورث عدم تعظيم القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ١١٦/٩، وانظر: شرح الطحاوية ١٦/١-١٧.

(٢) العين والأثر ص ٩١.

(٣) المجموع ٢٢/٥، أقاويل الثقات ص ٢٣١.

### المبحث الثاني: عدم تعظيم المتكلمين للقرآن

القرآن يخاطب الناس كلهم، يخاطب الفطر والعقول والقلوب معا، بينما انتهج أهل الكلام الطرق الكلامية والمناهج الجدلية، وهي طويلة الإثبات عديمة الفائدة، وعلماء الكلام قد انتهجوا الطرق العويصة البعيدة عن القرآن والشرع، والبعيدة عن العقول الصحيحة السليمة في كثير من الأحيان<sup>(١)</sup>.

وطوائف المتكلمين يعظمون القرآن في الجملة، ويعظمون تفسيره، مع ما فيهم من البدع<sup>(٢)</sup>، وقد يكون تعظيمهم للقرآن في حالة قربهم لللسنة، أو من حيث الجملة. وأما التعظيم على وجه التفصيل فليس يوجد إلا عند السلف، ومن تبعهم من الخلف.

وأهل الكلام هم من المحرفة المؤولة الذين يرون أن القرآن في نفسه حق، وأن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال إلا ما هو حق في نفس الأمر، وأنه لا تخيل، ولكنهم يظنون أن الحق الذي دل عليه هذه النصوص هو ما فهموه هم بعقولهم بطريق التأويل!! فجعلوا عقولهم هي الحاكمة على الكتاب والسنة، وفي فهمها وفهم ما دل عليهما من غير نظر أو اعتبار إلى أن القرآن في نفسه صريح في الدلالة على الحق، وبين في قضاياه - خصوصا ما يتعلق بالأمور العقدية - لأنه لم يأت إلا لهداية الخلق، والدلالة إلى معرفة الخالق ﷻ<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ١٦-١٧.

(٢) انظر: المجموع ٢٠٦/١٣.

(٣) انظر: الدرء ١٢/١.

وما يدل على عدم تعظيم أهل الكلام للقرآن أمور كثيرة، ومن أهمها:

١- قالوا: إن نصوص القرآن أدلة لفظية لا تفيد اليقين!! وهذه قاعدة باطلة وفرية كاذبة، وقد ردها العلماء والأئمة الفضلاء، وبينوا عوارها، وأظهروا شناها، وقد ردها ابن القيم رحمته الله بأكثر من سبعين وجهاً<sup>(١)</sup>.

٢- وما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن أنهم قالوا: إذا اختلف العقل والنقل؛ فإن المقدم هو العقل!! ومعلوم أن الشرع لم يأت بما تحيله العقول، وإنما جاء بما تحار فيه العقول. فهذه القاعدة من أساسها دليل الخذلان، إذ كيف يتصور أن يأتي القرآن بما يخالف صريح عقول الناس!! ورد شيخ الإسلام هذا الهراء في كتابه العظيم "درء تعارض العقل والنقل"، ورد ابن القيم هذه الفرية، وهذا الطاغوت بأكثر من تسعين وجهاً<sup>(٢)</sup>.

٣- أنهم جعلوا القرآن فرعاً في باب العقائد<sup>(٣)</sup>، « تقول المعتزلة: إن الأمور عقلية؛ أي: لا يحتاجون إلى النصوص، إنما إذا كان الأمر يوافق العقل أخذوا به، وإلا تركوه!! »<sup>(٤)</sup>. ولهذا عظموا العقل تعظيماً لم يبلغه عندهم الكتاب والسنة، مما جعلهم - هذا التعظيم للعقل - يقعدون قاعدة هي عندهم: "ذهبية"، وعند أهل السنة الحقة: "شيطانية"، وهذه القاعدة هي: أن كل ما خالف قواعدهم المنطقية، وأصولهم الكلامية، ولو كان من آيات القرآن، أو من الأحاديث الحسان؛ فإنهم يؤولونه<sup>(٥)</sup>، يقول صاحب جوهر التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيهاً أوله أو فوض ورم تنزيهاً<sup>(٦)</sup>

(١) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/ ٣٨١-٥١٩.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/ ٥٢١-٧٧٢، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ١٥.

(٣) وسيأتي الكلام فيه، في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٤) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٦٨٩.

(٥) انظر: الدرء ١/ ٤ وما بعدها.

(٦) جوهر التوحيد للقاوي ص ١٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، ومثل هذا قول المتكلم الماتريدي حمد الله دأكي في كتابه البصائر، حيث قال: من تمسك بظاهر الكتاب

وزعموا « أن الهداية لا تحصل بالوحي! ثم يحيل فيها على عقل فلان، ورأي فلان، وقول زيد وعمرو »<sup>(١)</sup>.

٤- وما يدل على ذلك: أنهم يجوزن الخلف في الألفاظ الشرعية، ولو من حيث التقدير العقلي!! يقول الرازي في معرض رده على المعتزلة: « لا يقال: هب أن ما ذكرته يدل على أن ذلك الخبر القديم صدق، لكنه لا يدل على كون هذه الألفاظ صدقا، لأننا نقول للمعتزلة: هذا أيضا لازم عليكم؛ لأنكم جوزتم الحذف والإضمار لحكمة لا نطلع عليها، وتجويز ذلك يرفع الوثوق عن هذه الظواهر!! »<sup>(٢)</sup> هكذا ينقل الإيراد، وهكذا يرده بكل برودة، وبكل بساطة، وكأن أمرا لم يكن. أترى لو تعرض أحد إلى قواعدهم المنطقية بالتكذيب، أهكذا سيكون ردودهم أم يقيمون الوجوه المتعددة على نفي ذلك، وإثبات ما يرونه كما هو حالهم؟؟.

٥- أن أحدهم ما دام يقول: إنه ليس في الأرض لله وَلِلَّهِ كلام على الحقيقة!! « وليس عندنا شيء منه، ولا يتصور نزوله!! انمحي من قلبه تعظيم المصحف، ولم يتحقق في سره إثبات إله... وأجهل الناس من جاء إلى ما قصد النبي ﷺ تعظيمه؛ فأضعف في النفوس قوى التعظيم...؛ فإذا جاء متحذلق فقال: الكلام صفة قائمة بذات المتكلم؛ فمعنى قوله هذا أن ما ههنا شيء يحترم؛ فهذا قد ضاد ما أتى به مقصود الشرع »<sup>(٣)</sup>. فهؤلاء أهل الكلام سبب كل بلية في دين المسلمين، حتى أوقعوا الناس في البدع، وانمحي من قلوبهم تعظيم الشرع، بل وتعظيم ما جاء به النبي ﷺ، وذلك بالأقوال المستبشعة، والتأويلات المستكرهة، التي تخرج الدين من حقيقته ورونقه وجماله<sup>(٤)</sup>.

والسنة فهو زنديق!!!.

(١) الرسالة التبوكية ص ٤١٤.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٨.

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ١٠٢.

(٤) انظر: صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٢٧٠.

٦- أنهم يؤلفون المؤلفات بغرض إذعان آيات القرآن لعلومهم الكلامية، وجدلياتهم المنطقية، وما قرروه بعقولهم الردية، و«كل إنسان تغلب عليه نزعته في كتابته، وتلوح عقيدته من خلال تأليفه وتحديثه...، وذلك الشأن في علماء الكلام حين تصدوا لتفسير كلام الله...، وعلى رأس هؤلاء... الرازي...، وقد سلك في تفسيره "مفاتيح الغيب" المشهور بتفسير الرازي، مسلك الحكماء الإلهيين!! فصاغ أدلته في مباحث الإلهيات على نمط استدلالاتهم العقلية...»<sup>(١)</sup>.

٧- مخالفتهم الظاهرة لآيات الكتاب، وما ثبت من السنة الصحيحة. قال شيخ الإسلام رحمته الله: «وأما مخالفة هؤلاء - أي المتكلمين - لنصوص الكتاب والسنة، وما استفاض عن سلف الأمة، فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى على عالم، ولهذا أسسوا دينهم على أن باب التوحيد والصفات لا يُتبع فيه ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وإنما يُتبع فيه ما رأوه بقياس عقولهم، وأما نصوص الكتاب والسنة؛ فإما أن يتأولوها، وإما أن يفوضوها»<sup>(٢)</sup>. وهكذا يقولون هم: «ومعظم خلافاً - أي: في باب العقيدة - مع الفرق الإسلامية، خصوصاً المعتزلة؛ لأنهم أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة، وجرى عليه جماعة الصحابة رضي الله عنهم في باب العقائد»<sup>(٣)</sup>. فإذا كانت الجهمية والمعتزلة هم أول من قعدوا القواعد المخالفة للسنة فإن أصحاب الفرق الضالة والمنحرفة كلها صارت على هذا الدرب، وحرقت في كلام الرب، بحجة أن الظواهر مخالفة للقواعد!!.

٨- ومن عدم تعظيمهم للقرآن مخالفتهم الصريحة له: «قدم جماعة من أهل

(١) مناهل العرفان ٢/ ١٠٤-١٠٥ بشيء من التصرف، وهو إنما أراد مدح التفسير، ولكن حين التمعن في الكلام يظهر أنه ذم، حيث فيه أنه يسوق الأدلة ويجعلها تدل على ما ذهب إليه بعقله!! وقد ذكر مؤلف كتاب: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٦٠، أن التفسير الكلامي محدث في الدين، فأنظره فإنه مهم.

(٢) منهاج السنة ٢/ ١٠٩.

(٣) شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني ص ٥٣.

البدع بغداد يحسنون الكلام، وكانوا يقولون: ليس لله في الأرض كلام، وهل المصحف إلا ورق، وعفص، وزاج<sup>(١)</sup> ... ثم يقولون: أين الحروفية الذين يزعمون أن القرآن حرف وصوت، هذا عبارة جبريل!! فما زالوا كذلك حتى هان تعظيم القرآن في صدور أكثر العوام<sup>(٢)</sup>. فالمخالفون للسلف من المتكلمين وغيرهم لما لم يتصور أحدهم في الأرض كلاما لله ﷻ، ولم يتصور نزول القرآن الكريم، «انمحي من قلبه تعظيم المصحف، الذي الاستخفاف به كفر»<sup>(٣)</sup>.

٩- اعتقادهم أن القرآن جاء بالتشبيه!! بل وبالنقص، يقول ابن خلدون بعد أن رد ما قيل في بعض الأمور أنه من المتشابه، قال مبينا ما فيه التشابه حقا!!: «ولم يبق من المتشابه إلا الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه، مما يوهم ظاهره نقصا، أو تعجيزا!!»<sup>(٤)</sup>. وهكذا أهمل البدع يدعون أن التشابه فيما دعا إليه القرآن من معرفة الله ﷻ بصفاته، وكماله وجلاله، مع أن كلامهم هو المتشابه حقا، بل إن أهل البدع ما دعوا الناس إلا إلى المتشابه<sup>(٥)</sup>. ومن أهل الكلام من يقول: إن إبقاء العوام على عقيدتهم - ولو كانت قريبة إلى التشبيه - أولى من إغراقهم في التنزيه!! حتى لا تعطل النصوص فيستخفون بها!! وقالوا: إن السلف الصالح إنما أمروا الناس بالظاهر الذي دل عليه الكتاب والسنة؛ لأنه أسلم للعوام!!<sup>(٦)</sup> ويصرح الغزالي بأن

(١) (عَفَص) بالفتحات: الوعاء يكون من جلد، أو خرقة، ونحو ذلك، (زاج) أخلاط من الخبر، فارسي معرب. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/٢٦٣، لسان العرب لابن منظور ٦/١٠٩.

(٢) أقاويل الثقات ص ٢٢٣.

(٣) أقاويل الثقات ص ٢١٠، وانظر: الدرء ٢/١٤.

(٤) المقدمة لابن خلدون ص ٨٥١، وانظر منه ص ٨٥٤، وانظر: تحفة المريد للبيجوري ص ٩٢ حيث ذكر أن النصوص المثبتة لله ﷻ العلو والاستواء من النصوص الموهمة للتشبيه!!

(٥) انظر: التسعينية ١/٢٣٥ وما بعدها، المجموع ١٧/٣٦١، بل إن القاضي عبد الجبار ألف كتابه في التفسير المسمى بمتشابه القرآن ليعين أن ما دل عليه هذه الآيات هي من المتشابهات، وأن الأصل نفي الصفات!!.

(٦) قريب من هذا قول الجويني في كتابه الغياني حيث أوجب على حاكم المسلمين منع العوام من علم الكلام وإلزامهم عقيدة السلف، ومن أراد الارتقاء عن العوام؛ فعليه بعلم الكلام!! وكذلك فعل الغزالي في كتابه إجماع العوام عن علم الكلام. انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٣٩-٤٠.

نصوص القرآن تدل على التشبيه فيقول: «وأما المتشابه... قد يطلق على ما ورد في صفات الله مما يوهم ظاهره الجهة، والتشبيه، ويحتاج إلى تأويله!»<sup>(١)</sup>. فانظر كيف ظنوا أن القرآن الكريم يؤدي ظاهره إلى التشبيه مع أن آيات القرآن والسنة مليئة بالإثبات والتنزيه، وهو سبيل السلف عليه السلام!! وأما هؤلاء فما زالوا في التنزيه الذي أدى إلى التعطيل المحض، والسلف بريئون من التمثيل والتعطيل، فهم وسط بين الطائفتين؛ من المتكلمة المعطلة، ومن المتكلمة المشبهة<sup>(٢)</sup>.

١٠ - عدم تفضيل أهل الكلام القرآن على الكتب السابقة، وهذا مما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن. نعم، هم يفضلون القرآن على الكتب السابقة من حيث إن تلك أصبحت منسوخة، وأن هذا ناسخ، وأن لقراءة هذا فضلا على تلك، لا من حيث كونه كلام الله ﷻ. ويؤكد لك هذا المعنى: أنهم اطرحوا النصوص الواردة في تفضيل بعض السور على بعض، وقالوا بناء على كلامهم في القرآن: إنه مخلوق، أو نفسي، أو أزلي، فيمتنع أن يفضل بعضه بعضا!! فليس عندهم إلا كلام واحد، وليس هناك كلام، حتى يكون أحدهما مثل الآخر، أو أفضل منه!!<sup>(٣)</sup> وما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم لازم قولهم من حيث إنهم لا يفضلونه على التوراة والإنجيل، ويظنون أنه بمثابةها، وأنه لا فرق بين هذا وهذا. وقد نص كثير من المتكلمين بعدم تفاضل كلام الله ﷻ، وعدم التفاضل بين سور القرآن وآياته!!<sup>(٤)</sup> بل منهم من فضل موضع قبر النبي ﷺ على القرآن!!<sup>(٥)</sup> مع أن صفة الرحمن لا يماثلها شيء من الأنام.

١١ - إن تعظيم المصحف عندهم إنما هو بالرسوم، لا بالعمل والاعتقاد، وقد يهينون المصحف جهارا: كان رجل من أهل مرو صديقا للجهم، ثم قطعه، وجفاه، فقبل

(١) المستصفى ص ٨٥.

(٢) انظر: وسطية أهل السنة للشيخ محمد باكريم ص ٣١٩ وما بعدها.

(٣) انظر: المجموع ١٧ / ١٥٤ - ١٥٥.

(٤) انظر: الفتح ٨ / ٨، الفواكه الدواني ١ / ٥٧.

(٥) انظر: شرح الزرقاني ٢ / ٦ - ٧، وانظر: المجموع ١٧ / ٦٨.

له: لم جفوته؟ فقال: جاء منه ما لا يحتمل، قرأت يوماً آية كذا وكذا، فقال: ما كان أظرف محمداً، فاحتملتها، ثم قرأ سورة طه، فلما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] قال: أما والله لو وجدت سبيلاً إلى حُكِّها لحككتها من المصحف، فاحتملتها، ثم قرأ سورة القصص، فلما انتهى إلى ذكر موسى، قال: ما هذا؟ ذكر قصة في موضع فلم يتمها؟ ثم ذكر ههنا فلم يتمها؟ ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه!! فوثبت عليه<sup>(١)</sup>. وهذا حال الجهمية والمعتزلة، وهم من أهل الكلام الذين نفوا صفات الرحمن، وعطلوه عن الكمالات الواجبة له، ف«وصفوا ربهم تعالى بالعيوب والنقائص، وحكموا على دينه بالأهواء والظنون، وحملوا الناس على ذلك رغبة ورهبة، وصدوهم عن الهدى إلا من ثبته الله تعالى، وتركوا فتنتهم وقد فتحت بها على الأمة أبواب من الشر والبدعة لم تغلق إلى يومنا هذا»<sup>(٢)</sup>. وقريب من حالهم الأشعرية ونحوهم؛ فإنهم لما اعتقدوا أن هذا الكلام الموجود بين دفتي المصحف ليس هو كلام الله ﷻ نفسه، وإنما هو عبارة عن كلام الله ﷻ، وأن العبارة مخلوقة، أدى هذا ببعض متأخريهم إلى تهوين شأن المصحف، بل إن جهالهم يستهينون به، ويتبين هذا إذا علمت أن كبارهم إنما يرون تعظيمه لا لكونه كلام الله وصفة من صفاته ﷻ، وإنما يعظمونه لكونه عبارة دالة على القديم، فتعظيمه لدلالته على العظيم، لا لكونه نفسه معظماً!!.

١٢- ومما يبين عدم تعظيمهم للقرآن الموجود عند المسلمين، أنهم يقارنون ويفاضلون بينه وبين غيره - مع أن القرآن صفة من صفات الله - وقد عقد بعض المتكلمين مقارنة ومفاضلة بين القرآن وبين رسول الله ﷺ!! وهذه مقارنة عجيبة تنبئك عن عقيدة غريبة، إذ كيف يُعقد مقارنة بين صفة من صفات الله، وبين عبد من عباد الله - ولو كان أفضل الخلق محمد ﷺ. فإن هذا لا يليق -، ولكن تمت هذه المقارنة بناء على أن القرآن المنزل مخلوق!! قال الباجوري: «وهل القرآن بمعنى اللفظ المقروء أفضل أو سيدنا محمد ﷺ؟!؟»؛ فذكر الخلاف الذي عند الأشاعرة، ثم قال: «والحق

(١) روى نحوه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٢٦.

(٢) العقيدة السلفية لعبد الله الجديع ص ٣٢٣.



أنه ﷺ أفضل؛ لأنه أفضل من كل مخلوق»<sup>(١)</sup>. فانظر: - يارعاك الله - بعين الإنصاف، كيف أن البدعة تجر إلى البدعة، فلما قالوا بالعبارة، قالوا بالتفضيل على القرآن الذي هو كلام الرحمن، سبحانه هذا بهتان عظيم، وهذا يدل على ما ذكرته من أن الأشاعرة والماتريدية إنما يقولون: بأن القرآن كلام الله غير مخلوق يعنون بذلك الكلام النفسي، لا القرآن الموجود بين الدفتين، فإنه عندهم مخلوق! بل إن الأشاعرة ونحوهم ممن لا يثبتون كلاما لله ﷻ في المصحف أدى بهم موقفهم إلى التهوين من شأن المصحف، فقالوا: ما فيه إلا الورق والمداد<sup>(٢)</sup>. وهم - أعني كبار الأشاعرة - «يجوزون وقوع المفاضلة في القرآن العربي، وهو مخلوق عندهم، وهذا المخلوق يسمى "كتاب الله" والمعنى القديم يسمى "كلام الله"، ولفظ "القرآن" يراد به عندهم ذلك المعنى القديم، والقرآن العربي المخلوق، وحيث فهم يتأولون ما ورد من تفضيل بعض القرآن على بعض على القرآن المخلوق عندهم!!»<sup>(٣)</sup>. فحصل بسبب هذا شر كبير، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ثم تبع أقوام من أتباعهم أحد أهل المذهب، وأن القرآن معنى قائم بذات الله فقط، وأن الحروف ليست من كلام الله، بل خلقها الله في الهواء، أو صنفها جبريل، أو محمد ﷺ، فضموا إلى ذلك أن المصحف ليس فيه إلا مداد وورق، وأعرضوا عما قاله سلفهم من أن ذلك دليل على كلام الله فيجب احترامه، لما رأوا أن مجرد كونه دليلا لا يوجب الاحترام، كالدليل على الخالق المتكلم بالكلام؛ فإن الموجودات كلها أدلة عليه، ولا يجب احترامها، فصار هؤلاء يمتهنون المصحف حتى يدوسوه بأرجلهم!!! ومنهم من يكتب أسماء الله بالعذرة، إسقاطا لحرمة ما كتب في المصاحف والورق من أسماء الله وآياته»<sup>(٤)</sup>. وقال ابن حزم رحمه الله: «أخبرني علي بن حمزة المرادي الصقلي الصوفي<sup>(٥)</sup> أنه رأى بعض الأشعرية يبطح المصحف برجله، قال:

(١) شرح جوهره التوحيد ص ٩٤.

(٢) انظر: أقاويل الثقات ص ٢٢٠.

(٣) المجموع ١٧/٧٤.

(٤) المجموع ٨/٤٢٥.

(٥) هو العالم المتصوف: أبو الحسن علي بن حمزة المرادي الصقلي، سمع منه الحافظ الحميدي، وكان يتكلم في فنون، ويشارك في علوم، ويتصوف. انظر: جذوة المقتبس ص ٣١٣.

فأكبرت ذلك، وقلت له: ويحك! هكذا تصنع بالمصحف، وفيه كلام الله تعالى؟ فقال لي: ويلك! والله ما فيه إلا السخام والسواد، وأما كلام الله فلا!!<sup>(١)</sup>. وأما ما تراه من أهل الكلام من تعظيم للمصحف فذلك لما فيه من اتباع السنة، ويقدر ذلك يكون تعظيمه لنصوص الوحيين، أو لكونه دالا على القديم، وليس التعظيم ما يفعله بعضهم من القيام للمصحف، وتقيله، بل أعظم تعظيم للمصحف يكون بالعمل بما فيه اعتقادا وعملا، ولكن الاعتقادات الباطلة لأوائل أئمة الأشعرية والماتريدية أثرت في الأتباع، وقولهم بأن القرآن عبارة عن كلام الله «نوع من الضلال والنفاق، والجهل بحدود ما أنزل الله على رسوله، وهو الذي أوقع الجاهل في الاستخفاف بحرمة آيات الله وأسمائه، حتى أُلحدوا في أسماء الله»<sup>(٢)</sup>.

١٣- أن الجهمية من أهل الكلام ما قدروا الله حق قدره؛ إذ جحدوا معاني وحقائق الأسماء والصفات، وظنوها ألفاظا مجردة عن المعاني!!<sup>(٣)</sup> ولم يثبتوا له قدرة على فعل، ولا على كلام، ولا على نزول شيء من الكلام منه، «فهم أبعد الناس عن التصديق بقدرة الله، وأنه على كل شيء قدير»<sup>(٤)</sup>، ولهذا فإنهم إذا رأوا آية تخالف مذهبهم يعملون فيها التأويل (أعني التحريف)، حتى توافق مذهبهم، ويدخلون بالمجاز على المعاني التي هم يريدونها، لا المعاني التي أرادها الله ﷻ، فيقولون إذا أعتيتهم الحقائق القرآنية: «إذا فنحن بحاجة إلى التجوز، والمجاز بابه واسع، وميدانه فسيح، وليكن المعنى المجازي لأنزال القرآن هو الإعلام في جميع إطلاقاته!!»<sup>(٥)</sup>. فأهل الكلام الواحد منهم: «أول ما درس الفلسفة؛ فعند ما جاء إلى القرآن والسنة ليتعلمها أخذ يدخل الفلسفة فيها؛ فكان يعرض القرآن على الفلسفة!! فإن خالف القرآن الفلسفة لم يأخذ بالقرآن!! وهكذا جميع الفرق الضالة؛ فإنها تعلمت الفلسفة

(١) الفصل في الملل والنحل ٥/ ٨١.

(٢) المجموع ١٢/ ٣٨٢.

(٣) انظر: شرح الواسطية للفوزان ص ١٦.

(٤) المجموع ٨/ ٢٧.

(٥) مناهل العرفان ١/ ٤٣.

قبل القرآن»<sup>(١)</sup>، وعلى هذا فقس الفرق الباقية من أهل الكلام.

١٤ - وما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن أنك تجد من هؤلاء - أهل الكلام - من يقرأ ويعلم ما أثبتته الله في كتابه، ثم يأتي هو فينفيه، أو يأتي إلى أمر نفاه الله في كتابه، فيأتي هو ويثبت!! ففعلهم وقولهم نفي ما أثبتته الله، وإثبات ما نفاه الله، وإن كان ذلك مبنيًا على أصول ومقدمات، إلا أن ذلك لا يخرجهم من تبعية المضادة لله ﷻ في الإثبات والنفي. ومن صريح ما حرفوا فيه التنزيل ما قرأ به بعض المعتزلة قول الله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، فقرأوا اسم الجلالة (الله) بالنصب لتوافق مذهبهم في نفي تكليم الله ﷻ لعبده موسى ﷺ!!<sup>(٢)</sup> وكيف يصنعون بقوله ﷻ؟<sup>(٣)</sup>: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] والمعتزلة «تجاوزوا تغيير الحديث إلى أن راموا تغيير القرآن فلم يصح لهم ذلك في القرآن لإجماع الأمة عليه، وصح في كثير من الحديث؛ فغيروا في المصحف مواضع كثيرة، كقراءتهم: من شر ما خلق، بالتثوين، وقراءتهم: قال عذابي أصيب به من أساء، بسين غير معجمة، وفتح الهمزة، وقالوا: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، قالوا: إن معناه دفعنا!!...»<sup>(٤)</sup>. وقال ابن أبي العز ﷻ إن أحمد ابن أبي دؤاد: «أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ليس كمثله شيء، وهو العزيز الحكيم!! حرف كلام الله لينفي وصفه تعالى بأنه السميع البصير، كما قال الضال الآخر جهم بن صفوان: وددت أني أحك من المصحف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾، فنسأل الله العظيم السميع البصير أن يثبتنا بالقول الثابت في

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٧٤٧/٢.

(٢) الاقتضاء ٧٦/١.

(٣) انظر: شرح الطحاوية ١٧٧/١.

(٤) الإنصاف للبطلبوسي ص ١٥٩، وذكر اللالكائي أن عمرو بن عبيد روي في المنام وهو يحكم آية من كتاب

الله ﷻ؛ فقيل له ماذا تفعل؟ فقال: أخط مكانها خيرا منها!! انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة

والجماعة ٧٣٨/٤.

الحياة الدنيا وفي الآخرة بمنه وكرمه»<sup>(١)</sup>.

١٥- أنهم ظنوا أن السلف الصالح لم يفهموا معاني ما في كتاب الله ﷻ؛ فإن منهم من يعتقد بأن مذهب السلف هو التفويض، وأنهم لم يعلموا معاني هذه الصفات، وفوضوها إلى رب البريات، ويقولون: هذا مذهب السلف!!<sup>(٢)</sup> فإذا كان من نزل عليهم القرآن، ومن علمهم سيد ولد عدنان لم يفهموا هذه النصوص؛ فكيف تعظم إذا؟؟ وابن خلدون - مع أنه يظن أن مذهب السلف هو التفويض - يؤكد على أن السلف فهموا القرآن فيقول: «وأما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه: في مفرداته، وتراكيبه، وكان ينزل جملاً جملاً، وآيات آيات، لبيان التوحيد، والفروض الدينية بحسب الوقائع، ومنها ما هو في العقائد الإيمانية، ومنها ما هو في أحكام الجوارح، ومنها ما يتقدم، ومنها ما يتأخر ويكون ناسخاً له، وكان النبي ﷺ هو المبين لذلك...، ويعرفه أصحابه؛ فعرفوه، وعرفوا سبب نزول الآيات... ونقل ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم، وتداول ذلك التابعون من بعدهم، ونقل ذلك عنهم، ولم يزل ذلك متناقلاً بين الصدر الأول والسلف، حتى صارت المعارف علوماً، ودونت الكتب؛ فكتب الكثير من ذلك، ونقل الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين»<sup>(٣)</sup>.

١٦- تسميتهم لنفي الصفات "توحيداً" مع أن الكتاب والسنة جاء فيهما إثبات الصفات لله ﷻ<sup>(٤)</sup>، فهم ناقضوا الوحي حتى في المسميات. فالقرآن فيه إثبات الأسماء والصفات، وهؤلاء يقولون: ليس لله علم، ولا قوة، ولا رحمة، ولا كلام، ولا يحب، ولا يرضى، ولا نادى، ولا ناجى، ولا استوى!!، أهذا تعظيم للقرآن الكريم؟!

(١) شرح الطحاوية ١/ ١٢١، وانظر: شفاء العليل ١/ ١٧٢ لمعرفة بعض تأويلات القدرة.

(٢) انظر: الفواكه الدواني ١/ ٤٨، المقدمة لابن خلدون ص ٨٣١ - ٨٣٢، التنبيه على المخالفات العقدية في

الفتح ص ١٢١.

(٣) المقدمة لابن خلدون ص ٧٨٥-٧٨٦.

(٤) التدمرية ص ١٨٢.

أهذا جعل للقرآن الكريم مصدرا للعقيدة؟!<sup>(١)</sup>.

١٧- ومما يدل على أنهم غير معظمين للقرآن حقيقة، أنهم يعتقدون خلوه من علم العقائد، ولهذا تجد أحدهم يؤلف في الاعتقادات، ولا تجد فيه إلا القليل والقال. ومن أمثلة ذلك كتاب "أساس التقديس" الذي ألفه الرازي فيلسوف أهل الكلام وشيخهم، لبيان وجوب تقديم العقل على النقل!! لم يذكر استشهادا في كتابه آية أو حديثا، ثم إنه ذكر بعض الآيات ليتأولها ويحرفها!! بينما يستدل بقول "أرسطاطاليس، ويقول أبي معشر المنجم!!"<sup>(٢)</sup> ثم يقول: «القسم الثاني من هذا الكتاب: وهو في تأويل المتشابهات من الأخبار والآيات... لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار!!»<sup>(٣)</sup>، فالرازي يطعن في كتاب الله تعالى "القرآن" بحجة أن فيه ألفاظا تفيد الظن، ويطعن في الصحابة بحجة أنهم لم يعرفوا معانيها؟ وإنما يدركها هو وأمثاله؟ ومثل هذا قله في كل كتاب مؤلف على طريقة أهل الكلام؛ فإن أساس كل كتاب من كتب أهل الكلام التأويل، والمعتمد عندهم العقل، وهو الدليل. فانظر إلى كتاب "لباب العقول" ولن تجد فيه استدلالا بآية أو حديث، بل يردهما، ويعتقد أن فيهما التشبيه!!<sup>(٤)</sup>. وقد اعتذر ابن العربي لأهل الكلام لكونهم لا يستدلون بالآيات القرآنية باعتذارات لا تفي بالمقصود، يقول ابن العربي المعافري: «ذكر الاعتذار عن عدول العلماء عن الكتاب إلى أدلة العقول؛ فإن قيل: فما عذر علمائكم في الإفراط بالتعلق بأدلة العقول دون الشرع المنقول في معرفة الرب، واستوغلوا في ذلك؟!»<sup>(٥)</sup> فهذا فيه الإقرار بأنهم لا يضمنون مؤلفاتهم الأدلة القرآنية، وإنما عمدتهم العقول البشرية!! ثم ذكر جوابين: «أحدهما: أن الأدلة في الكتاب مختصرة وبليغة، ومذكور فيها الأصول

(١) انظر: التدمرية ص ٣٠.

(٢) انظر: أساس التقديس للرازي ص ١-١٥.

(٣) أساس التقديس للرازي ص ٧٩.

(٤) انظر: لباب العقول من ص ١٧٥-١٨٠.

(٥) قانون التأويل لابن العربي ص ٥٠١، وانظر: مقدمة المحقق على الكتاب ص ٢٩٥.

ذو التوابع والمعلقات من الفروع؛ فأكمل العلماء ذلك الاختصار، وعبروا عن تلك الإشارة بتممة البيان، واستوفوا الفروع والمتعلقات بالإيراد!! والثاني: أنهم أرادوا أن يبصروا الملاحدة، ويعرفوا المبتدعة أن مجرد العقول التي يدعونها لأنفسهم، لا حظ لهم فيها...»<sup>(١)</sup>. فانظر إلى هذا الاعتذار ما أبرده، وما أسمعجه!؟ الأدلة القرآنية الموجزة البليغة - كما اعترف - لا يذكرونها لكونها بليغة؟! وإنها تدل على الأصول فتركت، وإنها يذكرون الفروع التي هي متممات لها؟! والقرآن لم يدل على الأدلة العقلية التي تقنع الملاحدة! وأهل البدع لا يمكن مخاطبتهم بالقرآن!؟ لماذا لا يذكر لأهل البدع الأدلة القرآنية؟ أليسوا مسلمين وبالقرآن مقرين؟ فلتذكر لهم الأدلة النقلية؛ فإن رجعوا إليها فهم من أهل السنة، وإن ردوها فهم من أهل البدعة هذه - فضلا عن غيرها - وأما أن تترك الأدلة الشرعية لكون أهل البدع لا يرونها فهذا تنازل عن أدلة الشرع، وهو غير مقبول. وقد اعتذر لأهل الكلام مصطفى صبري فقال: «ثم إن أصول الدين معظم ما تستند إليه الأدلة العقلية التي تكون حجة على المعترفين بالأديان، والملاحدة المنكرين جميعا!!، والتي يحتويها علم الكلام أكثر من الكتاب والسنة حتى أن كون الكتاب والسنة نفسيهما حجة يصح الاستناد إليهما، وتصلح لاستنباط الأحكام عنها، يتوقف على تلك الأدلة العقلية!!! ومن هذا تقل حاجة علماء الكلام إلى إيراد أدلة الكتاب والسنة، ويجدر علم أصول الدين أن يعد من العلوم العقلية»<sup>(٢)</sup>. فأهل الكلام «تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى، إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن»<sup>(٣)</sup>. قال ابن الوزير رحمته الله: «نبغ في هذا الزمان من عادى علوم القرآن، وفارق فريق الفرقان، وصنف في التحذير من الاعتماد على ما فيه من التبيان، في معرفة

(١) قانون التأويل لابن العربي ص ٥٠٢ بشيء من التصرف.

(٢) موقف العقل العلم والعالم ١/ ٤٨٢.

(٣) المجموع ٥٨/ ١٣.

الديان، وأصول قواعد الأديان، وحث على الرجوع في ذلك إلى معرفة قوانين المبتدعة اليونان، منتقضا لمن اكتفى بما في معجز التنزيل من البرهان، مقبحا لتلقي كثير من محكماته بالقبول والإيمان. لا جرم أن الله تعالى وإن وصفه بأنه لقوم هدى؛ فقد وصفه بأنه على قوم عمى؛ فحسبوه حين عموا عنه وصموا أنه لأمر يرجع إلى ذاته، ولخلل يعود إلى بين آياته، ولم يعلموا أن ذلك يخصهم لما في قلوبهم من العمه والعمى، والرداءة والردى؛ فكأنهم المنافقون ريبا وخبثا وبهتاناً<sup>(١)</sup>. ولذلك إذا بزغ منهم رجل وصار له شأن في الكلام قال: هل في القرآن علم؟!<sup>(٢)</sup>.

١٨- ويضربون آيات الله بعضها ببعض، ولا يهتمون - كما فعل السلف - بالجمع بينها، بل همهم الجمع بينها وبين ما دل عليه عقولهم بالتأويلات الباطلة!!<sup>(٣)</sup>.

١٩- أنهم يفترون على القرآن الكريم، ويقولون عليه ما ليس فيه<sup>(٤)</sup>. يقول الرازي: «ورد في القرآن ذكر الوجه، وذكر العين، وذكر الجنب الواحد، وذكر الأيدي، وذكر الساق الواحدة!!»<sup>(٥)</sup>. وهذا يدل أن القوم يعتقدون ثم يستدلون!! ويقول ابن خلدون مبينا الصفات الواردة في القرآن بزعمه: «اعلم أن الله سبحانه وصف نفسه في كتابه بأنه عالم...، وكذا أثبت لنفسه... اللسان!!»، ثم زعم أن مما وصف به نفسه ما يوهم النقص كالأستواء!!<sup>(٦)</sup>.

«والنفاة متفقون على أن ظواهر النصوص تجسيم عندهم!! وليس عندهم بالنفي نص؛ فهم معترفون بأن قولهم هو البدعة، وقول منازعيهم أقرب إلى السنة»<sup>(٧)</sup>، وإن

(١) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص ٧-٨.

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم ص ١٤٤.

(٣) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة الأشرار للعمراني ٢/٥٩٣، ٥٩٥، المجموع ١٦/٥١، مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب، المسألة ٧٧، موقف العقل والعلم والعالم ٣/٤٠٢.

(٤) انظر: شفاء العليل ١/١٧٢.

(٥) أساس التقديس للرازي ص ٧٩.

(٦) المقدمة لابن خلدون ص ٨٥٢.

(٧) درء التعارض ١/٢٤٩.

عامة من يورد على ألفاظ الكتاب والسنة، ويدعي أن ظاهرها ممتنع: إنما أتى من سوء فهمه، لا من قصور في بيان الله ورسوله، بل ممن تأول<sup>(١)</sup>، إذ لو كان الظاهر غير مراد لنبه عليه الشارع، ولقال: «من تمسك بالقرآن، أو بدلالة القرآن، أو بمفهوم القرآن، أو بظواهر القرآن في باب الاعتقاد: فهو ضال؟ وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة - في هذه المقالة - وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين»<sup>(٢)</sup>.

وأما أهل السنة فإن أحدهم: «يشتغل بوظائف العبادات؛ فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع من أنوار العبادات ووظائفها، وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسماعهم وحياتهم في الخضوع لله ﷻ، والخوف منه، والاستكانة له...، وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل، والكلام غاية الحراسة؛ فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهدده، وما يفسده أكثر مما يصلحه، بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد، رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها، وربما يفتتها ذلك ويفسدها، وهو الأغلب، والمشاهدة تكفيك في هذا بياناً، فناهيك بالعيان برهاناً، فقس عقيدة أهل الصلاح والتقوى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين؛ فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ، لا تحركه الدواهي والصواعق، وعقيدة المتكلم الحارس: اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيطة مرسل في الهواء، تفيؤه الرياح مرة هكذا، ومرة هكذا»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الوزير اليامي رحمه الله مبيناً سبب إعراض المتكلمين عن القرآن المبين: «الزيادة في الدين فسببه تجويز خلو كتب الله تعالى وسنن رسوله الكرام عليهم الصلاة والسلام عن بيان بعض مهات الدين، اكتفاء بدرك العقول لها!! ولو

(١) الرد على البكري ٢/ ٦٨٥-٦٨٦.

(٢) المجموع ٥/ ٢٠، وانظر: أفاويل الثقات ص ٢٣٠.

(٣) الإحياء للغزالي ١/ ١٥٢ وشهد شاهد من أهلها.



بالنظر إلى التصديق، ليكون ثبوتها بعد رسول الله ﷺ بطريق النظر العقلي!!!، هذا مذهب أهل الكلام»<sup>(١)</sup>.

ثم إن القرآن قد نقل إلينا متواترا لفظا ومعنى؛ حتى باعتراف أهل الكلام أنفسهم؛ فكيف نعرض عنه بحجج العقول. يقول ابن خلدون رحمه الله: «اعلم أن القرآن نُزِّل بلغّة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم؛ فكانوا كلّهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جملا جملا، وآيات آيات، لبيان التوحيد، والفروض الدينية بحسب الوقائع... ونقل ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وتداول ذلك التابعون من بعدهم، ونقل ذلك عنهم، ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الأول والسلف، حتى صارت المعارف علوما، ودونت الكتب، فكتب الكثير من ذلك، ونُقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين»<sup>(٢)</sup>.

وأخفهم بدعة - نسبة إلى الجهمية والمعتزلة - هم الأشاعرة والماتريدية، ومع ذلك فإنهم لم يثبتوا ما أثبتوا من الصفات إلا لأن العقل دل عليها، لا لأن القرآن جاء به، ولو كانوا معظمين للقرآن لأثبتوا كل ما جاء في القرآن من صفات الرحمن<sup>(٣)</sup>، «ولهم في رد الأحاديث بهذا المنطق فضائح يرجع إليها في مثل كتاب "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة»<sup>(٤)</sup>.

فعندما يسمعك الأشعري أو الماتريدي تثبت ما جاء الله من صفات في القرآن والسنة، يقولون لك: مجسم؛ فهم يقرؤون القرآن والسنة لا للفهم، والفقهاء وإنما لِمَجْرَدِ تِلَاوَةٍ<sup>(٥)</sup>.

وقد تراهم يؤلفون في تفسير كتاب الله ﷻ ولكن من أجل خدمة منهجهم

(١) إيثار الحق ص ١٠٣.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٧٨٦.

(٣) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٤٩٩.

(٤) المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٢٧.

(٥) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٥٠٣.

الفاسد، وترويج مذهبهم الكاسد؛ فالرازي مثلاً لم يؤلف كتابه في التفسير إلا إظهاراً لعضلاته الكلامية، وصنعتة المنطقية<sup>(١)</sup>، وهكذا القاضي عبد الجبار المعتزلي في تفسيره للقرآن؛ إنما بث الاعتزال، وكذا الزمخشري<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في قول الإمام أحمد: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس: «ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة، وغيرهم من أهل البدع، يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم، وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ، والصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين؛ فلا يعتمدون لا على السنة، ولا على إجماع السلف وآثارهم، وإنما يعتمدون على العقل، واللغة، وتجاهلهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث، وآثار السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب، وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم»<sup>(٣)</sup>.

ومن أهل الكلام النجارية الذين يقولون: إن القرآن جسم إذا كتب، وعرض إذا قرئ ومعلوم أن هذا كفر صريح<sup>(٤)</sup>، إذ كلام الله ﷻ لا يوصف بهذا.

٢٠- ومما يدل على عدم تعظيم أهل الكلام للقرآن الكريم ما صرح به «غلاة الأشعرية في نفى حكمة الله تعالى، تقبيح اسم الحكيم في الظاهر، وإيجاب تأويله بالمحكم لصنعه من غير حكمة له في ذلك الأحكام، وغلاة المعتزلة في نفى السميع البصير، وتقبيحها في الظاهر، وإيجاب تأويلها بالعليم لا سواه!!...»، وكذلك الجميع من الأشعرية والمعتزلة في نفى حقيقة الرحمن الرحيم، وما في معناهما من الرؤوف، والودود، وأرحم الراحمين، وحكمهم بأنها أسماء قبيحة الظواهر في حق الله تعالى!! وأنها لا تليق بجلاله إلا بصرفها عن ظواهرها، وتعطيلها عن حقائقها إلى المجاز

(١) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٧٢٦.

(٢) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٧٥٣.

(٣) المجموع ٧/ ١١٩.

(٤) انظر: شرح ملا علي القاري على كتاب ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص ١٢٦، وذكر المحقق د/ الطيب بن عمر الشنيطي نسبة هذا القول إلى النجارية عن بدر الدين العيني الحنفي، كما في الحاشية

(٣) من الصفحة نفسها.

المحض!! وأن نسبة الرحمة إلى الله سبحانه، كنسبة إرادة الانقضاض إلى الجدار، والجناح إلى الذل!!!»<sup>(١)</sup>؛ فالقرآن الكريم مليء بما يدل على حكمة الله ﷻ في خلقه، وفي فعله، وفي أمره ونهيه، وكثير من أهل الكلام - خصوصا الجهمية والأشاعرة - ومن وافقهم يقولون: «إنه لا يفعل شيئا لحكمة!!؛ فلا يخلق لحكمة!!، ولا يأمر لحكمة!!، ولا يفعل شيئا لشيء أصلا، وليس عندهم في القرآن العزيز "لامٌ كي" لا في خلقه، ولا في أمره!!»<sup>(٢)</sup>.

فهؤلاء أهل الكلام إنما يتحكمون فيما يسمونه بظواهر النصوص بالظن والهوى، والتخمين والردى، «ويتكلف المتكلمون كلهم التأويلات البعيدة، تارة لما يمكن تأويله لو دل دليل قاطع على امتناع ظاهره، ولكن لا قاطع محقق، إلا مجرد دعوى، وتارة لما لا يمكن تأويله إلا بتعسف شابه تأويل القرامطة، وربما استلزم بعض التأويلات مخالفة الضرورة الدينية، وهم لا يعلمون»<sup>(٣)</sup>. قال شيخ الإسلام ﷻ: «يقال: قول هؤلاء متناقض، والقول المتناقض فاسد، وذلك أن هؤلاء يوجبون التأويل في بعض السمعيات دون بعض - وليس في المنتسبين إلى القبلة بل ولا في غيرهم من يمكنه تأويل جميع السمعيات - وإذا كان كذلك قيل لهم: ما الفرق بين ما جوزتم تأويله، فصرتموه عن مفهومه الظاهر، ومعناه البين، وبين ما أقررتموه؟ فهم بين أمرين: إما أن يقولوا ما يقوله جمهورهم: إن ما عارضه عقلي قاطع تأويلناه، وما لم يعارضه عقلي قاطع أقررناه!! فيقال لهم: فحينئذ لا يمكنكم نفي التأويل عن شيء؛ فإن لا يمكنكم نفي جميع المعارضات العقلية... وأيضا فعدم المعارض العقلي القاطع لا يوجب الجزم بمدلول الدليل السمعي»<sup>(٤)</sup>. ثم بين ﷻ أن ما رآه معارضا عقليا قاطعا طائفة منهم نفاه الآخر فأصبحت معارضاتهم القطعية - للنصوص - في نفسها

(١) إشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١١٤-١١٥.

(٢) شرح الأصبهانية ص ٣٥٦.

(٣) إشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١١٦، وانظر منه ص ١٢٣، وانظر: المجموع ٣/ ٣٢٨.

(٤) الدرء ٥/ ٣٤٣ وما بعدها، وانظر: التدمرية ص ٤٥.

متعارضة؛ فكيف تكون حجة على النصوص الظاهرة؟؟.

وقد أكد الغزالي هذا التناقض فيما يجب أن يؤول وما لا يؤول، فقال بعد كلام طويل فيها هو من تأويلات الباطنية، وما رأوه واجبا في كل الشرع: «وذهبت طائفة إلى الاقتصاد، وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله ﷻ، وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها، ومنعوا التأويل فيه - وهم الأشعرية -، وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية، وأولوا كونه سميعا بصيرا!! وأولوا المعراج! وزعموا أنه لم يكن بالجسد، وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة...، ومن ترقيعهم إلى هذا زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة، وردوه إلى آلام عقلية وروحانية!!»<sup>(١)</sup> فهذا إقرار من الغزالي نفسه أن الباب فتح يسيرا - فقط في باب الصفات!! - ثم زاد عسيرا، ثم أصبح كبيرا، إذ لا ضابط في إيجابه ومنعه صحيح يعتمد عليه.

ومن أصرح التحريفات التي تنبئك على بعد هؤلاء عن توقير ظواهر النصوص قول الرازي في قوله تعالى: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ»<sup>(٢)</sup>، قال: «الرب هو المربي؛ فلعل ملكا عظيما هو أعظم الملائكة كان مربيا للنبي وكان هو المراد من قوله، وجاء ربك!!»<sup>(٣)</sup>. ونموذج آخر من التأويلات المستبشرة قول الرازي وهو ينفي العلو: «وأجمعوا على أن جبريل ملك الوحي والتنزيل والنبوة، وميكائيل ملك الأرزاق، وملك الموت ملك الوفاة، وكذا القول في سائر الأمور؛ وإذا كان الأمر كذلك لم يبعد أن يكون الغرض من رفع الأيدي إلى السماء رفع الأيدي إلى الملائكة!!!»<sup>(٤)</sup>. فإذا كان رفع الأيدي للملائكة؛ فهل الطلب يكون منهم أيضا؟! وهذه التحريفات الباطلة تحريف وإلحاد في كلام الله ﷻ<sup>(٥)</sup>.

(١) الإحياء ١/١٦٦، وانظر: الدرر ٥/٣٤٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٠.

(٣) أساس التقديس للرازي ص ١٠٨.

(٤) أساس التقديس للرازي ص ٧٧.

(٥) انظر: شفاء العليل ١/٢١٩-٢٢٠، ٢/١٩-٢٠، شرح الواسطية للفرزان ص ١٣٢.

وهو يؤدي إلى مثل هذه اللوازم الفاسدة.

٢١- ومن عدم تعظيمهم للقرآن دعوى الجهمية منهم بفساد الجنة والنار<sup>(١)</sup>، ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم ظنهم أن آياته توهم التشبيه، وتأتي بما يؤدي إلى الكفر، فمن ذلك إنكارهم لأسماء الله ﷻ: الصبور، والحليم، والشكور، وإن جوز بعضهم فمن حيث الاسم المجرد عن المعنى، ولا يثبتونه اسماً ووصفاً، فعند هؤلاء «يجوز إطلاق السمي سواء أوهم، كالصبور، والحليم، والشكور، أو لم يوهم: كالعالم، والقادر»<sup>(٢)</sup>.

وينكر بعض أهل الكلام صريح الآيات، لمجرد ظنه أنها من التشابهات، ويؤولها بمختلف التأويلات. وقد جاء القرآن والسنة بإثبات العرش، والكرسي، واستواء الله ﷻ، وهؤلاء يقولون: «القصود من ذكر الكرسي، ومثله العرش، الذي هو أعظم منه، لإحاطته بجميع الأجسام، استشعار النفوس عند سماعها بعظمة الباري ﷻ، ولا كرسي!!، ولا قعود، ولا قاعد»<sup>(٣)</sup>، نظير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٨٧] من غير قبض!! وطى!! ويمين!! بل هو تخيل لعظمته<sup>(٤)</sup>. بل منهم من يعلم أن تأويله - تحريفه - مخالف لما عليه السلف، كما يقول بعضهم: «ففوقية الله على عرشه، المراد بها: فوقية معنوية!! لما قدمنا، وحمل الفوقية في حقه تعالى على المعنوية مبني على طريقة الخلف، وهي المؤولة، وعليها إمام الحرمين وجماعة، كتأويل اليد بالقدرة!!»<sup>(٥)</sup>. فكثير من أهل الكلام يصرحون بمخالفة السلف!!<sup>(٦)</sup> ولما اعتقدوا أن ما دلت عليه الآيات والأحاديث المتواترات إنها هي من المستحيلات يقول الرازي:

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص ٢٦٨.

(٢) الفواكه الدواني ٤٦/١.

(٣) هذه الألفاظ لم ترد في الكتاب والسنة، ولكنه لجأ إلى ما لم يرد حتى لا يشنع عليه في نفيه إنكار علو الله واستوائه على عرشه؛ ومعلوم أن الاستواء ثابت في الكتاب والسنة، والكرسي، كذلك.

(٤) الفواكه الدواني ٤٥/١، ثم ذكر بعد ذلك أقوالاً أخرى، كالقول بإثبات الكرسي والعرش، ولكنه لم يثبت الاستواء، ولا الطي، ولا اليمين!!.

(٥) الفواكه الدواني ٤٨/١.

(٦) انظر: نقض المنطق ص ١٢٣، المجموع ٤/١٥٦.

« لو كان تعالى في جهة فوق لكان سماء، ولو كان سماء لكان مخلوقا لنفسه!! وذلك محال، فكونه في جهة فوق محال!! »<sup>(١)</sup>. ثم استطرد في تقرير هذه القاعدة الباطلة لنفي علو الله ﷻ الثابتة بالكتاب والسنة، والإجماع، والعقل والفطرة<sup>(٢)</sup>؛ فقال: « فاستواؤه: قهره واستيلاؤه!!، ونزوله: بره وعطاؤه!!، ومجيئه: حكمه وقضاؤه!!، ووجهه: وجوده أو جوده وجباؤه!!، وعينه: حفظه وعونه واجتباؤه!!، وضحكه: عفوه أو إذنه وارتضاؤه، وبده: إنعامه وإكرامه واصطفاءؤه!! »<sup>(٣)</sup>. أقول: كأن الرازي أفصح من يعبر، وأدق من يدرك، حتى يأتي بما لم يقله رب العالمين، ولا رسوله الأمين، وهل كان الله ﷻ لا يستطيع أن يعبر بهذا أم أراد التخيل؟؟ ورسوله ﷺ ألم يكن يعلم هذا أم أنه أراد التجهيل؟؟؟ فمن يصدق المؤمن بربه، الكلام الذي هو أفصح الكلام، أم قول من في قوله الأسقام؟؟.

٢٢- ومن عدم تعظيمهم للقرآن مخالفتهم له في باب أسماء الله ﷻ وصفاته، إذ القرآن مليء بإثبات مفصل ونفي مجمل، وهؤلاء « جاؤوا بنفي مفصل، وإثبات مجمل؛ فقالوا: ليس بكذا، ولا كذا، ولا كذا؛ فلا يقرب من شيء، ولا يقرب منه شيء، ولا يرى لا في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا له كلام يقوم به »<sup>(٤)</sup>.

ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم يجعلون ما يرونه ويقعدونه من أعظم الكلام، فقول الجهمية الاتحادية المبتدعة: « وهو الآن على ما عليه كان، ليس معه غيره، كما كان في الأزل ولا شيء معه، قالوا: إذ الكائنات ليست غيره، ولا سواه، فليس إلا هو: فليس معه شيء آخر!!، لا أزلا، ولا أبدا؛ بل هو عين الموجودات، ونفس الكائنات، وجعلوا المخلوقات المصنوعات: هي نفس الخالق المصور للبريات!!!.

وهم دائما يهذون بهذه الكلمة: "وهو الآن على ما عليه كان". وهي أجل

(١) أساس التقديس للرازي ص ٢٧.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٥١ وما بعدها فإنه ذكر الأدلة مستوفاة في بيان صفة العلو والاستواء لله ﷻ.

(٣) أساس التقديس للرازي ص ٢.

(٤) الصفدية ١/ ١١٦.

عندهم من: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، ومن آية الكرسي، لما فيها من الدلالة على الاتحاد الذي هو إلحادهم<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتبين أنهم لا يقيمون للقرآن الكريم وزناً، ولا للسنّة مقداراً، ولا لفهم السلف اعتباراً؛ فكيف يا ترى يكون استدلالهم بالقرآن الكريم في باب الاعتقاد؟ هذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) المجموع ٢/ ٢٧٤.

المبحث الثالث: جعل أهل الكلام القرآن فرعاً  
في باب العقائد، والرد عليهم

ذكرت منزلة القرآن الكريم عند السلف الصالحين، وكيف أنهم كانوا يحتجون به في كل صغيرة وكبيرة، ويقدمونه في الاحتجاج، ويعظمونه حق التعظيم.

وأما المخالفون للسلف من أهل الكلام ومن نحا نحوهم؛ فإنهم زعموا أن الدلالة السمعية ظنية، لا تفيد اليقين، وأن الدلالة القطعية هي الدلالة العقلية، التي استنبطت بالعقل، مما وضعتها زبالات أفكار المتقدمين من الفلاسفة ونحوهم، ولأجل هذا قعدوا قاعدة خبيثة، فقالوا: لا يستدل بنصوص الكتاب والسنة إلا إذا وافقت العقل!!! وتوافقت مع البراهين العقلية المستنتجة من العقل!!<sup>(١)</sup>

وكثير من المتأخرين - من أهل الكلام على وجه الخصوص - لا يعتمدون في دينهم على القرآن، ولا على ما جاء به رسول الله ﷺ، خلافاً لما عليه السلف الصالح؛ فلهذا كان السلف أكمل علماً وعملاً، واتباعاً وتعظيماً للقرآن، وكان المخالفون لهم أقل فهماً وعملاً، وأكثر بدعة وضلالاً<sup>(٢)</sup>.

ولما أعرض أهل الكلام - وغيرهم من أهل البدع - عن القرآن والسنة، تجدهم في الاعتقاد على طريقة الاستدلال بالعقل، ويجعلون العقل وحده أصل العلم، ويجعلون القرآن تابعا له!!<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الدرء ٥/ ٣٤٢. الرسالة التبوكية ص ١٤١، مجموع رسائل الجامي ص ١١٤-١١٥.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ٦٠.

(٣) انظر: المجموع ٣/ ٣٣٨، مصادر التلقي للقفاري ص ١٥٨ وما بعدها، ١٧٢ وما بعدها.



قال الرازي بعد أن ذكر المقدمات في كون السمعيات لا تفيد اليقينيّات!! وإلا لزم الدور... قال: «فخرج مما ذكرناه أن الأدلة النقلية لا يجوز التمسك بها في المسائل العلمية!!!»<sup>(١)</sup>. وكذا الغزالي من قبله قرر هذا حيث ذكر مناهج الاستدلال عند الناس، وأنهم يأخذون بالتأويل، والفلسفة...، ثم قال مبينا موقفه من السمعيات التي هي الكتاب والسنة: «فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور - أي الاعتقادات - من السمع المجرد؛ فلا يستقر له فيها قدم، ولا يتعين له موقف!!»<sup>(٢)</sup>. فقول أئمة المتكلمين هؤلاء: أن ما جاء به الرسول ﷺ لا يفيد علما!!<sup>(٣)</sup>.

ومما يدل على عدم تعظيمهم القرآن، أنهم جعلوا القرآن فرعاً في باب العقائد، وخصوصاً ما يسمونه بالإلهيات، فعندهم إذا تعارض العقل والنقل فالقدم هو العقل، يقول الرازي: «الظواهر المقتضية للجسمية، والجهة!! لا تكون معارضة للأدلة القطعية التي لا تقبل التأويل!!»<sup>(٤)</sup>. فانظر - رعاك الله - ما في هذا الكلام من الطوام، وهي:

١- أنه زعم أن ظواهر القرآن دالة على التجسيم والجهة، وهو يقصد الآيات التي تدل على صفات الله ﷻ كاليد والوجه والعلو، فهذه عنده تجسيم وجهة!!، ومعلوم أن أهل السنة يقولون: إن ما ورد في القرآن مما يدل على صفات الرحمن وعلوه فوق عرشه ثابت بلا نكران. وأما الجسم والجهة فهذان لفظان، وفي الشرع غير معروفين، والكلام فيهما إجمالاً غير مرغوب، والإعراض عنهما هو المطلوب، وإثبات ما ورد هو المتعين، ورد ما لم يرد هو المتعين.

(١) نهاية العقول ١٣/١ نسخة دار الكتب (٥٦٥)، كما ذكره محقق الدرء الدكتور محمد رشاد سالم، وهو في الدرء ٣٢٩/٥ بنصه، وانظر: شرح الأصبهانية ص ٢٥، وكذلك الرازي يصرح بأن البرهان العقلي مفيد للعلم اليقيني. انظر: معيار العلم في المنطق للغزالي ص ٤١.

(٢) الإحياء ١/١٦٧، وانظر: الدرء ٣٤٨/٥.

(٣) انظر: الدرء ٣٤٨/٥.

(٤) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٢٨.

٢- أنه زعم أن الظواهر ليست هي من المقطوعات، وأن المقطوعات عنده هي اليقينيات العقلية التي قال بها الفلاسفة اليونانيون، ورسخها هؤلاء المتكلمون!!!

٣- أن النصوص إذا خالفت ظواهرها هذه القطعيات، فلا بد من تأويلها باليقينيات!!! وعلى هذا كيف يكون الجواب لمن قال: بأن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - قد كتموا شيئاً، وهو عدم إعلام الخلق بأن هذه الظواهر في العقائد غير مرادة، وأنتم تنصون - وهو الحق - أنه: « يستحيل في حقهم - عليهم الصلاة والسلام - ... كتمان شيء مما أمروا بتبليغه للخلق »<sup>(١)</sup>. فهذه العقائد التي قلمت إنها لا تدرك إلا بالعقل، وأن ظواهر الشرع لا يستدل بها عليها، هل هي من الشرع أم لا؟ فإن كان الأول وجب تبليغه، وإن قلمت بالثاني تبين الضلال!!!

٤- أن ما لا يقبل التأويل عنده هو اليقينيات العقلية!!! ولهذا يقول شاعرهم:

وكل نص للحدوث دلا      أحمل على اللفظ الذي قد دلا  
ويستحيل ضد ذي الصفات      في حقه كالكون في الجهات<sup>(٢)</sup>  
ويقول الآخر:

نسمي الله شيئاً لا كالأشياء      وذاتاً عن جهات الست خالي<sup>(٣)</sup>

فما دل عليه الكتاب والسنة، وفقه السلف من إثبات العلو لله ﷻ، والاستواء والنزول، هذه كلها من الأمور التي تدل على الحدوث والجهة!! وهي بحكم العقل مستحيلة على الله ﷻ بزعم عقولهم!!!

وهذا الذي حمل - كثيراً منهم - على نفي الصفات الخبرية عن الله ﷻ، فقالوا: لا يوصف الله بأن له يداً!! ولا بأن له عيناً!!<sup>(٤)</sup> بل ربها قالوا: عن بعض النصوص:

(١) أم البراهين للسنوسي ص٧، ورسالة في التوحيد للبيجوري ص٤٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٢) جوهرة التوحيد للقائي ص١٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٣) بدأ الأمالي للفرغاني ص١٩، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) انظر: رسالة في علم التوحيد للبيجوري ص٤٠، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم،

إنها شنيعة، لكونها خالفت مذاهبهم، ولم توافق قواعدهم، فيقول أحدهم: «ليس في هذا الكتاب - يعني صحيح البخاري - حديث أشنع ظاهراً، ومذاقاً من هذا»<sup>(١)</sup>، يعنون حديث: [ودنا الجبار...]<sup>(٢)</sup>، قال ابن الوزير رحمته الله: «واجتمعت كلمة المعتزلة والأشعرية على تقبيح نسبة الرحمة والحلم والمحبة والخلة إلى الله تعالى!!!»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا في العقائد النسفية، جعل: «أسباب العلم ثلاثة: الحواس السليمة، والخبر الصادق، والعقل»، فجعل الخبر الصادق كالحواس والعقل!! ثم بين المراد، قائلاً: «الخبر المتواتر...، وهو موجب للعلم الضروري...، وخبر الرسول المؤيد بالمعجزة، وهو يوجب العلم الاستدلالي، والعلم الثابت به يضاوي العلم الثابت بالضرورة في التيقن والثبات، وأما العقل: فهو سبب للعلم أيضاً، وما ثبت منه بالبديهة فهو ضروري...، وما ثبت بالاستدلال فهو اكتسابي»<sup>(٤)</sup>. فعند المتكلمين: أن العقل مساوٍ للقرآن الكريم من حيث الاستدلال، إلا أن العقل يوجب العلم الضروري أو الاكتسابي، أما القرآن الكريم فهو إما أن يوجب علماً ضرورياً، أو استدالياً - إذا وافق ما عندهم - أو لا يفيد لا هذا ولا هذا!!!.

فمصدر التلقي عند أهل الكلام هو العقل في باب الإلهيات بالاتفاق، وفيما سواه من أبواب العقائد على خلاف، وقد صرح أئمة الأشعرية - وهم من مثبته المتكلمين الذين يثبتون بعضاً من الصفات على طريقتهم - أن العقل مقدم على النقل إذا تعارضاً، ابتداءً من الجويني، ثم الغزالي، ثم الرازي، ثم الأمدى، فالإيجي، ومن

جمع دار الفكر.

(١) الفتوح ١٣/٤٩٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب/ في قوله ﷻ (وكلم الله موسى تكليماً)، حديث (٧٥١٧)، وهو

معروف بحديث الإسراء.

(٣) إيثار الحق لابن الوزير ص ١٢٩.

(٤) العقائد النسفية لعمر النسفي ص ٢٧-٢٨، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم،

جمع دار الفكر.

قبل ابن فورك، فالسنوسي، وشرح الجوهرة، وسائر أئمتهم، «ومن هؤلاء السابقين من صرح بأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة أصل من أصول الكفر، وبعضهم يخففها؛ فقال: هو أصل الضلالة!!...»، يقول السنوسي في شرح الكبرى: وأما من زعم أن الطريق بدأ إلى معرفة الحق بالكتاب والسنة، ويحرم ما سواهما فالرد عليه أن حجيتها لا تعرف إلا بالنظر العقلي، وأيضاً قد وقعت فيهما ظواهر من اعتقد ظاهرها كفر عند جماعة وابتدع...، ويقول: أصول الكفر ستة:.... - ذكر خمسة ثم قال -: سادساً: التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية، والقواطع الشرعية»<sup>(١)</sup>.

والرازي، وهو يقرر أن النزاع بينهم وبين المعتزلة في مسألة الكلام لفظي، يقول: «وهذا البحث لغوي، لا حظ للنقل البتة فيه»<sup>(٢)</sup>.

فالقرآن الذي فيه علم الأولين والآخرين، وخبر من قبلنا، ونبا من بعدنا، وحكم ما بيننا، عند هؤلاء لا يمكن أن نحتكم إليه في المسائل اللغوية، ولو كانت متعلقة بالأصول الشرعية، ألا يكون القرآن حجة حتى في اللغة؟؟ وهل تكون الأشعار التي لا تُعرف ناقلوها، وأحياناً قائلوها، تكون حجة؟؟ والقرآن لا يكون حجة في المسائل اللغوية، فكيف بالمسائل العقدية!!، مع أن الموضوع متعلق بمسألة اعتقادية، وهو تعريف الكلام والمقصود به، وهل هو الذي يتكلم بصوت وحرف، متى شاء، أم هو الذي لا يتكلم بصوت، ولا بحرف، ولا يتكلم إذا شاء!! سبحانه هذا بهتان عظيم.

قال أبو نصر السجزي رحمته الله مخاطباً أشعرياً، ومبيناً أنهم لا يستدلون إلا بعقولهم: «وأنت أبيت أن تقبل ذلك، وادعيت أن الواجب المصير إلى حكم العقل في هذا الباب!!»<sup>(٣)</sup>.

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة للحوالي ص ٧٧-٧٨، وانظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٣٤٢.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥٠.

(٣) الدرء ٩٢/٢.

ومما يدل أن أهل الكلام لا يقيمون للنصوص الشرعية التي سموها ظواهر وزنا، أنه لما ذكر في القرآن الكريم زيادة إيمان أهل الإيمان، ونقصان إيمان أهل الفسق والطغيان، - وطوائف من أهل الكلام لا يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه، وبناء عليه لم يلتفتوا إلى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، بل زعموا أن الخلاف لغوي، وأن لكل واحد نصوصاً!! يقول الرازي وهو يبين الأقوال في الإيمان: «الإيمان عندنا لا يزيد ولا ينقص...»، وعند المعتزلة لما كان اسماً لأداء العبادات كان قابلاً لهما<sup>(١)</sup>، وعند السلف لما كان اسماً للإقرار والاعتقاد، والعمل فكذا، والبحث لغوي، ولكل واحد من الفرق نصوص<sup>(٢)</sup>.

بل ويؤلف أحدهم كتاباً في المسائل العقديّة، ولا ترى فيه آية مسوقة للاحتجاج، أو حديثاً للاستدلال، فانظر - وفقك الله - إلى أم البراهين في العقائد!! أو متن الجوهرة، أو متن العقيدة النسفية، أو نور ظلم، أو رسالة التوحيد للباجوري، أو شرح العقائد النسفية للتفتازاني، أو حاشية الدسوقي على أم البراهين...، لتعرف أن ما ذكرته هو الواقع الأليم.

ومما يؤكد عدم اهتمامهم بالقرآن الكريم، وأن اعتمادهم على العقل، هذا الاستفتاح في كتاب أم البراهين، حيث يقول مؤلفه: «الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، اعلم أن الحكم العقلي ينحصر في ثلاثة أقسام: الوجوب، والاستحالة، والجواز. فالواجب ما لا يتصور في العقل عدمه، والمستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده، والجائز ما يصح في العقل وجوده وعدمه. ويجب على كل مكلف شرعاً أن يعرف ما يجب في حق مولانا جل وعز، وما يتسحيل، وما يجوز...»<sup>(٣)</sup>. ثم بدأ بذكر ما يجب لله عقلاً!! وما يتسحيل عليه عقلاً!! وما يجوز عقلاً!! وأين الشرع؟؟ وأين

(١) وليس الأمر كما زعمه الرازي، فإن الخوارج والمعتزلة لا يرون أن الإيمان يزيد وينقص، ولكنهم يرون أن الأعمال من الإيمان، ومن ترك شيئاً من الأعمال الواجبة يكفر، ولهذا كفروا بالكبيرة.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٦، وانظر: تحفة المريد للبيجوري ص ٥١.

(٣) أم البراهين للسنوسي ص ٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

نصوص القرآن والسنة؟؟.

ومنهم من يعتقد بأن كلام أهل الكلام في باب العقائد أسد وأتقن من كلام السلف المتبعين للقرآن، بل ويزعمون أنّ الحجة في أقوالهم، «فأما من قال بأن كلام أبي علي وأبي هاشم حجة، وكلام الله ورسوله ليس بحجة، فما أجهله من جاسر، وأجرأه من خاسر، اتخذ الإسلام وراءه ظهريا، وكاد يكون زنديقا دهريا، جعل الدين دبر أذنه، وافتات على الشرع بغير إذنه، أعاذنا الله من الافتراق عن سواء السبيل، واختراق مرامي القرآن بلا دليل»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن الكريم أنهم أهملوا أساس دعوته، إذ القرآن من أساسيات ما فيه الدلالة على توحيد الله ﷻ بالعبادة، وأهل الكلام يغفلون هذا التوحيد، بل ولا يظنون من مسائل الكلام، ولا يوردونه في كتبهم، حتى وقع كثير منهم في توحيد الألوهية في الشرك والبدعة<sup>(٢)</sup>.

فحال أهل الكلام أن يقال لهم: إن ما أثبتته الله ﷻ في كتابه، وأثبتته له رسوله ﷺ، صار على ذلك السلف، والمتبعون لهم من الخلف. وهؤلاء المتبعون مصيبون لموافقتهم معنى النص ولفظه، وأما أنتم فظننتم هذه الألفاظ دالة على الكفر والتشبيه!! ولهذا أوجبتم التأويل، وأثبتتم ما زعمتموه أنه تنزيه!! من غير موافقة لفظ الكتاب والسنة، ولا موافقة لمعناهما، إلا سيرا على موافقة القواعد الكلامية. فلا ريب أن حال الأولين من السلف خير من حال أهل الكلام، وهذا أحد هؤلاء يقول عن الفريقين، بإنصاف من غير مین: «لا ريب أن حال هؤلاء عند الله خير من حالنا، فإن هؤلاء - أي السلف المثبتين لما في الكتاب والسنة - إن كانوا مصيبين، فقد نالوا الدرجات العلى، والرضوان الأكبر، وإن كانوا مخطئين؛ فإنهم يقولون: نحن يا رب صدقنا ما دل عليه كتابك، وسنة رسولك، إذ لم تبين لنا بالكتاب والسنة نفي

(١) كتاب حجج القرآن لأبي الفضائل أحمد الرازي، ص ٥.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٢١-٢٣.

الصفات، كما دل كلامك على إثباتها، فنحن أثبتنا ما دل عليه كلامك، وكلام رسولك؛ فإن كان الحق في خلاف ذلك، فلم يبين الرسول ما يخالف ذلك، ولم يكن خلاف ذلك مما يعلم ببداهة العقول، بل إن قدر أنه حق؛ فلا يعلمه إلا الأفراد، فكيف وعامة المنتهين - أي في علم الكلام - في خلاف ذلك إلى الغاية، يقرون بالحيرة والارتباب، وإن كنا نحن المصيين - أي: أهل الكلام - فإنه يقال لنا: أنتم قلتم شيئاً لم أمركم بقوله، وطلبتم علماً لم أمركم بطلبه، فالثواب إنما يكون لأهل الطاعة، وأنتم لم تمتثلوا أمري، قال: وإن كنا مخطئين فقد خسرنا خسرانا مبيناً<sup>(١)</sup>.

فأهل الكلام عند التحقيق لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة إلا على وفق قولهم<sup>(٢)</sup>، وما يؤكد أن أهل الكلام جعلوا القرآن فرعاً في باب العقائد، أن منهم من يعتقد بتكافؤ الأدلة - الشرعية السمعية منها على وجه الخصوص!! - قال شيخ الإسلام رحمته الله: «ومن صار من أهل الكلام إلى القول بتكافؤ الأدلة، والحيرة؛ فإنما ذلك لفساد استدلاله إما لتقصيره، وإما لفساد دليله، ومن أعظم أسباب ذلك الألفاظ المجملة التي تشبه معانيها، وهؤلاء الذي يعارضون الكتاب والسنة بأقوالهم، بنوا أمرهم على أصل فاسد، وهو أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها هي الأقوال المحكمة، التي جعلوها أصول دينهم، وجعلوا قول الله ورسوله من المجمل الذي لا يستفاد منه علم ولا هدى!! فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم، والمحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه!! كما يجعل الجهمية من المتفلسفة والمعتزلة ونحوهم ما أحدثوه من الأقوال التي نفوا بها صفات الله، ونفوا بها رؤيته في الآخرة، وعلوه على خلقه، وكون القرآن كلام الله، ونحو ذلك، جعلوا تلك الأقوال محكمة!! وجعلوا قول الله ورسوله مؤولاً عليها، أو مردوداً، أو غير ملتفت إليه، ولا متلقى الهدى منه!!»<sup>(٣)</sup>.

(١) المجموع ١٧/ ٧٩-٨٠ نقلاً عن أحد أهل الكلام ولم يسمهم، وأقرب حدسي أنه من كلام ابن رشد في مناهج الأدلة؛ فإن له كلاماً قريباً من هذا المعنى.

(٢) انظر: التدمرية ص ١٤٨، المجموع ١٩/ ٧٣.

(٣) الدرء ١/ ٢٧٥، ومعلوم أنه قد يرد في كلام الله ﷻ ما هو مجمل أو ظاهر، أو متشابه، ولكن هذا لا يعني

ومما يدل على ضلال أهل البدع، وضلال الفرق - المتكلمين منها على وجه الخصوص - نفهم لما أثبتته الله ورسوله، فكم يثبت أمر في القرآن والسنة وينفيه هؤلاء؟؟<sup>(١)</sup>.

ومنهم من يقول: إن السلف الصالح لم يكن عندهم علم علم الكلام، وأن علم المنطق لا بد منه لمجادلة الأنام!!<sup>(٢)</sup> وهذه فرية معلومة البطلان، وقول بلا برهان<sup>(٣)</sup>، وأهل الكلام أنفسهم معترفون بضلال علم الكلام، وأنه لا فائدة فيه للأنام<sup>(٤)</sup>.

فأهل الكلام يجوزون « خلو كتب الله تعالى وسنن رسله الكرام - عليهم الصلاة والسلام - عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها!! ولو بالنظر الدقيق، ليكون ثبوتها بعد رسول الله ﷺ بطريق النظر العقلي!! هذا مذهب أهل الكلام »<sup>(٥)</sup>. ومذهب أهل الأثر من السلف ومتبعيهم من الخلف أن الكتاب والسنة مشتملان على الهدى التام والنور البين في جميع أمور الدين، وعلى وجه الخصوص باب الاعتقادات، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تورده، ومنها:

١ - قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْفِئُونَ كِتَابَ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤] وقال: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤] « فثبت أن ما خلت عنه كتب الله تعالى فليس من مهمات الدين، وإن زيادته في الدين محرمة، ألا ترى أن رسول الله ﷺ حذر

أنه لا يستفاد منه العلم، لأنه قد فسر في مكان آخر، أو بين، أو أن المشابه يرجع إلى أمر غير متعلق في الاعتقاد، وهذا ليس فيه خروج عن كلام الله ورسوله. انظر: الدرء ٥/ ٢٣٢.

(١) من كلام شيخنا د/ صالح بن سعد السحيمي، في درس الحرم يوم ١٢/ ٢/ ١٤٢٢ هـ.

(٢) انظر: شرح العقائد النسفية لسعد التفتازاني ص ٥٣.

(٣) انظر: للرد على هذه الفرية الكتب التالية: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٩٣، المجموع ٨/ ١٥٨، ١٦/ ٤٤٢.

(٤) انظر: المجموع ٥/ ١٠، شرح الطحاوية ١/ ٧٠.

(٥) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٣.



أمته من فتنة الدجال<sup>(١)</sup> ... مع أن بطلان دعواه معلوم بالعقل؛ لأنه يدعي الربوبية، وهو بشر يحتاج إلى الأكل والشرب، وينام ويعجز...؛ فلو كان يجوز عليه الإهمال لكان ذلك أحق ما يهمل<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله ﷺ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]. ولو كانت الحجة قائمة على الخلق بالعقل وحده لما كان هناك حاجة في إرسال الرسل، ثم إن الله قطع الحجة عن الخلق ببعثه رسوله، وهؤلاء يقولون: لا تقوم الحجة إلا بالبراهين، والمقدمات المنطقية، والآراء الكلامية!!! ومعلوم أن ما قالوه لا يخلو إما أنه ليس من الدين، بل هو زائد عليه - وهو الحق -؛ فحينئذ لا حاجة إليه، أو أنه من الدين؛ فكيف يجوز على الأنبياء التأخير عن وقت الحاجة، و«قد أجمعت الأمة على أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة؛ فكل ما لم يبين من العقائد في عصر النبوة؛ فلا حاجة إلى اعتقاده، ولا الخوض فيه»<sup>(٣)</sup>.

٣- أن الله ﷻ أخبر أنه أرسل رسوله بالهدى التام، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣] وقال عن كتابه: ﴿الرَّكَتَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ﷻ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﷻ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ

(١) في المطبوع (الرجال).

(٢) إشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) إشار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٥.

تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿الشورى: ٥٢-٥٣﴾ وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] وقال: ﴿وَلَكِنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١] وأمثال هذه الآيات التي تفيد أن الرسول هدى الخلق، وجاء بالحق، وأنه لم يترك شيئاً يقربهم إلى ربهم إلا وأرشدهم وبين لهم، وأن من ضرورياته البيان التام للنور الذي جاء به، وهو القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

أن الله ﷻ أخبر أن سعادة الدنيا والدين مرتبطة بالتمسك بما جاء من الوحي؛ فقال ﷻ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] «وإذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين؛ فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك هم أعلمهم بآثار المرسلين، وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الملة الناجية من أهل كل ملة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة...، وأما غير أتباعه من أهل الكلام؛ فالكلام في أقيستهم التي هي حججهم وبراهينهم على معارفهم وعلومهم، وهذا يدخل فيه كل من خالف شيئاً من السنة والحديث من المتكلمين والفلاسفة»<sup>(٢)</sup>.

٥- أن الله ﷻ أكمل الدين؛ فلا يمكن أن يكون قد ترك ما به سعادتهم وهم مطالبون بالإيمان به إلى قيام الساعة، وكيف يكون كتب الله تعالى خلوا من أمر كبير من مهمات الدين العقلية؟؟<sup>(٣)</sup>.

٦- يلزم من هذا القول خلو السلف الأول من كثير من مقدمات عقدية، أو نظريات تأويلية!! ومعلوم أن هذا باطل؛ فدل على انتفاء ذلك<sup>(٤)</sup>، فهؤلاء عدلوا عن بيان الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا على آرائهم، وعلى ما تؤولوه وفهموه، وهذا طريق أهل البدع<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: الدرء ١/ ٢٠٢-٢٠٥، ٢٥/٥.

(٢) نقض المنطق ص ٢٤، وانظر منه ص ٧١.

(٣) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٤.

(٤) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٤.

(٥) انظر: تبين كذب المفتري ص ١٣٧، المجموع ٧/ ١١٨.

٧- أن كتب الله ﷻ لم تخل مما تدركه العقول بل نهت عليه؛ فكيف يعقل أن تكون خالية مما لا تدركه العقول، وهو باب الإلهيات<sup>(١)</sup>.

٨- أن من لم يقر بكل ما جاء به الرسول ﷺ حتى يعلمه بعقله؛ فقد أشبه الذين قالوا: نؤمن ببعض، ونكفر ببعض، وأشبه الذين قالوا: لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله. ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمناً، إذ لا فرق بين أن يأتي النبي بشيء أو لا يأتي؛ لأن الأصل عنده ما أثبتته عقله!!! وما خالف عقله؛ فإنه إما أن لا يصدق به، أو أن يؤوله، أو يفوضه، وما يذكر عنده من الكتاب، والسنة، عديم الأثر عنده!!<sup>(٢)</sup>.

٩- أن من ظن أن الشرع لا يدل في باب الاعتقاد على الصواب، وأن العقل هو المرشد إلى الوهاب؛ فإنه قد تكلم رجماً بالغيب، وذلك أن الله ﷻ غيب عنا، ولا يعلم ما يستحقه ﷻ على وجه الاستقلال بالعقول، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿هَاتِنَا هَؤُلَاءِ حَبَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

١٠- أن القول على الله بما يجب له وما يمتنع عليه من غير نظر إلى الأدلة الشرعية يعني الجدل في الحق بعد بيانه بالأدلة الشرعية، وهي محرمة. قال تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا

(١) هذه بعض الوجوه، وقد استفدتها من كتاب: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٣-١١٢، وقد

ذكر (١١) وجها، وإنما اكتفيت بما يفي الغرض.

(٢) انظر: شرح الأصبهانية ص ٣١.

أُنذِرُوا هُرُوءًا» [الكهف: ٥٦]، «ومن المعلوم أن كل من عارض القرآن، وجادل في ذلك بعقله ورأيه؛ فهو داخل في ذلك، وإن لم يزعم تقديم كلامه على كلام الله ورسوله، بل إذا قال ما يوجب المرية والشك في كلام الله؛ فقد دخل في ذلك؛ فكيف بمن يزعم أن ما يقوله بعقله ورأيه مقدم على نصوص الكتاب والسنة؟!»<sup>(١)</sup>.

١١- أن غاية ما يصل إليه المتكلمون هي معارضة الكتاب والسنة بالأقوال المزعومة، ومعلوم أنه لا يجوز أن يعارض الكتاب والسنة بالأقوال، «فالدليل الشرعي لا يجوز أن يعارضه دليل غير شرعي، ويكون مقدماً عليه!! بل هذا بمنزلة من يقول: إن البدعة التي لم يشرعها الله تعالى تكون مقدمة على الشريعة التي أمر الله بها!! أو يقول: الكذب مقدم على الصدق!! أو يقول: خبر غير النبي ﷺ يكون مقدماً على خبر النبي!! أو يقول: ما نهى عنه الله يكون خيراً مما أمر الله به، ونحو ذلك. وهذا كله ممتنع»<sup>(٢)</sup>.

١٢- أن ما يذكرونه من التأويلات في الآيات هو بنص قولهم مخالف لما عليه السلف؛ فهؤلاء يقولون: «مذهب السلف أن هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات لا تتأول، والمتكلمون يريدون تأويلها!! إما وجوباً أو جوازاً، ويذكرون الخلاف بين السلف وبين أصحابهم المتكلمين!! هذا منطوق ألسنتهم، ومسطور كتبهم»<sup>(٣)</sup>، أفلا عاقل يعتبر؟ ومغرور يزدجر؟ إن السلف ثبت عنهم ذلك حتى بتصريح المخالف، ثم يحدث مقالة تخرج عنهم، أليس هذا صريحاً: أن السلف كانوا ضالين عن التوحيد والتنزيه، وعلمه المتأخرون؟! وهذا فاسد بضرورة العلم الصحيح، والدين المتين»<sup>(٤)</sup>.

١٣- أن المتكلمين أنفسهم مختلفون في التأويل؛ فأي التأويلات هي الراجحة؟ وأيها الواجبة؟ وأيها الباطلة؟ ولهذا تجد منهم من يرجع إلى طريقة السلف، وينصر مذهب السلف؛ فلا يثبتون على دين واحد، وتغلب عليهم الشكوك، فهم في شك في

(١) الدرء ٥/٢٠٦.

(٢) الدرء ١/٢٠٠.

(٣) انظر: الفواكه الدواني ١/٥١.

(٤) المجموع ٤/١٥٦، وانظر: نقض المنطق ص ١٢٣.

تأويلهم، وفي شك في تفويضهم، وفي شك في مخالفتهم للسلف، وهذه عادة الله فيمن خالف الوحي<sup>(١)</sup>؛ فصار حالهم كما قيل:

قل للمُحَلِّين قد قرت عيونكم  
بفرقة القوم والبغضاء والهرب  
كنا أناسا على دين ففَرَّقْنَا  
فرع الكلام، وخلط الجد باللعب  
ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم  
عن الجدال وأغناهم عن الخطب<sup>(٢)</sup>

١٤- أن أهل البدع جميعهم يدندون حول شبهة واحدة هي التنزيه!! وهذا مقصد حسن، ولكن الطريق إليه لا بد أن يكون شرعيا، لا بدعيا، فتنزيه الله ﷻ لا بد أن يكون بما نزه به نفسه، لا بما يمكن قياسه على المخلوقين مما يزعمون أن فيه تشابها؛ فالواجب نفية!!، ولهذا تجدهم على اختلاف مللهم ونحلهم يذكرون ما ذكره أوثانهم من حجة التنزيه، وذلك لأنهم ظنوا التشبيه ففروا إلى النفي وصولا إلى التنزيه!! ومطالعة واحدة لكتاب نقض عثمان بن سعيد الدارمي على بشر المريسي يريك أن شبهة المتأخرين كابن فورك، والرازي، والجبائي، وابن عقيل، والغزالي... مأخوذة من الأول<sup>(٣)</sup>.

١٥- أنه يلزم من قول أهل الكلام في وجوب اتباع العقل أن إرسال الرسل وإنزال الكتب لا حاجة فيه، وأن « حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء: إنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله، وما يستحقه من الصفات لا من الكتاب، ولا من السنة، ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظروا فيما وجدتموه مستحقا له من الصفات في عقولكم فصفوه به، سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به!! »<sup>(٤)</sup>.

١٦- وما يدل على وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة أن فيها كثيرا من الأدلة

(١) انظر: المجموع ٤/ ١٥٧، نقض المنطق ص ١٢٣.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٢٥، وهو من أبيات لزيد بن جندب الإباضي الخارجي.

(٣) وانظر: المجموع ٥/ ٢٣، أقاويل الثقات ص ٢٣٢، المقدمة لابن خلدون ص ٨٣١.

(٤) أقاويل الثقات ص ٢٢٨، من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهو بنحوه في المجموع

١٦/٥ وما بعدها.

العقلية الصحيحة الصريحة ذات المقدمات المسلمة والنتائج المؤكدة<sup>(١)</sup>.

فإذا كان أهل التصوف لا يعتمدون على القرآن؛ فإن أهل الكلام مثلهم، وإنما اختلفت مصادرهم؛ «فمنهم من يحيل على القياس، ومنهم من يحيل على الكشف، وكل من الطريقتين: فيها من الاضطراب والاختلاف ما لا ينضبط، وليست واحدة منها تحصل المقصود بدون الطريق النبوية، والطريق النبوية تحصل الإيذان النافع في الآخرة بدون ذلك، ثم إن حصل قياس أو كشف يوافق ما أخبر به الرسول كان حسنا، مع أن القرآن، قد نبه على الطرق الاعتبارية التي بها يستدل»<sup>(٢)</sup>.

وختاما، فإني أذكر بأن أهل البدع جميعا اختلفت أقوالهم في إثبات الكلام لله ﷻ، ولهذا اختلفت أقوالهم في الاحتجاج به، فلما كان قولهم في التنزيل غير صحيح؛ كانت أقوالهم غير صحيحة؛ فهم لا يقرون بأن الموجود في المصحف هو كلام الله ﷻ حقيقة، وإنما يطلقون العبارات، تلبيسا للعامة، وقد يذكرون الآيات، ولكن ليغروا الناس أنهم يحتجون بالقرآن، وحقيقة قولهم: أنه لا كلام لله حقيقة في الأرض<sup>(٣)</sup>، ولهذا لم يحتجوا به، ولم يحفظوه، ويتبين عدم حفظهم للقرآن الكريم في المبحث التالي.

(١) وقد سبق أن ذكرت طرفا مما دل عليه القرآن من الأدلة العقلية في الفصل الثاني من الباب الثالث.

(٢) شرح الأصبهانية ص ٢٨، وانظر: النبوات ص ٧٥، المجموع ٢٨/٥.

(٣) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراي ٢/ ٣٧٤-٣٧٥.

### المبحث الرابع: بيان عدم حفظهم للقرآن

كثير من أهل الكلام يشتغلون عن القرآن بما لا فائدة يعود فيها على الإنسان، بل ربما جر له الوبال والخسران. وهذا حال أهل الكلام، فهم لا يعرفون شناعة معتقداتهم، ولا يظهر لهم سوء آرائهم إلا إذا أشرفوا على الموت، وقربوا من الفوت، فيعلمون حينئذ أن الحق في اتباع الكتاب والسنة عقيدة ومنهجاً، وسلوكاً وعملاً، ولهذا يوصون ذويهم وتلاميذهم بلزوم الكتاب والسنة، والاشتغال بهما عن طرق البدعة، يقول الرازي في وصيته: «فاعلموا أني كنت رجلاً محباً للعلم فكنت أكتب في كل شيء لأقف على كميته، كيفيته، سواء كان حقاً أو باطلاً!!!...، ولقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة...، فذلك الذي أقول به. وألقى الله به، وأما ما ينتهي الأمر فيه إلى الدقة والغموض، وكل ما ورد في القرآن والصحيح، المتعين للمعنى الواحد فهو كما قال...، وأقول: ديني متابعة الرسول محمد ﷺ، وكتابي القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما»<sup>(١)</sup>. وهذا يدل على أن ما كان منهم - رحمهم الله - من اشتغال بعلم الكلام، عن علم القرآن والسنة، إنما كان ذلك إما غفلة، أو تعمقاً، أو جهلاً، أو تقليداً، ثم كان آخر أمر

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٩١/٨، وانظر: مقدمة محقق المباحث المشرقية للرازي ١/٥٤-٥٥، الروض

باسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ٢/٢٤٨.

بعضهم اتباع القرآن رسماً ومعنى<sup>(١)</sup>.

وقريب من هذا ما ذكره الرازي من أبيات تدل على عدم اشتغالهم بالقرآن والسنة، وأنهم مشغولون بالكلام، فيقول:

نهاية إقدام العقول عقال      وأكثر سعي العالمين ضلال  
وأرواحنا في وحشة من جسوننا      وحاصل دنيانا أذى ووبال  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا      سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا<sup>(٢)</sup>

فهذا إمام من أئمة المتكلمين يبين أنه طول عمره لم يشغل بعلوم القرآن والسنة، بل بالقليل والقال، وهو حقيقة علم الكلام في الحال والمآل.

ويقول مثل ذلك صاحب نهاية الأقدام:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها      وسيرت طرفي بين تلك المعالم  
فلم أر إلا واضعا كف حائر      على ذفن أو قارعا سن نادم<sup>(٣)</sup>

فهذا كلام سلاطين أئمة المعارف العقلية، المنتسبين إلى العلوم الجدلية، وهم قد طافوا المعاهد كلها، إلا معهد الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وهذا إقرار منهم ببعدهم عن القرآن، وبانشغالهم عنه بكتبهم ومقالاتهم.

قال شيخ الإسلام رحمته الله: «كان هؤلاء المعارضون عن الكتاب، المعارضون له سوفسطائية، منتهاهم السفسطة في العقلیات، والقرمطة في السمعیات، يتأولون كلام الله وكلام رسوله بتأويلات يعلم بالاضطرار أن الله ورسوله لم يردّها بكلامه، ويتتهون في أدلتهم العقلية إلى ما يعلم فساد به بالحس والضرورة العقلية، ثم إن فضلاؤهم يتفطنون لما بهم من ذلك؛ فيصرون في الشك والحيرة والارتباب، وهذا منتهى كل من عارض نصوص الكتاب»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٤١.

(٢) طبقات الشافعية ٩٦/٨. وانظر: مقدمة المباحث المشرقية ٢٨/١.

(٣) نهاية الأقدام في علم الكلام ص ٣، وانظر: إيثار الحق لابن الوزير ص ١٣.

(٤) الدرء ٥/٢٥٦.



ومما يدل أن أهل الكلام يحفظون كتب أئمتهم، ولا يهتمون بحفظ كتاب الله ﷻ، ولا يحفظ سنة رسول الله ﷺ قلة الحديث والآثار في مصنفاتهم، وعدم تفريقهم بين ما صح عن الرسول ﷺ وما لم يصح؛ فضلا عن جهلهم بآثار السلف.

وأهل الكلام آثروا «كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة؛ فلولا أنه شائي لما جاء به الرسول ﷺ ما فعل ذلك، حتى إن بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه، ويشغل بقول فلان، وفلان»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على عدم حفظهم للقرآن مخالفتهم الصريحة له، وذلك لعدم استحضارهم للآيات، وقولهم في المسائل بالعقول والتوهّمات<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ﷻ: «بل كثير منهم لا يحفظون القرآن أصلا؛ فمن لا يحفظ القرآن ولا يعرف معانيه، ولا يعرف الحديث ولا معانيه، من أين يكون عارفا بالحقائق المأخوذة عن الرسول!! وإذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلها كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب كانت بالقرآن والحديث أعرف، وأعظم عناية. وإذا كانت عن الله وعن رسوله أبعد، كانت عنهما أنأى، حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية؛ فقال: لا نسلم صحة الحديث، وربما قال: لقوله ﷻ كذا، وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر<sup>(٣)</sup>، وحدثني ثقة أنه تولى مدرسة مشهد الحسين بمصر بعض أئمة المتكلمين رجل يسمى: شمس الدين الأصبهاني شيخ الأيكي؛ فأعطوه جزءا من الربعة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: أَلَمْصُ، حتى قيل له: ألف لام ميم صاد!!، فتأمل هذه الحكومة العادلة<sup>(٤)</sup> ليتبين لك أن الذين يعيبون أهل الحديث ويعدلون عن مذهبهم جهلة

(١) المجموع ١٦/٥٢٧.

(٢) انظر: المجموع ٤/١٥٦.

(٣) انظر: تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١٣١.

(٤) قال المحقق: لعل الصواب (الحكاية الغريبة)، والصواب ما أثبتته، وهو الذي في المخطوط، انظر: مخطوطة

نقص المنطق لوحة ٢٣٣/ب السطر ٧، وهو كذلك في المجموع ٤/٩٤.

زنادقة، منافقون بلا ريب»<sup>(١)</sup>.

ولما كان حال أهل الكلام تقديم العقول على النقول أنتجوا فكرا رهيبا، وأورثوا مذهباً رديئاً، وهو العمل بالعقل، وبمقتضى العقل، دون النظر إلى النقل، وهذا الذي كان نواة للعقلانيين المعاصرين، والمسمين أنفسهم بالقرآنيين أيضاً، وأبين حالهم في الفصل التالي.

---

(١) نقض المنطق ص ٨٢.

إِلْفَضْلِك السَّادِسُ

تَنْزِيلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ بَعْضِ الْمَعَاصِرِ  
(الْعَقْلَانِيَّاتِ وَمَنْكَرُ السُّنَّةِ «الْقُرْآنِيَّاتِ»)

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العقلائيون.

المبحث الثاني: منكرو السنة (القرآنيون).



### المبحث الأول: العقلانيون

#### المطلب الأول: التعريف بالعقلانيين لغة واصطلاحاً.

"العقل" لغة، النُّهية، والحجر، وهو ضد الحمق، وقيل العقل هو: العلم، وعليه اقتصر الكثيرون، وعليه فالعقل ضد الجهل، وقيل العقل هو القلب. والعقل مشتق من العُقل وهو المنع، لمنعه صاحبه مما لا يليق، أو من المَعْقَل وهو الملجأ، وسمي بذلك لالتجاء صاحبه إليه<sup>(١)</sup>.

فالعقل في اللغة يدور معناه على منع الشيء وحبسه، ومن ذلك العقل: وهو الحابس عن ذميم القول والفعل<sup>(٢)</sup>.

#### وأما العقلانيون في الاصطلاح:

فقد اختلف الناس في تعريف هذه المدرسة العصرية، هل المؤسس الأول هو جمال الدين الأسد آبادي<sup>(٣)</sup> أم غيره؟ وأيا كان فإن العقلانية الحديثة بدأت ونشأت في مصر، على يد جمال الدين وتلميذه محمد عبده<sup>(٤)</sup>، ثم انتشرت في الآفاق بعد التفتح

(١) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني ص ٣٤٥، المصباح المنير للفيومي ص ٤٢٣، مختار الصحاح ص ٤٤٦.

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص ٦٧٢.

(٣) جمال الدين بن صفدر الحسيني الأسد الآبادي، وقد اختلف المؤرخون حوله هل هو أفغاني أم إيراني، وذلك لما كان يتمتع به الرجل من دهاء ونخف، حتى قيل إنه من رجال الماسونية، وصرح بهذا بعض الكتاب. وأيا كان فهو ممن أشهرهم الاستعمار، وكان منابذاً للخلافة الإسلامية في الأستانة، وقد سكن في مصر في خانة اليهود، وقيل: إنه كان رافضياً مازندرانياً متفلسفاً، توفي سنة ١٨٩٧م. انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٣٤ وما بعدها، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لحادم حسين بخش ص ١١٤.

(٤) محمد عبده بن حسن خير الله، تعلم في الأزهر، وتعلمذ على يد جمال الدين الأفغاني، وصار مفتياً لمصر،

الغربي على البلاد الإسلامية والغزو الفكري.

وقد اختلف الناس في تعريف "العقلانيين" بحسب اختلافهم في مشاربهم ومناهجهم، والذي يهمننا هو تعريف هؤلاء المعاصرين الذين يمجدون العقل ويعظمونه. ويمكن تعريف العقلانيين بأنهم: الذين جعلوا العقل المصدر الأول أو الأساس للمعرفة في الدين وغيره، وجعلوه حاكماً على جميع الأمور، ومن ذلك الوحي<sup>(١)</sup>.

فالعقل عند هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالعقلانيين، ويسمون غيرهم بالسطحيين<sup>(٢)</sup> أساس كل شيء.

والعقلانيون الذين يمجدون العقل صنفان:

الصنف الأول: المتكلمون من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم كالرافضة في بعض طرق استدلالهم العقلية، وكالأشاعرة والماتريدية، ونحوهم.

الصنف الثاني: أصحاب الاتجاهات العقلية المعاصرة<sup>(٣)</sup>.

فالمدرسة العقلية تسير مع اتجاه تمجيد العقل واعتماد أحكامه، سواء وافق الدين أم خالفه، فالمحكم في هذا الاتجاه هو العقل، وهو ناشئ من المذاهب الفلسفية والمناهج الكلامية. وقد اختلفوا فيما بينهم لاختلاف العقل الذي يكون هو المحكم على الدين، ولكن يجمعهم أمر واحد، وهو تمجيد العقل، ولو خالف النص.

وكان الأب الروحي للمدرسة العصرية العقلية، ونبذ التقليد في كل شيء، ومجد العقل، وهو بهذا يفهم

القرآن حسب رأيه وعقله، توفي سنة ١٣٢٣ هـ. انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب

ص ٣٧ وما بعدها، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخدام حسين بخش ص ١١٤ وما بعدها.

(١) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د. ناصر العقل ص ١٥، ١٦، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين

التغريب ص ٤٠.

(٢) وهذا كقول أوائلهم من المعتزلة وغيرهم الذين كانوا يسمون أهل الحديث بالحشويين، وهؤلاء كأولئك،

وإنما غيروا الاصطلاحات، حتى تنتشر مقالاتهم بين الفئات.

(٣) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د. ناصر العقل ص ١٧. وهذا التقسيم إنما هو بالنسبة إلى العهد

الزمني، وإلا فإن أولئك العقلانيين هم من وضعوا نواة العقلانية الحديثة.

وأدخل هؤلاء عقولهم حتى في الأمور الغيبية التي لا تدرك بالحواس، ولا تعلم بالتجارب والشواهد والمساس.

ومن أهم رموز هذه المدرسة: المعتزلة، وغيرهم من أهل الكلام. ومن المعاصرين المدرسة المعروفة باسم مدرسة جمال الدين الأفغاني، ومن تبعه وصار على دربه، ومنهم محمد عبده، وأبو الأعلى المودودي، و... كل ذلك بحجة أن الدين شهد للعقل بالتمجيد، وشهد له بالأهمية.

والمعتزلة الذين عرفوا بتقديس العقل، وتقديمه على القرآن والسنة، بحجة الظنية قد وجدت لها وراثا، فإن أفكارها موجودة في بطون كتبهم، وتبنى هذه الأفكار فثام من الناس<sup>(١)</sup>، بل إن كثيرا من المعاصرين يتحسرون على عدم وجود مدرسة اعتزالية!!<sup>(٢)</sup>.

فمن العقلانيين أهل الكلام، ولهم مع القرآن شأن قد مضى ذكره. وهم أيضا لا يقبلون من الشرع إلا ما وافق عقولهم، ومن جملة ذلك الأحاديث؛ فإنهم لا يقبلون منها إلا ما وافق قواعدهم، وإلا ردّوها بحجة أنها من أخبار الآحاد، أو بالطنع في رواتها، وغير ذلك من الوسائل المستبشرة!<sup>(٣)</sup>

وما ساعد على نشر هذه المدرسة العقلية العصرية الاستعمار الإنكليزي، وتسمية العلوم التجريبية علوما دون العلوم الشرعية، مما كان سببا في تهافت الناس عليها دون العلم الشرعي، وظنهم أن العلوم الشرعية إنما هي من التراث الماضي فحسب<sup>(٤)</sup>.

وكثير من المنتسبين إلى العلمانية في هذا العصر ممن يتدينون بالإسلام في الشعائر الظاهرة هم من العقلانيين، الذين يقرون بالشرع، ويقصرون في بعض النواحي لظنهم أن الشرع لم يدل عليه، كظن المتكلمين أن الشرع لم يدل على المسائل الاعتقادية بطريق القطع

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ١٢٩، العصرانيون بين مزاعم التجديد ومبادئ التغريب ص ٥٩ وما بعدها، ص ٢٠٤، ٣٦٧.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ١٣١ وما بعدها.

(٣) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٨٤ وما بعدها.

(٤) انظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، لعبد الرحمن حبنكة ص ١٧١.

والبرهان!!، ولهذا تجد بين أهل البدع وهؤلاء العقلانيين والحدائين تأزر وتألف<sup>(١)</sup>.

والعقلانيون المعاصرون يريدون تسييس الدين وتغييره بحسب المناهج العقلية المتغيرة في هذه العصور، ولذلك تجد منهم ميلا كبيرا إلى التراث الغربي، والغض من شأن السلف، وعدم الالتفات إليهم<sup>(٢)</sup>.

وبحجة وجود التناقض بين العقل والدين، فالمقدم إذاً هو العقل الذي أوصلنا إلى الدين!!! ومما يظنونه من التناقض ما هو موجود من بعض التناقضات التفسيرية لبعض النصوص القرآنية والنبوية من علماء الإسلام بحسب الاجتهادات ومراتب العلم في شرح النصوص الواردة، «مع أنه لا يوجد في الإسلام نص أو تفسير أجمع عليه علماء المسلمين، مما يخالف قضية عقلية مقطوعا بها»<sup>(٣)</sup>. وما وجد مما يخالف العقل فهو إما غير ثابت نصاً، أو هو غير مراد شرعاً، وإن فهمه بعض أهل العلم، وأما «الوحي: الذي هو منحة من الله لعباده عن طريق النبوة، فهو طريق من طرق المعرفة الصحيحة، وهو يقدم شهادة بالحقيقة عن الشيء أو الأمر الذي أخبر عنه، ومتى كان الخبر عن الوحي خبراً مقطوعاً به فإنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يتناقض مع اليقين الذي توصل إليه الوسائل الإنسانية الحسية أو العقلية، أو الخبرية»<sup>(٤)</sup>.

وقد نص القرآن والسنة على أهمية العلم، فكيف يكون بينه وبينه مناقضة؟! ولكنها الأهواء والجهل بما جاء به الأنبياء، وهم يظهرون الموقف المتردد في كل ما يخالف عقولهم خصوصاً السنن النبوية، وأما الآيات القرآنية فلإنهم يظهرون نحوها شيئاً من التعظيم، ولكنه عند الحقيقة ليس من التكريم. وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

(١) انظر: قمع الدجاجة ص ١١.

(٢) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٦٢، ٢١٨.

(٣) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، لعبد الرحمن حنكة ص ١٧٢-١٧٣.

(٤) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، لعبد الرحمن حنكة ص ١٧٧.



## المطلب الثاني: منزلة القرآن الكريم عند العقلانيين.

إن الحقيقة التي يجب أن يعرفها كل منتسب إلى الإسلام أن الدين لا يمكن معرفته معرفة تامة إلا بالكتاب والسنة، والتفريق بينهما تفريق بين المتماثلات في الحكم، وتناقض في الظاهر، إذ هذا وحي جلي، والسنة وحي خفي، ف«أحكام الدين كلها من القرآن والسنة، لا تخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما: إما وحي مثبت في المصحف، وهو القرآن، وإما وحي غير مثبت في المصحف، وهو بيان رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>، ولكن لما كان رد القرآن شنيعا، لجأت طائفة إلى رد السنة، ثم فسروا القرآن على مراداتهم، ولم يبالوا بما ورد في الآثار مما خالف إراداتهم، بل وربوا تجد منهم من يقول: إن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، ويعنون بذلك نبذ السنة، وفصلها عن الشريعة<sup>(٢)</sup>.

وإن من أوائل الذين عرفوا بتقديس العقل هم الجهمية وأفراخهم من المعتزلة وغيرهم من أهل الكلام؛ فإنهم جعلوا النصوص سواء كان قرآنا أو سنة تابعين للعقل؛ فما شهد به عقولهم قبلوه، وما خالف عقولهم ردوه. وأما ما كان ثابتا بالتواتر ونحوه أولوه<sup>(٣)</sup>، وقد ذكرت موقف أهل الكلام من تعظيم القرآن الكريم، وأنهم لا يحتاجون به في مسائل الاعتقاد<sup>(٤)</sup>، وإن طلبوا التحاكم إليه فذلك عندهم المقصود به الفقهيات، وهو الحال الآن في كثير من الجماعات المعاصرة المتأثرة بالفكر الاعتزالي<sup>(٥)</sup>.

والعلمانيون من العقلانيين كثير منهم يظن أن القرآن لا يصلح أن يعمل به في أمور السياسة!! وهذا يعني فصل الدين عن الدولة، ويظنون أن العقول البشرية تدل

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٥٥٠/١.

(٢) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٤٣، ٧٩.

(٣) انظر: مصادر التلقي للقفاري ص ١٦٠.

(٤) انظر: الفصل الخامس من هذا الباب.

(٥) انظر: الحكم بما أنزل الله لسعد الحصين ص ٦.

على أفضل السياسات الدولية. وأما الشرع فهي في هذه الأمور نتاج أفكار الفقهاء، وأن الشرع لم يأت بهذه المسائل!! و«يصرح بعض العصرانيين بحقيقة دعوتهم في الحكم، وفصل الشريعة عن قضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويدعون إلى علمانية مصبوغة بمفهومهم عن الإسلام»<sup>(١)</sup>. يقول د. محمد عمارة: «إن للدين مفاهيم عليا، ومثلا عليا، ثم للناس أن يحددوا ويشرعوا ويطوروا حياتهم وفق المصلحة بعد ذلك!!»<sup>(٢)</sup>. فليحذر المسلم «من المشاريع المطروقة بالأراء الفاسدة، الخارجة في المعنى على الشريعة، مذعنة بلسان حالها أن الشرع ناقص يحتاج إلى ما يتم به!!»<sup>(٣)</sup>.

وهؤلاء العقلانيون أتوا بما يخالف صريح القرآن بحجة العصرانية، ونبذهم للسنن النبوية، وهم في الظاهر يدعون أنهم معظمون للقرآن، ولكن يظهر من خلال هذا المطلب أنهم غير معظمين له؛ ويدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم - وإن ادعوا تعظيمه - أمور منها:

١- أن المسلمين وإلى العهد الحديث كانوا معظمين من حيث المدارس والمناهج للقرآن والسنة، أعني المنتسبين إلى السنة - بالمعنى العام - حتى جاء هذا العصر وظهر فيه الأفكار الجديدة، ومن اعتقادات هذه المدرسة إنكار الجن والملائكة والشيطان!! وهذه كلها ثابتة بالقرآن الكريم فكيف يكون هؤلاء إذا معظمين للقرآن الكريم!!! بل إن هذه الأمور معلومة من الدين بالضرورة، وثبتت بها السنة المتواترة والإجماع<sup>(٤)</sup>.

٢- أنه قد ثبتت المعجزات للأنبياء، في عدة آيات من كتاب الله ﷻ، وهؤلاء العقلانيون بل والمنتسبين إلى العلم الشرعي قد ارتكزت فكرة إنكار معجزات الأنبياء

(١) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٧٩، ٢٨١، وذكر بعض هؤلاء، ومنهم: د/ حسن حنفي، ود. محمد عمارة، ومحمد سعيد العشراوي.

(٢) المعتزلة وأصول الحكم له ص ٢٩٥ نقلا عن كتاب: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٨٠.

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٦٠.

(٤) انظر: موقف العقل والعلم والعالم ١/ ٣٤٦.

في قلوبهم، وفيهم من تولى المشيخة... حتى شجع هذا الاستخفاف الموروث بنصوص الكتاب والسنة بعضاً منهم على إنكار رفع عيسى إلى السماء، المنصوص عليه في القرآن ونزوله في آخر الزمان، المذكور في ستين حديثاً، رواها ثلاثون صحابياً...<sup>(١)</sup>. كما شجعت مقررات بعضهم في المغييات إلى نفي وجود الشيطان... وأصبح إنكار الخوارق عادة مألوفة في مصر عند المتعلمين بعد انتشار مبادئ العقلانية الاعتزالية، واعتبارها فيما بينهم، حتى إن معجزة القرآن الحارقة لسنة الكون، ولو بالنظر إلى نزوله من عند الله بواسطة الملك ينكرونها أيضاً، أو يلزمهم ويفهم من أقوالهم إنكارها!<sup>(٢)</sup>.

٣- أن العقلانيين سواء الأوائل منهم أو الأواخر لا يعظمون القرآن الكريم، يقول محمد عبده: «اتفق أهل الملة الإسلامية، إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل، وبقي في النقل طريقان: طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه. الثانية: تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبتته العقل»<sup>(٣)</sup>. فأى تعظيم للقرآن عند هؤلاء إذا كان يعمل فيه بمعولٍين للهدم: إما التفويض، وأنه طلسم لا يعرف معناه، أو التأويل حتى يوافق العقل - أعني عقولهم السقيمة - !!!.

٤- منافاة أقوالهم الصريحة للقرآن الكريم، ومن ذلك قولهم ببدائية الإنسان، وأنه كان عابداً للأوثان، مع أن النصوص صريحة بأن أبانا آدم ﷺ كان نبياً، وكان موحداً<sup>(٤)</sup>، فيقولون: إن من يريد أن «يبحث في الأديان البدائية ليثبت أن الأولين قد عرفوا الحقيقة الكونية الكاملة منزهة عن السخف والغباء، إنها يبحث عن محال!!»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: كتاب قصة المسيح الدجال ونزول عيسى ﷺ وقتله إياه للشيخ الألباني.

(٢) انظر: موقف العقل والعلم والعالم ١/ ٣٤٨.

(٣) الأعمال الكاملة ٢٨٢/ ٣ جمع وتحقيق د. محمد عمارة، نقلاً عن كتاب: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ١٣١.

(٤) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د. ناصر العقل ص ١١٥ وما بعدها.

(٥) الله - للعقاد ص ١٤.

٥- إنكارهم لكثير من المغيبات، مع أنها واردة في القرآن الكريم، وإنما يحاولون تحريفها لتواكب ما هم بصدد من العقلانية التي لا تؤمن بها وراء العقل مما يقوم على التجارب ونحوه!!<sup>(١)</sup>. وهذه الأفكار التي نبغت ووجهت بالإنكار الشديد، فما كان من أصحابها إلا أن أظهروا الهزيمة، ولكنهم بدؤوا بالتشكيك فيها عن طريق التأويل - كأساتذتهم أهل الكلام - « تأويلا يبعدها عن ظاهر النص؛ فوصفوا بعض القضايا الغيبية برموز وأوصاف هي إلى الإنكار أقرب منها إلى الإثبات، أمثال الشيخ محمد عبده، والدكتور محمد حسين هيكل، والدكتور أحمد أمين...، وغيرهم...؛ فحرفوا ورَدُّوا صريح القرآن، أو صحيح السنة، حتى زعم بعض العلماء المنسوبين للأزهر والدراسات الشرعية أن السنة لا يحتاج بها في العقيدة، وإن صحت!! »<sup>(٢)</sup>.

٦- تحريفهم القرآن وتفسيرها تفسيراً مادياً بحثاً، « وكما يخاف أعداء الإسلام من الإسلام، كذلك نجد كثيرين من العقلانيين يخافون من العمل بالسنة، ومن السلفية؛ فللعقلية الحديثة تجاه الوحي عموماً تأويلات عدة، تدور كلها على تفسيره تفسيراً مادياً وبشياً، لا يعدو كونه نشاطاً من الأنشطة الإنسانية الفردية، وأنه جاء نتيجة تأثيرات روحانية أو قوى عقلية!!...، والعقلية الحديثة أكثر جرأة من القديمة، فالقديمة إنما حاولت التأويل والتحريف والتعطيل لنصوص الوحي دون أن تتجرأ على إنكار نسبه إلى الله...، أما العقلية الحديثة فقد حاولت إنكار نسبة الوحي إلى الله تعالى، أو التشكيك فيه، وإثارة الشبهات حوله »<sup>(٣)</sup>، وهذا الخلل وقع منهم ومن

(١) انظر: موقف العقل والعلم والعالم لمصطفى صبري ١/ ١٨٧. الاتجاهات العقلانية الحديثة د. ناصر العقل ص ١٢٣ وما بعدها.

(٢) الاتجاهات العقلانية الحديثة د. ناصر العقل ص ١٢٧، وانظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٣٩، ١٣٣، حراسة العقيدة د. ناصر العقل ص ٢١.

(٣) الاتجاهات العقلانية الحديثة د. ناصر العقل ص ١٥٨ - ١٥٩، وانظر منه ص ٣٦١، وانظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٤٥، وانظر: موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي دراسة نقدية لـ "مسلك الاعتدال" للشيخ المودودي، ودفاع الشيخ الإصلاحى عنه، للعلامة محمد إسماعيل السلفي، تعريب وتقديم وتعليق: صلاح الدين مقبول أحمد؛ فإنه كتاب مهم حول رأي هؤلاء المعاصرين الجدد في القارة الهندية من السنة النبوية المخالفة لأذهانهم الرديئة.

غيرهم في التفسير بسبب الخلل في تلقي العلم الشرعي القائم على الكتاب والسنة، وفهم سلف الأمة<sup>(١)</sup>.

٧- زعم بعضهم أنه يمكن إلغاء بعض ما جاء به الشرع بحجة أنه لا يوافق المدنية العصرية!! وزعموا أن القرآن جاء إنما ليعالج بعض ما كان سائداً، وقد اندثر. وإذا تقدم العلم وتطور فلم يعد القرآن الكريم صالحاً للتطبيق في جميع مجالاته!!<sup>(٢)</sup> يقول أحد المعاصرين العقلانيين: «من الحقائق التي يجب التسليم بها أن القرآن الشريف يجب أن يعاد النظر في فهم تعاليمه وتطبيقها من عصر إلى عصر!، بل من جيل إلى جيل! وعلى هذا لا بد من ظهور تفاسير جديدة متمشية مع روح العصر، وتقدم العلم، يؤلفها المطلعون الواعون من المفكرين»<sup>(٣)</sup>. يقول د. محمد عمارة: «إن الإسلام الدين لم يعترف لبشر بعد الرسول ﷺ بسلطة دينية؛ فلقد انقضى زمن الوحي!! وبلغت الإنسانية سن الرشد، وأكلها الله إلى وكيله عنها: الكتاب وهو القرآن الكريم، والعقل الذي جعله الله من أجل القوى الإنسانية، بل أجلها على الإطلاق»<sup>(٤)</sup>. ويقول: «إن كون الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع السماوية للبشرية، إنما يعني بلوغ البشرية سن الرشد، بما يعنيه الرشد من رفع وصاية السماء عن البشر!!»<sup>(٥)</sup>؛ فعلى هذا يفعل العقلاء ما يشاؤون ما دامت الوصاية قد رفعت عنهم لبلوغهم سن الرشد!!؛ فأى تعظيم يكون بعد ذلك للقرآن الكريم، والشرع القويم!؟.

٨- فصلهم الدين عن الدولة، وكثير من العقلانيين المعاصرين يرون أنه لا بد

(١) انظر: قضايا عقدية معاصرة ص ٣٢.

(٢) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د. ناصر العقل ص ١٦٠، وانظر منه ص ٣٦٤.

(٣) ثورة الإسلام لأحمد زكي ص ٣٥.

(٤) الدولة الإسلامية محمد عمارة ص ١٧٧، نقلا عن كتاب: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٠٥.

(٥) الإسلام وقضايا العصر له ص ١٥، نقلا عن كتاب: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٠٥.

من فصل الدين عن الدولة، وأن الدين لا يتعدى المحراب<sup>(١)</sup>. ويقولون: دع ما لله الله، وما لقيصر لقيصر!! وهذه مقولة علمانية نصرانية جاهلية أراد المتعلقانيون تطبيقها مع الدين الإسلامي؛ فأَي تعظيم يتصور منهم بعد هذا للقرآن الكريم؟؟!

٩- تركهم السنة، بل وطعن شيوخهم المعتزلة في الناقلين لها من الصحابة والأئمة ومن بعدهم، بحجة أنهم بشر<sup>(٢)</sup>. ثم بعد ذلك يفهمون الشرع كما يريدون، وهؤلاء كأولئك، وزادوا أن عصرنا تغير عن عصرهم!! فالعقلانيون تكلموا على بعض الصحابة وعلى وجه الخصوص في حافظ الأمة وعالمها أبي هريرة رضي الله عنه، مع أن السنة هي المصدر المبين للقرآن الكريم ومصدر أساس من مصادر الشريعة الإسلامية، والصحابة رضي الله عنهم هم الذين بلغوا لنا الدين<sup>(٣)</sup>.

١٠- ظن كثير من العقلانيين - كأشياخهم من الفلاسفة - أن القرآن إنما جاء بالتخييل<sup>(٤)</sup>. ولهذا تجد منهم من يؤلف حول القرآن وأن ما جاء به هو من باب التصوير والتخييل، ويقدم رسالة "دكتورة" بعنوان: "الفن القصصي في القرآن الكريم"<sup>(٥)</sup>. وهو يرى في هذه الرسالة أموراً هي من الكفر الصريح أقرب، إذ يقول: «القصة القرآنية هي من باب التمثيل وهو ضرب من فنون البيان العربي، يعتمد على الواقع، وعلى العرف والخيال، فلا يلزم في الأشخاص أن يكونوا وجدوا، ولا في الحوار أن يكون قد صدر!!، وإنما يكتفي... بالفرض والخيال...»، وفيها اللون الأسطوري!! إذ المقصود حقا هو ما في القصة من توجيهات دينية وخلقية!!<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د. ناصر العقل ص ٣٩١ وما بعدها.

(٢) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ١٧.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٠٧، البرهان في تبرة أبي هريرة من البهتان لعبد الله بن عبد العزيز الناصر، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٢ وما بعدها، ١٣٦.

(٤) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لحادم حسين بخش ص ١٣٠-١٣٢.

(٥) وهذه الرسالة لمحمد أحمد خلف الله، أطروحة دكتوراة، إشراف أمين الخولي، قدمت في القاهرة، جمهورية مصر العربية.

(٦) الفن القصصي في القرآن ص ١٥٣، ١٧١، بتصرف، نقلا عن كتاب: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ١٥٨.

وقريب من هذا قول سيد قطب في رسالته المسماة بـ "التصوير الفني في القرآن" <sup>(١)</sup>.

١١- رجوع هؤلاء العقلانيين إلى الكفار في وضع مناهجهم الدراسية والاقتصادية، وفي علاقاتهم الدولية والسياسات. وهذا أكبر دليل على أنهم لم يعظموا القرآن الكريم، بل هو دليل على اعتقاد هؤلاء أن القرآن الكريم لم يأت بالهداية الكاملة، المنشودة للأمة العاملة.

١٢- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم، ما خرجوا به من الآراء الفاسدة في الدين، فكثير من العقلانيين في هذه العصور أنكروا أحكاما من الدين هي معلومة من الدين بالضرورة بحجة عدم ثبوتها في القرآن الكريم؛ ولذلك تجدهم يأتون بأحكام هي عن الشريعة قصية، ومن البدع الغوية. وهذا يدل أنهم حقيقة ليسوا معظمين للقرآن الكريم، ومن ذلك: أ- تجويزهم للربا إذا كان يسيرا <sup>(٢)</sup>، وذلك نظرا إلى آية واحدة من كتاب الله ﷻ وترك ما عدا ذلك من الآيات، وعدم الالتفات إلى الأحاديث المتواترات في الربا وتحريمه كثيرا كان أم قليلا. ب- رفض عقوبة الرجم للزاني المحصن <sup>(٣)</sup>، وذلك بحجة عدم ثبوتها في القرآن الكريم؛ مع أنه من الأحاديث المتواترة في الدين. ت- إنكارهم المعجزات، بل أنكروا حتى ما ثبت في القرآن الكريم وقالوا: إن المراد بها كيت وكيت، ويذكر محمد عبده في قصة إهلاك أصحاب الفيل أنهم ماتوا بالجدري، أو الحصبة!! <sup>(٤)</sup>، وقريب من هذا التفسير ما سطره المودودي في كتابه "تفهيم القرآن" وهو تفسير بالأردية، حيث زعم أن يأجوج ومأجوج قد يكونون نوع جراثيم!! ث- والقرآن الكريم صريح في تجويز زواج الرجل لأربع نسوة إلا أن هناك من يقيد هذا، ولا يراه مع أنه لا يقبل الحديث، ويقول: إنه يقبل القرآن

(١) انظر: موقف العقل والعلم والعالم لمصطفى صبري ٣٢٢/١، وكتاب نظرات في كتاب التصوير الفني في

القرآن الكريم لسيد قطب، تأليف الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبدو وطارق عبد الحليم ص ١٣٦.

(٣) انظر: المصدر نفسه ص ١٣٦.

(٤) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبدو وطارق عبد الحليم ص ١٣٧.

الكريم، لكنها الأهواء!!<sup>(١)</sup>.

١٣- أن هؤلاء العقلانيين مع قولهم بأنهم يريدون القرآن فقط، إلا أنهم غير معظمين له، فتجد منهم من يعظم الاشتراكية، ويسمّيها الاشتراكية الإسلامية!! ومنهم من يمجّد الديمقراطية ويظنّها من التمدن والاستقلالية، وهم ظنّوا أن القرآن غير مشتمل للهدى الكامل - لعلمهم القاصر فيه - ولهذا أعرضوا عنه، أو تركوا ما في القرآن قصداً وإعجاباً للتمدن الغربي.

ومعلوم أن القرآن يشتمل على ما فيه سعادة الدنيا والدين، وأنه يجب أن يكون حاكماً في دنيا المسلمين ودينهم، والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها:

١- قول الله ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ولا شك أن القرآن مشتمل لسعادة الدنيا والدين، وبين فيه ذلك، ومن جملة ذلك بيانه في الأخذ بالسنة، إذ هي المينة له، والمفسرة له<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] فإذا أخبرنا عن الدواب والطير في هذا الكتاب، وأنها أمم مثلنا؛ فكيف يترك ما فيه سعادة الدنيا والدين، ولهذا قال: «ما فرطنا»، أي لم يقع التفريط في البيان، والتقصير في هداية القرآن، قال الشافعي رحمه الله: «وليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا وفي كتاب الله تعالى الدليل على سبيل الهدى فيها»<sup>(٣)</sup>.

٣- أكد العلماء - رحمهم الله - أن من كان عالماً بالكتاب والسنة فإنه غير محتاج إلى شيء آخر وهذا يدل على كمالهما، وشمولهما لخيري الدنيا والآخرة. قال ابن الأعرابي: «لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب -

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ١٣٨

(٢) انظر: الفصل الثاني من الباب الثالث.

(٣) قواطع الأدلة ١/ ٣٢.



يعني سنن أبي داود - لم يحتج إلى شيء من العلم البتة<sup>(١)</sup>. فإذا كان الكتاب مع سنن أبي داود يعني - أي في أغلب الشرع - فكيف لو كان مع الرجل الكتاب والسنة بأجمعهما؟.

وبهذا يتبين أن القرآن الكريم مشتمل على سعادة الدنيا والدين، ولكن العقلانيين لم يعظموه حق التعظيم، ولم يفهموه حق الفهم، فجهلوا مراميه، وأبلسوا عن معانيه.

ولما كان هؤلاء العقلانيون معظمين للعقل، منكرين لكثير من السنن؛ فإنهم بهذا قد بذروا بذورا؛ فنتج عن ذلك تولد الفرقة المشهورة بـ "القرآنيين"، وعنهم الحديث في المبحث التالي.

## المبحث الثاني: منكرو السنة (القرآنيون)

### المطلب الأول: التعريف بهم:

إن كثيرا من الفرق الإسلامية المبتدعة يصح أن يقال عنها: إنها كانت نواة للقرآنيين، فالرافضة بل والشيعية بجميع فرقها لا تقبل من السنة التي رويت عن طريق الصحابة (رضي الله عنهم)، حتى ما في الصحيحين. وهكذا الخوارج، والموجودون منهم في هذا العصر على وجه الخصوص "الإباضية" لا يقبلون ما صح عند أهل السنة من الأحاديث، وهكذا المعتزلة لا يقبلون من السنة إلا ما وافق مذهبهم، وظنوه مؤكداً لمنهجهم<sup>(١)</sup>.

فنبذ السنة وإظهار تعظيم القرآن الكريم فقط دعوات ظهرت في بعض الأوقات، تقل وتكثر بحسب ضعف وقوة أهل السنة، وأنكر «كثير من أهل البدع والكلام، والفلسفة لما يعلمه أهل الحديث من الآثار النبوية؛ فإن هؤلاء يقولون: إنها غير معلومة لنا، كما يقول من يقول من الكفار: إن معجزات الأنبياء غير معلومة لنا!! وهذا لكونهم لم يعلموا السبب الموجب للعلم بذلك، والحجة قائمة عليهم سواء تواترت عندهم أم لا»<sup>(٢)</sup>.

والخوارج أول من «ابتدعوا ترك العمل بالسنة المخالفة في زعمهم للقرآن»<sup>(٣)</sup>. وهؤلاء الخوارج وإن كانوا في الظاهر معظمين للقرآن لكنهم في الحقيقة غير معظمين

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٧٨، ٨٢، ٨٨.

(٢) المجموع ٩/ ١٠٤.

(٣) الرد على البكري ٢/ ٤٨٧، وانظر: المجموع ٣/ ٣٥٥.

له؛ وذلك لأنهم يفهمونه مجردا عن بيان السنة النبوية، وبسبب هذا ضل الخوارج، و« صاروا يتبعون المشابه من القرآن؛ فيتأولونه على غير معرفة بمعناه، ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين، الذين يفهمون القرآن »<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الخوارج مظهرين لتعظيم القرآن، إلا أن موقفهم من السنة النبوية جلية، إذ يردون ما يظنونونه مخالفا لصريح القرآن!! « فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن، كالرجم، ونصاب السرقة، وغير ذلك؛ فضلوا... »<sup>(٢)</sup>، بل صرح البغدادي بأنهم « ردوا جميع السنن التي رواها نقلة الأخبار: لقولهم بتكفير ناقلها »<sup>(٣)</sup>.

فدعوة الاكتفاء بالقرآن دون السنة ليست وليدة اليوم<sup>(٤)</sup>، فهذا رجل من الجهمية في مناظرة الإمام أحمد رحمته الله يقول منكرا على الإمام أحمد: « أراك تتحل الحديث وتذكره؟؟ قال الإمام أحمد فقلت له: ما تقول في قول الله: يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَزْوَاجِكُمْ لِذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ [النساء: ١١] فقال: خص الله ﷻ بها المؤمنين. قال: فقلت له: ما تقول إن كان قاتلا، أو عبدا، أو يهوديا، أو نصرانيا؟ فسكت »<sup>(٥)</sup>. فالرجل أراد الاحتجاج بالقرآن فقط، فعلمه الإمام أحمد رحمته الله أنه لا يمكن معرفة أحكام القرآن مطلقا بدون السنة، فما ذكره في الآية دليل على ذلك، لأن الآية عامة يدخل تحتها كل هذه الأصناف فيرثون من حيث العموم! ومعلوم عند الخاصة والعامة أن الكافر لا يرث المسلم، وأن القاتل والعبد لا يرثون.

وإن منكري السنة لم يظهروا كمدرسة هكذا فجأة، وإنما هي ميلاد اجتماع وأخلاق لأراء العقلانيين، الذين ظنوا المخالفة بين العقل والشرع الميين، وحاولوا إبعاد النصوص عن ميادين الدنيا والدين، ومن ذلك القرآن الكريم، ولما كان متواترا

(١) المجموع ١٣/ ٢١٠.

(٢) المجموع ١٣/ ٢٠٨.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥٢.

(٤) انظر: المجموع ١٩/ ٨٦، ٨٩.

(٥) محنة الإمام أحمد للمقدسي ص ٩٢، وانظر منه: ص ٩٩.

ثبوته، وأن رده كفر صريح، فإنهم زعموا أنهم يعتمدون عليه، وذلك حتى يفسروا آياته حسب مشتبهاتهم ومراداتهم، فتركوا لذلك السنة. وهذه فكرة عقلانية قديمة أصبحت ظاهرة في هذا العصر في كثير من العقلانيين إن لم يكن في كلهم.

وإن ولادة الطائفة المنتسبة إلى القرآن لم تأت إلا نتيجة ولادة طبيعية للدعوات العقلانية، وبذ السنن النبوية منذ عهد المعتزلة الغوية وحتى ظهور المدرسة العقلية الحديثة، خصوصا في القارة الهندية بعد ظهور حركة سيد أحمد خان العقلية<sup>(١)</sup>.

وأما ظهور دعوة باسم "القرآنيين" أو "أهل الذكر والقرآن" فإنما كان على يد عب الحق العظيم آبادي<sup>(٢)</sup>، وعبد الله جكروالي<sup>(٣)</sup>، وكان ظهورهما في زمن متقارب، ومعينهما منبع واحد متحد، وهو الأخذ عن العقلانيين، والإعجاب بالغريبيين، غير أن الأول لم يخالف المسلمين في أعمالهم الظاهرة، والثاني خالف المسلمين حتى في الأعمال الظاهرة، بحجة أن القرآن لم يدل عليه، وهكذا بدأت الدعوة، وزادت الشقة<sup>(٤)</sup>، وبعدت عن المحجة، وإن البدع تبدأ صغارا فتعود كبارا.

ومما كان له الدور البارز في إظهار هذه الفرقة وتربيتها المستعمر الإنكليزي، حيث كان أحمد خان يدعو إلى إلغاء الجهاد وهكذا العقلانيون السائرون على دربه، وهكذا كان شأن مؤسسي جماعة "القرآنيين"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخدام حسين بخش ص ١٩، ٢١.

(٢) وقد ظهرت دعوته في بهار شرقي الهند.

(٣) وقد ظهرت دعوته في غربي الهند بلاهور قبل أن تقسم القارة الهندية، وهو: عبد الله بن عبد الله الجكروري نزيل لاهور، أُنكر السنة بالكلية، تربى في أسرة علمية - صوفية - وأخذ العلم في دلهي، وتلمذ على أهل الحديث، ثم انتكس بعد ذلك وأصبح صاحب دعوة بدعية جديدة، وكان مناظرا جدليا، وله "تفسير القرآن بآيات الفرقان" و"ترجمة القرآن بآيات الفرقان"، وكتب أخرى، وكلها بالأردية، حشاشها بالفكر المبتدع، والتأويل المخترع، ويعد نشر بدعياته، كفره كثير من علماء الهند، عام ١٩٠٢م، توفي بعد مرض ألم به سنة ١٩١٤م. انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخدام حسين بخش ص ٢٥-٣٢.

(٤) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخدام حسين بخش ص ٢٠-٢١.

(٥) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخدام حسين بخش ص ٢٣.

ومن أسباب ظهور هذه الفرقة اغترار كثير من شباب المسلمين بالحضارة الغربية المدنية، واعتقاد أن سبب تخلفهم هو الإسلام!! فأرادوا الانفلات منه فلم يروا طريقة إلا ترك السنة، وفهم القرآن على ما يريدون، وعلى ما يوافق الحضارة الغربية!!<sup>(١)</sup>.

قال شاعر أهل السنة محذرا منهم ومن طريقتهم:

هذا وبعض المسلمين أعرضوا      عن ربهم وحكمه وافترضوا  
قانون ماركس لهم نظاما      واتهموا لذلك الإسلاما  
قالوا: تأخر كذا رجعيه      كذا قالوا بنج إقطاعية<sup>(٢)</sup>

ومن تلکم الأسباب سعيهم وراء اتفاق المسلمين، وظنهم البليد أن السنة هي العائقة أمام ذلك؛ فأروا طرحها. والتمسك بالقرآن!!<sup>(٣)</sup> مع أن التمسك بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة صمام الأمان من الفرقة والاختلاف<sup>(٤)</sup>. وكذلك ظهر فكر الخوارج في العصر الحديث وذلك بتمويل من الخارج؛ فهم لا يقيمون للسنة وزنا، ويفهمون القرآن بحسب فهمهم القاصرة<sup>(٥)</sup>.

و"القرآنيين" فرق مختلفة، وهم في القارة الهندية منتشرة، ولا يظهرون بها يخالف مظهر المسلمين في أحيان كثيرة، ولكن أفكارهم تنتشر، وصحفهم تطبع، وأقوالهم تدرس في مدارسهم<sup>(٦)</sup>. وإن كانت الفكرة نفسها موجودة عند أفراد من العرب خصوصا في مصر؛ ولكنها - والله الحمد - لم يتكون منها مدرسة مشتهرة<sup>(٧)</sup>.

وإنكار السنة النبوية، والتفريق بين ما ثبت عن الرسول ﷺ وما ثبت عن الله ﷻ

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٣.

(٢) صيحة حق في صياح الباطل للشيخ أحمد بن يحيى النجمي ص ٩.

(٣) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٣٨، ٢٤.

(٤) انظر: قضايا عقديّة معاصرة ص ٤٦.

(٥) انظر: الخوارج والفكر المتجدد ص ٣٧.

(٦) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٥٧ وما بعدها.

(٧) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ١٥٣ وما بعدها، ٢٠٣.

تفريق بين المتماثلات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]. وحذر من هذا التفريق بين الوحيين رسول الله ﷺ إذ قال: [يوشك الرجل متكئا على أريكته، يحدث بحديثي؛ فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله ﷻ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله<sup>(١)</sup>]. قال الخطابي رحمه الله: «يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنّها رسول الله ﷺ مما ليس له في القرآن ذكر، على ما ذهب إليه الخوارج والروافض؛ فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، وتركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب؛ فتحيروا وضلوا»<sup>(٢)</sup>.

ومنكرو السنة أعظم دعواهم وأشهر مقالاتهم إنكار السنة وردّها، ودعوى جحود السنة باطلة من أوجه كثيرة، ومنها:

١- لأن من لوازم الإيمان بالرسول قبول ما جاء به، كما قال ﷺ: ﴿قُلْ يَتَّيْبَهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] قال الشافعي رحمه الله: «فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له: الإيمان بالله ثم برسوله»<sup>(٣)</sup>.

٢- تنصيب آيات كثيرة على وجوب طاعة الرسول ﷺ<sup>(٤)</sup>. ومن ذلك قوله

(١) رواه أبو داود، في كتاب السنة، باب/ في لزوم السنة، ح(٤٦٠٥)، والترمذي في كتاب العلم، باب/ ما نهي عنه أن يقال: حديث النبي ﷺ، ح(٢٦٦٤) وقال: حديث حسن، وابن ماجه في المقدمة، باب/ تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتعليق على من عارضه ح(١٢) من رواية المقدم بن معدي كرب رحمه الله، وقال الشيخ الألباني عن سند أبي داود: صحيح، كما في تعليقه على المشكاة ١/ ٥٨ ح(١٦٣).

(٢) معالم السنن للخطابي ٣/ ٢٩٨، وانظر: حجة الله البالغة للدهلوي ١/ ١٤.

(٣) الرسالة ص ٧٥ فقرة: ٢٣٩.

(٤) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٥١٨، المجموع ١/ ٦٧-٦٨.

تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢] وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧] قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «أي مهما أمركم به فافعلوا، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه؛ فإنه يأمر بخير، وإنها ينهى عن شر»<sup>(١)</sup>. والآيات القرآنية كثيرة في الحث على طاعة الرسول ﷺ، وتصديقه، واتباعه، والعمل بالاتساع به. وقد بلغت هذه الآيات التي فيها التصريح بوجوب طاعته ﷺ أكثر من ثلاثين آية<sup>(٢)</sup>، قال ابن حزم رحمته الله: «وأما تكرار الأمر بطاعة رسوله بعد أمره بطاعة نفسه... وإن كل ذلك ليس فيه إلا طاعة ما أمر الله به فقط، لا ما لم يأت به الوحي منه ﷺ؛ فوجه ذلك واضح وهو بيان زائد، لولا مجيئه لالتبس على بعض الناس فهم ذلك الأمر، وذلك أنه لو لم يأمرنا الله تعالى إلا على الأمر بطاعته فقط، لتوهم بعض الجهال أنه لا يلزمنا إلا ما قاله تعالى في القرآن فقط، وأنه لا يلزمنا طاعة رسوله ﷺ فيما جاءنا به مما ليس في نص القرآن، فلما أمر تعالى مع طاعته بطاعة رسوله ﷺ ليظهر البيان، ولم يمكن أن يمنع من طاعة رسول الله ﷺ فيما أمرنا إلا معاند له»<sup>(٣)</sup>.

٣- أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى بنص القرآن، قال الله ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﻤﻴﻨﺎ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ﴾. فما يقوله ﷺ إنما هو وحي، وإن لم يكن قرآناً فإنه ﷺ لا يتكلم من عند نفسه، لأنه رسول أمين، والرسول الأمين يبلغ كما قيل له، فوجوب الطاعة لما جاء به ﷺ كوجوب الطاعة لما جاء في القرآن ولا فرق<sup>(٤)</sup>، وقوله ﷺ وفعله، وأمره ونهيه وحي، فوجب اتباعه ﷺ.

٤- حجية السنة ثابتة في أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر المعنوي. ومن ذلك قوله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنتي»، وقوله:

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٣٦/٤.

(٢) انظر: المجموع ٦٧/١.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٥٤٢/١.

(٤) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٥١٨/١، وانظر: المستصفى للغزالي ص ١٠٣.

[ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه]، وقوله: [عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور]، ونحوها من الأحاديث التي ترغب بالعمل بالسنة، وتحذر من تركها. وقد بين النبي ﷺ أنه أوتي مثل القرآن، كما قال: [ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه]<sup>(١)</sup>، قال حسان بن عطية رحمته الله: «كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن فيعلمه إياها كما يعمل القرآن»<sup>(٢)</sup>.

٥- إجماع الأمة على العمل بالسنة: قال عمر رضي الله عنه عن الحجر الأسود: [والله إني لأقبلك، وإني لأعلم أنك حجر، وأنت لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلك] <sup>(٣)</sup>، وإنكار ابن مسعود رضي الله عنه على المرأة في قصة الواشمة والمستوشمة<sup>(٤)</sup>، وقد أنكرت عائشة على التي قالت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة<sup>(٥)</sup>. ويدل لهذا اعتناء الأمة بميراث النبوة، مما كتب وجمع وتُعب في تمييز الأحاديث، وتدوين دواوين الكتب المهمة، التي اشتملت على أعمال وأقوال الرسول للأمة، قال الشيخ ابن باز رحمته الله: «أجمع العلماء قديما وحديثا على أن الأصول المعتمدة في إثبات الأحكام، وبيان الحلال والحرام في كتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم سنة رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ثم إجماع علماء الأمة»<sup>(٦)</sup>.

٦- حاجة الشرع إلى السنة النبوية والآثار المصطفوية، قال الإمام الآجري رحمته الله: «ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلًا يقول: قال رسول الله ﷺ في شيء

(١) سبق تخريج الحديث، بلفظ: "ألا إني... ص ٣٠٠.

(٢) المجموع ٣/ ٣٦٦.

(٣) رواه مسلم، كتاب الحج، باب/ استحباب تقبيل الحجر الأسود، ح (١٢٧٠) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٤) الحديث رواه البخاري ومسلم، وانظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٦٨، عون المعبود ١١/ ١٥١.

(٥) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب الحيض، باب/ لا تقضي الحائض الصلاة، ح (٣٢١)، ومسلم، كتاب الحيض، باب/ وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة، ح (٣٣٥).

(٦) فتاوى وتنبهات للشيخ ابن باز ص ٥٧١، وطبع هذا في رسالة مستقلة بعنوان: وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها. وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة الأشرار للعمري ١/ ١٠٥، فتاوى الدين الخالص ٢/ ٩٨.



قد ثبت عند العلماء؛ فعارض إنسان جاهل؛ فقال: لا أقبل إلا ما كان في كتاب الله تعالى، قيل: أنت رجل سوء، وأنت ممن يحذرناك النبي ﷺ، وحذر منك العلماء، وقيل له: يا جاهل: إن الله أنزل فرائضه جملة، وأمر نبيه ﷺ أن يبين للناس ما أنزل إليهم...، وقيل لهذا المعارض لسنن رسول الله ﷺ: يا جاهل... أين تجد في كتاب الله تعالى أن الفجر ركعتان، وأن الظهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث، وأن العشاء الآخرة أربع؟ أين تجد أحكام الصلاة ومواقيتها، وما يصلحها وما يبطلها إلا من سنن النبي ﷺ؟ ومثله الزكاة...، وكذلك جميع فرائض الله التي فرضها الله في كتابه، لا يعلم الحكم فيها إلا بسنن رسول الله ﷺ. هذا قول المسلمين، من قال غير هذا خرج عن ملة الإسلام، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى»<sup>(١)</sup>.

٧- حاجة القرآن إلى الأحاديث: لبيان مجمله، وتفصيل مبهمه، وتعيين مقاصده، فالسنة على كثرتها وكثرة مسائلها إنما هي بيان للكتاب<sup>(٢)</sup>. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فسنة رسول الله ﷺ تفسر القرآن وتبينه، وتعبّر عن مرامه<sup>(٣)</sup>.

٨- أن السلف أنكروا على من اعتمد على القرآن وحده، كما «ذكر عند عمران بن حصين ﷺ حديث الشفاعة، قال له رجل: يا أبا نجيذ! إنكم لتحدثونا بأحاديث ما نجد لها أصلا في القرآن؟! فغضب عمران ﷺ، فقال للرجل: أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل وجدت فيه صلاة المغرب ثلاثا، وصلاة العشاء أربعاً، وصلاة الغداة ركعتين، والأولى أربعاً، والعصر أربعاً؟!»<sup>(٤)</sup>.

٩- أن المسلم حينما يشهد الله بالوحدانية يشهد لرسول الله ﷺ بالرسالة في قوله: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فاقتران الشهادة لرسوله ﷺ

(١) الشريعة للأجري ١٧٦/١-١٧٧.

(٢) انظر: الإقتضاء ١/ ٨٤، الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٦٧.

(٣) انظر: الواسطية مع شرح الفوزان ص ١٠١.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة، ح (٨١٥)، وروى نحوه أبو داود (١٥٦١).

مقترن بالرسالة مع الشهادة لله ﷻ بالتوحيد، وهذا التلازم بين الشهادتين معلوم لكل أحد من المسلمين، وتلازم القرآن والسنة كتلازم الشهادتين<sup>(١)</sup>.

١٠- ذكر عمر رضي الله عنه أن الرجم ثابت بالسنة، وأن رسول الله ﷺ رجم، والصحابة رجموا<sup>(٢)</sup>. قال الحافظ رحمته الله: «أشار بقصة الرجم إلى زجر من يقول: لا أعمل في الأحكام الشرعية إلا بما وجدته في القرآن...، والرجم ليس فيما يتلى من القرآن، وهو مأخوذ من طريق السنة»<sup>(٣)</sup>.

١١- أن السلف بدعوا من أنكر السنة الثابتة. قال البغدادي رحمته الله: «ومنها أخبار مستفيضة بين أئمة الحديث والفقه، وهم مجمعون على صحتها، كالأخبار في الشفاعة، والحساب، والحوض، والصراط، والميزان، وعذاب القبر وسؤال الملكين في القبر، وكذلك الأخبار المستفيضة في كثير من أحكام الفقه كنصب الزكاة... والأخبار في المسح على الخفين، وفي الرجم، وما أشبه ذلك مما أجمع الفقهاء على قبول الأخبار فيها، وعلى العمل بمضمونها، وضللوا من خالف فيها من أهل الأهواء، كتضليل الخوارج في إنكارها الرجم...، وتضليل من أنكر المسح على الخفين»<sup>(٤)</sup>.

١٢- أنهم أنكروا السنة الواردة عن رسول الله ﷺ جملة وتفصيلاً، بينما كان المتقدمون من منكري السنة إنما ينكرون ما جاء غير متواتر، بحجة أنه آحاد، ومعلوم أن الأحاديث إذا ثبتت سواء عن طريق التواتر أو الآحاد فإنها حجة بنفسها، وهذا ما عليه علماء السلف، ودل عليه الدليل، وهو الذي عليه المتبعون من الخلف<sup>(٥)</sup>.

ومهما يكن من شيء، فإن السنة عند المسلمين من أصول الدين، وردها رد

(١) هذه الفائدة استفدتها من أحد الفضلاء.

(٢) انظر: صحيح الإمام البخاري كتاب الحدود، باب/ رجم الحبل في الزنى إذا أحصنت، ح (٦٨٣٠).

(٣) الفتح ١٢/ ١٥٤.

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥١، وانظر: تعظيم السنة وموقف السلف ممن عارضها أو استهزأ بشيء منها، لعبد القيوم السحيباني.

(٥) انظر: العصرانيون بين مزايع التجديد وميادين التغريب ص ٢٦ وما بعدها، حراسة العقيدة ص ٣١.

للدين. ولهذا اشتد النكير على من رد السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، ومن قبلها وأذن لها اشتهر بالسني، وبالسنة، وذلك تشريفاً له بهذه النسبة.

وإذا كان هؤلاء "القرآنيون" ينتسبون إلى القرآن الكريم؛ فكيف تعظيمهم للقرآن الكريم؟؟ هذا ما أبينه في المطلب التالي.

### المطلب الثاني: منزلة القرآن الكريم عند منكري السنة (القرآنيين).

إن هؤلاء المنكرين جهودا كثيرة في إنكار السنة، ولهم نشاط كبير في السعي لذلك، ومن ذلك أنهم عقدوا مؤتمرا في اليابان، وكان المقصود من هذا المؤتمر إحلال الكتاب في حياة المسلمين - وهو مقصد طيب - ولكنهم في المقابل أنكروا السنة جملة وتفصيلا. وكان هذا المؤتمر بمباركة من كثير من أهل البدع الذين لهم ميول في إنكار السنة وعدم العمل بها، والسعي الحثيث في إحياء العقلية الاعتزالية، وفهم القرآن على ضوء ذلك.

وأصل دين المنكرين للسنة قائم على تعظيم القرآن الكريم، ولكن هذا التعظيم إنما هو ظاهري لا حقيقي<sup>(١)</sup>، وموه لا مُدَّهَب.

وقد امتاز أهل السنة باسم السنة التي بها تمسكوا، وبالنهج الذي عليه صاروا، فإنهم كانوا حقا متبعين للكتاب: حين تمسكوا به، وبما أمر به الكتاب من السنة<sup>(٢)</sup>. وإن منكري السنة قديما وحديثا لا يهتمون بالقرآن الكريم حقيقة، وإنما يزعمون ذلك، وإلا فكيف يفسرون الآيات المجملة من غير السنة، وكيف يفهمون الآيات التي بينها السنة من دونها؟؟.

وإن احتجوا بأن السنة فيها ما هو ضعيف وموضوع، وإن التمييز أمر غير ممكن؛ فهذه فرية ما أسمعها، إذ علم القاضي والداني أن الله ﷻ خص أهل الإسلام بالإسناد في الدين، وأنه ما من قول لصحابي أو تابعي، بل إمام متبع، إلا وهو مدون معلوم، صحيحه وضعيفه، فضلا عن أقوال رسول الله ﷺ؛ فكيف يحتاج بعد ذلك بالموضوعات التي بينها العلماء في المدونات، ودواوين السنة محفوظة بأمر الله ﷻ إذ حفظ الله لنا الكتاب وشرحه، في دواوين الإسلام المعروفة الصحيحة، كصحيح الإمام البخاري، ومسلم، والسنن، والمسانيد، وهذا أمر أقام الله له من أهل المعرفة من

(١) انظر: المجموع ٢٠٨ / ١٣.

(٢) انظر: المجموع ٣٦٨ / ٣.

اعتنى بحفظه حتى حفظ الله الدين على أهله<sup>(١)</sup>.

وشبهات القرآنيين حول السنة كثيرة، وليست هي المقصودة بالإيراد هنا، وإنما المقصود التعريف بهم وبيان موقفهم من القرآن الكريم الذي انتسبوا إليه. أما موقفهم من السنة فقد استفاض مؤلف كتاب: "القرآنيون وشبهاتهم حول السنة" لهذه الشبهات، وردَّ عليها بما يغني ويشفي ويكفي، فارجع إليه إن أردت المزيد.

وإن القرآنيين حينما ادعوا أنهم "أهل الذكر القرآن" إنما كان ادعاؤهم زورا وبهتاناً، ويتبين ذلك من خلال معتقدات القوم، وملخصها فيما يأتي:

- ١- القول بأن العمل بالحديث النبوي شرك!!.
- ٢- إنكار المعجزات الواردة في السنن المتواترات<sup>(٢)</sup>.
- ٣- إنكارهم الشفاعة يوم القيامة<sup>(٣)</sup>.
- ٤- إنكارهم الحياة البرزخية، وعذاب القبر ونعيمه، وهذا يؤكد أنهم على طريقة المعتزلة في قولهم وإنكارهم للسنة، إلا أن أولئك لم يكونوا واضحين كهؤلاء، ولا فاضحين في القول مثل هؤلاء الأذلاء<sup>(٤)</sup>.
- وما يدل على مخالفتهم للقرآن الكريم مخالفتهم الصريحة للأمور التشريعية الفقهية في الشرع الإسلامي الحنيف، ومن ذلك<sup>(٥)</sup>:
- ١- قولهم: إن الصلوات المفروضة ثلاث، وهي الفجر، والظهر والعشاء!!، وقال بعضهم: إنها صلاتان!!.
- ٢- أن الصلاة ركعتان في جميع الأوقات والأزمان!!.

(١) انظر: المجموع ٣/ ٣٧٩.

(٢) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لحادم حسين بخش ص ٣٠٧ وما بعدها.

(٣) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لحادم حسين بخش ص ٣٤٣ وما بعدها.

(٤) انظر: العصرانيون بين مزايم التجديد وميادين التغريب ص ٨٦، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لحادم حسين بخش ص ٣٣٣.

(٥) انظر: تفصيلاً لذلك في كتاب: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لحادم حسين بخش ص ٣٦٥-٤٤٠.

- ٣- رأيتهم أن استقبال أي جهة صحيح، ولا يشترطون القبلة!!.
- ٤- الرفع من الركوع مخالف للقرآن عندهم، ولا بد من أن يخرج المصلي من الركوع إلى السجود!.
- ٥- لكل ركعة سجدة واحدة لا غير، ولا تشهد للصلاة!!.
- ٦- إنكارهم المسح على الخفين!!.
- ٧- إذا كان هذا حالهم في الركن الثاني من أركان الإسلام، فعلى هذا قس تأويلاتهم الفاسدة، وتحريفاتهم البشعة، في الزكاة والصوم وغيرها.
- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم ما يأتي:

١- أنهم ادعوا أن القرآن الكريم كاف في الدين وحده، وقالوا: حسبنا كتاب الله<sup>(١)</sup>، وقالوا: إن القرآن أساس التشريع، لا السنة<sup>(٢)</sup>، وهذه كلمة حق أريد بها باطل؛ فإن القرآن الكريم يأمر بالأخذ بالسنة، ولكنهم قصدوا بهذا الأخذ بالقرآن وحده، كما يريدون، وهذا يظهر من نتائج مقالاتهم، ومن سموم كتاباتهم، وكيف يقولون: القرآن أساس التشريع، وهم ينكرون أس تشريعه، ألا وهو وجوب اتباع النبي ﷺ، ولكنه التلاعب بتشريعه حقيقة. ومما يؤكد أن مقولتهم غير صادقة في فحواها، وهم في تطبيقها غير صادقين في مرماها، أنهم لا يستطيعون أن يفسروا المراد بالصلاة، والحج، إلا بالرجوع إما إلى السنة، وإما إلى العقول!!، وهم اختاروا الثاني<sup>(٣)</sup>؛ فهؤلاء المنكرون للسنة باقتصارهم على القرآن وحده يجتمع فيهم البدع والضلالات، فإن السلف بدعوا الخوارج لإنكارهم الرجم، وبدعوا الروافض لانكارهم مسح الخفين، فكيف بمن ينكر كل السنة؟؟ لا شك أنه يكون خارجيا ورافضيا، و... سينكر الحوض في العرصات، والصراط، والشفاعات، وسؤال القبر!! وهكذا تجتمع فيهم الضلالات كلها.

(١) انظر: برهان الفرقان ص ٢ نقلا من كتاب: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لحادم حسين بخش ص ٢٦٥.

(٢) الموسوعة الميسرة ١/ ٧٨.

(٣) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لحادم حسين بخش ص ٢٦٦.

٢- أنهم أنكروا النسخ في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>. وهذا مخالف لإجماع السلف، ويورث الإشكال عند الخلف، إذ كيف سيطبقون الآيات التي كانت منسوخة مع الآيات الناسخة؟ إلا أن يكون ذلك بالآراء الفاسدة، والتأويلات البعيدة!! ثم إن النسخ وارد في القرآن الكريم؛ فإنكاره إنكار للقرآن<sup>(٢)</sup>.

٣- أنهم اعتمدوا على اللغة العربية في فهم القرآن الكريم، وليتهم اعتبروا السنة تراثاً من اللغة ففهموا القرآن على ضوئه، ولكنه الهوى!! ثم إن اللغة العربية بدون النظر إلى فهم المنزل عليهم لا يورث فيها في كتاب الله ﷻ، لأن في اللغة ما هو من قبيل المعنى اللغوي العرفي، وهو مقيد بعرف النزول؛ فإذا فسر بمطلق المعنى اللغوي دون النظر إلى المعنى اللغوي العرفي فإنه يكون تقولا على الله ﷻ، ومثال هذا في دلالة الخيط الأبيض والخيط الأسود؛ فإن الصائم مأمور أن يمسك عند تباين الخيطين، ولو فهم شخص أن المقصود بذلك الخيط اللغوي لأخطأ، ولكن النبي ﷺ بين أن المقصود بهما الخيط الألفي الموجود في السماء، وبهذا نعلم أن فهم السلف مهم، لا سيما فهم رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>. ثم أيضاً إن الصلاة في اللغة معناها: الدعاء، وهل هذا هو مراد الله ﷻ في ذكره الصلاة في القرآن الكريم؟ فإذا فسر الصلاة باللغة؛ فإن الركن الثاني من أركان الإسلام يتعطل!<sup>(٤)</sup> وبهذا يتبين أن فهم القرآن باللغة مجردة فحسب باب للبدعة والضلالة<sup>(٥)</sup>.

٤- وما يدل على عدم تعظيم "القرآنيين" للقرآن الكريم أنهم يفسرونه بما يهون، بعيداً عن تفسير السلف الصالح، بل بعيداً عن تفسير النبي الكريم ﷺ. فهم انتهجوا نهجاً جديداً إذ استعملوا عقولهم الكاسدة وأذهانهم الفاسدة في فهم الآيات

(١) انظر: تفسير القرآن بآيات الفرقان ١ ص (ب)، ٣٠٥/١. نقلاً من كتاب: القرآنيون وشبهاتهم حول

السنة لخادم حسين بخش ص ٢٦٧.

(٢) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٦٨ وما بعدها.

(٣) وقد ذكرت فيما مضى ما يترتب على فهم القرآن مجرداً عن فهم السلف ص ٦٠٢.

(٤) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٧٦، وذكر حسن البنا في رسائله ص ٧:

أن القرآن إنما يفهم على طبق القواعد العربية، وهذا معلوم أنه وحده لا يكفي ولا يفي.

(٥) انظر: أصول السنة لرد البدعة للشيخ محمد طاهر ص ١٦.

المتلوة، والشرعة المطهرة؛ فجاءوا بالإلحاد الصريح، والكفر القبيح<sup>(١)</sup>.

٥- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم، أنهم بإنكارهم السنة النبوية يعطلون القرآن الكريم، لأن من نازع في قبول السنة رد القرآن، لأمره بالأخذ بها<sup>(٢)</sup>. وذلك لأن فيه المجملات التي تحتاج إلى تفصيل من الشارع، لا يمكن إدراكها بعقول الناس، وفيه عمومات خصصت لا يمكن معرفتها إلا بنص نبوي، أو وحي سماوي. فالسنة تبين القرآن؛ فتوضح مجمله: كالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، والسنة تدل على القرآن وتبين معانيه<sup>(٣)</sup>. وأخبر النبي الكريم ﷺ أن الخوارج - وهم من المخالفين للسلف في الاعتقاد - يقرؤون القرآن ولا تتجاوز قراءتهم القرآن تراقيهم، وهذه كناية عن قلة الفقه، وعن عدم العمل به، وإلا فكيف يدعي رجل أنه منتسب إلى القرآن، وأنه قرآني، ثم يترك جميع الآيات التي تحث على التمسك بالسنة!! والخوارج - لعدم تمسكهم بالسنة، وعدم علمهم بها - جوزوا على الرسول ﷺ الجور!!، وجوزوا أن يضل في سنته!! ولهذا لم يوجبوا طاعته ومتابعته فيها!! وإن تصديقهم له قاصر على ما بلغ من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف ظاهر القرآن بزعمهم!!<sup>(٤)</sup> فإنكار السنة والاقتصار على القرآن الكريم بدعة وضلالة<sup>(٥)</sup>.

٦- أن مما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم ظنوا أن مبلغه وهو رسول الله ﷺ قد خالفه في بعض الأحكام!! ولهذا لا يأخذون إلا بما ثبت عن طريق القرآن، « وقد أعاد الله رسوله ﷺ أن تعارض سنته لنصوص القرآن، بل تعاضدها، وتؤيدها...، وإنما يظن التعارض من سوء الفهم، وهذه طريقة وخيمة ذميمة، وهي رد السنن الثابتة بما يفهم من ظاهر القرآن، والعلم كل العلم تنزيل السنن على القرآن؛

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٧٨ وما بعدها.

(٢) انظر: قمع الدجاجلة لعبد العزيز الراجحي ص ٣٨٩.

(٣) انظر: شرح الواسطية للفوزان ص ١٠٢.

(٤) انظر: المجموع ٧٣/١٩.

(٥) انظر: الاعتصام للشاطبي ٥٩/٢، موقف العقل والعلم والعالم لمصطفى صبري ٧٧/٤، ٨٩.



فإنها مشتقة منه، ومأخوذة عن جاء به، وهي بيان له، لا أنها مناقضة له<sup>(١)</sup>، واتباع النبي ﷺ معلّم لم يبق عند هؤلاء منه سوى اسمه، ومحجة طمست عندهم رسومها، وسالك سنته غريب عندهم، وفريد في زمنهم<sup>(٢)</sup>. قال الشافعي رحمه الله: «من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد»<sup>(٣)</sup>. وقال الشافعي رحمه الله أيضاً: «ولست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا وفي كتاب الله تعالى الدليل على سبيل الهدى فيها، فإن قال قائل: إن من الأحكام ما يثبت ابتداء بالسنة، قلنا: ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة؛ لأن كتاب الله تعالى أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ وفرض علينا الأخذ بقوله، وحذرنا مخالفته، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، فمن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل»<sup>(٤)</sup>.

٧- أنهم بعدم أخذهم بالسنة يطعنون في القرآن الكريم من حيث يشعرون أو لا يشعرون؛ فقد ثبت كمال الدين في آيات القرآن المبين، وحفظ الله للدين. وهذا لا يتم إلا باعتقاد ما في القرآن والسنة، وشرعية رسول الله ﷺ لا تزال محفوظة، يشهد بذلك القاضي والداني<sup>(٥)</sup>. وأما الاحتياج إلى العقل فهذا يعني أنه لم يكمل الدين حتى يأتي العقلاء الكمل فيكملوه!! وهذا معلوم بطلانه.

٨- أن علماء السلف كانوا يقولون: إذا صح الحديث فهو مذهبي<sup>(٦)</sup>، ومخالفة

(١) الروح لابن القيم ص ١٨٦.

(٢) انظر: الرسالة التبوكية ص ٧١.

(٣) الرسالة التبوكية ص ١٠٧، وانظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٦٠ وما بعده.

(٤) قواطع الأدلة ١/ ٣٢.

(٥) انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ١/ ٥٥.

(٦) انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ١/ ١٦٥، تحفة الأنام في العمل بحديث

النبي ﷺ، للعلامة محمد حياة السندي ص ١٦ وما بعدها.

أولئك مخالفة لسبيل المؤمنين، وهو يؤدي إلى البدعة والكفر الميين.

٩- إسقاط منكري السنة الصلوات الخمس، بناء على أنها غير موجودة في القرآن، ولا يقبلون السنة!! وهذا حال بعض الخوارج الأولين وهؤلاء القرآنيين. قال حذيفة رضي الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ: [إني لأعرف أهل دينين، أهل دينك الدينين في النار، قوم يقولون: الإيمان قول، وإن زنا، وإن سرق، وقوم يقولون: ما بال الصلوات الخمس؟! وإنما هما صلاتان!! قال: فذكر صلاة المغرب أو العشاء، وصلاة الفجر!!] <sup>(١)</sup>.

١٠- أنهم إنما أنكروا السنة - جميع المنكرين سواء من هذه النحلة، أو غيرها من أهل البدع - حتى لا يلزموا في تفسيرهم لكتاب الله ﷻ بالسنة، فيصبحون هم شراحا للقرآن!! لأن السنة إذا أهملت في فهم الكتاب فأقوال السلف من باب أولى، وحينئذ سترى العجب العجيب في تفسير آي الكتاب!!.

١١- أن الخوارج الأولين، وهم ممن أنكروا بعض سنن سيد المرسلين ﷺ، لما اعتقدوا وجوب الخروج على عثمان رضي الله عنه ظلما وزورا، وكفروه، ودخلوا عليه وهو يقرأ المصحف، فقال لهم: بيني وبينكم كتاب الله، فأهوى إليه أحدهم بالسيف فاتقاه بيده؛ فقطعها؛ فقال: أما والله إنها لأول كف خطت المفصل <sup>(٢)</sup>. وهم يدعون تعظيم كتاب الله ﷻ وإنكار السنة، وقد دعاهم إلى ما يدعون فلم يجيبوه، بل قتلوه وهو يقرأ القرآن ﷻ. فانظر - وفقك الله - كيف أنهم يدعون تعظيم القرآن الكريم ثم هم يقتلون أهله والمطابقين له حقا؟

وبهذا يتبين أن دعوة القرآنيين مجردة عن العمل بالقرآن الكريم، وأنها لا تمت إلى القرآن في شيء.

وبهذا أختتم البحث - وأرجو أن أكون قد وفقت لإظهاره على أكمل وجه، وأحسن حلة - فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله وأتوب إليه، وأذكر بعد هذا خاتمة البحث.

(١) أخرج الأثر أبو عبيد في الإيمان ص ٣٣، وابن أبي شيبة في الإيمان ص ٣٠.

(٢) انظر: تاريخ خليفة بن خياط ص ١٠٢، الكامل في التاريخ ٣/ ٦٨.

الخلاصة



الخاتمة: وأذكر فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث، وبعض التوصيات:

بعد حمد الله ﷻ والثناء عليه بما هو أهله؛ فإني أسأله ﷻ أن يجعل هذا العلم - كما سهله علي - خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعلني من الذابين عن كتابه المبين، وكلامه المنزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل الأمين ﷺ.

وبعد البحث والعناء، والجهد والعطاء، يسر الله ﷻ إتمام هذا الموضوع، وقد توصلت من خلاله إلى أمور كانت عندي من المسلمات - إما اتباعا أو تقليدا -، ثم أصبحت عندي من اليقينيات - دلالة وترجيحا، وخلاصة نتائج البحث ما يأتي:

١. القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق بدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

٢. تكلم الله ﷻ بالقرآن فمنه بدأ وإليه يعود بدلالة الكتاب والسنة.

٣. إن الله ﷻ يتكلم متى شاء إذا شاء مع من شاء.

٤. الكلام من صفات الذات باعتبار وصف الله ﷻ به أزلا، وهو صفة فعل باعتبار آحاده.

٥. كلام الله ﷻ لا يشبه كلام المخلوقين.

٦. القرآن منزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل بالوحي الجلي بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

٧. من عقيدة أهل السنة أن جبريل سمع القرآن من الله ﷻ، والأدلة على ذلك كثيرة.

٨. أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا، وأنزل على محمد ﷺ منجما، ولا تنافي بين النزولين.

٩. نزل القرآن من الله ﷻ حقيقة، والنزول حقيقي، دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

١٠. يتعبد بالقرآن الكريم كما أنزله الرحمن الرحيم بصور مختلفة كما جاءت في السنة، من ذلك قراءته وتدبره، والعمل به والتحاكم إليه، والتداوي به، وجعله سببا لدفع الشرور، وهذه من المقاصد العظيمة التي من أجلها نزل القرآن الكريم.

١١. القرآن الكريم هو الموجود في المصحف، وهو كما أنزل على محمد ﷺ لم يتغير ولم يتبدل، وإن القراءات الموجودة الموافقة تصح القراءة بها.

١٢. أن أسماء القرآن الكريم كثيرة، مما يدل على كثرة أوصافه، وجميل خصاله، وعظيم نفعه.

١٣. أن للقرآن ذكرا في كتب الأولين، كما أن لمحمد ﷺ ذكرا في كتب الأولين، ولا يعني ذلك كونه هو المنزل من قبل.

١٤. ما يخالف المصحف من القراءات لا تجوز القراءة بها، ولا الصلاة به، والقراءة سنة متبعة.

١٥. القرآن كلام الله ﷻ فهو صفة من صفاته، ويجوز الحلف بصفة من صفات الله ﷻ.

١٦. الترجمة اللفظية الحرفية غير جائزة، ولا واقعة، والترجمة التفسيرية هي المطلوبة، وكلا الأمرين لا يعدان قرآنا، وإنما يعدان تفسيرا للقرآن بلغة أخرى.

١٧. التفسير تبين لكلام الله ﷻ ولا يعني ذلك أنه عين المفسر.

١٨. وجوب تعظيم المصحف، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة.

١٩. أن القرآن الكريم آية لنبينا محمد ﷺ، وأنه دل على الإعجاز بمختلف الدلالات.

٢٠. أن المخالفين للسلف الصالحين مختلفون فيما بينهم في حقيقة القرآن الكريم ومصدريته، وجميع أقوالهم باطلة بدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

٢١. القول بالفيض من الأقوال الباطلة في القرآن، وهو يعني حقيقة إنكار

الوحي ولكن بطريقة خفية.

٢٢. القول بأن القرآن يحل في المخلوقين عند قراءة العبد له، قول للحلولية، وأخطأ فيه بعض العلماء.

٢٣. القول بخلق القرآن قول شؤم لا دليل عليه، ولا أثارة من علم.

٢٤. زعم بعض أهل الكلام التوسط بين قول المعتزلة وقول أهل السنة، فقالوا: بالعبرة والحكاية!! من غير دليل ولا أثر.

٢٥. القول بأزلية القرآن يردده صريح كلام الرحمن.

٢٦. التوقف في مسألة القرآن طريقة بدعية.

٢٧. مسألة اللفظ في القرآن من المسائل الجهمية التي فرقت السلفية.

٢٨. اختلف المخالفون في نزول القرآن الكريم بناء على اختلافهم في علو رب العالمين، وأنكروا سماع جبريل القرآن من الله العظيم.

٢٩. اختلاف المخالفين في التعبد بالقرآن، سواء في قراءته أو في التبرك به.

٣٠. تفرق أهل البدع في بيان إعجاز القرآن الكريم؛ فمنهم من ظنه في المعنى، ومنهم من ظنه في اللفظ، ومنهم من ظنه في الأخبار، ومنهم من ظنه في التشريعات، وأهل السنة قالوا بجميع ذلك على الوجه الصحيح.

٣١. السلف الصالحون هم الذين عرفوا حقيقة القرآن الكريم، وأنه كلام رب العالمين، ولذلك كان لهم الحظ الوافر في تعظيمه وبيان فضله، واعتقاد أنه أعظم كتاب على وجه البسيطة.

٣٢. بناء على الأدلة الشرعية قال السلف بتفاضل آيات وسور القرآن الكريم بعضها على بعض.

٣٣. السلف أعظم الناس تعظيماً للقرآن الكريم، ولذلك حذروا من الاستهزاء به.

٣٤. تبرك السلف بالقرآن الكريم على ما ورد عن النبي الكريم، من دون ابتداع، ولكن باتباع.

٣٥. أن للقرآن الكريم خصائص عظيمة.

٣٦. طريقة أهل السنة في فهم القرآن الكريم هو أنهم يعتقدون أنه يُستغنى به عن غيره من الكتب مع السنة الشارحة له، ويرون التلازم بين القرآن والسنة، ويحملون النصوص الشرعية على الحقائق المرعية، والظواهر اللفظية مع اعتقاد معانيها السنية، مستعينين بفهم السلف الصالح في ذلك كله.

٣٧. السلف الصالح يرون أن القرآن الكريم كتاب عظيم، ولذلك يرون أنه أعظم حجة في جميع أبواب الدين، وأن براهينه أدل البراهين، وأنه مصدر التشريع، وأنه ناسخ للكتب السماوية فضلا عن غيرها من كتب البرية، وأنه محكم لا ينسخ بعد موت سيد البشرية محمد ﷺ.

٣٨. اهتم السلف بالقرآن الكريم تعظيما له وتبجيلا، ومن ذلك عنايتهم بكتابته، وحفظه، والاهتمام بعلمومه، ونشره، وينهون عن المراء والتكلف فيه.

٣٩. أن المخالفين للسلف ومنهم الفلاسفة لا يعظمون القرآن حقيقة، ولا يصدر عنهم.

٤٠. أن الصوفية لما قالوا بالظاهر والباطن، والحقيقة والشرعية، نظروا إلى ألفاظ القرآن فأولوها على ما رأوا من الباطن، ولم يلتفتوا إلى فهم السلف، ولذلك أصبح تعظيم القرآن عندهم رسما، ولا يصدر عن القرآن الكريم حقا.

٤١. الرافضة الغوية يعتقدون على اختلاف مللهم تحريف القرآن الكريم، متقدموهم ومتأخروهم، ولهذا لم يعظموا القرآن الكريم، ولم يعتمدوا عليه في باب العقائد على وجه الخصوص.

٤٢. الباطنية نحل شتى، وفرق تترى، وهم لا يعتقدون انقطاع الوحي، ومنهم من يعتقد بأن القرآن منسوخ، وأنه شريعة العرب، ويحرفون نصوص القرآن،



ويستهينون بالقرآن الكريم، ولا يعتمدون عليه، ويفضلون كتبهم عليه، ويحفظون كتبهم دون القرآن الكريم.

٤٣. أهل الكلام بمختلف طوائفهم لم يعطوا القرآن حق قدره، ويتبين ذلك من خلال أمور: منها عدم تعظيمهم كما ينبغي، وعدم الاعتماد عليه في باب الاعتقاد، وعدم حفظهم له.

٤٤. أن لكل قوم وراثا، وقد وجد للمعتزلة وأهل الكلام وراث يدعون الناس إلى تعظيم العقل، وإنكار ما خالف عقولهم ولو كان قرآنا فيؤولونه، أو سنة فيردونها، ومن هؤلاء قوم أنكروا السنة بالكلية، وانتسبوا إلى القرآن زورا.

وبعد بيان موجز وخلاصة البحث، فإنه من خلال بحثي كانت المسائل تمر علي؛ فأرى أن أبينها في هذه الخاتمة لعلها تجد أذانا صاغية وأفكارا نيرة، وهي:

١. إن موضوع أسماء القرآن الكريم مهم، وجدير بأن يبحث فيه طالب علم، لما لهذه الأسماء من دلالات على القرآن الكريم، ولهذا أرى أن يكتب فيه بحث، بعنوان "أسماء القرآن الكريم، وأوصافه، والدلالات العقدية فيها".

٢. إن احترام القرآن الكريم أمر اهتم به الأولون، وسار على دربهم المتبعون، وخلف من بعدهم خلوف، تركوا توقيع الكتاب، كما جاء عن الوهاب، وزعموا أنهم يحترمونه ولكن بالبدع والخرافات، ولو كتب موضوع حول "ما يخالف توقيع الكتاب العزيز" لكان بحثا مهما جدا.

٣. إن موضوع الآيات سواء الآيات القرآنية، أو الآيات الكونية لجديرة بالاهتمام من قبل الباحثين، فلو كتب موضوع حول "الآيات الدالة على نبوة الأنبياء من خلال نصوص القرآن الكريم" لكان بحثا قيما - إن شاء الله -.

٤. تبين مما سبق - ولو إشارة - شدة التلازم بين الكتاب والسنة، وإني من هذا المنطلق أحث الباحثين على كتابة موضوع، حول التلازم بين الكتاب والسنة، من

حيث الأدلة على ذلك، والأمثلة عليها من باب العقائد والعبادات والمعاملات، وهو بحث جدير بالاهتمام، خصوصا في هذا الزمان، مع وجود أعداء السنة.

٥. الأدلة القرآنية فيها الحجج القطعية في المسائل العقديّة، ومن جملة ذلك دلائلها على الخالق ﷻ، وقد دل أكثر من (٥٠٠) آية في القرآن على صفة الخالق لله ﷻ، ولو بحث هذا لكان جديرا.

٦. أن الروافض خالفوا في الاعتقاد في القرآن الكريم، وفي العمل به، بل وحتى في العقيدة، ولو ألف مؤلف مستقل في مخالفة الرافضة لنصوص القرآن الكريم الصريحة لكان بحثا جديرا بالاهتمام.

وأرجو الله الملك إذ وفقني لخدمة كتابه المبارك، أن يجعلني مباركا أين ما كنت، وأن يبارك لنا وعلينا، وأن يشملنا وإخواننا المسلمين ببركاته العظيمة في الدنيا والآخرة، وأن يعم نفع هذا لجميع إخواني المسلمين، وأن يجعلهم مباركين بعملهم بالقرآن الكريم، وسنة نبيه الكريم، إنه قريب مجيب.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الفردوس



## فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٣- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، (الكتاب الثالث: الرد على الجهمية)، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي (ت: ٣٨٧هـ)، تحقيق: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، دار الرابة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٤- الإبانة عن معاني القراءات الصحيحة، لمكي بن أبي طالب حموش القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- ٥- الإبداعات في مضار الابتداعات، لعلي أحمد عبد العالي الطحطاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٦- ابن الحنبلي وكتابه الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة، لابن الحنبلي (ت: ٥٦٢هـ)، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، مجموعة التحف النفاس الدولية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٧- أبو الحسن الأشعري وعقيدته، لحمد بن محمد الأنصاري، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.
- ٨- الاتباع، للعلامة القاضي ابن أبي الغز الحنفي (ت: ٩٧٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمد عطاء الله حنيف، الدكتور عاصم بن عبد الله القريوني، عمان - الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

- ٩- الاتجاهات العقلانية الحديثة، تأليف: أ.د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٠- إتحاف أهل القبلة بأحكام القبلة، لأبي صلاح محمد هشام الطاهري الأفغاني، تقديم: عبيد بن عبد الله الجابري، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الجهاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ١١- اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، للأستاذ د. صالح بن عبد الله بن حميد، بحث مقدم لندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.
- ١٢- اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، للأستاذ د. صالح بن غانم السدلان، بحث مقدم لندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.
- ١٣- الإتيان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار الزاد، القاهرة.
- ١٤- أثر الإيمان في تحصيل الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، تأليف: د. عبد الله ابن عبد الرحمن الجربوع، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٥- الإجماع، للإمام ابن المنذر (ت: ٣١٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- ١٦- إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء، تأليف: خالد بن ضحوى الظفيري، مكتبة الأصالة الأثرية، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.
- ١٧- الإجماع في التفسير، لمحمد عبد العزيز أحمد الخضير، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ١٨- أجوبة الشبهات، لعبد الحسين دستغيب الشيعي، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري) للطباعة والنشر، قم إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ١٩- أحاديث في ذم الكلام وأهله، للإمام أبي الفضل المقري، دراسة وتحقيق: د. ناصر

- ابن عبد الرحمن الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٠- الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- ٢١- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: كمال يوسف الخوت، توزيع عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
- ٢٢- أحكام الجنائز وبدعها، لمحمد ناصر الدين الألباني، الكتب الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.
- ٢٣- أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت: ٣٧٠هـ)، ضبط نصه وخرج آياته: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٢٤- أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- ٢٥- الإحكام في أصول الأحكام، لسيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٢٦- أحكام من القرآن الكريم، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع أبي خالد عبد الكريم ابن صالح المقرن، دار طويق للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- ٢٧- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٠هـ)، تحقيق: أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٢٨- أخبار جلال الدين الرومي ووقفات مع ترجمته في كتاب رجال الفكر والدعوة في الاسلام، تأليف: أبو الفضل محمد بن عبد الله القونوي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٢٩- الاختصاص، لمحمد بن محمد بن نعمان الملقب بالمفيد، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم.
- ٣٠- اختصاص القرآن يعوده إلى الرحيم الرحمن، للحافظ الإمام أبي عبد الله محمد

ابن عبد الواحد المقدسي (٥٦٩ - ٦٤٣)، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣١- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦)، تقديم وتعليق وتخريج: عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٢- آراء حول القرآن، لسيد الفاني، دار الهادي - بيروت.

٣٣- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٢٠٥هـ.

٣٤- الأزل، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٣٥- أساس التقديس في علم الكلام، للرازي الأشعري، طبعة مصطفى الباي، مصر، ١٣٥٤هـ.

٣٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير علي بن محمد الجزري، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٧- الإسراء إلى مقام الأسرى، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٣٨- أسرار ترتيب القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

٣٩- الإسفار عن نتائج الأسفار، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٤٠- إسلام بلا مذاهب، لمصطفى الشكعة، طبعة دار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية.

٤١- الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.

٤٢- اصطلاحات الصوفية، لمحمد بن علي ابن عربي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.



- ٤٣- أصول الإيمان، للإمام محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦هـ)، قام بمراجعة نصوصه: الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، كما قام هو وفضيلة الشيخ: عبد الله ابن عبد اللطيف آل الشيخ بمقابلة على مخطوطاته. الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والافتاء، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.
- ٤٤- أصول التفسير، لابن عثيمين، مصورة ضمن متون الدورة العلمية الثانية المقامة بمسجد ذي النورين عثمان بن عفان ؓ في المدينة المنورة.
- ٤٥- أصول الدين، لأبي منصور عبد الظاهر بن طاهر البغدادي (ت: ٤٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.
- ٤٦- أصول السنة لرد البدعة، للشيخ محمد طاهر رحمه الله الفاخر مكنية اليانية، جامعة الإمام محمد طاهر دار القرآن، باكستان.
- ٤٧- أصول الكافي، لمحمد بن يعقوب الكليني، دار التعارف، بيروت.
- ٤٨- الأضحوية، لابن سينا الباطني الفلسفي، تحقيق: د/ سليمان دنيا، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ٤٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ) خرج آياته وأحاديثه: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٠- أضواء على الرسالة المنسوبة إلى الحافظ الذهبي، النصيحة الذهبية لابن تيمية، وتحقيق في صاحبها أبو الفضل محمد بن عبد الله القونوي، دار المأمون للتراث - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٥١- إظهار الحق، للإمام العلامة الشيخ أحمد الله بن خليل الله العثماني الكسيرانوي، عن بطبعه ومراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية - بيروت.
- ٥٢- إعانة الطالبين، لأبي بكر المشهور بالسيد البكري ابن السيد محمد شطا الدمياطي نزيل مكة المكرمة، طبعة: دار الفكر.
- ٥٣- اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث، جمع وشرح: د. محمد بن عبد الرحمن الخميس،

- دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٥٤- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، تعليق تقديم: عبد الرحمن المحمود، تحقيق: أحمد إبراهيم أبي العينين، دار الفضيلة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٥٥- اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، شركة الطباعة الفنية المتحدة طبعة: ١٣٩٨هـ.
- ٥٦- إعجاز القرآن، للخطابي البستي أبو سليمان بن محمد (ت: ٣٨٨هـ)، مطبوع مع رسالتين آخرين في الإعجاز بعنوان: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطاني والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، د/ محمد زغلول سلام، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الرابعة.
- ٥٧- إعجاز القرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني الأشعري، تحقيق: محمد شريف بكر، (بدون).
- ٥٨- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم - بيروت، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٩٩م.
- ٥٩- إعلام المسلمين ببعض مقالات التجانيين، تأليف: الشيخ إبراهيم القطان الأردني، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٦٠- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ)، رتبة وضبطه وخرج آياته: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٦١- الإعلام بإشارات أهل الإلهام، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلوي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦٢هـ.
- ٦٢- الإعلام بقواطع الإسلام، لأحمد بن حجر الهيتمي الشافعي، ضمن: الجامع في ألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- ٦٣-الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، تأليف العلامة القرطبي، بعناية د/ أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي - بيروت.
- ٦٤-الإعلام والإفهام بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري (ت: ٩٢٦هـ)، تقديم وترتيب أحمد عبيد، صححه وراجعته: الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- ٦٥-إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، المكتبة الثقافية - بيروت.
- ٦٦-أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمة والمشتبهات، لزين الدين مرغي بن يوسف الكرمني المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٦٧-الاقتصاد في الاعتقاد، لتقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي (ت: ٦٠٠هـ)، وضحه: د/ أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٦٨-اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن التيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د/ ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ.
- ٦٩-إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: د/ يحيى إسماعيل، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٧٠-إلجام العوام عن علم الكلام، تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تصحيح وتعليق وتقديم: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٧١-الألف (وهو كتاب الأحذية)، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦١هـ.

- ٧٢- ألفاظ الكفر، لبدر الرشيد الحنفي، وهو ضمن كتاب الجامع في ألفاظ الكفر، تحقيق: د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٧٣- ألفاظ الكفر، لبدر الرشيد الحنفي، ضمن: الجامع في ألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٧٤- أم البراهين في العقائد، لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي - القاهرة، ١٣٦٩هـ.
- ٧٥- الأم، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، توزيع: مكتبة عباس أحمد الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٧٦- الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته، لمحمد بشير السيالكوتي، دار ابن حزم - بيروت، طبعة: ١٤٢٠هـ.
- ٧٧- إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري، لعبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري، مكتبة الفرقان - الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٧٨- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ليحيى ابن أبي الخير العمراني (ت: ٥٥٨هـ)، تحقيق: د/ سعود الخلف، أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٧٩- الانتصار، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
- ٨٠- الأنساب، لأبي سعيد عبد الكريم محمد السمعاني، تعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٨١- الأنوار النعمانية، لنعمة الله الموسوي الجزائري، مطبعة شركة جاب تبريز - إيران.
- ٨٢- الأنوار، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلوي، دائرة المعارف العثمانية -

- حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.
- ٨٣- أيام الشأن، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الطبعة الثانية، ١٣٧٩هـ.
- ٨٤- إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لأبي عبد الله محمد بن المرتضى اليامي المشهور بابن الوزير، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- ٨٥- الإيمان، للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٨٦- الإيمان ومعالمه وسننه واستكمالها ودرجاته، للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٨٧- باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ونقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات، لمؤلفه: الأستاذ محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ٨٨- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.
- ٨٩- البحث والاستقراء في بدع القراء، تأليف: محمد موسى نصر، دار الأضحي - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٩٠- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية.
- ٩١- البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد الشافعي (٧٩٤هـ)، تحقيق: د/ عمر سليمان الأشقر.
- ٩٢- بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، د/ محمد مجاهد نور الدين، دار هجر للنشر والتوزيع - أبها، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٩٣- بدء الأمالي، لسراج الدين علي بن عثمان الأوشي الفرغاني، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي - القاهرة، ١٣٦٩هـ.

٩٤- بداية السؤل في التفضيل الرسول، للعز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.

٩٥- البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، دار المعرفة - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٩٦- بدع المقابر والجناز والمآتم، تأليف: علي بن أحمد الطهطاوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٩٧- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تعليق: عبد القادر عطا (٧٩٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢٢هـ.

٩٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، من مطبوعات الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، ط: ١٣٨٣هـ.

٩٩- البهائية نقد وتحليل، لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة - لاهور، باكستان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

١٠٠- بيان المختصر شرح مختصر الحاجب، لشمس الدين محمود عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني، جامعة أم القرى، تحقيق: محمد مظهر بقا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٠١- بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية، لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

١٠٢- البيان في تفسير القرآن، لأبي القاسم الخوئي، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

١٠٣- البيان والتبيين، لأبي عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.

١٠٤- البيان والتحصيل، لأبي الوليد بن رشد القرطبي، تحقيق: أحمد الحبابي، دار

- الغرب - بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ١٠٥- البيهقي وموقفه من الإلهيات، لشيخنا أ.د/ أحمد بن عطية الغامدي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- ١٠٦- تاريخ الخلفاء، للحافظ جلال الدين السيوطي، اعتنى به وحققه وعلق عليه: محمود رياض الحلبي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
- ١٠٧- تاريخ الفكر العربي، لعمر فروخ.
- ١٠٨- تاريخ بغداد، للحافظ الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠٩- تاريخ خليفة بن خياط، لأبي عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري (٢٤٠هـ)، راجعة وضبطه ورتبه: د/ مصطفى غيب نواز، د/ حكمت كشطي فواز، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١١٠- تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، شرحه ونسره: السيد أحمد صقر (٢٧٨هـ)، الكتب العلمية - بيروت.
- ١١١- التبرك المشروع والتبرك الممنوع، لعلي نفيح العلياني، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ١١٢- التبرك أنواعه وأحكامه، د/ ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع، السعودية - الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٢١هـ.
- ١١٣- التبيان في آداب حملة القرآن، للحافظ تقي الدين يحيى بن شرف النووي، حققه: محمد رضوان عرفسوني، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١١٤- تبين كذب المفترى، تصنيف ناصر السنة حجة الحفاظ مؤرخ الشام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ١١٥- التجليات، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العشائية - حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
- ١١٦- تحفة الأحوذى لشرح جامع الترمذي، للإمام الحافظ أبي العلي محمد بن عبد الرحمن

- المباركفوري (١٣٥٣هـ)، ضبطه: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر - بيروت.
- ١١٧- تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام، للعلامة محمد حياة السندي (ت: ١١١٢هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ١١٨- التحفة اللطيفة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ١١٩- تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية، للشيخ محمد حبيب أحمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.
- ١٢٠- التدمرية تحقيق الأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: د/ محمد بن عود السعوي، مكتبة العبيكان، الطبعة السابعة، ١٤٢٣هـ.
- ١٢١- التدوين في أخبار قزوين، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ١٢٢- التراجم، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
- ١٢٣- ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل بعض الفرق الضالة، للشيخ يوسف الهمداني ابن الشافعي السيد أحمد، بحث مقدم لندوة ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي، وتخطيط للمستقبل ١٤٢٣هـ، مجمع الملك فهد - المدينة المنورة.
- ١٢٤- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، لابن الوزير اليماني (ت: ٨٤٠هـ)، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- ١٢٥- التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ.
- ١٢٦- التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة: ١٤١٦هـ.
- ١٢٧- تعظيم قدر الصلاة، للإمام محمد بن نصر المروزي (٣٩٤هـ) مكتبة الدار -



- المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ١٢٨- تفسير ابن عربي للقرآن، د/ محمد حسين الذهبي، الجامعة الإسلامية، الطبعة الثالثة.
- ١٢٩- تفسير البغوي = معالم التنزيل، حسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة خيرية، سليمان مسلم الحرشي، دار الطبية - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ١٣٠- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم السمرقندي (٣٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوقي، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د/ زكريا عبد المجيد النوني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ١٣١- تفسير الصافي، لمحمد بن الفيض الكاشاني، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ١٣٢- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ١٣٣- تفسير العياشي، لمحمد بن مسعود العياشي، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ١٣٤- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي (١٣٢٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٣٥- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، مكتبة دار التراث - القاهرة، لم يذكر شيء عن الطبع وسنته.
- ١٣٦- تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان، لعلي أحمد بن إبراهيم المهامي، عالم الكتب - بيروت.
- ١٣٧- تفسير القمي، لعلي بن إبراهيم القمي، دار السرور - بيروت.
- ١٣٨- التفسير الكبير، للرازي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- ١٣٩- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، مطبوع في هامش كتاب جامع البيان في تفسير القرآن للإمام

- ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار الحديث - القاهرة، طبعة: ١٤٠٧هـ.
- ١٤٠ - تفسير القرآن الكريم باللغة البشتو، للشيخ أبي زكريا عبد السلام الرستمي، دار السلام - الرياض.
- ١٤١ - تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ١٤٢ - تلبس إبليس، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تخريج وتعليق: عبد الرزاق المهدي، دار المغني - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ١٤٣ - تلبس إبليس، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي، دار المغني - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ١٤٤ - التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للإمام أبي الفضل أحمد بن حجر شهاب الدين العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، عنى به: السيد عبد الله هاشم البياني المدني، دار أحد.
- ١٤٥ - تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمد علي مجاد، كتبة الغرباء الأثرية - المدينة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٤٦ - التناثم في ميزان العقيدة، د/ علي بن نفيح العلياني، دار الوطن للنشر - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ١٤٧ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: محمد ثاقب، وسعيد أحمد، وزارة الأوقاف المغربية، طبعة: ١٩٩٤م.
- ١٤٨ - الشبيه على المخالفات العقدية في الفتح، د/ علي الشبل، الطبعة الأولى.
- ١٤٩ - تهافت التهافت، لابن رشد القرطبي (ت: ٥٩٥هـ)، قدم وعليه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١٥٠ - تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محي الدين بن أشرف النووي (٦٧٦هـ)،

- تعليق: إدارة الطباعة المنبرية، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٥١- توضيح المشتبه في ضبط أساء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكنابهم، لابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي (٨٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ١٥٢- التيجانية، دراسة لأهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنة، د/ علي بن محمد آل رفيق الله دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ١٥٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٨هـ.
- ١٥٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، لعبد الرحمن ناصر السعدي، مكتبة صالح بن صالح الثقافي - عنيزة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- ١٥٥- الثمر الداني في تقريب المعاني، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، جمع الأستاذ: الشيخ صالح عبد السميع الأبي الأزهري، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- ١٥٦- ثورة الإسلام، د/ أحمد زكي أبو شادي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- ١٥٧- جامع الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، مطبوع مع شرحه: تحفة الأحوذى، دار الفكر - بيروت.
- ١٥٨- جامع بيان العلم وفضله، للحافظ ابن عبد البر، دار الكتب العلمية، مصورة من الطبعة المنبرية.
- ١٥٩- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ١٦٠- الجامع لألفاظ الكفر، جمع وتحقيق الشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس.
- ١٦١- الجرح والتعديل، لأبي عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الهند، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٢هـ.

- ١٦٢- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.
- ١٦٣- الجلال والجمال، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلوي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦١هـ.
- ١٦٤- الجلالة (كلمة الله)، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلوي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦١هـ.
- ١٦٥- جماع العلم، للإمام المطليبي محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، تعليق وتحقيق: أحمد شاكر، خرج أحاديثه: عبد الرؤوف عبد الحنان، دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع - الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ١٦٦- جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي علي بن محمد (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د/ علي حسين البواب، مكتبة التراث - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ١٦٧- الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم (تقرير)، أ/ عبد الله بن حمد المزروعى، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.
- ١٦٨- جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه (تقرير)، للشيخ محمد ابن سعيد الصفار، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.
- ١٦٩- جهود الإدارة العامة للمناهج في وزارة المعارف في مجال العناية بكتاب الله تعالى وحفظه (تقرير)، أ.د/ محمد بن معجب الحامد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.
- ١٧٠- جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير)، أعده: د/ عبدالله علي بصفر، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٧١- جهود المملكة العربية السعودية في مجال طباعة القرآن الكريم للمكفوفين بطريقة (برايل)، تقرير: د. ناصر بن علي الموسى، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٧٢- جهود مركز البحوث والدراسات الإسلامية في مجال العناية بالقرآن الكريم (تقرير)، د/ مساعد بن إبراهيم الحديثي، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٧٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية الحراني ٦٢٨هـ، تحقيق: د/ علي بن حسن بن ناصر، د/ عبد العزيز العسكر، د/ حمدان الحمدان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.

١٧٤- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٧٥- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لمحيي الدين عبد القادر محمد بن محمد ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي (٦٩٦هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد حلو، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ في هجر.

١٧٦- جوهرة التوحيد، لبرهان الدين إبراهيم بن هارون اللقاني، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي - القاهرة، ١٣٦٩هـ.

١٧٧- حاشية أبو المنتهي على الفقه الأكبر، للإمام أبي حنيفة، من مطبوعات كويت - باكستان.

١٧٨- حاشية الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي، (١١٣٨هـ)، مطبوع بهامش سنن ابن ماجه باعتناء الشيخ خليل مأمون الشيجا، دار المؤيد -

- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ١٧٩- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، للشيخ شمس الدين محمد عرفة الدسوقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- ١٨٠- حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين، للسنوسي، دار الفكر - بيروت.
- ١٨١- حاشية الشيخ محمد الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة، دار القلم - بيروت، لبنان.
- ١٨٢- حاشية كتاب التوحيد، بقلم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي (١٣١٢-١٣٩٢هـ)، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- ١٨٣- حجة الله البالغة، للشيخ أحمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (ت: ١١٧١هـ)، ضبطه وراجع حواشيه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٨٤- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إملاء: الإمام الحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (ت: ٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
- ١٨٥- حديث الأحرف السبعة دراية ورواية، للدكتور/ عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ.
- ١٨٦- حراسة العقيدة، د/ ناصر عبد الكريم العضل، مطابع أضواء السلف - الرياض.
- ١٨٧- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيهما، لمحمد أحمد الخطيب، دار عالم الكتب - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ١٨٨- حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي، (تقرير)، د. حمد بن ناصر العمار، طبع بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.
- ١٨٩- حقيقة الخلاف بين علماء الشيعة وعلماء المسلمين، الندوة العالمية للشباب للإسلامي الدار سعيد إسماعيل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة

الرابعة، ١٤٠٩هـ.

١٩٠- حكم القراءة للأموات هل يصل ثوابها إليهم، لمحمد أحمد عبد السلام، راجعه:

محمد مهدي، الجامعة الإسلامية، الطبعة الثالثة.

١٩١- الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير في ضوء الكتاب والسنة وأقوال سلف

الأمة، لخالد بن علي بن محمد العنبري، قرظه وقدم له: الشيخ د/ صالح بن غانم

السدلان، توزيع مكتب العلم بجدة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

١٩٢- الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم، مقالات سعد الحصين، جمع

إعداد: رداد بن عبد الله الرداد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٩٣- الحكومة الإسلامية، لآية الله الخميني، منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى.

١٩٤- حلية الأبدال، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد

الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

١٩٥- حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، لسيف الدين أبي بكر محمد القفال،

تحقيق: ياسين أحمد إبراهيم، مكتبة الرسالة - الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

١٩٦- الحيدة، لعبد الغني بن يحيى بن مسلم الكناي المكي (ت: ٢٤٠هـ)، الجامعة

الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

١٩٧- الخريدة البهية في العقائد التوحيدية، لأبي البركات أحمد بن محمد الدردير،

ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر،

تصحيح: أحمد سعد علي - القاهرة، ١٣٦٩هـ.

١٩٨- خصائص القرآن الكريم، أ.د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة -

الرياض، الطبعة العاشرة، ١٤٢١هـ.

١٩٩- خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، لمحمد ناصر الدين

الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ.

٢٠٠- الخطر اليهودي برتوكولات حكماء صهيون، ترجمه: محمد خليفة التونسي،

مكتبة دار التراث - القاهرة، الطبعة الثانية.

- ٢٠١- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، ليحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٢٠٢- خلاصة تلخيص المفتاح لكاتب هذه السطور، وهو مصور مخطوط.
- ٢٠٣- خلق أفعال العباد، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، تقديم وتحقيق: بدر البدر، الدار السلفية - الكويت، الطبعة: ١٤٠٥هـ.
- ٢٠٤- الخوارج والفكر المتجدد، للشيخ عبد المحسن ناصر العبيكان، اعتنى بها: جابر ابن علي المري، مكتبة ابن القيم - الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- ٢٠٥- الدار الآخرة، لبعده الحسين دستغيب، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري) للطباعة والنشر - قم إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- ٢٠٦- الدر المنثور في تفسير المأثور، للحافظ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- ٢٠٧- الدر النضيد، لمجموعة ابن الحفيد سيف الدين يحيى بن سعد الدين التفتازاني، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٠هـ.
- ٢٠٨- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم.
- ٢٠٩- دراسات في الفرق: الصوفية نشأتها وتطورها، لمحمد العبدية وطارق عبد الحليم، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الرابعة.
- ٢١٠- دراسات في الفرق: المعتزلة بين القديم والحديث، لمحمد العبدية، طارق عبد الحليم، دار ابن حزم للطباعة والنشر - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٢١١- درة التنزيل وغرة التأويل، لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٢١٢- دستور العلماء وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي ابن عبد الرسول الأحمدي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.



٢١٣- دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيه في شبه القارة الهندية، لأبي المكرم بن عبد الجليل، دار السلام للنشر والتوزيع - جدة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

٢١٤- دعوة التوحيد، للشيخ د/ محمد خليل هراس، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢١٥- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، مطبوع مع رسالتين آخرين في الإعجاز بعنوان: ثلاث رسائل في الإعجاز للرماني والخطابي والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، د/ محمد زغلول سلام، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الرابعة. ٢١٦- دلائل التوحيد، للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢١٧- دمية القصر وعصرة أهل العصر، لأبي الحسن الباخرزي، تحقيق: د/ سامي مكي العاني، دار العروبة للنشر - الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٢١٨- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرجون المالكي، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الحنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢١٩- ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ، للحافظ محمد بن طاهر المقدسي (٥٠٧هـ)، تحقيق: د/ عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريواني... دار السلف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٢٠- ذم ما عليه مدعو التصوف، فتوى ابن قدامة المقدسي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٢٢١- رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد، لحسن قاسم حيش اليناتي، دار القلم للطباعة والنشر - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٢٢- الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامع، للشيخ د/ علي بن محمد ناصر فقيهي، دار المآثر - المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

- ٢٢٣- رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، لمحمد أمين الشهير بابن عابدين، تحقيق: عادل أحمد، علي محمد معوض، توزيع مكتبة الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٢٢٤- الرد على الرفاعي والسيوطي في كذبها على أهل السنة ودعوتها إلى البدع والضلال، لشيخنا عبد المحسن بن حمد العباد البدر، دار ابن الأثير - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٢٢٥- الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ)، الدار السلفية - الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.
- ٢٢٦- الرد على المنطقيين، للإمام أحمد بن تيمية، المكتبة الإمدادية - مكة المكرمة الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- ٢٢٧- رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي، جمع وتحقيق: د/ موسى بن سليمان الدويش، إدارة المطبوعات - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٢٢٨- رسالة ابن عربي للرازي، لمحمد بن علي بن عربي الصوفي الحلوي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.
- ٢٢٩- رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، لعبيد الله ابن سعيد السجزي، تحقيق: محمد باكريم با عبد الله، الجامعة الإسلامية - المدينة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٢٣٠- الرسالة النونية، لمحمد ابن أبي بكر ابن قيم، مكتبة الخزاز - جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٢٣١- رسالة في ألفاظ الكفر، لتاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد الحنفي، ضمن: الجامع في ألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٢٣٢- رسالة في ألفاظ الكفر، لقاسم بن صلاح الدين الحافي، ضمن: الجامع في ألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية - الكويت،

الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٣٣- رسالة في علم التوحيد، لإبراهيم السيجوري، ضمن: مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي - القاهرة، ١٣٦٩هـ.  
٢٣٤- رسالة لا يعول عليه، لابن عربي الصوفي الحلوي، المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٢٣٥- الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

٢٣٦- الرسالة، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، التراث - القاهرة، ١٣٩٩هـ.

٢٣٧- رفع النقاب عن تراجم الأصحاب، لإبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان (١٢٧٥-١٣٥٣هـ)، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٣٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد الألوسي البغدادى، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٣٩- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء، لشمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية، تحقق وقدم له وعلق حواشيه: محمد اسكندر بلدا، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٤٠- الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن وزير الصنعاني (ت: ٨٤٠هـ)، تحقيق: محمد علاء الدين المصري - بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٤١- روض الطالبين، يحى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، لم يذكر سنة الطباعة.

٢٤٢- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن قدامة المقدسي، وبهامشه نزهة الخاطر العاطر: لعبد القادر بن أحمد

- الدمشقي، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٢٤٣- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٥٨هـ-٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
- ٢٤٤- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تعليق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٢هـ.
- ٢٤٥- الزواجر عن إقتراف الكبائر، لأبي العباس أحمد بن محمد الهيتمي (٩٧٤هـ)، ضبطه وكتبه هوامشه أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٢٤٦- سبعون فتوى في احترام القرآن، جمع وترتيب: أبي أنس علي بن حسين أبو لوز، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٤٧- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، تقديم وتخرّيج: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٢٤٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: ١٤١٥هـ.
- ٢٤٩- سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول، للشيخ حافظ ابن أحمد الحكمي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٢٥٠- السنة، لأحمد بن محمد بن يزيد الخلال (٣١١هـ)، تحقيق: د/ عطية بن عتيق الزهراني، دار الراجية - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- ٢٥١- السنة، لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٢٥٢- السنة، لعمر بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (ت: ٢٨٧هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

- ٢٥٣- سنن ابن ماجة، شرح الإمام أبي الحسن الحنفي السندي (١٣٨هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيخا، دار المعرفة- بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٢٥٤- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ)، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٢٥٥- سنن الدارمي، للإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي (٢٥٥هـ)، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٥٦- سنن النسائي، شرح الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، وحاشية الإمام السندي (١١٣٨هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- ٢٥٧- السنن والمبتدعات، لعبد السلام خضر الشقيري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٢٥٨- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد - شمس الدين - الذهبي (٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٥٩- سيرة الإمام البخاري، لعبد السلام المباركفوري (١٢٨٩-١٣٤٢هـ)، الدار السلفية - بومباي، الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- ٢٦٠- الشاهد، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.
- ٢٦١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، طبعة جديدة لم تذكر سنة الطبع.
- ٢٦٢- شرح ابن عقيل... على ألفية ابن مالك، للقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (٦٧٢هـ)، المكتبة العصرية - بيروت، ١٤١٤هـ.
- ٢٦٣- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة

والتابعين ومن بعدهم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن محسن، وحمدان الغامدي، دار الطيبة - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

٢٦٤- شرح الأصبهانية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق ودراسة: محمد بن عودة السعوي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة ١٤٠٧هـ.

٢٦٥- شرح الإمام علي القاري على كتاب ألفاظ الكفر، للعلامة بدر الرشيد، تحقيق: د/ الطيب بن عمر الحسين الشنقيطي، دار الفضيلة... للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٦٦- شرح السنة، للإمام البغوي الحسين بن مسعود (٥١٦هـ) تحقيق: زهير الشاويش، شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢٦٧- الشرح الصغير على أقرب المسالك، لأبي البركات أحمد الدردير، طبع دار المعارف - مصر.

٢٦٨- شرح العقيدة السلفية الكواكب الدرية لشرح "الدرة المضيئة في عقيدة أهل الفرقة المرضية"، للعلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، حققه: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٦٩- شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٧٠- شرح العقيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، للإمام ابن القيم الجوزية، شرحها وحققها: د/ محمد خليل هراس، مكتبة دار الباز عباس أحمد الباز - مكة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٢٧١- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد خليل هراس راجعه الشيخ عبد الرزاق عفيفي، من مطبوعات جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

- ٢٧٢- شرح العمدة في الفقه، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د/ سعود بن صالح العطيشان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٢٧٣- شرح المواقف، للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (٧٥٦هـ)، تأليف: سيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٦هـ)، ضبطه وصححه: محمد عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٢٧٤- شرح الواسطية، للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ.
- ٢٧٥- شرح كتاب الفقه الأكبر، للملا علي القاري الحنفي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.
- ٢٧٦- شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر بن محمد الطحاوي (٣٢١هـ)، حققه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٢٧٧- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: أبي هاجر محمد بن السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٢٧٨- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، توزيع دار الفكر - بيروت.
- ٢٧٩- شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور، لمربي بن يوسف الكرمي الحنبلي (١٠٣٣هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٨٠- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، لأبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي القاسمي المكي المالكي (٨٣٢هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.
- ٢٨١- الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن، لمحمد عبد الرحمن السيف، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ٢٨٢- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان،

- الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٢٨٣- صب العذاب على من سب الأصحاب، لمحمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ)، راجعه وحققه: عبد الله البخاري، أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٨٤- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، دار السلام - الرياض، الطبعة...، ١٤١٧هـ.
- ٢٨٥- صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٢٨٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للسيوطي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.
- ٢٨٧- صحيح سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
- ٢٨٨- صحيح سنن أبي داود، للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، تأليف: الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٢٨٩- صحيح مسلم أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٢٩٠- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الديان للتراث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٢٩١- صريح السنة، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- ٢٩٢- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، د/ محمد أمان بن علي الجامي، دار الحرمين للطباعة - القاهرة.
- ٢٩٣- الصفدية، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الهدى النبوي - مصر، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.



٢٩٤- الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد، تأليف: الشوكاني، تحقيق وتعليق: د/ محمد ربيع هادي المدخلي، دار الحريري للطباعة - مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٩٥- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: د/ أحمد عطية الغامدي، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢٩٦- صون المنطق والكلام، لجلال الدين السيوطي، تأليف: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.

٢٩٧- صيحة حق في حمام الباطل، تأليف أحمد بن يحيى النجمي، مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٩٨- صيد الخاطر، للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادى (٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.

٢٩٩- ضلال جماعة الأحباش، رسالة صادرة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٠٠- الضوء اللامع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، لبنان.

٣٠١- ضياء النور من إحياء السنة لدحض الفجور وإماتة البدعة، للشيخ محمد طاهر، ناشر: مكتبة اليان - باكستان، بنج بير.

٣٠٢- طبقات الحفاظ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٣٠٣- طبقات الحنابلة، لمحمد محمد بن الحسين ابن أبي يعلى الحنبلي (٥٢٦هـ)، تخريج: أسامة حسن، حازم علي البهجة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٠٤- طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٢٧هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطاهي، دار إحياء

## الكتب العربية.

- ٣٠٥- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد البصري، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطاء، توزيع: مكتبة عباس أحمد الباز - مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ.
- ٣٠٦- طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، تأليف نجم الدين أبي جعفر عمر بن محمد الحنفي، علق عليه ووضع حواشيه: أبو عبد الله محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي، توزيع: مكتبة عباس أحمد الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٣٠٧- ظلال الجنة في تخريج السنة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المطبوع بهامش كتاب السنة لابن أبي عاصم، الكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣ هـ.
- ٣٠٨- عبد الله بن سبأ وإمامة علي ابن أبي طالب، تأليف: علي بن عبد الرحمن السلطان، دار الأمل للنشر والتوزيع - القاهرة.
- ٣٠٩- العبودية، تأليف: تقي الدين ابن تيمية الدمشقي (٧٢٨ هـ)، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار الأصالة...، الطبعة الثالثة، ١٤١٩ هـ.
- ٣١٠- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، تأليف: محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢ هـ.
- ٣١١- عقائد الإمامية، لمحمد رضا المظفر، مطبوعات النجاح بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٩١ هـ.
- ٣١٢- العقائد النسفية، لعمر بن محمد النسفي، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي - القاهرة، ١٣٦٩ هـ.
- ٣١٣- العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة، تأليف: د/ محمد أبو الغيط الفرت، ود/ محمد رواس قلعجي، دار البحوث العلمية - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- ٣١٤- العقيدة الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، الطبعة الأولى، ١٩٦٦ م.
- ٣١٥- عقيدة السلف أصحاب الحديث، لشيخ الإسلام إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (٣٧٣-٤٤٩ هـ)، تحقيق: بدر عبد الله البدر، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.

- ٣١٦- العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية، لعبد الله ابن يوسف الجديع، دار الصميعي - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
- ٣١٧- العقيدة الطحاوية، لأحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٣١٨- عقيدة المؤمن، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ.
- ٣١٩- العقيدة الواسطية، لأحمد بن تيمية، تخريج سعد الصميل، دار ابن الجوزي - المملكة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.
- ٣٢٠- علل الشرائع، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، منشورات المكتبة الحيدرية، ومطبعاتها في النجف سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
- ٣٢١- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، إدارة ترجمان السنة - باكستان.
- ٣٢٢- علماء الشعية يقولون، وثائق مصورة من كتب الشيعة، إعداد: مركز إحياء التراث آل البيت.
- ٣٢٣- عمل اليوم الليلة، للإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: د/ فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ٣٢٤- عناية الإعلام السعودي بالقرآن الكريم (مع دراسة تحليلية لبرامج القناة الأولى)، د/ إسماعيل أحمد النزاري، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.
- ٣٢٥- عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم من خلال المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم والكليات الجامعية للقرآن وعلومه، د/ محمد بن سيدي محمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٣٢٦- عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات، طبع بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم" والتي نظمها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام ١٤٢١هـ.

٣٢٧- عناية المملكة العربية السعودية بتفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه، أعده: د/ مانع ابن حماد الجهني، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٣٢٨- عناية المملكة العربية السعودية بطباعة المصحف الشريف، وتسجيل تلاوته، وترجمة معانيه ونشره، أ/ د/ محمد بن سالم العوفي، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٣٢٩- العناية بالقرآن الكريم وعلومه من بداية القرآن الرابع الهجري إلى عصرنا الحاضر، د/ نبيل بن محمد آل إسماعيل، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٣٣٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الدين العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٣٣١- العين والأثر في عقيدة أهل الأثر، لعبد الباقي المواهبي الحنبلي (١٠٧١هـ)، تحقيق: عصام رواس قلعجي، دار المأمون، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٣٢- غابة الأمان في الرد على البهائي..، لمحمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ)، مكتبة العلم بجدة.

٣٣٣- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ.

٣٣٤- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ)، دار الكتب

العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٣٥- الغنية في أصول الدين، لأبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري، المعروف بالمتولي الشافعي (٤٧٨هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٣٦- فتاوى ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار العين - حلب، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٣٧- فتاوى أركان الإسلام، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلطان، دار الثريا للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٣٨- فتاوى الإمام الشاطبي، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي الشاطبي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، حقوق الطبعة للمؤلف.

٣٣٩- الفتاوى الجليلة عن المناهج الدعوية، أحمد بن يحيى النجمي، جمع وتعليق: حسن ابن محمد، مكتبة الفرقا - الإمارات، عجمان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

٣٤٠- فتاوى الدين الخالص، ألفها: أبو محمد أمين الله البشاورى، معراج كتب خاتنة - بشاور، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٤١- الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام بن تيمية (٧٢٨هـ)، تقديم وتخرىج: حسني محمد مخلوف، دار المعرفة - بيروت.

٣٤٢- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، للشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٣٤٣- فتاوى وتنبيهات ونصائح، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٤٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد ابن حجر العسقلاني، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٤٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق: محمود شعبان بن عبد المقصود، ومجدي بن عبد الخالق الشافعي، وإبراهيم بن إسماعيل القاضي، وآخرين، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٤٦- فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان (١٣٠٧هـ)، دار أم القرى للطباعة والنشر - القاهرة.

٣٤٧- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تأليف: الإمام أبي يحيى زكريا الأنصاري، حققه وعلق عليه: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣٤٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٤٩- الفرق بين الفرق، لعبد القادر بن طاهر التميمي (٤٢٩هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٥٠- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي - بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.

٣٥١- الفروع، للإمام شمس الدين المقدسي أبي عبد الله محمد بن مفلح (٧٦٢هـ)، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٣٥٢- فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، لحسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، طبعة حجرية.

٣٥٣- فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال، لمحمد بن أحمد بن رشد الأندلسي (٥٩٥هـ)، مكتبة التربية - بيروت، ١٩٨٧م.

٣٥٤- الفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، المطبعة الأدبية - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٧هـ.

- ٣٥٥- فصل في بيان اعتقاد أهل الإيمان، للإمام شيخ الإسلام أبو طاهر إبراهيم بن أحمد ابن يوسف القرشي من علماء القرن الخامس الهجري، اعتنى به وشرحه: راجي عفوره أبو يحيى محمد المعتادي، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة، ١٤١٨هـ.
- ٣٥٦- فضائل القرآن، للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، تحقيق وتعليق: وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٥٧- فضائل القرآن، لابن كثير (٧٤٤هـ)، دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
- ٣٥٨- فضل علم السلف على علم الخلف، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين ابن رجب الحنبلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.
- ٣٥٩- الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (١٥٠هـ)، المطبوع بهامش شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٦٠- فقه السيرة، لمحمد الغزالي، خرج أحاديثه: محمد الألباني، دار الكتب العلمية - القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٦هـ.
- ٣٦١- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، بقلم: عبد الرحمن عبد الخالق، مكتبة دار السلام - الرياض.
- ٣٦٢- الفناء، لمحمد بن عربي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦١هـ.
- ٣٦٣- الفهرس، لمحمد بن أبي يعقوب بن إسحاق (٣٨٠هـ)، تعليق: د/ يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٣٦٤- الفوائد، للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الريان للتراث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٣٦٥- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للشيخ أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٣٦٦- قاموس الغذاء والتداوي بالنبات، لأحمد قدامة، دار النقاش - بيروت، الطبعة

- السادسة، ١٤١٠هـ.
- ٣٦٧- القاموس المحيط، للإمام محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٣٦٨- قانون التأويل، لابن العربي المعافري المالكي، تحقيق: محمد السليمان، دار القبلة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٣٦٩- القراءات العشر المتواترة، مطبوع بهامش المصحف، إعداد: محمد كريم راجح، دار المهاجر - المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- ٣٧٠- القرآن الكريم وترجمة معانيه وتفسيره إلى لغة البشتو، مطبعة مجمع الملك فهد - المدينة المنورة.
- ٣٧١- القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، لخادم حسين إلهي بخش، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع - الطائف، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٣٧٢- القربة، لمحمد بن عربي الصوفي الحلوي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦٢هـ.
- ٣٧٣- قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة المرسلين، لعبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب (١٢٨٥هـ)، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣٧٤- القسم الإلهي، لابن عربي الصوفي الحلوي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.
- ٣٧٥- قضايا عقدية معاصرة، أ/د ناصر عبد الكريم العقل، دار الفضيلة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٣٧٦- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، لمحمد صديق حسن خان القنوجي، وضع حواشيه: محمد أمين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٣٧٧- قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة، لعبد العزيز فيصل الراجحي، مطابع الحميضي - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.



- ٣٧٨- قواطع الأدلة في أصول الفقه، لمنصور بن محمد بن عبد الله الجبار السمعاني (١٤٨٩هـ)، تحقيق: د/ عبد الله بن حافظ بن أحمد الحكمي، مكتبة التوبة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٣٧٩- القواعد المثل في صفات الله وأسمائه الحسنى، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، من مطبوعات الجامعة الإسلامية - المدينة النبوية، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.
- ٣٨٠- القواعد النورانية الفقهية، لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣٨١- القوانين الفقهية، لابن جزي المالكي (بدون).
- ٣٨٢- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للحافظ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي الشافعي (٩٠٢هـ)، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٣٨٣- القول المفيد في حكم الأناشيد مع فتاوى لعلماء العصر، تأليف: عصام بن عبد المنعم المري، مكتبة الفرقان - عجمان، الطبعة الأولى ١، ١٤٢٠هـ.
- ٣٨٤- الكامل في التاريخ، لمحمد بن محمد بن عبد الكريم المشهور بابن الأثير (٦٣٠هـ)، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٣٨٥- كتاب الإمامة والرد على الرافضة، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ)، حققه وعلق عليه: الشيخ د/ علي بن ناصر فقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٣٨٦- كتاب السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار المعرفة - بيروت.
- ٣٨٧- كتاب المصاحف، لأبي بكر بن أبي داوود السجستاني، تحقيق: محمد بن عبده، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى.
- ٣٨٨- كتاب النبي ﷺ، تأليف: د/ محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية -

- الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.
- ٣٨٩- كتاب تجريد التوحيد المفيد، لأحمد بن علي المقرئ المصري الشافعي (ت ٨٤٥هـ)، حقة وقدم له: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٣٩٠- كتاب جمع الوسائل في شرح الشرائع، للشيخ علي بن سلطان محمد القارئ، دار الأقصى.
- ٣٩١- كتاب فضائل القرآن، وتلاوته، وخصائص تلاوته وحملته، لأبي الفضل عبد الرحمن ابن أحمد بن الحسن الرازي (٤٥٤هـ)، تحقيق: د/ عامر حسن صبري، دار البشائر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٣٩٢- الكتب، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
- ٣٩٣- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوب التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، طبعة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
- ٣٩٤- كشف الأسرار، لروح الله خيبري، قدم له: د/ محمد أحمد الخطيب، علق عليه: سليم الهلالي، دار عمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.
- ٣٩٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى عبد الله الحنفي المعروف بحاجي خليفة (١٠١٧ - ١٠٦٧هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٣٩٦- كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء، لابن القيم الجوزية، تحقيق: ربيع أحمد خلف، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٣٩٧- الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، لمحمود عبد الرؤوف القاسم، المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- ٣٩٨- الكفاية في علم الرواية، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف

- بالخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تقديم: محمد الحافظ التيجاني، ومراجعة: عبد الحليم محمد عبد الحليم، وغيره، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى.
- ٣٩٩-الكلام على مسألة السماع، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق ودراسة: راشد بن عبد العزيز الحمد، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٤٠٠-الكلام على مسألة السماع، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: ربيع ابن أحمد ابن خلف، دار الجليل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٤٠١-الكلم الطيب، للإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.
- ٤٠٢- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، قابله على نسخة خطية وأعدّه للطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- ٤٠٣-كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، لعبد الرحمن حبنكة، دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- ٤٠٤-كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم ﷺ ومعه مذاهب الفرق الضالة، للعلامة ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٤٠٥-لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور (٧١١هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
- ٤٠٦-لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، للشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي، منشورات مؤسسة الخافقين - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
- ٤٠٧-المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعات، لفخر الدين الرازي

- (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- ٤٠٨- مباحث المفاضلة في العقيدة، للدكتور محمد بن عبد الرحمن أبو سيف، وهو رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة، في الجامعة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، عام ١٤١١ هـ، بإشراف د/ أحمد بن عمري العمري.
- ٤٠٩- مبادئ الفلسفة، للأستاذ س. رايبيرت، ترجمه أحمد أمين. دار الكتاب العربي - بيروت، لبنان، ١٩٧٩ م.
- ٤١٠- المبسوط، لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ٤١١- متن الشيبانية ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي - القاهرة، ١٣٦٩ هـ.
- ٤١٢- المثنوي، لجلال الدين الرومي القونوي الوجودي الحلوي الصوفي المولوي، المطبوع مع شرحه لحضرت بحر العلوم، من مطبوعات: رحمن كل، بيشاور.
- ٤١٣- مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، الأمانة العامة للجنة كبار العلماء رئيس التحرير: محمد بن سعد الشويعر، مجلة فصلية تعني بالبحوث الإسلامية تصدر كل أربعة أشهر مؤقّتا، الرياض.
- ٤١٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، دار الفكر، طبعة ١٤٠٨ هـ.
- ٤١٥- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، صرح إسلامي لخدمة القرآن والسنة، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وأعدّه المجمع بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١ هـ.
- ٤١٦- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لمحمد طاهر الفتني

- الكجراتي (ت ٥٧٨هـ)، مكتبة دار الإيوان - المدينة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.
- ٤١٧- المجموع المغيـث في غريبي القرآن والحديث، للإمام أبي موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني (ت ٥٨١هـ)، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٤١٨- المجموع شرح المذهب، لأبي زكريا محي الدين النووي، دار الفكر.
- ٤١٩- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: الشيخ عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، وابنه محمد، طبع بمجمع الملك فهد - المدينة المنورة ١٤١٦هـ.
- ٤٢٠- المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، لعبد الأول ابن حماد الأنصاري، الناشر: المؤلف نفسه، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٤٢١- مجموعة رسائل حسن البنا - القاهرة، مصر.
- ٤٢٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٤٢٣- المحرر في أصول الفقه، للإمام أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٥٠هـ)، تخريج وتعليق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٤٢٤- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ٤٢٥- المحلى، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث الإسلامي، دار الجليل - بيروت.
- ٤٢٦- محنة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٢٧- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، عنى بترتيبه: محمود خاطر، دار الحديث - القاهرة.

٤٢٨- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، لابن القيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٢٩- مختصر الفتاوى المصرية، للعلامة محمد بن علي الحنبلي البعلي (ت ٧٧٧هـ)، أشرف على تصحيحه: عبد المجيد سليم، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٣٠- مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، لمحمد بن علي بن سلوم، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٤٣١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن القيم الجوزية، توزيع عباس أحمد الباز - مكة المكرمة.

٤٣٢- المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم، والكليات الجامعية للقرآن وعلومه، (تقرير) د/ محمد الأمين الحسين، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٤٣٣- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعبد القادر بن أحمد بن مصطفى، ضبطه وصححه وخرج الآيات والأحاديث: محمد أمين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٣٤- المدخل لدراسة القرآن الكريم، للأستاذ محمد بن محمد أبو شهبه، دار الجيل - بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.

٤٣٥- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ﷺ، لمحمد بن باقر المجلسي - إيران.

٤٣٦- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، لأبي محمد علي بن أحمد ابن حزم، ونقد مراتب الإجماع لابن تيمية، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٣٧- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لشهاب الدين عبد الرحمن

- ابن إسماعيل ابن إبراهيم المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ)، حققه: طيار آلي فولاج، دار صادر - بيروت، طبعة ١٣٩٥هـ.
- ٤٣٨- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ)، مكتبة إمدادية - باكستان.
- ٤٣٩- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للعلامة السيوطي، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية - بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ.
- ٤٤٠- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، تحقيق: د/ عبد الإله ابن سلمان بن سالم الأحمد، دار الطيبة - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
- ٤٤١- المسائل، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
- ٤٤٢- المسابقات القرآنية المحلية والدولية، (تقرير) أ/ عبد العزيز بن عبد الرحمن السبهين، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.
- ٤٤٣- مستدرك الوسائل، لحسين النوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
- ٤٤٤- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٤٤٥- المستصفي في علم الأصول، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، رقمها وضبطها: محمد عبد السلام الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٤٤٦- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٤٤٧- المسيحية (النصرانية)، دراسة وتحليل: أ/ ساجد مير، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٤٤٨- مشارق الشموس الدرية، لعبدان البحراني، المكتبة العدنانية - البحرين.

- ٤٤٩- مشاهير علماء الأمصار، للإمام الهمام السلفي أبي حاتم البستي، تحقيق: مجدي بن منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٤٥٠- مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
- ٤٥١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد محمد علي المصري الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
- ٤٥٢- مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، لبرهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، من مطبوعات إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض، ١٤١٥هـ.
- ٤٥٣- مصرع الشرك والخرافة، للشيخ خالد محمد علي الحاج، حققه وراجعاه: عبد الله ابن إبراهيم الأنصاري، من مطبوعات إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر ١٣٩٨هـ.
- ٤٥٤- المصنف في الأحاديث والآثار، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شبة الكوفي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، دار التاج - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٤٥٥- المصنف، للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٧٦- ٢١١هـ)، تعليق وتحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي طبعة ١٣٩٠هـ.
- ٤٥٦- مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، لأبي عبد العزيز إدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٤٥٧- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للشيخ العلامة حافظ ابن أحمد الحكمي (١٣٧٧هـ)، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٤٥٨- المعارف، لعبد الله بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية -



- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٤٥٩- معالم السنن، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت ٣٨٨هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- ٤٦٠- معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، د/ محمد خليفة التميمي، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٤٦١- المعتمد في أصول الدين، لأبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي، تحقيق: د/ وديع زيدان حداد، دار المشرق - بيروت، لبنان.
- ٤٦٢- معجم البلدان، لياقوت الحموي، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٤٦٣- معجم الصحابة، لعبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (ت ٣١٧هـ)، تحقيق: محمد الأمين محمد محمود الجكني، مكتبة دار البيان - دولة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٤٦٤- معجم ألفاظ العقيدة، لأبي عبد الله عامر عبد الله فالح، تقديم: عبد الله ابن عبد الرحمن ابن جبرين، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٤٦٥- المعجم الفلسفي، د/ جميل صليبا، طبع دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م.
- ٤٦٦- معجم المؤلفين (تراجم مصنفى الكتب العربية)، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربى - بيروت.
- ٤٦٧- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، لعادل نويهض، قدم له: الشيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ٤٦٨- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية في القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ.
- ٤٦٩- معجم لغة الفقهاء، وضعه: أ/د/ محمد رواس قلعة جي وحامد صادق، وقطب مصطفى، دار النفائس - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٤٧٠- معيار العلم في المنطق، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، شرحه: أحمد شمس

- الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٤٧١- معيد النعم ومبيد النقم، لتاج الدين السبكي، حققه: محمد علي النجار، وأبو زيد شلبي، ومحمد أبو العيون، دار الكتاب العربي - القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
- ٤٧٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، للإمام أبي محمد عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.
- ٤٧٣- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شرح: الشيخ محمد الشربيني الخطيب من علماء القرن العاشر الهجري، دار إحياء التراث الإسلامي - بيروت.
- ٤٧٤- المغني، لأبي محمد عبد الله بن قدامة الحنبلي (ت ٦٢٠هـ)، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.
- ٤٧٥- المفردات في غريب القرآن، للراغب حسين بن محمد الاصفهاني، الضبط: محمد خليل، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٤٧٦- المفصل في علم العربية، لأبي القاسم محمود بن عمر الزنجشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الجيل - بيروت، الطبعة الثانية.
- ٤٧٧- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري (٣٢٤هـ)، صححه: هلموت ريتز، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الثالثة.
- ٤٧٨- مقالة التعطيل والجعد بن درهم، د/ محمد بن خليفة التميمي، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى.
- ٤٧٩- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: شهاب الدين أبو عدو، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٤٨٠- مقتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، للإمام ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٤٨١- مقدمة العلامة ابن خلدون المغربي، دار الكتاب اللبناني - بيروت، طبعة ١٩٨٢م.

- ٤٨٢- المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر، للإمام أبي حفص عمر بن قاسم ابن محمد المصري الأنصاري، من علماء القرن التاسع الهجري، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٤٨٣- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم ابن أبي بكر الشهرستاني، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، لبنان.
- ٤٨٤- الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، جمع وترتيب: عبد الله بن صالح البراك، ويليهِ فوائد منتقاة من الكتاب، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٤٨٥- من فتاوى الأئمة الأعلام حول القرآن، جمع وترتيب: عبد الكريم بن عبد المجيد الدرويش، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٤٨٦- مناقب الشافعي، للبيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث - القاهرة، دار النصر للطباعة، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.
- ٤٨٧- مناهج الأدلة في عقائد الملة، لمحمد بن أحمد ابن رشد الأندلسي (ت ٥٩٥هـ)، مطبوع مع فصل المقال، دار مكتبة التربية - بيروت، طبعة ١٩٨٧م.
- ٤٨٨- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، تخريج الآيات والأحاديث: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة ١٤١٦هـ.
- ٤٨٩- المنشور في القواعد، للزركشي بدر الدين محمد بن بهاء الدين الشافعي (٧٤٥-٧٩٤هـ)، تحقيق: تيسير فائق أحمد محمود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- ٤٩٠- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، لميرزا حبيب الله الخوئي، مؤسسة دار الوفاء - بيروت.
- ٤٩١- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- ٤٩٢- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان بن علي

- حسن، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.
- ٤٩٣- المنهج السلفي، د/ مفرح بن سليمان القوسي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٤٩٤- المذهب في فقه الإمام الشافعي، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، مطبعة: عيسى البابي الحلبي بمصر.
- ٤٩٥- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي المالكي (ت ٧٩٠هـ)، دار المعرفة - بيروت، لبنان.
- ٤٩٦- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د/ ناصر بن عبد الله القفاري، وناصر ابن عبد الكريم العقل، دار الصميعي للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٤٩٧- الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف: محمد شفيق غربال، دار الجيل.
- ٤٩٨- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، بإشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثالثة.
- ٤٩٩- موطأ الإمام مالك، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩هـ)، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. المكتبة العلمية، الطبعة الثانية.
- ٥٠٠- موطأ الإمام مالك وشرحه تنوير الحوالك، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي (٩١١هـ)، مكتبة ابن تيمية، طبعة ١٣٧٥هـ.
- ٥٠١- الموطأ، للإمام مالك بن أنس رحمه الله، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار زمزم - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- ٥٠٢- موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي، دراسة نقدية: محمد إسماعيل السلفي (ت ١٣٨٧هـ)، تعريب وتقديم وتعليق: صلاح الدين مقبول أحمد، الدار السلفية - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

- ٥٠٣- موقف الرافضة من القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إعداد: مامادو كاراميري، إشراف الشيخ عبد الله الغنيان، الجامعة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، عام ١٤١٢هـ.
- ٥٠٤- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، لمصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٥٠٥- الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، د/ مفرح بن سليمان القوسي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٥٠٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر.
- ٥٠٧- الميم والواو والنون، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.
- ٥٠٨- النبوات، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، مكتبة أضواء السلف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٥٠٩- نصب الراية لأحاديث الهداية، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت ٧٦٢هـ)، توزيع المكتبة التجارية مصطفى الباز - مكة المكرمة.
- ٥١٠- نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب، لربيع بن هادي المدخلي، مكتبة الفرقان - الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٥١١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، توزيع: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ.
- ٥١٢- نقش الفصوص، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
- ٥١٣- نقض المنطق، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، صححه: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية - القاهرة.
- ٥١٤- نقض المنطق، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية (٦٢٨هـ)، (مخطوط)

المكتبة المحمودية، رقم (٢٥٣٩).

٥١٥- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ)، حققه: منصور بن عبد العزيز السماري، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٥١٦- النكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٦هـ)، وهو مطبوع مع ثلاث رسائل أخرى بعنوان: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ود/ محمد زغلول سلام، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الرابعة.

٥١٧- نهاية الأقدام في علم الكلام، للشيخ عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه: الفرجيوم، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة.

٥١٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد، ومحمد محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت.

٥١٩- نهج خميني في ميزان الفكر الإسلامي، لمجموعة من الأساتذة، دار عمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٥٢٠- نونية القحطاني، لأبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني، تصحيح وتعليق: محمد أحمد سيد أحمد، مكتبة السوادي للتوزيع - جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٥٢١- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣هـ.

٥٢٢- هداية الأريب الأجد لمعرفة أصحاب الرواية عن أحمد، لسليمان عبد الرحمن حمدان (١٣٢٢- ١٣٩٧هـ)، تحقيق: بكر عبد الله أبو زيد، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٥٢٣- هدي الساري مقدمة فتح الباري، لأحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، دار الريان للتراث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

- ٥٢٤- هدى الفرقان في علوم القرآن، د/ غازي عناية، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٥٢٥- هدية العارفين أساء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٥٢٦- هذه هي الصوفية، لعبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م.
- ٥٢٧- وسطية أهل السنة بين الفرق، د/ محمد باكريم باعبد الله، دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٥٢٨- الوصايا، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
- ٥٢٩- الوصية، لابن عربي الحلوي، جمعية دار المعارف العثمانية - حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
- ٥٣٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار صادر - بيروت.
- ٥٣١- الياء، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلوي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.
- ٥٣٢- يحيى بن معين وكتابه التاريخ، لأحمد محمد نور سيف، جامعة الملك عبد العزيز، مكتبة المكرمية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
- ٥٣٣- البيانيات المسلوقة، للعلامة الشيخ زين العابدين بن يوسف الكوراني، تحقيق ودراسة: د/ المرابط محمد يسلم المجتبى، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- وغيرها من المصادر التي لم يتسن لي تسجيلها في سجل المصادر والمراجع.





## فهرس الموضوعات

٧	التقديم
٩	المقدمة
١١	أهمية الموضوع وأسباب اختياره
١٣	خطة البحث
٢٠	منهجي في البحث
٢٢	كلمة الشكر
٢٥	التمهيد
٢٧	المطلب الأول: تعريف القرآن، والفرق بينه وبين الحديث القدسي
٢٧	معنى القرآن لغة
٣١	معنى القرآن اصطلاحاً
٣١	(حاشية) أنواع المصطلحات والتعاريف
٣٤	التعريف المختار للقرآن الكريم
٣٤	شرح مفردات التعريف المختار
	الدليل على تسمية كلام الله المنزل على محمد ﷺ "قرآناً" الكتاب
٣٦	والسنة وأقوال السلف
٣٧	الفرق بين القرآن والحديث القدسي
٣٧	الأحاديث القدسية كلام الله لفظاً ومعنى خلافاً للأشاعرة
٣٩	المطلب الثاني: المقصود بالمنزلة لغة واصطلاحاً

- ٣٩..... المقصود بـ"المنزلة" لغة.
- ٣٩..... المقصود بـ"المنزلة" اصطلاحاً
- ٤١..... المطلب الثالث: تعريف السلف لغة واصطلاحاً
- ٤٢..... تحديد السلف بوقت معين
- ٤٥..... المطلب الرابع: تعريف المخالفين لأهل السنة، وأقسامهم
- ٤٥..... عموم أهل البدع لهم طريقان في رد النصوص
- ٤٥..... طريقة أهل التخييل
- ٤٥..... طريقة أهل التجهيل
- ٤٦..... أهل التجهيل قسمان: المجهلة المفوضة، والمجهلة المؤولة
- ٤٧..... المخالفون للسلف على وجه التفصيل أربعة أصناف
- ٤٧..... المسلمون قسمان
- ٤٩..... الباب الأول: حقيقة القرآن الكريم في نظر السلف
- ٥١..... الفصل الأول: القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق
- ٥٣..... المبحث الأول: إثبات أن القرآن الكريم كلام الله تعالى
- ٥٣..... وصف الله بالكمال
- ٥٤..... ذم المعبودات الباطلة لأنها باطلة وموصوفة بالنقص
- ٥٤..... الكلام صفة كمال
- ٥٧..... المطلب الأول: الدليل على أن القرآن كلام الله
- ٥٧..... المسألة الأولى: في إثبات الكلام لله تعالى
- ٥٧..... معنى الكلام لغة
- ٥٧..... المتكلم هو من قام به صفة الكلام
- ٥٩..... الأدلة على أن الله متكلم:
- ٥٩..... ١/ ٢ - إخباره تعالى أنه متكلم، وأن القرآن حديثه

- ٣/٤ - إضافة الكلام إليه تعالى، وورود اشتقاقاته ..... ٦٠
- ٦١ ..... سمع آدم وموسى ومحمد - صلوات الله عليهم - كلام الله بصوته
- ٥ - ذكر مناداته ومناجاته ..... ٦٢
- ٦/٧ - ذكر إنبائه وقصصه ..... ٦٣
- ٦٣ ..... ذكر أنواع الوحي
- ٨ - محاجة إبراهيم ﷺ لقومه ..... ٦٤
- ٩ - نفي تكليمه للمشتريين بعهد ..... ٦٤
- ١٠ - الأدلة العقلية على إثبات الكلام لله تعالى: ..... ٦٥
- أ/ث - كونه قادراً، كون الخرس عيباً، إرساله الرسل ..... ٦٥
- ج - الفطرة السليمة ..... ٦٦
- ٦٧ ..... المسألة الثانية: إثبات أن القرآن الكريم كلام الله، وأنه غير مخلوق
- أولاً: الأدلة من القرآن الكريم: ..... ٦٨
- ١ - قوله "كن" ..... ٦٨
- ٢ - آية الاستجارة ..... ٦٨
- ٣ - قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ..... ٦٩
- ٤ - قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ ..... ٦٩
- ٥ - قوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ..... ٧٠
- ٦ - قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾ ..... ٧٠
- ٧ - قوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ ..... ٧١
- ٨ - قوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي﴾ ..... ٧٢
- ٩ - قوله: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ..... ٧٢
- ١٠ - قوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ..... ٧٢

- ١١- من السنة ..... ٧٣
- ١٢- الإجماع ..... ٧٣
- ١٣- الآثار السلفية: ..... ٧٥
- أ- قول الصديق (عليه السلام) ..... ٧٥
- ب/ج- قول علي وابن عباس (عليهما السلام) ..... ٧٦
- د- قول عمرو بن دينار ..... ٧٦
- ١٤- الأدلة من القياس ..... ٧٧
- أ- القرآن من علم الله ..... ٧٧
- ب- القول بخلق القرآن يدل على بطلان النبوة ..... ٧٧
- ج- صفات الله لا تكون مخلوقة ..... ٧٧
- د- لو قرأ إنسان لا يتكلم فقرأ القرآن لا يحنث ..... ٧٨
- ١٥- تكفير السلف لمن زعم أن القرآن مخلوق ..... ٧٨
- ١٦- ثبات أهل السنة في المحنة ..... ٨٠
- المطلب الثاني: القرآن الكريم من الله بدأ وإليه يعود ..... ٨٣
- المسألة الأولى: قول السلف (القرآن من الله بدأ) ..... ٨٣
- المعنى الأول: ..... ٨٣
- الإضافة إلى الله نوعان: ..... ٨٦
- المجرور بمن قسمان: ..... ٨٦
- لا يُفهم الانفصال في قولهم (منه بدأ) ..... ٨٧
- خروج الكلام لا يدل على مفارقة الصفة للموصوف ..... ٨٩
- المعنى الثاني: ..... ٩٠
- الأدلة على أن القرآن من الله بدأ ..... ٩١
- المسألة الثانية: قول السلف (وإليه يعود) ..... ٩٢

٩٢.....	المعنى الأول:
٩٣.....	المعنى الثاني:
٩٣.....	الأدلة على عود الكتاب.....
٩٤.....	الأدلة على عود الكتاب من السنة.....
٩٤.....	الأدلة على عود الكتاب من الآثار.....
٩٥.....	تأويل (العود) بالتلاوة لا يصح.....
٩٦.....	المطلب الثالث: تكليم الله بالقرآن وتعلقه بالمشيئة.....
٩٧.....	تنقسم الصفات باعتبار تعلقها بذات الله ومشيئته إلى قسمين:.....
٩٨.....	منشأ اضطراب الناس في مسألة الكلام.....
٩٩.....	المسألة الأولى: تعلق صفة (الكلام) بالذات.....
١٠٠.....	وصفان لا بد من وضعهما في الأذهان.....
١٠١.....	الأدلة على أن الله متكلم أزلاً.....
١٠٤.....	المسألة الثانية: تعلق هذه الصفة بالمشيئة.....
١٠٥.....	قول السلف في الصفات الفعلية قائم على مقدمتين:.....
١٠٥.....	الأدلة على أن الله يتكلم متى شاء.....
١٠٩.....	تنبيهات:.....
١٠٩.....	١- هل يسمى كلاماً حديثاً ومحدثاً؟.....
١١٢.....	٢- ماذا يعني قول السلف عن القرآن: إنه "قديم"؟.....
١١٣.....	٣- وصف الله بالسكوت.....
١١٤.....	المسألة الثالثة: نفي التشبيه في الصفة.....
١١٥.....	١- الاشتراك العالم لا يلزم منه التشبيه.....
١١٦.....	الأدلة على نفي التشبيه في صفة الكلام.....

- ٢- عدم الخوض في كيفية صفة التكلم ..... ١١٨
- المبحث الثاني: مسألة اللفظ بالقرآن ..... ١١٩
- المطلب الأول: بيان اللفظ والمفوظ ..... ١١٩
- (حاشية) بيان مصطلح اللفظية ..... ١٢٠
- المسألة الأولى: بيان الألفاظ المجملة في المسألة ..... ١٢١
- (١٠) ألفاظ مجملة في باب ((مسألة اللفظ بالقرآن)) ..... ١٢٢
- المسألة الثانية: هل اللفظ هو المفوظ أو غيره؟ ..... ١٢٣
- معنى ((اللفظ)) ..... ١٢٣
- لفظ ((الكتاب)) ..... ١٢٤
- لفظ ((القرآن)) ..... ١٢٥
- وجه الصواب في ((اللفظ، القراءة)) ..... ١٢٧
- وجه الصواب في ((الكتابة)) ..... ١٢٨
- الإجماع على أن المداد مخلوق ..... ١٢٩
- قولهم هذا ((عين كلام الله)) ..... ١٣٠
- عبارة ((هذا يحكي القرآن)) ..... ١٣١
- المسألة الثالثة: أسباب النزاع في مسألة اللفظ وبعض الفروق فيها ..... ١٣١
- ١- عدم التفريق بين فعل الرب وفعل العبد ..... ١٣١
- ٢- عدم التفريق بين السماع المباشر والسماع من المبلغ ..... ١٣٢
- ٣- الغلو في النفي قابله غلو في الإثبات ..... ١٣٥
- ٤- التنازع في مسمى الكلام ..... ١٣٦
- المطلب الثاني: موقف السلف من مسألة اللفظ ..... ١٣٧
- بيان ما أجمعوا عليه في هذا الباب ..... ١٣٧
- المسألة الأولى: الإنكار على من أطلق مسألة اللفظ ..... ١٣٨

أوجه الإنكار في مسألة اللفظ: .....	١٣٨
١- لأن مسألة اللفظ محدثة .....	١٣٨
٢- لكون مسألة اللفظ فيها إجمال .....	١٤٠
٣- لكون مسألة اللفظ ذريعة للقول بخلق القرآن .....	١٤٢
المسألة الثانية: الجمع بين أقوال الأئمة، وتوضيح مقاصدهم .....	١٤٣
الأول: لا تضارب بين أقوال الإمام أحمد في مسألة اللفظ .....	١٤٤
انتساب ((اللفظية المثبتة والنافية)) للإمام أحمد فيه نظر .....	١٤٧
الثاني: الغلط على الإمام البخاري .....	١٤٩
بطلان انتساب ((اللفظية)) للإمام البخاري .....	١٥١
اعتذار للأئمة .....	١٥٢
الفصل الثاني: بيان أن القرآن الكريم منزل على محمد ﷺ .....	١٥٨
المبحث الأول: وجوب الإيمان بنزول القرآن على نبينا محمد ﷺ .....	١٥٧
المطلب الأول: وجوب الإيمان بنزول القرآن على نبينا محمد ﷺ .....	١٥٧
المسألة الأولى: الأدلة على وجوب الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ .....	١٥٩
المسألة الثانية: ذكر الأدلة على كون القرآن منزل على محمد ﷺ .....	١٦١
المطلب الثاني: كيف كان النبي ﷺ يتلقى الوحي بالقرآن .....	١٦٩
الصورة الأولى .....	١٧١
الصورة الثانية .....	١٧٣
الصورة الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة .....	١٧٦
الصورة السابعة .....	١٧٧
نزول القرآن بواسطة جبريل ﷺ .....	١٧٨
مدة نزول الوحي .....	١٨٠

- جبريل عليه السلام يأتي بالوحي المتلو وغير المتلو..... ١٨٠
- المبحث الثاني: نزول القرآن الكريم..... ١٨١
- المطلب الأول: سماع جبريل عليه السلام القرآن..... ١٨١
- صفات جبريل عليه السلام: ينزل بإذن الله، الروح القدس..... ١٨١
- أنه الروح الأمين..... ١٨٢
- أنه ذو القوة الشديدة..... ١٨٣
- أنه مكين مطاع..... ١٨٣
- تلقي جبريل الوحي من الله ﷻ بالقرآن والأدلة عليه من الكتاب..... ١٨٥
- الأدلة عليه من السنة..... ١٨٦
- الدليل من الإجماع..... ١٨٧
- المطلب الثاني: كيفية نزول القرآن..... ١٩٠
- المسألة الأولى: نزول القرآن جملة إلى السماء الدنيا مع الأدلة..... ١٩٠
- لم يُنكر أحد من السلف هذا النزول..... ١٩٢
- (حاشية) بطلان نسبة إنكار هذا النزول إلى بعض السلف..... ١٩٢
- الحكمة في هذا النزول..... ١٩٣
- المسألة الثانية: نزول لقرآن على النبي ﷺ منجما والأدلة على ذلك..... ١٩٤
- الحكمة في نزول القرآن منجما..... ١٩٦
- أ- تثبيت فؤاد النبي ﷺ..... ١٩٦
- ب- تيسير حفظه..... ١٩٦
- ج- فضح قبائح المشركين والمنافقين..... ١٩٦
- د- التحدي والاعجاز..... ١٩٧
- هـ- التدرج في التشريع..... ١٩٧
- دفع ما يتوهم من التعارض بين النزولين..... ١٩٧



- المبحث الثالث: معنى إنزال الله القرآن عند السلف ..... ٢٠٠
- المطلب الأول: معنى النزول لغة ..... ٢٠٠
- (حاشية) الفرق بين الإنزال والتنزيل ..... ٢٠١
- المطلب الثاني: معنى إنزال القرآن عند السلف ..... ٢٠٣
- لفظ الإنزال ورد في القرآن على ثلاثة أنواع ..... ٢٠٤
- ١- نزول مقيد بأنه من الله تعالى ..... ٢٠٤
- ٢- نزول مقيد بأنه من السماء ..... ٢٠٥
- ٣- الإنزال المطلق ..... ٢٠٦
- وجود القرآن الكريم : ..... ٢٠٨
- ١- وجوده في اللوح المحفوظ ..... ٢٠٨
- ٢- وجوده عند الملائكة السفرة ..... ٢٠٨
- ٣- وجوده في السماء الدنيا ..... ٢٠٨
- ٤- وجوده في الدنيا بعد نزوله ..... ٢٠٨
- الحكمة في تعدد وجود القرآن ..... ٢٠٩
- الفصل الثالث: بيان أن القرآن الكريم متعبد به، وفيه مبحثان ..... ٢١٠
- المبحث الأول: معنى التعبد بالقرآن الكريم ..... ٢١٣
- المطلب الأول: تعريف التعبد لغة واصطلاحاً ..... ٢١٣
- شروط قبول العبادة ..... ٢١٥
- المطلب الثاني: الأدلة على كون القرآن الكريم متعبد به ..... ٢١٨
- ١- أمر الله ورسوله بقراءته ..... ٢١٨
- ٢- الأمر بتلاوته والعمل به ..... ٢١٩
- ٣- الأمر بالاستماع إليه ..... ٢١٩

- ٢٢٠..... ٤- الحث على تدبره
- ٢٢٠..... ٥- أنه من أعظم الذكر
- ٢٢٠..... ٦- قراءة سبب للرحمة
- ٢٢٢..... المبحث الثاني: صور التعبد بالقرآن الكريم
- ٢٢٢..... المطلب الأول: التعبد بقراءته وتدبره
- ٢٢٢..... المسألة الأولى: التعبد بقراءة القرآن الكريم وأدلة ذلك
- ٢٢٣..... (حاشية) آداب الحافظ لكتاب الله
- ٢٢٧..... الناس منقسمون في سماع القرآن الكريم إلى أربعة أصناف
- ٢٢٨..... لم يعهد من السلف قراءة القرآن للغير
- ٢٣٣..... قراءة القرآن عند القبور محدث
- ٢٣٣..... المسألة الثانية: التعبد بتدبر القرآن الكريم والأدلة على ذلك
- ٢٣٦..... الأدلة على كون السلف فهموا القرآن
- ٢٣٧..... فوائد التدبر في القرآن الكريم
- ٢٣٩..... المطلب الثاني: التعبد بالعمل به والتحاكم إليه
- ٢٣٩..... المسألة الأولى: التعبد بالعمل بالقرآن الكريم والأدلة على ذلك
- ٢٤٣..... اعتناء السلف بالعمل بالقرآن الكريم من وجوه
- ٢٤٥..... حال المؤمن وغيره مع القرآن
- ٢٤٦..... (حاشية) ليس من التعظيم جعل القرآن في أربطة
- ٢٤٦..... المسألة الثانية: التعبد بتعلم القرآن الكريم وتعليمه
- ٢٤٨..... قيام السلف الصالح بتعلم وتعليم القرآن على أكمل وجه
- ٢٤٩..... المسألة الثالثة: التعبد بالتحاكم إلى القرآن، والأدلة على ذلك
- ٢٥٢..... (حاشية) الحكم بغير ما أنزل الله
- ٢٥٤..... اتباع حكم القرآن طريق السلامة والأمان

- التهديد والوعيد لمن اتبع غير القرآن المجيد ..... ٢٥٥
- المطلب الثالث: التعبد بالتداوي به ودفع الضر به ..... ٢٥٨
- كيف يكون التداوي بالقرآن عبادة؟ ..... ٢٥٨
- لا تُقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء ..... ٢٥٩
- الدعاء من التطب وهو عبادة ..... ٢٦٠
- حالات الدعاء مع البلاء ..... ٢٦١
- الطرق الشرعية للاستشفاء بالقرآن ..... ٢٦٢
- ١ - التعبد بالرقية به ..... ٢٦٢
- (حاشية) أخذ الأجرة على الرقية ..... ٢٦٣
- شروط الرقية ..... ٢٦٤
- صور الرقية الشرعية بالقرآن ..... ٢٦٥
- أ/ ب/ ج - الرقية وحدها، النفق مع الرقية، التفل مع الرقية ..... ٢٦٥
- د/ هـ - خلط التراب مع الريق، الرقية مع مسح الجسد ..... ٢٦٦
- و - الرقية في الماء ..... ٢٦٦
- ز - كتابة بعض الآيات ثم غسلها وشربها ..... ٢٦٨
- التداوي بالقرآن من باب التطب ..... ٢٦٩
- طلب الرقية خلاف الأولى ..... ٢٦٩
- الرقية المحرمة ..... ٢٦٩
- ٢ - أرشد القرآن الكريم إلى المحافظة على الأذكار ..... ٢٧١
- ٣ - امتثال أوامر القرآن واجتناب نواهيه ..... ٢٧٢
- ٤ - التهاثم من القرآن واختلاف العلماء فيه ..... ٢٧٢
- (حاشية) تعريف التهاثم ..... ٢٧٢

- لا يجوز الاستشفاء بالتائم من القرآن..... ٢٧٣
- الأدلة على منع التائم من القرآن الكريم: ..... ٢٧٣
- ١- لم يثبت عن النبي ﷺ ..... ٢٧٣
- ٢- لم يثبت عن الخلفاء الراشدين ..... ٢٧٣
- ٣- النهي عن التائم عام ..... ٢٧٤
- ٤- مُنعه سداً لباب الذرائع ..... ٢٧٤
- ٥- لم يشرع أصل هذه الوسيلة ولا يقاس على الرقية ..... ٢٧٥
- ٦- تعليق القرآن فيه إهانة له ..... ٢٧٥
- ٧- تعليق التائم من القرآن فيه نوع تعلق بها ..... ٢٧٥
- الفصل الرابع: بيان أن القرآن الكريم هو الموجود في المصحف ..... ٢٧٧
- المبحث الأول: بيان المراد بالمصحف ..... ٢٧٩
- المطلب الأول: تعريف المصحف لغة واصطلاحاً ..... ٢٧٩
- المسألة الأولى: معنى المصحف لغة ..... ٢٧٩
- ورود لفظ "المصحف" في التنزيل ..... ٢٨٠
- المسألة الثانية: معنى المصحف اصطلاحاً ..... ٢٨١
- لا يطلق "المصحف" إلا على القرآن كله ..... ٢٨٢
- "المصحف" لفظ معروف عند السلف ..... ٢٨٢
- هل يصح أن يقال: "مُصَيِّفٌ"؟ ..... ٢٨٣
- هل "المصحف" هو المكتوب أم المكتوب والمداد؟ ..... ٢٨٣
- المطلب الثاني: ذكر (٦٠) اسماً من أسماء (المصحف) القرآن الكريم ..... ٢٨٥
- (حاشية) تسمية غير القرآن مصحفاً ..... ٢٨٥
- كثرة الأسماء والصفات تدل على شرف القرآن الكريم ..... ٢٨٥
- المصحف ..... ٢٨٦

- ٢٨٦..... تسميته بـ "مصحف عثمان"
- ٢٨٦..... القرآن
- ٢٨٦..... (حاشية) هل يقال: (قرآن الله) ؟
- ٢٨٦..... (حاشية) تسمية الكتب السابقة "قرآنًا"
- ٢٨٧..... ورد (١٦) وصفاً للقرآن
- ٢٩٠..... الفرقان
- ٢٩٠..... الكتاب
- ٢٩١..... ورد (١٩) وصفاً للكتاب
- ٢٩٣..... الهدى
- ٢٩٤..... النور، الروح، الشفاء
- ٢٩٥..... البيان، الينيات، الآيات، الموعدة
- ٢٩٦..... الرحمة، البصائر، البلاغ، التنزيل، المنزل، الصراط المستقيم
- ٢٩٧..... الذكر، الذكرى، التذكرة، البشرى
- ٢٩٨..... البشير، المهيمن، المصدق، التبيان
- ٢٩٩..... المفصل، الفصل، كلام الله، الكريم، المجيد، العزيز، المين، العلي، المبارك
- ٣٠٠..... القيم، جبل الله، المتشابه، المثاني، الحكيم، المحكم، الحكمة
- ٣٠١..... الحكم، البرهان، العلم، الحق، الوحي، النبأ العظيم، النظير، أحسن الحديث
- ٣٠٢..... أحسن القصص، الشافع، المشفع، الشاهد، الحجة، القول، العروة الوثقى
- ٣٠٣..... القصص، الصدق، العدل
- ٣٠٣..... (حاشية) لا يصح تسميته بـ "آلم" من وجوه
- ٣٠٣..... (حاشية) تسميته بـ (الزير)
- ٣٠٤..... (حاشية) تسميته بـ (الزبور)

- (حاشية) تسميته بـ (الإنجيل) ..... ٣٠٤
- تسمية القرآن ليس لكل أحد ..... ٣٠٤
- المطلب الثاني: الدليل على أن ما في المصحف هو القرآن ..... ٣٠٥
- الأدلة من القرآن ..... ٣٠٥
- الأدلة من الآثار ..... ٣٠٦
- الدليل من الإجماع ..... ٣٠٩
- أقوال أئمة العلم: ..... ٣١٠
- (محمد بن الحسن، أحمد بن حنبل، ابن عبد البر، ابن حزم، البيهقي) ..... ٣١٠
- (البغوي، السمعاني، الباقلاني) ..... ٣١١
- (السرخسي، أبي يعلى، النووي، ابن قدامة، القرطبي) ..... ٣١٢
- (شيخ الإسلام، ابن القيم، الزركشي) ..... ٣١٣
- (البعلي، ابن حجر) ..... ٣١٤
- الأدلة العقلية، ويتبين ذلك بستة وجوه ..... ٣١٤
- الوجه الأول والثاني: ..... ٣١٤
- الوجه الرابع إلى السادس: ..... ٣١٥
- المسألة الأولى: هل البسملة آية من القرآن إذ كتبت في المصحف ..... ٣١٦
- قولهم: لو كانت البسملة قرآناً لكفر جاحدها! جوابه من وجهين ..... ٣١٦
- الأقوال في كون البسملة من القرآن طرفان ووسط ..... ٣١٧
- المسألة الثانية: حكم ترتيب آيات المصحف ..... ٣١٨
- الخلافاً في ترتيب السور ..... ٣١٨
- ترتيب الآيات أمر لازم ..... ٣١٩
- المسألة الثالثة: التعاشير والتخاميس في المصحف ..... ٣٢١
- المبحث الثاني: ما يخالف المصحف هل يقال عنه قرآن؟ ..... ٣٢٢

- المطلب الأول: بيان المراد بقوله تعالى: ((إنه لفي زبر الأولين))..... ٣٢٢
- الذي في زبر الأولين ليس هو القرآن والدليل عليه من (٦) وجوه..... ٣٢٣
- الموجودات (٤) أنواع..... ٣٢٤
- المطلب الثاني: ما يروى من الأحرف هل يقال عنه قرآن..... ٣٢٦
- (حاشية) المراد بـ"الأحرف" لغة واصطلاحاً..... ٣٢٦
- المسألة الأولى: ما يروى من الأحرف موافقا للمصحف..... ٣٣٣
- (حاشية) هل المصحف مشتمل على الأحرف كلها أو بعضها؟..... ٣٢٨
- (حاشية) هل في المصحف أخطاء إملائية؟..... ٣٢٨
- شروط القراءة الصحيحة..... ٣٢٨
- ما صحح من القراءات فهو من القرآن..... ٣٢٩
- (حاشية) من هم القراء السبعة؟..... ٣٣١
- المسألة الثانية: ما يروى من الأحرف مخالفاً للمصحف..... ٣٣٣
- (حاشية) تعريف القراءة الشاذة..... ٣٣٣
- يقال للشواذ قراءات باعتبار الرواية..... ٣٣٣
- أحكام متعلقة بالأحرف..... ٣٣٦
- المطلب الثالث: حكم القراءة بما يخالف المصحف..... ٣٣٧
- الأدلة على وجوب الاتباع في القراءة..... ٣٣٧
- المسألة الأولى: قراءة القرآن منكساً..... ٣٣٨
- ترتيب آيات السور..... ٣٣٩
- المسألة الثانية: قراءة ما ثبت عن بعض الصحابة مخالفاً للرسم..... ٣٤٠
- ما ثبت سنداً فهو قسمان:..... ٣٤١
- ما خالف المصحف من الأحرف والأوجه المروية عن الصحابة لا يكون قرآناً..... ٣٤٣

- المطلب الرابع: الحلف بالمصحف ..... ٣٤٧
- الحلف يكون بالله وبأسماؤه وصفاته ..... ٣٤٧
- الحلف بغير الله منهي عنه ..... ٣٤٨
- ما ورد من الحلف بغير الله في القرآن ..... ٣٤٨
- الحلف على المصحف فيه قولان: ..... ٣٤٩
- (بحق المصحف) ليس بحلف ..... ٣٥١
- المبحث الثالث: بيان منزلة الترجمة والتفسير من القرآن ..... ٣٥٢
- المطلب الأول: هل الترجمة اللفظية من القرآن الكريم؟ ..... ٣٥٢
- الترجمة لغة لها (٤) معانٍ ..... ٣٥٢
- تفسير القرآن وتوضيحه جائز بالاتفاق ..... ٣٥٣
- (حاشية) الواجب على المفسرين ..... ٣٥٣
- أقسام الترجمة ..... ٣٥٤
- (حاشية) الفرق بين الترجمة اللفظية والتفسيرية ..... ٣٥٤
- (حاشية) الترجمة والتفسير على (٣) طبقات ..... ٣٥٤
- غرضين أساسيين من أجلهما نزل القرآن ..... ٣٥٥
- الترجمة الحرفية غير ممكنة ..... ٣٥٦
- الترجمة لا يقال عنها قرآن أبداً، والأدلة على ذلك ..... ٣٥٧
- اتفق العلماء على أن القراءة في غير الصلاة بغير العربية تحرم مطلقاً ..... ٣٦٠
- حكم القراءة في الصلاة بغير العربية ..... ٣٦٠
- المطلب الثاني: هل يقال إن التفسير من القرآن؟ ومعنى التفسير ..... ٣٦٤
- طرق التفسير، وأحسنها التفسير بالمأثور ..... ٣٦٤
- من أشهر ما كتب في التفسير بالمأثور ..... ٣٦٤
- التفاسير لا تغني عن القرآن ..... ٣٦٥



٣٦٧	المبحث الرابع: وجوب تعظيم المصحف
٣٦٧	المطلب الأول: الدليل على وجوب تعظيمه
٣٦٧	التعظيم يكون بما ورد في الشرع
٣٦٨	من صور التعظيم:
٣٦٨	عدم تمكين الكافر من مسّه، منعه قراءته على الجنب والحائض
٣٦٩	حكم مسّ المصحف للمحدث
٣٧٠	الاستخفاف بالمصحف كفر
٣٧٠	تعظيم المصحف بوضعه في حرير ونحوه
٣٧١	ومن تعظيمه أن لا يوضع فوقه شيء، ولا يتوسد
٣٧٢	القيام للمصحف
٣٧٣	تحلية المصحف
٣٧٣	حكم إحراق المصحف للضرورة
٣٧٥	المطلب الثاني: حكم الدخول بالمصحف في الأماكن النجسة
٣٧٥	هل يجوز حمل المصحف إلى بلاد الكفر
٣٧٩	الفصل الخامس: بيان أن القرآن آية لنبينا محمد ﷺ
٣٨١	المبحث الأول: تعريف الآية وكون القرآن معجز
٣٨١	المطلب الأول: تعريف الآية لغة واصطلاحاً
٣٨٣	التعريف الجامع المانع
٣٨٤	أجناس الآيات ثلاثة
٣٨٤	إطلاقاتها القرآنية
٣٨٥	الآية هي الآيات المتلوة
٣٨٥	إطلاق الآية على الآيات المخلوقة

- آية تدل على الله تعالى ..... ٣٨٥
- آية تدل على صدق النبي ﷺ ..... ٣٨٦
- آية تدل على الشرع ..... ٣٨٦
- الآيات المتلوة ..... ٣٨٦
- الآيات المشاهدة ..... ٣٨٧
- الآيات قد تكون صغرى وكبرى ..... ٣٨٧
- تطلق الآيات مضافة إلى الله تعالى وغير مضافة ..... ٣٨٧
- إطلاق الآية على العلامة ..... ٣٨٨
- إطلاق الآية على السورة ..... ٣٨٨
- المطلب الثاني: الدليل على كون القرآن آية ..... ٣٨٩
- المطلب الثالث: الدليل على كون القرآن معجزا ..... ٣٩٥
- أولا: معنى المعجز ..... ٣٩٥
- ثانيا: بيان الأدلة التي تدل على أن القرآن معجز من أوجه مختلفة ..... ٣٩٦
- أن الله تحدى الخلق أن يأتوا بمثله، ثم تحداهم بعشر سور ..... ٣٩٧
- تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله ..... ٣٩٨
- لم تقع المعارضة للقرآن الكريم ..... ٣٩٩
- (حاشية) فإن قيل: عورض ولم ينقل؟ فالجواب من (٥) أوجه ..... ٣٩٩
- (حاشية) مسيلمة وابن الراوندي والمعري والكندي حاولوا المعارضة ففشلوا ..... ٣٩٩
- إخباره بالغيوب ..... ٤٠٠
- الغيوب الماضية، والمستقبلية ..... ٤٠١
- تطابق أخبار القرآن ..... ٤٠٢
- حفظ الله له، وكونه خارجا عن قدرات الثقلين ..... ٤٠٣
- أن الذي يبلغه للناس أُمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يتعلم ..... ٤٠٤

- ٤٠٥..... تعدد وجوه إعجاز القرآن
- ٤٠٧..... المبحث الثاني: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم
- ٤٠٧..... المطلب الأول: كون القرآن معجزاً لفظاً وتركيباً
- ٤٠٨..... الإعجاز في الإيجاز
- ٤٠٨..... مايز القرآن كلام النبي وكلام العرب
- ٤٠٨..... ليس في القرآن كلمة لا معنى له
- ٤٠٨..... ذكرت أحرف الهجاء في أول السور إعجازاً
- ٤٠٩..... خطأ من ظن أن في القرآن ما ليس له معنى
- ٤١٠..... الإعجاز في التركيب
- ٤١٠..... عجائب تناسب القرآن
- ٤١١..... (حاشية) من أنكر التناسب
- ٤١١..... يكشف الإعجاز في اللفظ والتركيب أمران:
- ٤١٢..... من عجائب تركيب القرآن
- ٤١٣..... الآية الواحدة آية وإن كان التحدي وقع بسورة
- ٤١٤..... المنع من القراءة المنكسة لكونها تخالف الإعجاز
- ٤١٥..... إنكار الإعجاز في اللفظ غير مأثور عن السلف
- ٤١٥..... تكرار اللفظ في القرآن
- ٤١٦..... البلاغة مبنية على ثلاثة أنواع من العلوم
- ٤١٧..... المطلب الثاني: كون القرآن معجزاً بلاغة وبياناً
- ٤١٧..... علم البيان ثلاثة أنواع
- ٤١٩..... قصة أنيس الغفاري ﷺ توضح فهمه لإعجاز القرآن
- ٤١٩..... من البيان: الكنايات الجميلة

٤٢٠	الاستعارات البليغة
٤٢٠	التشبيه الفصيح
٤٢٠	من البلاغة في البديع: الطباق
٤٢١	اللف والنشر
٤٢١	الجناس اللفظي
٤٢٢	المطلب الثالث: كون القرآن معجزا علما وتشريعا
٤٢٢	إخباره بالغيبات
٤٢٢	(حاشية) عدم اخضاع القرآن للنظريات
٤٢٣	المعجزات العلمية الطيبة
٤٢٣	إعجازه في التشريع
٤٢٥	الباب الثاني: حقيقة القرآن الكريم في نظر المخالفين
٤٢٧	الفصل الأول: اختلافهم في تعريف القرآن الكريم
٤٢٩	تمهيد: وفيه بيان (٥) أمور:
٤٢٩	١- اضطراب المخالفين
٤٣٠	٢- عدد الأقوال المختلفة للمخالفين في مسألة القرآن
٤٣٠	٣- طريقة عد هذه الأقوال
٤٣٠	الأقوال (٩) في مسألة القرآن
٤٣٢	يمكن عد الأقوال (٧) باعتبار
٤٣٣	يمكن عد الأقوال (٦) باعتبارين
٤٣٣	يمكن عد الأقوال (٣) بأربعة اعتبارات
٤٣٣	(حاشية) وجه الاختلاف في عد الأقوال
٤٣٤	يمكن عد الأقوال قولين جملة
٤٣٤	٤- سبب ضلال الفرق ومنشأ نزاعهم

- ٤٣٤..... السبب الأول:
- ٤٣٥..... السبب الثاني، والثالث:
- ٤٣٦..... السبب الرابع:
- ٤٣٦..... ٥- وصف المخالفين في هذا الباب
- ٤٣٦..... (حاشية) في الجوهر والحيز
- ٤٣٨..... المبحث الأول: القول بالفيض، معنى الفيض لغة واصطلاحاً
- ٤٤٠..... سبب القول بالفيض يرجع لأمرين:
- ٤٤١..... القائلون بالفيض:
- ٤٤١..... ١- الفلاسفة المنتسبون للإسلام
- ٤٤٢..... ٢- ابن سينا يرى أن الله لا يصدر عنه فعل باختياره؟!.....
- ٤٤٣..... ٣- منافحة ابن رشد الحفيد عن الفلاسفة
- ٤٤٣..... ٤- الكلام عند ابن رشد فعل
- ٤٤٤..... (حاشية) موافقة ابن رشد للأشعرية
- ٤٤٤..... ٥- قول ابن عربي الحلوي بالفيض
- ٤٤٥..... اختلافهم في الفيض، وهل هو مخلوق؟
- ٤٤٥..... ٦- قول الغزالي بالفيض
- ٤٤٥..... ٧- مذهب الرازي في الفيض
- ٤٤٦..... شبههم والرد عليها:
- ٤٤٦..... الشبهة الأولى، والجواب عنها من (٧) أوجه
- ٤٤٨..... الشبهة الثانية، والرد عليها من (٦) أوجه
- ٤٤٩..... الشبهة الثالثة، والرد عليها من (٤) أوجه
- ٤٤٩..... (حاشية) تعريف "العرض"

- ٤٥٠..... الشبهة الرابعة، والجواب عنها من (٣) أوجه.
- ٤٥١..... الشبهة الخامسة، والجواب عنها من (٩) أوجه.
- ٤٥٥..... المبحث الثاني: القول بالحلول في القرآن الكريم.
- ٤٥٥..... معنى هذا القول.....
- ٤٥٦..... سبب القول بالحلول.....
- ٤٥٦..... نقل أقوال المتقولين بأن القرآن يحل في المخلوقين.....
- ٤٥٦..... ١ - القائلون بالحلول المطلق.....
- ٤٥٨..... قول بعضهم بصحة الصلاة بالشعر؟!.....
- ٤٥٩..... قول الحلولية في أفعالهم بأنها أفعال الله؟!.....
- ٤٦٠..... قول الحلولية بأن كل مسموع هو كلام الله؟!.....
- ٤٦١..... ٢ - القائلون بحلول صوت الرب في العبد دون الحلول الكلي.....
- ٤٦١..... قول بعض السالمية.....
- ٤٦٢..... (الاقترانية) بعض أتباع الأئمة.....
- ٤٦٢..... شبهات الحلولية في مسألة القرآن والرد عليها.....
- ٤٦٣..... الشبهة الأولى، والجواب عنها من (٨) أوجه.....
- ٤٦٥..... الشبهة الثانية: والجواب عنها من (٧) أوجه.....
- ٤٦٧..... (حاشية) الجهميات الأربع التي اشتهرت أيام الإمام أحمد.....
- ٤٦٩..... الشبهة الثالثة: والجواب عنها من (٧) أوجه.....
- ٤٧٠..... الفهم الخاطيء لبعض المنتسبين إلى السنة في هذه المسألة وبيانها.....
- ٤٧١..... سبب وقوعهم في الخطأ يعود إلى سببين:.....
- ٤٧٢..... اضطراب الحلولية في مسألة القرآن.....
- ٤٧٣..... الواجب أمر العامة بالنص والإجماع.....
- ٤٧٥..... المبحث الثالث: القول بخلق القرآن.....

- ٤٧٥..... معنى هذا القول، سبب ظهوره
- ٤٧٧..... القائلون به:
- ٤٧٩..... ١- قول الخوارج الأولين
- ٤٧٩..... ٢- قول بعض المرجئة
- ٤٨٠..... ٣- قول ابن عربي الحلوي
- ٤٨٠..... ٤- قول ابن رشد الحفيد
- ٤٨١..... ٥- قول الرازي
- ٤٨١..... ٦- الأشاعرة والماتريدية
- ٤٨١..... ٧- (حاشية) قول الجويني
- ٤٨٢..... شبهاتهم والرد عليها، أولاً: الشبهات العقلية
- ٤٨٢..... الشبهة الأولى، والجواب عنها من (٣) أوجه
- ٤٨٣..... الشبهة الثانية، والجواب عنها من (٣) أوجه
- ٤٨٤..... الشبهة الثالثة، والجواب عنها من (٨) أوجه
- ٤٨٦..... الشبهة الرابعة، والجواب عنها من وجهين
- ٤٨٧..... الشبهة الخامسة، والجواب عنها من (٤) أوجه
- ٤٨٨..... ثانياً: أهم الشبهات العقلية لهم، والجواب عنها
- ٤٨٨..... الشبهة الأولى، والجواب عنها من (٥) أوجه
- ٤٩٠..... الشبهة الثانية، والجواب عنها من وجهين
- ٤٩١..... الشبهة الثالثة، والجواب عنها من ثلاثة أوجه
- ٤٩٢..... الشبهة الرابعة، والجواب عنها من (٥) أوجه
- ٤٩٤..... الشبهة الخامسة، والجواب عنها من وجهين
- ٤٩٥..... الشبهة السادسة، والجواب عنها من (٤) أوجه

- ٤٩٦..... الشبهة السابعة، والجواب عنها من (٦) أوجه.....  
 ٤٩٨..... بيان فساد قول المعتزلة في القرآن باللوازم من (٦) أوجه.....  
 ٥٠١..... المبحث الرابع: القول بأن القرآن حكاية أو عبارة عن كلام الله.....  
 ٥٠١..... معنى هذا القول.....  
 ٥٠٣..... سبب ظهور هذا القول.....  
 ٥٠٥..... القائلون بالعبارة والحكاية:.....  
 ٥٠٧..... أولاً: شبهاتهم العقلية والرد عليها.....  
 ٥٠٧..... الشبهة الأولى، والجواب عنها بـ(١٨) وجهاً.....  
 ٥١٦..... الشبهة الثانية، والجواب من (٦) أوجه.....  
 ٥١٨..... الشبهة الثالثة، والجواب عنها من (٧) أوجه.....  
 ٥٢٢..... الشبهة الرابعة، والجواب عنها بـ(١٤) وجهاً.....  
 ٥٢٦..... الشبهة الخامسة، والجواب عنها بـ(٣) أوجه.....  
 ٥٢٧..... الشبهة السادسة، والجواب عنها بـ(٥) أوجه.....  
 ٥٢٧..... (حاشية) القول في النقط والشكل بدعة القرن السادس.....  
 ٥٢٨..... ثانياً: شبهاتهم النقلية:.....  
 ٥٢٨..... الشبهة الأولى، والجواب عنها بـ(٥) أوجه.....  
 ٥٣٠..... الشبهة الثانية، والجواب عنها بـ(١٠) أوجه.....  
 ٥٣٣..... ثمانية لوازم فاسدة مترتبة على قول الكلائية والأشاعرة والماثرية.....  
 ٥٣٦..... ما يذكرونه من أن القرآن كلام الله لا ينفي قولهم بخلق القرآن من (٣) أوجه.....  
 ٥٣٩..... المبحث الخامس: القول بأزلية القرآن:.....  
 ٥٣٩..... معنى هذا القول.....  
 ٥٤٠..... سبب ظهوره.....  
 ٥٤١..... القائلون بهذا القول.....



- ٥٤٣.....شبهاتهم والرد عليها:
- ٥٤٣.....الشبهة الأولى، والجواب عن ذلك من (١٤) وجهها
- ٥٤٥.....(حاشية) تقلبات ابن عربي الحلولي
- ٥٤٨.....الشبهة الثانية، والجواب عنها من وجهين
- ٥٤٩.....الشبهة الثالثة، والجواب عن ذلك من وجهين
- ٥٤٩.....بيان مفاسد مترتبة على قول القائلين بأن القرآن تكلم الله به أزلاً
- ٥٥١.....المبحث السادس: القول بأن الله تكلم بعد أن لم يكن متكلماً
- ٥٥١.....معنى هذا القول، سببه
- ٥٥٢.....القائلون به
- ٥٥٣.....شبهاتهم والرد عليها:
- ٥٥٣.....الشبهة الأولى، والرد عليها بـ(٥) أوجه
- ٥٥٤.....الشبهة الثانية، والرد عليها بـ(٦) أوجه
- ٥٥٦.....الشبهة الثالثة، والرد عليها بـ(٥) أوجه
- ٥٥٧.....بيان لوازم فاسدة لقول الحدوثية
- ٥٥٨.....المبحث السابع: القول بالتوقف في القرآن:
- ٥٥٨.....معنى هذا القول
- ٥٥٩.....سبب نشأة هذا القول، القائلون به
- ٥٦٠.....الواقفة ثلاثة أصناف
- ٥٦١.....شبهتهم، والرد عليها بـ(٦) أوجه
- ٥٦٣.....بيان لوازم فاسدة مترتبة على قول الواقفة
- ٥٦٥.....المبحث الثامن: ابتداء مسألة اللفظ بالقرآن:
- ٥٦٥.....معناه، سبب ظهوره

- القائلون بهذا القول ..... ٥٦٧
- ١- الجهمية ..... ٥٦٧
- ٢- الأشعرية ..... ٥٦٧
- ٣- الفراء ..... ٥٦٧
- ٤- آخرون ..... ٥٦٧
- (حاشية) بطلان نسبة هذا القول للإمام ابن أبي حاتم ..... ٥٦٨
- شبهاتهم، والرد عليها: ..... ٥٦٨
- شبهة اللفظية النافية، والرد عليها بـ(٨) أوجه ..... ٥٦٨
- الشبهة الأولى للفظية المثبتة، والرد عليها بـ(٥) أوجه ..... ٥٧٢
- الشبهة الثانية للفظية المثبتة، والرد عليها بثلاثة أوجه ..... ٥٧٣
- مما يدل على فساد قول اللفظية أمور ..... ٥٧٤
- الفصل الثاني: قول المخالفين في نزول القرآن على نبينا محمد ﷺ ..... ٥٧٧
- المبحث الأول: في نزول القرآن الكريم ..... ٥٧٩
- المطلب الأول: نفهم سماع جبريل القرآن من رب العزة ..... ٥٧٩
- شناعة قول الحلولية والفلاسفة في الإنزال ..... ٥٧٩
- زعمهم حفظ القرآن من غير تعلم ..... ٥٨٠
- قول الفلاسفة بعدم علم الله للجزئيات؟! ..... ٥٨٠
- قول الغزالي: صاحب الرياضة قد يسمع كلام الله؟! ..... ٥٨١
- قول الفلاسفة: الملائكة أمور متخيلة! والجواب عن ذلك بـ(٨) أوجه ..... ٥٨٢
- يلزم على قول الأشعرية أن جبريل لم يسمع القرآن من الله ..... ٥٨٥
- اختلاف المتكلمين في الذي أنزل من رب العالمين؟! ..... ٥٨٦
- قالوا: نزل القرآن من اللوح المحفوظ، والجواب عن ذلك بـ(٥) أوجه ..... ٥٨٧
- (حاشية) نزول القرآن إلى السماء لا يخالف سماع جبريل القرآن ..... ٥٨٨

- (حاشية) الروايات التي فيها نزول القرآن من اللوح إلى النبي كلها ضعيفة..... ٥٨٨
- المطلب الثاني: معنى نزول القرآن عند المخالفين، وشبههم: ..... ٥٩١
- لا يثبتون لله علواً؛ فكيف يثبتون إنزال القرآن؟! ..... ٥٩١
- الفلاسفة ليس عندهم شيء ينزل من السماء ..... ٥٩١
- تصريح ابن رشد بأن الشريعة لا تصح إلا بإثبات نزول القرآن..... ٥٩٢
- غلاة الصوفية وموقفهم من إنزال القرآن..... ٥٩٣
- الذي نزل على النبي ﷺ هو لفظ جبريل عند الأشاعرة والماتريدية..... ٥٩٣
- تأويل المتكلمين للإنزال الوارد للقرآن لسبيين: ..... ٥٩٤
- تأويلهم الإنزال الوارد في القرآن، والرد عليهم بـ(٦) أوجه..... ٥٩٤
- قالوا: النزول بمعنى الخلق؟ والرد عليهم بـ(٤) أوجه..... ٥٩٦
- قالوا: النزول بمعنى الإعلام؟ والرد عليهم بثلاثة أوجه..... ٥٩٧
- قالوا: النزول معناه أنه من علو، وأنه يحط إلى أسفل ولا يصح إطلاقها على القرآن، والجواب عن ذلك من (٦) أوجه..... ٥٩٨
- المبحث الثاني: قول بعض الرافضة في نزول القرآن الكريم..... ٦٠١
- بغض بعضهم لجبريل ﷺ..... ٦٠١
- زعم بعضهم أن علياً يُعَلِّمُ النبي ﷺ..... ٦٠٢
- بيان فساد هذا القول وكفره..... ٦٠٢
- زعم الباطنية منهم أن القرآن وحيّ سلمان..... ٦٠٢
- مفاسد قول هؤلاء الرافضة..... ٦٠٣
- الفصل الثالث: قول المخالفين في التعبد بالقرآن الكريم..... ٦٠٥
- المبحث الأول: التعبد بمجرد القراءة..... ٦٠٧
- حال أهل البدع من القرآن:..... ٦٠٧

- ٦٠٨..... حال الخوارج مع القرآن
- ٦٠٩..... عدم عمل الخوارج بالقرآن
- ٦١٠..... طرب الصوفية لسماع الأناشيد
- ٦١١..... زعم بعضهم أن الأناشيد أنفع من القرآن؟! .....
- ٦١١..... قول الإمام الشافعي في المنشدين .....
- ٦١١..... خشوع غلاة الصوفية عند القبور دون القرآن .....
- ٦١٢..... الأناشيد تصدّ عن القرآن .....
- ٦١٤..... سماع القرآن مع الدف وآلات اللهو كفر .....
- ٦١٤..... طرب أهل الكلام لعلومهم .....
- ٦١٥..... وقوع المخالفين للسلف في أنواع من هجر القرآن .....
- ٦١٥..... بيان تخرج المخالفين من القرآن كما ذكره ابن القيم .....
- ٦١٦..... تخرج بعضهم من قراءة سورة "المسد" .....
- ٦١٧..... حفظ بعض المخالفين وخشوعهم للقرآن .....
- ٦١٧..... قراءات المخالفين لا توافق الشرع المبين .....
- ٦١٧..... قراءة التنكيس، والقراءة الجماعية، والرد عليهم بـ(٤) وجوه .....
- ٦١٩..... القراءة بالإدارة، والأسواق .....
- ٦٢٠..... قراءات خاصة بدعية في التروايح، وصبح الجمعة .....
- ٦٢١..... قراءة وسماع سورة الكهف يوم الجمعة في المسجد من قارئ معين .....
- ٦٢١..... قراءة الفاتحة عند عقد الزواج .....
- ٦٢١..... الاستئجار لقراءة القرآن للأموات .....
- ٦٢١..... القراءة للأموات، والرد على من قال بوصول ثوابها بـ(١١) وجوها .....
- ٦٢٤..... القراءة الملحنة .....
- ٦٢٥..... الصعق والشهق عند القراءة .....

- ٦٢٧..... القراءة عند القبور.....
- ٦٢٨..... القراءة للدنيا.....
- ٦٢٩..... زعمهم أن فهم القرآن صعب.....
- ٦٢٩..... قراءتهم بالشواذ.....
- ٦٣١..... المبحث الثاني: التعبد بالتبرك به.....
- ٦٣٢..... بيان صور تبركات المخالفين للسلف بالقرآن.....
- ٦٣٢..... جعل القرآن بدلا عن الكلام.....
- ٦٣٣..... كتابة القرآن على الحيطان والجدران.....
- ٦٣٤..... كتابة القرآن للحروز، وتجويزهم التائم.....
- ٦٣٥..... (حاشية) التائم من القرآن.....
- ٦٣٦..... القراءة على الميت.....
- ٦٣٦..... (حاشية) أحاديث في القراءة على الميت لا تصح.....
- ٦٣٧..... الاستدلال بـ((اقرأوا يس على موتاكم)) والرد من (٤) أوجه.....
- ٦٣٧..... قراءة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة على الميت لا تصح.....
- ٦٣٨..... تبركهم بتقبيل المصحف تعبدًا.....
- ٦٣٩..... وضع المصحف على القبر تبركاً.....
- ٦٣٩..... احضار القراء عند العزاء.....
- ٦٣٩..... أخذهم الفأل من المصحف.....
- ٦٤٣..... الفصل الرابع: قول المخالفين في كون القرآن آية لنبينا محمد ﷺ.....
- ٦٤٥..... المبحث الأول: قول المعتزلة بأن العرب صرفوا عن الإتيان بمثله.....
- ٦٤٥..... التعريف بالصرفة.....
- ٦٤٥..... القائلون بالصرفة.....

- يُحصل الإعجاز ولو على القول بالصرقة تَنْزُلًا ..... ٦٤٦
- الرد على القائلين بالصرقة بـ (٦) أوجه ..... ٦٤٧
- المبحث الثاني: صور الإعجاز عند المخالفين ..... ٦٥٠
- قول الصوفية والفلاسفة ..... ٦٥٠
- قول ابن رشد بأن الإعجاز في التشريع؛ فهذا حق وباطل ..... ٦٥٢
- قول المعتزلة والرافضة والقائلين بالكلام النفسي ..... ٦٥٣
- هل الإعجاز في اللفظ أو المعنى عند المتكلمين؟ ..... ٦٥٤
- (حاشية) كيف يكون القرآن معجزاً لفظاً والعجم لا تفهمه؟ ..... ٦٥٤
- زعمهم أن المعجزات لا توصل إلى معرفة النبي؟! ..... ٦٥٥
- خطأ من حصر معرفة الأنبياء بالمعجزات ..... ٦٥٦
- عدم تفريق المتكلمين بين الخوارق الشيطانية والمعجزات ..... ٦٥٦
- على قول الأشاعرة والماتريدية لا يستقيم الإعجاز ..... ٦٥٧
- الاستدلال للإعجاز بكون القرآن حجة ..... ٦٥٧
- اختراع المخالفين لبعض المعجزات ..... ٦٥٨
- الباب الثالث: منزلة القرآن الكريم عند السلف ..... ٦٥٩
- الفصل الأول: بيان فضل القرآن الكريم، ووجوب تعظيمه ..... ٦٦١
- المبحث الأول: فضل القرآن الكريم ..... ٦٦٣
- المطلب الأول: الأدلة في بيان فضل القرآن الكريم ..... ٦٦٣
- المطلب الثاني: مفاضلة القرآن الكريم بعضه على بعض ..... ٦٦٩
- تحرير محل النزاع أن الخلاف في المقروء نفسه لا في القراءة ..... ٦٦٩
- ذِكْرُ (٢١) دليلاً على تفاضل القرآن الكريم ..... ٦٦٩
- القول بعدم تفاضل القرآن مبني على القول بالكلام النفسي ..... ٦٧٤
- التفاضل يلزم منه النقص؟! وجواب هذه الشبهة ..... ٦٧٦

- المطلب الثالث: حكم تفضيل غير القرآن على القرآن ..... ٦٧٨
- الأدلة على عدم جواز تقديم غير القرآن على القرآن ..... ٦٧٨
- المبحث الثاني: تعظيم القرآن الكريم ..... ٦٨٥
- المطلب الأول: الدليل على وجوب تعظيمه ..... ٦٨٥
- لا يخالف التعظيم إسماع الكافر شيئاً منه ..... ٦٨٨
- ذكرُ جملة أمور تدل على التعظيم ..... ٦٨٩
- المطلب الثاني: حكم الاستهزاء بالقرآن ..... ٦٩٠
- الدليل على أن المستهزئ بالقرآن يكفر ..... ٦٩١
- ذكرُ بعض صور الاستهزاء ..... ٦٩١
- المطلب الثالث: حكم التبرك بالقرآن الكريم ..... ٦٩٣
- الأدلة على أن القرآن مبارك ..... ٦٩٣
- (حاشية) في معنى التبرك ..... ٦٩٣
- جملة من البركات التي يمكن تلمسها من القرآن الكريم ..... ٦٩٤
- المطلب الرابع: خصائص القرآن الكريم ..... ٦٩٧
- الفصل الثاني: طريقة السلف في فهم القرآن والاحتجاج به ..... ٧٠٣
- المبحث الأول: طريقة أهل السنة في فهم القرآن ..... ٧٠٥
- المطلب الأول: الاستغناء بالوحي ..... ٧٠٥
- الأدلة على أن في الوحي غنية عما سواه ..... ٧٠٧
- المطلب الثاني: تلازم القرآن والسنة ..... ٧١٩
- قرئُ الله في كتابه على وجهين: ..... ٧٢٠
- الأدلة على وجود التلازم بين القرآن والسنة ..... ٧٢٠
- اتفاق السلف على وجوب العمل بالسنة ..... ٧٢٥

- أمثلة على التلازم بين الكتاب والسنة..... ٧٢٦
- المطلب الثالث: حمل القرآن على الحقيقة..... ٧٢٩
- (حاشية) فرية على الإمام أحمد أنه أول ثلاث آيات..... ٧٢٩
- (حاشية) معاني التأويل..... ٧٢٩
- المجاز..... ٧٣٠
- معنى الحقيقة لغة واصطلاحاً..... ٧٣١
- وجوب حمل النص على الحقيقة..... ٧٣٢
- أدلة وجوب حمل القرآن على الحقيقة، وذكر (١١) وجهاً..... ٧٣٣
- إنكار السلف للتأويلات..... ٧٣٥
- المطلب الرابع: حمل القرآن على الظاهر..... ٧٣٨
- معنى الظاهر..... ٧٣٨
- ذِكْرُ (١٤) دليلاً على وجوب حمل القرآن على الظاهر..... ٧٣٩
- (حاشية) مثال على ما زعمه بعض الرافضة أنه خلاف الظاهر..... ٧٤٠
- شروط جواز صرف النصوص عن ظواهرها..... ٧٤٢
- (حاشية) مسألة قرب الله، وهل هو على الظاهر؟!..... ٧٤٢
- تنبيهات: المقصود بإجراء النص على ظاهره عند المفوضة والمتخيلة..... ٧٤٤
- ذكر مثالين لوجوب إجراء النص على الظاهر اللائق به..... ٧٤٥
- المطلب الخامس: الاستعانة بفهم السلف الصالح في فهم القرآن..... ٧٤٧
- لماذا أُمِرنا باتباع السلف؟..... ٧٤٧
- قول عمر بن عبد العزيز..... ٧٤٨
- قول عباد الخواص..... ٧٤٩
- (حاشية) قول ابن الماجشون..... ٧٤٩
- قول أبي الحسن الأشعري في طوره السلفي..... ٧٥٠



- ٧٥٠..... قول الحافظ ابن رجب
- ٧٥١..... ذكر أحد عشر دليلا على وجوب اتباع السلف الصالح:
- ٧٥٦..... الرد على قول من زعم: أن طريقة الخلف أعلم وأحكم
- ٧٥٨..... أمور تدل على أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم
- ٧٦١..... المبحث الثاني: حجية القرآن عند السلف
- ٧٦١..... المطلب الأول: حجية القرآن في العقائد وذكر أنواع الأدلة على ذلك
- ٧٦١..... النوع الأول: الأدلة القرآنية نفسها
- ٧٦٤..... النوع الثاني: الأدلة النبوية
- ٧٦٥..... النوع الثالث: دليل الإجماع
- ٧٦٦..... النوع الرابع: أقوال علماء المسلمين
- ٧٦٨..... النوع الخامس: الأمثلة على اشتغال القرآن للأدلة العقائدية
- ٧٦٩..... (حاشية) في معنى الصفاتية
- ٧٧١..... النوع السادس: أدلة عقلية على أن القرآن مشتمل على الدلائل العقدية بـ(١١) وجهها
- ٧٧٢..... (حاشية) في معنى البديهيات
- ٧٧٦..... النوع السابع: دفع الشبه للدلالة على أن القرآن مشتمل على الدلائل
- ٧٧٧..... المتشابه والتفصيل فيه
- ٧٨٢..... المطلب الثاني: كون القرآن مصدر التشريع
- ٧٨٣..... ذكر ثمانية أوجه للدلالة على أن القرآن مصدر التشريع
- ٧٨٥..... المطلب الثالث: نسخ القرآن للكتب السابقة، ذكر الكتب السابقة
- ٧٨٥..... (حاشية) معنى النسخ
- ٧٨٦..... ذكر الأدلة على نسخ القرآن للشرائع السابقة
- ٧٨٧..... الموقف من الكتب السابقة وأنه لا يخلو من أمرين:

- ٧٨٨.....(حاشية) اتفاق الكتب على التوحيد
- ٧٨٩.....ذكر الأدلة على نسخ القرآن للكتب السابقة
- ٧٩٠.....النسخ ليس بدءاً
- ٧٩٣.....المطلب الرابع: وجوب اعتقاد أن القرآن لا ينسخ بعد انقطاع الوحي
- ٧٩٤.....ما يقع فيه النسخ، وأقسام النسخ
- ٧٩٥.....النسخ في القرآن الكريم على ثلاثة أقسام
- ٧٩٦.....نفي كل أنواع النسخ للقرآن بعد وفاة النبي ﷺ
- ٧٩٧.....وضع عيسى عليه السلام الجزية في آخر الزمان ليس نسخاً
- ٨٠١.....الفصل الثالث: جهود السلف في حفظ القرآن
- ٨٠٣.....المبحث الأول: عناية السلف بالقرآن
- ٨٠٣.....المطلب الأول: حفظ القرآن في الصدور
- ٨٠٥.....الحفاظ بلغوا حدَّ التواتر
- ٨٠٦.....(حاشية) الحفاظ من الصحابة
- ٨٠٧.....أقام السلفُ القرآنَ حرفاً ومعنىً
- ٨٠٨.....تعاهد السلف للقرآن
- ٨٠٨.....(حاشية) لا يصح دعاء في حفظ القرآن
- ٨١٠.....المطلب الثاني: كتابة القرآن الكريم
- ٨١٠.....المسألة الأولى: كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ
- ٨١١.....(حاشية) كُتِبَ النبي ﷺ
- ٨١٣.....المسألة الثانية: كتابة القرآن الكريم في عهد الصديق عليه السلام
- ٨١٤.....توجيه قول زيد عليه السلام: (أنه لم يجد آخر آيتين)
- ٨١٥.....المسألة الثالثة: كتابة القرآن في عهد عثمان عليه السلام
- ٨١٦.....أسباب تولي زيد عليه السلام لكتابة المصحف

- ٨١٨..... مراعاة ما تم في كتابة القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه
- ٨٢٠..... المسألة الرابعة: المحافظة على الرسم العثماني
- ٨٢١..... مراعاة الرسم لستة أمور
- ٨٢٣..... تنقيط المصحف وتشكيله
- ٨٢٤..... كراهة بعضهم التعشير
- ٨٢٥..... الاتباع في رسم المصحف
- ٨٢٦..... المسألة الخامسة: كتابة القرآن الكريم بالأحرف الأعجمية
- ٨٢٦..... منع ذلك لأمر (٨)
- ٨٢٨..... ما ورد أن سلمان رضي الله عنه كتب الفاتحة بالفارسية
- ٨٢٩..... المطلب الثالث: اهتمام السلف بعلوم القرآن
- ٨٣٠..... اهتمامهم بتفسيره
- ٨٣٣..... اهتمامهم بقراءاته
- ٨٣٤..... اهتمامهم بعلوم أخرى تابعة له
- ٨٣٥..... العلوم المضافة إلى القرآن الكريم قسمان:
- ٨٣٦..... اهتمام الأمة بالقرآن فوق التصور
- ٨٣٨..... المطلب الرابع: اهتمام أهل السنة بالقرآن في العصر الحديث
- ٨٣٩..... وجوه اهتمام الدولة السعودية بالقرآن متعددة: الدستور
- ٨٤٠..... التعليم
- ٨٤١..... الجمعيات الخيرية، المسابقات القرآنية
- ٨٤٢..... إنشاء إذاعة القرآن
- ٨٤٣..... طباعة المصاحف والتفاسير وكتب السلف، والأشرطة القرآنية
- ٨٤٤..... تحفيظ القرآن لأبناء المسلمين

- ٨٤٥..... كلية للقرآن الكريم
- ٨٤٧..... المبحث الثاني: نهى السلف عن المراء في القرآن والتكلف في القرآن
- ٨٤٧..... (حاشية) معنى المراء
- ٨٤٧..... المسألة الأولى: نهى السلف عن المراء في القرآن الكريم
- ٨٤٩..... المجادلة في كتاب الله أربعة أقسام: واحد ممدوح، وثلاثة مذمومة
- ٨٥٠..... من المراء عدم العمل بالقرآن
- ٨٥٢..... المسألة الثانية: نهى السلف عن التكلف في القرآن
- ٨٥٣..... الباب الرابع: منزلة القرآن الكريم عند المخالفين للسلف
- ٨٥٥..... الفصل الأول: منزلته عند الفلاسفة
- ٨٥٧..... مدخل: وفيه ذكر (١٣) مسألة لبيان ما اجتمع عليه المخالفون
- ٨٦٣..... المبحث الأول: التعريف بالفلاسفة
- ٨٦٣..... المطلب الأول: التعريف بالفلاسفة
- ٨٦٦..... المطلب الثاني: بيان أقسام الفلاسفة
- ٨٦٦..... أقسام الفلاسفة من حيث بلدانهم فهم (٥) أصناف
- ٨٦٧..... أقسام الفلاسفة من حيث العقائد فهم قسمان
- ٨٦٧..... (حاشية) من أشهر فلاسفة المسلمين
- ٨٦٨..... فلاسفة المسلمين لهم ثلاثة مناهج
- ٨٧٠..... المبحث الثاني: عدم تعظيم الفلاسفة للقرآن
- ٨٧٠..... الأدلة على عدم تعظيمهم للقرآن:
- ٨٧٠..... تسميتهم علومهم براهين وحججاً!!
- ٨٧٢..... قولهم بقدوم العالم، وأن الجنة والنار أمور خيالية!!
- ٨٧٥..... سخريتهم من العبادات
- ٨٧٥..... تسويتهم بين الرسول والفيلسوف!!

- ٨٧٦..... تأويلاتهم الفاسدة للقرآن
- ٨٧٧..... سعيهم الجمع بين الشرع والفلسفة
- ٨٧٧..... إظهارهم تعظيم القرآن لاعتبارات أخرى
- ٨٧٩..... المبحث الثالث: عدم رجوع الفلاسفة إلى القرآن والصدور عنه في العقائد
- ٨٧٩..... عدم جزمهم بما في القرآن
- ٨٨٠..... إيجابهم التأويل على الخاصة
- ٨٨١..... زعمهم أن القرآن لم يأت ببراهين!! والرد عليهم بـ(١٠) أوجه
- ٨٨٦..... ظنهم أن القرآن يدل على التشبيه، والرد عليهم
- ٨٨٧..... الفلاسفة تركوا الاحتجاج بالقرآن لظنهم أنه تخيل، والرد عليهم بـ(١٣) وجهاً
- ٨٩٣..... الفصل الثاني: منزلة القرآن الكريم عند غلاة الصوفية
- ٨٩٥..... المبحث الأول: التعريف بمن سلك هذا المسلك
- ٨٩٥..... أولاً: اشتقاق كلمة "الصوفي"
- ٨٩٨..... الاشتقاق الأكبر والأوسط والأصغر
- ٨٩٩..... ثانياً: المراد بالصوفية اصطلاحاً
- ٩٠٠..... ما يجمع الصوفية منهجياً
- ٩٠٢..... تقسيم الصوفية بحسب بدعهم إلى قسمين:
- ٩٠٤..... المبحث الثاني: أقوال الصوفية في الظاهر والباطن
- ٩٠٦..... تفضيلهم الباطن على الظاهر
- ٩٠٧..... من أقوالهم في الباطن
- ٩٠٨..... شبهاتهم النقلية في الظاهر والباطن، والجواب عنها بـ(١٤) وجهاً
- ٩١٣..... الفصل بين الظاهر والباطن باطل من وجوه متعددة
- ٩١٤..... ادعائهم بعدم وجوب حمل النصوص على ظاهرها، والجواب عنه من وجوه

- قالوا: ورد الظاهر والباطن لاختلاف أذواق الناس، والجواب عنه ..... ٩١٦
- شبهة نقلية، والجواب عنها ..... ٩١٧
- قالوا: إن الأنبياء لم يعلموا الباطن لانشغالهم بالظاهر، وأن الأنبياء جاؤوا لضبط  
العوام! ..... ٩١٩
- استدلواهم على الإلهام والكشف، وإبطال ذلك ..... ٩٢٠
- زعمهم أن الرب علموا ما جرى ليلة الإسراء بدون النبي!! ..... ٩٢٠
- استدلواهم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه ((حفظت جرابين)) ..... ٩٢١
- احتجاجهم بقصة موسى عليه السلام مع الخضر ..... ٩٢١
- قولهم باختصاص علي عليه السلام بعلم خاص ..... ٩٢٢
- زعمهم أن التكاليف الشرعية مرفوعة عن الواصلين ..... ٩٢٢
- زعمهم أنهم يأخذون بالماكشفة ..... ٩٢٤
- ذم ابن عقيل الصوفية من وجوه ..... ٩٢٥
- حدوث التصوف وفرقهم ..... ٩٢٦
- قولهم: إن في الشريعة أسراراً!! ..... ٩٢٧
- ادعاءهم الغيب والكرامات ووقوع بعضهم في الحلول والاتحاد ..... ٩٢٨
- المبحث الثالث: استخفافهم بظاهر القرآن، والرد عليهم ..... ٩٣١
- أمثلة لبيان استخفافهم بظاهر القرآن ..... ٩٣٢
- تحريفهم لنصوص القرآن ..... ٩٣٣
- اعتمادهم على التفسير الكشفي والإشاري ..... ٩٣٨
- استخفافهم بظاهر النصوص ..... ٩٣٨
- استخفافهم بالعلم ..... ٩٤٩
- المبحث الرابع: عدم تعظيم الصوفية للقرآن ..... ٩٤١
- أمثلة على ذلك من كلامهم ..... ٩٤١

- ٩٤٥..... زعم بعضهم أن القرآن لا يدرك به الأمور العقدية.
- ٩٤٦..... عدم اهتمام الصوفية بالقرآن، وله صور.
- ٩٤٩..... إعراضهم عن القرآن واهتمامهم بالأناشيد.
- ٩٥١..... زعم الغزالي أن السماع الصوفي أفضل من قراءة القرآن في التأثير من سبعة أوجه!
- ٩٥٣..... زعم الغزالي أن الذكر أفضل من القرآن للواصل!!
- ٩٥٥..... المبحث الخامس: عدم اعتمادهم عليه في باب العقائد.
- ٩٥٦..... اعتمادهم على الكشف!! والرد عليهم من (٨) أوجه.
- ٩٥٨..... اعتمادهم على كتب المشايخ.
- ٩٦٠..... اعتمادهم على الذوق والسماع.
- ٩٦٢..... أهم العظائم عند الصوفية.
- ٩٦٣..... الفصل الثالث: منزلة القرآن الكريم عند الرافضة.
- ٩٦٥..... المبحث الأول: التعريف بالرافضة.
- ٩٦٥..... الرافضة لغة.
- ٩٦٦..... سبب تسمية الرافضة بالرافضة.
- ٩٦٦..... المراد بالرافضة اصطلاحاً.
- ٩٦٧..... بماذا يصح الرفض عند الرافضة؟
- ٩٦٨..... أول من ابتدع الرفض.
- ٩٦٨..... أشهر فرق الرافضة.
- ٩٧٠..... المبحث الثاني: عقيدتهم في القرآن.
- ٩٧٠..... موافقة بعضهم للمعتزلة في أن القرآن مخلوق.
- ٩٧١..... من أشد ما تميز به الرافضة قولهم: إن القرآن محرف.
- ٩٧٢..... طعن الرافضة في نقلة القرآن.

- ٩٧٤.....نصوصهم التي تدل على أن القرآن محرف عندهم
- ٩٧٥.....قولهم (المصحف كامل)، ماذا يريدون به؟
- ٩٧٦.....(حاشية) لماذا لا يكفرون القائلين بتحريف القرآن
- ٩٧٦.....الكلام القاطع الدال على اعتقادهم تحريف القرآن
- ٩٧٧.....(حاشية) كتاب فصل الخطاب
- ٩٧٨.....اعتراف صاحب كتاب "فصل الخطاب" أن الرافضة متفقين على التحريف
- ٩٨٠.....من أنكر التحريف فذلك تقية
- ٩٨٠.....القرآن على الترتيب المرضي عند الله
- ٩٨٢.....تقسيم الأشعري الروافض في القول في القرآن
- ٩٨٢.....قول ابن حزم في الرافضة
- ٩٨٣.....الجواب عن شبه الرافضة في تحريف القرآن، من (١٠) أوجه
- ٩٨٨.....زعمهم أن أهل السنة يقولون بالتحريف!! والرد عليهم بـ(٦) أوجه
- ٩٩٢.....زعمهم أن الصحابة كتبوا القرآن بشهادة رجل واحد، والرد عليهم بثلاثة أوجه
- ٩٩٤.....المبحث الثالث: عدم تعظيم الرافضة للقرآن الكريم
- ٩٩٥.....الأوجه الدالة على عدم تعظيم الرافضة للقرآن الكريم:
- ٩٩٥.....زعمهم التحريف
- ٩٩٥.....إعمالهم بالتحريف في القرآن الكريم
- ٩٩٧.....قولهم في أبي بكر وعمر 
- ٩٩٨.....تقديمهم أقوال الأئمة على القرآن
- ٩٩٨.....زعمهم بوجود مصحف فاطمة
- ٩٩٨.....فتحهم الباب أمام أعداء الإسلام
- ٩٩٨.....هجر الرافضة للقرآن
- ٩٩٩.....مخالفاتهم العقدية للقرآن



- ١٠٠٠..... اتهامهم أم المؤمنين، والصدیق، وعمر 
- ١٠٠٢..... زعمهم أن الحسين مثل القرآن
- ١٠٠٢..... وزعمهم أن للقرآن ظاهراً وباطناً
- ١٠٠٣..... عدم اهتمامهم بالقرآن
- ١٠٠٤..... عدم اهتمام الرافضة بعلوم القرآن
- ١٠٠٦..... المبحث الرابع: عدم اعتمادهم عليه في باب العقائد
- ١٠٠٧..... يرون أن الحجة هو الإمام المعصوم
- ١٠٠٨..... اعتمادهم على كتبهم، ومنها مصحف فاطمة!!
- ١٠٠٩..... ما لزم الروافض من الشناعات لعدم اعتمادهم على القرآن
- ١٠١٠..... موقف الرافضة من السنة أشد وأنكى
- ١٠١٣..... الفصل الرابع: منزلة القرآن عند الباطنية
- ١٠١٥..... المبحث الأول: التعريف بالباطنية
- ١٠١٥..... أسماؤهم وفرقهم
- ١٠١٩..... ذكر سبعة أمور اتفقت عليها الباطنية
- ١٠٢٣..... المبحث الثاني: اعتقاد الباطنية عدم انقطاع الوحي
- ١٠٢٥..... (حاشية) لا يرى الله تعالى في الدنيا
- ١٠٢٦..... وصف الباطنية كتبهم بأوصاف القرآن
- ١٠٢٨..... ثناء القونوي على ملك التتار
- ١٠٢٨..... زعمهم عدم ختم النبوة
- ١٠٢٩..... الأدلة على ختم النبوة في الرد على الباطنية
- ١٠٣٢..... المبحث الثالث: اعتقاد الباطنية في القرآن
- ١٠٣٢..... المطلب الأول: أن القرآن منسوخ، ولا يعمل به!!

- المطلب الثاني: أن القرآن للعرب خاصة! والرد عليه بـ(٧) أدلة..... ١٠٣٥
- المطلب الثالث: تحريف الباطنية النصوص..... ١٠٣٨
- المبحث الرابع: استهانة الباطنية بالقرآن..... ١٠٤٣
- المطلب الأول: استخفاف الباطنية بالقرآن..... ١٠٤٣
- تأويلات الباطنية..... ١٠٥٠
- المطلب الثاني: عدم اعتمادهم على القرآن الكريم..... ١٠٥٥
- المطلب الثالث: تفضيلهم غير القرآن على القرآن..... ١٠٦٢
- جعل كتبهم كالقرآن..... ١٠٦٤
- المطلب الرابع: حفظ الباطنية لكتبهم المزعومة..... ١٠٦٨
- الفصل الخامس: منزلة القرآن الكريم عند أهل الكلام..... ١٠٧١
- المبحث الأول: التعريف بأهل الكلام..... ١٠٧٣
- سبب هذه التسمية..... ١٠٧٥
- المراحل التي مر بها أهل الكلام..... ١٠٧٦
- أشهر فرق أهل الكلام..... ١٠٧٧
- الأمر التي تجمع أهل الكلام..... ١٠٧٨
- أهل الكلام باعتبار نفي الصفات قسماً:..... ١٠٨١
- اتفاق السلف على ذم أهل الكلام..... ١٠٨٢
- المبحث الثاني: عدم تعظيم أهل الكلام للقرآن..... ١٠٨٤
- الدليل على عدم تعظيم أهل الكلام للقرآن..... ١٠٨٥
- مقارنتهم بين القرآن والنبي؟!..... ١٠٩٠
- اعتقادهم أن السلف لم يفهموا القرآن..... ١٠٩٤
- ضربهم الآيات القرآنية بعضها ببعض..... ١٠٩٧
- سبب إعراض المتكلمين عن القرآن..... ١٠٩٨

- ١١٠١..... تفسير المتكلمين القرآن بالظن والهوى.
- ١١٠٢..... تحريفاتهم للنصوص.....
- ١١٠٦..... المبحث الثالث: جعل أهل الكلام القرآن فرعاً في باب الاعتقاد.....
- ١١٠٧..... السمعيات عندهم لا تفيد اليقينية؟!.....
- ١١٠٩..... مصدر التلقي عند أهل الكلام.....
- ١١١١..... حُلُوُّ كتب المتكلمين من النصوص.....
- ١١١٢..... إهمال المتكلمين أساس دعوة القرآن وهو التوحيد.....
- ١١١٤..... القرآن مشتمل على الهدى التام وبيان ذلك بـ(١٦) وجهاً.....
- ١١٢١..... المبحث الرابع: بيان عدم حفظ أهل الكلام للقرآن.....
- ١١٢٥..... الفصل السادس: منزلة القرآن عند بعض المعاصرين: العقلانيين، والقرآنيين.....
- ١١٢٧..... المبحث الأول: العقلانيون.....
- ١١٢٧..... المطلب الأول: التعريف بالعقلانيين.....
- ١١٢٨..... العقلانيون صنفان.....
- ١١٣١..... أهم رموز المدرسة العقلية.....
- ١١٣١..... المطلب الثاني: منزلة القرآن الكريم عند العقلانيين.....
- ١١٣٨..... الأدلة على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم.....
- ١١٣٨..... اشتغال القرآن على السعادة.....
- ١١٤٠..... المبحث الثاني: منكروا السنة (القرآنيون).....
- ١١٤٠..... المطلب الأول: التعريف بالقرآنيين.....
- ١١٤٠..... دعوات ظهرت لنهذ السنة مرات.....
- ١١٤٢..... ظهور دعوة باسم (القرآنيين).....
- ١١٤٣..... من أسباب ظهور هذه الفرقة.....

- ١١٤٣.....فِرَق القرآنين
- ١١٤٤.....دعوى منكري السنة والرد عليهم
- ١١٥٠.....المطلب الثاني: منزلة القرآن الكريم عند منكري السنة القرآنيين
- ١١٥٠.....إظهارهم تعظيم القرآن
- ١١٥١.....ادعائهم زوراً أنهم أهل القرآن
- ١١٥١.....مخالفاتهم لتشريعات القرآن
- ١١٥٢.....الأدلة على عدم تعظيمهم للقرآن
- ١١٥٧.....الخاتمة
- ١١٦٥.....الفهارس
- ١١٦٧.....فهرس المصادر والمراجع
- ١٢١٩.....فهرس الموضوعات